المكتبة الرمضانية

أكثر من 74 كتاب و كُتيب

جمع و اعداد

مثنى النعيمي

أسكنه الله ووالديه الفردوس الأعلى



أختاه كي يكون صومك مقبولاً

أبو الحسن بن محمد الفقيه

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ... وبعد:

أختي المسلمة: ها قد أقبل رمضان ... شهر التوبة والغفران ... والجود والإحسان ... والدعاء والتبتُّل ... والصبر والشكر ... والعتق من النيران ...

شهر تغمر فيه الرحمات كل صائم ... بمضاعفة الحسنات ... والتجاوز عن السيئات ...

أيا رمضان الخير عذرا عصى الشعر
فلم يترنم مثلما يوجب الأمر
وكيف لشعري أن يسيل عذوبة
بمدحك والأرزاء في أبحري كثر
وكيف القوافي فيك أزجي عصيها
وأحوالنا تزري وأفعالنا نكر!

وإن الحسرة ... كل الحسرة ... أن لا تحسب المسلمة لقبول صيامها حسابًا ... فتخيب في اغتنامه مع من خاب! ... ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾.

قال بعض السلف: "كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يـــبلِّغهم رمضان، ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبَّله منه"!

ورأى وهيب بن الوردي قوما يضحكون يوم عيد الفطر فقال: "إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشـــاكرين، وإن كان لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين"!

لا يقصد رحمه الله التشنيع على من فرح يوم العيد ... وإنما في كلامه كبير عناية بشأن قبول الصيام.

قال مالك بن دينار: "الخوف على العمل ألا يتقبل أشد مـــن العمل"!

أختي المسلمة: وإليك من هدي النبي ﷺ شعلة تضيء لك طريق الصيام، كي يكون بإذن الله مقبولا ... وبالله التوفيق.

أبو الحسن بن محمد الفقيه

كيف تستقبلين رمضان؟!

أختي المسلمة: إن مجيء شهر الصيام حدث لو تدبرت المسلمة معانيه ... لطارت هموم الدنيا من رأسها ... ولأصبح همها الأكبر: كيف تستقبل رمضان، وكيف تصومه الصوم المبرور المقبول، وكيف تحفظ حدوده وتقوم ليله وتقضي في الصالحات نهاره.

وإليك أختي المسلمة قصة نفيسة تحمل دلالات تلك المعاني السامية:

فعن أبي سلمة عن طلحة بن عبيد الله أن رجلين من بلي قدما على رسول الله ﷺ وكان إسلامهما جميعا، فكان أحدهما أشد اجتهادا من الآخر، فغزا المجتهد منهما فاستشهد ثم مكث الآخر بعده سنة ثم توفي.

قال طلحة: فرأيت في المنام بينا أنا عند باب الجنة، إذا أنا بهما، فخرج خارج من الجنة فأذن للذي توفي الآخر منهما، ثم خرج فأذن للذي استشهد، ثم رجع إلي فقال: ارجع فإنك لم يأذن لك بعد. فأصبح طلحة يحدِّث الناس فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله وحدَّثوه الحديث، فقال: «**من أيِّ ذلك تعجبون؟**» فقالوا: يا رسول الله، هذا كان أشد الرجلين اجتهادا ثم استشهد، ودخل هذا الآخر الجنة قبله. فقال رسول الله ﷺ : «**أليس قد مكث هذا بعده سنة؟**» قالوا: بلى. قال: «**وأدرك رمضان فصام وصلى كذا وكذا من سجدة في السنة؟**» قالوا: بلى. قال رسول الله ﷺ : «**فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض**». [رواه ابن ماجه في صحيحه

رقم: ٣١٧١].

فتأملي ــ أختي المسلمة ــ في قوله ﷺ : «**فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض**».

إنهما اثنان: مجتهد في العبادة مات مقتولا ... شهيدا في سبيل الله تعالى ... وأعظم بها من مزية ومنزلة عند الله! ورجل آخر أقل اجتهادا من الأول ... أدرك رمضان ... وصامه كما يجب ... فنال بذلك درجة أرفع من درجة المجتهد ... الشهيد ... وسبقه إلى درجات الجنة!

وفي هذا كله دليل على أن للصيام مكانة ومنزلة عالية عند الله... وإذا كان الأمر كذلك ... فلابد إذن من التشمير والاستعداد... والمجاهدة والجهاد لاستقبال شهر رمضان ... بما يليق به مقامه...

ولقد كان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه بمجيء رمضان ويقول: «**قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، يفتح فيه أبواب الجنة، ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم**». [رواه النسائي وغيره].

فهذا الحديث أصل في تبشير الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان... التبشير ... واحد من مفردات التعظيم والإجلال لهذا الشهر الكريم!

وهنا وقفة مع فقه السلف لهذه المعاني العظيمة ...

قال عبد العزيز بن مروان: كان المسلمون يقولون عند حضرة شهر رمضان: اللهم قد أضلنا شهر رمضان وحضر، فسلمه لنا وسلمنا له، وارزقنا صيامه وقيامه، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد، والقوة والنشاط، وأعذنا فيه من الفتن".

وقال يحيى بن كثير: "كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلا".

فاحرصي أختي المسلمة على حسن استقبالك لهذا الشهر ... فإن من أحب شيئا ... أكثر من ذكره ...

وتذكري أيضا أن الله جل وعلا يحب من يعظم شعائره التي عظمها ... وقد أخبر أن ذلك من التقوى فقال: **﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾**.

ثم تذكري أيضا ... أن قبول الصيام ... منوط بالتقوى كما قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾**.

فإذا كان تعظيم أمر الله في رمضان ... وصيامه كما أمر الله من التقوى، وكانت التقوى هي معيار القبول ... فلا شك إذن أن تعظيم استقبال رمضان ... واستشعار منزلته ومكانته عند الله هو أول علامات قبول الصيام ... ومبدؤها ... لأن العلم والاقتناع بفضائل الصيام وحاجة المسلمة إلى ثماره وثوابه العظيم هو ما يدفعها إلى الإتيان به على الوجه الذي يرجى به قطف تلك الثمار ... وكسب ذلك الثواب فتأملي!!

إذا رمضـــــــان أتـــــــى مقـــــــبلا
فأقبـــــــل بـــــــالخير يســـــــتقبل
لعلـــــــك تخطئـــــــه [١] قـــــــابلا
وتـــــأتي بعـــــذر فـــــلا يقبـــــل

فقه الصوم شرط لقبوله

أختي المسلمة: إن الإلمام بفقه الصيام هو الشـــرط الأساســـي لقبول الصيام لأنه يدلك على أركان الصيام وشروطه ... وواجباته ومستحباته ... وفضائله.. وهدي النبي ﷺ فيه.

وأركان الصيام أربعة: وهي النية والإمساك عـــن مفطـــرات الصيام، وزمان الصيام، والصائم.

فأما زمان الصيام: فهو من مطلع الفجر الصادق إلى غـــروب الشمس؛ لقوله تعالى: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَـيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّـوا الصِّـيَامَ إِلَـى اللَّيْلِ﴾**.

وأما الصائم: فهو كل مسلم بالغ عاقل مقيم قادر خال مـــن الموانع.

وأما النية: فهي ركن في كل العبادات كلها؛ لقوله ﷺ : «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نـــوى**». [رواه البخـــاري

(١) أي لعلك تموت قبل إدراكه في السنة القادمة، كما قال تعالى: **﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾**.

ومسلم].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اتفق العلماء على أن العبادة المقصودة لنفسها كالصلاة والصيام والحج لا تصح إلا بنية".

وعن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له**». [رواه الترمذي].

"والنية محلها القلب؛ فمن خطر بباله أنه صائم غدا فقد نوى، وتصح النية في أي جزء من أجزاء الليل؛ لقوله: «**قبل الفجر**». [أحاديث الصيام لعبد الله بن صالح الفوزان ص٢٤].

الجماع في نهار رمضان: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومعلوم أن النص والإجماع أثبتا الفطر بالأكل والشرب والجماع والحيض" [مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٥/٢٤٤].

وفي صحيح مسلم أن رجلا وقع على امرأته في رمضان فاستفتى النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**هل تجد رقبة؟**» قال: لا. قال: «**هل تستطيع صيام شهرين؟**» قال: لا. قال: «**فأطعم ستين مسكينا**». [رواه مسلم].

- إنزال المني باختيار الصائم: أو بتقبيل أو مس أو غير ذلك.

- الأكل والشرب عمدا؛ لقوله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ [البقرة: ١٨٧].

- ما كان في معنى الأكل والشرب: كالإبر المغذية، وحقن

الدم.

- الحجامة: لقوله ﷺ : «**أفطر الحاجم والمحجوم**» [رواه أحمد وهو في صحيح الجامع: ١١٣٦].

- التقيؤ عمدا: لقوله ﷺ : «**من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمدا فليقض**». [رواه أبو داود].

- خروج دم الحيض والنفاس: لقوله ﷺ في المرأة: «**أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم**».

فالأخت المسلمة إذا رأت دم الحيض أو النفاس فسد صومها سواء في أول النهار أو آخره ولو قبل الغروب بلحظة.

فهذه هي أركان الصيام التي لا يصح إلا بها.

أختي المسلمة: فالحفاظ على أركان الصوم بإخلاص النية واجتناب المفطرات يضمن لك بإذن الله صحة الصوم ... ويفرش لك السير إلى الله في رمضان فهو شهر التبتل والعبادة ... والقنوت والزهادة.

فقبوله منوط بالاجتهاد والإخلاص، واقتفاء هدي النبي ﷺ في صيامه، فقد كان ﷺ يقضي يومه في تلاوة القرآن ومدارسته، وكان فيه جوادا كريما متبتلا مقيما ... يزيد فيه من العبادة ما لا يفعل في غيره.

وآكد المستحبات التي ينبغي للأخت المسلمة الحرص عليها في رمضان:

* **كثرة تلاوة القرآن:** فقد أنزل القرآن في رمضان: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ لذلك فهو أفضل أوقات قراءته وتلاوته ... وقد كان رسول الله ﷺ أكثر تعاهدا للقرآن في رمضان، وقال ﷺ : «**القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان**». [رواه أحمد وهو في صحيح الجامع برقم: ٣٨٨٢].

وكان الزهري رحمه الله يقول: "إذا دخل رمضان فإنما تلاوة القرآن وإطعام الطعام".

ولهذا أختي المسلمة ينبغي أن يكون أغلب وقتك في رمضان لتلاوة القرآن وترتيب وتدبر معانيه ... فإن مناسبة صفاء الذهن بالصوم لفهم القرآن والتفرغ له لا تعدلها مناسبة أخرى في السنة.

* **الصدقة:** وهي من السنن الثابتة في رمضان خصوصا؛ فقد كان ﷺ جوادا معطاء في رمضان فكان أجود من الريح المرسلة.

وكان السلف أكثر عملا بهذا الهدي القويم، فكان أبو الدرداء يقول: "صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور، وتصدقوا لشر يوم عسير".

وكان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام فقام وأعطاه السائل.

واشتهى بعض السلف طعاما وكان صائما فوضع بين يديه عند

فطره، فسمع سائلا يقول: من يقرض الملي الوفي؟ فقال: عبده المعدوم من الحسنات، فأخذ الصفحة فخرج بها إليه وبات طاويا".

* **القيام، والمحافظة على سنن الصيام:** فأما القيام فأجره عظيم لأن احتساب القيام في رمضان من أسباب المغفرة، لاسيما ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

وكذلك ينبغي الحرص على سنن الصوم، كتعجيل الفطور وتأخير السحور فإن في ذلك بركة في الروح والجسد.

احفظي الصيام بترك المحرمات

لكل عمل صالح أعمال تفسده ... أو تضعف من ثوابه ...

فالصدقة تبطل بالمن والأذى! وسائر العبادات يبطلها الرياء ... والحج يبطل بترك الوقوف بعرفة ... وينقص أجره بالفسوق والرفث ... والصلاة تبطل بترك الوضوء ... وينقص ثوابها بكثرة الالتفات والإخلال بالسنن ونحو ذلك ... وهكذا.. فلكل عبادة ما يبطلها أو ينقص من ثواب صاحبها!

وللصيام ما يبطله! وله أيضا ما يقدح في تمامه وكماله ... بل ما ينسف ثوابه وثماره حتى لا تكاد تذكر أو تنعدم.

أختي المسلمة: ولذلك فإن من أهم ما ينبغي لك التنبه إليه: حفظ الصيام من مبطلاته وقوادحه!

ولهذا فقد أكد رسول الله ﷺ على هذا الأمر، وبيَّن في أحاديث

كثيرة ما يحفظ به المسلم صيامه من الضياع ...

فكيف تحفظ المؤمنة صومها؟

أولا: بالإخلاص لله جل وعلا: بأن تجعل صومها لله سبحانه، ترجو به الله والدار الآخرة ...

وليس ذلك في الصيام فقط وإنما في كل العبادات التي تتقرب بها إلى الله في رمضان كتلاوة القرآن ... والقيام ... والذكر ... والصدقة والإحسان ... وغير ذلك من الشعائر البارزة في رمضان ...

فكثير من الناس وإن كانوا يخلصون لله في الصيام ... إلا أنهم قد لا يتنبهون للرياء ونزغات الشيطان في صدقاتهم وتلاوتهم للقرآن ونحو ذلك من العبادات الظاهرة...

ولهذا فإن الإخلاص في عبادات شهر الصيام عامة من أهم ما ينبغي التفطن له.

يا صائمي رمضان فوزوا بالمنى
وتحققوا نيل السعادة والغنى
وثقوا بوعد الله إذ فيه الهنا
أوليس هذا من كلام إلهنا:
"الصوم لي وأنا أجزي به"
يفوز من للصوم قام بحقه
وأتى بحسن القول فيه وصدقه

ومـــن الجحـــيم نجـــا وفـــاز بعتقـــه
فـــالله قـــال عـــن الصـــيام لخلقـــه
"الصـــــــوم لي وأنـــــــا أجـــــــزي بـــــــه"

ثانيا: اجتناب المبطلات والمفسدات: وقد تكلمنا على ذلك في الفصل السابق ...

ثالثا: اجتناب المحرمات: فليس الصوم ما صام فيه المسلم عـــن الطعام والشراب فقط ... وإنما هو أعمق من ذلك وأشمل ... فهو صوم عن الرذائل والمحرمات ... واجتناب لسائر المكروهات!

وتتفاوت عند الله الدرجات ... بحسب صوم جوارح المســـلم ونفسه عن كل ما يغضب الله ويسخطه!

قال رسول الله ﷺ : «**ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فلتقل: إني صائم**» [رواه الحاكم وصححه].

وقال ﷺ : «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

قال جابر رضي الله عنه: "إذا صمت فليصم سمعك وبصـــرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع عنك أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا يكن يوم صومك ويوم فطرك سواء".

وقال أحد السلف: "أهون الصيام ترك الشراب والطعام".

إذا لم يكـــن في الســـمع مـــني تصـــاون
وفي بصري غـــض وفي منطقـــي صـــمت
فحظي إذا من صـــومي الجـــوع والظمـــا
فإن قلت إني صمت يـــومي فمـــا صـــمت

أختي المسلمة: وتنبهي إلى أن اللسان هو أخطـــر جارحـــة في الإنسان وهو أفسد للصيام من غيره ... ولذلك جـــاءت أغلـــب النصوص تزجر عن استعماله في المحرمات كما أشارت إلى ذلـــك الأحاديث السابقة ...

والسر في ذلك أن أغلب الناس يصومون عن الأكل والشـــرب والشهوة، لأنها محرمات ظاهرة ... بيد أن فلتات اللسان يصـــعب الصوم عنها ... وإنه ليسير لمن يسره الله عليه.

ولذلك كان الكذب ... والغيبة والنميمـــة ... والـــزور ... والرفث ... واللغو والجدال ... من أكثر الأبواب التي يفسد بهـــا الصيام!

وقد نبه رسول الله ﷺ لخطر اللسان وحذر منه، فهو بوابة الشر كله.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تذكر اللسان فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججـــت اعوججنا**» [رواه الترمذي وهو حديث حسن].

ولهذا أختي المسلمة فإن قبول الصيام وتمامه وكماله متعلق بحفظ اللسان أكثر من حفظ غيره من الجوارح فهو باب الاستقامة، بل باب النجاة كما في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه إذ سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**» [رواه الترمذي].

ومما ينبغي التحرز منه واجتنابه: النظر إلى المحرمات ... فإنه أعظم أبواب الشهوة ... والشهوة تفسد الصيام، فقال تعالى: ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ فقرن سبحانه غض البصر بحفظ الفرج دلالة على أن فضول النظر إلى ما يدعو إلى الفتنة يوجب السقوط فيها.

وفي رمضان يعم بلاء الفضائيات ... ويذيع في الآفاق شرها ... وفيها من إثارة الشهوة ما أصبح علمه ضروريا عند الخاصة والعامة!

وكيف ترجو قبول الصيام ... وقطف ثماره اليانعة ... من تقضي نهارها وليلها تتقلب في براثن الفسق والمجون ... والرفث واللغو والصخب والعبث؟!

فلتجاهد المسلمة نفسها لتنال أجر الصيام ... وشرف المقام ... والفوز يوم يجمع الأنام ... قال رسول الله ﷺ : «**أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه**».

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

أختي الصائمة
احذري .. وتذكري

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد:

للنساء في رمضان حديث.. وحديثي إليهن حديث مشفق خائف وجل.. يحب لهن الخير.. ويرجو لهن النجاة والفوز والفلاح..

أليس من النساء الأمهات والأخوات؟!

أليس منهن الزوجات والبنات؟!

أليس منهن العمات والخالات؟

أليست النساء نصف الأمة، ويلدن نصفها الآخر؟

فكيف لا أحب لهن الخير، وأرجو لهن النجاة؟!

قد تقولين أيتها الأخت المباركة: دعنا من حديثك، فرمضان شهر المغفرة والرحمة والعتق من النيران..

دعنا من حديثك.. فإن أبواب الجنة تفتح في رمضان، وأبواب النار تغلق.. دعنا من حديثك.. فإن الشياطين تصفد في رمضان.. دعنا من حديثك.. فإن فيه ليلة هي خير من ألف شهر..

وأقول لك: مهلا، أيتها الأخت الفاضلة الكريمة..

لماذا تأخذين بجانب وتتركين الجانب الآخر؟ .. ألم يقل النبي

ﷺ: «**رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر**» [رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني].

ألم يقل النبي ﷺ: «**رغم أنف رجل دخل عليه رمضان، ثم انسلخ منه قبل أن يغفر له**» [رواه الترمذي والحاكم، وصححه الألباني].

ألم يقل النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

فلا يتم التقرب إلى الله تعالى بالصيام وترك الشهوات الظاهرة؛ من طعام وشراب ونكاح إلا بعد التقرب إليه بترك الشهوات الباطنة؛ من كذب وغيبة ونميمة وسخرية واستهزاء وكبر وغرور وعلو في الأرض واختيال، وسائر الظلم والتعدي على الغير في نفسه أو ماله أو عرضه.

خطر اللسان

إن بعض المسلمات تصوم النهار، وتقوم الليل، ولكنها تؤذي المسلمين والمسلمات، وتتخذ من أعراضهم غرضاً للتندر، ومجالاً للضحك والسخرية.

*فيا أختي المسلمة.. يقول الله عز وجل: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٨]، أي: ما يتكلم الإنسان بكلمة إلا ولها من يرقبها، ويحصيها، ويكتبها له أو عليه كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾

[الانفطار: ١٠-١٢].

فينبغي على المرأة الرشيدة أن تتعاهد لسانها بالتنقية والتطهير، ولا تتكلم إلا بالكلام النافع المفيد لها ولغيرها، وأن تجاهد نفسها على ذلك، حتى تتعود الخير، ويكون سجية لها، وتنفر من الشر، ويكون بغيضا إليها.

*قال محمد بن واسع لمالك بن دينار: يا أبا يحيي، حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار.

*وخاطب ابن عباس رضي الله عنه لسانه قائلاً: يا لسان، قل خيرا تغنم، أو اسكت عن شر تسلم.

فحذار أيتها الأخت من إطلاق لسانك في الباطن وفي أذى المسلمين، فقد قال النبي ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزلُّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**» [متفق عليه].

*وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»[رواه الترمذي، وحسنه].

*وسئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «**الفم والفرج**» [رواه الترمذي، وصححه الحاكم].

*ولما قال له معاذ بن جبل رضي الله عنه: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم** – أو قال: **على مناخرهم** – **إلا حصائد ألسنتهم**»

[رواه أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح].

*وأخبر النبي ﷺ أن زنى اللسان النطق. [متفق عليه].

يعي الكلام الباطل بالفحش والرفث عن القول، ولذلك نهى النبي ﷺ عن أن تصف المرأةُ المرأةَ لزوجها، كأنه ينظر إليها، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها، كأنه ينظر إليها**» [رواه البخاري].

احذري الكذب

لماذا تصرين – أختاه – على الكذب، وهو خصلة ذميمة، وآفة خطيرة، تضر من ابتلي بها في دينه ودنياه أعظم الضرر.

أما سمعت أختاه قول النبي ﷺ: «**إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»[متفق عليه].

أيسرك أن تكتبي عند الله (كاذبة)، وينادي عليك يوم القيامة: فلانة بنت فلان (الكاذبة).

أما تعلمين – أختاه– أن الكذب من صفات المنافقين.. نعم والله، هو من صفات المنافقين، قال النبي ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا خام فجر، وإذا عاهد غدر**» [متفق عليه].

واحذري أختاه من شهادة الزور، فإنها من أكبر الكبائر، كما

قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين** – وكان متكئا فجلس – ثم قال: **ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**» قالوا: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. [رواه البخاري].

احذري الغيبة

واحذري – أختاه – من الغيبة، فهي آفة خطيرة من آفات اللسان، نهى عنها ربنا في كتابه، وشبه فاعلها بآكل لحم أخيه الميت. قال تعالى: ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾[الحجرات:١٢].

ومع أن حكم الغيبة هو التحريم، وهي أيضا من الكبائر، إلا أن أكثر الناس قد ابتلي بها، وأصبحت تعقد المجالس والمنتديات بقصد الغيبة وتناول الأعراض.

والغيبة عرفها رسول الله ﷺ فقال لأصحابه: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» فقيل له: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**» [رواه مسلم].

وقال رسول الله ﷺ: «**لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في**

أعراضهم» [رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني].

احذري النميمة

والنميمة هي نقل كلام الناس بعضهم في بعض على وجهة الإفساد بينهم، وقد توعد الله صاحبها بالويل والعذاب فقال سبحانه: ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**﴾[الهمزة:١] قيل: الهمزة: النمام.

وقال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**» [متفق عليه، واللفظ لمسلم].

قال يحيى بن أكثم: النمام شر من الساحر، ويعمل النمام في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر.

وقال الحسن: من نم لك نم عليك..

فاحذري أختاه من هذه الخصلة الذميمة، ولا تصدقي النمام فيما يقول، بل انصحيه وبيني له خطأه، وأرشديه إلى الصواب.

احذري ذا الوجهين

احذري أختاه ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه، ولا يثبت على حال، وهذا شأن المنافقين، قال تعالى: ﴿**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ**﴾[النساء:١٤٣].

وقال النبي ﷺ: «**تجدون شر الناس عند الله يوم القيامة ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه**» [متفق عليه]. بمعنى أنه يمدح الإنسان في وجهه، ويبالغ في ذلك لقصد

دنيوي، ثم في غيبته يذمه عند الناس، ويعيبه.

احذري اللعن والسب

المرأة المسلمة طاهرة اللسان، عفيفة المنطق والكلام، لا تعرف السباب واللعن والشتائم، فقد رباها الإسلام على الحياء والصيانة وحسن الخلق ومحامد الخصال. وقد ورد في ذم اللعن والسب أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «**لعن المؤمن كقتله**» [متفق عليه]. وقوله ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء**»[الترمذي حسنه].

وقال ﷺ: «**لا يكون اللعانون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة**» [رواه مسلم].

*ونهى النبي ﷺ عن لعن الدواب والريح حتى يظل لسان المسلم طاهرا نظيفا لا يكدره شيء.

أما السباب، فإنه دليل على سرعة الغضب، والعجلة، والسفه، وفيه قال النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**» [متفق عليه].

*ونهى ﷺ عن سب الحيوان، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة**» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

*ونهى ﷺ عن سب المرض، فقال: «**لا تسبوا الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد**» [رواه

مسلم].

فإذا كان سب الحيوان الذي لا عقل له منهيا عنه في شريعة الإسلام، فكيف بسب الأبناء والآباء والأزواج والأصدقاء والخدم. بل كيف بمن يسب الله ورسوله ﷺ؟

فاتقي الله يا أختاه .. واتركي اللعن والسباب.

احذري السخرية والاستهزاء

الناس جميعا لآدم عليه السلام، وآدم من تراب.. فهل يليق لمن أصله التراب أن يسخر من أحد أو يستهزئ بالآخرين؟!

ألا يا أيها الإبريـــ ـــقُ ما لك والصلف
فما أنت بلور وما أنت من صدف
وما أنت إلا كالـــ أباريق كلها
تراب مهين قد ترقى إلى خذف

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ**﴾[الحجرات: ١١].

ومعنى السخرية: الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالقول، وقد يكون بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء.

قالت عائشة رضي الله عنها: حاكيت إنساناً، فقال لي النبي ﷺ: «**والله، ما أحب أني حاكيت إنساناً ولي كذا وكذا**» [رواه

أبو داود والترمذي، وصححه].

فاتقى الله – أختي المسلمة - وحافظي على دينك، وإياك أن تسخري أو تستهزئي بأحد من عباد الله، وبخاصة أهل الصلاح والاستقامة. قال الشيخ ابن باز: (الاستهزاء بالإسلام أو بشيء منه كفر أكبر، ومن يستهزئ بأهل الدين والمحافظين على الصلوات من أجل دينهم ومحافظتهم عليه يعتبر مستهزئا بالدين، فلا يجوز مجالسته، ولا مصاحبته، بل يجب الإنكار عليه والتحذير منه، ومن صحبته).

احذري الغناء

وإني سائلك – أختاه – سؤالاً: إذا كان يوم القيامة أين يكون الغناء؟! أمع الحق في صحيفة الحسنات؟ أم مع الباطل في صحيفة السيئات؟

قال الله تعالى: ﴿**مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا**﴾ [لقمان: ٦]. قال ابن مسعود رضي الله عنه مفسرا لهو الحديث: والله، إنه الغناء.

والغناء من الآفات المنتشرة التي دخلت كل بيت إلا من رحم الله عز وجل. وهو من أعظم أسباب قسوة القلب والإعراض عن ذكر الله عز وجل، وتلاوة كتابه، ومحبته تضعف في قلب صاحبه محبة القرآن وتلاوته وسماعه، وهو كذلك يضعف الغيرة في القلب، ولذلك ذكر العلماء أنه بريد الزنى، ومزمار الشيطان. قال النبي ﷺ:

«**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**» [رواه البخاري].

فاتقي الله – أختي المسلمة- وطهري قلبك من محبة الغناء، وعليك بكتاب الله عز وجل، فهو النور المبين والصراط المستقيم، والمنهاج القويم، من قرأ منه حرفا كانت له حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، فأنعم به من كتاب، وأكرم به من تنزيل.

أختاه تذكري

*تذكري أختاه أن الله يراك، ويعلم ما تخفين، وما تعلنين، ويعلم مكنون الصدور وخفايا الأمور؛ ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[المجادلة:٧].

*تذكري يا أختاه الموت وسكرته .. والقبر وظلمته.. والصراط وحدته.. والحساب وشدته..

قال تعالى: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ**﴾[ق:١٩-٢٢]

*تذكري أختاه يوم القيامة.. يوم الحسرة والندامة .. أو يوم الفرحة والكرامة .. تذكري ما في هذا اليوم من أهوال وشدائد وخطوب ،تشيب لها رؤوس الولدان، وتطيش منها عقول الشيب

والشبان: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج:٢].

*تذكري أختاه يوم تتطاير الصحف، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[الحاقة:١٩-٣٢].

*تذكري أختاه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[آل عمران:٣٠].

*تذكري أختاه يوم يقول العصاة والمجرمون: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

*تذكري أختاه يوم يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾[النبأ:٤٠].

نسأل الله أن يهدينا وإياك سواء السبيل. وآخر دعوانا أن

الحمد لله رب العالمين.

***

استغلال رمضان

د/ أحمد عبد الرحمن القاضي

مصدر هذه المادة:

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن من حكمة الله ورحمته ولطفه بعباده أن هيأ لهم مواسم للطاعات، تنشرح فيها صدورهم لعمل الصالحات، واغتنام الأوقات، ووعدهم على ذلك جزيل الهبات.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ فاختار من الناس محمداً، ومن البقاع مكة والمدينة، ومن الأيام يوم النحر، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأشهر شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن. وأودع الله في قلوب عباده المؤمنين شوقا دفينا لهذا الشهر، فما أن يستدير العام حتى تخفق تلك القلوب لمقدمه، وتتشوق لاستقباله، كما يستقبل الضيف الحبيب الذي طال غيابه. وكأن المؤمن قد ناء بحمل الأثقال من الخطايا والغفلات، فما أن يهل الشهر ويحل إلا وقد ألقاها عن كاهله، وطرح بين يدي ربه يتوب إليه ويستغفره، ثم يقبل يجلو صدأه، ويميط الران عنه، حتى يعود صقيلا مضيئاً، مثل السراج يزهر. روى الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة ﷺ قال: كان النبي ﷺ يبشر أصحابه ؛ يقول: «**قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه. تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق**

فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين. فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم» وإسناده صحيح. قال ابن رجب، رحمه الله: (قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان) [لطائف المعارف: ٢٧٩].

ورمضان في ضمير المؤمن موسم قربة وإخبات، واستكثار من الأعمال الصالحات. وقد تعرض هذا الوعي الإيماني في السنوات الأخيرة لقدر من التشويه والانحراف، فصار في حس بعض الناس موسماً للتسوق والتفنن في الأكلات والوجبات، وعند آخرين مهرجاناً للأفلام والمسرحيات التي تقيء بها الفضائيات، ويقترن عند طائفة بذكر النوم والكسل وترك الأعمال والواجبات!! وكل هذا وذاك باطل ما أنزل الله به من سلطان، ولا كان من شأن أهل الإسلام، وإنما طرأ على مجتمعاتهم في غيبة من العلم وغفلة من الذكر، وهجمة من الذين يتبعون الشهوات. أنشد بعض السلف:

أتى رمضان مزرعة العباد
لتطهير القلوب من الفساد
فأدِّ حقوقه قولاً وفعلاً
وزادك فاتخذه للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها
أوه نادماً يوم الحصاد

ولم يزل الصالحون يشبهون رمضان بالمزرعة، وحلوله بالموسم، ومن شأن ذلك أن يستغل. قال ابن منظور: (استغلال المستغلات أخذ غلتها) [لسان العرب: ١١٠/١٠].

ولا يتم هذا الاستغلال، بشكل تام، إلا بتحقق ثلاثة أمور:

الأول: التهيؤ الإيماني لاستقبال هذا الشهر؛ بأن يورد المسلم على قلبه المؤثرات الإيمانية من المحبة، والخوف، والرجاء، التي تؤهله لاغتنامه بالعمل الصالح.

الثاني: التخطيط الجيد للوقت، ورسم برنامج يومي متوازن لتحقيق المقاصد المختلفة.

الثالث: العلم الشرعي بمحبوبات الله ومراضيه التي ينبغي السعي في تحصيلها في هذا الشهر. وقد اجتمعت في هذا الشهر الكريم أمهات العبادات. وفيما يلي فتح لصوامع الغلال، لأرباب الاستغلال، علَّ الله أن يوفقنا لملئها في هذا الشهر الكريم بالصالحات، فنفرح بها ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا**﴾ [آل عمران: ٣٠].

أولا: الصيام

نص الله تعالى على الحكمة من فرضية الصيام بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة:١٨٣].

وبين نبيه ﷺ مقصود الصيام بقوله: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

فالصوم الحق هو الذي يحلي صاحبه بالزينة الباطنة، وهي التقوى، والزينة الظاهرة، وهي الأدب والسمت الحسن، كما في الصحيحين، من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جنة ؛ فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم. والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما؛ إذا فطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**».

وهذا الصوم المنشود هو النابع من الإيمان والاحتساب، لا من التقليد والعادة، والمجاراة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أيضا، أن النبي ﷺ قال: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه**» أي: إيماناً بالله وحقه عليه في الصوم، واحتسابا لموعوده من الأجر والثواب.

ثانياً: القيام:

القيام قرين الصيام، وعديله في الأجر؛ ففي الحديث المتقدم: «**ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»، ورمضان مدرسة تربوية لاكتساب هذه الخصلة العظيمة، التي هي شعار الصالحين، الذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة:١٦ -١٧]، وهي صفة عباد الرحمن، الذين قال فيهم: ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [الفرقان:٦٤].

وقد دأب المسلمون منذ زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ على قيام الليل جماعة خلف إمام واحد، محيين بذلك سنة نبوية رمضانية، قطعها النبي ﷺ خشية أن تفرض على أمته، ثم جددها أمير المؤمنين عمر، لما زال المحذور ولم يزل المسلمون يصلونها، ويسمونها صلاة التراويح. فينبغي للمؤمن أن يحافظ على القيام مع إمامه كل ليلة حتى تنقضي الصلاة، لينال الثواب الموعود، ففي حديث أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من قام مع الإمام حتى ينصرف، كتب له قيام ليلة**»، رواه أهل السنن بسند صحيح. وأن يصبر نفسه على ذلك طوال الشهر، ولا يخرم منه ليلة واحدة، ليصدق عليه أنه قام رمضان، لا بعض رمضان، وألا يكون همه البحث عن الأئمة النقارين، أو التنقل بين المساجد كهيئة المتذوق.

ثالثاً: القرآن:

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١].

فرمضان أخص الشهور بالقرآن؛ لأن فيه ابتداء تنزيله. ولهذا كان نبينا ﷺ يخصه بمزيد العناية والمدارسة ؛ ففي حديث ابن عباس، رضي الله عنهما: (وكان جبريل يلقاه في كل ليلة في رمضان، فيدارسه القرآن) [متفق عليه].

وعلى هذا السنن النبوي سار الموفقون من سلف هذه الأمة، فكانوا يكثرون الختمات ؛ فكان أبو رجاء العطاردي يختم في كل عشر وكان قتادة يختم في كل سبع دوماً، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر كل ليلة. وكان الأسود النخعي يختم في كل ليلتين.

قال ابن رجب: (وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث، على المداومة على ذلك. فأما في الأوقات الفاضلة، كشهر رمضان، خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة، كمكة، شرفها الله، لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن، اغتناماً للزمان والمكان).

وإنه لمن دواعي الأسى أن يمر شهر رمضان ببعض المسلمين دون أن يختم ختمة واحدة ! فضلا أن يشتغل بتدبره، وتفسيره. ومما

يعين على كثرة التلاوة أمور:

أحدها: أن يواظب الصائم على القعود في مصلاه بعد صلاة الصبح، مشتغلا بذكر الله وقراءة القرآن، حتى ترتفع الشمس، فيتمكن بذلك من قراءة جزأين من القرآن.

الثاني: أن يجتمع مع نفر من أصحابه على قراءة كتاب الله، في بيت من بيوت الله.

الثالث: أن يحرص على التبكير إلى الصلوات الخمس، فيقرأ ما كتب الله له بين الأذان والإقامة، وبعد الفريضة.

رابعاً: الصدقة:

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: (كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن. وكان جبريل يلقاه في كل ليلة في رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة) [متفق عليه].

فبين الصيام والصدقة والجود تلازم عجيب! إذ أن الصوم يتسامى بصاحبه عن رهق الحياة، وثقلة المادة، ويشعر صاحبه بما يلقى الجوعى والظمأى من عنت، فتخف النفس لتحقيق المواساة، فتسمح اليد بالبذل والإنفاق، وتترفع عن الشح والأثرة. وقد بدا ذلك جليا في حياة السلف، فقد جاء سائل إلى الإمام أحمد رحمه الله فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره، ثم طوى، وأصبح صائماً. وكان الحسن البصري، رحمه الله، يطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً، ويجلس يروحهم وهم يأكلون.

فمن كان ذا جدة فهذا أوان البذل، ومن لم يكن، فينبغي أن يكون دالا على الخير بتوجيه الموسرين إلى أهل العوز والفاقة، والأرامل، واليتامى، والمساكين، المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافاً. والدال على الخير كفاعله.

خامساً: العمرة:

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**» [رواه أحمد وابن ماجة].

و (في) للظرفية الزمانية، فيحصل المقصود بإيقاع العمرة في أي يوم من الشهر، فلا يلزم أن يكون في العشر الأواخر، أو في ليلة بعينها، أو في النهار دون الليل، وسواء كان صائما أو مفطراً، ما دام في رمضان، لكن يخطئ من يهل بالعمرة قبل ثبوت الشهر، ويجعل طوافه وسعيه وحلقه بعد ثبوته؛ لأن الإحرام أحد أركان العمرة، فلابد أن يقع في رمضان أيضاً.

سادساً: الاعتكاف:

قال تعالى: ﴿**طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ [البقرة:١٨٧] وقال: ﴿**وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**﴾ [البقرة:١٨٧]. وفي الصحيحين من حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: «**كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ﷻ، ثم اعتكف أزواجه من بعده**».

والاعتكاف لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، وطلباً لليلة القدر. فينبغي أن يشتغل المعتكف بأنواع الطاعات القاصرة ؛ من صلاة، وذكر، ودعاء، وقراءة قرآن، ونحو ذلك. وألا يضيع وقته بالأحاديث مع أصحابه، إلا ما ندر، أو الضحك والسمر، كما يقع من بعض المعتكفين. فهذا لون، واعتكاف رسول الله ﷺ لون.

والاعتكاف المشروع اعتكاف كامل العشر. فإن لم يتمكن من ذلك اعتكف ما تيسر. وأقل الاعتكاف، على الصحيح، ليلة، ويدخل معتكفه قبيل غروب الشمس، ليلة إحدى وعشرين ، ويخرج منه ليلة العيد. ولا يخرج أثناء ذلك إلا لما لابد منه، أو لعبادة اشترطها.

سابعا: الفقه في الدين

ينبغي للمؤمن أن يتفقه في الدين عموماً، فإنه «**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين**» رواه البخاري، وأن يتفقه فيما يعرض له من العبادات والمعاملات خصوصا. ومن ذلك أن يتعلم الصائم فقه الصيام، من شروط الصوم، والنية فيه، وأحوال الناس؛ من حيث وجود سبب الوجوب، أو زوال المانع، وما يفسد الصوم من المفطرات، وما يوجب الكفارة، وأحكام القضاء، وما يستحب للصائم وما يكره ، وما يستحب صومه من الأيام، وما يكره وما يحرم، وأحكام الاعتكاف والعيدين، وغير ذلك.

وتحصيل ذلك يكون بأمور متنوعة: بقراءة كتب العلم، وسماع الدروس، وسؤال أهل العلم، ومطالعة الفتاوى. كما ينبغي للصائم أن يستصحب تفسيراً من التفاسير المعتبرة، يفهم فيه عن الله مراده، ويرفع الجهل عن نفسه وعن إخوانه وأهل بيته.

ثامناً: صلة الرحم

تتيح الأجواء الرمضانية بيئة صالحة للتواصل بين المسلمين، من أقارب، وجيران، وأصدقاء. فينبغي استغلال هذه الفرص لتقوية الصلة، وغرس المحبة، وتنقية العلاقات مما قد شابها من كدر أو سوء ظن، مما ينزغه الشيطان بين المسلمين.

تاسعا: الدعوة إلى الله

في شهر رمضان، لا سيما أوله، يقبل كثير من الناس المفرطين، على ارتياد المساجد، ومحاولة الاستقامة، فإن وجدوا وجوهاً هاشة باشة، كان ذلك مدعاةً لتثبيتهم على التوبة. وإن وجدوا صدوداً وإعراضاً، وربما تعريضا وانتقاداً، عادوا لسيرتهم الأولى بعد بضعة أيام. فينبغي للمؤمن الموفق أن يستغل هذا الإقبال لتمسيكهم بالكتاب، وتحبيبهم بالمساجد وأهلها. كما إن رمضان فرصة لتفقد المتخلفين عن الصلاة، والمنحرفين عن الجادة، ومناصحتهم، وموعظتهم. وهو أيضاً فرصة مناسبة لنشر الوعي والعلم عن طريق الكلمات في المساجد، وتوزيع الكتب والأشرطة النافعة.

عاشراً: التوبة:

إن من علامة قبول العمل الصالح أن يوفق العبد للتوبة النصوح من جميع الذنوب. فحري بالمؤمن اللبيب الحازم أن يتبصر في خاصة نفسه، وقت خلواته، وصفاء نفسه، لينظر ما هو عليه ؛ فإن وجد خيراً فليحمد الله، وإن وجد سوى ذلك فليتب إلى مولاه، وليعزم عزماً أكيداً، لا رجعة فيه، على الفرار إليه ، واستدراك ما فات ؛ ليغفر له ما سلف.

اللهم أهلَّ علينا شهر رمضان بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، وأعنا فيه على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك.

كتبه/

د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي

عنيزة – في ٢٦/شعبان/١٤٢٥هـ

أسعد الناس في شهر رمضان (من جمع ثمانية أمور)

كتبها

عبد الرحمن اليحيى

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين..

وبعـــــد:

في هذه الأيام ينتظر ألف مليون مسلم في مشارق الأرض ومغاربها ضيفًا عظيمًا طالما انتظروه، وطالما دعوا الله أن يبلغهم إياه بعفوه ومعافاته، وأن يكتب لهم فيه أوفر الحظ والنصيب من الخير.

إنه شهر رمضان، اختاره الله، واختار صيامه ركنًا من أركان الإسلام، وجعل صيامه فريضة وقيامه طريقًا موصلاً إليه.

وقد خاطب الله المكلفين بهذا التشريع فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾.

فخاطبهم بالإيمان، لأن أهل الإيمان هم الذين يعظمون أوامر الله، ثم بين لهم الله بأنه قد كتبه على من قبلهم من الأمم السابقة، فلم يشرعه عليهم لأول مرة حتى يهون عليهم وطأة التشريع، ويشجعهم عليه، ثم ذكر سبحانه بأنه لم يفرض الصيام من أجل أن تجوع الأحشاء أو تظمأ الأمعاء، ولكنه فرضه عليهم ليتقوه، من أجل تزكية النفوس وإصلاحها فقال: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾.

فالصيام لا يقف عند الإمساك عن الطعام والشراب، بل يتعداه إلى صيام الجوارح، فمن صام فليصم قلبًا وقالبًا.

فالصيام عبادة وطاعة يؤديها الصائم بحب وخضوع وتعظيم لله، وأعظم ثمرة للصيام أنه يورث تقوى الله وتقوى الله معناها ألا يفقدك الله حيث أمرك ولا يجدك حيث نهاك، ففي الحديث الصحيح: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودًا فلا تنتهكوها».

ثم ذكر سبحانه أنه فرض صيام رمضان ﴿**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**﴾ ثلاثين أو تسعة وعشرين يومًا. ثم استثنى من هذا التكليف المريض والمسافر ومن يعجز عن الصيام أو يخاف عليه منه.

ثم ذكر سبحانه لماذا خص شهر رمضان وشرع صومه، لأنه الشهر ﴿**الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾.

ومن هنا نلاحظ أن بين القرآن والصيام صلاة وعلاقة متينة، ففي مسند أحمد «**القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصائم: منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، فيشفعان**» فتصور أنك تأتي يوم القيامة، وعندك ذنوب كثيرة وتفاجأ بالصيام والقرآن يدافعان عنك.

ثم بين سبحانه أن هذا التشريع الإسلامي للصوم ليس المراد منه إرهاق الناس أو إجهادهم، وإنما الغرض منه العبادة والطاعة وتقوى الله، ولهذا خفف الله عن المسافر والمريض والعاجز والخائف على نفسه منه، فرخص في الفطر والقضاء في أيام أخر ﴿**فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾.

ثم بين لماذا شرع القضاء فقال: ﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾.

وإذا عرف هذا، فقد ضرب علماؤنا لشهر رمضان مثالاً رائعًا بليغًا فقالوا: إن شهر رمضان كالسوق القائم، ثم ينفض، ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر؛ فتعالوا لنرى ماذا يُعرض في هذا السوق، لقد جعل الله صيامه فريضة وركنًا من أركان الإسلام، وجعل قيام ليلة تطوعًا، وفيه ليلة خير من ألف شهر، هو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، «**من فطر فيه صائمًا كان له مثل أجره**» قالوا: يا رسول الله! ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم فقال: «**يعطي الله هذا الأجر من فطَّر صائمًا على تمرة، أو شربة ماء، أو مذقة لبن**» شهرٌ أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، تضاعف فيه الحسنات، وتكفر فيه السيئات، فيا ترى من الرابح في هذا السوق، ومن الخاسر؟

إن الرابح في شهر رمضان من جمع سبعة أمور.

١- **إن الصيام شرع لعلة وسبب**: وهذا السبب هو من أعظم الأشياء وأجلها عند الله، ومن حصل في صيامه وقيامه على هذه الغاية فقد فاز، ألا وهو الإخلاص؛ فأنت صمت لله ثلاثين أو تسعة وعشرين يومًا، فيعلمك الصيام كيف تعيد النظر في قولك، وفي عملك؛ فإذا قلت فقل لله، وإذا عملت فاعمل لله، لأنك عبد لله فإلى متى وأنت تخدع نفسك، ولا تخلص عملك؟ فيعلمك كيف تتجه باللوم على نفسك، فإلى متى هذا النفاق والكذب والغش؟ إن الصيام يعلمك كيف تريد الله وحده ولا تريد شيئًا سواه.

فهنيئًا لمن استفتح صيامه بالسر الأعظم: مراقبة الله ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ وفي الحديث «ألا إن التقوى هاهنا» وأشار إلى قلبه ثلاثًا وفيه إشارة إلى الإخلاص لأنه سر دفين بين العبد وربه، فلا تراه العيون ولا تسمع به الآذان، إن الإخلاص لا يظهر إلا بالأثر، فمن أخلص طيبه الله حيًا وميتًا، وما من عبد يصرف ما لله لغير الله إلا خاب وخسر وخاب رجاؤه وخسر الدنيا والآخرة.

٢- **هذه الطاعة تعلمك الصبر على طاعة الله ومرضاته**، ولا شك أن أعظم ما يكون الصبر حينما تصبر على ما تهوى النفس ومن هنا رتب الله على دخول الجنة أمرين فذكر منها ترك هون النفس، يقول عمر: وجدنا ألذ عيشنا في الصبر، ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾، فعبادة الصيام فيها سر يحبه الله، ألا وهو الصبر، وإذا استشعر الصائم أن الله يحب منه هذا الصبر ويثيبه عليه استجمعت نفسه وارتاحت، فيقف في نهاية اليوم وقد ظمأ أو جاع ووجد المشقة والعناء فقال: «**اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله**» فهذه لا شك معاملة رابحة.

٣- **أنت تعلمت أثناء الصيام أن تترك الحلال لله**، فحري بك أن تترك الحرام فلا تأكل حرامًا، ولا تشرب حرامًا، فإذا صمت عن الحلال فيجب عليك أيضًا أن تصوم جوارحك عن الحرام، يأتيك الشخص يسأل عن قطرة الماء دخلت جوفه أثناء الوضوء، ولكن تجده ينظر حرامًا ويسمع حرامًا ويأكل حرامًا ويشرب حرامًا؛ تقول عائشة رضي الله عنها: "من أراد أن يسبق الدائب المجتهد

فليقف عند محارم الله" ويقول عمر بن عبد العزيز: "ليست التقوى أن تقوم الليل وتصوم النهار ثم تخلط بين ذلك، ولكن تقوى الله أن تؤدي فرائض الله وتقف عند محارم الله" فهذا أبو بكر الصديق ما سبق الناس بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه، ولما قدم له الخادم طعامًا وكان جائعًا فأكل لقيمات ثم سأله: من أين أتيت بهذا الطعام؟ فذكر له بأنها من كهانة تكهنها في الجاهلية أدخل يده في فمه، وقال: "والله لأخرجنها حتى لو لم تخرج إلا مع روحي" ومن هنا فقد ذكر رسول الله ﷺ أن الصيام علاج لجميع الفتن والشهوات.

فالصوم له تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة والسؤال المهم والأهم: متى يورث الصيام تقوى الله؟ والإجابة: حينما تتوافر فيه ثلاثة أمور:

١- الإمساك عن شهوتي البطن والفرج.

٢- ترك المعاصي.

٣- النية أن يصوم بغرض الطاعة لله، فلا يصوم مسايرة للمجتمع، ولا خوف ملامة، ولا تخفيفًا للوزن «**من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له**» [رواه أحمد].

٤- الصيام مدرسة، يعلمك كيف تصون لسانك فلا تسب ولا تصخب ولا تجهل، فإن سابك أحد سامحه، ففي الحديث «**فإن سابه أحد فليقل إني صائم**» فهذه العبادة تعلمك كيف تصون لسانك، وكيف يعف الصائم عن أعراض المسلمين، وصدق رسول

الله ﷺ حينما قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**» [رواه مسلم].

ولنا وقفة قصيرة مع اللسان: إنه عضو خلقه الله وجعله دليلاً على وحدانيته ﴿**وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ**﴾، فهو عضو صغير خطير يقود صاحبه إلى الروح والريحان، أو يقوده إلى دركات النيران، وهذا اللسان لحمة صغيرة سبحان من أنطقها، خلقه الله وجعل لكل دابة صوتًا ولغة، وعرف سبحانه لغاتها وأصواتها وحوائجها، فهذا سليمان يمر على وادي النمل، وقد علمه الله منطق الطير فسمع صوت النملة ومناجاتها لربها، وقد قص الله علينا كلامها في سورة النمل.

ومع اختلاف الأصوات فلا يشغله صوت عن صوت، فقد وسع سمعه جميع الأصوات.

خلق الله اللسان ليعرب عما في الصدور، انظر إلى الأخرس وقد وقف وعجز أن يعبر عما في صدره والله أنطقك، وإذا عُرف هذا فإن للسان زلات وهنات، فمن أعظم زلات اللسان ثلاث:

١- **الكفر بالله**: نسأل الله العظيم أن يعيذنا من هذا البلاء، فقد كفر الإنسان حينما قال: لا إله والحياة مادة، لقد كفر حينما قال: إن لله ولدًا ﴿**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا**﴾ لقد كفر يوم نادي غير الله أو استغاث بغير الله.

٢- **ومن آفات اللسان يوم يستهزئ بالدين وأهل الدين،** سلم منك أهل الفساد والانحلال ولم يسلم منك الراكعون

الساجدون، ألم تعلم أن من عادى لله وليًا فقد أذنه الله بالحرب؟! فكن على حذر، ضاقت عليك الدنيا فلم تجد من تستهزئ به إلا عباد الله الصالحين، إن من استخف بالعلماء والصالحين فله نصيب من قوله ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾ قال العلماء: من استخف بالعلماء فقد استخف بالقرآن لأن العلماء حملة كتاب الله.

٣- **ومن آفات اللسان السب واللعن،** وهو من أسباب دخول النار ويحرم الشفاعة، وعلاج هذا اللسان «قل خيرًا أو اصمت» وذكر الآخرة، يقول ابن دقيق العيد: والله ما تكلمت كلمة منذ أربعين سنة إلا وأعددت لها جوابًا عند الله.

٥- الأمر الخامس: عندما يشتد بك الظمأ فلا تمر ساعة إلا وهي أشد من التي قبلها، فإذا كانت آخر ساعة من النهار يقف الصائم موقف المتأمل كيف مرت مع ما فيها من التعب؟ فإذا أذن فرح «**للصائم فرحتان عند فطره وعند لقاء ربه**»، وعندها يقول: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله» وهكذا يقف المسلم في آخر أعتاب الدنيا، عندما ينتهي العمر فيكون كحال الصائم، وقد ذهب العناء والتعب وبقي الأجر وفرح بلقاء الله، فما يوصي به العلماء: أن يتصور العبد كل يوم في رمضان أنه آخر يوم، فماذا تتمنى فيه، فاجتهد؛ يقول بعض العلماء: «أنام أول الليل رجاء أن أقوم آخره فأنام، فأحزن على ذلك مع أنني أعلم أن الله يكتب لي أجر القيام، ولكن حينما أقوم وأفعل القيام حقيقة فليس كمن يكتب له الأجر».

نسأل الله أن يجعلنا من السعداء الأتقياء الشهداء، ومن هنا متى يتبين للعبد الغبن في الطاعات عند الموت والحشر؛ فهذا فرعون قال في زمان المهلة والصحة: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾، فلا زالت تذهب به نفسه حتى ادعى الربوبية، ولكنه ماذا قال عند الموت قال: ﴿**آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ**﴾، وكم من عبد طلب المهلة لحظات عند الموت يقول: ﴿**رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ فكانت الإجابة ﴿**وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا**﴾، أما عند الحشر، فنحن نعرف أطواره ونحن الآن نسمع ونعلم ماذا يكون فيه، وغدًا – والله – نخرج من القبور ونشاهد البعث والنشور، وتصور لو خرجت من قبرك وأعمالك نصفها رياء كيف تكون حسرتك؟! فاجعل نصب عينك أمرين: الموت، وكيف المصير بعد الموت؛ فهذه تجعلك تسأم من الحياة وتستعد للموت، فوالله لو نظرت نظرة في الجنة ما تركت العمل لها ليلاً أو نهارًا، ولو نظرت نظرة إلى النار ما جفت لك دمعة، ولا تلذذت بطعام أو شراب، وقد تعلمت في رمضان، كيف تكون نهاية الطاعة فرحة عند الفطر، وفرحة عند لقاء الرب؛ وكذلك نهاية العمر.

٦- **احرص على قيام رمضان ما أمكن:** خاصة العشر الأواخر، فقد جعل الله من أسباب المغفرة قيام رمضان، واعلم أن أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل، وإياك والغلو فإن العبد قد تحصل له همة عالية فيصلي صلاة طويلة حتى إنه ربما ذهب إلى الحرم فيحتقر صلاتهم إلى صلاته، ولكن نصيحتي للجميع التدرج في

العبادة، وعدم الإكثار، فقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أنه ينبغي للمسلم أن يكون وسطًا بين الإهمال والكسل والجد في طاعة الله، فلا يجتهد إلى درجة يُعرض فيها عن راحة بدنه فلا يرحم نفسه، ولا يكسل ويهمل القيام فيشارك أهل الغفلة؛ فجاءت الشريعة بالوسط بين الغالي والجافي خوفًا من السآمة والملل، ولما فيها من ظلم النفس، وإذا أجهد نفسه فوق طاقتها يخشى عليه عدم المحافظة على ذلك الورد الطويل، ومن هنا لما صلى رسول الله ﷺ بأصحابه ليلة إلى نصف الليل ثم انصرف، فقالوا لو نفلتنا بقية ليلتنا فقال: «**من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**» والسبب خوف السآمة والملل، ولأن ينصرف العبد من صلاته وهو نشط وله رغبة خير من أن ينصرف وقد سئم، من هنا حرص أهل الشر على أن يختموا المسلسلات عند أحسن مشهد حتى تتعلق النفوس به ويكون عندها شوق إليه في الليلة الأخرى، ومن هنا اجعل لك برنامجًا في نوافلك مشتقًا من يسر الدين حتى تستمر، فقد نظم الشرع حياة الناس وراعى ترتيب الحقوق، فلو قمت الليل كله فسوف تنام النهار كله وقد تضيع الفرائض وحقوق الناس.

وقيام الليل من أعظم الطاعات التي يراد بها وجه الله، ولكن قد يدخلها الرياء، وكل عبد يتهم نفسه ولا يزكيها مهما بلغ من الصلاح، فلا يغتر بما هو فيه من الخير، دائمًا يحتقر نفسه ويعتقد التقصير، فإنه إذا صار عندك هذا الشعور قل أن تنتكس وقل أن تقل منك طاعة؛ ولذلك ذكر العلماء أن النبي ﷺ لما امتنع في الليلة الثالثة قال: «**صلوا في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا**

المكتوبة»، فرد الناس للبيوت وجعل أعظم شيء في الطاعة، والخير جعله في الخفاء، يقول ابن سيرين: أدركت أقوامًا يدخل عليهم الضيف، فيخرج من عند الضيف فيتأخر عليه الشيء القليل، وهو يظن أنه عند أهله وهو قائم يصلي، ومن هنا ذكر العلماء فوائد قيام الليل، ومن أشهرها أمران:

١- أنها خفية: فقد كان الرجل يسافر مع الرفقة فيسبقهم إلى فراشه حتى إذا ناموا قام فصلى.

٢- أنها ساعة الراحة واللذة: فيؤثر ما عند الله على هوى نفسه وراحتها، ففي الحديث: «**رحم الله امرأً قام من الليل فأيقظ أهله فإن أبت نضح في وجهها الماء**» والعكس كذلك، أي أن الله سيرحمه.

وينبغي للإمام أن يرفق بالأمة ويتحرى السنة، فيحرص على تطبيقها في الصلاة والقراءة، وإذا أحس بأن الناس لا يرغبون بالإطالة فلا يطيل بحيث ينفرهم.

بقي أمر واحد يجب التنبيه عليه وهو عدم إطالة الدعاء والتقيد بالوارد، وعدم إحداث ألفاظ زائدة أو عبارات، بل يحرص على الأدعية المأثورة حتى يصيب السنة، ويتعلمها الناس منه، وعليه بالأدعية الجامعة.

٧- أوصيكم بالتقوى والصلاة: فما خرج عبد من الدنيا بشيء أكرم ولا أحب إلى الله من زاد التقوى، وأفضل شيء بعد تقوى الله الصلاة، ففي الحديث: «**استقيموا ولن تحصوا واعلموا**

أن خير أعمالكم الصلاة» فحافظوا في رمضان وغيره على الفرائض فما تقرب عبد إلى الله بشيء أحب إليه مما افترضه الله عليه «وإياكم والسهر في رمضان وهو ثلاثة أقسام:

١- سَهِرَ في طاعة الله، وضَيَّع فرائض الله: فهذا سهره حرام، سواء كان سهر طاعة أو معصية، بل المعصية أشد، فمن سَهِرَ في رمضان، وضَيَّع صلاة الفجر، فقيامه حرام، يقول بعضهم: أسهر حتى أصلي الفجر، ثم يفرط في صلاة الظهر والعصر، وهذا لو سهر، وصلى الفجر، فقد أضاع ليله ونهاره.

٢- أن يكون سهرًا مباحًا ولا يترتب عليه تضييع واجب: فهذا سهر مكروه لحديث: «كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعده».

٣- أن يكون سهرًا في طاعة الله ولا يخل بواجب من الواجبات: فهذا سهر مستحب وهو منهج السلف ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾، فكانوا ينامون أول الليل ويقومون وسطه ويستغفرون بالأسحار.

ومن هنا ماذا أستفيد عندما أسهر بالليل؟ وقد يقول قائل: كان رسول الله ﷺ يُحيي ليله كله في العشر الأواخر، والإجابة: نعم لكن بطاعة الله، أما أن أحيي ليلي بالقليل والقال، فهذا نومه خير له من سهره؛ ثم قد يسهر البعض في قيام الليل ويضيع الظهر والعصر، وقد يضيع صلاة الجماعة، وبعضهم إن صلى فكأنه فاقد الوعي، وبمجرد ما يسلم الإمام يسقط، حتى إن البعض سجد في الحرم، وإذا

به يشخر في السجود من النوم، وبعضهم يصلي الفجر في رمضان بتثاقل.

وخلاصة الأمر أنه يجب على العبد أن يهتم بالفرائض في رمضان، نعم السهر في طاعة الله، لكن يجب ألا يؤثر ذلك على الواجبات، كبر الوالدين، أو العمل، حتى أنك لترى بعضهم عندما يذهب إلى المسجد أو عمله كأنما تجرهم جرًا وإذا دخلوا وجلسوا يتثاءبون، وهذا دليل على مرض القلوب بسبب السهر.

٨- الاعتكاف دورة إيمانية: من صيام وقيام وتلاوة للقرآن ودعاء وصدقة ولزوم للمسجد وتعويد النفس على طاعة الله وحبسها على مرضاته، حتى يخرج العبد منها بأعظم زاد وهو زاد التقوى، فهي خلوة شرعية في مدة معينة، لا يترتب عليها ضياع الحقوق سواء حق الله أو حق النفس، أو حق الأهل، فإذا جمعت الفضائل المكانية والزمانية وفضيلة الحال والصفة كانت نورًا على نور.

فأما فضيلة المكان فعلى أقصى درجات الكمال إذا كان في المسجد الحرام، ثم أوسط الكمال مسجد النبي ﷺ ثم أدنى الكمال المسجد الأقصى لورود السنة بذلك، ثم يقدم بعد ذلك المسجد الجامع ﴿**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ**﴾، ثم يقدم المسجد الأكثر جماعة لحديث «**صلاة الرجل مع الرجل أفضل من صلاته وحده، وكلما كان أكثر كان أزكى**» [رواه البخاري]، ثم يختار المسجد الذي يخشع فيه لأن النبي ﷺ ضربت له قبة داخل المسجد من أجل الانقطاع إلى الله واعتزال

الخلق والخلوة مع الله، أما باقي الأمور فتختص بالشخص من حيث قرب الخدمات والخلاء.

وأما فضيلة الحال فلا أكمل من حال الصوم، والصوم يقرب إلى أعلى درجات الكمال، وإذا تبين هذا فإن الاعتكاف ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿**وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**﴾ فوصف الله المساجد بأنها معتكف المؤمن، أما حديث «**لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة**»، فهو محمول على الاعتكاف الكامل، فالنفي نفي كمال لا نفي صحة، أما السنة فد بينها رسول الله ﷺ بالقول والعمل، أما القول «لما اعتكف رسول الله في العشر الوسطى قل له جبريل: الذي تطلبه أمامك» فقال رسول الله: «**من اعتكف فليعتكف معنا**»، كذلك السنة الفعلية فقد ضربت قبة من ادم في مسجده، فاعتكف واعتكف معه أصحابه.

حكم الاعتكاف: مستحب

شروط الاعتكاف خمسة: ١- الإسلام. ٢- العقل. ٣- النية. ٤- الطهارة من الحدث الأكبر. ٥- لزوم المسجد الجامع.

وقيد الاعتكاف بهذه الأمور لأن العبادة لا تنفع إلا بتوحيد وإخلاص، كذلك قصد الاعتكاف والانقطاع عن الخلق؛ ولهذا فسر الاعتكاف بأنه لزوم المسجد لطاعة الله، أما شرط الطهارة من الحديث الأكبر؛ فلأن الجنب والحائض ممنوع من دخول المسجد، أما المسجد فلا يصح الاعتكاف في أي موضع إلا المسجد.

والاعتكاف لا يختص برمضان لأن النصوص عامة

﴿**عَاكِفُونَ**﴾ أصل عام لكن يتأكد الاستحباب في رمضان، أما سائر السنة فجائز لحديث لما فاته ﷺ الاعتكاف في رمضان قضاه في شوال، ولما سأل عمر رسول الله عن اعتكاف ليلة لم يأمره بتحري العشر، أما الواجب فهو بالنذر ساعة أو يومًا أو ليلة كما في حديث عمر.

والاعتكاف يشتمل على ثلاثة أمور:

١- **أعمال قلبية:** سواء فيما بينك وبين الله، كالتوحيد والإخلاص، أو فيما بينك وبين الناس كطهارة القلب من الحسد والكبر والبغضاء وسوء الظن.

٢- **أعمال ظاهرة:** سواء فيما بينك وبين الله من صلاة وصيام، أو فيما بينك وبين الناس من كف شرك عنهم.

٣- **حفظ اللسان:** سواء فيما بينك وبين الله من الذكر وقراءة القرآن والاستغفار، أو فيما بينك وبين الناس من اجتناب الغيبة والنميمة وغيرها.

وخلاصة الأمر في الاعتكاف: أنه خلوة شرعية، المراد بها الانقطاع إلى الله، ومن هنا قال عيسى عليه السلام: «العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت» لأنه يجمع القلب والعاشر في اعتزال الخلق»، فإن قساوة القلب قد تحصل بسبب كثرة اللغو، ففي الحديث «**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسِّي القلب، وإن أبعد القلوب من الله القلب القاسي**»؛ فلا ينشغل المعتكف بغير ما التزم به، فقد كانت عائشة

تمر بالمريض فتسأل عنه ولا تعرج عليه، ولا يجلس عند المريض، ولا يخرج بغير عذر، إلا لضرورة، وأما الطعام فإذا كان هناك مكان قريب وآخر بعيد لم يذهب للبعيد، ولا يكثر الكلام ولا يخرج إلا بقدر الحاجة، وينبغي عليه أن يهيء نفسه ويرتب ما يعينه على أداء الاعتكاف، ولو خرج لغير عذر انقطع الاعتكاف ووجب عليه أن يجدد نيته في الانقطاع إلى الله، ويرجع مرة أخرى إلى معتكفه.

يقول العلماء: ولما كان فضول الطعام والشراب والمخالطة وفضول الكلام والمنام مما يزيد القلب شعثًا اقتضت حكمة الله شرعية الاعتكاف والصيام، حتى يذهب فضلات الطعام والشراب ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات، وشرع بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة» [زاد المعاد]

متى يبدأ الاعتكاف؟ والجواب يدخل المعتكف قبل غروب شمس يوم عشرين من رمضان، أما ما ورد من دخوله في القبة بعد الفجر من حديث عائشة فهذا داخل المسجد، والصحيح ما ذكر لأنه قال في الحديث: «**رأيت أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ**».

الخاتمـــــة

فإذا انقضت ليالي وأيام رمضان فمن الناس من هو رابح، ومنهم من هو خاسر وليلة العيد تسمى في السماء ليلة الجائزة، فإذا كان يوم العيد نادت الملائكة بصوت يسمعه كل شيء إلا الثقلين: «يا أيها الناس اخرجوا إلى رب كريم يُعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم» فإذا برزوا إلى مصلاهم سأل الله الملائكة سؤال تشريف وتكريم للعامل: «**ما جزاء الأجير إذا انتهى من عمله؟**» قالوا: توفيه أجره، فقال: «**أشهدكم يا ملائكتي أني جعلت جزائي من صيامهم وقيامهم مغفرتي ورضواني**».

وعليه فأحوال الناس بعد نهاية شهر رمضان ثلاثة أحوال:

١- فمنهم من صام وقام وأرى الله منه خيرًا، فكانت جائزته أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه، فخرج يوم العيد كيوم ولدته أمه، وخرج بصفحة بيضاء وقلب أبيض، ولبس الجديد من الثياب، وألبس الله وجهه نورًا، ولا شك أن أفضل أيام الحياة يوم يغفر الله لك «يا كعب! أبشر بخير يوم منذ ولدتك أمك تاب الله عليك».

٢- ومنهم من خرج يوم العيد وقد أعتقه الله من النار: فتاب توبة نصوحًا، وكان قبل دخول شهر رمضان قد استوجب النار، لكن نال العتق في هذا الشهر المبارك، نسأل الله أن يجعلنا من عتقائه من النار.

٣- ومنهم من خرج من شهر رمضان مفلسًا: ففي الحديث

الصحيح: «**رغم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يغفر له**» وقد يكون عنده أعمال جليلة من صيام وقيام، ولكنه مصر على المعاصي من ترك الصلاة أو ملازمة الحرام، فكان ممن قال فيهم النبي ﷺ: «**رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا التعب والسهر**»؛ فتراه ينظر إلى الحرام، ويسمع الحرام، ويمشي في الحرام.

يقول العلماء: «إذا سخط الله على عبد استعمله في أحسن الأوقات بأخس الأعمال، زيادة في عقوبته والعكس» وكم رأينا في الحرم من نساء كاسيات عاريات متعطرات فاتنات مفتونات، خرجن إلى حرم الله في أحسن زينة وهن متبرجات ولا أدري هل هن سمعن بحديث: «يخرجن تفلات» أم لا؟ يا معشر النساء يعني غير متزينات، ألم تسمع المرأة بحديث «**أقرب ما تكون المرأة من رحمة ربها وهي في بيتها**» رواه الترمذي وحديث أم حميد الصحيح لما ذكر أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها خلف النبي ﷺ (رواه الإمام أحمد والبخاري).

فلا يظن ظان أنه إذا كان زاهدًا عابدًا تاركًا لأهله يسرحون ويمرحون كيفما يشاؤون، ويسهرون على المحرمات، أنه ناج من عذاب الله!

أسأل الله العظيم أن يبلغنا شهر رمضان بعفوه ومعافاته، وأن يكتب لنا فيه أوفر الحظ والنصيب من الخير، اللهم اجعلنا من الصوامين القوامين المرحومين المقبولين المخلصين، اللهم ما قسمت

في هذا الشهر من الرحمة والبركة والعفو لعبادك فاكتب لنا فيه أوفر الحظ والنصيب من الخير، واجعلنا ممن صام رمضان واستكمل الأجر وحاز على عظيم الأجر، وأدرك ليلة القدر، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت (ثلاثًا)، نسألك ألا تحول بيننا وبين رحمتك بما كان من ذنوبنا وإساءتنا وتقصيرنا، اللهم ارحم ضعفنا واجبر كسرنا واستر عوراتنا وآمن روعاتنا وأعظم لنا الأجر والمثوبة فإنك أنت الكريم الذي لا ينتهي كرمه، ولا ينقطع فضله وإحسانه، يا رب إنا نحسن الظن في فضلك ومنك وكرمك، اللهم افتح علينا من واسع فضلك ورحمتك ومنِّك فإنه لا يملكها إلا أنت اللهم إنا نسألك بكل اسم هو لك أن ترزقنا في هذا الشهر الكريم سداد القول وصلاح العمل والقلب.

تمت هذه الرسالة ولله الحمد والمنة، أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على خير من صلى وصام وقام، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه/

عبد الرحمن اليحي

أبها – الواديـــين. ص.ب: ٢٠٠٦٤

إشراقات التميز في رمضان

تأليف

خالد أبو صالح

مصدر هذه المادة :

دار الوطن للنشر

رمضان والتميز

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن مظاهر التميز في شهر رمضان كثيرة، وآفاق الرقي فيه متعددة، وخصائص التجديد والحيوية فيه ظاهرة، بحيث يمكن أن يقال: إن رمضان هو شهر التميز في حياة المسلمين.

فمن مظاهر التميز في شهر رمضان:

أولاً: التميز النفسي والروحي:

إن شهر رمضان يعين المسلم على الصدق مع نفسه، في معرفة أسباب صلاحها وفسادها، والانتقال بها إلى حال السمو والكمال، فهو يوفر الأجواء للاختلاء بالنفس ومحاسبتها ومناقشتها ومشارطتها، بغية الوصول إلى آفاتها، ومحاولة علاج هذه الآفات، حتى تزكو النفس وتشرق، فيسهل على المرء بعد ذلك قيادها، والتوجه بها إلى آفاق السمو والمعالي والخيرات.

ففي رمضان تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب الجحيم، وتسلسل الشياطين، وهذا يعني إضعاف بواعث الشر في النفس الإنسانية، فإن الشياطين تعمل على إشعال تلك البواعث في النفس، وإذكاء نارها، حتى تصبح النفس البشرية أسيرة الشهوات والغفلات

والتهتك الحيواني.

ويوم تسلسل الشياطين في شهر رمضان يتخلص الإنسان من شرور كبيرة، فيبدأ باعث الخير في نفسه يزداد، ويقوى سلطان النفس المطمئنة على الأمارة بالسوء، بسبب إضعاف الباعث الشيطاني، وتقوية الباعث الرحماني الذي هو من بركات وفضائل هذا الشهر الفضيل.

وقد بين ابن القيم – رحمه الله – أن المقصود من الصيام هو: (حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية)(١).

فالصيام يضبط النفس الإنسانية عن الاسترسال في أسباب الغواية، وذلك بتضييق مجاري الطعام والشراب، التي هي في الحقيقة مجاري الشيطان، فإذا ما ضُيقت هذه المجاري والمسالك ضعف الشيطان جدًا، وأصبح غير قادر على الحركة والوسوسة، فإذا ما أضيف إلى ذلك اغتنام الأوقات في الطاعة والعبادة من صلاة وذكر وقراءة قرآن واستغفار اندحر الشيطان، وأشرقت أنوار النفس حتى أن الشيطان يفر من هذه النفس النورانية، ويبكي منها حسرة وندمًا.

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله! أمر ابن آدم بالسجود،**

(١) زاد المعاد: (٢/٢٨).

فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار» (رواه مسلم).

ثانيًا: التميز العبادي:

إن تميز هذا الشهر بتنويع العبادات، جعل منه دوحًا غناء بما لا يمل منه المسلم من أزهار العبادات، وثمار الطاعات، ورياحين القربات.

فهو شهر القرآن كما قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥]، وكان جبريل يدارس النبي ﷺ القرآن في شهر رمضان، ولذلك فإنه يستحب في هذا الشهر تلاوة القرآن وحفظه وتدبره ودراسته والاستماع إليه.

- وهو شهر الصيام: ﴿**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

- وهو شهر القيام: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» (متفق عليه).

- وهو شهر الجود والصدقات: (فقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة) (متفق عليه).

- وهو شهر العمرة والتوجه إلى الديار المقدسة: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**» (متفق عليه)، وفي رواية: «**حجة معي**».

- وهو شهر الذكر والدعاء: «**إن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة**» (رواه البزار، وصححه الألباني).

فأي ملل يمكن أن يصيب المسلم، وهو يتنقل من زهرة إلى أخرى من تلك الزهرات التي طاب رحيقها، وفاح عبيرها، وانتشر أريجها، حتى ملأ الآفاق.

و لم يقتصر التميز العبادي في رمضان على التنوع، بل ظهر هذا التميز أيضًا في جانب اليسر ورفع الحرج، فالصيام يكون من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهي فترة ليست بالطويلة جدًا، بحيث لا يستطيع المرء تحملها، ولا القصيرة بحيث لا تعطي الفائدة المرجوة من الصيام.

وكذلك القيام ترك الشارع تحديد القدر الذي يقرأ من القرآن في كل ركعة؛ ليبقى الباب مفتوحًا أمام الناس ليتسابقوا فيه من الخيرات، كل حسب اجتهاده وهمته، ولذلك فإننا نجد من ينهي صلاة القيام في ساعة، ومنهم من ينهيها في ساعتين، ومنهم في ثلاث أو أكثر حسب الاستطاعة، وهذا جانب آخر من جوانب التميز العبادي في رمضان.

ثالثًا: التميز الخلقي:

إن صيام رمضان له تأثير إيجابي على سلوك الصائم وأخلاقه، فهو يهذب الأخلاق، ويزكي الأنفس، ويرقق المشاعر، ويدعو إلى الحلم، والصفح والعفو والصبر على الأذى، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا التميز الخلقي الذي يضفيه الصيام على سلوك الصائم، فقال

ﷺ: «**فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يفسق، ولا يرفث، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم**» (متفق عليه).

وبين النبي ﷺ أن هذا ليس من نافلة القول، بل هو حتم لازم لكل من أراد أن ينتفع من صيامه، فمن تهاون في هذا الجانب الخلقي فقد عرض صيامه للخطر وعدم القبول، قال ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» (رواه البخاري).

إن أناسًا يهتكون حرمة الصيام – فتسفُل أخلاقهم، وتسوء طباعهم، فيسيئون معاملة الخلق، ويقسون على الصغير والكبير، ويعتدون على الحرمات، ثم بعد ذلك يتذرعون بالصيام في تبرير أفعالهم – لأناس قد جهلوا حقيقة الصيام وحكمه وثمراته، ولم يعرفوا من معناه شيئًا سوى الامتناع عن الطعام والشراب فترة من الزمن.

والصيام – كما قال العلماء – مراتب شتى أهونها: ترك الطعام والشراب. فهناك صيام القلب عما سوى الله تعالى، وصيام اللسان عن منكراته من الكذب والغيبة والنميمة والسخرية والاستهزاء وغير ذلك، وصيام الجوارح عن الوقوع في المحرمات، فيصوم العبد في الدنيا عما سوى الله، فيحفظ الرأس، وما حوى، ويحفظ البطن، وما وعى، ويذكر الموت والبلى، ويريد الآخرة، فيترك زينة الدنيا كما قيل:

أهل الخصوص من الصوام صـــومهم
صون اللسان عــن البــهتان والكــذب
والعارفون وأهـــل الأنـــس صـــومهم
صون القلوب عــن الأغيـــار والحجــب

فمن صام عن شهواته في الدنيا، أدركها غدًا في الجنة، ومن صام عما سوى الله، عيده يوم لقائه؛ فهذا هو التميز الخلقي الذي نريده للصائمين في رمضان.

رابعًا: التميز الاجتماعي:

كثيرة هي جوانب التميز الاجتماعي في شهر رمضان، حتى أن بعض السلف سئل: لم شرع الصيام؟ فقال: ليذوق الغني طعم الجوع، فلا ينسى الجائع. ومن هنا كان كثير من السلف يواسون من إفطارهم، أو يؤثرون به ويطوون. فكان ابن عمر رضي الله عنهما يصوم، ولا يفطر إلا مع المساكين، وكان إذا جاءه سائل، وهو على طعامه، أخذ نصيبه من الطعام، وقام فأعطاه السائل، فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة، فيصبح صائمًا، ولم يأكل شيئًا [١].

والقصص في ذلك كثيرة، والمقصود أن الصيام يذكر المسلم بالأكباد الجائعة، ويعرفه قدر نعمة الله عليه بإقداره على ما منعه كثيرًا من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح، فيوجب له

(١) لطائف المعارف: (ص٢٢٣).

ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى، ويخلصه من الأثرة والانكفاء على حب الذات، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك.

إضافة إلى هذه المعاني التي قد يدركها البعض ممن أنار الله بصائرهم، ولم يدركها آخرون، فقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في هذا الجانب الاجتماعي، فقد كان عليه الصلاة والسلام يكثر في هذا الشهر من الجود والعطاء، حتى شبهوا جوده ﷺ في رمضان بالريح المرسلة التي تهب، فتغير الناس من حال إلى حال، وحث ﷺ على إطعام الطعام في هذا الشهر، فقال عليه الصلاة والسلام: «**من فطر صائمًا، فله مثل أجره**» (الترمذي، وصححه الألباني)، وهذا حتى يتفقد المسلمون إخوانهم، فيطعمون جائعهم، ويغنون فقيرهم في هذا الشهر.

خامسًا: التميز التربوي:

إن صيام رمضان لا يجب على الطفل حتى يبلغ، ومع ذلك فقد استغل أصحاب النبي ﷺ مواسم الصيام في تربية أبنائهم على معاني الصبر والقدرة على التحمل منذ نعومة أظفارهم.

فقد أخبرت الربيع بنت معوذ رضي الله عنها أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصومون صبيانهم الصغار، وكانوا يجعلون لهم اللعبة من الصوف، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطوهم تلك اللعب لتلهيهم حتى يتموا صومهم.

ولا شك أنهم كانوا يفعلون ذلك في رمضان، فهو أولى

بالتمرين والتعويد من عاشوراء.

سادسًا: التميز الاقتصادي:

إن جانب التميز الاقتصادي في شهر رمضان جانب واضح، فإن رمضان هو شهر الصوم، وأبرز مظاهر الصوم: الامتناع عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وإذا كان الإنسان يتناول في الأيام العادية ثلاث وجبات، فإنه — في رمضان — يتناول وجبتين فقط.

ولا شك أن توفير وجبة من الوجبات خلال شهر كامل، أن يوفر على الأمة الملايين من الأموال التي تنفق ثمنًا لهذه الوجبة.

وكذلك فإن انشغال المسلمين بالعبادة في هذا الشهر كان ينبغي أن يكون له تأثير اقتصادي إيجابي. هذا من حيث الأصل والمطلوب، أما من حيث الواقع، فإن الحقيقة ضد ذلك، حيث زاد الإنفاق في رمضان عن الإنفاق في غيره من الشهور بنسبة كبيرة، والمثير للدهشة أن جل هذا الإنفاق الزائد إنما هو في المواد الغذائية من طعام وشراب، وكأن شهر رمضان قد تحول إلى شهر للأكل والشرب والتفنن في إعداد الموائد وملء البطون، حتى أن بعض الإحصائيات أثبتت أن أوزان الناس تزيد بشكل ملحوظ في شهر رمضان.

سابعًا: التميز الصحي:

لا شك أن الصوم الإسلامي يفيد جسم الإنسان فائدة عظيمة، وقد أجمع على ذلك الأطباء والمختصون في شؤون الصحة، فالصوم

نوع من الحمية التي أثبتت فعاليتها في علاج كثير من الأمراض.

ومن ذلك: أن الصوم ينفي الفضلات المتعفنة من المعدة والأمعاء، ويخفف من مرض التهاب القولون المزمن، ويفيد في حالات الإصابة بقصور الكبد، ويريح الجهاز الهضمي، ويهدئ الجهاز العصبي، ويفيد في علاج أمراض القلب والمعدة وارتفاع ضغط الدم، وهو علاج لأمراض السمنة والبدانة، ويعمل كذلك على تجديد خلايا الجسم التالفة، ويصفي البدن من رواسب السموم التي تشتمل عليها الأغذية والأدوية وغير ذلك من الفوائد(١).

ثامنًا: التميز الفقهي:

إن للصيام أحكامه الفقهية الخاصة التي تدل على يسر الشريعة وتميزها وحيويتها في التعامل مع الوقائع الحادثة والأمور الطارئة.

فالصيام لا يجب على الطفل دون البلوغ؛ لأنه لا تكليف إلا بالبلوغ، والعاجز عجزًا مستمرًا بسبب مرض أو كبر سن لا يصوم، وإنما عليه الإطعام، والمسافر والمريض والحائض والنفساء والمرضع والحامل، كل هؤلاء رفع الإسلام عنهم الحرج، وأباح لهم الفطر، أو أوجبه على بعضهم رحمة من الله بعباده وتيسيرًا عليه.

ومن الأمور الحادثة التي تعامل معها علماء الإسلام، وأثبتوا من خلالها مرونة الفقه الإسلامي:

١- جواز استخدام بخاخ الربو نهار رمضان إذا احتاج إليه.

---

(١) رمضان شهر الصحة، محمد إبراهيم الحمد، موقع الإسلام اليوم.

٢- جواز الحقنة العلاجية بأنواعها باستثناء الحقنة المغذية.

٣- جواز أخذ الأقراص العلاجية التي توضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية، وغيرها إذا لم يبتلع منها شيئًا.

٤- إدخال قسطرة «أنبوب دقيق» في الشرايين لتصوير أو علاج أوعية القلب أو غيره من الأعضاء[1]. وغير ذلك من القضايا والمسائل الحادثة، مما يدل على يسر الإسلام وسماحته وتميز هذه الشريعة بالمرونة والواقعية، فهي بحق شريعة كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤].

تاسعًا: التميز السياسي:

إن أبرز مظاهر التميز السياسي هو تلك الوحدة الإسلامية التي يعيشها مليار وثلاثمائة مليون مسلم حينما يصومون شهرًا قمريًا واحدًا، فيصومون معًا، ويفطرون معًا، رغم اختلاف اللغات والألوان والعادات والأعراف، إلا أن تلك المظاهر كلها تنصهر في تلك الشريعة التي وحدت بين هؤلاء جميعًا.

إنه مهما تفرق المسلمون واختلفوا، فإن رمضان كفيل بجمعهم على مائدته، فهذه أمة واحدة رغم محاولات التشويه وبذور التفرقة

---

(١) ٧٠ مسألة في الصيام، محمد صالح المنجد: (ص٢٤,٢٥).

التي يزرعها ويرويها أعداؤها، ولكن أين الذين يرون في رمضان هذا المظهر المهم من مظاهر عظمة هذه الأمة وقوتها؟!

عاشرًا: التميز الدعوي:

يستطيع المسلمون أن يجعلوا من هذا الشهر وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة إلى الله عز وجل، وذلك إذا عرفوا حقيقة الصيام، وطبقوا مقاصده في حياتهم، فعند ذلك، سيقدمون للعالم صورة مشرقة عن الإسلام والمسلمين، تلك الصورة التي شوهها بعض أبناء المسلمين بأفعالهم الشنيعة وتصرفاتهم الخاطئة.

إننا الأمة الوحيدة التي تصوم شهرًا كاملاً في السنة، فتستعلي بذلك على ثقافة الاستهلاك، وتقهر شهوات النفس التي تتطلع إلى كل جديد من ألوان المطاعم والمشارب،، فلو التزمنا بهذا الاستعلاء لقدمنا بذلك الأنموذج العملي للمسلم المعاصر القادر على ضبط النفس وقيادتها.

إننا الأمة الوحيدة التي نعبد الله عز وجل ليلاً ونهارًا في هذا الشهر العظيم، ويمكن أن يسهم الإعلام الإسلامي في نشر هذه الصورة الإيمانية عبر المحطات الفضائية إلى آفاق الدنيا.

وهذا ما يفعله تلفزيون المملكة العربية السعودية، حيث ينقل على الهواء مباشرة صلاة العشاء والتراويح والتهجد كاملة، مع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، فتمكن العالم بذلك من متابعة هذه اللوحة الإيمانية الفريدة التي تتأثر بها النفوس، وتهفو لها القلوب، وتتحرك لها المشاعر.

السلف وتعظيم شأن رمضان

كتبها

خالد أبو صالح

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمن صفات سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى: تعظيم ما عظمه الله ورسوله ﷺ من الأمكنة والأزمنة والأيام والشهور والعبادات والأخلاق والمعاملات وغير ذلك، وما هذا إلا لتعظيم الله عز وجل في قلوبهم، فلذلك عاشوا لله وبالله وفي الله، فأحبوا ما أحبه الله، وكرهوا ما أبغضه، وعظموا ما عظمه، فاستحقوا بذلك أن يكونوا جيلاً فريدًا أدرك كل فضيلة، وسبق في كل ميدان.

ومما عظمه السلف الصالح رضوان الله عليهم من أمر الدين: شهر رمضان المبارك، لما ورد فيه من الفضائل الكثيرة والكنوز العظيمة التي اجتهد السلف غاية الاجتهاد في تحصيلها والفوز بها، لينالوا بذلك كرامة الدنيا والآخرة، وليكون هذا الشهر الفضيل شاهدًا لهم يوم القيامة.

رمضان رسول من الله

قيل: (مثل هذا الشهر كمثل رسول أرسله سلطان إلى قومه، فإن أكرموا شأنه، وعظموا مكانه، وشرفوا منزلته، وعرفوا فضيلته، رجع الرسول إلى السلطان شاكرًا لأفعالهم، مادحًا لأحوالهم، راضيًا لأعمالهم؛ فيحبهم السلطان على ذلك، فيحسن إليهم كل الإحسان. وإن استخفوا برعايته، وهونوا لعنايته، و لم ينزلوه منزلته

من الإكرام، وفعلوا به فعل اللئام، رجع الرسول إلى السلطان، وقد غضب عليهم من قبيح أفعالهم، وسيئ أعمالهم؛ فيغضب السلطان لغضبه.

كذلك يغضب الله سبحانه وتعالى على من استخف بحرمة شهر رمضان، فيا أيها الإنسان، هذا شهر رمضان، شهر التوبة والغفران، وهو رسول من عند الملك الديان، فمن أكرمه منكم حقيقة الإكرام، وحفظ فيه لسانه من قبيح الكلام، وبطنه من أكل الربى والحرام، وأموال الأرامل والأيتام، غفر له الملك العلام، وأكرمه غاية الإكرام، وأدخله الجنة مع أهل الطاعة والإحسان).

[بستان الواعظين، لابن الجوزي]

السلف وتعظيم رمضان

عمر يحث على الإخلاص

عن عبد الله بن عكيم، قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول إذا دخل شهر رمضان: (ألا إن هذا كتب الله عليكم صيامه، و لم يكتب عليكم قيامه، فمن قام منكم فإنها من نوافل الخير التي قال الله عز وجل، ومن لا، فلينم على فراشه، وليتق أحدكم أن يقول: أصوم إن صام فلان، وأقوم إن قام فلان، من صام أو قام، فليجعل ذلك لله)، ثم رفع يده فقال: (ألا لا يتقدم الشهر منكم أحد، ألا لا تصوموا حتى تروه، ثم صوموا حتى تروه، فإن أغمى عليكم فأتموا العدة ثلاثين، وأقلوا اللغو في مساجد الله، وليعلم

أحدكم أنه في صلاة ما انتظر الصلاة، ألا ولا تفطروا حتى تروا الليل يغسق على الظراب)[١].

[ابن أبي الدنيا في كتاب فضائل رمضان]

عمر ينور المساجد بالقناديل

عن أبي إسحاق الهمداني، قال: (خرج علي بن أبي طالب عليه السلام في أول ليلة من شهر رمضان والقناديل تزهر، وكتاب الله يتلى في المساجد، فقال: (نَوَّر الله لك يا عمر بن الخطاب في قبرك، كما نورت مساجد الله بالقرآن).

[ابن أبي الدنيا في كتاب فضائل رمضان]

رمضان سيد الشهور

عن ابن مسعود، قال: (سيد الشهور شهر رمضان، وسيد الأيام يوم الجمعة).

[ابن أبي الدنيا في كتاب فضائل رمضان]

رمضان مضمار السباق

عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون، فقال: (إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه يستبقون فيه لطاعته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل

(١) الظراب: جمع ظَرِب وهو الجبل الصغير.

العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون، وخاب فيه المبطلون، أما والله، لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته).

[الإحياء للغزالي].

لا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء

عن هلال بن خباب، قال: سمعت ابن الحنفية يقول: (ليصم سمعك وبصرك، ولسانك، وبدنك، فلا تجعل يوم فطرك مثل يوم صومك، واتق أذى الخادم).

[ابن أبي الدنيا في كتاب فضائل رمضان]

اهتمام السلف ببلوغ رمضان

قال معلى بن الفضل: (كانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ويدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم).

[لطائف المعارف لابن رجب]

اهتمام السلف بالإحسان في رمضان

وقال يحيى بن أبي كثير: (كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً).

[لطائف المعارف، لابن رجب]

من وصايا السلف في رمضان

عن أبي بكر بن أبي مريم، قال: (سمعت مشيختنا، يقولون: إذا حضر شهر رمضان، قد حضر مطهر، ويقولون: انبسطوا بالنفقة فيه، فإنها تضاعف كالنفقة في سبيل الله عز وجل، ويقولون: التسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره).

[ابن أبي الدنيا في كتاب فضائل رمضان، ولطائف المعارف لابن رجب]

مضاعفة الطاعة في رمضان

عن الزهري، قال: (تسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره).

[ابن أبي الدنيا في كتاب فضائل رمضان، ولطائف المعارف لابن رجب]

السلف وحسن الرجاء

عن عطاء بن السائب قال: (دخلنا على أبي عبد الرحمن نعوده، فذهب بعض القوم يرجيه، فقال: أنا لا أرجو ربي، وقد صمت له ثمانين رمضان؟).

[ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين]

السلف ونعمة إدراك رمضان

عن معلى بن أسد، قال: (سمعت معتمرًا يقول: كان أبي يوقظ كل من في الدار إذا دخل شهر رمضان، ويقول: قوموا، فلعلكم لا تدركوه بعد عامكم هذا).

[ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد وقيام الليل]

هذا شهر عظمه ربي

وكان الشبلي إذا دخل شهر رمضان جَدَّ فوق جد من عاصره، ويقول: (هذا شهر عظمه ربي، فأنا أول من يعظمه).

[الرسالة القشيرية]

يؤم الناس وله مائة وعشرون عامًا

عن الوليد بن علي عن أبيه قال: (كان سويد بن غفلة يؤمنا في شهر رمضان في القيام، وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة).

[حلية الأولياء]

رمضان شهر الله المفضل

عن كعب الأحبار قال: (إن الله تبارك وتعالى اختار ساعات الليل والنهار، فجعل منهن الصلوات المكتوبة، واختار الأيام، فجعل منها الجمعة، واختار منها الشهور، فجعل منها رمضان، واختار

الليالي، فجعل منها ليلة القدر، واختار البقاع، فجعل منها المساجد).

[الزهد لابن السري]

جارية تعرف قدر رمضان

عن مالك بن دينار أن قومًا من أهل البصرة اشتروا جارية قرب شهر رمضان، فرأتهم يشترون المأكول والمشروب، فقالت لهم: ما تصنعون بهذا؟! فقالوا لها: لشهر رمضان، فقالت لهم: أنا كنت لقوم كان دهرهم كله شهر رمضان، فوالله، لا أقيم عندكم.

[المجالسة وجواهر العلم]

خوف السلف من عدم القبول

عن مفضل بن لاحق أبي بشر، قال: (سمعت عدي بن أرطاة، يخطب بعد انقضاء شهر رمضان فيقول: (كأن كبدًا لم تظمأ، وكأن عينًا لم تسهر، فقد ذهب الظمأ وأبقى الأجر، فيا ليت شعري! من المقبول منا فنهنئه؟! ومن المردود منا فنعزيه؟! فأما أنت أيها المقبول، فهنيئًا هنيئًا، وأما أنت أيها المردود، فجبر الله مصيبتك. قال: ثم يبكي ويبكي).

[الصيام للفريابي]

السلف ومحبة الموت على الطاعة

عن طلحة قال: (قال خيثمة: كان يعجبهم أن يموت الرجل عند خير يعمله، إما حج، وإما عمرة، وإما غزوة، وإما صيام رمضان).

[حلية الأولياء]

السلف وتعظيم العشر الأواخر

عن حماد بن سلمة، قال: (كان ثابت البناني وحميد الطويل رحمهما الله يتطيبان، ويتغسلان لأربع وعشرين، وثلاث وعشرين من شهر رمضان، ويحبان أن يطيب المسجد بنضوح).

[ابن أبي الدنيا في كتاب فضائل رمضان]

يلبس أجمل الثياب لليلة القدر

عن ثابت عن تميم الداري أنه كان يلبس في الليلة التي يرجى من رمضان ليلة القدر حلة اشتراها بأربعة آلاف.

[ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد وقيام الليل]

تعظيم السلف ليلة القدر

عن عاصم عن زر بن حبيش قال: (انطلقت حتى قدمت على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأردت لقاء أصحاب رسول الله

ﷺ من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم.

قال عاصم: فحدثني أنه لزم أبي بن كعب وعبد الرحمن بن عوف، قال: فقلت لأبي، وكانت فيه شراسة: اخفض جناحك رحمك الله، فإني إنما أتمتع منك تمتعًا. فقال: تريد أن لا تدع آية في القرآن إلا سألتني عنها، قال: فكان لي صاحب صدق، فقلت: يا أبا المنذر، أخبرني عن ليلة القدر، فإن ابن مسعود يقول: من يقيم الحول يصبها، فقال: والله، لقد علم أنها في رمضان، ولكنه عُمِّي على الناس لئلا يتكلوا، والله، الذي أنزل الكتاب على محمد ﷺ أنها لفي رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين، فقلت: يا أبا المنذر، وكيف علمت ذلك؟ قال: بالآية التي أخبرنا بها محمد ﷺ فعددنا فحفظنا، فوالله إنها آي ما يستثنى، فقلت: ما الآية؟ قال: إنها تطلع الشمس حين تطلع ليس لها شعاع حتى ترتفع، قال: وكان عاصم لينتبذ ليلتئذ من السحر، لا يطعم طعامًا حتى إذا صلى الفجر صعد على الصومعة، فينظر إلى الشمس حين تطلع لا شعاع لها، حتى تبيض وترتفع).

[حلية الأولياء]

تغليظ العقوبة على منتهك حرمة الشهر

عن ابن أبي الهذيل، قال: (كنت عند عمر، فجيء بشيخ نشوان في رمضان، قال: ويلك، وصبياننا صيام، فضربه ثمانين).

[سير أعلام النبلاء]

يفتي بأصعب الأمور لئلا يعود

وقيل: (إن عبد الرحمن بن الحكم المرواني صاحب الأندلس نظر إلى جارية له في رمضان نهارًا، فلم يملك نفسه أن واقعها، ثم ندم، وطلب الفقهاء، وسألهم عن توبته، فقال يحي بن يحيى: صم شهرين متتابعين، فسكت العلماء، فلما خرجوا، قالوا ليحيى: ما لك لم تفته بمذهبنا عن مالك أنه مخير بن العتق والصوم والإطعام؟ قال: لو فتحنا له هذا الباب، لسهل عليه أن يطأ كل يوم، يعتق رقبة، فحملته على أصعب الأمور لئلا يعود).

[سير أعلام النبلاء]

السلف وختم رمضان بالاستغفار

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار وصدقة الفطر.

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (الغيبة تخرق الصيام، والاستغفار يرقعه، فمن استطاع منكم أن يجيء بصيام مرقع فليفعل).

[لطائف المعارف]

السلف
وقيام رمضان

كتبها

خالد أبو صالح

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من تتبع أحوال السلف في قيام رمضان وقراءة القرآن تبين له علو همة هؤلاء، وقوة عزائمهم، وحرصهم على طاعة الله عز وجل، مع التواضع الشديد، ومقت النفس، والإزراء عليها، ولذلك قال ابن القيم رحمه الله: (من تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير والأمن، بل بين التفريط والأمن) هكذا يقول ابن القيم عن نفسه وعصره، فماذا أقول أنا وأنت؟

وهذه جملة من أحوال السلف وأخبارهم في قيام رمضان، لعلها توقظ غافلاً، وتحفز متكاسلاً، وتدفع قاعدًا إلى النهوض وإدراك الفضائل وبلوغ المعالي، فقد قال الحسن رحمه الله: (رحم الله امرأ نظر ففكر، وفكر فاعتبر، واعتبر فأبصر، وأبصر فصبر) فإلى هذه الدوحة الغناء..

قيام السلف وقراءهم في رمضان:

عن السائب بن يزيد، أنه قال: (أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يقوما للناس، بإحدى عشرة ركعة، قال: فكان القارئ يقرأ المائين، حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر[1]). [الصيام للفريابي].

---

(١) فروع الفجر: ارتفاع الفجر.

طول قيام السلف:

عن عبد الله بن أبي بكر، أنه قال: (سمعت أبي يقول: كنا ننصرف في رمضان من القيام، فيتعجل الخدم بالطعام مخافة الفجر).

[الصيام للفربابي].

أحوال بعض الأئمة في رمضان:

عن المثنى بن سعيد قال: (أدركت هذا المسجد – يعني مسجد بني ضبيعة – وإمامهم يصلي بهم في رمضان يختم لهم في كل ثلاث، رجل يقال له (عمران بن عصام)، قال: وصلى فيه قتادة بعده، فكان يختم في كل سبع).

[الصيام للفربابي].

التخفيف عند بعض السلف:

عن داود بن الحصين، أنه سمع عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، يقول: (ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان، قال: وكان القارئ يقوم بسورة البقرة في ثماني ركعات، فإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف).

[الصيام للفريابي].

يقرأ ربع القرآن، ويقولون خفف:

عن ليث أن بلالا العبسي كان يقوم في شهر رمضان، فيقرأ بهم الربع من القرآن، ثم ينصرف، فيقولون: قد خففت بنا الليلة. [ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد وقيام الليل].

الصلاة بين التراويح:

عن صفوان بن صالح، حدثنا الوليد قال: (رأيت الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وابن جابر، والليث بن سعد، وبكر بن مضر، فكانوا يصلون بين التراويح).

[الصيام للفريابي]

ابن مسعود يختم كل ثلاث:

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يحدث عن أبيه عبد الله أنه كان يقرأ القرآن في الجمعة، ويقرأه في رمضان في ثلاث.

[حلية الأولياء].

ابن سيرين يحيي الليل:

عن هشام قال: (كان ابن سيرين يحيي الليل في رمضان) [الزهد لأحمد].

قيام قتادة:

عن قتادة أنه كان يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة.

[حلية الأولياء].

قيام أبي رجاء:

عن أبي الأشهب قال: (كان أبو رجاء يختم بنا في قيام رمضان

في كل عشرة أيام).

[الزهد لأحمد]

قيام الأسود:

عن إبراهيم قال: (كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال).

[حلية الأولياء وابن الدنيا في التهجد وقيام الليل]

يختمان القرآن في ليلة:

عن الأعمش قال: (بينا ليلة سبع وعشرين من رمضان في مسجد الأياميين عند طلحة وزبيد، فأما زبيد، فختم القرآن بليل، ثم رجع إلى أهله، وأما طلحة، فكرر فيه حتى ختم مع الصبح، أو قال: مع الفجر).

[حلية الأولياء]

مسروق يقرأ العنكبوت في ركعة:

عن على بن الأقمر أن مسروقًا قرأ العنكبوت في ركعة في قيام شهر رمضان.

[الصيام للفريابي].

ابن أبي مليكة يقرأ فاطر في ركعة:

عن نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة، (أنه قام في شهر رمضان

بمكة فقرأ: الحمد لله، والملائكة في ركعة).

[الصيام للفريابي].

قراءة علي الأزدي:

عن مجاهد قال: (كان علي الأزدي يختم القرآن في رمضان كل ليلة، وينام بين المغرب والعشاء).

[ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد، وقيام الليل].

قيام وكيع:

وعن موسى بن معاوية قال: (رحلت من القيروان، وما أظن أن أحدًا أخشع من البهلول بن راشد، حتى لقيت وكيعًا، وكان يقرأ في رمضان في الليل ختمة وثلثا، ويصلي ثنتي عشرة من الضحى، ويصلي من الظهر إلى العصر).

[سير أعلام النبلاء].

قراءة البخاري وقيامه:

عن مسبح بن سعيد قال: (كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة).

[سير أعلام النبلاء]

قيام ابن عساكر:

قال القاسم ابن عساكر عن أبيه: (وكان مواظبًا على صلاة

الجماعة وتلاوة القرآن، يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، ويعتكف في المنارة الشرقية، وكان كثير النوافل والأذكار، يحيي ليلة النصف والعيدين بالصلاة والتسبيح، ويحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة).

[سير أعلام النبلاء].

قراءة الوليد بن عبد الملك في رمضان:

وقيل: (كان الوليد بن عبد الملك يختم في كل ثلاث، وختم في رمضان سبع عشرة ختمة).

[سيرة أعلام النبلاء].

قراءة المأمون في رمضان:

وعن المأمون أنه تلا في رمضان ثلاثًا وثلاثين ختمة.

[سير أعلام النبلاء]

ترديد الآية أثناء القيام:

سعيد بن عبد الطائي، قال: (سمعت سعيد بن جبير، يردد هذه الآية، وهو يؤمهم في شهر رمضان: ﴿**إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ**﴾ [غافر: ٧١]).

[الزهد لوكيع].

قتادة ودراسة القرآن في رمضان:

وعن أبي عوانة، قال: (شهدت قتادة يدرس القرآن في رمضان). [سير أعلام النبلاء]

مراعاة حال المأمومين:

عن ابن شوذب، قال: (كان أيوب يؤم أهل مسجده في شهر رمضان، ويصلي بهم في الركعة قدر ثلاثين آية، ويصلي لنفسه فيما بين الترويحتين بقدر ثلاثين آية، وكان يقول هو بنفسه للناس: الصلاة، ويوتر بهم، ويدعو بدعاء القرآن، ويؤمن من خلفه، وآخر ذلك يصلي على النبي ﷺ، ويقول: الله استعملنا بسنته، أوزعنا بهديه، واجعلنا للمتقين إماما، ثم يسجد، وإذا فرغ من الصلاة دعا بدعوات).

[سير أعلام النبلاء، وفضائل رمضان لابن أبي الدنيا].

عمر ومراعاة حال المأمومين:

عن أبي عثمان أن عمر بن الخطاب دعا ثلاثة قراء في شهر رمضان، فأمر بأسرعهم قراءة يقرأ ثلاثين آية، وبأوسطهم أن يقرأ خمسًا وعشرين آية، وأمر بأطولهم أن يقرأ عشرين آية.

[الصيام للفريابي].

تتبع حسن الصوت في المساجد:

عن أبي سعد البقال قال: (كنت أذهب أنا وعبد الرحمن بن الأسود نتبع حسن الصوت بالقرآن في المساجد في شهر رمضان).

[ابن أبي الدنيا في كتاب الإشراف في منازل الأشراف]

القراءة من المصحف:

عن ابن سيرين: (أن عائشة كانت تأمر غلامًا لها، فيصلي في

رمضان، يقرأ في المصحف).

[ابن أبي الدنيا في كتاب فضائل رمضان].

اهتمام عمر بصلاة النساء:

عن عمرو بن حريث، قال: (أمرني عمر رضي الله عنه أن أؤم النساء في رمضان).

[سير أعلام النبلاء]

السلف والحث على إخلاص العمل:

عبد الرحمن بن مصعب قال: (كان رجل ضرير يجالس سفيان الثوري، فإذا كان شهر رمضان يخرج إلى السواد، فيصلي بالناس، فيكسى ويعطى، فقال سفيان: إذا كان يوم القيامة أثيب أهل القرآن من قراءهم، ويقال لمثل هذا: قد تعجلت ثوابك في الدنيا، فقال: يا أبا عبد الله، تقول لي هذا وأنا جليسك، قال: أخاف أن يقال لي يوم القيامة كان هذا جليسك، أفلا نصحته).

مجمل أحوال السلف في القراءة والقيام:

قال ابن رجب: (وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، منهم قتادة، وبعضهم في كل عشرة، منهم أبو رجاء العطاردي، وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها، كان الأسود يقرأ في كل ليلتين في رمضان، وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث، وكان قتادة يختم في كل سبع دائمًا، وفي

رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة، وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة، وعن أبي حنيفة نحوه، وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام، قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

قال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة، وأقبل على قراءة القرآن. وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت. وقال سفيان: كان زبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف، وجمع إليه أصحابه.

وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصًا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره).

[لطائف المعارف لابن رجب]

الصيام ورمضان

في السنة والقرآن

دراسة في طريق بحوث فقه الكتاب والسنة

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

دار القلم
دمشق

عبد الرحمن
الميداني

الصيام ورمضان

دار القلم
دمشق

الصيام ورمضان

في السنة والقرآن

دراسة في طريق بحوث فقه الكتاب والسنة

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

دار القلم
دمشق

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص. ب. : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص. ب. : ١١٣/٦٥٠١ .

الصيام ورمضان

في السنة والقرآن

مقَدّمَاتْ

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم :

« مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين »

رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد عن معاوية
ورواه أحمد والترمذي عن ابن عباس
ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمدلله منزل الكتاب، علَّم بالقلم وهدى إلى الحقِّ والصواب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى صراط الله المستقيم، والمبيِّنِ للناسِ بالقولِ والعملِ والخلُقِ والإقرار ما نُزِّل إليهم، كما أمره الله.

فتمّ بالتَّنْزيلِ وبالتَّبْيينِ دينُ اللَّه الذي اصطفاه لعباده، وجعله خاتمةَ رسالاته للناس، وبعثَ لتبليغه وتبيينه خاتم أنبيائه ورسله محمَّداً ﷺ وبعد:

ففي محاولة للجمع بين مفاهيم القرآن ومفاهيم السنة حول موضوع واحد، فيما يمكن أن نسمّيه بفقه الكتاب والسنة، حاولْتُ تدبُّر آيات الصيام ومَا يتَعَلَّق به في القرآن العظيم، وتَفَهُّمَ الأحاديث النبوية الواردةِ في السنة حول ذلك، بغية الإلمام بأطراف الموضوع، وجَمْعِها في نَسَقٍ متكامل.

مع النظر فيما يمكن التوصُّل إليه من حِكَمِ شرائع الإسلام حول هذا الموضوع.

فأثمر هذا التدبُّر وهذه النظرات هذا الكتاب الذي رأيت أن أسمّيهُ: «الصيام ورمضان في السنة والقرآن».

وإذْ أُقدّم هذا الكتاب للقارىء المسلم الباحث عن أحكام شرائع الإسلامِ، سواء أكان من أنصار عدم الالتزام المذهبي، أو من الملتزمين بالمذهبيّة، فإنِّي أرجو أن يجد كُلٌّ منهما فيه ما يُقْنعه بإيثار عدم الغلوّ في اتجاهه، وعدم التعصُّب لما يراه من اتّجاه. فالحقُّ أحقّ أن يُتَّبعَ أينَ كان، والتعصُّبُ الأعمى ليس من شأن المسلم، إنّما شأنه البحث عن الحقِّ، حيث كان الحق، والتمسُّكُ به، انتصاراً

له، لا انتصاراً لقائله، إلاَّ أن يكون اللَّهَ ورسولَه، إذْ لا يصدر عنهما إلاَّ الحق، والخطأ فيما يُنسب إليهما من فهم الناس لما جاء عنهما، أو من تحريفهم، أو من افترائهم.

أمَّا الناسُ غير الرسل، فليسوا بمعصومين، وكلٌّ منهم مهما بلغ في العبقريَّة والتقوى عُرضةٌ لأن يصيب ويخطىء، والمصيب المأذون بالاجتهاد له أجران، والمخطِىء المأذون بالاجتهاد له أجر واحد.

أمّا من لا يملك أهليّة الاجتهاد فلا أجر له ولو أصاب، وهو آثم ضالٌّ مضلٌّ إذا أخطأ.

أسأل الله السداد والرشاد، والفتح المبين في الاهتداء إلى الحق والصواب، وأسأله تعالى أن يُرِيَني والمسلمين الحقَّ حقّاً ويرزقنا اتباعه، والباطلَ باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وصلَّى اللهُ وسلَّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أنِ الحمدلله ربِّ العالمين.

مكة المكرمة في أوائل شهر محرم من سنة ١٤٠٦ هجرية

عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني

أستاذ بجامعة أم القرى

تعريفات

تعريف الصيام:

الصومُ والصيام مصدران لفعلِ صام، وبالرجوع إلى كتب اللغة نلاحظ أن الصوم يُطلق على الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح والكلام.

نقل صاحب «لسان العرب» عن «التهذيب» أنَّ الصوم في اللغة هو الإمساك عن الشيء والتركُ له. قال: وقيل للصائم: صائم، لإمساكه عن المطعم والمشرب والمنكح. وقيل للصامتِ: صائم، لإمساكه عن الكلام. وقيل للفرس: صائم، لإمساكه عن العلف مع قيامه. قال النابغة الذبياني في وصف طائفةٍ من الخيول:

خَيْلٌ صِيامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صائِمَةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وأُخْرىٰ تَعْلِكُ اللُّجُمَا

وقال أبو عُبَيْدة: كُلُّ مُمْسِكٍ عن طعامٍ أو كلامٍ أو سَيْرٍ فهو صائم.

وبموجب هذه المعاني اللغوية لكلمة (الصوم ـ الصيام) لا أرى داعياً لقول بعض المفسرين في تفسير قول الله عزّ وجلّ في سورة (مريم ١٩): ﴿فإمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولي: إنِّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إنْسِيّاً (٢٦)﴾.

أي: إنِّي نذرت للرحمن صوماً وصَمْتاً، بدليل: فلَنْ أُكلِّم اليومَ إنسيّاً.

فقد ظهر لنا أنّ (الصوم ـ الصيام) في اللُّغة يُطلق على الإمساكِ عن الطعام، وعن الشراب، وعن النكاح، وعن الكلام، وعن السير.

ولو أنَّه كان لا يطلق في اللّغة على الإمساك عن الكلام لكنّا بحاجةٍ إلى مثل هذا التقدير.

تعريف رمضان:

رمضان: اسم لشهر من أشهر السنة القمرية في اللّغة العربية.

ومادَّة الكلمة في العربية موضوعة لشدَّة الحرّ، فالرَّمَضُ، والرَّمْضَاءُ: شدَّة الحرِّ.

والرَّمَضُ: حرُّ الحجارة من شدَّة حرِّ الشمس. وشدَّةُ وقع الشمس على الرّمل وغيره.

ويقال: أرضٌ رَمِضَةُ الحجارة. وأرضٌ رَمْضَاء.

ورَمِضَ الإنسانُ رَمَضاً إذا مضىٰ على الرَّمضاء، وهي الأرض التي اشتدَّ حرّها بتأثير الشمس.

وفي تعليل تسمية هذا الشهر باسم رمضان، قال ابن دُريد: لمّا نقلوا أسماء الشهور عن اللّغة القديمة سمّوها بالأزمنة التي هي فيها، فوافق رمضانُ أيّام رَمَضِ الحرِّ وشدَّتِه فسُمِّي به.

وقال الفرَّاء: يقال: هذا شهـر رمضان، وهما شهرا ربيع، ولا يُذْكر الشهر مع سائر أسماء الشهور العربية، يقال: هذا شعبان قد أقبل، وشَهْرُ رمضان مأخوذ من رَمِضَ الصائمُ يَرْمَضُ إذَا حَرَّ جوفُه من شدَّة العطش.

عن اللسان

البَابُ الأوَّل

الصِّيَامُ في القُرْآنِ

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : الصيام عن الكلام في قصة مريم وعيسى عليهما السلام.

الفصل الثاني : تدبُّر آيات الصيام الذي فرض الله علينا في القرآن.

الفصل الثالث : فضائل الصيام في القرآن.

الفصل الأول

الصيام عن الكلام
في قصة مريم وعيسى عليهما السَّلام

أول ما نزل من القرآن عن الصيام بيان صيام مريم عليها السلام عن الكلام، وذلك فيما قال الله عزَّ وجلَّ في سورة (مريم ١٩): ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا، فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً (١٧) قَالَتْ: إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً (١٨) قَالَ: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً (١٩) قَالَتْ: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً (٢٠) قَالَ: كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ، وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي: إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا: يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً! (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ. قَالُوا: كَيْفَ نُكَلِّمُ

مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً (٢٩) قَالَ: إنّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بالصَّلاَةِ والزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً (٣١) وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً (٣٢) والسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً (٣٣) ذلك عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الذي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّما يقُولُ له: كُنْ فيكُونُ (٣٥) وَإنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدوهُ هَذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيم (٣٦) ﴾.

ويظهر أنَّ الصيام عن الكلام كان من العبادات في شريعة أهل الكتاب، فهو ممّا يجب بالنذر، أو أنَّ النذر كان يُحوّلُ المباحات العامة إلى أمور واجبة، ولو لم تكن هي من صنف العبادات بوجه عامّ.

أمّا النذر في الإسلام فإنَّه يجب الوفاء به اتّفاقاً إذا كان في طاعة الله تعالى، إذْ تتحوَّل به الطاعة غير الواجبة إلى طاعةٍ واجبة، ولاَ يُلزمُ الناذر بوفاء نذره إذا نذر مباحاً من المباحات العامَّة عند جمهور المجتهدين من الفقهاء، فمن نذر أن يفعل أو يترك أمراً مباحاً استوى فعله وتركه في حكم الشرع لم يلزمه الوفاء به، ويرى بعض الفقهاء أنه يلزمه الوفاء بنذره، ولو كان ما نذره مباحاً استوى في حكم الشرع فعله وتركه.

وأجمع فقهاء المسلمين على أنَّ من نذر أن يفعل ما نهى الشرع الحنيف عنه، أو أن يترك فعل ما أمر بفعله، لم يلزمه الوفاء بنذره، وأنَّ النذر لا ينعقد في معصية الله عزَّ وجل، ولا ينعقدُ فيما تكون طاعة الله بخلافه، كمن نذر عملاً فيه تعذيب لنفسه دون غاية شرعيّة مطلوبة لا يمكن تحقيقها إلَّا بتعذيب للنفس أذن به الشارع لتحقيق مثلها.

ومن الأدلة قصةُ الصَّحَابيّ القرشيّ أبي إسرائيل الذي نَذَر أن يصوم ويقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظِلّ ولا يتكلم، فأمره الرسول ﷺ أن يتكلَّم، ويستظلَّ، ويقعد، ويُتمَّ صومه، فدلَّ هذا على أنَّ النذر في المباح لا

يجب الوفاء به، كالتكلُّم والاستظلال والْقُعود، وأنَّ النذر في الطاعة كالصوم يجب الوفاء به.

روى البخاري وابن ماجه وأبو داود عن ابن عباس قال: بينا النبيُّ ﷺ يخطب، إذ هو برجل قائم، فسأل عنه. فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس، ولا يقعد، ولا يستظلّ، ولا يتكلم، وأن يصوم، فقال النبيّ ﷺ: «مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، ولْيُتِمَّ صَوْمَهُ».

فأقرَّه الرسول ﷺ على نذر الطاعة، ولم يقرَّه على نذر ترك المباح تعذيباً لنفسه، ولم يَرِدْ أنَّه أمره بأن يكفّر عن نذره، فدلَّ على أنَّ النذر في المباح لا ينعقد، ولا يجب الوفاء به، وأنَّ من الخير أن لا يعذِّبَ الإنسانُ نفسه، ظانًّاً أنَّه يعبد الله ويتقرَّب إليه بتعذبها.

وثبت في الصحيح عن عائشة عن النبي ﷺ أنَّه قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ».

ويَرَى الإمام أحمد وإسحقُ، أنَّ من نذر في معصية وجب عليه عدم الوفاء بالنذر، ووجب عليه أيضاً كفارة يمين.

واحتجَّا بما رواه الخمسة عن عائشة، أنَّ النبيّ ﷺ قال: «لَا نَذْرَ في مَعْصِيَةٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمينٍ».

وبما رواه الإمام مسلم والإمام أحمد عن عقبة بن عامرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ».

وبما رواه أبو داود عن ابن عباس، أنَّ النبيّ ﷺ قال: «مَنْ نَذَرَ نَذْراً في مَعْصِيَةٍ فكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ».

مفاهيم قرآنية حول ابتلاء مريم:

من الملاحظ في قصة مريم عليها السلام، أنَّ الكرامة العظيمة لها قد جاءتها ضمن ابتلاءٍ شديدٍ لها بأمرٍ كبير، تَعَرَّضَ فيه شرفها وعفَّتها للاتِّهام

على ألسنة عامَّة قَوْمِها، وهي المرأة المنذورة لبيت المقدس، والمعروفة لدى كلٍّ من عرفها من قومها بالتقوى، والعبادة، والزهد، والورع، وكثرة الخلوة بربِّها والمناجاة له.

وتلك هي حكمة الله في عباده، أن لا يخلو تكريم عظيم من محنةٍ وابتلاء.

لقد كان مجد يوسف عليه الصلاة والسلام عن طريق محنته بحسد إخوته له، وإلقائهم إيّاه في الجبِّ، ثُمَّ بمصيره إلى الرِّقِ، ثمَّ بمحنته في اتِّهامه بشرفه وعفّته مع سيِّدتِهِ زوجَةِ العزيز، ثُمَّ بالسجن بضع سنين.

وكان مجد عائشةَ أمّ المؤمنين في إنزال قُرآنٍ يُتْلَىٰ ببراءتها، عن طريق ابتلائها ابتلاءً شديداً، إذ تعرَّضت للاتِّهام الظالم الآثم في شرفها وعفَّتها، وترويج المنافقين في المدينة وطائفةٍ من المؤمنين لهذا الاتّهام.

وعلا مجد نوح عليه الصلاة والسلام إذِ ابْتُلي بولده فلذة كبده، الذي رفض الإيمان فكان من المغرقين، فصبر ولم يعبأ بعاطفته القويَّة تجاه مرضاة ربِّه.

وعلا مجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ ابتلي بإلقائه في النار العظيمة التي أوقدت لتعذيبه وإحراقه.

وعلا مجد يعقوب عليه السلام عن طريق ابتلائه بفقده ولده الحبيب إلى قلبه يوسف عليه السلام، وظلَّ حزيناً عليه حتَّى ابيضَّتْ عيناه من الحزن.

كذلك أيوب عليه السلام قد كان بلاؤه الشديد بمرضه وفقده ماله وولده طريق مجده الكبير الذي اكتسبه.

ولا تَكادُ تخلو منحةٌ في هذه الحياة الدنيا من مِحْنة.

قصة مريم عليها السلام:

مريم عليها السلام هي ابنة عِمْران، وأمُّها حَنَّة، وكان عمران من كبار الرَّبَّانِيِّين الذين لهم شركة في خدمة الهيكل، قالوا: وكان إمامَهُم ورَئيسَهُمْ والكاهِنَ الأكبر فيهم، ويتّصل نسبه بداود عليه السلام، فهو من سبط يهوذا. وكانت حَنَّةُ زوجُه من العابدات، وكانَتْ لا تحمل.

ودعا عمران وحَنَّةُ ربَّهما أن يَهبَهما ذُرّيَّةً صالحة، فاستجاب اللّه لهما، فحمَلَتْ حَنَّة بعد أن لبثت ثلاثين سنةً لا تحمل، فنذرت أن تهب ما في بطنها من ولد لخدمة بيت المقدس، وكانت ترجو أن يكون ذكراً، لكنَّها وضعت أنثى وسمَّتها مريم وسألت اللّه ربّها أن يعيذها وذرّيتها من الشيطان الرجيم، فتقبَّلها رَبُّها بقبولٍ حسن وأنبتها نباتاً حسناً.

وقد وصف الله عزَّ وجل ذلك بقوله في سورة (آل عمران ٣): ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ: رَبِّ إنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فتقبَّلْ مِنِّي إنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ: رَبِّ إنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ـ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى، وَإنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإنِّي أُعِيذُهَا بكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقُبولٍ حَسَنٍ وأَنْبَتَها نَبَاتاً حَسَناً﴾.

قالوا: وَحَمَلَتِ امْرَأَةُ عمرانَ ابنتها مريمَ وقَدَّمَتْها إلى بيت المقدس، ودفعتها إلى العبَّاد والرّبّانيين فيه، تنفيذاً لنذرها، وكان هذا من أحكـام اليهودية، وتنافسوا في كفالتها، لأنَّها ابنة رئيسهم وكاهنهم الأكبر، ولعلَّ أباها كان قد توفّي في هذه الأثناء، ولو كان حيّاً ما تنافسوا في كفالتها، إذ يكون عندئذٍ الأمر أمره.

قالوا: وأصرَّ زكريّا عليه السلام زوجُ خالتها على أن يكفلها هو، وحصل الخصام بينهم أَيُّهُمْ يكفل مريم، ثمّ لجؤوا إلى القرعة، فكانت كفالتها من حظّ زكريا عليه السلام.

ونمت الفتاة عابدة طاهرة عفيفة شريفة، وأكرمها الله عزَّ وجل بكرامات وهي في خلواتها تعبده، فكان زكريّا عليه السلام يجد عندها رزقاً من رزق الله لم يأتِها هوَ بِه، ولا وجود له عند الناس في ذلك الوقت، فقال لها: يا مريمُ أنَّىٰ لك هذا، أي: من أين لك هذا؟ فقالت: هو من عند الله، إنَّ اللَّه يرزق من يشاء بغير حساب، ولعلَّ الله قد أكرمها بذلك تمهيداً لتثبيت قلبها عند محنتها، ولإبعاد سوء الظن عنها.

قال الله عزَّ وجلّ في سورة (آل عمران ٣):

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيّا، كُلَّما دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً، قَالَ: يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هٰذا؟. قالت: هُوَ مِنْ عِنْدَ الله إنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾.

وكانت الملائكة تأتي إلى مريم وتُخْبِرها بأنَّ الله اصطفاها، وطهَّرها، واصطفاها على نساء العالمين.

قال الله عزَّ وجلّ في سورة (آل عمران ٣):

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ واصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِين (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ واسْجُدِي وارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)﴾.

ونشأت مريم عليها السلام نشأة عبادة وطهر وعفاف، محروسةً بعناية اللَّه عزَّ وجل، حتى بلغت مبلغ النساء، وبينما هي في خلوتها إذا بالملك جبريل عليه السلام تمثّلَ لَهَا بشراً سويَّاً، فَذُعِرت منه، إذ خافت على نفسها من التهمة، فقالت: إنِّي أعوذ بالرحمن منك إنْ كنت تقيّاً، أي: أعوذ باسم الله الرحمنِ مِنك الذي يرحمني ويرحمك فلا يوقعني في التهمة بك إنْ كنت تقيّاً، أي: وأعوذ بالجبار المنتقم منك إن كنت فاجراً عصيّاً.

فقال لها الملك: إنَّما أنا رسول ربِّك لأهبَ لكِ غلاماً زكيّاً، قالت: أنّى يكون لي غلام ـ أي: كيف يكون لي غلام ـ ولم يَمْسَسْني بشر؟. قال: كذلكِ ـ أي: يخلق فيك الولد كما يخلق الولد في رحم التي مسَّها ذكر

مخصب ـ قال رَبُّكِ: هُو عليّ هين، ولنجعله آية للناس، وكان أمراً مَقْضِيّاً ـ أي: فلا تحاولي التهرُّبَ من هذا القضاء الذي قضاه اللّه لك، ولا تسألي الله أن يصرف عنك هذا القضاء.

قال الله عزَّ وجل في سورة (مريم ١٩):

﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فتمثَّل لَهَا بَشراً سَوِيّاً (١٧) قالت: إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً (١٨) قَال: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً (١٩) قَالَتْ: أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً (٢٠) قال: كذلِكِ، قال رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وِلِنَجْعَلَهُ آيَةً للنَّاس وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أمراً مَقْضِيّاً (٢١)﴾.

إِذِ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيّاً: أصل النبذ أن يطرح الإنسان الشيء أمامه أو وراءه ويبعده عنه، تقول نبذت الشيء إذا رميته وأبعدته عنك.

وحين يختار الإنسان لنفسه مكاناً منعزلاً بعيداً عن أهله أو قومه، يُقالُ: انتبذ فلان، أي: ابتعد عن أهله وتنحَّىٰ عنهم، فإذا كان المكان من الأمكنة البعيدة المنبوذة في نظر الناس، كان اختياره له انتباذاً له، وعليه يُقالُ: انتبذ مكاناً، أي: اختار مكاناً منبوذاً منفرداً بعيداً عن أمكنة أهله، وحين يكون هذا المكان ضمن دائرة أهله أو قومه، فإنَّه يُقال: انتبذ من أهله مكاناً، أي: انتبذ مكاناً من أمكنة أهله.

ويظهرُ أنها عليها السلام قد اختارت لعزلتها وخلواتها لعبادة ربِّها مكاناً منعزلاً ضمن دائرة أمكنة أهلها، وأهلها في بيت المقدس زكريّا عليه السلام وخالَتُها التي هي زوجته، وهذا المكان يقع في الجهة الشرقية من بيت المقدس، ويظهر أنه مكانٌ أمين حصين، لا يتسلَّل إليه في العادة متسلِّل، إذ الجهة الشرقية من بيت المقدس تشرف على وادٍ لا تصعد على منحدَرِه إلاَّ ذوات الأربع من الحيوان، وأمَّا الساحة الداخلية لحرم بيت المقدس فهي محروسة منظورة دائماً.

ويقال: إنَّ سبب اتخاذ النصارى الشرق قبلَتهم أنّ مريم اتخذت من أهلها مكاناً شرقيّاً، وقد كان المفروض على أهل الكتاب أن يتوجهوا شطر بيت المقدس. روي هذا المعنى عن ابن عباس، والله أعلم.

فَاتَّخذت من دونهم حجاباً: لعلَّها بَنَتْ لنفسها غرفةً خاصة في المكان الذي انتبذته إثْر اختيارها له، فكانت محلّ إقامتها، ومِحْرابَ عبادتها.

ولم تلبث طويلاً في مكان عزلتها إذْ أرسل الله لها جبريلَ عليه السلام على صورة شابّ سَويٍّ من البشر، دلَّ على هذا قول اللَّهِ عزّ وجلّ: ﴿فأرسلنا إليها رُوحَنا فتمثَّل لها بشراً سويّاً﴾ إذْ جاء العطفُ بالفاء الدالَّة على التعقيب.

قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّاً: أي: إنْ كنتَ تقيّاً حقاً، فإنِّي أعوذُ بالرحمن من تهمة دخولك عليَّ، وهذا فيما أرى هو الأرجح، لأنَّها استعاذت بالرحمن، بشرط كون هذا الذي تمثَّل لها في غرفتها تقيّاً، وقد استعاذت بالرحمن ليرحمها ويرحمه فلا يقعا في تهمة الفاحشة على ألسنة الناس.

أي: وإن لم يكن تقيّاً فإنَّها تستعيذ بمثل اسم المنتقم والجبَّار والقَهَّار.

وهذا أولى من اعتبار (إن) حرف نفي، أو شرطية وجوابها محذوف، تقديره: إنْ كنت تقيّاً فانصرف عني، لا تجلب لي تهمة.

قال: إنما أنا رسول ربِك لأَهَبَ لكِ غلاماً زكيّاً: أي: ما أَنا إلاَّ مَلَكٌ رسول ربّك، قد جئتك لأهب لك غلاماً طاهراً نامياً مباركاً فيه خيرٌ عظيم.

قالت: أنَّىٰ يكونُ لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغيّاً: أي: كيف يكون لي غلام ولم يمسسني بشر عن طريق زواج شرعي، ولم أكُ امرأة بغيّاً أعاشِرُ الرجال بالحرام، حتى يَنْعقِد في بطني غلام، كما تنعقد الأجنّة في أرحام النساء.

قال: كَذَلِكِ: أي: كَذَلِكِ الأمر الذي يتم به انعقاد الأجنّة في الأرحام عن طريقِ نُطَفِ الرجال، يتمّ الانعقاد من دون هذه الوسيلة.

قال ربُّك هو علي هين: أي: خلْقُ الولد من أمّ دون أبٍ أمرٌ هيّنٌ على الله، فقد خلق آدم من غير أبٍ ولا أمّ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى. إنَّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون.

ولنجعله آيةً للناس: أي: آيةً على قدرةِ اللّه عزَّ وجلَّ على خرق نظام الأسباب، وآيةً على أنّه رسول حقّاً من رسل الله، إذ ينطقه الله عزَّ وجل وهو لم يزل في المهد.

ورحمة منّا: أي: ولنجعله رحمةً منّا يحمل رسالة هي رحمة للناس، وكذلك كلّ رسل الله هم رحمة من الله للناس.

وكان أمراً مقضيّاً: أي: أمراً مُبْرَماً لا تغيير له ولا تعديل فيه، فلا مجال للاعتراض عليه، أو دُعَاءِ التغيير فيه، إنَّه قضاء مقضيٌّ لا مهرب منه.

وقد قال لها جبريل ذلك، لتواجه قَضَاءَ الله وقَدَرَهُ بالتسليم، ولتستعدّ لمواجهة المحنة التي ستتعرَّض لها من قبل قومها، بقوَّة إرادة وصبر، مع فرحها بالمنحة التي اصطفاها الله بها، وهي أن تكون والدة رسولٍ عظيم.

ونفخ الملك جبريل في جيب دِرعها، فتمّ بـذلك علوق الجنين، وانصرف المَلَكُ عنها.

ثمَّ جاءتها الملائكة التي كانت من قبل تأتيها وتقول لها: ﴿إنَّ الله اصطفاك وطَهَّرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ فنقلت إليها بشارة ربّها بعيسى عليه السلام، قال الله عزَّ وجلّ في سورة (آل عمران ٣):

﴿إذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا مَرْيَمُ إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً في الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبين (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِيْنَ (٤٦) قَالَتْ: رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ؟ قال: كذلكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فيكون (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الكتَابَ والْحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ وَالإِنْجيلَ (٤٨) ورسُولاً إلَىٰ بَنِي إسْرَائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ

الطَّيْر فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرَاً بِإِذْنِ اللَّه، وَأُبْرِىءُ الأكمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّه رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١)﴾.

دلَّ هذا النصّ على أنَّ مريم عليها السلام كرَّرت سؤالها: أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر، ولكن ليس تكراراً مطابقاً، إذْ فيه الفوارق التالية:

١ ـ فالسؤال الأول كان خطاباً لجبريل عليه السلام الذي تمثَّل لها بشراً سويّاً.

أما السؤال في هذا النصّ فقد كان موجّهاً لربِّها مباشرة بعد أن بَشَّرَتْها الملائكة بصفات تفصيلية لهذا الولد، ﴿قالت: ربِّ أنَّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر؟﴾ أمَّا صفاته التي ذكرتها الملائكة لها، فهي الصفات التاليات.

- هو وجيه في الدنيا والآخرة.
- وله خوارق في طفولته فهو يكلِّم الناس في المهد، كما يكلمهم كهلاً بمضمون رسالته.
- وهو مُعلَّم يعلّمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والإِنجيل.
- وهو رسول من عند الله.
- وله معجزات باهرات، إذْ يصنع من الطين أجساداً على هيئات الطيور فينفخ فيها فتكون طيوراً بإذن الله، ويُنَبِّىء الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، بطريقة كشف ما هو غيب عن الحسّ البصري المعتاد للبشر.
- وهو مصدق لما بين يديه من التوراة.
- وقد جاء من عند ربِّه بتحليل بعض ما كان حراماً على بني إسرائيل.

٢ ـ والسؤال الأول كان بصيغة: أنَّى يكون لي غلام، أمَّا السؤال في هذا النص فهو بصيغة: أنَّىٰ يكون لي ولد أيّ ولد؟

٣ ـ والسؤال الأول نفت فيه أن يكون قد مسَّها بشر بطريقة شرعية أو مسها بشر بطريقة البغاء. أما السؤال في هذا النص فاقتصرت فيه على التعميم فقالت: أنَّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر، أيْ: أحدٌ من البشر، والمراد من المسّ المعاشرة المعروفة بين الذكر والأنثى.

وكما اختلفت صيغة السؤال الثاني عن صيغة السؤال الأول كما عرفنا من النظر في الفروق، فالجواب قد اختلف أيضاً.

ففي الأول قال لها جبريل:

﴿كذلِكِ قال ربُّكِ: هو عليَّ هين، ولنجعله آية للناس ورحمة مِنَّا وكان أمراً مقضيّاً﴾.

وفي الثاني قال مُحدِّثها من الملائكة، أو أوحى الله لها بهذا الخطاب: ﴿كذلك اللَّهُ يخلق ما يشاء إذا قضىٰ أمراً فإنَّما يقول له: كن فيكون﴾.

فأضاف هذا الجواب بياناً لم يتضمّنْه الجواب الأول، فتكاملا.

ولا بدَّ أن يكون سؤال مريم الثاني بعد علوق الولد، وقبل علمها بأنَّها قد صَارت تحمل في بطنها جنينهِا الذي بشَّرتها الملائكة به.

وهذا يدلُّ على أنّ نظام حملها قد جرى وفق النظام المعتاد، لا كما قال بعض المبالغين من أنّ الحمل لم يأخذ مجراه المعتاد، وأنَّ مدَّته الزمنية كانت بطريقة خارقةٍ أيضاً. وقد يدلّ على ما ذهب إليه صاحب هذا القول العطفُ بالفاء في «فحملته ـ فانتبذت به ـ فأجاءها المخاض» والله أعلم.

ولمَّا شعرت مريم عليها السلام بأعراض الحمل ومظاهره، تركت مكانها في حرم بيت المقدس، وانتبذت بحملها مكاناً قصيّاً، بعيداً عن مراقبة أهل الحرم وجواره.

قال الله عزَّ وجلّ في سورة (مريم ١٩):

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً (٢٢)﴾.

ويظهر أنَّها انتبذت هذا المكان القصيّ حتّى لا تتعرَّض لنظرات الريبة

بها، والاتّهام لها، أو التعليقات الجارحات.

إنَّه لبلاءٌ عظيم بالنسبة إلى عفيفة شريفة طاهرة، معروفة بكثرة العبادة والتقوى، مشهورة بالكرامات التي اختصها الله بها.

وأشاع اليهود أنَّها حملت من ابن عمِّها يوسف النجار، الذي كان يتردَّد عليها، وكان رجلاً تقيّاً صالحاً.

قالوا: ولمَّا أحست مريم بالحمل خشيت اتِّهام قومها لها بالزّنى، فوافقت على خطبة يوسف النجار لها، وكان هذا الرجل بارّاً صالحاً من بيت داود من أبناء عمها، متّقياً لله تعالى، يتقرب إليه بالصيام والصلاة، ويرتزق من عمل يديه في النجارة.

ثمَّ إنَّ مريم كاشفت يوسف النجار خطيبها بما جرى لها، وبحملها بعد بشارة جبريل والملائكة لها دون أن يمسّها بشر، فعزم هذا الرجل على أن يترك خطبتها شكاً بأمرها. وبينما هو نائم إذا هو بملاك الربّ يوبِّخهُ قائلاً: لماذا عزمت على إبعاد امرأتك؟؟ اعلم أنّ ما كُوِّنَ فيها إنَّما كُوِّنَ بمشيئة الله، وستلد العذراء ابناً، وستدعونه «يسوع» تمنع عنه الخمرَ والسُّكر وكلَّ لحمٍ نجس، لأنَّه قُدُّوس الله مِن رحم أمّه، وأنَّه نبيٌّ من الله أرسل إلى شعب إسرائيل، ليحوّل يهوذا إلى قلبه، ويَسلُك إسرائيل في شريعة الرّب، كما هو مكتوب في ناموس موسى، وسيجيء بقوَّة عظيمة يمنحها الله له، وسيأتي بآيات عظيمة تفضي إلى خلاص كثيرين.

قالوا: فلمَّا استيقظ يوسف من النوم شكر الله، وأقام مع مريم كلَّ حياته، خادماً لله بكلِّ إخلاص(١).

قالوا: وكان «هِيرودِس» في ذلك الوقت ملكاً على اليهودية، بأمر قيصر «أوغسطس» فأمر «هِيرودِس» حُكّام البلاد وعُمَّاله فيها أن يسجّلوا جميع أفراد

(١) هكذا جاء في إنجيل برنابا ـ والله أعلم ـ، وليس علينا أن نصدّق أمثال هذه الأقاويل. ومن واجبنا أن نثبت براءة مريم عن كلّ ما فيه خدش بدينها وعفتها أو أمر لا يليق بأمثالها.

الرعية الداخلين في مملكته، وذلك بناءً على أمرٍ قيصريّ ورد إليه من قيصر «أغسطس».

فذهب إذْ ذاك كُلٌّ إلى وطنه، وقدَّموا أنفسهم بحسب أسباطهم ليُكْتَتَبُوا، وسافرت مريم عليها السلام - وهي حُبلى بعيسى عليه السلام - ومعها يوسف النجار، من الناصرة إلى بيت لحم، إحدى مدن الجليل، لأنَّها كانت مدينتها، وذلك ليُكْتَتَبَا، عملاً بأمر القيصر.

ولمَّا بلغا بيت لحم لم يجدا فيها مأوى، إذْ كانت المدينة صغيرة وجماهير الوافدين كثيرين، فنزلا خارج المدينة في مكان متّخذٍ مأوى للرُّعاة.

قالوا: وفي هذه الأثناء أَتَمَّتْ مريم أيامَ حملها وهي في بيت لحم، فأجَاءَها (أي: أَلْجأها) المخاضُ إلى جذع نخلة يابسة، وتعاظم في نفسها ما ستلاقيه من معرَّة اتِّهام قومها لها بالزّنى، فقالت كما جاء في سورة (مريم ١٩):

﴿يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً (٢٣)﴾.

عندئذ ناداها من تحتها وليدُها «عيسى» أو الملك الذي رَعىٰ ولادتها كما جاء في سورة (مريم ١٩):

﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً، فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي: إِنِّـي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً (٢٦)﴾.

سَرِيّاً: السَّرِيّ هو الجدول الصغير من الماء، قالوا: وقد أجرى الله لها جدولاً من الماء، لتشرب منه بعد ولادتها، والسَّرِيّ أيضاً: هو الوجيه من الناس، وعلى هذا يكون المراد عيسى عليه السلام، والمعنى الأول أقرب، بدليل قوله على سبيل الامتنان: ﴿فكلي واشربي وقَرِّي عيناً﴾.

لقد أجرى الله لها جدول ماء، وأنبت لها في النخلة اليابسة التي لا ثمر فيها رُطباً جَنيّاً، لا يحتاج تساقطه أكثر من أن تمسك بجذع النخلة وتهزّه إليها حتى يتساقط عليها الرُّطب الجني، وأكرمها بوليد عظيم تَقَرُّ بِه عيناً.

بقيت المشكلة الكبرى، وهي: كيف تدفع مريم عليها السلام التهمة عن نفسها، إذا حملت طفلها إلى قومها، وهي غير ذات زوج؟!

واختار الله لحلّ هذه المشكلة أن يدافع الوليد الرضيع عن أُمِّه، ويثبت براءتها، وطريق ذلك أن تعتصم هي بالصمت عن مخاطبة الناس.

ولكن كيف تملك نفسها إذا اتَّهمها الناس، وهي العفيفة الشريفة المحظوظة من الله عزَّ وجل بالكرامات العظيمة؟

هنا جاء الأمر الإرشاديُّ لها بأن تَنْذُر الصومَ عن مكالمة الناس عندما تشاهد أيَّ واحدٍ من البشر، وبهذا النذر تجدُ نفسها ملزمة بالصمت شرعاً.

قال اللهُ عزَّ وجل في سورة (مريم ١٩) حكاية لنداء الذي ناداها من تحتها:

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدَاً فَقُولِي: إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً (٢٦)﴾.

وأنشأت نذرها، وكان نذراً مؤقّتاً بذلك اليوم، وكان أيضاً نذراً امتنعت به عن مكالمة النَّاس فقط، لا عن كلّ الكلام، بدليل: ﴿فلن أُكَلِّمَ اليومَ إنسيّاً﴾.

ومن أحكام الصوم عن مخاطبة الناس عند أهل الكتاب، أَنَّهُ يُؤْذن للصائم بأن يُشير إشارة مُفْهمةً، قال الله عزَّ وجل في سورة (مريم ١٩): ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا: يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئَاً فَرِيّاً (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُوْنَ مَا كَان أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ. قَالُوْا: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً؟ (٢٩)﴾.

فَرِيّاً: أي عظيماً وَبِدعاً من الإثم.

قالوا: ولم تجد مريم عليها السلام شيئاً تَضَعُ فيه وليدها في المكان الذي أوت إليه غيرَ مذودٍ للماشية، وهو معتلفٌ للدواب، فوضعته فيه، وكان ذلك سرير طفولته عند الوضع عليه السلام.

قالوا: وكان ميلاد عيسى عليه السلام يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر كانون الأول.

وحملت مريم وليدها الصغير، وأَتَتْ به إلى قومها تحمله، وكان لا بدَّ لها من أن تواجه قومها بالحقيقة، ولو تعرَّضتْ إلى معرَّة التُّهمَة، فالوليد حقيقة ماديَّة لا بُدَّ أن تظهر للنَّاس، وسوف يكون لهذا الوليد رسالة لا بدَّ أن يقوم بها.

لقد أتت به قومَها تحمله ومعها شهادة المجد والبراءة، فهي ستلجأ إلى الصمت الكامل بعدم مخاطبة الناس، والطفل الرضيع سيُنطقه اللَّه ببراءة أُمِّه، وسيُنطقه الله بالرسالة التي سيقوم بها ويؤدِّيها للناس، متى بلغ السنّ التي قضىٰ الله أن يُبَلِّغَ فيها رسالته.

نعم، لقد أتت به قومها تحمله بكلّ جُرأة، ولديها الاستعداد الكامل للصبر على التُّهم التي ستُوجَّهُ لها، والصبْر على عبارات الشتائم التي ستُقْذَفُ نحوها.

ومنذ شاهدت أوَّلَ إنسان قالت: ﴿إنِّي نذرت للرحمن صوماً فلن أُكلِّم اليوم إنسيّاً﴾.

واعتصمت بالصمت، ورآها قومها تحمل طفلاً رضيعاً لها قد ولدته وهي غير ذات زوج، فقالوا لها مستعظمين هذا الأمر: ﴿يا مريم لقد جئت شيئاً فريّاً﴾ أي: لقد جئت شيئاً عظيماً وَبِدْعاً من الإثم.

وقالوا لها أيضاً على سبيل التهكُّم: ﴿يا أخت هارون ما كان أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾.

قال السهيلي: وهارون هذا رجُلٌ من عُبَّادِ بني إسرائيل المجتهدين، وكانَتْ مريمُ تَشَبَّهُ بِهِ في اجتهادها.

وهذا الكلام الذي وُجِّه لها فيه اتِّهام صريح لها بأنَّها تحمل ولداً من سفاح.

لكنَّها عليها السلام اعتصمت بالصمت والصبر، وثَبَّتَ الله قلبها، فأشارت إلى الطفل أن كلِّموه.

قالوا: مستنكرين ومتعجبين: ﴿كيف نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ في المهدِ صَبِيّاً؟!﴾.

عندئذٍ أنطق الله صبيّ المهد فقال لهم كما ذكر الله في سورة (مريم ١٩):
﴿قال: إنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً (٣١) وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبّاراً شَقِيّاً (٣٢) والسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً (٣٣)﴾.

ولقد كانت هذه الخارقة العجيبة من خوارق العادات بمثابة شهادة من اللّه لعيسىٰ الوليد العجيب بالنبوّة والرسالة، وشهادة من الله لمريم بالبراءة والطهارة التامَّة، وبأنَّ الحمل قد تمَّ بآية ربّانية دون لقاح من بشر، وأنَّه نفخة من روح الله جبريل عليه السلام، بأمر من الله.
وفي هذا الكلام الذي أنطق الله به عيسى عليه السلام وهو في المهد، بيانٌ شافٍ لحقيقة عيسى، فهو كما يلي:

أولاً: هو عبدالله، أي خلق من خلق الله كسائر خلقه، وعبد من عباده كسائر عبيده، وكونه جاء من أنثى بلا ذكر لا يعطيه امتيازاً على سائر البشر من هذه الناحية بالذات، فآدم عليه السلام قد خلقه الله من التراب دون وساطة الذكورة والأنوثة مطلقاً، وحوَّاء قد خلقها الله من آدم فقط.

على أن خلق الله لا يحتاج أصلاً إلى وسائط وأسباب، إنمّا أمره إذا أراد تكوين شيء وخلقه أن يقول له: كن فيكون.

لكنَّ الله عزَّ وجلَّ قضت حكمته أن تجري أعمال خلقه في مجرى العادات ضمن نظام الأسباب والمسببات. لقد حجب الله عن خلقه ذاته، وحجب أفعاله بنظام الأسباب، ودلَّ على صفاته بظاهرات خلقه، وعن طريق

إدراكُ ما نستطيع إدراكه من صفاته ندركُ وجود ذاته، وامتحن عقولنا وقلوبنا بالإيمان بما هو غيب عن حواسِّنَا إيماناً إرادياً، مضمونه الاعتراف الإرادي بالحقِّ المتَّصلِ بذاته وصفاته.

ثانياً: آتاه الله الكتاب، إذ قال: ﴿آتانِيَ الكتاب﴾ وهذا إعلانٌ قبل الوقوع لأمر سيتحقَّق لا محالة، فَهو كالأمر الذي تحقَّق فعلاً وتمَّ تنجيزه، وارتفعت أمام هذه الحقيقة الحدود الزمنيَّة، وظهرت الحقيقة مجرَّدةً من اعتبارات الزمن، فقال بلغة الحقيقة المجرَّدة من الزمن ﴿آتانِيَ الكتاب﴾ وإيتاء الكتاب يُشعر بأنَّه رسولٌ من رُسُل الله.

ثالثاً: جعله الله نبيّاً، إذْ قال: ﴿وجعلني نبيّاً﴾ وهذا أيضاً إعلان قبل الوقوع، ويقال في هذه الحقيقة مثل الذي قيل في سابقتها.

رابعاً: جعله الله مباركاً أين ما كان، إذ قال: ﴿وجعلني مباركاً أين ما كنت﴾.

والمبارك هو من زاد الله في خيراته التي هي خيراتٌ حقيقيةٌ في علم الله، وليست مجرَّد خيرات في نظر الناس ومفاهيمهم، وقد ظهرت هذه الخيرات فيما آتاه الله من علم وحكمة، وفيما آتاه من آيات بيّنات، فقد كان يبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله، ويحيي الموتى بإذن الله، ويخلُق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.

خامساً: أنَّ الله عزَّ وجل أوصاه بالصلاة والزكاة ما دام حيّاً، إذْ قال: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حيّاً﴾.

وهذا يدلُّ على أنَّ من أسس شرائع الرسالات الرّبانية للناس الصلاة والزكاة، إذْ أوصاه الله بهما، فدلَّ على أنَّهما مما سلفت الشرائع بهما.

سادساً: أنه بَرٌّ بوالدته، إذْ قال: ﴿وبرّاً بوالدتي﴾.

وفي هذا بيان لحقّ الأمّ على ولدها، وإشعار بأنَّه وليد أمٍّ فقط، بخارقة ربّانية، وليس وليد أمٍّ وأب.

وفي هذا أيضاً إعلانٌ براءتها وطهارتها وعفَّتها، وأنَّها كانت محل عناية الربّ تبارك وتعالى، إذِ اصطفاها لحمل هذا الوليد المبارك العجيب.

سابعاً: أنَّ الله لم يجعله جبّاراً شقيّاً، إذْ قال: ﴿ولم يجعلني جبّاراً شقيّاً﴾.

وفي هذا إعلانٌ أنَّه ليس هو الشخص الذي يتمنَّىٰ اليهود أن يوجد فيهم، فيقيم لهم مُلكاً على ما يشتهون، وهم لا يرضونه مخلّصاً رسولاً، ولكنَّهم يطلبونه ملكاً جبَّاراً، يُعطي اليهود في الأرض سلطاناً على غير هدى، وجبروتاً بالباطل، ولو كان كذلك لكان شقيّاً.

وفيه بيان أنَّه سوف لا يستخدم ما لديه من خوارق وقوىٰ منحه الله إياها ليكون جبّاراً في الأرض، ولو كان جبّاراً لكان شقيّاً.

ثامناً: أنَّ الله أكرمه فجعل السلام عليه يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حيّاً، إذْ قال: ﴿والسلامُ عليَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أموتُ وَيَوْمَ أبعثُ حيّاً﴾.

وفي هذا تكريم من الله له بالتحية، وحفظ له من أعدائه الذين يريدون به كيداً، فهو منذ ميلاده حتى موته محفوف بالسلام من الله، فلا يصل إليه أعداؤه بسوء، وهو محفوظ من الله بالسلام يوم يبعث فلا يمسه سوء يوم القيامة.

الفصل الثاني

تدبّر آيات الصيام
الذي فرض الله علينا في القرآن

أوَّل ما نزل في القرآن الكريم بشأن الصيام المطلوب في الشريعة الإسلامية، آياتُ الصيام المنزّلة في سورة (البقرة)، وهي أول سورة نزلت في المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها.

قال علماؤنا: وكان فرض صوم شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية، وهذا يقتضي أنْ تكون آياتُ الصيام هذه قد نزلت بعد مرور رمضان من السنة الأولى للهجرة دون أن يفرض فيه على المسلمين هذا الصيام، أمَّا تحديد وقت نزولها فلم أقف على بيانٍ حوله.

وآيات الصيام المشار إليها مبدوأة بنداءٍ نادى الله به الَّذين آمنوا، وهو خامس نداءٍ ناداهم الله به في أول سورة مدنية، فقال الله عزَّ وجلّ في سورة (البقرة ٢):

﴿يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَما كُتِبَ على الَّـذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ (١٨٣) أيّاماً مَعْدُوداتٍ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، وَعَلَى الَّذِيْنَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ (١٤٨) شَهْرُ رَمَضَانَ

الَّذي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ والْفُرْقَانِ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ، وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ، وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون (١٨٥) ﴾.

- ١ -

يا أيُّها الذين آمنوا: نداءٌ موجه بالخصوص للَّذين آمنوا، لأنَّ ما جاء بعده خطاب تكليفي ببعض فروع الشريعة، وخطابات التكليف بفروع الشريعة إنَّما تُوجَّه لمن آمن بالله وباليوم الآخر وبسائر أركان الإيمان.

وطبيعيٌّ جدًّاً أن لا يُوجَّه أمرٌ بأحكام فرعية أو نهيٌ عن أحكامٍ فرعيّة قبل إعلان المخاطب إيمانه بالقاعدة الإيمانية في الإسلام.

إنَّ الَّذين لم يؤمنوا مدْعُوُّونَ أوَّلاً إلى الإيمان، ولهذا نجد الخطاب للناس مؤمنين وغير مؤمنين يتضمَّن غالباً أموراً تتعلَّق بقضايا إيمانية، أو بقضايا كونية، أو بأدلَّة تثبت حقيقة من حقائق أركان الإيمان، أو بظاهرات اجتماعية، أو نحو ذلك. أمَّا الخطاب بفروع الشريعة الإسلامية وأحكامها التكليفية العملية فنجده في القرآن موجَّهاً في الغالب للذين آمنوا، وهذا أمر منطقيٌّ طبيعي بدهي.

إنَّ المطالبة تكونُ أوَّلاً بالانتماء، وبعد الانتماء تكون المطالبة بلوازمه وواجباته، على هذا تسير الجماعات والجمعيات والمنظمات الإنسانية.

أمَّا العقاب يوم القيامة فيكون على الكفر وجحود حقّ الإيمان، ويكون أيضاً على ترك العمل بفروع الشريعة التي هي من لوازم الإيمان، وهذا ما دلَّ عليه قول الله عزَّ وجلّ في سورة (المدثِّر ٧٤):

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُوْنَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِيْنَ (٤١): مَا سَلَكَكُمْ في سَقَرَ؟ (٤٢) قالوا:

لم نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)﴾.

فَدَلَّ هَذَا عَلَىٰ أَنَّ حقّ الله على عباده يتلخَّص بأمرين، والثاني منهما لازم لزوماً طبيعيّاً للأول منهما.

أمَّا أوّلُهما فهو الإيمانُ بِهِ ربّاً خالقاً منعماً رازقاً إلى سائر أركـان الإيمان.

وأمَّا ثانيهما فهو الطاعة له تبارك وتعالى، وعبادته، لكنَّ الطاعة أو العبادة لا تكون حقيقيَّةً ولا معتبرة ما لم تكن أثراً وثمرة لإيمانٍ صادقٍ صحيح.

لذلكَ فإنَّ طَريق أداء حقّ الله على عباده يبدأ بالإيمان أوَّلاً، ثم ينتقل إلى لازمه الطبيعي وهي الطاعة والعبادة.

غير أنَّ الحساب والجزاء سيكونان على الحقَّيْنِ معاً، حقِّ الإيمان وحقِّ الطاعة والعبادة.

ويدخلُ في حقِّ الطاعة كُلّ فروع الشريعة التي خاطب اللَّهُ عَزَّ وجلَّ بها المؤمنين، لأنَّه قد كان المفروض على كلِّ كافِرٍ أنْ يؤمن، فإذا آمن بالقاعدة الإيمانية في الإسلام، فالمفروض عليه أن يعبد الله ويطيعه، ولا يعصيه في أوامره ونواهيه.

وبهذا الفهم نتخلَّص من خلافٍ موجود عند علماء الكلام وعلماء أصول الفقه حول المسألة التالية:

هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة أو غير مخاطبين بها؟

فمسألة الإيمان ولوازمه لدى الحساب والجزاء غير مسألة الدعوة إلى الدين، ومراحل الخطاب فيها، فالدعوة إلى الدين والخطابات فيها تأتي متدرِّجة من الأصول إلى الفروع، ولا يصحُّ الانتقال فيها إلى الفروع حتَّى

يستجيب المدعوُّ إلى الأصول، مع أنَّ خطَّة الدعوة المقرَّرة سلفاً قد رسمت إلزام المدعوّ بحق الإيمان وحق العبادة والطاعة.

ولمَّا كانت الطاعة في الواقع العمليّ فرعاً للإيمان لم يكن أمراً منطقياً أنْ نُطَالِبَ بطاعة الأوامر والنواهي في السلوك العملي، قبل أن يُعلن المدعوُّ استجابته للقضية الأولى التي هي قضيَّةُ الإيمان.

وترغيباً في الإيمان جعلَهُ اللَّهُ يَجُبُّ ما قبله من كفر وعِصيان، فمن تأخَّر إيمانه، ثمَّ آمن قبل أن تنزل به مصيبة الموت، كَفَّر الله له بإيمانه ما سبق من سيئات عمله، فلا يُحَاسَبُ على مَا فرَّط في جنبِ الله قبل ذلك، ومنها فروع الشريعة التي كان مسؤولاً عنها وعن قاعدتها الإيمانية معاً.

وقد بدأ هذا النصّ قبل توجيه التكليف بقول الله: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا﴾ ليمهِّد لتوجيه التكليف، بتحريك عنصر الإيمان، الَّذي يُهوِّن على النفوسِ الصِّعابَ مهما عظمت.

وحين نتدبَّر قول الله تعالى في النص:

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.

بمنظار الحكمة التربوية، والبلاغة الأدبية، نلاحظ:

أَنَّ التكليف بأمر شاقٍّ على النفوس يقتضي من الناحية التربويـة، والبلاغة الأدبيَّة، محاصرة دوافع المخالفة النفسية من عدَّة جهات:

● منها إثارة الدَّوافع الوجدانية والبواعث الدَّاخلية في المكلَّف، وقد حصل هذا بتحريك عنصر الإيمان أقوى الدوافع الوجدانية في الإنسان.

● ومنها شعور المكلَّف بأنَّه لم يُخَصَّ وحده بهذا النوع من التكليف، بل شأنه فيه كشأن غيره، وقد حصل هذا ببيان أنَّ فريضة الصوم قد كانت على الأمم السابقة أيضاً.

● ومنها إقناعه بأنَّ طاعَتَهُ وقيامَهُ بِمَا فُرِضَ عليه لمصلحة نفسه، وهٰذا ما يوحي به قوله تعالى في آخر الآية: ﴿لعلكم تتقون﴾.

فالإيمان مُحرِّكٌ وَدَافِعٌ وجداني، ومشاركة الناس في القيام بالتكليف يُصاحِبُها شعورٌ بحركة جماعيّة تخفِّف عن النفس ثِقَلَ العمل. وشعور ممارس التكليف بأنَّ العملَ هو لمصلحته، محرِّكٌ ودافِعٌ نفسيٌّ ذاتي يُرَغِّب في ممارسة العمل وينشِّط النفسَ له، ويشحَنُ الهمَّة والعزيمة بقوىً إضافية للقيام به، والصبرِ على متاعبه ومشقَّاته.

فالذين يدخلون حلبات المصارعة الحرَّة أو الملاكمة، إنَّما يهوِّن على نفوسهم آلامَ الضربات التي تقع عليهم، ما يرجونه من الظفر بالانتصار أو الأجر المادّي الذي يحصلون عليه، ولولا وجود هذا الدافعِ النفسي لكانت ضربةٌ واحدة من مئات الضربات التي يتحمَّلونها كافيةً لإِثارة غضبهم العنيف ونقمتهم العظيمة.

والذين يحفرون المناجم ويعرِّضون أنفسهم لمشقاتٍ ومتاعب جسيمة، ولمخاطر قد تكون سبباً في هلاكهم، إنَّما يهوِّن عليهم المشقات ما يطمعون به من مغانم وأجور، أو كنوز ثمينة ومعادن نفيسة، إذْ يَرَوْنَ أنّ حصولهم على ذلك هو لمصلحتهم.

- ٢ -

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ: أي فُرِضَ عليكم الصّيام، فكلمةُ (كُتِبَ) في القـرآن قد تأتي أحياناً بمعنىٰ (فُرِضَ) وقرينة السِّياق تدلُّ عليه.

وهذه الجملة هي نصّ مادَّة تكليفية، تضمّنت الإعلام بفرضية الصيام منذ نزولها، ولكن لا تتعلق المسؤولية إلاَّ بالعلم بها وببيان كيف يكون الصوم.

وأصل المعنى يدور حول كتابة أمرٍ قضاه الله، فإن كان القضاء قضاءً بتكليفٍ لعباده، فكتابته تسجيل لهذا التكليف، فتأخذ الكتابة معنى الإلزام والفرضية، وإن كان القضاء قضاءً بخلق وتكوين أو بأمرٍ من أفعال الله،

فكتابته تسجيل لقضاء تكويني قضاه الله وقَدَّره، فتأخذ الكتابة معنى القضاء والقدر لفعل من أفعال الله في خلقه وتكوينه.

وقضاء الله منه ما هو قضاء بتكليف لعباده الذين منحهم إرادات حرَّة ليبلوهم أيُّهم أحسن عملاً، وتبليغه للعباد يكون بالأمر أو النهي التكليفيين. ومنه ما هو قضاء بخلق أو فعلٍ، وتنجيزه يكون بالأمر التكويني، كُنْ فيكون.

والكتابة تابعة لنوع القضاء التكليفي أو التكويني، لأنَّ الكتابة تابعة للعلم، والعلم يتعلَّق بأحكام العقل كلّها (الواجب والجائز والمستحيل) ولا تعني الكتابة دائماً أنَّها كتابة لأمر مقضي بالإرادة، سواءٌ أكانت إرادةً تكوينيّة أو تكليفيَّة.

● فمن الكتابة الواردة في القرآن للدلالة على أن الشيء أو الأمر قد فرضه الله سبحانه وتعالى على عباده، وكلَّفهم إياه تكليف إلزام ما يلي:

١ - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ البقرة آية (١٨٣).

٢ - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ البقرة آية (٢١٦).

ونظيرها الكتابة بمعنى الإلزام فمنها:

١ - قول الله عزَّ وجل في سورة (الأنعام ٦): ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ (١٢)﴾.

أي ألزم نفسه تبارك وتعالى بالرحمة.

٢ - وقول الله فيها أيضاً: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمة (٥٤)﴾.

ونظيرها أيضاً الكتابة بمعنى الحكم الذي حكم به الله وأمر بالعمل به، ومنها قول الله عزَّ وجلّ بشأن ما في التوراة من أحكام القصاص في سورة (المائدة ٥):

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظالمون (٤٥)﴾.

فحكْمُ الله في الجنايات البدنية عمداً وعدواناً هو القصاص إذا لم يعف المجنيُّ عليه أو أحد أولياء القتيل، وهذا الحكم يجب على المجتمع المسلم تنفيذه.

● ومن الكتابة الواردة في القرآن للدلالة على أن الشيء أو الأمر مقضيٌّ بقضاء تكويني ما يلي:

١ ـ قول الله عز وجل في سورة (آل عمران ٣): ﴿قل: لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتلُ إلى مضاجعهم (١٥٤)﴾.

٢ ـ وقول الله عز وجل في سورة (التوبة ٩): ﴿قل: لن يصيبنا إلَّا ما كَتَبَ الله لنَا (٥١)﴾.

٣ ـ وقول الله عز وجل في سورة (المجادلة ٥٨): ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)﴾.

أي: قضى الله بقضائه التكويني ذلك.

● وقد تأتي الكتابة في القرآن بمعنى مطلق التسجيل للأمر المعلوم ممَّا كان، ومما هو كائن، ومما سيكون، ولو لم يكن للإرادة والقدرة تعلُّقٌ به مطلقاً، ككتابة الحقائق الأزلية، وكتابة أفعال العباد الاختيارية، وكتابة المستحيلات التي لا يمكن أن تكون بحالٍ من الأحوال، فمن ذلك:

قول الله عزَّ وجلّ في سورة (يس ٣٦):

﴿إنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ ونَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إمَامٍ مُبِينٍ (١٢)﴾.

ـ ٣ ـ

كَمَا كُتِبَ عَلَىٰ الَّذينَ مَنْ قَبْلِكُمْ: أي: فُرِضَ عليكم الصيام كما فُرض الصيام على الذين من قبلكم من أمم الرسالات السابقة.

فظاهر هذا البيان القرآني يدلُّ على أنَّ الشرائع الرَّبانيّة السابقة فيها صيامٌ مفروض على أمم هذه الشرائع، وظاهر التشبيه يدلُّ على أنَّ الصيام

المفروض علينا في القرآن مثل الصيام الذي فُرِضَ عليهم، ولكنَّ هذا الظاهر غير قطعيّ، إذْ يحتمل أن يكون التشبيه ملاحظاً فيه أصل الصيام وبعضُ وجوه التماثل، دون التطابق التامّ، ونظراً إلى أنَّ أهل الكتاب السابق قد حرَّفوا في شرائعهم وبدَّلوا، فإنَّه ليس بين أيدينا صورة صحيحة عن الصيام الذي كان مفروضاً عليهم، حتى نحدِّد على أساسها مدى التشابه بين الصيـام في الإسلام، والصيام في الشرائع السابقة.

وقد ثبت عندنا في السنة النبوية أنَّ اليهود كانوا يصومون اليوم العاشر من شهر المحرَّم، وهو المسمَّى عاشوراء، وأنَّ قريشاً في الجاهلية كانوا يَصومون هذا اليوم، وأنَّ رسول الله ﷺ والمسلمين صاموه قبل أن يفرض صيام شهر رمضان. وذُكر في تعليل صيام هذا اليوم بالذَّاتِ أنَّه هو اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على جبل الجودي، فصامه نوح عليه السلام، وصامه موسى عليه السلام شكراً لله تعالى، وأنَّه هو اليوم الذي نجَّىٰ الله فيه موسى وبني إسرائيل من فرعون وجنوده، فاليهود يعظِّمون هذا اليوم، ويتخذونه عيداً، ويصومونه.

وبعد فرض صيام شهر رمضان ظلَّ رسول الله ﷺ وكثير من المسلمين يصومون يوم عاشوراء على أنَّه تطوُّع، وليس بصومٍ مفروض.

وفيما يلي طائفة ممَّا جاء في السنة حول صيام عاشوراء.

١ ـ ثبت في الصحيح عن ابن عبَّاس قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصومُ عاشوراء، فقال: «ما هذا؟».

قالوا: يومٌ صالح نجَّىٰ الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوِّهم، فصامه موسى، فقال رسول الله ﷺ:

«أنا أحقُّ بموسى منكم، فصامه، وأمر بصيامه».

٢ ـ وفي الصحيح أيضاً عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت رسول

الله ﷺ يقول: «إنَّ هذا يومُ عاشوراء، ولم يُكتبْ عليكم صيامه، وأنا صائم فمن شاء صام ومن شاء فلْيُفْطر».

٣ ـ وروى مسلم عن ابن عبَّاس، قال: لمَّا صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه ـ وكان ذلك قبل وفاة الرسول ﷺ بسنة ـ قالوا: يا رسول الله، إنَّه يومٌ تعظِّمه اليهود والنصارى، فقال: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صُمْنا اليوم التاسع».

قال ابن عباس: فلم يأت العام المقبل حتى توفِّي رسول الله ﷺ.

وفي رواية عند الإمام أحمد، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا اليهود، صوموا قبله يوماً وبعده يوماً».

أمَّا النصارى فهم يصومون الآن بطريقة محرَّفة عن أصل شريعتهم، وقد رُوي عن الحسن ـ كما ذكر الرازي في تفسيره ـ أنَّ النصارىٰ صاموا أوَّل ما صاموا شهر رمضان، ثُمَّ جاءهم رمضان في حرٍّ شديد. فحوَّلوه إلى وقت لا يتغيَّر(١)، ثُمَّ قالوا عند التحويل: نزيد فيه، (أي: تعويضاً عن عملية التغيير في شرع الله) فزادوا عشراً، فصاروا يصومون أربعين يوماً، ثُمَّ بعد زمانٍ اشتكىٰ ملكهم(٢)، فنذر سبعاً، فزادوا الصيام سبعة أيَّام أخرى، ثمَّ جاء مَلِك آخر فقال: ما بالُ هذه الثلاثة؟، فأتمَّه خمسين يوماً.

قال الحسن: وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا إلَٰهاً وَاحِداً لَا إلَٰهَ إلاَّ هُوَ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ (٣١)﴾(٣).

وقد نفهم مما رواه مسلم وغيره عن عَمْرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيامِنَا وصِيَامِ أَهْلِ الكتابِ أَكْلَةُ السَّحَر».

(١) أي: جعلوا شهر الصوم شهراً ثابتاً من نظام الأشهر الشمسية في وقت معتدل.
(٢) أي: نزل به مرض شديد.
(٣) سورة (التوبة ٩).

أنَّ صيام أهل الكتاب مطابق في الأصل للصيام الثابت في الإسلام من كلِّ الوجوه، باستثناء أكلة السَّحر، إلَّا أنَّهم حرَّفُوا وبدَّلوا، ومن تحريفهم أنَّهم يؤخرون الفطر عن غروب الشمس إلى رؤية النجوم.

- ٤ -

لعلكم تتقون: أي: لعلكم تحفظون نفوسكم، وتصونونها، بوقاية تتَّخذونها.

تقول لغة: وقيتُ الشيءَ أقيه، إذا صُنتَهُ وسترتَهُ عن الأذى، وجَعَلْتَ بينه وبين ما يُؤْذيه وِقاية.

وتقول: توقَّيتُ واتّقيتُ الشيءَ، إذا حفِظتَ نفسَك وصنتَها ممَّا يأتي من قِبَلِهِ مِمَّا تكرهُ من ضُرٍّ أو أذىً أو عُقُوبة.

ومصدر «وقـى» يأتي «وَقْياً، وَوِقَايَةً، وواقية».

وتقول في «توقّىٰ»: تَوَقّياً. وفي «اتقىٰ»: اتِّقَاءً. والاسم (التقوى).

فمن يتَّقِي الله بالطاعة يحفظ نفسه من عقوبته، وقد يحفظ نفسه أيضاً من أمور هي له ضُرٌّ وأذىً في الحياة الدنيا، بحسب سُنَن الله الكونية، في مجرى الأسباب والمسببات.

فمن يطيع الله في اجتناب شرب الخمر مثلاً يقي نفسه في الدنيا من الأضرار التي يجلبها شرب الخمر، ويقي نفسه من عقاب الله يوم الجزاء الأكبر. وهكذا كثير من التكاليف الرّبانية.

وفريضة الصيام من هذا القبيل، فمن أدَّى هذه الفريضة على وجهها المشروع رجَا أن تقيه في الدنيا بعض ما يَضُرُّه أو يؤذيه، بحسب سنن الله الكونية، في مجرى الأسباب والمسببات، منها ما يتعلَّقُ بصحة جسمه، ومنها ما يتعلَّق بصحة نفسه، ورجا أن تقيه في الآخرة عقاب المخالفة، وقسطاً آخر من عقاب الله له على سيئات ومخالفات ارتكبها، لأنَّ الحسنات يذهبن السيئات بفضل الله.

وختم الآية هُنَا بقول الله عزَّ وجلّ: ﴿لعلكم تتقون﴾ قد تكرَّر نظيره في القرآن الكريم ختاماً لنحو تسع آيات.

ومن سبر دلالات الآيات التي جاء في ختامها هذه الجملة أو نظيرها نستطيع ترجيح الدلالة الأقرب.

أ ـ ففي أوائل سورة (البقرة ٢) جاء قول الله عزَّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) ﴾.

من هذه الآية نفهم أنَّ عبادة الله تُعْطِي العابدين رَجَاء أن يَقِيَهم الله عذابه، ولو بدرت منهم هفواتُ معاصٍ وسيِّئاتٍ ومخالفات، فالعباداتُ مكفِّرَات للمخالفات، والحسناتُ يذهبن السيئات.

ب ـ ويقول الله عزَّ وجل في سورة (البقرة ٢) أيضاً خطاباً لبني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ: خُذُوا ما آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ واذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ﴾.

أي: خُذوا التوراة ووصايا اللّهِ وشرائِعَهُ بقوَّةٍ، وهي قُوَّةُ الإيمان وقُوَّةُ إرادة العمل بما جاء فيها، واذكروا باستمرار نصوصها ودلالاتها لعلَّكم تتقون، أي: رجاءَ أن يقيكم الله عذابه وسخطه يوم الدين، ويكفر عنكم بحسناتكم سيئاتكم، إذا أخذتم ما آتاكُمُ الله بقوة وذكرتم ما فيه، إذْ تكونون بهذا الأخذ القوي وبهذا الذكر المستمرّ عاملين بأوامر الله ونواهيه في معظم أحوالكم، فيقيكم ذلك عذاب الله وسخطه.

جـ ـ ويقول الله عزَّ وجل في سورة (البقرة ٢) أيضاً خطاباً للذين آمنوا: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ﴾.

أي: فرض الله علينا أحكام القصاص، رجاءَ أن نَتَّقِي بتطبيقها شرور أنفسنا، ونقي مجتمعاتنا عدوان من تُحَدِّثُهم نفوسهم بجرائم العدوان على نفوس الناس، ولا يجدون رادعاً يردعهم إلاَّ الخوف من تطبيق أحكام القصاص، ورجَاء أن نَتَّقِي بتطبيقها عقاب الله وعذابه، فمن خاف من

القصاص المعجل فلم يرتكب جريمة القتل أو القطع أو الجرح اتَّقىٰ أيضاً عذاب الله وعقابه يوم الدين، أمَّا من لم يخف من القصاص المعجل فقد يرتكب الجريمة، فيقتل أو يجني جناية دون القتل، فيعرِّض نفسه لعقاب الله وعذابه على ذلك يوم الدين، مع ما يجني على نفسه وقومه والمجتمع كلِّه من شرور كثيرة في الحياة الدنيا.

د ـ ويقول الله عزَّ وجل في سورة (الأنعام ٦) خطاباً لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِيْنَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون (٥١)﴾.

أي: وأَنْذِرْ يا محمد بما يُوحَىٰ إليك من القرآن الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربِّهم، أي: وصلوا في الاقتناع بأركان الإيمان إلى مرحلة يخافون فيها أن يحشروا إلى رَبِّهم لمحاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم في الحياة الدنيا، حالة كونهم مُجَرَّدين من أي وليّ من دون الله ينصرهم، وأي شفيع من دون الله يشفع لهم.

هؤلاء إذا أنذرتهم تأثَّروا بالإنذار فكان حالهم حال من يرجى إيمانُه وطاعته واستقامته، فيتجه للإيمان والعمل الصالح، راجياً أن يقيه الله العذاب المقرَّر للكافرين والمجرمين والعاصين.

هـ ـ ويقول الله عزَّ وجلّ في سورة (الأنعام ٦) أيضاً: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ (١٥٣)﴾.

أي: ذلكم وهو اتّباع صراط الله المستقيم، وعدمُ اتباع السبُل التي تتفرَّق بكم عن سبيله، وصَّاكُمُ الله به، رجاءَ أن تختاروا لأنفسكم العمل بهذه الوصية الربّانية لكم فتتَّقُونَ بِعملكُمْ عقاب الله وعذابه على المخالفة يوم الدين، وتتقون أنواع الشرور والآلام والمتاعب لأفرادكم ومجتمعاتكُمْ، التي تجلبها لكم أهواؤكم وشهواتكم وأنانيَّاتكم، إذا هجرتم صراط الله المستقيم

واتَّبعتم السبُل المتفرِّقة المتَشَتِّتة، والممزِّقة المسبِّبة للعداوة والبغضاء والتقاتل فيما بينكم.

وعلى وفق هذه المفاهيم التي فهمنا بها جملة ﴿لعلكم تتقون﴾ في النصوص السابقة نستطيع أن نفهمها في سائر النصوص، ومنها آية الصيام التي نتدبَّرها فقول الله عزَّ وجلّ: ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيامُ كَمَا كُتِبَ على الَّذِين من قبلكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقون﴾.

أي: فرض عليكم الصِّيام كما فُرِضَ على الذين من قبلكم رجاء أن تختاروا بإراداتكم الحرة العمل بهذه العبادة التي فُرِضَتْ عليكم، فتتقون بذلك عقاب الله على المخالفة، وتتّقونَ أيضاً مضارَّ جسدية ونفسية واجتماعية، للصيام تأثير في اتقائها والحماية منها بمقتضى سنن الله السببيّة في هذه الحياة الدنيا.

فالفكرة الشائعة التي يقول الكثيرون من الدعاة فيها: إنَّ الصيام عبادة تورث التقوى بما فيه من كسر شهوة البطن والفرج، فكرةٌ لا أراها تنسجمُ مع أصل دلالة النَّص، بعد سبر النصوص القرآنية التي ختمها الله بقوله: ﴿لعلكم تتقون﴾ وإنْ كان الصيام بحدٍّ ذاته قد يساعد فعلاً على التزام الطاعة في مجالات أخرى، ويساعد على التزام فضيلة التقوىٰ في أمور كثيرة كما سيأتي بيانه وتعليله.

وإذا رجعنا إلى أصل مادَّة التقوى، وجدنا أنَّ معناها يدور حول سلوك دافعه الخوف، ومن شأن هذا السلوك أن يقي صاحبه ما يُخافُ منه.

فمن عَبَد الله عزَّ وجلّ وأطاعه رَجَا بعمله الخالص لوجهه عزَّ وجل أن يَقِيَهُ عذابه وسخطه، وإنَّما كان رجاءً غير مقطوع به، لأن الإنسان مهما استقام على طاعة الله فلا بدَّ أن يقع ببعض المعاصي التي يستحق عليها العقاب، لكنَّ العمل الصالح مع عفو الله وغفرانه سبب راجح في تحصيل الوقاية المطلوبة، فالوقاية مرجوَّة، غير مقطوع بها، يضاف إلى ذلك ملاحظة ما قد يتعرَّض له الإنسان في مستقبل حياته.

وإذا جعلنا أصل التكليف معلّلاً بالرجاء فلأنَّ الله جعل الإنسان حرّاً مختاراً، يُطيع أو يَعصي بمشيئته، فتوجيه التكليف له مقرون برجاء أن يطيع، فيقيه الله عقابه وعذابه المقرَّر على المعصية، وهذا المعنى لا إشكال فيه، ولا يتنافى فيما أرى مع كمال صفات الله عزَّ وجل.

وبالنظر إلى ما ورد في القرآن الكريم من نظير هذا التعبير، مثل: ﴿لعلكم تشكرون﴾ و﴿لعلكم تتفكرون﴾ و﴿لعلكم تعقلون﴾ و﴿لعلَّهم يتضرَّعون﴾ و﴿لعلَّهم يحذرون﴾ و﴿لعلَّهم يتذكرون﴾ و﴿لعلهم يهتدون﴾ وأمثالها مما يزيد على مئة نظير، أقدِّمُ هنا البيان التالي، ليكون هادياً للمتدبِّرِ في كلِّ النظائر.

قال أهل اللُّغة: كلمة «لعلَّ» تدلُّ على الرَّجاء، والطمع، والشكِّ.

وقال قطرب منهم: تأتي كلمة «لعلَّ» بمعنى «كي» أي: لأجل كذا.

وقال بعض المفسرين: هي في القرآن للترجِّي، والإطماع، وحينما تكون للإطماع فهو إطماع من كريم، وإطماع الكريم يجري مجرىٰ وعده الذي يتحقَّقُ لا محالة، وبهذا قال «سيبويه» من أئمة النحويين.

وذكر ابن هشام في «مغني اللبيب» أنَّ «لعلَّ» تأتي لعدَّة معانٍ:

أحدها: التوقُّع. وهو ترجِّي المحبوب، والإشفاق من المكروه، قال: وتختصُّ بالممكن.

الثاني: التعليل، وذكر أنَّ جماعة من النحاة قد أثبتوه، منهم الأخفش والكسائي.

الثالث: الاستفهام، وذكر أنَّ الكوفيين قد أثبتوا هذا المعنى لها.

في ضوء هذه المعاني التي ذكرها اللغويون والنحويّون لكلمة «لعلَّ» باستطاعة المتدبِّر لكتاب الله أن يرجِّح المعنى الأقرب للمراد إن شاء الله من نظائر ﴿لعلكم تتقون﴾.

والذي يبدو لي بعد التأمُّل أنَّ أقرب المعاني وأنسبها في مثل هذا التعبير القرآني لكلمة «لعلَّ» معنىٰ الترجِّي والتوقُّع، ومعنى التعليل.

أمَّا معنى التعليل فظاهر لا إشكال فيه في كلِّ النصوص أو معظمها إذ نقول بمقتضاه: ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي: لأجل أن تختاروا بإراداتكم الحرَّة طريق الشكر فتشكروا الله على نعمه. و﴿لعلَّكم تتفكرون﴾ أي: لأجل أن تكون الآيات دافعةً لكم للتفكير، فتختاروا بإراداتكم الحرَّة طريق التفكر فتتفكروا في آيات الله، وهكذا إلى سائر النصوص.

وأمَّا معنى الترجِّي والتوقع فنقول بمقتضاه مثلاً:

- ﴿كذلك يبيِّن الله آياته للناس لعلَّهم يتقون﴾. أي: رجاء أن يتقوا مستخدمين إراداتهم الحرَّة في طريق التقوى، لا في طريق الهلكة والمعصية.

- ﴿كذلك يبيِّن الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ أي: رجاء أن تنتفعوا بالآيات فتعقلوا نفوسكم عن اتباع الهوى بإراداتكم الحرَّة.

- ﴿وأنزلنا فيها آياتٍ بيِّناتٍ لعلَّكُمْ تذكَّرون﴾ أي: رجاء أن توجّهوا إراداتكم الحرَّة لتفهُّم ما فيها، فتتذكَّروا وتتعظوا بما فيها من عظات وهكذا إلى كثير من النصوص.

ويظهر معنى التعليل ويضعف معنى الرجاء في مثل قول الله تعالى:

١ - ﴿واتَّقُوا الله لعلَّكُمْ تُفْلِحُوْن﴾ أي: لتفلحوا، فمن اتقى الله حقّاً ومات على ذلك أفلح حتماً، إذ هو وعدٌ جازم من الله، والله لا يخلف الميعاد.

٢ - وقوله تعالى: ﴿واتَّقُوا اللَّهَ لعلَّكُمْ تُرْحَمُون﴾ أي: لتنالوا رحمة الله، فمن اتقى الله حقاً وصدقاً نال من رحمته، إذ هو وعد جازم من الله، والله عزَّ وجلَّ لا يخلف الميعاد.

ولا أرى داعياً في نظائر هذين المثالين إلى تأويلها على معنى: اتقوا

الله طامعين أو راجين أن تُرحموا، والله أعلم.

إشكالٌ ودفعُهُ:

ويشكل معنى الترجِّي على بعض المتدبِّرين لكلام الله، باعتبار أنَّه صادر عن الله العليم الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية من عباده، ما كان منهم، وما هو كائن، وما سيكون.

ولإيضاح معنى الترجِّي والتوقع في مثل: ﴿لعلكم تتقون﴾ و﴿لعلكم تشكرون﴾ و﴿لعلكم تذكـرون﴾ أقوالاً صادرة عن الله عزَّ وجل، أقول:

لمَّا أراد الله أن يخلُق الإنسان ليضعه موضع الامتحان في ظروف الحياة الدنيا، منحه الصفات التي يكون بها أهلاً للامتحان والاختبار، وفي مقدِّمتها جهاز المعرفة، والإرادة الحرَّة في اختيار ما يعمل، ونوازع الطاعة، ونوازع المعصية.

ومن شأن الإدارة الحرَّة أن تختار الطاعة أو المعصية دون إجبار من قوَّةٍ ضاغطة.

وما دامت إرادات المخلوقين الممتحنين حرَّةً فليس من المفروض أن يكون لها مسير واحدٌ في كلِّ الأحوال، ولو كان لها مسير واحدٌ لا تستطيع أن تتعدَّاه لَمَا كانت إراداتٍ حرَّة، فمن البدهيّ إذن أن تتوزَّع إراداتُ المخلوقين الأحرار ذات اليمين وذات الشمال.

فتوجيه الأوامر والنواهي والمذكّرات وإنزالُ البيانات إنَّما يستقيمان إذا وُجِد رجاءٌ باستجابة الممتَحنين المكلَّفين، كُلِّهم أو بعضهم، أمَّا لو كان الرجاء منقطعاً نهائياً فإنَّه لا داعي مطلقاً لتوجيه أيّ شيءٍ من ذلك، وكذلك لو كانت الاستجابة أمراً مقطوعاً بوقوعه، فإنَّ كثيراً من المواعظ والتذكيرات تغدو لا داعي لها، وما لا داعي له مطلقاً أشبه بالعبث، والله تعالى منزّهٌ عن العبث.

وإذا تساءل متسائل: ألا يعلم الله سابقاً من يستجيب من عباده له، ويعلم من لا يستجيب منهم؟

وبما أنَّه سبحانه يعلم كلَّ ذلك فما معنى الترقّب والترجّي بالنسبة إليه؟

فالجواب أنَّ الله عزَّ وجلَّ وضع عباده موضع الامتحان ومكَّنهم من اختيار ما يريدون من إيمان وكفر وخير وشرّ، ولم يجعل علمه السابق بما سيختارونه مجبراً لهُم، ولا رافعاً لاختيارهم.

وبمقتضى كونهم ممكَّنِين من اختيار ما يشاءون ومن فعل ما يشاءون أمرهم ونهاهم، وأرسل إليهم رُسُله، وبلَّغهم شرائعه، وأقام لهم الحجج والبراهين والأدلَّة.

فالتبليغات ووسائل التربية الرَّبَّانية، والبيانات، وكلّ تصاريف الامتحان، ثم الثواب والعقاب والمحاسبة، إنَّما تأتي على أساس مجرى سنن الله في عباده، وعلى وفق المنح التي أعطاهم الله إيَّاها، وعلى وفق الظروف المحيطة بهم، ضمن مبدأي العدل والفضل، ومن المنح التي لدى العباد المكلفين الممتحنين إراداتهم الحرَّة، وتمكينهم من فعل ما يشاءون من خير وشرّ.

ولا تأتي على أساس سوابق العلم الرَّبَّاني، فأصل التساؤل غير وارد.

إنَّ الله عزَّ وجل يمتحن ويخاطب ويؤدِّب ويُربِّي ويجري تصاريفه في عباده وفق السنن العامَّة التي نظَّم بها كونه، ووفق المنح والخصائص التي منحها عباده، وضمن أحكم وسائل التعليم والتربية والتأديب، وهو عزَّ وجلَّ ينزل كلامه مطابقاً لذلك ومناسباً له، ولو كان يعلم سابقاً أنَّ هذا العبد من عباده سوف لا تجدي معه مثلاً خطَّة الإمهال، أو أسلوب المعالجة الطويلة الأمد، المقرونة بالحكمة والحلم، أو القول الرفيق المهذَّب، أو نحو ذلك.

فالعلم السابق غير مجبر، إنَّما هو كاشفٌ فقط لما سيكون عليه واقع

حال الممتحنين المخيَّرين، ولكنَّ مثل هذا العلم لا يكفي لترتيب الجزاء المادِّي بالعدل.

بعد هذا يظهر لنا أنَّ الأصل فيمن منحهم الله الإرادات الحرَّة أن يُرْجَىٰ منهم أو من بعضهم أن يستجيبوا إذا دُعُوا وذُكِّروا وَوُعِظوا، وبُيِّنت لهم الشرائع والتكاليف، لذلك تنزل الخطابات وفيها بيانُ هذا الرجاء، وقد تحقق في بعض المخاطبين، وواقع حال الناس قد كشف ذلك.

ـ ٥ ـ

أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ: أي: فُرض عليكم الصيامُ أياماً معدودات. وقد جاء ذكر الأيام التي يجب صيامها هنا مجملاً، كما لم يُبيَّن في الصيام المفروض ما يجب الامتناع عنه بالصيام، ولا الوقت الذي يبدأ فيه الصيام ولا الوقت الذي ينتهي عنده الصيام من يوم الصوم.

إنَّ المتدبِّر للنَّص لا بدَّ أن يلاحظ فيه الأسلوب البيانيّ المتدرج.

أ ـ ففي الآية الأولى منه أعلن البيان القرآني للَّذين آمنوا أنَّ الله قد فرض عليهم الصيام كما فرضه على الذين من قبلهم، أي: فليس الصيام من التكاليف الجديدة التي اختصَّ الله بها هذه الأمة، بل هو شريعة سبقت في الشرائع السالفة.

وفي هذا إعداد تربويّ بديع، كي يَتَقَبَّل المؤمنون المخاطبون بهذا التكليف ما فرض الله عليهم من صيام.

ب ـ وجاء التكليف في هذه الآية الأولى مجملاً، لم تُبيّن فيه الأيَّام التي يجب صومُها، ولا الأشياء التي يجب الامتناع عنها في الصيام، ولا حدود يوم الصوم بداية وانتهاءً.

جـ ـ وفي الآية الثانية منه اشتمل النَّص على تقديم بيان آخر أكثر إيضاحاً من البيان الأول، إلاَّ أنَّه غير كامل أيضاً، ويلاحظ فيه أيضاً أسلوب

الارتقاء التدرجيّ في البيان، دون الوصول به إلى الغاية المطلوبة، فقال تعالى: ﴿أيَّاماً معدودات﴾.

وفي هذا إشعار لهم بأنَّهم لم يكلَّفوا صياماً شاقاً مُضنياً، يأخذ قسطاً كبيراً من عمرهم، إنَّه صيام في أيام معدودات.

وفي هذا أيضاً إعداد تربوي نفسي لتقبُّل فريضة الصيام، فإذا لاحظنا أنَّ المسلمين السابقين الأولين الذين نزل عليهم هذا الخطاب أول ما نزل، لم يسبق لهم أن صاموا بإلزام شهراً كاملاً، وأن من كان يصوم منهم تطوُّعاً ربما كان يصوم اليوم أو اليومين أو الثلاثة الأيام أو نحو ذلك، ظهرت لنا أهميَّة هذا الإعداد النفسيّ المتدرِّج، لتقبُّل هذا التكليف، ولشحذِ الهمَّة النفسية للقيام بهذه العبادة التي فيها نوع مشقة، لا سيَّما في البلاد التي يكثر فيها الحرُّ ويشتدُّ فيها الظمأ.

ثُمَّ أخذ البيان يَشْرَح بعض التفصيلات الفرعية التي تتضمن التخفيف عن أهل الأعذار، قبل إعلان الشهر المفروض صيامه، مراعاةً للتدرُّج التربوي في تبليغ التكليف، خشية أن تتركَّز في الأنفس عوامل النفرة من ثقل التكليف، إذا هي فوجئت دُفعةً واحدةً بكلّ عناصر التكليف الذي لم يسبق لها ممارسته.

— ٦ —

فمن كان منكم مريضاً أو علِى سفر فعدَّةٌ من أيّامٍ أُخر: هذه من التفصيلات الفرعية في الأحكام قبل بيان الشهر المحدَّد للصوم، وهي تتضمَّن بيان أحكام التخفيف ورفع الحرج عن ذوي الأعذار، قبل تحديد الأيام المعدودات بشهر رمضان، ومع ما فيها من حكمة تربوية رفيعة، فهي تعلِّمنا منهج التربية الرَّبَّانية التي علينا أن نتَّبعها في أساليبنا التربوية.

فالمريض الذي يشُقُّ عليه الصيام، وكذلك المسافر، باستطاعة كُلٍّ

منهما أن يفطر في الأيام التي فرض الله على الذين آمنوا صيامها، والواجب عليهما إذا أفطرا أن يقضيا صيام الأيام التي أفطراها من أيامٍ أُخَرَ بعددها، يكونان فيها خاليين من العذر الذي كان السبب في إباحة الفطر لهما.

وقول الله تعالى: ﴿فعدَّةٌ من أيَّامٍ أُخر﴾ أي: فالمفروض عليهما عِدَّةٌ من أيّامٍ أُخر، بدل أيّام الصيام المعيّنة المفروضة على المؤمنين من غير ذوي الأعذار.

وقد شرع الله لهما هذه الرُّخصة مراعاةً لمشقة الصيام في حالة المرض، وقد يزداد المرض بالصوم، ومراعاة لمشقة الصيام في السفر، وهذا من الله تيسير على عباده.

وقد يوحي البيان في النصّ أنَّ أصل المفروض على المريض والمسافر عدَّةٌ من أيامٍ أُخر، تعادل الأيَّام التي أفطراها من أيام رمضان.

وظاهر كلام المفسرين يدلُّ على أن أصل المفروض عليهما هو أيام رمضان، والفطرُ رخصة، وتُقضى أيامُه بعدَّةٍ من أيّام أُخر، لذلك يقدِّرون في النصّ القرآني محذوفاً، فيقولون في تفسير النص: فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فله أن يفطر، فإذا أفطر فعليه صيام عدَّة من أيّامٍ أُخر، أو نحو هذا التقدير.

وعلى هذا فإنَّهما إذا صاما رمضان وتحمَّلا مشقة الصيام سقط عنهما الواجب لأنه هو الأصل، وهو ما ثبت في السنة.

أمَّا ما يوحي به البيان فيكفي أن تُشمَّ منه رائحة إيثار الفطر على الصوم بالنسبة إلى المريض والمسافر، لذلك جاء الإشعار بأنَّ الواجب البديل بالنسبة إليهما هو عدَّةٌ من أيَّامٍ أُخر، ولكن هذا لا يفيد أن من صام منهما الواجب الأصيل بقي في عنقه الواجب البديل.

إنَّ الفطر بالنسبة إليهما رُخْصَةٌ من الله وتيسير عليهما، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ يحبُّ أن تُؤْتَى رخصه كما يحبّ أن تؤتى عزائمه.

ويؤكِّد أنَّ العمل بهذه الرخصة الرَّبّانية أفضل عند الله من إتيان العزيمة أو هما متساويان قول الرسول ﷺ: «ليس من البرّ الصوم في السفر».

روى البخاري ومسلم عن جابر قال: «كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى زحاماً ورجلاً قد ظُلِّل عليه، فقال: «ما هذا؟» فقالوا: صائم. فقال: «ليس من البرّ الصوم في السفر».

ونفي البرّ لا يستلزم نفي التقوى، لأنَّ البرَّ هو التوسع في عمل الخير، وفي تعمد الأفضل والأحبّ إلى الله.

وحينما يكون الصوم بالنسبة إلى المريض أو المسافر من الأعمال الضارَّة في صحتهما، فإنَّ الصيام حينئذٍ يكون محظوراً، لأن من الأسس العامة في الشريعة الإسلامية تحريم ممارسة الأعمال الضارة التي لا يترتب عليها خير أعظم وأجلّ، ولا سبيل إلى تحقيقه إلَّا بهذه الأعمال.

واختلف الفقهاء المجتهدون فيما هو الأفضل بالنسبة إلى المريض والمسافر الذين لا يضرُّهما الصوم، هل الصوم أفضل أو الفطر والقضاء؟ وأسفر اختلافهم عن أربعة آراء:

الرأي الأول:

اتَّجه أصحاب هذا الرأي لتصوُّر أنَّ الواجب الأصليّ بالنسبة إلى المريض والمسافر، أن يصوم كلٌّ منهما عِدَّةً من أيّام أُخر، فلو صاما رمضان مع المرض والسفر لم يجزئْهما عن الفرض الذي عليهما.

وقد أخذ أصحاب هذا الرأي بظاهر قول الله تعالى: ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدَّة من أيَّامٍ أُخر﴾ قالوا: فالواجب الأصليُّ عليهما عدَّةٌ من أيام أخر.

وتأوّل الآخذون بهذا الرأي ما ثبت في السنة من فعل الرسول ﷺ وأصحابه، وإذْن الرسول بالصيام لمن لا يشُقُّ عليه الصيام في السفر، بتأويلات لا تقومُ بها حجَّة مقنعة.

وقد أخذ بهذا الرأي بعض الظاهرية، وحُكيَ عن داود الظاهري وحُكي أيضاً عن الإمامية، وعن جماعة من السلف، منهم عمر، وابن عَمْرٍو، وأبو هريرة، والزُّهري، وإبراهيم النَخعي.

الرأي الثاني:

أنَّ الصوم أفضل من الفطر بالنسبة إلى من يقوى عليه من المرضىٰ والمسافرين، ولا يتحمَّل فيه مشقَّةً ولا عُسْراً، ولا يُصيبهُ به ضرٌّ ولا أذىً.

وقد أخذ بهذا الرأي جمهور الفقهاء، ومنهم الأئمة الثلاثة مالك، والشافعي، وأبو حنيفة.

وروي هذا الرأي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم.

الرأي الثالث:

أنَّ الفطر بالنسبة إلى كلٍّ من المريض والمسافر أفضل من الصوم، ورغم أنَّ الفطر رخصة، فالعمل بالرُّخصة هنا أفضل من العمل بالعزيمة.

واستدلَّ هؤلاء بما فهموا من نصوص القرآن والسنة، وبما ترجَّح لديهم من الجمع بين الأدلة.

وقد أخذ بهذا الرأي الإمام أحمد، والإمام الأوزاعي، وإسحق.

وروي هذا الرأي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، منهم ابن عباسٍ وابنُ عُمر.

الرأي الرابع:

أنَّ الأفضل بالنسبة إلى كلٍّ من المريض والمسافر هو أيسر الأمرين: الصوم أو الفطر.

فمن كان يسهلُ عليه الصيام ويشُقّ عليه القضاء بعد ذلك فالصوم

بالنسبة إليه أفضل، ولا بدَّ أن يكون مشروطاً بمن لا يضرُّه الصوم ولا يؤذيه، ولو كان لا يشُقّ عليه.

ومن كان يشقّ عليه الصيام ويسهُل عليه القضاء بعد ذلك، فالفطر بالنسبة إليه أفضل.

وصاحب هذا الرأي هو عُمَر بنُ عبد العزيز رضي الله عنه، واختاره ابنُ المنذر.

استدراك:

على أنَّ الذين يرون أنَّ الصيام أفضل بالنسبة إلى كلٍّ من المريض والمسافر، بالشروط التي ذكروها، يوافقون على أنَّ من شعر من نفسه الإعراض عن الرخصة، أو خاف على نفسه أنْ يدبَّ إليها الرياء إذا صام، أو اضطرَّ أن يحمِّل غيره أعباء الأعمال التي ينبغي أن يقوم بها رُفقاء السفر فالأفضل بالنسبة إليه أن يفطر في السفر، وكذلك في المرض فهو من باب أولى.

الأدلة:

١ ـ روى مسلم والنَّسائي عن حمزة بن عَمْروٍ الأسلمي، أنَّه قال: يا رسول الله، أجدُ قُوَّةً على الصَّوم في السفر، فهل عليَّ جُناح؟ فقال ﷺ: «هي رخصةٌ من الله تعالىٰ، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحبَّ أن يصومَ فلا جُنَاح عليه».

فالذين ذهبوا إلى أنَّ الفطر في السفر أفضل من الصوم فهموا من هذا الحديث ما يؤيد مذهبهم، إذْ قولُ الرسول ﷺ في جانب الأخذ بالرخصة: «فمن أخذ بها فحسن» وفي جانب عدم الأخذ بها: «ومن أحبَّ أن يصومَ فلا جُنَاح عليه» يُشعر بأنَّ الفطر أفضل، إذِ التعبير بالحُسْنِ أقوى من التعبير برفع الجناح.

٢ ـ وأخرج أبو داود والحاكم عن حمزةَ بنِ عَمْـروٍ الأسلمي راوي

الحديث السابق، أنَّه قال: يا رسول الله، إنِّي صاحب ظهرٍ أُعالجه، أسافر عليه وأكريه، رُبَّما صادفني هذا الشهر (يعني شهر رمضان) وأنا أجد القوَّة، وأجدُ أنَّ الصومَ أهونُ عليَّ من أن أُأَخّره فيكونَ ديناً، فقال رسول الله ﷺ: «أيّ ذَلِكَ شئت».

فخيَّرهُ الرسول ﷺ بعد أن عَرَضَ أنَّ الصوم في السفر أهونُ عليه من أن يؤخِّره فيكون عليه ديناً.

هذا الحديث يدلُّ على أفضليَّة الفطر للمسافر في الحالة العاديَّة، أمَّا إذا كان الصومُ أهون عليه فهو مخيَّر، إذْ يستوي الأمران في مثل هذه الحالة.

ويلاحظ أنَّ ما جاء في هذه الرواية يُكَمِّل ما جاء في الرِّواية السابقة ولا يعارضه.

٣ ـ وروى البخاري ومسلم عن عائشة قالت: إنّ حَمْزَةَ بْنَ عَمْرو الأسلميّ قال للنبي ﷺ أصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام. فقال: «إن شِئْتَ فَصُمْ، وإنْ شِئْتَ فأَفْطِرْ».

٤ ـ وروى البخاري ومسلم عن جابرٍ قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى زحاماً، ورجُلاً قد ظُلِّلَ عليه، فقال: «ما هذا؟».

فقالوا: صائم. فقال: «ليس من البرّ الصيامُ في السفر».

أي: ليس من التوسع في عمل الخير الزائد على موجبات التقوى الصومُ في السفر.

فهذا الحديث يدلُّ على أنَّ الصوم ليس أفضل من الفطر، لاسيّما بالنسبة إلى من يشُقُّ عليه الصوم، لأنَّ الرسول نفى أنْ يكون الصوم من البرّ في مثل هذه الحالة، ونفي البرّ لا يستلزم نفي التقوى، لأنَّ البرَّ هو العمل الزائد على مرتبة التقوى، والأبرار هم الذين يتوسعون في أعمال الخير فوق أعمال المتقين.

٥ ـ وروى البخاري ومسلم عن أبي الدرداء قال: خَرَجْنَا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حرٍّ شديد، حتَّى إنْ كانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ يده على رأسه من شدَّة الحرّ، وما فينا صائم إلَّا رسول الله ﷺ وعبدالله بن رواحة.

أمَّا صيام الرسول ﷺ في السفر في رمضان كما ثبت في هذا الحديث فليس فيه دليلٌ على أفضليَّة الصوم بالنسبة إلى عامَّة المسلمين، لأنَّ للرسول ﷺ خصوصيات في العبادات، ومنها أنَّه كان يَطْوِي الصيامَ وينهى المسلمين عنه، ويقول: «إنِّي أبيت عند ربِّي يطعمني ويسقيني».

وكون عامَّة المسلمين في هذا السفر مع الرسول ﷺ مفطرين يُشعر بأنَّهم اختاروا الأفضل بالنسبة إليهم.

أمَّا صوم عبدالله بن رواحة فهو راجع إلى اختياره هو، والصوْمُ أمرٌ جائز، وربّما كان من الذين يَقْوَوْنَ على الصوم، ولا يتأذون به في السفر مطلقاً، وقد يشُقُّ عليه القضاء في أيامٍ أُخَرَ.

٦ ـ ولمَّا كانت الأفضليّة من الأمور التي لا يُعابُ على الإنسان إذا هو اختار غيرها، كانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ في السفر، لا يعيب الصائم منهم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، كما روى البخاري ومسلم عن أنس.

٧ ـ ولبيان أصل الجواز، ولتأكيد أفضليَّة الفطر في السفر عند ظهور مصلحة للمسلمين تتطلَّبُ منهم أنْ يكونوا أقوياء:

«خرج رسول الله ﷺ مع المسلمين في رمضان لفتح مكَّة، فصام وصامُوا أوَّلاً.

ثم نزلوا منزلاً في وسط الطريق، قال لهم الرسول ﷺ: «إنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ والفطر أقوى لكم».

ثمَّ لمَّا صار بينهم وبين مكة نحو ليلة قال لهم: «إنَّكُمْ مُصَبِّحوا عدوِّكُمْ، والفِطْرُ أقوىٰ لكُمْ فَأَفْطِرُوا».

فأمرهم بالفطر أمر إلزام فكان عزيمة، ليكون ذلك قوة لهم على مواجهة عدوهم.

ـ ٧ ـ

وَعَلَىٰ الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْر لَهُ وأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ:

وفي قراءة: طعام مساكين.

روي عن الصحابة رأيان مختلفان في تفسير هذه الآية، وهل هي محكمة أو منسوخة؟. وبناءً على هذين الرأيين المختلفين ظهر الخلاف عند الفقهاء المجتهدين.

أولاً ـ فقد رُوي بإسناد صحيح عن الصحابيين: سَلَمَة بن الأكوع، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، أنَّ الحكم الذي تضمّنه قول الله عزَّ وجل: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعامُ مسكين﴾ حكم منسوخٌ بالآية التي بعدها في السورة، والتي فيها: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ وذلك أنَّها نزلت بعد مدَّةٍ عمل فيها الصحابة بحكم: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ إذْ كان من أراد منهم أن يُفطر ويَفْدِي ولو كان يستطيع الصومَ فعل، على اعتبار أن معنى قول الله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ يساوي معنى: وعلى الذين يستطيعونه ولو دون مشقة وعسر، فلمَّا نزل بعد ذلك بمدَّة قول الله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ صار الصوم لازماً على الجميع، دون تخيير بينه وبين الفدية، باستثناء أهل الأعذار، وكان الصيام قبل نزول الأمر بصيام شهر رمضان، أياماً معدودات ثلاثةً من كلِّ شهر.

فإن كان الواقع الفعلي كما روي عن هذين الصحابيين، فإنَّ فريضة الصوم اتُبِعتْ فيها سنَّة التدرج المعروفة في معظم ما نزل من تشريعٍ، وأحكامٍ تكليفية في الأمر والنهي، وأنَّ حكم صوم رمضان لم ينزل منذ

المرحلة الأولى لتكليف المسلمين أن يصوموا، بل نزل أول ما نزل التوجيه العامّ لأنَّ الله قد كتب على الذين آمنوا الصيام كما كتبه على الذين من قبلهم، وجاء بيان هذا على لسان الرسول بصيام ثلاثة أيام من كلِّ شهر، وكان الصيام مفروضاً هُوَ أو بدلُه وهي الفدية، إطعامُ مسكين عن كلِّ يوم، ولو كان المكلَّف قادراً على أن يصوم دون مشقة.

ونفهم من جمع الآيات المنزلة، أنَّ الصِّيام المقرَّر في أصل خطَّة التكليف هو الإلزام بفرض صيام شهر رمضان، لكنَّ التكليف جاء متدرِّجاً، لإعداد الأنفس لتقبُّل الأمر بصيام رمضان كلّه.

المرويات من الأحاديث في هذا:

١ ـ روى البخاريّ ومسلم وغيرهما عن سلمة بن الأكوع قال: لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين﴾ كانَ من أراد أن يُفطر ويفتدي. حتى أنزلت الآية التي بعدها فنسختها.

أي: آية: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن. . . . . فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾.

٢ ـ وروى الإمام أحمد وأبو داود نحو حديث سلمة بن الأكوع، عن معاذ بن جبل، وفي حديث معاذ:

«ثُمَّ أنزل الله ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح، ورخَّص فيه للمريض والمسافر، وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام».

٣ ـ وعند البيهقي وأبي داود حديثٌ يتضمن أنَّ النبي ﷺ قدم المدينة ولا عهد لهم بالصيام، فكانوا يصومون ثلاثة أيَّام من كلِّ شهر، حتَّى نزل رمضان، فاستكثروا ذلك، وشقَّ عليهم، فكان من يطعم مسكيناً كلَّ يوم ترك الصيام ممن يطيقه، رخَّصَ لهم في ذلك، ثمَّ نسخه قوله تعالى: ﴿وأن تصوموا خيرٌ لكم﴾ فأُمِرُوا بالصيام.

لكنَّ هذا الحديث قد جعل الناسخ قوله تعالى: ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ وهو فيما أرى لا يستقيم لا من جهة المعنى، ولا من جهة ترتيب نزول الآيات، والله أعلم.

ثانياً: وصحَّ عن ابن عبَّاسٍ أنَّ الآية محكمةٌ غير منسوخة الحكم، وأنَّها قد نزلت رخصةً للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، اللَّذين يشُقُّ عليهما أن يصوما، فهما يدفعان الفدية إذا اختارا أن يُفطرا عملاً بالرخصة.

فقد روى البخاري عن عطاء، أنَّه سمع ابْنَ عبَّاسٍ يقرأ: ﴿وعلى الَّذين يطيقونه فدية طعامُ مسكين﴾ قال ابن عباس: ليست بمنسوخة، هي للشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كلِّ يوم مسكيناً.

وكان ابن عباسٍ يردّ بهذا على من كان يرى من الصحابة أنَّها منسوخة.

ويكون معنى (يطيقونه) على هذا: يستطيعون الصيام بمشقَّة زائدة. وقد جاء في كتب اللُّغة أنَّ معنى إطاقة العمل القدرةُ على القيام به مع المشقة والعسر، وهذا المعنى ينطبق على الشيوخ كبار السن، ومن كان على شاكلتهم.

وطعام المسكين الواحد هو الفدية الواجبة عن كلّ يوم يفطر فيه الشيخ الكبير، والشيخة الكبيرة اللَّذان يشُقُّ عليهما الصيام.

لكنَّ الله رغَّبهما في الزيادة على ذلك تطوُّعاً وبرّاً، فقال تعالى: ﴿فمن تطوَّع خيراً فهو خير له﴾.

ومع الترخيص لهما في الفطر أبان لهما أنَّ الصيام خيرٌ لهما، فقال تعالى: ﴿وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾ هذا إذا لم يكن الصيام يضرُّهما أو يؤذيهما.

ويمكن أن يقاس على الشيخ الكبير ذو العلة المزمنة التي تجعله بمثابة الشيخ الكبير، يشُقُّ عليه الصوم.

وقد اختلف الفقهاء المجتهدون تبعاً لهذين الرأيين المـأثورين عن الصحابة.

وقد يظهر للمتأمِّل أن ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه لا ينفي خطة التدرج التي ذكرها «سلمة بن الأكوع» و«معاذ بن جبل» رضي الله عنهما. وإنَّما يختلف معهما في فهم الآية، وفي اعتبار حكم قول الله تعالى: ﴿وعلى الَّذين يطيقونه فدية طعام مساكين﴾ منسوخاً، فابن عبَّاسٍ يرى أنَّ هذا النصّ مرادٌ منه الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة اللَّذان يشُقُّ عليهما أن يصوما مع قدرتهما على الصيام، وهذا لا يمنع أنَّهم كانوا يصومون أوَّل الأمر ثلاثة أيام من كلِّ شهر، ثمَّ نزل بيان الشهر المفروض صيامه، ولا يمنع أيضاً أنَّهم كانوا أول الأمر يفدون إذا أفطروا دون حرج، ولكن ليس ضرورياً أن يكون ذلك فهماً من قول الله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين﴾ بل يكفي أن يكون إذناً من الرسول ﷺ وبياناً منه، فالمنسوخ هو هذا الحكم، لا الآية، وعلى هذا تكون الآية محكمة، وحكمها باقٍ ومستمر كما ذكر ابن عباسٍ رضي الله عنه.

وبهذا التخريج قد يظهر لنا اعتماد الفهم الذي ذهب إليه ابن عباس في الآية، مع القول بأنَّ التكليف بالصيام قد جاءَ متدرجاً على مراحل، كما ورد عن سلمة بن الأكوع ومعاذ بن جبلٍ رضي الله عنهما.

أما قول الله تعالى: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ بعد قوله: ﴿وأَنْ تصوموا خيرٌ لكم﴾ فليس شرطاً لتحقّق الخير بالصيام، وذلك لأنَّ الخير يتحقق بالصيام الذي رغّب فيه الله من يطيقونه بمشقة، سواء أعلموا أو لم يعلموا ما أعدَّ الله من ثواب عظيم للصائمين.

ولكنَّ المعنى ـ والله أعلم ـ إن كنتم تعلمون ما أعدَّ الله من أجر عظيم

للصائم، لم تفطروا، ولو تحَمَّلتُمْ في الصيام مشقَّةً كبيرة غير ضارَّة بصحتكم، ويكون تقدير النص كما يلي: وأن تصوموا خيرٌ لكم، وأنتم لا تفطرون مهما تحملتم من مشقَّة إن كنتم تعلمون ما أعدَّ الله لكم من أجر عظيم على الصوم، وهذا خاصّ بمن خوطب بقوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين﴾.

ويلاحظ أنَّه يكثر في القرآن الكريم حذفُ جواب الشرط، متى كان سياق الكلام يدلّ عليه، وهو من الإيجاز الذي في القرآن العظيم.

الحبلىٰ والمرضع:

ثبت في السنة أنَّ المرأة الحبلىٰ والمرأة المرضع لهما أن يفطرا، إذا كان الصومُ يشُقُّ عليهما، أو خافتا على ولدهما.

ولكن اختلفت اجتهادات الفقهاء فيما يجب عليهما إذا هما أفطرتا، هل يقضيان ويفديان، أو يفديان ولا يقضيان، أو أنَّهما إذا قضيا فلا فدية عليهما، ورأى بعضهم أنَّ المرضع تفدي دون الحامل.

وأرى أنَّ أيسر الآراء الاجتهادية التي لا حرج من الأخذ بها، أنَّ القضاء يسقط الفدية، وأنَّ الفدية تسقط القضاء، فللحامل والمرضع أن تفطرا في رمضان ثمَّ تقضيان، أو تُطعم من أفطرت منهما عن كلِّ يوم مسكيناً كالشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة.

روي عن ابن عباس بإسناد صحَّحه الدارقطني: أنَّه كان يقولُ لأمٍّ ولدٍ له حُبْلىٰ: أنت بمنزلة الذي لا يطيقه، فعليك الفداء ولا قضاء عليك.

— ٨ —

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدَىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ من الْهُدَى والْفُرْقَانِ:

في هذا البيان التمهيدُ بذكر فضل شهر رمضان الذي جعله الله له، قبل

إعلان أنَّه هو الشهر الذي فرض الله صيامه على الذين آمنوا.

وفضيلة هذا الشهر تظهر من اختيار الله زمانه لإنزال القرآن على نبيِّه محمد ﷺ، فاكتسب شهر رمضان الشرف من نزول القرآن ذي الشرف العظيم والمجد الكبير فيه.

أمَّا القرآن فهو عظيم الشرف بذاته، لأنَّه كلام الله الحميد المجيد الذي له كلّ صفات الكمال، وهو منزّه عن كلِّ صفات النقصان، ولأنَّ القرآن حقّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأنه نور، ولأنه ثقيل المعاني ثَرُّ العطاء، إلى سائر صفاته المذكورة مفرّقة في القرآن نفسه.

وذكرت الآية هنا من صفاته: أنَّه هُدىً للناس، وأنَّه بيّناتٌ من الهدى والفرقان.

فوصف الله القرآن بأنَّه هدى للنَّاس، لأنَّ من فهم القرآن وعمل بأوامره ونواهيه ووصاياه وإرشاداته اهتدى إلى صراط نجاته وسعادته.

ووصفه بأنَّه بيّناتٌ من الهدى والفرقان، لأنَّه يشتمل على آياتٍ واضحاتٍ كاشفاتٍ وجهَ الحقِّ وسبيلَ الرشادِ والهداية إلى صراط الله الواصل بمن سلكه إلى جنَّاتِ النعيم، دار الكرامة للَّذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأيُّ هُدَىً أعظم من هذا الهُدى، ولأنَّه يشتمل على حجج وبراهين ودلائل بيِّنات كاشفاتٍ فارقات بين الحق والباطل، والخير والشرِّ.

فهو هدى للناس، وهذا الهدى جاء في آيات بينات.

وهو فرقان بين الحق والباطل والخير والشر، وهذا الفرقان جاء في آيات بينات أيضاً.

والفرقان: مصدر (فَرَقَ)، قال الجوهري: تقول: فرقتُ بين الشيئين أفرُق فَرْقاً وفُرْقاناً.

ونظير هذا المصدر من المصادر الرُّجحان، والنقصان، والخسران،

والغفران، وكذلك القرآن إذا كان من القراءة، تقولُ: قرأتُ قراءةً وقُرآناً.

والناسُ محتاجون في معارفهم واستِبَانة طرق هدايتهم إلى فُرْقَانٍ، يفرق لهم بين الحقّ والباطل، والخير والشرِّ، بآيات بيناتٍ، وحجج وبراهين ودلائلَ واضحات، فمن لم يعرف الحقّ والباطل ولم يفرِّق بينهما وقع في الالتباس، لاسيما في مواطن الحدود بينهما، إذ تتداخل عليه الأمور، وتختلط عليه المتشابهات المتقاربة. وكذلك من لم يعرف الخير والشر ولم يفرِّق بينهما تفريقاً واضحاً، والوقوع في الالتباس هنا أكثر وأخطر، لأنَّ الأهواء والشهوات هُنَا مزَيّناتٌ مضلّلات.

فلا بُدَّ من فرقان يفرق، ويبيِّن الحدود، ويزيل الالتباس، ويميّز بين المختلطات.

وكثير من الناس سقطوا في الباطل والشرّ، إذْ لم يكن عندهم فرقان، حتى الفلاسفة والمفكرون وأتباع ديانات وشرائع ربّانية.

فمن رحمة الله بالناس وعظيم نعمته عليهم أنْ أنزل لهم كتاباً فيه هذا الفرقان.

* * *

نظرة حول ما جاء في القرآن من وصف للقرآن

لقد جاء وصف القرآن في القرآن بصفات كثيرة، منها ما يلي:

١ ـ هو قرآن مجيد في لوح محفوظ، وهو قرآن عظيم.

قال الله عزّ وجل في سورة (البروج ٨٥): ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) في لَوْحٍ مَحْفُوظ (٢٢)﴾.

وقال عزّ وجلّ في سورة (ق ٥٠): ﴿قَ والْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١)﴾.

مجيد: أي: متصف بالمجد، والمجد هو بلوغ غاية الشرف، وهو من صفات الثناء والمدح.

وقال عزَّ وجلَّ في سورة (الحجر ١٥) خطاباً لرسوله ﷺ وسلَّم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي والْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)﴾.

٢ ـ أنَّه هدى ورحمة.

قال الله عزَّ وجل في سورة (الأعراف ٧): ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ (٥٢)﴾.

٣ ـ أنّه كتابٌ مبارك، وأنَّه ذِكر مبارك، والمعنى أنَّه كثير المعاني ثَرُّ الخيرات، عظيم الدلالات، وفير النفع لمن أراد أن ينتفع به، لا تنتهي عجائبه، ولا تنضب خيراته وعطاءاته.

قال الله عزّ وجلّ في سورة (ص ٣٨): ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ (٢٩)﴾.

وقال الله عزَّ وجل في سورة (الأنعام ٦): ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُوْنَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُوْنَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُوْنَ (٩٣)﴾.

٤ ـ أنَّ الله قد يَسَّرَهُ للذِّكْرِ، وذلك بإتقان صياغته، وبتحسين أسلوبه، واختيار الكلمات الميسرة للتلاوة، وللتذكُّر والتدبُّر والاتعاظ، وبتزيين بيانه ليكون له حلاوة وطلاوة، وبذلك تعشقه القلوب والنفوس والأفكار والآذان، ما لم يكن لديها صارف من كبر أو كفر أو هوى، قال الله عزَّ وجل في سورة (القمر ٥٤): ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢)﴾.

٥ ـ أنَّه كتابٌ حكيم، والحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها، ومن مقتضىٰ أنَّه حكيم أنَّه يهدي للَّتي هي أقوم، قال الله عزَّ وجلّ في سورة (يس ٣٦): ﴿يسٓ (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)﴾.

وقال تعالى في سورة (لُقْمَانَ ٣١): ﴿الٓمٓ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِيْنَ (٣)﴾.

وقال تعالى في سورة (يونس ١٠): ﴿آلر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١)﴾.

٦ ـ أنَّه كتاب مبين، وأنَّ آياته آيات بيّنات.

قال الله عزَّ وجل في سورة (يس ٣٦): ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩)﴾.

وقال تعالى في سورة (الشعراء٢٦) و(القصص ٢٨): ﴿طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)﴾.

وقال تعالى في سورة (النمل ٢٧): ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١)﴾.

وقال تعالى في أوائل سورتي (الزخرف ٤٣) و(الدُّخان ٤٤): ﴿ حم (١) وَالكِتَابِ المبين (٢)﴾.

وقال تعالى في سورة (البقرة ٢): ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُوْنَ (٩٩)﴾.

٧ ـ أنَّه كتاب عربي، وبلسانٍ عربيّ مبين.

قال الله عزَّ وجلَّ في سورة (الشعراء ٢٦): ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِيْنُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ (١٩٦)﴾.

وقال تعالى في سورة (طه ٢٠): ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً (١١٣)﴾.

وقال تعالى في سورة (يوسف ١٢): ﴿آلر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرِبياً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ (٢)﴾.

وقال تعالى في سورة (الزمر ٣٩): ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ

مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ (٢٧) قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ (٢٨)﴾.

وقال تعالى في سورة (فصلت ٤١): ﴿حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ (٣) ﴾.

وقال تعالى في سورة (الشورى ٤٢): ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا... (٧) ﴾.

وقال تعالى في سورة (الزّخرف ٤٣): ﴿حم (١) والكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لعلكم تَعْقِلُوْنَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤) ﴾.

وقال تعالى في سورة (الأحقاف ٤٦): ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِيْنَ (١٢) ﴾.

وَقَال تعالى في سورة (النحل ١٦): ﴿قُلْ: نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ، لِيُثَبِّتَ الَّذِيْنَ آمنوا، وَهُدَىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِيْنَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ. لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣) ﴾.

وقال تعالى في سورة (الرعد ١٣): ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧) ﴾.

وقد جاء تأكيد أَنَّه قُرْآنٌ عَرَبِيٌّ في أكثر من عشرة نصوص قُرْآنيّة، لدفع الشبهة التي أطلقها المكذِّبون به بأنَّ الرسول ﷺ قد تعلمه من بعض العلماء بالكتاب الأول.

ويتلخَّص الردّ بأنَّ الكتب الرَّبَّانية السابقة منزلة بألسنة أعجميّة غير

عربية، والقرآن بلسان عربي مبين، فكيف يكون مقتبساً منها عن طريق معلِّمين من الأعاجم، ومن وجوه إعجازه العظيمة المدهشة وجوه كثيرة هي من خصائص أنَّه عربي، ولو كان مقتبساً من كتب أعجمية لما ظهرت فيه هذه الوجوه من الإعجاز.

٨ ـ أنَّه قرآن كريم في كتاب مكنون، أي: محفوظ مصون. قال الله عزَّ وجلّ في سورة (الواقعة ٥٦): ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)﴾.

كَرِيم: أي: ذو شرف ومنزلة عظيمة.

مكنون: أي: محفوظ مصون، وهذا الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ.

٩ ـ أنَّ الله قد صرَّف فيه للناس من وجوه الإقناع ومن كل مثل، وضرب فيه للناس من كلّ مثل. والتصريف هو التنويع، والضرب هو التشبيه والتمثيل كضرب النقود على أمْثَالها، وذلك لتعرف الأمور بأمثالها وأشباهها، ولتقاس على الأمثال أشباهها ونظائرها.

قال الله عزَّ وجل في سورة (الإسراء ١٧): ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً (٤١)﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً (٨٩)﴾.

وقال الله عزَّ وجلّ في سورة (الزُّمَر ٣٩): ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)﴾.

وقال تعالى في سورة (الكهف ١٨): ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً (٥٤)﴾.

وقال تعالى في سورة (الروم ٣٠): ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاس فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ، وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُوْلَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُوْنَ (٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوْبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُوْنَ (٥٩)﴾.

١٠ ـ أَنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ مَا فيه شفاء ورحمة للمؤمنين، وأنَّه هدىً وشفاء للمؤمنين.

قال الله عزَّ وجلّ في سورة (الإسراء ١٧): ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَا يَزِيدُ الظالِمِيْنَ إِلَّا خَسَاراً (٨٢)﴾.

وقال تعالى في سورة (فصلت ٤١): ﴿قُلْ: هُوَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ. . . (٤٤)﴾.

١١ ـ أنَّه غير ذي عوج، أي: لا ينحرف عن الحقِّ والرشد مطلقاً.

قال الله عزَّ وجل في سورة (الزمر ٣٩): ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)﴾.

وقال عزَّ وجلّ في سورة (الكهف ١٨): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (١) قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً (٣)﴾.

١٢ ـ أنَّه كتابٌ مفصل، وأنَّه قَدْ فُصِّلت آياته، أي: مُيِّزت وَوُضِّحتْ ولم تختلط دلالاتها.

قال الله عز وجل في سورة (فصّلت ٤١): ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بشيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤)﴾.

وقال عزَّ وجل في سورة (هود ١١): ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾.

وقال تعالى في سورة (الأنعام ٦): ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ (٩٧) ﴾.

﴿قَد فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُوْنَ (٩٨) ﴾.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُون (١٢٦) ﴾.

﴿ وَكذلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (٥٥) ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً. . . (١١٤) ﴾.

وقال تعالى في سورة (الأعراف ٧): ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ (٣٢) ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ (٥٢) ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيات وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ (١٧٤) ﴾.

أي: ليعرفوا سبيل هدايتهم ولعلَّهم يَرْجعون عن غَيِّهِمْ.

١٣ ـ أَنَّ له قوَّة تأثيرٍ غيبيّة.

قال ا لله عزَّ وجل لرسوله في سورة (الإسراء ١٧): ﴿وإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً (٤٥) ﴾.

أي: حجاباً يحجُبُكَ عنهم، وهذا الحجاب مستورٌ عنهم لا يرونه، لأنه إذا كان حِجاباً دَاخل أبصارهم أو أدمغتهم فإنَّهم لا يرونه مع أنَّه يحجبُكَ عنهم.

وقال تعالى في سورة (الحشر ٥٩): ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ. وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتفَكَّرُون (٢١) ﴾.

وقالَ تعالى في سورة (الرعد ١٣): ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنَاً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ

قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ. بل لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً. . . (٣١) ﴾.

أي: لكان هٰذا الْقُرْآن.

١٤ ـ أنَّ الله عزَّ وجل ما فرَّط فيه من شيء، أي: ما ترك ولا أغفل ولاَ ضيَّع من شيء هو لخير الناس وسعادتهم وهدايتهم إلى الحق في هذا القرآن، بل ذكره فيه وبيَّنه، وجعله فيه نوراً يهدي إلى الرشد.

قال الله عزَّ وجل في سورة (الأنعام ٦): ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٠١) ﴾.

١٥ ـ أنَّه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

والمراد من كونه عزيزاً أنَّه قوي غالب غير مغلوب، ظاهر بحججه وبراهينه، وما اشتمل عليه من حقٍّ وهداية لِلَّتي هي أقوم.

ومن عزَّته وقوته وغلبته لا يأتيه الباطل من بين يديه، أي: ممَّا سبق نزوله، ولا من خلفه، أي: ولا مما يأتي بعده من حقائق.

قال الله عزَّ وجل في سورة (فصلت ٤١): ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) ﴾.

فلا يمكن أن تكون حقائق سابقة لنزوله بين يديه مبطلةً لأيِّ شيءٍ جاء فيه ولا يمكن أن تأتي من بعده حقائق لاحقة لنزوله ومن خلفه مبطلةً لأيِّ شيءٍ جاء فيه.

١٦ ـ أنَّه كتاب حقٌّ لا ريب فيه، أي: لا شكَّ فيه، بمعنى أنَّه حقٌّ وصدق، فلا يرتاب فيه منصف طالب للحق، ولاَ يشُكُّ في أنَّه من عند الله، بل يؤمن يقيناً بأنَّه تنزيل من حكيم حميد عليم خبير.

وبما أنَّه حقٌّ لا ريب فيه فلا يمكن أن يكون مفترى من عند غير الله،

ولو كان مفترى لوجد الناس فيه اختلافاً كثيراً.

قال الله عز وجلّ في سورة (الشورى ٤٢): ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ (١٧)﴾.

وقال تعالى في سورة (الإسراء ١٧): ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً (١٠٥)﴾.

أي: كما أنزله الله حقاً أوصله جبريل إلى رسول الله حقاً، لَمْ يَتَغَيَّرْ فيه شيءٌ، ولم يتبدَّلْ فيه شيء.

وقال تعالى في سورة (الزمر ٣٩): ﴿تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيْزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ الله مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (٢)﴾.

وقال فيها أيضاً لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ، فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوكِيلٍ (٤١)﴾.

وقال تعالى في سورة (الرعد ١٣): ﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ (١)﴾.

فَالْقُرْآنُ كتابُ هداية إلى الحق، والرسول ﷺ مبلّغ، ومأمورٌ بأن يعبد الله مخلصاً له الدين، في كُلِّ أُموره، ومنها تبليغه ما أمره الله بتبليغه كما أمره.

والناس مدعوُّون للأخذ بالْحقِّ لمصلحة أنفسهم، فمن اهتدى فإنَّما يهتدي لنفسه، ومن ضلَّ فإنَّما يضلُّ جانياً على نفسه، ولكنَّ أكْثَرَ الناسِ يكرهون الحقّ، لأنه يخالف أهواءهم، فأكثرهم بسبب ذلك لا يؤمنون.

وبما أنَّ القرآن حقٌّ فليس من شأنه أن يكون مفترى على الله، إذْ لو كان مفترى وكان مكذوباً على الله لما كان كلُّه حقّاً، ولَمَا كان كلّه قيماً لا عوج فيه.

إنَّه لو كان من عند غير الله لوجد الناس فيه باطلاً كثيراً، واختلافاً كثيراً عن الحقّ والاستقامة.

قال الله عزّ وجلّ في سورة (يونس ١٠): ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧)﴾.

وليس من شأن هذا القرآن أَنْ يرتاب فيه أهل الفهم والعلم الباحثون عن الحقِّ، فهو حقٌّ لا عوج فيه، ولذلك وصفه الله عزَّ وجلّ بأنَّه لا ريب فيه من ربِّ العالمين.

وقال تعالى عزَّ وجل في سورة (السجدة ٣٢): ﴿أَلَّمَ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ (٢)﴾.

فكون هذا القرآن منزّلاً من ربِّ العالمين لا يصح أن يرتاب فيه مرتاب، إذ لو لم يكن منزَّلاً من ربِّ العالمين لظهر فيه باطل كثير، ولوجد الناس فيه اختلافاً كثيراً، وقد أبان الله عزَّ وجل هذه الحقيقة في سورة (النساء ٤) فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً (٨٢)﴾.

إنَّه لا ريب في مضمونه، فلا ريب في ثبوت نسبته إلى الله.

فمن المنطقي إذن أن تُصدَّر سورة (البقرة ٢) بقول الله عزَّ وجل: ﴿أَلَّمَ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ (٢)﴾.

فَمَنْ كَانَ عَاقِلاً وَيَخْشَى وعيد الله كان القرآن هُدى له، واستمسك به مؤمناً بأنَّه الحقُّ الذي لا ريب فيه.

١٧ ـ أنَّه كتاب معجز، فقد تحدَّى الله به الإِنس والجنّ، وتحدَّى القائلين بأنَّه مفترى على الله، والشاكين المرتابين فيه، بأن يأتوا بمثله، وبأن يأتوا بعشر سُورٍ مثله مفتريات، وبأن يأتوا بسورة من مثله.

فقد أنزل الله عزَّ وجل أوَّلاً قوله في سورة (الإسراء ١٧): ﴿قُلْ: لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (٨٨)﴾.

ثم أنزل قوله تعالى في سورة (يونس ١٠): ﴿أَمْ يَقُولُوْنَ: افْتَرَاهُ؟! قُلْ: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ (٣٨)﴾.

وأنزل قوله تعالى في سورة (هود ١١): ﴿أَمْ يَقُوْلُوْنَ: افْتَرَاهُ؟! قُلْ: فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ (١٣)﴾.

ثُمَّ أَنْزَلَ الله تعالى قوله في سورة (البقرة ٢): ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ (٢٣)﴾.

ومرَّت القرون والمنكرون والشَّاكُّون عاجزون عن أن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن.

فمن صفات هذا القرآن التي لا يشاركه فيها غيره أنَّه كتاب معجز، لا يمكن أن يأتي المخلوقون بمثله، ووجوه إعجازه كثيرة لفظية ومعنوية.

ومن إعجازه المعنوي أنَّه حقٌّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

١٨ ـ أنَّ هذا القرآن نور مبين.

قال الله عزَّ وجل في سورة (النساء ٤): ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً (١٧٤)﴾.

١٩ ـ أنَّه مصدِّق لما بين يديه من الكتب ومهيمن عليها، فهو يُصدِّق الصحيح فيها، ويصحح ما دخل فيها من تحريف وتغيير، وهو جامع لما جاء فيها من هداية ونور، ومفصِّل لما نزل فيها من خير فيه سعادةٌ للناس في دنياهم وأخراهم، وذلك بحسب أصولها الصحيحة، لا بحسب التحريفات التي دخلت فيها.

قال الله عزَّ وجل في سورة (يونس ١٠): ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ

يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتفصيلَ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ من رَبِّ الْعَالَمِيْنَ (٣٧) ﴾.

فَمَا جَاءَ مُجْمَلاً مِنْ أُمُورِ الدين في الكتب السابقة جاء تفصيله في القرآن العظيم.

وقال الله تعالى في سورة (المائدة ٥): ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عليه (٤٨) ﴾.

مهيمن: أي: شاهد، رقيب، متابع، يشهد بصحة الصحيح، ويكشف بطلان الباطل.

٢٠ ـ أنَّه هدى للمتقين، أي: من كان ذا خوف من الله وعقابه، وأراد أن يتَّخذ لنفسه وقاية تدبّر القرآن فاهتدى بهداه، فانتفع، فالمنتفعون بهدى القرآن هم المتَّقون.

أمَّا كونه هدى للناس، فهو على معنى أنَّه يشتمل على ما يهديهم إلى سعادتهم ورشدهم إن اهتدوا به، وتـدبَّروا معـانيه، وانتفعـوا بدلالاتـه، واستضاءوا بنوره، وليس على معنى أنَّه يمنحهم الهداية على كلِّ حال، فالقرآن بالنسبة إلى كلِّ الناس هداية معروضة، ينتفع بها من استجاب لها، ولا ينتفع بها من أعرض عنها.

قال الله عزَّ وجل في سورة (البقرة ٢): ﴿ الٓمٓ (١) ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)﴾.

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذي أُنْزِلَ فِيهِ القُـرْآنُ هُدَىً لِلْنَّاسِ . . . (١٨٥) ﴾.

٢١ ـ أنَّه رحمة، أي: هو رحمة من الله لعباده، لأنه يشتمل على ما فيه هدايتهم إلى ما يسعدهم وينجِّيهم، ويقيهم شرور أنفسهم، ببياناته وبشاراته وإنذاراته.

قال الله عزَّ وجل في سورة (الأنعام ٦): ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ

وَهُدىً وَرَحْمَةٌ. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧) ﴾.

٢٢ ـ أنَّه تبيانٌ لكلّ شيءٍ يتعلّق بأمور الدين وسعادة الناس في أخراهم، وما يضمن لهم صلاح أمرهم في حياتهم الدنيا من سلوك فردي وجماعي.

قال الله عزَّ وجل لرسوله في سورة (النحل ١٦): ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِيْنَ (٨٩) ﴾.

٢٣ ـ أنَّه كِتاب أحكمت آياته ثم فصّلت، أي: فيه كليّات عامَّةٌ محكمة، وفيه آيات مفصلات.

قال الله عزَّ وجلّ في سورة (هود ١١): ﴿آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾.

٢٤ ـ أنَّه أحسن الحديث كتاب متشابه مثاني، مؤثر في الذين يخشون ربَّهم. قال الله عزَّ وجلّ في سورة (الزمر ٣٩): ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ. ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) ﴾.

متشابهاً: أي: مَتَشَابِهَاً في حسنه وكماله.

مثاني: له عدَّة تفسيرات، منها أنَّه يتناول بالبيان الأمور وأضدادها، كالإيمان والكفر، والجنة والنار، والحقّ والباطل، والخير والشرّ، وجنود الرحمن وجنود الشيطان.

٢٥ ـ أنَّه فرقان، أي: يفرق بين الحق والباطل، والخير والشرّ قال الله عزَّ وجلّ في سورة (الفرقان ٢٥): ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُوْنَ لِلْعَالَمِيْنَ نَذِيراً (١) ﴾

٢٦ ـ أنَّه محفوظ بحفظ الله من التغيير والتبديل والتحريف والضياع قال الله عزَّ وجل في سورة (الحجر ١٥): ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾.

٢٧ ـ أنَّه ذكر، وأنَّه ذو الذكر، أي: فيه تذكير وموعظة للناس، ومذكر لهم بحقائق أودعها الله فيما فطر عليه عقولهم، وموازينهم الفكرية، ووجداناتهم التي تستطيع الإحساس بالخير ككمال العدل والإحسان، والإحساسَ بالشر كقبح الظلم والعدوان.

قال الله عزَّ وجل في سورة (الأنبياء ٢١): ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُوْنَ؟! (٥٠) ﴾.

وقال تعالى في سورة (ص ٣٨): ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) ﴾.

٢٨ ـ أنَّه نزل به الروح الأمن، وهو جبريل عليه السلام، وأن جبريل نزَّله على قلب الرسول محمد ﷺ، أي: إنَّه دخل به إلى عمق قلبه، محلِّ الاستقرار والثبات، ولم يقتصر التنزيل على مجرَّد السماع، أو مجرَّد الذاكرة الذهنية.

قال الله عزّ وجل في سورة (الشعراء ٢٦): ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِيْنُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ (١٩٦) ﴾.

٢٩ ـ أنَّه منزّلٌ تنزيلاً، أي: على أسلوب التدرُّج، فقد نُزّل مفرقاً منجّماً.

قال الله عزَّ وجل في سورة (الإسراء ١٧): ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً (١٠٦)﴾.

فرقناه: أي: نزَّلْناه مفرّقاً، وكان ذلك خلال ثلاث وعشرين سنة من بعد البعثة، أو عشرين سنة.

على مُكْثٍ: أي: علىٰ مَهَل وتؤدة، ليحفظوه ويتدبَّروا آياته.

ونزَّلناه تنزيلاً: أي: شيئاً بعد شيء بحسب المصالح والمناسبات ومقتضيات الحكمة.

٣٠ ـ أنَّه في أُمِّ الكتاب عند الله عليٌّ حكيمٌ، أي رفيع المكانة مشتمل على كل أمر حكيم ممَّا يحتاجه الناس في أمور دينهم.

قال الله عزَّ وجلّ في سورة (الزخرف ٤٣): ﴿حمۤ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤)﴾.

في أمّ الكتاب: أي: في أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ.

لعليٌّ: أي: لرفيع المنزلة، من العلوّ.

حكيم: أي: ذو حكمة بالغة.

٣١ ـ وأنَّ فيه آياتٍ محكماتٍ هُنَّ أُمُّ الكتاب، أي: أصله، وأُخَرَ متشابهات تُفْهَمُ في ضوء المحكمات، لكنَّ الذين في قلوبهم زيغ عن الحق والخير والهدى فإنَّهم يتخذون منها ذرائع لزيغهم، فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاءَ فتنةِ الناس عن دينهم، وعن مفاهيم الحقِّ التي اشتملت عليها محكماتُ القرآن، وابتغاء تأويل ما تشابه حتى يوافق ما لديهم من زيغ عن الحق والخير ودين الله لعباده. ونلاحظ أن فريقاً يفتن الناس بالإسراف في التشبيه إلى حدِّ التجسيم. وفريقاً آخر يزج نفسه في التأويل المسرف الجانح عن الحق.

قال الله عزَّ وجل في سورة (آل عمران ٣) خطاباً لرسوله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُوْنَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ في الْعِلْمِ يَقُوْلُوْنَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُوا الأَلْبَاب (٧)﴾.

زيغ: ميل عن الحق.

٣٢ ـ أنَّه من لَدُن حكيم عليم، أي: والحكيم العليم لا يُنزِّل إلَّا علماً حقاً، ولا ينزّل إلَّا شرائع حكيمة فيها الخير كلّ الخير للناس، ولا يُعلّم ولا يُرَبِّي وَلاَ يُؤدّب إلَّا بالوسائل الحكيمة.

قال الله عزَّ وجلّ خطاباً لرسوله في سورة (النمل ٢٧): ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) ﴾.

٣٣ ـ أنَّه أنزل في ليلة مباركة هي ليلة القدر، وهي ليلة من ليالي شهر رمضان.

وقد سبقت شواهد هذا من القرآن.

٣٤ ـ أنَّ مضامينه من الهداية تجمعها كلّيات ثلاث هي:

● الهداية للَّتي هي أقوم.

● بشارة المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنَّ لهم أجراً كبيراً.

● إنذار الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة بأنَّ لهم عذاباً أليماً. قال الله عزَّ وجل في سورة (الإسراء ١٧): ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (١٠)﴾.

شرح الكلية الأولى:

وهي أنَّه يهدي للَّتي هي أقوم، أي: يهدي للطريقة التي هي أكثر استقامة على الحقِّ والخير، من كلِّ الطرق التي تقع في الاحتمال ممَّا يراه الناس.

إنَّ الناس مهما فكَّروا وجرَّبوا من طرق، ومهما استخرجوا من فلسفاتٍ ومناهج، وتصوَّروا أنَّها مستقيمة على الحقِّ والخير، فإنَّ القرآن يهدي للتي

هي أقوم منها، ما لم يوافقوا ما جاء في القرآن، وذلك في الموضوعات التي بيَّنها القرآن وهدى إليها.

أمَّا ما اتَّفق منها مع ما جاء في القرآن فهو عندئذٍ مهديٌّ بهديه أو سائر على طريقته.

فالعقائد القرآنية هي الحقُّ الأقوم في كلِّ أجزائها وعناصرها، أمَّا الفلسفات الأخرى المخالفة لما جاء في القرآن مخالفة كليّة أو جزئية ففيها من الانحراف عن الحق بمقدار ما فيها من مخالفة لما جاء في القرآن، لذلك نلاحظ فيها تعرُّجات وعوجاً عن خطٍّ الاستقامة، أمَّا الأقومية التي لا عوج فيها فهي لما جاء في القرآن.

والشرائع التعبُّديَّة التي جاء بها القرآن هي الشرائع الأقوم من كلِّ شرائع أخرى، وهي الأحكم من كلِّ شرائع تقع في الاحتمال.

والنظم والأخلاق القرآنية هي النُّظُم والأخلاق الأقوم من كلِّ نظم وأخلاقٍ تقع في الاحتمال، في كلِّ قضية تناولها القرآن ببيانه.

إنَّ القرآن يهدي للَّتي هي أقوم، لأنَّه حقٌّ، ولأنه لا عوج فيه والحقُّ في مناهج الحياة لا يخرج عن الصراط المستقيم.

شرح الكلية الثانية:

وهي أنَّ القرآن يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً كبيراً.

هذه البشارة التي اشتمل عليها القرآن يجدها تالي آياته متكرِّرة تكرُّر الطعام والشراب في حياة الإنسان، وتكريرها هو بمثابة الغذاء الدائم لحياة الإيمان باليوم الآخر في قلب المؤمن، وهو أيضاً بمثابة العلاج التربوي الذي يأخذ بنفس الإنسان إلى الهداية من محور طمعه، ومُشْرَئِبٍّ أمله ورغبته في الخير والسعادة واللَّذة الآجلة لروحه وقلبه ونفسه وغرائزه وشهواته.

والوعد بالنعيم المقيم في جنات النعيم يوم الدين هو من هذه البشارة، والحور العين من هذه البشارة، والوعد بأنَّ للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنة ما يشتهون من هذه البشارة، والوعد بالرضوان الأكبر من الله من هذه البشارة.

ونصوص الجزاء بالثواب على الأعمال الصالحات تدخل في هذه الكلية.

شرح الكلية الثالثة:

وهي أنَّ القرآن ينذر الذين لا يؤمنون بالآخرة بأنَّ الله عزَّ وجل أعتد لهم عذاباً أليماً.

هذا الإنذار الذي اشتمل عليه القرآن يجده تالي آياته متكرِّراً مع البشارة، والتالي لكتاب الله يلاحظ النصوص الكثيرة التي تتضمَّن الوعيد بالعذاب الأليم للَّذين لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر، أو لا يؤمنون باليوم الآخر، أو يعملون السيئات.

وقول الله عزَّ وجل في النصّ: ﴿وأنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾.

يشير إلى أنَّ عدم الإيمان بالآخرة كافٍ وحده لاستحقاق العذاب الأليم، ولو كان هذا الذي لا يؤمن بالآخرة مؤمناً بالله عزَّ وجل.

والكفر بالآخرة من أكبر الأسباب الدافعة إلى فعل السيئات، وارتكاب المنكرات والقبائح، وأنواع الفحش والظلم والعدوان.

ما ورد بشأن إنزال كتب سابقة للقرآن في رمضان:

إنَّ اختيار الله عزَّ وجلّ شهر رمضان لإنزال القرآن قد سبقه أنَّ الله تبارك وتعالى قد اختار هذا الشهر أيضاً لإنزال الكتب السابقة.

فقد روى الإمام أحمد عن وَاثِلةَ بن الأَصْقَع، أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«أنزلت صحف إبراهيم في أوَّل ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لستٍّ مضينَ من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربعٍ وعشرين خلت من رمضان».

إشكال ودفعه:

المعروف أنَّ الكتب الربّانية السابقة للقرآن قد نزلت دُفعة واحدة، أمَّا القرآن فمن الثابت أنَّه قد نزل منجّماً مفرّقاً خلال ثلاثٍ وعشرين سنة.

وهُنا يستشكل بعض الناس كون القرآن أنزل في رمضان، مع ما ثبت من نزوله منجّماً.

ففي سورة (البقرة ٢) يقول الله عزَّ وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدَىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ (١٨٥)﴾.

وفي أوائل العهد المكي أنزل الله عزَّ وجل سورة (القدر ٩٧) وفيها قوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ والرُّوحُ فِيها بإذنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾.

مع أنَّه عند إنزال هذه السورة لم يكن قد نُزِّل على رسول الله ﷺ من القرآن إلَّا أربع وعشرون سورة من قصار السُّوَر وبعض المفصّل.

ثمَّ أنزل الله عزَّ وجل في العهد المكّي أيضاً قوله في سورة (الدخان ٤٤): ﴿حم (١) والْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِيْنَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) ﴾.

وهذه اللَّيلة المباركة هي ليلة القدر.

فكيف نجمع بين كونه قد أنزل في ليلة القدر، وفي شهر رمضان، وبين كونه أنزل منجّماً في الشهور كلِّها؟

وأقول في الجواب على هذا الإشكال:

لقد قرأ المسلمون سورة (القدر) في مكة ونزل بعدها قرآن كثير في مكة والمدينة، في شهور كثيرة مختلفات، ولم يستشكل المسلمون قول الله تعالى: ﴿إنَّا أنزلناه في ليلة القدر﴾ لأنهم يعرفون الجواب فيما يظهر.

وهو أنَّ أوَّل قرآنٍ نزل على رسول الله ﷺ كان في رمضان في ليلة القدر، فكان ذلك فاتحة أمر عظيم وقَدَرٍ جليل للناس، هو بدء إنزال القرآن، وبَدْءُ الوحي لرسول الله ﷺ، وبدء رسالة فيها الخير كلُّ الخيْر للناس، هذا فيما ظهر ووضح للناس في التاريخ الذي يتعلَّق بهم.

ويوجد أمرٌ آخر غيبي عنهم حدث في السماء، ذكره ابن عباس، وهو أنَّ القرآن نزل جملة واحدة إلى بيت العزَّة في السماء الدنيا، ليلة القدر من رمضان، ثمَّ نزل منجّماً على رسول الله ﷺ حسب الحاجة، وحسب الوقائع، ومثل هذا لا يكون من قبيل الرأي، فله حكم الخبر المرفوع إلى رسول الله ﷺ.

فقد روي عن ابن عباس من عدّة طرق كما ذكر ابنُ كثير أنَّه سأله عطيَّةُ بن الأسود فقال: وقع في قلبي الشَّكُّ، قولُ الله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ وقوله: ﴿إنَّا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ وقوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وقد أنزل في شوال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجة، وفي المحرَّم، وصفر، وشهر ربيع.

فأبان السائل تعجُّبه من الأمر.

فقال له ابنُ عبَّاس: إنَّه أنزل في رمضان في ليلة القدر، وفي ليلة مباركة جملة واحدة، ثُمَّ أنزل على مواقع النجوم ترتيلاً في الشهور والأيام.

وكلام ابن عباس لا بدَّ أن يُحمل على أنَّه أنزل من اللوح المحفوظ إلـى السماء الدنيا جملة واحدة في ليلة القدر من شهر رمضان.

هذه الأدلة مع ما ثبت في صحاح الأحاديث تثبت أنَّ ليلة القدر هي من ليالي شهر رمضان حتماً.

وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنَّه قال لأصحابه: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان».

كما سيأتي بيانه لدى الكلام على ليلة القدر إن شاء الله.

ـ ٩ ـ

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ:

بعد أنَّ ذكر الله فضل شهر رمضان، ونعمته علينا فيه بإنزالِ القرآن العظيم، أمرنا بصيام هذا الشهر.

ونستطيع أن نفهم من هذا التمهيد الذي جاء عقبه الأمر بصيام هذا الشهر، أنَّ في هذا الصيام خلال هذا الشهر بالذات معنى شكر الله على نعمة القرآن الذي أنزله الله فيه، مع ما في هذا الشهر من خصوصية اختصه الله بها.

وفي قول الله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ بيان الأيام المعدودات التي فرض الله علينا صيامها، إنَّها أيام شهر رمضان.

والتعريف في الشهر بالألف واللام للعهد الذِّكري، فهو يشير إلى شهر رمضان الذي جاء ذكره في صدر الآية.

ونتساءل عن المراد من شهود الشهر؟

وبالرجوع إلى أصل الشهود نلاحظ أنَّ معناه الحضور، ولمَّا كان الأصل في الحاضر أن يكون عالماً بما هو حاضرٌ فيه أو معه، فالذي يترجَّح بالتأمل هو أن يكون المراد من حضور الشهر العلمَ به، أي: بدخوله.

وسائل العلم بدخول الشهر:

ويُعلم دخولُ الشهر برؤية هلاله، أو بشهادة من رآه ممَّن تصِحُّ شهادته، أو بوسيلة أخرى تفيد العلم اليقينيّ أو غلبة الظنِّ، كأن تتمَّ عِدَّةُ شعبان ثلاثين يوماً.

وعموم هذا النصّ مخصَّص باستثناء أهل الرخصة وأهل الأعذار، الوارد سابقاً ولاحقاً في النص، وفيما جاء من بيان نبويّ.

ومن وسائل العلم بدخول شهر رمضان أو غيره من الشهور المناظير في المراصد، وأعمال الحساب التي يقوم بها العلماء الفلكيُّون، ثُمَّ شهاداتهم بتحققهم بدخول الشهر بناء على حساباتهم.

لكنَّ الشارع الحكيم لم يكلّف المسلمين أعمال الحساباتِ الفلكيَّة لمعرفة دخول الشهور القمريّة تيسيراً عليهم، بل ربط معرفة دخول الشهر للقيام بواجب عبادة الصيام، أو عبادة الحجِّ في أشهر الحجِّ برؤية هلال الشهر رؤية بصريَّة، ومن لم يَرَ بنفسه اكتفىٰ برؤية ذي شهادة مقبولة من المسلمين، ولوليّ الأمر من المسلمين أن يعتمد على شهادة من رأى من المسلمين العدول، فيُعلنَ على الناس دخول الشهر ليصوموا.

روى الإمام مسلم عن ابن عمر أنَّ النبيّ ﷺ قال: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وهكذا، وعقد الإِبْهَامَ فِي الثَّالِثَة، والشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وهَكَذَا، يَعْنِي تَمَامَ ثَلَاثِينَ».

أي: بسط كفيه مشيراً إلى عدد أيَّام الشهر بأصابعهما، ففي المرَّة الأولى عقد الإبهام في البسط الثالث، مشيراً إلى أنَّه يكون الشهر تسعاً وعشرين يوماً، وفي المرَّة الثانية لم يقبض شيئاً من أصابعه، فكانت ثلاث عشرات، أي: وقد يكون الشهر ثلاثين يوماً.

وجاء في روايات أخرى ما يوضح هذا المراد، ففيها أنَّه طبَّق كفَّيه على

بعضهما ثلاث مرَّات، وعقد إبهامه في الثالثة، وقال: هكذا وهكذا وهكذا، ثم طبّق كفيه على بعضهما أيضاً ثلاث مرَّات ولم يعقد إبهامه في الثالثة، وقال: هكذا وهكذا وهكذا.

وممَّا لا شكَّ فيه أن ربط العلم بدخول الشهر برؤية الهلال رؤية بصرية، أو بشهادة من رأى من المسلمين العدول، فيه تيسير عظيم عليهم بُـداتِهم وأهل حاضرتهم، عامّتهم وعلمائهم.

لكنَّ هذا لا يمنع فيما أرى من اعتماد حساب أهل الحساب من الفلكيّين الموثوقين، لاسيما إذا أضافوا إلى حسابهم رؤيةً عن طريق المناظير والمراصد، فقد يكون ما يقدِّمونه من علم في هذا أقوى من شهادة شاهد أو شاهدين ذكرا أنَّهما رأيا هلال الشهر ببصرهما، فقد يكون قد رأى قطعة سحاب فظنَّها هلالاً، أو رأى شعرة بيضاء متدلِّية من حاجبه فظنَّها هلالاً، كما حدث فعلاً لبعض شهود الرؤية في بعض البلدان.

ويدُلُّ على هذا الفهم قول الرسول ﷺ في الحديث الـذي سبق الاستشهاد به: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ» متحدثاً في هذا عن واقع حال العرب أيّام بعثته. ونستطيع أن نفهم منه أنَّهم لو لم يكونوا أمَّةً أميَّةً، وكانوا يكتبون ويحسبون لأشار عليهم باعتماد الحساب الذي يفيد العلم المقبول في مثل هذه المسائل، والذي يكفي فيه الظنُّ الراجح المكافىء لشهادة شاهدين عدلين مثلاً، ذكرا أنَّهما رأيا الهلال.

ولعلماء المسلمين وفقهائهم في هذه المسألة رأيان، فبعضُهم يشترط الرؤية البصرية أو الشهادة بها، عملاً بظاهر نصوص الأحاديث الواردة حول ثبوت دخول الشهر، أو استكمال عدّة شهر شعبان ثلاثين يوماً إذا غُمِّي على الناس.

وآخرون يرون جواز الاعتماد على شهادة علماء الحساب الفلكي من المسلمين العدول، بناء على غلبة الظنِّ بصدق حساباتهم، ولكن دون الإلزام

بأن يكون هذا الحساب أحد الطرق التي يجب اتخاذها لمعرفة دخول الشهر.

وظاهر أنَّ هذا الرأي لا تُنقض به قاعدة التيسير التي قصد إليها الرسول ﷺ، ولا يتنافى مع طريق الرؤية البصرية إذا كانت رؤيةً مؤكَّدة، ولا يتصادم مع دلالات النصوص الشرعية، بل ينسجم مع أصول طرق المعرفة التي دعا إليها الإسلام في مختلف مجالات المعرفة.

أمَّا وقائع الرؤية البصرية التي كانت في صدر الإسلام، فلدينا فيها جملة أخبار.

١ ـ عن ابن عمر قال: «تراءى الناس الهلال، فأخبرتُ رسول الله ﷺ أنِّي رأيته، فصام وأمر الناس بصيامه».

رواه أبو داود، والدارقطني، والدارمي، والبيهقي، وابن حبّان والحاكم، وصححه الأخيران، وصححه ابن حزم أيضاً.

٢ ـ وعن ابن عباس قال: (جاء أعرابيّ إلى النبي ﷺ فقال: إنِّي رأيت الهلال، فقال: «أتشهد أن لا إلّه إلاَّ الله؟» قال: نعم. قال: «أتشهد أن محمداً رسول الله؟» قال: نعم. قال: «يا بلال أذِّن في الناس فليصوموا غداً»).

رواه الترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حِبّان، والدارقطني، والبيهقي، والحاكم، وفي سند هذا الحديث ضعف.

وعلى هٰذين الحديثين اعتمد الفقهاء الذين قالوا: يكفي الشاهد الواحد في إثبات دخول شهر رمضان، ومنهم الإمام أحمد، والإمام الشافعي، في أحد قوليه، قال النووي وهو الأصحّ، أي: من قولي الشافعي، وقال فقهاء آخرون: لا يكفي في إثبات هلال رمضان شاهد واحد، بل لا بدَّ من شاهدين علىٰ أقلّ تقدير، ومن هؤلاء الإمام مالك، واللّيث، والأوزاعي، والثوري، وعمدةُ هؤلاء ما يلي:

أ ـ ما رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب: «أنَّه خطب في اليوم الذي شُكَّ فيه فقال: ألا إني جالستُ أصحاب رسول الله ﷺ، وساءلْتُهم، وإنَّهم حدَّثوني أنَّ رسول الله ﷺ قال: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، وانْسُكُوا لها، فإن غُمَّ عليكُمْ فأتموا ثلاثين يوماً، فإن شهد شاهدان مسلمان فصوموا وأفطروا».

ورواه أيضاً النسائي، إلاَّ لفظة «مسلمان».

الذي شُكَّ فيه: أي: شُكَّ فيه هل دخل رمضان أو لم يدخل؟

صوموا لرؤيته: أي: لرؤية هلال الشهر.

وانسكوا لها: أي: انْسُكُوا نسك الحجّ لرؤية الهلال، وهو هلال ذي الحجة.

ب ـ وحديث أمير مكة الحارث بن حاطب قال: «عهد إلينا رسول الله ﷺ أن نَنْسُك للرُّؤية، فإنْ لم نَرَهُ وشهد شاهدا عدْلٍ نَسَكْنَا بشهادتهما».

رواه أبو داود، والدارقطني، وقال: هذا إسنادٌ متصل صحيح.

صيام يوم الشك:

يوم الشكّ هو اليوم الذي يشكُّ فيه الناس: هل دخل رمضان أو لا؟ وسبب الشكّ عدم رؤية الهلال بسبب سحابٍ حال بين الأرض وموضع ظهور هلال الشهر.

وقد ورد في شأن يوم الشّكّ ما يلي:

أ ـ روى مسلم عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ أنَّه ذكر رمضان فقال: «لا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلاَلَ، وَلاَ تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا له».

أُغْمِيَ عليكم: أي: حال بينكم وبين رؤية الهلالِ غيم، يقال لغة:

أُغْمِيَ يَوْمُنا، إذا دام غيمُه. وغُمَّتْ ليلتنا: أي: غُمَّ هلالها.

فاقْدُرُوا له: هذا مفسّر بما جاء من إتمام شعبان ثلاثين يوماً.

ب ـ وروى مسلم عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِه، فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمُ الشَّهْـرُ فعُدُّوا ثلاثين».

غُمِّي عليكم: مثل أُغمي عليكم.

جـ ـ وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يوم وَلاَ يَوْمَيْنِ، إلاَّ رَجُلٌ كان يَصُومُ صَوْماً فَلْيَصُمْهُ».

أي: لا تصوموا قبل التحقق من دخول رمضان الأخيرَ من شعبان أو الأخيرين منه على سبيل الاحتياط لرمضان.

د ـ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُـمْ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ فكمِّلُوا الْعِدَّةَ ثَلاَثِين، وَلاَ تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالاً».

رواه أحمد، والنسائي. وفي لفظ عند النسائي: «فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ عِدَّةَ شَعْبَان».

وروى الترمذي نَحْوَه وصحَّحه.

هـ ـ وعن عائشة أمّ المؤمنين قالت: «كان رسول الله ﷺ يتحفَّظ من هلال شعبان مَا لا يتحفَّظُه من غيره، يصُومُ لِرُؤْيَةِ رَمَضَانَ، فإنْ غُمَّ عَلَيْهِ عَدَّ ثَلاثِينَ يَوْمَاً ثُمَّ صَامَ».

رواه أحمد، وأبـو داود، والدارقطني، وقال: إسناد حسن صحيح.

و ـ وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقَدَّمُوا الشَّهْرَ حَتَّىٰ تَرَوُا الْهِلاَلَ أَوْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ، ثُمَّ صُومُوا، حَتَّى تَرَوُا الْهِلاَلَ أَوْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ».

ز ـ وعن عَمّارِ بْنِ يَاسِرٍ قال: «مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ فَقَدْ عَصَىٰ أَبَا الْقَاسِمِ مُحَمَّداً ﷺ».

رواه الترمذي وصححه، ورواه النسائي وأبو داود وابن ماجه.

من هذه الأحاديث أخذ بعض الفقهاء تحريمَ صوم يوم الشّكّ، على اعتبار أنَّه من رمضان، وأنَّ الصائم يصومُه احتياطاً، لكن لا يحرم صوْمُه لسبب آخر، كأن يصومَهُ قضاءً ممَّا عليه، أو وفاءً بنَذْرٍ، أو كفَّارةً، أو أن يوافق عادةً له، كما جاء في الحديث: «إلاَّ رجلٌ كان يصومُ صَوْماً فلْيَصُمْه».

وقال آخرون: لا يحرم صوم يوم الشك، وقد روي هذا القول عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم.

وقد ثبت أنَّ الرسول ﷺ كان يصوم شهر شعبان ويصله برمضان.

ـ ١٠ ـ

وَمَـنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْـرَ:

أي: فلهما أن يفطرا والواجب عليهما حينئذٍ صيامُ عدَّةِ ما أفطرا من أيام أُخر.

ويلاحظ أنَّ قولَه تعالى: ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدَّةٌ من أيام أخر﴾ قد تكرَّر في آيات الصيام التي نتدبّرها مرَّتين، إلاَّ أنَّ الأوَّل جاء بصيغة ﴿فمن كان منكم مريضاً﴾ والثاني جاء بصيغة: ﴿ومن كان مريضاً﴾ والثاني جاء معلَّلاً بقوله تعالى: ﴿يُريدُ الله بكُمْ الْيُسْرَ ولا يريد بكم الْعُسْرَ﴾ والأول لم يأت مقترناً بهذا التعليل للرخصة.

فما هو الغرض البياني من هذا التكرير مع أنَّ القول الثاني قد جاء في الآية التالية للآية التي اشتملت على القول الأول في ترتيب القرآن؟ ويمكن أن نجيب على هذا التساؤل بما يلي:

أ ـ سبق أن عرفنا أنَّ الآيتين السابقتين من قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا كُتب عليكم الصـيام... إلى قوله تعالى: إنْ كنتم تعلمون﴾ قد نزلتا

أوَّلاً، وعمل المسلمون بمضمونهما، وكانوا يصومون ثلاثة أيَّامٍ من كلِّ شهر ببيان من الرسول ﷺ، فكان المناسب أن ينزّل فيهما حكم الرخصة للمريض والمسافر.

ثم لمَّا نزلت آية: ﴿شهر رمضان﴾ التي تضمَّنت الأمر بصيامه، وانتهى العمل بالبيان النبوي السابق، وهو صيام ثلاثة أيام من كلّ شهر، بياناً للأيَّام المعدودات، اقتضى البيان القرآني الجديد أن يكون مشتملاً نصَّاً على حكم الرخصة بالنسبة إلى المريض والمسافر، لئلا يُتوهَّم نسخُه مع نسخ إيجاب ثلاثة أيام من كلّ شهر.

وحُذِفَ من القول الثاني لفظ «منكم» لأنَّه قد جاء قبله ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ فلا يحسُن في الذوق البياني الجماليّ إعادةُ ذكرها مع العلم بها من السياق.

وقد استدعى البيان ذكر لفظ «منكم» في قوله تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضاً﴾ وفي ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ لأنَّ أصل الخطاب موجّه للذين آمنوا، لا لعموم الناس، إذْ هو حكم تكليفيّ تعبُّدي لا يصحُّ إلَّا من مؤمن بالله وبرسوله وباليوم الآخر.

ب ـ واقتضت إضافة: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ إعادة حكم المريض والمسافر، لأنَّ هذه الإضافة لا تحسن إلَّا مقترنة ببيان حكم من يشُقُّ عليهم الصوم من المرضى والمسافرين، لاسيّما بعد بيان أنّ التكليف الجديد يُلْزِم بصيام شهر كامل متتابع الأيام.

وأشار الله عزَّ وجل بقوله: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ إلى أنَّ أحكام هذه الرسالة الخاتمة خالية من الإصر والتكليف الثقيل الذي حمَّله الله على الأمم السابقة، هذا ما يومىء إليه لفظ: «بكم» الذي تكرَّر في جانب الْيُسْرِ المراد، والعسر غير المراد.

ومراد الله هذا قد تحقَّق بأحكام التيسير التي اشتملت عليها شرائع هذا الدين الخاتم.

واستُخْدِم الفعل المضارع «يُريد» في هذا المقام للدلالة على أنَّ الأحكام التكليفيَّة التي ستنزل فيما بعد مشمولة أيضاً بإرادة اليسر وعدم إرادة العسر، وليس الأمر مقتصراً على موضوع الصيام، وقد نزل فعلاً بعد هذا النصّ أحكام كثيرة، لأنَّ هذا النصّ من أوائل الآيات المنزلات في المدينة، التي كان فيها وفرة نزول أحكام التكاليف.

ـ ١١ ـ

وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ، وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون:

ولتكملوا العدَّة: أي: ولتكملوا بالصيام عدَّة أيام الصيام المفروض، فلا تنقصوا منها شيئاً، وفي هذا البيان دفع لتوهم الاكتفاء بالأغلب عن الاستيعاب، ولتعليمنا أنَّه متى قيل شهر أو سنة، فجاء التحديد بالشهور أو بالسنين فعلينا استيعاب أيام الشهور المحدَّدة، أو الشهر المحدد، أو السنين، أو السنة، ولا نكتفي بما يقال له شهرٌ تقريباً أو سنة تقريباً.

وفي هذا توجيه لتحرِّي أول شهر رمضان، ولتحرِّي نهايته، إذ لا نستطيع إكمال العدَّة إلَّا بهذا التحرِّي.

ولذلك جاء في كلام الرسول ﷺ: «فإنْ غُمَّ عليكم فأتموا عدَّة شعبان ثلاثين».

ومن وراء هذا تعليمُنَا في حياتنا نظام الضبط الزمني، ونظيرُه تحديد بداية يوم الصوم ونهايته بقوله تعالى بعد آية: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ﴾.

فجاء تحديد بداية يوم الصوم تحديداً دقيقاً باستبانة خيط النهار الأبيض من خيط اللَّيل الأسود من الفجر الذي يبدأ عنده النهار.

وجاء تحديد نهاية يوم الصوم بدخول الليل، وهو يدخل بغروب قرص الشمس، إذ يغرب بلحظة غياب آخر جزء منه.

ولتكبّروا الله على ما هداكم: أي: ولتكبّروا الله وتعظّموه في نفوسكم وقلوبكم، وتقولوا: الله أكبر بألسنتكم على هدايته لكم، إذْ أنزل لكم القرآن هُدىً للناس وبيِّناتٍ من الهدى والفرقان.

أو ولتكبِّروا الله على أن جعل لكم رمضان مناسبة لمنحكم العفو والغفران والعتق من النار، وبهذا الفضل الرّباني تكونون عند الله مهديين مستحقين دخول الجنان، والمناسبة بهذا تستدعي تعظيم الله وتكبيره، وذلك أن من رأى ذنوبه الكثيرة تجاه ربِّه، ثم رأى أنَّه بصيامه في شهر رمضان إيماناً واحتساباً قد غفر له الله وأعتقه من النار، لم يجد ذكراً تستدعيه هذه المناسبة أجمل ولا أكثر ملائمة للفرحة بهذا الفضل الربّاني العظيم من أن يقول: الله أكبر.

أي مهما أعطى وأنعم وأكرم فهو أكبر من ذلك.

ثم يأتي بعد التكبير «الحمد لله»، ولذلك اقترن فيما أثر من التكبير مع نهاية رمضان وبداية عيد الفطر ذكر: (الله أكبر ولله الحمد).

وقد فهم الإمام الشافعي وبعض الأئمة المجتهدين من قوله تعالى: ﴿ولتكبّروا الله على ما هداكم﴾ أنَّه توجيه للقيام بشعيرة التكبير لله في عيد الفطر، وهو ما يردِّده المسلمون قبل صلاة العيد.

ولعلّكم تشكرون: أي، ولعلكم تُقَدِّمون بالصيام الذي تصومونه إيماناً واحتساباً بعض الشكر لله تعالى على جلائل نعمه، وعظيم فضله عليكم.

إشكال نحوي وتخريجه:

يتساءل الباحث النحوي فيقول: كيف نوجّه العطف في قول الله تعالىٰ: ﴿ولتكملوا العدَّة ولتكبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾؟.

وأقول: ذكر علماء التفسير أنَّ المعطوف عليه محذوف يدلُّ عليه السياق، ويمكن أن يكون التقدير كما يلي:

شرع لكم هذه الأحكام لتعلموها ولتكملوا العدَّة، ولتكبروا الله على ما هداكم، ولعلكم تشكرون.

ونظير هذا في القرآن كثير ومنه قول الله تعالى في سورة (الأنعام ٦): ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥)﴾.

أي: لنؤتيه الحجَّةَ التي يجادِلُ بها المشركين من قومه وليكون هو في داخل فؤاده من الموقنين.

وقد دلَّ على هذا المحذوف قول الله تعالى بعد سبع آيات: ﴿وتلكَ حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾.

وقوله تعالى: ﴿وليكون من الموقنين﴾ فيه دليلٌ على أن من شروط الداعي إلى مبدأ أو عقيدةٍ أن يكون هو من الموقنين بها، ومن أصحاب الحجَّة للإقناع بها.

ويخطر لي في حلّ هذا الإشكال النحوي توجيهان آخران:

الأول:

أنَّ المعطوف عليه هو ﴿لعلكم تتقون﴾ في الآية الأولىٰ من هذا النصّ المتعلق بالصيام، والتقدير:

كُتب عليكم الصيامُ كما كُتب على الذين من قبلكم لرجاء أن تطيعوا الأمر فتتقوا مغبة المخالفة، ولتكملوا العدَّة، ولتكبّروا الله على ما هداكم، ولرجاء أن تشكروا الله على نعمه بأداء هذه العبادة أداءً حسناً خالصاً لوجهه.

الثاني:

أنَّ المعطوف محذوف أغنى عنه معموله المتعلِّق به، والتقدير:

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، وشرع لكم فريضة الصيام والأحكام المتعلقة بها لتكملوا العدَّة المفروضة عليكم من رمضان أو بدل الأيام التي تفطرونها بالرخصة التي شرعها لكم من أيام أخر، ولتكبّروا الله على ما هداكم، ولعلكم تشكرون.

والله أعلم.

ويلاحظ بلاغيّاً أنَّ هذه المعاني التي تستخرج من النصوص القرآنية، هي من صفة العمقِ في القرآن، والْعُمْقُ القرآني يأتي من اللوازم البعيدة، أو من المحاذيف التي يدلُّ عليها النصّ باقتضاءاته الفكرية، وبدلائل الروابط العقلية المنطقية.

ـ ١٢ ـ

وَإذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذَا دَعَانِ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لي، وَلْيُؤْمِنُوا بِي، لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون:

جاء في سبب نزول هذه الآية ما يلي:

أ ـ أخرج ابن أبي حاتم أنَّ أعرابيّاً قال: يا رسول الله، أقريبٌ ربُّنَا فَنُنَاجِيَه، أم بعيد فنناديَه، فسكت النبي ﷺ فأنزل الله عزَّ وجل قوله: ﴿وإذا سألك عبادي عنِّي فإنِّي قريب....﴾ الآية.

ب ـ وعن الحسن قال: سأل أصحاب رسول الله ﷺ: أين ربُّنا؟ قال: فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب...﴾ الآية.

جـ ـ وروي عن عطاء أنَّه بلغه، لما نزل قول الله تعالى: ﴿وقال ربكم: ادعوني استجب لكم﴾ قال الناس: لو نعلم أيّ ساعة ندعو؟ فنزل قول الله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عنِّي فإني قريب...﴾ الآية.

وعملاً بمضمون هذه الآية كان النبي ﷺ يوصي أصحابه بأن يخفضوا أصواتهم بنداء الله ودعائه.

روى مسلم والإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فجعلنا لا نصعد شرفاً، ولا نعلو شرفاً، ولا نهبط وادياً إلَّا رفعنا أصواتنا بالتكبير.

فدنا منا فقال: «يا أيُّها الناس. اربَعُوا على أنْفُسكم، فإنَّكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً، إنَّما تدعون سميعاً بصيراً، إنَّ الذي تدعونَ أقربُ إلى أحدِكم من عُنُقِ رَاحِلَته»

يا عبدالله بن قيس: «ألا أُعلِّمُكَ كلمةً من كنوز الجنَّة؟ لا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله».

اربعوا على أنفسكم: أي ارفقوا بها وكُفُّوا عن رفع الأصوات.

ونتساءل عن حكمة ورود هذه الآية ضمن آيات صيام رمضان وأحكامه؟

ويمكن أن نجيب بأنَّ من الأغراض البيانية التنبيه على أهمية الدُّعاء في رمضان وللصائمين فيه، وأنَّ رمضان من الأزمان المباركة التي تستجاب فيها الدعوات.

ونحن نعلم أنَّ ليلة القدر فيه هي ليلة عظيمة مباركة لا يُردّ فيها الدعاء.

وقد ورد عن فضل الدعاء في رمضان ودعاء الصائم عند فطره طائفة من الأحاديث النبوية، منها الأحاديث التالية:

أ ـ عن عبدالله بن عَمْرٍو قال: قال النبي ﷺ: «إنَّ للصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةً لَا تُرَدُّ».

رواه ابن ماجه، وعند الطيالسي نحوه.

قال عبيدالله بن أبي مُليكَة: سمعت عبدالله بن عَمْرٍو يقولُ إذا أفطر: اللَّهُمَّ إنِّي أسألكَ برحمتكَ التي وسعت كلَّ شيءٍ أَنْ تَغْفِر لي.

ب ـ وروى الإمام أحمد والترمذيّ والنسائي وابْنُ ماجه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثةٌ لا تُردُّ دعوتُهم: الإمامُ العادل، والصائمُ حين يُفْطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقولُ الرَّبّ: بعزّتي لأنْصُرنّكِ ولو بعد حين».

* * *

قول الله: ﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإني قريب﴾ أي: لستُ بعيداً عنهم، فأنا معهم أسمع وأرى، وأعلم خواطرهم، وسرَّهم ونجواهم، أسمعُ دعاءهم ولو دعوني بسرّهم أو بصوت خافت.

وقد أوضح الله عزَّ وجلّ مبلغ هذا القرب في قوله تعالىٰ في سُورة (ق ٥٠): ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) ﴾.

أي: أَقْرَبُ إليه من أقرب أجزاء جسده إلى قلبه. وفي قوله تعالى في سورة (الواقعة ٥٦): ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) ﴾.

أي: فلولا إذْ بلغتِ روحُ المحتضَر حُلقومَهُ، وأنتم أيُّها الحاضرون نزعَ روحِه تنظرون إليه، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون.

وقد أبان النبيّ صالح عليه السلام هذه الحقيقة لقومه إذْ قال لهم كما جاء في سورة (هود ١١): ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً، قَالَ: يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا، فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١) ﴾.

وقال الله عزَّ وجل لموسى وهارون عليهما السلام مطمئناً لهما كما جاء في سورة (طَه ٢٠): ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا: رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ: لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) ﴾.

فالله تبارك وتعالى قريب من عباده سميع بصير، يعلم سرَّهم ونجواهم.

وكلَّما كان الذكرُ والدُّعاءُ أخفتَ كَانَ أقربَ إلى الإخلاص، وأَدَلَّ على كمال الإيمان بعلمِ الله وسمعِه وبصره ومعيّته لعباده، وأقربَ إلىٰ الاستجابة.

قول الله: ﴿أجيبُ دعوة الداعِ إذَا دَعَانِ﴾ في هذا وعد من الله أنَّه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

وإذْ كان الله عزَّ وجلّ يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ليبرهن لعباده على وجوده، ولو لم يَرَوْا ذاته، فعليهم أن يستجيبوا لدعوته ويؤمنوا به، ليرشُدُوا.

ولذلك قال الله عزَّ وجل عقبه: ﴿ فليستجيبوا لي، وليؤمنوا بي، لعلَّهم يَرْشُدون ﴾.

وقد ورد في السنة بشأن الدعاء جملة أحاديث تبيّن ما جاء في عموم القرآن، منها ما يلي:

أ ـ روى الإمام أحمد عن سلمان الفارسي، أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ لَيَسْتَحْيِي أن يَبْسُطَ العَبْدُ إلَيْهِ يَدَيْهِ يَسْأَلُهُ فِيهِمَا خَيْراً فَيَرُدَّهُمَا خَائِبَتَيْن».

ب ـ وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري، أنَّ النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إثْمٌ وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ إلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إحْدَىٰ ثَلاَثِ خِصَال:

- إمَّا أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لَهُ دَعْوَتَهُ.
- وإمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الأُخْرَىٰ.
- وَإمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا».

قالوا: إذَن نُكْثِرُ.

قال: «اللَّهُ أَكْثَرُ» أي: الله أكثر جوداً وعطاءً وفضلاً.

جـ ـ وروى الترمذي عن جابر عن النبيّ ﷺ قال: «مَا عَلَىٰ ظَهْرِ الأَرْضِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِدَعْوَةٍ إلاَّ آتَاهُ اللَّهُ إيَّاهَا، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ».

د ـ وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَـزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ».

قِيل: يَا رسُولَ الله، وَمَا الاسْتعجالُ؟

قال: «يَقُولُ: قَد دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يُسْتَجابُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعاء».

ـ ١٣ ـ

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَام الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ. عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَـانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَـابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَـالآنَ بَاشِـرُوهُـنَّ وابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ. وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ، ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ، ولاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وأَنْتُمْ عَاكِفُونَ في المَسَاجِدِ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوها، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ (١٨٧) ﴾.

هذه الآية تدلُّ علىٰ تخفيف حكم في الصيام كان ثابتاً أوَّل الأمر. فصعُب على أكثر المسلمين الالتزام به أو على كثير منهم، وحصل من بعضهم مخالفته، فأنزل اللّه عزَّ وجلَّ تخفيفاً أذن فيه بما لم يكن مباحاً من قبل.

والظاهر أنَّ هذه الآية نزلت بعد مُدَّةٍ تمَّ فيها تطبيق الأحكام المشدَّدة السابقة، وذلك بعد أن شقَّ على المسلمين تحمُّلُ الالتزام الكامل بها، وأنَّه قد تأخر نزولها عن آيات الصيام السابقة لها في النص.

وما تشعر به هذه الآية قد ثبت في السنة بعدَّة أحاديث ولا بدَّ لنا من الرجوع إليها لمعرفة ما كان عليه الأمر، وهو من أمثلة نسخ ما ثبت في السنة بالقرآن.

ما ثبت في السنة:

أ ـ روى البخاريّ عن البراء قال: لمَّا نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون

النساء رمضان كلّه، وكان رجالٌ يخونون أنفسهم، فأنزل الله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾.

هذا الحديث يدلُّ على أنَّ مباشرة النساء كانت ممنوعة كلَّ شهر رمضان.

ب ـ ورُوي عن ابن عباس قال: كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلَّوُا العشاء حرُم عليهم النساء والطَّعامُ إلى مثلها من القابلة، ثُمَّ إنَّ ناساً من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء، منهم عُمَرُ بن الخطاب، فشكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾.. الآية.

جـ ـ ورُوِيَ عَنْ أبي هريرة قال: كان المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية إذا صلَّوْا العشاء الآخرة حرُم عليهمُ الطَّعام والشراب والنساء حتى يُفطروا، وإنَّ «عمر بن الخطاب» أصاب أهله بعد صلاة العشاء، وإنَّ «صِرْمَةَ بنَ قَيْسٍ» الأنصاري غلبته عيناه بعد صلاة المغرب فنام ولم يشْبَع من الطعام، ولم يستيقظ حتى صلَّى رسول الله ﷺ العشاء، فقام فأكل وشرب، فلمَّا أصبح أتى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فأنزل الله عند ذلك:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ يعني بالرَفَثِ مجامعة النساء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يَعْني تجامعون النساء وَتأكلون وتشربون بعد العشاء ﴿فَتَابَ عَلَيكم وعَفَا عَنْكُمْ فالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ يعني جامعوهُنّ ﴿وابتغوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني الولد ﴿وَكُلُوا واشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيطُ الْأَبْيَضُ من الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَىٰ الليل﴾ فَكَانَ ذَلِكَ عَفْواً من اللَّهِ ورحمة.

د ـ وأخرج ابن جرير عن كعب بن مالكٍ قال: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمْسَىٰ فنام حَرُم عليه الطعامُ والشراب والنساء حتّى يُفطر من الغد، فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي (ﷺ) ذات ليلةٍ وقد سَمَر عنده،

فوجد امرأته قد نامت، فأرادها، فقالت: إنّي قد نمتُ، فقالَ: ما نِمتُ، ثُمَّ وقع بها، وصنع كعب بن مالك مثل ذلك، فغدا عمر بن الخطاب إلى النبيّ (ﷺ) فأخبره، فأنزل الله:

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ، فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾... الآية.

فأباح الجماع والطعام والشراب في جميع اللّيل رحمةً ورُخْصَةً وَرِفقاً.

هـ - وورد أيضاً في أسباب النزول أنَّ أصحاب النبيّ ﷺ إذا كان الرجل صائماً فنام قبل أن يُفطر لم يأكل إلى مثلها. وإنَّ أَحدَ الأنصارِ كان صائماً، وكان يومه ذلك يعمل في أرضه، فلمَّا حضر الإفطارُ أتى امرأته فقال: هل عندكِ طعامٌ؟. قالت: لا، ولكن أنطلقُ فأطلبُ لكَ، فغلبته عينه فنام، وجاءتِ امرأته، فلمَّا رأته نائماً قالت: خيبةً لكَ أنِمتَ؟ فلمَّا انتصف النهارُ غُشِي عليه[1]، فذكر ذلك للنبيّ ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أحِلَّ لكم ليلة الصيام...﴾.

هذه جملة الأخبار الواردة حول ما كان عليه الصيامُ أوَّل الأمر، وكيف نزل التخفيف الربّاني بعد ذلك.

ومع ما في بعضها من خلاف حول ما كان عليه الحكم في ليالي رمضان بالنسبة إلى الطعام والشراب والجماع، فإنَّ النصّ القرآني فيه دلالة على أنَّ الجماع كان من المحرّمات في ليالي رمضان، سواءً رجَّحنا ما رواه البخاريُّ عن البراء من أن التحريم كان يشمل كلّ شهر رمضان، وهو ما يشعر به ظاهر النصّ القرآني، أو ما ورد في الروايات الأخرى من أنَّ التحريم كان يبدأ من بعد العشاء الآخرة، أو من بعد النوم.

يشعر النّص القرآني في هذه الآية بأنَّ إباحة الأكل والشرب لم تكن تشمل كلَّ الليل حتى طلوع الفجر، لورود النّص بالإباحة حتى طلوع الفجر

(١) أي: من شدة الجوع.

معطوفاً على إباحة مباشرة النساء في ليالي رمضان، والله أعلم.

على أن تحقيق مثل هذا لا يترتَّب عليه حكم عملي، فالأمر فيه هين.

حكمة التكليف المشدَّد ثم التخفيف:

قد يسأل سائل فيقول: لِمَ تنزل بعض الأحكام الشرعية الرَّبَّانيّة أوّلَ الأمر فيها بعض التشديد والتثقيل في التكليف، ثُمَّ ينزل التخفيف؟ أَلم يكن الله يعلم مقدار الضعف البشري من قبل أن ينزّل التكليف المثقّل، فينزل الأحكام التكليفية الملائمة لواقع الاستطاعة البشرية العادية؟

ويمكن الإجابة بما يلي:

١ ـ لا ريب أنَّ الله عزَّ وجل بكل شيء عليم، ألاَ يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟

٢ ـ لكن لله عزَّ وجل حكماً تربوية عظيمة في التثقيل ثُمَّ التخفيف، فمن هذه الحكم:

أوَّلاً: في الناس فريقان:

● فريق تنزع نفوسهم إلى التشديد في الدين، لأنهم يجدون أنفسهم في أحوالهم التي يكونون عليها عند بدء التكليف أقوياء على تحمُّل التكاليف المشدَّدة والصبر عليها.

ومن الحكمة لتربية هؤلاء وإقناعهم بمنهج الإسلام القائم على اليُسر لا العسر في التكاليف، وضعهم موضع التجربة المؤقتة في تكليف ثقيل لا يطيق الصبر عليه كثير من الحريصين على التقوى منهم، ليكتشفوا أنَّ منهج التيسير هو الأحكم لعموم المكلفين، وهو الذي تدعو إليه مطابقة الواقع البشري العام، القائم على الضعف وقلَّة الصبر على التكاليف الشديدة.

فإذا اكتشفوا ذلك، وصحَّت تصوُّراتهم، نزل التخفيف إلى التكليف الذي كان مقرَّراً في الخطة أن يكون هو التكليف الثابت الذي لا يتعرَّض للتغيير أو التعديل.

● وفريق آخر تنزع نفوسهم إلى التخفيف في التكاليف الدينية، فإذا جاءت مخففةً ابتداءً طمعوا بأن ينزل تخفيف لهذا المخفف، وربما تحدَّثت نفوسهم به، ولو لم تفصح عنه ألسنتهم.

ومن الحكمة أحياناً لتربية هؤلاء البدء معهم بالتكليف الثقيل، فإذا اشتكوا بألسنتهم أو نفوسهم من ثقل الأمر نزلت أحكام التخفيف إلى الحدِّ المقرَّر في أصل الخطة، عندئذٍ ينقطع تشوّفهم لتخفيف آخر، إذ استجاب الله لهم، وتَحقَّق لهم التخفيف المطلوب، ونزلت الأحكام الملائمة لواقع الاستطاعة البشرية العامَّة المعتادة.

فإذا طمعت نفوسهم بتخفيف آخر لم يستجب الله لهم، ليعلموا أنَّ أحكام الدين لا يَجعلها الله عرضة للتغيير والتبديل وفق تشهّيات المكلفين وأهوائهم.

ثانياً: ومن حكم التبديل والتعديل في الأحكام التشريعية أن يعطي الله عزَّ وجلّ قادة المسلمين وأمراءَهم وواضعي أنظمة إدارتهم قُدوةً عمليةً من ذاته، تهوّن عليهم أن يتراجعوا عن أوامرهم ونواهيهم الصارمة، إذا رأوا أنّ غيرها أرحم وأحكم وأكثر تحقيقاً للمصلحة، وأكثر ملاءمة للواقعيّة البشرية، بعد وضع أوامرهم ونواهيهم موضع التجربة.

فالشرائع الرَّبَّانية المنزّلة من لدن حكيم عليم، قد ضربت لنا بنفسها مثلاً في التدرُّج والتعديل والتبديل والنسخ.

وأيَّة قدوة في الوجود أعظم من تصاريف الحكيم العليم الخبير خالق كلّ شيء، وهو على كلّ شيء قدير، فلا يستكبرنَّ آمر من الناس أن يتراجع عن أمره مهما علا شأنه، إذا رأى أنَّ في التراجع خيراً ومصلحة.

ثالثاً: ويلاحظ في التغيير في التكاليف الشرعيّة أنَّه قد يكون أيضاً ترقّياً من الأخف إلى الأشد، مراعاةً لحكمة التدرج الارتقائي.

وقد يكون لأمر آخر أفضل من الأمر الأول أو مساوٍ له.

ليعلّمنا الله أنَّ أساليب تربية الناس ليست صورةً واحدةً تُلْتزم في كلّ الظروف والأحوال والأعمال، بل هي ابتكار وتجديد وتنويع بصورة مستمرّة، وهدفُها الملاءمة بين واقع حال الأنفس في الظرف المعين وما يوجّه لها من تربية أو تكليف أو تعليم.

* * *

قول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾

يفيد الإذن بمعاشرة الزوجات ليلة الصيام كلِّها، والليلة تستمرُّ من غروب الشمس حتى طلوع الفجر، وقد كان هذا تخفيفاً من الله لحكم الصيام الذي كان أوَّل الأمر.

والرفث: هو الجماع ومقدِّماته، وقيل: هو في الأصل الكلام الفاحش الذي يكون بحضور النساء للإثارة والمغازلة، ثمَّ استعمل كنايةً عن الجماع وعن مقدِّماته.

والأصل في هذه المادَّة أن يُقالَ: رَفَثَ الرجلُ بزوجته أو رفثَ معها. قالوا: وإنَّما عُدِّيَ الرفثُ في الآية بحرفِ (إلى) لأنَّ الرَّفث قد ضُمِّنَ معنى كلمةِ أفضى، فكأنَّه قيل: أحِلَّ لكُمْ ليلة الصيام الرَّفثُ حالة كونكم مفضين به إلى نسائكم. أو أحلَّ لكم الإفضاء إلى نسائِكم بالرفث، أو نحو ذلك.

* * *

قول الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾.

أي: هُنَّ كاللّباس الساتر لكم، وأنتم كاللّباس الساتر لهنَّ، ومن صفة اللباس أنَّه يستُر العورة، ويشمل بالدفء، ويقي من عوارض كثيرة، وفيه حفظ من الحرّ والبرد، كذلك ينبغي أن يكون كلٌّ من الزوجين لصاحبه، ففي هذا الوصف معنى التوجيه لما ينبغي أن يكون عليه الزوجان بعضُهما لبعض، وهو من ثمرات المودّة والرحمة اللَّتَيْنِ جعلهما الله بينهما.

فنفهم إذن من هذا التشبيه البليغ الذي حذفت منه أداة التشبيه أكثر من دلالة.

ففيه الإشارة إلى أنَّ كلاً من الزوجين يستر عورة الزوج الآخر، إذْ يقضي حاجة قرينه الطبيعيَّة إلى القرين المعاشر، فيُحصِنُه ويُساعده على غضٍّ بصره عن المحرَّمات، وكفٍّ نفسه عن التطلُّع إلى ما لم يأذَنْ به الله.

وفيه التلطُّفُ بوصف حالة المباشرة التي تُنزع معها الألبسة، ويكون بدنُ كلٍّ من الزوجين فيها بمثابة اللباس لقرينه، وفي التحدُّث عن هذه الحالة بيان للواقع الذي جعل بعض المسلمين لا يصبرون عن زوجاتهم في ليالي رمضان، حين كان يجب الكفُّ عنهنَّ أوَّل الأمر.

وفي التحدُّث عن هذه الحالة إشارةٌ ضمنيَّةٌ إلى نوع من التربية على المعاشرة بين الزوجين، لكنَّها مستورة بكثير من الأدب الرفيع، والحياء الجمٍّ.

ولو سئل أديب حَسَنُ الخاطرة: ماذا تلبس إذا أويتَ إلى فراشِك ليلاً؟. فقال: ألبس زوجتي، لقلْنَا أديب أبدع في الإجابة أيّما إبداع، إذْ عبَّر بأسلوبه هذا عن أنَّه يتجرَّد تجرُّداً كاملاً لعروسه.

وفي هذا التعبير إشارة إلى معانٍ أخرى غير ما سبق، يمكن أن يستنبطها الفكر منه، مثل ستر كل من الزوجين لعيوب صاحبه التي يكتشفها فيه بالمخالطة، وستر أسراره ونحو ذلك.

* * *

قول الله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾.

تختانون أنفسكم: أي: تخونون أنفسكم، يقالُ لغةً: خَانَ واخْتَانَ، كما يُقال: كسب واكتسب. وفي صيغة الفعل الذي زيدت فيه تاءُ الافتعال هذه زيادةُ دلالةٍ فيها معنى الكثرة والمبالغة والتكلُّف والإسراف ونحو ذلك.

فإمَّا أن نقول: إنَّ ما وقع به بعض الصحابة أوَّل الأمر حين كانت معاشرة الزوجات عملاً محرَّماً في ليالي رمضان، قد كان أمراً كبيراً غير مرتقب منهم، فوصفه الله بأنَّه خيانة زائدة لنفوسهم.

وإمَّا أن نقول: إنَّهم قد حملوا مشقة صبر زائد ألجأ بعضهم إلى أن يقع

في صراعٍ شديد بين مقتضيات الواجب، وعنف حاجة النفس، الأمر الذي سقط معه بعضهم في المخالفة، فتحمَّل ارتكاب الخيانة لنفسه وهو كاره. وبهذا يظهر لنا معنى التكلُّف الذي تدلُّ عليه صيغة (افتعل) ومنها فعل (اختان).

وقد يترجَّح هذا المعنى الثاني لأنَّه الأَلْيَقُ بحال الصحابة، وبسياق النصّ، لذلك قال الله لهم: ﴿فتاب عليكم وعفا عنكم﴾ أي: فعاد الله عليكم برحمته، فخفَّف عنكم ثقل التكليف، وعفا عنكم ما كان منكم من مخالفة، والعفو مرتبة عالية فوق الغفران، فالغفران ستر، والعفو إزالة الأثر.

وقد جاء الخطاب في القرآن عامًّا والمقصود منه الذين كان منهم اختيان لأنفسهم، ستراً لهم، وأسلوباً تربويّاً رفيعاً، مع الإشعار بأنَّه لو استمرَّ الحكم كما كان عليه أوَّل الأمر، لاختان أكثرهم أنفسهم، ولذلك نزل حكم التخفيف.

ونظراً إلى أنَّ المعاصي الخاصَّة بين العبد وربّه التي لا تؤثر على أحدٍ غير الإنسان نفسه، هي من قبيل خيانة الإنسان لنفسه، في أمانته التي استأمنه الله عليها، جاء التعبير القرآني بصيغة: ﴿تختانون أنفسكم﴾ فمعاشرة الزوجات في عبادة تحرم معها هذه المعاشرة لا تؤثر على أحد غير المعاشر نفسه، لأنَّها في غير ظروف العبادة مأذون بها، فهي من قبيل خيانة الإنسان لنفسه فقط.

أمَّا حينما تكون المعاصي ذات آثار تتعدَّىٰ فتمسُّ قواعد الدين بشكل عامّ، أو تمسّ مصالح المسلمين، أو تمسّ حقوق الآخرين جماعات أو أفراداً، فإنَّ الخيانة حينئذٍ تكون خيانة مركَّبة، فقد تكون خيانة لله والرسول، وقد تكون خيانة للناس في أمانات هم أهلها، ومستحقوها، مع خيانة الإنسان لنفسه فيها، إذْ يعرِّض نفسه للعقاب والمؤاخذة.

ومن ذلك ما جاء بمناسبة خيانة أبي لبابة إذْ أشار إلى بني قريظة حين استشاروه: هل ينزلون على حكم رسول الله ﷺ؟ فأشار إليهم بيده على رقبته أنَّه الذبح، إذْ كان أهله وماله فيهم ثم ندم وتاب، فأنزل الله عزَّ وجلَّ قوله في سورة (الأنفال ٨): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا

أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾.

والخائن لنفسه بالمعصية يفوّت على نفسه أجراً عظيماً، هو من الكنوز المدَّخرة له لو حافظ على أمانته، ويعرِّض نفسه للعقاب، كان باستطاعته أن يقي نفسه منه بالمحافظة على أمانته التي استأمنه الله عليها.

وكما سُمِّيَتِ المعاصي خيانة للأنفس، سمّيت ظلماً للأنفس أيضاً.

* * *

قول الله تعالى: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

أي: فبعد التوبة عليكم بتخفيف وطأة الحكم السابق، أُعلنُ لَكُمْ منذ الآن (وقت نزول الآية) الإذن لكم بمباشرة أزواجكم في ليالي رمضان، وقد كنَّىٰ بالمباشرة التي هي ملامسة البشرة للبشرة عن الجماع.

ووجَّه الله المؤمنين للغرض الأَساسيِّ من الزواج وخلق الغريزة التي تجذبُ كُلًّا من الزوجين إلى صاحبه، فقال تعالى: ﴿وابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

أي: ابتغوا من المباشرة الذريّة الصالحة، ولا يكن همُّكُمْ مجرَّد قضاء الوطر، ومجرَّد الاستمتاع باللَّذة.

على أنَّ ابتغاء الذريّة إنَّما هو ابتغاء لما كتب الله، أي: فإذا لم يكن لله في الأمر قضاء فإنَّ أيّ ولد لن يأتي، وما التزاوج بين الذكور والإناث إلَّا أسباب كونية محكومة بالقضاء الرَّبَّاني، فالمؤمن في إرادته ونيته وما يطلبه في حياته، يجب أن يكون منسجماً مع إيمانه بقضاء الله وقدره، وطاعته لأمر الله ونهيه والتزامه شريعة الله لعباده.

وإذا قضى الله ذكراً أو أنثى فإنَّ أحداً لا يستطيع التغيير من قضاء الله، فهو الذي يهب، وهو الذي يمنع بحكمته، قال الله عزَّ وجلّ في سورة

(الشورى ٤٢): ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإنَاثاً، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً، إنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾.

* * *

نظرة قرآنية حول ابتغاء ما عند الله:

يلاحظ أنَّ التوجيه القرآني لطلب الذُّريّة قد جاء بعبارة: ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ كما في آيات الصيام التي نتدبّرها.

وأنَّ التوجيه لطلب الرزق قد جاء بعبارة: ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ وبعبارة ﴿فابتغُوا عند الله الرزق﴾ فقال الله تعالى في سورة (الجمعة ٦٢): ﴿فَإذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا في الأَرْضِ وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ (١٠)﴾.

أي: وابتغوا الرزق من فضل الله عن طريق الكسب الذي هو سبب الحصول على الرزق حسب العادة.

ووصف اللَّه المؤمنين بأنَّهم إذا ضربوا في الأرض مسافرين لطلب الرزق فإنَّما يبتغونه من فضل الله، ولا يتصوَّرون أنَّه يأتيهم بمهاراتهم أو بعلم منهم، فقال تعالى في سورة (المزّمل ٧٣): ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ، وَآخَرُونَ يَضْرِبُوْنَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله.. (٢٠)﴾.

وقال إبراهيم عليه السلام لقومه كما جاء في سورة (العنكبوت ٢٩): ﴿إنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً، وَتَخْلُقُونَ إفْكَاً، إنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ واعْبُدُوهُ واشْكُرُوا لَهُ إلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ (١٧)﴾.

ويُلاحظُ أيضاً أنَّ التوجيه لطلب الثواب المعجّل والمؤجل قد جاء بعبارة ابتغائه من فضل الله.

فقال الله عزَّ وجل في وصف المهاجرين من أصحاب الرسول ﷺ في سورة (الحشر ٥٩): ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً، وَيَنْصُرُونَ اللَّه وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾.

فوصفهم الله بأنَّهم يطلبون ثوابهم من فضل الله.

ثمَّ أنزل الله تعالى في وصف أصحاب محمد ﷺ بياناً لِمَا كَانَ قَدْ أنزله في التوراة بشأنهم فقال عزَّ وجل في سورة (الفتح ٤٨): ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً، سِيمَاهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ. ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التوراة... (٢٩)﴾.

أي: ذلك وصفهم في التوراة، فهم يبتغون أجورهم فضلاً من الله.

ثُمَّ أنزل الله تعالى بشأن الْحُجَّاج والمعتمرين قوله في سورة (المائدة ٥) وهي من أواخر ما نزل من القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّه وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلاَئِدَ ولاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْواناً... (٢)﴾.

من تدبَّر هذه النصوص حسب التعبيرات الواردة فيها نلاحظ أنَّ الذُّرِّية يحقّق الله منها بالوسيلة ما كتبه الله، وأنَّ الرزق المقسومَ يبتغى عند الله بالكسب السببي، وأنَّ الزائد على حاجة الحياة يُبْتَغى بالكسب السببي أيضاً من فضل الله.

أمَّا الثواب على العمل الصالح فكلُّهُ فضلٌ من الله، وقد جعله الله من ثمرات الكسب السببي، إذْ وعد بأن يمنحه فضلاً منه لمن عمل صالحاً، وجعل التفاضل في الأجر مناسباً للتفاضل بين الناس في العمل الصالح.

فالثواب على العمل الصالح ليس استحقاقاً طبيعيّاً للعامل، وإنَّما استحقاق لفضل الله بموجب وعده الكريم، إذ العمل الصالح مهما عظم لا

يمكن أن يوفّي نعم الله التي تستوجب من العبد الشكر، وربط الله عزَّ وجل الثواب العظيم بالعمل الصالح ربط سببي فقط، وليس ربطاً على أساس الاستحقاق الذاتي.

بهذا الفهم نستطيع أن نجمع بين دلالات النصوص جمعاً منطقيّاً محكماً.

ويخطىء من يفهم خلاف هذا، ويتصوَّر أنَّ الطاعة والعمل الصالح من موجبات الثواب ودخول الجنة بالاستحقاق الذاتي، أمَّا بمقتضى وعد الله الذي قرَّر أن يتفضل بالثواب ودخول الجنة على من آمن وأطاع وعمل صالحاً فَنَعَم.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال:

«سِدِّدُوا وَقارِبُوا وَأَبْشِرُوا فإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَداً الْجَنَّةَ عَمَلُهُ».

قالوا: وَلَا أَنت يا رسول الله؟!

قال: «وَلَا أَنَا إلَّا أن يَتَغَمَّدَني اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَة».

* * *

قول الله تعالى: ﴿**وَكُلُوا واشْرَبُوا حتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إلى اللَّيلِ**﴾.

أي: كما يُبَاح لكم مباشرة الأزواج يباح لكم الأكل والشرب في ليالي رمضان حتَّى يتبين لكم خيط النهار الأبيض القادم، من خيط الليل الأسود المنصرم، من الفجر الذي يدخل به أوَّل النهار.

جاء في الصحيح حول هذا النص عدَّة أحاديث تبيِّن المراد من الخيط الأبيض والأسود:

أ ـ روى البخاريّ عن عديّ بن حاتم، أنَّه أخذ عقالاً أبيض وعقالاً أسود، حتَّى كان بعض اللَّيل نظر فلم يستبينا، فلما أصبح قال: يا رسول الله

جعلت تحت وِسادي، قال: «إنَّ وِسَادَكَ إذاً لَعَرِيضٌ أَنْ كَانَ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ والأَسْوَدُ تحتَ وِسَادَتِكَ».

وقد كنّىٰ الرسول ﷺ بهذا عن بلادته وعدم فهمه المراد.

ب ـ وروى البخاريُّ أيضاً عن عديّ بن حاتم، قال: قلتُ: يا رسول الله، ما الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود؟ أهما الخيطان؟ قال: «إنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا إنْ أَبْصَرْتَ الْخَيْطَيْنِ» ثم قال: «لاَ، بَلْ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ».

وعبارة: «عريض القفا» كناية عن البلادة في فهم المعنى المراد.

جـ ـ وروى البخاريّ عن سَهْل بن سعدٍ قال: أُنزلت: ﴿وَكُلُوا واشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ وَلَمْ ينزل: «من الفجر».

وكان رجالٌ إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتُهما، فأنزل الله بعده: ﴿من الفجر﴾ فعلموا أنّما يعني اللّيل من النهار.

ونفهم من هذا التحديد الذي في الآيةالتوجيه للعناية بضبط الأوقات، فقد عبّرت عن تلاصق النهاية بالبداية بالخيطين، خيط نهاية الليل الملاصق لخيط بياض الفجر الصادق.

وتشعر هذه الآية بأن ما يجب الإمساك عنه في الصيام، هو الأكل والشرب ومباشرة النساء، لأنَّ الله عزَّ وجل أحلَّ هذه الأمور لیالي الصيام حتى طلوع الفجر، وقال بعدها: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إلى الليل﴾ فدَلّ على أنّ هذه مُفطرات يجب الإمساك عنها في الصيام.

وقد أخذ بعض الناس بظاهر دلالة هذه الآية، فرأى أنَّ مفطرات الصائم تنحصر بهذه الأمور الثلاثة، ولم يأخذ بما ورد في السنة من مفطرات أخرى، ولا بما يقاس على ما جاء في الآية.

أمَّا جمهور الفقهاء المجتهدين فقد أضافوا إليها ما ثبت لديهم عن الرَّسول ﷺ من مفطّرات.

فمنهم من أضاف القيء العمد، لا الذي يندفع بنفسه من غير تعمُّد وقصد.

ومنهم من قاس على الأكل والشرب دخول أيّ شيءٍ إلى الجوف من منفذ مفتوح، كالحقنة الشرجيّة.

ومنهم من أضاف الحجامة للحاجم والمحجوم.

ويستفاد من قول الله تعالى: ﴿حتى يتبيَّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ أن من يريد الصوم وطلع عليه الفجر وهو جنب فإنَّ صومه صحيح.

فالجنابة بحدِّ ذاتها لا تتعارض مع الصوم، وذلك لأنَّ الله عزَّ وجل أذن في ليلة الصيام بمباشرة النساء والطعام والشراب حتى طلوع الفجر، ويلزم من ذلك احتمال طلوع الفجر قبل اغتسال الجنب، فدلَّ ذلك على أنَّ طلوع فجر يوم الصوم على الجنب لا يفسد صومه.

لكن الجنابة التي تكون في نهار الصوم بقصد الصائم، وبممارسة عمل من شأنه إحداث الجنابة كالتقبيل والملامسة ونحو ذلك، فإنَّها من المُفَطِّرات التي تفسد صوم الصائم، فلا يدخل في ذلك احتلام النائم، لأنَّ جنابته حينئذٍ لا تكون بقصده، ولا بممارسة عمل من شأنه إحداث الجنابة.

* * *

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُوْنَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾.

كما نهى الله عزَّ وجلَّ عن مباشرة النساء في عبادة الصوم، نهى أيضاً عن مباشرتهنَّ في عبادة الاعتكاف في المساجد.

وقد جاء بيان هذا الحكم مع أحكام الصيام لأنَّ أفضل أوقات الاعتكاف في المساجد هي أيام رمضان ولياليه.

ويرى بعض الفقهاء المجتهدين أنَّ الاعتكاف في المساجد يشترط فيه الصوم.

ومهما يكن من أمرٍ فإنَّ ذكر هذا الحكم المتعلِّق بالاعتكاف في المساجد ضمن أحكام الصيام لَهُ مناسبة ودلالة، ولا تقلُّ هذه الدلالة عن اعتبار الاعتكاف في المساجد خلال شهر رمضان عملاً مبروراً ومن النوافل المؤكدة، لا سيما العشر الأخير منه، اقتداءً بالنبي ﷺ. فقد ثبت في السنة عنه صلوات الله وسلامه عليه أنَّه كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان حتَّى توفَّاه الله، ثمَّ اعتكف أزواجه من بعده.

* * *

قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوها﴾.

يظهر أنَّ الإشارة بـ«تلك» موجَّهة لجميع الأحكام التي بيَّنتها آيات الصيام.

وسمَّىٰ اللَّهُ هذه الأحكام حدوداً، لأنَّ الحدَّ هُو الْمَعْلَمُ الفاصل بين أمرين، والفاصلُ يُمَيِّزُ الشيء عن الشيء حتَّى لا يختلطا ولا يتداخلا في أنفسهما، أو في تصوّر الناظر إليهما والباحث عنهما. والحدُّ مانع من دخول أي جزء من أجزاء كلٍّ من المحدودين به في صاحبه، ومانع من خروج أيِّ جـزء من أجزاء المحدود به إلى غيره.

وحدود الله هي أحكام شريعته لعباده ذات المقادير المحدَّدة المقدَّرة.

وقد جاء التعبير عن أحكام الشريعة الرَّبَّانية بالحدود في القرآن الكريم أربع عشرة مرَّة في تسع آيات.

وفي بعضها النهي عن اقتراب هذه الحدود، وفي بعضها النهي عن

تعدِّيها وتجاوزها، وفي بعضها التنبيه على وجوب إقامتها وفي بعضها الثناء على الحافظين لها.

والحدّ يُقام عند الحِمَىٰ لمنع الذين هم خارج الْحِمَىٰ من الدُّخول إلى باطن الحِمىٰ، أو لمنع الذين هم داخله من الخروج إلى ظاهره.

وقد ورد في الصحيح قول الرسول ﷺ: «ألا وَإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىٰ، ألاَ وَإنَّ حِمَىٰ اللَّهِ محارمه».

نظرة عامة لاستعمال كلمة «الحدود» في القرآن:

١ ـ في آيات الصيام التي نتدبرها قال الله عزَّ وجل في أواخرها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فلا تَقْرَبُوهَا﴾.

وفيها أحكام تحريم، وأحكام إيجاب، وأحكام إباحة ورخصة.

٢ ـ وجاء في سورة (البقرة) أيضاً ضمن بيان أحكام تشريعيّة كثيرة بيَّنَها الله للَّذين آمنوا، فيها محرمات وفيها واجبات وفيها مباحات، قولُ الله عزَّ وجل: ﴿تِلْكَ حُـدُودُ اللَّهِ فَـلاَ تَعْتَـدُوهَـا، وَمَنْ يَتَعَـدَّ حُـدُودَ اللَّهِ فَـأُوْلَئِـكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩)﴾.

٣ ـ وجاء في سورة (النساء ٤) عقب بيان أحكام تشريعية كثيرة تتعلَّق بالحقوق المالية لليتامى، والنساء، وبالمواريث وما فرض الله فيها للورثة، قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيها، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهينٌ (١٤)﴾.

٤ ـ وجاء في أوَّل سورة (الطلاق ٦٥) قولُ الله عزَّ وجل: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بعد ذَلِكَ أمراً (١) ﴾.

٥ ـ وأثنى الله عزَّ وجل على المؤمنين المجاهدين في سبيله، القائمين بما شرع الله لعباده، وأبان من صفاتهم أنَّهم حافظون لحدود الله، وبشَّرهم بالفوز العظيم عنده، فقال تعالى في سورة (التوبة ٩): ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟! فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) ﴾.

في هذه النُّصوص نلاحظ أنَّ الله عزَّ وجل قد ذكر حدوده، أي: أحكامه التشريعيَّة لعباده:

● فنهى عن اقترابها مرَّة فقال: ﴿فلا تقربوها﴾.
● ونهى عن تَعدِّيها مرَّة فقال: ﴿فلا تعتدوها﴾.
● وتوعَّد من يعصي الله ورسوله ويتعداها بالنار وعذاب مهين فقال: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدَّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾.

● ووصف من يتعدى حدودهُ تعدّياً مسرفاً بأنهم هم الظالمون فقال: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾.

● ووصف من يتعدَّى حدوده بأنَّه قد ظلم نفسه، فقال: ﴿ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه﴾.

● ووصف النخبة الممتازة من المؤمنين بأنَّهم حافظون لحدود الله، فقال في شأنهم: ﴿والحافظون لحدود الله وبشِّر المؤمنين﴾.

ويستطيع المتدبر لهذه النصوص ملاحظة التكامل فيما بينها، إذْ يدلُّ كلُّ نصّ منها على حكمٍ لم يَدُلَّ عليه النصّ الآخر.

لقد نهى الله عزَّ وجلّ عن اقترابها بالمعصية أو بالتعديل والتغيير فيها، والنهي عن الاقتراب أبلغ من النهي عن الفعل والدخول في الحدِّ، والغرض من هذا النهي تحذير المكلف حتى يأخذ الحيطة لنفسه، وذلك لأنَّ من اقترب من الحدِّ أوشَكَ أن يقع فيه، لاسيما إذا كان الاقتراب اقتراباً نحو المحرَّمات التي تشتهي الأنفس الوقوع فيها، أو دخولاً في المشتبهات، كما قال الرسول ﷺ في الحديث الصحيح:

«الحلال بيِّن والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات، فمن اتَّقىٰ الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يرتع فيه، ألاَ وإنَّ لكُلّ ملكٍ حمىٰ ألاَ وإنَّ حمى الله محارمه، ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب».

فمن كان من أهل الإحسان أو من أهل البرّ لم يقترب من حدود الله حذراً وتورّعاً، وإن كان باقترابه لا يقع في معصية الله، ولذلك لم يجعل الله المقتربَ من حدوده عاصياً ولا ظالماً لنفسه.

ونهى الله عزَّ وجل عن تعدِّي حدوده، ووصف المتعدِّي بأنَّه ظالم لنفسه، والمتعدِّي هو المتجاوز للحدِّ، ولا بدَّ أن نعلمَ أنَّ أيّ دخول في الحدِّ هو تعدٍّ وتجاوز، سواء أكان التعدِّي خروجاً من الواجب أو دخولاً في المحرَّم، وإنَّما جعل الحدَّ للوقوف دونه، أو عنده تماماً، والدخول في الحدِّ نفسه تعدٍّ وتجاوز، إذْ لا يدخل في الحدِّ الفاصل إلاَّ من تجاوز المحدود في معظم الأحوال.

والنهي هنا نهي تحريم وإلزامٍ جازم.

أمَّا توعُّد من يتعدَّىٰ حدود الله بالخلود في النار والعذاب المهين، فهو

توعُّدٌ لمن كفر وعصى الله ورسوله في قضايا الإيمان والإسلام، والأعمال التي هي من ظواهر الكفر، إذْ تعدَّى حدود الله جحوداً وتمرّداً على ربوبية الله أو ألوهيته، ولذلك جاء البدء ببيان هذه الأحكام خطاباً للناس جميعاً، لا للذين آمنوا فقط، فقال تعالى في بدء بيانها في أوَّل سورة (النساء ٤): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُما رِجَالاً كثيراً وَنِسَاءً واتقوا اللَّهَ الذي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١)﴾.

وأمَّا وصف من يتعدَّى حدود الله بأنَّهم هُمُ الظالمون:

فقد جاء وصفاً للمؤمنين الذين يسرفون في تعدي حدود الله، إذ قد سبق النصَّ على ذلك بيانُ أحكام كثيرة تتعلق بالخمر والميسر واليتامى والنكاح والطلاق وغير ذلك، أي: فهم المسرفون في الظلم سواء في حق الله عليهم أو في حق أنفسهم عليهم.

وأمَّا وصف من يتعدَّى حدود الله بأنَّه قد ظلم نفسه، فقد جاء وصفاً للمؤمنين الذين يتعدّونَ حدود بعض فروع أحكام الشريعة، إذْ جاء في سياق بعض أحكام الطلاق، وقد بُدىء النّص فيها بقول الله تعالى: ﴿يا أيُّها النبيُّ إذا طلَّقتُمُ النِّساء فطلقوهُنَّ لعدَّتهن﴾.

والظالم لنفسه وُصِف بهذا الوصف لأنه يحرم نفسه من ثواب المحافظة على حدود الله، ويُعرِّض نفسه لعقاب المخالفة، ويعرِّض نفسه في الحياة الدنيا لمتاعبَ ومشكلاتٍ كثيرات، ولحرمانٍ من السعادة التي تجلبها المحافظة على حدود الله، وذلك لأنَّ تعدِّي حدود الله التي أوصى الله بالوقوف عندها ولو دون إلزام بإيجاب أو تحريم قد يلزم منه بعد خطوات الوقوع في فعل ما حرَّم الله وترك ما فرض الله.

وأخيراً أثنى الله على النخبة الممتازة من المؤمنين وبشَّرهم وذكر من صفاتهم أنَّهم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله.

وحُقّ لهذه النخبة هذا الثناء، وهذه البشرى بمبشّرٍ به عظيم، لم يُعين وصفه ولا نوعه لعظمته وجلالة قدره.

* * *

قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

أي: مثل ذلك البيان الذي بيّنه الله للذين آمنوا منذ بداية خطابه لهم بقوله: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ يُبيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ للنَّاسِ جميعاً لعلَّهم يتقون.

وهذا الختام للنص المتعلِّق بأحكام الصيام التي خاطب الله بها الذين آمنوا يدلُّ على أنَّ الكافرين مخاطبون أيضاً بفروع الشريعة ولكن ضمن دعوتهم إلى الإيمان والإسلام، إذْ هُمْ مطالبون بالإيمان وبالإسلام أوَّلاً، فإذا آمنوا وأعلنوا إسلامهم توجَّهت لهم الخطابات الدينية التي تطالبهم بتطبيق أحكام فروع الشريعة، كما سبق بيانه عند تدبر قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾.

الفصل الثالث

فضائل الصيام في القرآن

الصيام من كبريات أعمال الخير

قال الله عزَّ وجلّ في سورة (الأحزاب ٣٣): ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ والصَّادِقِينَ والصَّادِقَاتِ والصَّابرين والصَّابِرَاتِ والْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ والصَّائِمَاتِ والْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وأَجْراً عَظيماً (٣٥)﴾.

قنت: أطاع، ودعا ربَّه، وقام في صلاته. **فالقانتون**: هم المطيعون الداعون لربهم القائمون في صلاتهم، أي المصلُّون لربهم.

خشع: خضع وسكن وتذلَّل. **فالخاشعون**: هم الخاضعون المتذلِّلون لربهم الساكنون وهم يعبدونه.

فالصيام من كبريات أعمال الخير والبرِّ التي أعَدَّ اللَّهُ لعامليها أمرين عظيمين:

● **مغفرةً**، وذلك بغفران الذنوب، أي: بسترها وعدم المحاسبة عليها، ونُكّرت المغفرة لتعظيم أمرها، فهي إذن مغفرة شاملة.

● **وأجراً عظيماً**، وذلك في جنَّات النعيم، مع الكرامة في موقف الحساب.

من فضائل الصيام جعله فدية لبعض الأعمال

لمَّا كان الصيام الشرعي عبادة ذات مكانة عظيمة عند الله، جعله الله في شريعة الإسلام فديةً لبعض الأعمال، أو بدلاً عنها، أو كفَّارة لها.

وفيما يلي بيان لذلك:

١ ـ لقد جعل الله الصيام فديـة لحلق شعر الـرأس الذي هـو من المحظورات بالنسبة إلى من كان مُحرماً بحجّ أو عمرة وبدلاً عن هدي واجب لمن عجز عن الهدي، فقال الله عز وجلَّ في سورة (البقرة ٢): ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ، وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ، فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ، ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)﴾.

ففدية حلق الرأس بسبب المرض أو أذى الهوام والحشرات كالقمل في حالة الإحرام بالحجِّ أو العمرة صيام ثلاثة أيامٍ، أو صدقة ثلاثة أصوعٍ من غالب قوت البلد على ستة مساكين، أو نُسكٌ بذبح شاة توزع على الفقراء والمساكين، وقد جاء ذكر الفدية مجملاً في القرآن، وجاء تحديد قدرها في السنة، والفدية هنا على التخيير.

روى البخاري ومسلم عَنْ كَعْب بن عُجْرَة قال: حُمِلْتُ إلى النبي ﷺ

وَالْقَمَلُ يتناثر على وَجْهي فقال: «مَا كُنْتُ أَرَىٰ أَنَّ الْجَهْدَ بَلَغَ بِكَ هَذَا، أَمَا تَجِدُ شَاةً؟» قلت: لا. قال: «صُمْ ثلاثة أيَّام، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكلِّ مسكينٍ نصف صاعٍ من طعام، واحلق رأسك» فنزلت: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه...﴾ قال: فنزلت فيَّ خاصة وهي لكم عامة.

وفدية من تمتع بالعمرة إلى الحجِّ ما استيسر من الهدي، فمن لم يجد لعدم استطاعته أن يشتري هدياً، أو لعدم وجود هدي يشتريه، فعليه بدل الهدي صيام ثلاثة أيامٍ في الحج، أي: وهو محرم بالحجِّ، وصيامُ سبعة أيامٍ أُخَر إذا رجع من الحجِّ، والفدية هنا على الترتيب، لا على التخيير.

في قول الله تعالى: ﴿فصيام ثلاثة أيام في الحجّ وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾ فائدتان:

الأولى: فتح الله فيه للأميين طريق تعلّم الحساب، فهذا الجمع أوَّل الأعمال الحسابية الأربعة.

الثانية: في إضافة كلمة «كاملة» توجيه الأميين لملاحظة صحة العمليات الحسابية بالتأكيد والضبط الأخير، وفيه أيضاً دفع توهم أنَّ الأيام السبعة التي يتم صومها بعد الرجوع من الحجِّ لا يعادل أجر يومها أجر اليوم الذي يتمُّ صومه في الحجِّ، لكن لمَّا قال الله تعالى: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ علمنا أنَّ الأيام كلّها متعادلة في الثواب والأجر، ما صِيمَ منها في الحجِّ، وما صِيمَ منها بعد الرجوع منه.

٢ ـ وجعل الله الصِّيام معادلاً للهدي وإطعام المساكين في كفارة قتل الصيد بالنسبة إلى المُحْرِم، فقال تعالى في سورة (المائدة ٥): ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قتلَ مِنَ النَّعَم يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِيَذُوق وَبَالَ أَمْرِهِ، عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَام (٩٥)﴾.

ففي هذه الآية نهىٰ الله الَّذينَ آمَنُوا عَنْ قَتْلِ الصيدِ وهم مُحرمون بحجٍّ أو عُمْرة، وهو نهي يفيد التحريم، لِمَا رتَّبَ الله عليه من جزاءٍ أو كفارة، ولقوله عقب ذلك: ﴿ليذوق وبالَ أمره﴾.

والجزاءُ قد بيَّنه الله بأنْ يُهدي قاتل الصيد لفقراء الحرم ومساكينه مثل ما قتل من الصيد، يقدِّمه هدياً من النعم، وهي الإبل والبقر والغنم.

فبقر الوحش مثلاً يعادله نظير له من البقر من النعم، والزرافة يعادلها الجمل، وللتيسير ترك الله عز وجل أمر هذه المعادلة وتقديرها لرجلين عدلين من المؤمنين، ينظران في الصيد ويَحكُمَانِ في المعادل له من النعم، أو يتصدق بكفارةٍ من الطعام يدفعه إلى عدد من المساكين، وهذا الطعام ينبغي أن تعادل قيمته قيمة المعادل من النعم للمقتول من الصيد، أو يصوم أياماً تعادل نسبة الطعام.

وظاهر الآية يدلُّ على أنَّ قاتل الصيد مخيَّر بين الهدي المعادل من النعم، والكفَّارة التي هي طعام مساكين، والصيام المعادل لنسبة الطعام، وبهذا الظاهر أخذ كثيرٌ من الفقهاء المجتهدين، وهو الأصح، ولبعضهم في هذا الأمر قولان: إذْ تردَّد اجتهادهم بين التخيير والترتيب، ولا تبدو للقول بالترتيب حجَّةٌ تصلح للاستدلال، مع وجود (أو) التي تفيد التخيير في الآية، والله أعلم.

ويلاحظ أنَّه لم يُبيَّن في الآية عدد المساكين ولا مقدار الطعام، ولكن لمَّا قال الله عزَّ وجل بعد ذلك: ﴿أَوْ عدلُ ذَلِكَ صِيَاماً﴾ عَلمنا أنَّ الطعام الذي نطعمه للمساكين يجب أن يكون معادلاً في قيمته للنظير من النَّعم المعادل للمقتول من الصيد، فنقوّم النظير من النّعم ونشتري به حنطة أو أرزّاً أو نحوهما من غالب قوت البلد، ونوزع هذا الطعام على مساكين من سكان الحرم المكيّ.

أمَّا المعادلة بين أيام الصيام والطعام المقدَّر، ففقهاء الحجاز ومنهم مالك والشافعي، يرون أنَّ المسكين الواحد يُطْعَمَ في اليوم الواحد مدّاً من

الطعام، فالصيام على هذا تعادل أيامه عدد أمداد الطعام المقدر المعادل للنظير من النعم.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: يُطْعَم كلُّ مسكين مُدَّين في اليوم، فالصيام على هذا تعادل أيامه نصف عدد أمداد الطعام المقدَّر.

وقال أحمد: يُطعَمُ كلُّ مسكين مدًّا من حنطة، ومدَّين من غيره، أي: فإذا قدّر الطعام بالحنطة فأيام الصيام الواجب بعدد الأمداد المقدرة من الحنطة، وإذا قُدِّر الطعام بغير الحنطة فأيام الصيام الواجب هي بمقدار نصف عدد أمداد الطعام المقدَّر.

٣ ـ وجعل الله صيام ثلاثة أيّام بدل كفارة اليمين عند العجز عنها، وهي: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، على التخيير بين هذه الثلاثة، قال الله عزَّ وجلّ في سورة (المائدة ٥): ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ باللغوِ في أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُّمُ الأَيْمَانَ، فكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ، أو تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّام، ذَلِكَ كَفَّارَةُ أيمانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ، واحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾.

فمن حلف على أن يعمل أو يترك شيئاً ثمَّ رأى أن لا يَبَرَّ بيمينه، أو كان غير ما حلف عليه خيراً منه، واستجاب لقول الرسول ﷺ: «فليكفّر عن يمينه وليأت الذي هو خير» فكفارته أن يطعم عشرة مساكين أو أن يكسوَ عشرة مساكين، أو يعتق رقبة على التخيير بين هذه الكفارات الثلاث، فمن لم يجد الاستطاعة على واحد منها فكفارته حينئذٍ صيامُ ثلاثة أيّام.

ونلاحظ هنا أنَّ الله قد جعل بدل إطعام عشرة مساكين صيَامَ ثلاثة أيّام فقط، ويظهر في تقدير الكفارات المعنى التعبُّدي الذي قد لا يخضع لقاعدة عامَّة، فلكل موضوع نظام معين.

وقد نفهم أنَّ التخيير بين الإطعام والكسوة وتحرير الرقبة في كفارة

اليمين هو تخيير بين ثلاث مراتب: مرتبة التقوىٰ بالإطعام، ومرتبة البرِّ بالكسوة، ومرتبة الإحسان بتحرير الرقبة، فمن لم يجد صام صياماً معادلاً لكفارة مرتبة التقوى بتقدير الشارع في هذه الكفارة.

٤ ـ وجعل الله عزَّ وجلّ كفَّارة القتل الخطأ وكفَّارة الظهار عتق رقبةٍ مؤمنة، هذه هي الكفارة الأساسية، فمن لم يجد رقبة مؤمنة يعتقها فعليه أن يصوم بدلاً عنها شهرين متتابعين.

قال الله عزَّ وجل بشأن كفَّارة القتل الخطأ في سورة (النساء ٤): ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مؤمناً إلَّا خطأً، وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إلىٰ أَهْلِهِ إلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا، فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَليماً حَكِيماً (٩٢)﴾.

وقد شدَّد الله عزَّ وجلَّ في بدلِ كفَّارَةِ القتل الخطأ عند العجز عن عِتْقِ الرقبة المؤمنة، بعد التقييد بأن تكون الرقبة مؤمنة، لأنَّ المقتُول خَطَأً مُؤْمِنٌ، وعِتْقُ المؤمن بمثابة العفو عن السجين سجناً مؤبّداً، ودفعه إلى الحياة الحرَّة، وبذلك يُضاف حرٌّ إلى أحرار المؤمنين.

وهذا على خلاف الرقبةِ غير المقيَّدة بأن تكون مؤمنة في كفَّارة اليمين، وكفَّارة الظهار، اهتماماً بأمر القتل، وإن كان خطأً، لأنَّ القتل الخطأ كثيراً ما يكون مصحوباً بالتهاون وعدم التحرِّي الشديد، وأخذِ الحذر البالغ لحماية أنفس الناس، وجَعَلَ الله هذه الكفَّارة حقّاً لله على عبيده، فوق الديَة التي هي حقُّ أولياء القتيل، وسمَّاها توبَةً إشارةً إلى المسؤولية الجنائية الخفيَّة التي يحملها القاتل خطأً بتهاونه.

وقال الله عزّ وجلّ بشأن كفَّارة الظهار في سورة (المجادلة ٥٨): ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُوْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسَّا،

ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ به، واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً، ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) ﴾.

يُظَاهرون من نسائهم: أي: يحرِّمون نساءهم على أنفسهم بأقوالهم تحريم ظهور أُمَّهاتهم عليهم، فيقول قائلهم لزوجته مثلاً: أنت حرامٌ عليَّ كظهر أمي.

وكان مثل هذا الحلف شائعاً في الجاهلية، فأراد الله كفَّ المسلمين عنه نهائياً بتشريع مُشَدَّد، إذ شدَّد في كفَّارته، فجعلها على الترتيب:

● فهي أوَّلاً عتقُ رقبة، ولم يُقيِّدها الله هنا بشرط أنْ تكون مؤمنة كما قيدها في كفَّارة القتل الخطأ، وقد تكون الحكمة في ذلك أنَّ الظهار من عادات الجاهلية، وعسىٰ أن يكون تحرير رقبة غير مؤمنة سبباً في إيمانها، فالإحسان إليها هو بمثابة عطاء المؤلفة قلوبهم.

﴿فتحرير رقبة﴾ أي: فيجب عليه تحرير رقبة: كفَّارة لظهاره وعَوْدِه لِمَا قال بالنقض، وذلك بإرادة إمساك زوجته التي ظاهر منها، ويجب أن يكون هذا التحرير للرقبة قبل أن يتماسَّا.

● فمن لم يجد رقبة يُعْتِقها فعليه أن يصوم شهرين متتابعين قبلَ أن يتماسَّا.

● فمن لم يستطع صِيامَ شهرين متتابعين فعليه أن يطعم ستين مسكيناً.
فجعل الله هنا إطعام المسكين الواحد بدلاً مكافِئاً لليوم الواحد من أيّام الصوم الواجب في هذه الكفَّارة.

وما دام الإطعام بدل الصيام فيجب أن يكون أيضاً قبل أن يتماسَّا كأصله، بدليل أن الصيام الذي هو بدلٌ عن تحرير الرقبة يجب أن يكون قبل أن يتماسَّا، وقد جاء النصّ عليه صراحة مع أنَّه بدلٌ عن تحرير الرقبة، لئلا يتوهَّم المستنبط للحكم أنّ شأن الصيام غير شأن تحرير الرقبة لطول مدَّته.

فمن شروط هذه الكفَّارة عموماً أنه يجب أداؤها قبل أن يُسمح للمظاهر بمباشرة زوجته التي حرَّمها على نفسه مثل حرمة أمّه عليه.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: ذلك التشديد في الكفارة بما فيها من معنى المعاقبة الشرعية على مقالة الظهار، لأجل أن تؤمنوا بالله ورسوله إيماناً عميقاً صادقاً قويّاً ذا أثرٍ في إبعادكم عن عادات الجاهلية، إذ كنتُمْ تحرِّمون على أنفسكم بأقوالكم ما لم يحرِّمه الله عليكم، ومن هذه العادات عادة الظهار.

قوله تعالى: ﴿وتلك حدود الله﴾ أي: وتلك الأحكام المتعلقة ببيان أنَّ الظهار منكرٌ من القول وزور، وببيان كفَّارة الظهار على من يعودون لما قالوا، هي حدود الله في هذه القضية.

قوله تعالى: ﴿وللكافرين عَذَابٌ أليم﴾ أي: وللكافرين بهذه الحدود الربّانية، والمتخذين لأنفسهم حدوداً غيرها وأحكاماً أخرى، عذابٌ أليم، فالكفْرُ ببعض شرائع الله ينقضُ الإيمان، لأن نـقضَ الإيمان جزئيّاً هو بمثابة نقضه كليّاً، والإيمانُ كبناءٍ معقود على شكل قوس، نقض حَجَرٍ منه يهدمُه كلّه، بخلاف المعاصي بترك الواجبات وفعل المحرمات فهي لا تنقض الإسلام نقضاً كليّاً.

الباب الثاني

فضائل الصيام وشهر رمضان في السُّنَّة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: فضائل الصيام في السُّنَّة.

الفصل الثاني: فضائل شهر رمضان في السُّنَّة.

الفصل الأوّل

فضائل الصيام في السنة

١ ـ روى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ لَهُ، الْحَسَنَةَ بعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قال اللَّهُ تَعَالَىٰ: [إِلَّا الصَّوْمَ فإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي] لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ».

خُلُوفُ فَمِ الصَّائم: أي: تغيُّر رائحة فمه من الصوم، يقال: خَلَفَ فم الصائم خُلوفاً، وأَخْلَفَ، أي تغيَّرت رائحته. وَخَلَفَ الطعامُ وأخلفَ، إذا تغيرت رائحته أو تغيَّر طعمه.

والصيام جُنَّة: أي: وِقاية، فهو يقي الصائم من المعاصي إن شاء الله، ويقيه من عذاب الله.

فلا يَرْفُثْ: الرَّفَثُ: الجماع، والفحش، وذكر العورات، والكلام مع النساء في الجماع، وكل ما يتعلق بمعاشرة النساء المعاشرة الخاصَّة بهنَّ، فمعنى ﴿فلا يرفث﴾ فلا يقلْ فحشاً ولا يفعل فحشاً.

ولا يَصْخَبْ: أي: ولا يَرْفَعْ صوته بصياحٍ منكر.

وجاء في رواية عند الإمام مسلم: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يوماً صَائِماً فَلاَ يَرْفُثْ، ولاَ يَجْهَلْ، فَإِنْ امرؤ شاتَمَهُ أَوْ قاتَلَـهُ فَلْيَقُلْ: إنِّي صَـائِمٌ، إنِّي صَائِمٌ».

قول الرسول ﷺ في الحديث: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ له الْحَسَنَة بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ».

أي: كلُّ أعمال ابن آدم الصالحة التي يبتغي بها وجه الله تعالى تضاعف له وفق قاعدة الفضل الربَّاني: «الحسنةُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف».

قول الرسول: قال الله تعالى: [إلَّا الصومَ فإنَّه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي].

هذا القول حديث قدسي، حدَّث به الرسول ﷺ عن ربِّه، وهو يدل على أنَّ أجر الصائم يُضاعفُ أضعافاً كثيرة تفوق قاعدةَ الفضل السابقة، فهو أجرٌ متروك لفضل الله العظيم، هو يتولَّاه دُون أن يُحَدَّ بحساب.

وجاء في بعض روايات هذا الحديث القدسي: [كلُّ عمل ابن آدمَ لَهُ إلَّا الصيامَ فإنَّه لي وأنا أجزي به].

وجاء في تفسير هذا الحديث وجوه ذكرها شُرَّاح الحديث، منها أنَّ كلّ أعمال ابن آدم الصالحة باستطاعته أن يحسُب أجرها وثوابَها عند الله، فيوصل الثواب إلى سبعمائة ضعفٍ ثم إلى أضعاف كثيرة فوق ذلك، لكنَّ ثواب الصيام قد جعله الله لنفسه، فلم يُبَيِّنْ مقداره، ليزيد من فضله لعبده ما يشاء، حتى تكون المضاعفة أكثر من مقدار قُدْرَةِ العبد على الحساب.

وهذا التفسير لهذه الرواية هو التفسير الذي ينسجم مع ما جاء في الحديث الطويل الذي رواه البخاري ومسلم، وسبق ذكره في صدر الكلام.

والسبب في فضل عبادة الصيام قد جاء بيانه في الحديث القدسي:

«يدعُ شهوتَه وطعامَه من أجلي» أي: يكفُّ بإرادته ابتغاء مرضاة ربِّه أقوى دافعين لديه، وهما الدافع إلى الطعام والشراب، والدافع إلى معاشرة الزوجة، مع وجودهما خلال مدَّة قد يصلان فيها إلى أقصى دفعهما، فلا يضبطهما إلَّا صبرٌ شديد بالغ مبلغاً عظيماً.

ونلاحظ أيضاً أنَّ الصيام عمل سلبيٌّ يَبْعُدُ أن يدخل فيه الرياء، وذلك أنَّ من أظهر أنَّه صائم رياءً أمكنه أن يخلو بنفسه، فيأكل ويشرب ويخرج من صيامه، وعندئذٍ لَا يكون في واقع الأمر صائماً، بخلاف الصلاة والحجّ والصدقة وسائر العبادات ذات الأعمال الإيجابية.

وقيل: ولأنَّ الصيام ليس فيه للصائم حظّ نفس.

وقيل: ولأنه لم يُعبَدْ غير الله تعالى بالصيام، وفي هذا نظر.

وقيل غير ذلك.

ومهما يكن من أمر فقد جعل الله أَجْر الصيام عظيماً، ووعد بأن يُضاعفه مضاعفةً تتناسب مع عظيم جوده وكرمه عزّ وجلّ.

وأولى الأسباب بالاعتماد ما أشار إليه الحديث: «يَدَعُ شهوته وطعامه من أجلي» فإذا ترك الصائم من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى شهوته وطعامه، قَابَلَهُ اللَّه بفيض عطائه غير المحدود، فجعل ثوابه فوق مقدار القاعدة العامة المقرَّرة للفضل، فأبان أنَّه يتولاه هو بنفسه عزَّ وجل، ولا يتركه للملائكة الموكلين بالجزاء.

قول الرسول ﷺ: «للصائم فرحتان: فرحة عند فِطْرِهِ، وفرحة عند لقاء ربّه».

أمَّا الفرحة عند الفطر، فهي أمرٌ دنيويٌّ يظهر حينما يفطر الصائم إذا غربت الشمس، فيأكل ويشرب، ويستمتع، فيُرْوِي ظمأه، ويدفع جوعه، ويقضي إذا شاء وطره.

وأمَّا الفرحة الأخرى عند لقاء ربّه، فهي الفرحة العظيمة التي يفرحها

عند لقاء الله، فيرى ما أعدَّ الله له من أجر عظيم، ورضوان كبير جزاء صومه الخالص لوجه ربِّه.

وفي التَّنْبيه على فرحة الصائم عند فطره إشارة إلى نقطة نفسيَّة ذات شأن، وهي أنَّ لذَّة الطعام والشراب والفرح بهما لا يكونان إلَّا بعد حرمانٍ وحاجةٍ ملحَّةٍ إليهما، وإثر جوع صحيح وظمأ شديد، وكذلك سائر لذَّات الحياة.

أمَّا المترف الذي لا يجد حرماناً ولا حاجة ملحَّة، فإنَّه يستقبل ما يستقبل من طعام وشراب ولذائذ مختلفة ببرودٍ نفسيٍّ وقَرَفٍ غير مصحوب بشهوة، فهو ينظر إليها نظر البطرين.

ولذلك كان من وسائل استعادة إقبال النفس على ما هيّأ الله لها من زينة الحياة الدنيا والطيبات من الرزق، أن تَمُرَّ في حياة الإنسان فترات حرمانٍ تُشحَنُ فيها داخل النفس طاقاتُ إقبالٍ ورغبة، بما تولّد فيها من حاجة ملحة.

وعبادةُ الصوم من أفضل الوسائل الإلزامية التي يفعلها الإنسان بإرادته، فَتُولِّد لديه حِرْمَاناً طَوْعيّاً، ومع هذا الحرمان تُشْحَن في النفس طاقات الإقبال والرغبة، وبذلك يستقبل الصائم ساعة الإفطار بفرحةٍ لا يجدها في الأحوال العادية.

وهذا يستدعي حمدالله من أعماق الفؤاد.

قول الرسول ﷺ: «وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ عند الله أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

هو فيما يظهر كِنَايَةٌ عن الثواب الذي يجعله الله لفم الصائم يومَ القيامة، إذْ يأتي وريحُ فَمِهِ يوم القيامة يتدفق برائحة زكية عطرية أطيب من ريح المسك، ويكون هذا علامة على أنَّه كان من الصائمين في الحياة الدنيا، ومكافأة له على تَحمُّله رائحة الخلوف في الدنيا.

وهذا نظير ما جاء في دم الشهيد، إذْ يُبْعَثُ يوم القيامة، وجرحُه يَثْعَبُ

دَماً، اللَّون لَوْنُ الدَّم، والرِّيحُ ريحُ المسك، كما جاء في الحديث الصحيح.
(يَثْعَبُ) أي: يفجر دَماً.

وليس ببعيد عن الاحتمال أن يكون خُلوفُ فم الصائم عند ملائكة الله أطيب فعلاً من ريح المسك، لأنهم يشمّون ريح الطاعات فيأنسون بها، ويشمون روائح المعاصي فيتقزّزون منها ويكرهونها، وقد ورد أنَّ الملائكة تشمُّ رائحة المعاصي فتنفر منها، وتبتعد عن فاعليها.

قول الرسول ﷺ: «والصيامُ جُنَّةٌ».

الْجُنَّةُ هِيَ الوقاية، وهي الحجاب الواقي الذي يقي من يستتر به، فيدفع عنه الأذى، وهي الدِّرْع، والمراد أنَّه كالْجُنَّةِ.

وإنَّما كان جُنَّةً لأنَّه يقي المؤمن الصائم المحافظ على صحة صومه، من الوقوع في المعاصي والآثام التي يحرك الغذاء بحرارته النفس إليها، وذلك لأنَّ الصائم يشعر بأنَّه قائم بعبادةٍ طوال نهار صومه، وشأن المتلبِّس بالعبادة أن يكُفَّ عن المعاصي والمخالفات، ويلتزم واجبات التقوى، حرصاً منه على أن تكون عبادتُه مقبولةً عند الله عزَّ وجل.

وعبادة الصيام لا تتمّ إلاَّ بترك أمور مباحةٍ في الأحوال العادية، فكيف بالأمور المحرَّمة دائماً.

إنَّ المؤمن الصائم يبتعد تلقائيّاً عن الوقوع في المحرَّمات، لا سيما المحرَّمات التي تفسد الصوم.

ولمَّا كانَ صيامُ شهر رمضان ركناً من أركان الإسلام، وكان المؤمن حريصاً على أن يُؤَدِّيَ هذا الركن أداءً مقبولاً عند الله، وكان من شأن المؤمن الصائم أن يكون مشغولاً في نهاره بعبادة الصيام، ومشغولاً في ليله بعبادة القيام وتلاوة القرآن، ومُنْدَمِجاً في جوٍّ روحيٍّ عامّ ضمن جماعة المسلمين، كان شهر رمضان بيئةً مناسبةً جدًّاً للتدرُّب على التزام تقوى الله، في أقوال الصائم وفي أعماله، فالأمور المساعدة له تحيط به من كلّ جهة.

ويفقد صيام رمضان هذا الأثر إذا تحوَّل إلى تقليد لا يُعبّر عن اتجاه

النفس للقيام بعبادةٍ مفروضة، هي ركن من أركان الإسلام، فإذا تحوَّل مفهوم الصيام في رمضان فغدا تقليداً بحتاً فَقَدَ رُوحه، وأمسَىٰ كلفظٍ لا معنى له، وعندئذٍ لا يكون الصِّيامُ جُنَّةً، ولا يكون شهر رمضان بالنسبة إلى صائمين من هذا القبيل موسماً من مواسم التقوى، بل هو بالنسبة إليهم بمثابة الأعياد الْقَوْمِيّة والمواسم الوطنية، التي يبتهج فيها الناس بالزينات والمآكل والمشارب، واللِّقاءات على اللَّهو واللعب، وتكثر فيها المعاصي والمخالفات، ويصير الإمساك عن الطعام والشراب رمزاً لهذا العيد الطويل الذي يلهو فيه الناس طوال شهر كامل، ثم يأتي الحريصون على النموّ الاقتصادي الذين لا دين لهم، فيجدون ألف مبرِّر لإلغاء الصيام، إذْ غدا لا معنى له في مفهومه الحقيقي.

ولما للصيام من تأثير في التزام التقوى في غيره بوجه عام، ولما فيه من كسر لشهوات النفس نَصَحَ الرسول ﷺ الشباب الذين لا يجدون القدرة على النكاح أن يصوموا، ليشغلهم الصيام، وليكونوا مستحضرين في أنفسهم أنَّهم متلبِّسون بعبادة، فيصرفهم ذلك عن خواطر شهوة الفرج، وليكسر الصيام بعد مدَّة من حدَّةِ شبق الشباب، وعنفوان الشهوة.

روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّه أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».

فإنَّه له وِجَاء: أي: مثل الوجاء في قطعه لشهوة الفرج، وأصل الوجاء في اللُّغة رَضُّ خُصَىٰ الفحل أو رضّ عروقها لقطع الحبال المنوية. فيكونُ الفحل بذلك كالمخصي لا شهوة عنده للإناث.

الباءة: هي القدرة على النكاح من مَهْرٍ ونفقة وسائر الوسائل.

وإنما كان الصيام بمثابة الوِجَاء، لأنّه قاطع وصارفٌ للنفس عن التّصوُّراتِ المثيرة للشبق، والمزحزحة عن طريق الاستقامة وحدود التقوى.

قد يقول بعضهم: إنَّنا نلاحظ في شهر الصوم نشاطاً في أعضاء التزاوج، فكيف يكون الصيامُ بمثابة الوِجَاء؟!.

والجواب: أنّ هذا يحصل في الأيام الأولى من شهر الصوم، وفي الأحوال التي يكون شهر الصيام مناسبة للإسراف في المآكل والمشارب ليلاً.

أمّا الأيام الأولى من شهر الصوم فسبب نشاط أعضاء التزاوج فيها أنّ أكثر الناس يكونون من المسرفين في المآكل والمشارب إلى حدّ التخمة قبل شهر الصيام، فإذا جاء رمضان واعتدل طعامهم صحت أجسادهم، ونَشِطَتْ غُدَدهم في أداءِ وظائفها، بَعْد كسل كانت تعاني منه بسبب تراكم الدهون وزوائد الأغذية في الجسم.

ثم يأتي أَثَرُ الصيام في قطع الشهوة في أواخر شهر رمضان.

وكان الصيام في عهد الرسول ﷺ يَكْسِرُ حِدَّة الشهوة منذ الأيام الأولى، لأنّ المسلمين يومئذٍ ما كانوا يأكلون كثيراً في أيّام الفطر، فليس لديهم سِمْنَةٌ، ولا تَرَهُّلٌ في الأجسام، ولا زوائد غذائيّة تُحْدِثُ كسلاً في غدد الجسم ووظائفها.

وحين يكون الصيام جُنَّةً في سلوك المؤمن في الحياة الدنيا، يكون جنّةً له يوم القيامة، إذْ يَقِيهِ اللَّهُ به عذابَ النار.

قول الرسول ﷺ: «وَإذَا كانَ يومُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إنِّي صَائِمٌ».

بما أنَّ الصائم قائم بعبادة ربِّه طَوَال نهار صومه، فمن واجباته حتَّى يكون صيامه خالياً من مفسداته المعنوية والماديَّة، سواءٌ حكمنا عليه فقهاً أنَّه أفطر وأفسد صومه أو لم نحكم عليه بذلك، ما جاء في هذا القول المشتمل على ما يلي:

● **النهي عن الرفث**: وقد علمنا أن الرفث يطلق على الجماع ومقدماته العمليّة، والجماع من نواقض الصوم ومفسداته، وكفَّارَتُه عتق رقبة.

فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، لكلّ مسكين ما يكفيه يوم صومه[1]، وعليه القضاء أيضاً.

ويطلق الرفث على أقوال الفحش والكلام مع النساء في الجماع، وهذا من المخلّات بالصوم إخلالاً معنويّاً، وإن لم يكن من مفسدات الصوم ونواقضه الماديَّة، فهو كالغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور.

روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّور والْعَمَل بِهِ فليس لِلَّه حَاجَةٌ في أن يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ».

أي: ليس الصيام مجرَّد عملية شكلية تتمّ بترك الطعام والشراب وسائر المفطّرات الماديَّة، لكنَّه عبادةٌ تامَّةٌ كاملة ذات شكلٍ ومعنى، أو ذات جسد وروح، أمّا شكلها أو جَسَدُهَا فهو ترك المفطرات المادية الجسدية، كالأكل والشرب والجماع، وأمّا معناها وروحها فاستجماع النفس على طاعة الله ومراقبته، وهجر كلّ المخالفات التي هي من المعاصي بحدِّ ذاتها في رمضان وفي غير رمضان، في حالة الصيام وفي غير حالة الصيام.

كم من صائم ليس له من صيامه إلاَّ الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلاَّ التَّعَبُ والسَّهر.

ومتى فقدت العبادة معناها أو روحها، لم يكن لشكلها أو جسدها المادِّي أيُّ أَثَرٍ مُعْتَبرٍ عند الله.

إنَّ الله عزَّ وجل لا ينظر إلى الأشكال والصور، وإنَّما ينظر إلى القلوب، والمعاني، والنيّات.

روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَلاَ أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ إنَّمَا يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

---

(١) يقدره الفقهاء بمدّ من برّ ونحوه من غالب قوت البلد، قال الحنابلة: أو نصف صاع من تمر أو شعير.

وعبادة الصيام من أساسها لم تُفْرَضْ على المؤمنين لمجرَّد ترك الطعام والشراب وسَائِرِ المفطّرات الماديَّة، بل لها ولما يرافقها ممَّا يتعلَّق بتهذيب النفس، وسموِّ الروح بالمراقبة الصحيحة لله تبارك وتعالى، والتزام الآداب الإسلامية، والأحكام الشرعية على وجه العموم، واستثارة العطف على الفقراء والمساكين وذوي الحاجات، وتصفية النفس من شوائب التعلُّق باللذَّات، والاستمتاع بالشهوات، وتدريب النفس على الصبر وقوَّة الإرادة، والتطلُّع إلى ما عند الله عزَّ وجل من أجرٍ عظيم وثوابٍ جزيل.

● **النهي عن الصخَب**: أي: عن رفع الصوت بين الناس على سبيل الصَّخَب والضَّجيج في المجامع العامَّة، كالأسواق ونحوها.

ويقال للذي يرفع صوته بشدَّة بين الناس صخّاب، والمرأة صخّابة، وثبت من صفات الرسول ﷺ أنَّه ليس صخّاباً في الأسواق.

إنَّ الصخب في المجامع العامَّة منافٍ لكمال الإنسان في سلوكه الشخصي والاجتماعي، وهو عنوان نقص العقل، أو ضعف التهذيب الخلقي.

فمن آداب المتلبِّس بعبادة الصيام أن لا يصخب في المجامع العامة دون موجب لذلك.

● **عدم مقابلة السباب والمقاتلة بمثلهما**: فمن آداب الصائم أن يكون سلبيّاً في معارك السّباب والمقاتلة، فإن سابّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إنِّي امرؤ صائم.

أي: فَلْيُشْعِرْهُ بأنَّه لن يقابله بالمثل التزاماً بالآداب المطلوبة من الصائم، لا عجزاً عن المقابلة وردّ السيئة بمثلها، بل لأنَّ تلبُّسَه بعبادة الصوم هو الذي جعله يكفُّ عن المقاتلة بالمثل ابتغاء مرضاة الله، والتزاماً بالآداب التي يأمر بها، ومخافة أن يعرِّض عبادته هذه للفساد المعنوي، لأنَّ هذه الأمور تتنافى مع روح الصِّيام والهدفِ التربويّ منه.

٢ ـ وروى البخاري ومسلم عن سهل بن سعدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ مِنْهَا بَابٌ يُسَمَّىٰ الرَّيَّانَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُوْنَ».

يبيِّن الرسول ﷺ في هذا أنَّ أحد أبواب الجنَّة الثمانية مُخصَّص للصائمين، وهذا يدلُّ على أنَّ فضل الصيام يعادل جزءاً من ثمانية أجزاءٍ من الأعمال الصالحة في الإسلام.

٣ ـ وعن عبدالله بن عَمْروٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ.

يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ والشَّهَوَاتِ بالنهار فَشَفِّعْنِي فِيهِ.

وَيَقُوْلُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ باللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فيه.

فَيُشَفَّعَانِ».

رواه الإمام أحمد والبيهقي في شعب الإيمان، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

الفصل الثاني

فضائل شهر رمضان في السُّنَّة

١ ـ شهر تصفيد الشياطين.
٢ ـ شهر فتح أبواب السماء.
٣ ـ شهر فتح أبواب الجنَّة.
٤ ـ شهر تغليق أبواب جهنَّم.
٥ ـ شهر فتح أبواب الرحمة والعتق من النار.
٦ ـ شهر المغفرة لمن صامه ولمن قامه ولمن قام ليلة القدر فيه.
٧ ـ شهر الصبر.
٨ ـ شهر الجود والمواساة.
٩ ـ شهر القرآن.
١٠ ـ شهر تربية الإرادة.
١١ ـ شهر تربية مكارم الأخلاق.
١٢ ـ شهر الرسالة الإسلامية.
١٣ ـ عمرة في رمضان تعدل حجَّة.
١٤ ـ شهر الدعاء المستجاب.
١٥ ـ شهر ليلة القدر.
١٦ ـ شهر زكاة الفطر.

فضائل شهر رمضان في السنة

١ ـ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السماء» وفي رواية: «فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْـوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» وفي روايـة: «فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَة».

سُلْسِلَتِ الشياطين: أي: حُبِستْ وسُجِنتْ وضُرِبَتْ عَلَىٰ أعضـائها القيود، ووضعت السلاسل في أعناقها أسْراً لها ومنعاً لها عن الحركة.

والرِّوايات الثلاث: «فتحت أبواب السَّماء» ـ «فتحت أبواب الجنَّة» ـ «فتّحت أبواب الرحمة» روايات متشابهة، والغاية منها واحدة.

أما عبارة «فتحت أبواب السماء» فهي كناية عن فتحها لفيوض رحمة الله التي تتنزَّل على عباده المؤمنين الصائمين في رمضان.

ولمَّا كانت الجنَّة أعظم مكان لتجلّيات رحمة الله، جاء في الرواية الثانية عبارة: «فتحت أبواب الجنة».

وأمَّا الرواية الثالثة التي جاءت بعبارة «فُتّحتْ أبواب الرحمة» فقد دلَّت دلالة مباشرة على المقصود، وهي تشمل بعمومها الرحمة بالمغفرة، والرحمة باستجابةِ الدعاء، والرحمة بفيوض عطاءات الجود العاجل والآجل، والرحمة بمنحة النعيم المقيم في الجنة دار الثواب الأكبر.

وفي رواية عند مسلم: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطين».

صُفِّدت: أي: قُيِّدت. الصِّفَاد: القيد، وجمعه أصفاد.

٢ - وروى البيهقي في شعب الإيمان عن سلمانَ الفارسي أنَّ رسول الله ﷺ قال في خطبة له خطبها آخر يوم من شعبان، فقال: «يَا أَيُّها النَّاسُ، قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيامَ لَيْلِه تَطَوُّعاً، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّىٰ فَرِيضَةً فِيما سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، والصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ وَشَهْرُ الْمُوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يُزَادُ فيهِ رِزْقُ الْمُؤْمِنِ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِماً كَانَ لَهُ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ، وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ كُلُّنَا نَجِدُ مَا نُفَطِّرُ بِهِ الصَّائِمَ؟ فقال رسول الله: «يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِماً عَلَىٰ مَذْقَةِ لَبَنٍ، أَوْ تَمْرَةٍ، أَوْ شَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ، وَمَنْ أَشْبَعَ صَائِماً سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ حَتَّىٰ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ. وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ. وَمَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِهِ فيه غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ»[١].

٣ - وروى أحمد والنسائي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»[٢].

٤ - وروى ابن ماجه بإسناد حسن عن أنس بن مالكٍ قال: دخل رمضانُ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَها إِلَّا كُلُّ مَحْرُومٍ».

---

(١) إسناده ضعيف ولكن معظم مضامينه نجدها في الصحيح.

(٢) إسناده جيد لشواهده.

٥ - وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، أنَّهُ قال: «يُغْفَرُ لأُمَّتِهِ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ».

قيل: يا رسولَ الله أهي ليلةُ القدر؟ قال: «لَا، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّىٰ أَجْرَهُ إِذَا قَضَىٰ عَمَلَهُ».

٦ - وروى الترمذي وابن ماجه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وفُتِّحَتْ أَبْوابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ:

يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ.
وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ».

٧ - وروى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً واحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّم من ذَنْبِهِ. وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَاناً واحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّم من ذَنْبِهِ».

٨ - وروى البخاريّ ومسلم عن ابن عبَّاسٍ قال: «كان رسول الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبيُّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

وروى البخاريُّ عن أبي هريرة قال: «كَانَ يُعْرَضُ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ الْقُرْآنُ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الذي قُبِضَ».

والظَّاهر أنَّ هذا في رمضان، أخذاً ممَّا جاء في الأحاديث الأخرى.

وفي رواية عند البخاري عن ابن عبَّاسٍ قال: كان رسول الله ﷺ أجودَ

النَّاس ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيل، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَة».

٩ ـ وعن رجلٍ من باهلة، قيل: اسمه عبدالله بن الحارث أنَّه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، أنَا الرَّجُلُ الذي أتيتُك عامَ الأوَّل، فقالَ: «مَا لِي أَرَىٰ جِسْمَكَ نَاحِلاً؟!» قلتُ: يا رسول الله مَا أَكَلْتُ طعاماً بالنهار، ما أكلتُ إلاَّ بالليل، قال: «مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّبَ نفسك؟» قُلتُ: يا رسول الله : إنِّي أَقْوَىٰ، قال: «صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَيَوْماً بَعْدَهُ» قُلتُ: إنِّي أقوى، قال: «صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَيَوْمَيْنِ بَعْدَهُ» قُلتُ: إنِّي أقوى: قال: «صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَثَلاثَةَ أيَّامٍ بَعْدَهُ، وَصُمْ أَشْهُرَ الْحُرُمِ ».

رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابنُ ماجه، وهَذَا لفظ ابن ماجه.

والمراد من شهر الصبر شهر رمضان.

١٠ ـ وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً».

وفي رواية عند مسلم: «فَعُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي».

من تدبَّر النصوص الواردة حول شهر رمضان وفريضة الصيام فيه، نستطيع أن نستخلص جملة فضائل لهذا الشهر المبارك.

فهو:

١ ـ شهر تصفيد الشياطين.

٢ ـ وشهر فتح أبواب السماء.

٣ ـ وشهر فتح أبواب الجنة.

٤ ـ وشهر تغليق أبواب جهنَّم.

٥ ـ وشهر فتح أبواب الرحمة والعتق من النار.

٦ ـ وشهر المغفرة لمن صامه، ولمن قامه، ولمن قام ليلة القدر فيه.

٧ ـ وشهر الصبر.
٨ ـ وشهر الجود والمواساة.
٩ ـ وشهر القرآن.
١٠ ـ وشهر تربية الإرادة.
١١ ـ وشهر تربية مكارم الأخلاق.
١٢ ـ وشهر الرسالة الإسلامية.
١٣ ـ والعمرة فيه تعدل حجَّةً مع رسول الله ﷺ.
١٤ ـ وشهر الدعاء المستجاب.
١٥ ـ وشهر ليلة القدر.
١٦ ـ وشهر زكاة الفطر.

وفيما يلي شرح هذه الفضائل في مقولة لكلٍّ منها:

ـ ١ ـ

شهر تصفيد الشياطين:

من خصائص رمضان وفضائله أنَّه شهر تُصَفَّد فيه الشياطين.

أي: تُغَلُّ بالأغلال، وتُسْجَنَ، منعاً لها عن إغواء المؤمنين الصائمين، والتسويل لهم، وذلك لإراحة أفكارهم ونفوسهم من وساوس الشياطين ولَمَّاتِهِمْ، حتى يقوموا بالصيام وسائر عبادات هذا الشهر وأخلاقه وآدابه وقد أراحهم الله من إحدى عقبات الامتحان في ظروف هذه الحياة الدنيا، وهي عقبة الوساوس والنزغات التي تحاول إغواءهم بإيحاءات تصل إلى صدورهم، وتهيّج مراكز شهواتهم وأهوائهم، دون أن يكون للشياطين سلطانٌ عليهم.

والأصفادُ والسلاسل بالنسبة إلى الشياطين ومردة الجنّ وسائل غيبيّة ربَّانية تناسب أحوالهم التكوينيّة، وقد يقوم بها جندٌ من جند الله كالملائكة،

وهذه الوسائل بالنسبة إليهم تشبه الأصفاد والسلاسل التي تستخدم في أسر الإنس.

ويتساءل بعضهم قائلاً: كيف تقع إذن المعـاصي في رمضان من المؤمنين وغيرهم، ما دامت الشياطين أسيرةً حبيسةً في رمضان، ممنوعةً محجوزةً عن إغواء الناس؟.

إنَّه تساؤلٌ عجيب يدُلُّ على الجهل بوظيفة الشياطين، وبمدَىٰ تأثيرهم على الناس في وساوسهم وتسويلاتهم ونزغاتهم وهمزاتهم.

إنَّ المعاصي التي تصدر من بني آدم تصدر بتأثير إرادتهم، ولا تصدر عنهم بتأثيرٍ شيطاني يأتيهم من خارجِ نفوسهم وأهوائهم وشهواتهم، فالشيطان ليس له تأثير على الذين آمنوا، إنَّما سلطانه على الذين يتبعونه باختيارهم الحرّ، لأنهم رأوا في اتباعه ما يُعطي أهواءهم وشهواتهم انطلاقها بلا قيود.

فإذا كُفَّتِ الشياطين عن بني آدم في شهر رمضان، فهل كُفَّتْ دوافعهم الذاتية إلى ارتكاب المعاصي والمخالفات، وفي نفـوسهم أهواءٌ وغـرائزُ وشهواتٌ ونزعاتٌ ودوافع كثيرة مختلفات، ولهم إراداتٌ حرَّة.

ومسؤولية الناس مع وجود وساوس الشياطين مسؤولية كاملة، نظراً إلى إراداتهم الحرَّة من جهة، ونظراً إلى أنَّ وساوس الشياطين هي من قبيل الإغواء غير المباشر، والكيد الضعيف الذي لا يقوى على الإلزام، ولولا رغبةُ الإنسان في المعصية استجابةً لأهواء نفسه وشهواتها، واستجابةً لـدوافعه وغرائزه، لَمَا كان لإشارات الشيطان ودغدغاته تأثير عليه.

ولا يزيد تصفيد الشياطين في شهر رمضان على كونه إزالةَ عقبة واحدة من طريق الإنسان، من أصل عقبات كثيرة أخرى لا تزال موجودةً داخل نفسه، ومصاحبةً له في كلِّ ظروف حياته وأحوالها، وقد يخفُّ بعضها في الصيام إذا كان على وجهه المشروع، كما كان يصوم رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمون، كشهوة الفرج وما يتصل بها.

فتصفيد الشياطين ومردةِ الجنِّ في شهر رمضان مساعد للمؤمنين الصائمين على الطاعة، والابتعادِ عن المعاصي، وليس قاطعاً لكلِّ دوافع الإنسان إلى المعصية.

والشيطانُ في حياة الإنسان لا يعدو أنَّه مخلوق باستطاعته أن يوسوس في صدر الإنسان بالشر، ويُزيِّن له ارتكاب الخطيئة، ثمَّ إنَّ الإنسان هو الذي يرتكب الخطيئة بإرادته الحرَّة، ويُعْتَبَرُ مسؤولاً عنها مسؤولية تامَّة.

وقد دلَّتنا النصوص الإسلامية على مجموعة حقائق تتعلق بأمر الشيطان في حياة الإنسان، منها الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: أنَّ الشيطان ليس له سلطان على إرادة الإنسان، إلَّا من سلَّم قيادة نفسه له، وتبعه مختاراً لنفسه طريق الغواية، فوجودُه في حياة الإنسان اقتضته حكمة التوازن بين طرفي الخير والشرِّ في امتحان إرادة الإنسان.

لقد أبان الله عزَّ وجل ما خاطب به إبليس حين قال لربِّه عن آدم: ﴿لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قَليلاً﴾(١) أي: لأقودنَّهم من أحناكهم إلى الغيّ، ولأستولينَّ عليهم لإغوائهم، فقال الله له كما جاء في سورة (الإسراء ١٧): ﴿إنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً (٦٥)﴾.

وكما جاء في سورة (الحجر ١٥): ﴿إنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ (٤٢) وإنَّ جَهَنَّم لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣)﴾.

وخاطب الله رسوله وكلَّ تالٍ لِلْقرآنِ من المؤمنين بقوله عزَّ وجل في سورة (النحل ١٦): ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم (٩٨) إنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ (٩٩) إنَّما سُلْطَانُهُ عَلَىٰ الَّذِيْنَ يَتَوَلَّوْنَهُ والَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشرِكُوْنَ (١٠٠)﴾.

الحقيقة الثانية: أنَّ وظيفة الشيطان في حياة الإنسان هي الوسوسة في

(١) الإسراء ١٧ آية ٦٢.

صدره، ويَشْعُر الإنسان بهذه الوسوسة في صورة خواطر تُـزَيِّنُ له الإثم والمعصية، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قل: أعوذ برب الناس. ملك الناس. إلٰه الناس. من شرِّ الوسواس الخنَّاس. الذي يوسوس في صدور الناس من الجنَّة والناس﴾.

الحقيقة الثالثة: أنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل الشيطان في حياة الإنسان لإقامة التوازن بين دوافع الخير ودوافع الشر فيه، والمحرِّضات عليهما، وليطرح الإنسان على الشيطان قسماً من مسؤولية الخطيئة التي يقع بها فيجدَ لنفسه عُذْراً بأنَّ فِعْلَ الشرِّ ليس من فطرته، وإنَّما كان بتأثير وساوس قرينه الشيطان الملازم له.

وقد يكون المراد من تصفيد الشياطين تقييدَهُمْ بالنسبة إلى الصائمين على الوجه المطلوب، وذلك لأن الصيام الصحيح يساعد المؤمن الصائم على الطاعة، وعلى الابتعاد عن المعاصي وكبائر الإثم.

فإذا صام المؤمن في رمضان، ووجَدَ الجوَّ الرُّوحيَّ الشَّامل من داخل نفسه ومن مجتمع الصائمين، فإنَّ إرادته تقوى على شهواته بعد انكسارها نسبيَّاً بالصوم، عندئذٍ لا تجد الشياطين طريقاً إلى نفسه لتحريكِ مراكز شهواتها، واستثارتها إلى ارتكاب المعاصي، فتكون بالنسبة إليه كالسجينة المقيَّدة بالسَّلاسل، لا تستطيع أن تتحرَّك، أمَّا من لم يصم صِيَاماً حقيقيّاً أو لم يكن في رمضان مع الصائمين أو كان كافراً، فإنَّ شيطانَهُ طليق لا يجد ما يقيّدُهُ عن إغواء صاحبه. وربما يكون تصفيدُ شَيْطان كلّ صائم بحسب قوَّةِ صومه.

وعلى هذا فشياطين الكافرين والمجرمين والمسرفين على أنفسهم شياطين طليقة، وسبيلهم إلى نفوس قرنائهم من الإنس مفتوحة، وقد جاء في السيرة أنَّ الشيطان كان يوم بدر مع أهل الشرك يُغْويهم ويغريهم، وقد ذكر القرآن المجيد ذلك، فقال الله عزَّ وجل في سورة (الأنفال ٨): ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ: لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ

فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ. إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ. إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ واللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَاب (٤٨)﴾.

ومعلوم أنَّ يوم غزوة بدرٍ قد كان في رمضان.

ـ ٢ ـ

شهر فتح أبواب السماء:

ومن فضائل رمضان أنَّه تفتح فيه أبوابُ السماء، والمراد من فتح أبواب السماء فتح أبواب رحمة الله تعالى لتنزُّل العطاء ولقبول الدعاء.

والعطاء يتمثَّل بمضاعفة الثواب على الأعمال الصالحة، وبكثرة غُفْرانِ الذنوب للمذنبين من أهل الإيمان، فَلِلَّهِ في رمضان عُتَقَاءُ من النار كلّ ليلة من لياليه، كما جاء في بعض الأحاديث.

ـ ٣ ـ

شهر فتح أبواب الجنَّة:

ومن فضائل رمضان أنَّه تفتح فيه أبواب الجنَّة، والمراد ـ والله أعلم ـ أنَّ أبوابَ الجنَّةِ التي جعل الله مفاتيحها الأعمالَ الصالحة، وما يتفضَّل الله به من ثوابٍ عليها، والتوبة والعفوَ والغفرانَ، هذه المفاتيح تكثر في شهر رمضان، وتكون في متناول أيدي المؤمنين، حتى تكون مفتَّحة لهم جميعاً، فهم يستطيعون الظفر باستحقاق دخولها بفضل الله دون مشقة ولا عناء: (بالدعاء ـ بالاستغفار ـ بالتوبة ـ بالصيام الخالص لله عزَّ وجلّ ـ بالقيام الخالص له).

وهذه الأبواب المفتحة تستقبل الصائمين، والقائمين، والرُّكَّع السُّجُود، والمتصدِّقين، وسائر العابدين، وتستقبل التائبين والمستغفرين، فأيُّ ساعٍ من أهل الإيمان يستطيع أن يحصل على بطاقة دخول، يستحقُّ بها دخول الجنة إذا مات وهو على هذه الحال.

فما أعظم كرم الله وجوده ورحمته، إذ جعل للمؤمنين الخطّائين هذا الموسم الرائع من مواسم التعويض والتسامح والعفو، واستقبال الوافدين الذين يرغبون في تسجيل أسمائهم في ديوان أهل الجنة.

ـ ٤ ـ

شهر تغليق أبواب جهنَّم:

ومن فضائل رمضان أنَّه تُغَلَّق فيه أبواب جهنم، والمراد من ذلك ـ والله أعلم ـ أنَّ المؤمنين الصائمين يجدون في موسم شهر رمضان ما يُساعدهم جَسَدِياً ونفسيّاً واجتماعيّاً على أن يبتعدوا عن المعاصي التي تُجَرْجِرُ بهم إلى النار.

فإذا ابتعدوا عن المعاصي وكبائر الإثم، وقد فتحت لهم أبواب رحمة الله عزَّ وجلَّ، فإنَّهم بِيَسِيرٍ من الطاعات يستطيعون أن يغلّقوا دونهم أَبْوَابَ جَهَنَّم، ويستطيعون أن يلتمسوا رحمة الله وعفوه، فيعتقَهم من النَّار، فيكونون بذلك كأنَّما أبوابُ جهنَّم مغلَّقةٌ بالنسبة إليهم، إذْ لا غرض للنار فيهم، وهم مشمولون برحمةِ الله وعَفْوِه، وقد شُطبت أسماؤهم من ديوان أهل النَّار.

ولا أرى المراد أنَّ أبواب جهنَّم تُغَلَّق لمستحقي دخولها من أهل الكفر، فلقد علمنا أنَّها فُتحت لمن قُتل من المشركين في غزوة بدر، وقد كانت في شهر رمضان.

وقد يقال: إنَّ تغليق أبواب النار في رمضان كِنَايةٌ عن كثرة فيوض العفو والغفران للصائمين في هذا الشهر، وكِنَاية عن كثرة التجاوز عن السيئات فيه.

ـ ٥ ـ

شهر فتح أبواب الرحمة:

إنَّ فتح أبواب الرحمة في رمضان يشمل بعمومه الرحمة بالمغفرة

والرَّحمة باستجابة الدعاء، والرَّحمةَ بفيوض عطاءات الجود العاجلِ والآجل، والرَّحمةَ بمنحة النعيم المقيم في الجنَّةِ دار الثواب الأكبر.

ويدخل في عموم الرحمة فتح أبواب السماء، وفتح أبواب الجنة، وتغليقُ أبواب جهنَّم، التي سبق شرحها.

ويدخل في عموم الرحمة أيضاً مَا جاء في الحديث الذي رواه سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ بشأن شهر رمضان، من أنَّ أوَّله رحمة، وأَوْسَطَهُ مغفرة، وآخرَهُ عِتْقٌ من النار.

فالرَّحمة في أوَّله تتمثل بفتح أبواب السماء وأبواب الجنة وتغليق أبواب جهنم، والمغفرة التي في أوسطه تتمثل فيما جاء في بعض الأحاديث التي سبق ذكرها: «وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَة». وأمَّا العتق من النار الذي يكون في آخره فقد جاء بيانه في الحديث الذي فيه أن الله يغفر لأمَّةِ محمد ﷺ في آخر ليلة من رمضان.

فأمَّا كون أول شهر رمضان رحمة فلأنَّه إذا أقبل أقبل ومعه ألوان من الخيرات الرَّبَّانية، إذْ هو موسم عبادة كَفِلَ الله بنفسه الثواب العظيم عليها برحمته.

وأمَّا كونُ أوسطه مغفرة، فلأنَّ المغفرة تحصل فيه للصائمين، فتشمل قسماً منهم كلّ يوم من أيَّامه، فهي في أوسطه، والمغفرة من الرحمة، فهو شهر رحمة، وشهر مغفرة.

وَأمَّا أَنَّ آخره عتق من النار، فلأنَّ غاية المغفرة العتق من النار، فمن صام رمضان إيماناً واحتساباً، وتراكمت جزئيات المغفرة التي يصيبها بفضل الله في أوسطه، جمعها الله له فأعتقه في آخر الشهر من النار.

وهذا لا يمنع من وجود عُتَقاء من النار من مجموع المؤمنين الصائمين في كلِّ يوم من أيام رمضان، لأنَّ المؤمنين على درجات، صالحاتهم متفاوتة،

وسيئاتهم متفاوتة، فربما كان بعضهم عتيقاً من النار قبل دخول شهر رمضان، وربَّما كفى لعتق بعضهم يومٌ واحد من أيَّامه، وآخـرون يُـعْتقون من النار بعد يومين، وآخرون بعد ثلاثة، وهذا في كلِّ يوم، وقد يتأخر قرار العتق إلى آخرِ يـوم من أيام رمضان.

وبما أنَّ رحمة الله عزَّ وجلَّ تكثرُ في رمضان على عباده المؤمنين الصائمين، فإنَّ واجب الشكر لله يستدعي منهم أن تَتَدَفَّقَ قُلُوبُهُم بالرحمة في هذا الشهر المبارك على عباد الله البائسين وذوي الحاجات والضرورات، ليكون نصيبهم من رحمة الله أوفر، وليكون حظُّهم من عطاءِ الله أكثر.

روى أبو داود والترمذي عن عبدالله بن عَمْرٍو قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحِمُوْنَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

فإذا كان الأمر كذلك في كلّ آن، فكيف يكون حال الراحمين من المؤمنين في موسم تُفتَّح فيه أبوابُ رحمة الله، وهو شهر رمضان؟

وحين نتدبَّر ما رواه البخاري ومسلم عن جرير بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ».

فلا بدَّ أن نلاحظ أنَّ مفتاح تَلَقِّي رحمة الله العظيمة، أن يرحم العبدُ غيرَه من الناس المستحقين للرَّحمة، أمَّا من كان قَاسِيَ القلب لا يَنْدَى برحمةٍ نحو عباد الله، فَإِنَّ قَسْوَةَ قلبه تحجُبُ عنه استقبال فيوض رحمة الله.

وروى أحمد والترمذي عن أبي هريرة قال: سمعتُ أبـا القاسم الصادق المصْدوقَ ﷺ يقول: «لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلَّا مِنْ شَقِيٍّ».

وروى مسلم عن عياض قال: قال رسول الله ﷺ: «أهلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ».

فالرحيم رقيقُ القلبِ لكلِّ ذي قُرْبىٰ ومُسلم هو أحد الأصناف الثلاثة الذين هم أَهْلُ الجنةُ.

فالمؤمن في رمضان مَدْعُوٌّ بقوَّةٍ للرَّحمة بعباد الله.

ـ ٦ ـ

شهر المغفرة لمن صامه ولمن قامه ولمن قام ليلة القدر فيه:

١ ـ من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبه.

٢ ـ ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه.

٣ ـ ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه.

إيماناً: أي: بدافع الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، لا عن عادة، أو تقليد، أو لمصلحة دنيوية.

واحتساباً: أي: وخالصاً لوجه الله عزَّ وجلّ يبتغي ثواب عمله من الله، ويحتسب أجره عنده.

غُفِرَ لَهُ مَا تَقدَّم من ذنبه: أي: ممَّا يكون بينه وبين ربِّه، أمَّا حقوق العباد كالدُّيُونِ، والحقوق الواجبة في عنقه لربه وعليه أداؤها أو قضاؤها، وقد عصىٰ في تأخيرها، فإنَّها لا تسقط عنه، والمغفرة تكون لمعصية التأخير، لا لإسقاط أصل الحقِّ الذي يجب قَضَاؤُه.

والمراد من القيام صلاة التطوع في الليل وما يُصَاحبها من عبادات تلاوة وذكر ودعاء.

فإذا لاحظنا أنَّ شهر رمضان شهر فتح أبواب السماء، وفتح أبواب الجنة، وتغليق أبواب جهنم، وفتح أبواب الرحمة، وشهر المغفرة فمن المناسب جدّاً فيه أن يقف منادٍ من الملائكة ينادي:

● **«يا بَاغِي الْخَيْرِ أقبل»** أي: فالجنة مفتَّحةٌ أبوابُها، فأمر استحقاق الدخول فيها أصبح يسيراً، ينالُه المؤمن الصائم بالعمل القليل في رمضان.

● «ويا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ» أي: فإنَّ أَمَامَكَ فرصةً ذهبية عظيمة لتكفير سيئاتك، وعتقكَ من النار، ثُمَّ دُخُولِكَ الجنَّة بعفو الله وفضله، فأبْوَاب النَّار مغلَّقة، وأبواب الجنَّةِ مفتحة.

وقيامُ رمضانَ يكون بصلاة التراويح من أوّل اللَّيل، ويكون بصلاة ركعات من جوف الليل تهجُّداً، أو بصلاة ركعات من أخر الليل عند السحر تهجُّداً، فمن فعل شيئاً من ذلك في كلِّ ليلة من ليالي رمضان فقد قام رمضان، واسْتَحَقَّ أن يغفر الله له ما تقدَّم من ذنبه، إذا كان قد فعل ذلك إيماناً، واحتساباً، وتَوَهُّمُ بعض العامة أنَّ القيام يقتضي إحياء كلِّ الليل بالعبادة توهُّمٌ غير صحيح، ولا سندَ له من القرآن ولا من السُّنَّة.

وفي فضل قيام رمضان:

● رَوىٰ البخاريّ ومسلم والإمام أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه، عن أبي هريرة قال:

كانَ رسول الله ﷺ يُرَغِّبُ في قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة، فيقول: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيماناً واحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

● وروى الإمام أحمد والنِّسائي وابن ماجه، عن عبد الرحمن بن عوف أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ عَزَّ وجلَّ فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ، وَسَنَنْتُ قِيامَهُ فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إيماناً واحْتِسَاباً خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

أي يكون صفحة بيضاء نقيَّةً من الذنوب، لكن هذا التعميم مخصَّص بالذنوب التي تكون بين العبد وربّه، عمَّا مضى، وهو لا يشمل حقوق الناس، ولا يسقط الحقوق الثابتة التي يجب على الإنسان أن يؤدِّيها كالدُّيون، ولو كانت لله عزَّ وجل كقضاء الصوم، والكفَّارات ونحو ذلك.
ودليلُ هذا التخصيص أحاديثُ وأدلَّة أُخرى.

وللقيام من جوف الليل أو آخره تهجُّداً مزيد فضل عند الله عزَّ وجلَّ، لأنَّ الله أثنى على المؤمنين الذين إذا ذُكِّرُوا بآياته خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بحمدِ

ربِّهم وهم لا يستكبرون، بقوله في سورة (السجدة ٣٢): ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهم عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾.

الاجتماع في المساجد لصلاة التراويح:

توارث المسلمون منذ أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاجتماعَ لصلاة التراويح في المساجد، والعملَ بسنَّةِ قيام رمضان جماعة.

وقد فعله الرسول ﷺ بضع ليالٍ، ثمَّ انقطع ولم يتابع، وذكر صلوات الله عليه لأصحابه أنَّه انقطع عن المتابعة خوف أن يُفْرض عليهم ويعجزوا عن أداء الفريضة.

● روى الإمام أحمد والنسائي وأبو داود وابن ماجه والترمذي وصحَّحه عن أبي ذرٍّ قال: «صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يُصَلِّ بِنَا حتَّى بَقِيَ سَبْعٌ مِن الشَّهْرِ، فَقَامَ بِنَا حَتَّىٰ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ لَمْ يُقِمْ بِنَا في السادسة، وَقَامَ بنا في الخامسة، حتَّى ذَهَبَ شَطرٌ مِنَ اللَّيْلِ، فقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ نَفَلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ؟». فقال:

«إنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيامُ لَيْلَةٍ».

قال أبو ذرّ: ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بنا حتى بقي ثلاث من الشهرِ، فصلَّىٰ بنا في الثالثة، ودعا أهله ونساءه، فقام بِنَا حتَّىٰ تَخَوَّفْنَا الْفَلَاحَ.

فسأل راوي الحديث عن أبي ذرٍّ: ومَا الفلاح؟

فقال له أبو ذرّ: السُّحور.

أي تخوّفْنَا أن يفوت علينا السُّحور، أي: قام بهم معظم الليل.

فلم يُصَلِّ بنا: أي: لم يصلِّ بنا قيام رمضان.

في السادسة ـ في الخامسة ـ في الثالثة: على طريقة العدّ التنازلي مع نهاية الشهر.

● وروى البخاريّ ومسلم عن عائشة أنَّ النبيّ ﷺ صلى في المسجد، فصلَّىٰ بصلاته ناس، ثُمَّ صلَّى الثانية فكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجتمعُوا في اللَّيلَةِ الثالِثَةِ أو الرَّابعَةِ فَلَمْ يَخرج إليهم رسولُ الله ﷺ، فلمَّا أصبحَ قال: «رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إلَيْكُمْ إلاَّ أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ».

قالت عائشة: وذلك في رمضان.

● وفي روايةٍ قالت عائشة رضي الله عنها: كَانَ النَّاسُ يُصَلُّونَ في المسجد في رمضان بِالليلِ أَوْزَاعاً، يَكونُ مع الرجل الشيء من القرآن، فيكونُ معه النفر الخمسة أو السبعة أو أقلّ من ذلك أو أكثر، يُصَلُّون بصلاته.

قالت: فأمرني رسول الله ﷺ أن أَنْصِبَ له حصيراً على باب حُجْرتي، ففعلتُ، فخرج إليه بَعْدَ أن صلَّىٰ عِشَاءَ الآخِرة، فاجتمع إليه مَنْ في المسجد، فصلَّىٰ بهم.

وفي الصحيح روايات أخرى عن عائشة رضي الله عنها تؤكِّد ما سبق.

أوزاعاً: أي: جماعاتٍ متفرِّقة.

وبقي النَّاس بعد رسول الله ﷺ يُصَلُّون التراويح في المسجد أوزاعاً، منهم من يُصلِّي منفرداً، ومنهم من يُصلِّي جماعةً، فلمَّا رأى عمر رضي الله عنه ذلك قال: (إنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هؤلاء علىٰ قارىءٍ واحدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ) ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَىٰ أُبيّ بن كعب، واستمر المسلمون بعد ذلك يَجْتَمِعُونَ فِي المَسَاجِدِ لِصَلاَةِ التَرَاوِيح.

ـ ٧ ـ

شهر الصبر:

جاء في الحديث الذي رواه الرجل الباهلي أنَّ الرسول ﷺ سمَّى شهر رمضان شهر الصبر.

وقد اختصَّ رمضان بأنَّه شهر الصبر لما فيه من حَبْسِ النفس عن المفطرات الماديَّة والمعنوية، والانشغال بألوان مختلفة من العبادات التي منها قيام ليالي رمضان، والإكثارُ من تلاوة القرآن والاستغفار، وغير ذلك.

وحَبْسُ النفس عن شهواتها في أيّام شهر كامل فيه تدريب لها على اكتساب فضيلة خُلُقِ الصبر، فحُقَّ لهذا الشهر أن يوصف بأنَّه شهر الصبر.

إنَّ من استطاع بإرادته أن يكُفَّ نفسه عن شهوات بطنه وفرجه المباحة في غير الصوم، والتي يُمارسها في العادة، ويصبر على كفّ نفسه عَنْها خلال أيّام شهر كامل، استطاعَ أنْ يَكُفَّ نَفْسَه بعد ذلك فيصبرَ عن الشهوات المحرَّمة، ويصبرَ على المصائب، ويصبرَ على الطاعات التي فيها تكليف للأنفس، لأنَّه قد تدرَّب بالصيام المشروع في رمضان على فضيلة خلق الصبر.

والصبرُ هو قوة خلقيَّةٌ من قوى الإرادة، تمكّن الإنسانَ من ضبط نفسه لتحمُّل المتاعب والمشقّات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجَر والْجَزَع، والسَّأَمِ والملل، والعجلة والرعونة، والغضب والطيش، والخوف والطمع، والأهواء والشهوات والغرائز.

وهو ثلاثة أنواع:

- صبر على الأعمال التي يشُقُّ على الإنسان القيام بها.
- وصبر عن مطالب النفس التي يَشُقُّ على الإنسان كفُّ نفسه عنها.
- وصبر على المكاره والمصائب التي لم يجلُبْها ولا يَمْلِكُ دفعها.

وبخلق الصبر يتمكن الإنسان بطمأْنينةٍ وثَبَاتٍ أَنْ يَضَع الأشياء في مواضعها، ويتصرَّف في الأمور بعقل واتزان، وينفّذ ما يريد تنفيذه في الزمان المناسب، وبالطريقة المناسبة الحكيمة، على الوجه المناسب الحكيم.

أمَّا من لا صبر له فهو يندفع إلى التَّسرُّع والعجلة، فيضع الأشياء في غير مواضعها، ويَتَصَرَّف برعونة، فيخطىء في تحديد الزمان والمكان،

ويُسِيء في طريقة التَّنفيذ وفي وجهه، وربما يكُون صاحِبَ حقٍ أو يريد الخير فيغدو جانياً أو مفسداً، ولو أنَّه اعْتَصَمَ بالصبر لَسَلِمَ من كلّ ذلك.

وصَبْرُ الإنـسان في أموره يُعَبِّر عن قوَّة إرادته، وكمال عقله، وبُعْدِه عن الطيش والرُّعونة، وعن حكمته في معالجة مشكلات الحياة.

وهو في مستواه الرفيع النابع من منَابع الإيمان ثمرة من ثمرات الفهم عن الله، وتدبُّر حكمته العظيمة في تصريف الأمور، وامتحان عباده في هذه الحياة، وثمرةٌ من ثمرات الرضىٰ عن الله فيما تجري به مقاديره.

والصبر هو السلاح الأقوى الذي يمكّن صاحبه من إصلاح خصمه أو الظفر به، وهو أعظم خُلُقٍ نَفْسِيٍّ وُضِعَ موضع الابتلاء في ظروف هذه الحياة الدنيا، لذلك قال الله عزَّ وجلَّ في سورة (آل عمران ٣): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَـدْخُلُوا الْجَنَّـةَ وَلَمَّـا يَـعْلَمِ الـلَّهُ الَّـذِيْنَ جَـاهَـدُوا مِـنْكُـمْ وَيَعْـلَمَ الصَّابِرِيْنَ (١٤٢)﴾.

والصبر ضرورةٌ حياتيّةٌ لكلّ عمل نافعٍ، فكسبُ الرزق يحتاج إلى صبر، ومعاملةُ الناس تحتاج إلى صبر، والقيامُ بالواجبات والمطلوبات الدينيّة يحتاج إلى صبر، والكَفُّ عن المحرَّمات والمكروهات يحتاج إلى صبر، والجهادُ في سبيل الله يحتاجِ إلى صبر، ومقارعَةُ شدائد الحياة ومقاومةُ مكارهها وتحمُّل تكاليفها ومَشَقَّاتها يحتاج إلى صبر، وهكذا إلى غير ذلك من أمور.

لذلك كان الإنسان بحاجة في كلِّ سَنَةٍ إلى دورة تدريبيَّة يتدرَّب فيها على خُلُق الصبر، وذلك في شهر يَعْبُد فيه ربّه بعبادة تحتاج إلى صبر على الجوع، وصَبْرٍ على الظمأ، وصبر على كفّ النفس عن شهواتها.

وشهر رمضان هو شهر هذه الدورة الخلقية العظيمة الرائعة، إنَّه حقّاً شهر الصبر.

شهر الجود والمواساة:

ثبت في الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل.

● روى البخاريّ عن ابن عبّاس قال: (كانَ النَّبيّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جبريلُ، وَكَان جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ في رَمَضَانَ حَتَّىٰ يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النبيُّ ﷺ الْقُرْآنَ، فإذا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ أَجْوَدَ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ).

أجود بالخير من الريح المرسلة: أي: أجود ببذل المال الذي تسميه العربُ خيراً من الريح المرسلة بأمر الله لسوق السحاب المليئة بالغيث الكثير، وإفراغه على الأرض دون تخصيص ولا تمييز، ليكون منه الخصبُ والنماء.

من هذا يصحُّ لنا أن نصف رمضان بأنَّه شهر الجود، وقد اختص هذا الشهر بهذه الفضيلة، لأنَّ المؤمن حين يصوم رمضان، ويُحسُّ بمشاعر الجوع والعطش، مع تَلَبُّسِه بعبادة الصيام، وسريان روح الصلة بالله في ذاته إلى عمق وِجْدانه، تتفجَّرُ لديه ينابيع الرحمة بالبؤساء الجائعين العطشىٰ الذين لا يجدون ما يسدُّون به عوزهم، فإن لم تتفجَّر فلا بدَّ أن ترشح على مقدار ما لديه من إمكانات عطاء، وهذا تغيُّرٌ داخليٌّ يدفعه إلى الجود، وقلَّما نجدُ ظروفاً نفسيَّةً تتوافر لديها كلُّ هذه الملائمات في فترة زمنيَّة متكرِّرة، مثلما نجدها في شهر رمضان شِهْرِ الصوم، حينما يكون المؤمن قائماً بعبادة الصيام على وجهها المشروع المطلوب.

فاندفاع المؤمنين إلى الجود في رمضان ظاهرة من ظواهر عبادة الصيام فيه، فمن حقّ هذا الشهر أن نسمّيه شهر الجود.

ثم إنَّ من شأن المؤمنين أن يقتدوا برسول الله ﷺ، ولمَّا كان أجود ما يكون

في رمضان، فهم يتحرّون أن يتأسّوْا به، فيكثُرَ فيه بذلُهم في سبيل الله، ويكثُرَ فيه عطاؤهم للفقراء والمساكين وذوي الحاجات، ويزدادَ فيه إنفاقُهُمْ في مشاريع الخير والبرّ.

ونستطيع أن نقول: إنَّ مدرسة رمضان مدرسة تُرَبِّي في الصائمين خُلُقَ الجود، لذلك يصح لنا أن نسمّيه شهر الجود.

ولمَّا كان شهر رمضان شهر الجود والمواساة حثّ الرسول ﷺ على تَفْطِير الصائم، وأبان أنَّ من فَطَّر صائماً فله مثل أجره.

فعن زيد بن خالدٍ قال: قال رسول الله: «مَنْ فَطَّرَ صَائِماً أَوْ جَهَّزَ غَازِياً فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ».

رواه البيهقي بإسناد صحيح.

ـ ٩ ـ

شهر القرآن:

عرفنا فيما سبق لدى تدبُّر الآيات القرآنية أنَّ من خصائص رمضان أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أنزل فيه القرآن، والكتب السماوية السابقة.

وجاء في السنة أنَّ الرسول ﷺ كان يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام كلَّ ليلة من ليالي رمضان، فكان يعرض الرسول عليه ما نزل من القرآن مرَّةً كلَّ سنة، أمَّا في السّنة التي توفِّي فيها فقد عرضه عليه مَرَّتَيْنِ، والظاهر أنَّ ذلك قد كان في رمضان.

ومن هذا نستفيد أنَّه يستحبُّ للمسلمين الإكْثارُ من تلاوة القرآن في شهر رمضان، شهر القرآن.

أمَّا فضائل تلاوة القرآن لاسيما في شهر رمضان فهي كثيرة وعظيمة، وقد وردت في فضائله عدَّة أحاديث عن النبيّ ﷺ، منها ما يلي:

١ ـ روى الإمام أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي بإسناد حسن، عن عبدالله بن عَمْرٍو قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُها».

فَما أجمل هذا الارتقاء في مراتب الجنَّة بسبب القرآن، إنَّ كلَّ آية يتلوها صاحِبُ القرآنِ في الدنيا يرتقي بها مرتبة أو درجة من درجات النعيم يوم الجزاء الأكبر يوم الدين.

٢ ـ وجاء في كلام الرسول ﷺ أنَّ الذي ليس في جوفه شيءٌ من القرآنِ يُشْبِه البيت الخرِب.

فالقرآن هو مقوّم قلوب المؤمنين وبانيها، وبدونه تكون القلوب مثل البيوتِ المتهدِّمة الخرِبة، والبيوت الخربة إنَّما تسكُنُها الحشرات والحيوانات المؤذية، وتكون عرضة لأن تُلقَى فيها القاذورات، وتَسْكُنَها الشياطين، وكذلك القلوب الخربة تأوي إليها الأهواء والشهوات، والأوهامُ وهوامّ النفوس، وتلعب فيها الشياطين، وتَكْثُرُ فيها وساوسها.

أمَّا القلوب العامرة بالقرآن فهي مثل الْبُيُوتِ العامرة النظيفة المزدانة، الآهلة بسكَّانها الفضلاء، والمتدفِّقة بخيراتها.

روى الترمذي والدارمي وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الَّذِي لَيْسَ في جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ».

٣ ـ وجاء في كلام الرسول ﷺ أنَّ من قرأ حرفاً من كتاب الله كان له به حسنة، والحسنةُ تُضَاعَفُ بفضل الله إلى عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، ثم إلى أضعاف كثيرة.

روى الدَّارمي والترمذي وقال فيه: هذا حديث حسن صحيح، عن عبدالله بن مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفاً من كتاب الله فله

به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «ألم» حرف، ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

٤ ـ وثبت عن النبي ﷺ أنَّ الشيطان يَنْفِر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة.

روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».

لا تجعلوا بيوتكم مقابر: أي: لا تجعلوا بيوتكم للنوم وحاجات الدُّنيا فقط، فإنكم إذا قَصَرْتُموها على ذلك كانت بمثابة المقابر.

فالمطلوب من المسلمين أن يجعلوا قسماً من عباداتهم في بيوتهم ومن ذلك تلاوة القرآن، وصلوات النوافل، ودروس العلم النافع التي يُبْتَغَىٰ بها وجه الله عزَّ وجل، ومجالس الموعظة والذكر وفعل الخير.

٥ ـ وجاء في فضل تلاوة القرآن ما رواه البخاريُّ ومسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، والذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيه وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ».

مع السفرة الكرام البررة: أي: يكون يوم القيامة مع صنف السفرة الكرام البررة من الملائكة، وهم الذين ذكرهم الله بقوله عزَّ وجل في سورة (عبس ٨٠): ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)﴾.

السَّفَرَة: واحدهم سفير، وهذا الصنف من الملائكة له وظيفة السفارة بين الله والناس، فهم يُبَلِّغون كتب الله لأنبيائه بمهارة وإتقان، كما يَتَلَقَّونها عن الله، لذلك يكون الماهر بالقرآن من الناس معهم يوم القيامة، فهو في صحبتهم بمنازلهم الرفيعة.

والذي يقرأ القرآن ويَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران:

تَعْتَعَ وَتَتَعْتَعَ في الكلام: أي: تردد فيه من حَصَرٍ أَوْ عِيّ أو عدم ممارسة للقراءة.

له أجران: أي: له أجر التلاوة، وأجر تحمُّله مشقَّة التعتعة، لأنَّه لم يتمرَّس بعد بالقراءةِ ولم يُحْسِنْها. لكنه لا يجاري في المرتبة الماهر بتلاوة القرآن، لأنَّ الماهر بها لم يصل إلى مستوى المهارة حتَّى كلَّف نفسه مشقَّة التعلُّم والممارسة، فالوعْدُ بالأجرين للذي يتَتَعْتَع فيه هو من قبيل التشجيع له حتى يكتسب المهارة بالقرآن، أمَّا الماهر بالقرآن فمرتبتهُ رفيعة جدَّاً لا تقتصر على الأجرين، بلْ هُوَ مع السَّفَرةِ الكِرَام الْبَرَرَة.

٦ ـ وجاء أيضاً في فضل تلاوة القرآن ما رواه البخاريّ ومسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَا حَسَدَ إلاّ في اثْنَتَيْنِ:

- رَجُل آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهَارِ.
- ورَجُل آتَاهُ اللَّهُ مَالاً، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ».

فلولا فضل القرآن وتلاوته لَمَا أذن الرسول ﷺ بأن يكون مجالاً لحسد الغبطة.

٧ ـ وضرب الرسول ﷺ مثلاً تشبيهيّاً أبان فيه فضل تلاوة القرآن، وانحطاط منزلة الذي لا يقرأ القرآن.

فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ.

وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لَا ريحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ.

وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، ليس لها ريح، وطعمها مُرّ.

وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ» رواه البخاري ومسلم.

٨ ـ وأبان الرسول ﷺ أنَّ خير المسلمين من تعلَّمَ القرآنَ وعلّمه.

فقد روى البخاريُّ ومسلم عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

وهذا كافٍ في بيان فضل القرآن، وفضل تلاوته، لاسيّما في شهر القرآن، شهر رمضان المبارك.

٩ ـ وصحَّ أنَّ القرآن يَشْفَعُ لتاليه، فعن عبدالله بن عَمْرٍو، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «الصِّيَامُ والْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، إنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بالنَّهارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، ويقولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ باللَّيْلِ فَشَفِّعْني فيه، فَيُشَفَّعَانِ».

رواه الإمام أحمد والبيهقي في شعب الإيمان، والحاكم وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

ـ ١٠ ـ

شهر تربية الإرادة والإخلاص لله في العمل:

باستطاعتنا أن نقول: إنَّ من خصائص رمضان والصيام فيه نوعاً من تربية الإرادة، وهذا النوع لا يوجد في غير مدرسة رمضان.

والسبب في ذلك أنَّه يُربِّي في المؤمن الصائم خُلُقَ مراقبة نفسه بنفسه، وصدقِ تعامله مع ربِّه ولو خلا لنفسه، ولو لم يشاهده أحدٌ من الناس.

إنَّه مدرسة لتربية الإرادة على الطاعة ضدَّ أقوى دوافع الإنسان وغرائزه،

فالصائم في رمضان يترُك فِيه طعامه وشرابه وشهوته طاعةً للأمر الرَّبَّاني.

وهذا النوع من التربية لَا يتحقَّق في صيام النفل، ولو صام الصائم شهوراً لَا شهراً واحداً، إذ يوجد فرق كبير بين أن يقوم الإنسان بالعمل وهو ملزمٌ به، ويشعر بأنَّه مكلَّفٌ أن يعمله، ومفروضٌ عليه أن يُطِيع الأمر فيه، وبين أن يقوم بالعمل مهما كان شاقّاً، وهو يشعر بأنَّه غير ملزم به، وإنَّما يفعله باختياره الحرّ، فإذا لم يفعلْه لم يؤاخذه على تركه أحد.

فمن طبائع الإنسان أنَّه يستثقل العمل الذي يُؤْمَر به ويُلْزَم بأن يعمله، ولو كانت المشقة فيه خفيفة، ولا يَستثقلُ أعمالاً شاقَّةً مضنيةً يقوم بها، وهو يشعر بأنَّ أحداً لم يُلْزمه بها، وربَّما لا يكون له مصلحة فيها أكثر من حبّ الاستطلاع أو المغامرة، أو الرياضة، أو رغبة العناد والتحدِّي، أو نحو ذلك.

أمَّا حينما تكون له مصلحةٌ أو هوى، كطلب الوصول إلى حبيب، أو بلوغِ شهرة أو مجد، أو الحصول على مالٍ يَطْمَعُ به، وربما يكون أملاً بَعِيدَ المنال، فإنَّه يكابده مكابدةً عظيمة، ويتحمَّل فيه مشقَّاتٍ جِسَاماً، دون أن يتأفَّف، بل يحدوه الأمل، ويدفَعُهُ الطَّمع، ويُصاحِبُهُ الصَّبر.

أمَّا تربية مدرسة رمضان لخلُق المراقبة والمحاسبة الذاتية، فلأنَّ الطاعة في الصيام طاعةٌ سلبية، طاعة إمساك عن تلبية مطالب الجسد وحاجات النفس، بخلاف الطاعات التي يقوم فيها الإنسان بأعمال إيجابيَّة يراها الناس، كالصلاة والزكاة والحجِّ.

فالصلاة قد يعملها الإنسان كاملةً وهو يرائي الناسَ بها، وكذلك الزكاة والحج.

لكنَّ الصيامِ لا يَعمَلُه الصائم كاملاً وهو يرائي الناس به، إنَّه يستطيع أن يرائي بقوله: إنِّي صائم، فإذا خلا لنفسه خلوة يسيرة استطاع بها أن يَنْقُض صيامه، وهُنَا يتجلَّى عنصر مراقبة النفس بالنفس، ومحاسبةِ النفس للنفس، ويتجلَّىٰ صدق المعاملة مع الله، أو يظهر غير ذلك.

ولذلك خصَّص الله للصائمين باباً من أبواب الجنَّة الثمانية يسمَّى الرَّيَّان، لا يدخله إلَّا الصائمون.

فالمسلمون حينما يصومون شهر رمضان صوماً صحيحاً على الوجه المشروع، مقتدينٍ في صيامهم بعمل الرسول ﷺ، فإنَّهم يدخلون مدرسة هذا الشهر في كلِّ سنة، ويخرجون منها حاملين شهادة خاصة من شهادات تربية الإرادة على الطاعة الإلزامية، ضدَّ أقوى دوافع الإنسان وغرائزه الدائمة، مع القدرة على المراقبة والمحاسبة الذاتية، وممارسة صدق التعامل مع الله عزَّ وجل، والإخلاص له.

إنَّ تربية الإرادة على الطاعة الواجبة يمنحها خُلُقاً مكتسباً هو من أرقى أخلاق النفس الإنسانية، وعلى هذا الخلُق يعتمد الإنسان في التزامه الاستقامة على منهج الحق والخير والفضيلة، واجتنابه الباطل والشرَّ والرذيلة.

وهذه التربية تمنح الإرادة الإنسانية قوة خاصَّة ضدَّ شهوات النفس وغرائزها وأهوائها، وضدَّ وساوس الشياطين وتسويلاتهم وهمزاتهم ونزغاتهم.

والإنسان السويّ لا يكون سويّاً ما لم يكن لديه إرادة قويَّة تضبط سلوكه في حياته.

أمَّا ضعيف الإرادة فهو أسيرٌ دائماً لغرائزه وشهواته وأهـواء نفسه، ومطامعه ومخاوفه العاجلة، ونزواته ونزعاته ونزغاته، وعن طريق هذه تجرّه الشياطين إلى كلّ منحدر، وتهيم به في كلِّ وادٍ، ثمَّ تمزّقه كلَّ مُمَزَّق، ثمَّ تقذف به إلى التهلكة التي لا نجاة له منها، ويمسُّهُ العذابُ فيها خالداً، بعد أن يمزّقه العذاب والشقاء في الدنيا.

— ١١ —

شهر تربية مكارم الأخلاق:

بالتحليل والتأمل يبدو للباحث أن شهر رمضان مدرسة تشمل المجتمع المسلم لتربية مكارم الأخلاق.

لقد علمنا أنَّ الصيام على وجهه الصحيح ليس مجرَّد الامتناع عن المفطرات الحسيَّة، بل لا بدَّ فيه أيضاً من الكَفِّ عن الغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، وأكل المال الحرام، والظلم والعدوان، وإيذاء الناس، وسائر رذائل الأخلاق، فمن لم يكُفَّ عن هذه القبائح فليس لله حاجةٌ في أن يَدَع طعامه وشرابه.

وقد دلَّتنا الأحاديث النبوية على هذه الحقيقة:

أ ـ فقد روى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ».

ب ـ وروى البخاريُّ عَنْ أَبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّور والْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

جـ ـ وروى الدارميُّ بإسنادٍ جَيِّد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الظَّمأ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ».

أي: فالصائم لاسيما في رمضان لا يقاتل، ولا يُخاصم، ولا يُشاتم، فإن فعل شيئاً من ذلك أفسد صومه إفساداً معنويّاً، وإن لم يُفْسِدْهُ بمفطِّر من المفطِّرات الحسيَّة.

إنَّ المفطِّرات المعنوية التي منها الكذب، والغيبة، والنميمة، وشتيمة الناس، والظلم، والعدوان، والبغي، وأكل أموال الناس بغير حقّ، وسوءُ الخلُق، والغضب المفضي إلى معصية الله، تُفْسِد صوم الصائم إفساداً مَعْنوياً، وتُلْغي آثاره التربوية والخلقية، وإن صحّت شكليّةُ الصوم بمقاييس الفقهاء المادِّية.

فحين يكون الصائم الذي يخشى الله عزَّ وجلَّ شَدِيدَ الحرص على أن يكون صيامه في رمضان صياماً مقبولاً عند الله، فإنَّه يكون شديد الحرص

على الْبُعْدِ عن المحرَّمات التي هي محرَّماتٌ دائماً، في الصيام وفي غير الصيام، وشديد الحرص على التخلُّقِ بالأخلاق الإسلامية وهو صائم.

وحين يواظب المسلم على ضبط نفسه في رمضان مع جمهور المسلمين الصائمين، على التزام التَّخلُّق بالأخلاق الإسلامية، والتأدُّب بالآداب الإسلامية، فإنَّ رمضانَ يكون له مدرسةً عظيمة يتدَرَّب فيها على التزام مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

فإذا تناقص هذا الضبط بعد رمضان شيئاً فشيئاً، جاء رمضان العام القادم، فأعاد المؤمن المسلم تدريبه في الدورة السنوية مرَّة أخرى، وهكذا دواليك كلَّ عام.

وبهذا تَظْهَرُ لنا روعة أساليب التربية الإسلامية في ألوان العبادات.

وأُشِيرُ هنا إلى أنَّ مكارم الأخلاق في الإسلام تمثّل بعد الإيمان ومع الإيمان أعظم الأركان التي يقوم عليها بناء الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي، وهي أيضاً العماد الأعظم الذي تقوم عليه العلاقة بين الإنسان وربّه، وبين الإنسان والناس، وبين الإنسان وسائر الأحياء، حتى بين الإنسان ونفسه وسعادته وشقاوته العاجلتين والآجلتين.

أ ـ فعن أبي هريرة أنَّ النبي ﷺ قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ».

رواه الترمذي بإسناد صحيح.

ب ـ وعن عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ أَنَّهُ سَأَلَ النبيَّ ﷺ: أيُّ الإيمانِ أفضل؟ قال: «حُسْنُ الْخُلُقِ».

رواه الإمام أحمد.

جـ ـ وعن أبي الدَّرداء أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ».

رواه الترمذي بإسناد صحيح.

د ـ وعن أبي هريرة قال: سئل رسُولُ الله ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجنَّةَ فَقال: «تَقْوَىٰ اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ».

وسُئل عن أكثر ما يُدخل النَّاس النَّار فقال: «الْفَمُ والْفَرْجُ».

رواه الترمذيّ بإسناد صحيح.

هـ ـ وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة، أنَّ الرسول ﷺ قال: «إنَّ من خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً».

و ـ وعن عائشة أُمِّ المؤمنين قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» رواه أبو داود.

واقع حال كثير من الناس:

إنَّ كثيراً من الناس لا يفهمون حقيقة الصيام، ولا يتصوَّرون منه إلَّا الإمساك عن المفطرات الماديَّة، لذلك لا تختلف أحوالهم في شهر الصيام عن أحوالهم في غيره، بل ربّما زادهم الصوم ضيقاً في الصدر، ونزقاً وطَيْشاً وسُرْعَةَ غضب، ويعتذرون عن ذلك بقولهم: طبيعة صيام.

والسبب في أحوال هؤلاء أنَّهم يصومون صَوْماً شكليّاً، وصومَ عادة لا صوم عبادة، ولو أنَّهم كانوا قد فهموا حقيقة الصيام، وصاموا إيماناً واحتساباً من قلوبهم لكان للصيام أثره التهذيبي الكبير في نفوسهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وسائر صور سلوكهم.

ـ ١٢ ـ

شهر الرسالة الإسلامية:

كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ يقظةً في شهر رمضان، إذْ كان الرسول في خلوته في غار حراء، ولا يخفىٰ أن بدء الوحي له قد كان مُقَدِّمَةً

لتكليفه تبليغ دين الله للناس، وإلقاء أعباء الرسالة على كاهله.

واقترن بَدْءُ الوحي بأوَّل قُرْآن أنزل عليه، وقد عرفنا مما سبق أنَّ ذلك قد كان في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك.

لهذا يحق لنا أن نُسَمِّي شهرَ رمضان شهر الرسالة الإسلامية.

والرسالة الإسلامية التي بعث الله بها محمَّداً ﷺ هي خاتمة الرسالات الرَّبّانية وأكملُها وأشملُها، وهي التي تكفّل الله بحفظها، لتستمرَّ هي الرسالة التي يجب على الناس جميعاً العملُ بها حتى تقوم الساعة.

وقد أنزلها الله عزَّ وجل على أفضل رسله وخاتمهم، وجعل الأمَّة التي حَمَلَتْهَا خيرَ أُمَّةٍ أُخرجت للناس، وجعل مهبطها أمّ القرى أفضل الأمكنة، وأحبّ بلاد الله إلى الله.

واختار لإنزال كتابها أعظمِ كُتُبِ الله ليلةَ القدر من شهر رمضان.

فشهر رمضان شهر الرِّسالة الإسلامية، مجمع الرسالات الرَّبانية وزُبْدَتها.

ـ ١٣ ـ

عمرة في رمضان تعدِلُ حَجَّةً:

ثبت في الصحيح من أقوال الرسول ﷺ أنَّ العمرة في رمضان تعدل حجَّة، وجاء في بعض الروايات أنَّها تعدل حجَّةً مع الرسول ﷺ.

فمن خصائص هذا الشهر المبارك أن ثواب العمرة فيه يضاعفُ حتى تعدل العمرة حجّة، أو حجّة مع الرسول.

ففي فضل العمرة والحجّ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الْعُمْرَةُ إِلَىٰ الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةِ».

وروى الترمذيّ والنَّسَائِي بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: قال رسول

الله ﷺ: «تَابِعُوا بيْنَ الْحَجِّ والْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ والذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ والذَّهَبِ والْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحجَّةِ الْمَبْـرُورَةِ ثَوابٌ إلاَّ الْجَنَّة».

وروى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ: أيُّ العمل أفضل؟. قال: «إيمَانٌ باللَّهِ وَرَسُولِهِ».
قيل: ثُمَّ ماذا؟. قال: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».
قيل: ثُمَّ مَاذا؟. قال: «حَجٌّ مبرور».

من هذه الأقوال النبويّة نَفْهَمُ أنَّ الحجَّ أفضل من العمرة في الأحوال العاديَّة، فالحجّ المبرور ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنَّة، ومن حجَّ فلم يرفُثْ ولم يَفْسُقْ رجع كيوم ولدته أُمُّه.

أمَّا العمرة فقد جاء في فضلها أنَّ العمرة إلى العمرة كفَّارَة لما بينهما، وأنَّها تنفي الفقر والذنوب.

لكنَّ العمرة في رمضان تعدل حجَّةً، وهذا الفضل قد جاء ببركة شهر رمضان.

فشهر رمضان موسم عظيم للَّذين يحرصون على أن يكرّروا الحجَّ بغية تحصيل أجر الحجّ، إنَّهُمْ يستطيعون أن يستعيضوا عن الحجِّ بأن يعتمروا في شهر رمضان، ويقلِّلوا من الزحام في الحرم المكيّ ومواطن مناسك الحجّ في موسم الحج، ليدعوا فرصة مناسبة للذين لم يؤدوا فريضتهم بعد، وبذلك تتحقق مصلحتان:

● مصلحة فسح المجال في موسم الحجّ للَّذين لم يحجُّوا، وتخفيف الزحام فيه، لاسيما في زماننا الذي كثر فيه الحجاج حتى ضاقت بهم أماكن المناسك.

● ومصلحة تحصيل الثواب المكافئ لثواب الحجّ.

يضاف إلى ذلك أنَّ العمرة أخفُّ أعمالاً وأهون على مؤدِّيها، ويتمكَّن فيها المعتمر من أداء عبادته بصفاءٍ وحضورٍ مع الله، وراحةٍ تامَّةٍ، وبُعْدٍ عن المُنَغِّصات.

مع ما في هذا الأمر من إحياء مكة وحرمها الشريف بموسم العمرة في رمضان، الذي قد يصل إلى مثل موسم الحجِّ بهجةً وزحاماً، ولكن دون مشقَّاتٍ زائداتٍ، وضغوط تتطلَّب استنفار معظم أجهزة الدولة، لتيسير السُّبُل، وتأمين المرافق.

فليت الذين يرغبون في تكرير الحجّ بغية تحصيل الأجر، يستعيضون عن ذلك بالعمرة في رمضان، أو في أشهر السنة المختلفة.

والحريص على اغتنام فضائل تكرير الحجِّ يجدها كاملةً غير منقوصة إذا اعتمر عمرة مقبولة إن شاء الله في رمضان.

على أنَّ الحاج ربّما تعرَّض لمآزق اضطرته أن يخرج فيها عن استقامته، فيقع فيما حرّم الله في الحجّ، فيجادل أو يخاصم أو يشاتم أو يقاتل، مع ما في عمله من مضايقة للمسلمين المضطرين لأداء الفريضة.

أمَّا العمرة فليس فيها هذه المآزق والمحرجات التي تكون في الحجِّ، إنَّ احتمالات تأدية العمرة كاملةً صحيحةً لا خَلَلَ فيها ولا شائبة تشوبها ذو نسبة أعلى، مع أنَّه أخف عملاً، وأقلُّ نفقة، وأيسر سبيلاً.

ـ ١٤ ـ

شهر الدعاء المستجاب:

سبق لدى تدبُّر آيات الصيام التَّنَبُّه إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ قال ضمن آيات الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ،

فَلْيَسْتَجِيبُوا لي، وَلْيُؤْمِنُوا بِي، لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾. (البقرة ٢).

إشارةً إلى أهمية الدعاء في رمضان، وللصائمين فيه، وأنَّ رمضان من الأزمان المباركة التي تستجاب فيها الدعوات، لاسيما ليلة القدر، وساعة الإفطار للصائم كما ورد في بعض الأحاديث.

ففي السنة طائفة من الأحاديث المؤيدة لذلك:

١ ـ عن عبدالله بن عَمْرٍو قال: قال النبي ﷺ: «إنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةً لَا تُرَدُّ».

رواه ابن ماجه، وعند الطيالسي نحوه.

قال عبيدالله بن أبي مُليكَةَ: سمعت عبدالله بن عمْرٍو يقول إذا أفطر: (اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي).

٢ ـ وروى الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، والصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوم يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: بِعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكَ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ».
حديث ضعيف الإسناد.

فعلى الصائمين في رمضان أن يغتنموا هذا الموسم العظيم من مواسم استجابة الدعاء، فيدعوا ربَّهم بما هو لهم خيرٌ في دنياهم وأخراهم.

الدعاء من أهمّ عناصر العبادة:

١ ـ روى الإمام أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ هُو الْعِبَادَة» ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

وفي رواية عند الترمذي بسند ضعيف عن أنس: «الدُّعَاءُ مُخُّ العبادة».

٢ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ».

رواه ابن ماجه، والترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

٣ ـ وروى الترمذي عن سلمان الفارسيّ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إلَّا الدُّعاء، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إلَّا الْبِرَّ».

إلَّا البرّ: أي: إلَّا التوسع في الأعمال الصالحات وفعل الخير وبذل المعروف فوق الواجبات، وكذلك برّ الوالدين.

٤ ـ وروى الترمذي عن ابن عمر، والإمام أحمد عن معاذ بن جبل، أنَّ النبيّ ﷺ قال: «إنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ ومِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بالدُّعَاءِ».

٥ ـ وروى الإمام أحمد عن سلمان الفارسي أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ لَيَسْتَحْيِي أَنْ يَبْسُطَ الْعَبْدُ إلَيْهِ يَدَيْهِ يَسْأَلُهُ فِيهِمَا خَيْراً فَيَرُدَّهُمَا خَائِبَتَيْنِ».

٦ ـ ورَوىٰ الإمام أحمد عن أبي سعيدٍ الخدريّ أنَّ النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِها إحْدَىٰ ثَلاث خِصَال:

- إمَّا أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لَهُ دَعْوَتَهُ.
- وإمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الأُخْرَىٰ.
- وإمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا».

قالوا: إذَنْ نُكْثِرُ.
قال: «اللَّهُ أَكْثَرُ».
أي: اللَّه أكثر جوداً وعطاءً وفضلاً.

٧ ـ وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنَّه قال: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ أَوْ قَطِيعةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ».

قِيلَ: يا رسول الله، وَمَا الاسْتعجالُ؟

قال: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يُسْتَجَابُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعاءَ».

يَسْتَحْسِر: أي: يَكِلُّ وَيَمَلُّ.

٨ ـ وروى الترمذي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إلَّا آتَاهُ اللَّهُ مَا سَأَل، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهُ مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ».

٩ ـ وروى الترمذيُّ عن ابْن مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ».

فَإِذَا كَانَ للدُّعاء هذا الفضل العظيم، وكان شهر رمضان موسماً ممتازاً لاغتنام أوقات الإجابة فيه، فما على المؤمنين الصادقين الصائمين إلَّا أن يكثروا من الدُّعاء فيه، فكلُّ دعوةٍ يدعون بها تكون لهم ربحاً في سجلِّ عباداتهم العظيمة، ويرجون تحقق ما دَعَوْا به، فإمَّا أن يكون عينَ ما طلبوا، وإمَّا أن يكون خيراً منه ادَّخره الله لهم.

تحليل السبب:

والسبب الذي كان به الدُّعاء هو العبادة، أي: أهمّ عناصرها، أو مُخَّ العبادة، وأكرم الأشياء عند الله، يظهر لنا من خلال التحليل التالي:

لدى تحليل العبادة إلى عناصرها الأساسية نجدها تعبيراً عن عناصر الإيمان.

إنَّ الإيمان بالله عزَّ وجلَّ وبصفاته العظيمة يقتضي من المؤمن أن يعبِّر عنه بعدَّة تعبيرات، وهذه التعبيرات ينبغي أن تكون ذات دلالات صادقات على عناصر الإيمان.

فاللَّه عزَّ وجل من صفاته أنَّه الرَّبُّ الخالق، وهذا يقتضي من المؤمن الاعتراف له بهذه الصفة.

ومن صفاته عزَّ وجلَّ أنَّه الرازق المحيي المميت المحاسب المجازي، ولكلٍّ من هذه الصفات تعبيرات ملائمة لها، ومن هذه التعبيرات الطاعة والخوف من العقاب، ورجاء الثواب.

ومن صفاته عزَّ وجلَّ أنَّه الأكبر، وأنه ذو الجلال والإكرام، ولهذه الصفات تعبيرات ملائمة لها في مجال عبادته سبحانه، ومنها الخضوع له، والتذلُّل بين يديه.

ومن صفاته سبحانه أنَّه الغفورُ الودود ذو الجود والكرم والرحمة إلى سائر صفات العطاء، وتعبيرات العبادة الملائمة لهذه الصفات تتمثل بالدُّعاء، ولمَّا كانت هذه الصفات أحبُّ إليه سبحانه من الصفات المقابلة لها، كانت العبادات المناسبة لها أحبّ إليه سبحانه وأكرم.

على أنَّ الدعاء فيه تعبير عن جُلِّ عناصر الإيمان، ففيه معنى الاعتراف لله بربوبيته، وفيه معنى الخضوع والتذلُّل للَّهِ والتضرع بين يديه، وفيه معنى الخوف من عقابه وعدله، لأنَّ الداعي يسأل الله المغفرة مع ما يسأل، وفيه معنى استجداء رحمته وجوده، وسائر ألوان عطائه عزَّ وجل، وفيه تعبيرات الحبِّ والولاء لمن لاحظ ذلك ذات نفسه.

فالدعاء بحقٍ هو مخُّ العبادة، أو هو مجمّع لكلّ عناصر العبادة.

وإذا كان ذكر اللَّهِ بحقٍّ أكبر من الصلاة كَمَا فِي قول الله عزَّ وجل في سورة (العنكبوت ٢٩): ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ واللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)﴾.

فإنَّ الدُّعاء من ذكر الله، ولا يخلو دعاءٌ من عبارات توحيد الله والثناء عليه وتمجيده، ثمَّ يدعو الداعي بما يريد من خيري الدنيا والآخرة.

وجعل الله عزَّ وجلَّ الدُّعاءَ من الدين، وأبان أنَّ الإخلاص في الدين لا يكون إلَّا بأن يكون الدعاء لله وحده لا شريك له، وأمرنا بأن ندعوَه مخلصين له الدين، فقال عزَّ وجلَّ في سورة (الأعراف ٧) ﴿قُلْ: أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُون (٢٩) ﴾.

وقال تعالى فيها أيضاً: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وادْعُوهُ خَوْفاً وطَمَعاً، إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾.

ولنا أن نفهم من هذا النصّ أنَّ الدُّعاء تضرُّعاً وخفيةً وخوفاً وطمعاً، هو من مرتبة الإحسان، لأنَّ الله تعالى قال في ختامه: ﴿إنَّ رحمة الله قريب من المحسنين﴾ بعد أن أمرنا بأن ندعُوَه تضرُّعاً وخفيةً، وبأن ندعوه خوفاً وطمعاً.

وتتمة الكلام عن الدعاء سبق لدى تدبُّر آيات الصيام.

— ١٥ —

شهر ليلة القدر:

من خصائص شهر رمضان المبارك ليلةٌ مباركة عظيمة تدعى ليلة القدر.

إنَّها ليلة ذات قدرٍ جليلٍ عند الله عزَّ وجلَّ، وقد سمَّاها سبحانه وتعالى: ليلة القدر تنويهاً بشأنها، وَوَصَفَهَا بأنَّها ليلة القدر وأنزل في شأنها أوَّلاً سورة (القدر ٩٧) ثم أنزل في شأنها أوائل سورة (الدُّخان ٤٤).

أمَّا سورة (القدر ٩٧) فهي السورة الخامسة والعشرون في ترتيب النزول، وهي من أوائل السور المكيَّة، قال الله عزَّ وجلَّ: بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ

خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)﴾.

وأمَّا سورة (الدخان ٤٤) فهي السورةُ الرابعة والستون في ترتيب النزول، وهي ممَّا أنزل في الثلث الأخير من السور المكيَّة، وفي مطلعها يقول الله عزَّ وجل: بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٨)﴾.

هٰذان نصَّان قُرْآنيّان في شأن ليلة القدر، وكلاهما ممَّا نزل في مكَّة من قرآن، فلْنَتدبَّرْهما.

القدر:

● يأتي لفظ القدْر بإسكان الدال وفتحها في اللغة بمعنى القضاء والحكم فقدَر الله وقَدْرُه قضاؤه وحكمه.

● ويأتي أيضاً بمعنى التدبير. يقال لغة: قَدَرَ القوم أمرهم يقدُرونه ويقدِرونه من بابَي نصر وضرب قدراً، أي: دبَّروا أمرهم ويُقال: قدَرتُ لأمرِ كذا أقدِرُ له وأقدُرُ له، أي: نظرتُ فيه ودبَّرتُه وقايسته.

● ويأتي أيضاً بمعنى المكانة وعُلُوّ الشأن، وعلى هذا المعنى قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظَّموه حقَّ تعظيمه، أو ما وصفوه حقَّ وصفه الجليل.

وعلى هذا المعنى يقال: فلانٌ جليل القدر، أي: عظيم المكانة رفيع الشأن.

وبناء على هذه المعاني لكلمة (القدر) باستطاعتنا أن نقول:

● سميت ليلة القدر بهذا الاسم على معنى أنَّها ليلة القضاء والحكم.

● أو على معنى أنَّها ليلة التدبير.

● أو على معنى أنَّها ليلة الشأن العظيم والشرف الرفيع.

وبهذه المعاني جاءت التعليلات المأثورة لتسمية هذه الليلة المباركة بليلة القدر.

أ ـ فعن ابن عباس أنَّ الله عزَّ وجلّ يقدّرُ في ليلة الْقَدْرِ ما يكون في كلّ تلك السنة من مطر ورزقٍ وإحياءٍ وإماتةٍ، إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية.

أي: ينزل أمره بقضائه لملائكته، في كلّ أمرٍ من أمور تدبير شؤون خلقه.

ويؤيِّد هذا المعنى ما جاء في سورة (الدخان) من وصف هذه اللَّيلة المباركة إذْ قال الله عزَّ وجلَّ بشأنها: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْرَاً مِنْ عِنْدِنَا﴾.

أي: فيها يُفصَل من اللَّوح المحفوظ أَمْرُ السنة القادمة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وغير ذلك.

وقد اختار هذا التعليل عامَّة العلماء.

ب ـ ونُقل عن الزهري أنَّه قال: ليلة القدر هي ليلة العظمة والشرف، من قولهم: لفلانٍ قَدْر عند فلان، أي: له منزلة وشرف عنده.

ولا مانع من اجتماع كلّ هذه المعاني لِلَيْلَةِ القدر، فهي ليلة القضاء والحكم، وليلة التدبير، وليلة الشَّأْنِ العظيم والشرف الرفيع.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

● الضمير في «أنزلناه» كناية عن القرآن، وقد كُنِّي عنه بضمير الغائب ولو لم يسبق في النصِّ حديث عنه للعلم به بداهة، فهو المنزل من عند الله على رسوله، وقد غدا معلوماً في استعمالات القرآن قبل هذه السورة مما أنزل

من القرآن أنَّ التنزيل أو الإنزال متى أطلق في القرآن فهو ينْصرف بداهة إلى ما ينزّل الله من قرآنٍ وآيات وسور على رسوله. أمَّا إذا أريد شيء آخر كإنزال الماء والحديد والعذاب وغير ذلك، فإنَّه يذكر مقترناً ببيان الشيء المنزَّل.

ومن إيجاز القرآن أنَّه يكنِّي بالضمير عمَّا يمكن أن يعلم من صيغة اللفظ، أو من القرائن، أو من مضمون المعنى، وأمثلة ذلك كثيرة.

● وقد بدأت السورة بقول الله عن نفسه (إنَّا) بضمير التعظيم. ونظيره في القرآن:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾.
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُور﴾.
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبياً﴾.
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَة مُبَارَكة﴾.
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.
﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾.
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شاهداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾.
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ: أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وَيَظْهَرُ أنَّه حينَمَا يكون المرادُ الإشعار بأنَّ ما يسنده الله إلى نفسه هو من الأمور الجليلة العظيمة عند الله، فإنَّ النَّصَّ يأتي وفيه ضمير التعظيم.

أمَّا حينما لا يكون المراد الإشعار بمثل ذلك، فإنَّ النصَّ يأتي وفيه ضمير المفرد، مثل: ﴿إنِّي جاعل في الأرض خليفة﴾.

ويحسن استعمال ضمير المفرد في مقام الإيناس، والتودد والتحبّب، وطمأنة القلب، مثل خطاب الله لموسى، كما جاء في سورة (طه ٢٠): ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ

لِمَـا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِي أَنَـا اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَـا فَـاعْبُـدْنِي وَأَقِمِ الصَّـلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) ﴾.

ومثل خطاب الله لِموسَى وهارون كما جاء أيضاً في سورة (طٰه ٢٠): ﴿قَالَ: لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وأَرَىٰ (٤٦) ﴾.

والمراد من إنزال القرآن في ليلة القدر أنَّ أوَّل ما نزل من القرآن قد كان في ليلة القدر من شهر رمضان، أو أنَّ القرآن قد أُنْزل كلّه إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان، ثُمَّ نُزِّل على الرسول ﷺ منجَّماً بحسب الوقائع والمناسبات والحِكَمِ التربوية والتعليمية خلال ثلاثٍ وعشرين سنة.

وقد سبق شرح هذا عند تدبُّر قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟!!﴾.

ما أدراك: «ما» للاستفهام، أي: أيُّ شيءٍ أعلمك.

ما ليلة القدر: «ما» للاستفهام أيضاً، يستفهم بها عن حقيقة الشيء وماهيته، أي: أيّةُ ليلة عظيمةِ الشأن جليلةِ الخطر ليلةُ القدر. فهو استفهام فيه معنى التعجب من عظمة هذه الليلة، وجملة «ما ليلة القدر» المؤلفة من مبتدأ وخبر معمول لفعل أدراك.

ومثل هذا الاستفهام في كلا الموضعين من الجملة يتضمَّن معنى نفي علم المخاطب بما هو مسؤول عنه، أي: أنت لا تدري مهما انطلقت سابحاً في التصوُّر مبلغ مكانة هذه الليلة العظيمة، إلَّا إذا أعلمناك بذلك.

وفي هذا دلالة كافية على أنَّها ليلة عظيمة جدّاً.

قال المفسرون في تفسير هذه الجملة: يعني لم تبلغ درايتُك غاية فضل هذه الليلة، ومنتهىٰ علوّ قدرها، وعظم شأنها.

وقد تكرَّر مثل هذا الاستعمال في القرآن الكريم، وغدا معلوماً أنَّه أسلوبٌ من أساليب التعظيم والتهويل والتكبير، مثل قول الله عزَّ وجل في

سورة (الحاقة ٦٩): ﴿الحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)﴾.

الحاقة هي اسمٌ أطلق في القرآن على يوم القيامة، وسميت بالحاقَّة لأنَّ الله عزَّ وجلَّ يحقُّ الحقَّ فيها، فيقيم عدله بين العباد.

وقوله تعالى: ﴿وما أدراك ما الحاقَّة﴾ استعمال قرآنيٌّ يدلُّ على غاية التعظيم، فهو أبلغ من قولنا: أعظِم بالحاقة. أو: ما أعظم الحاقة. لأن مثل هذا الاستعمال لا يفيد عدم قدرة المخاطب على معرفة حقيقة الأمر الذي يُعظَّم له، وأنَّ مداركه لا تصل إلى الإحاطة به، بخلاف الصيغة القرآنية المبتكرة في التعجيب.

ومن النظائر في القرآن:

- ﴿ومَا أَدْرَاكَ مَا سَقر﴾.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الفصْل﴾.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّين. ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّين﴾.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ. كتَابٌ مَرْقُوم﴾.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ. كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ المقرَّبُونَ﴾.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. فَكُّ رَقَبَة﴾.
- ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَه. نارٌ حَامِيَة﴾.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ. نَارُ اللَّهِ الْمُوْقَدَةُ﴾.

قول الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

أبان الله لنا بهذا أنَّه قد فضل ليلة القدر على غيرها من اللَّيالي والأيام، فمن عبد الله وذكره وفعل خيراً في هذه الليلة من ليالي العام كلّه، كان خيراً له ـ من جهة الثواب والأجر العظيم عند الله والبركات الجسام ـ من ليالي وأيام

كثيرة ليس فيها ليلة القدر، تبلغ لو جمعت ألف شهر.

فإذا كان الشهر ثلاثين يوماً تقريباً، كانت ليلة القدر خيراً من ثلاثين ألفاً من الأيام الأخرى، فمن أحيا هذه الليلة بعبادة الله، والذكر والدعاء وغير ذلك من الأعمال الصالحات كتب الله له من الأجر والثواب كما لو عبد الله طَوال عُمْر فيه من الأيام ثلاثون ألفاً.

وألف شهر تعادل ثلاثاً وثمانين سنة وثلث السنة، وهذا عمر قلَّ من الناس من يبلغه، فكيف بمن يعبد الله فيه وهو لا يعبُد إلاَّ مميّزاً على أقلّ تقدير.

وقد جعلها الله مناسبة للتسابق في عمل الخير، والتعويض عما سلف من تقصيرات، والتكفير عما سلف من سيئات ومخالفات.

أمَّا قضية مضاعفة الأجر والثواب عند الله، لخصائص بعض الأزمان والأماكن، فهي قضية فضلٍ وجود ينفح الله به عباده، وليمنحهم فُرصاً يُعوِّضون فيها على أنفسهم ما فاتهم من أعمال بسبب تقصيراتهم، أو مشاغلهم، أو انصرافهم إلى ملهيات الحياة الدنيا كالأموال والبنين والاستمتاع بصنوف اللَّذات.

فالحرم المكيُّ يُضاعفُ الله ثواب الصلاة فيه إلى مئة ألف ضعف.

ومسجد الرسول ﷺ في المدينة يضاعف الله ثواب الصلاة فيه إلى عشرة آلاف ضعف، كما ورد في بعض الروايات، أو إلى ألف ضعف، ولا حجر على الله في منح فضله.

وكذلك يضاعف الله ثواب الصلاة في المسجد الأقصى.

والصلاة مع الجماعة تفضل صلاة المفرد بسبع وعشرين درجة.

وصحبة الرسول ﷺ مَزِيَّةٌ لَا تُعوّض في نوعها بمزيَّةٍ أخرى.

ولذلك يقول العلماء: للَّه خواصّ في الأزمنة والأمكنة والأشخاص.

إخفاء ليلة القدر ومظانّ التماسها:

لقد أخفى الله ليلة القدر ضمن ليالي شهر رمضان، وأَبَانَ الرسول ﷺ أنَّ مظانّ التماسها العشرُ الأواخر منه، وأكَّد على التماسها في آحاد هذه الليالي، ليجتهد المؤمن في العبادة، وضبط النفس على الطاعات طَوال ليالي شهر رمضان من جهة، ثم ليضاعف من اجتهاده في العشر الأواخر منه، ثمَّ ليزيد من حرصه وحسن عبادته في آحاد ليالي هذا العشر، رغبة في أن يظفر بمصادفتها واغتنام خيراتها، ولو لم يَشْعُر بأماراتها.

ونظير إخفاء ليلة القدر إخفاء ساعة إجابة الدعاء من يوم الجمعة، وإخفاء اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، ليكثر المؤمن من دعاء ربِّه في كلِّ الساعات من يوم الجمعة، وليدعو الله بكل أسمائه الحسنى، رجاء أن يكون قد دعاه باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب.

حكمة الإخفاء:

وحكمة الإخفاء أنَّه أسلوب من أساليب التشويق إلى العمل، والترغيب فيه، فمن طبائع النَّاس الرغبةُ بتتبُّعِ الاحتمالات المحصورة في عدد معيَّن، للظفر بالربح العظيم المنوط بواحد منها يجهلون تعيينه، فمن أحصاها كلَّها منهم استيقن من الظفر بالمطلوب، وبذلك تندفع نفوسهم إلى إحصائها.

والناس مفطورون أيضاً على محبَّة الأسرار، والرغبة في البحث عنها، والمحافظةِ عليها عند الوصول إليها، ويستغلُّ كثيرٌ من شياطين الإنس هذه الرغبة الفطرية، لاستدراج من يستجيب لهم إلى منظماتهم الخبيثة، بما يجعلون فيها من أسرار وخفايا يكشفون منها شيئاً فشيئاً، حيناً فحيناً، ويوهمون أنَّ السرَّ الأعظم وراء ذلك.

وإنَّ كثيراً من الناس له هوى في البحث عن الكنوز، مع أنَّ احتمال العثور عليها نادرٌ جدّاً، لكنَّ الظفر بالكنوز الرَّبانية التي أخفاها الله في

خصائص الأزمان والأسماء أمرٌ مُحَقَّق الوقوع، متَىٰ استغرق الطالب الباحث الزمن العام الذي جُعل الزَّمنُ الخاصُّ ضمنه، واستغرق الأسماء التي جعل الاسم الأعظم ذو الخصوصية واحداً منها.

وما دام هذا في طبائع الناس، فلا مانع من استخدامه في بعض الأحيان لاجتذاب الناس إلى الاستزادة من فعل الخير، ومضاعفة الاجتهاد، بغية الوصول إلى الربح الأَعْظم.

لكنَّ الإسلام لم يزد في هذا على إخفاء مثل وقت إجابة الدعاء، وليلة القدر، والاسم الأعظم الذي إذا دُعِي الله به أجاب، قطعاً لشهوة الأنفس الراغبة في البحث عن الأسرار، فلم يسمح بالتمادي في هذا المجال، حتَّى لا يتعلَّق المسلمون بالمجاهيل والخفايا والأسرار، فتفسد الشريعة، وتتعطَّل شؤون الحياة، ويتتبَّع الناس الأوهام.

ومن حكمة إخفاء ليلة القدر في العشر الأواخر من ليالي رمضان تمييز أهل الحرص على التماس مظانّ فضل الله العظيم، بالتحرِّي والاجتهاد في العبادة خلال مدَّة زمنيَّة أطولَ من المدَّة التي تتنزَّل فيها خصائص الخيرات الرَّبَّانية الحسان.

وهذا ينبِّهنا إلى أنَّ أسواقَ العبادة ومواسمَها تشبه أسواق البيع والشراء، فالناس حينما يدخلون أسواق التجارة الماديَّة يجرون بحثاً في كلِّ مكانٍ منها، وفي كلِّ موقع من مواقعها، حتَّى زواياها وَخباياها، ليظفروا بالسِّلع ذات الرِّبح الأوفر، أو ذات الجودة الأكثر، ولا يدعون مظِنَّةً من مظانِّ البحث إلَّا يبحثون فيها.

فعلى تُجَّار الآخرة أن يكونُوا مثل تجار الدُّنيا، في البحث عن الخيرات الحسان ومواطن الربح العظيم، على أنَّ تُجَّار الآخرة رابحون على كلّ حال، فإذا استقصوا مظانّ الربح العظيم أثبتوا أنَّهم هُمُ الجديرونَ بالظفر بكنوزِ

ذواتِ الخصائص، ومن ذلك خصائص ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر.

فموسم تحرِّي ليلة القدر موسم عظيم حريٌّ بأن يحرص عليه المؤمنون، ويتنافسوا فيه لاغتنام الربح العظيم الذي لا تزاحم فيه، فهو يتَّسع للجميع وينال كلٌّ متسابقٍ فيه على مقدار اجتهاده.

قول الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.

في هذا يبيِّنُ الله عزَّ وجلَّ أنَّ من خصائص ليلة القدر أنَّ الملائكةَ تَنَزَّلُ فيها، أي: تتنزَّلُ فيها من منازلها في السماوات الْعُلَىٰ إلى السماء الدُّنيا، وإلى الأرض، لتشهد موسم الخير العظيم الذي جعله الله للمؤمنين.

وكلمة «تَنَزَّل» بهذه الصيغة تشعر بأنَّ نزول الملائكة في هذه الليلة يحصلُ بشكل متتابع متلاحقٍ على أفواج، ولا يحصُل دفعةً واحدة، ورُبَّما ينزل فوج منهم بعد أن ينصرف فوج نزل قبله منهم وشهد موسم الخير، وأدَّى فيه وظيفته أو رسالته التي أرسل بها.

روى البيهقيّ في شعب الإيمان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَبْكَبَةٍ[1] مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُصَلُّونَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ قَائِمٍ أَوْ قَاعِدٍ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدِهِمْ بَاهَىٰ بِهِمْ مَلَائِكَتَهُ فقال: يَا مَلَائِكَتِي، عَبِيدِي وَإِمَائِي قَضَوْا فَرِيضَتِي عَلَيْهِمْ ثُمَّ خَرَجُوا يَعُجُّونَ إِلَىٰ الدُّعَاءِ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكَرَمِي وَعُلُوِّي وَارْتِفَاعِ مَكَانِي لَأُجِيبَنَّهُمْ، فيقول: ارْجِعُوا فقد غَفَرْتُ لَكُمْ وَبَدَّلْتُ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ» قال: «فَيَرْجِعُونَ مَغْفُوراً لَهُمْ».

ومشاركة الملائكة للمؤمنين في مواسم الخير، يدلُّ على أنَّ مهرجانات العبادة لله عزَّ وجل، مهرجانات تعمُّ أهل السماوات والأرض، ولو لم يشعر المؤمنون من الإنس بمشاركة الملائكة لهم، إلَّا أنَّهم يؤمنون بذلك تصديقاً

---

(١) كبكبة: أي: جماعة.

لما ثبت لديهم من أخبارٍ عن الرسول ﷺ.

ولا يكون بمعزل عن هذا المهرجان العظيم، الذي يعجُّ فيه ملائكة السماء والأرض، والمؤمنون من الإنس والجنِّ، إلَّا الكافرون والعصاة المعاندون المجرمون والشياطين، فهم المحرومون من بركة هذا الموسم وخيراته الرَّبانيَّة العظيمة.

وحين تتنزَّل الملائكة فإنَّها تتنزل بإذن ربِّها، ولا تتنزل باختيارها المطلق، وينزل معها الروح، وهو جبريل عليه السلام في أرجح الأقوال، وخُصَّ بالذكر تشريفاً له وتكريماً، ولأنَّه لا ينزل إلَّا بأمر عظيم.

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾: أي: يحملون وظائفهم ورسالاتهم من كلّ أمرٍ من أوامر تدبير الله لخلقه.

وباستطاعة المتدبِّر لكلام الله، أن يجد بيان هذا فيما أنزل بعد ذلك في أوائل سورة (الدخان ٤٤) إذ قال الله فيها بشأن ليلة القدر: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا﴾.

أي: فيها يُفْصَلُ من اللوح المحفوظ كلُّ أمرٍ محكم لا مَحْوَ لَهُ، من تدبير الله لأحداث السنة القادمة، حتَّى ليلة القدر التالية.

وإنَّما يتمّ هذا الفصل (الفرق) من جملة مكتوبات اللوح المحفوظ بأمر من عند الله عزَّ وجلَّ.

وإذا لاحظنا هذا الحدث من أحداث هذه الليلة المباركة، فلا بدَّ أن نلاحظ معه أنَّ مهمَّات ووظائف تتعلَّق بالملأ الأعلى من الملائكة مقترنة به، وهي أنَّهم يحملون أوامر الله المحكمة التي فُرقت من اللَّوح المحفوظ، وينزلون بها ليُبَلِّغُوها إلى الموكَّلين بتنفيذها من ملائكة الأرض.

أي: فالملائكة المتحدَّثُ عنهم من الملأ الأعلى يقودهم الروح وهو جبريل عليه السلام، يتنزَّلون بإذن ربِّهم في هذه الليلة المباركة، وهم

يحمِلون بيانات تدبيرات الله للعام القادم من كلِّ أمرٍ من أمور الخلْق والعلم، التي أراد الله فَرْقَها من مكتوبات اللوح المحفوظ، وأذنَ بإنزال العلم والأمر بها لملائكة السماء الدنيا، وملائكة الأرض، ليقوم كلٌّ منهم بوظيفته، وفق الأوامر الرَّبَّانية التي يتلقَّاها.

قول الله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

في هذا وصف لهذه الليلة المباركة بأنَّها ليلة سلام - أي: ليلة أمن شامل - لا غضب فيها ولا انتقام، ولا تلاحي فيها ولا خصام، فالملائكة فيها في ليلة عيد، في مهرجان عبادة وأمن، تتوقف فيها أوامر العقاب، وتعمُّ فيها مظاهر الأمن في السماء والأرض، إلَّا ما يكون من قِبَلِ المكلَّفين من إنسٍ وجنّ.

وتستمر هذه الليلة بهذا الوصف حتى طلوع فجرها، ويظهر أنَّ هذه الليلة تدور على كلِّ الأرض بحسب مشارق الأرض ومغاربها، لكي تكون عامَّة لكلِّ أهل الأرض، إذ اللَّيْـلُ والنَّهارُ يَدُوران على الأرض بحسب ابتداء وانتهاء كلٍّ منهما على اختلاف مواقعها بالنسبة إلى الشمس، إشراقاً ومغيباً سببه دورانها حول نفسها باتجاه الشمس.

جملة صفات ليلة القدر:

ممَّا ورد في القرآن عن ليلة القدر نستطيع أن نستخلص الصفات التالية لها، وهي ست صفات كبرى:

الصفة الأولى: أنَّها ليلة القدر، أي: هي ليلة تقدير الأمور وتدبيرها، من كلِّ ما يكون في كلِّ تلك السنة، إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية. وهي ليلة الشرف والعظمة، والمنزلة الكبرى عند الله.

الصفة الثانية: أنَّها ليلة مباركة، أي: يباركُ الله فيها لعباده، فيضاعف لهم رحماته، ويزيد لهم في ثواب أعمالهم، ويستجيب فيها دعاء من دعاه،

ويزيد الله فيها من غفرانه لعباده، ومن بركاتها أنَّ الله أنزل فيها القرآن رحمة عظمى للناس.

الصفة الثالثة: أنَّها ليلة هي خيرٌ عند الله من ألف شهر ليس فيها ليلة من ليالي القدر، فالعمل الصالح فيها يضاعف بمثل هذه المضاعفة.

الصفة الرابعة: أنَّ الملائكة تتنزَّلُ فيها ومعهم الروح، وهو جبريل عليه السلام، بإذن ربهم من كلِّ أمر من أمور تدبير الخلق، وخصَّ جبريل بالذكر لشرف منزلته بين الملائكة، ولأنه لا ينزل عادةً إلَّا للأمور العظيمة الجليلة.

الصفة الخامسة: أنَّ كلّ أمرٍ ربَّاني حكيم يُفْـرَق فيها من اللوح المحفوظ للإعـلام به، وإبلاغه لملائكة التنفيذ، من أمور تدبير الخلق للعام القادم.

الصفة السادسة: أنَّها ليلة سلام وأمن شامل، وتَظَلُّ كذلك حتى مطلع فجرها، فهي تَدُورُ مع الأرض بحسب مشارق الأرض ومغاربها.

ما ورد في السنة حول صفة ليلة القدر الماديَّة:

١ ـ أخرج الطيالسي عن ابن عباس، أنَّ رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «لَيْلَةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ، لَا حارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ، وتُصْبِحُ شَمْسُ صَبِيحَتِهَا ضَعِيفَةً حَمْرَاء».

٢ ـ وروي عن جابر بن عبدالله، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَأُنْسِيتُهَا، وَهِي فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ من لَيَالِي رَمَضَانَ وَهِيَ طَلْقَةٌ بَلْجَةٌ، لَا حَارَّةٌ، وَلَا بَارِدَةٌ، كَأَنَّ فِيهَا قَمَراً، لَا يَخْرُجُ شَيْطَانُهَا حَتَّىٰ يُضِيءَ فَجْرُهَا»

سمحة طلقة: أي: سَهْلَةٌ طيبة، يقال: يوم طلقٌ وليلة طلقٌ وطلقةٌ إذا لم يكن فيها حرٌّ ولا برد يؤذيان، وقيل: ليلة طلقٌ وطلقة أي: ساكنة مضيئة.

بلجة: أي: مشرقة، فهي مضيئة كأنَّ فيها قمراً.

ومن علامات ليلة القدر الثابتة في الصحيح، ما رواه مسلم عن زِرِّ بنِ

حُبَيش ، عن أُبَي بن كعب أنَّ شمس صبيحتها تطلع لا شعاع لها، قال أُبيٌّ: أخبرنا رسول الله ﷺ: «أنَّها تطلع يومئذٍ لا شعاع لها».

أمَّا ما يتوهم الناس حولها من عجائب ماديَّة فلا أساس له من الصحة.

ما ورد في السنة حول تحديد ليلة القدر:

ورد في السنة أحاديث تعرضت لبيان وقتها على وجه الإجمال، والصحيح منها يؤكِّد أنَّها في رمضان، وأنَّها في العشر الأواخر منه.

فلا معنى لاستعراض الأقوال التي يذكر أصحابها أنَّها قد تكون في كلِّ ليالي السنة، أو في النصف من شعبان، أو في كلِّ ليالي شهر رمضان، فهي أقوال لا قيمة لها أمام الصحيح من الأحاديث.

١ - روى البخاري عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ».

٢ - وروى البخاري عن ابْن عبَّاس أنَّ النبي ﷺ قال: «الْتَمِسُوْهَا فِي الْعَشْرِ الأَواخِرِ مِنْ رَمَضَانَ. ليلةُ الْقَدْرِ في تَاسِعَةٍ تَبْقَىٰ، في سَابِعَةٍ تَبْقَىٰ، في خامِسَةٍ تَبْقَىٰ».

أي: في ليلة الحادي والعشرين، والثالث والعشرين، والخامس والعشرين.

٣ - وروى البخاريُّ ومسلم عن عبدالله بن عُمَر قال: إنَّ رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أُرُوا ليلةَ القدر في المنام في السَّبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ:

«أَرَىٰ رُؤْياكُمْ قَد تَواطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فمن كان مُتَحَرِّيَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ».

تواطأت: أي: توافقت على أنَّ ليلة القدر تكون في السبع الأواخر من ليالي شهر رمضان.

ويظهر أنَّ الرسول ﷺ قبل ما تعطيه هذه الرؤىٰ المتوافقة من ظنٍّ راجحٍ فقال: «فمن كان مُتَحَرِّيَها فَلْيتحرَّها في السبع الأواخر» أي: في الليالي من ثلاث وعشرين إلى آخر الشهر.

٤ ـ وروى البخاريّ عن عُبادة بن الصامت قال: خرج النبيّ ﷺ ليُخبرنا بليلة القدر، فتلاحَىٰ رجُلان من المسلمين (أي: تشاتما) فقال ﷺ: «خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلاَحَىٰ فُلاَنٌ وفُلاَنٌ فَرُفِعَتْ، وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ خَيراً لكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، والسَّابِعَةِ، وَالْخَامِسَة».

أي: من العشر الأواخر من رمضان.

والمراد من رفعها رَفْعُ مَعْرِفَةِ وقتها من ذاكرة الرسول ﷺ، أي أُنْسيَها صلوات الله عليه.

وجاء في حديث صحيح آخر عند البخاري ومسلم أنَّ الرسول ﷺ قال: «ثُمَّ أُنسيتها» كما سيأتي.

وفي قوله: ﴿وعسى أن يكون خيراً لكم﴾ إشارة إلى أنَّ الله عزَّ وجل أراد إخفاءها في العشر الأواخر من رمضان، ليجتهد المؤمنون العبَّاد القانتون لربِّهم، في التماسها لياليَ ذوات عدد، حتى يتدرَّبوا على حسن الصلة بالله، وحسن عِبادته، وليظلَّ ملتمسوها بين الرجاء والشك، فلا ييأسوا ولا يتَّكِلوا.

٥ ـ وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري، أنَّ رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأوَّل من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط في قُبَّةٍ تركيَّة[١]، ثمَّ أطلع رأسه فقال: «إنِّي اعتكفتُ الْعَشْرَ الأوَّل ألتمسُ هذه الليلة، ثُمَّ اعتكفتُ الأوسط، ثُمَّ أُتيتُ فَقِيلَ لي: إنَّهَا في الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، فقد أُريتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، وَقَدْ رَأَيْتُني أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ من صَبِيحَتِهَا، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، والْتَمِسُوها في كُلِّ وِتْرٍ».

---

(١) هي قُبَّةٌ صغيرة من لُبُود.

قال الراوي أبو سعيد الخدري: فمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجدُ على عريشٍ فوكفَ المسجد [1]، فبصُرَتْ عَيْنَايَ رسُولَ الله ﷺ وعلى جبهته أثر الماءِ والطينِ من صبيحةِ إحْدَى وعشرين.

قد أُرِيت هذه اللَّيلة ثمَّ أُنْسِيتُها: أي: أُرِيتُ في المنام تحديد وقتها.

وقد رأيتني أسجد في ماءٍ وطينٍ من صبيحتها: أي: في المنام، بدليل ما ذكر أبو سعيد الخدري من تطبيق الرؤيا على حادثة إمطار السماء بعد ذلك، وتقاطر المطر من عريش المسجد، ورؤيته أثر الماء والطين على جبهة الرسول ﷺ من صبيحة إحْدَىٰ وعشرين.

٦ ـ وروى أبو داود وعند مسلم نظيره، عن عبدالله بن أُنَيسٍ قال: قلتُ: يا رسول الله، إنَّ لي باديةً أكونُ فيها، وأنا أُصلِّي فيها بحمدالله، فمرني بليلة أنزلها إلى هذا المسجد، فقال: «انزِلْ لَيْلَةَ ثَلاثٍ وعِشرِين».

فهذا يُشعرُ ضمناً بأنَّ الرسول قد دلَّه على أفضل ليالي العشر الأخير من رمضان، وهي ليلة القدر.

وجاء في هذا الحديث أنَّه قيل لابن عبدالله بن أُنَيس: كيف كان يَصْنَعُ أبوك؟ قال: كان يدخُلُ المسجد إذا صلَّى العصر، فلا يَخْرجُ منه لحاجَةٍ حتَّى يُصَلِّي الصُّبْحَ، فإذا صَلَّىٰ الصُّبْحَ وجد دابَّتَهُ على باب المسجد، فجلس عليها، ولحق بباديته.

بعد هذا أقول:

من الخير للمؤمن أن ينصرف عن بحث تعيين ليلة القدر، فاللَّه عزَّ وجل قد أراد إخفاءها.

وحسب المؤمن القانت لربِّه أن يلتمسها في العشر الأواخر من رمضان لما ثبت في صحاح الأحاديث، إذ الغرض من إخفائها أن يجتهد المؤمنون

---

(١) وكَف المسجد: أي: صار يتقاطر سقفه.

في عبادة ربِّهم والالتجاء إليه بالدُّعاء والرجاء لياليَ هذا العشر الأخير من رمضان، عسىٰ أن يَحْظَوْا ببركات ليلة القدر ضمنها، والأحسن والأكمل لهم أن يجتهدوا في العبادة والدعاء كُلَّ ليالي شهر رمضان.

ما ورد في السنة حول نزول الملائكة ليلة القدر:

روى البيهقي في شُعب الإيمان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْر، نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ في كَبْكَبَةٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، يُصَلُّونَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ قائِمٍ أَوْ قَاعِدٍ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا كَانَ يَومُ عِيدِهِم بَاهَىٰ بِهِمْ مَلائِكَتَهُ، فقال: يَا مَلاَئِكَتِي، عَبِيدِي وَإِمَائِي قَضَوْا فَرِيضَتِي عَلَيْهِمْ، ثُمَّ خَرَجُوا يَعُجُّونَ إلىٰ الدُّعَاءِ، وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَكَرَمِي وَعُلُوِّي وارْتِفَاعِ مَكَانِي، لأُجِيبَنَّهُمْ».

فيقول: «ارْجِعُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، وَبَدَّلْتُ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَات» قال: «فيَرْجِعُوْنَ مَغْفُوراً لهم».

كبكبة: جماعة.

يُصَلون على كلّ عبد: أي: يدعون له ويستغفرون له، فالصلاة من الملائكة دعاءٌ واستغفار.

بَاهَىٰ بهم ملائكته: أي: فاخرَ بهم ملائكته، فقال: يا ملائكتي، عبيدي وإمائي قضوا فريضتي عليهم، ثُمَّ خرجوا يَعجُّونَ إلى الدعاء.

الدعاء ليلة القدر وفي ليالي العشر الأواخر:

من الخير للمؤمن أن يكثر في الليالي التي يتحرَّى فيها ليلة القدر من الدعاء الذي علمه الرسول ﷺ عائشة أن تدعو به إذا علمت أنَّها في ليلة من ليالي القدر. إذْ قال لها قولي: «اللهمَّ إنَّكَ عَفُوٌ تُحِبُّ الْعَفوَ فاعْفُ عَنِّي».

روى الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي بإسناد صحيح عن عائشة أم

المؤمنين قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إنْ علمتُ أيُّ ليلةٍ ليلةُ القدر، ما أقولُ فيها؟ قال: قولي: «اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي».

الاجتهاد في العبادة والاعتكاف في رمضان لاسيما العشر الأخير منه:

الاعتكاف: ملازمة الأمر أو الشيء، وحبس النفس عليه.

١ ـ ثبت في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري، أنَّ رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأوَّل من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط، في قبة تركية، ثمَّ أطلع رأسه فقال: «إنِّي اعتكفتُ الْعَشْرَ الأوَّلَ أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ فَقِيلَ لي: إنَّها في الْعُشْرِ الأَوَاخِرِ».

٢ ـ وروى البخاري ومسلم عن أمّ المؤمنين عائشة، أنَّ النبي ﷺ كان يعتكفُ العشر الأواخر من رمضانَ حتى توفَّاه الله، ثم اعتكَفَ أزواجُهُ من بعده.

٣ ـ وروى مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شدّ مِئْزَرَهُ، وأَحْيَا لَيْلَهُ، وأيْقَظَ أَهْلَهُ.

إذا دخل العشر: أي العشر الأخير من رمضان.

شدَّ مِئْزَرَه: كَنَّتْ بهذا عن تركه معاشرة النساء، وعن اجتهاده في العبادة، وتفرُّغه لها، وابتعاده عن حظوظ النفس من الحياة الدنيا.

٤ ـ وروى مسلم عن عائشة أيضاً قالت: **«كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر مَا لا يجتهد في غيره»**.

٥ ـ وروى البخاري عن أبي هريرة قال: «كان يُعرَضُ على النبيّ ﷺ القرآنُ كلَّ عامٍ مرَّة، فعُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْن فِي الْعام الَّذِي قُبِض، وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْراً، فاعْتَكَفَ عِشْرِينَ في الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ».

أي: كان الرسول ﷺ يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام، فيعرض جبريل القرآن على الرَّسول كلَّ عامٍ مرَّة، أي: يعرض عليه ما كان قد نزل منه، أما في السنة التي توفّي فيها صلوات الله عليه، فقد عرض جبريل عليه السلام

القرآن مرَّتين، واعتكف الرسول في هذه السنة العشر الأوسط والعشر الأخير من رمضان.

٥ ـ وروى الإمام أحمد والترمذي وصححه عن أنس قال: «كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فلم يعتكفْ عاماً فلمَّا كان العامُ المقبلُ اعتكفَ عشرين».

٦ ـ وروى البخاري ومسلم والإمام أحمد عن عبداللهبْنِ عُمَر قال: «كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان».

قال نافع: وقد أراني عبدالله المكان الذي كان يعتكف فيه رسول الله ﷺ.

٧ ـ وروى البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة قالت: «كان إذا دخل رمضان شَدَّ مئزره، ثم لم يأت فراشه حتى ينسلخ الشهر» أشار السيوطي إلى أنَّه حسن.

● فمن هذه الأحاديث نستفيد أنَّه يُسَنُّ الاجتهاد في العبادة في رمضان والاعتكاف في العشر الأخير منه.

وأفضل المساجد للاعتكاف المسجد الحرام، فمسجد الرسول ﷺ في المدينة، فالمسجد الأقصى، ثم أيّ مسجد من مساجد المسلمين.

والاعتكاف المسنون هو لزوم المسجد للعبادة والذكر والخلوة فيه لمراقبة الله ومناجاته.

وللاعتكاف أحكام يجب التقيُّد بها، منها عدم الخروج من المسجد إلَّا للضرورة، أو الحاجة الشديدة، ومنها عدم مباشرة النساء، ويرىٰ بعض الفقهاء أنَّ الاعتكاف لا يكون إلَّا مقترناً بصوم.

قال ابن حجر في «الفتح»: وقد حُكي عن غير واحد من الصحابة أنَّه اعتكف.

قال الإمام مالك: لم يبلغني عن أحد من السلف أنَّه اعتكف، إلَّا عن أبي بكر بن عبد الرحمن.

لكن ما أورده ابن حجر، وما ثبت في الصحيح من أنَّ أزواج الرسول ﷺ اعتكفنَ بعده، يُثْبِت أنَّ غير أبي بكر بن عبد الرحمن من السلف كان يعتكف اقتداءً بالرسول ﷺ.

● وقد دلَّ على ضرورة لزوم المسجد في الاعتكاف وعدم الخروج منه إلَّا لحاجة شديدة، أحاديث:

١ ـ ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: أنَّها كانت تُرجّل النبي ﷺ وهي حائض، وهو معتكفٌ في المسجد، وهي في حجرتها، يُناولُها رأسه، وكان لا يدخل البيت إلَّا لحاجة الإنسان إذا كان معتكفاً.

ترجّل النبي: أي: تُسرِّحُ له شعر رأسه.

٢ ـ وما رواه البخاري ومسلم عن صفيَّة بنت حُيَيّ قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفاً، فأتيتُهُ أَزُورُه لَيْلاً، فحدَّثتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ، فقامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، وكان مسكنُها في دار أسامة بن زيد.

ليقلبني: أي ليوصلني إلى مسكني.

٣ ـ وجاء في بعض الأحاديث أنَّ الرسول ﷺ خرج من اعتكافه لعيادة بعض المرضى من أصحابه.

فمن هذه الأحاديث نستدلُّ على أنَّ المعتكف له أن يخرج من المسجد لقضاء حاجة الإنسان، ولمثل إيصال الزوجة إلى مسكنها، ولمثل عيادة المريض دون مكثٍ عنده.

ويلزم من الاعتكاف في المسجد الإذن بالنوم فيه، وهو ما دَلَّ عليه عمل الرسول ﷺ.

ثواب الاعتكاف:

وقد ورد في ثواب الاعتكاف ما رواه ابن ماجه عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال في المعتكف: «هو يَعْتَكِفُ الذُّنُوبَ، وَيُجْرَىٰ لَهُ من الْحَسَنَاتِ كَعَامِلِ الْحَسَنَاتِ كُلِّها».

والمعتكف مُتَلَبِّسٌ بالعبادة ما دام مُعْتكفاً، ولو لم يمارس أيَّةَ عبادة أخرى. والمراد من قوله ﷺ: «هو يعتكفُ الذنوبَ» يعتكف في المسجد تاركاً الذنوب.

والغرض من الاعتكاف حبس النفس في مكان لا يَصْلُح إلاَّ للعبادة، لمساعدة النفس على التفرّغ لممارسة ألوان العبادات، من صلاة وذكر لله تعالى، وتسبيح واستغفار، وتلاوة للقرآن، وتدبُّر لآياته، وطلب للعلم الذي ينفع المسلم في آخرته، وخلوة لمراقبة اللَّهِ ومناجاته، ودعاءٍ وابتهال وتوبة ومحاسبةٍ للنفس.

والاعتكاف في المسجد يساعد المعتكف على الاجتهاد في العبادة طوال أيّام وليالي الاعتكاف، وعلى الانصراف عن شهوات النساء وحظوظ الحياة الدنيا، لتصفية نفسه وقلبه وفكره من مشاغل الدنيا وأهوائها وشهواتها، ولربطها بالله عزَّ وجل، وبمطالب الآخرة.

— ١٦ —

شهر زكاة الفطر:

بعد رحلة الصوم طوال شهر رمضان المبارك وظهور هلال شوال، وفرحة الناس بعيد **الفطر** شرَعَ الله للمسلمين زكاة يبذلونها من أموالهم للفقراء والمساكين، تسمَّى زكاة الفطر.

وهي زكاة خفيفة تجب بانتهاء شهر الصوم وحلول عيد الفطر، وهو أوَّل يوم من شوال، وهي فرض على الحرِّ والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير.

وقد وصف الرسول ﷺ هذه الزكاة بأنَّها طُهْرَةٌ للصائم ممَّا وقع منه من لغوٍ ورفث، وطعمة للمساكين.

ويجب أداؤها قبل صلاة العيد، فمن أدَّاها بعد صلاة العيد فهي صدقة من الصدقات العامة، ولا تعتبر زكاة الفطر المطلوبة المحققة لأغراضها الشرعية.

ومقدارها صاع من قوت أهل البلد، (البرّ ـ الرزّ ـ التمر ـ الأقط ـ الشعير ـ الزبيب) ونحو ذلك.

الحكمة من زكاة الفطر:

نستطيع استنباط الحكمة من وجوب زكاة الفطر، فنتبيَّن الغايات التاليات.

الأولى: زكاة الفطر زكاة عن بدَنِ المسلم، فهي بعدد الرؤوس الموجودة في صفوف المسلمين، صغاراً وكباراً، أحراراً وعبيداً، ذكوراً وإناثاً، صائمين وغير صائمين.

الثانية: تبذلُ زكاة الفطر للتوسعة على الفقراء والمساكين، وإغنائهم يوم عيد الفطر، وجعلهم يشاركون في فرحة العيد، وقلوبهم مطمئنَّة، ونفوسهم راضية.

الثالثة: زكاة الفطر طُهْرَةٌ للصائم في رمضان من الأمور التي يمكن أن يكون قد أخلَّ بها، كاللغو والرفث في القول، فَيُرْفع صيامُه نقيّاً من الشوائب التي تعرَّض لها.

الرابعة: في زكاة الفطر تعبير عن الشكر لله عزَّ وجلَّ، إذْ أتاح للمسلمين هذا الموسم العظيم، المشحون بالخيرات الجسام.

وتفصيل أحكام زكاة الفطر يجده القارىء في البحث الخاصّ بزكاة الفطر من هذا الكتاب (الباب الرابع).

الباب الثالث

أحكام الصيام في السنة

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: أهلية التكليف: العقل والبلوغ
الفصل الثاني: ما يفطِّر الصائم وما لا يفطِّره. ما أُجمع عليه وما اختلف فيه.
الفصل الثالث: أحكام نية الصيام وقطع الصوم في الفرض والنفل.
الفصل الرابع: سنن وآداب للصائم.
الفصل الخامس: أحكام القضاء.
الفصل السادس: الصيام المسنون.
الفصل السابع: صيام ممنوع وأمور على خلاف السنة.

الفصل الأوّل

أهلية التكليف: العقل والبلوغ

● عن عليّ بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَة:

● عَنِ النَّائِمِ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ.
● وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّىٰ يَبْلُغَ.
● وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّىٰ يَعْقِلَ».

رواه الترمذي وأبو داود بإسناد صحيح.
ورواه الدارمي عن عائشة.
ورواه ابن ماجه عن عليّ وعائشة.

فدلَّ هذا الحديث النبويُّ على أن وُجُوبَ الصوم وغيره من التكاليف الشرعية موجَّه للمكلفين شرعاً، والمكلف شرعاً هو البالغ العاقل، فقد رُفِعَ القلم عن الصبي، وعن المعتوه الذي لا عقل له، ورَفْعُ الْقَلَمِ يعني رَفْعَ المؤاخذة عن عدم الالتزام بالتكاليفِ الشرعيَّة.

وهذا تيسير من الله بالنسبة إلى من هم دون البلوغ، ولو كان إدراكهُم

يساوي إدراك البالغين، أو يفوقُه.

فالبالغون العقلاء هم المكلَّفون المخاطبون بقول الله عزَّ وجلَّ في سورة (البقرة ٢): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾.

وخطاب الذكور يتناولهم ويتناول الإناث أيضاً.

وهم الذين تتناولهم خطابات التكليف الشرعية كلها، ومنها ما يلي:

● روى البخاري بسنده عن طلحة بن عُبَيدِ الله: أنَّ أعرابيّاً جَاءَ إِلَىٰ رَسُول الله ﷺ ثَائر الرأس، فقال: يا رسول الله أَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ الله عَلَيَّ مِنَ الصَّلاة؟

فقال: «الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ شَيْئاً».
فقال: أَخْبِرْنِي بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِن الصيام؟
فقال: «شَهْرَ رَمَضَانَ إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئاً».
فقال: أَخْبِرْني مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ من الزَّكاة؟.

قال طلحة: فَأَخبره رسولُ الله ﷺ بشرائع الإسلام.

قال: وَالَّذِي أَكرَمَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَتطَوَّعُ شَيْئاً، ولا أَنْقُصُ مِمَّا فَرَضَ الله عَلَيَّ شَيْئاً.

فقال رسول الله ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» أو: «دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَق».

أَفْلَحَ: نجا وفاز.

والأحاديث المبيّنة أنَّ صيام رمضان أحد أركان الإسلام الخمسة كثيرة، والبالغون العقلاء هُم المخاطبون بها، وهم المكلفون شرعاً، دون الصغار المميّزين، ومن لا عقل لهم.

أقوال الفقهاء[1]:

١ ـ ما دلَّ عليه حديث عليّ هو مذهب جمهور الفقهاء.

٢ ـ وقال أبو منصور الماتريدي: يخاطب العقلاء غير البالغين بخطابات الشريعة، فهم يدخلون في المكلفين.

٣ ـ وقالت المعتزلة: يخاطب العقلاء غير البالغين بالإيمان، فمن لم يؤمن منهم عوقب على ذلك عند الله.

٤ ـ وقال القاضي أبو زيد: يجب عليهم جميع حقوق الله تعالى من الإيمان وغيره، إلَّا أنَّ الأعمال البدنية تسقط عنهم بعذر الصِّبا، مع دخولهم أصلاً في عموم الخطاب.

صوم من هُمْ دون التكليف

● روى البخاري عن الرُّبَيِّع بِنْتِ مُعَوِّذٍ في حديثِ صِيَامِ عاشوراء قالت: (فَكُنَّا نصُوْمُهُ بَعْدُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإذَا بَكَىٰ أَحَدُهُمْ عَلَىٰ الصِّيَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ، حتَّىٰ يَكُونَ عِنْدَ الإفْطَار).

فدلَّ هذا الحديث على أنَّ المسلمين أو بعضهم كانوا عند الأمر بصيام عاشوراء في عهد الرسول ﷺ يصوِّمون صبيانهم.

● وذكر البخاري وغيره أثراً عن عمر أنَّه جيء إليه بسكران في رمضان، فقال له موبِّخاً: «وَيْلَكَ، كيفَ تُفْطِر وصبياننا صيام، ثمَّ أمر به فَضُرب».

وعند البغوي: «ثمَّ أمر به فَضُرِبَ ثمانين سوطاً، ثمَّ سيَّره إلى الشَّام».

ما يستفاد من هذه الآثار:

يستفاد من هذه الآثار استحباب تعويد الصغار على الصيام، بقدر استطاعة كلٍّ منهم.

---

(١) انظر فواتح الرحموت بشرح مسلَّم الثبوت صفحة ١٥٥ من الجزء الأول.

أقوال الفقهاء[1]:

١ ـ استحبَّ جماعة من السلف منهم ابن سيرين والزهري أنَّ الصغار يُؤْمرون بصيام رمضان للتمرين عليه إذا أطاقوه، وبه قال جمهور الفقهاء، وبه قال الشافعي وأحمد.

وحدَّ أصحاب الشافعيِّ عُمْر الصغير بأنَّه يؤمر به لسبع ويضرب عليه لعشرٍ، كالصلاة.

وحدَّه إسحٰق باثنتي عشرة سنة.

وحدَّه أحمد في رواية عنه بعشر سنين.

٢ ـ وقال الأوزاعي: إذا أطاق صوم ثلاثة أيَّام تباعاً لا يضعف فيهنَّ حُمل على الصوم.

٣ ـ والمشهور عن المالكية: أنَّه لا يُشْرَعُ في حقِّ الصبيان، محتجين بعمل أهل المدينة، لكنَّ الآثار تثبت خلاف هذا الادِّعاء.

٤ ـ أغرب ابن الماجشون من المالكية فقال: إذا أطاق الصبيان الصيام ألزموه، فإن أفطروا لغير عذر فعليهم القضاء.

---

(١) عن فتح الباري لابن حجر صفحة ٢٠٠ /٢٠١ من الجزء الرابع.

الفصل الثاني

ما يفطِّر الصائم وما لا يفطِّره
ما أُجمع عليه وما اختلف فيه

المفطِّرات التي نزل بها القرآن

قال الله عزَّ وجل في سورة (البقرة ٢): ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ، فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُم، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُم الْخَيْطَ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ، ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلىٰ اللَّيل، وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا، كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)﴾.

دلَّت هذه الآية على أنَّ نواقِضَ الصِّيامِ الحسِّيَّةَ الماديَّة الجسديَّة ثلاثَةُ أمور.

الأول: الأكلُ قلَّ أو كثر، وهو يطلق لغة على تناول الغذاءِ عن طريق الفم، ومثل الغذاء الدواء المأكول فهو يدخل في عموم الأكل.

الثاني: الشرب قلَّ أو كثر، وهو يطلق لغة على تناول أيِّ شراب ماءً كان أو غيره عن طريق الفم.

الثالث: مباشرة النساء بالجماع، ودلَّ على أن المراد بالمباشرة الجماع قول الله تعالى: ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ أي ابتغوا الولد الذي كتب الله لكم، ولا يكون ابتغاء الولد بمجرَّد وضع البشرة على البشرة، إنما يكون بالجماع.

وإذا كان الجماع منافياً للصوم بالنسبة إلى الرجل، فهو كذلك بالنسبة إلى المرأة، لأنَّ أحكام الصيام والمفطرات تشمل الذكور والإناث.

الإمساك عن المفطرات:

ودلَّت الآية على أنَّ الإمساك في الصوم عن المفطرات يبدأ عند الخطِّ الفاصل بين الليل والنهار، وقد عبَّر القرآن عنه بالخيط للدلالة على أنَّه فاصل دقيق بمثابة الخيط. ثُمَّ ينتهي عند أوَّل جزءٍ من أجزاء الليل، لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيلِ﴾، فلا بدَّ أن ينتهيَ كلُّ النهار، ويكون انتهاؤه بغروب قُرصِ الشمس كلِّه، وعندئذٍ يدخُل أوَّل جزء من اللَّيل.

الجماع في الصيام

١ ـ عن أبي هريرة قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيُّ ﷺ فقال: هَلَكْتُ يا رسولَ الله.

قال: «وَما أَهْلَكَكَ؟».

قال: وقعتُ على امرأتي في رمضان.

قال: «هَلْ تَجدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً؟».

قال: لَا.

قال: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أن تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟».

قال: لا.

قال: «فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِيناً؟».

قال: لا.

ثُمَّ جَلَسَ، فَأُتِي النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فيه تَمْرٌ، قال: «تَصَدَّقْ بِهَذَا».

قال: فَهَلْ عَلَىٰ أَفْقَرَ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لَابَتَيْها أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا.
فضحكَ النبيُّ ﷺ حتى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وقال: «اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ».

رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه.

٢ ـ وفي لفظ ابن ماجه:

قال: «أَعْتِقْ رَقَبَةً».
قال: لا أجدها.
قال: «صُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ».
قال: لا أطيق.
قال: «أَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِيناً».

٣ ـ وفي لفظ للدارقطني:

فقال: هلكتُ وأهلكت [زيادة: (وأهلكتُ) فيها مقال، ومال ابن حجر إلى أنَّها باطلة].
فقال: «مَا أَهْلَكَكَ؟».
قال: وَقَعْتُ على أهلي.
وفي رواية عنده: «تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِيناً لكلِّ مِسْكِينٍ مُدٌّ» وفيها: «فأتي بخمسة عشر صاعاً فقال: «أطعمه ستين مِسْكِيناً».

٤ ـ وعند البخاري من حديث أبي هريرة:

بينما نَحْنُ جلوسٌ عند النبيّ ﷺ إذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فقال: (وفي ألفاظه بعض اختلاف).

٥ ـ وعنده من حديث عائشة:

إنَّ رَجُلاً أَتى النبيَّ ﷺ فقالَ: إِنَّهُ احْتَرَقَ.
قال: مَا لَكَ؟
قال: أَصَبْتُ أهلي في رمضان.

فـأُتِي النبيُّ ﷺ بِمِكْتَلٍ يُـدْعَىٰ الْعَـرَقَ فقـال: «أينَ الْمُحْتَـرِقُ؟».
قال: أَنَا.
قال: «تَصَدَّقْ بِهَذا؟».

وقد ورد هذا الحديث بروايات متعدِّدة وبألفاظ مختلفة، إلَّا أنَّ المعاني متشابهة أو متقاربة.

وجاء في رواية أنَّ النبي ﷺ قال له: «حَرِّر رَقَبَةً». قال: ما أَمْلِكُ رَقَبَةً غَيْرَهَا وَضَرَبَ صَفْحَةَ رقبته. قال: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ». قال: وهل أصبتُ الذي أصبتُ إلَّا من الصيام؟!. قال: «فَأَطْعَمْ سِتِّينَ مِسْكِيناً».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (قوله (إذْ جاءه رجل) لم أقف على تسميته، إلَّا أنَّ عبد الغنيّ في المبهمات ـ وتبعه ابن بشكوال ـ جزما بأنَّه سليمان، أو سَلَمة بن صَخْرٍ البياضي).

بِعَرَقٍ: هو المِكْتَلُ، وهو الزَّبِيل أو الزنبيل المنسوجُ من نسائج الخوص. وكُلُّ شيء مضفورٍ فَهُوَ عَرَق. والْعَرَقُ أيضاً السفيفةُ المنسوجة من الْخُوص قبل أن تجعل زبيلاً، ومنه قيل للزبيل المنسوج من الْعَرَقِ عَرَق. وواحدة العَرَقِ عَرَقَة: وهي الضفيرة من الخوص.

قال في الصحاح: المكتَلُ يُشْبهُ الزَّنبيل يَسَعُ خمسة عشر صاعاً، قال ابن حجر: (الظاهر أنَّه لا حصر في ذلك والله أعلم).

فما بين لابتيها: أي: ما بين حَرَّتي المدينة. اللَّابَةُ: هي الْحَرَّة، والْحَرَّةُ الأرض التي فيها حجارةٌ سود ـ يقال عنها: لَابَةٌ، ولُوبة، ونُوبَة.

خـذ هذا فتصدَّق به: قال ابن حجر في الفتح: كذا للأكثر، ومنهم من ذكره بمعناه، وزاد ابن إسحاق: «فتصدَّق به عن نَفْسِك» ويؤيـده رواية منصور. بلفظ: «أَطْعِمْ هَذَا عَنْك» هـ.

وأورد روايات أخرى تؤيد ذلك.

٦ ـ وجاء في رواية لابن ماجه وأبي داود: «وصُمْ يَوْماً مَكَانَه».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[1]:

«وقد ورد الأمر بالقضاء في هذا الحديث في رواية أبي أويس وعبد الجبار وهشام بن سعد عن الزهري.

وأخرجه البيهقي من طريق إبراهيم بن سعد عن الّليث عن الزهري.

وحديث إبراهيم بن سعد في الصحيح عن الزهري نفسه بغير هذه الزيادة.

وحديث الليث عن الزهري في الصحيحين بدونها.

ووقعت الزيادة أيضاً في مرسل سعيد بن المسيب، ونافع بن جبير، والحسن، ومحمد بن كعب.

وبمجموع هذه الطرق تعرف أنَّ لهذه الزيادة أصلًا» هـ.

ما يستفاد من هذا الحديث برواياته مع مفاهيم نصوص أخرى:

١" ـ أنَّ الجماع في الصيام مفسدٌ له إذا كان عن عمد ولم يكن الفاعل ناسياً أنَّه صائم، فظاهر حال الرجل الذي دارت حوله روايات الحديث أنَّه كان عامداً، غير ناسٍ، لذلك قال: هلكتُ يا رسول الله، ولو كان ناسياً لما قال ذلك وهو يعلم أنَّ الناسي غير مؤاخذ.

٢" ـ أنَّ على الرجل الذي يفسد صيام يومٍ من رمضان بالجماعِ كفَّارة، وهي أحد أمور ثلاثة:

أ ـ عتق رقبة.

ب ـ صيام شهرين متتابعين.

جـ ـ إطعامُ ستين مسكيناً، عن كلِّ مسكينٍ مدٌّ من الطعام.

---

(١) انظر الصفحة ١٧٢ من الجزء الرابع.

ويدلُّ ظاهر تدرُّج الرسول مع الرجل من عتق الرقبة، إلى صيام شهرين متتابعين، إلى إطعام ستين مسكيناً، أنَّ الكفَّارة مُرَتَّبةٌ على وفق التدرُّج النبوي، فمن لم يجد ما يُعْتِق به رقبة، أمكن أن ينتقل إلى صيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع هذا الصيام جازَ له أن ينتقل إلى إطعام ستين مسكيناً.

ولو كانت الكفارة على التخيير ابتداءً لكان المناسب أن يقول الرسول له: أعتق رقبة، أو صم شهرين متتابعين، أو أطعم ستين مسكيناً، كما قال الله عزَّ وجل في كفارة اليمين في سورة (المائدة ٥): ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةَ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ، أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ (٨٩)﴾.

فهي على التخيير بين الإطعام والكسوة وتحرير الرقبة دون قيد أن تكون مؤمنة، فمن لم يجد واحداً منها فعليه صيام ثلاثة أيامٍ.

وكما قال عزَّ وجل في جزاء قتل الصيد بالنسبة إلى المحرم في سورة (المائدة) أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وأَنْتُمْ حُرُمٌ، ومَنْ قتلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم هَدْياً بالِغَ الكَعْبَةِ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً، لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ (٩٥)﴾.

وَكما قال الله عزَّ وجلَّ في فدية من حلَق رأسه وهو محرم في الحج، بسبب المرض أو كان به أذىً من رأسه، في سورة (البقرة ٢): ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رؤوسَكُمْ حتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُك... (١٩٦)﴾.

ولمَّا كانت فدية المتمتع بالعمرة إلى الحجِّ على الترتيب قال الله عزَّ وجلَّ في سورة (البقرة ٢): ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ، تِلْكَ

عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ، ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَام . . . (١٩٦) ﴾.

ولمَّا كانَتْ كفَّارة مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً كَفَّارَةً على الترتيب، قال الله عزَّ وجلَّ في سورة (النساء ٤) بعد الأمر بتحرير رقبةٍ مؤمنة: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (٩٢) ﴾.

٣"- أنَّ من جامع ناسياً لم يُفْسِدْ صومه ولا كفَّارة عليه، ودليل هذا الحكم ما يلي:

أ - القياس على من أكلٍ أو شرب ناسياً، فقد ثبت عن الرسول ﷺ قوله: «مَنْ نَسِيَ وهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّما أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ» رواه البخاري ومسلم.

وقوله: «مَنْ أَفْطَرَ يَوْمَاً مِنْ رَمَضَانَ نَاسِياً فَلاَ قَضَاءَ عَلَيْهِ وَلاَ كَفَّارَةَ» رواه الدارقطني وصححه.

ب - الأصل في الدين رَفْعُ المؤاخذة عن النسيان الذي لا كسب للإنسان فيه، وهُوَ من قواعد الإسلام الكبرى. وحين نُلزم الناسي إذا جامع وهو صائم بالكفَّارة فإنَّنا نُرتب عليه مؤاخذة على عمل رفع الله المؤاخذة عنه بالدليل القطعي.

ولا يقاس الناسي على المتعمِّد في الكفَارة، واحتمال أن يكون الرجل الذي دارت حوله روايات الحديث قد يكون ناسياً غير متعمد احتمال ضعيف جداً لا يقوى على معارضة الظاهر من جاله، ولا يقوى على معارضة دليل القياس على من أكل أو شرب ناسياً، ودليل دخول المجامع الناسي في عموم قاعدة رفع المؤاخذة عن النسيان الذي لا كسب للإنسان فيه.

٤"- يستفاد من هذا الحديث برواياته أنَّ مَنْ عجز عن عتق رقبة وصيام شهرين متتابعين، وإطعام ستين مسكيناً، فله أن يأخذ من الصدقة ليؤدِّي كفَّارةَ الإطعام، كما يدلُّ علىٰ أنَّه إذا كان محتاجاً حاجَةً ماسَّةً بسبب فقره لما

كان يَمْلِكُ، أوْ مَلَك من مالٍ يكفي للكفَّارة، وكان أحوجَ له من غيره، فإنَّ الكفَّارَة تَسْقُط عنه عِنْدَئذٍ، ويكونُ إطعامُ أهله ممَّا مَلَكَ بِمَثابَةِ إطعام مساكين آخرين، ولا أرى داعياً لحمل ما أفتى به الرسول ﷺ الرجل على أنَّه خصوصية له، إذْ لا دليل في روايات الحديث على الخصوصية، فمن كانت حالته مثل حالته فينبغي أن يكون حكمه مثل حكمه، كما لا أرى ردّ الظاهر بإيراد الاحتمالات المخالفة. والله أعلم.

٥ً ـ لم يرد في كلّ روايات الحديث أنَّ الرسول ﷺ أمر الرجلَ بأنْ يكفِّر عن زوجته، أو أن تكفِّر الزوجة عن نفسها، مع أنَّ الظاهر أنَّها كانت صائمة أيضاً، لأن جِماعَهُ كان في يومٍ من أيام رمضان.

فالظاهر من عدم تعرُّض الرسول ﷺ لبيان كفَّارة بالنِّسبة إلى زوجته أنَّ الزوجة المجامعة لاَ كفَّارَةَ عليها، إذْ لو كان عليها كفَّارة لبيَّنها الرسول ﷺ له.

وقد علمنا من البيان العام الذي وجّه الرسول أصحابه له، أنْ يتركوا السؤال عمَّا ترك الرسول بيانه من أمور العبادات والتكاليف الشرعية.

ففي صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما، أنَّ الرسول ﷺ قال: «دَعُوني مَا تَرَكْتُكُمْ، إنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤَالُهُمْ، واخْتِلاَفُهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوْهُ، وإذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

وفي الصحيحين أيضاً أنَّ الرسول ﷺ قال: «إنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِيْنَ جُرْماً مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ عَلَىٰ النَّاسِ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».

وهذا يدلُّ على أنَّ ما تَرَكَ الرسول بيانه من تكاليف العبادات فالأصل فيه عدم التكليف، والكفارة هنا عبادة تابعة لعبادة الصوم.

وقياس المرأة على الرجل في الإفطار بالجماع قد يضعفه اختلاف حال الذكر عن الأنثى في هذا الأمر.

٦ً ـ الحديث برواياته إنَّما ورد في شأن من أفسد صيامه وأفطر

بالجماع، ووجوبُ الكفارة قد ثبت بالنسبة إليه، ولم يرد عن الشارع مثل ذلك بالنسبة إلى من أفطر عامداً بغير الجماع.

فهل يُقَاسُ عليه من أفطر وأفسد صيامه بغير الجماع كالأكل والشرب، دون عذر يبيح له الفطر؟

وأرى أنَّ الجماع معصية منافية لمطلوب الضبط بالنسبة إلى شهوة الفرج، وقد علمنا أنَّ الشارع أعطىٰ لهذه المعصية في غير موضوع انتهاك حرمة الصيام اهتماماً خاصًّاً، وعقاباً خاصاً، فالزاني يجلد أو يرجم، بخلاف من عصىٰ في أكلٍ أو شرب، كمن أكلَ ميتة، أو لحم خنزير، أو شرب دماً، فإنَّ الشارع لم يرتب عليه عقاباً معجلاً، مع أنَّه ارتكب معصية منافية لمطلوب الضبط بالنسبة إلى شهوة البطن، فلا يقاس من أكل لحم خنزيرة على من جامعها في العقوبة.

فإذْ قدْ فرَّق الشارع في أحكامه بغير موضوع انتهاك حرمة واجب الصيام بين المعصية المنافية لمطلوب الضبط بالنسبة إلى شهوة الفرج، وبين المعصية المنافية لمطلوب الضبط بالنسبة إلى شهوة البطن، فقد أعطانا بذلك دليلاً على أنَّه لا يقاس إفساد الصوم بالأكل والشرب، على إفساده بالجماع في وجوب الكفَّارة، والله أعلم.

فإذا قال قائل: من أراد انتهاك حرمة الصيام بالجماع، أفسده أوَّلاً بأكل أو شرب، ثمّ جامع، فتسقط عنه الكفَّارة.

قلت: الذي أراه أنَّ من أفسد صومه بأكل أو شرب في يوم صوم واجب من أيام رمضان، لم يُبَحْ له تكرير فعله بل يجب عليه الإمساك، وكذلك لا يباح له الجماع، فإذا جامع فقد انتهك حرمة إمساك باقي اليوم، فتجب عليه الكفارة، لكنه إذا كرَّر الجماع تداخلت الكفارات كمن كرر الزنى قبل أن يقام عليه الحدّ.

٧"ـ لم يقيد الرسول ﷺ كما جاء في روايات الحديث الرقبةَ المجزئة

في كفَّارة من أفسد صيامه الواجب بالجماع، بأن تكون رقبة مؤمنة.

فالظاهر أنَّه لا يشترط كونُها مؤمنة، والأصل أن يُعمل بهذا الظاهر.

ويؤيِّد هذا الظاهر أنَّ القرآن لم يقيِّد الرقبة في كفَّارة اليمين، وفي كفارة الظهار بأن تكون مؤمنة، إنَّما قيَّدَهَا بأن تكون مؤمنة في كفَّارة من قتل مؤمناً خطأً، وذلك لحكمة.

فمن الظاهر أنَّ قتل المؤمن خطأً ينبغي أن يكفَّر بعتق رقبة مؤمنة، لأنَّ عتق الرقبة المؤمنة بِمثَابةِ إحياء إنسان مؤمن. والمكفِّرُ من الأعمال الصالحات ينبغي أن يُنظرَ إليه بمنظار التعادل مع ما يكون تكفيراً له ما أمكن الأمر، والرقبة الكافرة لا تعادل الرقبة المؤمنة، فاشترط النصُّ أن تكون مؤمنة.

أمَّا كفَّارة اليمين، وكفَّارة الظهار، فهما كفَّارتان لمخالفتين فيهما معنى عدم الالتزام بأمرٍ تعبُّدي، فحملُ كفَّارةِ إفساد الصوم الواجب بالجماع عليهما أولى من حملها على كفَّارة قتل المؤمن خطأً.

فبهذين المرجِّحين: (ظاهر الحديث، والحمل على كفارتي اليمين والظهار) يترجَّح عدم اشتراط أن تكون الرقبة مؤمنة.

ولا بدَّ أن نلاحظ هنا أنَّ الإسلام حريص على عتق الرقاب بشكل عام، سواءٌ أكانت الرقاب مؤمنة أو كافرة.

٨ً- هل يقاسُ الجماع في الصوم الواجب من غير رمضان كالنذر والكفَّارات الواجبة، على الجماع في الصيام من رمضان، في وجوب الكفَّارة لإفساد الصيام به؟

الظاهر أنَّ الكفَّارة خاصة بإفساد الصيام من رمضان بالجماع، لأنَّ الكفَّارة وردت بشأن المجامع في رمضان، وأيّ صيام واجب آخر ليس له في الدين حرمةٌ مثل حرمة شهر رمضان، والأصل براءة الذِّمَّة من التكليف، فالقياس في مثل هذا الأمر لا يستقيم مع وجود الفارق المرجِّح لجهة براءة الذمَّة.

٩"- يستفاد من الزيادة التي جاءت عند ابن ماجه وأبي داود وغيرهما، وهي قول الرسول ﷺ للرجل: «وصُمْ يوماً مكانه».

أنَّ على من أفسد يوم صومه من رمضان بالجماع قضاء يوم مكان الذي أفسده إضافةً إلى الكفَّارة.

لأنَّ هذه الزيادة قد جاءت في عدَّة روايات تجعل لها أصلًا، وإن لم ترد في الصحيح.

كَما أَنَّها تُوافِقُ أصل قاعدة وجوب القضاء الثابت بالنسبة إلى من أفطر من أيام رمضان بعذر يبيح له الفطر، وهو ما دلَّ عليه قول الله عزَّ وجلَّ في سورة (البقرة ٢): ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أو على سَفَرٍ فعِدَّةٌ من أيَّامٍ أُخَرَ (١٨٥)﴾.

أقوال الفقهاء:

١ ـ أجمع الفقهاء على أنَّ من جامع عامداً ذاكراً غير ناس وهو صائم فسد صومه.

وأجمعوا على أنَّ عليه الكفارة إذا كان ذلك في يوم من أيام رمضان، ولا عذر عنده يبيح له الفطر كالسفر والمرض.

وظواهر النقول تفيد أنَّ كلّ صوم واجب كالنذر كذلك في وجوب الكفارة، ولقائل أن يفرِّق بين حرمة شهر رمضان الذي فرض الله في كتابه صيامه، وبين صوم النذر أو صوم القضاء وإن كانا واجبين، وقصة الرجل الذي أوجب الرسول عليه الكفَّارة تضمَّنت أنه أفطر بالجماع في يوم من أيّام رمضان. والله أعلم.

٢ ـ واختلفوا في وجوب الكفَّارة على من جامع ناسياً:

- فالجمهور على أنَّه لا كفَّارة عليه.
- وقال أحمد وبعض المالكية تجب الكفَّارة على الناسي كالعامد.

٣ ـ واختلفوا في وجوب الكفَّارة على المرأة كوجوبها على الرجل:

● فقال بعض الفقهاء لا تجب الكفَّارة على المرأة، وإلى هذا ذهب الأوزاعي، وهو الأصحّ من قولي الشافعية.

● وقال الجمهور تجب الكفارة على المرأة أيضاً على اختلاف وتفاصيل لهم في الحرَّة والأمة، والمطاوعة والمكرهة، وهل هي عليها أو على الرجل عنها؟[1].

٤ ـ واختلفوا فيمن أفسد صومه بغير الجماع كالأكل والشرب.

● فقال فريق تجب الكفارة على كلّ من أفسد صومهُ بجماع أو بغيره وقاسوا الأكل والشرب على الجماع.

● وقال فريق آخر لا تجب الكفَّارة على من أفسد صيامه بغير الجماع.

٥ ـ واختلفوا في الكفَّارة هل هي على الترتيب، كما يفهم من ظاهر روايات الحديث، أو هي على التخيير:

● فقال فريق هي على الترتيب.

● وقال فريق هي على التخيير.

● وقال مالك: كفارة الجماع في رمضان تكون بالإطعام فقط، وروي عنه في غير الجماع أنَّه يكفر بالطعام أو العتق أو الصيام على التخيير.

ومن المالكية من رأى أن الترتيب مستحب، ومنهم من قال: إنَّ الكفارة تختلف باختلاف الأوقات، ومنهم من قال: الإفطار بالجماع يكفر بالخصال الثلاث، وبغيره لا يكفر إلَّا بالإطعام، وهي آراء تفتقر إلى أدلة.

٦ ـ واختلفوا فيمن عجز عن الكفَّارة: هل تبقىٰ في ذمته حتى يكفِّر، أو تسقط عنه الكفارة بسبب العجز، ولا يطالب بها مستقبلاً عند استطاعته.

---

(١) من ابن حجر في الفتح صفحة ١٧٠ الجزء الرابع.

● فقال فريق: تسقط الكفَّارة بالإعسار المقـارن لوجوبها، وهو أحد قولي الشافعيَّة، وجزم به عيسى بن دينار من المالكية، وإليه ذهب الأوزاعي، وقال: يستغفر الله ولا يعود.

● وذهب الجمهور إلى أنَّ الكفَّارة لا تسقط بالإعسار المقارن للوجوب، بل تستقرّ في ذمته إلى وقت يساره واستطاعته.

٧ ـ واختلفوا في الرقبة هل يشترط فيها أن تكون مؤمنة، أو لا يشترط فيها ذلك.

● فقال الحنفية: لا يشترط في الرقبة أن تكون مؤمنة، لأنها جاءت في الحديث مطلقة.

● وذهب الجمهور إلى اشتراط كونها مؤمنة.

٨ ـ واختلفوا في قضاء يوم مكان الذي أفطره من رمضان بالجماع[١].

● فقال فريق يجب عليه قضاء يوم مكان اليوم الذي أفسده.

● وقال فريق يسقط قضاء اليوم الذي أفسده المجامع اكتفاءً بالكفَّارة، وهو قول محكيٌّ في مذهب الشافعي.

قال ابن العربي: إسقاط القضاء لا يشبه منصب الشافعي، إذْ لا كلام في القضاء، لكونه أفسد العبادة، وأمَّا الكفَّارة فهي لما اقترف من الإثم.

● وقال الأوزاعي: يقضي إنْ كفَّر بغير الصوم، وهو وجه للشافعيَّة أيضاً.

قال ابن العربي: وأمَّا كلام الأوزاعي فليس بشيء.

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر الصفحة ١٧٢ من الجزء الرابع.

من أصبح جنباً وهو صائم

١ ـ روى مسلم وأحمد وأبو داود عن عائشة: أَنَّ رَجُلاً قال: يا رسول الله، تُدْرِكُنِي الصَّلاَةُ وأَنَا جُنُبٌ فأصوم.

فقال رَسُول الله ﷺ: «وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلاَةُ وَأَنَا جُنُبٌ فَأَصُومُ».

فقال: لَسْتَ مِثْلَنَا يا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.

فقال: «وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي».

تُدْركني الصلاة: أي: يُدْرِكُنِي وقت صلاة الفجر من يوم صوم.

٢ ـ وروى البخاري ومسلم عن عائشة وأُمّ سلمة: «أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصْبِحُ جُنُباً مِنْ جِمَاعٍ غَيْرِ احْتِلَامٍ ثُمَّ يَصُومُ فِي رَمَضَانَ».

يُصْبِحُ جُنُباً: أي: يدخُل في الصَّبَاحِ، بطلوع الفجر عليه وهُوَ جنُب.

٣ ـ وروى مسلم عن أم سَلَمة، قالت: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصْبِحُ جُنُباً مِنْ جِمَاعٍ لاَ حُلْمٍ، ثُمَّ لاَ يُفْطِرُ وَلاَ يَقْضِي».

٤ ـ وروى البخاري عن عبد الرحمن بن الحارث أنَّ عَائِشَةَ وَأُمّ سَلَمَةَ أَخْبَرَتَاهُ: «أَنَّ رسُولَ الله ﷺ كانَ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ وهو جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ».

قال ابن عبد البرّ، عمَّا روي عن عائشة وأمّ سلمة في هذا: إنَّه صَحَّ وتواتر.

آثار:

● وصحَّ أنَّ أبا هريرة كان يفتي فيقول: (مَنْ أَصْبَحَ جُنُباً أَفْطَرَ ذَلِكَ اليوم). وفي رواية: (من أصبح جُنباً فَلاَ يَصُوم ذلك اليوم) وفي رواية: (من

احتلم من اللَّيْل أَوْ وَاقَعَ أَهْلَهُ ثُمَّ أدركه الفجر ولم يغتسل فلاَ يصُمْ). وفي رواية: (من أصبحَ جُنُباً فَلْيُفْطِرْ).

● ثمَّ إنَّ أبا هريرة رجع عن فتواه هذه لمَّا ذكر له عبد الرحمن بن الحارث ما أخبرته به عائشة وأُمُّ سَلَمَة، وقال له: (كذلك حدَّثَنِي الفضلُ بنُ عَبَّاسٍ) أي: ما كان يفتي به (وهُنَّ أَعْلَمُ) أي: وعائشة وأمُّ سلمة أعلم.

وذكر ابن خزيمة: أنَّ الخبر الذي اعتمد عليه أبو هريرة في فتواه التي رجع عنها، قد كان معمولاً بمضمونه عند ابتداء فرض الصيام ثم نسخ الحكم، وردَّ ما توهَّمه بعض العلماء من أنَّ أبا هريرة غلط.

وممن ذهب إلى دعوى النسخ ابن المنذر والخطابي وغيرهما، والناسخ هو قول الله عزَّ وجل في سورة (البقرة ٢): ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ، فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ، فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا واشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ من الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيل... (١٨٧)﴾.

فإذا أَبَاحَ اللَّهُ الرَّفَثَ إلى النساء في كلِّ اللَّيل لزم من ذلك أن يكون آخر جزء منه وقتاً للإباحة، فلا بدَّ إذن أن يطلع الفجر والجنابَةُ حاصلة، فهي إذن لا تنافي الصيام، ووجودها لا يفسده.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

يستفاد من هذه الأحاديث أنَّ من أصبح جنباً من جماع أو غيره، وقد نوى الصوم، فصومه صحيح ولا قضاء عليه، فالأحاديث الصحيحة في هذا صريحة لا شبهة فيها.

وهو مذهب جمهور الفقهاء، وجزم النووي بأنَّ الإجماع استقرَّ على ذلك.

وقال ابن دقيق العيد: إنَّه صار ذلك إجماعاً أو كالإجماع.

لكن روي عن بعض التابعين خلاف ذلك، ولعلَّهم استمروا على العمل بفتوى أبي هريرة، ولم يبلغْهم ما تواتر عن عائشة وأم سلمة، والله أعلم.

إذا فعل الصائم شيئاً من المفطرات ناسياً

١ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فإنَّما أَطْعَمَهُ اللَّهُ وسَقَاهُ».

رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه.

٢ ـ وعن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَكَلَ الصَّائِمُ نَاسِياً، أو شَرِبَ نَاسِياً، فإِنَّما هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ».

رواه الدارقطني، وقال: إسناده صحيح.

وفي لفظ: «مَنْ أَفْطَرَ يَوْماً مِنْ رَمَضَانَ نَاسِياً فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ وَلَا كَفَّارَة».

قال الدارقطني: تفرَّد به ابْنُ مرزوق، وهو ثقةٌ عن الأنصاري.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ هذه الأحاديث صحيحة صريحة، وهي تدلُّ على أنَّ من أكل أو شرب ناسياً وهو صائم، لم يبطل صومه، وعليه أن يتمَّ صومه، ولا قضاء عليه.

٢ ـ قول الرسول ﷺ: «فإنَّما أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ» يَدُلُّ عَلَىٰ أنَّ العملَ تمَّ بمحض القضاء والقدر، ولم تتدخل فيه إرادة المكلف، لذلك ترتفع معه المسؤولية، ولا تترتب عليه أحكام العمل الإراديّ الإنساني، كسائر الأعمال التي تجري دون كسب إراديّ من الإنسان المكلَّف.

٣ ـ يقاس على الأكل والشرب سائر المفطرات، فمن جامع وهو صائم ناسياً، فلا شيء عليه، لم يفطر، ولا قضاء عليه، ولا كفَّارة.

على أنَّ المجامع يدخل أيضاً في الرواية التي وردت بلفظ: «مَنْ أَفْطَرَ يَوْمَاً مِنْ رَمَضَانَ نَاسِياً فَلاَ قَضَاءَ عَلَيْهِ وَلاَ كَفَّارَةَ».

أقوال الفقهاء:

١ ـ ذهب جمهور الفقهاء إلى أنَّ من أكل أو شرب ناسياً لم يفسد صومه ولا قضاء عليه، ولا كفَّارة.

٢ ـ وقال مالك وابن أبي ليلى والقاسميّة: من أكل ناسياً فقد بطل صومه، ولزمه القضاء.

٣ ـ وفرَّق بعض الفقهاء بين المجامع وبين الآكل والشارب على اعتبار أنَّ حالة المجامع تقصر عن حالة الآكل والشارب.

٤ ـ وفرَّق بعضهم بين القليل والكثير من الأكل والشرب، لكن ظاهر الحديث عدم الفرق، ويؤيد هذا الظاهر ما أخرجه أحمد عن أمّ إسحق: «أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ النبيِّ ﷺ: فَأُتِيَ بِقَصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ فَأَكَلَتْ مَعَهُ، ثُمَّ تَذَكَّرتْ أَنَّها صَائِمة.

فقال لها ذُو اليَدَيْنِ: الآن بَعْدَ مَا شَبِعْتِ؟

فقال لها النبي ﷺ: «أَتِمِّي صَوْمَكِ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكِ».

عن نيل الأوطار للشوكاني.

القيء في الصيام

١ ـ عن أنس، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ثَلاَثٌ لاَ يُفَطِّرْنَ: الْقَيْءُ، وَالْحِجَامَةُ، وَالاحْتِلاَمُ».

رواه الترمذي والبيهقي، وفي إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف. وقال الترمذي: هذا الحديث غير محفوظ.

وكلُ رواياته لا تخلو من مقال.

٢ ـ وعن أبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ وَمن اسْتَقَاءَ عَمْداً فَلْيَقْضِ».

رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، والدارقطني، والحاكم، بألفاظ مختلفة.

قال النسائي فيه: وقفه عطاء على أبي هريرة، وقال البخاري فيه: لا أراه محفوظاً، وكذلك قال أبو داود وبعض الحفاظ، قال الحافظ: وأنكره أحمد، وصححه الحاكم.

مَنْ ذَرَعَهُ: أي: غَلَبَهُ فَلم يتعمَّدْه.

٣ ـ وعن ابن عمر: (مَنْ استقاء وَهُوَ صَائِمٌ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ، وَمَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَيْس عَلَيْهِ الْقَضَاء).

الحديث موقوف على ابن عمر، رواه مالك في الموطأ، ورواه الشافعي.

٤ ـ وعن أبي الدَّرْدَاءِ: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَاءَ فَأَفْطَرَ».

قال معدانُ بن أبي طلحة الراوي لَهُ عن أبي الدَّرْدَاء: فَلَقِيتُ ثَوْبَانَ في مسجد دمشق فقلتُ: إنَّ أبا الدَّرْداء، أَخْبَرني فذكرهُ فقال: صدق، أَنَا صببت عليه وَضُوءه.

رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن الجارود، وابن حبان، والدارقطني، والبيهقي، والطبراني، وابن مَنْدَه، والحاكم، وقال ابن مَنْده: إسناده صحيح متصل، قال الترمذي: جوّده حسين المعلّم، وكذلك قال أحمد.

قال البيهقي: هذا حديث مختلف في إسناده، فإنْ صحَّ فهو محمولٌ على القيء عامداً، وكأنَّه كان ﷺ صائماً تطوّعاً.

عن نيل الأوطار للشوكاني.

مَا يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ هذه الأحاديث ليس فيها ما يقوى على إثبات أنَّ من استقاء عمداً يفطر، وعليه القضاء، بحكم قطعي، فحديث أبي هريرة وحديث ابن عمر كلاهما موقوفانِ على فرض صحتهما.

لكنَّ قول الصحابي الذي يحكيه على سبيل الجزم لا على سبيل الرأي، قد يعطي ترجيحاً يزيد على رجحان البراءة الأصلية.

٢ ـ أمَّا حديث أنس فهو مع ضعف سنده عامّ، ويمكن حمل القيء فيه على غير العمد.

٣ ـ وأمَّا حديث أبي الدرداء فالظاهر فيه ـ كما قال البيهقي ـ أَنَّ الرسول ﷺ كان صائماً صيامَ تطوّع، وصائِمُ التطوُّعِ له أن يفطر، لأنَّ الشروع في نفل الصوم غير ملزم، كما سيأتي في مبحث قطع صوم النفل.

وقول أبي الدرداء عن الرسول ﷺ: «قَاءَ فَأَفطر» يمكن حمله على أنَّه قاء، وبعد أن قاء أفطر وقطع صومه، فلا حجَّة فيه أنَّ تعمُّد القيءِ من المفطِّرات.

من ذلك يظهر لنا أنَّ الأحوط هو القول بأنَّ من استقاء عمداً أفطر، وإنْ كان الترجيح ليس بالترجيح الذي يعطي حكماً مقطوعاً به.

وإذا حكمنا بالفطر كان علينا أن نحكم بوجوب القضاء إذا كان الصوم واجباً.

أقوال الفقهاء:

١ ـ ذهب الجمهور إلى أنَّ من استقاء عمداً أفطر وعليه القضاء، أمَّا من غلبه القيء ولم يتعمَّده فإنَّه لا يفطر ولا قضاء عليه.

وقال عطاء والأوزاعي وأبو ثور: من استقاء عمداً أفطر، وعليه القضاء والكفَّارة.

٢ ـ ونقل ابن بطّال عن ابن عباس وابن مسعود أنّه لا يفطر مطلقاً سواء أغلبه القيء أو استقاء عمداً. وهو رواية عن مالك والله أعلم.

عن ابن حجر في الفتح.

الحجامة للصائم

١ ـ عن رافع بن خديج قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ والْمَحْجُومُ».

رواه أحمد والترمذي وابن حبّان والحاكم وصححاه، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال فيه: هذا أصحّ شيء في هذا الباب.

لكن قال فيه أبو حاتم: هو عندي من طريق رافع باطل. ونُقل عن يحيى بن معين أنه قال: هو أضعف أحاديث الباب.

٢ ـ وعن ثوبانَ وشدَّاد بن أوس نظير حديث رافع.

عند أحمد وأبي داود وابن ماجه. وحديث ثوبان أخرجه أيضاً النسائي وابن حبان والحاكم. وحديث شدَّاد بن أوس أخرجه أيضاً النسائي وابن خزيمة وابن حبان وصححاه، وصححه أيضاً أحمد والبخاري وعلي بن المديني.

وفي إفطار الحاجم والمحجوم رُوِيَتْ أحاديث أخرى لم يخلُ كلٌّ منها من مقال.

٣ ـ وعن ابن عبَّاس: «أنَّ النبي ﷺ احتجم وهُوَ مُحْرِمٌ، واحْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ».

رواه أحمد والبخاري.

وفي رواية عنه «أنَّ النبي ﷺ احتجم وهو محرمٌ صائم».

أخرجه أبو داود وابن ماجه والترمذي وصحّحه، قال أبو حاتم: هذا خطأ. وقال الحميدي: إنَّه ﷺ لم يكن محرماً صَائماً، لأنه خرج في رمضان في غزاة الفتح ولم يكن محرماً.

٤ ـ وعن ثابت البناني أنَّه قالَ لأنس بن مالك: (أَكُنْتُمْ تكرهون الحجامة للصائم على عهد رسول الله؟).

قال: «لا إلَّا من أجل الضعف».

رواه البخاري.

٥ ـ وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: «إنَّمَا نَهَىٰ النبيّ ﷺ عن الوصال في الصيام، والحجامةِ للصائم إبقَاءً على أصحابِهِ ولم يُحرِّمهما».

رواه أحمد وأبو داود، قال ابن حجر في الفتح: وإسناده صحيح، والجهالة بالصحابي لا تضرُّ.

٦ ـ وعن أنس قال: «أَوَّلُ مَا كُرِهَتِ الْحِجَامَةُ للصَّائِمِ أَنَّ جَعْفَراً بن أبي طالب احْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ، فَمَرَّ النبيُّ ﷺ فقال: «أَفْطَرَ هَذَانِ».

ثُمَّ رَخَّصَ النبيُّ ﷺ بَعْدُ في الحجامة للصائم، وكان أنس يَحتجمُ وهو صائِم.

رواه الدارقطني وقال: كلُّهم ثقاتٌ ولا أعلم له علَّة.

٧ ـ وعن أبي سعيد الخدري قال: «رخَّص النبيّ ﷺ في الحجامة للصائم».

قال ابن حزم: وإسناده صحيح، فوجب الأخذ به، لأنَّ الرخصة إنَّما تكونُ بعد العزيمة، فدلَّ على نسخ الفطر بالحجامة سواء أكان حاجماً أو محجوماً. (انتهى عن الفتح).

قال ابن حجر في الفتح: أخرجه النسائي وابن خزيمة والدارقطني، ورجاله ثقات، ولكن اختلف في رفعه ووقفه.

٨ ـ وعن أنس، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ثَلَاثٌ لَا يُفَطِّرْنَ: الْقَيْءُ، والْحِجَامَةُ والاحْتِلَامُ».

رواه الترمذي والبيهقي، وفي إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف. وقال الترمذي: هذا الحديث غير محفوظ. وكلّ رواياته لا تخلو من مقال.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

بالنظر إلى جملة هذه الأحاديث نلاحظ أنَّ الرسول ﷺ نهى عن الحجامة للصائم في أوَّل الأمر، وقال: «أفطر الحاجم والمحجوم»، ثم رخَّصَ بعدُ في الحجامة للصائم كما ثبت في حديث أنس وحديث أبي سعيد الخدري، والرّخصة إنَّما ترد بعد العزيمة، والعزيمة هنا هي النهي عن الحجامة.

فإذا أضفنا إلى هذا أنَّ بعض أصحاب الرسول ﷺ فهم من النهي عن الحجامة للصائم أنَّه إنَّما كان إبقاءً على قوَّةِ الصَّائمين، ولم يكن تحريماً، ترجّح لدينا ما يلي:

١ ـ أنَّ الحجامة ليست من المفطِّرات لا للحاجم ولا للمحجوم.

٢ ـ أنَّ الحجامة تُكرَهُ للصائم حاجماً أو محجوماً. أمَّا الحاجم فلِمَا يَتعَرَّض له من وصول دم المحجوم إلى فيه، وأمَّا المحجوم فلِمَا يَتعَرَّضُ له من ضعف جسمه بسبب الحجامة وهو صائم.

٣ ـ ويدخل في عموم الحجامة استخراج الدَّم من العروق بالإبر الطبيَّة فهو لا يُفَطِّر الصائم الذي يُسْتَخرج دَمُه، لكن يكره له ذلك لأنه يضعفه عن الصوم، ما لم يَرَ الطبيب المسْلم أن ذلك صالح له. أمَّا قيام الطبيب ونحوه

باستخراج الدم بالإبر الطبيَّة من العروق، فلا يقاس على الحاجم، لأنَّه يفعل ذلك بطريقة مخالفة لطريقة الحجَّامين فلا يكره له وإن كان صائماً، إلَّا إذا كان يُسَاعد مرتكب المكروه على ارتكابه له.

أقوال الفقهاء:

١ ـ ذهب الجمهور إلى أنَّ الحجامة لا تُفْسد الصوم.

وروي هذا عن جماعة من الصحابة، منهم: علي، وابنه الحسن، وأنس، وأبو سعيد الخدري، وزيد بن أرقم، وسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وعائشة، وأمّ سلمة.

وروي عن جماعة من التابعين منهم: الحسن البصري، وعطاء، وغيرهم. وهو قولُ سفيان، ومالك، والشافعي وأصحابه إلَّا ابن المنذر.

٢ ـ وذهب آخرون إلى القول بفطر الحاجم والمحجوم، منهم: الأوزاعي، وأحمد، وإسحق، وأبو ثور، وابن خزيمة، وابن المنذر، وغيرهم.

ومن الصحابة: أبو هريرة وعائشة، وجابر، وسعد بن أبي وقاص، وأبو يزيد الأنصاري، وجاء روايةً عن بعض من روي عنهم القول الأوَّل من الصحابة، كعلي وابنه الحسن، وابن مسعود، وأنس، وابن عمر.

الاكتحال للصائم

وردت عدَّة أحاديث بعضها يذكر أنَّ النبيَّ ﷺ اكتحل في رمضان وهو صائم، وبعضها فيه أنَّ النبيَّ ﷺ أمر الصائم بأنْ يَتَّقِيَ الإثمد الْمُرَوَّح، أي: المطيّب، ولكنَّ هذه الأحاديث كلّها ضعيفة لا يقوى شيءٌ منها على الاحتجاج به، كما ذكر علماء الحديث.

قال الترمذي: لا يصحُّ عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء.

ما يفيده الدليل:

بالنظر إلى ضعف الأحاديث الواردة بشأن الكحل للصائم، مع تعارضها وعدم صلاحيَّة أيٍّ منها للاحتجاج به، فإنَّه ينبغي اعتماد البراءة الأصلية، فالصيامُ عبادة، وليس لنا أن نحكم بأنَّ شيئاً ما يفطِّر الصائم ما لم يكن لدينا دليل شرعي يَقْوَىٰ على الاحتجاج به، والأصل في المفطِّرات ترجع إلى ما أَمَرَ القرآن بالإمساك عنه، وهي: الأكلُ والشُّرب، والرَّفَثُ إلى النساء.

أمَّا ما جاء في السنَّة فينبغي أن يكون صالحاً للاحتجاج به في إثبات حكم شرعي بالإيجاب أو بالتحريم.

أقوال الفقهاء:

١ ـ ذهب جمهور الفقهاء إلى أنَّ الاكتحال لا يفسد الصوم.

٢ ـ وذهب ابن شُبرمة، وابن أبي ليلىٰ إلى أنَّ الكحلَ يفسد الصوم.

القبلة للصائم

١ ـ روى البخاري ومسلم عن أمّ سلمة: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُقَبِّلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ».

٢ ـ وعن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقَبِّلُ وهو صَائِمٌ، وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائم، ولكِنَّه كَانَ أَمْلَكَكُمْ لإِرْبِهِ».

رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه وفي لفظ عند أحمد ومسلم: «كَانَ يُقَبِّلُ فِي رَمَضَانَ وَهُوَ صَائم».

ويُبَاشر وهو صائم: يراد من المباشرة هنا ما دون الجماع، وهي مفاعلة من لمس البشرة بالبشرة.

لإربه: الإِرْبُ والأُرْبَةُ والأَرَبُ: الحاجة، والإِرْبُ: العضو والفرج والْعقلُ.

٣ - وروى مسلم عن عُمَر بن أبي سلمة أنَّه سأل رسول الله ﷺ: أَيُقَبِّلُ الصَّائِم؟.

فقال له: «سَلْ هَذِهِ» لأمّ سلمة. فأخبرتْهُ أنَّ رسول الله ﷺ يفعل ذلك.

فقال: يا رسول الله، قد غفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقدَّم مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.

فقال له: «أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ».

٤ - وعن أبي هريرة: «أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النبيَّ ﷺ عَن الْمُبَاشَرَةِ لِلصَّائِمِ؟. فَرَخَّصَ لَهُ. وَأَتَاهُ آخَرُ فَنَهَاهُ عَنْهَا فَإِذَا الَّذِي رَخَّصَ لَهُ شَيْخٌ، وَإِذَا الَّذِي نهاه شَابٌّ».

وفي صحة هذا الحديث توقف.

٥ - وروى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن مسروق قال: «سألتُ عَائِشَةَ مَا يَحِلُّ للرَّجُلِ من امرأته صائماً؟. قالت: كلُّ شيءٍ إلَّا الجماع».

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ً- أنَّ القبلة والمباشرة دون إثارة للشهوة مأذون بهما للصائم، لأنَّ الرَّسول ﷺ كان يفعل ذلك، دون أن يكون خصوصية له، بدليل أنَّ الرسول ﷺ قال لعمر بن أبي سلمة: «سَلْ هَذِهِ» لأُمّ سلمة جواباً على سؤاله: أَيُقَبِّلُ الصَّائم، مع ما ورد في الحديث من حوار بينهما.

٢ً- أشارت السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها: ولكنَّه كَان أَمْلَكَكُمْ لإِرْبه إلى قاعدة عامَّة، وهي أنّ من لا يملك نفسه عن ارتكاب المحرَّم إذا فعل المأذون به فليس له أن يفعله، مثل من خاف من نفسه أن لا يعدل بين الزوجات عند التعدُّد، فعليه أن يقتصر على واحدة، قال الله عزَّ وجلَّ في سورة (النساء ٤): ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فواحدةً... (٣)﴾.

وعلى هذا المعنى يحمل ما جاء في حديث أبي هريرة، على فرض صحته، أو صحة الاحتجاج به.

أقوال الفقهاء(١):

أولاً: اختلف الفقهاء في القبلة والمباشرة بما دون الجماع للصائم.

١ - فالمشهور عند المالكية أنَّ كلاًّ منهما مكروه للصائم، وصحَّ عن ابن عمر: أنَّه كان يكره القبلة والمباشرة.

٢ - ونقل ابن المنذر وغيره عن قومٍ التحريم فيهما، وممَّن أفتى بإفطار من قبّل وهو صائم: «عبدالله بن شُبْرُمة» أحد فقهاء الكوفة. ونقله الطحاوي عن قوم لم يُسمِّهم.

٣ - وفرَّق بعضهم بين الشاب والشيخ، فكرَّهها للشاب، وأباحها للشيخ، وهو المشهور عن ابن عباس.

٤ - وفرَّق آخرون بين من يملك نفسه ومن لا يملكها، وهو قول سفيان والشافعي.

ثانياً: اختلف الفقهاء فيمن باشر أو قبَّل أو نظر فأنزل، أو أمذىٰ.

١ - فقال الكوفيون والشافعي: يقضي إذا أنزل في غير النظر، ولا قضاء في الإمذاء.

٢ - وقال مالك وإسحٰق: يقضي في كلّ ذلك ويكفّر، إلاَّ في الإمذاء فيقضي فقط.

٣ - وذهب قوم إلى أنَّه لا يفطر من قبَّل أو باشر ولو أنزل، وقوَّىٰ ذلك وذهب إليه.

---

(١) أخذاً من فتح الباري من صفحة ١٤٩ - ١٥٣ الجزء الرابع.

٤ ـ قال النووي: القبلة في الصوم ليست محرَّمة على من لم تحرِّك شهوته، لكن الأولى له تركها، وأمَّا من حرَّكت شهوته فهي حرام في حقه على الأصح، وقيل: مكروهة.

هل الكحل والحقنةُ وما يُقَطَّر في الإحليل ومداواة المأمومة والجائفة من المفطرات؟

الحقنة: هي الحقنة الشرجية.

الإحليل: مخرج البول من الذكر.

المأمومة: هي الشَّجةُ في الرأس التي فَتَحَتْ جراحةً بلَغَت أُمَّ الرأس، ومداواتها يكون بإدخال الدواء إلى جوف الرأس.

الجائفة: هيَ الطعنةُ أو الجراحة التي تبلغ جوف البدن، أي: تبلغ البطن، ومداواتها تكون بإدخال الدواء إلى داخل البطن، من الجوف، لا إلى المعدة والأمعاء وسائر الجهاز الهضمي.

للإمام ابن تيميّة في الفتاوى الكبرى كلامٌ طويل[1] حول هذا الموضوع، قدَّم فيه أدلَّة كافيةً على أنَّ هذه الأمور الخمسة لا تُفَطِّر الصائم.

وألخّص أهم ما جاء فيه بما يلي:

اختلف الفقهاء في هذه الأمور الخمسة:

١ ـ فمنهم من لم يَرَ الفطر بشيءٍ منها.

٢ ـ ومنهم من رأى الفطر بها إلاَّ الكحل.

٣ ـ ومنهم من رأى الفطر بها إلاَّ التقطير في الإحليل (وهي الحقنة في الذكر).

---

(١) انظر الصفحة ٢٣٣ وما بعدها من المجلد الخامس والعشرين.

٤ ـ ومنهم من رأى الفطر بها واستثنى الكحل والتقطير.

والأظهر عدم الفطر بشيء منها، فالصيام من دين المسلمين، الذي يحتاج إلى معرفته الخاصّ والعام، فلو كانت هذه الأمور ممَّا حرَّمه الله ورسوله في الصيام، ويفسُد الصوم بها، لكان هذا ممَّا يجب على الرسول ﷺ بيانه.

ولو بيَّنه الرسول لعلمه الصحابة، وبلَّغوه الأمَّة، كما بلَّغوا سائر شرعه.

فلمَّا لم ينقل أحدٌ من أهل العلم عن النبي ﷺ في ذلك شيئاً، لا حديثاً صحيحاً، ولا ضعيفاً، ولا مسنداً ولا مُرْسلاً عُلِم أنَّه لم يذكر شيئاً من ذلك.

والحديث المرويّ في الكحل ضعيف رواه أبو داود في السنن، ولم يروه غيره، وهو: أنَّه ﷺ أمَرَ بالإثمد المروَّح عند النوم، وقال: «ليتَّقِهِ الصَّائِم».

قال أبو داود: وقال يحيىٰ بن معين: هذا حديث منكر.

وقال المنذري وعبد الرحمن: قال يحيى بن معين: ضعيف.

الإثمد المروَّح: هو الإثمد الممزوج بالطيب، لتكون له رائحة طيبة.

وهذا معارض بحديث ضعيف مثله، فقد روى الترمذي بسنده عن أنس بن مالك قال: جاء رجلٌ إلى النبيّ ﷺ فقال: اشتكيتُ عيني، أفأكتحلُ وأنا صائم؟

قال: «نعم».

قال الترمذي: ليس بالقوي، ولا يصحُّ عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء.

والذين قالوا: إنَّ هذه الأمور الخمسة أو بعضها تفطِّر الصائم، ليس

معهم حُجَّة عن النبي ﷺ، وإنَّما ذكروا ذلك بما رأوه من القياس.

وأقوى ما احتجوا به قول الرسول ﷺ: «وَبَالِغْ في الاسْتِنْشَاقِ إلاَّ أَنْ تَكُوْنَ صَائِماً».

قالوا: فدلَّ ذلك على أنَّ ما وصل إلى الدماغ يفطِّر الصائم إذَا كان بفعله، ويقاس عليه كلّ ما وصل إلى جوفه بفعله من حقنة وغيرها، سواء أكان ذلك في موضع الطعام والغذاء، أو غيره من حشو جوفه.

ثمَّ ردَّ ابن تيميّة حجَّتهم بوجوه:

الأول: ليس في الكتاب والسنة ما يدلُّ على الإفطار بهذه الأمـور التي ذكرها بعض أهل الفقه، فعلمنا أنَّها ليست مفطِّرة.

الثاني: الأحكام التي تحتـاج الأمَّة إلى معـرفتها لا بـدَّ أن يبينها الرسول ﷺ بياناً عامًّا، ولا بدَّ أن تنقلها الأمة، فإذا انتفى هذا عُلم أن هذا ليس من دينه، وهذا كما يُعلَم أنَّه لم يُفْرض صيام شهر غير رمضان، ولا حجّ بيت غير بيت الله الحرام، ولا صلاة مكتوبة غير الخمس.

الثالث: إثبات حكم الفطر بالقياس، يحتاج إلى أن يكون القياس صحيحاً، وهذا القياس منتفٍ هنا.

وذلك أنَّه ليس في الأدلَّة ما يقتضي أنَّ المفطِّر المعتبر في الشرع هو ما كان واصلاً إلى دماغ أو بدن، أو ما كان داخلاً من منفذ أو واصلاً إلى الجوف، ونحو ذلك من المعاني التي يجعلها أصحاب هذه الأقاويل هي مناط الحكم عند الله ورسوله.

فالله عزَّ وجل حرَّم في الصيام الأكل والشرب والجماع، ولا يقاس الكحل، الحقنة، وما يُقَطِّر في الإحليل، ومداواة المأمومة، والجائفة على واحد من الأكل والشرب والجماع.

والحيض ينافي الصوم بحكم الشرع، فليس للحائض أن تصوم.

وقياسهم على الاستنشاق أقوى حججهم قياس ضعيف، وذلك لأنَّ من بالغ في الاستنشاق ربَّما نزل الماء إلى حلقه فابتلعه، فيكون شارباً عن طريق أنفه، ولذلك نهى الرسول ﷺ عن المبالغة في الاستنشاق.

وأفاض ابن تيمية في ذكر تعليلات وحِكَم وفروق بين المفطِّرات الثابتة في الكتاب والسنة، وهذه الأمور التي أضافها الفقهاء على المفطِّرات عن طريق القياس.

وأضيف أنَّ الصيام عبادة، والأصل في العبادات التوقف عندما ثبت بالنصِّ، ولا يُلْجأ فيها إلى القياس إلَّا إذا كان القياس جليّاً، أو بلغ من القوة حدّاً جعل أكثر أهل العلم من السلف والخلف يحتجُّون به، ويتفقون على الحكم الناتج عنه.

والله أعلم.

أمور لا حرج منها في الصوم

كلّ ما لم ينه عنه الرسول ﷺ في الصيام، ولا يصح فيه القياس على ما نهى عنه، فالأصل أنَّه لا حرج منه، ولا داعي لتحرُّج الصائم منه.

وأورد هنا أموراً ورد عن النبي ﷺ أو في الآثار عن الصحابة أو التابعين أنَّه لا حرج منها للتنبيه عليها[1]:

أولاً: الاغتسال.

- فقد صحَّ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يغتسل وهو صائم.
- ودخل الشعبيّ الحمَّام وهو صائم.

ثانياً: التبرُّد بالماء.

---

(١) اقتباساً من البخاري وفتح الباري.

● فقد أخرج مالك وأبو داود عن بعض أصحاب النبي ﷺ بإسناد صحيح، أنَّه قال: «رأيت النبي ﷺ بالعَرْج يصبُّ الماء على رأسه وهو صائم، من العطش، أو من الحرِّ».

العَرْج: بفتح العين وإسكان الراء، موضع بين مكة والمدينة، وقيل: هو على أربعة أميال من المدينة(١).

● وثبت في الأثر عن ابن عُمَرَ: أنَّه بلَّ ثوباً فَأُلْقِيَ عليه وهو صائم.

● وقال الحسن: لا بأس بالمضمضة والتبرُّد للصائم.

● وكان أنس يتبَرَّدُ بالماء وهو صائم.

ثالثاً: تذوُّق الطعام دون ابتلاعه.

صحَّ في الأثر عن ابن عباس أنَّه قال: لا بأس أن يَتَطَعَّمَ الْقِدْرَ أو الشيءَ.

رابعاً: الترفُّه في الصيام.

استحبَّ السلف للصائم الترفُّهَ والتجمُّل، بالترجُّل، والادِّهان، والكُحْل.

خامساً: السِّواك.

● قال ابن عمر بشأن الصائم: يَسْتَاكُ أوَّل النَّهار وآخره، ولا يبلعُ ريقه.

● وقال عطاء: إن ازدرد ريقه، لا أقول يفطر.

● وقال ابن سيرين: لا بأس بالسِّواك الرطب، قيل: له طعم. قال: والماء له طعم وأنتَ تمضمض به.

---

(١) وإليه ينسب الشاعِرُ الْعَرْجِيّ.

● قال البخاري: ويُذكَر عن عامر بن ربيعة قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يَسْتَاكُ وهو صائم ما لا أُحْصِي، ولا أعُدّ.

سادساً: الكحل.

● صحَّ عن أنس والحسن وإبراهيم أنَّهم لا يرون بالكحل للصائم بأساً.

● وكان أنس يكتحل وهو صائم.

● وقال الأعمش: ما رأيت أحداً من أصحابنا يكره الكحل للصائم.

سابعاً: الاستنثار، وهو استنشاق الماء ثم استخراجه بنفَس الأنف.

● قال عطاء: إن استنثر فدخل الماء في حلقه، فلا بأس إن لم يملك.

● وعن ابن جريج: قلت لعطاء: إنسان يستنثر، فدخل الماء في حلقه، قال: لا بأس بذلك.

ثامناً: المضمضة.

● روى أحمد وأبو داود عن عمر بن الخطاب، قال: «هششت يوماً، فقبَّلتُ وأنا صائم، فأتيت النبيَّ ﷺ، فقلت: صنعتُ اليوم أمراً عظيماً، قبّلتُ وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «أرأَيتَ لو تَمَضْمَضْتَ بماءٍ وأنتَ صائم؟»».

قلتُ: لا بأس بذلك.

فقال ﷺ: «ففيم؟»».

وأخرجه النسائي وقال: إنَّه منكر، لكن صححه ابن خزيمة والحاكم وابن حبَّان.

هَشَشْتُ: أي: نَشِطْتُ وارتَحْت، يريد أنَّه خفّت نفسه واندفعت للتقبيل.

● وقال عطاء: إنْ تمضمض ثمَّ أفرغ ما في فيه من الماء، لا يضيره، إنْ لم يزدرد ريقَهُ، ومَاذَا بقي في فيه؟.

تاسعاً: دخول الذباب في الحلق.

● قال الحسن: إنْ دخل الذبابُ في حلق الصائم فلا شيء عليه.

● وعن ابن عباس في الرَّجل يَدْخُل في حلقه الذباب وهو صائم، قال: لا يفطر.

عاشراً: السَّعوط.

● قال الحسن: لا بأس بالسَّعوط للصائم، إن لم يصل إلى حلقه، ويكتحل.

حادي عشر: مضغ الْعِلْكِ.

● قال عطاء: لا يمضغ العلك، فإن ازدرد ريق العلْكِ لا أقول إنَّه يفطر، ولكن يُنْهَىٰ عنه.

ولعلَّه نهى عن العلك لما فيه من التشبه بالآكل، مع أنه لا يراه من المفطرات.

ويُراد من العلك اللّبـان الذي لا يتحلَّل منه شيء يدخل مع الريق إلى البطن، فإن كان فيه سكر أو نحوه وابتلعه فهو من المفطرات، لأنه من الأكل المفطِّر.

الفصل الثالث

أحكام نية الصيام وقطع الصوم في الفرض والنفل

نيَّة الصيام

● روى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

● وعن عبدالله بن عمر عن أخته حفصة أمّ المؤمنين، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلا صِيَام له».

وفي لفظ: «مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ من اللَّيْلِ فَلَا صِيَامَ له».

أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه، والدارقطني وأخرجه أيضاً ابن خزيمة وابن حِبَّانَ وَصَحَّحاه.

واختلف أئمة الحديث في رفعه إلى الرسول ﷺ، ووقفه على حفصة.

قال ابن حجر في الفتح: (وعمل بظاهر الإسناد جماعة من الأئمة،

فصحَّحوا الحديث المذكور، منهم ابن خزيمة، وابن حِبّان، والحاكم، وابن حزم، وروى له الدارقطني طريقاً آخر، وقال: رجالُهُ ثقات»[1].

وعلى هذا فهو حديث صالح للاحتجاج به.

يُجْمع: يعزم. ينوي.

● وعن عائشة أم المؤمنين قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رسُولُ الله ﷺ فقال: «هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟».

فَقُلْنَا: لا.

فقال: «فَإِنِّي إِذَنْ صَائِمٌ».

ثم أَتَانَا يَوْماً آخَرَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ.

فَقَال: «أَرِينيهِ فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائماً» فَأَكَلَ.

(الحَيْسُ): تمر يخلط بسمنٍ وأقط أو دقيق فيعجن شديداً ثم يزال منه نواه.

رواه: مسلم، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه.

وزاد النسائي في روايته: ثُمَّ قال: «إنَّما مَثَلُ صَوْمِ الْمُتَطَوِّعِ مَثَلُ الرَّجُلِ يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ الصَّدَقَةَ فَإِنْ شَاءَ أَمْضَاهَا، وإِنْ شَاءَ حَبَسَها».

وفي لفظ له أيضاً قال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّما مَنْزِلَةُ مَنْ صَامَ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ، أَوْ فِي التَّطَوُّعِ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ أَخْرَجَ صَدَقَةَ مَالِهِ، فَجَادَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْضَاهُ، وَبَخِلَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْسَكَهُ».

● وفي صحيح البخاري قوله: وَقَالَتْ أُمُّ الدرداء: كَانَ أبو الدَّرْداء يقول: عندكم طَعامٌ؟ فإنْ قُلْنَا لا، قال: فَإِنِّي صَائِمٌ يَوْمِي هَذَا، وفعله أبو طلحة، وأبو هريرة، وابنُ عبَّاسٍ، وحُذَيفَة، رضي الله عنهم.

---

(١) انظر فتح الباري الصفحة ١٤٢ من الجزء الرابع / الطبعة السلفية.

● وروى البخاري عن سلَمةَ بْنِ الأَكْوعِ: «أَنَّ النبيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلاً يُنَادِي فِي النَّاسِ يَوْمَ عَاشُوراءَ: أَنَّ مَنْ أَكَلَ فَلْيُتِمَّ أَوْ فَلْيَصُمْ، وَمَنْ لَمْ يَأْكُلْ فَلاَ يَأْكُلْ».

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ يستفاد من هذه الأحاديث أنَّ الصيام عبادة لا تصحُّ إلاَّ بالنيَّة، ويكفي فيها توجُّه الإرادة للعمل مع إحضاره أو حضوره في الذهن.

٢ ـ لدينا حديث حفصة وحديث عائشة.

أمَّا حديث حفصة ففيه النصّ على وجوب تبييت الصِّيام من الليل، فمن لم يُبَيِّتْه فَلاَ صيام له.

وأمَّا حديث عائشة فظاهره يدلُّ على جواز إنشاء نيَّة الصيام في النهار بالنسبة إلى من لم يتناول أو يفعل شيئاً مُنَافِياً للصوم، لكنَّهُ خاصّ بالتطوُّع.

والجمع بين الحديثين مع صحتهما هو الذي ينبغي المصير إليه.

فإذا نظرنا إلى ما رواه البخاري عن فعل عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، من أنَّهم كانوا ينشئون صوم التطوُّع في النهار إذا جاءوا إلى بيوتهم فلم يجدوا طعاماً، ترجَّح لدينا حمل ما روته حفصة على الفرض، وما روته عائشة على التطوُّع.

وأمَّا حديث صيام عاشوراء فلا دليل فيه لهذا الموضوع، لأن مشروعية صومه قد وقع التبليغ بها في اليوم نفسه، وهذا أمر يستوي فيه الفرض والنفل، والحال فيه كحال من أسلم أو بلغ أو شفي من جنونه في نهار رمضان، فإنَّه يمسك صائماً، وتُجْزِئُهُ النيّة من ساعة تعلُّق الوجوب به.

٣ ـ ويستفاد من حديث عائشة فيما زاده النسائي، أنَّه يجوز لمن نوى صيام تطوُّع أن يقطع صيامه متى شاء، فهو أمير نفسه.

ولهذه المسألة بحث خاصٌّ بها.

أقول الفقهاء:

١ ـ قال فريق يجب تبييت النيَّة من الليل، في الفرض والنفل جميعاً.

وهو قول ابن عمر وجابر من الصحابة، وإليه ذهب مالك والليث وابن أبي ذئب، واستثنى مالك من كان يسرد الصوم فإنَّه لا يحتاج إلى تبييت.

٢ ـ وذهب الجمهور إلى أنَّه يجب تبييت النيَّة من اللّيل في الفرض فقط، أمَّا النفل فيجوز أن ينويه الصائم قبل الزوال، ما لم يكن قد فَعَل أمراً منافياً للصوم قبل نيته، وإليه ذهب الشافعي في أحد قوليه، وهو الأصح عند الشافعية.

وقال فريق من هؤلاء: له أن ينوي الصيام في النهار متى بدا له، دون التقْييد بما قبل الزوال. وهو أحد قولي الشافعي، وذكر ابن المنذر أنَّه مذهب عدد من الصحابة منهم: أبو الدرداء، وطلحة، وأبو هريرة، وابن عباس، وحذيفة، وابن مسعود، وأبو أيوب، وغيرهم. وبه قال الإمام أحمد.

٣ ـ نقل ابن حجر في الفتح عن ابن قدامة قوله: تعتبر النيَّة في رمضان لكلّ يوم في قول الجمهور، وعن أحمد أنَّهُ تُجْزِئُهُ نـيَّةٌ واحدة لكلّ الشهر، وهو كقول مالك وإسحاق.

٤ ـ قال زُفَر من أصحاب أبي حنيفة: يصح صوم رمضان في حق المقيم الصحيح بغير نيّة، وبه قال عطاء ومجاهد، وعمدة هذا القول الرأي المجرَّد، وهو لا تنهض به حجَّة.

قطع صوم النفل

● روى البخاريُّ والترمذي وصحَّحه، عَنْ أبي جُحَيْفَةَ قال: آخَىٰ النَّبيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ.

فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَىٰ أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لها: مَا شَأْنُكِ؟

قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا.

فَجَاءَ أبو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَاماً، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ.

فَقَالَ: مَا أَنَا بَآكِلٍ حَتَّىٰ تأْكُلَ، فَأَكَلَ.

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ.

قال سلمان: نَـمْ، فَنَامَ. ثمَّ ذَهَبَ يقومُ.

فقال: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ.

قال سلمان: قُم الآنَ. فصلَّيا.

فقال له سلمان: إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، ولأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حقَّهُ.

فَأَتَىٰ النبيَّ ﷺ فذكر له ذَلِكَ، فقال النبي ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».

وفي رواية للبزَّار: فقال (أي سلمان): أقسمت عليك لَتُفْطِرَنَّ.

وكذا رواه ابن خزيمة، والدارقطني والطبراني وابنُ حِبان.

ولدى الترمذي وابن خزيمة زيادة «وَلضيْفِكَ عَلَيْكَ حَقّاً».

ولدى الدارقطني زيادة: «فَصُمْ وأَفطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ، وائْتِ أَهْلَكَ».

مُتَبَذِّلَة: أي: لابسة ثياب الْبِذْلَةِ، وهِيَ المهنة والعمل.

● وَعَنْ أُمِّ هَانِيء أنَّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَدَعَا بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَهَا، فَشَرِبَتْ، فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا إنِّي كُنْتُ صَائِمَةً، فَقَال رسولُ الله ﷺ: «الصَّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ أَمِيْرُ نَفْسِهِ، إنْ شَاءَ صَامَ وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ».

رواه أحمد والترمذي والدارقطني والطبراني والبيهقي.

وفي إسناده على ما ذكر الترمذي والبيهقيُّ مقال.

● وعن عائشة قالت: أُهْدِيَ لِحفْصَةَ طَعَامٌ، وَكُنَّا صَائِمَتَيْن فَأَفْطَرْنَا. ثُمَّ

دَخلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رسُولَ اللَّهِ، إِنَّا أُهْدِيتْ لَنَا هَدِيَّةٌ، واشْتَهَيْنَاهَا فَأَفْطَرْنَا، فقال رسول الله ﷺ: «لا عَلَيْكُمَا، صُوما مَكَانَهُ يَوْماً آخَرَ».

رواه أبو داود، والنسائي، قال الخطابي إسناده ضعيف.

● وروى مُسْلِمٌ عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال لي رسول الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: «يَا عَائِشَةُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟».

قالت: فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ.

قالَ: «فَإِنِّي صَائِمٌ».

قالت: فَخَرَجَ رسُولُ اللَّه ﷺ، فَأُهْدِيَتْ لَنَا هَدِيَّةٌ، أَوْ جَاءَنَا زَوْرٌ. قَالَتْ: فَلَمَّا رَجَعَ رسُولُ الله ﷺ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أُهْدِيَتْ لَنَا هَدِيَّةٌ، أَوْ جَاءَنَا زَوْرٌ، وَقَدْ خَبَأْتُ لَكَ شيئاً.

قَالَ: «مَا هُوَ؟».

قُلْتُ: حَيْسٌ.

قالَ: «هَاتِيهِ».

فجئْتُ بِهِ، فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ صَائماً».

زَوْرٌ: أي: زائرون، ويطلق على الواحد والجماعة قَلَّتْ أو كَثُرَتْ.

حَيْسٌ: هو تمر مع سَمْنٍ وَأَقِطٍ أَوْ دَقِيق. وقال الهروي: ثريدةٌ من أخلاط.

● وعن أبي سعيد قال: صنعت للنبيِّ ﷺ طَعَامَاً، فَلَمَّا وُضِعَ، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا صَائِمٌ، فقالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «دَعَاكَ أَخُوكَ وَتَكَلَّفَ لَكَ، أَفْطِرْ، وَصُمْ مَكَانَهُ إنْ شِئْتَ».

قال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن.

مَا يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ دلَّت هذه الأحاديث بجملتها، رغم أنَّ فيها أحاديثَ ضعيفة، على أنَّ للصائم المتطوِّع أنْ يُفْطِرَ إذا شاء، فهو أمير نفسه، إنْ شَاءَ أَتَمَّ صوْمَهُ، وإنْ شاء أفطر، فالشروع في صوم النفل غير ملزم.

٢ ـ ودلَّ ما جَاءَ في حديث عائشة: «لاَ عَلَيْكُمَا، صُومَا مَكَانَهُ يَوْماً آخرَ».

وما جاء في حديث أبي سعيد: «أَفْطِرْ، وَصُمْ مَكَانَهُ إنْ شِئْتَ».

عَلَى أَنَّ قَضَاءَ مَا أَفْطَرَه الصَّائمُ مِنْ تطـوّع بعد شروعه في صومه عمل مستحبٌّ وليس بواجب.

أقوال الفقهاء:

١ ـ ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الفطر من صوم التطوُّع، وأنَّه لا قضاء على من أفطر، إلَّا أنَّه يُستحبُّ لَهُ ذَلِكَ.

٢ ـ وروي عن مالكٍ جوازُ الْفِطْرِ وعدمُ القضاء إذا كان بعذر، والمنع من الفطر ووجوب القضاء إذَا كان بغير عُذْر.

ونقل ابن التين عن مذهب مالك: أنه لا يفطر لضيفٍ نزل به ولا لمن حلف عليه بالطلاق والعتاق.

٣ ـ وعن أبي حنيفة أنَّ مَنْ أفطر من صِيَام تطوُّع لزمه القضاء مطلقاً، قال ابن حجر في الفتح: (ذكره الطحاوي وغَيْرُه، وشَبَّهَهُ بِمَنْ أفسد حجَّ التطوع فإنَّ عليه قضاءه اتفاقاً).

وهذا قياس لا يصح للفارق بين الحجِّ والصوم، وللنصِّ الوارد في شأن الصوم.

الفصل الرابع

سنن وآداب للصائم

المسألة الأولى

يُسَنُّ تعجيل الفطر وتأخير السحور:

روى أبو داود وابنُ ماجه بإسنادٍ صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهراً ما عجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، لأَنَّ الْيَهُودَ والنَّصَارَىٰ يُؤَخِّرُونَ».

٢ ـ وروى البخاري ومسلم عن سَهْلِ بن سَعْدٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ».

٣ ـ وعن أبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: إنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً».

رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن غريب.

٤ ـ وعن عائشة أنَّها سُئِلَتْ عن رَجُلَين من أصحاب النبي ﷺ، أحدُهما يُعَجِّل الإفطار ويعجّل الصلاة، والآخر يؤخِّر الإفطار ويُؤْثِر الصلاة.

فقالت: أَيُّهُمَا يُعَجِّل الإفطارَ ويُعَجِّلُ الصلاةَ؟

فقيل لها: عبدالله بن مسعود.

قالت: هكذا صنع رسول الله ﷺ».

والآخر هو أبو موسى.

٥ ـ وروى ابن حِبّانَ والحاكم عن سهل بن سَعْدٍ أنَّ النبي ﷺ قال: «لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَىٰ سُنَّتِي مَا لَمْ تَنْتَظِرْ بِفِطْرِهَا النُّجُومَ».

قال ابن عبد البرّ: أحاديث تعجيل الإفطار وتأخير السحور صحاح متواترة.

وثبت بإسناد صحيح عن عَمْرو بن مَيْمُون الأَوْدِيّ قال: كان أصحاب محمَّد ﷺ أَسْرَعَ النَّاسِ إفطاراً، وأَبْطَأَهُمْ سُحُوراً.

وأرى أنَّ الأصل في هذه السنة ما دلَّ عليه قول الله عزَّ وجلَّ في آيات الصيام، في سورة (البقرة ٢): ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ .. (١٨٧)﴾.

والهدف من هذا هو التدريب على النظام وضبط الوقت تماماً بدءاً ونهاية، وإظهارُ الالتزام بأحكام الدين إباحةً ومنعاً، فحيثُ أو إذْ أباح فنحن نستبيح طاعةً لحكمة، وحيثُ أو إذْ مَنَعَ فنحنُ نَمْتَنِعُ طَاعةً لحكمه، ونكونُ بهذا الالتزام قد أظهرنا ديننا بعملنا، وأظهرنا تَقَيُّدَنا بِأَحْكَام شَرِيعَتِنَا، ضِمْنَ الحدود التي حدَّها لنا.

وهذا التدريب على الانْضِبَاط مع الحدود في المنع والإباحة مهمٌّ جدّاً، وخطير جدّاً في تكوين الجماعة، إذ الأُمَّة التي لا تتقيد بالنظام وأحكامه وحدوده لا تستطيع أن تُكَوِّن وحدة جماعيّة، ولا تستطيع أن تكوِّن قـوَّة غالبة ظاهرة على عدوِّها، مظهرةً لدين رَبِّها.

وهنا يظهر لنا بعض ما في الحديث الذي جاء فيه: «لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِراً مَا عَجَّلَ النَّاسُ الفِطْرَ».

يضاف إلى ذلك أنَّ تدخُّلَ الناس بآرائهم في تأخير الفطر، بحجَّةِ الاحتياط، والتريُّثِ، حتى يَرَوُا النجم، الذي يتأكَّدون عن طريق رؤيته من دخول الليل، باب تدخل منه بدعةٌ في الدين، وهي تجرُّ إلى أمثالها، حتى يكون الدين أُلعوبة في أيدي الناس، كما وقع لليهود والنصارى من قبل، فيضيع الدين بحشد البدع.

وبالالتزام بالحدود يتحقق ما قصد إليه الرسول بقوله: «لا يزال الناس بخيرٍ ما عجّلوا الفطر».

أي: لا يزال المسلمون بخير ما انضبطوا بحدود شريعتهم وأنظمتها.

وهذا الخير إنما يأتيهم بسبب التزام سنة الرسول والتقيد بها، وهذا يُعَمَّم على كلِّ أحكام الشريعة وحدودها، وقضيةُ تعجيل الفطر هي إحداها ونموذَجٌ من نماذجها.

وتعجيل الفطر يكون بنحو الأكل والشرب عقب غروب الشمس مباشرة، فقد روى البخاريّ ومسلم عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْل مِنْ هَهُنَا وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَهُنَا وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ».

ورَوَىٰ البخاري عن عبدالله بن أبي أَوْفَىٰ قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِبَعْضِ الْقَوْمِ: «يَا فُلَانُ قُمْ فَاجْدَحْ لَنَا».

فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله لَوْ أَمْسَيْتَ.

قَالَ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا».

قَالَ: يَا رَسُولَ الله فَلَوْ أَمْسَيْتَ.

قَالَ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا».

قَالَ: إنَّ عَلَيْكَ نَهاراً.

قَالَ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا».

فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُمْ، فَشَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ، ثم قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هَا هُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ».

لو أمسيت: أي: لو انتظرت حتى دخلتَ في المساء، وقد جاء في بعض الروايات أنَّه «بلال».

قوله: «فقد أَفْطَرَ الصَّائِم»: أي: فقد دخل في وقتِ الفِطرِ، كما يُقالُ: أَصبَحَ إذا دخل في وقت الصباح، وأمسىٰ إذا دخل في وقت المساء، ويؤيِّد هذا المعنى ما جاء في رواية «شعبة» بلفظ، «فقد حلَّ الإِفطار» كما ذكر ابن حجر في الفتح، ونقل عن ابن خزيمة أنَّه قال:

قوله: «**فقد أفطر الصَّائم**» لفظ خبر، ومعناه الأمر، أي: فليفطر الصائم.

قوله: «فَاجْدَحْ لَنَا»: أي: أَعِدَّ الطَّعَامَ لَنَا الذي نفطر عليه، والْجَدْحُ لغة: هو تحريكُ السوِيقِ ونَحْوِهِ بالماء بِعُودٍ يُقَالُ لَهُ: «الْمِجْدَحُ» وهو عُودٌ مجنَّح الرأس.

قال ابن منظور: المِجْدَحُ خشبةٌ في رأسها خَشَبتان معترضتان، وقيل: المِجْدَحُ ما يُجْدَحُ به، وهو خشبة طرفها ذو جوانب، والْجَدْحُ التجديح: الخوض بالمِجْدَحِ، يكون ذلك في السويق ونحوه.

* * *

المسألة الثانية

أن يفطر الصائم على تمر، فإن لم يجد فعلى حَسَواتٍ من ماءٍ، ثم بعد ذلك يُصلي، ثم يأكُل طعامه.

● روى الإمام أحمد والترمذي وأبو داود وغيرهم بإسناد صحيح عن

سَلْمَانَ بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَىٰ تَـمْرٍ فَـإِنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُفْطِرْ عَلَىٰ مَاءٍ فَإِنَّهُ طَهُورٌ».

● وروى أبو داود والترمذيُّ بإسنادٍ حسن عن أنسٍ قال: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَىٰ رُطَبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَتُمَيْرَات، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ حَسَىٰ حَسَواتٍ مِنْ مَاءٍ».

والحكمة من هذه السنة قد كشفها الأطباء المعاصرون، فهم يذكرون أنَّ أفضل شيء يدخل المعدة بعد صيام يوم كامل الرُّطَبُ، أو التمر، أو الماء وفق الترتيب النبـوي، بقدر ليس بالكثير، ثم الانتظار بمقدار صلاة المغرب والتهيُّؤِ لها، ثمَّ تناول طعام الإفطار دون إسراف.

وهذا ما أرشدت إليه السنة النبوية.

يقول: «د. صبري القباني» في كتابه «الغذاء لا الدواء»[1]:

(ولقد أثبت الطبُّ الحديث صحة سنة الرسول الأعظم في الصيام وفي الإفطار، فالصائم يستنفد في نهاره عادة معظم وقود جسده، أي: يستنفد السكر المكتنز في خلايا جسمه، وهبوط نسبة السكر في الدَّم عن حدِّها المعتاد هو الذي يسبِّب ما يشعر به الصائم من ضعف وكسل وزوغان في البصر، وعدم قدرة على التفكير والحركة.

لذا كان من الضروريّ أن نمدَّ أجسامنا بمقدار وافر من السكَّر ساعة الإفطار (لا أن نمدُّها بكميّات كبيرة من الموادّ الدهنية والنشوية...).

فالصائم المتراخي المتكاسل في أواخر يوم صيامه، تعود إليه قواه سريعاً، ويَدِبُّ النشاط إلى جسمه في أقلّ من ساعة، إذَا اقتصر في إفطاره على الموادّ السكريّة ببضع تمرات، مع كأس ماءٍ أو كأسٍ من الحليب، وبعد

(١) صفحة ١٢٦ في حديثه عن التمر.

ساعة يقوم الصائم إلى تناول عشائه المعتاد، ولهذا النمط من الإفطار ثلاث فوائد:

الأولى: أنَّ المعدة لا ترهق بما يقدَّم إليها من غذاءٍ دسم وفير، بعد أن كانت هاجعة نائمة طوال ثماني عشرة ساعة تقريباً، بل تبدأ عملها بالتدريج في هضم التمر السهل الامتصاص، ثمَّ بعد نصف ساعة يقدَّم إليها الإفطار المعتاد.

الثانية: أنَّ تناول التمر أوَّلاً يحدُّ من جشع الصائم، فلا يُقبلُ على المائدة لِيَلْتَهِم ما عليها بعجلة دون مضغ أو تذوّق.

الثالثة: أنَّ المعدة تستطيع هضم المواد السكريّة في التمر خلال نصف ساعة... فيزول الإحساس بالدوخة والتعب سريعاً) إلى آخر ما قال.

* * *

المسألة الثالثة

أن يدعو الصائم بدعاء الإفطار فيقول:

«اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ، وَعَلَىٰ رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ، ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وثَبَتَ الأَجْرُ إنْ شَاءَ الله».

فقد ورد بأسانيد قوية أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أفطر من صيامه يدعو بذلك.

وورد في بعضها زيادة «بسم الله» قبل الدعاء.

* * *

المسألة الرابعة

التّسحُّر ولو بلُقْمة.

● عن أنس أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «تَسَحَّرُوا فَإنَّ فِي السُّحُورِ بركة».

رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

● وعن عَمْرِو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ:

«فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ».

رواه مسلم وغيره.

● وعن ابن عبَّاس عن النبي ﷺ أنه قال: «استعينوا بطعام السحر على صيام النهار، وبقيلولة النهار على قيام الليل».

رواه ابن ماجه والحاكم.

● وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «السُّحُورُ بَرَكَةٌ فَلَا تَدَعُوهُ وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جَرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الْمُتَسَحِّرِين».

* * *

الفصل الخامس

أحكام القضاء

وجوب قضاء الصيام على من أفطر في رمضان بعذر شرعي

● روى البخاري عَنْ يَحْيَىٰ عن أبي سَلَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: «كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَهُ إلاَّ فِي شَعْبَانَ».

قال يَحْيَىٰ: الشُّغْلُ من النبيّ أو بالنَّبي ﷺ.

يعني أنه لا يجعلها تؤخر القضاء إلا اشتغالها بخدمة النبي صلى الله عليه وسلم

ورواه أيضاً مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه.

● وروى الدارقطني عن ابن عمر، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «قَضَاءُ رَمَضَانَ إنْ شَاءَ فَرَّقَ وَإِنْ شَاءَ تَابَعَ».

وقد صححه ابن الجوزي.

● وروى الدارقطني من حديث محمد بن المنكدر قال: بلغني: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنْ تَقْطِيعِ قَضَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَالَ: «ذَاكَ إِلَيْكَ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَىٰ أَحَدِكُمْ دَيْنٌ فَقَضَىٰ الدِّرْهَمَ وَالدِّرْهَمَيْنِ أَلَمْ يَكُنْ قَضَاءً، واللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يَعْفُو».

قال الدارقطني: هذا إسناد حسن لكنّه مرسل.

● وأَخْرَجَ الْبَيْهَقِي عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، ومُعاذِ بن جبل، وأنس، وأبي هريرة، ورافع بـن خديج، أحاديث مشابهة تَدُلُّ على جواز تفريق قضاء أيام رمضان.

وهي في أفراد لا يخلو كُلٌّ منها من مقال، لكنَّها في مجموعها يُقَوي بعضها بعضاً.

● وروى الدارقطني عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في رجل مَرِضَ فِي رَمَضَانَ فَأَفْطَرَ، ثُمَّ صَحَّ ولَمْ يصُمْ حتَّىٰ أَدْرَكَهُ رَمَضَانُ آخَرُ، فقال: «يَصُومُ الَّذِي أَدْرَكَهُ ثُمَّ يَصُومُ الشَّهْرَ الذي أَفْطَرَ فِيهِ، وَيُطْعِمُ كُلَّ يَوْمٍ مِسْكِيناً».

وهو حديث ضعيف الإسناد لا يحتج به.

لكنه ورد بإسناد صحيح على أنَّه من قول أبي هريرة، لا من كلام النبيِّ ﷺ.

● وروى الدارقطني عن عائشة قالت: «نَزَلَتْ: فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ مُتَتَابِعَاتٍ، فَسَقَطَتْ: مُتَتَابِعَات».

قال الدارقطني: إسناد صحيح.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ دلَّ حديث عائشة الصحيح على أنَّها كانت تُؤَخِّرُ مَا أفطرت من رمضَان إلى شهر شعبان، فكانت تصومه في شعبان، وصحَّ عنها أنَّها ما قضت ما فاتها صيامه من رمضان إلَّا في شعبان حتى قُبِضَ الرسول ﷺ، ومن المستبعد جدًّاً أن يكون عملها ذلك بغير علم الرسول، فدلَّ على أنَّ القضاء لا يجب على الفور، ولو كان يجب على الفور لَنَهَاهَا الرسول ﷺ عن هذا التأخير.

٢ ـ ودلَّ حديث ابن عمر، وعدَّة أحاديث أُخر يقوي بعضها بعضاً على أنَّ قضاء ما فات من رمضان متتابعاً لا يجبُ مُتَتَابعاً، بل يجوز مفرَّقاً وَمُتَتَابعاً.

وقد يكون التتابع أفضل ليوافق حال ما فات لو كان صامه أداءً.

وحديث عائشة الذي ذكرت فيه أنَّ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَر﴾ قد نزل أوَّل الأمر ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ مُتَتَابِعَات﴾ فسقطت «متتابعات».

وفي «موطأ الإمام مالك: أنَّها قراءة أُبَيّ بْنِ كَعْب.

إن كان مرادُها بسقوطِ متتابعات نَسْخَها، فالأصل نسخها لفظاً ومعنى، لأنَّ نسخ اللفظ مع بقاء المعنى يحتاج دليلاً خاصًّاً، وإذ لا دليل، فالحديث حجَّةٌ علىٰ أنَّه لا يجب التتابع.

وكونها قراءة أبي بن كعب مع عدم ثبوتها لا في المتواتر ولا في الشَّاذ لا يعطيها أيّ اعتبار حتى يحتج بها، ولو بقوَّة حديث الآحاد.

قال ابن عبَّاس فيما رواه البخاري: لا بأس أن يُفَرَّقَ لقول الله تَعَالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

٣ ـ من لم يقض ما فاته من رمضان حتَّى أدركه رمضان آخر، يبقى وجوب القضاء في ذمته، ويؤدي صيام رمضان الجديد.

وهل عليه للتأخير إطعام مسكين عن كلِّ يوم؟

والجواب: لا نجد حديثاً صحيحاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ يوجب هذا الإطعام.

لكنَّه ثبت موقوفاً على عدد من الصحابة، ونقل الطحاوي عن يحيى بن أكثم قال: وجدته عن ستة من الصحابة لا أعلم لهم مخالفاً.

لذا أقول: لا تكفي أقوال الصحابة للحكم بإيجاب الإطعام مع وجود الخلاف، والله أعلم، لاحتمال أن يكون اجتهاداً منهم.

لكنَّ الأفضل لمن قصَّر في القضاء ولم يكن له عذر في التأخير، أن يطعم، مع اشتغال ذمته بوجوب القضاء، لأنَّ اتفاق جملة من أصحاب رسول

الله ﷺ على حكم من الأحكام يُعطيه ترجيحاً، وإذا لم يَقْوَ الترجيح على الإيجاب فلا أقلَّ من اعتباره أمراً مستحبّاً.

أقوال الفقهاء:

١ ـ اختلفوا في وجوب التتابع في القضاء.

فجمهور الفُقهاء على أنَّه لا يجب التتابع في القضاء، وقيل: يجب التتابع، ونُقل عن عائشة، وابن عمر، وهو قول بعض أهل الظاهر، وحُكي عن النَخَعي وغيره، وهو أحد قولي الشافعي.

٢ ـ واختلفوا فيمن لم يقض ما فاته من رمضان حتى أدركه رَمضانُ آخر.

فجمهور الفقهاء قالوا: يجب عليه أن يطعم عن كلِّ يوم مسكيناً، مع بقاء القضاء في ذمته، وذلك للتأخير.

وقال آخرون: لا يجب الإطعام للتأخير، ومنهم النَخَعِي، وأبو حنيفة وأصحابه.

وقال فريق: يجب الإطعام ويسقط القضاء، وبه قال ابن عباس، وابن عمر، وقتادة، وسعيد بن المسيب.

٣ ـ والظاهر اتفاقهم على أنَّه لا يجب القضاء فوراً، فلم أقرأْ خلافاً في هذه المسألة.

* * *

قضاء الصيام عن الميت

● روى البخاريّ ومسلم عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَليُّهُ».

وعند البزَّار: «فليصُمْ عنه وليُّهُ إن شاء» قال في مجمعَ الزوائد: وإسناده حسن.

● وروى البخاري عن عبدالله بن عباس قال: «جَاءَ رَجُلٌ إلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ الله، إنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَقْضِيهِ عنها؟

قال: «فَدَيْنُ الله أَحَقُّ أَنْ يُقْضَىٰ».

ورواه مسلم بزيادة: «لَوْ كَانَ عَلَىٰ أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ عنها؟» قال: «نعم.».

● وروى مسلم عن عبدالله بن عبَّاس: أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ الله ﷺ فقالت: إنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ؟

فَقَالَ: «أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتِ تَقْضِيهِ؟».

قالت: نعم.

قال: «فدَيْـنُ اللَّهِ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ».

وفي رواية: «إنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَيْهَا صَوْمُ نَذْرٍ».

وكذلك عند البخاري.

● وروى مسلم عن عبدالله بن بُرَيْدَةَ عَنْ أبيه قَالَ: «بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: «إنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَىٰ أُمِّي بِجَارِيَة وإنَّها مَاتَتْ» قال:

فقال: «وَجَبَ أَجْرُكِ وَرَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيْرَاثُ».

قالت: يا رَسُولَ الله إنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَصُومُ عَنْهَا؟.

قال: «صُومِي عَنْهَا».

قالت: إنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟.

قال: «حُجِّي عَنْهَا».

ورواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه، وفي رواية عند مسلم: (إنَّه كان عليها صوم شَهْرَيْنِ).

● وأخرج النَّسائي بإسناد صحيح عن ابن عبَّاس أنَّه قال: (لا يُصَلِّ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلَا يَصُمْ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ).

وهذه فتوى من ابن عبَّاس لم يرفعها إلى الرسول ﷺ، وهي على خلاف ما روي عن الرسول صلوات الله عليه.

وروى عبد الرزاق نظير ذلك عن ابن عمر، وروى البيهقي عن عائشة أيضاً أنَّها قالت: (لَا تَصُومُوا عن مَوْتَاكُمْ وأَطْعِمُوا عَنْهُمْ) وهذه فتوى منها على خلاف ما روت عن الرسول ﷺ.

ما يُستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ دلَّت هذه الأحاديث على استحباب أن يصومَ وأن يحجَّ الفرع عن أصله إذَا مَاتَ وَكَانَ عَليه صَوْمٌ أَوْ حَجٌّ، وكذلك كلُّ أوليائه لحديث عائشة «صام عنه وليُّه».

والولي هو كلُّ قريب له، ولا داعي لحصره بالوارث، وقول من حصر الولي بالعصبة ساقط، لأنَّ المرأة السائلة في الأحاديث صاحبة فرض في ميراثها من أمّها التي تريد أن تصوم عنها، وليست عصبة.

وليس في الأحاديث ما يدلُّ على وجوب صوم الولي أو حجّه عن ميّته الذي مات وعليه صيام أو حج، بل فيها ما يدلُّ على الإذن والاستحباب.

٢ ـ علّم الرسول ﷺ السائل والسائلة دليل القياس، إذْ قاسَ حقَّ اللَّهِ الدينيَّ المسؤُولَ عَنْه على حق العباد المالي المعلوم لهما سابقاً، فقال: «لو كان على أُمِّكَ دينٌ أكنتَ قاضيَه عنها؟» قال: نعم. قال: «فدينُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَىٰ».

وكذلكَ قالَ للمرأة.

أقوال الفقهاء:

١ ـ رُوِيَ عن ابن عباس وعائشة عدم الإذن بالصيام عن الميت على خلاف ما رَوَيا عن الرسول فيما ثبت في الصحيح، وفتوى الصحابي ولو صحت الرواية عنه لا تطعن في صحة الاستدلال بما روياه عن الرسول ﷺ، إذ الاحتمالات المسقطة للأخذ بفتواه كثيرة، على أن ما روياهُ عن الرسول أقوى سنداً مما روي عن فتواهما.

٢ ـ قال النووي في شرح مسلم: (اختلف العلماء فيمن مات وعليه صوم واجب من رمضان أو قضاء أو نذر أو غيره، هل يُقضَىٰ عنه؟

وللشافعي في المسألة قولان مشهوران: أشهرهما لا يُصام عنه، ولا يصحُّ عن ميّتٍ صومٌ أصلاً. والثاني يُستحبُّ لوليّه أن يصوم عنه، ويصحّ صومه عنه، ويبرأ به الميِّت ولا يحتاج إلى إطعام عنه، وهذا القول هو الصحيح المختار الذي نعتقده، وهو الذي صححه محققو أصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث، لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة).

وقال: (وممن قال به من السلف: طاوس، والحسن البصري، والزهري، وقتادة، وأبو ثور. وبه قال اللّيث، وأحمد، وإسحاق، وأبو عبيد في صوم النذر، دون رمضان وغيره»[1] انتهى.

ونقل ابن حجر في الفتح ما يلي: (وقال البيهقي في «الخلافيات»: هذه المسألة ثَابتة، لا أعلم خلافاً بين أهل الحديث في صحّتها، فوجب العمل بها، ثُمَّ ساق بسنده إلى الشافعي قال: كُلُّ ما قُلتُ وصَحَّ عن النبيّ ﷺ خلافُهُ فخذوا بالحديثِ ولا تقلّدوني)[2] انتهى.

٣ ـ وقال النووي في شرح مسلم: (وذهب الجمهور إلى أنَّه لا يُصامُ

---

(١) انظر شرح مسلم الجزء الثامن الصفحة ٢٥/٢٦.

(٢) انظر فتح الباري الجزء الرابع ص ١٩٣.

عن ميِّت لا نذرٌ ولا غيره، حكاه ابن المنذر عن ابن عمر، وابن عباس، وعائشة، ورواية عن الحسن والزهري، وبه قال مالك وأبو حنيفة.

قال القاضي عياض وغيره: [هـو قول جمهـور العلماء، وتـأوَّلوا الحديث على أنَّه يُطْعِم عنه وليه]، وهذا تأويل ضعيف، بل باطل، وأيُّ ضرورة إليه؟! وأيُّ مانع يمنع من العمل بظاهره، مع تظاهر الأحاديث وعدم المعارض لهـا)[1] انتهى.

وجوب القضاء على من أفطر في رمضان بغير عذر

قال البخاري في صحيحه: وَيُذْكَر عن أبي هريرة رَفَعَهُ: «مَنْ أَفْطَرَ يَوْماً مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غير عِلَّةٍ وَلاَ مَرَضٍ لَمْ يَقْضِهِ صِيَامُ الدَّهْرِ وإنْ صَامَهُ».

وبه قال ابن مسعود.

وقال سعيدُ بن المسيِّبِ والشَّعْبِي وابْنُ جُبَيْرٍ وإبراهيمُ وقتادة وحَمَّاد: يقضي يوماً مكانه.

قال ابن حجر في الفتح:[1] والذي يظهر لي أنَّ البخاريّ أشار بالآثار التي ذكرها إلى أنَّ إيجاب القضاء مختلف فيه بين السلف.

أقول: ووجوب القضاء هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من السلف والخلف، وهو الحقُّ الذي تؤيِّده الأدلة إن شاء الله.

بحث في قضاء ما تُرك عمداً من فرائض العبادات
وفي قيام بعض المسلمين به عن بعض

تدبّر النّصوص المتعلّقة بفرائض الإسلام الأربع: (الصلاة، والزكاة، والصِّيام، والحجُّ» يكشف لنا أنَّها فرائض ذوات أوقات.

(١) انظر الفتح الصفحة ١٦١ من الجزء الرابع.

فالصلوات الخمس ذوات أوقات محدَّدة، لكنَّ هذه الأوقات موسعة، فالوقت منها يمكن أن تؤدِّي الصلاةُ المفروضة بجزء من أجزائه، من أوّله، أو من آخره، أو مما بينهما بقدر تقطيع الوقتِ إلى أجزاء يكفي الجزء منها لأداء الصلاة.

والزكاة وقت أدائها عقب نهاية حول المال، أو يوم حصاد الزرع، أو عقب استخراج المعدن أو الكنز.

والصيام ذو وقت محدَّد غير موسّع، بل وقته معيارٌ له، ويجب أن يكون مستَغْرَقاً به، فنهار الصوم من رمضان يجب أن يكون مستَغْرَقاً بالصِّيام من طلوع الفجر الصادق حتَّى غروب الشمس. وشهرُ رمضان يجب أن يكون كلُّ نهارٍ من كلِّ أيامه مستَغْرَقاً بالصيام، منذ رؤية هلال رمضان حتى رؤية هلال شوال.

والحجّ ذو وقت موسع، ووقت أداءِ كل فَريضتِهِ بالنسبة إلى المكلَّف أيّام الحجِّ من كلِّ سنوات عمره، بدءاً من سنة استطاعته، حتى سنة موته. ولأعمال الحجِّ بعد الإحرام به أوقات موسعة، كالوقوف بعرفة إذْ يتحقق أداء الركن بالوقوف بعرفة في جزء من أجزاء اليوم التاسع من شهر ذي الحجة، بدءاً من زوال الشمس حتى طلوع الفجر الصادق من اليوم العاشر من شهر ذي الحجة، وكطواف الإفاضة، والسعي، ورمي الجمار، كذلك بدء الإحرام بالحجِّ فوقته موسَّع من أول يوم من شوال، حتى يوم الوقوف بعرفة.

* * *

وتدبّر النصوص بشكل عامّ يكشف لنا أنَّ التكليف في فرائض الإسلام هذه تناول واجبين:

الواجب الأول: أداء العمل المفروض، ولا يتعلَّق الوجوب إلَّا مع أوَّل الوقت المحدَّد موسّعاً كان أو معياراً.

الواجب الثاني: أن يكون أداء العمل المفروض في الوقت المحدَّد له.

فمن لم يؤدِّ الفريضة في الوقت المحدَّد لها عصى بالنسبة إلى أداء العمل الواجب في الوقت المحدَّد.

ولكن: هل يفوته نهائيّاً استدراك أداء العمل المفروض في وقت آخر مماثل، أو مكافىء، أو صالح لقضاء العمل فيه بحكم الشرع، وتلزمه المعصية في الواجب الأول بعد أن عصى في الواجب الثاني؟

أَوْلَهُ أن يستدرك بالنسبة إلى الواجب الأول، فيؤدِّي العمل المفروض في وقت آخر مماثل، أو مكافىء، أو صالح لقضاء العمل فيه بحكم الشرع.

لدينا طائفة من الأحاديث الواردة في السنة يمكن أن تهدينا إلى الصواب في هذه المسألة إن شاء الله.

حول الحج:

١ - روى البخاريُّ عن ابن عباس: أنَّ امرأة من جُهَيْنَةَ جاءت إلى النبيِّ ﷺ فقالت: «إنَّ أُمِّي نَذَرَت أَنْ تَحُجَّ فلم تَحُج حتَّى ماتت، أفأحجُّ عنها؟ قال: «نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَىٰ أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟. اقْضُوا اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحقُّ بِالْوَفَاءِ».

وعند النسائي بمعناه.

٢ - وروى البخاري وأحمد عن ابن عبَّاس قال: أتى رجل إلى النَّبي ﷺ فقال له: إنَّ أُخْتِي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، وإنَّها ماتت.

فقال النبي ﷺ: «لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ! أَكُنْتَ قَاضِيَهُ؟».

قال: نعم.

قال: «فَاقْضِ اللَّهَ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ».

الاستنباط الفقهي:

فهذا نذر واجب، وقتُ أدائه عُمْرُ نَاذِرِهِ، وقد ذهب الوقت، فهل سقط

بذهاب الوقت فعل العبادة المنذورة، فلا سبيل إلى القضاء؟.

لقد أفتى الرسول ﷺ السائلةَ والسائلِ بخلاف هذا، فقال للسائلة: «حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَىٰ أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟. اقْضُوا اللَّه فَاللَّهُ أَحَقُّ بالْوَفَاء».

وقال للسائل: بمثل ما قال للسائلة.

وعلّمنا الرسول ﷺ في إجابته، أن نقيس حقُوقَ الله على حقوق العباد، ولهذا القياس الذي علَّمنا إيَّاهُ رسول الله ﷺ حُكْمُ القاعدة العامَّة التي تُطَبَّق في كُلِّ الحقوق، إلَّا ما ورد نصٌّ خاصٌّ باستثنائه.

٣ ـ وعن ابن عباس قال: أَتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: إنَّ أبي مات وعليه حجّة الإِسلام، أَفَأحجُّ عنه؟

قال: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ أَبَاكَ تَرَكَ دَيْناً عَلَيْهِ أَقَضَيْتَهُ عَنْهُ؟».

قال: نعم.

قال: «فَاحْجُجْ عَنْ أَبِيكَ».

رواه الدارقطني، والنسائي، والشافعي، وابن ماجه.

الاستنباط الفقهي:

فهذه حجَّة الإِسلام، ووقتها المحدَّد لها هو عمر المكلَّف، وقد انقضىٰ الوقت بموته، وانقطع عمله، فهل سقط بذهاب الوقت تدارك الأمر مطلقاً، وتعذَّر أن يَقْضيَ أحد عنه؟

لقد أفتى الرسول ﷺ السائل بخلاف هذا، فقاس حقّ الله على حقّ العباد، وقال لهُ: «فَاحْجُجْ عَنْ أَبِيكَ».

حول الصيام:

٤ ـ وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس: أنَّ امرأةً قالت: يا رسول

الله، إنَّ أُمِّي ماتَتْ وعليها صومُ نذْرٍ، فَأصوم عنها؟

فقال: «أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَىٰ أُمِّك دَيْنٌ فقَضَيْتِهِ، أَكَانَ يُؤَدِّي ذَلكَ عَنْهَا؟».

قالت: نعم.

قال: «فَصُومِي عَنْ أُمِّكِ».

٥ - وأخرج أحمد والنسائي وأبو داود، عن ابن عباس: أنَّ امرأةً ركبت البحر، فَنَذَرتْ إنِ اللَّهُ نَجَّاهَا أن تَصُومَ شهراً، فَأَنجاها الله فلم تَصُمْ حَتَّى ماتت، فجاءت قَرَابَةٌ لها إلى رسول الله ﷺ فذكرتْ ذلك.

فقال: «صُومِي عَنْهَا».

٦ - وروى البخاري ومسلم عن عائشة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ».

٧ - وعن بُريدة قال: بَيْنَا أَنَا جالسٌ عند رسول الله ﷺ، إذْ أَتتهُ امرأةٌ فقالت: إنِّي تَصَدَّقْتُ على أُمِّي بجارية، وإنَّها مَاتَتْ.

فقال: «وَجَبَ أَجْرُكِ، وَرَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيرَاثُ».

قالت: يا رسولَ الله، إنَّهُ كانَ عَلَيها صَوْمُ شهرٍ (وفي روايةٍ عند مسلم: صِيَامُ شَهرين) أَفَأَصومُ عنها؟.

قال: «صُومِي عَنْها».

قالت: إنَّها لم تحجّ قطُّ، أفأحجُّ عنها؟

قال: «حُجِّي عَنْها».

رواه مسلم، وأحمد، وأبو داود، والترمذيّ وصحَّحه.

الاستنباط الفقهي:

دارت هذه الأحاديث الأربعة حول صوم الحيِّ عن الميت.

● فحديثا ابن عبَّاس في كل منهما قال الرسول ﷺ للبنت بالنسبة إلى نذر أمّها من الصوم إذْ ماتت ولم تصُمْهُ: «صومي عن أُمِّك» مع أنَّ الصوم عبادة محضة.

ومعلوم أنَّ وقت صوم النذر عُمْرُ نَاذِره، وقد انتهى الوقت بموته، فهل سقط بذهاب الوقت تداركُ الأمر مطلقاً، وتعذُّر أنْ يَقْضِيَ أحدٌ عنه؟

لقد أفتى الرسول ﷺ السائلة في كلٍّ منهما بخلاف هذا، فقاس حقَّ الله على حق العباد، وقال: «فصُومِي عَنْ أُمِّكِ».

● وحديث عائشة جاء عامًّا في كلِّ صيام واجبٍ، غَيْرَ خاصٍ بصيام النذر، وهو يعمُّ ما على المكلَّف من قضاءِ رمضان.

لكنَّ وقت القضاء المحدَّد هو عمر المكلَّف، وقد انتهى بالموت، فهل تعذّر التدارك.

لقد بيَّن الرسول ﷺ أنَّ بإمكانِ وليِّه أن يقضيَ عنه، فيصومَ عنه ما عليه من صيامٍ لم يؤدِّه في حياته.

● وحديث بُرَيْدَةَ قال الرسول ﷺ فيه لـلسائلة عن نذر صوم نذرته أمُّها وماتت دون أن تصومه: «صُومِي عَنْها» وعن حجَّة الإسلام التي لم تحجَّها: «حُجِّي عنها».

وكلّ ذلك فيما يظهر تبرُّع دون استئجار ولا إنابةٍ ولا توكيل.

* * *

حول الصلاة:

٨ ـ وروى مسلم عن أبي ذرّ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، أو يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟».

قلتُ: فَمَا تأْمُرني؟

قال: «صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ، فإنَّها لَكَ نَافِلَةٌ».

٩ - وروى أبو داود بإسناد صحيح عن عُبَادَةَ بن الصامت قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «إنَّهَا تَكُونُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي أُمَرَاءُ، يَشْغَلُهُمْ أَشْيَاءُ عن الصَّلاَةِ لِوَقْتِهَا حَتَّىٰ يَذْهَبَ وَقْتُهَا، فَصَلُّوا الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا».

فقال رجلٌ: يا رَسُولَ الله، أُصَلِّي مَعَهُمْ.

قال: «نعم».

ففي هذين الحديثين دليلٌ على أنَّ تأخير الصلاة المفروضة عن وقتها كلّه دون نوم ولا نسيان أو غفلة، معصية لا يَسْقُطُ بها انشغال الذمَّة بوجوب قضاء الصلاة المفروضة، إذْ لم يُبيِّن الرسول ﷺ فيهما أنَّ صلاة هؤلاء الأمراء العصاة خارج الوقت صلاةٌ غير مقبولة، وهم يرون أنَّهم يصلونها خارج وقتها قضاءً.

بل قال لأبي ذرّ: «فإنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإنَّها لَكَ نَافِلَةٌ».

وأذِن للسائل في الحديث الآخر بأن يُصلِّي معهم.

فلو لم تقع عنهم قضاءً لقال الرسول ﷺ: ولا تجزىء عن فريضتهم، ولو كانت لا تصحُّ منهم لما أذن بالصلاة معهم.

١٠ - وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك، أنَّ النبي ﷺ، قال: «مَنْ نَسِيَ صَلاَةً أَوْ نَامَ عَنْهَا فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُصَلِّيَهَا إذَا ذَكَرَهَا» وفي رواية: «لاَ كَفَّارَةَ لَهَا إلاَّ ذلك».

وقد عبَّر الرَّسول بالكفَّارة، مع رفع المؤاخذة عن الناسي والنائم بالنسبة إلى هذه الأُمَّة، إشارةً إلى احتمال أن يكون النسيان أو الاستمرار في النوم ناشئين عن تقصيرٍ من المكلَّف، وأنَّهُ قد كان بإمكانه أن يتَّخذ وسيلة تُذَكِّره أو توقظه من نومه أو أن يزيد من اهتمامه حتى لا ينسىٰ، لكنَّ عفو الله وما أراد من تيسير في هذا الدين هما السبب في رفع المؤاخذة عنه، مع احتمال أن يكون العدل يقتضي ترتيب المسؤولية عليه.

١١ - وروى مسلم عن أنس أيضاً، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ أَوْ غَفَلَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، فَإِنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي».

١٢ - وروى مسلم وأحمد والنسائي وأبو داود وابن ماجه، عن أبي هريرة عنِ النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَها، فإنَّ الله تعالى يقول: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي».

١٣ - وروى مسلم عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ إنَّما التَّفْرِيطُ في الْيَقَظَةِ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ صَلَاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، فإنَّ اللَّهَ تعالى قال: وأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي».

الاستشهاد بقول الله ﴿أقم الصلاة لذكري﴾ في هذه الأحاديث يرى بعض المحدِّثين أنَّه استشهاد من الراوي لا من كلام الرسول ﷺ.

الاستنباط الفقهي:

دلَّت هذه الأحاديث على أنَّ مرور كلّ وقت الصلاة على المكلَّف الناسي أو النائم أو الغافل، لم يُسْقط عنه فرض الصلاة بذاتها، إنَّما أسقط عنه إثم التأخير، فدلَّ هذا على أنَّ التكليف موجَّه لأمرين.

الأوَّل: فعلُ الصلاة بذاتها.

الثاني: كون أدائها في الوقت المحدَّد لها.

فإذا رفعت المؤاخذة عن أدائها في وقتها، لم يرتفع توجُّه الأمر بفعلها في وقت آخر، ويكون وقت التذكر أو الصحو من النوم هو الوقت البديل بالنسبة إلى الناسي أو الغافل أو النائم.

ومن هذا نفهم أنَّ الصلاة لا يسقط توجُّه الأمر بها إذا انتهىٰ وقتُها المحدَّد لها، ولم يؤدِّها المكلَّف.

وليس في هذه الأحاديث مستمسك لمن قال: إنَّ الرسول ﷺ أمرَ الناسي والغافل والنائم بالصلاة، ولم يأمر العامد، فدلَّ الحديث على أنَّ

العامد لا يقضي، ويلزمه إثْمُ تركِ الصلاة، لأن الأمر بقضاء الصلاة بني على شرط النسيان، أو النوم أو الغفلة، فإذا انتفىٰ الشرط انتفى المشروط.

وأرى أنَّ هذا لا يفيد المدَّعَىٰ، لأنَّ المعنى: فوقت أداء الصلاة بالنسبة إلى الناسي والغافل والنائم وقتُ تذكُّرها، بعد انقضاء وقتها المحدَّد، فلا إثم عليه في التأخير.

أمَّا بالنسبة إلى العامد فإنَّه يقضي وعليه إثم التأخير. هذا ما يفهم من الشرط، والله أعلم.

تأخير الصلاة دون نسيان أو غفلة أو نوم:

١٤ ـ وروى البخاري عن جابر بن عبدالله: أنَّ عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس، فجعل يَسُبُّ كفَّار قريش، قال: يا رسول الله، ما كِدتُ أُصَلِّي العصر حتى كادت الشمس تغربُ.

قال النبي ﷺ «وَاللَّه مَا صَلَّيتُهَا».

قال جابر: فَقُمْنَا إلى بُطْحَانَ، فَتَوَضَّأَ (أي: النبي ﷺ) للصلاة، وَتَوَضَّأْنَا لها، فصلَّىٰ الْعَصْرَ بَعْدَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّىٰ بَعْدَهَا الْمَغْرِب.

الاستنباط الفقهي:

ظاهر الأمر أنَّ تأخير صلاة العصر عن وقتها قَدْ كان بسبب الاشتغال بأمر مُحَاصِري المدينة من وراء الخندقِ من المشركين.

وادِّعاءُ أنَّ قضاء الصلاة التي تفوت بسبب الاشتغال بأمر مُهمّ، قد نُسِخَ بعد نزول حكم صلاة الخوف ادِّعاءٌ يُعوِزُه الدليل النَّاصّ على ذلك من الشارع.

فالحديث يدلُّ على أنَّ الصلاة تُقضَىٰ بعد وقتها المحدَّد لها، ولو تُرِكَ أداؤُها عمداً في وقتها، ويدلُّ على أنَّه إذَا فَاتَ أحد الواجبين وهو أداء الصلاة في الوقت المحدد لها، لم يفُتِ الواجب الآخر، وهو أداء ذات الصلاة.

آثار مرويّة:

● ذكر البخاري أنَّ عبدالله بن عمر أمر امرأةً جعلت أُمُّها على نفسها صلاةً بقُباء، فقال لها: صلي عنها.

وذكر أنَّ ابن عباس أفتى بنحو ذلك.

● وأخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح عن سعيد بن جبير، أنَّ ابن عبَّاس قال: «إذا مات وعليه نذر قضى عنه وليُّه».

(عن ابن حجر في الفتح صفحة ٥٨٤ الجزء ١١).

● ومن طريق عون بن عبدالله عن عتبة، أنَّ امرأةً نذرت أن تعتكف عشرة أيّام، فماتت ولم تعتكف، فقال ابن عباس: «فاعتكف عن أمّك».

* * *

حول الزكاة:

إذا كان القضاء عن الميت في العبادات البدنيَّة مشروعاً، فالزكاة التي هي عبادةٌ وحقٌّ مـاليّ من باب أولى.

وقد أجمع العلماء على أنَّها تظلُّ بعد وقت وجوبها دَيْناً في ذمة من وجبت عليه، وأنَّها تُقضىٰ بعد وقتها، وتقضى من ماله إذا توفِّي، وتُقضىٰ عنه من مال غيره.

* * *

خلاصة الاستنباط الفقهي بوجه عام:

هذه النُّصوص المتعدِّدة الواردة في أبواب مختلفة من أبواب العبادات، تدلُّ فيما أرى دلالة واضحة على أنَّ العبادة ذات الوقت المحدَّد إذا لم تؤدّ في وقتها ولو عمداً، فإنَّ ذمَّة المكلَّف تبقىٰ مشغولةً بها حتى يؤدِّيها، وأنَّه يمكن قضاؤها خارج وقتها، في وقت يصحُّ أداء مثلها فيه. فالصوم مثلاً يُقضىٰ في نهار لا يحرم صومه، ولا يجب صومه بتكليف آخر. والحجُّ يُقْضَىٰ

في وقت الحجّ من السنة، والصلاةُ تُقْضَىٰ في أيِّ وقت تقع فيه صلاة مفروضة.

ويسقط بالقضاء أحد الواجبين، وهو فعل العبادة، لكنَّ الواجب الآخر، وهو كون العبادة في الوقت المحدَّد لها، قد ارتكب العامد بالنسبة إليه إثماً، لعدم القدرة على استرجاع الزمن، ولم يبق إلاَّ الاستغفار والتوبة، وعفو الله وغفرانه.

وهذا هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من السلف والخلف.

وخالف في ذلك بالنسبة إلى الصلاة(١)، داود، وابن حزم، وبعض أصحاب الشافعي، وتبعهم في ذلك الإمام ابن تيميّة، فقالوا: من ترك الصلاة عمداً لزمه الإثم كلُّه، ولا تُقضىٰ الفائتة منها. ونازع ابن تيميَّة في قبول القضاء منه، وفي صحة الصلاة في غير وقتها.

وتمسَّكَ من خالف في الصيام بما رواه أبو هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «مَنْ أَفْطَرَ يَوْمَاً مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَلاَ مَرَضٍ لَمْ يقضِهِ صِيَامُ الدَّهْرِ وَإنْ صَامَهُ».

وبه قال ابن مسعود.

لكنِّي أرى أنَّ هذا الحديث لا يدلُّ على عدم وجوب قضاء يوم الصوم الذي أفطره المكلَّف عمداً دون عذر شرعي، بل يدلُّ على أنَّ القضاء لا يُعَادِلُ الأداء الواجب، لأن الأداء يسقط تكليفين، هما: العمل نفسه، وكونُه في الوقت المحدَّد له.

أمَّا القضاء فإذا سقط به واجب العمل فإنَّه لا يسقط به إثْمُ عدمِ إيقاعه في الوقت المحدَّد له، وقد مضى الزمن ولا رجعة له.

أمَّا قول الله عزَّ وجل في سورة (النجم ٥٣): ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩)﴾.

---

(١) على ما نقل الشوكاني في نيل الأوطار. الجزء الثاني صفحة ٢ فما بعدها.

فهو يقرِّر قاعدة أساسيَّةً في الجزاء، مقابلة للقاعدة المبيّنة في قول الله عزَّ وجلَّ في سورة (الأنعام ٦): ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (١٦٤)﴾.

أي: فكما لا تكسب نفس من الإثم إلَّا إثماً عليها تتحمَّل هي مسؤوليته تحمُّلًا كاملًا، وكما لا تَتَحَمَّلُ نفسٌ مؤهلةٌ لأن تحمل الوزر بكسبها وزر نفس أخرى، لا يستحقُّ الإنسانُ ثواب سعي غيره دون كسبٍ منه، فليس له أن يطالب الله به يوم الدين.

لكنَّ هذا لا يستلزم أن لا يصله بفضل الله ثواب سعي سعاه غيره له دون كسب منه، مع استحقاق الساعي أجر عمله وافراً مضاعفاً غير منقوص الفضل.

وإذا استثنينا ما جاء به النصّ القطعي، فأبان أنَّه لا يكون، كقول الله عزَّ وجلَّ في سورة (النساء ٤): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْماً عظيماً (٤٨)﴾.

فإنَّ كلَّ فضل من الله بعد ذلك يمكن أن يصل إلى العباد دون استحقاق بكسبٍ منهم، إذْ لا حجر على الله عزَّ وجل.

أمَّا ما فيه للعبد كسب ما، أو آثار كسب ما، فهو لا يتعارضْ ابتداءً مع قاعدة: ﴿وَأَنْ لَيْسَ للإنسان إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.

فولد الرجل من آثار كسبه، فيمكن أن يندرج عمل الولد في عموم كسب الأب إذا كان الأب مؤمناً، وعمل خيراً ما في تنشئة ولده وتربيته، كمن يزرع شجرة فينتفع منها منتفع من إنسان أو دابَّة أو طير، في حياته أو بعد موته.

وما يكسبُه تلميذُ المعلِّم المسلم الناصح من خير لمعلِّمه تأثيرٌ ما في كسبه، فيقال فيه ما يقال بالنسبة إلى الولد.

إلى غير ذلك من أمور كثيرة لا تحصى.

لذلك وجدنا الأحاديث النبويَّة تميل إلى أن يكون فاعل العبادة عن غيره ولَدَه، ليكون العمل من آثار كسبه، فيدخل ضمن ما يستحق من طاعة، أو أن يكون فاعل العبادة عن غيره وليَّهُ أو قريباً له، لعلَّه يكون من آثار كسبه.

ونقيس على الولد من كان مثله كتلميذ المعلِّم المسلم المربِّي الناصح، أو المستجيب لدعوة داعٍ إلى الحق والخير والهدى.

والمسلمون جميعاً هم من آثار كسب الرسول ﷺ، فعملهم له يَصِلُ إليه، ويسجَّلُ في صحيفته، دون أن ينقص من أجورهم شيء.

وقد ثبت في الصحيح من كلام الرسول ﷺ قوله: «مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تبعَهُ، لا يَنْقُصُ ذِلِكَ مِنْ أُجورِهِم شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلك من آثامِهِمْ شَيْئاً».

رواه مسلم عن أبي هريرة.

وقوله: «مَنْ سَنَّ في الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ في الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

رواه مسلم في باب الحث على الصدقة من حديث جرير بن عبدالله الْبَجَلِي.

ودعاءُ المسلمين بعضهم لبعض إنْ لم يكن من آثار كسب المدعوّ لهم، مكافأة لهم على عمل عملوه للداعين، أو لجماعة المسلمين، فهو معلَّق على فضل الله، ولا حجر على الله فيما يتفضَّل به على عباده، بسبب عمل يعمله بعضهم لبعض، لكنْ دون استحقاق مِمَّنْ عُمِل لهم، حتَّى يطالبوا

به ربَّهم، كما يطالبون بثواب أعمالهم الصالحة، وثواب آثار هذه الأعمال، تحقيقاً لوعد الله وطمعاً بالمزيد.

والذين نَفَوْا وصولَ ثواب عمل الإنسان لغير من عمله، قد سبق إلى أذهانهم أنَّ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى﴾ يدلُّ على أنَّه لا يصل إلى الإنسان إلاَّ ما سعى، مع أنَّ حرف الجرِّ في «للإنسان» تدلُّ على الاستحقاق أو الملك، ونفي الاستحقاق أو الملك لا يستلزم نفي الوصول بفضل الله.

فإذا جاءت الأدلَّة الأخرى المثبتة لفضل الله، أو التي تأذن بأن يعمل الإنسان العمل الصالح لغيره، فلا يصحُّ رفضها، أو تأويلها، وَلَيُّ أعناقها عن مسيرها، بل يجب التبصُّر والتروِّي، حتى يصلَ الإنسان إلى الفهم الصحيح، فيجمعَ بين الأدلة، ويُوجِّه كلاًّ وفق دلالته الصحيحة.

وأمَّا ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلاَّ من ثلاثة أشياء: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له».

فهو يُبيِّن أنَّه ينقطع عنه عمله الذي يستحقُّ به الثواب، والأجر، وله حقّ المطالبة به، إذا لم يكن من هذه الأشياء الثلاثة.

لكنَّه لا يُبَيِّن أنه ينقطع عنه فضل الله بسبب آخر، كدعاء المؤمنين له، وشفاعة من يأذن الله لهم بالشفاعة، ولا يُبيِّن أنه ينقطع عنه أجر عمل المؤمنين له، إذا قبله الله، وتفضَّل عليه بثوابه، فليس في الحديث ما يَدُلُّ على هذا منطوقاً، ولا مفهوماً، ولا لزوماً على تقدير أبعد اللوازم.

والحمد لله على توفيقه.

الفصل السادس

الصيام المسنون

١ - صيام الأشهر الحرم.
٢ - صيام داود وهو صيام يوم وإفطار يوم.
٣ - صيام الاثنين والخميس.
٤ - صيام أيام الليالي البيض أو ثلاثة أيام من كل شهر.
٥ - صيام يوم عاشوراء، وشهر الله المحرم.
٦ - صيام يومٍ عرفة لغير الحاج وما قبله من شهر ذي الحجة.
٧ - صيام ست من شوال.
٨ - الصيام في شهر شعبان.

صيام الأشهر الحرم

وهي: ذو القعدة، وذو الحجَّة، والمحرَّم، ورجب.

● عن رجل من باهلة «قال البغوي: اسمه عبدالله بن الحارث»، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رسُولَ اللَّهِ، أَنَا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتُكَ عَامَ الأَوَّل، فقال: «مَا لِي أَرَىٰ جِسْمَكَ نَاحِلاً».

قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَكَلْتُ طَعَاماً بالنَّهار، ما أَكَلْتُهُ إلاَّ باللَّيْلِ.

قال ﷺ: «مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّب نَفْسَكَ؟».

قلت: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَقْوَىٰ.

قال ﷺ: «صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ[1]، ويَوْماً بَعْدَهُ».

قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَىٰ.

قال ﷺ: «صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَيَوْمَيْنِ بَعْدَهُ».

قلتُ: إِنِّي أَقْوَىٰ.

قال ﷺ: «صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَثَلاَثَةَ أَيَّامٍ بَعْدَهُ، وَصُمْ أَشْهُرَ الْحُرُمِ».

رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه وَهَذَا لفظه.

وقد ضعَّف هذا الحديث بعضهم، وقواه آخرون، قال الشوكاني بشأن

---

(١) أي صم شهر رمضان، فهو شهر الصبر.

الاختلاف في كون عبدالله بن الحارث، عمَّ الراوية للحديث أو أباها: لا ينبغي أن يكون قادحاً.

● وأخرج الطبراني عن سعيد ابْن أبي راشِد أنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامَ يَوْماً مِنْ رَجَبٍ فَكَأَنَّما صَامَ سَنَةً، وَمَنْ صَامَ مِنْهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ غُلِّقَتْ عَنْهُ أَبْوَابُ جهَنَّمَ، وَمَنْ صَامَ مِنْهُ ثَمانِيَةَ أَيَّامٍ فُتِّحَتْ لَهُ ثَمانِيَةُ أَبْوابِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ صَامَ مِنْهُ عَشَرَةً لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئاً إلَّا أَعْطَاهُ، وَمَنْ صَامَ مِنْهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً نَادَىٰ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ قَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَىٰ فَاسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ، وَمَنْ زَادَ زَادَهُ اللَّه».

قال الشوكاني: ثُمَّ سَاقَ حَدِيثاً طَوِيلاً في فضله(1). (أي: ساق الطبراني هذا الحديث الطويل).

● وأخرج الخطيب عن أبي ذرّ: «مَنْ صَامَ يَوْماً مِنْ رَجَبَ عَدَلَ صِيَامَ شَهْرٍ».

● وذكر نحو حديث سعيد ابن أبي راشد.

● وأخرج نحوه أبو نعيم، وابن عساكر من حديث ابن عمر مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

● وأخرج نحوه البيهقيُّ في شعب الإيمان عن أنس مرفوعاً.

● وأخرج الخلّال، عن أبي سعيد مرفوعاً: «رَجبُ مِنْ شُهُورِ الْحُرُمِ، وأَيَّامُهُ مَكْتُوبَةٌ عَلَىٰ أَبْوابِ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَإِذَا صَامَ الرَّجُلُ مِنْهُ يَوْماً وجدد صَوْمَهُ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ نَطَقَ الْبَابُ، وَنَطَقَ الْيَوْمُ، وَقالاَ: يَا رَبِّ اغْفِرْ لَهُ، وإذا لم يُتِمَّ صَوْمَهُ بتقوى الله لَمْ يَسْتَغْفِرَا لَهُ، وَقِيلَ: خَدَعَتْكَ نَفْسُكَ».

● وأخرج أبو الفتح بنُ أبي الفوارس في أماليه، عن الحسن مرسلاً: أنَّ النبي ﷺ قال: «رَجَبُ شَهْرُ اللَّهِ، وَشَعْبَانُ شَهْرِي، وَرَمَضَانُ شَهْرُ أُمَّتِي».

---

(1) انظر نيل الأوطار ص ٣٣٣ وما بعدها من الجزء ٤ وعنه نقلت الأحاديث التي بعده بشأن رجب.

● وأخرج ابن أبي شَيْبَةَ في مُصَنَّفِهِ، أنَّ عمر كَان يَضْرِبُ أَكُفَّ النَّاسِ في رَجَب، حتىٰ يضَعُوهَا فِي الْجِفَانِ، وَيَقُولُ: كُلُوا فَإِنَّما هُوَ شَهْرٌ كَانَ تُعظِّمُهُ الْجَاهِلِيَّةُ».

● وأخرج ابن أبي شَيْبَةَ أيْضاً مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بن أَسْلَمَ، قال: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عن صَوْمِ رَجَبٍ فقال: «أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ شَعْبَان».

● وروى ابن ماجه عن ابن عبَّاسٍ: «أنَّ النبيَّ ﷺ نَهَىٰ عن صِيَامِ رَجَبٍ».

وفي سنده ضعيفان: زيدُ بنُ عبد الحميد، ودَاودُ بن عطاء.

عن نيل الأوطار للشوكاني.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ يستفاد من هذه الأحاديث استحباب صيام الأشهر الحرم بشكل عامّ، وهي ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب.

ويختصُّ هذا الاستحباب بمن لا يَشُقُّ عليه صومها، ولا يجعله صومها يقصِّر في حقوق أو واجبات، أو عباداتٍ أخرى من الأفضل له أن يقوم بها.

والحديث فيها صالح للاحتجاج به.

٢ ـ الأحاديث الواردة في فضل صيام رجب، أفرادها ليست بالقوية، لكنَّها مجتمعة تؤكِّد فضل صيامه باعتباره واحداً من الأشهر الحرم، ولا تقوى المرويّات الأخرى المخالفة على معارضة ما ورد في فضل صيامه.

يضاف إلى ذلك أنَّ شهر رجب هو أحد شهور السنة التي يُسْتَحبُّ الصيام فيها، كما ثبت في صحاح الأحاديث.

صيام داود عليه السلام «صيامُ يومٍ وفطر يوم»

● روى البخاري من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص الذي أرشده فيه الرسول ﷺ إلى الاعتدال في عباداته التي التزم بها، ونذر أن يفعلها طوال عمره أنَّ الرسول ﷺ بعد أن وجد شدَّة حرصه على أن يأخذ نفسه بالأشدّ: «فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ عليهِ السَّلامُ كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً، ولا يفرّ إذَا لاَقَىٰ».

● وفي رواية «لَا صَوْمَ فَوْقَ صَوْمِ دَاوِدَ».

● وفي رواية: «وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ».

قال عبدالله: إنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ.

فقال النبي ﷺ: «لَا أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ».

● وجاء في رواية: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ صِيَامُ دَاوُدَ كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً».

● وجاء في رواية: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَىٰ اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ».

ما يستفاد من هذه الروايات:

يستفاد من هذا الحديث ورواياته أنَّ أفضل الصيام لمن وجد الاستطاعة دون مشقة، ودون أن يؤثِّر الصيام على الصائم حتى يجعله يقصِّر في حقوق أو واجبات أو عبادات أخرى من الخير له أن يقوم بها، هو صيام داود، صيامُ يوم وإفطار يوم. ودون ذلك لمن كانت استطاعته دون ذلك.

صيام الاثنين والخميس

● عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَتَحَرَّىٰ صِيَامَ الاثْنَيْنِ والْخَمِيْس».

رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، ورواه ابن حِبَّانَ وصححه.

● وعن أبي هريرة أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ كُلَّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ».

رواه أحمد والترمذي.

● وروى مسلم عن أبي قتادة أنَّ النبي ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الاثنينِ؟.

قال: «ذَاكَ يَوْمٌ وَلِدْتُ فيه، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فيه».

ورواه أيضاً أحمد وأبو داود.

● وعن أسامة قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يصومُ يومَ الاثنين والخميس، فسألتُهُ فقال: «إنَّ الأعمال تُعْرَضُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيْسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ».

رواه النسائي وأبو داود، وصححه ابن خزيمة.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ يستفاد من هذه الأحاديث استحباب صيام يوم الاثنين، ويوم الخميس.

٢ ـ إنَّ أعمال العباد تعرض يوم الاثنين والخميس.

صيام أيّام اللَّيالي البيض أو ثلاثة أيام من كلِّ شهر

اللَّيالي البيض هي الَّتي يكون القمر فيها من أوَّل اللَّيل إلى آخره، وأيَّامها هي ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة من كلِّ شهر.

● روى البخاري عن أبي هريرة قال: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صِيَامِ ثَلَاثَةِ أيَّامٍ من كُلِّ شَهْرٍ، وركْعَتي الضُّحَىٰ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ».

● وروى النسائي وصححه ابن حِبَّان عَنْ أَبي هريرة قال: جَاءَ أعرابيٌّ

إلى النَّبي ﷺ بأَرْنَب قَدْ شَوَاها، فَأَمرهم أن يأْكُلُوا وأمسكَ الأعْرَابي، فقال: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْكُلَ؟».

فقال: إنِّي أصومُ ثلاثَة أيَّام من كُلّ شهر.

قال: «إنْ كُنْتَ صَائِماً فَصُمِ الْغُرَّ» أي: البيض.

وفي بعض طرقه عند النسائي: «إنْ كُنْتَ صَائماً فَصُمْ الْبِيضَ: ثَلاَثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وخَمْسَ عَشْرَةَ».

● وعند أصحاب السنن، عن قتادة ابن ملحان «ويقال: ابـن منهال» قال: «كان رسول الله ﷺ يَأْمُرُنَا أَنْ نَصُومَ الْبِيضَ ثَلاثَ عَشْرَةَ، وأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ، وقال: هِيَ كَهَيْئَةِ الدَّهر».

● وأخرج النسائي عن جـرير، أنَّ النبي ﷺ قال: «صِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صِيَامُ الدَّهْرِ، أيّام البيض صبيحة ثلاث عشرة، وأربع عشرة وخمس عشرة».

قال ابن حجر في الفتح: وإسناده صحيح.

● وعن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرّ، إذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهرِ ثَلاَثَةً فَصُمْ: ثَلاَثَ عَشْرَة، وأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ».
رواه أحمد والنسائي والترمذي وابن حِبّان وصححه.

● وروى مسلم وأحمد وأبو داود عن أبي قتـادة قال: قـال رسول الله ﷺ: «ثَـلاَثٌ مِنْ كُـلِّ شَهْـرٍ ورمضـانُ إلى رمضـان فَـهَـذَا صِيَـامُ الدَّهْر كلّه».

أي بمثابة صيام الدهر كلّه في الأجر على فرض الإذن بصيامه.

● وعن عـائشة قـالت: «كَانَ النبيّ ﷺ يصـوم من الشهر السبت، والأحد، والاثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء، والأربعاء والخميس».

رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

● وعن ابن مسعود: «أنَّ النبي ﷺ كَانَ يَصُومُ ثَلاثَةَ أَيَّام من غُرَّةِ كُلِّ شهر».

أخرجه أصحاب السنن وصححه ابنُ خُزَيمة.

● وروى مسلم عن عائشة قالت: «كان ﷺ يصوم من كُلِّ شهرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لا يُبَالِي مـن أيِّ الشَّهْرِ صَامَ».

● وروى البخاري عن علقمة قال: قلت لعائشة: هل كان رسول الله ﷺ يختصّ من الأيام شيئاً؟.

قالت: «لا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وأَيُّكُمْ يُطِيقُ مَا كَان رسول الله ﷺ يطيق؟!».

دِيمَة: أي: دائماً، والديمة لغة هي المطر يدوم أياماً، أي: هو في عبادة دائمة لله تعالى بصيام أو غيره.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

نستفيد من هذه الأحاديث، أخذاً من الأقوال المنسوبة إلى الرسول ﷺ، ومن فعله الذي حدَّث به الرواةُ كُلٌّ منهم عمَّا شهد منه، أو علم:

١ - أنَّ صيام ثلاثة أيام من كلّ شهر دون التزام أيامٍ معينة عبادةٌ مستحبة مسنونة، فمن واظب عليها مع صيام رمضان، كان في الأجر كمن صام الدهر كلَّه على فرض الإذن بصيام الدهر.

٢ - أنَّ جعل هذه الأيام الثلاثة أيّام الليالي البيض على التخصيص آكدُ وأفضل.

ولم يلتزم الرسول في صيامه للأيام الثلاثة بالأيام البيض ليفهم عنه أنَّ الاستحباب يشمل اختيار الأيام من كلِّ الشهر، ونصحَ بالأيام البيض ليفهم

عنه أنَّ صيامها آكد لمن تيسَّر له ذلك، أمَّا من كان يريحه أن يكون مطلقاً يختار ما يشاء من الأيام فله ذلك، وأجره ثابت إن شاء الله.

صيام يوم عَرَفَة لِغَيْرِ الْحَاج وَمَا قبله من شهر ذي الحجة

١ ـ روى مسلم من حديث أبي قتادة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللَّهِ أَنْ يُكَفِّر السَّنَةَ التي قَبْلَهُ والسَّنَةَ الَّتي بعْدَهُ».

وفي رواية: وسئل عن صوم يَوْمِ عَرَفَةَ فقال: «يُكفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ والْبَاقِيَة».

٢ ـ وروى أبو داود عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: «كَانَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّة، وَيَوْمَ عَاشُوراء، وثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وأَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ، وَالخميسَ».

٣ ـ وروى أحمد والنسائي عن حفصة أمّ المؤمنين قالت: «أَرْبَعٌ لَمْ يكُنْ يدعُهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: صِيَامُ يَوْمِ عَاشوراء، والْعَشْرِ، وثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ والرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْغَدَاةِ».

٤ ـ وعن أبي هريرة قال: «نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ صَوْمِ عَرَفَة بِعَرَفَات».

رواه أحمد، وابن ماجه، وأبو داود، والنسائي، وصححه ابن خزيمة والحاكم.

٥ ـ وثبت عن أم الفضل أنَّ الرسول ﷺ لم يكن بعرفة صائماً في حجته.

رواه البخاري ومسلم.

٦ ـ وروى البخاري عن ابن عبَّاس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أحبُّ إلى اللَّهِ مِنْ هَذه الأَيْامِ الْعَشَرَةِ».

قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟

قال: «ولا الجهادُ في سَبيلِ اللَّهِ، إلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِع من ذَلِكَ بِشَيْءٍ».

٧ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إلىٰ اللَّهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَه فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذي الحجَّة، يَعْدِلُ صِيَامُ كلّ يومٍ منها بِصِيَامِ سَنَة، وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْها بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ».

رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث إسناده ضعيف.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ أنَّ صِيَامَ يومِ عرفةَ لغير الحاجّ سنّةٌ مؤكّدة، أمَّا الحاج فصيامه له خلاف السُّنَّةِ القولية والفعلية.

٢ ـ أنَّ صيام ما قبل يوم عرفة من شهر ذي الحجة، وهي الأيَّام الثمانية، مستحبٌّ، لما روي عن بعض أزواج النبي، من عمل الرسول ﷺ، والمراد من «العشر» الذي جاء في حديث حفصة عشر ذي الحجَّة باستثناء يوم النحر، لأنَّ صيامه حرام بالنَّص.

٣ ـ فضل صيام يوم عرفة لغير الحاج عظيم، إذ يكفِّر اللَّهُ بِه السنة التي قبله والسنة التي بعده بفضله تعالى، وهذا محمول على غير حقوق الناس، وغير الحقوق التي على العبد أن يؤدِّيها لربِّه، كالعبادات التي عليه أن يقضيها، جمعاً بين الأدلَّة المختلفة.

وقد يخصَّص بمـا دون الكبائر، حملاً لمطلق أحاديث الترغيب في تكفير الذنوب على مقيَّدها، مثل ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلَواتُ الْخَمْسُ، والْجُمُعَةُ إلَىٰ الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِـمَا بَيْنَهُنَّ إذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ».

وتتمة البحث حول الأمور الأخرى مثبتة في مواضعها.

صيامُ ستٍّ مِنْ شَوَّال

● عن أبي أيوب، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّال فَذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ».

أي: كصيام الدهر.

رواه مسلم، وأحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه.

ورواه أحمد أيضاً من حديث جابر.

● وروى ابن ماجه عن ثَوْبَانَ أنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وستَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ كَانَ تَمامَ السَّنَة، مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا».

وأخرجه أيضاً النسائي وأحمد والدارمي والبزَّار.

● وفي السُّنَن أحاديث أخرى مشابهة.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ يستفاد من هذه الأحاديث استحباب صيام ستة أيّام من شوال، بعد يوم عيد الفطر، وليس في الأحاديث تخصيص استحباب صيامها بأن تكون متتابعة، وعقب يوم عيد الفطر، فالأجر يحصل ولو جاءت مفرَّقة، وفي كلِّ شهر شوَّال، لكنَّ ظاهر قول الرسول: «ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا من شوَّال» في حديث أبي أيوب. «وستَّةَ أيّامٍ بعد الفطر» في حديث ثوبان.

قد يُشعر بترجيح كونها متتابعة، وعقب يوم عيد الفطر والله أعلم.

٢ ـ قول الرسول في حديث ثوبان: «كان تَمامَ السَّنة، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» وقوله في حديث أبي أيوب: «فذلك صِيامُ الدهر».

يـــدلّان على أنَّ أجر صائم رمضان مع ست من شوَّال، يعادل صيام كلِّ السَّنَةِ، وأن من كرَّر هذا الأمر في كلِّ سنة كان كمن صام الدهر، على

فرض الإذن بصيام الدهر، لكن صيام الدهر خلاف السنة كما أوضحته في موضعه.

وأبان الرسول ﷺ دليل ذلك بالحساب، فالله يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1] وعليه فشهر رمضان يكون في الأجر بقوة عشرة أشهر، وستة أيّام من شوال بقوة ستين يوماً، وهي شهران، فاكتملَتِ السنة.

ومن واظب على هذا الأمر طَوَال عمره كان كمن صام الدهر كلَّه على فرض مشروعية صيام الدهر.

٣ ـ قول الرسول ﷺ: «ستًّا من شوَّال» مع أنَّها أيَّام، والأصل أن يقال: ستة من شوال. لكنّ القاعدة العربية تُجِيز الوجهين في حالة حذف المعدود المذكر. أمَّا لو ذكر المعدود فَالواجب التأنيث مع المذكر والتذكير مع المؤنث حسب قاعدة العدد الأصلية.

أقوال الفقهاء:

١ ـ قال فريق منهم يستحبُّ صيام ستَّة أيام من شوال استدلالاً بما جاء في السنة، منهم الشافعي وأحمد وداود وغيرهم.

٢ ـ وقال أبو حنيفة ومالك يكره صومها، قال مالك في الموطّأ: ما رأيتُ أحداً من أهل العلم يصومها، لكنَّ مَا ثَبَتَ في السنة حجَّةٌ عليهما، ولعلهما لم يبلغهما حديث أبي أيوب وحديث ثوبان وغيرهما، فذهبا إلى الكراهة اعتماداً على الرأي، وهذا هو الظن الذي يليق بهما رضي الله عنهما.

صيام يوم عاشوراء وشهر الله المحرَّم

عاشوراء: هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، وقِيل: هو التاسع.

● روى الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفْضَلُ** الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيل».

---

(١) الأنعام (٦) آية ١٦٠.

وفي رواية، سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: أيُّ الصَّلاَةِ أَفْضَلُ بَعْدَ المكتوبَةِ، وأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ:

«أَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصلاةِ المكتوبَةِ الصَّلاَةُ في جوف الليل، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ المُحَرَّم».

● وروى البخاري عن عَائِشَةَ قَالَتْ:

«كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَمَرَ بِصِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَلَمَّا فُرِضَ رمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَر».

● وروى البخاريّ عن عائِشَةَ أيضاً قالت: «كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَان رَسُولُ الله ﷺ يَصُومُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِيْنَةَ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشوراء، فَمَنْ شاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ».

● وروى البخاري عن ابن عباس قال: «قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينة، فَرَأَىٰ الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُوراءَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟

قالوا: يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمُ نَجَّىٰ اللَّهُ بَنِي إسرَائيلَ مِنْ عَدُوِّهِمُ فَصَامَه مُوسَىٰ.

قال: «فَأَنَا أَحَقُّ بمُوسَىٰ مِنْكُمْ».

فَصَامَهُ وأَمَرَ بِصِيَامِهِ».

● وروى البخاريّ أيضاً عن أبي موسى قال: «كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَعُدُّهُ الْيَهُودُ عِيداً، قال النبي ﷺ: «فَصُوموه أَنتم..».

● وروى البخاري عن ابن عبَّاس قال: «مـا رَأَيْتُ النبي ﷺ يَتَحَرَّىٰ صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ إلاَّ هَذا الْيَوْمَ، يَوْمَ عَاشوراء، وَهَذَا الشَّهر» يَعْنِي شَهْرَ رمضان.

● وروى البخاري عن سلمة بن الأكوع، قال: «أَمَرَ النبيّ ﷺ رَجُلاً مِنْ أَسْلَمَ أَنْ أَذِّنْ فِي النَّاسِ أَنَّ مَنْ كانَ أَكَلَ فَلْيَصُمْ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَكَلَ فلْيَصُمْ فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ عَاشُورَاء».

● وروى مسلم وأبو داود عن ابن عبَّاسٍ قال: «لمَّا صَامَ رسُولُ الله ﷺ عَاشوراء، وأَمَرَ بِصِيَامِهِ قالوا: يا رسُولَ الله إنَّه يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ والنَّصارَىٰ؟!

قال: «فَإِذَا كَانَ عَامُ الْمُقْبِلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسع».

قال ابن عباس: «فَلَمْ يَأْتِ العامُ المقبلُ حتَّىٰ تُوُفِّيَ رسُول الله ﷺ».

وفي لفظ، قال رسُولُ الله ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَىٰ قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التاسع» أي مع صيام العاشر.

وفي رواية عند الإمام أحمد، قال رسول الله ﷺ:

«صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَخَالِفُوا الْيَهُودَ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْماً، وَبَعْدَهُ يَوْماً». وهذه الرواية ضعيفة.

● وعن علي رضي الله عنه: «أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يَسْأَلُ رَسُولَ الله ﷺ وهو قاعدٌ، فقال: يا رَسُولَ الله، أيُّ شَهْرٍ تأْمُرُني أَنْ أَصُومَ بعد شهر رمضان؟

فقال: «إِنْ كُنْتَ صَائِماً بَعْدَ شهْرِ رَمَضَانَ فَصُم الْمُحَرَّمَ، فإنَّه شَهْرُ اللّهِ، فيهِ يَوْمٌ تَابَ فيهِ عَلَىٰ قَوْم، ويَتُوبُ فيه عَلَىٰ قَوْم».

رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

● وروى البخاري عن حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّه سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بن أبي سُفيانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ عَامَ حجّ، على الْمِنْبَرِ يقولَ: «يَا أَهْلَ الْمَدِيْنَةِ، أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «هَذَا يَوْمُ عَاشُوراء، وَلَمْ يَكْتُبِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، وَأَنَا صَائِمٌ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَصُمْ، وَمَنْ شاءَ فَلْيُفْطِرْ».

● وروى مسلم من حديث أبي قتادة أنَّ النبي ﷺ قال: «وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُوراء أَحْتَسِبُ عَلَىٰ الله أَنْ يُكَفِّر السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ».

● وروى البخاري ومسلم عن الرُّبَيِّع بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: «أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَىٰ قُرَىٰ الأَنْصَارِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ: مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صائِماً فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِراً فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، فَكُنَّا نَصُومُهُ وَنُصَوِّمُهُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُمْ، وَنَذْهَبُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَنَجْعَلُ لَهُمْ اللُّعَبَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَىٰ أَحَدُهُمْ مِنَ الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاه، حَتَّىٰ يَكُونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ».

فليتم بقية يومه: أي: فليمسك صائماً بقية يومه. **من العهن**: أي: من الصوف المصبوغ.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ دلَّ حديث مسلم عن أبي هريرة أنَّ أفضل الشهور للصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرَّم، فصيام المحرَّم من السنن المؤكدة.

وتفضيل هذا الشهر للصيام لا يتعارض مع ما صحَّ من فضل صيام أيَّام مخصوصة، كصوم يوم عرفة لغير الحاج، فتفضيل عموم الشهر شيء، وتفضيل أيَّام مخصوصة شيء آخر.

٢ ـ الأحاديثُ الواردة في صيام يوم عاشوراء تدُلُّ على أنَّ الرسول ﷺ صامه وأَمَرَ بصيامه قبل أن يُفرَضَ صِيامُ شهر رمضان، فلمَّا أمر الله بصيام رمضانَ تَرَكَ الالتزام بصيام عاشوراء، وتركَ الأمر الإلزاميّ بصيامه، فكان مَنْ شاءَ صامَهُ، ومَنْ شَاءَ لم يصمه.

وصحَّ عن ابن عبَّاس أنَّ الرسول ﷺ كان يتحرَّى صيام يوم عاشوراء بعد فرضِ رمضان.

وحديث مسلم عن ابن عباس يدلُّ على أنَّ الرسول ﷺ صام عاشوراء وأمر بصيامه قبل وفاته بسنة، ولمَّا قيل له فيها: يا رسول الله إنَّهُ يَوْمٌ تُعظِّمهُ اليهود والنصارى؟!.

أي: وأنت تُحِبُّ أن تخالِفَهُمْ كما عوَّدْتَنِا.

قال: «فإذَا كانَ العام المقبلُ إن شاء الله صُمْنَا التاسع».

وتوفي الرسول ﷺ قبل أن يأتي العام المقبل، فجعل مخالفتهم بأنَّه سنَّ صيام التاسع أي: مع العاشر، والله أعلم أخذاً من طريقته في صيام يوم الجمعة.

فدلَّ هذا على أنَّه يُستحبُّ صيامُ التاسع والعاشر من شهر المحرَّم، استحباباً مؤكّداً، زائداً على صيام سائر الشهر.

وأمَّا صيام الحادي عشر فالرواية فيه ضعيفة لا يحتجّ بها.

٣ ـ يوم عاشوراء يوم مبارك له خصوصية عند الله.

أقوال الفقهاء:

١ ـ نقل ابن عبد البرِّ الإجماع على أنَّ صيام يوم عاشوراء مستحبٌّ.

٢ ـ لا خلاف في استحباب صيام شهر الله المحرَّم.

٣ ـ فهم بعض الفقهاء أخذاً ممَّا دلَّت عليه الأحاديث، أنَّ صِيامَ يَومِ عاشوراء كَانَ واجباً أوَّل الأمر، ثُمَّ نسخ الوجوب بعد فرضِ صيامِ رمضان، وبقي صيامُه مستحبّاً.

قال ابن حجر في الفتح: (والَّذي يترجَّح من أقوال العلماء أنه لم يكن فرضاً)(١).

الصيام في شهر شعبان

● روى البخاري ومسلم عن عائشة أمّ المؤمنين قالت: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويُفْطِرُ حتَّىٰ نقول: لا يَصُومُ. وَمَا

(١) انظر الصفحة ١٤٢ الجزء الرابع من فتح الباري / المطبعة السلفية.

رأيتُ رسُولَ الله ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إلاَّ رَمَضَانَ، وما رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَاماً منه في شعبان».

● وروى البخاري عن عائشة أيضاً قالت: «لم يكن النبي ﷺ يَصُومُ شهراً أَكْثَرَ مِنْ شعبان، وكان يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، وكان يقول:

«خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حتّى تَمَلُّوا، وأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَىٰ النَّبِيّ ﷺ ما دُووِمَ عليه وَإِنْ قَلَّتْ. وَكَانَ إذا صَلَّىٰ صَلَاةً دَاوَمَ عَلَيْها».

لا يَمَلُّ حتَّىٰ تَمَلُّوا: أي: لا يَمَلُّ من عطاء الأَجْرِ مَهْمَا عَمِلْتُمْ من الصالحات حتى تَمَلُّوا أنتم من العمل.

● وعن أُسامة بن زيد قال: قلتُ: يا رسُول الله لم أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قال: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبَ ورَمَضَانَ، وهو شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلي وَأَنَا صَائِمٌ».

أخرجه النسائي، وأبو داود وصححه ابن خزيمة.

● وعن عائشة أنَّها قالت: «لَمْ يَكُنْ النبيُّ ﷺ يَصُومُ أَكثر من شعبان، فإِنَّهُ كَانَ يَصُومُهُ كُلَّهُ».

رواه البخاري ومسلم والإمامُ أحمد.

● وعن أُمّ سَلَمَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَصُومُ شَهْرَ شعْبَانَ وَيَصِلُهُ بِرَمَضَانَ قالت: مَا رَأَيْتُهُ يَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ إلاَّ شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ».

أخرجه ابن أبي شيبة، والبيهقي، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

● وعن أم سَلَمَةَ أيْضاً: «أنَّ النبي ﷺ لَمْ يَكُنْ يَصُومُ من السنة شَهْراً تامًّا إلاَّ شَعْبَانَ يَصِلُ بِهِ رَمَضَانَ».

رواه أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه، وقال الترمذي فيه: حديث حسن.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ يستفاد من هذه الأحاديث استحباب الإكثار من الصيام في شهر شعبان، اقتداءً بعمل الرسول ﷺ، باستثناء استقبال رمضان بصيام يوم أو يومين من آخر شعبان للنهي عن ذلك بأحاديث خاصّة، كما هو مُبيَّنٌ في بحث الصيام الممنوع.

٢ ـ في قول الرسول ﷺ عن شعبان: «ذلك شهر يغفلُ الناسُ عنه بين رجب ورمضان» إشارة إلى أنّ شهر رجب شهر لا يغفل الناس عن صيامه، بل هم يهتمون بصيامه ويحرصون عليه، ولو لم يكن من السنن المؤكدة ما فعلوا ذلك، بعد أن أسقط الإسلام كل عادات الجاهلية.

صيام النصف الثاني من شعبان

١ ـ يرى جمهور فقهاء الشافعيَّة منع تخصيص النصف الثاني من شهر شعبان بالصيام، ووصل رمضان به، وأنَّ حكم ذلك كحكم استقبال رمضان بصوم يومٍ أو يومين، الذي قال به جمهور عامة الفقهاء.

ودليل المنع عندهم ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ، أنَّه قال: «إِذَا انتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا تَصُومُوا».

أخرجه أصحاب السنن، وصححه ابن حبّان وغيره.

٢ ـ وخالف الشافعية في ذلك جمهور عامة الفقهاء، ولم يـأخذوا بحديث النهي، إذْ رأَوْا أنَّه ضعيف السند فلا يحتجُّ به، مع معارضة صحاح الأحاديث له.

٣ ـ وقال الروياني من الشافعية: يكره التطوُّع بعد النصف من شعبان على سبيل التخصيص، أمَّا صيام كلّ شهر شعبان فهو مستحبّ تأسّياً بعمل الرسول ﷺ.

الفصل السابع

صيام ممنوع وأمور على خلاف السنة

١ ـ الوصال في الصيام.
٢ ـ صيام الدهر.
٣ ـ صيام يوم الشك واستقبال رمضان بيومٍ أو يومين.
٤ ـ صوم يومي الفطر والنحر وأيام التشريق.
٥ ـ تخصيص يوم الجمعة بصوم نفل مطلق.
٦ ـ صيام النصف الثاني من شعبان.
٧ ـ صيام يوم عرفة في عرفة للحاج.
٨ ـ الحائض والنفساء لا تصومان فرضاً ولا نفلاً.

القضية الأولى

الْوِصال في الصيام:

والوِصَال هو استمرار الصائم ممسكاً عن المفطِّرات بعد دخول الليل، قاصداً لذلك، متمكِّناً من تناول ما يفطر به، سواء أمسك كلّ اللَّيل طاوياً حتى دخل يوم الصيام التالي، أو أمسك بعضَ اللَّيل زاعماً أنّـه يتقرَّب بذلك إلى ربِّه.

وقد نهىٰ النَّبي ﷺ عن الوصال، فمن فعله فقد خالف السُّنَّة.

● روى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة قال: «نَهَىٰ رسولُ الله ﷺ عَنِ الْوِصَالِ فِي الصَّوْمِ، فقال لَهُ رَجُلٌ: إنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ الله! قـال: «وأَيُّـكُمْ مِثْلِي؟ إنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي».

● وروى البخاري عن أنس عن النبيّ ﷺ قال: «لا تُواصِلُوا».

قالوا: إنَّكَ تُواصِلُ.

قال: «لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ، إنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَىٰ» أو: «إنِّي أَبِيتُ أُطْعَمُ وأُسْقَىٰ».

● وروى البخاري نظير ذلك عن عبد الله بن عمر.

● وروى البخاري عن أبي سعيـد أنَّه سمـع النبيّ ﷺ يقولُ: «لاَ تُوَاصِلُوا، فَأَيُّكُمْ إذَا أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُواصِلْ حَتَّىٰ السَّحَر».

قالوا: فإنَّكَ تُواصِلُ يَا رَسولَ الله.

قـال: «إنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إنِّي أَبِيتُ لِي مُطْعِمٌ يُـطْعِمُنِي وَسَاقٍ يَسْقِينِ».

● وروى البخاريّ عن عائشة قالت: «نَهَىٰ رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الْوِصَالِ رَحْمَةً لَهُمْ، فقالوا: إنَّكَ تواصِلُ، قال:

«إنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إنِّي يُطْعِمُنِي ربِّي وَيَسْقِين».

● وروى البخاري عن أبي هريرة قال: «نـهَىٰ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ عَن الوِصَالِ فِي الصَّوْمِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ: إنَّكَ تُواصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قـال: «وَأَيُّكُمْ مِثْلِي؟ إنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي ويَسْقِين».

فلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَن الْوِصَالِ وَاصَلَ بِهِمْ يَوْماً ثُمَّ يَوْماً، ثمَّ رَأَوُا الْهِلَالِ، فقَالَ: «لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُكُمْ» كَالتَّنْكِيلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا».

وفي رواية عن أبي هريرة: «إيَّاكُمْ والْوِصَالَ مَرَّتين» وفيها: «فَاكْلَفُوا من الْعَمَلِ ما تُطيقُون».

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ نستفيد من هذه الأحاديث النبوية أنَّ الوِصَال في الصِّيَام خلافُ السُّنَّة، فليس هو من البرّ، ولا من الإحسان، ولا هو بالعمل الأتقىٰ ولا الأورع بالنسبة إلى عامَّة المسلمين.

وإذا كان كذلك فلا أجر فيه لمن عمله، وإنَّما يعذِّب نفسه في غير طاعة.

والوصال من الغلوّ في السلوك الدينيّ المنافي لمنهج الإسلام الوسط، والغلوّ في بعض العبادات والطاعات عن حدودها الشرعية التي رغَّب فيها الإسلام، له آثار غير محمودة في حياة المسلم.

● فهو يُفْسِدَ النِّسَبَ الحكيمة الموزَّعة على جملة الأعمال الإسلامية في

سلوك المسلم أو في خريطة العمل الإسلامي، وقد يطغىٰ الزائدُ النفلِيُّ على حصةِ واجب شرعي، أو حقّ من حقوقِ النفس أو حقوق الآخرين.

وهذا ما دلَّ عليه إرشادُ الرسول ﷺ عبدالله بن عَمْرو بن العاص.

روى البخاري عن عبدالله بن عَمْرو بن العاص قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَالله، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟» فَقُلْتُ: بلى يا رسول الله.

قـالَ: «فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقاً، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ بِحَسْبِك أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّام، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشرَ أَمْثَالِها، فَإِذَنْ: ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ».

قال عبدالله: «فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ. قُلْتُ: يا رسول الله إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً».

قالَ: «فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ الله دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ».

قلت: «وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام؟».

قال: «نِصْفَ الدَّهْرِ».

فكان عبدالله يقولُ بعدما كبِر: «يا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ ﷺ».

وإن لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حقاً: الزَّوْر هو الضيف الزائر، هو مصدر وُضِع مَوْضِع الاسم، أو هو جمع زائر، كَرَكْبٍ جَمْعِ راكب.

نصفَ الدهر: أي: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وقد جاء في بعض الروايات: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ داود: صِيَامُ يَوْمٍ وَإِفْطَارُ يَوْم» وفي رواية: «كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقىٰ».

● والغَلوُّ في السلوك الدينيّ يفتَحُ طُرُقاً مختلفة للابتداع في الدين، والابتداع في الدين يبدأ بزاوية صغيرة قصيرة، ثُمَّ يكون انحرافاً كبيراً، ثُمَّ خروجاً عن صراط الدين كلِّه.

● وقد يكون مصحوباً بهوىٰ النفس، لأن الغاليَ في العبادة قد يجد لَذَّةً في نوع العبادة فيغلو فيها اتباعاً لهواه، فيقصِّر بواجباتٍ وحقوق أخرى.

مع أنَّ العبوديَّة الحقَّةَ لله تَعَالَىٰ تفرض على العبد التزام الحدود التي شرعها في الفرائض والسننِ والآداب دون إفراط وتفريط، دون غُلوٍّ وَلَا تَقْصِير.

٢ ـ ونستفيد من هذه الأحاديث أنَّ الصحابة لم يفهموا من النهي النبويّ عن الوصال أنَّه للتحريم، ولا أنَّه للإرشاد إلى الأفضل بوجه عـامّ، بل لإرشادهم لما هو أوفق لهم، كما جاء في حديث عائشة: «نَهَىٰ رسول الله ﷺ عن الوصال رحمةً لهم».

وَيَدُلُّ علىٰ هذا المعنى أنَّهُم قَالُوا: «فَإِنَّكَ تُواصِلُ يَا رَسُولَ الله» أي: فهم قد فَهموا أخذاً من عمل الرسول ﷺ أنَّ الْوِصَالَ أفضل، وهُمْ مأمورون بالتأسِّي به.

ولَمْ يُنْكِرِ الرَّسول عليهم هذا النهج من الاستدلال، وَلَكِنْ بَيَّنَ لَهُمْ أنَّ حَالَهُ مع ربِّهِ غَيْرُ حَالِهِمْ، فَهو يَبِيتُ يُطْعِمُهُ رَبُّهُ وَيُسْقيه، وَهَذَا أمر لَا يكون لأحدٍ منْهُمْ، فقياس أنفسهم عليه قياس مع الفارق المانع من صحة القياس، إذِ الموضوع وصالٌ في صيام عن الطعام والشراب، وهو يَبيتُ يطعمُهُ رَبُّهُ ويسقيه، وهم ليسوا كذلك.

٣ ـ جَاء في بعض الأحاديث الإذنُ للمتعمقين الرَّاغبين في الوصال بِأَنْ يُواصِلُوا إلى السحر فقط، وأرى أنَّ هذا كالتنفيس لشدَّةِ رغبتهم الضَّاغطة بالوصال، مع أنَّه ليس هو الأفضل، بل الأفضل عدمه حتماً.

٤ ـ بحثَ شُرَّاح الحديث في قول الرسول ﷺ: «إنِّي أبيت يُطْعمني ربِّي وَيسقين» هَلْ هُوَ طَعَامٌ وشرابٌ مادِّيَّان أو هما أمرَانِ معنويّان؟. وإذَا كَانَا مَادِّيَّيْنِ فإنَّهُ لَا وِصَالَ، وهو خلافَ الظَّاهر، لأنَّه لو كان الأمر كذلك، لقال لهم: إنِّي لا أفعَلُه لأني أبيتُ يطعمني ربِّي ويُسْقين، لكنَّ الظاهر من كلامه الإقرار بأنَّه كان يواصل.

بقي الاحتمال الآخر وهو أنَّهما أمران غير حسيَّيْن، والأمور التي ليست حسيّة لا تنقض استمرار الصيام، وإن كانت تؤدِّي عمل الطعام والشراب، ومن أمثلتها في أحوالنا احتلام الصائم وهو نائم، فإنَّه لا ينقص صومه، مع حدوث أثره المادِّي، ولو رأىٰ في منامه أنَّه يجامع، ولو أحسَّ بكلِّ ما يُحِسُّ به وهو يقظان من استمتاع ولذَّة.

على أنَّ الإطعام الذي يكون من الله لا يُبطِلُ صيام الصائم، كحالة من أكل أو شرب وهو ناسٍ، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ».

فَكَيْفَ إذا انضمَّ إلى ذلك أنَّ الأمرين من الأمور غير الحسيَّةِ بالنسبة إلينا.

لذلك أَرَىٰ أنَّ اشتغال الشُّرَّاح بهذا الموضوع والأخذ والرَّدِّ فيه، والبحث في اعتباره حقيقةً أو مجازاً، لا لزوم له، فالأمر من الغيبيات التي ينبغي التسليم بها على وجه لا ينقض أصل القضيَّة.

٥ ـ قول الرسول: «فَاكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ».

اكْلَفُوا: أي: أحِبُّوا، والكَلَفُ هو الولوعُ بالشيءِ وشِدَّةُ التعلُّق به.

أي: فليكُنْ ما تُطيقون هو ما تُولَعُون به من عمل الخير، لا ما يَشُقُّ عليكم وتتحمَّلون به عناءً.

٦ ـ استخدم الرسول ﷺ في تأديب الحريصين على الوصال في الصيام، على خلاف ما أوصاهم به، أسلوب المواصلة بهم حتى يُنْهِكَهُمْ، ويُبَيِّنَ لهم عمليّاً أنَّهم ليسوا كهيئته، حتَّىٰ إذا وصلوا إلى ذروة العجز عن الوصال تابوا وأعلنوا ندمهم، واستبانوا أنَّ الرسول ﷺ يبيت يطعمه ربُّه ويسقيه، فهم ليسوا مثله.

ولولا أنْ أدرك الرسولَ هلالُ شوال لزادهم وصالاً على اليومين، لذلك قال لهم: «لو تأخَّر لزدتكم».

وقال أبو هريرة راوي الحديث: (كالتنكيل لهم حين أبوا أن يَنْتَهُوا).

* * *

القضية الثانية

صِيَامُ الدَّهر:

وهو متابعة الصيام مدى الأيام والشهور دون انقطاع، إلَّا الأيام التي يجب الفطر فيها كيوم عيد الفطر، ويوم عيد الأضحى وأيام الحيض والنفاس.

وهذا الصيام مُخَالَفٌ للسنَّة، فقد نهىٰ الرسول ﷺ عنه.

● روى البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: أُخْبِرَ رَسُولُ الله ﷺ أنِّي أقولُ: وَاللَّه لأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي.

قال: «فَإنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَإنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ».

قلت: إنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ: «فَصُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ».

قُلْتُ: إنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ.

قال: «فَصُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْماً، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ».

فقلتُ: إنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ.

فقال النبيُّ ﷺ: «لاَ أَفْضَل مِنْ ذَلِكَ».

وجاء في رواية: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ صِيَامُ دَاوُدَ كَانَ يَصُومُ يَوْمَاً ويُفْطِرُ يَوْمَاً».

وجاء في رواية: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إلىٰ اللَّهِ صِيَامُ دَاوُد».

● وروى البخاري ومسلم عن عبدالله بن عَمْرٍو قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا صَامَ من صَام الأَبَدَ».

وفي رواية: «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الدَّهْرَ، صَوْمُ ثلاثَةِ أَيَّامٍ من كلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّه».

وثبت أن عبدالله بن عمرو بن العاص كان يقول بعدما كَبِرت سِنُّه: «يا ليتني قبلتُ رخصة النبي ﷺ».

● وروى مسلم وغيرُهُ عَنْ أَبي قَتَادَةَ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ الله: كَيْفَ بِمَنْ صَامَ الدَّهْرَ؟. فقال: «لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ» أَوْ «لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطِرْ».

أي: لَا صَامَ صِيَاماً مأجوراً، ولم يُفطرْ فِطْراً مريحاً لنفسه من مشقة الإمساك عن الطعام والشراب، أي: فهو كالمُفْطِرِ من ناحية الثواب، وكالصائم من جهة المشقة.

● وعن أبي موسىٰ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ صَامَ الدَّهْرَ ضُيِّقَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ هَكَذَا» وَقَبَضَ كَفَّهُ.

رواه أحمد وابن حِبانَ وابنُ خُزَيمَة والبيهقيُّ وابنُ أَبِي شَيْبة، والبزَّار والطبراني.

قال في مجمع الزوائد: ورجالُه رجالُ الصحيح.

ما يُستفادُ من هذه الأحاديث:

١ ـ صيام الدهر هو خلاف السنة النبويَّة في الإسلام، حتى إنَّ الرسول ﷺ لم يفعله بنفسه على سبيل الخصوصية كما كان يفعل في الوصال.

٢ ـ أبان الرسول ﷺ أنَّ أفضل الصيام لمن استطاع هو صيام داود عليه السلام، وهو صوم يوم وفطر يوم، وأنَّه لَا أفضل منه.

ومن لم تكن عنده هذه الاستطاعة فالأفضل في حقِّهِ أن يصوم على قدر استطاعته.

كأن يصوم يوماً ويفطر يومين، أو يصوم ثلاثة أيام من كلِّ شهر، أو يقتصر على أيام الصيامِ التي رغَّب الشارع في صيامها من السنة، أو يقتصر على صيام رمضان وستٍ من شوال، فهو بالنسبة إليه كأنَّه صام الدهر كلَّه من جهة الأجر.

٣ ـ دلَّت هذه الأحاديث على أنَّ من صام الدهرَ لَمْ يصُمْ صوماً مأجوراً، وإنَّما أتعب نفسه دونما طائل، لأنَّه خالف بعمله السنَّة في الإسلام، لكنَّ نفْيَ الأجر لا يدلُّ على التحريم، إنَّما يدلُّ على أنَّه عملٍ ليس فيه طاعة تقرّبُ العبد إلى ربِّه، ويمكن أن يتخذ هذا أصلاً في كلِّ عِبادةٍ مشروعة الأصل لكنَّها جاءت على خلاف الإرشاد النبويّ.

ويمكن أن نستفيد من ذلك حكم الكراهة، فالنهي إذن يحمل على الكراهة.

٣ ـ قول الرسول ﷺ: «مَنْ صَامَ الدَّهْرَ ضُيِّقَتْ عَلَيْـهِ جَهَنَّمُ هَكَذَا» وقَبَضَ كَفَّهُ. يتضَمَّنُ وَعِيداً يدلُّ بظاهره على تحريم صيام الدَّهْر، وإلى هذا ذهب ابن حزم مخالفاً لما ذهب إليه جمهور الفقهاء، فهم ما بين قائل بالكراهة وقائل بالجواز لتعارض الأدلة.

ويمكن حمل الوعيد في هذا الحديث على من خالف الإرشاد النبويّ عناداً وإصراراً على رأيه، زاعماً أنَّه يؤجر في صيامه الدهر، مع بيان الرسول ﷺ أنَّه «لا صامَ وَلَا أَفطر» فهو بهذا يرفض حكم الرسول وإرشاده، ونظيره من يترك الرخصة المشروعة شكاً فيها، أو رفضاً لحكمها.

لكنِّي لا أرى للمجيزين دون كراهة دليلاً كافياً للاحتجاج به، أمَّا عمل

عبدالله بن عمرو بن العاص الذي دارت حوله معظم الأحاديث فلا حجَّة فيه، لاحتمال أن يكون رضي الله عنه قد رأىٰ أنَّ استمرار عمله بنذره السابق الذي أوجب به على نفسه صيام الدهر ـ وقد كان قبل أن ينصحه الرسول ﷺ بما هو أوفق لاستطاعته ـ أفضل ولو تحمَّل الكراهة من نقض نذره والتكفير عنه، ويدلُّ على هذا الفهم قوله بعد أن كبرت سنه: (يَا ليتني قَبِلْتُ رخصة النبي ﷺ) أي: في التحلُّل من نذره.

* * *

القضية الثالثة

صِيَامُ يَومِ الشَّكِّ، واستقبال رمضان بيومٍ أو يومين:

١ ـ عن عمار بن ياسرٍ قال: «مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فيه فقد عَصَىٰ أَبَا الْقَاسِمِ محمَّداً» ﷺ.

رواه النسائي والترمذي وأبو داود وابن ماجه، وصحَّحهُ الترمذيّ.

٢ ـ وعن ابن عبَّاس قال: قال رسول ﷺ: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ فَكَمِّلُوا الْعِدَّةَ ثَلاَثِينَ، وَلَا تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالاً».

رواه أحمد والنسائي، وعند الترمذي بمعناه وصححه.

٣ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتقدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ إلاَّ أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْماً فَلْيَصُمْهُ».

رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وفي السُّنَّة روايات أخرى تتضمن ما جَاء في هذه الأحاديث.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ حديث عمَّار يدلُّ على تحريم صوم يوم الشَّك، على اعتبار أنَّه من رمضان احتياطاً.

٢ ـ وحديثا ابن عباس وأبي هريرة يدلّان على النهي عن استقبال رمضان بيومٍ أو يومين من آخر شعبان، بقصد التوطئة لرمضان، أمّا من صادف عادة له، أو هو صائم شهر شعبان كلّه أو معظمه، ولم يقصد استقبال رَمضانَ بصيامٍ من شعبان، على سبيل التنفُّل، فالنهي لا يشمله، بل يجوز له أن يصوم قبل رمضان بيوم أو يومين، ولو كان يوم شك، لأنه لم يستقبل بذلك رمضان، ولا قصد صيام يوم الشك احتياطاً.

الحكمة من النهي:

يبدو لي أنَّ الحكمة من النهي حرص الإسلام على ضبط أوائل الأوقات ونهاياتها بالتحرِّي، فلا تتداخل الحدود، ولو أذن الرسول بصيام يوم الشكِّ احتياطاً لرمضان لَمَا اهتمَّ المسلمون بتحديد أوَّل الشهر، ولصاموا يوم الشكِّ احتياطاً، أو استقبلوا الشهر بيوم أو يومين، ولضاع بذلك الاهتمام بضبط الوقت، والالتزام بحدود الشهر تماماً.

ولذلك جاء في أحاديث: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» قول الرسول ﷺ: «فإنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثين» وَلَمْ يَقُلْ: فَاحْتَاطُوا لرمضان واجعلوا شعبان تسعاً وعشرين، على اعتبار أنَّ الشهر قد يكون تسعاً وعشرين، أي: واجعلوا المشكوكَ فيه من نصيب رمضان احتياطاً، لم يقلْ هذا، ولم يأذن به، بل جَعل المشكوك فيه من نصيب شعبان استصحاباً للأصل، حتى يأتي دليل يُنْهِيه.

ولو أذن الإسلام باستقبال رمضان بيوم أو يومين لاستغنى الناس عن تحرِّي أوَّل الشهر، وصار لهم عادة، ولامتدَّ الشهر، وتغيّرت حدود زمان الصيام المفروض.

ولهذا المعنى أوجب الإسلام الفطر في أوَّل يومٍ من شوال، مع ما في إيجاب الفطر من معنى التعبُّدِ بالفطر كالتعبُّد بالصوم، ومشاركةِ الناس في فرحتهم بالعيد، وعدمِ الشذوذ بصيام يوم أفطر الناس فيه فرحين بجائزة الغفران، التي نالوها بفضل صيام شهر رمضان.

إنَّ التزام حدود الله من كبريات قواعد الدين، لاسيما في الأمور التعبُّديَّة. والتزامُ الحدود هو الذي يحمي من التلاعب بالدين والزيادة فيه أو النقصان منه.

ولمَّا كان الصيام من آخر شعبان محتملاً لأن يوافق عادةً للصائم كان المنع قاصراً على من أراد استقبال شهر رمضان بصيامٍ من النفل المطلق، أو أراد صيام يوم الشكّ احتياطاً لرمضان، وهذا لا يشملُ مَنْ عليه صوم واجب يريد أن يؤدِّيه، أو كان من عادته أن يصُوم أيَّاماً من الأسبوع فوافقت أواخر رمضان، أو هو متطوِّع بصيام شهر شعبان كلّه.

لكنَّ أوَّل شوال مُخْتَلِفٌ عَنْ أواخر شعبان، فوجب الفطر فيه، وحرُمَ صومه، ليكون يومَ عيد، وليكونَ إفطاراً فاصلاً بين صيام رمضان المفروض، وأنواع الصيام الأخرى، وليكون يوم عبادة بالفطر، كما كانت أيَّامُ رمضان أيّامَ عبادة بالصوم.

أقوال الفقهاء فيما دلَّت عليه أحاديث صوم يوم الشَّك واستقبال رمضان بصيام يوم أو يومين:

١ ـ قال الشافعي ومالك والجمهور لا يجوز صوم يوم الشك، ولا يوم الثلاثين من شعبان عن رمضان، إذا كانت ليلة الثلاثين ليلة غيم.

٢ ـ ونقل الشوكاني عن ابن الجوزي في التحقيق قوله: ولأحمد في هذه المسألة (وهي إذا حال دون مطلع الهلال غيم أو غيره ليلة الثلاثين من شعبان) ثلاثة أقوال:

أحدها: يجب صومه على أنَّه من رمضان.

ثانيها: لا يجوز فرضاً ولا نفلاً مطلقاً، بل قضاءً وكفَّارة ونذراً ونفلاً يوافق عادة.

ثالثها: المرجع إلى رأي الإمام في الصوم والفطر.

٣ ـ روي عن جماعة من الصحابة أنَّهم ذهبوا إلى صيام يوم الشكّ.
٤ ـ وقال جماعة من أهل البيت باستحبابه.

٥ ـ وروي عن جماعة من الصحابة كراهة صوم يوم الشك، منهم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعمَّار، وابن مسعود، وحذيفة، وابن عباس، وأبو هريرة، وأنس بن مالك.

من هذا نلاحظ أن ما نُقل عن السلف قد جاء مختلفاً، أمَّا صحاح الأحاديث فقد تبيَّن لنا ما يستفاد منها، والله أعلم.

* * *

القضية الرابعة

صوم يومي الفطر والنحر وأيام التشريق:

● روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدريّ قال: «نَهَىٰ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ صِيامِ يَوْمَيْنِ: يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ النَّحْرِ» وفي حديث عند البخاري عنه: «ولا صَوْمَ في يومين: الْفِطْرِ والأَضْحَىٰ».

● وكذلك روى مسلم عن عائشة أم المؤمنين، وأبي هريرة.
● وروى البخاريّ ومسلم عَنْ أَبي عُبَيْدٍ مَوْلَىٰ ابْنِ أَزْهَرَ قال: شَهدتُ الْعِيدَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ (أي: في خطبته): «هَذَانِ يَوْمَانِ نَهَىٰ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ صِيَامِهِمَا: يَوْمُ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ، وَالْيَوْمُ الآخَرُ تَأْكُلُونَ فِيهِ مِنْ نُسُكِكُمْ».

● وروى مسلم عَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وشُرْبٍ» وفي رواية: «وَذِكْرٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

● وروى مسلم وأحمد عن كعب بن مالك: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَهُ وَأَوْسَ بْنَ الْحَدْثَانِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ فَنَادَىٰ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَأَيَّامُ مِنَىٰ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ» وفي رواية أنَّه قالَ: «فَنَادَيَا».

● وروى الإمام أحمد عن سعْدِ بن أبي وَقَّاص قَال: «أَمَرَني النبيُّ ﷺ أَنْ أُنَادِيَ أَيَّامَ مِنَىٰ أَنَّها أَيَّامُ أَكْلٍ وشَرَابٍ وَلاَ صَوْمَ فيها» يعني أَيَّامَ التَّشْرِيق.

وأخرجه البزَّار أيضاً، قال في مجمع الزوائد: ورجالهما رِجَال الصحيح: أي أحمد والبزَّار.

● وروى الدارقطني عَنْ أُنس: «أنَّ النبيَّ ﷺ نَهَىٰ عَنْ صَوْمِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ في السنة: يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ النَّحْرِ، وَثَلاَثَةِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ».

وفي إسناده محمد بن خالد الطحَّان وهو ضعيف.

● وروى البخاريّ عن عائشة وابن عمر، قالاَ: «لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ إلاَّ لِمَنْ لم يجِدِ الْهَدْيَ».

● وروى البخاريُّ عن ابن عمر قال: «الصِّيَامُ لِمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إلى الْحَجِّ إِلَىٰ يَوْمِ عَرَفَة، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ هَدْياً وَلَمْ يَصُمْ صَامَ أَيَّامَ مِنَىٰ».

قال البخاري: وعن ابن شهاب عن عروة عن عائشة: «مثله».

ما يُسْتفاد مِنْ هذِهِ الأَحاديث:

١ ـ نستفيد من هذه الأحاديث تحريم صوم يَوْمَي الفطر والنَّحرِ، وعَدَمَ الإذن بِهِ في حالٍ من الأحوال.

قال النووي في شرح مسلم: (وقد أجمع العلماء على تحريم صوم هذين اليومين بكلِّ حال، سواءٌ صامَهُمَا عن نذرٍ أو تطوُّع أو كَفَّارَةٍ أو غير ذلك. ولو نذر صومهما متعمِّداً لعينهما، قال الشافعيّ والجمهور: لا ينعقد نذره، ولا يلزمه قَضَاؤُهما، وقال أبو حنيفة: ينعقد ويلزمه قضاؤهما، قال: فإن صامهما أجزأه، وخالف الناسُ كلُّهم في ذلك) انتهى.

٢ ـ ونستفيد من هذه الأحاديث تحريمَ صِيَامِ أَيَّامِ التشريق[١]، وهي

---

(١) سمّيت أيام التشريق، لأن لحوم الأضاحي تُشَرَّق فيها، أي: تنشر في الشمس لتكون قديداً، وقيل غيرُ ذلك في سبب التسمية.

أيَّامُ مِنَىٰ بعد يوم النحر، قيل: اثنان نظراً إلى الإذن بالتعجيل، وقيل الثلاثة كلُّها، وهذا التحريم يُرْفَعُ عمَّنْ كان عليه صيام التمتع ولم يصم قبل يوم النحر، ولا وجد هدياً، فله أن يصوم أيَّامَ منى، أخذاً ممَّا رواه البخاريُّ عن عائشة وابنِ عُمَر.

أقوال الفقهاء:

اختلف الفقهاء في صيام أيام التشريق، ونُقِل الخلاف عن الصحابة أيضاً:

أ ـ فقد رُوِيَ عن عليّ وعبدالله بن عمرو بن العاص المنعُ من الصوم في أيام التشريق مطلقاً.

قال النووي في شرح مسلم: (وهو أظهر القولين في مذهب الشافعي، وبه قال أبو حنيفة وابن المنذر وغيرهما) انتهىٰ.

ب ـ وروى ابن المنذر وغيره عن الزبير بن العوَّام وأبي طلحة من الصحابة جوازَ صيام أيام التشريق مطلقاً.

جـ ـ وثبت في الصحيح عن ابن عمر وعائشة وعبيد بن عمير وروي عن آخرين، تحريمُ صيام أيام التشريق إلَّا للمتمتِّع الذي لا يجد هدياً، وبه قال مالك، والأوزاعي، وإسحق، والشافعي في أحد قوليه.

وألحق الأوزاعي وغيره بالمتمتع المحصر والقارن، لأنهما مثله في وجوب الصيام عليهما إذا لم يجدا هدياً، وهو قياس وجيه.

حكمة المنع:

كما أنَّ العبادة تكون بطاعة الله في الصيام، تكون أيضاً بطاعة الله في عدم الصيام.

إنَّ العبودية تتحقق بالطاعة فيما أمر الله به وفيما نهى الله عنه، وقد

شملت العبادات في الإسلام معظم أنواع سلوك الإنسان في الحياة، ومنها أن لا يصوم في أيَّامٍ مخصوصة، جعلها الله أعياداً للمسلمين، وأيّام فرحة عامَّة، ومشاركة في مباهج الحياة، بمناسبة الانتهاء من عبادتين جِهَادِيَّتَيْنِ شاقتين، والظفر بعفو الله وغفرانه لمن أدَّاهما من المسلمين، هما عبادة الصيام طَوَال شهر رمضان، وعبادةُ الحجِّ الذي هو بمثابَةِ جهادٍ لا قتال فيه، والمسلمون جميعاً يشاركون في هذه الفرحة.

وذكر العلماء أنَّ الحكمة في التحريم كون الصيام فيه معنى الإعراض عن ضيافة الرحمن في أيَّامِ العيد.

* * *

القضية الخامسة

تخصيص يوم الجمعة بصوم نفل مطلق:

● روى البخاري ومسلم عن محمَّد بن عَبَّاد قال: سألتُ جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، (وهو يطوف بالبيت)[1]: أَنهَىٰ رسول الله ﷺ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ الْجُمُعَة؟ فقال: نعم. (وربِّ هذا البيت)[1].

وفي رواية عند البخاري زيادة: (يعني أن ينفردَ بصَومه).

● وروى الإمام مسلم عن أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَصُمْ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ أَوْ يَصُومَ بَعْدَهُ».

● وعند البخاري نظيره، وعند أحمد: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمُ عِيدٍ فَلَا تَجْعَلُوا يَوْمَ عِيدِكُمْ يَوْمَ صِيامِكُمْ إلَّا أن تصوموا قبله أو بعده».

● وروى مسلم عن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ قال: «لَا تختصُّوا ليلة الجمعة بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ، إلَّا أن يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ».

---

(١) هذه عند مسلم.

● وروى البخاريُّ عَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أَنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عليها يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ، فقال: «أَصُمْتِ أَمْسِ؟».

قالت: لا.

قال: «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غداً؟».

قالت: لا.

قال: «فأَفْطِرِي».

وفي رواية عند البخاري أنَّها أفطرت امتثالاً لأمر الرسول.

● وفي السُّنَّةِ أحاديث أخرى مشابهة لما جاء عند البخاري ومسلم.

● وروى ابنُ أبي شيبة بإسناد حسن عن علي رضي الله عنه قال: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَطَوِّعَاً مِنَ الشَّهْرِ فَلْيَصُمْ يَوْمَ الخميس، وَلَا يَصُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فإنَّهُ يَوْمُ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَذِكْرٍ».

● وعن ابن مسعود: «أَنَّ النبيَّ ﷺ قلَّما كان يُفْطِرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ».

رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، قال الترمذي: حديث حسن، وقال ابن عبد البرِّ: هو صحيح.

ما يستفادُ من هذه الأحاديث:

١ ـ ظاهر هذه الأحاديث يدلُّ على المنع الجازم من إفراد يوم الجمعة بالصيام لمتنفِّل، والإذن بصيامه لمن جمع معه يوماً قبله أو يوماً بعده، ويصدُقُ هذا فيمن صامه ضمن أيَّام، والإذن بصيامه لمن وافق عادة له، أخذاً من قوله: «إلَّا أن يكون في صومٍ يصومُهُ أحدكم».

٢ ـ ويحمل فعل النبيِّ على أنه صلوات الله عليه كان يصومه غير مفردٍ له بالصيام، ولا داعي لادِّعاء الخصوصية، إذْ لم يأت في الحديث أيَّةُ إشارة إلى أنَّه كان يُفرِدُه بالصيام.

٣ ـ وأحاديث المنع من إفراد يوم الجمعة بالصِّيام صحاحٌ لا مندوحة من الأخذ بها، ولا داعي لتأويلها، وما خالفها ضعيف لا يقوى على معارضتها.

أقوال الفقهاء:

١ ـ ذهب بعض الفقهاء إلى المنع من إفراد يوم الجمعة بصيام من النفل، استدلالاً بأحاديث المنْع، وحكاه ابن المنذر وابن حزم عن علي، وأبي هريرة، وسلمان، وأبي ذرّ.

قال ابن حزم: ولا نعلم لهم مخالفاً في الصحابة.

ونقله أبو الطيب الطبري عن أحمد، وابن المنذر وبعض الشافعية.

٢ ـ وذهب جمهور الفقهاء إلى أنَّ النهي في الأحاديث يحمل على الكراهة لا التحريم، ومنهم جمهور أصحاب الشافعيّ.

٣ ـ وقال مالك وأبو حنيفة لا يكره، استدلالاً بحديث ابن مسعود: «أنَّ النبي ﷺ قلَّما كان يفطر يوم الجمعة».

وهذا الحديث لا يكفي للاستدلال به أمام أحاديث النهي، لإمكان حمل فعل الرسول ﷺ على أنَّه كان يصوم قبله أو بعده.

قال النووي في شرح مسلم: (وأمَّا قول مالك في الموطّأ: لم أسمع أحداً من أهل العلم والفقه ومن به يُقْتَدَىٰ، نَهَىٰ عن صيام يوم الجمعة، وصيامُهُ حسن، وقد رأيت بعض أهل العلم يصومُهُ، وأراه كانَ يَتحرَّاهُ.

فهذا الذي قاله هو الذي رآه، وقد رأىٰ غيرُه خِلافَ ما رأى هو، والسُّنَّةُ مُقَدَّمة على ما رآه هو وغيره.

وقد ثبت النهي عن صوم يوم الجمعة فيتعيَّنُ القول به.

ومالك معذور، فإنَّه لم يبلُغْهُ، قال الداوُديُّ من أصحاب مالك: لم

يبلغ مالكاً هذا الحديث، ولو بلغه لم يخالفه)[1] انتهى.

حكمة المنع من إفراد يوم الجمعة بالصيام:

يومُ الجمعة هو اليوم الذي تُتَوَّجُ به الصلوات اليوميةُ أسبوعيًّا بصلاة الجمعة، فيوم الجمعة هو يوم العيد الأسبوعي للمسلمين، وهو يوم الفرحة بغفران سيئات الأسبوع.

أمَّا أنَّه يوم عيد فقد ورد في السنة كما سبق وثبت عن عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم عمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس.

فعن ابن عباس: أنَّه قرأ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية وعنده يهوديّ، فقال: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذناها عيداً. فقال ابن عباس: فإنَّها نزلت في يوم عيدين: في يوم جمعة، ويوم عرفة.

رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وروى الطبري في التفسير نظيره عن عمر بن الخطاب.

وروى مالك وابن ماجه في حديث مرسل أن النبي ﷺ قال في جمعة من الجمع: «إن هَذَا يَوْمٌ جعله الله عيداً...».

وأمَّا أنه يوم يشتمل على الفرحة بالغفران، ففيه طائفة من الأحاديث، منها:

ما رواه مسلم عن أبي هريرة، عن الرسول ﷺ قال: «مَنِ اغْتَسَلَ، ثُمَّ أَتَىٰ الْجُمُعَةَ فَصَلَّىٰ مَا قُدِّرَ له، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ، غُفِرَ له ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَىٰ وَفَضْلُ ثَلاَثَةِ أَيَّام».

وما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلواتُ الخمسُ، والْجُمُعَةُ إلى الجمعةِ وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ مُكفَّراتٌ لما بينهنَّ إذا اجتنَبَتِ الكبائر».

---

(١) شرح مسلم الجزء الثامن صفحة ١٩.

فالحكمة من منع إفراد يوم الجمعة بالصيام مثلها في منع الصيام يومي عيد الفطر والأضحى، وأيام التشريق، وظاهر أنَّ الأعياد تستلزم المشاركة العامَّة في الأكل والشرب وذكر الله عزَّ وجلَّ، والصيامُ فيها يحمل معنى الإعراض عن مشاركة الجماعة في مظاهر فرحتها

وحين لا يُفْرَدُ يومُ الجمعة بالصيام، أو يكونُ مندرجاً في صومٍ يصومه المسلم، فإنَّ معنى قصدِ يوم الجمعة بالصيام إعراضاً عن مشاركة الجماعة الإسلامية في عيدها وفرحتها يكون حينئذٍ مستبعداً وغَيْرَ ملاحظ، من أجل ذلك لم يكن صيامه في هذه الأحوال ممنوعاً، وعليه يحمل ما كان يفعله الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

واختلف يومِ الجمعة في هذا عن يومي الفطر والنحر، لأن يوم الجمعة يوم يتكرَّر في كلِّ أسبوع، أمَّا هما فيأتيان في السنة مرة واحدة، فلم يجز صومهما بحالٍ من الأحوال.

وأمَّا أيَّامُ التشريق فضرورةُ عُذْرِ الحاج الذي عليه صيام تمتّع لم يؤدّه قبل عرفة كانت هي التي اقتضت الإذن له بأن يؤدِّي ما عليه من صوم أيام التشريق، حتى لا يفوته واجب صيام ثلاثة أيّامٍ في الحج، بدل الهدي الذي لم يجده.

* * *

القضية السادسة

صِيَامُ النصفِ الثاني مِنْ شعبان:

عن أبي هريرة أنَّ النبي ﷺ قال: «إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا تَصُومُوا».

أخرجه أصحاب السنن، وصححه ابن حبّانَ وغيره.

وقال أحمد وابن معين: إنَّه منكر.

وضعفه جمهور العلماء، ومنهم البيهقي والطحاوي.

أقوال الفقهاء:

١ ـ أخذ بظاهر هذا الحديث كثير من الشافعيّة، وقالوا: يبتدىء المنع من أوَّل السادس عشر من شعبان.

٢ ـ وقال جمهور الفقهاء: يجوز الصوم تطوُّعاً بعد النصف من شعبان، إذْ لم يثبت عندهم حديث المنع من الصيام، مع وجود أحاديث أخرى قوية وصحيحة تعارض معناه.

ويبدو أنَّ ما ذهب إليه الجمهور هو الذي يؤيِّدُه الدليل، والله أعلم.

* * *

القضيَّة السابعة

صيام يوم عرفة في عرفة للحاج:

● عن أبي هريرة قال: «نَهَىٰ رسولَ الله ﷺ عن صوم عرفة بعرفات».

رواه أحمد وابن ماجه، وأبو داود، والنسائي، وصححه ابن خزيمة والحاكم.

● وعن أُمّ الفضل: «أَنَّهُمْ شَكُّوا في صَـوْمِ النَّبيِّ ﷺ يَوْمَ عَـرَفَةَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِلَبَنٍ فَشَرِبَ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ بِعَرَفَةَ».

رواه البخاريّ ومسلم.

● وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ النَّحْرِ وأَيَّامُ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الإِسْلَام، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ».

رواه أحمد والنسائي وأبو داود والترمذي وصححه.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ يستفاد من هذه الأحاديث المنعُ من صيام يوم عرفة بالنسبة إلى الحاج، لنهي الرسول عن صوم عرفة بعرفات، ولفعله، فإنَّه ثبت أنه لم يكن

في عرفة صائماً. أما غير الحاج فيسنُّ له صيامه للأحاديث الواردة في ذلك، وقد سبق بيانها.

٢ ـ دلَّ حديث عُقْبَةَ على أنَّ يوم عرفة يوم عيد لأهل الإِسلام، وأنَّه يوم أكل وشرب كيوم النحر وأيام التشريق.

وينبغي حَمْلُ ما جاء في هذا الحديث عن عرفة على من كان حاجًّاً، للأحاديث الواردة في سنّيّة صيام يوم عرفة لغير الحاج.

أقوال الفقهاء:

١ ـ أخذ بما دلَّ عليه حديث النهي عن صوم عرفة بعرفات بعض السلف، فقد ورد عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري أنه قال: (يجب فطر يوم عرفة للحاج).

٢ ـ وروي عن بعض السلف أنَّهم كانوا يصومونه، حُكي ذلك عن ابن الزبير، وأسامة بن زيد، وعائشة.

وكان صيامه يعجب الحسن، ويحكيه عن عثمان.

٣ ـ وقال قتادة: لا بأس بصوم يوم عرفة للحاج إذا لم يضعف عن الدعاء. ونقله البيهقيّ في «المعرفة» عن الشافعيّ في القديم، واختاره الخطّابي والمتولّي من الشافعية.

٤ ـ وقال جمهور الفقهاء يستحبُّ فطر يوم عرفة للحاج، وقال عطاء: من أفطره ليتقوّىٰ به على الذكر كان له مثل أجر الصائم.

وقال الطبري إنَّما أفطر رسول الله ﷺ بعرفة ليدلَّ على الاختيار للحاجّ بمكة، لكي لا يضعف عن الدعاء والذكر المطلوب يوم عرفة.

عن ابن حجر في الفتح(١).

ويظهر أنَّهم حملوا حديث النهي على الكراهية التنزيهية.

(١) انظر الصفحة ٢٣٨ من الجزء الرابع الحديث ١٩٨٩.

حكمة المنع من صوم يوم عرفة للحاج في عرفة:

١ ـ أنَّه يوم عيد يجتمع فيه الحجاج في صعيد واحد.

٢ ـ أنَّه يومٌ يشُقُّ فيه الصوم، فلا يقوىٰ الحاج الصَّائم فيه على القيام بعبادات هذا اليوم من ذكر ودعاء، وإفاضة بعد غروب الشمس من عرفات إلى مزدلفة، فمنى، لاسيما في أيام الحرِّ التي لا يصبر الصائم فيها عن تناول السوائل.

مع ما في هذا اليوم من انتقال، وحركة، وسفر، وزحام، وتعرُّض لمشقَّات كثيرة، يعرفها كلُّ من حجَّ وشهد الموسم.

والله حكيم رفيق بعباده، وإنَّ هذا الدين يسر، قال الله تعالى في سورة (الحج ٢٢): ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ . . . (٧٨)﴾.

٣ ـ يضاف إلى ما سبق، ما في الفطر في يوم عرفة للحاج من عبادة بالفطر، كعبادة غير الحاج بالصيام.

* * *

القضية الثامنة

الحائض والنفساء لا تصومان فرضاً ولا نفلاً:

● روى البخاريّ عن أبي سعيد الخدري قال: «خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ في أضحىٰ ـ أو في فِطْرٍ ـ إلىٰ الْمُصَلَّىٰ، فَمَرَّ عَلَىٰ النِّسَاءِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّساءِ تَصَدَّقْنَ، فَإنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ».

فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ الله؟

قال: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إحْدَاكُنَّ».

قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟».

قُلْنَ: بلى.

قال: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا. أَلَيْسَ إذَا حَاضَتْ لم تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟».

قُلْنَ: بَلَى.

قالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا».

● وعند البخاري من حديث مُعَاذَة، أَنَّ عائشة أم المؤمنين قالت في شأن قضاء الصلاة بالنسبة إلى الحائض بعد طهرها: «كُنَّا نحيض مع النبي ﷺ فلا يأمُرنَا به» أو قالت: «فلا نَفْعَلُهُ».

● وعن معاذة قالت: سألت عائشة فقلت: مَا بَالُ الحائضِ تقضي الصَّوْمَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟

قالت: كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ مع رسول الله ﷺ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ».

رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه.

● وروى البخاري عن عائشة قالت: خَرَجْنَا مَعَ النبيِّ ﷺ لا نَذْكُرُ إلَّا الحجَّ، فَلَمَّا جِئْنَا سَرِفَ طَمِثْتُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النبيُّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟».

قُلْتُ: لَوَدِدْتُ واللَّهِ أَنِّي لَمْ أَحُجَّ الْعَامَ.

قال: «لَعَلَّكِ نَفِسْتِ؟».

قلت: نعم.

قال: «فإنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَىٰ بَنَاتِ آدَمَ، فَافْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ، غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّىٰ تَطْهُرِي».

سَرِف: موضع قريب من مكة على بعد نحو عشرة أميالٍ منها.

طَمِثْتُ: بفتح الطاء وفتح الميم أو كسرها، أي: حضتُ، والمضارع أَطْمُثُ بضم الميم.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ يستفاد من هذه الأحاديث أنَّ من الشرائع المعلومة من الدين، أنَّ الحائض لا تُصَلِّي ولا تصوم وهي في حيضها ولا تطوف.

والنفاس هو دم حيض يخرج بعد الولادة، فحكمه حكم الحيض.

ويطلق على الحيض اسم النفاس كما جاء في كلام الرسول ﷺ.

٢ ـ ويستفاد منها أيضاً أنَّ النساء في عهد الرسول ﷺ، لم يَكُنَّ يُؤْمَرْنَ بقضاء الصلوات التي يترُكْنَها بحكم الشرع في حالة الحيض، أمَّا الصيامُ فكُنَّ يُؤْمَرْنَ بقضائه، وأمَّا الطواف الركن فكن ينتظرن حتى يطْهُرْنَ ليؤدينه.

أقوال الفقهاء:

١ ـ أجمع المسلمون على أنَّ الحائض والنفساء تتركان بحكم الشرع الصلاة، والصوم، والطواف، فهي عبادات لا تصح منهما.

٢ ـ نقل ابن المنذر والنووي وغيرهما إجماع المسلمين على أنَّه لا يجب على الحائض قضاء الصلاة، ويجب عليها قضاء الصيام.

وذكروا في الحكمة من التفريق بين الصلاة والصوم أنَّ الصلاة واجب يومي، فيشُقُّ التكليف بقضائها عند كلِّ دورة شهرية، أمَّا الصيام فيجب في شهر واحد من السنة، وقضاؤه متيسر طوال باقي السنة، في أشهر ليس فيها صيامٌ مفروض، بخلاف الصلاة فالمرأة لا تخلو عن أدائها إلَّا في حيض أو نفاس، وإعفاؤها تيسير من الشارع.

البَابُ الرَّابِعُ

زَكَاةُ الفِطْرِ

زَكَاةُ الفِطْر

١ ـ عن عبدالله بن عمر قال: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ والأُنْثَىٰ، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ».

رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه وعند البخاري ومسلم: «وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّىٰ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاس إلىٰ الصَّلاَةِ».

٢ ـ وروى البخاري ومسلم عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قال: «كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعاً من طَعَامٍ أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ أَوْ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعاً مِنْ أَقِطٍ أَوْ صَاعاً مِنْ زَبِيبٍ».

وفي روايةٍ عِنْدَ الْبُخَّارِي عنه أنَّه قال: «كُنَّا نُعْطِيها في زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ، صَاعاً من طَعَامٍ، أَوْ صَاعَاً مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعاً مِنْ زَبِيبٍ.

فَلَمَّا جَاءَ مُعَاوِيَةُ وَجَاءَتِ السَّمْرَاءُ قال: أُرَىٰ مُدّاً مِنْ هَذَا يَعْدِلُ مُدَّيْنِ».

وفي رواية عند البخاريّ عن أبي سعيد الخُدْري أيضاً أنَّه قال: «كُنَّا نُخْرِجُ في عَهْدِ رسُولِ الله ﷺ يَوْمَ الْفِطْرِ صَاعاً من طَعَام».

قال أبو سعيد: «وَكَانَ طَعَامنَا الشَّعِيرُ والزَّبِيبُ والأَقِطُ والتَّمْرُ».

٣ ـ وعن أبي سعيدٍ الخدري قال: «كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الفِطْرِ إذْ كَانَ فِينَا

رسُولُ الله ﷺ صَاعاً مِنْ طَعَامٍ ، أَوْ صَاعَاً مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ أَوْ صَاعاً مِنْ زَبِيبٍ أَوْ صَاعاً مِنْ أَقِطٍ.

فَلَمْ نَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَيْنَا مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ فَقَالَ إِنِّي لأَرَىٰ مُدَّيْنِ مِنْ سَمْرَاءِ الشَّامِ يَعْدِلُ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ فَأَخَذَ النَّاسُ بِذَلِكَ.

قال أبو سعيد: فَلاَ أَزَالُ أُخْرِجُهُ كَمَا كُنْتُ أُخْرِجُهُ».

رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وأبو داود.

ورواهُ البخاريّ أيضاً إلاَّ «قال أبو سعيد: فلا أَزَالُ أُخْرِجَهُ كَمَا كُنْتُ أُخْرِجُهُ» فلم يَذْكره.

ورواه ابن ماجه أيضاً لكن بحذف حرف (أو).

«صَاعاً من طَعَامٍ ، صَاعاً من تَمْرٍ، صَاعاً من شَعِيرٍ، صَاعاً من زَبِيبٍ، صَاعاً مِنْ أَقِطٍ».

سَمْرَاءُ الشام: هي الحنطة (القمح ـ البرّ).

٤ ـ وعن عبدالله بن عمر: «أنَّ رسولَ الله ﷺ: أَمَرَ بِزَكَاةِ الْفِطْرِ أَنْ تُؤَدَّىٰ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلىٰ الصلاة».

رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائيُّ وأبو داود.

٥ ـ وَعَن ابن عَبَّاسٍ قال: «فَرَضَ رَسُولُ الله ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفَثِ، وطُعْمَةً لِلْمَسَاكِين، فَمَنْ أَدَّاها قَبْلَ الصَّلاَةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاَةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَات».

رواه أبو داود وابن ماجه والدارقُطْنِيُّ والحاكِمُ وصَحَّحَهُ.

طُهْرَةً لِلصَّائِمِ : أي: تَطْهِيراً وَتَزْكِية لِصَوْمِهِ ممَّا قد يكون وقع منه فيه

من لغوٍ أو رفثٍ في القول، والرَّفَثُ المراد هنا هو الفحش في الكلام.

وطُعْمَةً لِلْمَسَاكِين: أي: إطْعاماً للمساكين، وذلك دليل على أنَّ زكاة الْفِطْرِ إنَّما تُصْرَفُ لذوي الحاجةِ إلى الطعام من الفقراء والمساكين.

٦ ـ وروى الدارقطني والبيهقيُّ بإسْنَادٍ جَيِّدٍ عن إسْحَاقَ بن سُلَيْمَانَ الرَّازي قال: قُلْتُ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، كَمْ قَدْرُ صَاعِ النَّبِيِّ ﷺ؟

قال: «خَمْسَةُ أَرْطَالٍ وَثُلُثٌ بِالْعِرَاقِيِّ، أَنَا حَزَرْتُهُ».

قُلْتُ: أَبَا عَبْدِاللهِ، خَالَفْتَ شَيْخَ الْقَوْمِ.

قَالَ: مَنْ هُوَ؟

قُلْتُ: أَبُو حَنِيفَةَ، يَقُولُ ثَمَانِيَةُ أَرْطَال.

فَغَضِبَ غَضَباً شَدِيداً ثُمَّ قَالَ لِجُلَسَائِهِ:

يَا فُلانُ: هَاتِ صَاعَ جَدِّكَ.

يَا فُلانُ: هَاتِ صَاعَ عَمِّكَ.

يَا فُلانُ: هَاتِ صَاعَ جَدَّتِكَ.

قال إسحاق: فَاجْتَمَعَتْ آصُعٌ.

فقال (أي: مالك): مَا تَحْفَظُوْنَ في هذَا؟

فقال هَذَا: حَدَّثَنِي أبي عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يُؤَدِّي بهذا الصاع إلى النبي ﷺ.

وقال هَذا: حَدَّثَنِي أَبِي عن أَخِيهِ أَنَّهُ كَانَ يُؤَدِّي بِهَذَا الصاع إلى النبي ﷺ.

وقال الآخر: حدَّثَنِي أبـي عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا أَدَّتْ بِهَذَا الصاع إلى النبي ﷺ.

فقال مالك: أَنَا حَزَرْتُ هَذِهِ فَوَجَدْتُهَا خَمْسَةَ أَرْطَالٍ وثُلُثاً.

حَزَرْتُ: أي: قَدَّرْتُ، والحزْرُ في اللُّغة: التقدير والخرصُ.

٦ ـ وروى البخاري عن نَافعٍ عَنِ ابْنِ عُمر، قال: «فَرَضَ النبيُّ ﷺ صَدَقَةَ الْفِطْرِ ـ أو قال: رَمَضَانَ ـ عَلَىٰ الذَّكَرِ والأُنْثَىٰ، والْحُرِّ والْمَمْلُوكِ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ أو صَاعاً من شعير، فَعَدَلَ النَّاسُ بِهِ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ بُرٍّ.

فَكَانَ ابنُ عُمَر رضي الله عنهما يُعْطِي التَّمْر، فَأَعْوَزَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ التَّمْرِ، فَأَعْطَىٰ شَعِيراً.

فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُعْطي عَنِ الصَّغِيرِ والكَبِيرِ، حتَّىٰ إنْ كَانَ يُعْطِي عَنْ بَنِيَّ.

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبُلونَهَا.

«وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ».

وفي رواية عند البخاري عن نافعٍ عن ابن عمر قال: «فَرَضَ رسُولُ الله ﷺ صَدَقَةَ الْفِطْرِ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعَاً مِنْ تَمْرٍ عَلَىٰ الصَّغيرِ والكَبيرِ، والْحُرِ والْمَمْلُوكِ».

فَأَعْوَزَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ التَّمرِ: أي: افتقَرُوا من التَّمر، وصار من يُريد أن يَتَصَدَّقَ به لا يجده.

تقول لغة: فُلاَنٌ أَعْوَزَ إِذَا افتقر. وتقول: أعوزَهُ الشيء: إذا احْتَاجَ إِلَيْهِ، وأَعْوَزَهُ الدَّهْرُ إِذَا أَحْوَجَهُ.

وَعوِزَ الشيءُ يَعْوَزُ كَفرِحَ يَفْرَحُ، أي: لَمْ يُوجَدْ.

٧ ـ وأخرج مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «لَيْسَ في الْعَبْدِ صَدَقَةٌ إِلاَّ صَدَقَةَ الْفِطْرِ».

وفي روايةٍ لَهُ: «لَيْسَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ فِي عَبْدِهِ وَلاَ فَرَسِهِ صَدَقَةٌ إِلاَّ صَدَقَةَ الْفِطْرِ فِي الرَّقِيقِ».

٨ ـ وعن ابن عبَّاس قال في آخِر رمضانَ: أَخْرِجوا صَدَقَةَ صَوْمِكُمْ

«فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الصَّدَقَةَ صَاعاً من تَمْرٍ أَوْ شَعِيرٍ، أَوْ نِصْفَ صَاعٍ من قَمْحٍ عَلَىٰ كلِّ حُرٍّ أَوْ مَمْلُوكٍ، ذَكَرٍ أو أُنْثَىٰ، صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ».

رواه أبو داود، والنسائي.

٩ ـ وعن عَمْرو بْن شُعَيْبٍ، عن أبيه، عَنْ جَدِّه، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ بَعَثَ مُنَادياً في فِجاجِ مَكَّةَ: «أَلَا إِنَّ صَدَقَةَ الْفِطْرِ وَاجِبَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ، حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ، صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، مُدَّانِ مِنْ قَمْحٍ أَوْ سِوَاهُ، أو صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ».

رواه الترمذي.

١٠ ـ وعَنْ عَبْدِالله بْنِ ثَعْلَبَةَ، أَوْ ثَعْلَبَةَ بْن عَبْدِالله بن أَبِي صُعَيْرٍ عَنْ أبيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «صَاعٌ مِنْ بُرٍّ أَوْ قَمْحٍ عَنْ كُلِّ اثنَيْن، صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ، ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ. أَمَّا غَنِيُّكُمْ فَيُزَكِّيهِ اللَّهُ، وَأَمَّا فَقِيرُكُمْ فَيُرَدُّ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِمَّا أَعْطَاهُ».

رواه أبو داود.

وجاء في رواية: «غَنِيٍّ أَوْ فَقِيرٍ» بَعْدَ: «حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ».

١١ ـ وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ والدارَقُطْنِيُّ عَن ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ الله ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ وَقَالَ: «أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْم» وفي روايـة للبيهقي: «أَغْنُوهُمْ عَنْ طَوَافِ هَذَا الْيَوْمَ».

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

أولاً: يستفاد من جملة هذه الأحاديث أنَّ «زَكَاةَ الفطر» أو تُسَمَّىٰ «صَدَقَةَ الفطر» أو «صدقة رمضان» زكاةٌ واجبة، وقد عبَّر عن وجوبها الرواة فيها بقولهم: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر» أو: «فرض النبي ﷺ صَدَقَة الفطر».

ولئن كان يُمْكِنُ حَمْلُ «فرض» في حديث ابن عمر: «فرض رسول

الله ﷺ زكاة الفطرِ من رمضان صَاعاً من تمر. . .» على معنى أنَّه قَدَّر هذه الزكاة صاعاً من تمر، فإنَّ حديث ابن عبَّاس: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهْرَةً للصائم من اللَّغوِ والرفث. .» لا يُحْمَل إلاَّ على معنى أنَّه أوجب.

وجاء في حديث عَمْرِو بن شُعَيْب: «ألا إنَّ صَدَقَةَ الْفِطْرِ واجبة».

وهذه الأحاديث وأشباهها تدلُّ على أنَّ الصحابة كانوا يستعملون كلمة: «فرض» بمعنى «أوجب» و«الفرض» بمعنى «الواجب» دون تفريق، ومن حقِّهم أن لا يُفرِّقوا لأنَّ السماع المباشر من الرسول ﷺ في أمور الدين بقوَّة البيان القرآني، ونظير السماع المباشر الحديث المتواتر.

ثانياً: ودلَّت جملة هذه الأحاديث على أنَّ زكاة الفطر هذه زكاة واجبة على كلّ مسلم ومسلمة، كبير وصغير، حرّ وعبد.

ودلَّ حديثُ ابنِ أَبِي صُعَيرٍ عن أبيه على أنَّ زكاة الفطر تجب على الفقير كما تجب على الغنيّ، فقد جاء فيه: «أَمَّا غَنِيُّكُمْ فَيُزَكِّيهِ اللَّهُ، وَأَمَّا فَقِيرُكُمْ فَيَرُدُّ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاهُ».

وجاء في رواية له التصريح بلفظ «غَنِيّ أَوْ فَقِير» وأورده السُّيوطي في الجامع الصغير بلفظ: «صَدَقَةُ الْفِطْرِ صَاعُ تَمْرٍ أَوْ صَاعُ شَعِيرٍ عَنْ كُلِّ رأس، أَوْ صَاعُ بُرٍّ أَوْ قَمحٍ بَيْنَ اثْنَيْن: صَغِيرٍ وكَبِيرٍ، حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ، ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ، غَنِيٍّ أَوْ فَقِيرٍ، أَمَّا غَنِيُّكُمْ فَيُزَكِّيه اللَّهُ تَعَالَىٰ، وَأَمَّا فَقِيْرُكُمْ فَيَرُدُّ الله عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاهُ».

أخرجه أحمد وأبو داود، وأشار السيوطي إلى أنَّه (صحيح).

والفقير هو من يستحق أن يأخذ من الزكاة، ولكن كيف يبذل زكاة الفطر من لا يجد شيئاً، فلا بدَّ أن يُحْمَل على فقير يجد ما يكفيه وعياله يوم عيد الفطر، وعنده زائد على ذلك يستطيع أَنْ يدفع منه زكاة الفطر، ولْيبدأ بنفسه، ثمَّ بمن يعول، وله مع ذلك أنْ يأخذ من زكوات المتصدِّقين ما يغنيه.

وهذا يدلُّ على أنَّ زكاة يوم عيد الفطر من رمضان، هي زكاة أبدان، لا

زكاة عن فائض أموال، لذلك كانت عامَّة على كلِّ الرؤوس من الأمَّة الإسلاميَّة، ولنا أن نقول: من حقِّ الفقير أنْ يأخذ من زكاة الفطر، ثُمَّ يبذُلَها في الوقتِ ليكسب فضيلة تأديه زكاة الفطر، إذَا لم يكن عنده ما يبذل منه هذه الزكاة، لأنَّها زكاةُ أبْدَانٍ على عدد رؤوس المسلمين، في يوم من السنة، هو يوم عيد الفطر.

ثالثاً: ودلَّ حديث ابن عبَّاس على أنَّ زكاة الفطر مع ما فيها من عبادَةٍ لله تعالى وطاعةٍ له وامتثالٍ لأمر رسوله تؤدِّي وظيفتين:

الوظيفة الأولى: تُطَهِّرُ الصَّائِمَ ممَّا قد يكون وقع منه من لغوٍ أو فحش في الكلامِ أثَّرَ عَلَىٰ نقاء صومه وصفائه، فهي تكون كفَّارة له، وقَلَّ أن يَخْلُوَ صَائم من ذلك.

الوظيفة الثانية: أنَّها طُعْمَةٌ للفقراء والمساكين، لإغنائهم عن الكسب في هذا اليوم، وللتوسعة عليهم في يوم عيدٍ عظيم فرح المسلمون فيه بأداء عبادة صيام شهر رمضان، وبالظفر بغفران الرحمن، لمن قبل الله صيامه وعبادته.

ولتحقيق هذه الوظيفة الثانية وجب أداء زكاة الفطر عن كلِّ مسلم ومسلمة بعدد رؤوسهم.

وأكَّد ما جاء في حديث ابن عباس ما جاء في حديث ابن عمر عند البيهقي والدارقطني: «أغنوهُمْ في هذا اليوم» وعند البيهقي: «أغنوهم عن طواف هذا اليوم».

رابعاً: ودلَّ حديث أبي هريرة عند مسلم: «ليس على المسلم في عَبْدِهِ وَلَا فَرَسِهِ صَدَقَةٌ إلَّا صَدَقَةَ الْفِطْرِ في الرَّقِيقِ» على أنَّ زكاة الفطر الواجبة على الرقيق والرقيقة المسلمين إنَّما تجب على المالك.

وهذا يدلُّ بعموم أحكام النفقة الواجبة، أو بدلالة القياس، على أنَّ المسلم يَدْفَع زَكاةَ الفطر عن نفسه وعن كلّ من تجب عليه نَفَقَتُهُ بسبب فقره،

كالأصول والفروع الفقراء الذين يُلْزَم شرعاً بالنفقة عليهم، لأنَّ الرسول أَلْزَمَ مَالِكَ الرقيق بأن يدفع زكاة الفطر عنه، ومثل الرقيق كلّ من هو ملزم بأن ينفق عليه بسبب فقره.

أمَّا الزوجة فلا أرى أنَّها تدخُل في هذا الحكم لأنَّ نفقة الزوج عليها ليس بسبب حاجتها وفقرها، إذْ هو ملزم بالنفقة عليها ولو كانت غنيَّةً، فزكاة فطرها عليها إنْ كانت تملك قدر هذه الزكاة، وإلاَّ فتجب عليه.

خامساً: ودلَّ حديث ابْنِ عمر: «أنَّ رسول الله ﷺ: أمر بزكاةِ الْفِطْرِ أَنْ تُؤَدَّىٰ قَبلَ خروجِ النَّاسِ إلى الصَّلَاةِ».

وحديث ابن عباس: «فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاَةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاَةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ من الصَّدَقَاتِ».

على وجوب أداء زكاةِ الْفِطْرِ قَبْلَ صَلَاةِ العيد من يوم عيد الفطر.

ودلَّ حديث نافع عند البخاري: «وكانوا يُعْطُونَ قَبْلَ الفطر بيومٍ أو يومين» على أنَّ الصحابة كانوا أو كان بعضهم يَرَوْنَ جواز تعجيل زكاة الفطر قبل وقتها بيومٍ أو بيومين، لذلك فهم يفعلون ذلك.

وإذ لم يثبت معارض لهذا فالذي أراه جواز الإذن به.

أمَّا تأخيرها عن صلاة العيد فلا يُسْقِط فيما أرى وجوبها، ولكن لا تقع موقع صدقة الفطر المطلوبة، بل تكون صدقة من الصدقات الواجبة.

سادساً: تسمية هذه الزكاة بزكاة الفطر، أو صدقة الفطر، أو صدقة رمضان مع تعميمها على كلِّ الرؤوس من المسلمين كباراً وصغاراً، يدلُّ علىٰ أنَّ مَنْ أدرك حيّاً جزءاً من آخر رمضان وجزءاً من أوَّل شوَّال وكان من المسلمين ولو بالإلحاق بأصله، فإنَّ زكاة الفطر واجبة على رأسه، تؤدَّىٰ من ماله، أو من مال من تجب عليه نفقته.

فمن وُلِد في آخر رمضان وأدرك حيّاً أول شوال دُفعت عنه زكاة الفطر.

فوقت وجوبها هو غروب شمس آخر يومٍ من رمضان، على اعتبار أنَّ أول شوال يجب فطر نهاره.

سابعاً: ودلّ قول الرسول ﷺ في حديث ابن عبَّاس: «وطُعْمَةً للمساكين» وقوله في حديث ثعلبة بن عبدالله بن أبي صُعَير عن أبيه: «وأَمَّا فَقِيرُكُمْ فَيُرَدُّ عَلَيْهِ أكثرُ مِمَّا أعطاه» وقوله في حديث ابن عمر عند البيهقيِّ والدارقطني: «أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا اليوم» على أنَّ مستحقي «زكاة الفطر» أو «صَدَقَةِ الْفِطْر» أو «صدقةِ رمضان» هم الفقراء والمساكين.

ثامناً: ودلَّت جملة أحاديث زكاة الفطر، على أنَّ هذه الزكاة تُبذَل من أنواع الطعام الذي يعتبرُ قوتاً أساسيّاً كافياً لغذاء الإنسان، ومن هذه الأنواع: القمحُ، والشَّعِيرُ، والسُّلْتُ (وهو نوع من الشعير أو هو كالشعير)، والتمرُ، والزَّبيبُ، والأَقِطُ (وهو لبن رائبٌ مخيض مغليٌّ مجفف). وقد وردت هذه الأنواع في روايات أحاديث زكاة الفطر.

ويمكن أن يقاس عليها ما هو مِثْلُها في أداء وظيفتها الغذائية، كالرزِّ، والذُّرة، مما يعتبره الناسُ قُوتاً أساسيّاً لهم.

تاسعاً: مقدار زكاة الفطر:

١ ـ اتفقت روايات أحاديث زكاة الفطر على أن مقدارها من التمر والشعير، والسُّلْتِ والزبيب والأَقِطِ صاعٌ من صِيعَانِ أهل المدينة، المعروفة في عصر الرسول ﷺ.

وهُوَ أربعة أمداد[1]، وهو الصاع النبويُّ المعروف في الحجاز حتَّى الآن، وتحديد الإمام مالكٍ إمام دار الهجرة له هو التحديد الذي ينبغي الاعتماد عليه.

---

(١) وهي تعادل على ما حققه فقهاء الشافعية والحنابلة والمالكية (٢١٧٥) غراماً، فهي وزن الصاع من البرّ. أمَّا الحنفية فقالوا: هي تعادل (٣٢٩٦,٨) غراماً، وهذا الاختلاف راجع إلى اختلافهم في وزن المدّ. انظر تعليق د. محمد أحمد إسماعيل الخاروف على كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان ص /٥٦ /٥٧.

٢ ـ أمَّا مقدارها من البرِّ:

فعموم لفظ (الطعام) في حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري ومسلم وغيرهما، مع بيان أبي سعيد الخدري أنَّ معاوية في زمن خلافته هو الذي قدَّرَ أنَّ المدَّ من سمراء الشام (وهي البرُّ) يعدلُ مُدَّين من التمر وسائر الأنواع التي كانوا يؤدُّون منها غالباً هذه الزكاة في عهد الرسول ﷺ، إذْ كانت هي غالب قوتهم في الحجاز، لوفرتها، وكان البرُّ لديهم ليس هو الغالب لعدم وفرته.

ومع إصرار أبي سعيد على إخراجها صاعاً عن كلِّ رأسٍ ولو أخرج برّاً، خلافاً لتقدير معاوية.

وكذلك حديث ابن عمر عند البخاري: «فَرَضَ النبيُّ ﷺ صدَقَةَ الفطر ـ أو قال: رمضان ـ على الذكر والأنثى، والحرِّ والمملوك، صاعاً من تمرٍ أو صاعاً من شعير، فعدل الناس به نصفَ صاع من برّ».

كلّ ذلك يدلُّ عَلَىٰ أنَّ نصف الصاع من البرِّ (= مدّين) اجتهادٌ من معاوية ومن الناس، وأنَّ ما فرضه الرسول ﷺ بشكل عامّ قد كان صاعاً.

لكنَّ هَذَا مُعَارَضٌ بحديث ابن عباسٍ عند أبي داود والنسائي: «فرض رسول الله ﷺ هذه الصدقة صاعاً من تمرٍ أو شعيرٍ، أو نصف صاعٍ من قَمْحٍ».

وبحديث عمْرِو بن شعيب عند الترمذي: «مدّان من قمح أو سواهُ، أو صاع من طَعَام».

وبحديث ثعلبة بن عبدالله بن أبي صُعَيْر: «أو صاع بُرٍّ أَوْ قَمْحٍ بَيْنَ اثنين».

فلا سبيل مع هذا التعارض إلَّا الترجيح.

فإمَّا أن نرجِّح دلالة حديثي أبي سعيد وابن عمر.

وإمَّا أن نرجِّح دلالة أحاديث ابن عباس، وعمْرِو بن شعيب وثعلبة لعدم ظهور طريقة للجمع بينهما.

لكنّ حديثي أبي سعيد الخدري وابن عمر أقوى وأصحُّ سنداً، فهما فيما أرى أولى بالترجيح، فالأخذ بدلالتهما هو الأرجح اجتهاداً، والله أعلم.

ولباحث آخر أن يُرجِّح دلالة الأحاديث الأخرى لخصوص دلالتها، فالمسألة قابلة لاختلاف وجهات النظر.

عَاشراً: حول مقدار الصاع.

الصاع هو صاع أهل المدينة الذي كان معروفاً في عهد الرسول ﷺ، وهو أربعة أمداد.

وقدره وزناً خمسة أرطال وثلث بالعراقي كما قدَّره الإمام مالك إمام دار الهجرة، وهي تعادل بأوزاننا المعاصرة (٢١٧٥) غراماً، من حبّ البرّ.

أقوال الفقهاء(١)

١ ـ هل زكاة الفطر واجبة؟:

● قال جمهور الفقهاء: إنَّها واجبة.

● ونقل المالكية عن أشهب أنَّها سنَّة مؤكدة، وهو قول بعض أهل الظاهر، وابْنِ اللَّبانِ من الشافعيَّة.

٢ ـ متى تجب زكاة الفطر؟:

● ذهب الثوري وأحمد وإسحاق والشافعيّ في الجديد، ومالك في

(١) أخذاً من ابن حجر في الفتح ص ٣٦٧ حتى ٣٧٧ من الجزء الثالث ومن الشوكاني في نيل الأوطار ص ٢٤٩ حتى ٢٥٨ من الجزء الرابع.

إحدى الروايتين عنه، إلى أنَّ وقت وجوبها غروب الشمس من آخر يوم من أيام رمضان، لأنه وقت الفطر من رمضان.

● وذهب أبو حنيفة واللَّيث والشافعيّ في القديم، ومالك في إحدى الروايتين عنه، إلى أنَّ وقت وجوبها طلوع الفجر من يوم العيد، لأنَّ اللَّيل ليس محلاًّ للصوم، وإنَّما يتبيَّن الفطر الحقيقي بالأكل بعد طلوع الفجر.

٣ ـ حول زكاة الفطر بالنسبة إلى الرقيق:

● الجمهور الأعظم على أنَّ مالك العبد هو الذي يدفع زكاة الفطر عنه.

● وقال داود الظاهري: يجب على السيد أن يمكّن العبد من الاكتساب لها، كما يجب عليه أن يمكّنه من الصلاة.

٤ ـ حول زكاة الفطر بالنسبة إلى الزوجة:

● قال الثوري وأبو حنيفة وابن المنذر: تجب عليها من مالها كغيرها.

● وقال مالك والشافعي والليث وأحمد وإسحاق: تجب على زوجها إلحاقاً لزكاة الفطر بالنفقة الواجبة.

٥ ـ حول زكاة الفطر بالنسبة إلى الصغير، هل تجب من ماله، أو تجب على أبيه؟:

● قال جمهور الفقهاء: تجب من مال الصغير إن كان له مال، وإلاَّ فعلى من تلزمه نفقته.

● وقال محمد بن الحسن: هي على الأب مطلقاً، فإن لم يكن له أبٌ فلا شيء عليه.

٦ ـ حول وجوب زكاة الفطر على كلٍّ مسلم مهما كان وصفه:

● ذهب جمهور الفقهاء إلى أنَّ زكاة الفطر تجب على كلٍّ مسلم مهما كان وصفه، كما جاء في روايات أحاديث زكاة الفطر.

● وذهب سعيد بن المسيَّب، والحسن البصري إلى أنَّها لا تجب إلَّا على من صام.

٧ ـ حول زكاة الفطر عن الجنين:

● اتفق جمهور الفقهاء على أنَّ زكاة الفطر لا تجب عن الجنين.

● ونقل عن أحمد استحباب أدائها عنه.

● ونقل بعض الحنابلة رواية عنه بوجوب أدائها عنه.

● وقال ابن حزم يجب إخراجها عن الجنين إذا أتمَّ الحمل مئة وعشرين يوماً.

٨ ـ حول زكاة الفطر على الفقير:

● قال جمهور الفقهاء تجب زكاة الفطر على الفقير والمسكين مع أنَّهما يأخذان من زكاة **الفطر**، واشترط الشافعي ومن تبعه أن يملك يوم العيد فاضلاً عن قوت يومه وقوت من تلزمه نفقته.

● وذهب الحنفيَّة إلى أنَّها لا تجب إلَّا على من ملك نصاب الزكاة.

● وقيل: لا تجب إلَّا على من ملك زائداً على قوت عشرة أيام، غير المسكن والملبس والمركب ونحو ذلك لنفسه ومن تلزمه نفقتهم.

٨ ـ حول مقدار زكاة الفطر الذي يجب بذله عن كل رأس:

● قال جمهور الفقهاء يجب صاع من أيّ صنف من أصناف القوت المتعارف عليه، كالبرِّ والشعير والتمر والزبيب ونحو ذلك.

● وذهب ابن المنذر والحنفية وغيرهم إلى أنَّ الواجب في التمر والشعير والزبيب والأقط صاع، أمَّا البرّ فالواجب فيه نصف صاع فقط.

٩ ـ حول تأخير زكاة الفطر عن صلاة العيد:

● قال الشافعي وجمهور الفقهاء: يكره تأخيرها عن صلاة العيد، ويجزىء إخراجُها حتى آخر يوم العيد.

● وقال ابن رسلان: اتفقوا على تحريم تأخيرها عن يوم العيد كلِّه.

● وقال ابن حزم: يحرم تأخير إخراجها عن صلاة العيد.

١٠ ـ حول من تصرف لهم زكاة الفطر:

● قيل: تصرف إلى الفقراء والمساكين فقط.

● وقيل: زكاة الفطر تصرف في مصارف الزكاة العَامَّة، وهم الأصناف الثمانية.

١١ ـ حول تقدير الصاع:

● قال جمهور الفقهاء: هو خمسة أرطالٍ وثلث بالعراقي، كما قدره مالك بن أنس.

● وقال العراقيون ومنهم أبو حنيفة: هو ثمانية أرطالٍ بالعراقي. وقد رجع أبو يوسف صاحب أبي حنيفة، بعد أن بلغته قصَّة إسحاق بن سليمان الرازي، إلى قول الجمهور.

١٢ ـ حول اشتراط الإسلام فيمن تجب عليه زكاة الفطر:

● اتفقوا على أنَّ الإسلام شرط في وجوب زكاة الفطر، فلا يطالبُ بها الكافر حتى يسلم.

● واختلفوا في وجوبها على السيد عن مملوكه الكافر:

١ ـ فالجمهور على أنَّها لا تجب.

٢ ـ وقال عطاء والنَّخَعي والثوري والحنفية وإسحاق: تجب على السيد عن مملوكه الكافر.

البَابُ الخَامِسُ
العِــيدُ

١ ـ مقدمة.
٢ ـ العيد في الإسلام.
٣ ـ صلاة العيد.
٤ ـ حول اجتماع العيد والجمعة.
٥ ـ وقت صلاة العيد.
٦ ـ سنن وآداب.

- ١ -

مقدمة

العيد: موسم فرح وسرور واجتماع عليهما يتكرَّر في وقت معيَّن من دورة الزمن، وكلّ يومٍ يكون فيه اجتماع النَّاس على مسرَّة وصفاء.

وسُمِّي عيداً اشتقاقاً من عاد يعود، ولمَّا كان موسم الفرح والسرور هذا يعود كلَّما عاد الوقت المعيَّن له حسُن في أذواق واضعي اللُّغة أن يُسَمُّوه عيداً.

والعيد في اللُّغة: العادة، فقيل: اشتقَّ العيدُ من العادة.

وجمع العيد أعياد. ويقالُ: عيَّد الناسُ، إذا شهدوا عيدهم، كَمَا يُقالُ: جَمَّعُوا إذَا شَهِدُوا صلاة الجمعة.

وقد ورد العيد في القرآن حكايةً لما دعا به عيسى عليه السلام ربَّه تلبيةً لرغبة حوارِيِّيه أن ينزِّل الله عليهم مائدة من السماء، قال الله عزَّ وجلَّ في سورة (المائدة ٥): ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي. قَالُوْا: آمَنَّا وَأشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُوْنَ (١١١) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: يَا عِيْسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؟ قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا، وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا، وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ: إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ

فَإنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً من الْعَالَمِينَ (١١٥) ﴾.

لقد طلب الحواريّون من عيسى عليه السلام قبل أن يصحَّ لهم كمال الإيمان به، والتصديق بأنَّه رسول الله: أن ينزِّل اللهُ عليهم مائدةً من السماء تكون عيداً لأوَّلهم وآخِرِهِمْ وآية منه، ورزقاً.

وقدَّموا طلبهم بصيغة: «هل يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ؟» وهي قراءةُ جمهور القراء، وبصيغَةِ «هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ؟» وهي قراءة الكسائي، أي: هل تدعو ربَّكَ فيطِيعَكَ بالإجابة لدعائك؟. ويظهر أنّ الحواريين كان منهم من طلب وفق مضمون الصيغة الأولى، ومنهم من طلب وفق مضمون الصيغة الثانية، فجاءت القراءتان بياناً لذلك.

فقال لهم عيسى عليه السلام: اتَّقُوا الله إنْ كُنتم مُؤْمِنِيْنَ.

أي: مثل هذا الطلب بمثل هذه الصيغة يعرِّض قائله لعقوبة الله، فإن كانوا مؤمنين بالله حقَّاً لم يفعلوا مثل ذلك.

فقذَفَ الله في قلوبهم وحيَّاً إلهاميَّاً: ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وبِرَسُولي﴾ فقالوا: ﴿آمَنَّا واشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُوْنَ﴾.

وذكروا لعيسىٰ عليه السلام أنَّ هدفهم من طلب هذه المائدة ما يلي:

١ ـ أن يأكلوا منها جميعاً في يومٍ جامع يجعلونه عيداً سَنَوِيّاً يبتهجون فيه بذكرىٰ هذه المائدة السماوية المعجزة.

٢ ـ أن تَطْمَئِنَّ قُلُوبُهم لِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فلا يبقى فيها نزعة تساؤل أو قلق.

٣ ـ أن يعلموا علم اليقين أنَّ عيسىٰ عليه السلام قد صَدَقهم في كلّ ما قال لهم.

٤ ـ أن يكونُوا على هذه المعجزة الكبيرة من الشاهدين أَمَام من يدعونهم إلى الإيمان به، واتِّباع رسالته، حين يقومون بالدعوة إلى الله بين الناس.

فدعا عيسى عليه السلام ربَّه بما طلبوا، وذكر في دعائه أن تكون هذه المائدة:

١ ـ «عيداً لأوّلنا وآخرنا» حسب طلبهم.
٢ ـ «وآية» تطمئن بها قُلُوبهم، ويكونوا عليها من الشاهدين.
٣ ـ «ورزقاً» يرزقونه طعاماً في يوم جامع لكل أتباعه.

فقال الله: ﴿إنِّي مُنَزِّلُها عليكم﴾ أي: حسب طلبكُمْ ولكن الآيات الرَّبَّانية إذا نزلت حسب الطلب، فإنَّ عقوبات الكفر بعدها عقوبات شديدة فوق عقوبات الكفر العادي من دونها.

لذلك قال الله تعالى عقب ذلك: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً من العالمين﴾.

فهل وافقوا على نزول المائدة بعد هذا التهديد أو لاَ؟

قولان لأهل التأويل، والله أعلم.

ـ ٢ ـ

العيد في الإسلام

١ ـ روى النسائي وابن حبان بإسناد صحيح (كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح) عن أنس، قال:

[قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فقال: «قَدْ أَبْدَلَكُمْ الله تَعَالَىٰ بِهِمَا خَيْراً مِنْهُمَا: يَوْمَ الْفِطْرِ والأَضْحَىٰ»].

أي: ويوم الأضحى.

٢ ـ وروى البخاري بسنده عن محمد بن عبد الرحمن الأسديّ عن عروة عن عائشة قالت: [«دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ، فَاضْطَجَعَ عَلَىٰ الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ.

ودَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ؟!!
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: «دَعْهُمَا».
فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا].

٣ ـ وروى البخاري بسنده عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: [دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الأَنْصَارِ تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتِ الأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاث.

قالت: وَلَيْسَتَا بمغنِّيَتَيْنِ. (أي: ليستا بممتهنتين للغناء).
فقال أبو بكر: أَمَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ الله ﷺ؟!!
وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ.
فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيداً، وهَذَا عِيدُنَا»].

وزاد في رواية الزهري: «تدفّفانِ» أي: تضربان بالدفّ، وعند مسلم «تُغنِّيان بدفٍّ».

يوم بُعَاث: هو يوم حرب قامت بين الأوس والخزرج، وقُتل فيه صناديد هاتين القبيلتين في الجاهلية.

وبُعاثُ: اسم حصن للأوس. قال ابن حجر في الفتح: (وفي كتاب أبي الفرج الأصفهاني، في ترجمة أبي قيس بن الأسلت: هو موضع في دار بني قريظة، فيه أموال لهم، وكان موضع الموقعة في مزرعة لهم هُنَاك، ولا منافاةَ بين القولين) اهـ.

وبعاثُ: يجوز فيه الصرف وعدمه، والأشهر عدم صرفه.

٤ ـ وروى البخاري عن عائشة أيضاً قالت: «وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ، فإمَّا سَأَلْتُ النبيَّ ﷺ وَإمَّا قال: «تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ.

فقلتُ: نَعَمْ. فَأَقَامَنِي وراءَهُ خَدِّي على خَدِّهِ وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَة».

حتَّىٰ إذَا مَلِلْتُ قَالَ: «حَسْبُكِ؟».

قلتُ: نَعَمْ.

قال: «فَاذْهَبِي».

وعند مسلم عن عائشة قالت: «جَاءَ حَبَشٌ يَزْفِنُونَ فِي يَوْمِ عِيدٍ فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي النَّبيُّ ﷺ، فَوَضَعْتُ رَأْسِي عَلَىٰ مَنْكِبِهِ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَىٰ لَعِبِهِمْ حَتَّىٰ كُنْتُ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ».

يا بَنِي أَرْفِدَة: هُوَ لَقَبٌ لِلْحَبَشَة، وقيل: أَرْفِدَة اسْمُ جَدِّهم الأكبر. (دونكم يا بني أرفدة): إغراءٌ لهم بأن يزيدوا ممَّا هُمْ فيه.

يَزْفِنُون: أي: يرقُصُون.

الدَّرَق: جمع مفرده دَرَقَة، وهي تُرْسٌ يُصْنَعُ مِنْ جلود.

وكان لعب الأحباش هذا في المسجد، وفي يوم عيد، كما ثبت في الصحيح.

قال ابن حجر في الفتح[1]: «وروى السِّراج من طريق أبي الزِّناد عن عروة عن عائشة أنَّه ﷺ قال يومئذٍ: «لِتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي ديننا فسحةً، إنِّي بُعِثْتُ بِحَنِيفيَّةٍ سَمْحَةٍ».

وجاء في رواية الزهري أنَّ عائشة قالت: «فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيْثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَىٰ اللَّهْوِ».

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ دلَّ حديث أنس على أنَّ الرسول ﷺ قد ألغى أعياد الجاهلية،

---

(١) انظر الفتح صفحة ٤٤٤ من الجزء الثاني.

وأنَّ الله قد جعل لأهل الإسلام عيدين هما:

● عيد الفطر من رمضان.

● وعيد الأضحىٰ، وقد ورد في بعض الروايات ما يدلُّ على أنَّ أيام التشريق بعد يوم النحر أيام عيد ملحقة بعيد الأضحىٰ.

وقول الرسول ﷺ فيه: «قد أبدلكمُ الله تعالى بهما خيراً منهما» يدلُّ على إلغاء ما كان من أعياد لأهل الجاهلية، لأنَّ البدل يلغي المبدَل منه في الأحكام والشرائع.

فليس للمسلمين أن يتخذوا لأنفسهم أعياداً من أعياد أهل الجاهلية. أو من أعياد اليهود والنصارى أو المجوس أو غيرهم، لأنَّ لهم ذاتيَّتهم الخاصَّة المتميِّزة.

أمَّا مجاملة المعايشين لنا منهم دون مشاركة لهم في أفراحهم ومسرَّاتهم فإيناس قد يكون من مصلحة الدعوة إلى الإسلام والتحبيب فيه، بشرط أن لا يؤثر ذلك على عامَّة المسلمين، فتسري عادات غير المسلمين في أعيادهم إلى المسلمين، فيكونوا بذلك تبعاً لهم، ويفقدوا ذاتيتهم المتميِّزة.

٢ ـ ودلَّ حديث عائشة برواياته على الإذن بالْغِنَاء واللَّهو واللَّعب في الأعياد، وعلى الإذن بضرب الدُّفّ، وعلى الإذن برقص الأحباش، وهو رقص بالحِرَاب والتروس فيه رجولةٌ وفروسيَّة وأنَّه يحسُن التساهل مع الأحداث وعدم التشدُّد.

ودلَّ أيضاً على جواز رؤية النساء للرجال، فقد أذن الرسول ﷺ لعائشة أن تشهد رقص الأحباش، وأقامها وراءه خَدُّها على خدِّه، وهو يقول بين حين وآخر: «أشبعتِ؟!» أو «أمَا شَبعت؟» أو «حسبك؟» وهي تقول له: «لا تعجل» كما جاء عند النسائي، وقالت عائشة: «وَمَا بِي حبُّ النظر إليهم، ولكنْ أَحْبَبْتُ أَنْ يبلُغَ النساء مقامُه لي، وَمَكَانِي منه».

لكن إذا وُجِدت الفتنة لَمْ يجز النظر، فما جرّ إلى معصية فهو معصية بقدرها.

ويمكن أن يقاس على الأعياد في الإذن فيها بالغناء وضرب الدُّف ورقص الفروسية أوقات الأفراح وأشباهها بشرط أن لا يؤثر ذلك على الواجبات ومصالح الحياة الأخرى، وبشرط أن لا يفضي إلى ارتكاب محرَّم.

ـ ٣ ـ

صلاة العيد

١ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالأَضْحَىٰ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ، وَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاة، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَقُومُ مُقَابِلَ النَّاسِ، والنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَىٰ صُفُوفِهِمْ، فَيَعِظُهُمْ وَيُوصِيهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ، وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْثاً أَوْ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ ثُمَّ يَنْصَرِف».

رواه البخاري ومسلم.

٢ ـ وَعَنْ جَابِرٍ قال: «شَهِدْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْعِيدِ فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ، ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئاً عَلَىٰ بِلَالٍ فَأَمَرَ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ، وَحَثَّ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، وَوَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ، ثُمَّ مَضَىٰ حَتَّىٰ أَتَىٰ النساء، فوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ».

رواه مسلم والنسائي.

وفي لفظ لمسلم: «فَلَمَّا فَرَغَ نَزَلَ فَأَتَىٰ النِّسَاءَ فَذَكَّرَهُنَّ».

٣ ـ وعَن ابنِ عمر قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ وأَبو بَكْرٍ وَعُمَرُ يُصَلُّونَ الْعِيدَيْنِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ».

رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

٤ ـ وعن جابر قال: «خَرَجَ النبيُّ ﷺ يَوْمَ الْفِطْرِ فَصَلَّى قَبْلَ الْخُطْبَةِ»أي: فصلَّى صلاة العيد.

رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

٥ ـ وعن ابن عبَّاس قال: «شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ فَكُلُّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَ قَبْلَ الْخُطْبَةِ».

وصحاح الأحاديث في تقديم صلاة العيد علىٰ الخطبة كثيرة.

٦ ـ وعن جابر بن سَمُرَة قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِيدَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَة».

رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

٧ ـ وعن ابن عباس وجابرٍ قالا: «لَمْ يَكُنْ يُؤَذَّنُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَلَا يَوْمَ الأَضْحَىٰ».

أي: لـصلاة العيد فيهما.

رواه البخاري ومسلم.

٨ ـ وروى مسلم عن جابرٍ: «أَنْ لَا أَذَانَ لِصَلَاةِ يَوْمِ الْفِطْرِ حِينَ يَخْرُجُ الإِمَام، وَلَا بَعْدَمَا يَخْرُجُ، وَلَا إِقَامَةَ وَلَا نِدَاءَ وَلَا شَيْءَ، لَا نِدَاءَ يَوْمَئِذٍ وَلَا إِقَامَة».

٩ ـ وأخرج البزار في مُسْندِهِ عن سعد بن أبي وقاص: «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ صَلَّىٰ الْعِيدَ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَة وَكَانَ يَخْطُبُ خُطْبَتَيْنِ قَائِماً يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا بِجَلْسَة».

إسناده ضعيف، قال النووي: لم يثبت في تكرير الخطبة شيء.

١٠ ـ وعن عَمْرو بن شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَبَّرَ فِي عِيدٍ ثِنْتَيْ عَشَرَةَ تَكْبِيرَةً سَبْعاً في الأُولَىٰ وَخَمْساً فِي الآخِرَةِ، ولم يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا».

رواه أحمد وابن ماجه، وقال أحمد: أنا أذهب إلى هذا.

وقال العراقي: إسناده صالح، ونقل الترمذي في العلل المفردة عن البخاري، أنه قال: إنَّه حديث صحيح.

وفي رواية قال: قال النبي ﷺ: «التَّكْبِيرُ في الْفِطْرِ سَبْعٌ في الأُولَىٰ، وخَمْسٌ في الآخِرَة، والْقِرَاءَةُ بَعْدَهُمَا كِلْتَيْهِمَا».

رواه أبو داود والدارقطني.

وفي معنى حديث عَمْرِو بن شُعَيْب وردت عـدَّة أحاديث. إلاّ أنّ أسانيدها ضعيفة، لكن يقوّى بعضها بعضاً مع حديث عمْرو بن شعيب.

١١ ـ وعن ابن عباس قال: «خَرَجَ النبيُّ ﷺ يَوْمَ عِيدٍ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهُمَا وَلَا بَعْدَهُمَا».

رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه.

١٢ ـ وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ: «أنَّه كَانَ لَا يُصَلِّي قَبْلَ الْعِيدِ شَيْئاً، فَإِذَا رَجَعَ إلى مَنْزِلِهِ صَلَّى ركعتين».

رواه ابن ماجه، وعند الإمام أحمد بمعناه، وأخرجه الحاكم وصححه، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في الفتح.

١٣ ـ وَعَنْ طارِقِ بن شِهَابٍ قال: أخرجَ مروان المنبر في يوم عيدٍ فَبَدَأَ بالْخُطْبَةِ قَبْلَ الصَّلاَةِ، فَقَامَ رَجُلٌ فقال:

يا مَرْوانُ خالَفْتَ السُّنَّةَ أَخْرَجْتَ الْمِنْبَرَ في يَوْمِ عِيدٍ، وَلَمْ يَكُنْ يُخْرَجُ فِيهِ، وَبَدَأْتَ بالْخُطْبَةِ قَبْلَ الصَّلاةِ!!.

فقال أبو سعيد: (وهو أبو سعيد الخدري)

أمَّا هَذَا فقد أدَّى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مُنْكَراً فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَم يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمانِ».

رواه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه.

يا مروان: هو مروان بن الحكم أحد الخلفاء الأمويين، وقد فعل ذلك وهو أمير المدينة.

١٤ ـ وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ والأَضْحَىٰ إلَى الْمُصَلَّىٰ، فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاةُ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَقُومُ مُقَابِلَ الناس. والنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَىٰ صُفُوفِهِمْ ـ فَيَعِظُهُمْ، وَيُوصِيهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ، فَإِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْثاً قَطَعَهُ، أَوْ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ، ثُمَّ يَنْصَرِفَ».

قال أبو سعيد: «فَلَم يَزَلِ النَّاسُ على ذَلِكَ حَتَّىٰ خَرَجْتُ مَعَ مَرْوَانَ ـ وَهو أميرُ الْمَدِينَةِ ـ في أَضْحَىٰ أَوْ فِطْرٍ، فَلَمَّا أَتَيْنَا الْمُصَلَّىٰ إذَا مِنْبَرٌ بَنَاهُ كثيرُ بنُ الصَّلْتِ، فإذَا مَرْوانُ يُرِيدُ أَنْ يَرْتَقِيَهُ قَبلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَجَبَذْتُ بِثَوْبِهِ، فَجَبَذَنِي، فارتَفَعَ فَخَطَبَ قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَقُلْتُ لَهُ: غَيَّرْتُمْ وَاللَّهِ.

فقال: أَبَا سَعِيدٍ قَدْ ذَهَبَ مَا تَعْلَمُ.

فَقُلْتُ: مَا أَعْلَمُ والله خَيْرٌ مِمَّا لَا أَعْلَمُ.

فقال: إنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَجْلِسُونَ لَنَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَجَعَلْتُهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ».

١٥ ـ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَبْدِالله، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَأَلَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ فِي الأَضْحَىٰ والْفِطْرِ فَقَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بـ ﴿قٓ والْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ و ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ . . .».

رواه مسلم ونحوه عند أحمد والترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه.

١٦ ـ وروى مسلم عن أُمِّ عَطِيَّة قالت: «أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نُخْرِجَهُنَّ في الْفِطْرِ وَالأَضْحَىٰ: الْعَوَاتِقَ والْحُيَّضَ وَذَوَاتِ الْخُدُور، فَأَمَّا الْحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلَاة، وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ».

قُلْتُ: يَا رسُولَ الله، إحْدَانَا لَا يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ؟

قال: «لِتُلْبِسْهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا».

وفي رواية عنها: «وأَمَرَ الْحُيَّضَ أَنْ يَعْتَزِلْنَ مُصَلَّىٰ المسلمين».

وفي رواية عنها: «كُنَّا نُؤْمَرُ بِالْخُرُوجِ فِي الْعِيدَيْنِ، والْمُخَبَّأَةُ والْبِكْر».

قالت: «الْحُيَّضُ يَخْرُجْنَ فَيَكُنَّ خَلْفَ النَّاسِ يُكَبِّرْنَ مَعَ النَّاسِ».

وعند البخاري نحو لك عن أم عطيَّة.

العواتق: هنَّ البنات الأبكار.

١٧ ـ وروى ابن ماجه والبيهقي عن ابن عباس: «أنَّ رسول الله ﷺ كانَ يُخْرِجُ نِسَاءَهُ وَبَنَاتِهِ فِي الْعِيدَيْنِ».

١٨ ـ وعن أبي هريرة: «أَنَّهُمْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَصلَّىٰ بِهِمُ النبيُّ ﷺ صَلاَةَ الْعِيدِ في المسجد».

رواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم. وفي إسناده مجهول. قال الحافظ في التلخيص: إسناده ضعيف. وقال الذهبي: هذا حديث منكر.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ً ـ دلَّت هذه الأحاديث على أنَّ أعظم مظاهر العيد في الإسلام صلاة العيد الجامعة للمسلمين، كباراً وصغاراً، نساءً ورجالاً، حتَّى البناتُ الأبكار والحيَّضُ.

وقال الرسول ﷺ بشأن الحيَّضِ: «فَأَمَّا الْحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلاَةَ وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِيْنَ».

ومن لا جلباب لها تستتر به تستعير جلباباً حرصاً من الرسول على شهودهن العيد.

٢ً ـ ونستفيدُ من هذه الأحاديث أنَّ صَلاَةَ العيد رَكْعَتَانِ يجهرُ بِهِمَا الإمام في القراءة، وفي الأولى منهما سبعُ تَكبِيرات بعد تكبيرة الإحـرام وقبل القراءة، وفي الثانية منهما خمس تكبيرات بعد تكبيرة القيامِ وقبل القراءة.

وثبت أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقرأ فيهما (أي: بعد الفاتحة) من سور القرآن

سورتي ﴿قٓ والقرآن المجيد﴾ و﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ والظاهر أنَّه كان يقرأ في الأولى (قٓ) وفي الثانية (اقتربت).

ويحملُ هذا على أنَّه سنة.

٣"ـ ونستفيد من هذه الأحاديث أنَّ من شعائر صلاة العيد أن يكون بعدها خُطْبَتَانِ يجلس الخطيب بينهما كخطبتي الجمعة، يعظ فيهما ويذكِّر بما هو مناسب لحال المسلمين، استئناساً بالحديث الضعيف الوارد بشأن الخطبتين، وقياساً على خطبتي الجمعة.

وقد ابتدع بعض بني أميّة تقديم الخطبة على الصلاة، فاعترض عليهم بعض أصحاب الرسول ﷺ، واعتبروه منكراً وتغييراً في سنة الرسول. ثم ألغيت هذه البدعة، وعمل المسلمون بالسنة والحمد لله.

٤"ـ ونستفيد من هذه الأحاديث أنَّ صلاة العيد تُصلَّىٰ بغير أذان ولا إقامة ولا نداء ولا أيّ شيء.

هذا ما ثبت عن النبي ﷺ.

٥"ـ ونستفيد أيضاً أنَّ مصلَّى العيد مكان كبير جامع غير المسجد الجامع الذي تصلَّى فيه الجمعة، ويكون في أرض غير مبنية.

والغرض منه أن يكون فسيحاً يتسع لكلِّ مسلمي البلد كباراً وصغاراً، ذكوراً وإناثاً، وأن تتمكن الحيَّض من شهود الخير وجماعة المسلمين فيه دون حرج، وإن كنَّ يتأخرن معتزلات فيكُنَّ خلف الناس، لأنَّهنَّ لا يُصلّين، لكنَّهُنَّ يكبّرنَ مع الناس.

فالأصل أن تصلَّىٰ صلاة العيد في مصلى العيد بمكان عامّ جامع. وجاء في حديث ضعيف أنَّ النبي ﷺ صلاها بالمسجد في عيد أصاب الناس فيه مطر، والخطب يسير إذ الغرض اجتماع المسلمين.

٦"ـ ودلَّ حديث أم عطيَّة على أنَّ شعار المسلمين في عيدهم التكبير

الجماعي، إذ قالت: «الْحُيَّضُ يَخرجْنَ فيكُنَّ خلفَ الناسِ يُكبِّرْنَ مَعَ الناس».

٧ً- دلَّ فعل الرسول ﷺ على أنَّه لم يكن يُصَلِّي في مصلَّى العيد قَبْلَ صلاة العيد ولا بعد صلاة العيد أيّ صلاة، لكنه كان إذا رجع إلى منزله صلَّى ركعتين.

فهل هذا خاصّ بالإمام أو عامّ؟ لا دليل يدلُّ على أنَّه خاصّ بالإمام، فلو كان إنشاء صلاةٍ ما أفضل لفعلها الرسول ﷺ، أو لرغّب المسلمين بفعلها، ولم يرد شيء من ذلك.

لكن هل نحرّج على إنسان أن يتركع قبل الصلاة، أو بعد الصلاة والخطبة؟

وأجيبُ بأن المنع من هذا يحتاج إلى دليل، ولا نملكه ما دامت الصلاة خير موضوع، وهو ما ثبت في الصحيح.

٨ً- مواظبة الرسول ﷺ على صلاة العيد، دون أن يرد حديث بالأمر الإلزاميّ بها، مع أنَّها ليست من الصلوات الخمس المفروضة، التي هي فريضة اليوم والليلة، ولا بدلاً عن إحداها، كُلُّ ذلك يدلُّ على أنَّها سنَّةٌ مؤكدة.

ويؤكِّد ذلك أنَّ الأعرابيّ لمَّا سأل الرسول ﷺ عمَّا افترض الله عليه من الصلاة فقال له: «خمس صلوات في اليوم والليلة» فقال الأعرابي: هل عليَّ غيرها، قال له: «لا إلَّا أن تطوّع».

فَنَفْيُ الرسول فريضةً من الصلاة غير الصلوات الخمس يدلُّ على أنَّ كلَّ صلاة مشروعة بعدها هي من التطوُّع.

- ٤ -

حول اجتماع العيد والجمعة

١ - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ إِذْ سأله مُعَاوِيةُ: هَلْ شَهِدْتَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عِيدَيْنِ اجْتَمَعَا؟ قال: «نعَمْ صَلَّى الْعِيدَ أَوَّلَ النَّهارِ، ثُمَّ رَخَّصَ في الجُمُعَةِ فقال: «مَنْ شَاءَ أَنْ يُجَمِّعَ فَلْيُجَمِّعْ».

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي والحاكم. وصحَّحه عليّ بْنُ المديني. وفي إسناده إياسُ بن أبي رملة، وهو مجهول.

أن يُجَمِّع: أي: أن يشهد ويصلِّي صلاة الجمعة.

٢ - وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ في عيد وجمعة اجتمعا بيوم واحد، أنَّه قال: «قد اجتمع في يومكم هذا عيدان، فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأَهُ مِنَ الْجُمُعَة وإنَّا مُجَمِّعُونَ».

رواه أبو داود وابن ماجه، والحاكم، وفي إسناده بقيَّة بنُ الوليد.

وصحح أحمد بن حنبل والدارقطني إرساله.

ورواه البيهقي موصولاً مقيَّداً بأهل العوالي، وإسناده ضعيف.

٣ - وعن وَهْب بْن كيسَان، قال: «اجْتَمَعَ عِيدَانِ على عَهْدِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَأَخَّرَ الْخُرُوجَ حَتَّىٰ تَعَالَىٰ النَّهارُ، ثُمَّ خرَجَ، فَخَطَبَ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّىٰ وَلَمْ يُصَلِّ للنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لابْنِ عَبَّاسٍ فقال: «أصابَ السُّنَّةَ»..

رواه النسائي. ولأبي داود نحوه عن عطاء، ورجاله رجال الصحيح.

٤ - وروى أبو داود عن عطاء قال: «اجْتَمَعَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَيَوْمُ الْفِطْرِ عَلَىٰ عَهْدِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فقال: عِيدَانِ اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَجَمَعَهُمَا جَمِيعاً، فَصَلاَّهُمَا رَكْعَتَيْنِ بُكْرَةً لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِمَا حَتَّىٰ صَلَّىٰ الْعَصْرَ».

رجاله رجال الصحيح.

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ ـ دلَّت هذه الأحاديث على أنَّه إذَا جاء العيد في يوم جمعةٍ أغنت صلاة العيد عن حضور صلاة الجمعة، فَمَنْ شاءَ أن يحضر صلاة الجمعة حضرها، ومن شاء أن يتَرخَّص فله أن لا يحضرها.

وأرى أنَّ من لم يحضر صلاة العيد وكان الإمام قد أقام صلاة الجمعة، ولم يفعل كما فعل ابن الزبير، فعليه أن يحضر صلاة الجمعة، وليس له أن يترخَّص، لأنَّه هو الأصل.

٢ ـ يستفاد من فعل الرسول ﷺ أنَّه يستحبّ للإمام أن يقيم الجمعة مع إقامته صلاة العيد، لئلا يتعطل وقت تؤدَّى فيه عن أدائها، وليشهدها من شاء شهودها، وليصليها من لم يحضر صلاة العيد، وقد قال الرسول: «من شَاءَ أَنْ يُجَمِّعَ فَلْيُجَمِّعَ».

وقال: «فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّا مُجَمِّعُون».

٣ ـ ليس في هذه الأحاديث ما يدلُّ على سقوط صلاة الظهر عمَّن حضر صلاة العيد وجاز له أن لا يحضر صلاة الجمعة.

فخمس صلوات في اليوم والليلة فرضهنَّ الله عزَّ وجل، وهي كتاب موقوت، لا يعوّض عنها صلاة أخرى قبل وقتها.

وإسقاط الجمعة بصلاة العيد يحتمل أن يكون من أجل الاجتماع والخطبة، فإذْ تَحَقَّق هذا المعنى بحضور صلاة العيد كان من التيسير الترخيصُ في الإذن بعدم شهود صلاة الجمعة، لكنَّ ذلك لا يسقط فريضة الوقت الأصلية التي هي صلاة الظهر. وهذا نظير إسقاط الجمعة عن المسافر والمريض لا تسقط به صلاة الظهر عنهما، وكذلك المرأة التي لا يجب عليها شهود الجمعة لا تُعفى من صلاة الظهر.

أقوال الفقهاء:

١ ـ ذهب أكثر الفقهاء إلى أنه لا تجزىء صلاة العيد عن شهود صلاة الجمعة.

وحكي عن الشافعيّ قولٌ بأنَّ الترخيص يختصُّ بمن كان خارج المصر.

٢ ـ وحكى في البحر عن عطاء أنَّه لا يجب على من سقطت عنه الجمعة أن يُصلِّي الظهر. وهو فيما أرى رأي ضعيف لما شرحت آنفاً في (٣").

ـ ٥ ـ
وقت صلاة العيد

لم يرد في بيان وقت صلاة العيد حديث صحيح أو حسن يحتج به، وأوضح ما يشعر بوقتها ما أورده الحافظ في التلخيص عن جندب عند أحمد بن حسين البنَّاء في كتاب الأضاحي قال: «كَانَ النبيُّ يُصَلِّي بِنَا يَوْمَ الْفِطْرِ والشَّمْسُ عَلَىٰ قِيدِ رُمْحَيْنِ، والأَضْحَىٰ عَلَىٰ قِيدِ رُمْحٍ».

وعَنْ عبدالله بن بُسْرٍ، أَنَّهُ خَرَجَ مع النَّاسِ يَوْم عِيدِ فِطْرٍ أَوْ أَضْحَىٰ، فَأَنْكَرَ إِبْطَاءَ الإِمَامِ وقال: «إِنَّا كُنَّا قَدْ فَرَغْنَا سَاعَتَنَا هَـٰذِهِ، وذَلِكَ حِينَ التَّسْبِيح».

رواه ابن ماجه، وأبو داود، ورجال إسناده عند أبي داود ثقات.

أي: كنَّا في عهد الرسول ﷺ قد فرغنا في مثل هذه الساعة من الصلاة والخطبة.

حين التسبيح: أي: حين صلاة الضحى، فهي صلاة أول النهار وتسبيحته بعد إشراق الشمس، والوارد أن أفضل وقت لصلاة الضحى إذا امتدت الشمس وحميت وكان موقعها في السماء من المشرق مثل موقعها في السماء من المغرب عند صلاة العصر.

وصح أن عبدالله بن الزبير أخَّر صلاة العيد في يوم اجتمع فيه العيد والجمعة حتَّى تعالى النهار.

فالذي تشعر به الأمارات أن وقتها من بعد طلوع الشمس حتى وقت زوالها، وهذا ما عليه العمل ويذكره الفقهاء.

وقالوا: يسنّ التعجيل في الأضحى لينصرف الناس إلى ذبح الأضاحي، ويسنّ التأخير في الفطر، ليؤدِّي الناس صدقة الفطر قبل صلاة العيد.

ـ ٦ ـ

سنن وآداب

١ ـ العيد وسائر الاجتماعات الإسلامية يسنّ لها الغُسْلُ والتطيُّب والتجمُّل، ولبس أجمل الثياب وأنظفها.

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدِّه: «أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَلْبَسُ بُرْدَ حِبَرَةٍ في كُلِّ عيد».

رواه الشافعيّ والبغوي.

بُرْدَ حِبَرَة: البُرْدُ ثَوْبٌ مخطط. **والحِبَرَة**: نوع من بُرودِ الْيَمَن.

وعن الحسن السّبط قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في الْعِيدَيْنِ أَنْ نَلْبَسَ أَجْوَدَ مَا نَجِد، وَأَنْ نَتَطَيَّبَ بِأَجْوَدِ مَا نَجِدُ».

رواه الحاكم، وفيه «إسحاق بن برزخ» ضعَّفه الأزدي، ووثقه ابْنُ حِبَّانَ.

٢ ـ عن أنس قال: «كَان النبيُّ ﷺ لاَ يَغْدو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّىٰ يَأْكُلَ تَمرَاتٍ، وَيَأْكُلُهُنَّ وِتراً».

رواه البخاري والإمام أحمد.

وعن بُرَيْدَةَ قال: «كَانَ النبيُّ ﷺ لاَ يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حتَّىٰ يَأْكُل، وَلاَ يَأْكُلُ يَوْمَ الأَضْحَىٰ حَتَّىٰ يَرْجِعَ».

رواه الترمذي وابن ماجه، وأحمد وزاد: «فيأكُلُ مِنْ أُضْحِيَتِهِ».

فيسنُّ أكْلُ شيء قبل الخروج إلى صلاة عيد الفطر، اقتداءً بالرسول ﷺ.

٣ ـ روى البخاريّ عن جابر قال: «كان النبي ﷺ إذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطريق» أي: رجع من غير الطريق التي سلكها في ذهابه.

وروى مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة قال: «كَانَ النبيُّ ﷺ إذَا خَرَجَ إلى الْعِيدِ يَرْجِعُ في غير الطريق الذي خرج فيه».

فيُسَنُّ الاقتداء بالرسول ﷺ في هذا إذا كان للسالك طريقان ميسوران، ولا أرى التكلف أو تحمُّل المشقة، إذا لم يكن الأمر ميسوراً.

٤ ـ روى ابنُ ماجه في سننه عن سعدٍ مؤذّن النبي ﷺ: «أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُكَبِّرُ بَيْنَ أَضْعَافِ الْخُطْبَةِ، وَيُكْثِرُ التكبيرَ في خُطْبَةِ العيدين».

فيَسَنُّ الاقتداء بالنبيَّ في هذا، ومعلوم أنَّ شعار التكبير هو شعار المسلمين في العيد.

وقد توارث خطباء منابر المسلمين البدء بالتكبير في خطبتي العيد، ثم يحمدون الله ويثنون عليه بما هو أهله، ثم يصلُّون على النبيَّ، ثم يأمرون بالتقوى، ثم يعظون وينصحون ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فلا بأس من المحافظة على بَدْءِ خطبتي العيد بالتكبير، انسجاماً مع شعار المسلمين في العيد، واستحسان المسلمين له من غير نكير، ولو لم يرد حديث يدلُّ على أنَّ النبي ﷺ كان يفعله على وجه الخصوص، فالتزامُ الخطباء به، وقول كثير من الفقهاء بمشروعية افتتاح خطبة العيد بالتكبير يدلُّ على أنَّ لهذا التقليد المتّبع أصلاً في السنة، والله أعلم.

٥ ـ عن جُبَيْر بن نفير قال: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ إذَا الْتَقَوْا يَوْمَ الْعِيدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: رويـناه في المحامليات بإسنـادٍ حسن.

فمن الاتباع الحسن الاقتداء بأصحاب الرسول ﷺ في هذا.

٦ ـ من الأعمال المأثورة عن أصحاب الرسول ﷺ أنَّهم كانوا يُكثرون من التكبير في عيد الأضحى وفي عيد الفطر.

أمَّا في عيد الفطر فالجمهور على أنَّ التكبير يكون من وقت الخروج إلى الصلاة إلى ابتداء الخطبة.

وقال بعض الفقهاء يبدأ التكبير منذ رؤية هلال شوال حتى خروج الإمام، أو ابتداء الخطبة.

وأمَّا في عيد الأضحى، فمن صُبْحِ يوم عرفة إلى عصر أيام التشريق، والآثار في ذلك موقوفة على بعض أصحاب الرسول ﷺ، وقد اشتملت هذه الآثار ـ كما قال الحافظ ابن حجر ـ على وجود التكبير في تلك الأيام عقب الصلوات وفي غير ذلك من الأحوال.

البَابُ السَّادِسُ

كَلِمَاتٌ بأَفْكَارٍ وَعِظَات

١ ـ مع إطلالة شهر رمضان.

٢ ـ مظاهر وحدة المسلمين في عبادة الصوم.

٣ ـ الْمُرَائي.

٤ ـ التوقيت بالأشهر القمرية.

٥ ـ قبل رحيل الشهر العظيم.

٦ ـ العيد.

٧ ـ ماذا بعد رمضان والعيد؟

\- ١ -

مع إطلالة شهر رمضان

اعتاد المسلمون والحمد لله أن يبتهجوا فرحين بحلول شهر رمضان المبارك، موسم الصيام والقيام والعبادات المتنوعة.

ومن حقهم أن يفرحوا بهذا الموسم العظيم، إنَّ فرحهم به أصله الفرح بأنَّه ميدان من ميادين التسابق إلى طاعة الله، لاغتنام أكبر مقدار من الربح العظيم الذي يستطيعون اغتنامه.

والمفروض في هذا الفرح أن يدفعهم إلى التنافس في الخير، والتسابق إلى الأعمال الصالحات، فيحسنوا صيام رمضان وقيامه، ويتزوَّدوا فيه من أنواع العبادات والطَّاعات، ويُكثروا فيه من تلاوة القرآن، وتجودُ فيه نفوسُهم ببذل الصدقات، وإطعام ذوي الحاجات، والتوسعةِ على الفقراء والمساكين.

لكن المسلمين اليوم بعيدون عن هذا الذي ينبغي لهم أن يعملوه في هذا الموسم العظيم، ولم يبق من خصائص رمضان في نفوس كثير من المسلمين إلَّا ترك الأكل والشرب، واجتناب مفطِّرات الصوم الماديَّة من طلوع الفجر حتَّى غروب الشمس، وهذا الأمر الماديُّ فَقَدَ أيضاً معناه الحقيقي، لكثرة ما يَتَفَنَّن الناس بإعداد ألوان الأطعمة والأشربة والمشهّيَات، لمائدتي الإفطار والسحور، ولساعات التفكُّه والتملُّح فيما بينهما.

إنَّ الشغل الشاغل للناس اليوم في شهر رمضان، هو إعداد الأصناف والألوان من كلِّ شهيٍّ ولذيذ.

هذا لون مشحون بالتوابل التي تحرِّك الشهوة للاستزادة من الطعام. وهذا لون فيه حموضة مقبولة. وذاك كثير الغذاء، وذلك غنيٌّ بالفيتامينات. وذاك مشويّ نافع. والآخر مقليٌّ لذيذ. وهذا بالفرن مصنوع. وهذا بالقوالب مطبوع. وهذه الحلوى من أجود ما يصنع في البلد.

يجمع إلى ذلك أصناف الشرابات الباردة، من عصيرات، ومُهْضِيمَات، إلى غير ذلك من الفطائر والشرائح والمحشيات والنقول.

ثم كؤوس الشاي وفناجين القهوة وتَنَشُّم الدخان من السجاير والشيشات.

إنَّ موسم الصيام بهذا الانحراف عن معنى الصوم وغايته قد أمسى مناسبة لملْءِ البطون، وجَلْبِ التخمة، واستدعاء كثير من أمراض البطنة، إضافة إلى تخبُّل الجسم، وعجزِه عن القيام بالفروض الأساسية، فضلاً عن العبادات الزائدة على الفروض، من سنن ونوافل.

إنَّ الصيام بهذا الانحراف لا يقتصر على أن يفقد معناه، بل ينعكس فيه المطلوب، إذْ قد يُصْبِح الفطرُ خيراً منه لصحة الجسم وسلامته من أمراض التخمة والبطنة.

إنَّما يحقق الصيامُ غايته إذا كان موافقاً لآداب الصيام النبويُّ، سحورٌ معتدلٌ على لقيمات خفيفات، وجرعات من الماء، وإفطار خفيف جداً على تمرات أو على ماء، ثم قيام إلى صلاة المغرب، وبعد صلاة المغرب يتمِّم الصائم حاجته إلى الطعام باعتدالٍ لا يرهق فيه معدته بطعام كثير، بعد فراغها طوال نهار كامل، ولا بأصناف شتَّىٰ تجلبُ إليها التخمة والفساد.

ثمَّ إذا حان وقت صلاة العشاء، قام إلى الصَّلاة نشيطاً، وبعد أن يُصلِّيَها ويُصَلِّي سنتها يقوم إلى صلاةِ قيام اللَّيل من رمضان، وهي ما يُسمَّى بصلاة التراويح، ثم يختم صلاة الليل بالوتر، ويؤدِّي في غضون هذه العبادات ما يتيسَّر له من الأذكار والأوراد المأثورة عن النبي ﷺ.

وهذه الأعمال كفيلة بموجب سنن الله في كونه بأن تمنح الجسم الرياضية الهادئة، التي تساعد على هضم الطعام هضماً رفيقاً، والاستفادة منه لصحَّة الجسم، وبذلك يكون الصوم من الناحية الجسديَّة العضويَّة قد أدَّى وظيفته الصحيَّة أداءً حسناً.

وبهذه الطريقة النبويّة يؤدي الصيام أيضـاً وظيفته النفسيـة والقلبية والاجتماعية أحسن الأداء، إذْ يشعُرُ الصائم بحقيقة الجوع، فترقّ حواشي نفسه، ويشعرُ بضعفه وعجزه وحاجته، وعنـد ذلك يشعـر الصائم بـآلام الآخرين، الَّذين يجوعون، ولا يجدون ما يأكلون، كما يشعرُ بحاجات ذوي الحاجات، فقد شاركهم في يوم الصوم مشاركة طوْعيَّة، إذْ ألزمه الإسلام بأن يصوم شهر رمضان من كلِّ سنة، إذا كان يستطيع الصوم وليس له عذر بالفطر، كالسَّفر أو المرض، وغير ذلك ممَّا يؤذن معه شرعاً بالفطر.

فالصيام الصحيح وفق الآداب الإسلامية له مزيّتان:

● مزيّة جسدية.

● ومزيّة نفسية وقلبية.

أمَّا المزيّة الجسدية فهي ما يتضمَّن من رياضة جسديَّة خاصَّة، وما يُفضي إليه من صحَّة.

وأمَّـا المزيَّـة النفسية والقلبية فهي ما يتضمَّنه الصوم من السير بالنفس والقلب إلى معارج السموّ الموصل إلى الله عزَّ وجل، وذلك بالصِّدْقِ في طاعته، والإخلاص له. وما يتضمنه الصوم من تربية للنفس والقلب على مجموعة من الفضائل الخلقية كالصبر والرغبـة في الإحسان، والمشـاعر الجماعية النبيلة التي ترضي الله عزَّ وجلَّ.

إلى غير ذلك من فضائل وجدانية ذاتِ آثار فرديَّة واجتماعية.

وترجع المؤثرات النافعة للصيام في شهر رمضان إلى عوامل أربعة:

العامل الأول: طبيعة الصيام المسكّنة لحركة النفس، والمبرّدة لحرارتها بتنظيم الغذاء، وتقليل كميته، وحرمان الجسد من الإمداد به طوال نهار الصوم.

ومن ثمرات هذا العامل:

● تعديل مزاج الصائم.

● وترقيق حاشيته.

● وتهديء أعصابه.

وبذلك يستطيع التغلُّب على نفسه حتى يكون مُهَذَّبَ القول ألوفاً، مستقيمَ المعاملة عطوفاً، ليِّنَ الجانِبِ رفيقاً، زكيّ النفس رقيقاً.

العامل الثاني: كون الصيام متتابعاً في أيام شهر كامل، فطول مدَّة العلاج بالصوم ذاتُ أثر فعَّال في الأجساد والنفوس، وقد نظم الله الأسباب في كونه على أنَّ لكلِّ علاجٍ مدَّةً لا تتم الفائدة به إلَّا بالمواظبة على استعماله خلال هذه المدَّة.

والعلاجُ الرَّباني بالصوم للأجساد والنفوس والقلوب مدَّته شهر كامل.

العامل الثالث: يرجع إلى حال الصائم الصادق في صومه، الراغب في تحقيق كامل الأجر به، إذ يكون في حالة شعور دائم بأنَّه متلبِّس بعبادة الله عزَّ وجل، كالواقف بين يدي الله في الصلاة.

وهذا الشعور يجعله متجدِّد المراقبة لله تعالى، منشغلاً بسبحاته النفسية والقلبية، ومشاعره الوجدانية السامية، ويخشى على عبادته أن يمسَّها ما يُفْسِدُها أو يحرمه من أجرها.

العامل الرابع: انقطاع وساوس الشياطين عن الصائم في رمضان، بسبب تَصْفِيدِها، كما ثبت في صحاح الأحاديث النبويّة.

* * *

ـ ٢ ـ

مظاهر وحدة المسلمين في عبادة الصوم

إنَّ مظاهر وحدة المسلمين في عبادة الصيام المفروض في شهر رمضان كثيرة:

- منها كيفية الصوم.
- ومنها وقت البدء به من طلوع الفجر.
- ومنها وقت انتهائه اليومي عقب غروب الشمس.
- ومنها الإقبال على ألوان العبادات.

وكلُّها تُبْرِز صورة وحدة المسلمين في عباداتهم، وتبرز آصرة من أواصر تضامنهم.

وهذا ما تَحْسُدُنا عليه أمم كثيرة، وهو ما تخشانا من أجله أُمم كثيرة، ولذلك يكيدوننا كيداً كبيراً، ولكن: ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ومن المؤسف أنَّ المسلمين غافلون عن عناصر قوتهم الحقيقية، فهم لا يعرفون أنَّ قواهم الكمينة قوى هائلة يعرفها شياطين أعدائهم أكثر ممَّا يعرفونها هم، ويخشون أن تظهر فجأة في يوم من الأيَّام، فيستعيد المسلمون بها سالف مجدهم الذي كان لهم بين أمم الأرض.

اللَّهم أَلْهِمِ المسلمين حسن الاستفادة من موسم هذا الشهر العظيم، شهر رمضان المبارك، في استجماع أشتات ذاتيّتهم على معاني هذه العبادة، مع صفاء نفوسهم وأفكارهم، وسموّ نفوسهم وقلوبهم، ووحدة سلوكهم على شريعة الله ومراضيه، حتى يخرجوا من مدرسة هذا الشهر وهم أحسن حالاً، وأقوم سلوكاً، وأكثر يقظة، وأعظم قُوَّة، وأجمع شتاتاً.

* * *

ـ ٣ ـ

الْمُرَائي

دخل أعرابيٌّ شاعر أحد المساجد، فرأى رجلاً متخشِّعاً في صلاته يجوِّدها ويحسِّنها، ويطيل ركوعها وسجودها.

فقال الأعرابي لجاره في المسجد: ما أحسن صلاة هذا الرجل وأكثر خشوعه!!

فسمع المتخشِّع ثناء الأعرابي على صلاته، فلمَّا سلَّم التفت إليه وقال له: ومع ذلك فإني صائم.

فسقطَتْ مكانته من عين الأعرابي فقال:

صلَّى فَـأَعْجَبَنِي وَصَـام فَـرَابَنِي   نَحِّ القَلُوصَ عن المصلِّي الصائم

لقد استطاع هذا المتخشِّع أن يرائِيَ بصلاته، لكنَّه لم يستطع أن يرائي بصيامه حتى نطق بلسانه، وربما كان كاذباً بادِّعائه.

ـ ٤ ـ

التوقيت بالأشهر القمرية

من المعروف في الظواهر الطبيعيَّة أنَّ الأرض تدور حول الشمس دورة كاملة في مسير دائريّ، فتتم دورتها في كلِّ (٣٦٤) يوماً، و(١٩) ساعة و(٤٩) دقيقة.

وقد قُسِّمت هذه الأيام إلى اثني عشر شهراً هي الأشهر الشمسية، وسنتها تزيد على سنة الأشهر القمرية بنحو عشرة أيَّام تقريباً، وأشهُرها ثابتة مع فصول السنة، بخلاف الأشهر القمرية فإنَّها تدور على كلِّ الفصول.

وقد يقال: لماذا لم تكن عبادة الصوم محدَّدة بشهر من شهور السنة الشمسية، وهي الأشهر المرتبطة بدورة الأرض حول الشمس؟

وأقول: لقد قضت حكمة الله عزَّ وجل في نظام الإسلام بأن ترتبط العبادات ذات التوقيت الشهري أو السنوي بالقمر.

فالقمر هو الموقّت الطبيعيّ الظاهر الذي يشهد توقيته ويتابعه كلّ الناس، بخلاف السنة الشمسية وأشهرها، فإنَّها لا تُعرفُ إلاَّ بملاحظة المختصِّين بالحساب الفلكي.

يضاف إلى هذا أنَّ الأشهر القمريَّة لها مزية الدوران مع الفصول السنوية، فمرَّات يكون شهر رمضان في فصل الشتاء، وأخرى يكون في فصل الربيع، ثم يكون في فصل الصيف، ثم في فصل الخريف، وكذلك سائر الشهور القمرية.

وهكذا تستمرُّ في حركة دورانيّة تزحف فيها متراجعةً عن السنة الشمسية في كلِّ عام بمعدَّل عشرة أيَّام تقريباً، وبهذا تَتَنوَّع ظروف الامتحان الرَّباني للناس ما بين حين وآخر.

والعبادات ذات التوقيت الشهري والسنويّ هي: صيام شهر رمضان، وصلاة عيد الفطر وصدقته، والحجُّ، وصلاة عيد الأضحى والأضحية فيه، والزكاة التي تجب بمرور حول كامل، وكذلك عدَّة المطلَّقة، والمتوفَّى عنها زوجها، وتوقيت كثير من الحقوق.

قال الله عزَّ وجلَّ في سورة (البقرة ٢): ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ: هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ (١٨٩)﴾.

فَرَبط الله تبارك وتعالى في هذه الآية المواقيت الشهريَّة للأمور الدِّينيَّة بالأهلَّة التي تُحَدَّدُ بها الأشهر القمريَّة، كما أنَّه جعل الأهلة مواقيت للناس بوجه عامّ.

وقال الله عزَّ وجلَّ في سورة (التوبة ٩): ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ. ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ... (٣٦)﴾.

وهذه الأشهر هي الأشهر القمرية، فقول الله تعالى: ﴿منها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾يدلُّ على أنَّها أشهر قمرية، وذلك لأنَّ الأشهر الحُرُمَ المعروفة في الجاهلية هي: «رجب ـ وذو القعدة ـ وذو الحجة ـ والمحرَّم».

وقد جعل الله لهذه الأشهر الحُرم حُرْمةً خاصة، إذْ جعلها مدَّة أمانٍ عامّ، لتأمين سبيل الحاج والمعتمر، فحرَّم منذ ديانة إبراهيم عليه السلام القتال فيها.

وقال الله عزَّ وجلَّ في سورة (يونس ١٠): ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً والْقَمَرَ نُوراً وقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوْا عَدَدَ السِّنينَ وَالْحِسَابَ. مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ (٥)﴾.

فَامْتَنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ عَلَىٰ الناسِ بأن جعل لهم القمر مقدَّراً في مَنَازِلَ، ليعلموا بها عدد السنين والحساب، وفي هذا إشارة إلى التوقيت بشكل عام.

ويظهر أنَّ طبيعة الجسم البشري تتناسب مع الأشهر القمرية أكثر مِنْ تناسبها مع الأشهر الشمسيَّة. فالدورة الشهرية عند النساء تمشي غالباً وفق دورة قمريَّة، وكذلك حالات الحمل والوضع ونحو ذلك. ومن أجل ذلك ربط الله عدَّة المطلقات والمتوفَّىٰ عنهنَّ أزواجهنَّ ونحو ذلك بالأشهر القمرية.

أمَّا العبادات ذات التوقيت اليومي فقد ربطها الله بالشمس، فالصلاة ترتبط مواقيتها بأوضاع الشمس بالنسبة إلى الأرض.

قال الله عزَّ وجل في سورة (الإسراء ١٧): ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً (٧٩)﴾.

وقال الله عزَّ وجلَّ في سورة (طه ٢٠): ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُوْلُوْنَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠)﴾.

ـ ٥ ـ

قبل رحيل الشهر العظيم

مع أواخر شهر رمضان، إذْ تؤذن أيامه بالرحيل، ويلوِّح هلاله بتسليمات الوداع، يقول الشهر بلسان الحال:

أيُّها المقصِّرون الذين لم يغتنموا خيراتي من أوَّلي ومن وسطي، ما زال أمامكم فرصة طيبة تستطيعون اغتنامها، لتفوزوا بغفران الله وعفوه، ولتكونوا من العتقاء من النار ببركة العمل الصالح فيما تَبَقَّىٰ مني.

أيُّها المقصِّرون ما زال أمامكم ما تستدركون فيه حظاً وفيراً وخيراً كثيراً، ولعلَّكم بالاجتهاد وصدق التعبُّد وتصحيح النيَّة والعمل تظفرون بليلة القدر، فهي خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم خيراً عظيماً.

فقير مسكين يُرْثىٰ لحاله، مَنْ مَرَّ عليه هذا الموسم العظيم، ثمَّ لم يستطع أن يظفر بمغانمه، إهمالاً وكسلاً، أو جنوحاً وانحرافاً، أو جُحُوداً واستكباراً.

* * *

ـ ٦ ـ

العيد

عيد الفطر موسم فرحة عقب تأدية فريضة الصيام في شهر رمضان المبارك، فهو عيد الفرحة بأداء هذه العبادة، والظفر بجائزة الغفران إن شاء الله، واستحقاق الدخول إلى جنَّة الخلد من باب الرَّيَّان، وهو الباب المخصَّص من أبواب الجنة الثمانية للصائمين.

وعيد الأضحى موسم فرحة عقب تأدية جمهور عظيم من المسلمين

أهمّ وأكبر مناسك الحج، وهو الوقوف بعرفة، فقد جاء في الصحيح من كلام الرسول ﷺ قوله: «الحجُّ عرفة» أي: هو أعظم أركان الحجِّ، فالمسلمون في كلِّ أقطار الأرض يشاركون في الفرح بهذا العيد، لأنَّهم كالجسد الواحد.

الأعياد الإسلامية مواسم فرح عامّ تكون عقب تأدية عبادة عظيمة لله عزَّ وجل، وعيد صلاة الجمعة تتويج لصلوات أسبوع كامل.

إنَّ ظاهرة الأعياد في الإسلام ظاهرة مثيرة للإعجاب، إنَّها تشعر بأنَّ أعظم فرحة عند المسلمين إنَّما هي فرحتهم بانتصار إرادتهم الخيِّرة، على أهوائهم وشهواتهم، وبخلاصهم من أسْرِ وساوس الشياطين، وسلطان تسويلاتهم، وفرحتُهم بطاعة ربِّهم، والظفر بجوائز الغفران، والعتق من النار، والوعد الكريم بالجنة.

والعيد في النظرة الفلسفيَّة التي تنظر إلى واقع الإنسان، وحاجات نفسه في الحياة، هو فاصل ضروريّ في حياة الإنسان، للترويح عن النفس، وإطلاقها من روابط العمل المتتابع الجادِّ، وذلك لأنَّ العمل المتواصل الجسديّ يكثِّف في الأنفس شِحْنَةً من السأم، تشبه الشحنات الكهربائية التي تتجمَّع في بطَّاريات التخزين الكهربائي، فتأتي الأعياد في فواصل من الزمن فتؤدِّي وظيفة إطلاق شحِنات السأم المزعجة للنفس، فتروِّحُ عنها.

وهذه الوظيفة لا تؤدِّيها أيَّام العُطَل الطارئة، التي تكون النفس فيها بحسب العادة مستعدَّةً للعمل.

بهذا نلاحظ أنَّ الأعياد لدى كلِّ أُمَّةٍ من الأُمم تقوم بوظيفة إشباع حاجة نفسيَّة لديها.

لذلك تشعر النفس في العيد بالانطلاق والحريَّة من قيود كثيرة، كما يكون في العيد تفريغ للفكر والنفس من مضايقات العمل المتواتر المتتابع على نسق متطابق أو متشابه.

ونتساءل: كيف تختار الأمم أيامَ أعيادها؟

ولعلَّ من الصعب دون سبر شامل لأعياد الناس التوصُّل إلى تحديدٍ مطابقٍ للواقع تماماً، يُبيِّن كيف اختارت الأمم أيام أعيادها.

إلَّا أننا نستطيع أن نقول: إنَّ الأمم بوجه عامّ تنظر إلى ما تظفر به من أمجاد نظرات فخر واعتزاز، وهي تحاول دائماً أن تستعيد ذكرى أمجادها، لتولِّد في أفرادها قدرات جديدة لاكتساب أمجاد أخرى، لذلك فهي تتَّخذُ من أيّام أمجادها مناسبات جميلة لتجعلها أعياداً لها.

غير أنَّ بعض ما تتصوَّره الأمم أمجاداً لها، قد يكون أمراً تافهاً، لا يستحق أن يعتبر في الأمجاد، إلَّا أنَّ التقاليد الموروثة هي التي جعلت لها في الأمَّة صفة الثبات.

فربَّما توارثت بعض الأمم عيداً قوميّاً لها، والأصل فيه أنَّ زعيماً من زعماء أجدادهم الأقدمين قد تزوَّج، أو جاءه مولود، أو زوَّج أحد أبنائه أو بناته، أو أنَّه شفي من مرض، أو نجا من هلكة، فأعلن أنَّ ذلك اليوم يوم فرح عامّ، تستعاد ذكرياته في كلّ عام، ليلهوا فيه ويلعبوا، ويأكلوا ويشربوا، ويُعلنوا فرحتهم.

وهنا نلاحظ أنَّ الأعياد الإسلامية في مستوى القمَّة بالنسبة إلى سائر الأعياد التي يتخذها النَّاس، وذلك لعدَّة أمور:

الأمر الأول:

أنَّ أيّام الأعياد الإسلاميَّة أيَّامٌ يشترك في تحقيق مناسباتها العظيمة عامَّة المسلمين أو جمهور عظيم منهم وسائرهم معهم في مشاعرهم، لذلك تكون الفرحة فيها عامة.

فالظفر بتحقيق مجد عبادة الصوم والانتصار فيها على الأهواء والشهوات، ظفرٌ يشاركُ فيه كلّ مسلم يجب عليه الصوم، ومن وجب عليه الصوم فلم يصم عاصياً لله عزَّ وجل فلا عِيدَ له، إنَّما له يوم حزن وترح، لا يوم عيد وفرح.

والظفر بتحقيق مجد عبادة الحج ظفر يشارك فيه جمهور كبير من المسلمين يُمثِّلون فيه سائرهم.

الأمر الثاني:

أنَّ الأعياد الإسلامية لم تقُمْ على أساس ذكرى تاريخيَّةٍ فقط، وإنَّما قامت على أساس تحقيق مجدٍ متجدِّد متكرِّر في كلِّ سنة، يساهم فيه كلّ مسلم مكلَّف، أو جمهور منهم يكونون ممثِّلين لباقيهم فيه كلّ عام، فالحجُّ قبلٍ عيد الأضحى يساهمُ فيه كلّ مسلم مستطيع في العمر مرَّةً واحدة على أقلِّ تقدير، ومن حجّ منهم في أي عام يكون ممثلاً لسائرهم في ذلك العام، فالكل مشاركون حقيقة أو تقديراً.

أمَّا الصلاة فهي عبادةٌ يوميَّة، لذلك كان عيد المسلمين المتوِّج لها أسبوعيَّاً في كلِّ يوم جمعة، إذ يجتمع المسلمون فرحين منشرحي الصدور ساعة صلاة الجمعة، إعلاناً عن انتصارهم على أنفسهم بالتزام عبادة الصلاة اليومية، وتحقيق هذا المجد الديني المتكرِّر ما حافظ المسلمون على صلاتهم.

الأمر الثالث:

أنَّ الأعياد الإسلامية توقيفية عن الشارع، لا يصحُّ التعديل فيها، ولا الزيادة عليها، إذ الزيادة عليها من البدع المرفوضة، لذلك فهي واحدة عند جميع المسلمين، في كلِّ أقطارهم وبواديهم وقُراهم وأمصارهم.

ولتحقيق معنى العيد وفق الأسس الإسلامية ألغى الرسول ﷺ أَعْياد الجاهلية، وأعلن الأعياد الإسلامية.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قدم النبي ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبُونَ فيهما، فقال: «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟»».

قالوا: كُنَّا نَلْعَبُ فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «قد أَبْدَلَكُمُ اللَّهُ بِهِمَا خَيْراً مِنْهُمَا، يَوْمَ الأَضْحَىٰ، ويَوْمَ الْفِطْرِ».

الأمر الرابع:

أنَّ أيام الأعياد في الإسلام لا صوم فيها، إذ هي أيَّام ضيافة الرحمن، وهي أيام أكل وشرب وذكر لله عزَّ وجلَّ، وأيام فسحة لشيء من الراحة واللَّهو، وهذه لا يتلاءم الصيام معها.

لذلك يحرم صيام يوم عيد الفطر، وصيام يوم عيد النحر، وصيامُ أيام التشريق الثلاثة بعد يوم النحر، ويكره إفراد يوم الجمعة بصيام تطوُّع.

الأمر الخامس:

أنَّ الأعياد الإسلامية تُتوّج باجتماع حافل في صلاة جامعة، وخطبةِ موعظة شاملة.

وفي هذا الاجتماع الحافل يعبِّر المسلمون عن مبلغ شكرهم لله عزَّ وجلَّ، إذْ أكرمهم بالتوفيق، وبجوائز المغفرة والعفو والرضوان وأمدَّهم بعونه حتى انتصروا على أهوائهم وشهواتهم، ووساوس شياطين الإنس والجنِّ، بالعبادة العظيمة التي أدَّوها طاعة له وامتثالاً لأمره، وطلباً لثوابه ورضوانه، وهم يحتسبون أجرهم عنده.

وفي هذا الاجتماع الحافل يقوم إمامُهم فيعظُهم ويوصيهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

وفي هذا الاجتماع الحافل المشتمل على الصلاة والخطبة تظاهرةً عامَّة، يُعبِّر فيها المسلمون عن فرحتهم الكبرى، بما حقَّقوه من طاعة لله عزَّ وجلَّ.

وهو مناسبة كريمة لالتقاء المسلمين واجتماعهم، وتفقُّد بعضهم لبعض، وهذا من الغايات الاجتماعية التي تحققها الأعياد في الإسلام.

الأمر السادس:

اشتمال عيد الفطر على زكاة الفطر التي تؤدّى قبل صلاة العيد، توسعة

على ذوي الحاجات، الذين ينبغي أن يكونوا مكفولين كفالة تامَّة يوم العيد من قبل المجتمع الإسلامي، مع إعفائهم من العمل لكسب نفقتهم ونفقة أسرهم يوم العيد، وبذلك يشاركون في الإجازة دون حرج.

واشتمال عيد الأضحى على ظاهرة الأضاحي في الإسلام، التي يكون بها توسعةٌ عامَّة على المسلمين، أغنيائِهم وفقرائهم، باللَّحم سيِّد الطعام، الذي تصاب النفوس نحوه بالْقَرَمِ عند الحرمان منه مدَّة من الزمن.

الأمر السابع:

أنَّه فاصل زمنيّ يلتفت فيه المسلم إلى أداء واجبات اجتماعية تتعمَّقُ بها معاني الوحدة الإسلامية، ومعاني الجسديّة الواحدة بين المسلمين.

فالحياة الاجتماعية إذا سارت على سلسلة متواصلة لا مقاطع لها، لم يكن لروح الجماعة في الأمَّة فُرصُ تلاقٍ على مودَّة وإخاء.

ولو كان الأمر كذلك لتولَّد في أفراد المجتمع شعورٌ بالانعزالية، فكان كلّ فرد يحسُّ في ذات نفسه بمشاعر العزلة المطلقة، ولو كان في خضم أمَّة كبرى، وهو عضو من أعضائها.

من أجل ذلك كانت الضرورة الاجتماعية تقضي بلزوم فصل الزمن المتسلسل إلى مقاطع، يقف الفرد وتقف الجماعة عندها قليلاً، بغية الاتجاه نحو الأهل والأرحام والإخوان والأصحاب والعشيرة.

وليحاسب الناس بعضُهم بعضاً عند هذه المقاطع الزمنيَّة على واجباتهم الاجتماعية.

بهذه المعاني تغدو الأعياد الإسلامية مناسبات طيبات للتواصل، والتزاور، وإنْهاء التقاطع والتهاجر، وإشاعة ما توجبه الأخوة والمودّة والمحبّة، وفي ضمن ذلك يتفقّد ذَوُو الغنى واليسار ذوي الحاجات والضيق.

هذه المقاطع الزمنية هي مواسم الأعياد الإسلامية، ومهرجاناتها العامَّة،

المشتملة على الصلاة الجامعة والخطبة التي يقصد منها التذكير بواجبات السنة القادمة بوجه عام، وجَرْد حساب جماعة المسلمين عن السنة الماضية.

الأمر الثامن:

الإذن في الأعياد الإسلامية بشيء من اللهو واللعب والغناء المباح، والضرب بالدفِّ ونحو ذلك، كما ثبت في صحاح الأحاديث عن النبي ﷺ، والترغيب فيها بلبس أحسن ما يجد المسلم والتطيب بأحسن ما يجد، والتوسعة على الأهل في المعايش.

ـ ٧ ـ

ماذا بعد رمضان والعيد؟

لقد انتهىٰ رمضان بأجوائه الروحيَّة ذات الألوان الجميلة المختلفة، وذات الصور المضيئة المشرقة.

وأيام العيد تمضي بمباهجها ومظاهر اللهو واللعب فيها.

وتقبل أيام مرحلة جديدة من مراحل عمر المسلم، فماذا يجب عليه بعد رمضان؟

بعد دخول مدرسة رمضان النفسيَّة القلبية، واجتياز الدورة التدريبيَّة التربوية ذات المستوى الراقي، ينبغي للمسلم أن يستمرَّ على الحالة الحسنة الفاضلة التي اكتسبها في شهر رمضان المبارك.

فالدورات التدريبية التي من هذا القبيل إنَّما يقصد منها إعداد النفس والجسد للعمل الصالح المستمرِّ، إذْ هي وسيلة إصلاح وتهذيب بهدف دوامهما.

إجراء الجرد السنوي:

إنَّ المؤسسات التجارية والصناعية تجري جرداً سنويّاً لمعرفة أرباحها وخسائرها، وإعداد ما يلزم لتلافي الأخطاء في العام القادم.

فهل ذات الإنسان أهون عليه من أمواله، وتجارته وصناعته، حتى يكون اهتمامه بعوارض ما يملك أكثر من اهتمامه بحياته كلِّها، وبسعادته في دار الفناء، ثم في دار الخلود والبقاء؟!!

إنَّ من الواجبات التي تجب على المسلمين أفراداً وجماعات، بعد اجتيازهم المدة الفاصلة بين عام انصرم وعام قادم، أن يستفيدوا من الدروس العملية التي مرَّت بهم خلال العام المنصرم، وأن يضعوا نُصبَ أعينهم عظاتها وخبراتها التجريبية، فمن لم يستفد من عظات الماضي لم يظفر بثمرات المستقبل، ولم يأمن مخاطره ومهالكه.

والعاقل الرشيد هو الذي يعلم أنَّ الحياة كلَّها دروس وعظات، فهو شديد الانتباه إلى الاستفادة منها.

على المسلمين أن يفتحوا صفحة الواقع المؤلم الذي يعانون منه من قِبَلِ أنفسهم ومن قبل أعدائهم، ويجتمعوا على عمل مشترك عامّ، يدفعون به عن أنفسهم وبلادهم ما هو جاثم على صدورهم من بلاء لا صارف له إلاَّ العودة إلى طريق الإسلام الحقِّ، والاستمساك بتعاليمه القويمة، في كلِّ أمر من أمور الدين وأمور الدنيا، قائم على مفاهيم الوحدة الإسلامية ومعاني الجسدية الواحدة بين المسلمين.

على المسلمين إجراء جردٍ شامل لأعمال السنة الماضية، يقوم به أفرادهم وعامتهم وقادتهم، على مختلف المستويات.

وبعد هذا الجرد تأتي محاسبة النفس على أعمالها، ثم بعد ذلك يكون تقدير الأرباح والخسائر، ثمَّ يكون إعداد الخطط الحكيمة لتدارك النقص، وتلافي الخطأ، والسير في طريق الطاعة للَّهِ عزَّ وجل، والكمال والمجد.

ثم يأتي الاستعداد لتنفيذ المخطَّط المشتمل على إصلاح الأوضاع العامة الفردية والاجتماعية.

ثم تأتي متابعة التنفيذ بدقَّةٍ كاملة.

وعلى الله قصد السبيل، ومنه التوفيق والمعونة.

البَابُ السَّابِعُ

أَمجَادُ رَمَضَانيَّة

الفصل الأول: غزوة بدر الكبرى.

الفصل الثاني: فتح مكة البلد الحرام.

الفصل الأوّل

غزوة بدر الكبرى

— ١ —

تاريخ هذه الغزوة

وقعت هذه الغزوة في السابع عشر من شهر رمضان المبارك، من السنة الثانية للهجرة، وهي السنة التي فرض الله فيها على المسلمين صيام رمضان. وكانت هذه الغزوة بعد الهجرة بسبعة عشر شهراً.

فشهر رمضان شهرُ بَدْءِ القتال الفعلي الكبير ضدَّ الكفر، وهو شهر بدء الجهاد القتالي المؤزّر، وبَدْءِ البطولاتِ الإسلامية العظمىٰ.

— ٢ —

عطاء النصر

كانت نتائج هذه الغزوة العظيمة الدَّفعةَ الأولى من عطاءات النَّصر الرَّبَّانيّ المؤزّر لرسوله والمؤمنين معه، دون أن يكون لديهم الوسائل ولا القدراتُ الماديَّة لاكتساب النَّصر.

لقد كان انتصار المسلمين على عدوِّهم في هذه المعركة بمثابة معجزة ربَّانية، مكَّنَ اللَّهُ بِهَا إيمانَ المؤمنين، وأعطاهم بها دليلًا ماديّاً مشهوداً على أنَّ النصر بيد الله يُعْطيه من يشاء.

وكَانَ تحقُّق النَّصْرِ المؤزر تَنْفِيذاً لوعد سابق وعده الله رسوله ﷺ.

وقد أبان الله هذا الوعد بقوله في سورة (الأنفال ٨) وهي السورة التي تعرضت لأهم أحداث غزوة بدر وعظاتها، والتوجيهات الرَّبَّانيَّـة المتعلقة بالقتال والغنائم: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِيْنَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُوْنَ (٨)﴾.

إحدى الطائفتين: هما العيرُ الحاملة لتجارة قريش من الشام، أو النفير القادمون من مكة لنجدة العير ومقاتلة من يعترضها.

ولا بد أن يكون هذا الوعد قد حصل قبل أن تفلت العير من المسلمين الذين خرجوا لطلبها واعتراضها وأخذها غنيمة سهلة.

ولكن الله قد حقَّق الظفر بالانتصار على النفير، وأبان الغاية من ذلك، وهي أن يُحِقَّ الحقَّ بكلماته ويقطعَ دابر الكافرين.

ـ ٣ ـ

الأسباب الداعية

ترجع الدواعي الدافعة إلى إقامة معارك قتالية اقتصادية وبشريَّة بين المسلمين في المدينة ومشركي مكة إلى عدَّة أسباب:

السبب الأوَّل: أنَّ مشركي مكَّة ألجؤوا المهاجرين منها إلى المدينة بأنواع من الضغوط والأذىٰ والمضايقات الماديَّة والمعنوية، وألوانٍ من الحرب الباردة إلى ترك بلدهم ومساكنهم فيها وأموالهم.

وهذا الأمر قد جعل المهاجرين يُعانون من ضائقات اقتصاديَّةٍ كثيرة، رُغم مُواساةِ الأَنْصارِ لهم، ومُشَاطَرَتِهم لهم في أموالهم.

السبب الثاني: الاضطهاد الديني الذي مارسه مشركو مكة، ضدَّ المسلمين، ليعيدوهم إلى الكفر بعد أن هداهم الله إلى الإيمان، فقد حاولوا فتنتهم في دينهم بمختلف الوسائل الاضطهادية، وبالحرب الاقتصادية حتى ألجؤوهم إلى الهجرة والفرار بدينهم، وترك أموالهم ومساكنهم في مكَّة ينهبها المشركون.

ويعبَّر عن هذا السبب بالفتنة في الدين.

السبب الثالث: مكر مشركي مكة بالرسول ﷺ، لسجنه أو قتله، الأمر الذي أحرجه فأخرجه من مكة بلدِه مهاجراً إلى المدينة.

السبب الرابع: أنَّ حَالَةَ الحرب قَائِمةٌ بين المسلمين في المدينة ومشركي قريش، وهي بأسباب من المشركين لا من المسلمين.

ومن أمثلة ذلك إغارة «كُرْز بن جابر أحد بني محارب بن فهر» على سرح المسلمين في المدينة، وخروج الرسول ﷺ في طلبه، فيما يدعى بغزوة بدر الأولى.

السبب الخامس: محاولات تحريض مشركي قريش لمنافقي المدينة ومشركيها على قتال الرسول والمسلمين، وتهديدهم بأنَّهم سيغزونهم بجميع العرب.

روى ابن مردويه بإسناد صحيح ـ كما قال ابن حجر في الفتح ـ أنَّ كفار قريش كتبوا إلى عبدالله بن أبيّ وغيره من مشركي أهل يثرب قبل بدر يهدِّدونهم بإيوائهم النبيّ ﷺ وأصحابه، ويتوعَّدونهم بأنَّهم سيغزونهم بجميع العرب.

فهمَّ عبدالله بن أبي ابن سلول ومن معه من قومه، بقتال المسلمين، فأتاهم النبي ﷺ فقال لهم: «مَا كَادَكُمْ أحدٌ بِمثْلِ مَا كَادَتْكُمْ قُرَيْشٌ، يُريدُونَ أَنْ يُلْقُوا بَأْسَكُمْ بَيْنَكُمْ».

فلمّا سمعوا ذلك عَرَفُوا الحقَّ فتفرَّقوا.

وقد بيَّن القرآن الأسباب المبرّرة لقيام حرب بين المسلمين ومشركي مكَّة يُبَادِهُ بها المسلمون:

ففي سورة (البقرة ٢) أوَّل سورة نزلت بعد هجرة الرسول ﷺ إليها، نجد قول الله عزَّ وجل يخاطب المؤمنين: ﴿وَقَاتِلُوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِيْنَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا. إنَّ اللَّه لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ (١٩٠) واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وأَخْرِجُوْهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ والْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ، وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوْكُمْ فيه، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِيْنَ (١٩١) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إلَّا عَلَىٰ الظَّالِمِيْنَ (١٩٣)﴾.

حيث ثَقِفْتُموهم: أي: حيث قدرتم على أخذهم والظفر بهم.

١ ـ فقد دلَّ هذا النص على أنَّ مشركي مكة معلنون حرباً مستمرَّة على المسلمين في المدينة، وهم ينتهزون أيَّة فرصة ملائمة للإيقاع بهم، لذلك قال الله عزَّ وجلَّ للمسلمين: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾.

وهذا أول سبب: يُبَرِّر للمسلمين مبادهة مشركي مكة بالقتال.

٢ ـ ودلَّ هذا النصُّ على أنَّ مشركي مكة أَخْرَجُوا مسلميها من بلدهم ومساكنهم وأموالهم، فالمقاصَّة تقتضي معاملتهم بالمثل، لذلك قال الله عزَّ وجلَّ للمسلمين: ﴿وَاقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾.

وهذا هو السبب الثاني الذي يُبرِّر للمسلمين مبادهة مشركي مكة بالقتال.

٣ ـ ودلَّ إخراج المسلمين من مكة مع حالة الحرب القائمة بينهم وبين

مشركيها أنَّ غرض المشركين فتنةُ الذين آمنوا عن دينهم، ولمَّا كانت الفتنة عن دين الله الحقِّ تستتبع سخط الله وعذابه الخالد، كانت أشدَّ من القتل حتماً، فهي من كُبْرىٰ المبرِّرات التي توجب على الذين آمنوا أن يدافعوا عن دينهم، ويُقاتلوا من يريد بالإكراه أن يفتنهم عنه، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

لذلك قال الله عزَّ وجلَّ في النص: ﴿والْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القتل﴾.

وقال فيه أيضاً: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُون فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ، فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إلَّا عَلَىٰ الظَّالِمِيْنَ﴾.

أي: وقاتلوهم حتَّى ينقطع الكافرون عن فتنة المسلمين في دينهم انقطاعاً تامًّاً، وحتَّى يكون أمرُ الدين متروكاً لله، لا يَتَدَخَّلِ الناس في شأنه بإكراه، والمبدأ الذي يجب أن يسود الناس جميعاً هو أنَّه: ﴿لا إكراه في الدين﴾.

وفتنة المشركين للمسلمين في دينهم هي السبب الثالث الذي يُبرِّر للمسلمين مبادهة مشركي مكة بالقتال.

هذه الأسباب الثلاثة التي ذكرها هذا النص من سورة البقرة، قد احتوت بعمومها الأسباب الخمسة التي فصَّلتُها آنفاً.

ومع ذلك فقد جاء بيان السبب المتعلِّق بالرسول خاصة في نص خاص جاء في سورة (الأنفال ٨) التي نزلت بمناسبة غزوة بدر، فقال الله عزَّ وجلَّ فيها خطاباً لرسوله ﷺ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيرُ الْمَاكِرِيْنَ (٣٠)﴾.

ليثبتُوك: أي: لِيَحْبِسُوكَ وَيَسْجُنُوكَ.

أو يُخرجوك: أي: لِيُخْرِجُوكَ بمحاولات الحبس أو القتل حتى تخرجَ على خلاف هواهم وما كانوا قد دبَّروا من قتل، أو أنَّ إرادة الإخراج قد كانت لدى بعضهم فيكون العطف بأو على معنى توزيع المرادات الثلاثة على أقسام

منهم، وإن استقرَّ الرأي الغالب بعد ذلك على تدبير قتله جماعيًّا، وتَوْزِيع دمه بين القبائل.

هذه الأسباب تبرّر معاملة مشركي مكة بالمثل، ومقاتَلَتهم لاسترجاع الحق ومنعِ الفتنة في الدين، واعتراض قوافلهم، ومصادرة أموالهم.

ـ ٤ ـ

دعوة الرسول ﷺ المسلمين إلى الخروج

كان لا بدَّ من انتهاز الفرص للانتقام من مشركي مكة، وكَسْرِ شوكتهم، وتحطيم صلفهم وكبريائهم، وإيقاف عدوانهم على المسلمين وفتنتهم في دينهم.

فعلم الرسول ﷺ بأنَّ قافلةً تجارية لقريش بقيادة أبي سفيان بن حرب، متَّجهة إلى الشام من مكة، يحميها نحو أربعين رجلاً.

فندب المهاجرين لاعتراضها ومصادرتها بتخيير دون إلزام، فانتدب لهذا الأمر (١٥٠) مائة وخمسون من المهاجرين الأوَّلين، وقيل: (٢٠٠) مئتان منهم. وخرج بهم الرسول ﷺ في أواخر جمادى الأولى من السنة الثانية للهجرة وعقد فيها الرسول ﷺ اللواء لعمِّه حمزة بن عبد المطلب الأسد الهاشميّ المغوار.

وكانوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها، لكنَّ القافلة كانت قد سبقتهم ومضت في طريقها إلى الشام منذ أيّام، وَوَصلوا «العُشَيْرة من بطن يَنْبُع» وشاء الله أن تفلت منهم القافلة، وأن يدخر للمسلمين ما هو خير.

* * *

ولمَّا سمع الرسول ﷺ باقتراب موعد عودتها بتجارتها الكبيرة بعثَ من أصحابه: «طلحةَ بْنَ عبدالله» و«سَعِيدَ بن زيد» يترصَّدان قدومها على الطريق.

فلمَّا مرَّت القافلة بهما أَسْرَعَا وأبلغا الرسول ﷺ خَبَرَ مَقْدمها.

عندئذٍ ندب الرسول المسلمين ندباً دون إلزام كي يخرجوا لمصادرتها، وكانت قافلةً عظيمة، لم يبقَ أحدٌ من قريشٍ رجالاً ونساءً لم يساهم فيها بنصيب حسب استطاعته.

قالوا: وكان فيها قُرابة ألف بعير، وهي محمَّلةٌ بأنواع السِّلع التجارية، التي تبلغ قيمة شرائها نحواً من خمسين ألف دينار.

وحين ندب الرسول ﷺ المسلمين للخروج إليها قال لهم: «هٰذِه عيرُ قُرَيْشٍ، فيها أموالهم، فَاخْرُجوا إليها، لَعَلَّ اللَّهَ يُنْفِلُكُمُوها»[1].

فانتدب من المهاجرين والأنصارِ منْ خفَّ للأمر ونَشِط له، ولم يظُنَّ الآخرون الذين لم يَخْرجوا أنَّ رسول الله ﷺ سيلقى مع مشركي قريش حَرْباً، أعدوا لها جيشاً مستكملاً لما يلزم من عدد وعُدَّة ومُؤن.

وكان عَدَدُ المسلمين الَّذين انتدبوا لهذا اللقاء (٣١٣) ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، أو نحو ذلك: (٣١٤) أو (٣١٧) أو (٣١٩) والعدد الأخير جاء في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب.

وكان فيهم من الخزرج (١٧٠) ومن الأوس (٦١) والباقي من المهاجرين.

وكان معهم سبعون بعيراً وفرسان فقط، أمَّا أحدهما فللزبير بن العوَّام، وأمَّا الآخر فللمقداد بن عَمْرو وكان يقال له: المقداد بن الأسود.

وخرج المنتدبون من المهاجرين والأنصار بقيادة رسول الله ﷺ يوم الاثنين لثمان ليالٍ خلون من شهر رمضان، ودفع الرسولُ اللواءَ العامَّ لمصعب بن عمير وكان لواءً أبيض.

وقسم الجيش إلى كتيبتين.

---

(١) يُنفلكموها: أي: يجعلها غنيمة سهلة لكم، فتصيبونها نَفَلاً دون قتال شديد.

١ ـ كتيبة المهاجرين، ودفع رايتها لعلي بن أبي طالب وكانت سوداء يقال لها: العُقاب.

٢ ـ وكتيبة الأنصار، ودفع رايتها لسعد بن معاذ وكانت سوداء أيضاً.

وجعل على قيادة الميمنة الزبير بن العوَّام.

وجعل على قيادة الميسرة المقداد بن عمرو.

وهما الفارسان الوحيدان في الجيش.

ولقلَّة الرواحل صار المسلمون يتناوبون الركوب، فيتعاقب الرجلان والثلاثة والأربعة على البعير الواحد، وكان نصيب الرسول ﷺ أن يتعاقب الركوب مع «علي بن أبي طالب» و«مَرْثَد الغنوي»[1] على جمل واحد، فقالا: يا رسول الله، نحن نمشي عنك. فقال لهما: «مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَىٰ مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَىٰ عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا».

لقد أعطىٰ الرسول ﷺ بهذا المثل الكامل للقائد العادل الحكيم الرحيم، الَّذي لا يُؤْثر نفسه على جُنْدِهِ بمزيّةٍ لنفسه أو جسده، ولا يعفي نفسه من عمل عامّ يشارك فيه جنودُهُ، ولا يَقْبَلُ إيثاراً يُمكن أن يُفسِّره سائر الجنْدِ بالتخصُّص والتَّميُّز.

هكذا فلتكن القيادة، وهكذا فليكن القادة.

وقَصَد الرسول ﷺ بمن معه من المسلمين بدراً، لأنَّه مكان صالح لترصُّد عير قريش القادمة من الشام في طريقها إلى مكة، حتى كان قريباً من بدر، فنزل بالقوم، وجعل يتحسَّس أخبار مَقْدم العير.

* * *

وبلغَ أبا سفيان قائد قافلة قريش أنَّ محمدًّاً والمسلمين معه يترصَّدون

---

(١) كان بدل مرثد «أبو لبابة» في أوَّل الطريق قبل أن يرده الرسول إلى المدينة من الروحاء ليكون على أهلها.

القافلة لمصادرتها والاستيلاء عليها، منذ خروجه بها إلى الشام في أوائل الخريف، فأخذ حِذْره عند العودة بها من الشام.

واستطاع أبو سفيان أن يُدبِّر خطَّةً ينجي بِها القافلة، ويبتعدُ بها عن المواطن التي يحتمل أن تكون مواطن ترصّد، ويدعو بها قريشاً لحماية القافلة وإنقاذِها قبل فوات الأوان.

وقد اشتمل تدبيره على أمرين فيهما حَذَرٌ ودهاء:

الأمر الأول: أنَّه استأجَر ضَمْضَمَ بنَ عَمْرٍو الغفاري، فبعثه مسرعاً إلى مكَّة، يُخْبِر قريشاً بأنَّ محمَّداً وجيشاً من المسلمين قد خرجُوا لمصادرة القافلة، ويطلبُ منهم الخروج لحماية قافلتهم وإنقاذها.

الأمر الثاني: أنَّه لمَّا أحسَّ بقُرْب جيش المسلمين من قافلته انحرف بها، وغيَّر طريقه، ومشىٰ في ساحل البحر، تاركاً مكان بدر على يساره، وكانت بدر محلّ تجمُّع جيش المسلمين، وأسرع في المسير ونجا بالقافلة.

* * *

لمَّا خرج الرسول ﷺ يوم بدر دعا للذين خرجوا معه ربَّه أن يحملهم ويكسوهم ويشبعهم، ففتح الله له واستجاب دعاءه.

روى أبو داود بإسناد حسن عن عبدالله بن عمرو أنَّ النبيَّ ﷺ خرج يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر، وقال: «اللَّهمَّ إنَّهم حُفَاةٌ فاحملهم. اللَّهُمَّ إنَّهم عُراةٌ فاكسهُمْ، اللَّهمَّ إنَّهم جياع فأشبعهم» ففتح الله له، فانقلبوا وما منهم رجل إلَّا رجع بجمل أو جملين، واكتَسَوْا، وشبعوا.

ـ ٥ ـ

تَحسُّس المترصِّد، وتحسُّس الْحَذِر

١ ـ خرج من المسلمين رجلان هما: «بَسْبَسُ بن عمرو» و«عَدِيُّ بن أبي الزَّغْبَاء» يتحسَّسَان الأخبار.

ومضيا حتَّى نزلا بدراً، فأناخَا إلى تلٍّ قريب من الماء، ثُمَّ أخذا شنّاً لهما (زِقّاً بالياً) يستقيان فيه.

فَسمعا جاريتين من جواري القوم النازلين على الماء، تطالب إحداهما الأخرى، بحقٍّ لها عندها، وتخاصمها في ذلك.

فقالت التي عليها الحقّ: إنَّما تأتي العير غداً أو بعد غدٍ، (تعني عير قريش) فأعمل لهم، ثُمَّ أقضيك الذي لك.

وكان مَجْدِيُّ بنُ عمرو الْجُهَني على الماء، فقال لها: صَدَقْتِ، ثمّ أصلح بينهما.

فتلقَّف المتحسِّسان من المسلمين (بَسْبَسُ وَعَديّ) ما سمعاه، وركبا بعيريهما، وانطلقَا حتَّى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا.

٢ ـ وأقبل أبو سفيان بن حرب قائد عير قريش، وتقدَّم العيرَ حَذِراً، حتى ورد الماء نفسه.

فقال لـمجديّ بن عمْرو: هل أحسستَ أحداً؟

فقال: ما رأيتُ أحداً أُنكره، إلاَّ أنَّني قد رأيت راكبينِ قد أناخا إلى هذا التلّ، ثمَّ استقيا في شنٍّ لهما، ثمَّ انطلقا.

فأتى أبو سفيان مُناخهما، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففتَّه فإذا فيه نوى التمر، فقال: هذه واللَّهِ علائف يثرب.

فرجع إلى أصحابه سريعاً، فضربَ وجه عِيره عن الطريق، فأخذ بها إلى جهة ساحل البحر، وتركَ بدراً بيسار، وانطلق مسرعاً، ونجا بالعير.

ولم يعثر المسلمون على أثر لعير قريش.

٣ ـ فركب الرسول ﷺ بنفسه، ومعه أبو بكر يتحسَّس الأخبار.

حتى وقف على شيخٍ من العرب يقال له: «سُفْيَانُ الضمري».

فسأله الرسول عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم؟

فقال الشيخ: لا أُخْبِرُكُما حتَّى تُخْبِراني مِمَّن أنتما.

فقال رسول الله ﷺ: إذَا أَخْبَرْتَنَا أخبرناك.

قال الشيخ: أذاكَ بذاك؟

قال: نعم.

قال الشيخ: فإنَّه بلغني أنَّ محمَّداً وأصحابَهُ خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ وأصحابه الذين خرجوا معه.

وبلغني أنَّ قُرَيشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به قريش.

فلمَّا فرغ من خبره قال: ممَّن أنتما؟

فقال رسول الله ﷺ: نَحْنُ مِنْ مَاء، ثم انصرف عنه مع أبي بكر.

فجعل الأعرابي الشيخ يقول: ما من ماء؟. أمن ماء العراق؟.

ورجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه.

٤ ـ فلما أمسىٰ رسول الله ﷺ بعث نفراً من أصحابه إلى ماء بدر، يتحسَّسون له الأخبار، فيهم «عليّ بن أبي طالب» و«الزبير بن العوام» و«سعد بن أبي وقاص».

فوجدوا عند ماء بدرٍ راويةً (وهي الإبل التي يُستقىٰ عليها الماء) لقريش، فيها «أَسْلَمُ» غلام بني الحجاج، و«عريضُ أبو يسار» غلام بني العاص بن سعيد، فأتَوْا بهما، فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي؟

فقالا: نحنُ سقاةُ قريش، بعثونا نسقيهم من الماء.

فَكَرِهَ القومُ خَبَرَهُما، ورجَوْا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما، فلمَّا أَذْلَقُوهُمَا (أي: بالَغُوا في ضربهما) قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما.

وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه، ثم سلَّم وقال: «إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا، وإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُموهما، صَدَقَا والله، إِنَّهما لِقُرَيْشٍ».

ثم قال الرسول لهما: «أَخْبِرَاني عَنْ قُرَيش؟».

قالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترىٰ بالعُدْوَةِ القُصوىٰ.

فقال لهما: «كَمِ الْقَوْمُ؟».

قالا: كثيرٌ.

قال: «ما عِدَّتُهُمْ؟».

قالا: لا ندري.

قال: «كَمْ يَنْحُرونَ كُلَّ يَوْم؟».

قالا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً.

فقال الرسول ﷺ: «القومُ فيما بين التسع مئة والألف».

ثم قال لهما: «فَمَنْ فيهمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ؟».

قالا: «عُتْبَةُ بنُ رَبيعَة» و«شَيْبَةُ بنُ ربيعة» و«أبو البَخْتَرِيّ بن هشام» و«حكيم بنُ حزام» و«نَوْفَلُ بن خُوَيلد» و«والحارث بن عامر بن نَوْفَل» و«طُعَيْمةُ بْنُ عَدِيّ بنِ نوفلٍ» و«النَّضر بنُ الحارث» و«زَمْعَةُ بْنُ الأسود» و«أبو جَهْلِ بن هشام» و«أُمَيَّةُ بنُ خلف» و«ونُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابْنَا الحجَّاج» و«سُهيل بنُ عَمْرو» و«وعَمْرُو بنُ عَبْدِوُدّ».

فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلاَذَ كَبِدِهَا».

وتحقَّق الرسول ﷺ والمسلمون معه أنَّ قافلة العير أفلتت، وأنَّهم إن

أرادوا لقاء عدوِّهم فإنَّه ملاقون حرباً مع جيش قريش، وأنَّهم سيواجهون النفير، بعد أن نجتْ منهم العير.

وكان هذا خلافَ ما كانوا يَوَدُّون، وهو ما ذكره الله بقوله في سورة (الأنفال ٨): ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تكُونُ لَكُمْ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِيْنَ (٧) لِيُحِقَّ الحقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُوْنَ (٨)﴾.

فأبان الله بهذا أنَّهم كانوا يودُّون الظفر بالقافلة غيرِ ذات الشوكة، لكنَّ الله يريد شيئاً آخر، هو أن يُظْفِرَ المؤمنين القلَّة بالانتصار على جيش قريش، كاملَ العَدَدِ والعُدَّة، ليُحِقَّ الحقَّ بكلماته التي يَنْصُر بها أولياءَه على أعدائِهِ، ويقطع بها دابِرَ الكافرين، في هذه المعركة، التي تقوم في بدر بين المسلمين القلَّة ومشركي مكة، ولتكون مقدِّمة لإحقاق الحق كلِّه الذي بعث به محمَّداً نبيَّه ورسوله للناس أجمعين، وإبطالِ الباطل كلّه الذي ينصرُهُ المجرمون كلُّ المجرمين في الأرض، ولو كرهوا ذلك وقاوموه بكلٍّ ما يستطيعون من قوَّة وحيلة.

وللدلالة على هذا المعنى الثاني قال الله عزَّ وجل: ﴿ليُحقَّ الحقَّ ويُبطل الباطل ولَوْ كره المجرمون﴾ بعد قوله في الآية السابقة ﴿ويريد الله أن يُحقَّ الحقَّ بكلماتِهِ ويقطَع دابر الكافرين﴾.

* * *

— ٦ —

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب في مكة[١]

ورأت عاتكةُ بنتُ عبد المطلب، قبل قُدوم ضَمْضَم بن عمرو الغفاري مكة بثلاث ليالٍ لإبلاغ قريش رسالة أبي سفيان إليهم في شأن العير، رؤيا أفزعتها.

(١) اقتباساً من سيرة ابن هشام.

فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيتُ اللَّيلةَ رُؤْيا أفظعَتْني (أي: جعلتني أشعر بأنَّ أمراً فظيعاً شنيعاً خطيراً سيحدث لأهل مكة) وتخوَّفتُ أن يدخُل على قومك منها شرٌّ ومصيبة، فاكْتُمْ عَنِّي مَا أُحدِّثُكَ به.

فقال لها العبَّاس: وَمَا رَأيْتِ؟

قالت: رأيتُ راكباً أقبل على بعيرٍ له، حتَّى وقف بالأبْطح، ثُمَّ صَرَخ بأعلَى صوته: أَلَا انْفروا يَا لَغُدُر لمصارعكُمْ في ثلاث.

يا لَغُدُر: أي: يا أهل غدر، وغُدُر بضم الغين والدال جمع غدور.

قالت: فأرى الناس اجتمعوا إليه.

ثمَّ دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حَوْلَهُ مَثَلَ بِهِ بعيره على ظهر الكعبة، ثمَّ صرخ بمثلها: ألا انفروا يا لَغُدُرٍ لمصارعكُمْ في ثلاث.

ثمَّ مَثَل به بعيره على رأس أبي قبيس (هو جبل أبي قبيس المشرف على الحرم المكّي من جهة الصفا) فصرخ بمثلها.

ثمَّ أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتَّى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضَّت، فما بقي بيتُ من بيوت مكة، ولا دار إلَّا دخلتها منْها فِلْقَة.

قال العباس: والله إنَّ هذه لرؤيا، وأنت فاكتميها، ولا تذكريها لأحد.

ثمَّ خرج العباس فلقي الوليد بن عُتبة بن ربيعة، وكان له صديقاً، فذكرها له، واستكتمه إيَّاها.

فذكرها الوليد لأبيه عُتبة، ففشا الحديث بمكَّة، حتَّى تحدثت به قريش في أنديتها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قُعود يتحدَّثون برؤيا عاتكة، فلمَّا رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل،

إذا فرغت من طوافك فأقْبِلْ إلينا، فلمَّا فرغتُ أقبلتُ حتَّى جلستُ معهم، فقال لي أبو جهل:

يا بني عبد المطّلب، متَى حَدَثتْ فِيكُمْ هذه النَّبِيَّة؟

قال: قلت: وما ذاك؟

قال: تلكَ الرؤيا التي رأت عاتكة.

قال: فقلت: وَمَا رأت؟

قال: يا بني عبد المطَّلب، أمَا رضيتُم أن يتنَبَّأ رجالُكُمْ، حتَّى تتنبَّأ نساؤكُمْ؟. قد زعَمت عاتكة في رؤياها أنَّه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربَّصُ بكم هذه الثلاث، فإنْ يكُ حقاً ما تقول، فسيكون، وإنْ تمضِ الثلاثُ ولم يكن من ذلك شيءُ، نكتُبْ عليكُمْ كتاباً أنَّكُمْ أكذبُ أهلِ بيتٍ في العرب.

قال العباس: فوالله ما كان منِّي إليه كبير، إلاَّ أنِّي جَحَدْتُ ذلك، وأنكرتُ أن تكون رأتْ شيئاً. ثمَّ تفرَّقنا.

فلمَّا أمسيتُ لمْ تبقَ امرأةٌ من بني عبد المطَّلب إلاَّ أتتني، فقالت: أقررتُم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثمَّ قد تناول النساء وأنت تسمع، ثمَّ لم يكُنْ منْكَ غِـيَرٌ (أي تغيُّر وإنكار) لشيءٍ ممَّا سمعتَ!!

قال العباس: فقلت: قد والله فَعَلْتُ، ما كان منِّي إليه من كبير، وايْمُ الله لأتعرَّضَنَّ له، فإنْ عاد لأَكْفينَّكُنَّه.

قال: فغدوْتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنَا حديدٌ مُغْضَبٌ أُرى أنِّي قد فاتني منه أمرٌ أحِبُّ أنْ أُدْركَهُ مِنْهُ.

فدخلتُ المسجد فرأيتُه، فوالله إنِّي لأمشي نحوَهُ أتعرَّضُه، ليعودَ لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً، حديد الوجه، حديدَ اللسان، حديدَ النظر.

إذْ خرجَ نحو باب المسجد يَشْتَدُّ، فقلتُ في نفسي: مَا لَهُ لَعَنَهُ الله، أَكُلُّ هذا فَرَقٌ منِّي أنْ أشاتمه؟!

وإذا هو قد سَمع ما لم أسمع: صوتُ ضَمضَم بن عمرو الغفاري، وهو يَصْرُخُ ببطن الوادي، واقفاً على بعيره.

* * *

ـ ٧ ـ

ضمضم بن عمرو الغفاري وإيصاله رسالة أبي سُفْيان إلى قريش

حمل ضَمْضَمُ بنَ عَمْرٍو الغفاري رسالة أبي سفيان إلى قريش، وركب بعيره مسرعاً إلى مكة، فلمَّا وصل مكَّة جَدَعَ أنف بعيره، وحوَّل رحلَهُ، وشقَّ قميصه، وأخذ يَصْرُخُ ببطنِ الوادي:

يا معشر قريش، اللَّطِيمَةَ (تطلق اللطيمة ويُرادُ منها العير المحمَّلة بُرّاً وطيباً ونحو ذلك، ولا يقال للعير لطيمة ما لم تكن مُحَمَّلةً تجارةً وأموالاً).

ثم قال: أموالُكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمَّد في أصحابه، لا أرى أنَّكم تستطيعون إدراكَها، الغَوْثَ الغوثَ.

* * *

ـ ٨ ـ

مشركو مكة يتجهَّزون للخروج لإنقاذ أموالهم ويخرجون

لمَّا سمع مشركو مكة رسالة أبي سفيان على لسان ضمضم تجهَّزوا للحرب سراعاً، وأوعبوا، وكانوا بين رجلين: إما خارج بنفسه في النفير، وإمَّا باعث مكانه رجلاً.

لم يتخلَّفْ من أشراف قريش أحد إلَّا أبا لهب بن عبد المطَّلب، فإنَّه بعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة.

وحاول «أميَّة بن خلف» أن يتخلَّف، وكان شيخاً جسيماً ثقيلاً. فأتاه «عقبةُ بن أبي معيط» وهو جالسٌ في المسجد بين ظهراني قومه، بِمِجْمَرةٍ يحملها، فيها نارٌ وعُودٌ يتبخَّر به، حتَّى وضعها بين يديه، ثمَّ قال: يا أبا عليّ، استجمر، فإنَّما أنت من النساء.

قال له: قبَّحكَ الله وقبَّح ما جئت به.

ثمَّ تجهَّز وخرج مع الناس.

ولم يبق من قريش بطن إلاَّ نفر منه ناس باستثناء بني عديّ بن كعب لم يخرج منهم رجل واحد.

خرجت قريش في أكثر من ألف مقاتل بقيادة أبي جهل بن هشام، وكانوا مجهَّزين بكلٍّ ما استطاعوا من عدَّة للقتال ومؤن ووسائل ترف ولهو، ومعهم الخمور والمغنيات والمعازف، وفي نفوسهم الصلف والكبر والبطر، والرغبة بمراءات الناس قُوَّتَهم ومكانَتَهم، حتى تدوم لهم الهيبة في نفوس العرب.

وقد وصف الله حَالة قريشٍ هذه للمؤمنين إذ يعظهم بقوله لهم في سورة (الأنفال ٨): ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إنَّ الله مَعَ الصَّابِرِيْنَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كالذين خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ الله. واللَّهُ بِمَا يَعْمَلُوْنَ مُحِيطٌ (٤٧)﴾.

فَتَفْشَلُوا: فتضعفوا. والفشل في اللُّغة: الضعف والكسل والتخاذل.

وتذهب ريحكم: الريح الدولة، والغلبة، والقوة، والنُّصْرة.

بطراً: البطر هو الطغيان بالنعمة، وكراهية الشيء من غير أن يستحقّ الكراهية. وفعله بَطِرَ يَبْطَر كفرِح يفرَح.

وسار جيش قريش إلى جهة بدر، على الطريق الذي يحتمل أن يعترض المسلمون فيه قافلتهم.

ومرُّوا في طريقهم على منازِلِ الغفاريين، فبعث «خُفَافُ الغفاري» أو أبوه «أَيْماء الغفاري» إلى قريش حين مرُّوا بمنازله ابناً له يحمل لهم ذبائح قد أهداها لهم.

وقال لهم: إنْ أحببتم أن نُمدَّكم بسلاح ورجالٍ فعلنا.

فأرسلوا إليه مع ابنه: أَنْ وَصَلَتْكَ رحم، قد قضيت الذي عليك، فَلَعَمْري لئن كُنَّا إنَّما نُقَاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم، ولئن كُنَّا إنَّما نُقَاتل الله ـ كما يزعُمُ محمد ـ فما لأحدٍ باللَّهِ من طاقة.

وتابع جيش مشركي قريش مسيرهم، حتى نزلوا قرب بدر. وكان منزلهم بالعدوة القصوَى من الوادي، وراء كثيب الرمل.

أمَّا الآبار إلى ماء بدر فتقع في العُدْوَةِ الدُّنيا الأقرب إلى المدينة، إلى جهة مَنْزِل المسلمين.

* * *

ولمَّا رأى أبو سفيان أنَّه قد نجا بالعير، وأوصلها إلى مأمنها، أرسل إلى قريش يقول لهم: إنَّكُمْ إنَّما خرجتم لتَمنَعُوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نَجَّاها الله فارجعوا.

فقال أبو جهل بن هشام قائد جيش قريش يومئذٍ: والله لا نرجع، حتى نَرِد بدراً ـ (وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوقٌ كلَّ عام) ـ فنقيم عليه ثلاثاً، فننحَرُ الْجُزُر ونُطعم الطعام، ونُسقى الخمر، وتعزف علينا الْقِيان[1]، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا.

وقال الأخنسُ بن شَريقٍ الثقفي لبني زُهرة إذْ كان حليفاً لهم:

يا بني زُهرة، قد نجَّى الله لكم أموالكم، وخلَّص لكم صاحبكم

---

(١) القِيان: الإماء المغنِّيات.

«مَخْرَمة بن نوفل» وإنَّما نَفَرْتُم لتَمنعوه ومالَه، فَاجعلوا لي جُبْنَها وارجعوا، فإنَّه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير منفعة، لا ما يقول هذا، يَعْنِي أبا جهل.

فرجعوا فلم يشهد معركة بدر زهريٌّ واحد، لقد أطاعوه وكان فيهم مُطاعاً، ولمَّا جرى لقريش ما جرى بعد في بدر اغتبطت بنو زهرة برأي الأخنس، فلم يزل فيهم معظماً مطاعاً.

وجرى حوار بين طالب بن أبي طالب وبين بعض قريش، فقالوا له: والله لقد عرفنا يا بني هاشم، وإن خرجتم معنا، أن هواكم لمع محمد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع ولم يشهد بدراً.

* * *

ـ ٩ ـ

لقاء على غير ميعاد

من عجيب التلاقي الذي رسمه القضاء والقدر، والذي تمَّ دون تواعد بين المسلمين ومشركي قريش، أن تتَّجه المسيرتان المؤمنة والكافرة تلقاء مكان بدر.

هذه خارجة من المدينة قصدُها مصادرة العير لا مواجهة النفير، وتلك قصدها نجدة القافلة التي نجت فعلاً بتحويل خطِّ المسير، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

واستمرَّت المسيرتان تتقاربان دون أن يعلم كلٌّ منهما بالآخر، حتى كان كلٌّ منهما قريباً من ماء بدر، هذه المؤمنة في العدوة الدنيا من جهة المدينة والدنيا إلى ماء بدر، وهذه الكافرة في العدوة القصوى عن ماء بدر إلى جهة مكة، وركب العير قد انشمر إلى أسفَل، مبتعداً عن المسلمين إلى جهة مكَّة، ظافراً بالنجاة من طالبيه المسلمين.

وفي بيان ذلك قال الله عزَّ وجلَّ في سورة (الأنفال ٨) يخاطب

المؤمنين: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ. وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الميعاد. وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْـرًا كَانَ مَفْعُولًا. لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ. وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) ﴾.

الْعُدْوَةُ: هي من الوادي شاطِئُهُ وطرفُه. وهي المكان المرتفع وتجمع على: «عِدَاء» و«عَدَيَات».

* * *

ـ ١٠ ـ

الرسول ﷺ يستشير أصحابه

علم رسول الله ﷺ بإفلات القافلة ونجاتها، وبخروج جيش قريش ليتصدَّى للرسول ومن معه من المسلمين.

فرأى بحكمته القيادية العظيمة أنْ لَا يَبُتَّ بأمر الاصطدام الحربي مع قريش، حتى يستشير الذين خرجوا معه من المسلمين، وقد كان خروجهم لمصادرة العير، لا لمقاتلة النفير القادمين من مكَّة بكبرهم وخيلائهم وعددهم وعدَّتهم، رُغم أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد وعده إحدى الطائفتين بالظفر بها أو عليها، وإذْ قد أفلتت طائفة العير فقد تعيَّن أنَّ الوعد مقصود منه طائفة النفير.

إنَّه لموقف محرج للقائد، ولكن عرض الأمر على جمهور القـوم واستشارتهم فيه هو السبيل الحكيم للخلاص منه، وإلقاء تبعته ومسؤولياته على الَّذين سيتحمَّلُون بأنفسهم أعباء القتال ومَا يستتبعه.

فجمع الرسول ﷺ المسلمين الذين خـرجوا معـه، وعرض عليهم الموقف العامّ الذي هم فيه، وأبان لهم أنّ العير التي خرجوا إليها قد أفلتت، وأنّهم الآن في مواجهة جيش مستعدّ للقتال. وقال لهم: «أشِيرُوا عَلَيَّ أيُّها النَّاس».

فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال وأحسن القول، وأعلن الاستعداد لمواجهة العدوّ ومقاتلته، إذا رأى الرسول ﷺ ذلك.

ثمَّ قام عمر رضي الله عنه فقال وأحسن القول، وأعلن الاستعداد الكامل لتنفيذ ما أراه الله.

ثُمَّ قام الْمِقْدَاد بْنُ عَمرو فقال: (يا رسول الله، امضِ لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إنَّا هَهُنَا قَاعِدُوْنَ﴾.

ولكن: اذهَبْ أنت وربُّك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحقِّ لو سرتَ بِنَا إلى بَرْكِ الغِماد لجالدنا معكَ من دونه حتى تبلُغه).

فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير.

بَرْكُ الغماد: موضع بناحية اليمن، وقيل: هو أقصى حِجْر، وهو موضع كان يصعب الوصول إليه يومئذٍ.

وأبو بكر وعمر والمقداد كلُّهم من المهاجرين رضي الله عنهم.

وكره فريق من المؤمنين الذين خرجوا مع الرسول يومئذٍ مقاتلة جيش قريش، ورأوا أنَّهم لا قِبَلَ لهم بمواجهة عدوِّهم، وأنَّهم متورطون في معركة انتحارية، فكأنَّهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون، وجعل بعضهم يجادل رسول الله ﷺ في قضية عدم التكافؤ بين الفريقين، وقد أعلمهم الرسول بوعد الله له بالنَّصر، فتبيَّن لهم الحقُّ بمقتضى إيمانهم بالله وبصدق الرسول، لكنَّ فارق القوة الماديَّة أقلق نفوسهم، وأزاغ أبصارهم.

ولئن سكتت روايات السيرة عن ذكر حال هذا الفريق من المؤمنين، فإنَّ الله عزَّ وجل قد أثبته في كتابه، ليبقى مثلاً لمن يـأتي بعدهم من المؤمنين، وليعلموا أنَّ فريقاً من أهل بدر قد حصل منهم كراهية لقاء العدوّ، ومجادلة الرسول في لقائهم، فكأنَّهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون، فقال

الله عزَّ وجل في سورة (الأنفال ٨) خطاباً لرسوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُوْنَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُوْنَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُوْنَ (٦)﴾.

ويريد الرسول ﷺ أن يسمع من الأنصار بعد أن سمع أقوال كبار المهاجرين، فقال مُشْعِراً بتكرير طلب المشورة عن مُراده: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ».

وإنَّما يريد الرسول بهذا الخطاب الأنصار، لأنَّ عددهم هو العدد الأكثر في الذين خرجوا معه إلى بدر، ولأنَّ الأنصار حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله، إنَّا بُرآءُ مِنْ ذِمَامِكَ حتَّى تَصِلَ إلى ديارنا، فَإذا وصلتَ إلينا فأنتَ في ذمتنا، نَمْنَعُكَ ممَّا نمنَعُ منه أبناءنا ونساءنا.

فكان رسول الله ﷺ يتخوَّفُ أَلَّا تكون الأنصار ترى عليها نَصْرَهُ إلَّا ممَّن دَهَمَهُ بالمدينة من عدوِّه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍّ خارج ديارهم.

فلمَّا قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سَعْدُ بنُ معاذ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنا يا رَسُولَ الله؟

قال: «أجل».

قال سعد: (قد آمنَّا بك وصدَّقناك، وشَهِدْنَا أَنَّ ما جئتَ به هُوَ الحقُّ، وأعطيناكَ على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السَّمْعِ والطاعة، فَامْضِ يَا رسولَ الله لما أردتَ، فنحن معك، فوالذي بعثَكَ بالحَقِّ، لو استعرضْتَ بنا هذَا البحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رجلٌ واحد، وما نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَىٰ بِنَا عَدُوَّنا غداً.

إنَّا لصُبُرٌ في الْحَرْبِ، صُدُقٌ في اللِّقاء، لعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَىٰ بَرَكَةِ اللَّهِ).

لصُبُرٌ في الحرب: أي: لصابرون في الحرب، قال أهل اللُّغة: الصَّبْرُ نقيض الجزع. صَبَر يَصْبِر صَبْراً فهو صابِر وصبَّار وصَبِير وصَبُور. والأنثى صبور أيضاً بغير هاء. وجمعُه صُبُر.

صُدُقٌ في اللِّقاء: أي ثابتون صامدون، وهو جمعٌ مُفرده صَدْق، بفتح الصاد وسكون الدال، والصَّدْقُ هو الثَّبْتُ في اللقاء، والجمعُ صُدُق.

إنَّها خطبة رائعة خطبها سعد، أثلجت قلب الرسول ﷺ، وسرَّته، ونشّطتْه.

ثم قال الرسول ﷺ: «سِيروا، وَأَبْشِرُوا، فإنَّ الله تعالى قَدْ وَعَدَنِي إحْدَىٰ الطائِفَتَيْنِ، والله لَكَأَنِّي الآنَ أَنْظُرُ إلَىٰ مَصَارِعِ القوم».

* * *

ـ ١١ ـ
ليلة العزم على القتال

استوثق الرسول ﷺ من عزم أصحابه الَّذين خرجوا معه للعير، على الاستجابة لمواجهة عدوِّهم، رُغْم كثرة عددهم وعدَّتهم، ثقة بوعد الله لهم بالنصر، وابتغاء مرضاته، وطلباً لجنته، ورغبة في الاستشهاد في سبيله.

فعزم على الارتحال بهم والنزول عند ماء بدر في الوادي، حيث المكان الصالح عسكريّاً للقاء العدوّ في معركة قتالية.

وبات المسلمون ينتظرون أمر الرسول لهم بالارتحال، وقد رأوا أنَّهم مواجهون جيش قريش لا محالة، فألقى الله عليهم النعاس أَمَنةً منه، حتى لا يكون التفكير في القتال مقلقاً لهم، مضعفاً لقواهم، شاداً لأعصابهم، إلاَّ أنَّهم كانوا في قلَّة من الماء.

فباتوا ليلتهم نائمين مستغرقين في نومهم منقطعين عن كلِّ تفكير بما هم عليه قادمون، وما هم له ملاقون، ليلاقوا عدوَّهم، وهم بكامل قواهم

الجسدية، وكان هذا معونةً من الله لهم، حتى أصبح كثير منهم في حالة جنابة، دليلاً على أنَّهم باتوا ونفوسهم مطمئنة فارغة ممَّا يقلقها.

وأصبحوا بحاجة شديدة إلى الماء، ظِماءً، ويريدون أن يتطَهَّروا للصلاة بالاغتسال من الجنابة أو بالوضوء.

فوسوس الشيطان لبعضهم: إنَّكم تزعمون أنَّكُمْ أولياء الله، ومعكم رسوله، وأنتم لا تجدون ماءً تتطهرون به لصلاتكم، ولا ماءً تشربونه؟.

فبعث الله مطراً من السماء، حتَّى سال الوادي، فشربوا وتطهَّروا، وملؤوا منه أسقيتهم.

وكان من معونة الله لهم في هذا المطر أن كان سبباً لأمرين:

الأمر الأول: أنَّ الأرض تلبَّدت بالماء من جهتهم، إذْ كان الوادي من جهتهم دَهْساً (أي: ليّناً بين التراب والرمل إذا أصابه الماء تَلَبَّدَ).

فسهَّل ذلك لهم الحركة، وثبَّت به أقدامهم حتى لا تغوص في الرمل والتراب اللَّين، ويسَّر لهم الانتقال إلى ماء بدر بسرعة.

الأمر الثاني: أنَّ الحال كان على عكس ذلك بالنسبة إلى جيش قريش، فقد استوحلت الأرض من جهتهم بالأمطار، فعاقتهم عن التحرك السريع، والانتقال إلى ماء بدر.

وامتنَّ الله على المسلمين في معركة بدر بالنعاس وبالمطر، فقال عزَّ وجلَّ في سورة (الأنفال ٨): ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ، وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ به، وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ، وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ، وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ (١١)﴾.

١ ـ فكان النعاس لإلقاء الأَمْنِ في نفوسهم وصرف القلق عنهم.

٢ ـ وكان مطر السماء الذي أنزله الله:

أ ـ مُطَهِّراً لمن كان بحاجة إلى الطهارة للصلاة.

ب ـ ومُذْهِباً رِجْزَ الشيطان، والمراد من الرِّجز هُنَا أقذار وساوسه.

جـ ـ ومُقَوِّياً لقلوبهم ورابطاً عليها برباط الثقة بالله وبأنَّه مؤيدهم.

د ـ ومثبِّتاً لأقدامهم على الأرض التي لبَّدها لهم.

* * *

ـ ١٢ ـ

ارتحال الرسول بالمسلمين شطر ماء بدر

وأذَّن المنادي بالنهوض والارتحال، وارتحل الرسول بالمسلمين تُجاه ماء بدر، ليكونوا عند الماء يشربون منه كلَّما احتاجوا إليه، وليكونوا حيث المكان الصالح لقتال العدوّ.

وكانت القُلُب[1] (= الآبار) ببدر في العدوة الدنيا إلى المدينة من بطن الوادي.

وسار جيش المسلمين، وحطَّ الرسول رحاله عند أدنى ماءٍ من بدر، وحطَّ المسلمون رحالهم في هذا المنزل، وكان ذلك عِشاءً من ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رمضان.

الْحبابُ بن المنذر يشير على الرسول ﷺ بمنزل آخر:

فأقبل الْحُبَابُ بن المنذر بن الجموح وكان صاحب رأي حصيف وخبرةٍ في الحرب فقال: «يا رسُولَ الله، أرأيتَ هذا المنزل؟! أَمَنْزِلاً أَنْزَلَكَهُ اللَّه، ليسَ لنا أن نتقدَّمه، ولا نتأخر عنه؟. أَمْ هُوَ الرأيُ والحربُ والمكيدة؟».

فقال رسول الله ﷺ: «بَلْ هُوَ الرأيُ والحربُ والمكيدة».

فقال الحُبَاب: «فَإنَّ هذا ليس بمنزل، فانْهض بالناسِ حتى نأتي أدنى

---

(١) القلُب: جمع قليب، والقليب البئر إلى الماء.

ماءٍ من القوم، فننزِلَهُ، ثُمَّ نُغَوِّر (أي: ندفن ونطمُس) ما وراءه من الْقُلُب (= الآبار) ثم نبني عليه حوضاً، فنملؤهُ ماء، ثمَّ نقاتل القوم، فنشربُ ولا يشربون».

قال رسول الله ﷺ: «لقد أَشَرْتَ بالرأي».

فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزلَ عليه، ثمَّ أمر بالْقُلُب (= الآبار) الأخرى فغُوِّرت (= طمست) وبنىٰ حوضاً على القليب الذي نزل عليه، فَمُلِىء ماءً، ثمَّ قذفوا فيه الآنية، ليشرب جند المسلمين، وكان هذا العمل ليلاً.

وأعطىٰ الرسول بهذا مثل القائد الحكيم الذي لا يستكبر عن قبول مشورةٍ جاءت على خلاف ما كان قد رأى ونَفَّذ، ما دام الوقت صالحاً للتغيير إلى ما هو أحسن، ولا يَكْبُر عنده أن يرى أحدُ جنوده أحسن من رأيه، ويَتَّبع الرأي الأحسن.

سعد بن معاذ يشير ببناءِ عريشٍ للرسول:

وأقبل سعد بن معاذ إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا نبيَّ الله، ألاَ نبني لكَ عريشاً، تكونُ فيه، ونُعِدُّ عِنْدَكَ رَكَائِبَكَ، ثمَّ نَلقى عدُوَّنا، فإنْ أعزَّنَا الله وأظهرنا على عدوِّنا، كانَ ذَلِكَ ما أَحْبَبْنا، وإنْ كانت الأخرى، جلست على ركائبك، فلحقْتَ بِمَنْ وَرَاءنا، فقد تخلَّفَ عنكَ أقوامٌ يا نبيَّ الله، مَا نَحْنُ بأشدّ لك حُبّاً منهم، ولو ظنُّوا أنَّكَ تلقى حرباً ما تخلَّفُوا عنك، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهم، يُنَاصِحُونَكَ، ويجاهدونَ معك؟».

فأثنىٰ عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير.

ثم بُنِي لرسول الله ﷺ عريش، وفق مشورة سعد بن معاذ، فكان فيه، وهو بمثابة غرفة القيادة أو غرفة العمليات والإدارة الحربية في المصطلحات الحديثة.

وكان مع الرسول في العريش أبو بكر رضي الله عنه لحراسته، ليس معه غيره فيه.

ووقف سعد بن معاذ متوشحاً سيفه في نفر من الأنصار، على باب العريش، يحرسون الرسول ﷺ، حتَّى لا يدنو أحد من العريش.

وقد أشاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بشجاعة أبي بكر رضي الله عنه، مستشهداً بما كان من أبي بكر في قصة حراسة الرسول في عريش بدر.

جاء في مسند البزار[1] أنَّ عليّاً رضي الله عنه خطب الناس فقال: «يا أيها الناس، من أشجع الناس؟».

قالوا: أنت يا أمير المؤمنين.

فقال: «أمَا إنِّي ما بارزت أحداً إلاَّ انتصفتُ[2] منه، ولكن هو أبو بكر، إنَّا جعلنا للنبيِّ ﷺ عريشاً، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوِي إليه أحدٌ من المشركين، فوالله ما دنا منَّا أحدٌ إلاَّ أبو بكر، شاهر بالسيف على رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد إلاَّ أهْوَى إليه».

* * *

— ١٣ —

ارتحال جيش قريش في اتجاه ماء بدر

وارتحلت قريش حين أصبحت متَّجهةً شطر ماء بدر، وأقبلت بكبرها وخُيَلائها وفخرها وعَدَدها وعُدَّتها.

وصعدت الكثيب الفاصل، ثمَّ صوَّبت منه إلى الوادي نحو قُلُبِ ماء بدر.

فلمَّا رآها رسول الله ﷺ تُصَوِّب مقبلةً نحو الوادي، قال: «اللَّهُمَّ هَذِهِ

(١) انظر محمد رسول الله: لمحمد الصادق عرجون ص ٣٤٠ من الجزء الثالث طبعة دار القلم.
(٢) يقال لغة: انتصف منه إذا استوفى حقَّه منه كاملاً.

قُرَيشٌ قد أقبلتْ بخُيَلائها، وفخرها، تُحادُكَ، وتُكَذِّبُ رسُولَكَ، اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الذي وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ أَحِنْهُمُ الْغَدَاةَ».

أَحِنْهُم الغداة: أي: اجعل هلاكهم وقت الغداة، والْحَيْنُ في اللُّغة هُو الهلاك.

ورأى رسول الله ﷺ عتبةَ بنَ ربيعة في القوم على جملٍ له أحمرَ، فقال: «إنْ يكُنْ في أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر، إنْ يُطيعوه يَرْشُدوا».

نزول جيش قريش في الوادي تجاه معسكر المسلمين:

فلما هبطوا إلى الوادي نزلوا منزلاً مواجهاً لمنزل جيش المسلمين وأقبل نفر منهم ليردوا الماء، فلم يجدوا غير حوض المسلمين، فأقبلوا ليشربوا منه.

فأراد المسلمون منعهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعوهم» فشربوا.

فكان من أمر هؤلاء الشاربين أنَّه ما شرب من الحوض رجل منهم يومئذٍ إلَّا قُتِلَ، باستثناء حكيم بن حزام، فإنَّه لم يُقتل، ثمَّ أسلم بعد ذلك، فحسن إسلامه.

لقد علم الله أنَّ في قلبه خيراً فحماه من القتل ليُسلم فيما بعد.

فكان حكيم بن حزام إذا اجتهد في يمينه قال: لا وَالذي نَجَّاني من يومِ بدر.

ثم منع المسلمون المشركين من ورود الحوض، فأقبل الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شَرِساً سَيِّءَ الخُلُق، فقال: (أعاهد الله لأشربَنَّ من حَوْضِهِمْ، أوْ لأُهْدِمَنَّه، أو لأَمُوتَنَّ دُونه).

فلمَّا دنا من الحوض، خرج إليه حمزة بن عبد المطَّلب، فلمَّا الْتَقَيا ضربَه حمزة بسيفه، فبَتَرَ قَدَمه بنصف ساقه، فطارت ولها طنين.

فوقع على ظهره تشخب رجله دماً، ثمَّ حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن يُبرّ يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

* * *

ـ ١٤ ـ

عُمَيرُ بنُ وهب الجمحيّ يطوف حول معسكر المسلمين ليتعرَّف مقدار قوتهم

لمَّا اطمأنَّ جيشُ قريش في منزله، رأوا أن يبعثوا من يستطلع لهم، ليقدِّر لهم بنظره عدد المسلمين وعدَّتهم.

فبعثوا عُميْرَ بنَ وهبٍ الجمحيّ، وقالوا له: احزِرْ (أي: قـدِّر) لنا أصحاب محمَّد.

فاستجالَ عميرٌ بفرسه حول العسكر، ثم رجع إليهم فقال: (ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمْهِلُوني حتَّى أَنظُر أَلِلْقَوْمِ كَمِينٌ أَوْ مَدَدٌ).

فانطلَق على فرسه في الوادي حتَّى أبعد، فلم يرَ شيئاً، فرجع إليهم فقال: (ما وَجَدْتُ شيئاً، ولكنِّي قد رأيتُ ـ يا معْشَر قريشٍ ـ الْبَلاَيَا تَحْمِلُ الْمَنَايا، نواضحُ يثرب تَحْمِلُ الموتَ الناقِعَ، قومٌ ليس معهم مَنَعَةٌ ولاَ مَلْجَأٌ إلاَّ سُيُوفُهم، واللَّهِ مَا أَرَىٰ أَنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حتَّىٰ يَقْتُلَ رَجُلاً مِنْكُمْ، فإذَا أصابُوا مِنْكُمْ أعدادَهُمْ فَمَا خَيْرُ العيشِ بعدَ ذَلِكَ؟ فَرَوْا رأيكُمْ).

* * *

ـ ١٥ ـ

آراء تُطرحُ بين المشركين للكفِّ عن مقاتلة المسلمين

لمَّا سمع حكيم بنُ حِزام ما قاله عُميْرُ بْنُ وهبٍ الجمحيّ مشىٰ بين

القوم محاولاً صرف الناس عن محاربة المسلمين، فأتى عُتْبَةَ بنَ ربيعة فقال له: يا أبا الوليد، إنَّك كبير قريش وسيِّدها، والمطاع فيها، هلْ لك إلى أن لا تزالَ تُذْكَرُ فيها بخيرٍ إلى آخرِ الدهر؟

قال: وما ذَاكَ يا حكيم؟

قال: ترجِعُ بالناس. . .

قال: قد فعلتُ. . فأتِ ابْنَ الحنظليَّة (يعني أبا جهل. والحنظلية أمُّه) فإني لا أخشى أن يَشْجُرَ (أي: يُثير الشجار والخصام) أمرَ الناس غيرُه. وتعهَّد عُـتْبَة بأن يتحمَّل دية عمرو بن الحضرمي الذي قتله المسلمون، وما أصيب من ماله، لأخيه عامر بن الحضرمي حليفه[١].

ثم قام عتبةُ بن ربيعة خطيباً، فقال: (يا معشر قُرَيش، إنَّكم واللَّهِ ما تصنعونَ بأنْ تلقَوْا محمَّداً وأصحابَه شيئاً، واللَّهِ إن أصبتموهُ لا يزالُ الرَّجُلُ ينظُرُ في وجه رجُلٍ يكرَهُ النظر إليه، قتلَ ابنَ عَمِّهِ، أو ابنَ خاله، أوْ رجُلاً من عشيرتِهِ، فارْجِعُوا وخلّوا بينَ محمَّد وبَيْنَ سَائرِ العرب، فإنْ أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألْفَاكُمْ ولَمْ تعرّضُوا منه ما تُريدون).

قال حكيم بن حزام: (فانطلقتُ حتَّىٰ جئتُ أبا جَهْلٍ، فوجدْتُه قد نَثَل (= أخرج) دِرْعاً لَهُ مِنْ جرابها، فَهُو يُهَيِّئُها. فقلت له: يا أبا الحكم، إنَّ عُتبة أرسلني إليكَ بكذا وكذا للذي قال.

فقال: (انتفخ واللَّهِ سَحْرُهُ[٢] حينَ رأى محمَّداً وأصحابَه. (أي: جبُن، والسحر الرِّئة، وهذه العبارةُ تُقال لمن عدا طَوْره وجاوز قدره).

كلّا والله لا نَرجِعُ حتَّى يحكُمَ اللَّهُ بيننا وبين محمَّد. وما بعتبةَ ما قال،

---

(١) وكان ذلك في سرية عبدالله بن جحش.

(٢) لمَّا بلغت عتبةَ مقالةُ أبي جهل فيه: «انتفخ واللَّهِ سحرُه» قال: سيعلَمُ مُصفِّر اسْتِه من انتفخ سحرُه، أنا أم هو. مصفِّر اسْتِه: أي: داهنها بالطيب، أي: الجبان مُحِبّ الدعة، أو هي شتيمة بأنه غميز الرجولة.

ولكنَّه قد رأى أنَّ محمَّداً وأصحابه أكلةُ جزور، وفيهم ابنُه فقد تخوّفكُمْ عليه).

ثمَّ بعث أبو جهل إلى عامر بنِ الحضرميّ[1] حليفِ عتبة يقول له: هذا حليفُك يريد أن يَرْجع بالناس، وقد رأيتَ ثأرَكَ بعينِك، فقُم فانْشُد خُفْرَتَك (أي: اطلب من قريش الوفاء بعهدهم لكم) ومقتلَ أخيك.

فقام عامر بن الحضرمي فـاكْتَشَفَ ثمَّ صرخ: واعَمْـراه، واعَمْراه، فحمِيت الحربُ، واشتدَّ القوم، واجتمعوا على ما هم عليه من الشرِّ، وأُفْسِدَ على الناس الرأيُ الذي دعاهم إليه عتبة.

ثَمَّ الْتَمَسَ عُتْبَةَ بيضةً يلبَسُهَا في رأسه، وهي خَوذَة الحرب، فما وجدَ بيضةً يدخلُ رأسُه فيها لعظم هامته، فلَمَّا رأى ذلك تعمَّم بِبُرْدٍ لَهُ عَلَىٰ رأسِهِ مُعْتَجِراً.

* * *

ـ ١٦ ـ
التهيُّؤ للمواجهة

واصطف المسلمون، وأقبل رسول الله ﷺ يعـدِّل صفوفهم بِقِـدْحٍ (= سهم) كان في يده.

وكان ذلك يَوْمَ الجمعة، السَّابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة.

ومرَّ الرسول ﷺ برجل من المسلمين اسمه: «سَوَّادُ بن غَزِيَّة» حليفُ بني عديّ بن النجار، فرآه متقدِّماً على الصبف، فَطَعَنَ في بَطْنِهِ بالْقِدْحِ، وقال له: «اسْتَوِ يَا سَوَّاد».

(١) هو أخو عمرو بن الحضرمي المقتول في سريَّة عبدالله بن جحش.

فقال: يا رسول الله، أوجعتني، وقد بعثَك الله بالحقِّ والعدل، فَأَقِدْنِي (أي: دَعْنِي أقتصَّ مِنك).

فكشفَ رسولُ الله ﷺ عن بطنه، وقال له: «اسْتَقِدْ» فأقبل سَوَّادُ فاعْتَنَقه فَقَبَّلَ بَطْنَهُ.

فقال له رسول الله ﷺ: «مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ هَذا يا سَوَّاد؟».

قال: يا رسول الله، حضَرَ ما ترى، فأردتُ أنْ يكونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ أن يمسّ جِلدِي جِلْدَكَ.

فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

ولمَّا أتمَّ الرسول تعديل الصفوف، رجَع إلى العريش فدخله، ومعه فيه أبو بكر الصدِّيق، ليس معه فيه غيره.

ـ ١٧ ـ

نهي الرسول المسلمين عن قتل بعض أفراد من جيش قريش

ما تعرفه القيادة وتخطط له وتدبِّره لا يعرفه عامَّة الناس، وأفراد الجند.

فقد يكون في جيش العدوّ أهلُ ولاء للقائد ولأتباعه، أو عيونٌ له استبقاهم في صف العدو، ليزوِّدوه بالأخبار، وليخذِّلوا عنه ما استطاعوا، وليس من مصلحة القيادة أن تُفْصح عن حقيقتهم لئلا يتسرَّب الأمر إلى العدوّ فتفسُد الخطة، ويُصيبَ أهل الولاء من العدوّ بلاء.

وقد يكون في صف العدوّ من له سابقة خير، ولا شرّ منه، ويمكن أن يكون عنصراً مفيداً في المستقبل، فمن الخير أن تُصنَعَ له حماية مكافأة على ما كان منه من خير.

لهذا ولنحوه نهى الرسول ﷺ المسلمين يوم بدر عن قتل بعض أفراد في جيش قريش.

فقد روى ابن إسحاق عن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «إنِّي قد عرفتُ أنَّ رجالاً من بني هاشم وغيرِهم قد أُخْرجوا كَرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتلْه، ومن لقي أبا البَخْتَري بن هشام بن الحارث ابن أسد فلا يقتُله (واسمُه: العاص) ومن لقي العباس بن عبد المطَّلب، عمّ رسول الله (ﷺ) فلا يَقْتُلْه، فإنَّه إنَّما خَرَج مُسْتَكْرَهاً».

وكان الرسول ﷺ قد هاجر يوم هاجر وهو راضٍ عن عمِّه العباس. قال أبو رافع ـ مولى رسول الله ﷺ ـ كنت غلاماً للعباس، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أمّ الفضل، وأسلمتُ، وكان العباس يكتم إسلامه.

وبنو هاشم آزروه ونصروه وتحمَّلوا من أجله مقاطعة قريش لهم، وانْحصروا في الشِّعب من أجله ثلاثة أعوام، حتى جَهِـدوا وأكلوا ورق الشجر.

وكان أبو البَخْتَرِي العاصُ بن هشام أكَفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه، ولا يبلُغُهُ عنه شيءٌ يكرهه، وكان ممَّن قامَ في نقض الصحيفة التي كتبت قريشٌ على بني هاشم وبني المطَّلب.

وسمع المسلمون نهي الرسول عن قتل هؤلاء النفر، وغاب عن بعضهم أنَّ ما تعرفه القيادة ولا تريد أن تفصح عنه لا يعرفه عامَّة الناس.

فقال أبو حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة: (أنقتلُ آباءَنا وأبناءَنَـا وإخْوانَنَـا وعَشيرتَنا ونَتْرُكُ العبَّاس، واللَّهِ لئن لقيتُه لأُلْجِمَنَّهُ السَّيْفَ).

فبلغت هذه الكلمة رسول الله ﷺ، فقال لعُمَرَ بن الخطَّاب: «يا أبا حفص، أيُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رسول الله (ﷺ) بالسَّيف».

قال عمر: يا رسول الله، دعني فلأَضرِب عُنقَه بالسيف، فوالله لقد نافق. فأبى رسول الله وغفر له ما بدر منه.

وقال عمر: والله إنَّه لأوَّل يومٍ كنَّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص.

وتراجع أبو حذيفة عن مقالته، وتاب منها، وكان يقول: ما أنا بآمنٍ من تلكَ الكلمة التي قلت يومئذٍ، ولا أزال منها خائفاً، إلَّا أن تكفِّرها عنِّي الشهادة.

فقُتِل يوم اليمامة شهيداً.

وأمَّا أبو البَخْتَرِي العاص بن هشام فقد لقيه من المسلمين في المعركة: الْمُجَذَّرُ بنُ ذِياد البلويُّ حليفُ الأنصار.

فقال المجذرُ لأبي الْبَخْتَرِيِّ: إنَّ رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك.

وكان مع أبي البختري زميل له (أي: يركب معه على بعير واحد) قد خرج معه من مكة، وهو جُنَادةُ بنُ مُليحَةَ بنتِ زهير من بني ليث.

فقال أبو البَخْتَري: وزميلي؟

فقال له الْمُجَذَّر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلَّا بكَ وحدك.

فقال أبو البختري: لا والله، إذَنْ لأموتَنَّ أنا وهو جميعاً، لا تتحدَّث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة.

ونازله المجذَّر وقاتله حتى قتله.

ثمَّ إنَّ المجذَّر أتى رسول الله ﷺ فقال: (والذي بعثك بالحق، لقد جهدتُ عليه أن يَسْتَأْسِر فآتيك به، فأَبَىٰ إلَّا أنْ يقاتِلني، فقاتلتُه فقتلْتُه).

* * *

— ١٨ —

بدء القتال

ثمَّ بدأ القتال بالمبارزة، وفق التقليد المتَّبع في الحروب القديمة. فخرج من صفوف جيش قريش ثلاثة:

١ ـ عُتْبةُ بن ربيعة متوسطاً.

٢ ـ وأخوه شيبة بن ربيعة. } عن يمين عتبة وشماله

٣ ـ وابنه الوليد بن عُتبة بن ربيعة.

فدعا عُتبةُ إلى المبارزة.

فخرج إليهم ثلاثة فتية من الأنصار، هم:

١ ـ عَوْف بنُ الحارث. } وأُمُّهما «عَفْرَاء»

٢ ـ ومُعَوّذ بنُ الحارث.

٣ ـ ورجلٌ يقال: هو عبدالله بن رواحة.

فقال القرشيّون: من أنتم؟

فقالوا: رهطٌ من الأنصار.

قالوا: مَا لَنَا بكُمْ مِنْ حَاجةٍ.

وقال عتبة حين انتسبوا: أكفاءٌ كرام، إنما يزيدُ قومنا.

ثمَّ نادى منادي قريش: يا مُحمَّد، أخْرِجْ إلينا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا.

فقال رسول الله ﷺ: «قُمْ يا عبيدَةُ بنَ الحارث.

وقمْ يا حمزة.

وقُمْ يا عليّ».

فلمَّا قاموا ودَنَوْا مِنْهُمْ، قال طالبوا المبارزة من قريش: من أنتم؟

قال عبيدة: عُبَيْدة.

وقال حمزةُ: حمزة.

وقال عليّ: عليّ.

قالوا: نَعَمْ، أكْفَاءٌ كرام.

فبارز عُبيدَةُ ـ وكَانَ أسَنَّ القوم ـ عُتْبةَ بنَ ربيعة.

وبارز حَمْزَةُ شيبَةَ بنَ ربيعة.

وبارز عليٌّ الوليدَ بنَ عُتْبَةَ.

فأمَّا حمزةُ فلَمْ يُمْهلْ شيبةَ أنْ قتله. وأمّـا عليٌّ فلم يُمْهل الوليد أن قتله، واختلف عُبَيْدَة وعُتبةُ بينهما ضربتَيْن، كلاهما أثْبتَ صاحبه بجراحةٍ لم يقُم مَعَها، وكرَّ حمزةُ وعليٌّ بأسْيَافِهما علَى عُتْبَةَ فَذَفَّفَا عليه (أي: أتمَّا قتله) واحتملا عُبَيْدَةَ ونقلاه إلى أصحابه، وقد قُطعت رجله، ومات بعد نحو أربعة أيام والمسلمون في طريقهم راجعين إلى المدينة.

* * *

ــ ١٩ ــ

التحام القتال

ثم تزاحف الجيشان، ودنا بعضهم من بعض وقاد الرسول المعركة بنفسه، وأمر رسولُ الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا على عدُوِّهم حتَّى يأمُرهم، وأنْ يَصُدُّوا هَجَمَاتِ المشركين وهم مرابطون في مواقفهم، وأنْ ينضحوهم بالنبل إن أحاطوا بهم.

فقال الرسول لهم: «إنِ اكْتَنفَكُمُ القَوْمُ فَانْضَحُوهُمْ عَنْكُمْ بالنَّبل» أي: إنْ أَحَاطُوا بِكُمْ، فَارمُوهُمْ بالنِّبال.

وكان شعارَ المسلمين يوم بدر: أحد، أحد.

ورُمِيَ «مِهْجَعُ» مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتِلَ، فَكَانَ أَوَّلَ قتيلٍ من المسلمين في بدر.

ورُمِيَ «حَارِثَةُ بنُ سُراقة» أحدُ بني عَدِيّ بنِ النجار ـ وهو يشربُ من الحوض ـ بِسَهْمٍ فَأصابَ نَحْرَهُ، فقتله.

وأقبل رسول الله ﷺ إلى أصحابه فحرَّضَهُمْ على قتالِ عدوِّهم بصدقٍ وصبر وشجاعة، فقال لهم: «والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لَا يُقَاتِلُهُمُ اليومَ رجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابراً مُحْتَسِباً، مُقْبلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ إلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّة ـ قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُها السماواتُ والأرض».

فقال عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَام، أخو بني سَلَمَة ـ وفي يده تمراتُ يَأْكُلُهُنَّ ـ: بَخٍ بَخْ، أفما بَيْنِي وَبَيْنَ أن أدخُلَ الجنَّة إلاَّ أن يقتُلني هؤلاء؟

ثُمَّ قَذَفَ التمراتِ من يدِه، وأخذ سيفه، وقاتل القومَ حتى قُتِل[1].

وقال «عوف بن الحارث»: يا رسول الله، مَا يُضحِكُ الرَّبَّ من عبده؟ (أي: ما يرضيه من عبده غاية الرضى).

قال: «غَمْسُهُ يَدَهُ في العدوّ حاسراً» فنزع عوف درعاً عليه فقذفها، ثمَّ أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل.

وانصرف الرسول ﷺ إلى العريش ومعه أبو بكر الصدِّيق، ليس معه فيه غيره، وقام سعد بن معاذ مع كتيبة الحراسة يحرس رسول الله ﷺ على باب العريش.

وجعل رسول الله ﷺ يُناشد ربَّه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: «اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هذه الْعِصَابَةُ الْيَوْمَ لاَ تُعْبَدُ، اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ لم تُعْبَدْ بعد الْيَوْمِ أَبَداً».

وبالغ الرسول في الابتهال ومدَّ يَدَيه إلى السماء، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، وأبو بكر يقول: يا نبيَّ الله، بعضَ مُنَاشَدَتِكَ رَبَّكَ، فإنَّ الله مُنْجِزٌ لك ما وعدك، حسبُك يا رسول الله، ألححت على ربّك، وأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه.

وخفق رسول الله ﷺ خفقة وهو في العريش (أي: نام نومة يسيرة) ثم انتبه فقال: «أَبْشِرْ يا أَبَا بكر، أَتَاكَ نَصْرُ الله، هذا جبريلُ آخِذٌ بِعِنانِ فرسٍ يقودُهُ، على ثَنَايَاهُ النَّقْعُ» أي: الغبار.

والتحم الجيشان، واشتدَّ القتال، وحميَ الوطيس، واندفع أصحاب الرسول ببسالة منقطعة النظير.

---

(١) وروي أن الرسول قال له: ما يحملك على قول: بخ بخ؟ قال: لا والله يا رسول الله، إلاَّ رجاء أن أكون من أهلها. قال له: فإنَّك من أهلها.

وقال أبو جهل يدعو الله: اللَّهمَّ أقطعَنا للرَّحم، وآتانا بما لا يُعرَفُ فأحِنْهُ الغداةَ (أي: فأهلكه الغداة).

فاستجاب الله دعاءه فكان مع قتلى المشركين، وأنزل الله بشأنه وبشأن أمثاله قوله في سورة (الأنفال ٨): ﴿إنْ تَسْتَفْتِحُوا فقد جَاءَكُمْ، وإنْ تَنْتَهُوا فهو خيرٌ لكُمْ، وإنْ تَعُودُوا نَعُدْ، وَلَنْ تُغْنِيَ عنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً ولو كثُرَتْ، وأَنَّ اللَّه مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)﴾.

وأقبل رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من الحصباء، فاستقبلَ قُرَيشاً بها، ثم قال: «شَاهَتِ الوجوه» ثم نَفَحَهُمْ بها، وأصابتهم الحصباء بتقدير الله، وقال الرسول لأصحابه شُدُّوا، واستحرّ القتل في المشركين، وأنزل الله في ذلك قوله في سورة (الأنفال ٨): ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً، إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عليم (١٧)﴾.

أي: وما أصبت من رمية إذ رميت ولكنَّ الله هو الذي أصاب.

وشارك رسول الله في القتال، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن عليّ قال: «لقد رأيتُنا يوم بدرٍ ونحن نلوذُ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا من العدوّ، وكان من أشدِّ الناس يومئذٍ بأساً».

وروى البخاري بسنده عن ابن عبَّاس، أنَّ رسول الله ﷺ خرج من العريش يوم بدر، وهو يثب في الدرع، ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ، بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، والسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[١].

واستجاب الله لرسوله استغاثته، فأمدَّ المسلمين بالملائكة، وذكرت سورة الأنفال أن عددهم كان ألفاً، ليُلْقُوا الرعب بأعدادهم في قلوب المشركين، وليثبِّتوا المؤمنين، وليُطَمْئِنُوا قلوبهم، وأمَّا ما كان من الملائكة من قتال فإنَّما كان قتالاً محدوداً جدّاً، وفي حدود قوى المقاتلين من الناس، لا بقوىً ملائكيَّة.

(١) القمر (٥٤) آية ٤٥ - ٤٦.

قال الله عزَّ وجل في سورة (الأنفال ٨): ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ، ولِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ، إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾.

مُرْدِفِينَ: مُتَلَاحِقِينَ يَتبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

وقال فيها أيضاً: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ، فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ واضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّار (١٤)﴾.

وثبت في صحيح الأحاديث ما يدلُّ على أنَّ بعض الملائكة قد قاتل يوم بدر مع المؤمنين، تثبيتاً لقلوبهم، مقاتلة مشابهة لقتال الناس.

فقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: «بينما رجلٌ من المسلمين يشتَدُّ في أَثَر رجُلٍ من المشركين أمامه، إذ سمع ضربةً بالسَّوْطِ فوقَهُ، وصَوْتُ الفارس يقول: أَقْدِمْ حَيْزُوم (اسم فرس هذا الملك) فنظر إلى المشركِ أمَامَهُ، فَخَرَّ مسْتلقياً، فنظر إليه فإذا هُوَ قد خُطِمَ أَنْفُهُ، وشُقَّ وَجْهُهُ كضربَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ.

فجاء الأنصاريُّ فحدَّث بِذَلِكَ رسُول الله ﷺ فقال: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّماءِ الثالِثَة».

«فقتلوا يومئذٍ سبعين، وأسروا سبعين... إلى آخر الحديث».

خُطِمَ أنفُه: أي: ضُرِبُ أنفه، فكان على الأنف أثر من الضرب.

فاخضرَّ ذلك أجمع: أي: ظَهر على أنفه ووجهه من أثر الضربة خضرةٌ ضاربة إلى السواد، وهذه تحدث من تجمُّع الدَّمِ تحت الجلد، بسبب نزيف الأوعية الدمويَّة.

وقال أبو داود عَمْرو المازني: إنِّي لأتَّبع رجلاً من المشركين لأضربه، إذْ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنَّه قد قتله غيري.

وروى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: «لم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر، وكانُوا يكونون عدداً ومدداً لا يضربون».

وكان المشركون قد استشاطوا غضباً بعد مقتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وكرّوا على المسلمين كرّه رجل واحد، واحتدم القتال، وبدأ الاضطراب والفشل في صفوف المشركين، واستبسل المسلمون في ملاحقتهم، وأخذت جموع المشركين في الفرار، وركب المسلمون ظهورهم يأسرون ويقتلون، حتى تمت الهزيمة، وكتب الله النصر لأوليائه على أهل الشرك، وكان يوم بدر يوم الفرقان.

وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطَّلب أسيراً فقال العبَّاس: إنَّ هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلحُ من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق، وما أراه في القوم.

فقال الأنصاري: أنا أسرتُه يا رسول الله.

فقال الرسول له: «اسكت، فقد أيَّدك الله بملك كريم».

وروى الطبري بسنده عن عليّ قال: «نزل جبريلُ في ألف من الملائكة، عن ميمنَةِ النبي ﷺ وفيها أبو بكر، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة، عن ميسرةِ النبيّ ﷺ وأنا فيها».

ـ ٢٠ ـ

أحداثُ يوم بدر

١ ـ ظهر إبليس للمشركين يوم بدر مع جند من الشياطين، ومعه رايته، وقد جاء إبليس في صورة «سراقة بن مالك بن جعشم الْمُدْلجي» وكان من أشراف بني كنانة، وجاء جند إبليس من الشياطين معه في صورة ناس، يقول

سراقة عنهم: إنَّهم رجال كنانة، وجعل إبليس المتمثِّل بصورة سراقة يشجعهم على قتال المسلمين، ويقول لهم: إني مع قومي كنانة جار لكم.

روى الطبراني بسنده عن ابن عباس قال: جاء إبليس يوم بدر، في جند من الشياطين، معه رايته، في صورة رجل من بني مُدْلِجٍ، في صورة سراقة بن مالك بن جُعْشُم.

فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم.

فلمَّا اصطفَّ الناس، أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب، فرمى بها في وجوه المشركين، فولَّوا مدبرين.

وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع إبليس يده، فولَّى مدبراً هو وشيعته.

فقال الرجل: يا سراقة، تزعم أنَّك لنا جار؟

قال: (إنِّي أرى ما لا ترون، إني أخاف الله، والله شديد العقاب) وذلك حين رأى الملائكة.

وأنزل الله قوله في سورة (الأنفال ٨): ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ، وَقَالَ: لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاس، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ، فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، وقَالَ: إنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ، إنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، واللَّهُ شديدُ الْعِقَابِ (٤٨)﴾.

نكص: رجع القهقري على قفاه هارباً، يقال: نَكَصَ يَنْكُص وَيَنْكِصُ نُكُوصاً.

٢ ـ لمَّا بدأت صفوف جيش قريش تضطرب، أقبل أبو جهل يستحث قومه ويشجعهم، ويقول لهم: لا يهزمَنَّكُمْ خذلان سراقة إياكم، فإنَّه كان على ميعادٍ من محمَّد، ولا يَهُولَنَّكُمْ قتلُ عتبة وشيبة والوليد، فإنَّهم قد

عجلوا، فواللاتِ والعزّى لا نرجع حتّى نَقْرِنَهُمْ بالحبال.

ولا أُلفِيَنَّ رجلاً منكُمْ قتل منهم رجلاً، ولكن خذوهم أخذاً حتّى نُعَرِّفَهُمْ بسوء صنيعهم.

وتصدَّعت صفوف المشركين، وبقي حول أبي جهل عصابة من قومه تحميه.

ثمَّ انفرجت عنه العصابة، ورآه المسلمون يجول على فرسه، وأدركه القضاء والقدر، على يدي اثنين من الفتيان حديثي السنِّ.

يقول عبد الرحمن بن عوف: إنِّي لفي الصفِّ يوم بدر، إذِ التفتُّ، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السِّنِّ.

فكأنِّي لم آمَنْ بمكانهما، إذْ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه: يا عمّ، أرني أبا جهل.

فقلت: يا ابن أخي، فما تصنَعُ به؟

قال: أُخْبِرْتُ أنَّه يَسُبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لا يفارق سوادي سوادَه، حتى يموتَ الأعجَل منا.

قال عبد الرحمن بن عوف: فتعجبت لذلك.

قال: وغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس.

فقلتُ: ألا تريانِ؟ هذا صاحبُكُما الذي تسألاني عنه.

فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثمَّ انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فقال لهما: «أيّكما قتله؟».

فقال كلّ واحد منهما: أنا قتلته.

قال: «هل مسحتما سيفيكما؟».

فقالا: لا.

فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال: «كلاكما قتله».

أمَّا الفتيان اللَّذان قتلاه فهما الأنصاريان: «معاذ بن عمرو بن الجموح» و «معاذ بن عفراء» وفي رواية «معوّذ بن عفراء» بدل معاذ بن عمرو.

أمَّا معاذ بن عفراء فقد استشهد في بدر، فقضى رسول الله بسلب أبي جهل لمعاذ بن عمرو بن الجموح.

وروى البخاري عن عبدالله بن مسعود، أنَّه أتىٰ أبا جهل وبه رمقٌ يوم بدر.

فقال أبو جهل: «هَلْ أَعْمَدُ[1] من رجُلٍ قَتلتموه؟!».

وروى البخاري عن أنس قال: قال النبي ﷺ يومَ بدر: «من ينظر ما فعل أبو جهل؟».

فانطلق ابن مسعود، فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، فأخذ بلحيته، فقال: أنت ؟.. أبا جهل (أي: يا أبا جهل).

قال: وهل فوق رجل قتله قومه؟. أو قال: قتلتموه؟.

وجاء في رواية عمرو بن ميمون عند الطبراني عن ابن مسعود قال: «أدركتُ أبا جهل يوم بدر صريعاً، فقلت: أي عدوّ الله، قد أخزاكَ الله؟.

قال: وبما أخزاني، من رجل قتله قومه؟!».

وجاء في حديث ابن عباس، عند ابن إسحاق والحاكم:

---

(١) جاء في لسان العرب لابن منظور ما يلي في تفسير مقالة أبي جهل: أعْمَدُ من سيِّد قتله قومه: أي: أعجب. قال أبو عبيد: معناه هل زاد على سيِّد قتله قومه، هل كان إلَّا هذا، أي: إنَّ هذا ليس بعار، ومراده بذلك أن يُهوِّن على نفسه ما حلَّ به من الهلاك، وأنَّه ليس بعارٍ عليه أن يقتله قومه، وقال شمّر: هذا استفهام، أي: أعجبُ من رجلٍ قتله قومه؟
وقال ابن هشام: ويقال: أعارٌ على رجل قتلتموه؟
وتأتي: (أعمد) في اللغة بمعنى أعجب.

قال ابن مسعود: فوجدته بآخر رمق، فوضعت رجلي على عنقه، فقلت: أخزاك الله يا عدوَّ الله؟. قال: وبما أخزاني، هل أعمد من رجل قتلتموه.

وروي أن أبا جهل قال: لو غير أكَّارٍ قتلني، أي: لو غير زرّاع، لقد استكبر أن يقتله زرّاع.

وروى ابن إسحاق عن معاذ بن عمرو بن الجموح، قال: سمعتُ القوم يقولون: أبو الحكم لاَ يُخَلصُ إليه. وكان في مثل الحرجة (= الشجر الملتفّ ـ أي: قد أحاط به من يحميه من قومه).

قال معاذ: فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدتُ نحوه، فلمَّا أمكنني حملتُ عليه، فضربته ضربةً أَطَنَّتْ قدمه (أي: أطارتْها ولها طنين) بنصف ساقه، فوالله ما شبَّهتُها حين طاحت إلَّا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها.

قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلَّقتْ بجلدةٍ من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلتُ عامَّةَ يومي وإنِّي لأسحبها خلفي. فلمَّا آذتني وضعت عليها قدمي، ثُمَّ تمطَّيْتُ بها عليها حتى طرحتها.

وقد عاش هذا البدريّ بعد ذلك حتى كان زمانُ عثمان.

ورُوِي أنَّ أبا جهل قال لعبدالله بن مسعود بعد أن وصل إليه وَجَرىٰ ما جرى بينهما من حوار:

أخبرني لمن الدائرة اليوم؟

قال ابن مسعود: لله ورسوله.

ووضع ابن مسعود رجله على عنق أبي جهل، فقال له: لقد ارتقيت مرتقاً صعباً يا رُوَيْعِيَ الغنم[1].

---

(١) كان ابن مسعود من رعاة الغنم في مكة.

ثم احتزَّ ابن مسعود رأسَ أبي جهل، وجاء به إلى رسول اللَّه ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذا رأس عدوّ الله أبي جهل.

فقال: آللَّهِ الذي لا إله إلَّا هو؟ آللَّه الذي لا إله إلَّا هو؟.. آللَّهِ الذي لا إله إلَّا هو؟. وكانت يَمِينَ رسول الله ﷺ.

ثم ألقى برأسه إليه، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. انطلق أرنيه».

قال ابن مسعود: فانطلقنا فأريته إياه، فقال: هذا فرعون هذه الأمَّة.

وفي رواية يونس عن عبد الرحمن بن عوف، أنَّ النبي ﷺ قال حين رأى أبا جهل صريعاً: الحمد لله الذي أعزَّ الإسلام وأهله، ثلاثاً.

٣ ـ وَحَدَثَ أنَّ عبد الرحمن بن عوف يوم بدر وقد دارت الدائرة على قريش ومعه دروع قد استلبها، فهو يحملها، مرّ بأميَّةَ بنِ خلف وابنِه عليِّ بن أميَّة آخذٍ بيده، وكان أمية في مكة صديقاً لعبد الرحمن بن عوف.

فنادى أميَّة عبد الرحمن باسمه الجاهلي: «يا عبدَ عمرو» فلم يجبه، فقال له: يا عبد الإله (الاسم الذي اصطلحا عليه بعد أن أسلم عبد الرحمن).

فأجابه: نعم.

قال أمية: هل لكَ فيَّ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التي معك؟

ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللَّبَن؟

يدعوه إلى أن يأسره، ليحمي نفسه من أن يقتله غيره من المسلمين، ويفتدي نفسه بإبلٍ كثيرة اللَّبن، تكون ثروة لابن عوف الذي أسره.

قال عبد الرحمن بن عوف: نعم. وطرح الأدراع التي استلبها، وأخذ

أمية وابنه يمشي بهما أسيرين إلى رسول الله ﷺ.

وسأل أمية بن خلف عَبْدَ الرحمن: من منكُمُ الرَّجُلُ الْمُعْلَمُ بريشة النعامة في صدره؟

قال عبد الرحمن: ذاك حمزة بن عبد المطَّلب.

قال أميَّة: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل.

قال عبد الرحمن بن عوف: فوالله إنِّي لأقودُهُما، إذْ رآه بلالٌ معي، وكان أمية هو الذي يُعَذِّب بلالاً بمكَّة.

فقال بلال: رأس الكفر أميَّةُ بن خلف؟! لا نجوتُ إن نجا.

قلت: أَيْ بلال، أسيري.

قال: لا نجوتُ إن نجا.

قلتُ: أتسمَعُ يا ابن السوداء؟

قال: لا نَجَوْتُ إنْ نجا، ثمَّ صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أميَّةُ بن خلف، لا نجوتُ إن نجا.

فأحاطوا به حتى جعلونا في مِثْلِ الْمَسَكَة (الْمَسَكَةُ = السوار أو الخلخال، أي: حتى أحدقوا بنا وجعلونا في حلقة من الناس كالسِّوار) وأَنَا أذبُّ عنه.

قال عبد الرحمن: فأخلف رجل السيف (أي: سلّه) فضرب رِجل ابنه فوقع. وصاح أميَّة صيحة ما سمعتُ مثلها قطّ.

فقلتُ: انجُ بنفسك ولا نجاءَ بك، فوالله ما أغني عنك شيئاً، فَهَبَرُوهُمَا (أي: قطَّعوهما بأسيافهم) حتى فرغوا منهما.

فكان عبد الرحمن بن عوف يقول بعد ذلك: يرحم الله بلالاً، ذهبت أدراعي، وفجعني بأسيريّ.

٤ ـ ومرَّ عمر بن الخطاب بسعيد بن العاص، فقال له: إنِّي أَرَاكَ كأَنَّ في نفسِكَ شيئاً، أراك تظنُّ أني قتلتُ أباك، إنِّي لوْ قتلتُه لم أعتذر إليكَ من قَتْله، ولكنِّي قتلتُ خالي العاصَ بن هشام بن المغيرة.

فأمَّا أبوك فإني مررت به وهو يبحث بَحْثَ الثور بِرَوْقِهِ (أي: بِقَرْنه) فَحِدْتُ عنه، وقَصَدَ له ابنُ عمِّه عليٌّ فقتله.

٥ ـ قال ابن إسحاق: وقاتل عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَن الأسدي، يومَ بدر بسيفه حتى انقطع في يده.

فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جِذْلاً من حطب (أي: أَصْلَ شجرة ذهبت عنه الفروع) فقال له: «قاتِلْ بهذا يا عُكَّاشَة».

فَلَمَّا أخذه من رسول الله ﷺ هزَّه فعاد سيفاً في يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة.

فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين.

وكان ذلك السيف يُسَمَّىٰ «العون». ثمَّ لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل في حروب الردَّة، قتله طُلَيْحَةُ بنُ خويلد الأسدي.

٦ ـ ونادىٰ أبو بكر الصديق يوم بدر ابنَه عبد الرحمن، وهو يومئذٍ مع المشركين، فقال له: أين مالي يا خبيث؟

فقال عبد الرحمن:

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ شِكَّةٍ وَيَعْبُوبْ ... وَصَارمٍ يَقْتُلُ ضُلَّالَ الشِّيبْ

شِكَّة: الشِّكَّةُ هي السلاح.

ويَعْبُوب: اليعبوب الفرس الكثير الجري.

وصَارِم: الصارمُ السيف القاطع.

٧ ـ ولمَّا وضع المسلمون أيديهم على أهل الشرك يأسرون منهم، وكان رسول الله ﷺ في العريش، وسعد بن معاذ قائم على بابه يحرسه متوشحاً سيفه، رأى رسول الله ﷺ في وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس، فقال له: «والله لكأنَّكَ يا سعدُ تَكْرَهُ ما يصنعُ القومُ؟».

قال سعد: أجل والله يا رسول الله، كانت أوَّل وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخانُ في القتل بأهل الشرك أحبَّ إليَّ من استبقاء الرجال.

وأنزل الله بشأن أسرى بدر مُبَيِّناً أنَّ اتخاذ الأسرى لم يحن حينه بعد، ووجه اللوم على ذلك، فقال عزَّ وجل في سورة (الأنفال ٨): ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُوْنَ عَرَضَ الدُّنْيَا، واللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ، والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧)﴾.

حتى يُثْخن: أي: حتى تكونَ له قوَّةٌ قويَّة غَالِبةٌ، وقواعد ثابتة راسخة.

٨ ـ ومرَّ مُصعبُ بن عمير بأخيه أبي عزيز بن عمير، فرآه أسيراً يشدُّ يدَهُ أحد الأنصار، فقال مصعب للأنصاري: شُدَّ يَدَيْكَ به، فَإنَّ أمَّه ذَاتُ متاع، لعلها تفديه منك.

فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: أَهذِهِ وَصَاتُكَ بي؟!

فقال له مصعب: إنَّه أخي دونك.

مبيناً له أنَّ أخوّة الإسلام أقوى من أُخوَّةِ النسب.

٩ ـ أُخِذَ جَسَدُ عتبة بن ربيعة ليُقذَفَ في القليب الذي قذفت فيه أجساد طائفةٍ من قتلىٰ المشركين، فنظر الرسول ﷺ في وجه ابنه أبي حذيفة، فإذا فيه حزن وكآبة، فقال له: يا أبا حذيفة، لعلَّكَ قد دخلك من شأن أبيك شيء؟.

فقال: لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا مصرعه، ولكنني كنت أعرف في أبي رأياً وحِلْماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى

الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له، أحزنني ذلك. فدعا له رسول الله بخير، وقال له خيراً.

ـ ٢١ ـ

حصاد المعركة

١ ـ حقَّق الله النصر العظيم الباهر للقلَّة المؤمنة على الكثرة الكافرة المستكبرة، وقُتل في هذه المعركة صناديد قريش.

٢ ـ كان حصاد قتلى المشركين سبعين رجلاً، وأُسِر منهم سبعون أسيراً.

٣ ـ واستشهد من المسلمين فيها أربعة عشر رجلاً.

ستة من المهاجرين.
وثمانية من الأنصار.

٤ ـ وفرَّ من فرَّ من المشركين مذعورين خائفين حيث وجدوا مفرًّا، لا يلوُون على شيء، واتَّجهوا شطر مكَّة خزايا أذلاء.

٥ ـ واجتمعت للمسلمين من عدوّهم غنائم وأسلاب كثيرة.

٦ ـ وأمر الرسول ﷺ بنقل قتلى المشركين من مصارعهم، وَدفن جيفهم، ومواراة أجسادهم في باطن الأرض، بعد أن وقف على القتلى، وقال: «بئس العشيرة كنتُم لنبيِّكُمْ، كذّبتموني وصدَّقني الناس، وخذلتموني ونصرني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس».

وروى البخاري عن أبي طلحة: «أنَّ نبيَّ الله ﷺ أمر يوم بدرٍ بأربعةٍ وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ[1] مِنْ أَطْواءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبث.

(١) طَوِي: البئر التي طويت والجمع أطواء.

وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ، فلمَّا كان ببدرٍ اليومَ الثالثَ أمر براحلته فَشُدَّ عليها رَحْلُها، ثمَّ مشىٰ واتَّبعَهُ أصحابه وقالوا: ما نَرَىٰ ينطلق إلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ على شَفَة الرَّكِّي[1] فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بأسمائهم وأسماء آبائهم:

«يَا فُلَانُ بْنَ فلان، ويَا فُلانُ بْنَ فُلان، أَيَسُرُّكم أَنَّكُمْ أَطعتُمُ اللَّهَ ورسولَهُ؟ فإِنَّا وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟».

قال: فَقَالَ عُمَر: يا رسولَ الله، مَا تُكَلِّمُ من أجسادٍ لا أرواحَ لها؟

فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ».

وعند أحمد ومسلم من طريق ثابت عن أنس أن الرسول نادى: عُتْبَةَ بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأميَّة بن خلف وأبا جهل بن هشام، فسمع عمر صوته فقال: يا رسول الله، أتناديهم بعد ثلاث، وهل يسمعون؟ ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الموتى﴾ فقال: «والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقولُ منهم، لكن لا يستطيعون أن يجيبوا».

وعن عائشة قالت: لمَّا أمر رسول الله ﷺ بالقتلىٰ أن يُطرحُوا في القليب طُرحوا فيه، إلَّا ما كان من أميّة بن خلف، فإنّه انتَفَخَ في درعه فملأها، فَذَهَبُوا ليحَرِّكوه، فَتَزَايَلَ[2] لَحْمُهُ فَأَقَرُّوهُ، وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ ما غَيَّبَهُ مِنَ التُّراب والحجارة.

* * *

(١) الركيّ: البئر.
(٢) فتزايل لحمه: أي تفرّق لحمه وتمزّق.

ـ ٢٢ ـ

وصول الأنباء إلى المدينة ومكّة

أولاً ـ البشائر:

أرسل رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحة، وزيدَ بن حارثة، بشيرين يبشِّران أهل المدينة بنصر المسلمين على جيش قريش.

وكان اليهود والمنافقون قد أرجفوا بأن النبي ﷺ قد قتل، فلما رأى أحد المنافقين زيد بن حارثة راكباً ناقة رسول الله القصواء، قال: قتل محمد، وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيدٌ لا يدري ما يقول من الرعب، وجاء فلَّاً (أي: منهزماً).

وبلَّغ الرسولان نبأ النصر المبين، والظفر العظيم، فأحاط بهما المسلمون، يسمعون منهما أنباء النصر، وعمَّت الفرحة، واهتزَّت أرجاء المدينة تهليلاً وتكبيراً.

وانطلق ملأٌ منهم إلى طريق بدر لاستقبال رسول الله ﷺ والغازين معه، وتَهْنِئَتِهِم بما أكرمهم الله به من نَصْر على عدوّهم.

وسار الرسول ﷺ بجيشه قافلاً إلى المدينة، ومعه الأسرى.

وحين وصل إلى الصفراء أمر بقتل «النضر بن الحارث» وكان حامل لواء المشركين يوم بدر، ومن عُتاة مجرميهم، فضرب عنقه علي بن أبي طالب.

وحين وصل إلى عرق الظبية أمر بقتل «عقبة بن أبي معيط» وهو من عُتَاة مشركي قريش ومجرميها، وكان قد تولَّى بنفسه إيذاء الرسول ﷺ، فألقى سلا الجزور على رأسه وهو في الصلاة، وحاول خنقه بردائه، وكاد يقتله، وذكّره النبي ﷺ بما كان منه حين اعترض على قتله دون الأسرى من قريش، وروي أنَّ النبي ﷺ قال له: «لست من قريش، هل أنت إلَّا يهوديٌّ من أهل صفورية؟».

فقتله عاصم بن ثابت الأنصاري، وقيل: علي بن أبي طالب.

ولمَّا وصل إلى الروحاء تلقَّاهم المستقبلون من المسلمين بالتهنئة والفرحة فقال سلمة بن سلامة من البدريين: ما الذي تُهَنِّئُوننا به؟ فوالله إنْ لقينا إلَّا عجائز صُلْعاً كالْبُدْن.

فتبسَّم رسول الله ﷺ، ثمَّ قال: يَا ابْنَ أَخِي أولئك الملأ.

وقال أُسَيد بنُ حُضير: يا رسول الله، الحمد لله الذي أظفركَ، وأقرَّ عينَك، والله يا رسول الله ما كان تخلُّفِي عن بدر وأنا أظنّ أنّك تلقى عدوّاً، ولكن ظننت أنها عير، ولو ظننت أنَّه عدوّ ما تخلَّفت.

فقال رسول الله ﷺ: صدقت.

ودخل الرسول المدينة مظفّراً عزيزاً، وهابه كلّ عدوّ له في المدينة وما حولها، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة، ويومئذٍ دخل عبدالله بن أبي بن سلول وأصحابه في الإسلام منافقين.

ثانياً: وقع نبأ الهزيمة على أهل مكة:

كان أول من أخبر أهل مكة بمصاب قريش في بدر «الْحَيْسَمَانُ بْنُ عبدالله الخزاعي».

وذلك أنَّه لمَّا وصل إلى مكة فَارّاً قالوا له: ما وراءَك؟

قال: قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبةُ بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأميَّةُ بن خلف، في رجال من زعماء قريش سمَّاهم، وأخذ يعدُّ أشراف قريش.

فقال صفوان بن أميَّة وهو قاعد في الحجر: والله إنْ يعقلُ هذا. (أي: قد فقد عقله) فاسألوه عنِّي.

فقالوا له: ما فعل صفوان بن أميَّة؟

قال: ها هو ذا جالس في الحجر، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا.

وقال أبو رافع: وكان أبو لهب قد تخلَّف عن بدر، فلمَّا جاءه الخبر كَبَتَهُ الله وأخزاه.

وكنت غلاماً للعباس، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت (أي: أهل بيت العباس) فأسلم العباس وكتم إسلامه، وأسلمت أمّ الفضل، وأسلمتُ ووجدنا في أنفسنا قوَّةً وعزّاً، وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل الأقداح، أنحتها في حجرة زمزم.

فوالله إنِّي لجالس فيها أنحتُ أقداحي، وعندي أمّ الفضل جالسة، وقد سرَّنا ما جاءنا من الخبر، إذْ أقبل أبو لهب يجرُّ رجليه بشرّ، حتَّى جلس على طُنُب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري.

فبينما هو جالس إذْ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قَدم.

فقال أبو لهب: هلُمَّ إليَّ، فعندك لَعمري الخبر.

قال: فجلس إليه والناسُ قيامٌ عليه.

فقال أبو لهب: يا ابْنَ أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟.

قال: ما هو إلاَّ أن لقينا القومَ فمنحناهم أكتافنا، يقودوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا. وايم الله مع ذلك ما لُمْتُ الناس، لقِينَا رِجالاً بيضاً على خَيْلٍ بُلْقٍ بين السماء والأرض، واللَّهِ مَا تُلِيقُ (= ما تُبقي) شيئاً، ولا يقومُ لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعتُ طُنُبَ الْحُجْرَةِ بيدي، ثُمَّ قُلتُ: تلك واللَّهِ الملائكة.

فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربةً شديدة، وثَاوَرْتُهُ (أي: ثبتُّ له) فاحتملني فضرب بي الأرض، ثمَّ بَرَك عليَّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً.

فقامت أم الفضل إلى عَمُود من عَمَد الْحُجْرة، فأخذته فضربته به ضربةً

فَلَعَتْ (أي: شقَّت) في رأسه شجَّةً مُنْكَرة، وقالت: استضْعَفْتَهُ أن غابَ عَنْه سَيِّدُهُ.

فقام مُوَلِّياً ذَليلاً، فواللَّه ما عاش إلَّا سَبْعَ ليالٍ حتَّى رماه الله بالْعَدَسَة (وهي قرحة قاتلة كالطاعون) فقتلته.

وناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغَ محمَّداً وأصحابه فيشمتوا بكم.

* * *

ـ ٢٣ ـ

الغنائم

واختلف المسلمون في اقتسام الغنائم التي غنموها في بدر:

١ ـ فقال الشباب الذين اندفعوا يتعقَّبون فلول المشركين: نحن الذين نَحَّيْنا العدوّ عن الغنائم وهزمناهم، ولولانا ما أصابها من أصابها.

٢ ـ وقال الذين أحاطوا برسول الله ينافحون عنه: نحن الذين خفنا على رسول الله ﷺ أن يصيب العدوّ منه غِرَّة، فاشتغلنا به عن جمع الغنائم.

٣ ـ وقال الذين جمعوا الغنائم، نحن الذين استحوذنا عليها، وليس لأحد فيها نصيب.

وسألوا رسول الله بشأن الغنائم وكيفية تقسيمها:

فأمر رسول الله ﷺ بأن تجمع الغنائم حتى يحكم الله فيها، فأنزل الله قوله في سورة (الأنفال ٨): ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ: قُلِ: الأَنْفَالُ لِلَّهِ والرَّسُولِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)﴾.

وأنزل الله فيها: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ

وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) ﴾.

يوم الفرقان: هُوَ يوم معركة بدر.

واحتمل الرسول ﷺ معه الغنائم والأنفال وهو قافل بجيشه إلى المدينة، وجعل عليها عبدالله بن كعب.

فلمَّا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب، وقسَّم هنالك الغنائم على المسلمين بالتساوي، بعد أن أخذ منها الخمس، كما أمر الله.

* * *

ـ ٢٤ ـ

الأسرى

لمَّا بلغ الرسول ﷺ المدينة، فرَّقَ الأسارى بين أصحابه، وقال: استوصوا بالأسارى خيراً، وعمل المسلمون بوصية الرسول بهم.

ثمَّ استشار الرسول أصحابه بشأنهم:

١ ـ فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء بنو العمِّ، والعشيرة، والإخوان، وإنِّي أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه قوَّةً لنا على الكفَّار، وعسىٰ أن يهديهم الله فيكونوا لنا عَضُداً.

فقال رسول الله: ما ترى يا ابن الخطاب.

٢ ـ فقال عمر بن الخطاب: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكِّنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضربَ عُنُقه.

وأن تُمكِّنَ عليّاً من أخيه عقيل، فيضربَ عُنُقه.

وأن تُمَكِّن حمزة من فلانٍ أخيه فيضرب عنقه.

حتَّى يعلم الله أنَّـه ليست في قلوبنـا هــوادة للمشـركين، وهؤلاء صناديدهم، وأئمتهم، وقادتهم.

٣ ـ وقال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم فيه، ثمَّ أضرمه عليهم ناراً.

فدخل رسول الله ﷺ، ولم يردّ عليهم شيئاً، ومكث ساعةً ثمَّ خرج، والصحابة ما بين قائل برأي أبي بكر، وقائل برأي عمر، وقائل برأي ابن رواحة.

فقال رسول الله ﷺ: «إنّ الـلَّهَ لَيُلَيِّنُ قُلوبَ رِجَالٍ فيهِ حتَّىٰ تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللِّينِ.

وإنَّ اللَّهَ لَيُشَدِّدُ قُلوبَ رجالٍ فيه حتَّىٰ تكُونَ أشدَّ مِنَ الحجارة.

وإنَّ مَثَلَكَ يَا أَبا بَكْرٍ كَمَثَلِ إبراهيم قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فإنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَكَمَثَلِ عِيسَىٰ قال: ﴿إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإنَّهُمْ عِبادُكَ، وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وَإنَّ مَثَلَكَ يا عمر كَمَثَلِ نُوحٍ قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَىٰ الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِيْنَ دَيَّاراً﴾ وكَمَثَلِ مُوسَىٰ قالَ: ﴿رَبَّنا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ واشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

أَنْتُمُ الْيَوْمَ عَالَةٌ (أي: فُقراء) فَلا يَفْلَتَنَّ أَحَدٌ إلاَّ بِفِداءٍ أو ضَرْبَةِ عُنُق».

فقال عبدالله بن مسعود: إلاَّ سُهَيْلَ بنَ بيضاء، فإنِّي قد سمعتهُ يذكر الإسلام.

فسكتَ النبيُّ ﷺ.

قال عبدالله: فما رأيتُنِي في يومٍ أخوفَ أنْ تَقَعَ عليَّ حجارةٌ من السماء من ذلك اليوم، حتَّىٰ قال النبيّ ﷺ: «إلاَّ سُهَيْلَ بْنَ بيضاء» فسُرِّي عنه.

ورجَّح النبيّ ﷺ رأيَ الصدّيق لما جُبِلَ عليه قلبه من الرأفة والرحمة،

وقبل أخذ الفداء مقابل إطلاق الأسرى.

ومن كان له أو لذويه مالٌ افْتُدِي بمال: بأربعة آلاف درهم فما دون ذلك ألى ألف درهم.

وقبل الرسول فداء بعض الأسرى ممَّن كان يُحسِنُ القراءة والكتابة، مقابل تعليمه عشرة غلمانٍ من غلمان المسلمين القراءة والكتابة.

ومَنَّ الرسول على عدد من الأسرى دون فداء.

ومَنَّ على ختنه أبي العاص على أن يخلِّي سبيل ابنته زينب، فخلَّاها فهاجرت إلى المدينة، وقَدْ تَعَرَّضَتْ في هِجْرَتِهَا لأحداث مزعجة مؤلمة.

ووعد الله الأسرى الذين افتدوا أنفسهم بالتعويض عليهم إذا آمنوا وتابوا وأصلحوا ما في قلوبهم نحو الله ورسوله. وحذَّر الذين يريدون الخيانة بعد الافتداء، بأن الله الذي أمكن منهم في بدر قادر على أن يُمْكن منهم بعد أن يفتدوا أنفسهم من الأسر، فقال تعالى في سورة (الأنفال ٨) لرسوله محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَىٰ: إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾.

الفصل الثاني

فتح مكة البلدِ الحرام

ـ ١ ـ

التاريخ

خرج الرسول ﷺ من المدينة بعشرة آلاف من المسلمين متجهاً لفتح مكة، في أواخر العشر الأول من شهر رمضان المبارك، من السنة الثامنة للهجرة، ولحق به ألفان أيضاً من القبائل المسلمة حول المدينة، فصار قوام الجيش اثني عشر ألفاً.

ودخل مكة فاتحاً صباحاً في أواخر العشر الثاني من الشهر نفسه.

وقد جاءت روايات مختلفة في تحديد يوم الخروج ويوم الدخول، ومعظمها يقع في الأواخر من العشرين.

فشهر رمضان شهر الفتح العظيم لبلد الله الحرام، الذي كان مقدِّمة نصر الله وفتحه في مشارق الأرض ومغاربها.

- ٢ -

عطاء النصر

حقَّق اللَّه في هذا الخروج الوعد الذي كان وعد رسوله بأن يدخل هو والمسلمون معه المسجد الحرام آمنين مطمئِنين لَا يخافون.

وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: ستأتون البيت وتطوفون به آمنين محلِّقين رؤوسكم ومقصِّرين لا تخافون، بناءً على رؤيا حقّ أراه الله إياها، ورؤيا الأنبياء كلُّها حقّ.

وظنَّ المسلمون حين خرجوا في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة لأداء العمرة سائقين معهم الهدي، أنَّ ذلك هو وقت تحقيق الوعد، إلَّا أنَّهم تحلَّلوا يومئذٍ في الحديبية، ورجعوا دون أن يعتمروا، وجرى بين الرسول وبين قريش صُلْح الحديبية، الذي جاء على غير ما يسرّ أصحاب الرسول، لكنَّ التوجيه الرَّباني كان بإجراء الصلح، وكان هذا الصلح مقدِّمة الفتح المبين.

وأنزل اللَّه على رسوله سورة (الفتح ٤٨) في طريق العودة من الحديبية إلى المدينة دون أن يعتمروا.

وقد افتتحها الله بقوله: ﴿إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً (١)﴾. مشيراً بذلك إلى أنَّ هذا الصلح نفسه هو مقدِّمة فتح مبين سيأتي.

وجاء فيها قوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَعَلِمَ مَا في قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حكيماً (١٩)﴾.

فأعطى الله المسلمين بهذا النصِّ وَعْداً جازماً سيتحقَّق حتْماً، وساقه بأسلوب الفعل الماضي الذي تحقَّق وانتهىٰ، إشارةً إلى أنَّه قضاءٌ مَقْضِيٌّ لَا مَحَالة.

وكانت هذه من معجزات القرآن الخبريّة، التي تحدَّثت عن المستقبل، ثم جاء المستقبل على وفقها تماماً.

وجاء فيها أيضاً قول الله عزَّ وجل: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ. فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً (٢٧)﴾.

فأبانَ الله بهذه الآية لأصحاب الرَّسول ﷺ أنَّ ما كان يَعِدُهم الرسولُ به من دخول المسجد الحرام والطواف بالبيت، قد كان مستنداً إلى رُؤْيا حقٍ أراه الله إياها.

بيد أنَّ الرسول لم يكن قد حدَّد لهم أنَّهم داخلون في ذلك الوقت الذي خرج معهم به إلى المسجد الحرام معتمرين.

لكن الله عزَّ وجل قد قضى لهم ما هو أعظم من مجرَّد دخول المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، إنَّه قد قضى لهم فتحاً مبيناً قريباً.

وعلم ما لم يعلموا من أحداث المستقبل، ومن أسباب الفتح التي تخفى عليهم، فجعل من دون دخول المسجد الحرام آمنين صُلْحاً لا يَسُرُّ نفوسَهم ونَزَعاتِ بطولاتهم في ظاهره، لكنَّه سبب عظيم لفتح قريب، الأمر الذي يَصِحُّ معه أنْ يُطلق على هذا السبب أنَّه فتح، فَسَبَبُ الفتحِ المبين هو فتحٌ مبين.

ثمَّ حقَّق اللَّهُ وعده، فدخلوا المسجد الحرام في عمرة القضاء، بعد صُلْحِ الحديبية بسنة، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة السابعة من الهجرة.

ـ ٣ ـ

الأسباب الداعية

١ ـ كانت حالةُ الحرب قائمةً بين المسلمين ومشركي مكَّة بأسباب من

المشركين أنفسهم، سبق بيانها في الكلام عن غزوة بدرٍ الكبرى.

٢ ـ ثمَّ جرى بين الفريقين صُلْح الحديبية، الذي رجع بموجبه الرسول ﷺ ومعه المعتمرون من المسلمين، دون أن يؤدُّوا عمرتهم، وتحلّلوا من إحرامهم باعتبارهم محصرين.

واشتمل هذا الصلح على البنود التالية:

البند الأول: إيقاف الحرب بين الفريقين مدَّة عشر سنوات من تاريخ الصلح.

البند الثاني: من أَتَىٰ رسولَ الله ﷺ من قريشٍ ومن معهم في عهد الصلح مسلماً بغير إذن وَلِيِّه فَعَلَىٰ الرسول أن يَرُدَّه إليهم.

البند الثالث: من أَتىٰ قُريشاً ومن معهم في عهد الصلح مرتدَّاً عن الإسلام لم يَرُدُّوهُ إلى المسلمين.

البند الرابع: أنَّ بين الفريقين المتعاهدينِ عَيْبَةً مكفوفة.

العَيْبَةُ في اللُّغة: وِعَاءُ منْ جلدٍ يكونُ فيها المتاع، وجمعها عِيابٌ، وَعِيَبٌ. والْعَيْبَةُ ما يُجعلُ فيه الثياب، والْعَيْبَةُ زَبِيلٌ = زنبيل من جلد يُنْقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين في لغة همدان.

مَكْفُوفَةٌ: أي: مُشْرَجَة مَشْدُودَة. والتشريج الخياطة المتباعدة. ويقال لُغةً: كَفَفْتُ الثوب، أي: خِطْت حَاشيته، وهي الخياطة الثانيةُ بعدَ الشَّلّ.

والتعبيرُ بالعَيْبَةِ المكفوفةِ كنايةٌ عن حفظ ما بَيْنَ الفريقين وعَدَمِ إظهاره.

فهل المراد طَيُّ القلوب ما تعاقدوا عليه واتفقوا عليه من الصلح دون إخلالٍ به، وتنقيةُ الصدور من الغِلِّ والغشِّ.

أو كفُّ مسبِّباتِ الشرِّ، وَعَدَمُ إخراج شيء منها.

احتمالان أوردهما أهل اللُّغة، ويظهر لي ترجيح المعنى الثاني، أي:

ما بيننا من عداء وخلاف وخصام نكفُّه بعهد الصلح هذا، ونبقيه داخل الصدور، لا نَجْعَل شيئاً منه يندفع إلى الظاهر بقولٍ أو عمل، كشتائم أو شعر هجاء، أو أيّ شيء آخر ينمُّ عن عداء.

كما يقول الخصمان إذا اصطلحا على المهادنة: ونطوي صفحة الماضي.

البند الخامس: أنَّه لَا إسْلَالَ وَلَا إغْلَال.

لا إسْلَالَ: الإسلال في اللُّغة السَّرِقةُ الخفيَّة، وانْتِزاعُ البعير وغيره في جوف الليل من بين الإبل، أو من بين ما هو من نوعه. وإعانةُ الإنسان غيره على ذلك. والإسلالُ الغارة الظاهرة.

ولا إغْلَالَ: الإغلال في اللُّغة الخيانة، والسَّرقة.

فتضمّن هذا البند المصالحةَ على منع الخيانة، والسَّرقة الظاهرة، والخفية التي تكون إسلالاً، ومنعِ الغارة الظاهرة، ومنع الإعانة على شيءٍ من ذلك.

البند السادس: من أحبَّ من قبائل العرب أن يدخل في عهد محمد وعقده دخل فيه، ومن أحبَّ أن يدخل في عهد قُرَيش وعقدهم دخل فيه.

ولمَّا علم الناس بهذا البند من بُنُود الصلح أسرعت خُزَاعةُ فقالوا: نحنُ في عقد مُحَمَّدٍ وعهده، وقد كانوا في الجاهلية مع بني هاشم في حلفهم، وكانوا أهل نصح لرسول الله ﷺ.

وأسرع بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريشٍ وعهدهم.

وكان بين خزاعة وبني بكر إحنٌ وضغائنُ وَتِرَاتٌ ودماء قديمة.

فشملهما عقد الصلح، وصار واجباً على المسلمين نصرةُ خُزَاعةَ إذا عَدَا عليهم بنو بكر أو قريش، وواجباً على قريش نُصرة بني بكر إذا عَدَتْ

عليهم خزاعة أو المسلمون، لأنَّ على كُلِّ فريق أن ينصر من دخل معه في العقد والعهد، بموجب هذا البند.

البند السابع: أن يرجع محمَّد ومن معه من المسلمين عامهم هذا دون أن يُـؤَدُّوا عُمْرتهم، فلا يدخلوا مكة ولا يطوفوا بالبيت، فإذا كان العامُ القابل خرجت قريش عن مكَّة، وأخلتها فدخلها محمد ﷺ والمسلمون معه، فأدُّوا عمرتهم، وأقاموا بمكَّة ثلاثاً، ليس معهم من السلاح إلَّا سلاح الراكب، وهي السيوفُ مُغْمَدَةً في قُرُبِها.

٣ ـ ثُمَّ عدا بعض البكريِّين على خُزَاعة التي دخلت في عقد الرسول وعهده، غَدْراً ونقْضاً لِلْعَهْدِ والْعَقْدِ، وَبَيَّتُوهم في ديارهم وعلى مياههم وهم آمنون، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح والرجال خُفْيَة، وظَاهَروهُمْ على خُزَاعة.

ونقضت قريش ومن معها في عقد الصلح عَقْدَهُمْ وَعَهْدَهُمْ الذي تمَّ بينهم وبين الرسول ﷺ، بهذا العمل الغادر، وأَحلَّتِ الرسولَ والمسلمينَ وخُزاعةَ من الوفاء بعقْدِهم وعهدِهِمْ لقُريشٍ وبني بكر.

وعاد الفريقان بذلك إلى حالة الحرب، وكان على الرسول والمسلمين أن ينصُروا خزاعة، وينتقموا لها من قريش وبني بكر.

ويظهر أنَّ الوحي أبلغ الرسول ﷺ ما كان من قريش من نقض العهد، فعزم على غزوها، دون أن يخبر الناس، حتَّى أقرب الناس إليه، فأمر عائشة أم المؤمنين أن تجهِّزه، ولا يعلم أحد بالأمر.

فدخل عليها أبو بكر، فقال لها: ما هذا الجهاز؟

فقالت: والله لا أدرِي.

قال: والله ما هذا زمانُ غزوِ بَنِي الأصفر، فَأَيْنَ يريد رسول الله؟

قالت: والله لا أعلم.

وكان هذا قبل أن يصلَ إلى المدينة خبر نقض قريشٍ عهدها بنحو ثلاثة أيَّام.

ويبدو أنَّ أم المؤمنين عائشة أنبأت الرسول ﷺ بما جرى بينها وبين أبيها، فأعلمها بالأمر، وأذن لها بأن تخبر أباها، وذلك جمعاً بين الروايات، وهو ما ذكره الزرقاني.

٤ ـ وخرج عَمْرو بنُ سالمٍ الْخُزَاعي في أربعين من قومه إلى المدينة، يستنصر رسول الله ﷺ، ويستنجزُه الوفاء بموجبات العقد والعهد، فقال الرسول له: «نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بنَ سالم».

بعد أن أنشد عمْرو رجزاً بين يديه يَسْتَنصِرُهُ فيه، وهو ثمانية أبيات.

وجاء في روايةٍ أنَّ الذي قدم إلى الرسول مستنصراً هو بُدَيلُ بن وَرْقَاء.

وقد يُجْمع بين الروايتين بأنَّ بُدَيْلاً جاء بعد عمرو بن سالم.

وروى الواقدي أنَّ الرسول ﷺ قال لعائشة: «لقد حَدَثَ يا عائشةُ في خُزَاعَةَ أمْرٌ».

قالت: أَتَرَىٰ قُرِيشاً تَجْتَرِىءُ علىٰ نقضِ العهدِ الذي بينك وبينهم وقد أفْنَاهُمُ السيف؟.

قال: «يَنْقُضُونَ الْعَهْدَ لأَمْرٍ أَرَادَه اللَّه».

قالت: يَا رسولَ اللَّه، خَيْر؟

قال: «خير».

وفي حديث أمّ المؤمنين ميمونة عند الطبراني في الصغير، أنَّها قالت: بات عندي رسول الله ﷺ ليلةً، فقام ليتوضَّأ إلى الصلاة، فسمعتُه يقول في مُتَوَضئه: «لبّيْكَ، لَبّيْكَ، لبّيْكَ، نُصِرتَ، نُصرت، نُصِرتَ».

فلمَّا خرج قلتُ له: سمعتُكَ تقولُ في مُتَوَضَّئك: «لبيك» ثلاثاً،

و «نُصِرتَ» ثلاثاً، كأنَّكَ تُكلِّمُ إنساناً، فهل كان معك أحد؟

فقال: «هذا رَاجزُ بني كعبٍ يَسْتَصْرِخُنِي، وَيَزْعُمُ أنَّ قريشاً أعانت عليهم بني بكر».

يشير بهذا إلى الرجز الذي أنشده فيما بعدُ بين يديه عمْرو بن سالم الخزاعي يستنصره على بني بكر وقريش، وهي من أنباء الغيب التي جاءه العلم بها، قبل حُدُوثها.

قالت ميمونة: فأقمنا ثلاثاً، ثمَّ صلَّى النبي ﷺ الصبح في الناس، فَسمعتُ الراجزَ يُنْشِدُه:

يَـا رَبِّ إنِّي نَاشِـدٌ مُحَمَّـداً   حِـلْفَ أبِيـنَـا وَأبِيـهِ الأتْـلَدَا!

حتى آخر الأبيات الثمانية.

وجاء في حديث ابن عمر عند ابن عائذ، أنَّ ركب خزاعة لما أخبروا الرسول بما كان من بني بكر وقريش قال لهم: «فَمَنْ تُهَمَتُكُمْ وَظِنَّتُكُمْ؟» أيْ: على من توقعون تُهَمَتَكُمْ وَظِنَّتَكُمْ.

قالوا: بني بكر.

قال: «أكلُّها؟».

قالوا: لا، ولكن بَنُو نفاثة، ورأسُهم نوفل.

قال: هذا بطن من بني بكر، وأنا باعث إلى أهل مكَّةَ فسائلهم عن هذا الأمر، ومُخيِّرهم في خصالٍ ثلاث.

فبعث إليهم يُخَيِّرهم بين:

١ ـ أنْ يَدُوا قتلىٰ خُزَاعة. (أي: يدفعوا دِيَة قتلى خزاعة).

٢ ـ أو يَبْرَؤُوا من حِلْفِ بني نُفَاثة.

٣ ـ أَوْ يَنْبِذَ إليهم عهدهم على سواء. (أي: فيتحلّل كلّ فريق من الالتزام بعقده وعهده).

فاجتمعت رؤوس قُريشٍ للتشاور فيما عرض عليهم رسول الله ﷺ.

فتعجَّل «قرظة بن عمرو» من بين القوم فقال: (لَا نَدِي، وَلَا نَبْرأ، ولكنْ نَنْبِذُ إليه على سواء).

ورجع مبعوثُ رسول الله ﷺ بما سمع منهم، فأخبر به رسول الله ﷺ.

ثمَّ ندمت قريش على ما كان منها، إذْ تَخوَّفت من الانتقام وغزو الرسول لها في بلدها.

وأرادت أن تتدارك الأمر مع الرسول، فاتَّفق كُبراؤها على أن يُرسِلوا زعيمهم «أبا سُفيان بن حرب» إلى الرسول في المدينة، فيوثّق معه عَقْد الهُدْنَةِ، ويستزيد في مدَّتها.

وقال الرسول ﷺ لأصحابه: «كأنَّكُمْ بأَبِي سُفيان قد جاء يقول: جدِّدِ العهد، وزِدْ في المدَّة. وهو راجعٌ بسخطة».

ـ ٤ ـ

قريش تسعىٰ لتجديد العهد وتوثيقه

فقدم أبو سفيان المدينة، ودخل على ابنته أم المؤمنين أمِّ حبيبة، فأقبلَ ليجلس على فراش النبي ﷺ فطوته عنه.

فقال لها: يا بُنَيَّة، ما أدري، أَرَغِبْتِ بي عن هذا الفراش أم رَغِبْتِ بِهِ عنِّي؟

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نَجِس.

قال: واللَّهِ لقد أصابكِ بعدي شرٌّ.

ثمَّ ذهَبَ إلى رسول الله ﷺ فكَلَّمه فيما هو قادم من أجله، فلم يردَّ عليه الرسولُ شيئاً.

ثم ذهب إلى أبي بكر الصدِّيق، فطلب منه أن يكلِّم الرسول في الأمر، فأبىٰ الصدِّيق رضي الله عنه، وقال له: ما أنا بفاعل.

ثم أتى عمر بن الخطاب، فطلب منه أن يشفع لقريش عند رسول الله، فكان عمر أشدَّ الناس وطأةً عليه، وأعنف ردّاً، وقال له: أأَنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟! فوآللَّه لو لم أجد إلَّا الذرَّ لجاهدتكم به.

ثمَّ أتىٰ عليَّ بن أبي طالب، وعنده زوجه فاطمة، وابنهما الحسن، غلام يدِبّ بين أيديهما، فاستعطف عليّاً، وسأله بالرّحم أن يشفع له عند رسول الله ﷺ، وقال له: يا عليّ، إنَّك أمسّ القوم بي رحماً، وإني قد جئت في حاجة، فلا أُرْجَعنَّ كما جئت خائباً، إشفع لي إلى محمد. فقال له عليٌ: ويحك يا أبا سفيان، لقد عزم رسول الله ﷺ على أمرٍ ما نستطيع أن نكلِّمه فيه.

فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة ابنة الرسول يستعطفها، وقال لها: يا بنت محمد، هل لكِ أن تأمري بُنَيِّكِ هذا، فيجير بين الناس، فيكون سيِّد العرب إلى آخر الدهر؟

فقالت له: واللَّهِ ما بَلَغَ بُنَيَّ ذَاكَ أن يُجِير بين الناسِ وما يُجير أحد على رسول الله ﷺ.

وعاد أبو سفيان زعيمُ قريش إلى مكة خائباً، لم ينل شيئاً ممَّا قدم من أجله.

ولمَّا قدم على قريش قالوا له: ما وَرَاءَكَ؟

قال: جئت محمَّداً فكلمته، فوالله ما ردَّ عليَّ شيئاً. ثمَّ جئتُ ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً. ثم جئتُ عمر بن الخطَّاب فوجدته أدنىٰ العدو (أو

أعدى العدو). ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليَّ بشيءٍ صنعتُه، فواللَّه ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا؟

قالوا: وَبِمَ أمركَ؟

قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت.

قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟

قال: لا.

قالوا: ويلك، إنْ زاد الرجل على أن لعب بك، فما يغني عنك ما قلت.

قال: لا والله ما وَجَدْتُ غيرَ ذلك.

ـ ٥ ـ

استئناس الرسول برأي أبي بكر وعمر فيما عزم عليه في نفسه

روى ابن أبي شيبة بسنده عن أبي مالك الأشجعي: أنَّ النبيَّ ﷺ خرج من بعض حُجَرِهِ، فجلس عند بابها ـ وكانَ إذا جلس وحده لم يأْتِهِ أحدُ حتَّى يدعُوَه ـ فقال ﷺ: «ادعُ لي أبا بكر».

فجاء، فجلس بين يديه، فناجاه طويلاً، ثم أمره فجلس عن يمينه. ثم قال: «ادعُ لي عمر».

فجلس فناجاه طويلاً، فرفع عمر صوته فقال: يا رسول الله، همْ رأس الكفر، هم الذين زعموا أنَّك ساحر، وأنَّك كاهن، وأنَّك كذَّاب، وأنَّك مُفْتر.

ولم يدع شيئاً مما كانوا يقولونه إلَّا ذكره، فأمره فجلس عن شماله ثم دعا الناس فقال لهم: «أَلَا أُحَدِّثُكم بِمَثَلِ صاحِبَيْكُم هٰذين؟».

قالوا: نعم يا رسول الله. فأقبل بوجهه على أبي بكر فقال: «إنَّ إبراهيم كان ألين في الله تعالى من الدُّهن لِلْمِيل».

ثم أقبل بوجهه على عمر فقال: «إنَّ نُوحاً كَانَ أَشَدَّ في الله تَعَالَىٰ مِنَ الحَجَر، وَإنَّ الأَمْرَ أَمْرُ عُمَر، فَتَجهَّزُوا، وتعاونُوا».

فتبع الناس أبا بكر، فقالوا: إنَّا كَرِهْنَا أن نسأل عمر عمَّا نَاجاكَ بِهِ رسول الله ﷺ.

قال أبو بكر: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف تأمُرُني في غَزْوِ مكَّة؟».

قلت: يا رسول الله، هم قومُك، حتَّى رأيتُ أنَّه سيطيعني.

ثمَّ دعا عمر، فقال عمر: هم رأس الكفر، حتَّى ذكر له كلّ سوء كانوا يقولونه.

وايمُ اللَّه، لا تَذِلُّ العربُ حتَّى يذلّ أهل مكة، وقد أمركم بالْجِهازِ لتغزو مكة».

هذه الرواية تدلُّ على أنَّ عرض الرسول على الصَّاحبين كان عرض استئناس بالرأي، لا عرض مشاورة، وأنَّ عزم الرسول على غزو مكَّة قد سبق ذلك.

والأمارات تدلُّ على أنَّ التوجيه لغزوها كان بوحي من اللَّه.

ـ ٦ ـ

التجهُّز للخروج شطر مكة لفتحها

كان من عادة الرسول ﷺ في قيادته الحربية، أنَّه إذا أراد التوجُّه لجهةٍ مَا ورّى بغيرها، ليُبَاغِت عدوّه مباغتة، وليخفي الأمر عن عيون العدوّ وجواسيسه.

إلاَّ أنَّه حين أراد فتح مكة خالف عادته، فأمر المسلمين بأن يتجهَّزوا للخروج، وصرَّح لهم بالجهة التي يريد التوجه لها، والتجأ إلى الله داعياً فقال: «اللَّهمَّ خُذِ الْعُيُونَ والأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْش، حتَّىٰ نَبْغَتَهَا في بِلَادِهَا».

وفي رواية أنَّه قال: «اللَّهمَّ خُذ على أسماعهم وأبصارهم، فلا يرونَنا إلاَّ بَغْتةً، ولا يسمعون بنا إلاَّ فَلْتَةً» وأمر المسلمين بالكتمان.

ويبدو أنَّ الرسول ﷺ قد صرَّح بمقصده في هذه المرَّة، لأنَّ فتح مكة حدثٌ خطير جدًّاً من شأنه أن يعلم المسلمون به، ليستعدَّ كلُّ القادرين منهم لاكتساب شرف المساهمة فيه، وإنقاذ بلد اللَّهِ من سلطان الشرك، وتطهيره من رجس الأوثان وعبادتها فيه.

واستجاب الله لرسوله دعاءه، فعمَّىٰ الأخبار عن قريش، وكشف لرسوله خيانة حاطِبِ بن أبي بلتعة، قبل أن تصل رسالته إلى قريش، كما سيأتي بيانه.

وأخذ الرسول الْحَيْطَةَ مخافة تسرُّب الأخبار إلى أهل مكة فأقام الرقباء على الأنقاب (وهي الطرق في الجبال) وجعل عليها عمر بن الخطاب، وأمر أصحاب الأنقاب أن لا يَدَعُوا أحداً يمرّ بهم ينكرونه إلاَّ ردُّوه.

ـ ٧ ـ

سريَّة إيهام لتحويل نظر العدو

وفي الوقت نفسه إذِ المسلمونَ يَتَجَهَّزُون لفتح مكَّة، وهم يراعون الكتمان والسِّرِّيَّة، بعث رسول الله ﷺ سريّة من ثمانية رجال بقيادة أبي قَتَادَة بنِ رِبْعي، إلى بطن أضم، وهم قوم تقع منازلهم على ثلاثة بُرُدٍ من المدينة.

وكان ذلك مع أوائل شهر رمضان الذي خرج الرسول في نحو العاشر منه لفتح مكة، وسارت هذه السريّة حيثُ وجَّهَها الرسول ﷺ، ولمَّا بلغها

خروجه بالمسلمين لفتح مكة لحقتْ به.

وبَعْثُ هذه السرّية يُوهِم العربَ أنَّها بَعْثَةٌ استكشافية، وطليعةٌ لجيش الرسول القادم شطر الجهة التي انطلقت إليها، فتسير بذلك الأخبار بين العرب، فيظلُّ المقصود منهم قارّاً لا يستعدّ للمواجهة، حتى إذا فاجأته مُبَاغَتَةُ الجيشِ العرمرم، لم يجد بُدّاً من الاستسلام، إذْ يرى نفسه عاجزاً عن المقاومة، وبذلك يحصل مقصود الفتح، وتُحْمَىٰ الدِّمَاء، ولا تُسْتَحَلُّ الحرماتُ في بلد اللَّهِ الحرام، وتبقى له مهابتهُ ومكانته، ويظلُّ بين الناس مُعَظَّماً أَبَدَ الدهر. وهذه الخطة خطةُ حكمة ورشد.

ـ ٨ ـ

خيانة حاطب

ولمَّا أجمع الرسول ﷺ المسير إلى مكَّة، كتب حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ كتاباً إلى قريش، يخبرهم فيه بالذي عزم عليه الرسول ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثُمَّ أعطاه امرأةً، وجعل لها جُعْلاً (= أجراً) على أن تُبلِّغَهُ قريشاً، فجعلته في رأسها، وفتَلتْ عليه قرونها (= ضفائر شعرها) ثم خرجت به في اتجاه مكة.

ونزل على رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب بن أبي بَلْتَعَة. فبعث «عليّ بن أبي طالب» و«الزبيرَ بن العوَّام» و«المُقداد بنَ عمْرو» و«أبا مرثد الغنوي» و«عمَّاراً» و«طلحة» كما جاء في جملة روايات البخاري ومسلم وابن إسحاق وغيرهم، واقتصرت كلّ رواية على بعضهم. وقال الرسول ﷺ لهم: «انطلقوا حتى تأتوا (روضة خاخ)[١] فإنَّ بها ظعينة[٢] معها كتاب من حاطب بن أبي بَلْتعة إلى المشركين، فخذوه منها».

---

(١) روضة خاخ: مكان على بُعْد بريد من المدينة، والبريد يُقَدَّرُ تقريباً بنحو ٢٢١٧٦ متراً.
(٢) ظعينة: الظعينة الهودج على الناقة أو الجمل لركوب النساء.

قال عليٌّ رضي الله عنه: «فانْطَلَقْنَا تتعادى بنا خَيْلُنا حتى أَتَيْنَا الروضة، فإذا نحنُ بالظعينة.

فقلنا لها: أخرجي الكتاب.

قالت: ما معي كتاب.

فَأَنَخْنَاها، فالْتَمَسْنَا فَلم نَرَ كِتاباً.

فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ، لَتُخْرِجنَّ الكتاب، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثياب.

فلمَّا رأتِ الجدّ قالت: أَعْرِض. فأعرضَ، فأخرجَتْهُ من عِقَاصِها (أي: من لَفَائِفِ شَعْرِها).

قال علي: فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا به:

من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناسٍ من المشركين بمكَّة، وسمَّى منهم: سهيلاً، وصفوان، وعكرمة، يُخْبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، وما أجمع عليه من الأمر بالسير إليهم».

ونصُّ الكتاب عند أهل المغازي كما يلي:

أمَّا بعد، يا معشر قريش، فإنَّ رسول الله ﷺ جاءكم بجيشٍ كاللَّيل، يسير كالسيل، وأُقْسِمُ باللَّه، لو سار إليكم وحده لَنَصَرَهُ اللَّهُ عليكم، فإنَّه مُنْجزٌ له مَا وَعَده.

فدعا رسول الله ﷺ حاطباً، فقال له: «يا حاطب، ما حَمَلَكَ على هذا؟».

فقال حاطب: يا رسول الله لا تَعْجَلْ عليَّ، إنِّي كنتُ امرأً مُلْصقاً في قريش، ليس لي في القوم أصلٌ ولا عشيرة، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم.

فأحببت إذْ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً، يَحْمُونَ قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني، ولا رضىً بالكفر بعد الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: «أَمَا إنَّه قد صَدَقكُم ولا تقولوا له إلَّا خيراً».

قال عمر: يا رسول الله، دَعْنِي أضربْ عُنقه، فإنَّ الرجل قد نافق.

فقال رسول الله ﷺ: «وما يُدرِيكَ يا عُمر، لعلَّ الله قد اطَّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: ﴿اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم﴾.

ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم.

لقد راعى الرسول له مأثرة شهوده بدراً، فعفا عنه رغم أنَّ الذي بدر منه قد كان أمراً عظيماً، وهو في أعراف الحكم العسكري من قبيل الخيانة العظمىٰ.

وأنزل الله بمناسبة ما كان من حاطب، قوله عزَّ وجلَّ في سورة (الممتحنة ٦٠): ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ، تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ، يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ. وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيرٌ (٣)﴾.

والذي دفع عمر رضي الله عنه إلى أن يقول للرسول ﷺ: «يا رسول اللَّه، دعْني أضربْ عنقه، فإنَّ الرجل قد نافق»:

١ ـ أنَّ طبيعة عمر ومزاجَه الرغبةُ السريعة في الأخذ بالعقاب الصارم، دون النظر في أعذار المسيئين، ومخفِّفات جرائمهم، وسابقاتهم الصادقة في الخير.

٢ ـ أنَّه رأى في موالاة الكفَّار سرّاً، وهو بين المسلمين يجاهد جهادهم، نوعاً من النفاق في السلوك، يتَضَمَّن خيانة عظمى للرسول

وللمسلمين، قد تجلب للمسلمين أضراراً خطيرة كبرى للأمَّة في حربها مع عدوّها، وهذه يستحقّ عليها القتل عقاباً، ولو لم يستحق عليها القتل للردَّة عن الإسلام.

لذلك قال الرسول ﷺ له: «وما يُدريك يا عمر، لعلَّ اللَّه قد اطَّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

ففي هذا إشعار ضمني بأنَّ جريمة حاطب يستحقّ عليها عقوبة القتل، إلَّا أنَّ سابقته في بدر سابقة خير عظيم من شأنها أن تخفف عنه العقوبة، وهذه السابقة تتضمن صدقه في قتال قريش الذين صانعهم الآن سرًّاً، إذْ أخذه الضعف تجاه عاطفته نحو أهله الذين في مكة، فهما تتكافآن في نظر القائد الإداري الحكيم.

ولا أرى أنَّه قد كان وارداً في ذهن عمر أنَّ الرجل قد نافق في أصل الدين مرتدًّاً عنه سرًّاً، بعد أن قال حاطب: «ولم أفعله ارتداداً عن ديني، ولا رضىً بالكفر بعد الإسلام».

وقال الرسول بعد أن سمع منه مقالته: «أمَا إنَّه قَدْ صَدَقَكُمْ، ولاَ تَقُولوا له إلَّا خيراً».

ـ ٩ ـ

تحرّك الجيش شطر مكة

وأمر الرسول ﷺ أصحابه بأن يتجهَّزوا للخروج، فلمَّا أتمُّوا جهازهم، تجمَّع له منهم عشرة آلاف، من مهاجرين وأنصار، بأدواتهم الحربية، ومؤنهم، ومراكبهم من الخيل والإبل.

ثمَّ أرسل إلى من كان من القبائل المسلمة حول المدينة يدعوهم للخروج، فتلاحق منهم بالجيش ألفان، من قبائل (أسْلَم، ومُزَينة، وجُهَينَة، وغِفار، وسُلَيم).

وعقد الرسول الألوية والرايات ودفعها إلى أمراء الكتائب وزعماء القبائل، وقاد الجيش، وسار به متوكِّلاً على الله، واثقاً من نصره وفتحه، متجهاً به شطر مكَّة.

واستخلف على المدينة «أَبَارُهم كُلثومَ بنَ حُصَينٍ الغفاري».

وكان خروجه في شهر رمضان، والناس صائمون.

وعند ابن إسحاق أنَّ الخروج قد كان لعشر مضَيْنَ من شهر رمضان، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتَّى إذا كان بالكُدَيدِ (اسم مكان في الطريق إلى مكة) أفطر.

وثبت في الصحيح أنَّ المسلمين خرجوا من المدينة صياماً، ثُمَّ نزلوا منزلاً في وسط الطريق، فقال لهم الرسول ﷺ: «إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُم مِنْ عَدُوِّكُمْ والفطر أقوى لكم».

فرغَّبهم بأن يُفطروا دون إلزام، ثمَّ لمَّا صار بينهم وبين مكة نحو ليلة قال لهم: «إِنَّكُمْ مُصَبِّحو عدوِّكم، والْفِطْرُ أقوى لكم فأَفْطِرُوا».

فأمرهم بالفطر أمر إلزام، فكان عزيمة، ليكون ذلك قُوَّةً لهم على مواجهة عدوِّهم.

ولمَّا وصل الرسول ﷺ بجيش المسلمين إلى (الْجُحْفَةِ)[1] لَقِيَهُ عمّه العبَّاس بن عبد المطلب مُعْلناً إسلامه، ومهاجراً بعياله إلى المدينة، وكان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله عنه راض، ووجد الرسولَ متوجهاً لغزو مكة فعاد معه.

ولمَّا وصل الرسول ﷺ بجيش المسلمين إلى (الأبواء) لقيه ابن عمه: «أبو سفيان المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب» وابن عمَّته عاتكة بنت عبد المطلب «عبدالله بن أبي أميَّة بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم».

---

(١) **الجُحْفَة**: قرية مندرسة، كانت في مكان قريب من «رابغ» اليوم.

فَالْتَمَسَا مقابلته، فكلمته «أم سلمة» فيهما، فقالت: «يا رسول الله، ابنُ عَمِّك، وابنُ عمَّتِك وصِهْرُكَ»[1] وقالت له: «لا يكونان أشقى الناس بك».

قال: «لا حَاجَةَ لي بهما، أمَّا ابنُ عَمِّي فهَتَكَ عِرضي، وأمَّا ابْنُ عَمَّتِي وصهري، فهو الَّذي قال لي بمكة ما قال»[2].

وخرج الخبر إليهما بذلك، وكان مع ابن عمِّه أبي سفيان بُنَيٌّ له، فقال: واللَّه لَيَأْذَنَنَّ لي، أو لآخُذَنَّ بِيَدَيْ بُنَيَّ هذا، ثُمَّ لنذهَبَنَّ في الأرض حتَّى نموتَ عطشاً وجوعاً.

وبلغ رسولَ الله ذلك فرقَّ لهما، وأذن لهما فلقياه وأسلما.

وروي أنَّ علي بن أبي طالب قال لابن عمِّه أبي سفيان المغيرة بن الحارث: ائْتِ رسولَ الله من قِبَل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿قَالُوا: تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنَّا لخاطئين (٩١)﴾ سورة (يوسف ١٢).

فإنَّه لا يرضى أن يكون أحدٌ أحسنَ منه قولاً.

ففعل ذلك ابن عمه أبو سفيان، فقال له رسول الله ﷺ: «لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وهو أرحم الراحمين».

فأنشده شعراً قال فيه:

لَعَمْـرُكَ إنِّي حِينَ أَحْمِـلُ رَايَـةً ... لِتَغْلِبَ خَيْـلُ اللَّاتِ خَيْـلَ مُحَمَّـدِ
لَكَـالْمُدْلِـجِ[3] الْحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ ... فَهَـذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَىٰ فَـأَهْتَـدِي

---

(١) الصِّهر: القرابة، وزوج البنت والأخت، ومثلهما العمة، فإمَّا أن تكون أم سلمة قصدت وابن صِهرك زوج عمتك، أو قصدت وهو صهرك أي قرابتك.

(٢) قال له في مكة: فوالله لا أؤمن بك، حتى تتخذ إلى السماء سلَّماً، ثم ترقى فيه، ثمَّ تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك، إلى غير ذلك من أقوال، وفيه أنزل الله (٩٠ ـ ٩٣) من سورة الإسراء.

(٣) الْمُدْلِجُ: الماشي في الدلجة، وهي ظلمة الليل الشديدة.

هَـذَاني هَـادٍ غَيْـرُ نَفْسِي فَـدَلَّنِي   عَلَى اللَّهِ مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ[1]

فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال له: «أَنْتَ طَرَّدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّد».

قالوا: وقد حَسُن إسلامه، وكان لا يرفع رأسه إلى الرسول حياءً منه، ثم أحبَّه الرسول، وقال فيه: أرجو أن يكون خلفاً من حمزة.

وتابع رسول الله ﷺ المسير بجيشه شطر مكَّة وأهل مكة لا يعلمون شيئاً، لقد عمَّى اللَّه عنهم الأخبار.

ولمَّا بلغ ماء الكديد، أفطر وأفطر الناس معه، كما جاء في صحيح البخاري.

ثم سار حتى نزل عشاء بمرّ الظهران (هو وادي فاطمة اليوم) فحَطَّ الرحلَ، وحطَّ الجيشُ معه رحالهم.

وأشعل المسلمون نيرانهم في منازلهم، فكانت نيراناً كثيرة مرهبة لمن يراها في اللَّيل، ودالَّةً على أنَّ الجيش عظيم، وهدف الرسول من ذلك إلقاء الرعب في قلوب طلائع قريش، حتى يَسْتَسلِموا، ويدخلَ الرسول بجيش المسلمين مكَّة دون حرب، حمايةً للدماء، وحرمةً للبلد الحرام، ولبيتِ اللَّهِ الكعبة المشرفة.

وقال العباس بن عبد المطَّلب: وَاصَبَاحَ قُرَيْش، واللَّهِ لئن دخل رسول الله ﷺ مكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوه، إنَّه لَهلاكُ قُرَيش إلى آخرِ الدهر.

ـ ١٠ ـ

محاولة عم الرسول العباس أن يجد وسيلة ينصح بها أهل مكة أن يستأمنوا

خاف العباس على مكَّة وأهلها من أن يكون فتح الرسول لها عنوة وقهراً بالحرب.

---

(١) **الْمُطَرَّد**: المكان الذي ينفىٰ إليه المُطَرَّد.

فخرج على بغلة الرسول ﷺ البيضاء ليلاً، بعد أن حطَّ المسلمون رحالهم، وأوقدوا نيرانهم.

ويُحَدِّثُ عن نفسه فيقول كما جاء في سيرة ابن هشام:

فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتى جئتُ الأراك. فقلت: لعلي أجد بعض الحطَّابة، أو صاحب لَبَن، أو ذا حاجة، يأتي مكَّة، فَيُخْبِرَهُمْ بمكان رسول الله ﷺ، ليَخْرُجُوا إليه فيسْتَأْمِنُوهُ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَها عليهم عنوةً.

قال: فوالله إنِّي لأسيرُ عليها، وألتمسُ مَا خرجتُ له، إذْ سمعتُ كلامَ «أبي سُفيان بن حرب» و«بُدَيْلِ بن ورقاء» وهما يَتَرَاجعان (أي: يتحاوران ويتبادلان الكلام، وكان معهما حكيم بن حزام).

وأبو سفيان يقول: ما رأيتُ كاللَّيلة نيراناً قطُّ ولا عسكراً.

ويقول بُدَيل: هذه واللَّهِ خُزَاعَةُ حَمَشَتْهَا[1] الحرب (أي: ألهبتها غَضَباً رغبة الحرب، لتأخذ ثأرها من بني بكر وقريشٍ التي آزرتهم).

ويقول أبو سفيان: خُزَاعَة أذَلُّ وأقلُّ من أنْ تكون هذه نِيرانُها وعسكَرُها.

قال: فعرَفْتُ صوتَه، فقلت: يا أبَا حنظلة (هذه كنية أبي سفيان) فعرف صوتي.

فقال: أبو الفضل؟.

قلتُ: نعم.

قال: ما لكَ فداكَ أبي وأمّي؟.

---

(١) تقول لغة: حَمِشَ الشرُّ إذا اشتد. وأحْمَشَهُ إذا استثار الشرَّ فيه. وأحمشه إذا أغضبه. واحتمش واستحمش إذا التهب غضباً. وأحْمَشَ قومه إذا أغضبهم وحرَّضهم على القتال. واحمشت النار إذا ألهبتها، واحتمش الديكان اقتتلا.

قلتُ: ويحكَ يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، وَاصَباحَ قُريشٍ واللَّه.

قال: فما الحيلةُ فداكَ أبي وأمّي؟

قلت: واللَّه لئن ظفر بك ليضربَنَّ عنُقَك، فاركب في عَجُزِ هذه البغلة، حتَّى آتِي بكَ رسُول الله ﷺ فأَسْتَأْمِنَه لك.

فركب خلفي ورجع صاحباه، فجئت به، كلَّما مررت بنارٍ من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟

فإذا رأَوْا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها، قالوا: عَمُّ رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطَّاب، فقال: من هذا؟ وقام إليَّ.

فلمَّا رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدوُّ اللَّه!. الحمدُ للَّه الذي أمكن منك بغير عقدٍ ولا عَهْدٍ.

ثمَّ خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ، وَرَكَضْتُ البغلةَ، فسبقْتُهُ بما تَسْبِقُ الدابَّةُ البطيئةُ الرَّجُلَ البطيء.

فاقْتَحَمْتُ عنِ البغلة، فدخلتُ على رسول اللَّه ﷺ، ودخل عليه عمر. فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان، قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعْنِي فلأَضْرِبَ عُنُقه.

قال العباس: فقلت: يا رسول الله، إنِّي قد أجرتُه، ثُمَّ جلست إلى رسول الله ﷺ، فأخذتُ برأسه، فقلت: والله لا يناجيه اللَّيلةَ دوني رجل، فلمَّا أكثر عُمَرُ في شأنه، قلت: مهلاً يا عُمَر، فواللَّه أن لو كان من بني عَدِيّ بن كعب ما قلت هذا، ولكنَّك قد عرفت أنَّه من رجال بني عبد مناف.

فقال عمر: مهلاً يا عبَّاس، فواللَّه لإسلامُكَ يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطَّاب لو أسلم، وما بي إلاَّ أنِّي قد عرفت أنَّ إسلامَكَ كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطَّاب لو أسلم.

فقال رسول الله ﷺ: «إذْهبْ به يا عبَّاسُ إلى رحلك، فإذا أصبحتَ فأتني به».

قال العباس: فذهبتُ به إلى رحلي، فباتَ عندي، فلمَّا أصبح غدوتُ به إلى رسول الله ﷺ، فلمَّا رآه قال له: «وَيْحَكَ يا أبا سفيان، أَلَمْ يأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّه لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّه؟».

قال: بأبي أنت وأمّي، ما أَحْلَمَكَ وأكرمَكَ وأَوْصَلَكَ!، واللَّهِ لقد ظننت أنَّه لو كان مع اللَّه إلَه غيره لقد أغنى عنِّي شيئاً بعد.

قال الرسول: «ويْحَكَ يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟».

قال: بأبي أنت وأمي، ما أَحْلَمَكَ وأَكْرَمَكَ وأَوْصَلَكَ!، أمَّا هذه واللَّه فإنَّ في النفس منها حتَّىٰ الآن شيئاً.

قال العباس: فقلت له: ويْحَكَ أسلم، واشْهد أنْ لا إلَه إلاَّ اللَّه، وأنَّ محمَّداً رسول الله قبْلَ أن تُضرَبَ عُنُقُكَ.

فشهد شهادة الحقِّ فأسلم.

قال العبَّاس: قلتُ: يا رسول الله، إنَّ أبا سفيان رجلٌ يحبُّ هذا الفخر، فاجعل له شيئاً.

قال الرسول: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن».

فأعطى الرسول ﷺ أهل مكة بذلك الأمان إذا أخلوا طرقاتها، ولم يتعرَّضوا للجيش الفاتح.

فلمَّا ذهب أبو سفيان لينصرف، قال رسول الله ﷺ: «يا عبَّاس، احْبسه في مَضيقِ الوادي عند خطم الجبل حتَّى تمرَّ به جُنْدُ اللَّهِ فيراها» (أي: عند

أنف الجبل ـ وعند البخاري: عند حَطْم الجبل، وهو موضع ضيِّق تتزاحم فيه الخيل حتى تكاد يَحْطِم بعضها بعضاً).

فخرجتُ به حتَّىٰ حَبَسْتُهُ بمضيق الوادي، حيث أُمرني رسول الله ﷺ، ومرَّتِ القبائل على راياتها، كلَّما مرَّت قبيلة قال: يا عباسُ من هذه؟

فأقول: سُلَيم. فيقول: مَا لي ولِسُلَيم. ثـمَّ تمرُّ القبيلة، فيقول: يا عبَّاسُ، من هؤلاء؟. فأقول: مُزَينة. فيقول: مَا لي ولمُزَيْنَة. حتَّى نفدت القبائل، ما تمرّ بي قبيلةٌ إلَّا يَسْأَلني عنها، فإذا أخبرتُهُ بهم قال: ما لي ولبني فلان.

حتَّى مـرَّ الرسـول ﷺ في كتيبته الخضـراء[1]، فيهـا المهـاجـرون والأنصار، لا يُرى منهم إلَّا الْحَدَقُ من الحديد.

فقال أبو سفيان: سُبحانَ اللَّه يا عبّاس منْ هؤلاء؟!

قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار.

قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولاَ طاقة، واللَّهِ يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلْكُ ابنِ أخيك الغداةَ عظيماً.

قلتُ: يا أبا سفيان، إنَّها النبوَّة.

قال: فنعم إذن.

وجاء في رواية عن غير العبَّاس، لم يوردها ابن هشام:

وسمع أبو سفيان «سَعْدَ بْنَ عُبَادة» وقد كان يحمل راية الأنصار يقول له: يا أبا سفيان، اليومَ يومُ الملحمة، اليوم تُستَحلُّ الكعبة، اليوم أذلَّ اللَّهُ قريشاً.

(١) وصفها بالخضراء لكثرة ظهور الحديد فيها، والعرب تسمَّى الأسود المختلط بغيره أخضر. وتُسمِّي الأسمر من ألوان الناس أخضر.

فلمَّا مرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان، قال أبو سفيان له: «أُمِرْتَ بقتلِ قومك؟».

قال الرسول: لا.

قال أبو سفيان: ألم تَعْلَم ما قال سَعْدُ بنُ عُبادة؟

قال الرسول: ما قال؟

قال أبو سفيان: قال: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الكعبة، اليوم أذلَّ الله قريشاً» وقال أبو سفيان للرسول: أنشدُكَ اللَّهَ في قومك، فأنت أبرُّ الناس، وأوصلهم.

قال رسول الله ﷺ: «يا أبا سفيان، كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظِّم اللَّه فيه الكعبة، ويومٌ تُكْسَىٰ فيه الكعبة، اليومَ يومُ المرحمة، اليومَ يُعِزُّ اللَّهُ فيه قريشاً».

وأرسل رسولُ الله ﷺ إلى سعد بن عبادة، فأخذ لواء الأنصار من يده، فجعله في يد ابنِهِ قيس. انتهت الرواية.

وقال العباس: فقلتُ لأبي سفيان: النَّجَاءَ إلى قومِكَ.

فانطلق أبو سفيان إلى قريش، حتَّى إذا جَاءهم، صرخ بأعلى صوته: (يَا معشر قريش، هذا محمَّد قد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكُمْ به، فَمَنْ دخل دار أبي سُفيان فهو آمن).

فقامت إليه زوجته «هند بنت عتبة» فأخذت بشارِبِه، فقالت: «اقْتُلُوا الْحَمِيتَ الدَّسِمَ الأحْمَس، قُبِّح مِنْ طليعةِ قوم».

[شَبَّهَتْهُ بالْحَمِيت: وهو زِقُّ السَّمن، ووصفته بالأحمس لأنَّه كان كثير اللَّحم سميناً، فالأحمسُ السمينُ كثير اللَّحم].

قال أبو سفيان: ويلكم لا تَغُرَّنَّكُمْ هذه من أنفسكم، فإنَّه قد جاءكُمْ ما

لا قبل لكم به، فمن دخلَ دار أبي سفيان فهو آمن.

قالوا: قَاتَلَكَ اللَّه، ومَا تُغني عنَّا دارُكَ؟!

قال: ومَنْ أَغْلَقَ عليه بابَه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

فتفرَّق الناسُ إلى دورهم وإلى المسجد.

ـ ١١ ـ

دخول الرسول وجيش المسلمين مكَّة

ودخل الجيش الإسلامي الفاتح مكَّة، فلمَّا وصل الرسول إلى ذي طُوىٰ، أوقف راحلته وكانَ مُعْتَجِراً (= متعمماً بعمامة دون ذُؤابة) بشُقَّةِ بُرْدٍ حِبَرَةٍ حَمْراء.

وطأطأ رسول الله ﷺ رأسَهُ خضوعاً للَّه، وَذُلاً وشكراً له، حين رأى ما أكرمه اللَّه به من الفتح، حتى كادَ عُثْنُونُه[1] يَمَسُّ واسطة رَحْلِهِ[2]، ولم يأخُذْهُ مَا يَأْخُذُ الفاتحين من تعاظُم واستكبار، وعُلوٍ في الأرض وطغيان، واستباحةٍ لكلِّ شيءٍ دون رحمة ولا ابتغاء للخير.

بل دخل رسول الله ﷺ مكَّة فاتحاً متواضعاً لله، برّاً رحيماً، جواداً كريماً، سمحاً رؤوفاً، عفُوّاً عطوفاً.

وكان شعار المهاجرين يومئذٍ: «يا بني عبد الرحمن» وشعار الخزرج: «يا بني عبداللَّه» وشعارُ الأوس: «يا بني عُبَيْداللَّه».

وفي موقفه بذي طُوىٰ وزّع جيشه إلى ثلاثة أقسام، وعهد إلى أمراء الجيش: أنْ يكفُّوا أيْدِيهم، ولا يقاتلوا إلاَّ من قاتلهم، باستثناء نفَرٍ سمَّاهم، فأمر بقتلهم، وإن وُجِدُوا تحت أستارِ الكعبة.

---

(١) **العُثْنُون**: ما نبتَ من اللحية على الذَّقن وتَحْتَهُ سِفْلاَ.

(٢) **واسطة الرحل**: ما بين قادِمَتِه وآخِرَته، والرحْلُ هو المركب الذي يوضع على البعير.

● فَقِسْمٌ عليه خالد بن الوليد، وفيه قبائل أسلم، وسُلَيم، وَغِفار، ومُزَينة، وجُهَيْنَة، وقبائلُ أخرى من قبائل العرب.

وأمر الرسول خالد بن الوليد أن يدخل بمن معه من أسفل مكَّة، من كُدَي.

● وَقِسْمٌ عليه الزّبيرُ بن العوَّام، وكان معه راية رسول الله ﷺ، راية الكتيبة الخضراء، وأمره الرسول أن يدخل مكَّة من أعلاها من كَدَاء، وأن يغرِزَ رَايَتَهُ بالْحَجُون، ولا يَبْرَحَ حتَّى يأتيه.

● وَقِسْمٌ عليه أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاح، وكان معه الْحُسَّرُ، وهُمْ الْمُشَاةُ، أو المشاةُ الذين لا دروع لهم، وأَمَرَهُ أن يأخذ بطْنَ الوادي، ويَنْصَبَّ لمكَّة بين يدي رسول الله ﷺ، وبطنُ الوادي هو من الحَجُونِ إلى جهة المَسْعَىٰ بين الصفا والمروة.

ودخل رسول الله ﷺ مُردِفاً وراءه أُسامةَ بنَ زيد، حتَّىٰ نزل بأعلى مكَّة، وضُربتْ له هُنَالِكَ قُبَّته، وأعلاها يومئذٍ ما بين الحَجُونِ إلى مَسْجِدِ الفتح، مقابلَ مبنى البريد المركزي الآن، ويقع بينهما مسجد الجنِّ. وكان رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة (الفتح) ويُرَجِّع فيها (أي: يُرَدِّد ويُعِيد).

ودخل من دخل من أهل مكَّة دورهم وأغلقوا أبوابهم ليأمنوا، ودخل من دخل منهم المسجد، ولم يواجه المسلمون جيشاً محارباً من أهل مكة، باستثناء حدَثٍ صغير ضعيف الشأن، قمعه خالد بن الوليد وكتيبته بسرعة، وفرَّ الفلول إلى بيوتهم ليأمنوا.

وذلك أنَّ «صَفْوانَ بنَ أمية» و«عكرمةَ بنَ أبي جهل» و«سُهَيْلَ بن عَمْرو» شَذّوا عن عُقلاء قومهم وسادة قريش، فجمعوا ناساً أوباشاً بالْخَنْدَمَة، ولَحِقَ بهم «حِمَاسُ بنُ قيس بن خالد» أخو بني بكر، وكان قبل ذلك يُعِدُّ سلاحاً لقتال محمَّد وأصحابه، وتربَّصوا بالخندمة لعلَّهم يَجِدونَ فئةً مُنْحازةً عن كثافةِ الجيش فيقاتلونها.

وحَدَثَ أنْ شَذَّ «كُرْزُ بنُ جابر» و«وخُنَيْسُ بنُ خالد» من المسلمين عن رجال خالد بن الوليد، فَقُتِلَا بأيدي الأوباش.

فَعَلِم خالد بما حدث فأذن لمن معه بأن يقاتلوا دفاعاً عن أنفسهم، فالتقوا بالأوباش المجتمعين لقتالهم بالخندمة، فكانت بين الفريقين مناوشة، وحدث اشتباك يسير، قتل فيه من جند المسلمين «مَسْلَمَةُ بنُ الْمَيْلَاء الْجُهَنِي» بعد أن كان خالد قد كفَّ يده عن القتال، وصبر على المتصدِّين من المشركين، حتى قتلوا من أصحابه من قتلوا فأذن بقمعهم، فقاتلهم جندُ خالد.

وعند ابن هشام أنَّ المسلمين أصابوا منهم اثني عشر رجلًا، أو ثلاثة عشر رجلًا.

وروي أنَّ الرسول ﷺ وصله خبر الأوباش الذين اجتمعوا لقتال المسلمين، فقال لأبي هريرة: «اهتف لي بالأنصار».

فهتف بهم، فجاءوا فأطافوا به، فقال لهم: «أَتَرَوْنَ إلَىٰ أَوْبَاشِ قريشٍ وأتباعِهِم؟» ثمَّ قال بإحدى يَدَيْه على الأخرى «احصدوهم حصداً، حتىٰ توافوني بالصفا».

قال أبو هريرة: فانطلقنا، فما نشاء أن نقتل منهم أحداً إلَّا قتلناه.

فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله، أُبِيحتْ خضراءُ قريش، لا قريش بعد اليوم.

قال أبو هريرة: فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ».

فلمَّا رأت هذه العصابة أنَّها تُعَرّض نفسها لمعركة انتحارية ولَّتْ منهزمة، لا تلوي على شيء، ودخلت فُلولٌ منهم البيوت، وأغلقوا عليهم الأبواب، وطار صوابُ فريقٍ منهم فانطلقوا إلى أعالي التِّلال ورؤوس الجبال، فرآهم «حكيم بن حزام» و«أبو سفيان بن حرب» فصاحا بهم وهم يَفِرُّون: (يا

معشر قريش، علامَ تقتلون أنفسكم، من دخل داره فهو آمن، ومن وضع سلاحه فهو آمن).

فجعل المنهزمون يُسْرعون، ويقتحمون الدور، ويُغْلقون أبوابها، ويطرحون السلاح في الطرقات، فيأخذه المسلمون.

وفرَّ (صفوان، وعكرمة، وسُهَيل) الذين جمّعوا أخلاطهم في الخندمة لقتال المسلمين. وفرَّ حِمَاسُ بن قيس الذي لحق بهم، ودخل على امرأته منهزماً، وقال لها: أغلقي الباب.

فقالت له تُعيّره وتَلُومُه: فأينَ ما كنتَ تقول؟ تُشير بذلك إلى قوله لها قبل خروجه: واللّهِ إني لأرجو أنْ أُخْدِمَكِ بعضَهم.

فقال لها مُعْتذراً:

إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الْخَنْدَمَةْ إذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَةْ
وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُوتِمَةْ وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةْ[1]
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَةْ ضَرْباً فَلَا يُسْمَعُ إلَّا غَمْغَمَةْ[2]
لَهُمْ نَهِيتٌ خَلْفَنَا وَهَمْهَمَةْ لَمْ تَنْطِقِي في اللَّوْمِ أَدْنَىٰ كَلِمَةْ[3]

وانتهىٰ أمر الأوباش بسرعة، وكفَّ المسلمون عن القتال.

ورُوِيَ أنَّ الرسول ﷺ دعا خالداً فسأله: «لِمَ قَاتَلْتَ وَقَدْ نَهَيْتُكَ عن الْقِتَالِ؟».

قال: يا رسولَ الله، هم بَدَؤُونا بالقتال، وقد كففت يدي ما استطعتُ.

فقال رسول الله ﷺ: «قضاء اللّه خير».

---

(١) أبو يزيد: هو سهيل بن عمرو، وقد سهَّل همزة (أبو) ليستقيم الوزن.
والموتمة: فسّرها ابن إسحاق راوي الحادثة بالأسطوانة. أي هو واجم ثابت لا حركة له. ولم أجدها في اللسان، إنما وجدت فيه: (الأُتمة) وهي شجرة تشبه شجرة الزيتون.

(٢) **الغَمْغَمة**: أصواتٌ مختلطة غير مفهومة.

(٣) **النَّهيت. والْهَمْهَمَة**: صوتان يصدران من الصدر.

ونزل الرسول ﷺ يومَ الفتح في القُبَّة التي ضُربت له في الْحَجُون، فاسْتراح بها بعض الوقت.

وقال له أسامة بن زيد: أينَ تنزل غداً يا رسول الله؟

قال له: «وهَلْ تَرَكَ لنا عقيلٌ من رِباعٍ أَوْ دُور؟». رواه البخاري.

وكان عقيل بن أبي طالب قد باعها فيما باع.

وقال الرسول ﷺ، كما جاء في رواية أخرى عند البخاري: «منزلُنَا غداً إن شاء الله بِخَيْفِ[1] بني كِنَانَة، حيث تقاسموا على الكفر».

أي: حيث تحالفوا أن لا يبايعوا بني هاشم، ولا يناكحوهم، ولا يُؤوهم، وكانوا قد حصروهم في الشعب.

(تقاسموا): من القَسَم وهي اليمين التي حلفوا عليها.

وأبى الرسول ﷺ أن ينزل في بيت أحد، وقال: «لا أنزل في البيوت».

وترك الرسول ﷺ المجاهدين معه يوم الفتح، ليستجمُّوا، ويأخذوا قليلاً من الراحة، إثْر النَّصَبِ الذي نَصِبُوه في رحلة الجهاد.

ونهض الرسول ﷺ من قُبَّتِهِ في الْحَجُون، ومعه خلق كثير من المهاجرين والأنصار، قد أحاطوا به، ودخل المسجد الحرام، ومعهم جمهور ممن أسلم من أهل مكة يومئذٍ، وممن لم يسلم.

فأقبل الرسول إلى الكعبة، فاستلم الحجر الأسود، ثمَّ طاف بالبيت على راحلته سبعاً، يستلم الركن بِمِحْجَنٍ[2] في يده.

قالوا: وكان في يده قوس، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً،

---

(۱) **الخَيْف**: هو ما انحدر من غِلظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، ويطلق على الناحية. وخيف بني كنانة كان تجاه شعب أبي طالب، عند منحدر الجبل.

(۲) **بِمِحْجَن**: بعصا مُعَوَّجَة.

مشدودة بالرَّصاص، فجعل يطعُن كلا منها بقوسه، ويقول: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً».

«جاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِىءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ».

فتتساقط الأصنامُ على وُجُوهها أَوْ أَقْفَائها، فما أشار إلى صنم منها لوجهه إلاَّ وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلاَّ وقع لوجهه.

فلمَّا أتمَّ الرسول ﷺ طوافه، دعا «عثمانَ بن طلحة» سادن الكعبة، فأخذ منه مفتاحها، فأمر بفتح بَابِها فَفُتح له، فدخلها، فرأى في داخلها صوراً للملائكة وغيرهم، ورأىٰ فيها صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يسْتَقْسِمان بالأزلام، فقال: «قاتلهم اللَّه، واللَّه ما استقسما بها قطّ».

وقال: «جعَلُوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام؟ ﴿مَا كَانَ إبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانيًا، ولكن كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾.

ورأىٰ في الكعبة تِمْثَال حمامة من عيدان، فكسَّره بيده ورماه، وأمر بالصُّوَرِ فَطُمِسَتْ.

ثُمَّ أغلقَ عليه باب الكعبة ليخلو بربِّه في عبادة وصلاة، وكان معه فيها «أسامة بن زيد» و«بلال». فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب، وتقدَّم حتى إذا كان بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع وقف. وجعل عمودين عن يساره، وعموداً عن يمينه، وثلاثة أَعْمِدة وراءه، إذْ كان سقف البيت يومئذٍ على ستَّة أعمدة.

ثمَّ صلَّى حيث وقف، ثم دار في البيت، وكبَّر في نواحيه، ووحَّدَ اللَّه.

ثمَّ وقف على باب الكعبة، وقد اجتمع في المسجد خلقٌ كثير، وقد استكفُّوا له (أي: وقفوا ينظرون إليه من بعيد، وقد وضعوا أكفَّهُمْ على

جباههم ليساعدهم ذلك على النظر، ولعلَّ الشمس كانت تجاه وجوههم) فخطب الناس يومئذٍ فقال فيما ذكر ابن إسحاق: «لا إلٓه إلَّا اللَّه وحده، لا شريك له، صدق وَعْدَه ونَصرَ عَبْدَهُ، وَهزَمَ الأحزاب وحده.

أَلَا كُلُّ مأْثُرَة (أي: من مفاخر الجاهلية) أو دَمٍ أو مالٍ يُدَّعَىٰ فَهُوَ تَحْتَ قَدَميَّ هَاتَيْنِ، إلَّا سَدَانَةَ البيتِ وسِقَايَةَ الحاجِّ.

أَلَا وَقَتِيلُ الْخَطَأ شِبْهِ الْعَمْد بالسَّوْط والْعَصَا، ففيه الدِّيَة مُغَلَّظَة، مِائَةٌ من الإبلِ، أَرْبَعُوْنَ مِنْها في بُطونِها أوْلادها.

يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ، إنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعظُّمَها بالآباء.

النَّاسُ من آدم وآدم من تراب.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَىٰ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا. إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾[١].

يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟».

قالوا: خيراً، أخٌ كريمٌ، وابْنُ أخٍ كريم، وقَدْ قَدَرْتَ.

فقال ﷺ: «إنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيب عليكم اليوم، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وهو أرحم الراحمين﴾ اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء».

قال موسى بن عقبة: (وانصرف الرسول ﷺ إلى زمزم، فاطَّلع فيها، فدعا بماء فشرب منه وتَوَضَّأ، والناس يبتدرون وَضوءه، والمشركون يَتعجَّبون من ذلك ويقولون: «مَا رَأَيْنا مَلِكاً قطُّ، ولا سمعنا به مثل هذا».

وأخَّر رسول الله ﷺ يومئذٍ مقام إبراهيم، وكان مُلْصَقاً بالبيت).

ثُمَّ جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب

---

(١) سورة (الحجرات ٤٩).

رضي الله عنه، ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابةَ مع السقاية صلّى الله عليك.

فقال رسول الله ﷺ: «أَيْنَ عُثْمَانُ بنُ طَلْحَةَ؟».

فَدُعِيَ له، فقال له النبي ﷺ: «هَاكَ مِفْتَاحَكَ يَا عُثْمَانُ، اليوم يومُ بِرٍّ ووفَاء».

ورُوِي أنَّه قال لعثمان بن طلحة: «خُذُوها يا بَنِي شَيْبَةَ خَالدةً تَالِدةً، لَا يَنْزِعُها عنْكُمْ إلاَّ ظالم».

وأنَّه قال لعلي: «إنَّما أُعْطِيكُمْ مَا تُرْزَءُونَ، لَا ما تَرْزَءُون».

أي: ما تبذلون فيه معروفاً للناس بالسِّقاية، لا ما تنالون به من الناس مالاً بالحجابة.

ثمَّ انتقل الرسول ﷺ إلى خَيْفِ بنِي كِنَانة، عنْد مُنْحدر الجبل المقابل للشعب.

وقضى المسلمون يومهم وليلتهم يهلِّلون، ويُكبِّرون، ويَحْمَدُونَ اللَّه، ويُسبِّحونه، ويذكُرونه، ويشكُرونه على ما وهبهم من فتح مبين، وصاروا يتبادلون التهاني، ويكثرون من الطواف بالبيت تعبُّداً وشكراً.

روى البيهقي عن سعيد بن المسيِّب قال: «لمَّا كان ليلة دخل الناس مكَّة، ليلةَ الفتح، لم يزالوا في تكبيرٍ وتهليل، وطوافٍ بالبيت حتى أصبحوا».

ـ ١٢ ـ

في اليوم التالي ليوم الفتح

روى ابن إسحاق، عن أبي شُرَيح الْخُزَاعي، أنَّه لمَّا كانَ الْغَدُ من يوم الفتح، عَدَتْ خُزَاعةُ على رجلٍ من هُذيل فقتلوه وهو مشرك.

فقام رسولُ الله ﷺ فينا خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ومجَّدَهُ بما هو

أهله، ثم قال: «يا أيُّها النَّاس، إنَّ اللَّه حرَّم مكَّةَ يومَ خَلَقَ السماوات والأرض، فهي حرام من حَرَامِ اللَّهِ إلى يوم القيامة.

فَلا يَحِلُّ لامْرِىءٍ يؤمن باللَّهِ واليوم الآخر أن يَسْفِكَ فيها دماً، ولا يَعْضِدَ بِهَا شجراً (أي: ولا يقطع بها شجراً).

لَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، ولاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ يَكُونُ بَعْدِي، وَلَمْ تَحِلَّ إلاَّ هَذِهِ السَّاعَةَ، غَضَباً على أَهْلِها، أَلاَ ثُمَّ رَجَعَتْ حُرْمَتُهـا اليوم كحـرمتها بالأمس.

فليُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ، فَمَنْ قال لَكُمْ، إنَّ رَسُولَ الله قد قَاتل فيها، فقولوا: إنَّ الله قد أحلَّها لرسوله ولم يُحِلَّها لكُمْ».

وعند البخاري زيادة: «لا يُنَفَّرُ صَيْدُها، ولا يُعْضَدُ شَوْكُهَا، ولا يُخْتَلَىٰ خَلاَها، وَلاَ تَحِلُّ لُقَطَتُهَا إلاَّ لِمُنْشِد».

الْخَلَىٰ: الرّطبُ من النبات، وخَلَىٰ الْخَلَىٰ واخْتَلاَه إذا جَزَّه.

فقال العبَّاس بن عبد المطلب: إلاَّ الإذخر يا رسول الله، فإنَّه لا بدَّ منه للدفن والبيوت.

فسكت رسول الله ﷺ ثمَّ قال: «إلاَّ الإِذْخِر فإنَّه حلال».

الإذخر: حشيش طيِّب الريح.

ثمَّ قال الرسول ﷺ: «يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ، ارفَعُوا أيديكُمْ عن القتل، فَلَقَدْ كثُر القتلُ إنْ نَفَع، لقد قتلْتُمْ قتِيلاً لأَدِيَنَّه، فَمَنْ قُتِلَ بَعْدَ مَقَامِي هذا فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النظرين:

- إنْ شَاءوا فَدَمُ قاتِله.
- وإنْ شاءوا فعقْلُهُ».

فعقله: أي: فديته.

ثمَّ إنَّ الرسول ﷺ دفع ديَة ذلك الرجل الذي قتلته خُزَاعة لأهله من هُذَيْل.

ـ ١٣ ـ

وقائع متناثرة

١ ـ قالت «أُم هانيء هند ابنة أبي طالب» أخت علي رضي الله عنهما: لمَّا نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكَّة، فرَّ إلي رجُلان من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عند هُبَيْرَة بن أبي وهب المخزومي.

فدخل عليَّ عليُّ بن أبي طالب أخي، فقال: «واللَّهِ لأقْتُلَنَّهُمَا».

فأغلقتُ عَلَيْهِمَا بَابَ بَيْتِي، ثُمّ جئتُ رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدْتُه يغتسل من جفنة إنَّ فيها لأَثَر العجين، وفاطمةُ ابْنَتُهُ تستُره بثوبه، فلمَّا اغتسل أخذ ثوبه فتوشَّح به، ثمَّ صلَّىٰ ثَمَانِيَ ركعاتٍ من الضحىٰ، ثمَّ انصرف إليَّ، فقال: «مرحباً وأهلاً يَا أمَّ هانيء، مَا جَاءَ بِكِ؟».

فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليّ فقال: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ، فلا يَقْتُلْهُمَا».

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزهيرُ بن أبي أُميَّة بن المغيرة[1].

٢ ـ وروى البخاري بسنده عن أمّ هانيء هند بنت أبي طالب: أنَّ رسول اللَّه ﷺ اغتسل في بيتها يوم الفتح، ثمَّ صلَّى ثمانيَ ركعاتٍ من الضُّحى. وأنَّها قالت: لم أَرَهُ صلَّى صلاةً أخفَّ منها، غير أنَّه يُتمُّ الركوع والسجود.

ولا بدَّ أن يكون هذا في غير اليوم الأول للفتح، ويطلق يومُ الفتح على

(١) لا بدّ أن يكونا ممّن أهدر الرسول دمهما، ولولا ذلك لما احتاجا إجارتها.

اليوم الأول وعلى الذي بعده، جمعاً بين الحادثة الأولى والثانية.

٣ ـ لمَّا دخل رسول الله ﷺ الكعبة، ودخل معه بـلال، ثمَّ خرج الرسول، تخلّف بلال داخل الكعبة، فدخل عبدالله بن عمر على بلال فسأله:

أيْنَ صلَّى رسول الله ﷺ؟ ولم يسأله كم صلَّى.

فكان ابن عمر بعد ذلك إذا دخل البيت فَعَلَ كما فعل الرسول ﷺ، فصلّى في المكان الذي صلّى فيه.

٤ ـ ورُوِي أنَّ الرسول ﷺ دخل الكعبة في بعض أيّام الفتح ومعه بلال، وحان وقت صلاة الظهر، فأمر بلالاً أن يؤذّن، فأذّنَ للصلاة.

وكان بفناء الكعبة من قريش: «أبو سفيان بن حرب، وعتَّابُ بن أُسَيْد، والحارثُ بنُ هشام».

فقال عتَّاب بن أُسَيْد: لقد أكرم اللَّه أُسَيْداً (أي: أباه) ألّا يكونَ سَمِعَ هذا، فَيَسْمَعَ مِنهُ ما يَغِيظُه (كِبْـرٌ جاهليٌّ عن أن يؤذن حبشي على الكعبة).

فقال الحارث بن هشام: أمَا واللَّهِ لو أعلَمُ أنّه مُحِقٌّ لاتّبَعْتُه.

فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلَّمْتُ لأخْبَرَتْ عنِّي هذهِ الحَصىٰ.

فخرج عليهم النبيّ ﷺ فقال: «قَدْ عَلِمْتُ الّذِي قُلْتُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمْ».

فقال الحارث وعتّاب: نشهَدُ أنَّكَ رسولُ اللَّه، والـلَّه مَا اطَّلَع على هذا أحدٌ كان مَعَنا، فنقولَ: أخبرك.

٥ ـ وأرادَ «فَضَالَةُ بْنُ عُمَير بن المُلَوّح اللّيثي» قتل النبيّ ﷺ وهو يطوف بالبيت أيّام الفتح.

فلمّا دنا منه رسول الله قال له: «أَفَضَالَة؟».

قال: نَعَمْ فضالَةُ يا رسول اللّه؟.

قال له: «مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ به نفسك؟».

قال: لَا شَيْءَ، كنتُ أَذْكُرُ اللَّه.

فضحك النبيّ ﷺ، ثمّ قال له: «استَغْفِرِ اللّه».

ثمّ وضع رسول الله ﷺ يَدَه على صَدْر فضالة، فسكَنَ قلبه.

فكان «فَضَالةُ» يقول: واللّهِ ما رفعَ رسول اللّه ﷺ يَدَهُ عن صَدْري، حتَّى ما مِنْ خَلْقِ اللَّهِ شَيْءٌ أحبَّ إليَّ منه.

قال «فضالة»: فرجعت إلى أهلي، فمرَرْتُ بامرأة كنتُ أتَحَدَّثُ إليها. فقالت: هَلُمَّ إلى الحديث.

فقلت: لا.

وانبعثَ فَضَالَة يقول:

قَالَتْ: هَلُمَّ إلى الحديثِ فَقُلْتُ: لا ... يَـأْبَىٰ عَـلَيْـكَ الـلَّهُ وَالإِسْـلَامُ
لَـوْ مَـا رَأَيْـتِ مُحَمَّـداً وَقَبِيلَهُ ... بِـالْفَتْـحِ يَـوْمَ تَكَسَّـرُ الأَصْنَـامُ
لَـرَأيتِ دِينَ الـلَّهِ أضْحَىٰ بَيِّنـاً ... والشِّـرْكُ يَغْشَىٰ وَجْهَـهُ الإِظْـلَامُ

٦ ـ وكان «صفوان بْنُ أُمَيّة بن خلف» من رؤوس الذين حَملُوا أشدّ العداء للرسول، وكان قد دفع عُمَير بن وهب لقتل الرسول ﷺ في المدينة بعد بدر، وكشفَ الرسول ﷺ لعُمير تآمره مع أميّة، مع أنه لم يكن معهما أَحَدٌ فأسلم.

وكان قد حرَّض أَوْبَاشَ قريش على قتال المسلمين يوم الفتح، فرأى أنه مقتولٌ مَهْدورُ الدّم.

فخرج فارّاً يريد جُدّة ليركب منها إلى الْيَمَن.

فقال عُمَيْرُ بن وهب: يَا نبيَّ اللَّه، إنَّ صَفْوانَ بن أُمَيّة سيّدُ قومه، وقد خرج هارباً منك، ليقذف نفسه بالبحر، فأمّنه صلّى اللّه عليك.

قال رسول اللّه ﷺ: «هو آمِن».

قال عُمَير: يا رسول اللّه فَأَعْطني آيَةً يَعرِفُ بِهَا أمَانَكَ.

فأعطاه رسول اللّه ﷺ عمامَتَهُ التي كان مُتَعَمّماً بها مُعْتَجراً إذْ دخل مكّة فاتحاً.

فخرج عُمَيرٌ بها وانطلق حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر، فقال له: يا صفوانُ، فداكَ أبي وأُمّي، اللّهَ اللّهَ في نَفْسِكَ أنْ تُهْلِكَهَا، فهذا أمانٌ من رسول اللّهِ ﷺ قد جِئْتُك به.

قال صفوان: ويْحَكَ، اغْرُبْ عَنِّي فَلا تُكَلِّمْنِي، فإنَّكَ كَذَّاب.

قال عُمَير: فِدَاكَ أبي وأُمِّي، أفضلُ النّاس، وأبَرُّ النّـاس، وأحلَمُ النّاس، وخيرُ الناس، ابنُ عَمِّك، عزُّه عِزُّك، وشرفُهُ شرفُكَ، ومُلْكُهُ مُلْكُكَ.

قال صفوان: إنِّي أخاف على نفسي.

قال عُمَيْر: هو أحلم من ذاك وأكرم.

فرجع صفوان مع عُمَير، فلما وقفا على رسول اللّه ﷺ، قال صفوان: إنَّ هذا يزعم أنّك أمَّنْتَنِي.

قال رسول اللّه ﷺ: «صدق».

قال صفوان: فاجعلني فيه بالخيار شهرين.

قال الرسول له: «أنت بالخيار فيه أربعة أشهر».

ثم أسلم «صفوان بن أمية» وكان الرسول ﷺ يتألّف قلبه، ويعطيه مع من يعطي من المؤلفة قُلوبهم، وكان نصيبه في العطاء مع الذين بلغ نصيبهم مائة من الإبل.

وكانت زوجته «فاختة بنت الوليد» قد أسلمت، فلمّا أسلم صفوان أقرّها الرسول عنده على النكاح الأول.

٧ ـ ولمّا أهدر الرسول ﷺ دَمَ عكرمةِ بنِ أبي جهـل، فرَّ قـاصـداً الْيَمَن، حتى وصل إليها.

وكانت امرأتُه «أمُّ حكيم بنتُ الحارث» قد أسلمت، فَطَلَبَتْ الأمانَ لزوجها عكرمة بن أبي جهل، من الرسول ﷺ، فأمَّنَه.

فلحقت به إلى اليمن، فجاءت به، فأسلم، وأقرّهما على النكاح الأول.

ورُوي أنَّ الرسول ﷺ لمّا رآه مقبلاً عليه، نَهَضَ قائماً وقال له: مرحباً بمن جاء مسلماً مهاجراً.

ثم سأل الرسول ﷺ أن يستغفر له مما كان منه، فاستغفر له.

فكان من القادة، ومن أبطال الفتوحات الإسلامية.

٨ ـ وكان من أمر «هند بنت عتبة بن ربيعة، زوجة أبي سفيان بن حرب» أنَّها اختفت أيّام الفتح الأولى، ثم جاءت إلى النبي ﷺ وأعلنت إسلامها، فعفا الرسول ﷺ عنها.

فقالت: واللَّه يا رسول اللَّه، ما كان على ظهر الأرض أهلُ خباءٍ أحبَّ إليَّ أن يَذِلُّوا من أهل خِبائك، ثم أصبح اليوم ما أهل خباء أحبَّ إليّ أنْ يَعِزُّوا من أهل خبائك.

٩ ـ ولمّا رأىٰ أهل مكّة ما كان من عفو الرسول ﷺ عنهم، وإكرامه لهم، دخلوا في دين اللَّه أفواجاً، رجالاً، ونساءً، أحراراً وعبيداً، وتتابع الناس بعدهم يدخلون في دين الله أفواجاً، فكان فتح مكة فتحاً للإسلام عظيماً.

١٠ ـ وجلس رسول الله ﷺ على الصفا ليبايع الناس، فتوافد الناس عليه يبايعونه رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، أحراراً وعبيداً، وبدأ بمبايعة الرجال:

فبايعهم على الإسلام والسمع والطاعة للَّه ورسوله فيما استطاعوا.

ولمّا فرغ من مبايعة الرجال بايع النساء دون أن يُصافح أيّاً منهن:

فبايعهُنَّ على أن لا يشركن باللَّه شيئاً، ولا يَسْرِقْنَ، ولا يزنين، ولا يَقْتُلْنَ أولادَهُنّ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ، ولا يعصين في معروف.

وكان بين المبايعات «هند بنت عتبة» وكانت متنقبة متخفّية فلمّا قال النبي: «ولا يسرقن» قالت «هند»: يا رسول اللَّه، إنَّ أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني ما يكفيني ويكفي بنيَّ، فهل عليّ من حرج إذَا أخذتُ من ماله بغير علمه؟

فقال النبي ﷺ لها: «خُذِي من ماله ما يكفيك وبنيك بالمعروف».

ولمّا قال الرسول في مبايعته النساء: «ولا يزنين» قالت هند: وهل تزني الحرة؟

وعرفها الرسول ﷺ من صوتها فقال لها: «وإنَّكِ لَهِنْدُ بنتُ عتبة؟».

قالت: نعم، فاعْفُ عمَّا سلف عَفَا اللَّه عنك.

١١ ـ وروى البيهقي عن ابن مسعود أنّ رجلاً كلّم رسول اللَّه ﷺ يوم الفتح، فأخذته الرِّعدة، فقال له ﷺ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإنَّما أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ من قُرَيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيد».

القديد: هو اللحم المجفف بالشمس مع الملح.

١٢ ـ وروى ابن سعد أنَّ رسول اللَّه ﷺ خرج من الكعبة وأبو سفيان بن حرب جالس في المسجد، فقال أبو سفيان في نفسه: ما أدري بمَ يغلبنا محمّد؟

فأتاه النبي ﷺ، فضرب صَدْرَهُ وقال له: «باللَّهِ نَغْلِبُك».

فقال أبو سفيان: أشهدُ أنَّك رسول اللَّه.

١٣ ـ وروى الحاكم والبيهقي عن ابن عبَّاس، وروى ابن سعد عن أبي إسحاقَ السُّبَيْعِيّ: قالوا: رأىٰ أبو سفيان رسول اللَّه ﷺ يمشي، والناس

يطئون على عقبه، فقال: لو عَاوَدْتُ هَذا الرَّجلَ القتالَ، وجمعتُ لَهُ جمعاً.

فجاء رسول ﷺ حتَّى ضربَ في صَدْره فقال: «إذاً يُخْزِيكَ اللَّه».

فقال أبو سفيان: أتوبُ إلى اللَّه، وأستغفره، مَا أَيْقَنْتُ أنّكَ نبيٌّ إلاّ الساعة، إنِّي كُنْتُ لأُحَدّثُ نفسي بذلك.

١٤ ـ جاء في مرسل يحيىٰ بن سعيد أنّ النبيّ ﷺ لمّا فتح اللّه له مكّة فَتْحاً مبيناً، وهي بلدُه، وموطنه، ومولده، وأحبُّ بلاد اللّه إليه، وتمّ له الأمر، رآه الأنصار ذات يوم قد علا من الصفا حتى يرى الكعبة، فرفع يديه، وجعل يحمد اللَّه ويذكره، ويدعو بما شاء اللّه له أن يدعو في تضرّع وخشوع، وكانوا مجتمعين تحته في سفح الصفا، فقال بعضهم لبعض:

أَتَرونَ رسول اللَّه ﷺ إذْ فتح اللَّهُ عليه أرضه وبَلَده أنْ يُقيم بها، أم يرجع إلينا؟!

فلمّا فرغ من دعائه أخبره الوحي بما قالوا، فتوجه الرسول ﷺ لهم وقال: «ماذا قُلْتم؟».

قالوا: لا شَيْءَ يا رسول اللَّه.

فلم يزل يتلطّفُ بهم حتّى أخبروه بما قالوا.

فقال رسول اللَّه ﷺ: «مَعَاذَ اللَّهِ، المَحْيَا مَحْياكُمْ، والْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ».

وروى الإمام مسلم والإمام أحمد وغيرهما عن أبي هريرة رضي اللّه عنه، أنّ النبيّ ﷺ لمَّا فَرَغَ من طوافه أتىٰ الصفا، فَعَلَىٰ منه حتّىٰ يرىٰ البيت، فرفع يديه وجعل يحمد اللَّه تعالى ويذكره، ويدعو بما شاء اللَّه أن يدعو، والأنصار تحته، فقال بعضهم لبعض: أمّا الرجلُ فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته.

قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء لا يخفى علينا، فليس أحدٌ

من الناس يرفع طرفَهُ إليه. فلمّا قُضِي الوحي قال رسول اللَّه ﷺ: «يا معشر الأنصار».

قالوا: لبّيك يا رسول اللَّه.

قال صلوات اللَّه عليه: «قُلْتُمْ، أَمَا الرَّجُلُ، فأدركَتْهُ رغْبَةٌ في قَرْيَته، ورأفَةٌ بعشيرته».

قالوا: قُلْنَا ذَلِكَ يا رسول اللَّه.

قال: «ما اسْمِي إذاً؟. كلاَّ، إنِّي عَبْدُ اللَّهِ ورسولُه، هاجرتُ إلى اللَّه وإلَيْكم، الْمَحْيا مَحْيَاكُمْ، والمماتُ مَمَاتُكُمْ».

فَأَقْبَلوا إليه يبكون، ويقولون: واللَّه يا رسول الله، ما قُلْنَا الَّذي قُلْنَا إلاّ الضّنَّ باللَّهِ وبرسوله، فقال الرسول ﷺ لهم: «فَإنّ اللَّهَ ورسُولَهُ يَعْذِرَانِكُمْ، ويُصَدِّقانِكُمْ».

وقد تضمّنت هذه الرواية أنّهم قالوا: «أمّا الرجل» وأنّ الرسول ﷺ عاتبهم على هذه الكلمة، وقال لهم: «ما اسمي إذاً؟» وأنه زجرهم على سوء الأدب في الحديث عنه بقوله: «كلاّ» وأنّه أبان لهم وصفه الذي كان يجب أن يصفوه به بقوله: «إنّي عبدُ اللَّهِ ورسوله» لذلك أقبلوا إليه يبكون ويعتذرون عن مقالتهم.

وبعد ذلك طمأنهم فقال لهم: «هاجرتُ إلى اللَّه وإليكم، المحيا محياكم، والممات مماتكم».

ورأى الزرقاني الجمع بين الروايتين بأنّ فريقاً منهم قال المقالة الأولى، وفريقاً منهم قال المقالة الثانية. على أن رواية أبي هريرة هي الواردة في الصحيح.

البَابُ الثَّامِنُ

فِقْهُ المذَاهِبِ الأَرْبعَةِ في الصِّيَامِ

من كتب أربابها

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: فقه الصيام على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان.
الفصل الثاني: فقه الصيام على مذهب الإمام مالك بن أنس.
الفصل الثالث: فقه الصيام على مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي.
الفصل الرابع: فقه الصيام على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

الفصل الأوّل

فقه الصيام على مذهب
الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت
رضي اللّه عنه

ولد سنة (٨٠) ومات ببغداد سنة (١٥٠) هجرية

من كتاب

متن نور الإيضاح

تأليف الفقيه الحنفي

الشيخ حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي
الحنفي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ

كتابُ الصوم

هو الإمساك نهاراً عنْ إدْخال شيءٍ عمْداً أو خطأً بَطناً أو ما لَهُ حكم الباطن وعن شهوة الفرج بنيَّةٍ من أهله وسبب وجوب رمضان شهود جزءٍ منه وكل يوم ٍ منه سبَبٌ لوجوب أدائه وهو فرضٌ أداءً وقضاءً على من اجتمع فيه أربعة أشياء الإسلام والعقل والبلوغ والعلم بالوجوب لمن أسلم بدار الحرب أو الكون بدار الإسلام ويُشترط لوجوب أدائه الصحة من مرضٍ وحيضٍ ونفاسٍ والإقامة ويُشترط لصحة أدائه ثلاثة: النِّيَّة والخلوُّ عمَّا ينافيه من حيضٍ ونفاسٍ وعمَّا يفسده ولا يشترط الخلو عن الجنابة وركنه الكف عن قضاء شهوتي البطن والفرج وما أُلحِقَ بهما وحكمه سقوط الواجب عن الذِّمَّة والثَّواب في الآخرة والله أعلم.

فصلٌ: يَنقسم الصَّوم إلى ستَّة أقسامٍ:

فَرْضٌ وواجبٌ ومسنونٌ ومندوبٌ ونفلٌ ومكروهٌ أمَّا الفرض فهو صوم رمضان أداءً وقضاءً وصوم الكفارات والمنذور في الأظهر وأما الواجب فهو قضاء ما أفسده من نفلٍ وأمَّا المسنون فهو صوم يوم عاشوراء مع التاسع وأمَّا المندوب فهو صوم ثلاثةٍ من كل شهرٍ ويندب كونها الأيام البيض وهي الثَّالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وصوم يوم الاثنين والخميس وصوم ست من شوَّال ثمَّ قيل الأفضل وصلُها وقيل تفريقها وكل صومٍ ثبت طلبه والوعد عليه بالسنَّة كصوم داود عليه السلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أفضل الصيام

وأحبه إلى اللّٰه تعالىٰ وأما النفل فهو ما سوى ذلك مما لم يثبت كراهيته وأما المكروه فهو قسمان مكروهٌ تنزيهاً ومكروهٌ تحريماً الأوَّل كصوم عاشوراء منفرداً عن التاسع والثاني صوم العيدين وأيام التشريق وكره إفراد يوم الجمعة وإفراد يوم السبت ويوم النيروز أو المهرجان إلَّا أن يوافق عادته وكره صوم الوصال ولو يومين وهو أن لا يفطر بعد الغروب أصلاً حتى يتصل صوم الغد بالأمس وكره صوم الدهر.

فصلٌ: فيما يشترط تبييتُ النيَّة وتعيينها فيه وما لا يشترط أما القسم الذي لا يشترط فيه تعيين النيَّة ولا تبييتها فهو أداء رمضان والنَّذر المعين زمانه والنفل فيصحّ بنيَّة من الليل إلى ما قبل نصف النهار على الأصح ونصف النهار من طلوع الفجر إلى وقت الضحوة الكبرى ويصح أيضاً رمضان بمطلق النيَّة وبنيَّة النفل ولو كان مسافراً أو مريضاً في الأصح ويصح أداء رمضان بنيَّة واجب آخر لمن كان صحيحاً مقيماً بخلاف المسافر فإنَّه يقع عمَّا نواه من الواجب واختلف الترجيح في المريض إذا نوىٰ واجباً آخر في رمضان ولا يصح المنذور والمعيَّن زمانه بنيَّة واجب غيره بل يقع عمَّا نواه من الواجب فيه وأمَّا القسم الثاني وهو ما يشترط فيه تعيين النيَّة وتبييتها فهو قضاء رمضان وقضاء ما أفسده من نفلٍ وصوم الكفارات بأنواعها والمنذور المطلق كقوله: إن شفى اللّٰهُ مَرِيضي فعليَّ صوم يومٍ فحصل الشِّفاء.

فصل فيما يثبت به الهلال وفي صوم يوم الشك وغيره

يثبت رمضان برؤية هلاله أو بعدّ شعبان ثلاثين إن غمَّ الهلال ويوم الشك هو ما يلي التاسع والعشرين من شعبان وقد استوى فيه طرف العلم والجهل بأن غمَّ الهلال وكُره فيه كل صومٍ إلَّا صوم نفل جزَمَ به بلا ترديدٍ بينه وبين صومٍ آخر وإن ظهر أنه من رمضان أجزأ عنه ما صامه وإن ردَّد فيه بين صيام وفطرٍ لا يكون صائماً وكره صوم يوم أو يومين من آخر شعبان لا يكره ما فوقهما ويأمر المفتي العامَّة بالتلوّم يوم الشك ثم الإفطار إذا ذَهَبَ وقتُ النيَّةِ

ولم يتعين الحال ويصوم فيه المفتي والقاضي ومن كان من الخواص وهو من يتمكَّن من ضبط نفسه عن الترديد في النيَّة وملاحظة كونه عن الفرض ومن رأى هلال رمضان أو الفطر وحده ورُدّ قوله لزمه الصيام ولا يجوز له الفطر بتيقُّنه هلال شوَّال وإن أفطر في الوقتين قضى ولا كفارة عليه ولو كان فطره قبل ما ردَّه القاضي في الصحيح وإذا كان بالسماء عِلَّة من غيم أو غبار أو نحوه قبل خبر واحد عدل أو مستور في الصحيح ولو شهد على شهادة واحد مثله ولو كان أنثى أو رقيقاً أو محدوداً في قذف تاب لرمضان ولا يشترط لفظ الشهادة ولا الدَّعوى وشُرط لهلال الفطر إذا كان بالسماء عِلَّة لفظ الشهادة فلا بدَّ من جمع عظيم لرمضان والفطر ومقدار الجمع العظيم مفوَّض لرأي الإمام في الأصح وإذا تمَّ العددُ بشهادة فردٍ ولم ير هلال الفطر والسماء مصحيّة لا يحل له الفطر واختلف الترجيح إذا كان بشهادة عدلين ولا خلاف في حل الفطر إذا كان بالسماء علَّة ولو ثبت رمضان بشهادة الفرد وهلال الأضحى كالفطر ويشترط لبقية الأهلَّة شهادة رجلين عدلين أو حر وحرَّتين غير محدودين في قذف وإذا ثبت في مطلع قطرٍ لـزم سائر الناس في ظاهر المذهب وعليه الفتوى وأكثر المشايخ ولا عبرة برؤية الهلال نهاراً سواء كان قبل الزوال أو بعده وهو اللَّيلة المستقبلة في المختار.

باب ما لا يفسد الصوم

وهو أربعة وعشرون شيئاً ما لو أكل أو شرب أو جامع ناسياً وإن كان للنَّاسي قدرةٌ على الصوم يذَكِّره به من رآه يأكل وكره عدم تذكيره وإن لم يكن له قوَّة فالأولىٰ عدم تذكيره أو أنزل بنظرٍ أو فكر وإن أدام النَّظر والفكر أو ادَّهنَ أو اكتحل ولو وجد طعمه في حلقه أو احتجم أو اغتاب أو نوى الفطر ولم يفطر أو دخل حلقه دخانٌ بلا صُنعهِ أو غبارٌ ولو غبار الطاحون أو ذباب أو أثر طعم الأدوية فيه وهو ذاكر لصومه أو أصبح جُنباً ولو استمرَّ يوماً بالجنابة أو صب في إحليله ماءً أو دهناً أو خاض نهراً فدخل الماء أذنه أو حك أذنه بعودٍ فخرج عليه درن ثم أدخلَه مراراً إلى أُذنه أو دخل أنفه مخاط فاستنشقه عمداً

وابتلعه وينبغي إلقاء النخامة حتى لا يفسد صومه على قول الإمام الشافعي رحمه اللّه أو ذرعه القَيْءُ وعاد بغير صنعِهِ ولو ملأ فاهُ في الصَّحيح أو استقاء أقلَّ من مِلْءِ فيه على الصَّحيح ولو أعاده في الصحيح أو أكل ما بين أسنانه وكان دون الحمصة أو مضغ مثل سمسمةٍ من خارج فمهِ حتى تلاشت ولم يجد لها طعماً في حلقه.

باب ما يفسد الصوم وتجب به الكفارة مع القضاء

وهو اثنان وعشرون شيئاً إذا فعل الصائم شيئاً منها طائعاً متعمِّداً غير مضطر لزمه القضاء والكفارةُ وهي الجماعُ في أحدِ السَّبيلَيْنِ على الفاعل والمفعول به والأكل والشرب سواءٌ فيه ما يتغذَّى به أو يتداوى به وابتلاع مطر دخل إلى فمه وأكل اللحم النِّيء وإن كانَ منْتِناً إلاَّ إذا دَوَّدَ وأكلَ الشَّحْمِ في اختيار الفقيه أبي اللَّيثِ وقَديدُ اللحم بالاتِّفاقِ وأكلُ الحِنْطَةِ وقضْمُها إلا أن يمضُغ قمحَة فتلاشت وابتلاعُ حبة حنطة وابتلاعِ حبة سمسمةٍ أو نحوها من خارج فمه في المختار وأكل الطين الأرمَني مطلقاً والطين غير الأرمني كالطفل إن اعتاد أكله والملح القليل في المختار وابتلاع بزاقِ زوجته أو صديقه لا غيرهما وأكله عمداً بعد غيبةٍ أو بعد حجامة أو بعد مسٍّ أو قبلةٍ بشهوةٍ أو بعد مضاجعةٍ من غير إنزالٍ أو بعد دهن شاربه ظانَّاً أنّه أفطر بذلك إلاَّ إذا أفتاه فقيهٌ أو سمع الحديث ولم يعرف تأويله على المذهب وإن عرف تأويله وجبت عليه الكفارة وتجب الكفارة على من طاوعت مُكرهاً.

فصل في الكفارة وما يسقطها عن الذمة

تسقط الكفارة بطروّ حيضٍ أو نفاسٍ أو مرض مبيح للفطر في يومه ولا تسقط عمَّن سوفر به كرهاً بعد لزومها عليه في ظاهر الرِّواية والكفَّارة تحرير رقبة ولو كانت غير مؤمنة فإن عجز عنه صام شهرين متتابعين ليس فيهما يوم عيد ولا أيام التشريق فإن لم يستطع الصوم أطعم ستين مسكيناً يغدِّيهم

ويعشيهم غداءً وعشاءً مشبعين أو غداءين أو عشاءين أو عشاء وسحوراً أو يعطي كلَّ فقير نصف صاع من بُرٍّ أو دقيقه أو سويقه أو صاع تمر أو شعير أو قيمته وكفت كفّارةٌ واحدة عن جماعٍ وأكل مُتَعَدِّدٍ في أيام لم يتخلله تكفير ولو من رمضانين على الصحيح فإن تخلّل التكفير لا تكفي كفّارة واحدة في ظاهر الرواية.

باب ما يفسد الصوم من غير كفارة

وهو سبعة وخمسون شيئاً إذا أكلَ الصائم أرُزًّاً نيئاً أو عجيناً أو دقيقاً أو ملحاً كثيراً دفعة أو طيناً غير أرمنيٍّ لم يعتَدْ أكلَهُ أو نواةً أو قطناً أو كاغداً أو سفرجلاً لم يُدرك ولم يُطبخ أو جوزةً رطبةً أو ابتلع حصاة أو حديداً أو تراباً أو حجراً أو احتقن أو استعط أو أوجر بصبِّ شيءٍ في حلقه على الأصح أو أقطر في أذنه دهناً أو ماءً في الأصح أو داوى جائفة أو آمَّة بدواءٍ ووصل إلى جوفه أو دماغه أو دخل حلقه مطر أو ثلج في الأصح ولم يبتلعه بصنعه أو أفطر خطأً بسبق ماء المضمضة إلى جوفه أو أفطر مكرهاً ولو بالجماع أو أكرهت على الجماع أو أفطرت خوفاً على نفسها من أن تمرض من الخدمة أمةً كانت أو منكوحةً أو صب أحدٌ في جوفه ماء وهو نائم أو أكل عمداً بعد أكله ناسياً ولو علم الخبر على الأصح أو جامع ناسياً ثمَّ جامع عامداً أو أكل بعد ما نوى نهاراً ولم يبيِّت نيَّتَهُ أو أصبح مسافراً فنوى الإقامة ثمَّ أكل أو سافر بعدما أصبح مقيماً فأكل أو أمْسك بلا نيَّة صوم ولا نيَّةِ فطر أو تسحر أو جامع شاكّاً في طلوع الفجر وهو طالع أو أفطر يظن الغروب والشمس باقية أو أنزل بوطء ميتةٍ أو بهيمةٍ أو بتفخيذٍ أو بتبطينٍ أو قبلةٍ أو لمسٍ أو أفسد صوم غير أداء رمضان أو وُطئت وهي نائمة أو قطَّرت في فرجها على الأصح أو أدخل أصبُعَهُ مبلولةً بماء أو دهن في دُبره أو أدخلته في فرجها الدَّاخل في المختار أو أدخل قُطْنة في دبره وغيَّبها أو في فرجِها الداخل أو أدخل حلقه دخاناً بصُنْعِهِ أو استقاء ولو دون ملء الفم في ظاهر الرواية وشرط أبو يوسف ملء الفم وهو الصحيح أو أعاد ما ذرعه من القيْءِ وكان ملءَ الفم وهو ذاكرٌ لصومه أو أكل ما بين أسنانه

وكان قدر الحمصة أو نوى الصَّوم نهاراً بعدما أكل ناسياً قبل إيجاد نيتِهِ من النهار أو أُغـمي عليه ولو جميع الشَّهر إلَّا أنه لا يقضي اليوم الذي حدث فيه الإغماء أو حدث في ليلته أو جُنَّ غير ممتد جميع الشهر ولا يلزمه قضاؤه بإفاقته ليلاً أو نهاراً بعد فوات وقت النيَّة في الصحيح.

فصل: يجب الإمساك بقيَّة اليوم على من فسد صومه وعلى حائض ونفساء طهرتا بعد طلوع الفجر وعلى صبيٍّ بلغ وكافرٍ أسلم بعد الطلوع وعليهم القضاء إلَّا الأخيرين.

فصل فيما يكره للصائم وفيما لا يكره وما يستحب

كره للصائم سبعة أشياء ذوق شيء ومضمضة بلا عذر ومضغ العلك والقبلة والمباشرة إن لم يأمنْ فيهما على نفسه الإنزال أو الجماع في ظاهر الرواية وجمع الريق في الفم ثمَّ ابتلاعه وما ظن أنه يضعفه كالفصد والحجامة وتسعة أشياء لا تكره للصائم القبلة والمباشرة مـع الأمن ودهن الشارب والكحلِ والحجامة والفصد والسِّواك آخر النهارِ بل هو سُنة كأوَّله ولو كان رطباً أو مبلولاً بالماء والمضمضة والاستنشاق لغير وضوء والاغتسال والتلفف بثوب مبتل للتبرُّد على المفتى به ويستحبُّ له ثلاثة أشياء السُّحور وتأخيرُهُ وتعجيل الفطر في غير يوم غيمٍ.

فصل في العوارض لمن خاف زيادة المرض أو بطء البرء

ولحاملٍ ومرضعٍ خافت نقصان العقل أو الهلاك أو المرض على نفسها أو ولدها نسباً كان أو رضاعاً والخوف المعتبر ما كان مستنداً لغلبة الظن بتجربة أو إخبار طبيبٍ مسلم حاذق عدل ولمن حصل له عطشٌ شديدٌ أو جوع يخاف منه الهلاك وللمسافر الفطر وصومه أحب إن لم يضرَّهُ ولم تكن عامَّةُ رُفقَتِهِ مُفطرين ولا مُشتركين في النفقة فإن كانوا مشتركين أو مفطرين فالأفضل فطرُهُ موافقةً للجماعة ولا يجب الإيصاء على من مات قبل زوال عُذره بمرضٍ

وسفرٍ ونحوه كما تقدَّم وقضوا ما قدروا على قضائه بقدر الإقامة والصحة ولا يشترط التَّتابع في القضاء فإن جاء رمضان آخر قدم على القضاء ولا فدية بالتأخير إليه ويجوز الفطر لشيخٍ فانٍ وعجوز فانية وتلزمهما الفدية لكل يوم نصف صاع من برٍّ كمن نذر صوم الأبد فضعف عنه لاشتغاله بالمعيشة يفطر ويُفدي فإن لم يقدر على الفدية لعُسرته يستغفر الله تعالىٰ ويستقيله ولو وجبت عليه به كفارة يمينٍ أو قتلٍ فلم يجد ما يكفِّر به من عتقٍ وهو شيخ فان أو لم يصم حتىٰ صار فانياً فلا يجوز له الفدية لأنَّ الصوم هنا بدلٌ عن غيره ويجوز للمُتَطَوِّع الفطر بلا عذرٍ في روايةٍ والضِّيافة عذرٌ على الأظهر للضيف والمضيف وله البشارة بهذه الفائدة الجليلة وإذا أفطر على أي حال عليه القضاء إلَّا إذا شرع متطوِّعاً في خمسةِ أيامٍ يومي العيد وأيام التشريق فلا يلزمه قضاؤها بإفسادها في ظاهر الرواية والله أعلم.

باب ما يلزم الوفاء به من منذور الصوم والصلاة ونحوهما

إذا نذر شيئاً لزمه الوفاء به إذا اجتمع فيه ثلاثة شروطٍ أن يكون من جنسه واجبٌ وأن يكون مقصوداً وأن يكون ليس واجباً فلا يلزم الوضوء بنذره ولا سجدةُ التِّلاوة ولا عيادة المريض ولا الواجبات بنذرها ويصحُّ بالعتق والاعتكاف والصلاة غير المفروضة والصوم فإن نذر نذراً مطلقاً أو معلَّقاً بشرطٍ ووُجد لزمه الوفاء به وصح نذرُ صوم العيدين وأيام التشريق في المختار ويجب فطرها وقضاؤها وإن صامها أجزأه مع الحرْمةِ وألغينا تعيين الزمان والمكان والدِّرهم والفقير فيجزئه صوم رجبٍ عن نذره صوم شعبان وتُجزئه صلاة ركعتين بمصر نذر أداءهما بمكَّة والتَّصَدُّق بدرهمٍ عن درهمٍ عينه له والصرف لزيد الفقير بنذره لعمرو وإن علق النذر بشرطٍ لا يجزئهُ عنه ما فعله قبل وجودِ شرطه.

الفصل الثاني

فقه الصيام على مذهب
الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة

رضي اللّٰه عنه

ولد سنة (٩٥) وتوفي سنة (١٧٠) هجرية

وهو من كتابين

أولاً: من مختصر خليل للعلاَّمة الشيخ خليل بن إسحاق المالكي.
ثانياً: من كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي تأليف العلامة ابن عبد البرّ النمري القرطبي.

أولاً:
من مختصر خليل

للعلامة الشيخ خليل بن إسحق المالكي
في فقه إمام دار الهجرة
الإمام مالك بن أنس رضي اللَّه عنه

صححه وعلق عليه
الشيخ طاهر أحمد الزواوي
من علماء طرابلس الغرب

باب

يثبت رمضان بكمال شعبان، أو برؤية عدلين، ولو بصحو بمصرٍ، فإن لم ير بعد ثلاثين صحواً كُذِّبا، أو مستفيضةً، وعمَّ إن نقل بهما عنهما، لا بِمُنْفردٍ إلَّا كأهله ومن لا اعتناء لهم بأمره، وعلى عدل أو مرجو رفع رؤيته، والمختار، وغيرهما[1]، وإن أفطروا فالقضاء والكفَّارة، إلَّا بتأويل فتأويلان، لا بمنجم[2] ولا يفطر منفردٌ بشوال ولو أمن الظهور إلَّا بمبيح، وفي تلفيق شاهدٍ أوَّلَهُ ولآخر آخره، ولزومه[3] بحكم المخالف بشاهد تردد، ورؤيته نهاراً للقابلة، وإن ثبت نهاراً أمسك، وإلَّا كفّر إن انتهك، وإن غيِّمت ولم ير فصبيحتُهُ يوم الشَّكِّ، وصيم عادةً وتطوعاً وقضاءً وكفَّارة، ولنذر صادف لا احتياطاً. وندب إمساكه ليتحقَّق، لا لتزكية شاهدين أو زوال عذرٍ مباحٌ له الفطر مع العلم برمضان كمضطرٍّ، فلقادمٍ وطء زوجةٍ طهرت، وكفُّ لسانٍ، وتعجيل فطر وتأخير سحورٍ، وصوم بسفر، وإن علم دُخُوله بعد الفجر، وصوم عرفة إن لم يحجَّ، وعشر ذي الحجة وعاشوراء، وتاسوعاء، والمحرَّم ورجب، وشعبان، وإمساكُ بقيَّة اليومِ لمن أسلم وقضاؤهُ، وتعجيل القضاء وتتابُعُهُ: ككُلِّ صومٍ لم يلزم تتابُعُهُ، وبدءُ بكصومِ تمتُّع إن لم يضق الوقت،

---

(١) أي غير العدل ومرجو قبول الشهادة، وهو الفاسق، فعليه أن يرفع رؤيته للحاكم أيضاً.

(٢) ويحرم تصديق خبره لقول رسول الله ﷺ «من صدق كاهناً أو عرافاً أو منجماً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

(٣) أي وفي لزومه إلخ.

وفديةٌ لهرم، وعطش، وصم ثلاثة من كل شهرٍ، وكره كونها البيض، كستةٍ من شوَّالٍ، وذوق ملح وعلك ثم يمُجُّه، ومداواة حفرِ زمَنه[1] إلَّا لخوف ضررٍ. ونذرُ يومٍ مُكَرَّرٍ ومُقَدِّمَةُ جِمَاعٍ كقبلةٍ، وفكر؛ إن علمت السَّلامةُ، وإلَّا حرمت. وحجامة مريضٍ فقط، وتطوُّعٌ قبل نذرٍ أو قضاء، ومن لا يُمْكنه رُؤيةٌ ولا غيرها ـ كأسيرٍ ـ كَمَّلَ الشُّهُور. وإن الْتَبَسَتْ وظَنَّ شهراً صامه، وإلَّا تخيَّرَ، وأجزأ ما بعدهُ بالعَدَدِ لا قبلَهُ. أو بقي علىَ شكِّه وفي مصادفته تردُّدٌ. وصحته مطلقاً بنيَّةٍ مُبَيَّتةٍ أو مع الفجر. وكفت نيَّةٌ لما يجب تتابُعُهُ لا مسرودٍ ويومٍ معيَّنٍ، ورُويت على الاكتفاء فيهما، لا إن انقطع تتابعه بكمرضٍ، أو سفرٍ، وبنقاء. ووجب إن طهرت قبل الفجر وإن لحظةً، ومع القضاء إن شكَّتْ، وبعقلٍ وإن جُنَّ ولو سنين كثيرة أو أُغمي يوماً أو جُلَّهُ أو أقلَّهُ ولم يسلم أوَّله فالقضاء لا إن سلم ولو نصفه. وبترك جماعٍ، وإخراج مَنِيٍّ، وَمَذيٍ، وَقَيْءٍ، وإيصال مُتحلِّلٍ أو غيره على المختار لمعدَةٍ بحقنةٍ بمائعٍ، أو حلقٍ؛ وإن من أنف، وأذن، وعين، وبخور، وقيء، وبلغم[2] أمكن طرحه مطلقاً، أو غالبٍ من مضمضةٍ أو سواك. وقضى في الفرض مطلقاً، وإن بصبٍّ في حلقه نائماً، كمجامعة نائمة، وكأكله شاكّاً في الفجر، أو طرأ الشَّكُّ، ومن لم ينظر دليله اقتدى بالمستدِل، وإلَّا احتاط؛ إلَّا المعيَّن لمرضٍ، أو حيضٍ أو نسيانٍ. وفي النفلِ بالعمد الحرام ولو بطلاق بت[3]؛ إلَّا لوجهٍ كوالدٍ، وشيخ وإن لم يحلفا، وكفَّر إن تعمَّد بلا تأويلٍ قريبٍ، وجَهْلٍ في رمضان فقط: جماعاً[4]، أو رفع نيَّةٍ نهاراً أو أكلاً أو شرباً بفم فقط وإن باستياك بجوزاء، أو منيّاً وإن بإدامَةِ فكرٍ، إلَّا أن يُخالِفَ عادَتَهُ على المختار، وإن أَمْنَى بتعمُّد نظرةٍ، فتأويلان: بإطعام ستِّين مسكيناً لكلٍّ مُدٌّ، وهو الأفضل، أو صيام شهرين، أو عتق رقبةٍ كالظِّهارِ، وعن أمةٍ وطِئها، أو زوجةٍ أكرهها نيابة، فلا يصوم ولا

---

(١) الحفر ـ بفتح الحاء والفاء ـ فساد أصول الأسنان، وتكره مداواته نهاراً إن لم يخف ضرراً.

(٢) المعتمد في البلغم أنه لا يفطر ولو بلعه بعد أن وصل إلى طرف اللسان.

(٣) لو حلف رجل على آخر بطلاق البتّ أن يفطر في الصوم النفل فأفطر وجب عليه القضاء.

(٤) جماعاً وما عطف عليه مفاعيل تعمد، في قوله: وكفّر إن تعمّد.

يعتق عن أمته، وإن أعسر كفَّرت ورجعت ـ إن لم تصم ـ بالأقل من الرَّقبة. وكيل الطَّعام، وفي تكفيره عنها إن أكرهها على القبلة حتَّى أنزلا تأويلان. وفي تكفير مكره رجلٍ ليجامع قولان، لا إن أفطر ناسياً، أو لم يغتسل إلاَّ بعد الفجر، أو تسحَّر قربه، أو قدم ليلاً، أو سافر دون القصر، أو رأى شوَّالاً نهاراً فظنُّوا الإباحة؛ بخلاف بعيد التَّأويل، كرَاءٍ ولم يقبل، أو أفطر لحُمَّى ثمَّ حمَّ، أو لحيض ثم حصل، أو حجامة، أو غيبة. ولزم معها القضاء إن كانت له. والقضاء في التَّطوع بموجبها. ولا قضاء في غالب قَيْء أو ذباب أو غبار طريق، أو دقيق، أو كيل، أو جبس لصانعه، وحُقْنةٍ من إحليل، أو دهن جائفة، ومَنِيٍّ مستنكح، أو مذي، ونزع مأكول أو مشروب أو فرج طلوعَ[1] الفجر. وجاز سواكٌ كل النهار، ومضمضةٌ لعطش، وإصباحٌ بجنابة، وصوم دهر[2] وجُمُعَةٍ فقط[3] وفطرٌ بسفر قصرٍ شرع فيه قبل الفجر ولم ينوه فيه، وإلاَّ قضى ولو تطوُّعاً، ولا كفَّارة؛ إلاَّ أن ينويه بسفرٍ كفطره بعد دخوله، وبمرض خاف زيادته، أو تماديه. ووجب إن خاف هلاكاً، أو شديد أذى: كحامل، ومرضع لم يمكنها استئجارٌ أو غيرُهُ خافتا على ولديهما، والأُجرَةُ في مال الولد، ثمَّ هل في مال الأب، أو مالها؟ تأويلان. والقضاء بالعدد، بزمنٍ أبيح صومُهُ غير رمضان وإتمامه إن ذكر قضاءه، وفي وجوب قضاء القضاء

(١) أي وقت طلوع الفجر.

(٢) قوله: وصوم دهر، أي وجاز صوم دهر. وهذا لا يتفق مع قول رسول اللَّه ﷺ «لا صام من صام الأبد مرتين» رواه البخاري. قال الحافظ في الفتح: وإلى الكراهة مطلقاً ذهب ابن العربي من المالكية فقال: قوله لا صام من صام الأبد إن كان معناه الدعاء فيا ويح من أصابه دعاء النبي ﷺ، وإن كان معناه الخبر فيا ويح من أخبر عنه النبي ﷺ أنه لم يصم.

(٣) قوله: وجمعة فقط، أي وجاز إفراد يوم الجمعة بالصيام، وهذا أيضاً لا يتفق مع قول رسول اللَّه ﷺ «لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو بعده» أخرجه مسلم. إلَّا أن يوافق ذلك عادة له كأن كان يصوم يوماً ويفطر يوماً لقوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام «لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم» أخرجه مسلم. قال النووي قال الداودي من أصحاب مالك: لم يبلغ مالكاً هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه.

خلافٌ، وأُدِّب المفطر عمداً إلَّا أن يأتِيَ تائباً، وإطعام مُدٍّهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلاَمُ لمفرِّطٍ في قضاء رمضان لمثْلِهِ عن كُلٍّ يومٍ لمسكينٍ، ولا يُعْتَدُّ بالزائد إن أمكن قضاؤه بشعبان؛ لا إن اتصل مرضه مع القضاء أو بعده، ومنذوره، والأكثر إن احتمله بلفظه بلا نيَّةٍ، كشهرٍ، فثلاثين، إن لم يبدأ بالهلال، وابتداء سنة، وقضى ما لا يصح صومه في سنة؛ إلَّا أن يُسمّيها، أو يقول هذه وينوي باقيها فهو، ولا يلزم القضاء بخلاف فطره لسفر. وصبيحةُ القدوم في يوم قُدُوْمِهِ؛ إن قدم ليلةً غير عيدٍ، وإلَّا فلا، وصيام جمعـةٍ إن نَسِيَ اليوم على المختار ورابع النَّحر لناذره، وإن تعييناً لا سابقَيه؛ إلَّا لُمتمتّعٍ، لا تتابع سنة أو شهر أو أيام وإن نوى برمضان في سفره غيره، أو قضاء الخارج أو نواه، ونذراً لم يجز عن واحدٍ منهما، وليس لمرأةٍ يحتاج لها زوجٌ تطوُّعٌ بلا إذنٍ.

ثانياً:
من كتاب الكافي

تأليف

شيخ الإسلام العلاَّمة

أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمَّد بن عبد البر النمري القرطبي

في فقه إمام دار الهجرة

الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الصيام

باب على من يجب الصيام، وذكر حد البلوغ الذي يوجب الفرائض والحدود

يجب الصيام على كل محتلم، أو حائض من النساء الأحرار والعبيد المسلمين إذا كانوا غير مغلوب على عقولهم بإطباق الجنون والعته، والتوسوس، وكان مالك يجعل إطباق الجنون، كالإغماء والحيض، فقال: من أغمي عليه في شهر رمضان أو جن فيه ثم أفاق قضى الصوم، ولم يقض الصلاة، وهذا عندي، والله أعلم، في المجنون الذي يجن ثم يفيق ويعتريه ذلك حيناً بعد حين، فهذا الذي يشبه أن يكون كالمغمى عليه، إلاَّ أن ابن القاسم روى عن مالك في من بلغ وهو مجنون مطبق فمكث سنين، ثم أفاق: أنه يقضي صيام تلك السنين، ولا يقضي الصلاة كالحائض سواء، وقال ابن حبيب إنما ذلك فيما قل من السنين مثل الخمس ونحوها، وأما ما طال عدده من السنين مثل العشر والخمس عشرة، فإنَّ ذلك لا قضاء عليه، هكذا فسره ابن حبيب وهو غير معروف عن مالك، ولا له في النظر حظ أيضاً لأن مثل هذا من التحديد لا يثبت إلاَّ بتوقيف، والمحفوظ عن مالك فيمن بلغ مجنوناً أو صحيحاً، ثم جن بعد بلوغه وأتى عليه رمضان في حال جنونه ثم صح وبرىء أن القضاء لازم له في صومه خاصة.

وقال عبد الملك بن عبد العزيز: إن بلغ مجنوناً فلا قضاء عليه وإن بلغ صحيحاً ثم جن فأتى عليه رمضان في جنونه، ثم أفاق فعليه القضاء، وقال أبو عمر: والذي أقول به إن القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يحتلم كما ثبت عن النبي ﷺ، ولا صيام على واحد منهما إذا كان في رمضان في تلك الحال حتى يفيق المجنون ويحتلم الصبي، وعلى هذا أكثر الرواة، ولا يجب الصيام، ولا الصلاة ولا سائر فروض الأبدان على من لم يكن بالغاً.

وحد البلوغ عند مالك رحمه اللَّه في الرجال الاحتلام، أو الإنبات أو يأتي عليه من الزمان ما يعلم أنه لا يبلغه إلَّا محتلماً، وحد البلوغ في النساء الحيض أو الاحتلام أيضاً، أو الإنبات أو الحمل، أو يأتي عليها من الزمان ما يعلم به أنها قد بلغت في الأغلب.

وقد روي عن مالك: أن الحدود لا تقام إلَّا بالإنبات، ما لم يحتلم الرجل أو تحيض المرأة، أو يبلغ أحدهما من السن ما يعلم أن مثله لا يبلغه حتى يحتلم فيكون عليه حينئذ الحد، إذا أتى ما يجب فيه الحد، وقال أصبغ بن الفرج أخبرني ابن القاسم، قال: سمعت مالكاً يقول: العمل عندنا على حديث عمر بن الخطاب: (لو جرت عليه المواسي لحددته) قال أصبغ: قال لي ابن القاسم: وأحب إليَّ أن لا يقام عليه الحد إلَّا باجتماع الإنبات والبلوغ، قال أصبغ والذي نقول به إن حد البلوغ الذي تلزم به الفرائض، خمس عشرة سنة وذلك أحب ما فيه إليَّ وأحسنه عندي لأنه يسهم فيه في الجهاد لمن حضر القتال، واحتجَّ بحديث ابن عمر، إذ عرض عليه يوم الخندق، وكان ابن خمس عشرة سنة فأجيز، ولم يجز يوم أحد، لأنه كان ابن أربع عشرة سنة[1].

قال أبو عمر رحمه اللَّه: هذا فيمن عرف مولده، وأما من جهل مولده،

---

(١) حديث ابن عمر: متفق عليه بين الشيخين. اهـ من بلوغ المرام ص ١٧٨ ط سلفية.

وعدم منه الاحتلام أو جحده فالعمل فيه على ما روى نافع عن أسلم عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه أنه كتب إلى أمراء الأجناد: أن لا يضربوا الجزية إلَّا على من جرت عليه المواسي.

وقال عثمان في غلام سرق: «انظروا فإن كان قد اخضر مئزره فاقطعوه» وقال عطية القرظي: عرض رسول اللَّه ﷺ بني قريظة، فكل من أنبت منهم قتله بحكم سعد بن معاذ، ومن لم ينبت منهم استحياه، فكنت فيمن لم ينبت فتركني، وكان سعد بن معاذ قد حكم فيهم أن يقتل مقاتلهم، وتسبى ذراريهم، فقال له رسول اللَّه ﷺ «لقد حكمت فيهم بحكم اللَّه»(١) وقد اختلف في السن التي من بلغها غير محتلم، ولم ينبت حكم له بحكم الاحتلام فقيل سبع عشرة سنة، وقيل ثماني عشرة سنة وقيل ما هو أكثر من ذلك مما يكثر، وقيل: خمس عشر سنة، وممن قال بهذا عبداللَّه بن وهب وعبد الملك بن الماجشون من أصحاب مالك، وهو قول عمر بن عبد العزيز، والأوزاعي والشافعي، وجماعة من أهل المدينة وغيرهم، ولم يفرق هؤلاء بين الحدود، ووجوب الفرائض، ويستحب أهل العلم، أن يؤمر الغلام، والجارية بالصيام إذا أطاقاه، ويؤمر بالصلاة ابن سبع سنين ويضرب عليها ابن عشر. ومن أسلم، أو بلغ أو ثاب إليه عقله في بعض رمضان صام ما بقي منه دون ما مضى، فإن كان ذلك في بعض النهار، لم يقض ذلك اليوم إلَّا في الاختيار.

* * *

باب ما يوجب الصيام وحكم النية فيه

لا يجب صيام شهر رمضان إلَّا باستكمال شعبان ثلاثين يوماً، إن لم ير الهلال قبل ذلك، فإن رئي الهلال وجب الصيام، ولا يقبل في رؤية الهلال لرمضان إلَّا من يقبل في هلال شوال، وذلك: رجلان عدلان، فأكثر ولا يقبل

---

(١) حديث عطية القرظي، رواه الأربعة، وصححه ابن حبان والحاكم وقال على شرط الشيخين وحديث سعد بن معاذ ذكره ابن القيم في عرضه للقصة بطولها في زاد المعاد جـ ٢/٧٣.

في ذلك شهادة النساء، ولا العبيد، فإن كانت السماء مغيمة فلا خلاف عند مالك وأصحابه، أنه يقبل في رؤية الهلال رجلان عدلان، في مصر جامع كان ذلك أو غير مصر، وإن كانت السماء صاحية، لا حائل دون منظر الهلال، فيها، فزعم رجلان عدلان أنَّهما رأياه بمصر جامع، فقد قيل: يحكم بشهادتهما على الناس بالصيام كما يحكم بمثل تلك الشهادة في سائر الأحكام، وقد قيل إن انفرادهما في الصحو، دون الناس بما زعماه موضع ظنة، ولا تقبل شهادة ظنين.

ومن قال هذا من أصحاب مالك وغيرهم يقول: إنه لا يقبل في الصحو إلَّا الجم الغفير والعدد الكثير، وإنما يقبل الرجلان في علة الغيم وشبهه، والأول تحصيل مذهب مالك، وهو المشهور عنه، وعليه العمل. وإذا رأى الهلال في مدينة أو بلد، رؤية ظاهرة، أو ثبتت رؤيته بشهادة قاطعة، ثم نقل ذلك عنهم إلى غيرهم بشهادة شاهدين، لزمهم الصوم ولم يجز لهم الفطر، وقال عبد الملك مثل ذلك في الرؤية الظاهرة، وقال في الشهادة: لا يلزم ذلك إلَّا أهل البلد الذين ثبتت عندهم الشهادة بحكم حاكمهم بذلك عليهم، إلَّا أن تكون الشهادة ثبتت عند الإمام الأعظم فيلزم الناس كلهم الصيام، هذا تحصيل المذهب عند المالكيين البغداديين وقد قيل: لكل بلد رؤية أهله، لا يكلفون غير ذلك وقد قيل فيما نأى وبعد عن البلدان إذا ثبتت الشهادة نهاراً، لزم الناس الكف عن الأكل وقضوا يوماً، وإن كان ذلك لهلال شوال، وجب الفطر، وصلاة العيدين قبل الزوال، والهلال يرى قبل الزوال أو بعده سواء هو لليلة القابلة، ولذلك لا يفطر من رأى هلال شوال نهاراً، ويجب فيمن رأى هلال رمضان نهاراً.

ومن رأى هلال رمضان وحده صام، وإن أفطر لزمه القضاء والكفارة إذا كان فطره متعمداً، ومن رأى هلال شوال وحده أفطر سراً خوفاً من التهمة وذريعة لأهل البدع ولا يجوز صوم شهر رمضان إلَّا بأن يبيت له الصوم ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر بنية وكذلك كل صوم واجب، وغير واجب،

لـ «إنما الأعمال بالنيّات» فالفرض والتطوع لا يصح صومه إلَّا بنيّة، مقدمة قبل طلوع الفجر، ولم يستحب مالك إلزام التبييت في كل ليلة من رمضان، وقال: يجزئه التبييت في أول ليلة منه لأن النية تنعقد على صومه من أول يوم من أيامه، إلَّا أن المسافر، والحائض والمريض، إذا أفطر أحدهم بعلة سفر، أو مرض أو حيض ثم أراد الصيام لم تجزه نيته التي كان قد عقدها لصوم رمضان، في أوله، ويلزمه أن يجرد النية لما بقي منه، وكل صوم متصل مثل صيام الظهار، أو كفارة القتل، أو صيام كفارة الفطر عمداً في رمضان، أو صيام شهر أو أيام متتابعة في نذر، فتجزئه النية في أول ذلك كله دون تجديد نية لكل ليلة منه عند مالك.

وكذلك من كانت عادته صوم يوم الاثنين، والخميس، ونحو ذلك وجملة مذهبه أن ما لم يكن معيناً وجوبه من الصيام لم يصح إلَّا بنية من الليل، وما كان وجوبه في وقت بعينه وكان يعمله قبل وقته، أو بدخول وقته صام، واستغنى عن التبييت.

والتبييت عندنا في الفريضة والنافلة سواء، على حسب ما قدمنا من أصل المذهب، ومن أصحاب مالك وأهل المدينة من يرى التبييت واجباً في كل ليلة من كل سفر، واجب في السفر، والحضر، وقد روي ذلك أيضاً عن مالك، وقول مالك في المغمى عليه يقضي بصحة هذه الرواية عنه، والأول تحصيل مذهبه. ومن نوى بصوم رمضان التطوع لم يجزه، مسافراً كان أو حاضراً، وكذلك لو نواه عن صيام شهر عليه نذراً لم يجزه عن رمضان، ولا عن نذره، ولا يصام في رمضان غيره، ومن كان عليه قضاء رمضان، فلم يقضه، حتى دخل رمضان آخر فصام هذا عن ذلك، ففيها لمالك ثلاثة أقوال، أحدها، أنه يجزئه عن هذا وعليه قضاء ذلك، والآخر أنه عن ذلك، وعليه قضاء هذا، والثالث أنه لا يجزئه عن واحد منهما، وعليه على كل حال أن يطعم عن الأول إن كان مفرطاً، وقد قيل: إنه يكفر بإطعام ستين مسكيناً

لأنه كالمفطر عامداً، قال ذلك بعض أصحاب مالك وهو قول لا وجه له ولا سلف لقائله.

وأما الأسير الذي تلتبس عليه الشهور، فإذا انكشف له أنَّه صام رمضان بقصد منه إليه، إن صادفه أجزأه وإن صام بعده أو صام قبله لم يجزه فإن كان ذلك سنين لم يجزه صوم السنة الأولى، وإن كان شعبان في الثانية، قضى عن الأول، وهكذا في كل سنة أجزأه صومه وقضى يوم الفطر من كل شهر، ولو صام الأسير غيره قاصداً إلى شهر رمضان بنيته، واجتهاده، لم يجزه.

* * *

باب صوم المسافر، والمريض ومن له عذر بإغماء أو غيره

ليس للمسافر أن يفطر إلَّا في سفر يقصر في مثله الصلاة، وقد تقدم ذكر المسافة في كتاب الصلاة، وكذلك إن نوى الإقامة وهو مسافر أربعة أيام فصاعداً صام، والمسافر مخير في الصوم أو الفطر فإن صام في السفر أجزأه، والصوم عندنا أفضل فيه من الفطر لمن قدر عليه، ولا يجوز أن يصوم متطوعاً في سفره، ويترك الفرض في رمضان. ولا يفطر المسافر حتى ينهض مسافراً، ولا يجوز لأحد أن يبيت الفطر وهو حاضر لسفره في غده، ومن اختار الصوم في رمضان في سفره لزمه التبييت كل ليلة، ومن أصبح صائماً ثم خرج مسافراً فلا يفطر، فإن أفطر، وذلك في رمضان، فعليه القضاء، لا غير، وقد قيل: والكفارة، وليس ذلك بالقوي في أثر ولا نظر، والذي عليه جمهور العلماء أن لا كفارة عليه، وإنما عليه القضاء لا غير، وإن كان متطوعاً فلا شيء عليه، وإن أفطر قبل أن يخرج لعزمه على سفره، فعليه القضاء، والكفارة، وقد قال عبد الملك بن الماجشون: لا كفارة في هذه أيضاً، وذكر أن أنساً فعله، وأن الحسن أفتى به، ومن بيت الصيام في سفره فأصبح صائماً فليس له أن يفطر، وإن أفطر فعليه القضاء لا غير، رواه ابن أبي أويس عن مالك، وقد قيل: عليه القضاء، والكفارة، رواه ابن القاسم، والأول أصح

عندي وبه أقول لأن الأصل في المسافر الإباحة والتخيير وهو على أصله، وهو متأول في فطره، وقال المغيرة وعبد الملك إن أفطر لجماع فعليه الكفارة، وإن أفطر بأكل أو شرب فليس عليه كفارة. ولا يفطر المريض حتى تصيبه مشقة غير محتملة، وليس لذلك حد، والله أعلم. ويعذر بالعذر، ولو تحامل المريض فصام في الحال التي له أن يفطر فيها أجزأه.

ومن وجب عليه صوم أيام من رمضان لمرض أو سفر ففرط فيها حتى دخل عليه رمضان آخر، وهو قادر على صيامها، فإنه إذا أفطر من رمضان صام تلك الأيام وأطعم مع ذلك كل يوم مداً لكل مسكين بمد النبي ﷺ، ولو مات قبل أن يقضي تلك الأيام أحببت للورثة أن يطعموا عنه لذلك إذا فرط أن يوصي وليس ذلك عليهم بواجب وعليه واجب أن يوصي بذلك، ولو كان معذوراً بمرض أو سفر حتى دخل رمضان آخر لم يكن عليه شيء.

ولا يصوم في نذر، ولا في غيره، وسواء كان الميت وليه أو لم يكن.

وقضاء رمضان متتابعاً أحب إلينا، وإن فرقه أجزأه.

والاحتلام لا يفسد الصوم، والحيض يفسده، وإن حاضت المرأة في بعض النهار بطل صومها، ولزمها قضاء يومها، ومن أصبح جنباً في رمضان، أو أصبحت وقد طهرت من الليل من حيضتها فنوى كل واحد منهما الصوم قبل أن يغتسل لم يضر ذلك صومهما عند مالك، وابن القاسم، وقال عبد الملك: إذا طهرت الحائض قبل الفجر فأخرت غسلها حتى طلع الفجر، فيومها يوم فطر لأنها في بعضه غير طاهر وليست كالذي يصبح جنباً فيصوم، لأن الاحتلام لا ينقض الصوم، والحيضة تنقضه، هكذا ذكره أبو الفرج في كتابه عن عبد الملك، ثم قال: وقال محمد بن مسلمة إذا فرطت في الغسل حتى طلع الفجر صامت ذلك اليوم وذكر ابن الجلاب عن عبد الملك أنها إن طهرت قبل الفجر في وقت يمكنها فيه الغسل، ففرطت ولم تغتسل حتى أصبحت لم يضرها كالجنب وإن كان الوقت ضيقاً لا تدرك فيه الغسل لم

يجزها صومها، وقال محمد بن مسلمة في هذه تصوم وتقضي. هكذا ذكر ابن الجلاب عنهما، والصحيح في هذه المسألة ما قاله مالك، وابن القاسم وعليه أكثر أصحاب مالك، وهو قول جمهور العلماء. قال مالك إذا طهرت امرأة ليلاً في رمضان، فلم تدر أكان ذلك قبل الفجر أو بعده صامت وقضت ذلك اليوم. ولا تترك المستحاضة الصوم إلَّا في الأيام التي لها أن تترك فيها الصلاة، والحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، وليس على المسافر المفطر في سفره إذا قدم بلده في بعض النهار أن يكف عن الطعام، وكذلك الحائض تطهر في يوم من رمضان، بعد الفجر، ولو قدم مسافر في رمضان، فوجد امرأته قد طهرت كان له وطؤها إن شاء، ومن عجز عن الصيام بكبر أفطر، وأطعم عن كل يوم مد قمح، إن كان قوته، وإلَّا فمِن قوته ما كان بمد النبي ﷺ، وذلك عند مالك استحباب وعند غيره إيجاب، والحامل كالمريض تفطر، وتقضي، ولو أطعمت مع ذلك كان أحسن، وذلك إذا خشيت على نفسها، أو على ما في بطنها، ولم تطق الصوم، وأما المرضع إذا خافت على ولدها فإنها تفطر، وتقضي الأيام التي أفطرتها، وتطعم عن كل يوم مدّاً لمسكين مع القضاء، وهو أعدل الأقاويل في ذلك إن شاء اللَّه. ومن أغمي عليه نهاره كله أو أكثره في رمضان، لم يجزه عند مالك صومه، وسواء كان قبل الفجر أو بعد الفجر.

ومن أغمي عليه يسيراً من يومه أجزأه صوم ذلك اليوم، وسواء أيضاً كان الإغماء اليسير قبل الفجر أو بعده، وقد قيل: إن إغماءه إن كان قبل الفجر، ولم يفق حتى طلع الفجر لم يجزه يسيراً كان أو كثيراً، وقد قيل: إن الإغماء بعد الفجر لمن بيت الصوم لا يضره يسيراً كان أو كثيراً، وهذا أولى بالصواب إن شاء اللَّه، وكل ذلك قول مالك وأصحابه إلَّا عبد الملك، فإنه شرط في الإغماء أنه إن اتصل بمرض قبله أو بعده، وإلَّا فهو كالنائم واللَّه أعلم. اهـ.

* * *

باب ما يحرم على الصائم، ويفسد صومه، وما لا يفسده

معنى الصيام في الشريعة الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وذلك فرضه. وسنته: أن يجتنب الصائم قول الزور، والغيبة، والخنا، وما لا يصلح من القول والعمل. ومن أكل أو شرب أو جامع ناسياً، أو مجتهداً متأولاً في نهار رمضان، فليس عليه إلاَّ القضاء وكذلك كل صوم واجب، وإن كان متطوعاً فلا شيء عليه، وقد قيل: إن جامع ناسياً في شهر رمضان فعليه الكفارة مع القضاء، قاله عبد الملك ورواه عن مالك، والأول تحصيل مذهبه.

والاحتلام من الرجال والنساء لا يفسد الصيام، والحيض إذا طرأ على الصوم أفسده، ولا يصح الصوم معه، وتقضيه الحائض بعد طهرها، ومن أكل أو شرب أو جامع عامداً ذاكراً لصومه، فإن كان صومه تطوعاً، فعليه القضاء، وكذلك كل صوم واجب غير رمضان لا كفارة على المفطر فيه عامداً، وإنما فيه الإثم والمعصية. وإن كان ذلك في رمضان فعليه الكفارة مع القضاء، والكفارة في ذلك عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً، أيّ هذه الثلاثة فعل أجزأه واستحب مالك الإطعام في ذلك.

والإطعام ستون مداً لستين مسكيناً بمد النبي عليه الصلاة والسلام وهذا أقل ما يجزئه من الإطعام ، وإن أطعم مداً ونصفاً، أو مدين لكل مسكين فحسن، ولا يزيد على مدين بمد النبي ﷺ، ولا يجزئه أن يطعم أقل من ستين مسكيناً طعام الستين مسكيناً، ولا يجزئه أن يكرر الأيام على مسكين واحد ستين يوماً، ولا يجزئه أن يطعم أقل من ستين مسكيناً، وجائز أن يطعم أولئك المساكين بأعيانهم في كفارة أخرى عن يوم آخر قريب أو بعيد، وسواء جامع في الفرج أو دون الفرج إذا أنزل، وكذلك إذا قبل عامداً أو لمس عامداً فأنزل، والتقاء الختانين يوجب الكفارة، ويفسد الصوم أنزل أو لم ينزل، وكذلك إذا غابت الحشفة في فرج آدمي أو بهيمة من قبل أو دبر عامداً في رمضان، فعليه القضاء مع الكفارة، وإن جامع امرأته وهي طائعة كان عليها الكفارة أيضاً عن نفسها مع القضاء، ولا تجزئهما كفارة واحدة عند مالك

وأصحابه وإن أكرهها على ذلك لزمه الكفارة عنها، كفارة تامة سوى كفارته عن نفسه، هذا تحصيل مذهب مالك وعليه أكثر أصحابه، وقال سحنون: لاكفارة عليه عنها، لأنها لا كفارة عليها وقد سقطت عنها بإكراهها وعليه مع ذلك القضاء، والعبد والأمة لا يكفران إلَّا بالصوم، قال مالك: ولو ملكا شيئاً فأطعما منه رجوت أن يجزئهما، ولا فرق عند مالك وأصحابه بين المفطر عامداً بأكل أو شرب، أو جماع في وجوب الكفارة التي ذكرنا مع القضاء.

واختلف قوله وقول أصحابه فيمن رفع نية الصوم في بعض النهار متعمداً، أو نوى الفطر إلَّا أنه لم يأكل ولم يشرب، فقيل عليه القضاء والكفارة، وقيل عليه قضاء دون كفارة، وقيل لا قضاء ولا كفارة حتى يفعل شيئاً من الأكل والشرب وإن قل عامداً ذاكراً لصومه وهذه أصحها، وقال سحنون: إنما يكفر من بيت الفطر، فأما من نواه في نهاره فلا يضره، وإنما يقضي استحباباً، وكل من لزمته الكفارة فالقضاء عليه واجب، لا تسقطه عنه الكفارة، وسواء كانت عتقاً أو إطعاماً أو صيام شهرين، وإن أفطر في يومين أو أيام عامداً فعليه لكل يوم كفارة سواء كفر قبل الوطء الثاني أم لا.

ومن أفطر في رمضان ناسياً ثم أكل في يومه ذلك، أو جامع متعمداً، فإن كان متأولاً فيقضي ولا كفارة، وإن كان قاصداً لهتك حرمة صومه جرأة وتهاوناً، فعليه الكفارة مع القضاء، وقد كان يجب على أصل مالك: أن لا يكفر، لأن من أكل ناسياً فهو عنده مفطر يقضي يومه ذلك، فأي حرمة هتك، وهو مفطر، وعند غير مالك: ليس بمفطر كل من أكل ناسياً لصومه، وقال عبد الملك: من أكل ناسياً أو شرب، ثم أكل متعمداً في يومه ذلك فلا كفارة عليه فإن جامع عامداً في يومه ذلك كفر، ففرق بين الأكل ها هنا والجماع، وهو خلاف أصل مالك، وخروج إلى قول الشافعي.

ومن أفطر يوماً من قضاء رمضان ناسياً لم يكن عليه شيء غير قضائه ويستحب أن يتمادى فيه للاختلاف، ثم يقضيه، ولو أفطره عامداً أثم ولم يكن عليه غير قضاء ذلك اليوم ولا يتمادى، لأنه لا معنى لكفه كما يكف عنه

الصائم ها هنا، إذ هو غير صائم عند جماعة العلماء لإفطاره عامداً، وأما الكفارة فلا خلاف عن مالك وأصحابه أنها لا تجب في ذلك وهو قول جمهور العلماء، قال مالك: ليس على من أفطر يوماً من قضاء رمضان بإصابة أهله أو غير ذلك كفارة، وإنما عليه قضاء ذلك اليوم، هذا معنى قوله في موطَّئه، وكذلك روى ابن القاسم عنه في كتاب الظهار من المدونة، وروى عنه في غير ذلك الموضع من كتبه أن من أفطر في قضاء رمضان فعليه يومان، وكان ابن القاسم يفتي به، ثم رجع عنه، وروى يحيى بن يحيى عن ابن القاسم ما يدل على أن من كان عليه يوم من رمضان قد كان أفطره عمداً ثم أفطره في قضائه عمداً أن عليه يومين كالحج، ولو كان فطره بعذر أو إباحة لم يكن عليه إن أفطره في قضائه عمداً إلَّا يوم واحد، وذلك أنه قال ابن القاسم: إذا صام الرجل يوماً متطوعاً، ثم أفطر من غير عذر، كان عليه قضاؤه ثم إن أفطر أيضاً كان عليه قضاء يومين.

قال: فأما الذي يفطر عمداً في رمضان من مرض أو سفر ثم يقضي صيامه فيفطر يوماً من أيام القضاء عمداً فإنما عليه أن يقضي يوماً مكانه ثم إن أفطر عمداً في قضاء كان عليه مكانه صيام يومين كمن أفسد حجه بإصابة أهله، وحج قابلاً فأفسد حجه أيضاً بإصابة أهله كان عليه حجتان، قال أبو عمر: وقد خالفه في الحج ابن وهب وعبد الملك، وليس يصح القياس على أصل مختلف فيه.

والصواب عندي، والله أعلم أنه ليس عليه في الوجهين إلَّا قضاء يوم لأنه يوم واحد أفسده مرتين فإذا لم يخلص لصاحبه ما أراد من قضائه، كان عليه أن يأتي به يوماً سالماً حتى يصح له قضاؤه.

وكل ما وصل إلى الجوف من وجور، أو سعوط، أو حقنة، أفطره وعليه في ذلك كله القضاء لا غير، وقد قيل: القضاء في الحقنة استحباب لا إيجاب، وهو عندنا الصواب، لأن الفطر مما دخل من الفم ووصل إلى الحلق، والجوف. ومن استقاء عامداً فعليه القضاء لا غير، ومن ذرعه القيء

فلا شيء عليه إذا لم يزدرد شيئاً من ذلك إلى جوفه. ومن ابتلع حصاة أو نواة عامداً، فعليه القضاء لا غير، وقال المتأخرون من المالكيين: إن القضاء في مزدرد الحصاة عامداً، وفي المستقيء عامداً استحباب، لأن الحصاة والقيء ليسا بطعام، والصيام إنما هو المنع من الطعام والشراب والجماع، وقال بعضهم عليه القضاء والكفارة لأنه مفطر عامداً، والذي مضى عليه السلف وجمهور العلماء والخلفاء فيمن قاء عامداً أنه قد أفطر عامداً وعليه القضاء.

وروي أن النبي عليه الصلاة والسلام قاء، فأفطر(١) وقال ابن عمر: ومن استقاء وهو صائم فعليه القضاء، ومن ذرعه القيء فلا شيء عليه، وروي مثل ذلك من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ.

ومن كانت عادته أن يصل الكحل إلى حلقه فلا يكتحل، وتكره القبلة للصائم من أجل ما يخاف عليه من التطرف إلى الجماع، والإنزال، فإن قبَّل وسلم فلا شيء عليه، ومن قبَّل وأمذى فعليه القضاء، والقضاء أيضاً ها هنا استحباب، ومن وجب عليه صيام شهرين متتابعين لكفارة فطر رمضان أو كفارة ظهار أو قتلٍ، فأفطر فيها يوماً استأنف الصيام من أوله إلَّا أن تكون امرأة فتحيض، أو تنفس فإن لها أن تبني إذا وصلت ذلك بطهرها، وكذلك المريض إذا وصل الصيام أول استطاعته عليه فإن لم يفعل استأنف، وكذلك من أفطر ناسياً.

* * *

(١) حديث أنَّ النبي ﷺ قاء فأفطر، قال الشوكاني: قال معدان ابن أبي طلحة الراوي له عن أبي الدرداء، فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فقلت له: إن أبا الدرداء أخبرني فذكره، فقال: صدق أنا صببت عليه وضوءه، قال ابن منده إسناد صحيح متصل، قال الترمذي: جوده حسين المعلم وهو أصح شيء في هذا الباب، وكذلك قال أحمد، قال البيهقي: هذا حديث مختلف في إسناده فإن صح فهو محمول على القيء عامداً، وكأنه كان عليه السلام صائماً متطوعاً.

باب ما لا يجوز صومه من الأيام

لا يجوز صوم يوم الفطر، ولا يوم الأضحى لأحد من الناس وكذلك أيام التشريق إلاَّ أن المتمتع إذا لم يجد هدياً وجب عليه صوم ثلاثة أيام في الحج، ولم يصمها قبل يوم النحر رخص له مالك وأصحابه في صيام أيام التشريق، وقد قيل: لا يجوز صومها لأحد، كالفطر والأضحى سواء لنهي رسول اللّه ﷺ عن صيامها[1].

والأول قول مالك، وهو الأولى لأنها من أيام الحج، وقد قال اللّه عزَّ وجلّ: ﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾[2]، وقد روي ذلك عن ابن عمر، وعائشة، وهو قول ابن شهاب، وعروة، ولا يتطوع أحد بصيام أيام منى وهي أيام التشريق، وذكر يوسف بن عمر قولين فيمن أفطر في النذر ناسياً، هل يجب عليه الإمساك أو يجوز له أكله، فيصومه عند مالك من نذره، أو نذر صيام ذي الحجة، ومن كان عليه صيام متتابع فمرض ثم صح، وقوي على الصيام في ذلك اليوم، فإنه يصومه ويبني به على صيامه الذي صامه في الظهار، أو القتل ولا يقضي فيه رمضان، ولا يجوز لأحد صوم يوم الشك خوفاً من أن يكون من رمضان فإن تيقن أنه من شعبان جاز صيامه، تطوعاً، فأما مع الشك فلا.

* * *

(١) حديث النهي عن صيام أيام التشريق رواه مسلم عن نبيشة الهذلي، أن النبي قال: أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر اللّه عز وجل. وروى البخاري عن عائشة وابن عمر رضي اللّه عنهما، أنهما قالا: لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي. ا هـ من بلوغ المرام /١٤٢ ط سلفية. وفي منتقى الأخبار لابن تيمية عن كعب بن مالك أن النبي عليه الصلاة والسلام بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق فناديا: «إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن وأيام منى أيام أكل وشرب» رواه أحمد ومسلم.

(٢) هو جزء الآية رقم ١٩٦ من سورة البقرة.

باب جامع النذر

من نذر صوم سنة بعينها لم يصم يوم الفطر ولا أيام النحر الثلاثة ولا قضاء عليه في ذلك كما لا يكون عليه قضاء رمضان وقد قيل إنه إن لم ينو أن لا قضاء عليه قضاها، والأول هو الصحيح وبه أقول، وقيل إنه إن نوى أن يقضيها قضاها وإلاَّ فلا وهذا أيضاً ليس بشيء لأنه لو تعمدها بالنذر ما لزمه شيء لأن صومها معصية ولا نذر في معصية وهو إذا نوى قضاءها فقد نذر صومها وهو أشبه عندي من قول من قال إذا نوى قضاءها فكأنه نذر أياماً عددها. ومن نذر صوم شهر بعينه غير رمضان ولم يصمه كان عليه قضاؤه ولا كفارة عليه غير ذلك فإن مرضه لم يقضه. وقد روى المدنيون عن مالك أن الفطر في النذر كالفطر في التطوع سواء ومن نذر صيام سنة بغير عينها ولم ينوها متصلة صام اثني عشر شهراً بالأهلة، وإن لم يتبدىء من أول الشهر أتمه ثلاثين يوماً فإن أراد أن يصومها متتابعة الشهور وهو المستحب له لم يعتد بصوم رمضان من ذلك. ومن نذر صوم يوم يجوز صيامه فعليه أن يصومه وإن لم يجز صيامه لم يصمه ولم يكن عليه بذلك شيء من كفارة ولا غيرها ولو نذر صوم يوم بعينه ما عاش لزمه صومه وما أوفى منه شهر رمضان والأيام المنهي عن صيامها لم يكن عليه قضاؤه وفي هذا اختلاف كثير والمختار ما قلت لك. وكان مالك يجيز لمن نذر صوم اليوم الثالث من أيام التشريق أو نذر صوم يوم ذي الحجة أو جعل على نفسه صوم يوم ما عاش فصادف ذلك اليوم أنه يصومه ويبتدىء فيه أيضاً صوم التتابع ولا يقضي عنده فيه يوماً من رمضان أحد ولا يصومه تطوعاً. وأما غير مالك من علماء أهل المدينة وغيرهم فإنهم يأبون من صيام ذلك اليوم في كل حال لنهي رسول اللّه ﷺ عن صيام أيام منى ولم يخص أولها من آخرها، ومن نذر صوم يوم بغير عينه كرجل جعل عليه يوماً فأفطره بعذر أو بغير عذر قضاه ولو كانت امرأة قضت ما وافى ذلك من أيام حيضتها. ولو نذر صوم يوم بعينه فمرضه فلا شيء عليه، إلاَّ أن يكون نوى القضاء فإن فرط فيه فعليه القضاء وكذلك لو كانت امرأة نذرت

صيام يوم بعينه ما عاشت، فمرضت فيه، أو حاضت فإنه لا قضاء عليها فيما أفطرته من حيض أو مرض إلَّا أن تكون نوت قضاءه وقيل تقضيه إلَّا أن تكون نوت أن لا قضاء عليها والأول أصح إن شاء اللَّه.

* * *

باب صيام التطوع

جائز عند مالك صيام الدهر لمن قوي عليه إذا أفطر الأيام التي لا يجوز صيامها، ذكر ابن عبد الحكم عنه قال: لا بأس بسرد الصوم إذا أفطر يوم الفطر ويوم النحر وأيام التشريق لنهي رسول اللَّه ﷺ عن صيامها، وجائز صيام يوم الجمعة وغيره من أيام الجمعة، وجائز صيام يوم عرفة وفطره للحاج أفضل للقوة على الدعاء وصيام عاشوراء مرغوب فيه مندوب إليه وكذلك الترغيب والفضل في صوم يوم عرفة بغير عرفة، ومن تطوع بالصيام وأصبح صائماً لزمه الإتمام، فإن أفطر متعمداً فعليه القضاء وإن أفطر بعذر مرض أو حيض أو نسيان فلا شيء عليه، وعلى الناسي الكف في بقية يومه عن الأكل والشرب والجماع. وصوم يوم الاثنين والخميس يستحب لما جاء فيها، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر حسن ولم يعرف مالك صيام الأيام البيض ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر، وأنكر صيام ست من صدر شوال إنكاراً شديداً، ومن تطوع بالصوم في الحضر ثم سافر فأفطر وتطوع بالصوم في السفر ثم أفطر فعن مالك فيها روايتان إحداهما يقضي والأخرى لا يقضي وهو القياس والاحتياط أن يقضي.

* * *

باب جامع في الصيام

ومن السنة تعجيل الفطر وتأخير السحور، والنهار الواجب صومه هو من طلوع الفجر إلى مغيب الشمس، فإذا استيقن الصائم مغيبها حل له الفطر فإن ظن أن الشمس قد غربت بغيم أو بغيره فأفطر ثم ظهرت الشمس، فعليه القضاء، ولو أفطر وهو شاك في غروبها كفر مع القضاء، إلَّا أن يكون الأغلب

عليها غروبها، ومن شك في طلوع الفجر لزمه عند مالك الكف عن الأكل فإن أكل مع شكه فعليه القضاء كالناسي سواء لم يختلف في ذلك قوله، ومن أهل العلم بالمدينة وغيرها من لا يرى عليه في ذلك شيئاً حتى يتبين له طلوع الفجر، ومن تسحر في قضاء رمضان في الفجر أو بعده وهو يظنه ليلاً ثم علم لم يلزمه عند مالك صوم ذلك اليوم وأفطره وقضى يومه الذي كان عليه لا غير. والليل كله موضع للأكل والشرب والجماع لمن شاء، ومن أفطر في شهري التتابع لمرض أو حيض أو نسيان أو اجتهاد جاز له البناء وإن أفطر لسفر لزمه الابتداء، وإن تعمد صيام ذي الحجة مع علمه يوم النحر وأيام التشريق ابتدأ ولو صام ولم يتعمده ولكنه جهل فابتدأ صيام الشهرين المتتابعين في ذي الحجة قضى يوم النحر وأيام التشريق وبنى، وقد استحب له ها هنا الابتداء ولو صام شعبان ورمضان لكفارته وفرضه لم يجزه صوم رمضان عن واحد منهما وقضى ثلاثة أشهر شهراً لرمضان وشهري التتابع، لأن رمضان لا يصام فيه غيره، وقد تقدم هذا المعنى في باب حكم النية في الصيام في هذا الكتاب، وقد قيل إنه يقضي شهري التتابع فقط ويجزئه رمضان. ومن أصبح صائماً ينوي قضاء يوم من رمضان ثم ذكر أنه قضاه أتم صومه ولم يجز له فطره عند ابن القاسم وقياس قول مالك عند سائر أصحابه أن له أن يفطر إن شاء إلا أنَّه يستحب له صومه كما استحب لمن شاء صيام يوم الاثنين فأصبح صائماً يوم الأحد يظنه الاثنين له ذلك، قال مالك يمضي على صيامه فإن شاء صام يوم الاثنين وإن شاء ترك ولا بأس بالحجامة للصائم إذا لم يخش الضعف عن تمام صومه والآثار المرفوعة مضطربة متعارضة ولا يجب أن يقضى بفطر من لم يأكل ولم يشرب ولم يجامع إلاَّ بدليل لا معارض له ولا منازع ولا بأس بالسواك للصائم في النهار كله عند مالك إذا كان السواك يابساً ويكرهه إذا كان رطباً لئلا يصل منه إلى الحلق طعم وغير مالك يكرهه بالعشيّ لخلوف فم الصائم ولا يفرق القائلون بذلك بين الرطب واليابس لأنه ليس بطعام، وقد بينا معنى قول مالك وغيره في كتاب التمهيد والاستذكار. والحمد لله.

الفصل الثالث

فقه الصيام على مذهب
الإمام محمد بن إدريس الشافعي
رضي اللّه عنه

ولد سنة (١٥٠) بغزّة وتوفي بمصر آخر يوم
من رجب سنة (٢٠٤) هجرية

من كتاب
روضة الطالبين

للإمام العلامة أبي زكريّا يحيىٰ بن شرف النووي الدمشقي
ولد سنة ٦٣١ هجرية وتوفي سنة ٦٧٦ هجرية
رحمه اللّه تعالى

كتاب الصّيام

يجب صوم رمضان باستكمال شعبان ثلاثين، أو رؤية هلاله، فمن رأى الهلال بنفسه[1] لزمه الصوم. ومن لم يره وشهد بالرؤية عدلان، لزمه. وكذا إن شهد عدل على الأظهر المنصوص في أكثر كتبه. وقيل: يلزم بقول الواحد قطعاً. والثاني: لا بد من اثنين. فإن قلنا: لا بد من اثنين، فلا مدخل لشهادة النساء والعبيد فيه. ولا بد من لفظ الشهادة، ويختص بمجلس القضاء، ولكنها شهادة حسيَّة، لا ارتباط لها بالدعوى، وإن قبلنا الواحد، فهل هو بطريق الرواية، أم الشهادة؟ وجهان. أصحهما: شهادة، فلا يقبل قول العبد والمرأة. نص عليه في «الأم». وإذا قلنا: رواية، قبلا. وهل يشترط لفظ الشهادة؟ قال الجمهور: هو على الوجهين في كونه رواية أو شهادة. وقيل: يشترط قطعاً. وإذا قلنا: رواية، ففي الصبي المميز الموثوق به طريقان. أحدهما: أنه على الوجهين في قبول رواية الصبي، والثاني وهو المذهب الذي قطع به الأكثرون: القطع بأنه لا تقبل. وقال الإمام، وابن الصباغ

(١) في هامش الأصل ما نصه، قال المفتاح: فيه أن ما ذكروه من ثبوته هو ما نص عليه الشافعي في القديم، ومعظم كتبه في الجديد، كما قاله النووي في «شرح المهذب» لكن الأذرعي في «شرح المنهاج» والأسنوي في «المهمات» وابن النحوي في «التنبيه» ذكروا أن الشافعي نص في «الأم» في أول كتاب الصيام، على قبول الواحد أولاً، وأنه قال بعده: لا يجوز على رمضان إلا شاهدان. وحكم الأسنوي وابن النحوي على مقتضى ذلك برجوع الشافعي عن الأول، وبأن القول بقبول الواحد، خلاف مذهب الشافعي، لكون الثاني هو المتأخر من قوليه. ورأيت أيضاً البلقيني صرح برجوع الشافعي كما ذكروه.

تفريعاً على أنَّه رواية: إذا أخبره موثوق به بالرؤية، لزم قبوله وإن لم يذكره عند القاضي، وقالت طائفة: يجب الصوم بذلك إذا اعتقد صدقه. ولم يفرعوه على شيء. ومن هؤلاء، ابن عبدان، والغزالي في «الإحياء» وصاحب «التهذيب». واتفقوا على أنَّه لا يقبل قول الفاسق على القولين جميعاً. ولكن إن اعتبرنا العدد، اشترطنا العدالة الباطنة، وإلَّا فوجهان جاريان في رواية المستور. ولا فرق على القولين بين أن تكون السماء مصحية أو مغيمة.

فــرع

إذا صمنا بقول واحد تفريعاً على الأظهر، ولم نر الهلال بعد ثلاثين، فهل نفطر؟ فيه وجهان. أصحهما عند الجمهور: نفطر، وهو نصه في «الأم». ثم الوجهان جاريان، سواء كانت السماء مصحية، أو مغيمة. هذا مقتضى كلام الجمهور. وقال صاحب «العدة» وحكاه صاحب «التهذيب»: الوجهان إذا كانت السماء مصحية، فإن كانت مغيمة، أفطرنا قطعاً ولو صمنا بقول عدلين، ولم نر الهلال بعد ثلاثين، فإن كانت مغيمة، أفطرنا قطعاً، وإن كانت مصحية، أفطرنا أيضاً على المذهب الذي قطع به الجماهير، ونص عليه في «الأم» وحرملة. وقال ابن الحداد: لا نفطر، ونقل عن ابن سريج أيضاً. وفرع بعضهم على قول ابن الحداد فقال: لو شهد اثنان على هلال شوال، ولم نر الهلال، والسماء مصحية بعد ثلاثين، قضينا أول يوم أفطرناه، لأنه بان كونه من رمضان، لكن لا كفارة على من جامع فيه، لأن الكفارة تسقط بالشبهة، وعلى المذهب: لا قضاء.

فــرع

هل يثبت هلال رمضان بالشهادة على الشهادة؟ فيه طريقان. أحدهما: على قولين كالحدود، لأنه من حقوق اللّه تعالى، وأصحهما: القطع بثبوته كالزكاة وإتلافِ حصر المسجد، وإنما القولان في الحدود المبنية على

الإسقاط. فعلى هذا عدد الفروع مبني على الأصول، فإن اعتبرنا العدد في الأصول، فحكم الفروع حكمهم في سائر الشهادات، ولا مدخل فيه للنساء والعبيد، وإن لم نعتبر العدد، فإن قلنا: طريقه الرواية، فوجهان. أحدهما: يكفي واحد كرواية الأخبار، والثاني: لا بد من اثنين. قال في «التهذيب»: وهو الأصح، لأنه ليس بخبر من كل وجه، بدليل أنه لا يكفي أن يقول: أخبرني فلان عن فلان أنه رأى الهلال، فعلى هذا، هل يشترط إخبار حرين ذكرين، أم يكفي امرأتان أو عبدان؟ وجهان. أصحهما: الأول، ونازع الإمام في أنه لا يكفي قوله: أخبرني فلان عن فلان على قولنا: رواية. وإذا قلنا: طريقه الشهادة، فهل يكفي واحد، أم يشترط اثنان؟ وجهان. وقطع في «التهذيب» باشتراط اثنين.

فــرع

لا يجب مما يقتضيه حساب المنجم، الصوم عليه، ولا على غيره. قال الروياني: وكذا من عرف منازل القمر، لا يلزمه الصوم به على الأصح. وأما الجواز، فقال في «التهذيب»: لا يجوز تقليد المنجم في حسابه، لا في الصوم، ولا في الفطر، وهل يجوز له أن يعمل بحساب نفسه؟ وجهان. وجعل الروياني الوجهين فيما إذا عرف منازل القمر وعلم به وجود الهلال. وذكر أن الجواز اختيار ابن سريج، والقفال، والقاضي الطبري. قال: فلو عرف بالنجوم، لم يجز الصوم به قطعاً. ورأيت في بعض المسودات، تعدية الخلاف في جواز العمل به إلى غير المنجم.

فــرع

إذا قبلنا قول الواحد في الصوم، قال في «التهذيب»: لا نوقع به الطلاق والعتق المعلَّقين بهلال رمضان، ولا نحكم بحلول الدين المؤجل إليه.

فــرع

لا يثبت هلال شوال، إلّا بعدلين، وقال أبو ثور: يقبل فيه قول واحد. قال صاحب «التقريب»: ولو قلت به لم أكن مبعداً.

فــرع

إذا رُئي هلال رمضان في بلد، ولم يُرَ في الآخر، فإن تقارب البلدان، فحكمهما حكم البلد الواحد، وإن تباعدا، فوجهان. أصحهما: لا يجب الصوم على أهل البلد الآخر. وفي ضبط البعد ثلاثة أوجه. أحدها وبه قطع العراقيون والصيدلاني وغيرهم: أن التباعد: أن تختلف المطالع، كالحجاز، والعراق، وخراسان. والتقارب: أن لا تختلف، كبغداد، والكوفة، والري، وقزوين. والثاني: اعتباره باتحاد الإقليم واختلافه. والثالث: التباعد مسافة القصر. وبهذا قطع إمام الحرمين، والغزالي، وصاحب «التهذيب» وادعى الإمام الاتفاق عليه.

قلت: الأصح: هو الأول، فإن شك في اتفاق المطالع، لم يجب الصوم على الذين لم يروا، لأن الأصل عدم الوجوب. والله أعلم.

ولو شرع في الصوم في بلد، ثم سافر إلى بلد بعيد لم يُر فيه الهلال يومه الأول، واستكمل ثلاثين، فإن قلنا: لكل بلد حكم نفسه، لزمه أن يصوم معهم على الأصح، لأنه صار من جملتهم، والثاني: يفطر، لأنه التزم حكم الأول، وإن قلنا: يعم الحكم جميع البلاد، لزم أهل البلد المنتقل إليه موافقته إن كان عندهم حال البلد الأول بقوله، أو بطريق آخر، وعليهم قضاء اليوم الأول، ولو سافر من البلد الذي لم ير فيه الهلال إلى بلد رُئي فيه، فعيّدوا اليوم التاسع والعشرين من صومه، فإن عممنا الحكم، أو قلنا: له حكم البلد المنتقل إليه عيَّد معهم، وقضى يوماً. وإن لم نعمِّم الحكم وقلنا: له حكم المنتقل منه، فليس له الفطر. ولو رأى الهلال في بلد فأصبح معيِّداً، فسارت به السفينة إلى بلد في حد البعد، فصادف أهلها صائمين، فقال

الشيخ أبو محمد: يلزم إمساك بقية النهار إذا قلنا: لكل بلد حكمه. واستبعد الإمام والغزالي إيجابه. وتتصور هذه المسألة في صورتين: إحداهما: أن يكون ذلك اليوم يوم الثلاثين من صوم أهل البلدين، لكن المنتقل إليهم لم يروه. والثانية: أن يكون التاسع والعشرين للمنتقَل إليهم لتأخر صومهم بيوم. وإمساك بقية اليوم في الصورتين، إن لم نعمم الحكم كما ذكرنا. وجواب الشيخ أبي محمد، كما أنه مبني على أن لكل بلد حكمه، فهو مبني أيضاً على أن للمنتقل حكم المنتقل إليه. وإن عممنا الحكم، فأهل البلد المنتقَل إليه إذا عرفوا في أثناء اليوم أنه العيد، فهو شبيه بما إذا شهد الشهود على رؤية الهلال يوم الثلاثين. وقد سبق بيانه في صلاة العيد. وإن اتفق هذا السفر لعدلين وقد رأيا الهلال بأنفسهما، وشهدا في المنتقَل إليه، فهذا عين الشهادة برؤية الهلال في اليوم الثلاثين في الصورة الأولى. وأما الثانية، فإن عممنا الحكم جميع البلاد، لم يبعد أن يكون الإصغاء إلى كلامهما على ذلك التفصيل، فإن قبلوا، قضَوا يوماً. وإن لم نعمم الحكم، لم يلتفت إلى قولهما. ولو كان الأمر بالعكس، فأصبح صائماً، فسارت به السفينة إلى قوم عيدوا، فإن عممنا الحكم، وقلنا: له حكم المنتقل إليه، أفطر، وإلا، لم يفطر. وإذا أفطر، قضى يوماً، إذ لم يصم إلاَّ ثمانية وعشرين يوماً.

فـــرع

إذا رأى الهلال بالنهار يوم الثلاثين، فهو لليلة المستقبلة، سواء كان قبل الزوال، أو بعده.

فصل

لا يصح الصوم إلاَّ بالنية، ومحلها القلب. ولا يشترط النطق بلا خلاف. وتجب النية لكل يوم، فلو نوى صوم الشهر كلِّه، فهل يصح صوم اليوم الأول بهذه النية؟ المذهب: أنه يصح، وبه قطع ابن عبدان، وتردّد فيه الشيخ أبو محمد. ويجب تعيين النية في صوم الفرض، سواء فيه صوم

رمضان، والنذر، والكفارة، وغيرها. ولنا وجه حكاه صاحب «التتمة» عن الحليمي: أنه يصح صوم رمضان بنية مطلقة، وهو شاذ. وكمال النية في رمضان: أن ينوي صوم غد عن أداء فرض رمضان هذه السنة للّه تعالى. فأما الصوم وكونه عن رمضان، فلا بد منهما بلا خلاف، إلا وجه الحليمي. وأما الأداء والفرضية والإضافة إلى اللّه تعالى، ففيها الخلاف المذكور في الصلاة. وأما رمضان هذه السنة، فالمذهب: أنه لا يشترط. وحكى الإمام في «اشتراطه» وجهاً وزيَّفه. وحكى صاحب «التهذيب» وجهين في أنه يجب أن ينوي من فرض هذا الشهر، أم يكفي فرض رمضان؟ والصواب ما تقدم. فإنه لو وقع التعرُّض لليوم، لم يضر الخطأ في أوصافه. فلو نوى ليلة الثلاثاء صوم الغد وهو يعتقد أنه يوم الاثنين، أو نوى رمضان السنة التي هو فيها وهو يعتقدها سنة ثلاث، وكانت سنة أربع، صح صومه، بخلاف مالو نوى صوم يوم الثلاثاء ليلة الاثنين، أو رمضان سنة ثلاث في سنة أربع، فإنه لا يصح، لأنه لم يعين الوقت. ثم إن لفظ الغد، أشهر في كلام الأصحاب في تفسير التعيين، وهو في الحقيقة ليس من حد التعيين، وإنما وقع ذلك من نظرهم إلى التبييت. ولا يخفى مما ذكرناه قياس التعيين في القضاء، والكفارة. وأما صوم التطوع، فيصح بنية مطلق الصوم، كما في الصلاة.

فــرع

قال القاضي أبو المكارم في «العدة»: لو قال: أتسحَّر لأقوى على الصوم، لم يكف هذا في النية. ونقل بعضهم عن «نوادر الأحكام» لأبي العباس الروياني: أنه لو قال: أتسحَّر للصوم، أو أشرب لدفع العطش نهاراً، أو أمتنع من الأكل والشرب والجماع مخافة الفجر، كان ذلك نية للصوم. وهذا هو الحق إن خطر بباله الصوم بالصفات التي يشترط التعرض لها، لأنه إذا تسحَّر ليصوم صوم كذا، فقد قصده.

فــرع

تبييت النية شرط في صوم الفرض، فلو نوى قبل غروب الشمس صوم الغد، لم يصح. ولو نوى مع طلوع الفجر، لم يصح على الأصح. ولا تختص النية بالنصف الأخير من الليل على الصحيح، ولا تبطل بالأكل والجماع بعدها على المذهب. وحكي عن أبي إسحاق بطلانها، ووجوب تجديدها. وأنكر ابن الصباغ نسبة هذا إلى أبي إسحاق، وقال الإمام: رجع أبو إسحاق عن هذا عام حج، وأشهد على نفسه. فإن ثبت أحد هذين، فلا خلاف في المسألة، ولو نوى ونام وانتبه والليل باقٍ، لم يجب تجديد النية على الصحيح. قال الإمام: وفي كلام العراقيين تردد في كون الغفلة كالنوم، وكل ذلك مطَّرح.

فــرع

يصح صوم النفل بنية قبل الزوال. وقال المزني وأبو يحيى البلخي: لا يصح إلاَّ من الليل، وهل يصح بعد زوال؟ قولان. أظهرهما وهو المنصوص في معظم كتبه: لا يصح. وفي حرملة: أنه يصح.

قلت: وعلى نصه في حرملة: يصح في جميع ساعات النهار. والله أعلم.

ثم إذا نوى قبل الزوال، أو بعده وصححناه، فهل هو صائم من أول النهار حتى ينال ثواب جميعه، أم من وقت النية؟ وجهان. أصحهما عند الأكثرين: أنه صائم من أول النهار. كما إذا أدرك الإمام في الركوع، يكون مدركاً لثواب جميع الركعة. فإذا قلنا بهذا، اشترط جميع شروط الصوم من أول النهار، وإذا قلنا: يثاب من حين النية، ففي اشتراط خلو الأول عن الأكل والجماع وجهان. الصحيح: الاشتراط، والثاني: لا، وينسب إلى ابن سريج، وأبي زيد، ومحمد ابن جرير الطبري. وهل يشترط خلو أوله

عن الكفر والحيض والجنون، أم يصح صوم من أسلم، أو أفاق، أو طهرت من الحيض ضحوة؟ وجهان أصحهما: الاشتراط.

فـــرع

ينبغي أن تكون النية جازمة، فلو نوى ليلة الثلاثين من شعبان أن يصوم غداً إن كان من رمضان، فله حالان.

الأول: أن لا يعتقده من رمضان، فينظر، إن ردَّد نيته فقال: أصوم غداً عن رمضان إن كان منه، وإلا، فأنا مفطر، أو فأنا متطوع، لم يقع صومه عن رمضان إذا بان منه، لأنه صام شاكاً. وقال المزني: يقع عن رمضان. ولو نوى ليلة الثلاثين من رمضان صوم غد إن كان من رمضان، وإلا فهو مفطر، أجزأه، لأن الأصل بقاء رمضان. ولو قال: أصوم غداً من رمضان، أو تطوعاً، أو أصوم، أو أفطر، لم يصح صومه لا في الأول ولا في الآخر. أما إذا لم يردد نيته، بل جزم بالصوم عن رمضان، فلا يصح صومه، لأنه إذا لم يعتقده من رمضان، لم يتأتَّ منه الجزم بصوم رمضان حقيقة، وإنما يحصل حديث نفس لا اعتبار به. وعن صاحب «التقريب» حكاية وجه: أنه يصح.

الحال الثاني: أن يعتقد كونه من رمضان، فإن لم يستند اعتقاده إلى ما يُثير ظناً، فلا اعتبار به، وإن استند إليه، بأن اعتمد قول من يثق به، من حر، أو عبد، أو امرأة، أو صبيين ذوي رشد، ونوى صومه عن رمضان، أجزأه إذا بان من رمضان. فإن قال في نيته والحالة هذه: أصوم عن رمضان، فإن لم يكن من رمضان، فهو تطوُّع، فظاهر النص: أنه لا يصح صومه إذا بان من رمضان، للتردد. وفيه وجه: أنه يصح، لاستناده إلى أصل. ورأى الإمام طرد هذا الخلاف فيما إذا جزم. ويدخل في قسم استناد الاعتقاد إلى ما يثير ظناً، بناء الأمر على الحساب حيث جوزناه على التفصيل السابق.

ومنها: إذا حكم الحاكم بشهادة عدلين، أو واحد، إذا جوزناه، وجب الصوم، ولا يضر ما قد تبقَّى من الارتياب.

ومنها: المحبوس إذا اشتبه عليه رمضان، فاجتهد، صام شهراً بالاجتهاد. ولا يكفيه صوم شهر بلا اجتهاد وإن وافق رمضان. ثم إذا اجتهد فصام شهراً، فإن وافق رمضان، فذاك، وإن تأخر عنه، أجزأه قطعاً، ويكون قضاءً على الأصح، وعلى الثاني: أداءً.

ويتفرع على الوجهين ما إذا كان ذلك الشهر ناقصاً ورمضان تاماً. إن قلنا: قضاء، لزمه يوم آخر، وإن قلنا: أداء، فلا، كما لو كان رمضان ناقصاً. وإن كان الأمر بالعكس، فإن قلنا: قضاء، فله إفطار اليوم الآخر. وإن قلنا: أداء، فلا، وإن وافق صومه شوَّالاً، حصل منه تسعة وعشرون إن كمل، أو ثمانية وعشرون إن نقص، فإن جعلناه قضاءً، وكان رمضان ناقصاً، فلا شيء عليه على التقدير الأول، ويقضي يوماً على التقدير الثاني. وإن كان رمضان كاملاً، قضى يوماً على التقدير الأول، ويومين على التقدير الثاني. وإن جعلناه أداءً، فعليه قضاء يوم بكل حال. وإن وافق ذا الحجة، حصل منه ستة وعشرون يوماً إن كمل، وخمسة وعشرون إن نقص. فإن جعلناه قضاءً، وكان رمضان ناقصاً، قضى ثلاثة أيام على التقدير الأول، وأربعة على التقدير الثاني. وإن كان كاملاً، قضى أربعة على التقدير الأول، وخمسة على التقدير الثاني. وإن جعلناه أداءً، قضى أربعة بكل حال. وهذا مبني على أن صوم أيام التشريق لا يصح بحال، فإن صححنا صومها لغير المتمتع، فذو الحجة كشوال. أما إذا اجتهد فوافق صيامه ما قبل رمضان، فينظر، إن أدرك رمضان بعد بيان الحال، لزمه صومه بلا خلاف. وإن لم يَبِن الحال إلا بعد مضي رمضان، فطريقان. أشهرهما: على قولين. الجديد الأظهر: وجوب القضاء، والقديم: لا قضاء، والطريق الثاني: القطع بوجوب القضاء. فإن بان الحال في بعض رمضان، فطريقان. أحدهما: القطع بوجوب قضاء ما مضى. وأصحهما: أن في إجزائه الخلاف فيما إذا بان بعد مضي جميع رمضان.

فــرع

إذا نوت الحائض صوم الغد قبل انقطاع دمها، ثم انقطع في الليل، فإن كانت مبتدأة يتم لها بالليل أكثر الحيض، أو معتادة عـادتها أكثـر الحيض، وهو يتم بالليل، صح صومها. وإن كانت عادتها دون أكثره، ويتم بالليل، فوجهان. أصحهما: يصح، لأن الظاهر استمرار عادتها. وإن لم يكن لها عادة، ولا يتم أكثر الحيض في الليل، أو كان لها عادات مختلفة، لم يصح.

فــرع

إذا نوى الانتقال من صوم إلى صوم، لم ينتقل إليه، وهل يبطل صومه، أم يبقى نفلاً؟ وجهان. وكذا لو رفض نية الفرض عن الصوم الذي هو فيه. قلت: الأصح: بقاؤه على ما كان.

واعلم أن انقلابه نفـلاً على أحد الـوجهين، إنما يصـح في غير رمضان، وإلا، فرمضان لا يقبل النفل عندنا ممن هو من أهل الفرض بحال. والله أعلم.

فــرع

لو قال: إذا جاء فلان، خرجت من صومي، فهل يخرج عند مجيئه؟ وجهان. فإن قلنا: يخرج، فهل يخرج في الحال؟ وجهان. والمذهب: لا يبطل في الحالين، كما سبق بيانه في صفة الصلاة.

فــرع

لا بد للصائم من الإمساك عن المفطرات، وهي أنواع.

منها: الجماع، وهو مفطر بالإجماع.

ومنها: الاستمناء، وهو مفطر.

ومنها: الاستقاءة، فمن تقيأ عمداً، أفطر. ومن ذرعه القيء، لم يفطر. ثم اختلفوا في سبب الفطر إذا تقيأ عمداً، فالأصح: أن نفس الاستقاءة مفطرة كالإنزال، والثاني: أن المفطر رجوع شيء مما خرج وإن قل. فلو تقيأ منكوساً، أو تحفظ، فاستيقن أنه لم يرجع شيء إلى جوفه، ففي فطره الوجهان. قال الإمام: فلو استقاء عمداً، أو تحفظ جهده، فغلبه القيء ورجع شيء، فإن قلنا: الاستقاءة مفطرة بنفسها، فهنا أولى، وإلاَّ فهو كالمبالغة في المضمضة إذا سبق الماء إلى جوفه.

فــرع

من المفطرات دخول شيء في جوفه ـ وقد ضبطوا الداخل المفطر بالعين الواصلة من الظاهر إلى الباطن في منفذ مفتوح عن قصد مع ذكر الصوم. وفيه قيود، منها الباطن الواصل إليه. وفيما يعتبر به وجهان. أحدهما: أنه ما يقع عليه اسم الجوف، والثاني: يعتبر معه أن يكون فيه قوة تحيل الواصل إليه من غذاء أو دواء. والأول هو الموافق لكلام الأكثرين، كما سيأتي إن شاء اللَّه تعالى. ويدل عليه أنهم جعلوا الحلق كالجوف في بطلان الصوم بوصول الواصل إليه. وقال الإمام: إذا جاوز الشيء الحلقوم، أفطر. وعلى الوجهين جميعاً باطن الدماغ والأمعاء والمثانة، مما يفطر الوصول إليه، حتى لو كان على بطنه جائفة، أو برأسه مأمومة، فوضع عليها دواءً فوصل جوفه أو خريطة دماغه، أفطر وإن لم يصل باطن الأمعاء أو باطن الخريطة، وسواء كان الدواء رطباً أو يابساً. ولنا وجه: أن الوصول إلى المثانة لا يفطر، وهو شاذ. والحقنة تفطر على الصحيح. وقال القاضي حسين: لا تفطر، وهو غريب. والسعوط إن وصل الدماغ، فطر. وما جاوز الخيشوم في الأسعاط، فقد حصل في حدِّ الباطن وداخل الفم والأنف إلى منتهى الغلصمة. والخيشوم له حكم الظاهر من

بعض الوجوه، حتى لو خرج إليه القيء وابتلع منه نخامة، أفطر، ولو أمسك فيه شيئاً، لم يفطر، ولو نجس، وجب غسله، وله حكم الباطن من حيث إنه لو ابتلع منه الريق لا يفطر، ولا يجب غسله على الجنب.

فــرع

لا بأس بالاكتحال للصائم، سواء وجد في حلقه منه طعماً، أم لا، لأن العين ليست بجوف، ولا منفذ منها إلى الحلق. ولو قطر في أذنه شيئاً فوصل إلى الباطن، أفطر على الأصح عن الأكثرين، كالسعوط، والثاني: لا يفطر كالاكتحال، قاله الشيخ أبو علي، والقاضي حسين، والفوراني. ولو قطر في إحليله شيئاً لم يصل إلى المثانة، فأوجه. أصحها: يفطر، والثاني: لا، والثالث: إن جاوز الحشفة، أفطر، وإلا، فلا. ولا يفطر الفصد والحجامة، لكن يكرهان للصائم. وقال ابن المنذر وابن خزيمة من أصحابنا: يفطر بالحجامة.

فــرع

لو أوصل الدواء إلى داخل لحم الساق، أو غرز فيه السكين فوصلت مخه، لم يفطر، لأنه لا يعدُّ عضواً مجوفاً. ولو طلى رأسه أو بطنه بالدهن فوصل جوفه بشرب المسام، لم يفطر، لأنه لم يصل من منفذ مفتوح، كما لا يفطر بالاغتسال والانغماس في الماء وإن وجد له أثراً في باطنه. ولو طعن نفسه، أو طعنه غيره بإذنه، فوصل السكين جوفه، أفطر، سواء كان بعض السكين خارجاً، أو لم يكن. وكذا لو ابتلع طرف خيط وطرفه الآخر بارز، أفطر بوصول الطرف الواصل، ولا يعتبر الانفصال من الظاهر. وحكى الحناطي وجهاً فيمن أدخل طرف خيط في دبره أو جوفه، وبعضه خارج: أنه لا يفطر.

فــرع

لو ابتلع طرف خيط بالليل، وطرفه الآخر خارج، فأصبح كذلك، فإن تركه لم تصح صلاته، وإن نزعه أو ابتلعه لم يصح صومه. فينبغي أن يبادر غيره إلى نزعه وهو غافل، فإن لم يتفق ذلك، فالأصح: أن يحافظ على الصلاة فينزعه أو يبتلعه، والثاني: يتركه محافظة على الصوم، ويصلي على حاله.

قلت: ويجب إعادة الصلاة على الصحيح. واللَّه أعلم.

فــرع

من قيود المفطر وصوله بقصد، فلو طارت ذبابة إلى حلقه، أو وصل غبار الطريق، أو غربلة الدقيق إلى جوفه، لم يفطر. فلو فتح فاه عمداً حتى دخل الغبار جوفه، قال في «التهذيب»: لم يفطر على الأصح. ولو ربطت المرأة ووطئت، أو طعن أو أُوجر بغير اختياره، لم يفطر. ونقل الحناطي وجهين فيما إذا أوجر بغير اختياره، وهذا غريب. فلو كان مغمىً عليه فأوجر معالجة وإصلاحاً له، وقلنا: لا يبطل الصوم بمجرد الإغماء، ففي بطلانه بهذا الإيجار وجهان. أصحهما: لا يفطر. ونظير الخلاف إذا عولج المحرم المغمى عليه بدواءٍ فيه طيب، هل تجب الفدية؟

فــرع

ابتلاع الريق لا يفطر بشروط.

أحدها: أن يتمحض الريق، فلو اختلط بغيره وتغير به، أفطر بابتلاعه، سواء كان الغير طاهراً، كمن فتل خيطاً مصبوغاً تغير به ريقه، أو نجساً كمن دميت لثته وتغير ريقه، فلو ذهب الدم، وابيض الريق، ولم يبق تغير، هل يفطر بابتلاعه؟ وجهان. أصحهما عند الأكثرين: يفطر، لأنه

نجس لا يجوز ابتلاعه. وعلى هذا، لو تناول بالليل شيئاً نجساً، ولم يغسل فمه حتى أصبح، فابتلع الريق، أفطر.

الشرط الثاني: أن يبتلعه من معدنه، فلو خرج عن فيه ثم رده بلسانه أو بغيره وابتلعه، أفطر. ولو أخرج لسانه وعليه الريق، ثم رده وابتلع ما عليه، لم يفطر على الأصح. ولو بل الخياط الخيط بالريق، ثم رده إلى فيه على ما يعتاد عند الفتل، فإن لم يكن عليه رطوبة تنفصل، فلا بأس، وإن كانت وابتلعها، فوجهان. قال الشيخ أبو محمد: لا يفطر، كما لا يفطر بالباقي من ماء المضمضة. وقال الجمهور: يفطر، لأنه لا ضرورة إليه، وقد ابتلعه بعد مفارقته معدنه. وخص صاحب «التتمة» الوجهين بما إذا كان جاهلاً تحريم ذلك، قال: فإن كان عالماً، أفطر بلا خلاف.

الشرط الثالث: أن يبتلعه على هيئته المعتادة، فإن جمعه ثم ابتلعه، فوجهان أصحهما: لا يفطر.

فرع

النخامة إن لم تحصل في حد الظاهر من الفم، فلا تضر، وإن حصلت فيه بانصبابها من الدماغ في الثقبة النافذة منه إلى أقصى الفم فوق الحلقوم، نظر، إن لم يقدر على صرفها ومجها حتى نزلت إلى الجوف لم تضر، وإن ردها إلى فضاء الفم، أو ارتدت إليه ثم ابتلعها، أفطر. وإن قدر على قطعها من مجراها، فتركها حتى جرت بنفسها، فوجهان حكاهما الإمام، أوفقهما[1] لكلام الأئمة: أنه يفطر لتقصيره.

فرع

إذا تمضمض فسبق الماء إلى جوفه، أو استنشق فسبق إلى دماغه، فالمذهب: أنه إن بالغ فيهما، أفطر، وإلا، فلا. وقيل: يفطر مطلقاً،

(١) في الأصل: أوفقها.

وقيل: عكسه. هذا إذا كان ذاكراً للصوم، فإن كان ناسياً، لم يفطر بحال. وسبق الماء عند غسل الفم لنجاسة، كسبقه في المضمة، والمبالغة هنا للحاجة ينبغي أن تكون كالمضمضة بلا مبالغة. ولو سبق الماء عند غسل تبرد، أو من المضمضة في المرة الرابعة، قال في «التهذيب»: إن بالغ، أفطر، وإلاَّ فهو مرتب على المضمضة، وأولى بالإفطار، لأنه غير مأمور به.

قلت: المختار في المرة الرابعة، الجزم بالإفطار كالمبالغة، لأنها منهي عنها. ولو جعل الماء في فمه لا لغرض، فسبق، فقيل: يفطر. وقيل بالقولين. ولو أصبح ولم ينو صوماً، فتمضمض ولم يبالغ، فسبق الماء إلى جوفه ثم نوى صوم تطوع، صح على الأصح. قال القاضي حسين في «فتاويه»: إن قلنا: هذا السبق لا يفطر، صح، وإلا، فلا. قال: والأصح: الصحة في الموضعين. والله أعلم.

فــرع

إذا بقي طعام في خلل أسنانه، فابتلعه عمداً، أفطر. وإن جرى به الريق بغير قصد، فنقل المزني: أنه لا يفطر. والربيع: أنه يفطر. وقيل: قولان والأصح حملهما على حالتين، فحيث قال: لا يفطر، أراد به ما إذا لم يقدر على تمييزه ومجه. وحيث قال: يفطر، أراد به ما إذا قدر فلم يفعل وابتلعه. وقال إمام الحرمين والغزالي: إن نقى أسنانه بالخلال على العادة [فهو] كغبار الطريق، وإلا، أفطر لتقصيره، كالمبالغة في المضمضة. ولقائل أن ينازعهما في إلحاقه بالمبالغة التي ورد النص بكراهتها، ولأن ماء المبالغة أقرب إلى الجوف.

فــرع

المني إن خرج بالاستمناء، فطر، وإن خرج بمجرد فكر ونظر بشهوة، لم يفطر، وإن خرج بمباشرة فيما دون الفرج، أو لمس أو قبلة، أفطر، هذا

هو المذهب، وبه قطع الجمهور. وحكى إمام الحرمين عن شيخه: أنه حكى وجهين فيما إذا ضم امرأة إلى نفسه وبينهما حائل، فأنزل. قال: وهو عندي كسبق ماء المضمضة، فإن ضاجعها متجرداً، فكالمبالغة في المضمضة.

فـرع

تكره القبلة لمن حركت شهوته ولا يأمن على نفسه، وهي كراهة تحريم على الأصح، والثاني: كراهة تنزيه، ولا تكره لغيره، ولكن الأولى تركها.

فـرع

لو اقتلع نخامة من باطنه ولفَظَها، لم يفطر على المذهب الذي قطع به الحناطي وكثيرون. وحكى الشيخ أبو محمد فيه وجيهن. ثم إن الغزالي جعل مخرج الحاء المهملة من الباطن، والخاء المعجمة من الظاهر. ووجهه لائح، فإن المهملة تخرج من الحلق، والحلق باطن، والمعجمة تخرج مما قبل الغلصمة، لكن يشبه أن يكون قدر مما بعد مخرج المهملة من الظاهر أيضاً.

قلت: المختار أن المهملة أيضاً من الظاهر، وعَجَب كونه ضبطه بالمهملة التي هي من وسط الحلق، ولم يضبطه بالهاء أو الهمزة، فإنهما من أقصى الحلق. وأما المعجمة، فمن أدنى الحلق، وهذا معروف مشهور لأهل العربية. والله أعلم.

فـرع

قدمنا أنه لا يفطر بالإيجار مكرهاً على المذهب، فلو أكره على الأكل، لم يفطر على الأظهر. ويجري الوجهان فيما لو أكرهت على

الوطء، أو أكره الرجل، وقلنا: يتصور إكراهه، ولكن لا كفارة وإن حكمنا بالفطر للشبه. وإن قلنا: لا يتصور الإكراه، أفطر، ولزمته الكفارة. وإن أكل ناسياً، فإن كان قليلاً، لم يفطر قطعاً، وإن كثر، فوجهان كالوجهين في الكلام الكثير في الصلاة ناسياً.

قلت: الأصح هنا: أنه لا يفطر. والله أعلم.

وإن أكل جاهلاً بكونه مفطراً، فإن كان قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية وكان يجهل مثل ذلك، لم يفطر، وإلاَّ فطر. ولو جامع ناسياً، لم يفطر على المذهب. وقيل قولان: كجماع المحرم ناسياً. ولو أكل ظاناً غروب الشمس، فبانت طالعة، أو ظن أن الفجر لم يطلع، فبان طالعاً، أفطر على الصحيح المنصوص، وبه قال الجمهور. وقيل: لا يفطر فيهما، قاله المزني وابن خزيمة من أصحابنا. وقيل: يفطر في الأولى دون الثانية لتقصيره في الأولى.

فــرع

الأحوط للصائم، أن لا يأكل حتى يتيقن غروب الشمس، فلو غلب على ظنه الغروب باجتهاد بورد أو غيره، جاز له الأكل على الصحيح. وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: لا يجوز، لقدرته على اليقين بالصبر. وأما في آخر الليل، فيجوز الأكل بالاجتهاد دون الظن. فلو هجم في الطرفين، فأكل بلا ظن، فإن تبين الخطأ، فحكمه ما سبق في الفرع قبله، وإن تبين الصواب، استمرت صحة الصوم، إن لم يبن الخطأ ولا الصواب، فإن كان ذلك في آخر النهار، وجب القضاء، وإن كان في أوله، فلا قضاء استصحاباً للأصل فيهما. ولو أكل في آخر النهار بالاجتهاد، وقلنا: لا يجوز الأكل، كان كمن أكل بالاجتهاد.

قلت: والأكل هجوماً بلا ظن حرام في آخر النهار قطعاً، وجائز في أوله. وقال الغزالي في «الوسيط»: لا يجوز، ومثله في «التتمة»، وهو

محمول على أنه ليس مباحاً مستوي الطرفين، بل الأولى تركه. وقد صرح به الماوردي والدارمي وخلائق بأنه لا يحرم على الشاك الأكل وغيره، ولا خلاف في هذا القول، لقول اللَّه تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض. . .﴾ (البقرة ١٨٧). وصح عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما «كل ما شككت حتى يتبين لك» واللَّه أعلم.

فــرع

إذا طلع الفجر وفي فيه طعام، فليلفظه، ويصح صومه، فإن ابتلعه، أفطر فلو لفظ في الحال، فسبق شيء إلى جوفه بغير اختياره، فوجهان مخرَّجان من سبق الماء في المضمضة.

قلت: الصحيح: لا يفطر. واللَّه أعلم.

ولو طلع وهو مجامع، فنزع في الحال، صح صومه، نص عليه في «المختصر» ولهذه المسألة ثلاثة صور.

أحدها: أن يحس بالفجر وهو مجامع، فنزع بحيث يوافق آخر نزعه الطلوع.

والثانية: يطلع الفجر وهو مجامع، ويعلم بالطلوع في أوله، فينزع في الحال.

والثالثة: أن يمضي زمن بعد الطلوع، ثم يعلم به. أما هذه الثالثة، فليست مرادة بالنص، بل يبطل فيها الصوم على المذهب، ويجيء فيها الخلاف السابق فيمن أكل ظاناً أن الصبح لم يطلع، فبان خلافه، فعلى المذهب: لو مكث في هذه الصورة، فلا كفارة عليه، لأن مكثه مسبوق ببطلان الصوم. وأما الصورتان الأوليان، فمرادتان بالنص، فلا يبطلان الصوم فيهما. وفي الثانية منهما وجه شاذ: أنه يبطل. وأما إذا طلع الفجر وعلم بمجرد الطلوع، فمكث، فيبطل صومه قطعاً، ويلزمه الكفارة على

المذهب. وقيل: فيهما قولان. ولو جامع ناسياً ثم تذكر فاستدام، فهو كالماكث بعد الطلوع. فإن قيل: كيف يعلم الفجر بمجرد طلوعه وطلوعه الحقيقي يتقدم على علمنا به؟ فأجاب الشيخ أبو محمد بجوابين. أحدهما: أنها مسألة علمية على التقدير، ولا يلزم وقوعها. والثاني: أنا تعبَّدنا بما نطلع عليه، ولا معنى للصبح إلا ظهور الضوء للناظر، وما قبله لا حكم له. فإذا كان الشخص عارفاً بالأوقات ومنازل القمر، فترصده بحيث لا حائل، فهو أول الصبح المعتبر.

قلت: هذا الثاني هو الصحيح، بل إنكار تصوره غلط. والله أعلم.

فصل
في شروط الصوم

وهي أربعة:

الأول: النقاء من الحيض والنفاس، فلا يصح صوم الحائض ولا النفساء.

الثاني: الإسلام، فلا يصح صوم كافر أصلياً كان أو مرتداً، ويعتبر الشرطان في جميع النهار. فلو طرأ الحيض أو ردة، بطل صومه.

والثالث: العقل، فلا يصح صوم المجنون. فلو جن في أثناء النهار، بطل صومه على المذهب. وقيل: كالإغماء. ولو نام جميع النهار صح صومه على الصحيح المعروف. وقال أبو الطيب بن سلمة، والأصطخري: لا يصح صومه. ولو نوى من الليل، ثم أغمي عليه، فالمذهب: أنه إن كان مفيقاً في جزء من النهار، صح صومه، وإلا، فلا، وهذا هو المنصوص في «المختصر» في باب الصيام. وفيه قول: إنه تشترط الإفاقة من أول النهار. وفي قول: يبطل بالإغماء ولو لحظة في النهار كالحيض، ومنهم من أنكر هذا القول. وفي قول مخرج: أنه لا يبطل بالإغماء وإن استغرق كالنوم. وفي قول خرجه ابن سريج: تشترط الإفاقة في طرف النهار، ومنهم من قطع بالمذهب،

ومنهم من قطع بالقول الثاني. ولو نوى بالليل، ثم شرب دواءً فزال عقله نهاراً، فقال في «التهذيب» إن قلنا: لا يصح الصوم في الإغماء، فهنا أولى، وإلا فوجهان. والأصح: أنه لا يصح، لأنه بفعله. قال في «التتمة»: ولو شرب المسكر ليلاً وبقي سكره جميع النهار، لزمه القضاء، وإن صحا في بعضه، فهو كالإغماء في بعض النهار. وأما الغفلة، فلا أثر لها في الصوم بالاتفاق.

الشرط الرابع: الوقت القابل للصوم. وأيام السنة كلها - غيرَ يومي العيدين، وأيام التشريق، ويوم الشك - قابلةٌ للصوم مطلقاً. فأما يوما العيدين، فلا يقبلانه. وأما أيام التشريق، فلا تقبل على الجديد. وقال في القديم: يجوز للمتمتع، وللعادم للهدي، صومها عن الثلاثة الواجبة في الحج. فعلى هذا، هل يجوز لغير المتمتع صومها؟ وجهان. الصحيح وبه قال الأكثرون: لا يجوز.

وإذا جوزنا لغير المتمتع، فهو مختص بصوم له سبب من واجب أو نفل. فأما ما لا سبب له، فلا يجوز عند الجمهور ممن ذكر هذا الوجه. وقال إمام الحرمين: هو كيوم الشك، وهذا القديم هو الراجح دليلاً، وإن كان مرجوحاً عند الأصحاب والله أعلم.

وأما يوم الشك، فلا يصح صومه عن رمضان، ويجوز صومه عن قضاء، أو نذر، أو كفَّارة. ويجوز إذا وافق وِرداً صومه تطوعاً بلا كراهة. وقال القاضي أبو الطيب: يكره صومه عما عليه [من] فرض. قال ابن الصباغ: هذا خلاف القياس، لأنه إذا لم يكره فيه ماله سبب من التطوع، فالفرض أولى. ويحرم أن يصوم فيه تطوعاً لا سبب له، فإن صامه، لم يصح على الأصح. وإن نذر صومه، ففي صحة نذره هذان الوجهان. فإن صححنا، فليصم يوماً غيره، فإن صامه، خرج عن نذره. ويوم الشك هو يوم الثلاثين من شعبان، إذا وقع في الألسن أنه رئي ولم يقل عدل: أنا رأيته، أو قاله ولم يقبل الواحد، أو قاله عدد من النساء أو العبيد أو الفساق وظن صدقهم. وأما

إذا لم يتحدث برؤيته أحد، فليس بيوم شك، سواء كانت السماء مصحية، أو طبق الغيم، هذا هو الصحيح المعروف. وفي وجه لأبي محمد البافي ـ بالباء الموحدة وبالفاء ـ إن كانت السماء مصحية ولم يُر الهلال، فهو شك. وفي وجه لأبي طاهر: يوم الشك: ما تردد بين الجائزين من غير ترجيح، فإن شهد عبد، أو صبي، أو امرأة، فقد ترجح أحد الجانبين، فليس بشك. ولو كان في السماء قطع سحاب يمكن أن يرى الهلال من خللها، وأن يخفى تحتها ولم يتحدث برؤيته. فقال الشيخ أبو محمد: هو يوم شك. وقال غيره: ليس بشك. وقال إمام الحرمين: إن كان في بلد يستقل أهله بطلب الهلال، فليس بشك، وإن كانوا في سفر، ولم تبعد رؤية أهل القرى، فيحتمل أن يجعل يوم الشك.

قلت: الأصح: ليس بشك. والله أعلم.

فصل
في سنن الصوم

من سنن الصوم، تعجيل الفطر إذا تحقق غروب الشمس، وأن يفطر على تمر، فإن لم يجد، فعلى الماء. وقال الروياني: يفطر على تمر، فإن لم يجد، فعلى حلاوة أخرى[1]، فإن لم يجد، فعلى الماء. وقال القاضي حسين: الأولى في زماننا أن يفطر على ما يأخذه بكفه من النهر ليكون أبعد عن الشبهة. ويسن السحور، وأن يؤخره ما لم يقع في مظنة الشك. والوصال مكروه كراهة تحريم على الصحيح، وهو ظاهر نص الشافعي رحمه الله، والثاني: كراهة تنزيه. وحقيقة الوصال: أن يصوم يومين فصاعداً ولا يتناول شيئاً بالليل. والجود والإفضال مستحب في جميع الأوقات، وفي رمضان آكد. والسنة كثرة تلاوة القرآن فيه، والمدارسة به، وهو أن يقرأ على غيره،

---

(١) في الأصل: آخر.

ويقرأ غيره عليه. ويسن الاعتكاف فيه، لا سيما في العشر الأواخر لطلب ليلة القدر. ويصون الصائم لسانه عن الكذب والغيبة والمشاتمة ونحوها، ويكف نفسه عن الشهوات، فهو سر الصوم والمقصود الأعظم منه. وأن يترك السواك بعد الزوال، وإذا استاك فلا فرق بين الرطب واليابس، بشرط أن يحترز عن ابتلاع شيء منه أو من رطوبته. ولنا وجه: أنه لا يكره السواك بعد الزوال في النفل، ليكون أبعد من الرياء، قاله القاضي حسين، وهو شاذ. ويستحب تقديم غسل الجنابة عن الجماع والاحتلام على الصبح. ولو طهرت الحائض ليلاً، ونوت الصوم، ثم اغتسلت في النهار، صح صومها. والسنة أن يقول عند فطره: «اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت» وأن يفطِّر الصائمين معه، فإن عجز عن عشائهم، أعطاهم ما يفطرون به من شربة أو تمرة أو غيرهما. ويستحب أن يحترز عن الحجامة، والعلك، والقبلة، والمعانقة، إذا لم نحرِّمهما. وذوق الشيء، ومضغ الطعام للطفل، وكل ذلك لا يبطل الصوم.

فصل

في مبيحات الفطر في رمضان وأحكامه

فالمرض والسفر، مبيحان بالنص والإجماع، وكذلك من غلبه الجوع أو العطش، فخاف الهلاك، فله الفطر وإن كان مقيماً صحيح البدن. ثم شرط كون المرض مبيحاً، أن يجهده الصوم معه، فيلحقه ضرر يشق احتماله على ما ذكرنا من وجوه المضار في التيمم. ثم المرض إن كان مطبقاً، فله ترك النية بالليل، وإن كان يُحَمُّ وينقطع، نظر، إن كان محموماً وقت الشروع، فله ترك النية، وإلا، فعليه أن ينوي من الليل، ثم إن عاد واحتاج إلى الإفطار، أفطر. وشرط كون السفر مبيحاً، كونه طويلاً ومباحاً. ولو أصبح صائماً، ثم مرض في أثناء النهار، فله الفطر. ولو أصبح مقيماً صائماً ثم سافر، لم يجز له فطر ذلك اليوم. وقال المزني: يجوز، وبه قال غيره من

أصحابنا. فعلى الصحيح: لو أفطر بالجماع، لزمته الكفَّارة. ولو نوى المقيم بالليل، ثم سافر ليلاً، فإن فارق العمران قبل الفجر، فله الفطر، وإلا، فلا. ولو أصبح المسافر صائماً، ثم أقام في أثناء النهار، لم يجز له الفطر على الصحيح. ونقل صاحب «الحاوي» عن حرملة: أن له الفطر. ولو أصبح المريض صائماً، ثم برأ في النهار، فقطع كثيرون بتحريم الفطر عليه. وطرَّد صاحب «المهذب»[1] فيه الوجهين، ولعله الأولى. ولو أصبح صائماً في السفر، ثم أراد الفطر، جاز. وفيه احتمال لإمام الحرمين وصاحب «المهذب»[1]: أنه لا يجوز. وإذا قلنا بالمذهب، ففي كراهة الفطر وجهان.

قلت: هذا الاحتمال الذي ذكراه، نص عليه الشافعي رضي اللَّه عنه في «البويطي» لكن قال: لا يجوز الفطر إن لم يصح الحديث بالفطر. وقد صح الحديث[2] واللَّه أعلم.

واعلم، أن للمسافر الصوم والفطر. ثم إن كان لا يتضرر بالصوم، فهو أفضل، وإلا، فالفطر أفضل. وذكر في «التتمة»: أنَّه لو لم يتضرر في الحال، لكن يخاف الضعف لو صام، أو كان سفر حج، أو غزوٍ، فالفطر أولى. وقد تقدم أصل هذه المسألة في صلاة المسافر.

فــرع
في أحكام الفطر

كل من ترك النية الواجبة عمداً أو سهواً، فعليه القضاء. وكذا كل من أفطر، لكن لو كان إفطاره يوجب الكفَّارة، ففيه خلاف نذكره إن شاء اللَّه تعالى. وما فات بسبب الكفر الأصلي، لا قضاء فيه، ويجب القضاء على المرتد. والمسافر، والمريض إذا أفطرا، قضيا. وما فات بالإغماء، يجب

---

(١) وفي نسخة «التهذيب».

(٢) روى مسلم عن عبدالله بن عباس قال: سافر رسول اللَّه ﷺ في رمضان فصام حتى بلغ عسفان، ثم دعا بإناء فيه شراب، فشربه نهاراً ليراه الناس، ثم أفطر حتى دخل مكة.

قضاؤه، سواء استغرق جميع الشهر، أم لا، لأنه نوع مرض، بخلاف الجنون. ولهذا يجوز الإغماء على الأنبياء عليهم السلام، ولا يجوز عليهم الجنون. وعن ابن سريج: أن الإغماء إذا استغرق، فلا قضاء. وما فات بالحيض والنفاس، وجب قضاؤه، ولا يجب على الصبي والمجنون صوم، ولا قضاء، سواء استغرق الجنون النهار، أو الشهر، أم لا. وحكي قول شاذ: أن الجنون كالإغماء، فيجب القضاء. وقول: أنه إذا أفاق في أثناء الشهر، لزمه قضاء ما مضى من الشهر. هذا في الجنون المطلق، أما إذا ارتدَّ ثم جن، أو سكر ثم جن، ففي وجوب القضاء وجهان. ولعل الظاهر: الفرق بين اتصاله بالردة، وبين اتصاله بالسكر كما سبق في الصلاة.

فــرع

لا يجب التتابع في قضاء رمضان، لكن يستحب.

فصل
في الإمساك تشبهاً بالصائمين

وهو من خواص رمضان، كالكفارة، فلا إمساك على متعدٍ بالفطر في نذر أو قضاء. ثم من أمسك تشبهاً، ليس في صوم، بخلاف المحرم إذا أفسد إحرامه، ويظهر أثره في أن المحرم لو ارتكب محظوراً، لزمه الفدية، ولو ارتكب الممسك محظوراً، لا شيء عليه سوى الإثم. ثم الإمساك يجب على كل متعدٍ بالفطر في رمضان، سواء أكل أو ارتد، أو نوى الخروج من الصوم وقلنا: يخرج. ويجب على من نسي النية من الليل.

فــرع

لو أقام المسافر أو برأ المريض اللذان يباح لهما الفطر في أثناء النهار، فلهما ثلاثة أحوال.

أحدها: أن يصبحا صائمين وداما عليه إلى زوال العذر، فقد تقدم في

الفصل السابق أن المذهب: لزوم إتمام الصوم.

الثاني: أن يزول بعدما أفطرا، فلا يجب الإمساك، لكن يستحب. فإن أكلا، أخفياه لئلا يتعرضا للتهمة وعقوبة السلطان، ولهما الجماع بعد زوال العذر إذا لم تكن المرأة صائمة، بأن كانت صغيرة، أو طهرت من الحيض ذلك اليوم. وحكى صاحب «الحاوي» وجهين، في أن المريض إذا أفطر، ثم برأ، هل يلزمه الإمساك؟ قال: أوجبه البغداديون دون البصريين. والمذهب: ما قدمنا.

الثالث: أن يصبحا غير ناويين، ويزول العذر قبل أن يأكلا، فإن قلنا في الحال الأول: يجوز الأكل، فهنا أولى، وإلا، ففي لزوم الإمساك وجهان. الأصح: لا يلزم.

فـــرع

إذا أصبح يوم الشك مفطراً، ثم ثبت أنه من رمضان، فقضاؤه واجب، ويجب إمساكه على الأظهر. قال في «التتمة»: القولان، فيما إذا بان أنه من رمضان قبل الأكل، فإن بان بعده، فإن قلنا: هناك لا يجب الإمساك، فهنا أولى، وإلا، فوجهان. أصحهما: الوجوب.

فـــرع

إذا بلغ صبي، أو أفاق مجنون، أو أسلم كافر، في أثناء يوم من رمضان، فهل يلزمهم إمساك بقية النهار؟ فيه أوجه. أصحها: لا، والثاني: نعم، والثالث: يلزم الكافر دونهما، لتقصيره، والرابع: يلزم الكافر والصبي، لتقصيرهما دون المجنون. وهل يلزمهم قضاء اليوم الذي زال العذر في أثنائه؟

أما الصبي فينظر، إن بلغ صائماً، فالصحيح: أنه يلزمه إتمامه ولا

قضاء. فلو جامع بعد البلوغ فيه، لزمته الكفارة. وفيه وجه حكي عن ابن سريج: أنه يستحب إتمامه، ويجب القضاء، لأنه لم ينو الفرضٍ. وإن أصبح مفطراً، فوجهان. وقيل: قولان. أصحهما: لا قضاء، لعدم تمكّنه، والثاني: يلزمه القضاء، كمن أدرك جزءاً من وقت الصلاة.

وأما المجنون إذا أفاق، والكافر إذا أسلم، فالمذهب: أنهما كالصبي المفطر، فلا قضاء على الأصح. وقيل: يقضي الكافر دون المجنون، وصححه صاحب «التهذيب». قال الأصحاب: الخلاف في القضاء في هؤلاء الثلاثة، متعلق بالخلاف في إمساكهم تشبهاً. ثم اختلفوا في كيفية تعلقه، فقال الصيدلاني: من أوجب التشبه، لم يوجب القضاء، ومن يوجب القضاء، لا يوجب التشبه. وقال غيره: من أوجب القضاء، أوجب الإمساك، ومن لا، فلا. وقال آخرون: من أوجب الإمساك، أوجب القضاء، ومن لا، فلا.

فــرع

الحائض والنفساء، إذا طهرتا في أثناء النهار، المذهب: أنه لا يلزمهما الإمساك. ونقل الإمام الاتفاق عليه. وحكى صاحب «المعتمد»: طرد الخلاف فيهما.

فصل

أيام رمضان متعيِّنة لصومه، فللمريض والمسافر، الترخص بالفطر، ولهما الصيام عن رمضان، وليس لهما الصوم فيه عن فرض آخر، ولا تطوعاً. وهكذا قطع به الأصحاب، وحكى إمام الحرمين خلافاً فيمن أصبح في يوم من رمضان غير ناوٍ، فنوى التطوع قبل الزوال، قال: قال الجماهير: لا يصح. وقال أبو إسحاق: يصح. قال: فعلى قياسه يجوز للمسافر التطوع به.

فصل

تجب الكفارة على من أفسد صوم يوم من رمضان بجماع تام أثم به لأجل الصوم، وفي الضابط قيود.

منها: الإفساد، فمن جامع ناسياً، لا يفطر على المذهب، فلا كفارة. وإن قلنا: يفطر، ففي لزوم الكفارة وجهان. أصحهما: لا تلزم، لعدم الإثم.

ومنها: كونه من رمضان، فلا كفارة بإفساد التطوع، والنذر، والقضاء، والكفارة. وأما المرأة الموطوءة، فإن كانت مفطرة بحيض أو غيره، أو صائمة، ولم يبطل صومها، لكونها نائمة مثلاً، فلا كفارة عليها، وإن مكّنت طائعة صائمة، فقولان. أحدهما: يلزمها كفارة، كما يلزم الزوج، لأنها عقوبة، فاشتركا فيها كحد الزنا. وأظهرهما: لا يلزمها، بل تجب على الزوج. فعلى الأول: لو لم تجب الكفارة على الزوج لكونه مفطراً، أو لم يبطل صومه لكونه ناسياً، أو استدخلت ذكره نائماً، لزمتها الكفارة، ويعتبر في كل واحد منهما حاله في اليسار والإعسار. وإذا قلنا بالأظهر، فهل الكفارة التي يخرجها عنه خاصة، ولا يلاقيها الوجوب، أو هي عنه وعنها ويتحملها عنها؟ فيه قولان مستنبطان من كلام الشافعي رضي اللّه عنه، وربما قيل: وجهان. أصحهما: الأول.

ويتفرع عليهما صور.

إحداها: إذا أفطرت بزنا، أو وطء شبهة، فإن قلنا بالأول، فلا شيء عليها، وإلا، فعليها الكفارة، لأن التحمل بالزوجية. وقيل: تلزمها قطعاً.

الثانية: إذا كان الزوج مجنوناً، فعلى الأول: لا شيء عليها، وعلى الثاني: وجهان. أصحهما: تلزمها، لأنه ليس أهلاً للتحمل، كما لا يكفّر عن نفسه، والثاني: يجب في ماله الكفارة عنها، لأن ماله صالح للتحمل. وإن كان مراهقاً، فكالمجنون. وقيل: هو كالبالغ تخريجاً من قولنا: عمده عمد،

وإن كان ناسياً أو نائماً، فاستدخلت ذكره، فكالمجنون[1].

الثالثة: إذا كان مسافراً والزوجة حاضرة، فإن أفطر بالجماع بنية الترخص، فلا كفارة عليه. وكذا إن لم يقصد الترخص على الأصح. وكذا حكم المريض الذي يباح له الفطر إذا أصبح صائماً ثم جامع. وكذا الصحيح، إذا مرض في أثناء النهار ثم جامع، فحيث قلنا بوجوب الكفارة، فهو كغيره. وحكم التحمل، كما سبق. وحيث قلنا: لا كفارة، فهو كالمجنون. وذكر أصحابنا العراقيون: فيما لو قدم المسافر مفطراً، فأخبرته بفطرها وكانت صائمة، أن الكفارة عليها، إذا قلنا: الوجوب يلاقيها، لأنها غرته، وهو معذور، ويشبه أن يكون هذا تفريعاً على قولنا: لا يتحمل المجنون، وإلا، فليس العذر هنا أوضح منه في المجنون.

قلت: قال صاحب «المعاياة»: فيمن وطيء زوجته ثلاثة أقوال. أحدها: تلزمه الكفارة دونها، والثاني: تلزمه كفارة عنهما، والثالث: تلزم كل واحد كفارة، ويتحمل الزوج ما دخله التحمل من العتق والإطعام. فإذا وطيء أربع زوجات في يوم، لزمه على القول الأول كفارة فقط عن الوطء الأول، ولا يلزمه شيء بسبب باقي الوطآت، ويلزمه على الثاني، أربع كفارات، كفارة عن وطئه الأول عنه وعنها، وثلاث عنهن لا تتبعض، إلا في موضع يوجد تحمل الباقي، ويلزمه على الثالث خمس كفارات، كفارتان عنه وعنها بالوطء الأول، وثلاث عنهن. قال: ولو كان له زوجتان، مسلمة وذمية، فوطئهما في يوم، فعلى الأول: عليه كفارة واحدة بكل حال. وعلى الثاني: إن قدَّم وطء المسلمة، فعليه كفارة، وإلا، فكفارتان، وعلى الثالث: كفارتان بكل حال، لأنه إن قدَّم المسلمة، لزمه كفارتان عنه وعنها، ولا يلزمه للذمية شيء. وإن قدَّم الذمية، لزمه لنفسه كفارة، ثم للمسلمة أخرى. هذا كلامه، وفيه نظر. والله أعلم.

---

(١) في الأصل: كالمجنون.

الرابعة: إذا قلنا: الوجوب يلاقيها، اعتبرنا حالهما جميعاً، وقد تتفق، وقد تختلف. فإن اتفق، نظر، إن كانا من أهل الإعتاق أو الإطعام، أجزأ المخرج عنها، وإن كانا من أهل الصيام لكونهما معسرين أو مملوكين، لزم كل واحد صوم شهرين، لأن العبادة البدنية لا تتحمل. وإن اختلف حالهما، فإن كان أعلى حالاً منها، نظر، إن كان من أهل العتق وهي من أهل الصيام أو الإطعام، فوجهان. الصحيح وبه قطع العراقيون: أنه يجزىء الإعتاق عنهما، لأن مَن فرضه الصوم أو الإطعام، يجزئه العتق، إلاَّ أن تكون أمة، فعليها الصوم، لأن العتق لا يجزىء عنها. قال في «المهذب»: إلا إذا قلنا: العبد يملك بالتمليك، فإن الأمة كالحرة المعسرة.

قلت: هذا الذي قاله في «المهذب» غريب، والمعـروف، أنه لا يجزىء العتق عن الأمة. وقد قال في «المهذب» في باب العبد المأذون: لا يصح إعتاق العبد، سواء قلنا: يملك، أم لا، لأنه يتضمن الولاء، وليس هو من أهله. واللّه أعلم.

والوجه الثاني: لا يجزىء عنها، لاختلاف الجنس. فعلى هذا، يلزمها الصوم إن كانت من أهله. وفيمن يلزمه الإطعام إن كانت من أهله، وجهان. أصحهما: على الزوج. فإن عجز، ثبت في ذمته إلى أن يقدر، لأن الكفارة على هذا القول، معدودة من مؤن الزوجة الواجبة[1] على الزوج، والثاني يلزمها وإن كان من أهل الصيام وهي من أهل الإطعام. قال الأصحاب: يصوم عن نفسه ويطعم عنها. ومقتضى قول من قال في الصورة السابقة: يجزىء العتق عن الصيام، أن يجزىء هنا الصيام عن الإطعام. أما إذا كانت أعلى حالاً منه، فينظر، إن كانت من أهل الإعتاق، وهو من أهل الصيام، صام عن نفسه وأعتق عنها إذا قدر، وإن كانت من أهل الصيام، وهو من أهل الإطعام، صامت عن نفسها وأطعم عن نفسه.

---

(١) في الأصل: الزوجة والواجبة.

واعلم أن جماع المرأة إذا قلنا: لا شيء عليها والوجوب لا يلاقيها، مستثنى عن الضابط.

فــرع

تجب الكفارة بالزنا، وجماع أمته، واللواط، وإتيان البهيمة، وسواء أنزل أم لا، وفي البهيمة والإتيان في الدبر وجه، وهو شاذ منكر. ولو أفسد صومه بغير الجماع، كالأكل، والشرب، والاستمناء، والمباشرات المفضية إلى الإنزال، فلا كفارة، لأن النص ورد في الجماع، وما عداه ليس في معناه، هذا هو المذهب الصحيح المعروف. وفي وجه قاله أبو خلف الطبري وهو من تلامذة القفال: تجب الكفارة بكل ما يأثم بالإفطار به. وفي وجه حكاه في الحاوي عن ابن أبي هريرة: أنه يجب بالأكل والشرب، كفارة فوق كفارة الحامل والمرضع، ودون كفارة المجامع. وهذان الوجهان غلط. وذكر الحناطي، أن ابن عبد الحكم، روي عنه وجوب الكفارة فيما إذا جامع فيما دون الفرج وأنزل، وهذا شاذ.

فــرع

إذا ظن أن الصبح لم يطلع، فجامع، ثم بان خلافه، فحكم الإفطار سبق، ولا كفارة لعدم الإثم، قال الإمام: ومن أوجب الكفارة على الناسي بالجماع، يقول مثله هنا لتقصيره في البحث. ولو ظن غروب الشمس، فجامع، فبان خلافه، ففي «التهذيب» وغيره: أنه لا كفارة، لأنها تسقط بالشبهة. وهذا ينبغي أن يكون مفرعاً على تجويز الإفطار والحالة هذه، وإلا فتجب الكفارة وفاءً بالضابط المذكور لوجوب الكفارة. ولو أكل الصائم ناسياً، فظن بطلان صومه، فجامع، فهل يفطر؟ وجهان. أحدهما: لا، كما لو سلَّم من الظهر ناسياً وتكلم عامداً، لا تبطل صلاته. وأصحهما وبه قطع الجمهور: يفطر، كما لو جامع وهو يظن أن الفجر لم يطلع فبان خلافه.

وعلى هذا، لا كفارة لأنه وطىء وهو يعتقد أنه غير صائم، وعن القاضي أبي الطيب: أنه يحتمل وجوبها، لأنه ظن لا يبيح الوطء. ولو أفطر المسافر بالزنا مترخصاً، فلا كفارة، لأنه وإن أثم بهذا الوطء، لكنه لم يأثم به بسبب الصوم، فإنَّ الإفطار جائز له. ولو زنا المقيم ناسياً للصوم، وقلنا: الصوم يفسد بالجماع ناسياً، فلا كفارة على الأصح، لأنه لم يأثم بسبب الصوم، لأنه ناسٍ له.

فــرع

من رأى هلال رمضان وحده، لزمه صومه. فإن صامه فأفطر بالجماع، فعليه الكفارة. ولو رأى هلال شوال وحده، لزمه الفطر، ويخفيه لئلا يتهم، وإذا رؤي رجل يأكل يوم الثلاثين من رمضان بلا عذر، عزِّر. فلو شهد أنه رأى الهلال، لم يقبل، لأنه متهم في إسقاط التعزير، بخلاف ما لو شهد أولاً فردت شهادته، ثم أكل، لم يعزَّر.

فــرع

لو أفطر بجماع، ثم جامع ثانياً في ذلك اليوم، فلا كفارة للجماع الثاني، لأنه لم يفسد صوماً. فلو جامع في يومين أو أيام، فعليه لكل يوم كفارة، سواء كفَّر عن الأول، أم لا.

فــرع

لو أفسد صومه بجماع، ثم أنشأ سفراً طويلاً في يومه، لم تسقط الكفارة على المذهب. وقيل: كما لو طرأ المرض. ولو جامع، ثم مرض، فقولان. أظهرهما: لا تسقط الكفارة. وقيل: لا تسقط قطعاً. ولو طرأ بعد الجماع جنون، أو موت، أو حيض، فقولان. أظهرهما: السقوط. والمسألة في الحيض مفرَّعة على أن المرأة إذا أفطرت بالجماع، لزمتها الكفارة.

فـــرع

كمـال صفة الكفـارة، مستقصى في كتـاب «الكفـارات». والقـول الجملي، أن هذه الكفارة مرتبة ككفارة الظهار، فيجب عتق رقبة. فإن لم يجد، فصيام شهرين متتابعين. فإن لم يستطع، فإطعام ستين مسكيناً. وهل يلزمه مع الكفارة قضاء صوم اليوم الذي أفسده بالجماع؟ فيه ثلاثة أوجه. وقيل: قولان، ووجه. أصحهما: يلزم. والثاني: لا، والثالث: إن كفر بالصيام، لم يلزم، وإلا لزم. قال الإمام: ولا خلاف أن المرأة يلزمها القضاء إذا لم تلزمها كفارة. وهل تكون شدة الغلمة عذراً في العدول عن الصيام إلى الإطعام؟ وجهان. أصحهما: أنها عذر، وبه قطع صاحب «التهذيب»، وهو مقتضى كلام الأكثرين، ورجح الغزالي المنع.

فـــرع

لو كان من لزمته هذه الكفارة فقيراً، فهل له صرفها إلى أهله وأولاده؟ وجهان. أحدهما: يجوز، لحديث الأعرابي المشهور(١). وأصحهما: لا يجوز، كالزكاة وسائر الكفارات. وأما قصة الأعرابي، فلم يدفع إلى أهله عن الكفارة.

فـــرع

إذا عجز عن جميع خصـال الكفارة، فهـل تستقر في ذمتـه؟ قال الأصحاب: الحقوق المالية الواجبة للّه تعالى، ثلاثة أضرب. ضرب يجب لا بسبب مباشرة من العبد، كزكاة الفطر. فإذا عجز وقت الوجوب، لم تثبت في ذمته. وضرب يجب بسبب على جهة البدل، كجزاء الصيد، فإذا عجز وقت وجوبه، ثبت في ذمته تغليباً لمعنى الغرامة. وضرب يجب بسبب لا على جهة

---

(١) رواه الشيخان، وأصحاب «السنن» عن أبي هريرة رضي اللّه عنه.

البدل، ككفارة الجماع، واليمين، والقتل، والظهار، ففيها قولان. أظهرهما: يثبت في الذمة عند العجز، فمتى قدر على إحدى الخصال، لزمته. والثاني: لا يثبت.

فصل
في الفدية

وهي مدٌّ من الطعام، لكل يوم من أيام رمضان. وجنسه جنس زكاة الفطر. فيعتبر غالب قوت البلد على الأصح. ولا يجزىء الدقيق والسويق، كما سبق. ومصرفها، الفقراء أو المساكين. وكل مُدّ منها ككفارة تامة. فيجوز صرف عدد منها إلى مسكين واحد، بخلاف أمداد الكفارة، فإنّه يجب صرف كل مدٍّ منها إلى مسكين، وتجب الفدية بثلاثة طرق.

الأول: فوات نفس الصوم، فمن فاته صوم يوم من رمضان ومات قبل قضائه، فله حالان. أحدهما: أن يموت بعد تمكنه من القضاء، سواء ترك الأداء بعذر أم بغيره، فلا بد من تداركه بعد موته. وفي صفة التدارك قولان. الجديد: أنه يُطعم من تركته عن كل يوم مد. والقديم: أنه يجوز لوليه أن يصوم عنه، ولا يلزمه. فعلى القديم: لو أمر الولي أجنبيّاً فصام عنه بأجرة أو بغيرها، جاز كالحج. ولو استقل به الأجنبي، لم يجزه على الأصح. وهل المعتبر على القديم الولاية، أم مطلق القرابة، أم تشترط العصوبة، أم الإرث؟ توقف فيه الإمام وقال: لا نقل فيه عندي. قال الرافعي: وإذا فحصت عن نظائره، وجدت الأشبه اعتبار الإرث.

قلت: المختار، أن المراد مطلق القرابة. وفي «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال لامرأة تصوم عن أمها[1] وهذا يبطل احتمال العصوبة. والله أعلم.

---

(١) ونص الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها؟ قال: «أرأيت لو كان على أمك دين فقضيتيه، أكان يؤدي ذلك عنها؟» قالت: نعم، قال: «فصومي عن أمك».

ولو مات وعليه صلاة أو اعتكاف، لم يقض عنه وليه، ولا يسقط عنه بالفدية. ونقل البويطي: أن الشافعي رحمه اللّٰه قال في الاعتكاف: يعتكف عنه وليه. وفي رواية: يطعم عنه. قال صاحب «التهذيب»: ولا يبعد تخريج هذا في الصلاة، فيُطعم عن كل صلاة مد. وإذا قلنا بالإطعام في الاعتكاف، فالقدر المقابل بالمد اعتكاف يوم بليلته. هكذا ذكره الإمام عن رواية شيخه قال: وهو مشكل، فإن اعتكاف لحظة، عبادة تامة.

قلت: لم يصحح الإمام الرافعي واحداً من الجديد والقديم في صوم الولي، وكأنَّه تركه لاضطراب الأصحاب فيه، فإنَّ المشهور في المذهب: تصحيح الجديد. وذهب جماعة من محققي أصحابنا، إلى تصحيح القديم، وهذا هو الصواب. بل ينبغي أن يجزم بالقديم، فإنَّ الأحاديث الصحيحة ثبتت فيه، وليس للجديد حجة من السنَّة. والحديث الوارد بالإطعام، ضعيف، فيتعين القول بالقديم. ثم من جوّز الصيام، جوّز الإطعام. واللّٰه أعلم.

وحكم صوم الكفارة والنذر، حكم صوم رمضان.

الحال الثاني: أن يكون موته قبل التمكُّن من القضاء، بأن لا يزال مريضاً، أو مسافراً من أول شوال حتى يموت، فلا شيء في تركته ولا على ورثته.

قلت: قال أصحابنا: ولا يصح الصيام من أحد في حياته بلا خلاف، سواء كان عاجزاً أو غيره. واللّٰه أعلم.

فــرع

الشيخ الهرم الذي لا يطيق الصوم، أو تلحقه به مشقة شديدة، لا صوم عليه. وفي وجوب الفدية عليه، قولان. أظهرهما: الوجوب. ويجري القولان

في المريض الذي لا يرجى برؤه. ولو نذر في خلال العجز صوماً، ففي انعقاده وجهان.

قلت: أصحهما: لا ينعقد. والله أعلم.

وإذا أوجبنا الفدية على الشيخ، فكان معسراً، هل تلزمه إذا قدر؟ قولان، كالكفارة. ولو كان رقيقاً فعتق، ففيه خلاف مرتب على المعسر، والأولى: بأن لا تجب، لأنه لم يكن أهلاً. ولو قدر الشيخ على الصوم بعدما أفطر، فهل يلزمه الصوم قضاءً؟ نقل صاحب «التهذيب»: أنه لا يلزمه، لأنه لم يكن مخاطباً بالصوم، بل كان مخاطباً بالفدية، بخلاف المعْضوب إذا حج عنه غيره، ثم قدر، يلزمه الحج في قول، لأنه كان مخاطباً به. ثم قال صاحب «التهذيب» من عند نفسه: إذا قدر قبل أن يفدي، فعليه أن يصوم، وإن قدر بعد الفدية، فيحتمل أن يكون كالحجِّ، لأنه كان مخاطباً بالفدية على توهُّم أن عذره غير زائل، وقد بان خلافه.

واعلم أن صاحب «التتمة» في آخرين نقلوا خلافاً في أن الشيخ يتوجه عليه الخطاب بالصوم، ثم ينتقل إلى الفدية بالعجز، أم يخاطب بالفدية ابتداءً؟ وبنوا عليه[1] الوجهين في انعقاد نذره.

الطريق الثاني: لوجوب الفدية ما يجب لفضيلة الوقت، وذلك في صور.

فالحامل والمرضع، إن خافتا على أنفسهما، أفطرتا وقضتا، ولا فدية كالمريض. وإن لم تخافا من الصوم، إلا على الولد، فلهما الفطر وعليهما القضاء. وفي الفدية أقوال. أظهرها: تجب، والثاني: تستحب، والثالث: تجب على المرضع دون الحامل. فعلى الأظهر: لا تتعدد الفدية بتعدد الأولاد على الأصح، وبه قطع في «التهذيب». وهل يفرق بين المرضع

(١) في الأصل: وبنوا على الوجهين.

ولدَها، أو غيرَه، بإجارَة أو غيرها؟ قال في «التتمـة»: لا فرق، فتفـطر المستأجرة وتفدي. كما أن السفر لما أفاد الفطر، يستوي فيه المسافر لغرض نفسه وغيره. وقال الغزالي في «الفتاوى»: المستأجرة لا تفطر، ولا خيار لأهل الصبي.

قلت: الصحيح قول صاحب «التتمة» وقطع به القاضي حسين في «فتاويه» فقال: يحل لها الإفطار، بل يجب إن أضر الصوم بالرضيع. وفدية الفطر، على من تجب؟ قال: يحتمل وجهين، بناءً على ما لو استأجر للتمتع، فعلى من يجب دمه؟ فيه وجهان. قال: ولو كان هناك مراضع، فـأرادت أن ترضع صبياً، تقرباً إلى اللّٰه تعالى، جاز الفطر لها. واللّٰه أعلم.

ولو كانت الحامل أو المرضع، مسافرة أو مريضة، فـأفطرت بنيـة الترخص بالمرض أو السفر، فلا فدية عليها. وإن لم تقصد الترخص، ففي وجوب الفدية وجهان، كالوجهين في فطر المسافر بالجماع

فـــرع

إذا أفطر بغير الجماع عمداً في نهار رمضان، هل تلزمه الفدية مع القضاء؟ وجهان. أصحهما: لا.

فـــرع

لو رأى مشرفاً على الهلاك بغرق أو غيره، وافتقر في تخليصه إلى الفطر، فله ذلك، ويلزمه القضاء، وتلزمـه الفديـة على الأصح أيضـاً، كالمرضع.

قلت: قوله: فله ذلك، فيه تساهل. ومراده: أنه يجب عليه ذلك، وقد صرَّح به أصحابنا. واللّٰه أعلم.

الطريق الثالث: ما يجب لتأخير القضاء، فمن عليه قضاء رمضان،

وأخَّره حتى دخل رمضان السنة القابلة، نظر، إن كان مسافراً أو مريضاً، فلا شيء عليه، فإن تأخير الأداء بهذا العذر جائز فتأخير القضاء أولى. وإن لم يكن، فعليه مع القضاء لكل يوم مد. وقال المزني: لا تجب الفدية. ولو أخر حتى مضى رمضانان فصاعداً، فهل تكرر الفدية؟ وجهان. قال في «النهاية»: الأصح، التكرر. ولو أفطر عدواناً، وألزمناه الفدية، فأخر القضاء، فعليه لكل يوم فديتان، واحدة للإفطار، وأخرى للتأخير. هذا هو المذهب. وقال إبراهيم المروذي: إن عددنا الفدية بتعدد رمضان، فهنا أولى، وإلا فوجهان. وإذا أخر القضاء مع الإمكان، فمات قبل أن يقضي وقلنا: الميت يطعم عنه، فوجهان. أصحهما: يخرج لكل يوم من تركته مدان. والثاني قاله ابن سريج: يكفي مد واحد. وأما إذا قلنا: يصام عنه، فصام الولي، فيحصل تدارك أصل الصوم، ويفدي للتأخير، وإذا قلنا بالأصح وهو التكرر، فكان عليه عشرة أيام، فمات، ولم يبق من شعبان إلا خمسة أيام، أخرج من تركته خمسة عشر مداً، عشرة لأصل الصوم وخمسة للتأخير، لأنه لو عاش لم يمكنه إلا قضاء خمسة. ولو أفطر بلا عذر، وأوجبنا به الفدية فأخر حتى دخل رمضان آخر، ومات قبل القضاء، فالمذهب وجوب ثلاثة أمداد. فإن تكررت السنون، زادت الأمداد. وإذا لم يبق بينه وبين رمضان السنة الثانية ما يتأتَّى فيه قضاء جميع الفائت، فهل يلزمه في الحال الفدية عما لا يسعه الوقت، أم لا يلزمه إلا بعد دخول رمضان؟ فيه وجهان كالوجهين فيمن حلف ليأكلن هذا الرغيف غداً، فتلف قبل الغد، هل يحنث في الحال، أم بعد مجيء الغد؟ ولو أراد تعجيل فدية التأخير قبل مجيء رمضان الثاني ليؤخر القضاء مع الإمكان، ففي جوازه وجهان كالوجهين في تعجيل الكفارة عن الحنث المحرم.

قلت: إذا أخَّر الشيخ الهرم المدَّ عن السنة الأولى، فالمذهب أنه لا شيء عليه. وقال الغزالي في «الوسيط»: في تكرر مدٍّ آخر للتأخير وجهان. وهذا شاذ ضعيف. وإذا أراد الشيخ الهرم إخراج الفدية قبل دخول رمضان،

لم يجز، وإن أخرجها بعد طلوع الفجر من يوم من رمضان، أجزأه عن ذلك اليوم. وإن أداها قبل الفجر، ففيه احتمالان حكاهما في «البحر» عن والده، وقطع الدارمي بالجواز، وهو الصواب. قال الإمام الزيادي: ويجوز للحامل تقديم الفدية على الفطر، ولا يقدم إلا فدية يوم واحد. وقد تقدم بعض هذه المسائل في باب تعجيل الزكاة. والله أعلم.

باب
صوم التطوع

من شرع في صوم تطوع، أو صلاة تطوع، لم يلزمه الإتمام، لكن يستحب. فلو خرج منهما، فلا يجب القضاء، لكن يستحب، ثم إن خرج لعذر، لم يكره، وإلا كره على الأصح. ومن العذر، أن يعزّ على من ضيَّفه امتناعه من الأكل. ولو شرع في صوم القضاء الواجب، فإن كان على الفور، لم يجز الخروج منه، وإلا فوجهان. أحدهما: يجوز، قاله القفال، وقطع به الغزالي، وصاحب «التهذيب» وطائفة. وأصحهما: لا يجوز، وهو المنصوص في «الأم» وبه قطع الروياني في «الحلية» وهو مقتضى كلام الأكثرين، لأنه صار متلبساً بالفرض ولا عذر، فلزمه إتمامه، كما لو شرع في الصلاة أول الوقت. وأما صوم الكفارة، فما لزم منه بسبب محرَّم، فهو كالقضاء الذي على الفور. وما لزم بسبب غير محرَّم، كقتل الخطأ، فهو كالقضاء الذي على التراخي. وكذا النذر المطلق. وهذا كله مبني على المذهب، وهو انقسام القضاء إلى واجب على الفور، وعلى التراخي. فالأول: ما تعدى فيه بالإفطار، فيحرم تأخير قضائه. قال في «التهذيب»: حتى يحرم عليه التأخير بعذر السفر. وأما الثاني: فما لم يتعد به، كالفطر بالحيض والسفر والمرض، فقضاؤه على التراخي ما لم يحضر رمضان السنة المقبلة. وقال بعض أصحابنا العراقيين: القضاء على التراخي في المتعدي وغيره.

فصل

صوم التطوع، منه ما يتكرر بتكرر السنين، ومنه ما يتكـرر بتكرر الشهور، ومنه ما يتكرر بتكرر الأسبوع. فمن الأول، يوم عرفة، فيستحب صومه لغير الحجيج، وينبغي للحجيج فطره. وأطلق كثيرون كراهة صومه لهم. فإن كان شخص لا يضعف بالصوم عن الدعاء وأعمال الحج، ففي «التتمة» أن الأولى له الصوم. وقال غيره: الأولى أن لا يصوم بحال.

قلت: قال البغوي وغيره: يوم عرفة، أفضل أيام السنة. وسيأتي إن شاء اللّٰه تعالى في كتاب «الطلاق» التصريح بذلك مع غيره، في تعليق الطلاق على أفضل الأيام. واللّٰه أعلم.

ومنه يوم عاشوراء، وهو عاشر المحرم، ويستحب أن يصـوم معه تاسوعاء، وهو التاسع. وفيه معنيان. أحدهما: الاحتياط حذراً من الغلط في العاشر. والثاني: مخالفة اليهود، فإنهم يصومون العاشر فقط. فعلى هذا، لو لم يصم التاسع معه، استحب أن يصوم الحادي عشر.

ومنه ستة أيام من شوال، والأفضل، أن يصومها متتابعة متصلة بالعيد.

ومن الثـاني: أيام البيض، وهي: الثـالث عشر، والـرابع عشـر، والخامس عشر.

قلت: هذا هو المعروف فيها. ولنا وجه غريب حكاه الصيمري، والماوردي، والبغوي، وصاحب «البيان»: أن الثاني عشر، بدل الخامس عشر، فالاحتياط صومهما. واللّٰه أعلم.

ومن الثالث: يوم الاثنين والخميس. ويكره إفراد الجمعة بالصَّوم، وإفراد السبت.

فــرع

أطلق صاحب «التهذيب» في آخرين أن صوم الدهر مكروه. وقال الغزالي: هو مسنون، وقال الأكثرون: إن خاف منه ضرراً، أو فوَّت به حقاً، كره. وإلا، فلا. والمراد: إذا أفطر أيام العيد والتشريق. ولو نذر صوم الدهر، لزم وكانت الأعياد و[أيام] التشريق وشهر رمضان وقضاؤه مستثناةً. فإن فرض فوات بعذر أو بغيره، فهل تجب الفدية لما أخلّ به من النذر بسبب القضاء؟ قال أبو القاسم الكرخي: فيه وجهان، وقطع به في «التهذيب»: بأن لا فدية. ولو نذر صوماً آخر بعد هذا النذر، لم ينعقد. ولو لزمه صوم كفارة، صام عنها وفدى عن النذر. ولو أفطر يوماً من الدهر، لم يمكن قضاؤه، ولا فدية إن كان بعذر، وإلا فتجب الفدية. ولو نذرت المرأة صوم الدهر، فللزوج منعها، ولا قضاء ولا فدية، وإن إذن لها، أو مات فلم تصم، لزمها الفدية.

قلت: ومن المسنون، صوم عشر ذي الحجة، غير العيد، والصوم من آخر كل شهر. وأفضل الأشهر للصوم بعد رمضان، الأشهر الحرم، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب. وأفضلها: المحرم، ويلي المحرم(١) في الفضيلة، شعبان. وقال صاحب «البحر»: رجب أفضل من المحرم، وليس كما قال. قال أصحابنا: لا يجوز للمرأة صوم تطوع وزوجها حاضر، إلاّ بإذنه. وممن صرح به: صاحبا «المهذب» و«التهذيب»، والله أعلم.

* * *

(١) في مخطوطة الظاهرية: الحرم.

الفصل الرابع

فقه الصيام على مذهب

الإمام أحمد بن حنبل الشيباني

رضي الله عنه

ولد سنة (١٦٤) ببغداد ومات بها سنة (٢٤١) هجرية

من كتاب

الكافي

تأليف

شيخ الإسلام أبي محمد موفّق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي

كتاب الصيام

صيام رمضان أحد أركان الإسلام وفروضه، لقول اللّه تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ (البقرة ١٨٣)، وعن أبي هريرة قال: بينا رسول اللّه ﷺ يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجل فقال: يا رسول اللّه ما الإسلام؟ قال: «أن تعبد اللّه ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» متفق عليه.

ولا يجب إلا بشروط أربعة:

الإسلام: فلا يجب على كافر أصلي ولا مرتد.

والعقل: فلا يجب على مجنون.

والبلوغ: فلا يجب على صبي لما ذكرنا في الصلاة. وقال بعض أصحابنا: يجب على من أطاقه، لما روى عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إذا أطاق الغلام صيام ثلاثة أيام وجب عليه صيام شهر رمضان»، ولأنه يعاقب على تركه، وهذا هو حقيقة الواجب والمذهب الأول، لقول النبي ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة عن الصبي حتى يبلغ» ولأنه عبادة بدنية، فلم يلزم الصبي كالحج، وحديثهم مرسل، ثم يحمل على تأكيد الندب. كقوله: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» لكن يؤمر بالصوم إذا أطاقه ويضرب ليعتاده كالصلاة، فإن أسلم كافر أو أفاق مجنون أو بلغ صبي في أثناء الشهر؛ لزمهم صيام ما يستقبلونه، لأنهم صاروا من أهل الخطاب

فيدخلون في الخطاب به ولا يلزمهم قضاء ما مضى، لأنه مضى قبل تكليفهم فلم يلزمهم قضاؤه كرمضان الماضي، وإن وجد ذلك منهم في أثناء نهار؛ لزمهم إمساك بقيته وقضاؤه. وعنه: لا يلزمهم ذلك، لأنه نهار أبيح لهم فطر أوله ظاهراً وباطناً فلم يلزمهم إمساكه، كما لو استمر العذر، ولأنهم لم يدركوا من وقت العبادة ما يمكنهم التلبس بها فيه، فأشبه ما لو زالت أعذارهم ليلاً. وظاهر المذهب الأول، لأنهم أدركوا جزءاً من وقت العبادة فلزمهم قضاؤها كما لو أدركوا جزءاً من وقت الصلاة، ويلزمهم الإمساك لحرمة رمضان كما لو قامت البينة بالرؤية في أثناء النهار، وإن بلغ الصبي وهو صائم، لزمه إتمام صومه رواية واحدة، لأنه صار من أهل الوجوب فلزمه الإتمام. كما لو شرع في صيام تطوع ثم نذر إتمامه. قال القاضي: ولا يلزمه قضاؤه لذلك، وقال أبو الخطاب يلزمه القضاء كما لو بلغ في أثناء الصلاة.

الشرط الرابع: الإطاقة. فلا يجب على الشيخ الذي يجهده الصوم، ولا المريض المأيوس من برئه لقول اللّٰه تعالى: ﴿لا يكلف اللّٰه نفساً إلا وسعها﴾ (البقرة ٢٨٦). وعليه أن يطعم لكل يوم مسكيناً لقول اللّٰه تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ (البقرة ١٨٤). قال ابن عباس: كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما لا يطيقان الصيام أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكيناً، والحامل والمرضع إذا خافتا على أولادهما أفطرتا وأطعمتا. رواه أبو داود. فإن لم يكن له فدية فلا شيء عليه، للآية الأولى.

فصل

ومن لزمه الصوم لم يبح له تأخيره إلا أربعة.

أحدها: الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما فلهما الفطر، وعليهما القضاء وإطعام مسكين لكل يوم لما ذكرنا من الآية، وإن أفطرتا خوفاً على أنفسهما فعليهما القضاء حسب كالمريض.

الثاني: الحائض والنفساء لهما الفطر، ولا يصح منهما الصيام لما ذكرنا في باب الحيض، والنفاس كالحيض فنقيسه عليه، ومتى وجد ذلك في جزء من اليوم أفسده، وإن انقطع دمها ليلاً فنوت الصوم، ثم اغتسلت من النهار؛ صح صومها، لأن النبي ﷺ كان يصبح جنباً من جماع ثم يغتسل ويتم. متفق عليه. وهذه في معناه.

الثالث: المريض له الفطر وعليه القضاء لقول اللّٰه تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدَّة من أيام أخر﴾ (البقرة ١٨٥). والمبيح للفطر: ما خيف من الصوم زيادته أو إبطاء برئه، فأما ما لا أثر للصوم فيه كوجع الضرس والأصبع ونحوه فلا يبيح الفطر، لأنه لا ضرر عليه في الصوم. ومن أصبح صائماً فمرض في النهار فله الفطر، لأن الضرر موجود، والصحيح إذا خاف على نفسه لشدة عطش أو جوع، أو شبق يخاف أن تشق أنثياه ونحو ذلك، فله الفطر ويقضي، لأنه خائف على نفسه، أشبه المريض. ومن فاته الصوم لإغماء فعليه القضاء، لأنه لا يزيل التكليف، ويجوز على الأنبياء عليهم السلام ولا تثبت الولاية على صاحبه، فهو كالمريض؛ ومن أغمي عليه جميع النهار لم يصح صومه، لأن الصوم الإمساك ولا ينسب ذلك إليه، وإن أفاق في جزء من النهار صح صومه، لوجود الإمساك فيه، وإن نام جميع النهار صح صومه، لأن النائم في حكم المنتبه، لكونه ينتبه إذا نبه، ويجد الألم في حال نومه.

الرابع: السفر الطويل المباح يبيح الفطر، للآية، ولا يباح الفطر لغيره لما ذكرنا في القصر، ولا يفطر حتى يترك البيوت وراء ظهره لما ذكرنا في القصر، وللمسافر أن يصوم ويفطر، لما روى حمزة بن عمرو الأسلمي أنه قال للنبي ﷺ: أصوم في السفر؟ قال: «إن شئت فصم وإن شئت **فأفطر**» متفق عليه. والفطر أفضل: لقول النبي ﷺ: «ليس من البر الصوم في السفر» متفق عليه. ولأنه من رخص السفر المتفق عليها، فكان أفضل كالقصر.

ولو تحمل المريض والحامل والمرضع الصوم، كره لهم وأجزأهم

لأنهم أتوا بالأصل فأجزأهم كما لو تحمل المريض الصلاة قائماً. ومن سافر في أثناء النهار أبيح له الفطر، لما روي عن أبي بصرة الغفاري: أنه ركب في سفينة من الفسطاط في شهر رمضان فدفع، ثم قرب غداه فلم يجاوز البيوت حتى دعا بالسفرة، ثم قال: اقترب قيل: ألست ترى البيوت؟ قال أترغب عن سنة رسول اللَّه ﷺ؟ فأكل. رواه أبو داود. ولأنه مبيح للفطر فأباحه في أثناء النهار كالمريض، وعنه: لا يباح، لأنها عبادة تختلف بالسفر والحضر، فإذا اجتمعا فيها غلب حكم الحضر كالصلاة، وإن نوى الصوم في سفره فله الفطر لذلك، ولما روى جابر أن رسول اللَّه ﷺ خرج عام الفتح فصام حتى بلغ كراع الغميم، وصام الناس معه. فقيل: إن الناس قد شق عليهم الصيام، وإن الناس ينظرون فيما فعلت، فدعا بقدح من ماء فشرب والناس ينظرون، فأفطر بعضهم وصام بعضهم، فبلغه أن الناس صاموا فقال «أولئك العصاة» رواه مسلم، وله أن يفطر بما شاء، وعنه: لا يفطر بالجماع، فإن أفطر به ففي الكفارة روايتان. أصحهما: لا تجب، لأنه صوم لا يجب المضي فيه، فأشبه التطوع. وإذا قدم المسافر وبرىء المريض وهما صائمان لم يبح لهما الفطر، لأنه زال عذرهما قبل الترخص أشبه القصر، وإن زال عذرهما أو عذر الحائض والنفساء وهم مفطرون ففي الإمساك روايتان، على ما ذكرنا في الصبي ونحوه. ومن أبيح له الفطر لم يكن له أن يصوم غير رمضان، فإن نوى ذلك لم يصح، لأنه لم ينو رمضان ولا يصلح الزمان لسواه.

فصل

ولا يجب صوم رمضان إلا بأحد ثلاثة أشياء:

كمال شعبان ثلاثين يوماً، لأنه تيقن به دخول رمضان.

ورؤية الهلال، لقول النبي ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» متفق عليه. ويقبل فيه شهادة الواحد وعنه: لا يقبل فيه إلا شهادة اثنين، لما روى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن أصحاب رسول اللَّه عن رسول اللَّه ﷺ

أنه قال: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وانسكوا فإن غم عليكم فأتموا ثلاثين فإن شهد شاهدان فصوموا وأفطروا» رواه النسائي. وقال أبو بكر: إن كان الرائي في جماعة لم يقبل إلا شهادة اثنين، لأنهم يعاينون ما عاينه، وإن كان في سفر فقدم، قبل قوله وحده، وظاهر المذهب: الأول. اختاره الخرقي وغيره لما روى ابن عمر قال: تراءى الناس الهلال، فأخبرت رسول اللّه ﷺ أني رأيته فصام وأمر الناس بالصيام. رواه أبو داود. ولأنه خبر فيما طريقه المشاهدة يدخل به في الفريضة فقبل من واحد، كوقت الصلاة، والعبد كالحر، لأنه ذكر من أهل الرواية والفتيا، فأشبه الحر. وفي المرأة وجهان. أحدهما: يقبل قولها، لأنه خبر ديني فقبل خبرها به كالرواية، والثاني: لا يقبل، لأن طريقه الشهادة ولهذا لا يقبل فيه شاهد الفرع مع إمكان شاهد الأصل، ويطلع عليه الرجال فلم يقبل من المرأة المنفردة، كالشهادة بهلال شوال.

الثالث: أن يحول دون مطلع الهلال ليلة الثلاثين من شعبان غيم أو قتر، وفيه ثلاث روايات.

إحداهن: يجب الصيام، لما روى ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فاقدروا له». متفق عليه. يعني: ضيقوا له العدة من قوله، «ومن قُدر عليه رزقه» أي: ضيق عليه، وتضييق العدة له أن يحسب شعبان تسعة وعشرين يوماً، وكان ابن عمر رضي اللّه عنه إذا حال دون مطلعه غيم أو قتر أصبح صائماً، وهو راوي الحديث وعمله به تفسير له.

والثانية: لا يصوم، لقوله في الحديث الآخر «فإن غم عليكم فأكملوا ثلاثين يوماً» حديث صحيح. وقال عمار: من صام اليوم الذي يشك فيه الناس فقد عصى أبا القاسم. حديث صحيح. ولأنه شك في أول الشهر، فأشبه حال الصحو.

الثالثة: الناس تبع للإمام إن صام صاموا وإن أفطر أفطروا، لقوله عليه

السلام: «صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم تضحون» رواه أبو داود[1].

فصل

وإذا رأى الهلال أهل بلد لزم الناس كلهم الصوم، لأنه ثبت ذلك من رمضان، وصومه واجب بالنص والإجماع، ومن رأى الهلال فردت شهادته لزمه الصوم، لقوله عليه السلام: «صوموا لرؤيته» فإن أفطر يومئذ بجماع فعليه القضاء والكفارة، ولأنه أفطر يوماً من رمضان بجماع تام فلزمته كفارة، كما لو قبلت شهادته.

ولا يجوز الفطر إلاَّ بشهادة عدلين، لحديث عبد الرحمن بن زيد، ولأنها شهادة على هلال لا يدخل بها في العبادة، فلم يقبل فيه الواحد كسائر الشهور، ولا تقبل فيها شهادة رجل وامرأتين لذلك، ولا يفطر إذا رآه وحده لما روي أن رجلين قدما المدينة وقد رأيا الهلال، وقد أصبح الناس صياماً فأتيا عمر فذكرا ذلك له، فقال لأحدهما: أصائم أنت؟. قال: بل مفطر. قال: ما حملك على هذا؟. قال: لم أكن لأصوم وقد رأيت الهلال. وقال الآخر: أنا صائم. قال ما حملك على هذا؟. قال: لم أكن لأفطر والناس صيام. فقال للذي أفطر: لولا مكان هذا لأوجعت رأسك. رواه سعيد. ولأنه محكوم به من رمضان، أشبه الذي قبله، فإذا صام الناس بشهادة اثنين ثلاثين يوماً فلم يروا الهلال أفطروا، لقول النبي ﷺ: «فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين ثم أفطروا» حديث حسن. وإن صاموا لأجل الغيم فلم يروا الهلال لم يفطروا، لأنهم إنما صاموا احتياطاً للصوم، فيجب الصوم في آخره احتياطاً.

وإن صاموا بشهادة واحد فلم يروا الهلال ففيه وجهان:

---

(١) الحديث الذي عند أبي داود: «وفطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم تضحون» والرواية التي أثبتها المصنف رواها الدارقطني وفي سندها الواقدي وهو ضعيف.

أحدهما: لا يفطرون. لقول النبي ﷺ: «وإن شهد اثنان فصوموا وأفطروا» ولأنه فطر مستند إلى شهادة واحد فلم يجز، كما لو شهد بهلال شوال.

والثاني: يفطرون، لأن الصوم ثبت فوجب الفطر باستكمال العدة تبعاً وقد ثبت تبعاً ما لا يثبت أصلاً بدليل أن النسب لا يثبت بشهادة النساء أصلاً، ويثبت بها الولادة ثم يثبت النسب للفراش على وجه التبع للولادة.

فصل

ومن كان أسيراً، أو في موضع لا يمكنه معرفة الشهور بالخبر فاشتبهت عليه الشهور فإنه يصوم شهراً بالاجتهاد، لأنه اشتبه عليه وقت العبادة فوجب العمل بالتحري، كمن اشتبه عليه وقت الصلاة، فإن لم ينكشف الحال فصومه صحيح، لأنه أدى فرضه باجتهاده، أشبه المصلي يوم الغيم. وإن انكشف الحال فبان أنه وافق الشهر أجزأه، لأنه أصاب في اجتهاده، وإن وافق بعده أجزأه، لأنه وقع قضاء لما وجب عليه فصح، كما لو علم، وإن بان قبله لم يجزئه لأنه صام قبل الخطاب، أشبه المصلي قبل الوقت، وإن صام بغير اجتهاد، أو غلب على ظنِّه أن الشهر لم يدخل فصام لم يجزئه وإن وافق، لأنه صام مع الشك فأشبه المصلي شاكاً في أول الوقت.

فصل

ووقت الصوم من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، لقول اللّه تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ (سورة البقرة ١٨٦). وقال النبي ﷺ: «لا يمنعنكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق» حديث حسن. وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغابت الشمس أفطر الصائم» متفق عليه،

ويجوز الأكل والشرب إلى الفجر للآية والخبر. وإن جامع قبل الفجر ثم أصبح جنباً صح صومه، لأن اللّه تعالى لما أذن في المباشرة إلى الفجر ثم أمر بالصوم دل على أنَّه يصوم جنباً. وقد روت عائشة وأم سلمة رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ كان يصبح جنباً من جماع غير احتلام، ثم يغتسل ويصوم. متفق عليه. وإن أصبح وفي فيه طعام أو شراب فلفظه لم يفسد صومه وإن طلع الفجر وهو يجامع فاستدام فعليه القضاء والكفارة، لأن استدامة الجماع جماع، وإن نزع فكذلك في اختيار ابن حامد والقاضي، لأن النزع جماع كالإيلاج. وقال أبو حفص: لا قضاء عليه ولا كفارة، لأنه تارك للجماع، وما علق على فعل شيء لا يتعلق على تركه. وإن أكل شاكاً في طلوع الفجر صح صومه، لأن الأصل بقاء الليل، وإن أكل شاكاً في غروب الشمس بطل صومه، لأن الأصل بقاء النهار.

باب النية في الصوم

لا يصح صوم رمضان ولا غيره من الصيام إلا بنية من الليل لكل يوم، لما روت حفصة عن النبي ﷺ أنه قال: «من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له» رواه أبو داود، ولأنه صوم مفروض فاعتبرت فيه النيّة من الليل لكل يوم كالقضاء ونحوه، وعنه: تجزئه النية في أول رمضان لجميعه، لأنه عبادة واحدة، والأول: المذهب، لأن كل يوم عبادة منفردة لا يتصل بالآخر، ولا يفسد أحدهما بفساد الآخر فأشبه أيام القضاء، وفي أي وقت من الليل نوى أجزأه للخبر، ولأن الليل محل النوم فتخصيص النيـة بجزء منه يفوت الصوم، ومن أكل أو شرب بعد النية، لم تبطل نيته لأن إباحة الأكل والشرب إلى الفجر دليل على أن نيته لم تفسد به.

فصل

ويجب تعيين النية لكل صوم يوم واجب، وهو أن يعتقد أنه صائم غداً من رمضان، أو من كفارته أو من نذره، وعنه: لا يجب تعيين النية لرمضان،

لأنه يراد للتمييز، وزمن رمضان متعين له لا يحتمل سواه، والأول أصح، لأنه صوم واجب فافتقر إلى التعيين كالقضاء، فلو نوى ليلة الشك إن كان غداً من رمضان فهو فرض وإلا فهو نفل، أو نوى نفلاً أو أطلق النية، صح عند من لم يوجب التعيين، لأنه نوى الصوم ونيته كافية، ولا يصح عند من أوجبه، لأنه لم يجزم به والنية عزم جازم. وإن نوى إن كان غداً من رمضان فأنا صائم وإلا فلا، لم يصح على الروايتين، لأنه شك في النية لأصل الصوم، ولا يفتقر مع التعيين إلى نية الفرض، لأنه لا يكون رمضان إلا فرضاً، وقال ابن حامد: يحتاج إلى ذلك لأن رمضان للصبي نفل، ومن نوى الخروج من صوم الفرض أبطله، لأن النية شرط في جميعه، فإذا قطعها في أثنائه خلا ذلك الجزء عن النية فيفسد الكل لفوات الشرط.

فصل

ويصح صوم التطوع بنية من النهار، لما روت عائشة رضي اللَّه عنها قالت: دخل علي رسول اللَّه ﷺ ذات يوم فقال: «هل عندكم شيء» قلنا: لا قال: «إني إذاً صائم» رواه مسلم، ولأن في تجويز ذلك تكثيراً للصيام، لأنه قد تعرضْ له النية من النهار فجاز، كما سومح في ترك القيام والاستقبال في النافلة لذلك، وفي أي وقت نوى من النهار أجزأه في ظاهر كلام الخرقي، لأنه نوى في النهار، أشبه ما قبل الزوال. واختار القاضي أنه لا يجزىء بنية بعد الزوال، لأن النية لم تصحب العبادة في معظمها، أشبه ما لو نوى مع الغروب. قال أحمد: من نوى التطوع من النهار كتب له بقية يومه، وإذا جمَّع من الليل كان له يومه. فظاهر هذا أنه إنما يحكم له بالصيام من وقت النية لقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىءٍ ما نوى». وقال أبو الخطاب: يحكم له بالصوم الشرعي المثاب عليه من أول النهار، لأن صوم بعضه لا يصح.

باب ما يفسد الصَّوم وما يوجب الكفارة

يحرم على الصائم الأكل والشرب للآية والخبر، فإن أكل أو شرب مختاراً ذاكراً لصومه أبطله، لأنه فعل ما ينافي الصوم لغير عذر، سواء كان غذاء أو غير غذاء كالحصاة والنواة، لأنه أكل. وإن استعط أفسد صومه، لقول النبي ﷺ للقيط بن صبرة «وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً». وهذا يدل على أنه يفسد الصوم إذا بالغ فيه بحيث يدخل إلى خياشيمه. وإن أوصل إلى جوفه شيئاً من أي موضع كان، أو إلى دماغه مثل أن احتقن أو داوى جائفة بما يصل جوفه، أو طعن نفسه أو طعنه غيره بإذنه بما يصل جوفه، أو قطر في أذنه فوصل إلى دماغه، أو داوى مأمومة بما يصل إليه، أفطر، لأنه إذا بطل بالسعوط دل على أنه يبطل بكل واصل من أي موضع كان، ولأن الدماغ أحد الجوفين فأبطل الصوم ما يصل إليه كالآخر. وإن اكتحل فوصل الكحل إلى حلقه أفطر، لأن العين منفذ، لذلك يجد المكتحل مرارة الكحل في حلقه، ويخرج أجزاؤه في نخاعته، وإن شك في وصوله لكونه يسيراً كالميل ونحوه ولم يجد طعمه لم يفطر، نص عليه، وإن أقطر في إحليله شيئاً أو أدخل ميلاً لم يبطل صومه، لأن ما يصل المثانة، لا يصل إلى الجوف ولا منفذ بينهما، إنما يخرج البول رشحاً فهو بمنزلة ما لو ترك في فيه شيئاً، وإن ابتلع ما بين أسنانه أفطر، لأنه واصل من خارج يمكن التحرز عنه فأشبه اللقمة.

فصل

وما لا يمكن التحرز منه كابتلاع ريقه، وغربلة الدقيق، وغبار الطريق، والذبابة تدخل في حلقه، لا يفطر، لأن التحرز منه لا يدخل تحت الوسع، ولا يكلف اللّه نفساً إلا وسعها، وإن جمع ريقه ثم ابتلعه لم يفطر؛ لأنه يصل من معدنه، أشبه ما لو لم يجمعه، وفيه وجه آخر: أنه يفطره، لأنه يمكن التحرز منه. وإن ابتلع النخامة ففيها روايتان. إحداهما: يفطر لأنها من غير

الفم، أشبه القيء. والثانية لا يفطر لأنها لا تصل من خارج وهي معتادة في الفم، أشبه الريق. ومن أخرج ريقه من فمه ثم ابتلعه، أو بلع ريق غيره أفطر، لأنه بلعه من غير فمه، أشبه ما لو بلع ماء، ومن أخرج درهماً من فمه ثم أدخله وبلع ريقه لم يفطر، لأنه لا يتحقق ابتلاع البلل الذي كان عليه، ولذلك لا يفطر بابتلاع ريقه بعد المضمضة والتسوك بالعود الرطب، ولا بإخراج لسانه ثم إعادته. ولو سال فمه دماً أو خرج إليه قلس أو قيء فازدرده أفطر، لأن الفم في حكم الظاهر، وإن أخرجه ثم ابتلع ريقه ومعه شيء من النجس أفطر وإلا فلا.

فصل

ومن استقاء عمداً أفطر، ومن ذرعه فلا شيء عليه لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «من ذرعه القيء فلا قضاء عليه ومن استقاء عمداً فليقض» حديث حسن. وإن حجم أو احتجم أفطر، لقول النبي ﷺ: «أفطر الحاجم والمحجوم»، رواه عن النبي ﷺ أحد عشر نفساً، وقال أحمد: حديث ثوبان وشداد بن أوس صحيحان[1].

فصل

وتحرم المباشرة للآية، فإن باشر فيما دون الفرج، أو قبل أو لمس فأنزل فسد صومه، فإن لم ينزل لم يفسد، لما روي عن عمر قال: قلت: يا رسول اللَّه صنعت اليوم أمراً عظيماً قبلت وأنا صائم قال: «أرأيت لو تمضمضت من الماء وأنت صائم قلت: لا بأس قال: فمه؟» رواه أبو داود. شبه القبلة بالمضمضة لأنها من مقدمات الشهوة، والمضمضة إذا لم يكن معها نزول الماء لم يفطر كذلك القبلة، ولو احتلم لم يفسد صومه، لأنه يخرج عن غير اختياره.

---

(١) وحديثهما: «أفطر الحاجم والمحجوم».

وإن جامع ليلاً فأنزل نهاراً لم يفطر، لأن مجرد الإنزال لا يفطر كالاحتلام، وإن كرر النظر فأنزل فسد صومه، لأنه إنزال عن فعل في الصوم أمكن التحرز عنه، أشبه الإنزال باللمس، وإن صرف بصره فأنزل لم يفطر لأنه لا يمكن التحرز عنه وإن أنزل بالفكر لم يفطر لذلك، وإن استمنى بيده فأنزل أفطر، لأنه إنزال عن مباشرة أشبه القبلة، وسواء في هذا كله المني والمذي، لأنه خارج تخلله الشهوة انضم إلى المباشرة به فأفطر به كالمني، إلا في تكرار النظر لا يفطر، إلا بإنزال المني في ظاهر كلامه، لأنه ليس بمباشرة.

فصل

وما فعل من هذا ناسياً لم يفطره، لما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أكل أحدكم أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه اللّه وسقاه» متفق عليه، وفي لفظ: «فلا يفطر فإنما هو رزق رزقه اللّه تعالى» فنص على الأكل والشرب، وقسنا عليه سائر ما ذكرناه، وإن فعله مكرهاً لم يفطر، لقوله ﷺ: «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء». فنقيس عليه ما عداه، وإن فعله وهو نائم لم يفطر، لأنه أبلغ في العذر من الناسي، وإن فعله جاهلاً بتحريمه أفطر، لأن النبي ﷺ قال: «أفطر الحاجم والمحجوم» في حق رجلين رآهما يفعلان ذلك مع جهلهما بالتحريم، ولأنه نوع جهل فلم يعذر به، كالجهل بالوقت. وذكر أبو الخطاب أنه لا يفطر، لأن الجهل عذر يمنع النائم[1] فيمنع الفطر كالنسيان، وإن تمضمض أو استنشق فدخل الماء حلقه لم يفطر، لأنه واصل بغير اختياره ولا تعديه فأشبه الذباب الداخل حلقه وإن بالغ فيهما فوصل الماء ففيه وجهان أحدهما: لا يفطر، لأنه بغير اختياره. والثاني: يفطر لأن النبي ﷺ نهى عنه لقيط بن صبرة، حفظاً للصوم، فدل على أنه يفطره، ولأنه تولد بسبب منهي عنه، فأشبه الإنزال عن مباشرة، وإن زاد على الثلاث

(١) يمنع النائم: عبارة غير مفهومة المراد. ويظهر أنّ فيها تغييراً من خطأ الناسخ.

فيهما فوصل الماء، فعلى الوجهين، وإن أكل يظن أن الشمس قد غابت ولم تغب، أو أن الفجر لم يطلع وقد طلع، أفطر، لما روي عن حنظلة قال: كنا بالمدينة في رمضان وفي السماء سحاب، فظننا أن الشمس قد غابت فأفطر بعض الناس، ثم طلعت الشمس، فقال عمر: من أفطر فليقض يوماً مكانه. ولأنه أكل ذاكراً مختاراً فأفطر، كما لو أكل يظن أن اليوم من شعبان فبان من رمضان.

فصل

وعلى من أفطر القضاء، لقوله ﷺ: «من استقاء فليقض» ولأن القضاء يجب مع العذر فمع عدمه أولى، وعليه إمساك يومه لأنه أمر به في جميع النهار فمخالفته في بعضه لا تبيح المخالفة في الباقي. ولو قامت البينة بالرؤية بعد فطره فعليه القضاء والإمساك لذلك. ولا تجب الكفارة بغير الجماع، لأن النبي ﷺ لم يأمر بها المحتجم ولا المستقيء، ولأن الإيجاب من الشرع ولم يرد بها إلا في الجماع، وليس غيره في معناه، لأنه أغلظ، ولهذا يجب به الحد في ملك الغير، والكفارة العظمى في الحج، ويفسده دون سائر محظوراته، ويتعلق به اثنا عشر حكماً.

فصل

ومن جامع في الفرج فأنزل أو لم ينزل فعليه القضاء والكفارة، لما روى أبو هريرة أن رجلاً جاء فقال: يا رسول الله وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال له رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا. قال: «فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟» قال: لا. فسكت النبي ﷺ فبينا نحن على ذلك أتي رسول الله بعَرَقٍ تمر فقال: «أين السائل خذ هذا فتصدق به» فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها ـ يريد الحرتين ـ أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت أنيابه فقال: «أطعمه أهلك»

متفق عليه. وسواء في هذا وطء الزوجة والأجنبية، والحية والميتة، والآدمية والبهيمة، والقبل والدبر، لأنه وطء في فرج موجب لغسل أشبه وطء الزوجة، ولأنه إذا وجب التكفير بالوطء في المحل المملوك ففيما عداه أولى، ويحتمل أن لا تجب الكفارة بوطء البهيمة لأنه محل لا يجب الحد بالوطء فيه أشبه غير الفرج، وفي الجماع دون الفرج إذا أنزل روايتان. إحداهما: تجب به الكفارة، لأن النبي ﷺ لم يستفصل السائل عن الوقاع. والثانية: لا تجب، لأنه مباشرة لا يفطر بغير إنزال فأشبه القبلة، ولا يصح قياسه على الوطء في الفرج، لما بينهما من الفرق، وإنما لم يستفصله النبي ﷺ لأنه فهم منه الوقاع في الفرج، بدليل ترك الاستفصال عن الإنزال. وتجب الكفارة على الناسي والمكره، لأن النبي ﷺ لم يستفصل السائل عن حاله. وعن أحمد: كل أمر غلب عليه الصائم فليس عليه قضاء ولا غيره. فيدخل فيه الإكراه والنسيان، لقول النبي ﷺ: «عفي لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» رواه النسائي. وقياساً على سائر المفطرات. وقال ابن عقيل: إن كان الإكراه إلجاء ـ مثل أن استدخلت ذكره وهو نائم أو مغلوب على نفسه ـ فلا كفارة عليه، لأنه لا فعل له. وفي فساد صومه احتمالان، وإن كان بالوعيد ونحوه فعليه القضاء، لأن الانتشار من فعله ولا كفارة عليه لعذره.

فصل

وفي وجوب الكفارة على المرأة روايتان. إحداهما: تجب، لأنها إحدى المتواطئين فلزمتها الكفارة كالرجل.

والثانية: لا تلزمها، لأن النبي ﷺ لم يأمر امرأة المواقع بكفارة، ولأنه حق مال يتعلق بالوطء من بين جنسه فاختصَّ بالرجل كالمهر. فإن كانت ناسية أو مكرهة فلا كفارة عليها رواية واحدة، لأنها تعذر بالعذر في الوطء ولذلك لا تحد إذا أكرهت على الزنا بخلاف الرجل، والحكم في فساد صومها كالحكم في الرجل المعذور، ولا تجب الكفارة بالوطء في غير رمضان، لعدم حرمة الزمان.

فصل

ومن لزمه الإمساك في رمضان فعليه الكفارة كوطء الصائم. ومن جامع وهو صحيح مقيم ثم مرض أو جن أو سافر؛ لم تسقط الكفارة عنه، لأنه أفسد صوماً واجباً في رمضان بجماع تام فوجبت الكفارة، كما لو لم يطرأ عذر. وإن وطىء ثم وطىء قبل التكفير في يوم واحد فعليه كفارة واحدة بلا خلاف، لأنها عبادة تكرر الوطء فيها قبل التكفير فلم تجب أكثر من كفارة كالحج، وإن كان ذلك في يومين ففيه وجهان. أحدهما: تجزئه كفارة واحدة لأنه جزاء عن جناية تكرر سببها قبل استيفائها فتداخلا كالحدود وكالتي قبلها. والثاني: تلزمه كفارتان اختاره القاضي، لأنه أفسد صوم يومين بجماع فوجبت كفارتان كما لو كانا في رمضانين، فإن كفر عن الأول فعليه للثاني كفارة وجهاً واحداً، لأنه تكرر السبب بعد استيفاء حكم الأول فوجب أن يثبت للثاني حكمه كسائر الكفارات.

فصل

والكفارة عتق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً للخبر، وعنه: أنها على التخيير بين الثلاثة، لما روي عن أبي هريرة أن رجلاً أفطر في رمضان، فأمره رسول اللّه ﷺ أن يكفِّر بعتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو يطعم ستين مسكيناً. رواه مسلم ومالك في «الموطأ» وأو للتخيير، والأول المذهب، لأن الحديث الأول أصح وهو متضمن للزيادة، وإن عجز عن الأصناف كلها سقطت، لأن النبي ﷺ أمر الذي أخبره بحاجته إليها بأكلها، ويحتمل أن لا تسقط، لأن النبي ﷺ دفع إليه المكتل وأمره بالتكفير بعد إخباره بعجزه، والأول أولى، لأن الإسقاط آخر الأمرين فيجب تقديمه.

باب القضاء

يجوز تفريق قضاء رمضان، لقول اللّه تعالى: ﴿فعدة من أيام أخر﴾ (سورة البقرة ١٨٣)، وهذا مطلق يتناول التفريق، وروى الأثرم بإسناده عن محمد بن المنكدر[1] أنه قال: بلغني أن رسول اللّه ﷺ سئل عن تقطيع قضاء رمضان، فقال: «لو كان على أحدكم دين فقضاه من الدرهم والدرهمين حتى يقضي ما عليه من الدين هل كان ذلك قاضياً دينه، قالوا: نعم يا رسول اللّه قال: فاللّه أحق بالعفو والتجاوز منكم» والمتتابع أحسن، لأنه أشبه بالأداء وأبعد من الخلاف. ويجوز له تأخيره ما لم يأت رمضان آخر، لأن عائشة رضي اللّه عنها قالت: لقد كان يكون علي الصيام من رمضان فما أقضيه حتى يجيء شعبان. متفق عليه. ولا يجوز تأخيره لغير عذر أكثر من ذلك، لأنه لو جاز لأخرته عائشة، ولأن تأخيره غير مؤقت إلحاقاً له بالمندوبات، فإن أخره لعذر فلا شيء عليه، لأن فطر رمضان يباح للعذر فغيره أولى، وسواء مات أو لم يمت، لأنه لم يفرط في الصوم فلم يلزمه شيء، كما لو مات في رمضان، وإن أمكنه القضاء فلم يقض حتى جاء رمضان آخر قضى وأطعم عن كل يوم مسكيناً، لأن ذلك يروى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة رضي اللّه عنهم، ولأن تأخير القضاء عن وقته إذا لم يوجب قضاء أوجب كفارة، كالشيخ الهرم وإن فرط فيه حتى مات قبل رمضان آخر، أطعم عنه عن كل يوم مسكينٌ، لأن ذلك يروى عن ابن عمر. وإن مات المفرط بعد أن أدركه رمضان آخر فكفارة واحدة عن كل يوم يجزئه، نص عليه، لأن الكفارة الواحدة أزالت تفريطه فصار كالميت من غير تفريط. وقال أبو الخطاب: عليه لكل يوم فقيران لأن كل واحد يقتضي كفارة، فإذا اجتمعا وجب بها كفارتان، كما لو فرط في يومين. ويجوز لمن عليه قضاء رمضان التطوع بالصوم، لأنها عبادة تتعلق بوقت موسع فجاز التطوع بها في وقتها قبل فعلها كالصلاة،

---

(١) هو محمد بن المنكد بن عبداللّه الهدير بن العزى القرشي التيمي، توفي سنة ١٣٠ هـ.

وعنه: لا يجوز، لأنها عبادة يدخل في جبرانها المال فلم يجز التطوع بها قبل فرضها كالحج، والأول أصح، لأن الحج يجب على الفور، بخلاف الصيام، ولا يكره قضاؤه في عشر ذي الحجة، لأن عمر كان يستحب القضاء فيها، ولأنها أيام عبادة فلم يكره القضاء فيها كعشر المحرم. وعنه: يكره، لأن علياً كرهه، ولأن العبادة فيها أحب الأعمال إلى اللّٰه تعالى فاستحب توفيرها على التطوع.

باب ما يستحب وما يكره

ينبغي للصائم أن يحرس صومه عن الكذب والغيبة والشتم والمعاصي، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإنه سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم» متفق عليه. ويستحب للصائم السحور، لما روى أنس أن النبي ﷺ قال: «تسحروا فإن في السحور بركة» متفق عليه ويستحب تأخير السحور وتعجيل الإفطار، لما روى أبو ذر عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال أمتي بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطور» من المسند. ويستحب أن يفطر على رطب، فإن لم يجد فعلى تمرات، فإن لم يجد فعلى الماء، لما روى أنس قال: كان رسول اللّٰه ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم يكن فعلى تمرات، فإن لم يكن حسا حسوات من ماء، وهذا حديث حسن، ولا بأس بالسواك، لأن عامر بن ربيعة قال: رأيت رسول اللّٰه ﷺ ما لا أحصي يتسوك وهو صائم، وهذا حديث حسن. وهل يكره بالعود الرطب، على روايتين. إحداهما: لا يكره، لأنه يروى عن عمر وعلي وابن عمر، والأخرى: يكره، لأنه لا يؤمن من أن يتحلل منه أجزاء تفطره.

فصل

وتكره القبلة لمن تحرك شهوته، لأنه لا يأمن إفضاءها إلى فساد صومه ومن لا تحرك شهوته فيه روايتان. إحداهما: يكره، لأنه لا يأمن حدوث

شهوة، والأخرى: لا يكره، لأن النبي ﷺ كان يقبل وهو صائم لما كان أملك لأربه، وقد روي عن أبي هريرة أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن المباشرة للصائم فرخص له، فأتاه آخر فسأله فنهاه، فإذا الذي رخص له شيخ. والذي نهاه شاب. رواه أبو داود. والحكم في اللمس وتكرار النظر كالحكم في القبلة؛ لأنهما في معناها. ويكره أن يذوق الطعام، فإن فعل فلم يصل إلى حلقه شيء لم يضره، وإن وصل شيء فطره، ويكره مضغ العلك القوي الذي لا يتحلل منه شيء، فأما ما يتحلل منه أجزاء يجد طعمها في حلقه فلا يحل مضغه، إلا أن لا يبلع ريقه، فإن بلعه فوجد طعمه في حلقه فطره، وإن وجد طعم ما لا يتحلل منه شيء في حلقه ففيه وجهان. أحدهما: يفطره كالكحل. والثاني، لا يفطره، لأن مجرد الطعم لا يفطر، كمن لطخ باطن قدميه بالحنظل فوجد مرارته في حلقه لم يفطره، ويكره الغوص في الماء لئلا يدخل مسامعه، فإن دخل فهو كالداخل من المبالغة في الاستنشاق، لأنه حصل بفعل مكروه، فأما الغسل فلا بأس به، لأن النبي ﷺ كان يصبح جنباً ثم يغتسل.

فصل

ويكره الوصال وهو أن يصوم يومين لا يفطر بينهما، لما روى أنس أن النبي ﷺ قال: «لا تواصلوا» قالوا: إنك تواصل قال: «إني لست كأحدكم إني أُطعَم وأُسقى» متفق عليه. فإن أخر فطره إلى السحر جاز، لما روى أبو سعيد أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر» أخرجه البخاري.

باب صوم التطوع

وهو مستحب لما روى أبو هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ عن اللَّه تعالى: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، الصيام

جنة، والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم آطيب عند اللَّه من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربـه فرح بصومه». متفق عليه. وأفضله ما روى عبداللَّه بن عمرو قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أحب الصيام إلى اللَّه صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً» متفق عليه.

ويستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، لما روى أبو هريرة قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث؛ صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام. متفق عليه. ويستحب أن يجعلها أيام البيض، لما روى أبو ذر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يا أبا ذر إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة» وهذا حديث حسن. ويستحب صوم الاثنين والخميس، لما روى أسامة: أن النبي ﷺ كان يصوم يوم الاثنين ويوم الخميس. رواه أبو داود. ويستحب الصيام في المحرم، لما روى أبو هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر اللَّه المحرم» رواه مسلم، وهذا حديث حسن. ويستحب صيام عشر ذي الحجة، لما روى ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى اللَّه من هذه الأيام، قالوا يا رسول اللَّه ولا الجهاد في سبيل اللَّه؟ فقال رسول اللَّه ولا الجهاد في سبيل اللَّه، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع بشيء من ذلك». وهذا حديث حسن صحيح. وصوم يوم عرفة كفارة سنتين وهو التاسع من ذي الحجة، وصوم عاشوراء كفارة سنة، وهو العاشر من المحرم، لما روى أبو قتادة عن النبي ﷺ أنه قال: «يوم عرفة إني أحتسب على اللَّه أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده». وقال في صيام يوم عاشوراء: «إني أحتسب على اللَّه أن يكفر السنة التي بعده» رواه مسلم. ولا يستحب لمن بعرفة أن يصوم، ليتقوّى على الدعاء، لما روى ابن عمر قال: حججت مع النبي ﷺ فلم يصمه، ومع أبي بكر فلم يصمه، ومع عمر فلم يصمه، ومع عثمان فلم يصمه، فأنا لا أصومه ولا آمر به ولا أنهى عنه. حديث حسن. ومن صام شهر رمضان وأتبعه بست من شوال وإن فرقها فكأنما

صام الدهر، لما روى أبو أيوب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من صام شهر رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله» رواه مسلم.

فصل

ويكره إفراد الجمعة بالصيام. لما روى أبو هريرة قال: سمعت رسول اللَّه يقول: «لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو يوماً بعده» متفق عليه. وإفراد يوم السبت بالصوم، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم» وهذا حديث حسن صحيح. فإن صامهما معاً لم يكره لحديث أبي هريرة، ويكره إفراد أعياد الكفار بالصيام لما فيه من تعظيمها والتشبه بأهلها، ويكره صوم الدهر، لما روي أن النبي ﷺ قيل له: فكيف بمن صام الدهر؟ قال: «لا صام ولا أفطر» حديث حسن. ولأنه يشبه التبتل المنهي عنه. ويكره إفراد رجب بالصوم، لما فيه من تشبهه برمضان، وقد روي عن خرشة قال: رأيت عمر يضرب أكف الناس حتى يضعوها في الطعام - يعني في رجب - ويقول: إنما هو شهر كانت الجاهلية تعظمه، ثم يقول: صوموا منه وأفطروا. وروى سعيد بن منصور أوله بمعناه ولم يقل فيه: «صوموا منه وأفطروا» وقال أصحابنا: يكره صوم يوم الشك وهو اليوم الذي يشك فيه هل هو من شعبان أو من رمضان إذا كان صحواً، ويحتمل أنه محرم، لقول عمار: من صام اليوم الذي يشك فيه الناس فقد عصى أبا القاسم ﷺ. والمعصية حرام. وكذلك استقبال رمضان باليوم واليومين، لقول النبي ﷺ: «لا يتقدَّمنَّ أحدكم رمضان بصيام يوم أو يومين إلا أن يكون رجلاً كان يصوم صياماً فليصمه» متفق عليه. وما وافق من هذا كله عادة فلا بأس بصومه لهذا الحديث، وقد دل هذا الحديث بمفهومه على جواز التقدم بأكثر من يومين. وقد روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان النصف من شعبان فأمسكوا عن الصيام حتى يكون رمضان» وهذا حديث حسن فيحمل الأول على الجواز، وهذا على نفي الفضيلة جمعاً بينهما.

فصل

ويحرم صوم العيدين عن فرض أو تطوع، فإن صامهما فقد عصى ولم يجزئاه عن فرض، لما روى أبو عبيد مولى ابن أزهر قال: شهدت العيد مع عمر بن الخطاب فقال: هذان يومان نهى رسول اللّٰه ﷺ عن صيامهما، يوم فطركم من صيامكم، واليوم الآخر تأكلون من نسككم. متفق عليه. ولا يجوز صيام أيام التشريق، لما روى نبيشة الهذلي قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب» رواه مسلم. وفي صيامهما للفرض روايتان. إحداهما: يحرم لهذا الحديث. والثانية: يجوز لما روي عن ابن عمر وعائشة أنَّهما قالا: لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي. رواه البخاري. وقسنا على صوم المتعة صوم كل فرض لأنه في معناه.

فصل

ومن دخل في صيام تطوع فله الخروج منه ولا قضاء عليه، وعنه: عليه القضاء، لأنه عبادة فلزمت بالشروع كالحج، والأول: المذهب، لما روت عائشة قالت: قلت: يا رسول اللّٰه أهديت لنا هدية أو جاءنا زور وقد خبأت لك شيئاً، قال ما هو؟ قلت: حيس ، قال: «هاتيه» فجئت فأكل ثم قال «قد كنت أصبحت صائماً» رواه مسلم. ولأن كل صوم لو أتمه كان تطوعاً، لا يلزمه إتمامه، وإن خرج منه لم يلزمه قضاؤه، كما لو اعتقده من رمضان فبان من شعبان، وإن كان الصوم مكروهاً فالفطر منه مستحب، لما روي عن جويرية بنت الحارث أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال: «أصمت أمس؟» «قالت: لا»: قال: «أتريدين أن تصومي غداً» قلت: لا قال: «فأفطري» أخرجه البخاري ومسلم. وسائر التطوعات من الصلاة والاعتكاف وغيرهما كالصوم، إلا الحج والعمرة، وعنه: أن الصلاة أشد فلا يقطعها، ومال إليها أبو إسحق الجوزجاني، لأن الصلاة ذات إحلال وإحرام فأشبهت الحج، والمذهب الأول، لأن ما جاز ترك جميعه جاز ترك بعضه

كالصدقة، والحج والعمرة يخالفان غيرهما، لأنه يمضي في فاسدهما فلا يصح القياس عليهما. ومن دخل في واجب كقضاء أو نذر غير معين أو كفارة، لم يجز له الخروج منه، لأنه تعين بدخوله فيه، فصار كالمتعين، فإن خرج منه لم يلزمه أكثر مما كان عليه.

فصل

ويستحب تحري ليلة القدر، لقول اللّٰه تعالى: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ (سورة القدر ٣)، وهي في رمضان، لأن اللّٰه تعالى أخبر أنه أنزل فيها القرآن، وأنه أنزله في شهر رمضان، فيدل على أنها في رمضان. وأرجاه الوتر من ليالي العشر الأواخر، لقول رسول اللّٰه ﷺ: «من كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر» وفي لفظ «فاطلبوها في العشر الأواخر في الوتر منها» متفق عليه. وقال أبي بن كعب: إنها ليلة سبع وعشرين، وأمارتها تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء ليس لها شعاع. فعددنا وحفظنا. هذا الحديث صحيح، أخرجه مسلم إلى قوله: «شعاع» فهذا أصح علاماتها، وقد روي عن النبي ﷺ أنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها، من «المسند»، وروى أبو سعيد عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال: «قد أريت هذه الليلة ثم أُنسيتها وقد رأيتني أسجد في صبيحتها في ماء وطين» قال أبو سعيد: فأمطرت تلك الليلة، وكان المسجد على عريش فوكف المسجد، فأبصرت عيناي رسول اللّٰه ﷺ، انصرف علينا وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين. متفق عليه. والحديثان يدلان على أنها تتنقل في ليالي الوتر من العشر، لأن كل واحد منهما يدل على وجود علامتها في ليلة، فينبغي أن يجهد في ليالي الوتر من العشر كله، ويكثر من الدعاء لعله يوافقها، ويدعو بما روي عن عائشة أنها قالت: يا رسول اللّٰه إن وافقتها فبم أدعو؟ قال: «قولي اللهمَّ إنك عفو تحب العفو فاعف عني» رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

الفهـرس

العيد
وقفات وسنن

إعداد

أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى أكرم عباده بمواسم الخيرات، وجازى بالكثير على القليل من الطاعات، والصلاة والسلام على المرسل بالبينات، وعلى آله وأصحابه أهل الفضائل والمكرمات.

وبعد،

العيد زائر محبوب، وعائد لا تمله القلوب تتهيأ القلوب لاستقباله كاستقبال الغائب، وتحرص على مزاره كحرصها على أغلى المطالب.

بشائره في الآفاق، كبشائر المزن الهطال، وقربه من الديار، كنشوة الآمال.

فرحة العيد

أخي المسلم، إن من سماحة هذا الدين ويسره، أن الله تعالى جعل فيه صلاح العباد في الحياة والمعاد.. فلا غلو ولا تفريط.. بل إن دين الله وسط بين ذلك؛ يجد فيه المسلم من حكمة التشريع، ويسر التكاليف ما يجعله يحيا حياة سعيدة.. مليئة بالمصالح الباهرة.

والعيد واحد من تلك الدلائل الواضحة على سماحة الدين وجمال الشرع.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان لأهل الجاهلية يومان في كل سنة يعلبون فيهما، فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال: «**كان لكم يومان**

تلعبون فيهما، وقد أبدلكم الله بهما خيرًا منهما؛ يوم الفطر، ويوم الأضحى» [رواه النسائي وابن حبان، صحيح النسائي للألباني (١٥٥٦)].

وهكذا، فإن دين الإسلام جاء بالتيسير على الناس، من غير ضرر ولا ضرار.. بل وفق ضوابط شرعية تضمن للمسلم النفع العاجل والآجل.

لذلك جاء في حديث عائشة – رضي الله عنها – في سماحه للحبشة باللعب بالحراب في مسجده ﷺ يوم العيد، أن ذلك من سماحة هذا الدين.

قال الحافظ ابن حجر: وروى السراج من طريق أبي الزناد عن عروة عن عائشة، أنه ﷺ قال يومئذ: «**لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني بعثت بحنيفية سمحة**».

إلى من لبس الجديد

إليك يا من لبست الجديد.. وجاءتك بسمة العيد السعيد، هل تذكرت النعم؟!

نعم.. لو أنك تذكرت حال من لم يلبس الجديد؛ لعلمت أنك في نعمة من نعم الله تعالى.

فلتبدأ يوم عيدك – أيها العاقل – بشكر الله تعالى أن كساك الجديد.. فإنك لا تزال بخير إن كنت من الشاكرين.

قال بكر بن عبد الله المزني: (كن عدادًا لنعم الله، فإنك إن

أحصيتها كنت قمنا أن تشكرها، وإذا نسيتها كنت قمنًا أن تكفرها).

أخي المسلم، إن من شُكْر نعم الله عليك؛ أن تذكر أخاك المسلم؛ فتواسي الضعيف.. وتمسح دمعة المحروم.

ويوم العيد، يوم فرح.. فهل يسرك أن تفرح وحدك.. وأخوك المسلم حزين.. كاسف البال؟!

ها هم أبناؤك قد تزينوا بالجديد.. وهم في فرح ومرح بيوم عيدهم.

ولكن هنالك أبناء لم يلبسوا الجديد.. ولم يحسوا بفرحة العيد.

تذكر – أيها المسلم – هؤلاء المحرومين.. وكن حريصًا على إيصال الفرحة إلى قلوبهم.. لتكون من أهل الشكر لنعم الله تعالى.. حدث الواقدي، قال: كان لي صديقان، أحدهما هاشمي، وكنا كنفس واحدة، فنالتني ضائقة شديدة، وحضر العيد، فقالت امرأتي: أما نحن في أنفسنا، فنصبر على اليأس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم، لما عليهم من الثياب الرثة، فانظر كيف تعمل لكسوتهم.

قال الواقدي: وكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي، فوجه إلي كيسًا مختومًا فيه ألف درهم، فما استقر في يدي حتى كتب إلي الصديق الآخر؛ يشكو مثل ما شكوت إلى صديقي الهاشمي، فوجهت إليه الكيس بختمه، ثم أخبرت امرأتي بما فعلته، فاستحسنته، ولم تعنفني عليه، فبينما أنا كذلك إذ وافاني صديقي

الهاشمي، ومعه الكيس كهيئته، فقال لي: اصدقني عما فعلت بالكيس الذي وجهته إليك؟! فعرفته الخبر، فقال لي: إنك حين طلبت مني المال، لم أكن أملك إلا ما بعثت به إليك، ثم أرسلت إلى صديقي الثالث أسأله المواساة، فوجه إلي الكيس الذي بعثتَ به إليه.

قال الواقدي: فتواسينا الألف درهم فيما بيننا كل واحد ثلاثمائة، ثم أخرجنا للمرأة مائة درهم، ونما الخبر إلى المأمون، فدعاني وسألني، فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحد منا ألف دينار، وللمرأة ألف دينار.

وإن من حقوق يوم العيد – أيها المسلم – صيانته عن المعاصي:

إنه يوم شكر لله تعالى.. ولا يليق بك أن تخلطه بالمعصية.. بل إن المسلم إذا خلت أيامه من المعاصي؛ فهو في عيد لا ينقطع.

قال الحسن البصري: (كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد).

فليكن يوم عيدك الحقيقي – أيها العاقل – يوم تهجر فيه المعاصي.. وتقبل فيه بقلبك على خالقك تبارك وتعالى، قائمًا بوظيفة العبودية.. مرتميًا عند بابه عز وجل.. عسى أن تفوز بالعيدين؛ عيد الدنيا.. وعيد الآخرة.. في جنان وسندس وإستبرق.

عيد مقيم وعيد الناس منصرف
والقلب مني عن اللذات منحرف
ولي قرينان ما لي منهما خلف
طوال الحنين وعين دمعها يكف

وإن من حقوق يوم عيدك – أيها العاقل – غضب البصر:

إن يوم العيد عند كثير من الغافلين؛ هو يوم عبث ولهو حرام، فتراه مشغولاً بإطلاق بصره هنا وهناك.. أو تراه جالسًا أمام شاشة التلفاز يشاهد المشاهد الخليعة والنساء المتبرجات.. بل حتى عند خروجه إلى المصلى تراه يحرص أن يرى وجهًا هجر الحجاب.. أو شخص امرأة أبرزه حجاب كاذب.

قال بعض أصحاب سفيان الثوري: خرجت معه يوم عيد، فقال: (إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا غض البصر).

ورجع حسان بن أبي سنان من عيده، فقالت امرأته: كم من امرأة حسناء قد رأيت؟!

فقال: ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت إلى أن رجعت.

وإن من حق يوم عيدك أيضًا: أن تصل رحمك:

إن صلة الرحم في يوم العيد؛ فرحة تضاف إلى فرحة.. وهي فرحة لنفي التباغض والتقاطع بين ذوي الأرحام.. فإن يوم العيد يوم يدعو المتدابرين والمتقاطعين إلى فتح صفحة جديدة، ورفض العداوات.

فاجعل – أيها المسلم – يوم عيدك سعيدًا بنفي كل كدر عنه.. وصلة الرحم واحدة من تلك المسرات التي تجعل عيدك سعيدًا.. جميلاً.. قال النبي ﷺ: «**إنه من أعطى حظه من الرفق، فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار**».

[رواه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة (٥١٩)]

فتفقد – أيها المسلم – فقيرهم بالبر والإحسان.. وغنيهم بالزيارة والسلام.

قال رسول الله ﷺ: «**بلوا أرحامكم، ولو بالسلام**».

[رواه البزار، السلسلة الصحيحة (١٧٧٧)]

وإن من حق يوم عيدك أيضًا اغتنام الوقت فيما ينفع:

في يوم العيد ترى الكثيرين يمضي وقتهم في أمور لا تنفع.. بل في أمور فيها سخط الله تعالى.

ولكن، فلتجعل – أيها الموفق – يوم عيدك كله طاعة لله تعالى.. فتغتنم ساعاته فيما ينفع في الدنيا والآخرة.. فإن الوقت أنفس من أن تضيعه في غير طاعة الله تعالى.

قال الحسن البصري: (ابن آدم، اليوم ضيفك، والضيف مرتحل، يحمدك أو يذمك، وكذلك ليلتك)

وقال الحافظ ابن رجب: (السعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرب فيها إلى مولاه، بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار، وما فيها من النفحات).

أخي المسلم، تلك بعض الأمور التي ينبغي أن تزين بها عيدك، وهي أمور أنت تخاطب بها دائمًا.. ولكن في يوم العيد تصبح أشد تأكيدًا.

واحرص دائمًا أن تكون في طاعة لله تعالى.. قريبًا من بابه تبارك وتعالى.

سنن العيدين

أخي المسلم، هذه نبذة عن بعض السنن التي ينبغي أن تراعيها في عيدك.. لتكون من المقتدين بالنبي ﷺ وأكرم بها من منزلة.

١- التكبير في العيدين:

وهو من شعائر الدين، ومن سنن سيد المرسلين ﷺ.. وعلى ذلك سار سائر السلف الصالحين.

(كان النبي ﷺ يخرج يوم الفطر فيكبر، حتى يأتي المصلى، وحتى يقضي الصلاة، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير» [رواه ابن أبي شيبة، السلسلة الصحيحة (١٧٠)].

وكان ابن المسيب وعروة وأبو سلمة وأبو بكر يكبرون ليلة الفطر في المسجد، يجهرون بالتكبير.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: (كانوا في الفطر أشد منهم في الأضحى) قال وكيع: يعني في التكبير.

٢- الغسل للعيد:

عن نافع: (أن عبد الله بن عمر كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى) [رواه مالك في الموطأ].

وقال سعيد بن المسيب: (سنة الفطر ثلاث: المشي إلى المصلى، والأكل قبل الخروج، والاغتسال).

وقال ابن قدامة: (يستحب أن يتطهر بالغسل للعيد، وكان ابن

عمر يغتسل يوم الفطر، وروي ذلك عن علي رضي الله عنه، وبه قال علقمة وعروة وعطاء والنخعي والشعبي وقتادة وأبو الزناد ومالك والشافعي وابن المنذر).

٣- التــزين بالثياب الجميــلة:

وفي هديه ﷺ في ذلك يقول ابن القيم: (وكان يلبس للخروج إليهما أجمل ثيابه، فكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة، ومرة كان يلبس بردين أخضرين، ومرة بردًا أحمر...).

وكان ابن عمر - رضي الله عنهمــا - يلبس أحسن ثيابه في العيدين.

وقال الإمام مالك: (سمعت أهل العلم يستحبون الطيب والزينة في كل عيد).

٤- الأكل في الفطر قبل الخروج إلى المصلى، وفي الأضحى بعد الرجوع من المصلى:

عن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات) [رواه البخاري]، وفي رواية للبخاري: (ويأكلهن وترًا).

وفي رواية للترمذي، وابن ماجة: (ولا يطعم يوم الأضحى حتى يصلي).

ولأحمد: (فيأكل من أضحيته).

قال المهلب: (الحكمة في الأكل قبل الصلاة: أن لا يظن ظان

لزوم الصوم حتى يصلي العيد، فكأنه أراد سد هذه الذريعة).

وقال الترمذي: (وقد استحب قوم من أهل العلم أن لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم شيئًا، ويستحب له أن يفطر على تمر، ولا يطعم يوم الأضحى حتى يرجع).

٥- الخروج إلى المصلى:

إن الخروج إلى المصلى يوم العيد، وشهود الصلاة، من شعائر الدين التي ينبغي على المسلم أن يحرص عليها، فإن في ذلك فضلا عظيما، ويدلك على ذلك أن النبي ﷺ أذن لذوات الحيض أن يشهدن خير هذا اليوم، غير أنهن يعتزلن المصلى.

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى، العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض، فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: «**لتلبسها أختها من جلبابها**» [رواه البخاري ومسلم].

٦- مخـــالفة الطـــريق:

وهي أيضًا من السنن، أن يرجع من طريق غير الطريق التي جاء منها.

عن جابر رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق) [رواه البخاري].

أخي المسلم، كانت تلك وقفات مع تلك الإطلالة الجميلة التي

يحياها المسلم في كل عام مرتين (العيد).

وختامًا: أقول لك:

إن العيدين جاء زمانهما بعد خاتمة لعمل صالح.. فالفطر جاء بعد شهر الصوم.. والأضحى جاء بعد الوقوف بعرفة، ومناسك الحج.. وفي ذلك ذكرى لك أن تختم عمرك بالصالحات.. فاحرص أن تكون من أهل الخواتم الحسنة.

والحمد لله تعالى بلا نقصان.. والصلاة والسلام على النبي وآله وأصحابه أبد الزمان.

العيد

إعداد

إبراهيم بن علي الحدادي

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com



دار الوحيين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله يسر لنا الدين وأتم علينا النعمة، وبلغنا رمضان ورزقنا صيامه وقيامه، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين... **أما بعد:**

فهذه كلمات يسيرة حول العيد وما يتعلق به من أحكام راجيًا الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجه الكريم وأن تسهم في التوعية والتوجيه للمسلمين في كل مكان. آمين.

قف بالمصلى فهذا اليوم مشهود   واسمع حديث الهدى فالقول
عيد أتيت وشهر الخير منسلخ   من بعد أن كان للقرآن ترديد
أتيت تحمل للصوام تهنئة   ففيك جائزة الصوام يا عيد
أتيت يا عيد والأرواح مشرقة   فللبلابل ألحان وتغريد

أخي المسلم: العيد عبادة من العبادات الجليلة، ومظهر من مظاهر الدين الحنيف التي يعيش فرحتها الصغير والكبير...

فما هو العيد:

العيد مأخوذ من العود وهو الرجوع والتكرار، قال النووي رحمه الله: وسُمي العيد عيدًا لعوده وتكرره، وقيل: لعود السرور فيه، وقيل: تفاؤلاً بعوده على من أدركه، كما سميت القافلة حين خروجها تفاؤلاً لقفولها سالمة، وهو رجوعها [شرح صحيح مسلم للنووي: ٦/١٤٩].

حكم صلاة العيد:

مذهب الكثير من العلماء أنها فرض كفاية. والذي رجحه المحققون من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره

أن صلاة العيد واجبة ولا تسقط إلا بعذر.

وقت صلاة العيد وكيفيتها:

وقت صلاة العيد بعد طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح، ويستمر إلى الزوال، ولا يشرع لها أذان ولا إقامة، فعن جابر ﷺ قال: (صليت مع رسول الله ﷺ العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة) [أخرجه مسلم].

وهي ركعتان يكبر في الأولى سبع تكبيرات، وفي الثانية خمس تكبيرات. فعن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ كان يكبر في الفطر والأضحى، في الأولى سبع تكبيرات، وفي الثانية خمسًا) [أخرجه أبو داود بسند حسن].

ثم بعد ذلك يخطب خطبتين، لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: (شهدت صلاة الفطر مع نبي الله وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصليها قبل الخطبة) [أخرجه مسلم].

ما يقرأ فيها:

يسن أن يقرأ الإمام فيها جهرًا بعد الفاتحة سورة [الأعلى] في الركعة الأولى و[الغاشية] في الثانية، أو سورة [ق] في الأولى و[القمر] في الثانية.

فعن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الجمعة والعيدين بـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [أخرجه مسلم].

وعن عبيد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب ﷺ سأل أبا واقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟

فقال: (كان يقرأ فيهما بـ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ و﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾) [أخرجه مسلم].

الحكم إذا عُلم العيد بعد الزوال:

إذا علم الناس بالعيد بعد الزوال صلوها من الغد؛ لحديث أبي عمير بن أنس رحمه الله عن عمومة له من أصحاب النبي ﷺ قالوا: (غم علينا هلال شوال، فأصبحنا صيامًا فجاء ركب في آخر النهار، فشهدوا أنهم رأوا الهلال بالأمس، فأمر النبي ﷺ الناس أن يفطروا من يومهم، وأن يخرجوا غدًا لعيدهم) [رواه أحمد وأبو داود وغيرهما].

حكم الاغتسال والتجمل في العيد:

يستحب للمسلم التجمل في يوم العيد فعن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: أخذ عمر جبة من استبرق تباع في السوق فأخذها، فأتى بها رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ابتع هذه، تجمل بها للعيد والوفود. فقال له رسول الله ﷺ: «**إنما هذه لباس من لا خلاق له**». فلبث عمر ما شاء الله أن يلبث، ثم أرسل إليه رسول الله ﷺ بجبة ديباج، فأقبل بها عمر، فأتى بها رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنك قلت إنما هذه لباس من لا خلاق له، وأرسلت إلي بهذه الجبة. فقال له رسول الله ﷺ: «**تبيعها أو تصيب بها حاجتك**» [صحيح البخاري ٩٤٨].

قال ابن قدامة: وهذا يدل على أن التجمل عندهم في هذه المواضع كان مشهورا [المغني ٣/١١٤].

وقال الإمام مالك: سمعت أهل العلم يستحبون الطيب والزينة

في كل عيد [المرجع السابق].

وعن نافع: أن عبد الله بن عمر ﷺ كان يغتسل يوم الفطر قبل ان يغدو إلى المصلى [رواه مالك].

حكم صيام يوم العيد:

لا يجوز صيام يومي العيد؛ لما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ: «**لا صوم في يومين: الفطر والأضحى**» [صحيح البخاري ١١٩٧].

قال النووي رحمه الله: (وقد أجمع العلماء على تحريم صوم هذين اليومين بكل حال، سواء صامهما عن نذر أو تطوع أو كفارة أو غير ذلك) [شرح صحيح مسلم ٤/٢٧١].

حكم الأكل قبل الخروج للمصلى في عيد الفطر:

يسن للمسلم أن يأكل تمرات وترًا قبل خروجه للمصلى، فعن أنس بن مالك ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات، ويأكلهن وترًا [رواه البخاري].

حكم خروج جميع النساء للمصلى:

يجوز للنساء الخروج لصلاة العيد وحضور الخطبة والاستفادة منها بشرط الالتزام بالحجاب الشرعي وعدم التزين والتطيب وأن يكن منفردات عن الرجال؛ لما روته أم عطية، رضي الله عنها، قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى: العواتق والحيض وذوات الخدور فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين قلت: يا رسول الله! إحدانا لا يكون لها جلباب. قال: «**لتلبسها أختها من جلبابها**» [متفق عليه].

العواتق: جمع عاتق وهي: الجارية البالغة.

قوله: (ويشهدن الخير).

قال النووي: (فيه استحباب حضور مجامع الخير ودعاء المسلمين وحلق الذكر والعلم ونحو ذلك) [شرح مسلم ١٥٧/٦].

حكم المشي إلى المصلى وحكم مخالفة الطريق:

من السنن التي تركها الكثير في يوم العيد الذهاب للعيد ماشيًا ومخالفة الطريق، في الذهاب والإياب، إذا كان ذلك سهلا على الإنسان وليس فيه مشقة... وقد دل على هذه السنة أدلة منها:

فعن ابن عمر، رضي الله عنهما، (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى العيد ماشيا، ويرجع ماشيا) [رواه ابن ماجه وحسنه الألباني].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: (من السنة أن تخرج إلى العيد ماشيًا، وأن تأكل شيئا قبل أن تخرج) [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: (كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق) [رواه البخاري].

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أخذ يوم العيد في طريق، ثم رجع في طريق آخر [رواه أبو داود وصححه الألباني].

والحكمة من ذلك كما قال ابن القيم رحمه الله: (وكان صلى الله عليه وسلم يخرج ماشيا، وكان صلى الله عليه وسلم يخالف الطريق يوم العيد، فيذهب من طريق ويرجع من آخر قيل ليسلم على أهل الطريقين، وقيل لينال بركته الفريقان،و قيل ليقضي حاجة من له

حاجة منهما، وقيل: ليظهر شعائر الإسلام في سائر الفجاج والطرق، وقيل ليغيظ المنافقين برؤيتهم عزة الإسلام وأهله، وقيام شعائره، وقيل لتكثر شهادة البقاع فإن الذاهب إلى المسجد والمصلى إحدى خطواته ترفع درجة وتحط خطيئة، حتى يرجع إلى مترله، وقيل وهو الأصح: إنه لذلك كله، ولغيره من الحكم التي لا يخلو فعله منها) [زاد المعاد].

حكم التكبير أيام العيد:

ذهب جمهور العلماء إلى أنه سنة مؤكدة للرجال والنساء، قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وعن الزهري: (أن رسول الله ﷺ كان يخرج يوم الفطر فيكبر حتى يأتي المصلى، وحتى يقضي الصلاة، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير) [السلسلة الصحيحة ١٧١].

قال البغوي في شرح السنة: (ومن السنة إظهار التكبير ليلتي العيدين مقيمين وسفرا في منازلهم، ومساجدهم، وأسواقهم، وبعد الغدو في الطريق، وبالمصلى إلى أن يحضر الإمام ويبدأ التكبير من غروب ليلة العيد حتى يحضر الإمام إلى المصلى.

ومن صيغ التكبير:

١ - الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد [رواه ابن أبي شيبة بإسناد صححه الألباني عن ابن مسعود ﷺ].

٢ - الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد [عن ابن مسعود وابن عباس بسند صحيح].

٣ - الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا [رواه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان].

حكم التهنئة بالعيد:

لا بأس بالتهنئة بالعيد كأن يقول: «تقبل الله منا ومنكم» وغير ذلك.

قال شيخ الإسلام: (أما التهنئة يوم العيد يقول بعضهم لبعض إذا لقيه بعد صلاة العيد: تقبل الله منا ومنكم، وأحاله الله عليك ونحو ذلك، فهذا قد روي عن طائفة من الصحابة أنهم كانوا يفعلونه، ورخص فيه الأئمة كأحمد وغيره. لكن قال أحمد: أنا لا ابتدئ أحدا، فإن ابتدأني أحد أجبته. وذلك لأن جواب التحية واجب. وأما الابتداء بالتهنئة، فليس سنة مأمورًا بها، ولا هو أيضا مما نهي عنه. فمن فعله فله قدوة، ومن تركه فله قدوة) [مجموع الفتاوى ٢٤/٢٥٣].

الحكم إذا وافق يوم العيد يوم جمعة:

إذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد سقطت الجمعة عمن صلى العيد، لحديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اجتمع في يومكم هذا عيدان؟ فمن شاء أجزأه من الجمعة، وإنا مجمعون**» [رواه أبو داود].

وينبغي للإمام أن يقيم الجمعة ليشهدها من شاء، ومن لم يشهد العيد، ومن لم يصل الجمعة فإنه يصليها ظهرًا.

حكم زكاة الفطر:

واجبة لحديث ابن عمر قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر

من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين) [رواه مسلم].

ويسن إخراجها عن الجنين لفعل عثمان بن عفان ﷺ.

ومقدارها: صاع من قوت البلد.

ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، ولا يجوز إخراجها نقودا على القول الصحيح من أقوال أهل العلم، لأن ذلك مخالف لأمر الرسول ﷺ، ويجب تحري الفقراء والمساكين لدفعها إليهم.

ووقت إخراجها الفاضل يوم العيد قبل الصلاة، ويجوز تقديمها قبل ذلك بيوم أو يومين.

تنبيهات مهمة:

- على المسلم أن يحمد الله تعالى أن أتم عليه النعمة بصيام هذا الشهر وقيامه، وأن يكثر من الدعاء بأن يتقبل الله منه الصيام والقيام.
- يستحب للمسلم الفرح والسرور بالعيد: ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل عليٌّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: «**دعهما**» فلما غفل غمزهما فخرجتا) [رواه البخاري ومسلم]، وفي رواية لمسلم: «**تغنيان بدف**».
- يشرع للمسلم التوسعة على أهله في أيام العيد بأنواع ما يحصل لهم من بسط النفس، والترويح عنهم، وأخذهم للرحلات الترفيهية الخالية من المحاذير الشرعية.

- التكبير الجماعي بصوت واحد، أو الترديد خلف شخص كل ذلك من المخالفات والتي لم يرد عليها دليل.
- ليلة العيد تحيى بالتكبير والتهليل ولا يجوز إحياؤها بما يخالف ذلك من الأقوال التي لم تثبت شرعًا.
- زيارة المقابر للرجال أمر مشروع في غير أيام العيد، وتخصيص يوم العيد لزيارة المقابر والسلام على الأموات. أمر مخالف للشريعة.
- لا يجوز السهر على المعصية كمتابعة الأفلام والمسلسلات الماجن والغناء وضياع الأوقات في الأسواق واللهث وراء حطام الدنيا الزائل.
- لا يجوز للمسلمة التبرج والسفور ومخالطة الرجال في الأسواق والمساجد والمنتزهات وغيرها.
- لا يجوز الإسراف في الملبس والمأكل والمشرب وقد نهى الله عن ذلك فقال: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١] وفي الحديث: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلوا واشربوا، وتصدقوا، والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة**» [رواه ابن ماجه وحسنه الألباني].
- لا يجوز للمسلم حلق لحيته أو التزين بذلك لا في يوم العيد ولا في غيره.
- لا يجوز مصافحة النساء من غير المحارم فعن أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها قالت: جئت النبي ﷺ في نسوة نبايعه فقال لنا:

«**فيما استطعتن وأطقتن إني لا أصافح النساء**» [رواه ابن ماجــه والنسائي وصححه الألباني].

- وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ما مـــست يَـــدُ رسول الله ﷺ يد امرأة قط.
- اجعل من يوم العيد يوم فرح وسرور وزيـــارة للوالـــدين والأقارب والأرحام والأصدقاء، واجعل صدرك واسعًا مسامحا لكل أحد.
- بادر بعد العيد بقضاء ما فاتك من رمضان، ولا تنس صيام الست من شوال، فإنها مع رمضان تعدل صيام سنة كاملة.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيـــام وصـــالح الأعمال وأن يبارك لنا في أعمارنا، وأن يزيدنا علمًا وعمـــلاً، والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آلـــه وصـــحبه وسلم.

كتب هذه الكلمات

الفقير إلى عفو ربه

إبراهيم بن علي الحدادي

إمام مسجد البر -

الرياض - ٢٥ / ٩ / ١٤٢٥ هـــ.

المنهل المشروب
في صيام النفل المشروع

تأليف الفقير إلى عفو ربه
عيسى بن إبراهيم الدريويش

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث شريف

روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا»

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا الحكمة والقرآن، ودعانا للعبادات ومنها الصيام أحمده حمداً مباركًا، وأشكره على منه وإحسانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

وبعد:

الصوم من العبادات الخفية التي لا مثيل لها كما في الحديث «**فإنه لا مثيل له**». وهو يعمل على إعداد النفوس، وترويضها على تقوى الله.

وهو كفارة للخطيئات قال رسول الله ﷺ: «**فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» رواه البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه.

فهذا الكتاب أعددته رغبة في نشر الخير وتعاونًا مع المسلمين على البر والتقوى وبيانًا لمجمل صيام أيام النفل مع العمل على الطرح المختصر لتوصيل الفائدة وسميته: (المنهل المشروب في صيام

النفل المشروع)، والله تعالى أسأله أن يجعله خالصًا لوجهه، وأن ينفع به.

والله الموفق، وآخر دعوانا أن الحمد له رب العالمين.

المؤلف

عيسى بن إبراهيم الدريويش

هاتف: ٠٤/٦٢٢٢٧٣٠

جوال: ٠٥٥٣٨٩٢٢٤

ص. ب ٢٥١

محافظة دومة الجندل

فضائل الصوم عامة

روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**والذي نفسي بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. يقول الله عز وجل: إنما ترك شهواته وطعامه وشرابه من أجلي، فالصيام لي وأنا أجزي به**».

وروى الشيخان: البخاري ومسلم رحمهما الله عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة بابا، يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم. يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، فيدخلون فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**».

وروى الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا**».

وروى الإمام النسائي رحمه الله تعالى عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام يومًا في سبيل الله عز وجل باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام**».

ما جاء في صيام نفل المحرم

روى أبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر**

الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

روى أبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**».

وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل أي الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال: «**شهر الله المحرم**».

وروى ابن أبي شيبة عن النعمان بن سعد رضي الله عنه قال: أتى عليا رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني بشهر أصومه بعد رمضان. فقال: لقد سألتني عن شيء ما سمعت أحدا يسأل عنه بعد رجل سمعته يسأل عنه رسول الله ﷺ فقال: «**إن كنت صائمًا شهرًا بعد رمضان، فصم المحرم؛ فإنه شهر الله، وفيه يوم تاب فيه قوم، ويتاب فيه على آخرين**».

وله أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصيام أفضل بعد رمضان فقال: «**شهر الله الذي يدعونه المحرم**».

ما جاء في صيام يوم عاشوراء

يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من محرم يسن صومه عند جماهير العلماء سلفًا وخلفًا، وذكر ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى في كتابه (إتحاف أهل الإسلام) قال: قال الإمام القرطبي رحمه الله

تعالى: عاشوراء معدول من عاشر للمبالغة والعظم. وهو في الأصل صفة لليلة العاشر؛ لأنه مأخوذ من العشر الذي هو اسم للعقد واليوم يضاف إليها.

فإن قيل يوم عاشوراء، فكأنه قيل يوم الليلة العاشرة، إلا أنهم لما عدلوا به عن الصيغة غلبت عليه الاسمية، فاستغنوا عن الموصوف، وحذفوا الليلة وعلى هذا، فيوم عاشوراء العاشر.

روى البخاري ومالك وأبو داود والترمذي رحمهم الله تعالى قالت عائشة رضي الله عنها: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه، وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان قال: «**من شاء صامه، ومن شاء تركه**».

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: ولعل قريشًا استندوا في صومه إلى شرع من مضى كإبراهيم عليه السلام، ويؤيده أنهم كانوا يعظمون ذلك اليوم بكسوة الكعبة.

وكذلك اليهود والنصارى في ذلك الزمن يعظمون هذا اليوم، ويصومونه لما رواه الإمام مسلم وأبو داود رحمهما الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. فقال: «**إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع**» فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ.

فضيلة صيام هذا اليوم:

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية**».

وروى الأئمة البخاري ومسلم والبيهقي وأحمد رحمهم الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت النبي ﷺ يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء، وهذا الشهر يعني شهر رمضان.

مراتب صيام يوم عاشوراء:

ذكر العلماء أن صيام عاشوراء له ثلاث مراتب:

الأولى: صوم التاسع والعاشر.

الثانية: صوم العاشر.

الثالثة: صوم التاسع والعاشر والحادي عشر.

والأصح صيام العاشر وحده أو صيام التاسع والعاشر؛ لأن صيام العاشر هو الأصل والتاسع والعاشر لمخالفة اليهود، وذلك لقول النبي ﷺ: «**لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع**».

قال البيهقي رحمه الله تعالى: هذا دليل استحباب الشافعي وغيره كأحمد وإسحاق صوم التاسع أيضًا.

وحكمة الجمع بين التاسع والعاشر ما أشار إليه خبر مسلم المذكور من مخالفة اليهود في إفراد العاشر، وقيل حكمة ذلك

الاحتياط لتحصيل عاشوراء، وأرى صيام عاشوراء حتى لو وافق جمعة؛ لأن عاشوراء سبب، وما كان له سبب فعل في وقت نهيه.

ما جاء في صيام يوم عرفة

يوم عرفة هو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة شرع صيامه لغير الحاج، وصيامه سنة، لما رواه الجماعة رحمهم الله تعالى عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية**».

وفي لفظ رواه الترمذي كما في تحفة الأحوذي عن عبد الله ابن معبد الزماني عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده والسنة التي قبله**».

قال أبو عيسي: حديث أبي قتادة حديث حسن، وقد استحب أهل العلم صيام يوم عرفة إلا بعرفة.

وروى أبو يعلي رحمه الله عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام يوم عرفة غفر له ذنب سنتين متتابعتين**».

قال المنذري رحمه الله تعالى: رجاله رجال الصحيح.

وروى الطبراني رحمه الله تعالى بإسناد حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام يوم**

عرفة غفر له سنة أمامه، وسنة خلفه ومن صام عاشوراء غفر له سنة».

خلاف العلماء في صوم يوم عرفة لمن كان حاجًا:

ذكر الإمام الحافظ رحمه الله تعالى خلاف العلماء في ذلك؛ فقال ابن عمر رضي الله عنه لم يصومه رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، وأنا لا أصومه. أي يقصد وهم في عرفات حجاجًا.

وكان مالك والثوري رحمهما الله يختاران الفطر، وكان ابن الزبير وعائشة رضي الله عنها يصومان يوم عرفة بعرفة.

وقال قتادة رحمه الله تعالى: لا بأس به، إذا لم يضعف عن الدعاء.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: يستحب صوم يوم عرفة لغير الحاج، أما الحاج، فأحب إلى أن يفطر لتقويته على الدعاء.

وذكر عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قال: إن قدر على أن يصوم صام يعنى الحاج، وإن أفطر، فذلك يوم يحتاج فيه إلى القوة.

والأكثر من العلماء على أن الحاج بعرفة يترك صوم عرفة؛ ليتفرغ للذكر والدعاء؛ ولأن ذلك يحتاج إلى أن ينشط الحاج بعرفة، ومن ثم هذه هي السنة.

ما جاء في صيام الستة من شوال

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر**».

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: والحديث صحيح يحتج به، وإن قال ابن عيينة وغيره إنه موقوف على أن صوم ستة من شوال سنة.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم كما ذكره الشوكاني في نيل الأوطار قال أصحابنا: (والأفضل أن تصام الست متوالية عقب يوم الفطر، فإن فرقها أو أخرها عن أوائل الشهر إلى آخره حصلت فضيلة المتابعة؛ لأنه يصدر أنه أتبعه ستًا من شوال).

قال العلماء رحمهم الله تعالى: إنما كان ذلك كصيام الدهر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها؛ فرمضان بعشر أشهر والستة بشهرين.

آراء العلماء في صيام الست من شوال:

١- استحب الإمام أحمد والشافعي وداود صيامها، واستدلوا بالحديث آنف الذكر.

٢- كره الإمام مالك وأبو حنيفة صيامها، قال الشوكاني رحمه الله تعالى: (واستدلا على ذلك بأنه ربما ظن وجوبها، وقال: هو باطل، وذكر أن الإمام مالك رحمه الله تعالى استدل بأنه ما رأى أحدًا من أهل العلم صامها).

قال الشوكاني رحمه الله تعالى: (لا يخفى أن الناس إذا تركوا العمل بسنة لم يكن تركهم دليل ترد به السنة).

ما جاء في صيام داود عليه السلام

داود عليه السلام كان يصوم يومًا، ويفطر يومًا، وهذا الصيام سنة لما رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا «**إن أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا**».

وفي رواية له أن رسول الله ﷺ قال له: «**صم يومًا، ولك أجر ما بقي**» قال: أنا أطيق أفضل من ذلك قال: «**صم ثلاث أيام، ولك أجر ما بقي**» قال: إني أطيق أكثر من ذلك. قال: «**صم أفضل الصيام عند الله صوم داود عليه السلام؛ كان يصوم يومًا، ويفطر يومًا**».

وفي رواية لمسلم وأبي داود رحمهما الله تعالى قال: «**صم يومًا، وأفطر يومًا، وهو أعدل الصيام، وهو صيام داود عليه السلام**» قلت: إني أطيق أفضل من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا أفضل من ذلك**».

وفي رواية للإمام النسائي رحمه الله تعالى: «**صم، أحب الصيام إلى الله عز وجل صوم داود؛ كان يصوم يومًا يفطر يومًا**».

وهذا الصيام لمن يقدر عليه، أما من يحصل له بسببه ضعف أو

تركه لعمل واجب أو نحوه، فلا يسن له.

ولهذا يقول العلماء: لا ينبغي للإنسان أن يوطن على نفسه عملاً إلا إن علم أنه يطيقه عند كبره.

ما جاء في صيام الاثنين والخميس

صوم الاثنين والخميس حكمه سنة لما رواه الترمذي رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس».

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**».

وأميل إلى جواز صوم الاثنين دون الخميس لمن رغب صوم الاثنين دون الخميس لما رواه الإمام مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه لما سئل عن صوم يوم الاثنين قال: «**ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت أو أنزل علي فيه**».

فهذه الأحاديث تدل على استحباب صوم يوم الاثنين والخميس، أو صوم يوم الاثنين وحده؛ لأنهما يومان تعرض فيهما الأعمال.

قال الإمام المباركفوري في التحفة: قوله: «**تعرض الأعمال**» أي: على الله «**فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**» أي: طلب الزيادة رفعة الدرجة. وقيل: وهذا لا ينافي قوله ﷺ «**يرفع عمل**

الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل»؛ للفرق بين الرفع والعرض؛ لأن الأعمال تجمع في الأسبوع، وتعرض في هذين اليومين، وفي حديث مسلم «**تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل مؤمن إلا عبدًا بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا**».

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: ولا ينافي هذا رفعها في شعبان. فقال: «**إنه شهر ترفع فيه الأعمال، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم**»؛ لجواز رفع أعمال الأسبوع مفصلة وأعمال العام مجملة.

وكان إبراهيم النخعي يبكي إلى امرأته، وتبكي إليه، ويقول: اليوم تعرض أعمالنا على الله عز وجل. وكان الضحاك: يبكي آخر النهار، ويقول: لا أدري ما رفع من عملي.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن العلاء بن المسيب عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يصوم الاثنين والخميس.

وله كذلك عن أبي عقبة رضي الله عنه قال: كان أبو هريرة رضي الله عنه يصوم الاثنين والخميس.

وقال: حدثنا الثقفي عن برد بن مكحول أنه كان يصوم الاثنين والخميس. وكان عمر بن عبد العزيز يصوم يوم الاثنين والخميس.

وقال: حدثنا أبو أسامة بن سعيد عن قتادة عن خلاس أن عليًا كان يصوم الاثنين والخميس.

قلت: تتبعت كتب أهل العلم في البحث عمن صام الاثنين

والخميس، فوجدت خلقًا كثيرًا من الصحابة والتابعين وغيرهم كانوا يصومون الاثنين والخميس، ولهذا يرغب المسلم لمثل هذا خاصة أن الأعمال تعرض في مثل هذين اليومين.

ما جاء في صيام البيض

الأيام البيض: هي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر عربي. وصيامها سنة لما رواه الإمام النسائي رحمه الله تعالى عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر، وأيام البيض هي ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة**».

وفي لفظ عن أبي هريرة رضي الله عنه جاء أعرابي إلى النبي ﷺ بأرنب قد شواها، فوضعها بين يديه، فأمسك رسول الله ﷺ فلم يأكل، وأمر القوم أن يأكلوا، وأمسك الأعرابي، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يمنعك أن تأكل؟**» قال: إني صائم ثلاث أيام الشهر. قال: «**إن كنت صائمًا، فصم الغر**».

وروى الترمذي رحمه الله تعالى عن موسى بن طلحة قال: سمعت أبا ذر رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر، إذا صمت من الشهر فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة**».

وجاء في فضلها ما رواه الترمذي رحمه الله تعالى عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام من كل شهر ثلاثة أيام، فذلك صيام الدهر فأنزل الله تبارك وتعالى تصديق**

ذلك في كتابه ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ اليوم بعشر أيام».

قال أبو عيسى رحمه الله تعالى: هذا حديث حسن، قال الحافظ رحمه الله تعالى: الذي يظهر أن المراد بها البيض.

مواقف من صيام السلف

ولما كان الصوم كفارة للخطيئات ورفعة في الدرجات علت همم السلف الصالح لنوال الدرجات، فصابروا صيام النفل قربة لله، وتسابقوا في الطاعات وغاية مناهم مراقبة رب البريات لنوال أعظم الدرجات، فكانوا يصومون صيام النفل طلبًا لما عند الله عز وجل من المثوبات.

ولنرى كيف كان السلف يحرصون على صيام النفل.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه صفة الصفوة أن عمر رضي الله عنه كان يكثر من الصوم، وكان يسرده.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: سرد الصوم لا يستلزم صوم الدهر، بل المراد أنه كثير الصوم.

وهذا عثمان رضي الله عنه:

قال عنه أبو نعيم رحمه الله تعالى في الحلية: كان عثمان رضي الله عنه حظه من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام.

وروى أيضًا أن عثمان قتل، وهو صائم.

وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه:

كان يكثر الصوم، فروى البخاري رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمرو قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كنته (أي زوج الولد)، فيسألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشًا، ولم يفتش لنا كنفًا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه، ذكر للنبي ﷺ فقال: «**ألقني به**» فلقيته بعد، فقال: «**كيف تصوم؟**» قلت: أصوم كل يوم. قال: «**وكيف تختم؟**» قلت: كل ليلة. قال: «**صم في كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر**». قلت: أطيق أكثر من ذلك. قال: «**صم ثلاثة أيام في الجمعة**» (يعنى في الأسبوع) قال: قلت: أطيق أكثر. قال: «**أفطر يومين، وصم يومًا**» قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك. قال: «**صم أفضل الصوم صوم داود؛ صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ كل سبع ليال مرة**» (يعني اختم في كل سبع).

وهذا صوم أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه:

روى أنه كان يكثر من صيام النفل بعد رسول الله ﷺ، وقد فسر البعض كثرة صيامه بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ لأنه في حياة رسول الله ﷺ انشغل بالغزو في سبيل الله، فلما قبض رسول الله ﷺ اجتهد بصيام النفل.

فروى الطبراني رحمه الله تعالى عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة لا يصوم على عهد رسول الله ﷺ من أجل الغزو، فلما قبض النبي ﷺ لم أراه يفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر.

قال أبو زرعة الدمشقي رحمه الله تعالى: (إن أبا طلحة عاش بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة يسرد الصوم).

ومعنى يسرد الصوم، أي: أنه كثير الصوم.

صوم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه:

روى أبو نعيم في الحلية أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: كان عبد الله قوام الليل، صوام النهار، وكان يسمى حمامة المسجد.

صوم عبد الله بن ثوب رضي الله عنه:

كان يكثر من صوم النفل حتى أنه قال: بين أيدينا أيام لها نعمل.

وهذا صوم الأسود بن يزيد رحمه الله تعالى:

كان يصوم حتى يخضر جسده، ويصفر. قال عنه الشعبي رحمه الله تعالى: (كان الأسود صوامًا قوامًا حجاجًا). وإذا سأله أحد عن كثرة صيامه قال: إن الأمر جد، إن الأمر جد.

وقال عنه عبد الله بن بسر: الأسود صاحب عبادة فصام يومًا فكان الناس بالهجير، وقد تربد وجهه، فأتاه علقمة، فضرب على فخذه فقال: ألا تتق الله يا أبا عمرو في هذا الجسد، علام تعذب هذا الجسد؟ فقال الأسود: يا أبا شبل، الجد الجد، وهذا دلالة على كثرة سرده للصيام رحمه الله تعالى.

صوم الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

قال صالح بن أحمد: الله تعالى جعل أبي يواصل الصوم يفطر في كل ثلاث.

صوم نساء السلف الصالح رضي الله عنهن

هذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

قالوا عنها الصديقة الصوامة، روى الذهبي رحمه الله تعالى في سير أعلام النبلاء عن عبد الرحمن بن القاسم أن عائشة رضي الله عنها كانت تصوم الدهر.

ومعنى تصوم الدهر أي تسرد هنا أي أنها كثيرة الصيام.

وأخرج ابن سعد عن القاسم رحمهما الله قال: إن عائشة رضي الله عنها تسرد الصوم.

وله كذلك عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن عائشة رضي الله عنها كانت تسرد الصوم.

وروى أبو نعيم في الحلية عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: بعث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مرة إلى عائشة رضي الله عنها بمائة ألف درهم، فقسمتها لم تترك منها شيئًا، فقالت بريرة: أنت صائمة، فهلا ابتعت لنا منها بدرهم لحمًا؟ قالت: لو ذكرتني لفعلت.

صوم أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها:

(قالوا عنها العابدة الصوامة القوامة). روى الإمام الحاكم رحمه الله تعالى في المستدرك بإسناد حسن عن أنس وقيس بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ طلق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامة بن مظعون وعثمان بن مظعون، فبكت وقالت: والله، ما طلقني عن شبع، وجاء النبي ﷺ فتجلببت قال: «**فقال لي جبريل عليه السلام: راجع حفصة؛ فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجك في الجنة**».

صوم مولاة معاوية:

اسمها رحلة. قيل إنها تصوم أيام النفل كلها، بل إنها صامت حتى اسودت.

ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتاب صفوة الصفوة عن سعيد بن عبد العزيز رحمه الله قال: (ما بالشام ولا بالعراق أفضل من رحلة، ودخل عليها نفر من القراء، فكلموها في الرفق بنفسها، فقالت: ما لي وللرفق بها، فإنما هي أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غدًا).

فقالت: والله يا أخوتاه، لأصلين ما أقلتني جوارحي، ولأصومن له أيام حياتي، ولأبكين ما حملت الماء عيناي.

صوم حفصة بنت سيرين رحمها الله:

روى عبد الكريم بن معاوية رحمه الله تعالى كما في السير قال:

ذكر لي أن حفصة بنت سيرين أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة، وكانت تصوم الدهر، وتفطر العيدين، وأيام التشريق.

صوم نفيسة بنت الحسن رحمها الله:

روى ابن كثير رحمه الله تعالى قال: كانت عابدة زاهدة كثيرة الخير.

وقيل: إنها كانت تكثر من الصيام، فقيل لها: ترفقي بنفسك. قالت: كيف أرفق بنفسي، وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون. وقيل: إنها توفيت، وهي صائمة.

جدول: هل ترغب الاختيار

أمام عينيك شعار الأبرار، فماذا منه تختار؟

هل تقوم به كله أم بعضه أم أقله؟ وكل ذلك خير، فأعن نفسك.

فما أجملها من عبادة، وأكرم بها من صلة، وأوصيك بها، ولو ليوم واحد في الأسبوع.

الرقم	نوع الصيام	اختيارك
١	صيام نفل المحرم	
٢	صيام يوم عاشوراء	
٣	الست من شوال	
٤	صيام يوم عرفة	
٥	صيام داود صوم يوم وإفطار يوم	

٦ صيام الاثنين والخميس

٧ صيام الاثنين

٨ صيام أيام البيض

٩ صيام يوم في سبيل الله

فما هو اختيارك..؟

إلى هنا يقف القلم مذكرًا بالمنهل المشروب في صيام النفل المشروع.

الخاتمة

أخي المسلم .. أختي المسلمة:

لقد وضعت بين أيديكم هذا المؤلف راجيًا من الله تعالى القبول لي ولكم، وبه رغبت نفسي، وأرغب قلوبكم، وأشوق نفوسكم إلى نفل الصيام لما فيه من عظيم الأجر والامتنان، وأكرم بذلك من منة جاء في الحديث «**من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا، كما بين السماء والأرض**» صحيح رواه الترمذي عن أبي أمامة.

ويكفيك تشريفًا أن الله وملائكته يصلون عليك لأنك تصوم روى الإمام ابن حبان رحمه الله تعالى في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين**».

وروى الإمام البزار رحمه الله تعالى عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ختم له بصيام يوم دخل الجنة**».

فاجتهد أخي المسلم إلى سبيل الجنات وكفارة الخطيئات.

قال الله تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ [الحاقة: ٢٤].

قال الإمام مجاهد رحمه الله تعالى: نزلت في الصائمين، وقال غيره: هي أيام الصوم إذ تركوا فيها الأكل والشرب.

الفهرس

المواعظ السنية

لأيام شهر رمضان البهية

في إرشاد البرية

جامعها
المفتقر إلى الله الكبير المتعالي

عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يحيى الكمالي
غفر الله لهم الذنوب وكشف عنهم الكروب

مكتبة
دار الكتاب الاسلامي
المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة دار الكتاب الإسلامي
لصاحبها : علي بن سنان
المدينة المنورة - جوار الحرم
تليفون : ٨٢٥٣٤٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذي جَعَلَ الْمَواعِظَ تَزْكِيَةً لِقُلُوبِ الْمُتَّقِينَ ، وَأَيْقَظَ بِالتَّذْكِيرِ هِمَمَ الْعارِفِينَ ، قالَ تَعالى لِنَبِيِّهِ الأَمِينِ ، وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ جَعَلَ الدَّعْوَةَ إِلَى الْهُدى وَالنَّصِيحَةَ لِلْمُسْلِمِينَ ، مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُباتِ وَأَرْفَعِ الدَّرَجاتِ وَأَهَمِّ الْمُهِمّاتِ فِي الدِّينِ ،

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذي بَشَّرَ مَنْ أَطاعَهُ بِالْجَنَّةِ ، وَأَنْذَرَ مَنْ عَصاهُ بِالْعَذابِ الْمُهِينِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَأَصْحابِهِ وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَدْيِهِ الْمُبِينِ ،

أَمّا بَعْدُ - فَهٰذِهِ دُرُوسٌ وَعْظِيَّةٌ لِأَيّامِ شَهْرِ رَمَضانَ الْبَهِيَّةِ ، جَعَلْتُ لِكُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ وَعْظاً وَذَكَرْتُ فِيهِ ما يُناسِبُ الْحالَ وَالْمَقامَ ، بِعِبارَةٍ سَهْلَةٍ قَرِيبَةٍ ، وَأَلْفاظٍ سَلِسَةٍ مَطْلُوبَةٍ ، مُسْتَنْبَطَةٍ مِنَ الْكِتابِ وَالسُّنَّةِ ، حَتّى يَفْهَمَهُ الْخاصُّ وَالْعامُّ ، مِنْ أَهْلِ الْإِيمانِ وَالْإِسْلامِ .

جَمَعْتُها فِي هٰذا الْكِتابِ حِينَما رَأَيْتُ مَسِيسَ الْحاجَةِ إِلى مِثْلِها لِتَكُونَ نِبْراساً بَيْنَ أَيْدِي الْمُرْشِدِينَ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُسْتَرْشِدِينَ ، لِكَيْ يَنْتَفِعُوا بِها ، وَيَسْتَفِيدُوا مِنْها .

وَالَّذي دَعانِي لِذٰلِكَ - هُوَ أَنِّي ما رَأَيْتُ كِتاباً يَحْتَوِي عَلى هٰذا الْأُسْلُوبِ ، مُسْتَوْفِياً لِلشُّرُوطِ وَالْمَطْلُوبِ ، بِأَنْ يُفْقَهَ مَعْناهُ ، وَيُدْرَكَ مَنْطُوقُهُ وَمَبْناهُ ، وَيَكُونَ وافِياً لِحاجاتِهِمْ ، آتِياً عَلى وَفْقِ أُمْنِيّاتِهِمْ ، مُجَرَّداً عَنْ دَقائِقِ الْمَسائِلِ ، قَرِيبَ الْأَخْذِ لِلْمُتَناوِلِ ، يَسْتَعِينُ بِهِ الْواعِظُونَ ،

وَيَهْتَدِي بِهِ الْمُتَعِظُونَ .

لِهذا جَمَعْتُ هٰذِهِ الدُّرُوسَ الْوَعْظِيَّةَ ، راجِياً مِنْ رَبِّ الْبَرِيَّةِ ، أَنْ يُدْرِجَنِي في عِدادِ مَنْ خَدَمَ الدينَ ، وَأَنْ يَجْعَلَنِي مَعَ مَنْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ اللهِ تَعالىٰ آمِنِينَ ، إِخْواناً عَلىٰ سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ ،

وَلِحِرْصِي عَلىٰ أَنْ يَكُونَ لِبَعْضِ الْفُضَلاءِ الأَنْجابِ ، نَصِيبٌ في هٰذَا الْكِتابِ مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوابِ ، فَقَدْ قُمْتُ وَاقْتَطَفْتُ بَعْضَ ما دَعَتِ الْحاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ كُتُبِهِمِ الصَّحِيحَةِ الْمُحَرَّرَةِ ، وَانْتَخَبْتُ ما يُناسِبُ الْحالَ وَالْمَقامَ مِنْ مَواعِظِهِمُ الْمَعْرُوفَةِ الْمُشْتَهَرَةِ ، وَكانَ ذٰلِكَ يَوْمَ ما كُنْتُ إِماماً وَخَطِيباً لِلْجامِعِ الْجَهْراءِ بِالْكُوَيْتِ .

فَجاءَ بِحَمْدِ اللهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ ، مَجْمُوعاً بَدِيعاً ، واضِحَ الدَّلالَةِ ، قَرِيبَ الإِشارَةِ إِلىٰ تَفْهِيمِ الْعامَّةِ ، كافِياً لِمَنْ يُرِيدُ الإِهْتِداءَ بِهِ مِنْ صالِحِي الأُمَّةِ ، وَسَمَّيْتُهُ :

الْمَواعِظُ السَّنِيَّةُ لِأَيَّامِ شَهْرِ رَمَضانَ الْبَهِيَّةِ

«فِي إِرْشادِ الْبَرِيَّةِ»

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ طَرَقْتُ هٰذَا الْمَيْدانَ وَلَسْتُ مِنْ رِجالِهِ ، وَلا مِمَّنْ يُؤْخَذُ عَنْهُ فَصِيحُ الْبَيانِ في مَقالِهِ ، لِقِصَرِ باعِي ، وَقِلَّةِ إِطِّلاعِي ، وَلٰكِنْ أَرَدْتُ التَّشَبُّهَ بِالْوُعّاظِ وَالْمُرْشِدِينَ الأَعْلامِ فَإِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكِرامِ فَلاحٌ .

وَرَجاءٌ مِمَّنِ اطَّلَعَ عَلىٰ كِتابِي هٰذا مِنَ الإِخْوانِ ، إِصْلاحُ ما يَجِدُ فِيهِ مِنْ خَطَإٍ أَوْ زِيادَةٍ أَوْ نُقْصانٍ ، فَإِنَّ الإِنْسانَ مَحَلُّ الْخَطَإِ وَالنِّسْيانِ ،

وَالْعَفْوُ يُعْقِبُ راحَةً وَمَحَبَّةً وَالصَّفْحُ عَنْ زَلَلِ الْمُسِيءِ جَمِيلُ

فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، وَمَنْ طَغىٰ وَافْتَرىٰ وَالْعِياذُ بِاللهِ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ .

وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَهُ خالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِــهِ الْمُسْلِمِينَ النَّفْعَ الْعَمِيمَ ، كَمَا أَسْأَلُهُ تَعالَى أَنْ يَجْعَلَهُ سَبَباً لِفَوْزِي وَوالِدِيَّ وَإِخْواني وَمَشائِخِي وَمَنْ يَسْعَى بِطَبْعِهِ وَنَشْرِهِ بِالدَّرَجــاتِ الْعُلَى فِي دارِ النَّعِيمِ ، وَعَلَى اللهِ وَحْدَهُ اعْتِمادِي ، وَإِلَيْهِ وِجْهَتِي وَاسْتِنادِي فَهُوَ الْمُسْتَعــانُ ، وَعَلَيْهِ التُّكْلانُ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، ، ،

المؤلف

الموعظة الأولى
في التهنئة والبشارة بدخول شهر رمضان المبارك

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ مَوْسِماً لِلطَّاعَاتِ ، وَأَفَاضَ عَلَى الصَّائِمِينَ نَعِيمَ الرِّضْوانِ وَالنَّفَحَاتِ ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ بِالْبَيِّنَاتِ الْوَاضِحَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مُوَضِّحُ السُّنَنِ وَالْوَاجِبَاتِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ السَّادَاتِ الْهُدَاةِ ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ - أُحَيِّيكُمْ بِتَحِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ مُبَارَكَةٍ وَأُهَنِّئُكُمْ تَهْنِئَةً رُوحِيَّةً صَادِقَةً ، بِحُلُولِ شَهْرِ الصِّيَامِ وَالْقُرْآنِ ، سَائِلاً الْمَوْلَىٰ عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْ يُوَفِّقَنَا لِأَسْبَابِ مَغْفِرَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ ، وَأَنْ يُهِلَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْأَمْنِ وَالْيُمْنِ وَالْبَرَكَاتِ ، وَأَنْ يُعِيدَهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ كُلَّ عَامٍ وَنَحْنُ وَإِيَّاهُمْ نَرْفُلُ فِي حُلَلِ الْمَجْدِ وَالسَّعَادَةِ وَالْمَسَرَّاتِ ،

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّهُ نَزَلَ بِسَاحَتِكُمْ شَهْرٌ كَرِيمٌ ، وَمَوْسِمٌ عَظِيمٌ ، خَصَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الشُّهُورِ بِالتَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ ، وَأَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ، وَفَرَضَ صِيَامَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ شُكْراً عَلَىٰ هٰذَا الْإِنْعَامِ وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ ، وَسَنَّ لَكُمْ قِيَامَهُ نَبِيُّكُمُ الْكَرِيمُ شَهْرُ الْبَرَكَاتِ وَالْخَيْرَاتِ ، شَهْرُ الْإِفَاضَاتِ وَالنَّفَحَاتِ ، شَهْرُ إِقَالَةِ الْعَثَرَاتِ ، شَهْرُ مُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ ، شَهْرُ إِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ ، شَهْرُ إِعْتَاقِ الرِّقَابِ مِنَ الْمُوبِقَاتِ ، شَهْرٌ لَا يَعْدِلُ

بِهِ سِواهُ مِنْ أَوْقاتٍ ، الْحَسَنَةُ فِيهِ بِأَلْفِ حَسَنَةٍ فِيما سِواهُ ، وَالْفَرِيضَةُ تَعْدِلُ سَبْعِينَ فَرِيضَةً لِمَنْ تَقَبَّلَ مِنْهُ مَوْلاهُ ، فَيا ذَوِي الْهِمَمِ الْعالِيَةِ ، وَيا ذَوِي الْمَطالِبِ الرَّفِيعَةِ السَّامِيَةِ ، الْغَنائِمَ الْغَنائِمَ قَبْلَ الْفَواتِ ، وَالْعَزائِمَ الْعَزائِمَ عَلَى الْجِدِّ وَهَجْرِ الْبِطالاتِ ، فَلِأَوْقاتِ الْفَضائِلِ فَواتٌ .

أَلا فَشَمِّرُوا لِقِراهُ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنابَةِ ، وَابْذُلُوا فِي ضِيافَتِهِ مَقْدُورَكُمْ مِنَ الْأَعْمالِ الْمُسْتَطابَةِ ، وَأَرُوا اللهَ الْخَيْرَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِيهِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالَى يَنْظُرُ إِلَى جِدِّكُمْ وَتَنافُسِكُمْ فِيهِ ، وَزَيِّنُوا بِأَنْواعِ الطَّاعاتِ أَعْضاءَكُمْ وَجَوارِحَكُمْ ، وَأَحْسِنُوا سِيرَتَكُمْ لِيَرْفَعَ اللهُ عَنْكُمْ بَوائِقَ نِقْمَتِهِ ، وَيَتَغَمَّدَكُمْ فِي الدُّنْيا بِسَوابِغِ رَحْمَتِهِ ، وَيَتَوَلَّاكُمْ فِي الْآخِرَةِ بِفَيْضِهِ وَمِنَّتِهِ ، إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ بُلُوغَ شَهْرِ رَمَضانَ وَصِيامَهُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَمِنَّةٌ جَسِيمَةٌ ، عَلَى مَنْ أَقْدَرَهُ اللهُ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ اسْتُشْهِدَ اثْنانِ مِنْهُمْ ، ثُمَّ ماتَ الثَّالِثُ عَلَى فِراشِهِ بَعْدَهُما فَرُؤِيَ فِي الْمَنامِ سابِقًا لَهُما ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَيْسَ صَلَّى بَعْدَهُما كَذا وَكَذا صَلاةً وَأَدْرَكَ رَمَضانَ فَصامَهُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَنَّ بَيْنَهُما لَأَبْعَدَ مِنْ بَيْنِ السَّماءِ وَالْأَرْضِ » أَخْرَجَهُ الْإِمامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ .

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يَدْعُو بِبُلُوغِ رَمَضانَ ، فَكانَ إِذا دَخَلَ رَجَبُ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا فِي رَجَبَ وَشَعْبانَ ، وَبَلِّغْنا رَمَضانَ »

وَقالَ الْمُعَلَّى بْنُ الْفَضْلِ : كانَ السَّلَفُ يَدْعُونَ اللهَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضانَ ثُمَّ يَدْعُونَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنْهُمْ ، قالَ يَحْيَى بْنُ

أَبِي كَثِيرٍ : كَانَ مِنْ دُعَائِهِمْ : أَللَّهُمَّ سَلِّمْنِي إِلَى رَمَضَانَ ، وَسَلِّمْ لِي رَمَضَانَ ، وَتَسَلَّمْهُ مِنِّي مُتَقَبَّلاً ،

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ رَمَضَانَ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، كَتَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ،فِيهِ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ،وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ ، لِلهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ » رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ ،

إِخْوانِي ، كَيْفَ لَا يُبَشَّرُ الْمُؤْمِنُ بِشَهْرٍ يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجِنَانِ كَيْفَ لَا يُبَشَّرُ الْمُذْنِبُ بِشَهْرٍ يُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النِّيرانِ ، كَيْفَ لَا يُبَشَّرُ الْعَاقِلُ بِوَقْتٍ يُغَلُّ فِيهِ الشَّيْطَانُ ،مِنْ أَيْنَ يُشْبِهُ هٰذَا الزَّمانَ زَمانٌ ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ ،

« أَتَاكُمْ رَمَضَانُ سَيِّدُ الشُّهُورِ »فَمَرْحَباً بِهِ وَأَهْلاً ، جَاءَ شَهْرُ الصِّيَامِ بِالْبَرَكَاتِ ، فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ زَائِرٍ هُوَ آتٍ ،

أَتَى رَمَضَانُ مَزْرَعَةُ الْعِبَادِ لِتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ مِنَ الْفَسَادِ
فَأَدِّ حُقُوقَهُ قَوْلاً وَفِعْلاً وَزادَكَ فَاتَّخِذْهُ إِلَى الْمَعَادِ
فَمَنْ زَرَعَ الْحُبُوبَ وَمَا سَقَاهَا تَأَوَّهَ نَادِماً يَوْمَ الْحَصَادِ

مَنْ رُحِمَ فِي رَمَضَانَ فَهُوَ الْمَرْحُومُ ، وَمَنْ حُرِمَ خَيْرَهُ فَهُوَ الْمَحْرُومُ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذا دَخَلَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ : « مَرْحَباً بِشَهْرٍ خَيْرٌ كُلُّهُ صِيَامُ نَهَارِهِ ، وَقِيَامُ لَيْلِهِ النَّفَقَةُ فِيهِ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ » .

فَيَا أَيُّهَا الْعَامِلُ هٰذا أَوَانُ الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ ، وَيَا أَيُّهَا الْغَافِلُ هٰذا وَقْتُ

التَّيَقُّظِ لِإِعْدَادِ الزَّادِ ، أَلَا فَاغْتَنِمُوا فَضْلَ رَبِّكُمْ ذِي الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِهِ فِي أَوْقَاتِ شَهْرِكُمُ الْحِسَانِ ، وَافْتَحُوا فِيهِ بُيُوتَكُمْ لِإِطْعَامِ الْجَائِعِينَ ، وَمُوَاسَاةِ الْمَنْكُوبِينَ ، وَاعْطِفُوا عَلَى أَقَارِبِكُمْ ، وَصِلُوهُمْ يَصِلْكُمْ بِرَحْمَتِهِ الرَّحْمٰنُ ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَمْحَقُوا صَوْمَكُمْ بِالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ ، وَبِالسَّبِّ وَالْكَذِبِ وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ وَأَكْثِرُوا مِنَ التَّسْبِيحِ وَالْأَذْكَارِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَمِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ، وَمِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَالْإِسْتِغْفَارِ ، وَسُؤَالِ الْجَنَّةِ وَالتَّعَوُّذِ مِنَ النَّارِ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ غِذَاءً حَرَاماً فِي سُحُورٍ أَوْ إِفْطَارٍ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مَحْضُ خَيْبَةٍ وَخُسْرَانٍ وَبَوَارٍ ، وَادْخُلُوا دَارَ الصَّوْمِ رَاشِدِينَ ، وَاحْرِصُوا عَلَى شَعَائِرِ الدِّينِ ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مُسْتَهْتِرِينَ ، مِنَ الَّذِينَ فَسَدَتْ قُلُوبُهُمْ وَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ ، وَسَاءَتْ تَرْبِيَتُهُمْ ، فَيُفْطِرُونَ فِي رَمَضَانَ ، وَيُعْرِضُونَ عَنْ رَبِّهِمُ الدَّيَّانِ ، وَيَهْدِمُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ الْأَرْكَانَ ، فَيُحِلُّهُمُ اللّٰهُ دَارَ الْبَوَارِ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ، وَلَا يَخْدَعَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ بِالتَّسْوِيفِ وَالتَّأْخِيرِ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَتَى يَكُونُ الْمَصِيرُ ، فَأَيْنَ إِخْوَانُكُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُنَافِسُونَكُمْ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَيُخَالِطُونَكُمْ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ ، أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يَهْجُرُونَ لَذِيذَ الْمَنَامِ ، وَيَتَمَنَّوْنَ أَنْ لَوْ كَانَ رَمَضَانُ عَلَى الدَّوَامِ ، أَيْنَ الْمُجْتَهِدُونَ فِي الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ ، وَالْمُتَهَجِّدُونَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ ، أَمَا طَحَنَتْهُمْ رَحَى الْمَنُونِ وَقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْأَعْمَارَ وَالْآجَالَ ، وَقَدِمُوا عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ ، فَانْتَبِهُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ وَلَا تَجْتَرِحُوا السَّيِّئَاتِ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَوْتَى فِي الْقُبُورِ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى زِيَادَةٍ فِي أَعْمَالِهِمْ ، بِتَسْبِيحَةٍ أَوْ تَحْمِيدَةٍ

أَوْ رَكْعَةٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلُ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِذَلِكَ فَلا يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا قَدْ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ العَمَلِ وَغُلِقَتْ مِنْهُمُ الرُّهُونُ .

رُئِيَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ : مَا عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنَ النَّدَامَةِ ، وَمَا عِنْدَكُمْ أَكْثَرُ مِنَ الغَفْلَةِ .

وَرُئِيَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ : قَدِمْنَا عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ ، نَعْلَمُ وَلا نَعْمَلُ ، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَلا تَعْلَمُونَ ، وَاللهِ لَتَسْبِيحَةٌ أَوْ تَسْبِيحَتَانِ أَوْ رَكْعَةٌ أَوْ رَكْعَتَانِ فِي صَحِيفَةِ أَحَدِنَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا مِنْ يَوْمٍ إِلاَّ وَمَلَكٌ يَهْتِفُ فِي الْمَقَابِرِ فَيُنَادِي ، يَا أَهْلَ الْقُبُورِ مَنْ تَحْسُدُونَ الْيَوْمَ ، فَيُجِيبُونَهُ نَحْسُدُ أَهْلَ الْمَسَاجِدِ فِي مَسَاجِدِهِمْ يُصَلُّونَ وَلا نَقْدِرُ أَنْ نُصَلِّيَ ، وَيَصُومُونَ وَلا نَقْدِرُ أَنْ نَصُومَ ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلا نَقْدِرُ أَنْ نَتَصَدَّقَ ، وَيَذْكُرُونَ وَلا نَقْدِرُ أَنْ نَذْكُرَ ، فَيَنْدَمُونَ عَلَى مَا مَضَى فِي زَمَانِهِمْ حَيْثُ لا يَنْفَعُ النَّدَمُ .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلاَّ نَدِمَ ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لا يَكُونَ ازْدَادَ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً نَدِمَ أَنْ لا يَكُونَ اسْتَعْتَبَ » إِذَا كَانَ الْمُحْسِنُ يَنْدَمُ عَلَى تَرْكِ الزِّيَادَةِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْمُسِيءِ ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ .

••••••••••••••••••••••

الموعظة الثانية

في فضل شهر رمضان المعظم

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي جَعَلَ شَهْرَ رَمَضانَ سَيِّدَ الشُّهُوْرِ وَالأَيّامِ ، وَخَصَّهُ بِجَمِيلِ الْمَزايا وَضاعَفَ فِيهِ الأُجُوْرَ لِلصُّوّامِ ، وَتَوَّجَهُ بِتاجِ الْقَبُوْلِ وَأَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ عَلىٰ سَيِّدِ الأَنامِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الْعَلاَّمُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ مِصْباحُ الظَّلامِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحابِهِ الَّذِينَ قَهَرُوا الْعِدىٰ وَحَمَوُا الْحِمىٰ وَنَصَرُوا الإِسْلامَ

أَمّا بَعْدُ فَيا إِخْوانِي الْكِرامَ - إِعْلَمُوْا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ - أَنَّكُمْ فِي ثانِي يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ ، شَهْرٌ يَتَجَلّىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْعامِ مَرَّةً واحِدَةً لِيَزْدادَ فِيهِ الْعامِلُوْنَ ، وَيَتُوْبَ فِيهِ الآثِمُوْنَ ، فَرَحِّبُوْا بِهِ صادِقِينَ ، وَتُوْبُوْا فِيهِ نادِمِينَ ، وَأَنِيبُوْا إِلَى اللّٰهِ فِيهِ راغِبِينَ ، وَاعْمَلُوْا فِيهِ مُخْلِصِينَ ، فَإِنَّهُ شَهْرٌ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوابُ الْجِنانِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوابُ النِّيرانِ ، وَيُقالُ فِيهِ يا باغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيا باغِيَ الشَّرِّ أَدْبِرْ ، فَقَدْ أَتاكُمْ شَهْرُ رَمَضانَ شَهْرُ بَرَكَةٍ وَإِحْسانٍ ، يُنَزِّلُ اللّٰهُ فِيهِ الرَّحْمَةَ ، وَيَعُمُّكُمْ بِالْفَضْلِ وَالنِّعْمَةِ يَنْظُرُ اللّٰهُ إِلىٰ تَنافُسِكُمْ فِي طاعَتِهِ ، وَيُباهِي بِكُمْ صُنُوْفَ مَلائِكَتِهِ ، فَأَرُوْا اللّٰهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْراً .

إِنَّهُ شَهْرٌ أَنْزَلَ اللّٰهُ فِيهِ كِتابَهُ هُدًى لِلنّاسِ ، وَبَعَثَ فِيهِ رَسُوْلَهُ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ ، إِنَّهُ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النّارِ ، إِنَّهُ شَهْرٌ مَنْ صامَهُ إِيماناً وَاحْتِساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ قامَهُ إِيماناً وَاحْتِساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صانَ نَفْسَهُ فِيهِ

مِنَ الأَوْزارِ كُتِبَتْ لَهُ فِيهِ بَراءَةٌ مِنَ النّارِ ، إِنَّهُ شَهْرٌ فَرَضَ اللهُ عَلى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِيامَهُ ، وَسَنَّ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ قِيامَهُ وَقالَ : « إِنَّ اللهَ افْتَرَضَ صَوْمَ رَمَضانَ ، وَسَنَنْتُ لَكُمْ قِيامَهُ فَمَنْ صامَهُ وَقامَهُ إِيماناً وَاحْتِساباً وَيَقِيناً كانَ كَفّارَةً لِما مَضى »

إِنَّهُ شَهْرٌ تَنْتَشِرُ فِيهِ المَلائِكَةُ تُبَشِّرُ عِبادَ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يُقْبِلُونَ عَلى بُيُوتِ اللهِ خاشِعِينَ مُخْلِصِينَ ، صائِمِينَ قائِمِينَ ، وَهَبُّوا سِراعاً إِلَى الخَيْراتِ وَالحَسَناتِ ، نَعَمْ تُبَشِّرُهُمُ المَلائِكَةُ بِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ وَجَنّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ ، وَهُمُ الَّذِينَ مَدَحَهُمُ اللهُ فِي كِتابِهِ الكَرِيمِ « وَعِبادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً ، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً »

يا لِرُوحانِيَّةِ هذا الشَّهْرِ المُبارَكِ ، وَتَجَلِّياتِ لَيالِيهِ السّامِيَةِ ، تَرى المُؤْمِنِينَ القانِتِينَ يَتَسابَقُونَ فِيهِ فِي مَيْدانِ الطّاعاتِ وَالقُرُباتِ ، قُلُوبُهُمْ شاكِرَةٌ وَأَلْسِنَتُهُمْ ذاكِرَةٌ ، وَجَوارِحُهُمْ خاشِعَةٌ ، تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .

فَلِشَهْرِ رَمَضانَ فَضائِلُ لا تُحْصى ، وَكَراماتٌ لا تُسْتَقْصى ، وَيَكْفِيهِ شَرَفاً وَفَضْلاً ، ما رَواهُ سَلْمانُ الفارِسِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : خَطَبَنا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَعْبانَ قالَ : « يا أَيُّها النّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبارَكٌ ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، شَهْرٌ جَعَلَ اللهُ صِيامَهُ فَرِيضَةً ، وَقِيامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعاً ، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الخَيْرِ كانَ كَمَنْ أَدّى فَرِيضَةً فِيما سِواهُ ، وَمَنْ أَدّى فَرِيضَةً فِيهِ كانَ كَمَنْ أَدّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيما سِواهُ ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ ،

وَالصَّبْرُ ثَوابُهُ الجَنَّةُ ، وَشَهْرٌ يُزادُ فِي رِزْقِ المُؤْمِنِ فِيهِ ، مَنْ فَطَّرَ صائِماً كانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ ، وَعِتقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النّارِ ، وَكانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ :- قالُوا يا رَسُولَ اللهِ - لَيْسَ كُلُّنا يَجِدُ ما يُفَطِّرُ الصّائِمَ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُعْطِي اللهُ هٰذا الثَّوابَ مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صائِماً عَلَىٰ تَمْرَةٍ ، أَوْ عَلَىٰ شَرْبَةِ ماءٍ ، أَوْ مَذْقَةِ لَبَنٍ وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النّارِ ، مَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِهِ فِيهِ ، غَفَرَ اللهُ لَهُ وَأَعْتَقَهُ مِنَ النّارِ ، وَاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصالٍ ، خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِما رَبَّكُمْ ، وَخَصْلَتَيْنِ لا غِنَىٰ بِكُمْ عَنْهُما ، فَأَمّا الخَصْلَتانِ اللَّتانِ تُرْضُونَ بِهِما رَبَّكُمْ ، فَشَهادَةُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلّا اللهُ ، وَتَسْتَغْفِرُونَهُ ، وَأَمّا الخَصْلَتانِ اللَّتانِ لا غِنَىٰ بِكُمْ عَنْهُما فَتَسْأَلُونَ اللهَ الجَنَّةَ ، وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النّارِ . وَمَنْ سَقَىٰ صائِماً سَقاهُ اللهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لا يَظْمَأُ حَتّىٰ يَدْخُلَ الجَنَّةَ » رَواهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ ، ثُمَّ قالَ صَحَّ الخَبَرُ ، وَرَواهُ مِنْ طَرِيقِ البَيْهَقِيُّ ،

وَوَرَدَ أَيْضاً أَحادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَمَضانَ ، كُلُّ ذٰلِكَ تَعْظِيماً لِشَأْنِهِ وَاهْتِماماً بِأَمْرِهِ ، وَإِلَيْكُمْ بَعْضاً مِنْها ،

فَعَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « أُعْطِيَتْ أُمَّتِي فِي شَهْرِ رَمَضانَ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي ، أَمّا الأُولَىٰ ، فَإِنَّهُ إِذا كانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ نَظَرَ اللهُ تَعالَىٰ إِلَيْهِمْ ، وَمَنْ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ أَبَداً ، وَأَمّا الثّانِيَةُ ، فَإِنَّ خُلُوفَ أَفْواهِهِمْ حِينَ يُمْسُونَ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ ، وَأَمّا الثّالِثَةُ فَإِنَّ المَلائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَأَمّا الرّابِعَةُ ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ جَنَّتَهُ فَيَقُولُ لَها اسْتَعِدِّي وَتَزَيَّنِي لِعِبادِي ، أَوْشَكَ أَنْ يَسْتَرِيحُوا

مِنْ تَعَبِ الدُّنْيا إِلىٰ داري وَكَرامَتي ، وَأَمّا الخامِسَةُ ، فَإِنَّهُ إِذا كانَ آخِرُ لَيْلَةٍ غَفَرَ اللهُ لَهُمْ جَميعاً ، قالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، قالَ : لا أَلَمْ تَرَ إِلَى الْعُمّالِ يَعْمَلُوْنَ ، فَإِذا فَرَغُوْا مِنْ أَعْمالِهِمْ وُفُّوْا أُجُوْرَهُمْ » رَواهُ الْبَيْهَقِيُّ ،

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذا جاءَ رَمَضانُ فُتِحَتْ أَبْوابُ الْجَنَّةِ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوابُ النّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّياطينُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْهُ قالَ : قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّلَوٰاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضانُ إِلىٰ رَمَضانَ ، مُكَفِّراتٌ ما بَيْنَهُنَّ إِذا اجْتُنِبَتِ الْكَبائِرُ » رَواهُ مُسْلِمٌ ،

وَعَنْهُ قالَ : قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صامَ رَمَضانَ إيماناً وَاحْتِساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ،

وَعَنِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ : « إِنَّ الْجَنَّةَ لَتُنَجَّدُ وَتُزَيَّنُ مِنَ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ لِدُخُوْلِ شَهْرِ رَمَضانَ ، فَإِذا كانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ هَبَّتْ ريحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يُقالُ لَها الْمُثيرَةُ . فَتَصْفَقُ وَرَقُ أَشْجارِ الْجِنانِ ، وَحِلَقُ الْمَصاريعِ ، فَيُسْمَعُ لِذلِكَ طَنينٌ لَمْ يَسْمَعِ السّامِعُوْنَ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَتَبْرُزُ الْحُوْرُ الْعينُ حَتّىٰ يَقِفْنَ بَيْنَ شُرَفِ الْجَنَّةِ ، فَيُنادينَ هَلْ مِنْ خاطِبٍ إِلَى اللهِ فَيُزَوِّجُهُ ، ثُمَّ يَقُلْنَ الْحُوْرُ الْعينُ يا رِضْوانَ الْجَنَّةِ ، ما هٰذِهِ اللَّيْلَةُ ، فَيُجيبُهُنَّ بِالتَّلْبِيَةِ ، ثُمَّ يَقُوْلُ : هٰذِهِ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ فُتِحَتْ أَبْوابُ الْجَنَّةِ لِلصّائِمينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلىٰ آخِرِ الْحَديثِ بِطُوْلِهِ » رَواهُ الشَّيْخُ ابْنُ حِبّانَ في كِتابِ الثَّوابِ ،

والْبَيْهَقِيّ وَاللّفظُ لَـهُ .

يا إخواني : إنَّ شَهْراً هذا بَعْضُ فَضائِلِهِ لَحَقيقٌ بِالْإِجْلالِ وَالْإِكْرامِ وَجَديرٌ بِأَنْ يُصانَ عَنْ فِعْلِ الْقَبائِحِ وَالْمَـآثِمِ وَالإِجْرامِ ، وَأَنْ تُغْتَنَمَ بِالطّاعاتِ أَوْقاتُهُ ، وَتُبادَرَ بِالأَعْمالِ الصّالِحَةِ ساعاتُهُ ، وَأَنْ يَسْتَكْثِرَ فيهِ الصّائِمُونَ مِنْ فِعْلِ الْبِرِّ وَالْمُواساةِ وَالإِنْعامِ ، وَمِنَ الصَّدَقَةِ عَلَى الْفُقَراءِ وَالْمَساكينِ وَالأَرامِلِ وَالأَيْتامِ ، فَفِي التِّرمِذِيِّ مَرْفُوعاً : « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةٌ في رَمَضانَ » وَفِي الصَّحيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : « كانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النّاسِ ، وَكانَ أَجْوَدَ ما يَكُونُ في رَمَضانَ حينَ يَلْقاهُ جِبْريلُ فَيُدارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينَ يَلْقاهُ جِبْريلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرّيحِ الْمُرْسَلَةِ »

فَطُوبى لِمَنْ صامَهُ حَقَّ الصِّيامِ ، وَقامَ بِحُقُوقِهِ حَقَّ الْقِيامِ ، وَكَفَّ لِسانَهُ عَنِ الْغيبَةِ وَالنَّميمَةِ وَالآثامِ ، وَأَلانَ فيهِ الْكَلامَ وَأَفْشَى السَّلامَ وَأَطْعَمَ الطَّعامَ وَصَلّى بِاللَّيْلِ وَالنّاسُ نِيامٌ ، وَحَفِظَ أَوْقاتَهُ بِالتَّقْوى وَالطّاعاتِ ، وَطَهَّرَ قَلْبَهُ بِماءِ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ عَلى ما فاتَ ، وَعَزَمَ عَلى هَجْرِ الذُّنُوبِ وَالْمُوبِقاتِ وَرَضِيَ بِالْوَحْدَةِ جَليساً ، وَبِذِكْرِ اللهِ أَنيساً ، وَبِمَجالِسِ الْعِلْمِ سُوقاً يُتاجِرُ فيهِ مَعَ إِخْوانِهِ الْمُؤْمِنينَ ،

الموعظة الثالثة

في الحث على الاهتمام بصيام رمضان وتلاوة القرآن فيه

ٱلحَمْدُ لِلهِ الَّذي أَفْرَغَ عَلَى الصَّائِمِينَ حُلَلَ الكَرَامَةِ ، وَأَحَلَّهُمْ مِنْ فَضْلِهِ دارَ ٱلمُقَامَةِ ، لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّهُمْ فِيهَا لُغُوبٌ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ جَعَلَ الصَّوْمَ طَهَارَةً لِلقُلُوبِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ تَفَرَّغَ لِطَاعَةِ عَلَّامِ ٱلغُيُوبِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رِضْوانَ اللهِ وَآوَوْا إِلَى اللهِ فَآواهُمُ اللهُ فَرَضِيَ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوانِيَ ٱلكِرامَ - إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّكُمْ في شَهْرٍ أَنْزَلَ اللهُ فيهِ ٱلقُرْآنَ ٱلمُبِينَ ، وَفَرَضَ صِيامَهُ عَلَى ٱلمُكَلَّفِينَ مِنَ ٱلمُسْلِمِينَ فَصُومُوهُ حَقَّ الصِّيَامِ، وَقُومُوا بِحُقُوقِهِ حَقَّ ٱلقِيامِ ، وَصُونُوا جَوارِحَكُمْ فيهِ عَنِ ٱلمَعَاصِي وَٱلآثَامِ ، وَاعْمُرُوا بِالطَّاعَاتِ أَوْقَاتَهُ ٱلحِسانَ،وَاحْفَظُوا أَلسِنَتَكُمْ عَنِ ٱلغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَٱلكَذِبِ وَٱلبُهْتَانِ ،

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ،

وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرابَهُ » رَواهُ ٱلبُخَارِيُّ وَقالَ ﷺ « لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ ٱلأَكْلِ وَالشُّرْبِ إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ » رَواهُ ٱلحَاكِمُ في صَحِيحِهِ .

وَقَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِذا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ ٱلكَذِبِ وَٱلمَحَارِمِ ، وَدَعْ أَذَى ٱلجَارِ ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ

وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صَوْمِكَ ، وَلا تَجْعَلْ يَوْمَ صَوْمِكَ وَيَوْمَ فِطْرِكَ سَواءً ، وَقالَ

إِذا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مِنِّي تَصامُمٌ وَفِي بَصَرِي غَضٌّ وَفِي مَنْطِقِي صَمْتُ
فَحَظِّي إِذَنْ مِنْ صَوْمِيَ الْجُوعُ وَالظَّمَا فَإِنْ قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمِي فَمَا صُمْتُ

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ صِيامَ شَهْرِ رَمَضانَ رُكْنٌ عَظِيمٌ مِنْ أَرْكانِ الْإِسْلامِ ، وَإِفْطارَ يَوْمٍ مِنْهُ بِلا عُذْرٍ مِنْ كَبائِرِ الآثامِ ، وَفَرْضُ الصِّيامِ الْإِمْساكُ نَهاراً عَنْ شَهْوَتَيِ الْبَطْنِ وَالْجِماعِ ، وَتَرْكُ دَواعِيهِ مِنَ الْمُباشَرَةِ وَالْإِسْتِمْتاعِ ، وَحِفْظُ الْجَوارِحِ عَنِ الْمُخالَفَةِ وَعَمّا يُحْبِطُ ثَوابَ الصِّيامِ وَالْإِخْلاصُ النِّيَّةِ وَمُراقَبَةُ الْعَلِيمِ الْعَلّامِ ،

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « مَنْ صامَ رَمَضانَ وَعَرَفَ حُدُودَهُ ، وَتَحَفَّظَ مِمّا يَنْبَغِي أَنْ يُتَحَفَّظَ كَفَّرَ ما قَبْلَهُ » رَواهُ ابْنُ حِبّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْبَيْهَقِيُّ ،

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صامَ رَمَضانَ إِيماناً وَاحْتِساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ،

أَلا فَاجْتَهِدُوا فِي صَوْمِ هٰذا الشَّهْرِ وَلا تَحْرِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةَ اللهِ ، وَابْتَعَدَ عَنْ رِضْوانِ اللهِ ، « شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَالْفُرْقانِ »

وَعَنْ عُبادَةَ بْنِ الصّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ يَوْماً وَحَضَرَ رَمَضانُ : « أَتاكُمْ رَمَضانُ ، شَهْرُ بَرَكَةٍ يَغْشاكُمُ اللهُ فِيهِ (أَيْ يُحِيطُكُمْ بِرَحْمَتِهِ) فَيُنَزِّلُ اللهُ فِيهِ الرَّحْمَةَ ، وَيَحُطُّ الْخَطايا ، وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ الدُّعاءَ ، يَنْظُرُ اللهُ إِلىٰ تَنافُسِكُمْ

فيهِ ، وَيُباهي بِكُمْ مَلائِكَتَهُ ، فَأَرُوا اللهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْراً ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فيهِ رَحْمَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » رَواهُ الطَّبَرانِيُّ وَرُواتُهُ ثِقاتٌ

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : دَخَلَ رَمَضانُ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ هٰذا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ ، وَفيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَها فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ ، وَلا يُحْرَمُ خَيْرَها إِلَّا مَحْرُومٌ » رَواهُ ابْنُ ماجَهْ وَإِسْنادُهُ حَسَنٌ ،

وَعَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « هٰذا رَمَضانُ قَدْ جاءَ ، تُفْتَحُ فيهِ أَبْوابُ الْجَنَّةِ ، وَتُغْلَقُ فيهِ أَبْوابُ النّارِ وَتُغَلُّ فيهِ الشَّياطينُ ، بُعْداً لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، إِذا لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَمَتىٰ » رَواهُ الطَّبَرانِيُّ في الأَوْسَطِ ،

أَلا فَاسْتَعِدُّوا بِأَرْواحِكُمْ ، وَقُلُوبِكُمْ وَأَبْدانِكُمْ ، وَاسْتَيْقِظُوا مِنْ غَفْلَةِ الشَّهَواتِ ، وَمُيُوعَةِ الْحَياةِ ، وَرَكِّزُوا أَفْئِدَتَكُمْ ، وَهُزُّوا شُعُورَكُمْ وَافْتَحُوا مَشاعِرَكُمْ ، وَانْظُرُوا بِأَرْواحِكُمْ ، إِلىٰ مَعْنىٰ هٰذا الشَّهْرِ وَهٰذِهِ الأَيّامِ الْمَعْدُوداتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، قالَ تَعالىٰ : « يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، أَيّاماً مَعْدُوداتٍ . »

فَالْبِدارَ الْبِدارَ يا أُمَّةَ الْقُرْآنِ ، إِلىٰ صَوْمِ رَمَضانَ ، فَإِنَّ الصَّوْمَ فَريضَةٌ كَتَبَها اللهُ عَلىٰ كافَّةِ الأُمَمِ ، وَالصَّوْمُ أَعْظَمُ فَريضَةٍ تَسْمُو فيها الأَرْواحُ وَتُشْرِقُ فيها الْعُقُولُ ، وَتَطْهُرُ فيها النُّفُوسُ ، وَتَسْتَريحُ فيها الْجَوارِحُ ، وَتَصِحُّ فيها الأَشْباحُ ، وَكَفىٰ قَوْلُ الرَّسُولِ الأَكْرَمِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا تَصِحُّوا »

الصَّوْمَ الصَّوْمَ أَيُّها الإِخْوانُ ، وَإِيّاكُمْ وَالإِفْطارَ في أَيّامِ رَمَضانَ ، فَإِنَّ

اللهَ يَغْضَبُ عَلَى الْمُفْطِرِ الصَّحِيحِ الْمُقِيمِ الْقَادِرِ ، وَمَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ رَبُّهُ فَقَدْ هَوَىٰ ، فَمَنْ أَفْطَرَ يَوْماً مِنْهُ بِلَا عُذْرٍ وَلَا مَرَضٍ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ، وَكَانَ لِنَفْسِهِ ظَالِماً مُهِيناً ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَفْطَرَ يَوْماً مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ لَمْ يَقْضِهِ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

أَتُرَىٰ مَاذَا سَيَكُونُ مَصِيرُ مَنْ يُفْطِرُ رَمَضَانَ كُلَّهُ لِغَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ وَلَمْ يَصُمْ مِنْهُ شَيْئاً ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ تِلْكَ الْعُقُوبَةِ الَّتِي سَيَنَالُهَا مِثْلُ هَـٰذَا الْجَاحِدِ الْمُسْتَكْبِرِ عَلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَطَاعَتِهِ .

إِيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ وَالشَّابَّاتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَنْ تَغْلِبَكُمْ بُطُونُكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ ، إِيَّاكُمْ أَنْ تُذِلَّكُمْ أَمْعَاؤُكُمْ وَتُخْزِيَكُمْ أَمَامَ رَبِّكُمْ ، حَارِبُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ شَهَوَاتِكُمْ فِي أَيَّامِ رَمَضَانَ ، وَضَيِّقُوا بِالْجُوعِ مَجَارِيَ الشَّيْطَانِ . وَأَقْبِلُوا عَلَىٰ فَرَائِضِ اللهِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِكَثْرَةِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ ، حَيْثُ تُشْغِلُونَ أَلْسِنَتَكُمْ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَقُلُوبَكُمْ بِالْخَشْيَةِ ، وَعُقُولَكُمْ بِالتَّفَكُّرِ ، وَجَوَارِحَكُمْ بِالسَّكِينَةِ ، وَمَجَالِسَكُمْ بِالْإِجْلَالِ وَالْوَقَارِ ، وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ،

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « اِقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصِيامُ وَالقُرآنُ يَشْفَعانِ لِلعَبْدِ يَوْمَ القِيامَةِ ، يَقُولُ الصِيامُ : أَيْ رَبِ مَنَعْتُهُ الطَعامَ وَالشَهْوَةَ فَشَفِّعْني فيهِ ، وَيَقُولُ القُرآنُ مَنَعْتُهُ النَوْمَ بِاللَيْلِ فَشَفِّعْني فيهِ ، فَيَشْفَعانِ » رَواهُ الإِمامُ أَحْمَدُ وَالطَبَرانِيُّ في الكَبيرِ بِرِجالٍ مُحْتَجٍ بِهِمْ في الصَحيحِ .

وَقَدْ جاءَ التَرْغيبُ في تَعَلُّمِهِ وَتَعْليمِهِ ، وَأَبانَتِ الأَحاديثُ عَنْ ذَمِّ ناسيهِ وَتَأْثيمِهِ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما مِن امْرِئٍ يَقْرَأُ القُرآنَ ثُمَّ يَنْساهُ ، إِلاَّ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القِيامَةِ أَجْذَمَ » مَقْطُوعُ الأَطْرافِ والعِياذُ بِاللهِ .

فَحافِظُوا عَلىٰ صِيامِ شَهْرِ رَمَضانَ ، وَداوِمُوا عَلىٰ تِلاوَةِ القُرآنِ ، فَإِنَّهُما يَشْفَعانِ لِمَنْ قامَ بِحُقُوقِهِما يَوْمَ القِيامَةِ ، نَسْأَلُ اللهَ التَوْفيقَ وَالهِدايَـةَ وَالإِعانَةَ ، فَإِنَّهُ نِعْمَ المَوْلىٰ وَنِعْمَ النَصيرُ .

•••••••••••••••••••••

الموعظة الرابعة

في فرضية صوم شهر رمضان وبعض أحكامه

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَفَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ صِيَامَهُ وَجَعَلَهُ أَحَدَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَشُعَبِ الْإِيمَانِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ذُو الْجُودِ وَالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ

أَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْهُدَاةِ الْأَعْيَانِ ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ ـ إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ تَعَالَىٰ ـ أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ ، الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ، هُوَ الَّذِي كَتَبَ اللّٰهُ عَلَيْنَا صِيَامَهُ ، وَأَوْجَبَ تَعْظِيمَهُ وَاحْتِرَامَهُ ، وَأَجْزَلَ الثَّوَابَ لِمَنْ أَحْيَا لَيْلَهُ وَقَامَهُ ، قَالَ اللّٰهُ تَعَالَىٰ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَيْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَىٰ عَهْدِكُمْ هٰذَا (لَعَلَّكُمْ) بِسَبَبِ الصَّوْمِ (تَتَّقُونَ) الْمَعَاصِيَ ، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّ الصَّوْمَ عِبَادَةٌ قَدِيمَةٌ ، عُرِفَتْ فِي الْأَدْيَانِ الَّتِي قَبْلَنَا عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا ، ـ فَمِنْهُ صِيَامُ مَرْيَمَ لَمَّا قَالَتْ : « إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِياً » وَكَانَ إِمْسَاكاً عَنِ الْكَلَامِ ، وَصِيَامُ الْيَهُودِ يَوْماً وَلَيْلَةً بِلَا طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ ، وَصِيَامُ النَّصَارَىٰ عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ عَنْ بَعْضِ أَصْنَافِ الطَّعَامِ ، فِي مَوْسِمٍ مُعَيَّنٍ مِنَ السَّنَةِ ، وَاللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ ، كَتَبَ الصِّيَامَ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَمَا كَتَبَهُ عَلَىٰ مَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْأُمَمِ مَعَ اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ وَجَعَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ : « كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ »

فُرِضَ صَوْمُهُ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَذٰلِكَ

في اللَّيلةِ الثَّانيةِ أو الثَّالثةِ مِنْ شهرِ شعبانَ ، وكانَ فرضُهُ تخييراً كما يدلُّ عليهِ ظاهرُ الآيةِ ثمّ حتمَ بنزولِ الآيةِ الثَّانيةِ وهِيَ : «شهرُ رمضانَ الَّذي أُنزلَ فيهِ القرآنُ هدىً للنَّاسِ وبيِّناتٍ مِنَ الهدى والفرقانِ ، فمَنْ شهِدَ منكُمُ الشَّهرَ فليصُمْهُ »

وقدْ ثبتَ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صامَ تِسعَ رمضاناتٍ فقط ، والصَّومُ لغةً الإمساكُ مطلقاً ، وشرعاً هوَ الإمساكُ عنِ الأكلِ والشُّربِ والجماعِ وكلِّ مفطرٍ معَ النيَّةِ ، في وقتٍ مخصوصٍ وهوَ مِنْ طلوعِ الفجرِ الثَّاني إلى غروبِ الشَّمسِ ، مِنْ شخصٍ مخصوصٍ أيْ مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ طاهرٍ مِنَ الحيضِ والنِّفاسِ . قادرٍ مقيمٍ .

والصَّومُ قسمانِ ، نفلٌ ، وفرضٌ ، فالنَّفلُ منهُ تطوُّعٌ ، ومنهُ سنَّةٌ ، والتَّطوُّعُ لمْ يتقيَّدْ بأيَّامٍ معلومةٍ ، والسُّنَّةُ كصيامِ يومِ عاشوراءَ ، وعشرِ ذي الحجَّةِ ، ويومِ عرفةَ .

والفرضُ ثلاثةُ أنواعٍ ، صومُ رمضانَ ، وصومُ الكفَّاراتِ ، وصومُ النَّذرِ ، وفرضيَّةُ صومِ رمضانَ ثبتتْ بالكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ ، أمَّا الكتابُ فلقولِهِ تعالى : «فمَنْ شهِدَ منكُمُ الشَّهرَ فليصُمْهُ » وأمَّا السُّنَّةُ فلقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ ، شهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ ، وإقامِ الصَّلاةِ ، وإيتاءِ الزَّكاةِ ، وحجِّ البيتِ ، وصومِ رمضانَ » متَّفقٌ عليهِ ، وأمَّا الإجماعُ فإنَّ الأمَّةَ الإسلاميَّةَ ، أجمعتْ على أنَّ صومَ رمضانَ أحدُ أركانِ الإسلامِ ، وأنَّ منكرَهُ كافرٌ مرتدٌّ ، ويعاقبُ على إنكارِهِ أشدَّ المعاقبةِ .

فصيامُ شهرِ رمضانَ عزيمةٌ لا هوادةَ فيها ، ولا يجوزُ لأحدٍ أنْ يتساهلَ في أدائِها ، قالَ تعالى : «فمَنْ شهِدَ منكُمُ الشَّهرَ فليصُمْهُ ، ومَنْ كانَ

مَرِيضاً أَوْ عَلىٰ سَفرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَر » يَعْني مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ شَهْرَ رَمَضَانَ وَكَانَ صَحِيحَ الْجِسْمِ مُقيماً في وَطَنِهِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَصُومَهُ ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً وَيَتَضَرَّرُ بَدَنُهُ بِسَبَبِ الصَّوْمِ ، كَأَنْ يَخْشَىٰ مِنْهُ زِيادَةَ مَرَضٍ ، أَوْ بُطْءَ بُرْءٍ ، أَوْ ذَهَابَ مَنْفَعَةِ عُضْوٍ ، أَوْ نَقْصَهُ بِقَوْلِ طَبِيبٍ مُسْلِمٍ حاذِقٍ ، أَوْ تَجْرِبَةٍ ،فَهٰذَا الْمَرِيضُ رَخَّصَ لَهُ الشَّارِعُ أَنْ يُفْطِرَ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ الْقَضاءَ بَعْدَ الشِّفاءِ .

وَكَذٰلِكَ الْمُسافِرُ يَجُوزُ لَهُ الْفِطْرُ إِذا كانَ سَفَرُهُ مُباحًا في غَيْرِ مَعْصِيَةٍ تُقْصَرُ فيهِ الصَّلاةُ الرُّباعِيَّةُ ، أَيْ يَكُونُ مُسافَتُهُ [سِتَّةَ عَشَرَ فَرْسَخاً] مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بِسَيْرِ الأَثْقالِ ، هٰذا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَمالِكٍ ، وَأَمَّا عِنْدَ أَبِي حَنيفَةَ [فَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ فَرْسَخاً] مَسِيرَةُ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَةٍ .

ثُمَّ يَصُومُ الْمَرِيضُ بَعْدَ شِفائِهِ ، وَالْمُسافِرُ بَعْدَ إِيابِهِ عَدَدَ الأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَاها ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ « كُنَّا نُسافِرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ ، فَلَمْ يَعِبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ ، وَلَمْ يَعِبِ الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صائِماً ثُمَّ سافَرَ لا يَجُوزُ لَهُ الإِفْطارُ في ذٰلِكَ الْيَوْمِ عِنْدَ الثَّلاثَةِ وَقالَ أَحْمَدُ يَجُوزُ لَهُ الْفِطْرُ وَاخْتارَهُ الْمُزَنِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ .

وَأَمَّا مَنْ لا يَقْدِرُ عَلَى الصَّوْمِ بِحالٍ ، لِكِبَرٍ أَوْ مَرَضٍ لا يُرْجىٰ بُرْؤُهُ ، فَإِنَّهُ لا يَجِبُ عَلَيْهِما الصَّوْمُ وَلا قَضاءٌ ، لِقَوْلِهِ تَعالىٰ : « وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَج » وَعَلَيْهِما الْكَفَّارَةُ ، وَهِيَ إِطْعامُ مِسْكِينٍ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ قَدْرُهُ (مُدٌّ) بُرٍّ أَوْ أَرُزٍّ ، وَالْمُدُّ هُوَ كَيْلٌ يَسَعُ رِطْلاً وَثُلُثَ رِطْلٍ مِنَ الْحِنْطَةِ النَّقِيَّةِ .

وَأَمَّا الْحامِلُ وَالْمُرْضِعُ إِذا خافَتا عَلىٰ وَلَدَيْهِما أَفْطَرَتا وَعَلَيْهِما الْقَضاءُ

وَالْكَفَّارَةُ . أَمَّا إِذا خافَتا عَلىٰ أَنْفُسِهِما، أَوْمَعَ وَلَدَيْهِما ، فَعَلَيْهِما إِذا أَفْطَرَتا الْقَضاءُ دُوْنَ الْكَفَّارَةِ ، وَقالَ أَبُوْ حَنِيفَةَ لا كَفّارَةَ عَلَيْهِما مُطْلَقاً .

وَأَمّا الْحائِضُ وَالنُّفَساءُ فَيَحْرُمُ عَلَيْهِمَا الصِّيامُ وَلا يَنْعَقِدُ وَيَجِبُ عَلَيْهِمَا الْقَضاءُ ، فَعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْها قالَتْ « كُنّا نَحِيضُ عَلىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنُؤْمَرُ بِقَضاءِ الصَّوْمِ وَلا نُؤْمَرُ بِقَضاءِ الصَّلاةِ » رَواهُ الْبُخارِيُّ .

وَأَمّا مَنْ زالَ عَقْلُهُ بِجُنُوْنٍ فَلا يَجِبُ عَلَيْهِ الصَّوْمُ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ عَنِ الصَّبِيِّ حَتّىٰ يَبْلُغَ ، وَعَنِ النّائِمِ حَتّىٰ يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الْمَجْنُوْنِ حَتّىٰ يُفِيقَ » فَإِنْ أَفاقَ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ قَضاءُ ما فاتَهُ فِي حالِ الْجُنُوْنِ ، وَأَمّا مَنْ زالَ عَقْلُهُ بِالْإِغْماءِ ، فَإِنَّهُ لا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي الْحالِ لِأَنَّهُ لا يَصِحُّ مِنْهُ ، فَإِنْ أَفاقَ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقَضاءُ .

وَأَمّا الصَّبِيُّ فَلا يَجِبُ عَلَيْهِ الصَّوْمُ لِحَدِيثِ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ عَنِ الصَّبِيِّ حَتّىٰ يَبْلُغَ » وَيُؤْمَرُ بِفِعْلِهِ لِسَبْعٍ إِذا أَطاقَ الصَّوْمَ ، وَيُضْرَبُ عَلىٰ تَرْكِهِ لِعَشْرٍ قِياسًا عَلَى الصَّلاةِ . وَيُباحُ الْفِطْرُ أَيْضاً لِمَنْ عَطِشَ فَخافَ عَلىٰ نَفْسِهِ مِنَ الْهَلاكِ وَعَلَيْهِ الْقَضاءُ .

وَهٰذا رَحْمَةٌ مِنَ اللّٰهِ بِخَلْقِهِ ، لِئَلّا يَجْعَلَ عَلَيْهِمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ فَاللّٰهُ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ ، يُرِيدُ بِنا الْيُسْرَ ، وَلا يُرِيدُ بِنا الْعُسْرَ ، وَلَوْ أَمْعَنّا النَّظَرَ فِي أَوامِرِ اللّٰهِ تَعالىٰ كُلِّها ، لَما وَجَدْنا أَمْراً واحِداً لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُوْمَ بِهِ ، وَلَوْ أَجْهَدْنَا الْفِكْرَ فِي نَواهِيهِ لَما رَأَيْنا نَهْياً واحِداً يَسْتَحِيلُ عَلَيْنا تَرْكُهُ ، إِنَّهُ سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ لَمْ يُكَلِّفْ عِبادَهُ ما يَعْجِزُوْنَ عَنِ الْقِيامِ بِهِ ، وَلَمْ يُحَمِّلْهُمْ مالا يُطِيقُوْنَ حَمْلَهُ ، إِسْمَعُوْا قَوْلَهُ تَعالىٰ : « لا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلّا وُسْعَها » صَدَقَ اللّٰهُ الْعَظِيمُ ، نَعَمْ لَمْ يُكَلِّفْ أَحَداً مالا

يَسْتَطِيعُ . لِهٰذا رَخَّصَ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسافِرِ بِالإِفْطارِ وَأَوْجَبَ الْقَضاءَ بَعْدَ رَمَضانَ : « وَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ » ثُمَّ قالَ : « يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » وَمِمّا قالَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعاذٍ وَأَبِي مُوسىٰ حِينَما أَرْسَلَهُما إِلَى الْيَمَنِ « يَسِّرا وَلا تُعَسِّرا ، بَشِّرا وَلا تُنَفِّرا » فَالْيُسْرُ مِنْ أَغْراضِ الإِسْلامِ وَمَقاصِدِهِ الْمُهِمَّةِ ، وَمِنْ يُسْرِهِ رُخِّصَ لِأَصْنافٍ مِنَ النّاسِ أَنْ يُفْطِرُوا في رَمَضانَ ، وَيُطْعِمُوا عَنْ كُلِّ يَوْمٍ فَقِيراً ، وَهٰؤُلاءِ الأَصْنافُ ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ ، وَالْعَجُوزُ الْكَبِيرَةُ . وَالْمَرِيضُ الَّذِي لا يُرْجىٰ بُرْؤُهُ . نَعَمْ قَدْ رُخِّصَ لَهُمْ بِالْفِطْرِ ، لِأَنَّ اللهَ الرَّحِيمَ لا يُرِيدُ أَنْ يُرْهِقَهُمْ ، وَلا أَنْ يَشُقَّ عَلَيْهِمْ ، وَلٰكِنْ مَعَ ذٰلِكَ فَإِنَّ صَوْمَ مَنْ يُباحُ لَهُمُ الْفِطْرُ ، إِذا تَأَكَّدُوا عَدَمَ الضَّرَرِ أَحْسَنُ وَأَنْفَعُ مِنَ الإِطْعامِ ، لِقَوْلِهِ تَعالىٰ « وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » — هٰذا — وَقَدْ أَحَلَّ اللهُ لَنا الاتِّصالَ بِنِسائِنا لَيالِيَ رَمَضانَ وَمُخالَطَتَهُنَّ مُخالَطَةَ الثَّوْبِ لِلْجَسَدِ ، فَقالَ : « أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلىٰ نِسائِكُمْ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَعَفا عَنْكُمْ فَالآنَ باشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا ما كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ » وَيَبْدَأُ صَوْمُ كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفَجْرِ الصّادِقِ وَيَنْتَهِي عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَظُهُورِ أَوَّلِ اللَّيْلِ ، وَلا يَجِبُ صَوْمُ رَمَضانَ إِلّا بَعْدَ ثُبُوتِ رُؤْيَةِ الْهِلالِ ، أَوِ اسْتِكْمالِ شَعْبانَ ثَلاثِينَ يَوْماً ، لٰكِنْ عَلىٰ مَنْ رَآهُ أَنْ يَعْمَلَ بِرُؤْيَتِهِ فِي الصَّوْمِ وَالإِفْطارِ .

وَمَنْ فاتَهُ شَيْءٌ مِنْ رَمَضانَ وَجَبَ عَلَيْهِ قَضاؤُهُ في سَنَتِهِ ، فَإِنْ أَخَّرَ

الْقَضَاءَ حَتَّىٰ دَخَلَ رَمَضَانُ آخَرُ ، صَامَ رَمَضَانَ الْحَاضِرَ ، ثُمَّ يَقْضِي بَعْدَهُ مَا عَلَيْهِ وَلَا فِدْيَةَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ التَّأْخِيرُ بِسَبَبِ الْعُذْرِ ، وَإِلَّا فَعَلَيْهِ مَعَ الْقَضَاءِ الْفِدْيَةُ ، وَهَٰذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لَا فِدْيَةَ عَلَيْهِ مُطْلَقاً سَوَاءٌ كَانَ التَّأْخِيرُ لِعُذْرٍ أَوْ لِغَيْرِهِ .

وَمَنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنْ صَوْمِ رَمَضَانَ ، أَوْ عَلَيْهِ صَوْمُ نَذْرٍ أَوْ كَفَّارَةٍ ، وَمَاتَ قَبْلَ إِمْكَانِ الْقَضَاءِ فَلَا تَدَارُكَ لَهُ بِالْفِدْيَةِ وَلَا بِالْقَضَاءِ وَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ بِالِاتِّفَاقِ ، وَإِنْ مَاتَ بَعْدَ التَّمَكُّنِ مِنَ الْقَضَاءِ وَلَمْ يَقْضِ ، فَقَدِ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي حُكْمِهِ .

فَذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ ، مِنْهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ وَالْمَشْهُورُ عَنِ الشَّافِعِيِّ إِلَىٰ أَنَّ وَلِيَّهُ لَا يَصُومُ عَنْهُ ، وَيُطْعِمُ عَنْهُ مُدّاً عَنْ كُلِّ يَوْمٍ إِلَّا أَنَّ مَالِكاً لَا يُلْزِمُ الْوَلِيَّ أَنْ يُطْعِمَ عَنْهُ إِلَّا أَنْ يُوصِيَ ، وَيَرَى الْحَنَفِيَّةُ أَنَّ الْوَاجِبَ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ بُرٍّ ، أَوْ صَاعٌ مِنْ غَيْرِهِ ، وَالْمَذْهَبُ الْمُخْتَارُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلْوَلِيِّ أَنْ يَصُومَ عَنْهُ . وَاسْتَدَلُّوا بِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ قَالَ النَّوَوِيُّ : وَهَٰذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ الَّذِي نَعْتَقِدُهُ وَهُوَ الَّذِي صَحَّحَهُ مُحَقِّقُوا أَصْحَابِنَا الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ، وَالْمُرَادُ بِالْوَلِيِّ ، الْقَرِيبُ سَوَاءٌ كَانَ عَصَبَةً أَوْ وَارِثاً أَوْ غَيْرَهُمَا . وَكَذَٰلِكَ النَّذْرُ وَالْكَفَّارَةُ بِأَنْوَاعِهِمَا ، فَيَجْرِي فِيهِمَا الْقَوْلَانِ فِي صِيَامِ رَمَضَانَ، وَلِمَا فِي خَبَرِ مُسْلِمٍ : « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِامْرَأَةٍ قَالَتْ لَهُ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ نَذْرٍ أَفَأَصُومُ عَنْهَا : صُومِي عَنْ أُمِّكِ »

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَنَّ مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ وَكَانَ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ

صِيَامِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ أُطْعِمَ عَنْهُ لِكُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينٌ ، مُدًّا مِنْ بُرٍّ - أَوْنِصْفَ صَاعٍ مِنْ غَيْرِهِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الصَّوْمُ مَنْذُوراً فَإِنَّهُ يُصَامُ عَنْهُ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

الموعظة الخامسة

في بيان شروط الصوم ومفسداته

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَذاقَ لَذَّةَ طاعَتِهِ عِبادَهُ الطّائِعِينَ ، وَكَتَبَ عَلَيْهِمْ صِيامَ شَهْرِهِ فَصامُوهُ حامِدِينَ اللّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلّا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فَتَحَ أَبْوابَ رَحْمَتِهِ لِلْمُتَّقِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِمامُ الْمُرْسَلِينَ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحابِهِ وَمَنِ اقْتَدىٰ بِهَدْيِهِ إِلىٰ يَوْمِ الدِّينِ .

أَمّا بَعْدُ فَيا إِخْوانِيَ الْكِرامَ - إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّهُ - أَنَّ الصَّوْمَ لَهُ شُرُوطٌ فَلا يَتِمُّ وَلا يَصِحُّ إِلّا بِها ، وَلَهُ مُفْسِداتٌ يَنْبَغِي لِلصّائِمِ اجْتِنابُها وَإِلَيْكُمُ الْبَيانَ عَنْها .

فَشَرْطُ الصَّوْمِ أَوَّلاً . اَلنِّيَّةُ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيّاتِ ، وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوىٰ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَمَحَلُّها الْقَلْبُ ، وَلا يُشْتَرَطُ التَّلَفُّظُ بِها ، فَلَوْ تَسَحَّرَ لِيَتَقَوّىٰ عَلَى الصَّوْمِ ، أَوْ شَرِبَ الْماءَ لِيَدْفَعَ الْعَطَشَ نَهاراً ، أَوِ امْتَنَعَ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِماعِ خَوْفَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، كانَ ذٰلِكَ نِيَّةً إِنْ خَطَرَ بِبالِهِ الصَّوْمُ بِالصِّفاتِ الَّتِي يُشْتَرَطُ التَّعَرُّضُ لَها ، لِتَضَمُّنِ كُلٍّ مِنْها قَصْدَ الصَّوْمِ .

وَيُشْتَرَطُ لِفَرْضِ الصَّوْمِ التَّبْيِيتُ ، وَهُوَ إِيقاعُ النِّيَّةِ لَيْلاً ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلا صِيامَ لَهُ » رَواهُ الدّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ وَصَحَّحُوهُ وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْفَرْضِ وَلا بُدَّ مِنَ التَّبْيِيتِ لِكُلِّ لَيْلَةٍ عِنْدَ الإِمامَيْنِ ، الشّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ لِظاهِرِ الْخَبَرِ ، وَلِأَنَّ صَوْمَ كُلِّ يَوْمٍ عِبادَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ ، فَلَوْ نَوىٰ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ صَوْمَ رَمَضانَ صَحَّ لَهُ الْيَوْمُ الأَوَّلُ ، وَعِنْدَ الإِمامِ مالِكٍ لَوْ نَوىٰ مِنْ أَوَّلِ

الشَّهرِ صَوْمَ رَمَضانَ صَحَّ لَهُ صَوْمُ الشَّهرِ كُلِّهِ وَلا يُشْتَرَطُ عِنْدَهُ تَبْيِيتُ النِّيَّةِ كُلَّ لَيلَةٍ ، وَهٰذا الإِخْتِلافُ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ بِخَلْقِهِ لِئَلاَّ يَجْعَلَ عَلَيْهِمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، فَبِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ .

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لا يُشْتَرَطُ النِّيَّةُ فِي النِّصْفِ الأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ ، بَلْ يَكْفِي مِنْ أَوَّلِهِ وَهُوَ الأَحْوَطُ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لا يَضُرُّ الأَكْلُ وَالجِماعُ وَغَيْرُهُما بَعْدَ النِّيَّةِ وَقَبْلَ الفَجْرِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لا يَجِبُ التَّجْدِيدُ لَها إِذا نامَ بَعْدَها ثُمَّ تَنَبَّهَ لَيْلاً ، لِأَنَّ النَّوْمَ لَيْسَ مُنافِياً لِلصَّوْمِ .

وَيَصِحُّ النَّفْلُ بِنِيَّةٍ قَبْلَ الزَّوالِ ، إِذا لَمْ يَسْبِقْها مُنافٍ لِلصَّوْمِ وَيَجُوزُ لَهُ قَطْعُهُ وَإِنْ شَرَعَ فِيهِ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ لِعائِشَةَ يَوْماً : « هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ غِذاءٍ ـ قالَتْ ، لا قالَ : فَإِنِّي إِذَنْ أَصُوْمُ ، ـ قالَتْ وَقالَ لِي يَوْماً آخَرَ : أَعِنْدَكُمْ شَيْءٌ ، قُلْتُ نَعَمْ قالَ إِذَنْ أُفْطِرُ وَإِنْ كُنْتُ فَرَضْتُ الصَّوْمَ » رَواهُ الدّارَ قُطْنِيُّ ، وَصَحَّحَ إِسْنادَهُ وَقالَ مالِكٌ لا يَصِحُّ إِلاَّ بِنِيَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَعِنْدَهُ وَأَبِي حَنِيفَةَ مَنْ شَرَعَ فِي صَوْمِ تَطَوُّعٍ لا يَجُوزُ لَهُ قَطْعُهُ لِقَوْلِهِ تَعالَىٰ : « وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ » وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ إِنْ قَطَعَهُ وَجَبَ عَلَيْهِ الصَّوْمُ يَوْماً بَدَلَهُ هٰذا ـ وَيَجِبُ فِي النِّيَّةِ التَّعْيِينُ فِي الفَرْضِ بِأَنْ يَنْوِيَ كُلَّ لَيْلَةٍ أَنَّهُ صائِمٌ غَداً عَنْ رَمَضانَ ، وَكَمالُهُ فِي رَمَضانَ أَنْ يَقُوْلَ : نَوَيْتُ صَوْمَ غَدٍ عَنْ أَداءِ فَرْضِ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضانَ هٰذِهِ السَّنَةِ للهِ تَعالَى .

وَمِنْ شُرُوْطِ الصَّوْمِ الإِمْساكُ عَنِ الجِماعِ وَلَوْ بِغَيْرِ إِنْزالٍ ، وَتَجِبُ مَعَ القَضاءِ الكَفّارَةُ ، بِإِفْسادِ صَوْمِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضانَ بِجِماعٍ أَثِمَ بِهِ بِسَبَبِ الصَّوْمِ ، وَهِيَ عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ سَلِيمَةٍ مِنَ العُيُوْبِ المُضِرَّةِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْها فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ ، بِأَنْ لا يَنْفَصِلَ بَيْنَ أَيّامِ الشَّهْرَيْنِ بِيَوْمٍ يُفْطِرُهُ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الصَّوْمَ أَطْعَمَ سِتِّينَ مِسْكِيناً ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ

مدٌّ طعامٍ عِنْدَ الشافِعِيِّ مِنْ غالِبِ قوْتِ البَلَدِ وَعِنْدَ الحَنَفِيِّ ، نِصْفُ صاعٍ مِنْ بُرٍّ أَوْ صاعٌ مِنْ شَعِيرٍ ، وَعِنْدَ الإِمامِ أَحْمَدَ مِنَ البُرِّ مُدٌّ أَوْ نِصْفُ صاعٍ مِنَ التَمْرِ أَوِ الشعِيرِ وَهِيَ أي الكَفَّارَةُ واجِبَةٌ عَلَى التَرْتِيبِ المَذْكُورِ بِاتِّفاقِ الثَلاثَةِ وَقالَ مالِكٌ كَفارَةُ رَمَضانَ عَلَى التخْيِيرِ بَيْنَ الإِعْتاقِ وَالإِطْعامِ وَصَوْمِ الشَهْرَيْنِ المُتَتابِعَيْنِ وَاللهُ أَعْلَمُ ــ وَلَيْسَ عَلَى المَوْطُوءَةِ كَفارَةٌ مُطْلَقاً عِنْدَ الشافِعِيَّةِ وَعِنْدَ الأَئِمَّةِ الثَلاثَةِ إِذا كانَتْ نائِمَةً أَوْمُكْرَهَةً وَإِلاَّ فَعَلَيْها الكَفَّارَةُ أَيْضاً ،

وَإِذا طَلَعَ الفَجْرُ وَهُوَ مُجامِعٌ وَنَزَعَ فِي الحالِ ، أَفْطَرَ عِنْدَ مالِكٍ بِخِلافِ الثَلاثَةِ ، وَإِذا نَظَرَ بِشَهْوَةٍ فَأَنْزَلَ أَفْطَرَ عِنْدَ الإِمامِ مالِكٍ دُونَ غَيْرِهِ ، وَإِذا قَبَّلَ فَأَمْذَى أَفْطَرَ عِنْدَهُ أَيْضاً دُونَ غَيْرِهِ ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَغْتَسِلَ مِنَ الجَنابَةِ قَبْلَ الفَجْرِ ، لِيَكُونَ عَلَى طَهارَةٍ مِنْ أَوَّلِ الصَوْمِ فَلَوْ صامَ بِلا غُسْلٍ صَحَّ صَوْمُهُ .

وَمِنْ شُرُوطِ الصَوْمِ الإِمْتِناعُ عَنِ الإِسْتِقاءَةِ ، بِأَنْ لا يَتَعَمَّدَ إِخْراجَ القَيْءِ مِنْ بَطْنِهِ ، فَيُفْطِرُ إِذا اسْتَقاءَ عَمْداً وَلَوْ قَلِيلاً ، أَمَّا إِذا ذَرَعَهُ القَيْءُ ــ أَيْ غَلَبَ عَلَيْهِ وَتَحَفَّظَ حَسْبَ الإِمْكانِ أَنْ لا يَرْجِعَ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَى الجَوْفِ بِاخْتِيارِهِ ، فَلا يُفْطِرُ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ ذَرَعَهُ القَيْءُ وَهُوَ صائِمٌ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضاءٌ ، وَمَنِ اسْتَقاءَ فَلْيَقْضِ » رَواهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ ، وَمِنْ شُرُوطِ الصَوْمِ الإِمْساكُ عَنْ جَمِيعِ المُفْطِراتِ ، فَإِنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ ناسِياً لَمْ يُفْطِرْ ، بَلْ يُتِمُّ صَوْمَهُ وَلا شَيْءَ عَلَيْهِ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صائِمٌ ، فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّما أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقاهُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَعِنْدَ مالِكٍ يُفْسِدُ الصَوْمَ وَيُوجِبُ القَضاءَ دُونَ الكَفَّارَةِ .

وَإِنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ مُتَعَمِّداً ذاكِراً لِلصَوْمِ أَفْطَرَ وَعَلَيْهِ القَضاءُ ، وَإِمْساكُ بَقِيَّةِ النَهارِ ، وَعِنْدَ الإِمامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَالإِمامِ مالِكٍ إِنْ أَكَلَ مُتَعَمِّداً فَعَلَيْهِ القَضاءُ وَالكَفَّارَةُ

وَإِذا سَبَقَ ماءُ الْمَضْمَضَةِ وَالإِسْتِنْشاقِ إِلىٰ جَوْفِهِ مِنْ دُونِ مُبالَغَةٍ أَفْطَرَ عِنْدَ مالِكٍ وَأَبي حَنيفَةَ دُونَ غَيْرِهِما وَعَلَيْهِ الْقَضاءُ فَقَطْ وَإِذا اسْتَعَطَ بِأَنْ أَدْخَلَ شَيْئاً في أَنْفِهِ فَوَصَلَ دِماغَهُ ، أَوْ أَدْخَلَ فيهِ ميلاً إِلىٰ داخِلِ الْجَوْفِ بِاخْتِيارِهِ ، أَوِ احْتَقَنَ بِأَنْ أَدْخَلَ أُنْبُوبَ الْحُقْنَةِ في الدُّبُرِ لإِيصالِ الدَّواءِ ، أَوْ صَبَّ في أُذُنِهِ ماءً أَوْ دَواءً فَوَصَلَ دِماغَهُ أَفْطَرَ ، وَإِذا باشَرَ أَهْلَهُ فيما دُونَ الْفَرْجِ فَأَنْزَلَ ، أَوِ اسْتَمْنىٰ فَأَنْزَلَ ، أَوْ بالَغَ فِي الْمَضْمَضَةِ أَوِ الإِسْتِنْشاقِ فَنَزَلَ جَوْفَهُ أَوْ وَصَلَ دِماغَهُ أَفْطَرَ ، وَإِذا ابْتَلَعَ نُخامَةً مِنْ أَقْصَى الْفَمِ وَهُوَ قادِرٌ عَلىٰ قَطْعِها وَمَجِّها فَتَرَكَها حَتّىٰ نَزَلَتْ أَفْطَرَ ، وَعِنْدَ مالِكٍ لا يُفَطِّرُ وَلَوْ أَمْكَنَ الصّائِمُ أَنْ يَطْرَحَهُ وَتَرَكَهُ حَتّىٰ رَجَعَ .

وَضابِطُ الْمُفْطِرِ وُصُولُ عَيْنٍ وَإِنْ قَلَّتْ مِنْ مَنْفَذٍ مَفْتُوحٍ إِلَى الْجَوْفِ ، وَالْجَوْفُ كَما عَبَّرَ الْفُقَهاءُ عَنْهُ ما أَحالَ الْغِذاءَ أَوِ الدَّواءَ ، فَكُلُّ ما دَخَلَ الْجَوْفَ الْمُحيلَ لِلْغِذاءِ وَالدَّواءِ فَهُوَ مُفْسِطِرٌ لِلصّائِمِ .

وَلَوْ وَصَلَ جَوْفَهُ ذُبابٌ أَوْ بَعُوضَةٌ أَوْ غُبارُ الطَّريقِ أَوْ غَرْبَلَةُ الدَّقيقِ لَمْ يُفْطِرْ لِما فيهِ مِنَ الْمَشَقَّةِ الشَّديدَةِ مِنَ الإِحْتِرازِ عَنْ ذٰلِكَ ،وَإِذا جَرىٰ الرّيقُ بِما بَقِيَ مِنَ الطَّعامِ في خِلالِ أَسْنانِهِ بَعْدَ تَخْليلِهِ وَعَجَزَ عَنْ مَجِّهِ لَمْ يُفْطِرْ ، وَإِذا جَمَعَ ريقَهُ في فَمِهِ وَابْتَلَعَهُ صِرْفاً أَوْ أَخْرَجَهُ عَلىٰ لِسانِهِ ثُمَّ رَدَّهُ وَبَلَعَهُ أَوِ اقْتَلَعَ نُخامَةً مِنْ باطِنِهِ وَلَفَظَها كُلُّ هذا لا يُفْطِرُ ، وَلَوْ طَلَعَ الْفَجْرُ وَفي فَمِهِ طَعامٌ فَلَفَظَهُ وَغَسَلَ فَمَهُ تَماماً ، أَوْ كانَ مُجامِعاً فَنَزَعَ فِي الْحالِ ، أَوْ نَزَلَ الْمَنِيُّ بِاحْتِلامٍ أَوْ فِكْرٍ أَوْ نَظَرٍ ، أَوْ نامَ جَميعَ النَّهارِ ، أَوْ أُغْمِيَ عَلَيْهِ فيهِ أَيْ فِي النَّهارِ وَأَفاقَ لَحْظَةً مِنْهُ ، لَمْ يَضُرَّهُ في جَميعِ ذٰلِكَ وَيَصِحُّ صَوْمُهُ .

وَإِذا أَكَلَ مُعْتَقِداً أَنَّهُ لَيْلٌ فَبانَ أَنَّهُ نَهارٌ ، أَوْ أَكَلَ ظانّاً الْغُرُوبَ وَاسْتَمَرَّ الإِشْكالُ ، وَجَبَ الْقَضاءُ ، وَإِنْ ظَنَّ أَنَّ الْفَجْرَ لَمْ يَطْلُعْ فَأَكَلَ وَاسْتَمَرَّ الإِشْكالُ ، فَلا قَضاءَ ، وَإِنْ طَرَأَ في أَثْناءِ الْيَوْمِ جُنُونٌ وَلَوْ لَحْظَةً مِنْهُ أَوِ اسْتَغْرَقَ نَهارَهُ بِالإِغْماءِ ، أَوْ طَرَأَ حَيْضٌ أَوْ نِفاسٌ ، بَطَلَ الصَّوْمُ .

وَتُكْرَهُ الْقُبْلَةُ إِنْ لَمْ تُحَرِّكْ شَهْوَتَهُ ، وَإِلاَّ حَرُمَتْ ، وَالأَوْلى لِغَيْرِهِ تَرْكُها ، وَعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالَتْ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَخَّصَ فِي الْقُبْلَةِ لِلشَّيْخِ - أَيِ الْكَبِيرِ وَهُوَ صائِمٌ ، وَنَهى عَنْها الشّابَّ » رَواهُ الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنادٍ صَحِيحٍ ، وَعِنْدَ مالِكٍ هِيَ مُحَرَّمَةٌ بِكُلِّ حالٍ.

وَلا يُفْطِرُ بِتَلْقِيحِ الْجُدَرِي وَلا بِالْفَصْدِ وَالْحِجامَةِ ، أَمّا التَّلْقِيحُ وَالْفَصْدُ فَلا خِلافَ فيهِما ، وَأَمّا الْحِجامَةُ ، فَعِنْدَ الإِمامِ أَحْمَدَ يُفْطِرُ الْحاجِمُ وَالْمَحْجُومُ ، بِخِلافِ غَيْرِهِ ، وَحُجَّتُهُمْ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْتَجَمَ وَهُوَ صائِمٌ ، وَاحْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ ، رَواهُ الْبُخارِيُّ ، وَرَوى النَّسائِيُّ : إِحْتَجَمَ وَهُوَ صائِمٌ مُحْرِمٌ ، وَهُوَ ناسِخٌ لِحَدِيثِ : « أَفْطَرَ الْحاجِمُ وَالْمَحْجُومُ » لِأَنَّهُ كَما قالَ الإِمامُ الشّافِعِيُّ مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ بِسَنَتَيْنِ ، وَعَنْ أَنَسٍ قالَ : مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلى جَعْفَرِ بْنِ أَبي طَلْحَةَ وَهُوَ يَحْتَجِمُ وَهُوَ صائِمٌ فَقالَ : « أَفْطَرَ هٰذانِ ، ثُمَّ رَخَّصَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ بِالْحِجامَةِ لِلصّائِمِ ، وَكانَ أَنَسٌ يَحْتَجِمُ وَهُوَ صائِمٌ » رَواهُ الدّارَقُطْنِيُّ وَرُواتُهُ كُلُّهُمْ ثِقاتٌ - وَالْحُقْنَةُ بِالإِبْرَةِ فِي الذِّراعِ أَوِ الإِلْيَةِ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ لا تُفَطِّرُ ،

وَعِنْدَ مالِكٍ وَأَحْمَدَ رَحِمَهُمُ اللهُ إِذا اكْتَحَلَ نَهاراً وَوَجَدَ طَعْمَ الْكُحْلِ في حَلْقِهِ أَفْطَرَ دُونَ غَيْرِهِما ، وَعِنْدَ الإِمامِ مالِكٍ إِذا تَعَمَّدَ دُخُولَ الْماءِ لِلتَّبْرِيدِ وَحَصَلَتْ لَهُ الْبُرُودَةُ بِسَبَبِ الدّاخِلِ مِنَ الْمَسامِّ أَفْطَرَ ، بِخِلافِ

الثَّلاثَةِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالىٰ ، فَعُلِمَ بِأَنَّ ما دَخَلَ إِلَى الْمَسامِّ بِالْإِدِّهانِ وَالْإِغْتِسالِ لا يُفَطِّرُ الصّائِمَ عِنْدَ الشّافِعِيِّ وَالْحَنَفِيِّ وَالْحَنْبَلِيِّ . بِخِلافِ الْمالِكِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فَإِنَّهُ إِنْ تَعَمَّدَ ذٰلِكَ كانَ مُفْطِراً ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ ،

••••••••••••••••••••••

الموعظة السادسة

في مستحبات الصيام

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ الصِّيَامَ نِعْمَةً كُبْرىٰ وَحِصْنًا مِنَ النَّارِ ، وَخَلَعَ الرِّضْوانَ عَلىٰ عِبَادِهِ الْقَائِمِينَ بِالْأَسْحَارِ ، وَوَفَّقَهُمْ لِطَاعَتِهِ وَالْعَمَلِ بِشَرْعِهِ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةَ وَالسَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الْبَرَرَةِ الْأَخْيَارِ .

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوانِيَ الْكِرَامَ - إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ - أَنَّ الصَّوْمَ لَهُ مُسْتَحَبَّاتٌ كَثِيرَةٌ وَآدابٌ غَزِيرَةٌ ، يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ الْمُحَافَظَةَ عَلَيْهَا ، وَالْإِتْيانَ بِهَا ، لِيَنَالَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ ، وَالثَّوابَ الْجَسِيمَ .

فَمِنْ مُسْتَحَبَّاتِ الصِّيَامِ أُكْلَةُ السُّحُورِ ، فَهِيَ فَضِيلَةٌ إِسْلامِيَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ وَهِيَ مِنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهَا الْبَرَكَةُ ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً » رَواهُ الْبُخَارِيُّ .

قَالَ الْحَافِظُ الْعَسْقَلانِيُّ : اَلْمُرادُ بِالْبَرَكَةِ الْأَجْرُ وَالثَّوابُ ، وَقِيلَ الْبَرَكَةُ مَا يَتَضَمَّنُ مِنَ الْإِسْتِيقَاظِ وَالدُّعَاءِ فِي السَّحَرِ ، وَمُخَالَفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَالتَّقَوِّي بِالسُّحُورِ عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَزِيَادَةِ النَّشَاطِ وَمُدَافَعَةِ سُوءِ الْخُلُقِ الَّذِي قَدْ يُثِيرُهُ الْجُوعُ .

وَبَرَكَةُ السُّحُورِ يَحْصُلُ بِكَثِيرِ الْمَأْكُولِ وَقَلِيلِهِ وَبِالْمَاءِ ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « السُّحُورُ بَرَكَةٌ فَلا تَدَعُوهُ وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةَ مَاءٍ فَإِنَّ اللّٰهَ

وَملائِكَتَهُ يُصلُّونَ عَلَى المُتَسَحِّرِينَ » رَواهُ الإِمامُ أَحْمَدُ .

والسُّحُورُ مِنْ خَصائِصِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ ، وَهُوَ فَصْلُ ما بَيْنَ صِيامِنا وَصِيامِ أَهْلِ الكِتابِ ، فَقَدْ وَرَدَ مِنْ حَديثِ عَمْرِو بْنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ : « فَصْلُ ما بَيْنَ صِيامِنا وَصِيامِ أَهْلِ الكِتابِ أُكْلَةُ السُّحُورِ » رَواهُ التِّرْمِذِيُّ. وَيُسْتَحَبُّ تَأْخِيرُ السُّحُورِ ما لَمْ يَقَعْ فِي الشَّكِّ فِي طُلُوعِ الفَجْرِ ، لِخَبَرِ : « لا تَزالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ ما عَجَّلُوا الفِطْرَ وَأَخَّرُوا السُّحُورَ » رَواهُ الإِمامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

وَوَقْتُهُ ما بَيْنَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ وَطُلُوعِ الفَجْرِ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ » وَالخَيْطانِ هُما بَياضُ النَّهارِ وَسَوادُ اللَّيْلِ ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ كانَ بَيْنَ سُحُورِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ صَلاتِهِ مِقْدارُ خَمْسِينَ آيَةً .

فَعَنْ أَنَسٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : « تَسَحَّرْنا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قامَ إِلَى الصَّلاةِ ، قُلْتُ كَمْ كانَ بَيْنَ الأَذانِ وَالسُّحُورِ ، قالَ : قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً » رَواهُ البُخارِيُّ ، وَقَوْلُهُ (قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً) أَيْ مُتَوَسِّطَةً لا طَوِيلَةً وَلا قَصِيرَةً لا سَرِيعَةً وَلا بَطِيئَةً ، قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي جَمْرَةَ : كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ ما هُوَ الأَرْفَقُ بِأُمَّتِهِ فَيَفْعَلُهُ ، لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَتَسَحَّرْ لا تَّبَعُوهُ ، فَيَشُقُّ عَلَىٰ بَعْضِهِمْ ، وَلَوْ تَسَحَّرَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ لَشَقَّ أَيْضاً عَلَىٰ بَعْضِهِمْ مِمَّنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ النَّوْمُ ، فَقَدْ يُفْضِي إِلَىٰ تَرْكِ صَلاةِ الصُّبْحِ ، أَوْ يَحْتاجُ إِلَى المُجاهَدَةِ بِالسَّهَرِ ، فَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَتَّبِعَ سُنَّةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السُّحُورِ فَيُؤَخِّرَهُ إِلَىٰ آخِرِ اللَّيْلِ حَتَّىٰ يَتَمَكَّنَ مِنْ مُواصَلَةِ السُّحُورِ بِالصَّلاةِ ، وَهُوَ

أَنْفَعُ لِصِحَّتِهِ ، وَأَدْعَى لِرَاحَتِهِ .

وَمِنْ مُسْتَحَبَّاتِ الصِّيَامِ تَعْجِيلُ الفِطْرِ ، فَكَمَا أَنَّ تَأْخِيرَ السُّحُورِ مِنْ سُنَّةِ الإِسْلَامِ ، فَتَعْجِيلُ الفِطْرِ كَذَلِكَ مِنْ سُنَّةِ دِينِنَا الحَنِيفِ ، وَفِي تَعْجِيلِ الفِطْرِ تَخْفِيفٌ عَلَى النَّاسِ . « يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ » وَالصَّوْمُ إِنَّمَا هُوَ فِي النَّهَارِ ، فَإِذَا دَخَلَ اللَّيْلُ فَقَدِ انْتَهَى الصَّوْمُ وَلَزِمَ الفِطْرُ ، لِذَلِكَ فَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَأْخِيرِ الفِطْرِ إِلَى ظُهُورِ النُّجُومِ ، وَنَهَى عَنِ الوِصَالِ فِي الصِّيَامِ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى سُنَّتِي مَا لَمْ تَنْتَظِرْ بِفِطْرِهَا النُّجُومَ » رَوَاهُ الحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ وَقَالَ أَيْضاً : « لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَدُخُولُ اللَّيْلِ يَحْصُلُ عِنْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ وَاخْتِفَائِهَا فِي الأُفُقِ ، وَإِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الفِطْرِ ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا - أَيْ مِنْ جِهَةِ المَشْرِقِ - وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا - أَيْ مِنْ جِهَةِ المَغْرِبِ - وَغَابَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَفِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَى اللهِ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً » رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

فَيُسْتَحَبُّ لَكَ أَيُّهَا الصَّائِمُ الكَرِيمُ ، أَنْ تَقِفَ عِنْدَ حُدُودِ السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ ، فَتُعَجِّلَ الفِطْرَ وَلَا تُؤَخِّرَهُ ، وَتُؤَخِّرَ السُّحُورَ وَلَا تُعَجِّلَهُ ، وَبِذَلِكَ تُصِيبُ السُّنَّةَ وَتَنَالُ الأَجْرَ وَالثَّوَابَ عَلَى الطَّاعَةِ .

وَمِنْ مُسْتَحَبَّاتِ الصِّيَامِ الدُّعَاءُ عِنْدَ الإِفْطَارِ ، فَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ :

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ ـ قَالَ ابْنُ أَبِي مَلِيكَةَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُوْلُ إِذَا أَفْطَرَ : أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ ، وَعَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : « اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَعَانَنِي فَصُمْتُ ، وَرَزَقَنِي فَأَفْطَرْتُ » وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُوْلُ : « اَللّٰهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَىٰ رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ : قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَانَ يُقَالُ : « إِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً عِنْدَ إِفْطَارِهِ إِمَّا تُعَجَّلُ لَهُ فِي الدُّنْيَا أَوْ يُدَّخَرُ لَهُ فِي آخِرَتِهِ ، قَالَ ، فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُوْلُ عِنْدَ إِفْطَارِهِ : أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي » وَكَانَ يَدْعُو لِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ أَيْضاً ، وَوَرَدَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : « ذَهَبَ الظَّمَأُ ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوْقُ ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ ، قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ ، الصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوْمِ يَرْفَعُهَا اللهُ تَعَالَىٰ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُوْلُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ ـ لِهٰذَا كَانَ عَلَى الصَّائِمِ أَنْ يَدْعُوَ عِنْدَ إِفْطَارِهِ وَيُكْثِرَ مِنْ سُؤَالِ رَبِّهِ الْعَفْوَ وَالْمَغْفِرَةَ ، وَأَحْسَنُ الدُّعَاءِ : اَللّٰهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » ، فَالدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ ، وَيُعَدُّ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرَبِ الْمُبْلِغَةِ لِنَيْلِ الْحَسَنَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَمِنْ مُسْتَحَبَّاتِ الصِّيَامِ أَنْ يُفْطِرَ الصَّائِمُ أَوَّلاً عَلَىٰ رُطَبٍ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْهُ فَعَلَىٰ تَمْرٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْهُ فَعَلَىٰ مَاءٍ ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ :

« كانَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفطِرُ قبلَ أنْ يُصلِّيَ على رُطَيْباتٍ . فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَيْباتٌ فتمراتٌ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تمَرَاتٌ حسا حَسَواتٍ مِنْ مـاءٍ » رَواهُ الإِمامُ أَحْمَدُ ، وَفي حَديثٍ آخرَ عَنْ سَلْمانَ بْنِ عامِرٍ الضَّبيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « إِذا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلىٰ تَمْرٍ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُفْطِرْ عَلىٰ ماءٍ فَإِنَّهُ طَهُورٌ » رَواهُ التِّرْمِذِيُّ .

يُقالُ إِنَّ الحِكْمَةَ مِنَ الإِفْطارِ عَلَى الحُلْوِ إِنَّهُ مِمّا يُصَحِّحُ النَّظَرَ وَيَزيدُهُ قُوَّةً بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ ضَعُفَ بِالصَّوْمِ .

قالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : هٰذا مِنْ كَمالِ شَفَقَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلىٰ أُمَّتِهِ وَنُصْحِهِمْ ، فَإِنَّ إِعْطاءَ الطَّبيعَةِ الشَّيْءَ الحُلْوَ مَعَ خُلُوِّ المَعِدَةِ ، أَدْعىٰ إِلىٰ قَبُولِهِ وَانْتِفاعِ القُوىٰ بِهِ ، وَلا سِيَّما القُوَّةُ الباصِرَةُ ، فَإِنَّها تَقْوىٰ بِهِ ، وَحَلاوَةُ المَدينَةِ التَّمْرُ وَمُرَبّاهُمْ عَلَيْهِ ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ قُوتٌ وَأُدْمٌ ، وَرُطَبُهُ فاكِهَةٌ .

وَأَمّا الماءُ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَها ـ أَيِ المَعِدَةِ ـ بِالصَّوْمِ نَوْعُ يُبْسٍ ، فَإِذا رُطِبَتْ بِالماءِ ، كَمُلَ انْتِفاعُها بِالغِذاءِ بَعْدَهُ ـ وَلِهٰذا كانَ الأَوْلىٰ بِالظَّمْآنِ الجائِعِ ، أَنْ يَبْدَأَ قَبْلَ الأَكْلِ بِشُرْبِ قَليلٍ مِنَ الماءِ ، ثُمَّ يَأْكُلَ بَعْدَهُ هٰذا ما في التَّمْرِ وَالماءِ مِنَ الخاصِّيَّةِ الَّتي لَها تَأْثيرٌ في صَلاحِ القَلْبِ ، لا يَعْلَمُها إِلّا أَطِبّاءُ القُلُوبِ وَاللهُ أَعْلَمُ وَبِاللهِ التَّوْفيقُ .

الموعظة السابعة

في آداب الصيام وحفظه عما لا يليق

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ بِإِدْرَاكِ أَسْرَارِ الصِّيَامِ ، وَوَفَّقَهُمْ لِصَالِحِ الْعَمَلِ فَاجْتَنَبُوا الْقَالَ وَالْقِيلَ وَالذُّنُوبَ وَالْآثَامَ ، وَحَفِظَهُمْ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْأَعْرَاضِ وَالْإِفْطَارِ عَلَى الْحَرَامِ ، وَأَذَاقَهُمْ بِالصَّوْمِ أَلَمَ الْجُوعِ لِيَجُودَ الْغَنِيُّ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْأَيْتَامِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَنَامِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا دَامَتِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ .

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ - إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الصَّائِمِ أَنْ يَتَّقِيَ اللّٰهَ تَعَالَىٰ ، فِي صِيَامِهِ فَيَحْفَظَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ ، مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْآثَامِ ، فَإِنَّ اللّٰهَ تَعَالَىٰ قَالَ فِي حَقِّ الصَّائِمِ ، : إِنَّهُ يَتْرُكُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي ، وَذٰلِكَ أَنَّ الصَّائِمَ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللّٰهِ بِتَرْكِ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّكَاحِ ، وَهٰذِهِ أَعْظَمُ شَهَوَاتِ النَّفْسِ ، وَلٰكِنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللّٰهِ بِتَرْكِ هٰذِهِ الشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةِ فِي حَالَةِ الصِّيَامِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بَعْدَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِتَرْكِ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ ، مِنَ الْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ وَالْغِشِّ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَشَهَادَةِ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ ، وَالتَّعَدِّي عَلَى النَّاسِ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ ، فَهٰذِهِ الْأُمُورُ حَرَامٌ وَفِي حَقِّ الصَّائِمِ أَشَدُّ حُرْمَةً ، وَلِهٰذَا قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلّٰهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ

وَالرَّفَثِ » رَواهُ الحاكِمُ في صَحيحِهِ .

فَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ تَعالَىٰ بِتَرْكِ المُباحاتِ لا يَكْمُلُ إِلاَّ بَعْدَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِتَرْكِ المُحَرَّماتِ ، فَمَنِ ارْتَكَبَ المُحَرَّماتِ ، ثُمَّ تَقَرَّبَ إِلَى اللهِ تَعالَىٰ بِتَرْكِ المُباحاتِ ، كانَ بِمَثابَةِ مَنْ يَتْرُكُ الفَرائِضَ ، وَيَتَقَرَّبُ بِالنَّوافِلِ ، وَإِنْ كانَ صَوْمُهُ مُجْزِءًا عِنْدَ الجُمْهُورِ ، بِحَيْثُ لا يُؤْمَرُ بِإِعادَتِهِ .

وَفي مُسْنَدِ الإِمامِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبي داوُدَ وَغَيْرِهِما ، عَنْ عُبَيْدٍ مَوْلىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صامَتا عَلىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْهَدَهُما الجُوعُ وَالعَطَشُ مِنْ آخِرِ النَّهارِ ، حَتّىٰ كادَتا أَنْ تَتْلَفا ، فَبَعَثَتا إِلىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْتَأْذِنانِهِ فِي الإِفْطارِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِما قَدَحاً ، وَقالَ : قُلْ لَهُما قِيئا فيهِ ما أَكَلْتُما ، فَقاءَتْ إِحْداهُما نِصْفَهُ دَماً عَبيطاً ، وَلَحْماً غَريضاً ، (أَيْ طَرِيئاً أَوْ مَهْزُولاً) وَقاءَتِ الأُخْرىٰ مِثْلَ ذٰلِكَ ، حَتّىٰ مَلأَتاهُ فَعَجِبَ النّاسُ مِنْ ذٰلِكَ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هاتانِ صامَتا عَمّا أَحَلَّ اللهُ لَهُما ، وَأَفْطَرَتا عَلىٰ ما حَرَّمَ اللهُ تَعالىٰ عَلَيْهِما ، قَعَدَتْ إِحْداهُما إِلَى الأُخْرىٰ فَجَعَلَتا تَغْتابانِ النّاسَ ، فَهٰذا ما أَكَلَتا مِنْ لُحُومِهِمْ » نَسْأَلُ اللهَ العَفْوَ وَالعافِيَةَ وَالمُعافاتِ الدّائِمَةَ فِي الدّينِ وَالدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، وَالبُعْدَ عَنْ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنا إِلَى النّارِ ، وَيُبْعِدُنا عَنِ الجَنَّةِ ، وَيَحْرِمُنا مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوابِ ، فَهٰذِهِ أَيُّها الإِخْوانُ ، مُصيبَةٌ عَظيمَةٌ ، مِنْ أَنَّ الإِنْسانَ يَصُومُ وَيُمْسِكُ طُولَ النَّهارِ عَنِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَغَيْرِهِما ، وَيُجاهِدُ نَفْسَهُ بِالصَّبْرِ عَلَى الجُوعِ وَالظَّمَإِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ وَلا سِيَّما فِي الصَّيْفِ ، ثُمَّ يُضَيِّعُ صَوْمَهُ وَيَحْرِمُ نَفْسَهُ مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوابِ ، مِنْ وَراءِ كَلِمَةٍ يَفُوهُ بِها وَيَسْتَطيعُ الصّائِمُ وَغَيْرُهُ أَنْ يَتْرُكَها وَيَهْجُرَها وَيَبْعُدَ عَنْها ـ أَلا وَهِيَ الغيبَةُ ـ فَيا لَها مِنْ مَعْصِيَةٍ

إسْتَخَفَّ بِهَا النَّاسُ وَوِزْرُهَا عَظِيمٌ .

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الصِّيَامُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا - وَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الحَدِيثِ - قِيلَ : بِمَ يَخْرِقُهَا ، قَالَ - بِكَذِبٍ أَوْ غِيبَةٍ » رواهُ النَّسائِيُّ وَالطَّبَرانِيُّ . وَقَدْ قَالَ سُفْيَانُ : الغِيبَةُ تُفْسِدُ الصَّوْمَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ . فَإِنْ سابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صائِمٌ » رَواهُ مُسْلِمٌ - فَهٰذِهِ الأَحادِيثُ فِيهَا الأَمْرُ بِصِيانَةِ الصَّوْمِ عَمَّا يَجْرَحُهُ ، فَعَلَى المُسْلِمِ الصَّائِمِ أَنْ يَصُونَ جَوارِحَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهَا ، فَيَصُونَ لِسانَهُ عَنِ الكَلامِ القَبِيحِ ، وَأُذُنَيْهِ عَنِ الإِسْتِماعِ لِلَّغْوِ ، وَعَيْنَيْهِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الحَرامِ ، وَما حَظَرَ الشَّرْعُ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، كَالنِّساءِ الأَجْنَبِيَّاتِ ، وَالمُرْدانِ ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ ، وَهُوَ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهامِ إِبْلِيسَ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهامِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ ، فَمَنْ تَرَكَها خَوْفاً مِنَ اللهِ تَعالىٰ ، آتاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيماناً يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » أَخْرَجَهُ الحاكِمُ وَصَحَّحَ إِسْنادَهُ وَرُوِيَ عَنْ جابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « خَمْسٌ يُفْطِرْنَ الصَّائِمَ ، الكَذِبُ ، وَالغِيبَةُ ، وَالنَّمِيمَةُ . وَالْيَمِينُ الكاذِبَةُ ، وَالنَّظْرَةُ بِشَهْوَةٍ » - فَالأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالجِماعُ ، مُفْطِراتٌ حِسِّيَّةٌ ، وَالخَمْسُ مُفْطِراتٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، فَلا تُبْطِلُوا ثَوابَ صِيامِكُمْ بِهٰذِهِ الأَشْياءِ المُحَرَّمَةِ .

وَمِنْ آدابِ الصِّيامِ - كَفُّ بَقِيَّةِ الجَوارِحِ عَنِ الآثامِ ، مِنَ اليَدِ وَالرِّجْلِ وَالبَطْنِ عَنِ الشُّبُهاتِ وَقْتَ الإِفْطارِ ، فَلا مَعْنىٰ لِلصَّوْمِ وَهُوَ الكَفُّ عَنِ

الطَّعامِ الحَلالِ ، ثُمَّ الإِفطارُ عَلى الحَرامِ ، فَمَثَلُ هٰذا الصَّائِمِ ، كَمَنْ يَبْني قَصْراً ، وَيَهْدِمُ مِصْراً ، قالَ بَعْضُ السَّلَفِ ، رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالىٰ : إِذا صُمْتَ فَانْظُرْ عَلىٰ أَيِّ شَيْءٍ تُفْطِرُ ، وَعِنْدَ مَنْ تُفْطِرُ .

وَمِمّا يَنْبَغي لِلصّائِمِ الإِحْتِرازُ مِنَ الشِّبَعِ وَقْتَ الإِفْطارِ ، فَقَدِ اعْتادَ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ أَنْ يَجْعَلُوا مِنْ رَمَضانَ مَوْسِماً لِلتَّفَنُّنِ في صُنْعِ الأُكُلاتِ وَتَنْويعِها ، وَهُمْ إِذا أَفْطَرُوا وَبَدَؤُوا بِالأَكْلِ لَمْ يَرْأَفُوا بِأَنْفُسِهِمْ ، فَيَأْكُلُونَ أَكْلَ النَّهِمِ الجَشِعِ ، فَيُمْسُونَ وَقَدْ أَضَرُّوا بِأَنْفُسِهِمْ وَصِحَّتِهِمْ وَدينِهِمْ ، وَخالَفُوا فيهِ سُنَّةَ الإِسْلامِ ، وَأَهْدَرُوا فائِدَةَ الصِّيامِ ، لِأَنَّ المَقْصُودَ مِنَ الصِّيامِ الخَواءُ ، وَكَسْرُ الهَوىٰ ، لِتَتَقَوّىٰ النَّفْسُ عَلَى التَّقْوىٰ ، فَإِنَّ الإِنْسانَ إِذا أَذاقَ أَلَمَ الجُوعِ في بَعْضِ الأَوْقاتِ ، تَذَكَّرَ مَنْ هُوَ جائِعٌ في جَميعِ الأَوْقاتِ ، فَيُسارِعُ إِلىٰ رَحْمَتِهِ ، وَالإِحْسانِ إِلَيْهِ ــ وَلِهٰذا سَأَلَ المَأْمُونُ ، عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضا ، ــ أَيُّ شَيْءٍ فائِدَةُ الصَّوْمِ في الحِكْمَةِ ، فَقالَ عَلِمَ اللهُ تَعالىٰ ما يَنالُ الفَقيرَ مِنَ الجُوعِ ، فَأَدْخَلَ الصِّيامَ عَلَى الغَنِيِّ ، لِيَذُوقَ طَعْمَ الجُوعِ حَتّىٰ لا يَنْسَى الفَقيرَ ، ــ وَقيلَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَكانَ كَثيرَ الجُوعِ ، لِمَ تَجُوعُ وَأَنْتَ عَلىٰ خَزائِنِ الأَرْضِ ، فَقالَ : إِنّي أَخافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسَى الجائِعَ ــ قالَ تَعالىٰ ــ « كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفينَ » وَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعاءً شَرّاً مِنْ بَطْنِهِ » وَقالَ أَيْضاً : بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ كانَ وَلابُدَّ فاعِلٌ ، فَثُلُثٌ لِلطَّعامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرابِ ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ » ، قالَ القَسْطَلانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ ، وَهُوَ أَيِ الصّائِمُ إِذا شَبِعَ عِنْدَ فِطْرِهِ فَقَدْ قَصَّرَ نيما يَقْتَضي المَزيدَ مِنْ أَجْرِهِ ، فَالشِّبَعُ يُوْرِثُ القَسْوَةَ ، وَيُوَفِّرُ الجَفْوَةَ ، وَيُثيرُ النَّوْمَ ، وَيَجْلِبُ الكَسَلَ عَنِ

الطَّاعَةِ ، - رُوِيَ عَنْ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِلْحَوارِيِّينَ : لا تَأْكُلُوا كَثِيراً ، فَتَشْرَبُوا كَثِيراً ، فَتَقْسُو قُلُوبُكُمْ .

فَحَسْبُكَ أَيُّهَا الصَّائِمُ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَسُدُّ جُوعَتَكَ ، وَمِنَ الْمَاءِ مَا يَنْقَعُ غِلَّتَكَ وَيُرْوِيكَ ، وَلا تُكْثِرْ مِنْ مَاءِ الثَّلْجِ فَإِنَّهُ مُضِرٌّ بِصِحَّتِكَ ، وَقَلِّلْ مِنَ الطَّعَامِ بِقَدْرِ مَا تَسْتَطِيعُ ، وَإِذَا أَكَلْتَ فَلا تَشْبَعْ شَبَعاً ظَاهِراً تَشْعُرُ بَعْدُ بِثِقَلٍ فِي مَعِدَتِكَ أَوَّلاً ، ثُمَّ فِي جِسْمِكَ كُلِّهِ .

وَحَسْبُكَ أُسْوَةً رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ . فَقَدْ كَانَ لا يَأْكُلُ حَتَّىٰ يَجُوعَ ، وَإِذَا أَكَلَ لا يَشْبَعُ ، وَكَانَ غَالِبَ قُوتِهِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ ، بَلْ كَانَ يَمُرُّ عَلَىٰ بُيُوتِهِ الْكَرِيمَةِ الشَّهْرُ وَالشَّهْرَانِ وَلَمْ تُشْعَلِ النَّارُ فِيهَا ، فَعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ : « وَاللهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَىٰ الْهِلالِ ، ثُمَّ الْهِلالِ ثَلاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ ، وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ نَارٌ ، - قُلْتُ يَا خَالَةُ : فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ ، قَالَتْ : الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَايِحُ ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ »

وَهٰكَذَا شَفَقَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَحْمَتُهُ وَزُهْدُهُ وَإِعْرَاضُهُ عَنِ الدُّنْيَا يَأْتِيهِ اللَّبَنُ هَدِيَّةً فَيَسْقِيهِ أَهْلَهُ وَيَبْقَىٰ هُوَ يَعِيشُ عَلَى التَّمْرِ وَالْمَاءِ ، فَأَيْنَ هٰذَا مِمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ الْآنَ ، مِنَ التَّرَفِ وَالْإِسْرَافِ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ وَالْقَنَاعَةَ فَإِنَّهَا كَنْزٌ لا يَفْنَىٰ .

الموعظة الثامنة

في فوائد الصيام وبيان فضله

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي جَعَلَ الصِّيامَ جُنَّةً مِنَ الْعَذابِ ، وَأَضافَهُ إِلَيْهِ وَجَعَلَ ثَوابَهُ بِغَيْرِ حِسابٍ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ جَعَلَ الصَّوْمَ تَهْذِيباً لِنُفُوسِ الْأَتْقِياءِ الْأَنْجابِ . وَعِنايَةً لُطْفٍ بِعُصاةِ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَهّابُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْحِكْمَةِ وَفَصْلِ الْخِطابِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحابِهِ إِلىٰ يَوْمِ الْمَآبِ .

أَمّا بَعْدُ فَيا إِخْوانِيَ الْكِرامَ - إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ - أَنَّ اللّٰهَ بِالنّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَمِنْ رَحْمَتِهِ تَعالىٰ . أَنْ فَرَضَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ صِيامَ شَهْرِ رَمَضانَ ، وَجَعَلَ فِيهِ الْفَوائِدَ . مِنْها ما يَعُودُ نَفْعُهُ لِلصّائِمِ فِي الدُّنْيا . وَمِنْها ما يَعُودُ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ .

فَأَمّا فَوائِدُهُ الدُّنْيَوِيَّةُ ، فَهِيَ كَثِيرَةٌ وَإِلَيْكُمُ الْبَيانَ عَنِ الْبَعْضِ مِنْها ، إِنَّهُ حِمْيَةٌ لِلْمَرْءِ عَنْ تَخْلِيطِ الطَّعامِ ، وَتَجْوِيعٌ لِلنَّفْسِ . وَفِي ذٰلِكَ مِنَ الصِّحَّةِ ما عَلِمَهُ الْمُجَرِّبُ قَبْلَ الطَّبِيبِ ، وَشَهِدَ لَهُ الْعَدُوُّ قَبْلَ الْحَبِيبِ ، وَاعْتَرَفَ لَهُ الْحِسُّ بِما يَكْفِيهِ اللَّبِيبُ ، وَفِي ذٰلِكَ الْمَعْنىٰ كَلامُ الْحُكَماءِ الْمَعِدَةُ بَيْتُ الدّاءِ ، وَالْحِمْيَةُ رَأْسُ كُلِّ دَواءٍ .

وَقَدْ ثَبَتَ عِنْدَ الْأَطِبّاءِ ، أَنَّ فِي الصَّوْمِ عِلاجاً لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَمْراضِ (١) إِضْطِرابُ الْمَعِدَةِ - (٢) الْبَوْلُ السُّكَّرِي غَيْرُ الْحادِّ (٣) اِلْتِهابُ الْكُلىٰ الْحادُّ الْمُزْمِنُ (٤) اِلْتِهابُ الْمَفاصِلِ (٥) أَمْراضُ الْقَلْبِ

الْمَصْحُوبَةُ بِتَوَرُّمٍ (٦) زِيَادَةُ ضَغْطِ الدَّمِ الذَّاتِيّ : فَهٰذِهِ كُلُّهَا دَوَاؤُهَا الصَّوْمُ عِنْدَ الأَطِبَّاءِ الْحَاذِقِينَ .

فَمِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّ الصَّوْمَ حَيَاةُ الْبَدَنِ وَزَكَاتُهُ وَصِحَّتُهُ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصَّوْمُ » وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اُغْزُوا تَغْنَمُوا ، وَصُومُوا تَصِحُّوا ، وَسَافِرُوا تَسْتَغْنُوا » رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ .

وَمِنَ الْمُؤَكَّدِ ، أَنَّ الْحِمْيَةَ فِيهَا النَّفْعُ الْعَامُّ ، اُنْظُرُوا إِلَى جَمِيعِ الْمَغْرُوسَاتِ النَّافِعَةِ لَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَانُ ، أَنَّهَا إِذَا صُيِّفَتْ وَبُوشِرَتْ بِإِرْخَاءِ أَرْضِهَا وَتَسْمِيدِهَا وَتَعْطِيشِهَا مُدَّةً ، إِلَى أَنْ تَصِيفَ أَرْضُهَا ، ثُمَّ تُسْقَى بِالْمَاءِ ، تَنْمُو وَتُثْمِرُ وَتَزْدَادُ بَرَكَةً وَنَمَاءً وَقُوَّةً وَثَمَراً ، وَهٰكَذَا فِي الْخَيْلِ إِذَا أَرَادُوا إِدْخَالَهَا لِلْمُسَابَقَةِ ، تُجْفَلُ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ، أَيْ يُقَلَّلُ أَكْلُهَا وَشُرْبُهَا ، لِتَقْوَى أَعْصَابُهَا وَعَضَلاتُهَا ، لِتَرْبَحَ فِي مَيْدَانِ الْمُسَابَقَةِ وَكَذٰلِكَ الْمَرِيضُ يَحْمِيهِ الأَطِبَّاءُ مِنْ غَالِبِ الْمَأْكُولاتِ ، لِيَصْحُوَ مِنَ الْمَرَضِ الَّذِي فَتَكَ فِيهِ .

فَاعْتَقِدُوا أَنَّ اللهَ لَمْ يُوجِبْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ شَيْئاً إِلَّا وَفِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَدْعُهُمْ إِلَّا إِلَى مَا فِيهِ الْحَيَاةُ السَّرْمَدِيَّةُ .

وَمِنْ فَوَائِدِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ أَيْضاً ، أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ فِي شِدَّةٍ وَانْقَطَعَ عَنْهُ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ ، يَقْدِرُ مِنْ حَيْثُ الرِّيَاضَةِ ، أَنْ يَصْبِرَ إِلَى أَنْ يُفَرِّجَ اللهُ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ، لِأَنَّهُ عَوَّدَ نَفْسَهُ التَّجْوِيعَ وَالتَّعْطِيشَ . أَمَّا مَنْ لَمْ يَصُمْ قَطُّ فَلا يَقْتَدِرُ عَلَى ذٰلِكَ ، فَهٰذِهِ فَوَائِدُ الصَّوْمِ الدُّنْيَوِيَّةُ .

وَأَمَّا فَوَائِدُهُ الدِّينِيَّةُ فَكَثِيرَةٌ أَيْضاً ، تَعْرِفُهَا إِذَا قَرَأْتَ أَحَادِيثَ

فضائل الصوم ، - فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان » رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأعمال عند الله عز وجل سبع . عملان موجبان ، وعملان بأمثالهما ، وعمل بعشر أمثاله وعمل بسبعمائة ، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل ، - فأما الموجبان فمن لقي الله يعبده مخلصاً لا يشرك به شيئاً وجبت له الجنة ومن لقي الله قد أشرك به وجبت له النار ، ومن عمل سيئة جزي بها ، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جزي مثلها - وفي رواية - ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة ، ومن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات ، ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت له نفقته الدرهم بسبعمائة والدينار بسبعمائة ، والصيام لله عز وجل ، لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل » رواه الطبراني والبيهقي وهو في صحيح ابن حبان ، وروى البيهقي والإمام أحمد بإسناد جيد ، أنه صلى الله عليه وسلم قال : « الصيام جنة ، وحصن حصين من النار » وفي رواية ابن خزيمة : « الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال ».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى ، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً - أي عاماً » متفق عليه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من

قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ – نَقِيضُ الْعَطْشَانِ – يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ . وَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ وَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ . وَزَادَ « وَمَنْ دَخَلَهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً » وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ : « مَنْ دَخَلَ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ . وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ . لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ . وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ ، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ : « يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي . الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا » – فَهَذِهِ الأَحَادِيثُ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى فَوَائِدِ الصَّوْمِ الأُخْرَوِيَّةِ . حَيْثُ إِنَّهُ تَعَالَى أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ : « فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » أَيْ جَزَاءً مَخْصُوصاً لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ .

أَيُّهَا الإِخْوَانُ – لَقَدْ أَسْنَدَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الصَّوْمَ لِنَفْسِهِ مِنْ دُونِ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْعِبَادَاتِ بَدَنِيَّةً كَانَتْ أَوْ مَالِيَّةً ، يَدْخُلُهَا الرِّيَاءُ ، لِاطِّلَاعِ الْبَشَرِ عَلَيْهَا ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ لا يَقْبَلُ مِنَ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ إِلَّا

ما كانَ خالِصاً لِوَجْهِهِ الكَريم ، وَالصَوْمُ سِرٌّ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ لا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِواهُ ، وَلا يَدْخُلُهُ رِياءٌ ، وَلِأَنَّهُ صَبْرٌ وَجِهادٌ ، فَلِذا كانَ جَزاؤُهُ خاصّاً بِهِ فَقالَ «الصَوْمُ لي وَأَنا أَجْزي بِهِ ، يَتْرُكُ طَعامَهُ وَشَرابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِن أَجْلي » - وَالصِيامُ إِذْلالُ النَفْسِ لِطاعَةِ مَنْ صَوَّرَ وَسَخَّرَ ، وَقَضى وَقَدَّرَ .

لِهٰذا قَسَمَ الغَزاليُّ رَحِمَهُ اللهُ الصَوْمَ ، بِحَسْبِ مَراتِبِ عُقُولِ البَشَرِ ، - إِلىٰ ثَلاثَةِ أَقْسامٍ (١) صَومُ العُمُومِ (٢) صَوْمُ الخُصُوصِ (٣) صَوْمُ خُصُوصِ الخُصُوصِ ، - فَصَوْمُ العُمُومِ هُوَ صَوْمُنا في هٰذا الزَمانِ ، نَمْتَنِعُ عَنِ الأَكْلِ وَالشُرْبِ وَالجِماعِ ، وَنَخُوضُ في الباطِلِ ، وَنُفْطِرُ عَلى الحَرامِ وَلا نَكُفُّ الجَوارِحَ عَنِ الذُنُوبِ وَالآثامِ ، وَنَقْضي اللَيْلَ في قيلٍ وَقالٍ وَنَسْهَرُ عَلى المَلاهي وَالمَلاعِبِ ، وَنَقُولُ إِنَّنا مِنَ الصائِمينَ ، - وَصَوْمُ الخُصُوصِ - هُوَ كَفُّ السَمْعِ وَالبَصَرِ وَاللِسانِ وَاليَدِ والرِجْلِ وَسائِرِ الجَوارِحِ عَنِ الآثامِ ، وَهٰذا صَوْمُ المُراقِبينَ لِلّٰهِ عَلى الدَوامِ ، - وَصَوْمُ خُصُوصِ الخُصُوصِ - هُوَ صَوْمُ القَلْبِ عَنِ الهِمَمِ الدَنِيَّةِ وَالأَفْكارِ الدُنْيَوِيَّةِ وَكَفِّهِ عَمّا سِوى اللهِ بِالكُلِّيَّةِ ، وَيَحْصُلُ الفِطْرُ في هٰذا الصَوْمِ بِالفِكْرِ في سِوى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهٰذا صَوْمُ المُقَرَّبينَ الصِدّيقينَ الفانينَ في اللهِ فَلا اِلْتِفاتَ لَهُمْ إِلى الدُنْيا ، بَلْ تَفَرَّغُوا لِلآخِرَةِ دارِ البَقاءِ ، بَلْ هُمْ دَوْماً في تَضَرُّعٍ لا يَغْفُلُونَ عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، كَما قالَ تَعالىٰ : « يَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً » رَغَباً في رَحْمَةِ اللهِ ، وَرَهَباً مِنْ عَذابِ اللهِ ، اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنا مِنْهُمْ آمينَ ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يا أَكْرَمَ الأَكْرَمينَ

الموعظة التاسعة

في صلاة التراويح

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمَحْمُوْدِ بِكُلِّ لِسَانٍ ، الْمَعْبُوْدِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، الْمُسْتَوْجِبِ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْإِنْقِيَادُ وَالْإِذْعَانُ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ وَوَهَبَ لَهُ الْعَقْلَ لِيَعْمَلَ مَا شَرَعَهُ وَأَبَانَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ الْمَبْعُوْثُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً بِالدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ - إِعْلَمُوْا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِعَزِيمَةٍ ، فَيَقُوْلُ « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ ايمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللّٰهُ تَعَالَىٰ - الْمُرَادُ بِالْقِيَامِ فِي هٰذَا الْحَدِيثِ صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ ، فَمَنْ صَلَّاهَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ .

وَصَلَاةُ التَّرَاوِيحِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ فِي رَمَضَانَ ، سَنَّهَا رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَتْ مُحْدَثَةً لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، بَلْ صَلَّاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ ثُمَّ تَرَكَهَا خَشْيَةَ أَنْ تُفْرَضَ ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا ، أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَرَجَ لَيْلَةً فَصَلَّىٰ فِي الْمَسْجِدِ ، وَصَلَّىٰ رِجَالٌ بِصَلَاتِهِ ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُوْنَ ، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَصَلَّوْا مَعَهُ ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوْا فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ ، فَخَرَجَ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّىٰ فَصَلَّوْا بِصَلَاتِهِ ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ

حَتَّىٰ خَرَجَ لِصَلاةِ الصُّبْحِ ، فَلَمَّا قَضَى الفَجْرَ ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ وَلٰكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا » فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالأَمْرُ عَلَىٰ ذٰلِكَ ، ثُمَّ كَانَ الأَمْرُ عَلَىٰ ذٰلِكَ فِي خِلافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَصَدْرٍ مِنْ خِلافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَأَى أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَىٰ أُبَيِّ ابْنِ كَعْبٍ فَجَمَعَهُمْ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : نِعْمَتِ البِدْعَةُ هٰذِهِ ، فَاسْتَمَرَّ ذٰلِكَ إِلَى الآنِ .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ القَارِيُّ : خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى المَسْجِدِ ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ ، يُصَلِّي رَجُلٌ لِنَفْسِهِ ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاتِهِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي أَرَىٰ لَوْ جَمَعْتُ هٰؤُلاءِ عَلَىٰ قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ ، ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَىٰ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَىٰ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاةِ قَارِئِهِمْ ، قَالَ عُمَرُ : نِعْمَتِ البِدْعَةُ هٰذِهِ ، وَالَّتِي تَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي تَقُومُونَ إِلَيْهَا ، - يُرِيدُ أَنَّ الَّذِينَ يُصَلُّونَهَا آخِرَ اللَّيْلِ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِينَ يُصَلُّونَهَا فِي أَوَّلِهِ ، هٰذَا لَفْظُ أَبِي عَبْدِ اللهِ مِنْ رِوَايَاتِهِ .

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنَّمَا نَصَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، هٰذَا التَّرَاوِيحَ ، لِحَدِيثٍ سَمِعَهُ مِنِّي ، قَالُوا مَا هُوَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ لِلّٰهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَوْلَ العَرْشِ مَوْضِعاً يُسَمَّىٰ حَظِيرَةَ القُدْسِ ، وَهُوَ مِنَ النُّورِ ، فِيهَا مَلائِكَةٌ لا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ ، يَعْبُدُونَ اللهَ عِبَادَةً لا يَفْتُرُونَ سَاعَةً فَإِذَا كَانَ لَيَالِيَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، اسْتَأْذَنُوا رَبَّهُمْ أَنْ يَنْزِلُوا إِلَى الأَرْضِ ، فَيُصَلُّونَ مَعَ بَنِي آدَمَ ، فَيَنْزِلُونَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى الأَرْضِ ، فَكُلُّ مَنْ مَسَّهُمْ أَوْ مَسُّوهُ سَعِدَ سَعَادَةً لا يَشْقَىٰ بَعْدَهَا

أَبَداً » فَقالَ عُمَرُ : فَنَحْنُ أَحَقُّ بِهٰذا ، فَجَمَعَ التَّراوِيحَ وَنَصَبَها ، وَلَقَدْ خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ في أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضانَ ، فَسَمِعَ القِراءَةَ بِالقُرْآنِ في المَساجِدِ ، وَرَأَى القَناديلَ تَزْهَرُ فيها ، فَقالَ عَلِيٌّ : نَوَّرَ اللهُ قَبْرَ عُمَرَ كَما نَوَّرَ مَساجِدَنا بِالقُرْآنِ ، وَكانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، جَمَعَ النّاسَ عَلىٰ قِيامِ شَهْرِ رَمَضانَ الرِّجالَ عَلىٰ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، وَالنِّساءَ عَلىٰ سُلَيْمانَ ابْنِ أَبي خَيْثَمَةَ ، - وَقيلَ كانَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَأْمُرُ بِها في رَمَضانَ ، وَيَجْعَلُ لِلرِّجالِ إِماماً ، وَلِلنِّساءِ إِماماً ، قالَ عَرْفَجَةُ : فَكُنْتُ أَنا إِمامَ النِّساءِ ،

وَهِيَ أَيْ صَلاةُ التَّراوِيحِ ، مِنْ أَعْلامِ الدّينِ الظّاهِرَةِ ، وَسُمِّيَتْ بِذٰلِكَ لِأَنَّهُمْ كانُوا يَتَرَوَّحُونَ عَقِبَ كُلِّ تَسْليمَتَيْنِ - أَيْ يَسْتَرِيحُونَ ، وَهِيَ عِشْرُونَ رَكْعَةً ، بِعَشْرِ تَسْليماتٍ ، في كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضانَ ، وَفِعْلُها جَماعَةً أَفْضَلُ ، وَوَقْتُها بَيْنَ صَلاةِ العِشاءِ وَطُلُوعِ الفَجْرِ الثّاني ، وَلا تَصِحُّ بِنِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ ، بَلْ يَنْوي رَكْعَتَيْنِ مِنَ التَّراوِيحِ ، أَوْ قِيامِ رَمَضانَ ، وَلَوْ صَلّىٰ أَرْبَعَ رَكْعاتٍ بِتَسْليمَةٍ واحِدَةٍ لَمْ يَصِحَّ ، لِأَنَّهُ خِلافُ المَشْرُوعِ ، وَيَقْرَأُ فيهِ كُلَّ لَيْلَةٍ ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ ، إِلىٰ أَنْ يَخْتِمَ القُرْآنَ في بَعْضِ اللَّيالي الَّتي تُرْجىٰ فيها لَيْلَةُ القَدْرِ ، اغْتِناماً لِلقَبُولِ .

فَهٰذا عادَةُ السَّلَفِ رَحْمَةُ اللهِ تَعالىٰ عَلَيْهِمْ ، فَمَنْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ في ذٰلِكَ ، فَلْيُشَمِّرْ وَلا يُقَصِّرْ ، فَإِنَّ الخَيْرَ غَنيمَةٌ ، وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ .

ثُمَّ إِنَّهُ يَنْبَغي لِلإِمامِ أَنْ يُراعِيَ صَلاتَهُ ، وَلْيَحْذَرْ مِنَ التَّخْفيفِ المُفْرِطِ الَّذي يَعْتادُهُ كَثيرٌ مِنَ الجَهَلَةِ ، في صَلاتِهِمْ لِلتَّراوِيحِ ، حَتّىٰ رُبَّما يَقَعُونَ بِسَبَبِهِ في الإِخْلالِ بِشَيْءٍ مِنَ الواجِباتِ ، مِثْلُ تَرْكِ الطُّمَأْنينَةِ ، في الرُّكُوعِ

وَالسُّجُودِ، وَتَرْكِ قِراءَةِ الْفاتِحَةِ عَلَى الوَجْهِ الَّذي لابُدَّ مِنْهُ، بِسَبَبِ العَجَلَةِ فَيَصيرُ أَحَدُهُمْ عِنْدَ اللهِ لا هُوَ صَلّى فَفازَ بِالثَّوابِ، وَلا هُوَ تَرَكَ فاعْتَرَفَ بِتَقْصيرِهِ وَسَلِمَ مِنَ الإِعْجابِ.

فَاحْذَرُوا مِنْ ذلِكَ وَتَنَبَّهُوا لَهُ يا مَعْشَرَ الإِخْوانِ، وَإِذا صَلَّيْتُمُ التَّراويحَ وَغَيْرَها مِنَ الصَّلَواتِ، فَأَتِمُّوا القِيامَ وَالقِراءَةَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَالأَرْكانَ وَلازِمُوا الخُشُوعَ وَالخُضُوعَ وَالآدابَ، وَلا تَجْعَلُوا لِلشَّيْطانِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً، وَخافُوا مِنَ العَزيزِ الوَهّابِ، وَعَلَى الإِمامِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ في حَقِّ المَأْمُومينَ، لِأَنَّ اللهَ تَعالى مُسْتَرْعيهِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى المَأْمُومِ إِذا كانَ إِمامُهُ بِهذِهِ المَثابَةِ، أَنْ يَنْصَحَهُ، فَإِنْ أَبى فَلْيُصَلِّ مَعَ إِمامٍ يُقيمُ الصَّلاةَ، فَإِنَّ الإِنْسانَ لَوْ خَرَجَ إِلَى السُّوقِ وَاشْتَرى مِنْ آخَرَ طَعاماً، وَطَفَّفَ لَهُ الكَيْلَ أَوِ الميزانَ، فَإِنَّهُ إِذا عَلِمَ بِذلِكَ لَمْ يَكْتَلْ مِنْهُ مَرَّةً أُخْرى، إِنَّما يَذْهَبُ إِلى غَيْرِهِ، يَذْهَبُ إِلى إِنْسانٍ يُعْطيهِ حَقَّهُ، فَهذا ميزانُ الدُّنْيا، فَكَيْفَ بِميزانِ الدّينِ وَالأَعْمالِ، نَرْجُو مِنَ اللهِ تَعالى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنا وَعَلَيْكُمْ بِاتِّباعِ شَرْعِهِ وَأَمْرِهِ، وَاجْتِنابِ نَهْيِهِ وَخَطَرِهِ.

كانَ السَّلَفُ الصّالِحُ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالى لَهُمْ أَخْبارٌ فِي الصَّلاةِ، فَرُوِيَ عَنْ أُوَيْسٍ القَرَنِيِّ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ: لَأَعْبُدَنَّ اللهَ عِبادَةَ المَلائِكَةِ، فَيَقْطَعُ لَيْلَةً قائِماً، وَلَيْلَةً راكِعاً، وَلَيْلَةً ساجِداً.

وَكانَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ العَبّاسِ، يَسْجُدُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ سَجْدَةٍ فَسُمِّيَ السَّجّادَ، وَكانَ كُرْزُ بْنُ وَبَرَةَ، يَعْصِبُ رِجْلَيْهِ بِالخِرَقِ، لِكَثْرَةِ صَلاتِهِ - هذِهِ وَاللهِ صِفاتُ المُجْتَهِدينَ، هذِهِ خِصالُ المُبادِرينَ، فَاعْلَمُوا بِاللهِ لا تَكُونُوا مُفْرِطينَ.

كانَ سَعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، يَخْتِمُ القُرْآنَ في رَكْعَةٍ في جَوْفِ الكَعْبَةِ،

وَيَبْكِي حَتَّى فَسَدَتْ عَيْنَاهُ ، وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي رَمَضَانَ .

هٰذَا الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ ، إِذَا سَجَدَ فَكَأَنَّهُ ثَوْبٌ مَطْرُوحٌ عَلَى الأَرْضِ ، فَتَجِيءُ الْعَصَافِيرُ فَتَقَعُ عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تُنَادِيهِ . يَارَبِيعُ أَلَا تَنَامُ ، فَيَقُولُ : يَا أُمَّهْ ، مَنْ جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَهُوَ يَخَافُ السَّيِّئَاتِ ، حَقَّ لَهُ أَنْ لَا يَنَامَ ، فَلَمَّا بَلَغَ وَرَأَتْ مَا يَلْقَى مِنَ الْبُكَاءِ وَالسَّهَرِ نَادَتْهُ فَقَالَتْ : يَابُنَيَّ لَعَلَّكَ قَتَلْتَ قَتِيلاً ، قَالَ : نَعَمْ يَاوَالِدَتِي قَدْ قَتَلْتُ قَتِيلاً ، فَقَالَتْ : وَمَنْ هٰذَا الْقَتِيلُ يَابُنَيَّ حَتَّى نَتَحَمَّلَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَيَغْتَفِرَكَ . وَاللهِ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا تَلْقَىٰ مِنَ السَّهَرِ وَالْبُكَاءِ لَرَحِمُوكَ ، فَقَالَ : يَاوَالِدَتِي هِيَ نَفْسِي .

وَكَانَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ : لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ ، وَلَقَدِ انْهَدَمَتْ نَاحِيَةُ الْمَسْجِدِ ، فَفَزِعَ لَهَا أَهْلُ السُّوقِ فَمَا الْتَفَتَ ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلَهُ سَكَتَ أَهْلُ بَيْتِهِ ، فَإِذَا قَامَ يُصَلِّي تَكَلَّمُوا وَضَحِكُوا ، عِلْماً بِأَنَّ قَلْبَهُ مَشْغُولٌ عَنْهُمْ ، وَكَانَ يَقُولُ : إِلٰهِي مَتَىٰ أَلْقَاكَ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ

الموعظة العاشرة

في فضل القرآن وتلاوته لا سيما في شهر رمضان

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ، وَأَرْسَلَ رَسُولَهُ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ، وَدَاعِياً إِلَى اللّٰهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيراً ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ بَعَثَهُ بِالْحَقِّ إِلَىٰ كَافَّةِ الْخَلْقِ نَذِيراً وَبَشِيراً ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَآتِهِمْ مِنْ لَدُنْكَ فَضْلاً كَبِيراً .

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ - إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ - أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللّٰهِ الْمَتِينُ ، وَنُورُهُ الْمُبِينُ ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَهُوَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَىٰ ، وَالْمُعْتَصَمُ الْأَقْوَىٰ ، وَهُوَ النُّورُ وَالضِّيَاءُ ، وَبِهِ النَّجَاةُ وَالشِّفَاءُ ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ ، مَنْ تَرَكَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ قَصَمَهُ اللّٰهُ ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَىٰ مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللّٰهُ ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ ، وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ ، وَلَا تَتَنَاهَىٰ غَرَائِبُهُ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ، كِتَابٌ قَالَ فِيهِ مُنْزِلُهُ كَمَا تَقْرَءُونَ ، وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، كِتَابٌ لَمَّا سَمِعَهُ الْجِنُّ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ ، وَمَنْ دَعَىٰ إِلَيْهِ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

فَالسَّعِيدُ مِنَّا مَنْ قَامَ بِتِلَاوَةِ آيَاتِهِ ، وَتَدَبَّرَ مَوَاعِظَهُ وَبَيِّنَاتِهِ ، وَاهْتَدَىٰ

بِأَنْوارِهِ ، وَاقْتَطَفَ طَيِّبَاتِ ثِمَارِهِ ، وَأَخْلَصَ لِلَّهِ الْعَمَلَ بِمَا فِيهِ ، وَوَقَفَ عِنْدَ حُدُودِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ، يُحِلُّ حَلالَهُ وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ ، خَلَطَهُ اللَّهُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، وَجَعَلَهُ رَفِيقَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ حَجِيجاً ، فَقَالَ : يَارَبِّ كُلُّ عَامِلٍ يَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا يَأْخُذُ بِعَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا ، إِلَّا فُلَاناً كَانَ يَقُومُ فِيَّ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ، فَيُحِلُّ حَلَالِي ، وَيُحَرِّمُ حَرَامِي ، يَقُولُ : رَبِّ فَاعْطِهِ ، فَيُتَوِّجُهُ اللَّهُ بِتَاجِ الْمُلُوكِ ، وَيَكْسُوهُ مِنْ حُلَّةِ الْكَرَامَةِ ، ثُمَّ يَقُولُ : هَلْ رَضِيتَ ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ أَرْغَبُ لَهُ فِي أَفْضَلَ مِنْ هٰذَا ، فَيُعْطِيهِ اللَّهُ الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ ، هَلْ رَضِيتَ ، فَيَقُولُ : نَعَمْ يَارَبِّ » رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ (أَيْ يَتَرَدَّدُ — فِي قِرَاءَتِهِ) وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ »

رَواهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عُثْمانَ بْنِ عَفّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ ، رِيحُها طَيِّبٌ ، وَطَعْمُها طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرِ . لا لَها رِيحٌ ، وَطَعْمُها حُلْوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنافِقِ الَّذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ . مَثَلُ الرَّيْحانَةِ ، رِيحُها طَيِّبٌ ، وَطَعْمُها مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنافِقِ الَّذي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ ، لَيْسَ لَها رِيحٌ ، وَطَعْمُها مُرٌّ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُوْنَ كِتابَ اللهِ ، وَيَتَدارَسُوْنَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » رَواهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو داوُدَ ،

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَقُوْلُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَى : مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ مَسْأَلَتي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ما أُعْطِي السّائِلِينَ . وَفَضْلُ كَلامِ اللهِ عَلَى سائِرِ الْكَلامِ ، كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ » رَواهُ التِّرْمِذِيُّ وَقالَ حَسَنٌ غَرِيبٌ :

أَيُّها الإِخْوانُ ـ لاشَكَّ أَنَّ الْقُرْآنَ أَفْضَلُ مِنْ سائِرِ الأَذْكارِ . وَأَفْضَلُ مِنْ جَميعِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ ، فَيَنْبَغي لِلإِنْسانِ وَلِلصّائِمِ آكَدُ ، أَنْ يَنْكَبَّ عَلَى قِراءَتِهِ ، وَلا رَيْبَ أَنَّ تِلاوَتَهُ مَطْلُوْبَةٌ في كُلِّ وَقْتٍ ، لاسِيَّما في هٰذا الشَّهْرِ الْفَضيلِ ، فَكانَ السَّلَفُ الصّالِحُ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالَى ، يُدْمِنُوْنَ تِلاوَتَهُ في شَهْرِ رَمَضانَ ، في الصَّلاةِ وَغَيْرِها ـ كانَ الأَسْوَدُ : يَقْرَأُ الْقُرْآنَ أَيْ

يَخْتِمُهُ فِي كُلِّ لَيْلَتَيْنِ مِنْ رَمَضَانَ .

وَكَانَ النَّخَعِيُّ : يَفْعَلُ ذٰلِكَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ خَاصَّةً ، وَفِي بَقِيَّةِ الشَّهْرِ فِي ثَلَاثٍ ، وَكَانَ قَتَادَةُ : يَخْتِمُ فِي كُلِّ سَبْعٍ دَائِماً ، وَفِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ ، وَفِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ كُلَّ لَيْلَةٍ .

وَكَانَ لِلشَّافِعِيِّ فِي رَمَضَانَ سِتُّونَ خَتْمَةً يَقْرَؤُهَا فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ ، وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ نَحْوُهُ ، وَكَانَ الزُّهْرِيُّ : إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ قَالَ : إِنَّمَا هُوَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ .

وَقَالَ ابْنُ الْحَكَمِ : كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، إِذَا دَخَلَ رَمَضَانَ ، يَفِرُّ مِنْ قِرَاءَةِ الْحَدِيثِ وَمُجَالَسَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ مِنَ الْمُصْحَفِ .

وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ تَرَكَ جَمِيعَ الْعِبَادِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَكَانَ زُبَيْدٌ الْيَامِيُّ : إِذَا حَضَرَ رَمَضَانُ أَحْضَرَ الْمَصَاحِفَ وَجَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابَهُ ،

فَهٰذِهِ حَالُ الْقَوْمِ ، فَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ النَّوَافِلِ ، كَثْرَةُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَاسْتِمَاعِهِ بِتَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ ، قَالَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ رَحِمَهُ اللهُ لِرَجُلٍ : تَقَرَّبْ إِلَى اللهِ تَعَالَى مَا اسْتَطَعْتَ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ ، قَالَ عُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ ، مَا شَبِعْتُمْ مِنْ كَلَامِ رَبِّكُمْ ،

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، مَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ أَحَبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَلَا شَيْءَ عِنْدَ الْمُحِبِّينَ أَحْلَى مِنْ كَلَامِ مَحْبُوبِهِمْ ، فَهُوَ لَذَّةُ قُلُوبِهِمْ ، وَغَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَكَ عِنْدَ اللهِ ، فَانْظُرْ قَدْرَ الْقُرْآنِ عِنْدَكَ ، كَانَ

بَعْضُهُمْ يُكْثِرُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ اشْتَغَلَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ ، فَرَآى فِي الْمَنَامِ قَائِلاً يَقُولُ لَهُ ،

إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبِّي فَلِمْ جَفَوْتَ كِتَابِي أَمَا تَأَمَّلْتَ مَا فِيهِ مِنْ لَذِيذِ خِطَابِي

وَقَدْ جَاءَ التَّرْغِيبُ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَتَعَلُّمِهِ ، وَأَبَانَتِ الْأَحَادِيثُ عَنْ ذَمِّ نَاسِيهِ وَتَأْثِيمِهِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَا مِنِ امْرِئٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمَ» وَالْأَحَادِيثُ بِهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ ، وَالْعَاقِلُ تَكْفِيهِ الْإِشَارَةُ .

وَلْيُعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، أَنْ يُرَاعِيَ آدَابَ التِّلَاوَةِ ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ : مِنْهَا - أَنْ يَكُونَ عَلَى وُضُوءٍ جَالِساً عَلَى هَيْئَةِ الْأَدَبِ وَالسُّكُونِ مُسْتَقْبِلاً الْقِبْلَةَ ، مُطْرِقاً رَأْسَهُ ، غَيْرَ مُضْطَجِعٍ وَلَا مُتَكَبِّرٍ ، - وَمِنْهَا - التَّفْكِيرُ وَالتَّرْتِيلُ ، إِذِ التَّرْتِيلُ أَقْرَبُ إِلَى التَّوْقِيرِ وَأَشَدُّ تَأْثِيراً مِنَ الْهَذْرَمَةِ وَالْإِسْتِعْجَالِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : لِأَنْ أَقْرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ أُرَتِّلُهُمَا وَأَتَدَبَّرُهُمَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ هَذْرَمَةً - وَمِنْهَا - تَأَمُّلُ مَا فِيهِ مِنَ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ وَالْمَوَاثِيقِ وَالْعُهُودِ ، - وَمِنْهَا - أَنْ يُرَاعِيَ حَقَّ الْآيَاتِ ، فَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ سَجْدَةٍ سَجَدَ [وَكَيْفِيَّةُ السُّجُودِ أَنْ يُكَبِّرَ رَافِعاً يَدَيْهِ لِتَحْرِيمِهِ ، ثُمَّ يُكَبِّرُ لِلْهُوِيِّ لِلسُّجُودِ ثُمَّ يُكَبِّرُ لِلْإِرْتِفَاعِ ثُمَّ يُسَلِّمُ] وَمِنْهَا - أَنْ يَتَعَوَّذَ فِي ابْتِدَاءِ قِرَاءَتِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَادَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، - وَمِنْهَا - تَحْسِينُ الْقِرَاءَةِ وَتَرْتِيبُهَا مِنْ غَيْرِ تَمْطِيطٍ مُفْرِطٍ يُغَيِّرُ النَّظْمَ . فَذَلِكَ سُنَّةٌ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» نَسْأَلُ اللهَ الْهِدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

الموعظة الحادية عشرة
في الترغيب على الجود والكرم في شهر رمضان اقتداء برسول الله ﷺ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي تَأَذَّنَ بِالْخَلَفِ وَالْمَزِيدِ لِلْمُنْفِقِينَ ، إِذْ قَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يُضَاعِفُ بِرَّهُ لِلْمُحْسِنِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، أَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ - إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ - أَنَّكُمْ فِي شَهْرٍ عَظِيمِ الشَّأْنِ ، قَدْ أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ، وَفُرِضَ صِيَامُهُ عَلٰى أَهْلِ الْإِيمَانِ ، شَهْرٌ يَرْبَحُ فِيهِ الْعَامِلُونَ ، وَيَفْرَحُ فِيهِ الصَّائِمُونَ ، فَأَيْنَ الْمُتَنَافِسُونَ فِي نَفَائِسِ أَوْقَاتِهِ ، وَأَيْنَ الْمُتَسَابِقُونَ إِلَى الْخَيْرَاتِ فِي كَرَائِمِ سَاعَاتِهِ ، - أَلَا فَاغْتَنِمُوا فُرْصَةَ هٰذِهِ الْأَوْقَاتِ الْمَعْدُودَاتِ الْحِسَانِ ، وَابْذُلُوا فِيهَا فَضْلَ الْأَمْوَالِ بِقَدْرِ مَا تَسْتَطِيعُونَ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ . فَلَا تَبْخَلُوا بِمَالِ اللّٰهِ الَّذِي آتَاكُمْ ، وَاشْكُرُوهُ بِالْإِعْطَاءِ يَزِدْكُمْ فِيمَا أَوْلَاكُمْ ، وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ فِيهِ مُسْتَخْلَفِينَ ، وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللّٰهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ، وَلَا يَخْدَعَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ بِمَخَافَةِ الْفَقْرِ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا الْمَالَ إِلَّا بِفَضْلِ مَنْ لَهُ الْأَمْرُ . ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَاقْتَدُوا بِنَبِيِّكُمْ فِي الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

يَتَضاعَفُ جُوْدُهُ في رَمَضانَ ، عَلىٰ غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُوْرِ . كَما أَنَّ جُوْدَ رَبِّهِ يَتَضاعَفُ فِيهِ أَيْضاً ، فَإِنَّ اللهَ جَبَلَهُ عَلىٰ ما يُحِبُّهُ مِنَ الأَخْلاقِ الكَرِيمَةِ ، وَالسِّيرَةِ السَّنِيَّةِ الحَمِيدَةِ ، فَسُبْحانَ مَنِ اخْتَصَّ هٰذا النَّبِيَّ بِالأَخْلاقِ الجَمِيلَةِ ، وَالأَفْعالِ الحَسَنَةِ المُسْتَقِيمَةِ ، وَالعَطايا الوافِرَةِ الجَسِيمَةِ ، كانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، يَلْقاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ في رَمَضانَ ، فَيُدارِسُهُ القُرْآنَ وَيُخالِطُهُ وَلا شَكَّ أَنَّ المُخالَطَةَ تُؤَثِّرُ وَتُوْرِثُ أَخْلاقاً مِنَ المُخالِطِ ، فَفي الصَّحِيحَيْنِ ، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ: «كانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النّاسِ ، وَكانَ أَجْوَدَ ما يَكُوْنُ في رَمَضانَ حِينَ يَلْقاهُ جِبْرِيلُ فَيُدارِسُهُ القُرْآنَ ، وَكانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَلْقاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضانَ فَيُدارِسُهُ القُرْآنَ ، فَلَرَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ »

وَكانَ جُوْدُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ أَنْواعَ الجُوْدِ ، مِنْ بَذْلِ العِلْمِ وَالمالِ ، وَبَذْلِ نَفْسِهِ لِلّٰهِ تَعالىٰ في إِظْهارِ دِينِهِ ، وَهِدايَةِ عِبادِهِ ، وَإِيصالِ النَّفْعِ إِلَيْهِمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ مِنْ : إِطْعامِ جائِعِهِمْ ، وَمُواساةِ مَنْكُوْبِهِمْ ، وَوَعْظِ جاهِلِهِمْ ، وَقَضاءِ حَوائِجِهِمْ ، وَتَحَمُّلِ أَثْقالِهِمْ ، وَلَمْ يَزَلْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلىٰ هٰذِهِ الخِصالِ مُنْذُ نَشَأَ ـ وَلِهٰذا قالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ في أَوَّلِ مَبْعَثِهِ لَمّا رَأى شَيْئاً أَزْعَجَهُ ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ كانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يَعْبُدُ اللهَ في غارِ حِراءٍ ، فَجاءَهُ جِبْرِيلُ بِالرِّسالَةِ وَهُوَ في غارِ حِراءٍ ، فَقالَ لَهُ اقْرَأْ فَأَبىٰ فَغَطَّهُ غَطَّةً قَوِيَّةً ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ وَقالَ لَهُ اقْرَأْ فَأَبىٰ فَغَطَّهُ ثانِيَةً حَتّىٰ بَلَغَ مِنَ الجَهْدِ ، حَتّىٰ ثَلاثَ مَرّاتٍ ، وَبَعْدَ ثالِثِ المَرَّةِ ، قالَ لَهُ : «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ » فَرَجَعَ إِلىٰ خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤادُهُ الشَّرِيفُ ، وَأَخْبَرَها الخَبَرَ وَقالَ لَها : «وَاللهِ لَقَدْ خَشِيتُ عَلىٰ نَفْسي »

فَقَالَتْ لَهُ : وَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوائِبِ الْحَقِّ ،

ثُمَّ تَزايَدَتْ هٰذِهِ الْخِصالُ فِيهِ بَعْدَ الْبِعْثَةِ ، وَتَضاعَفَتْ أَضْعافاً كَثِيرَةً وَكانَ جُودُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُ لِلهِ ، وَفِي ابْتِغاءِ مَرْضاتِهِ ، فَإِنَّهُ كانَ يَبْذُلُ الْمالَ إِمَّا لِفَقِيرٍ ، أَوْ مُحْتاجٍ ، أَوْ يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَوْ يَتَأَلَّفُ بِهِ عَلَى الإِسْلامِ مَنْ يَقْوَى الإِسْلامُ بِإِسْلامِهِ ، وَكانَ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَأَوْلادِهِ ، فَيُعْطِي عَطاءً يَعْجِزُ عَنْهُ الْمُلُوكُ ، مِثْلُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَيَعِيشُ فِي نَفْسِهِ عَيْشَ الْفُقَراءِ فَيَأْتِي عَلَيْهِ الشَّهْرُ وَالشَّهْرانِ لا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نارٌ ، وَرُبَّما رَبَطَ عَلَى بَطْنِهِ الْحَجَرَ مِنَ الْجُوعِ ، وَكانَ أُهْدِيَ إِلَيْهِ شَمْلَةٌ فَلَبِسَها وَهُوَ مُحْتاجٌ إِلَيْها ، فَسَأَلَهُ إِيَّاها رَجُلٌ فَأَعْطاهُ إِيَّاها فَلامَهُ النَّاسُ وَقالُوا : كانَ مُحْتاجاً إِلَيْها وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سائِلاً ، فَقالَ الرَّجُلُ : إِنَّما سَأَلْتُها لِتَكُونَ كَفَنِي ، فَكانَتْ كَفَنَهُ .

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَأَسَّى بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُساعِدَ إِخْوانَهُ الْمُحْتاجِينَ خُصُوصاً فِي هٰذا الشَّهْرِ الْفَضِيلِ ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ فِيهِ مُضاعَفَةُ الأُجُورِ ، وَاللهُ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرِيمَ مِنْ عِبادِهِ ، جَوادٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْجُودِ ، وَالْبُخْلُ لا يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ ، فَإِنَّ الْبَخِيلَ بَعِيدٌ مِنَ اللهِ ، بَعِيدٌ مِنْ خَلْقِهِ ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ ، وَالسَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ .

فَجُودُ الرَّجُلِ يُحَبِّبُهُ إِلَى أَضْدادِهِ ، وَبُخْلُهُ يُبَغِّضُهُ إِلَى أَوْلادِهِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مالٍ ، وَما زادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً ، وَما تَواضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » رَواهُ مُسْلِمٌ .

وَقَدْ كانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَضاعَفُ جُودُهُ فِي شَهْرِ رَمَضانَ

وَفي ذٰلِكَ فَوائِدُ، مِنْها - شَرَفُ الزَّمانِ وَمُضاعَفَةُ أُجُورِ العَمَلِ فِيهِ، فَفي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً ، « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةٌ في رَمَضانَ » وَمِنْها - إِعانَةُ الصّائِمِينَ وَالقائِمِينَ وَالذّاكِرِينَ عَلىٰ طاعَتِهِمْ ، فَيَسْتَوْجِبُ المُعِينُ لَهُمْ مِثْلَ أُجُورِهِمْ ، كَما أَنَّ مَنْ جَهَّزَ غازِياً فَقَدْ غَزا ، وَمَنْ خَلَفَهُ في أَهْلِهِ فَقَدْ غَزا . وَفي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خالِدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « مَنْ فَطَّرَ صائِماً فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الصّائِمِ شَيْءٌ » أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ، وَزادَ الطَّبَرانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عائِشَةَ : « وَما عَمِلَ الصّائِمُ مِنْ أَعْمالِ البِرِّ إِلاّ كانَ لِصاحِبِ الطَّعامِ ما دامَ قُوَّةُ الطَّعامِ فِيهِ » وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ سَلْمانَ : وَفِيهِ : « وَهُوَ شَهْرُ المُواساةِ، وَشَهْرٌ يُزادُ فِيهِ رِزْقُ المُؤْمِنِ ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صائِماً كانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النّارِ ، وَكانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ ، قالُوا يا رَسُولَ اللهِ : لَيْسَ كُلُّنا يَجِدُ ما يُفَطِّرُ الصّائِمَ ، قالَ : يُعْطِي اللهُ هٰذا الثَّوابَ لِمَنْ فَطَّرَ صائِماً عَلىٰ مَذْقَةِ لَبَنٍ أَوْ تَمْرَةٍ أَوْ شَرْبَةِ ماءٍ ، وَمَنْ أَشْبَعَ فِيهِ صائِماً سَقاهُ اللهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لا يَظْمَأُ بَعْدَها حَتّىٰ يَدْخُلَ الجَنَّةَ » وَمِنْها - أَنَّ شَهْرَ رَمَضانَ شَهْرٌ يَجُودُ اللهُ فِيهِ عَلىٰ عِبادِهِ بِالرَّحْمَةِ وَالمَغْفِرَةِ وَالعِتْقِ مِنَ النّارِ ، وَاللهُ تَعالىٰ يَرْحَمُ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَماءَ ، فَمَنْ جادَ عَلىٰ عِبادِ اللهِ جادَ اللهُ عَلَيْهِ .

كانَ أَبُو الدَّرْداءِ يَقُولُ : صَلُّوا في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ رَكْعَتَيْنِ لِظُلْمَةِ القُبُورِ وَصُومُوا يَوْماً شَدِيداً حَرُّهُ لِحَرِّ يَوْمِ النُّشُورِ ، تَصَدَّقُوا بِصَدَقَةِ السِّرِّ لِيَوْمٍ عَسِيرٍ .

كانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ : يَصُومُ وَلا يُفْطِرُ إِلاّ مَعَ المَساكِينِ فَإِذا مَنَعَهُ أَهْلُهُ عَنْهُمْ لَمْ يَتَعَشَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكانَ إِذا جاءَهُ سائِلٌ وَهُوَ عَلىٰ طَعامِهِ

أَخَذَ نَصيبَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَقَامَ فَأَعْطَاهُ السَّائِلَ ، فَيَرْجِعُ وَقَدْ أَكَلَ أَهْلُهُ مَا بَقِيَ فِي الْجَفْنَةِ ، فَيُصْبِحُ صَائِماً وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئاً .

وَاشْتَهَىٰ بَعْضُ الصَّالِحِينَ مِنَ السَّلَفِ طَعَاماً ، وَكَانَ صَائِماً فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ عِنْدَ فُطُورِهِ ، فَسَمِعَ سَائِلاً يَقُولُ : مَنْ يُقْرِضُ الْمَلِيَّ الْوَفِيَّ الْغَنِيَّ فَقَالَ : عَبْدُهُ الْمَعْدُومُ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّحْفَةَ فَخَرَجَ بِهَا إِلَيْهِ وَبَاتَ طَاوِياً .

وَجَاءَ السَّائِلُ إِلَىٰ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ رَغِيفَيْنِ كَانَ يُعِدُّهُمَا لِفُطُورِهِ ، ثُمَّ أَصْبَحَ صَائِماً .

وَكَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : يُطْعِمُ إِخْوَانَهُ فِي السَّفَرِ الأَلْوَانَ مِنَ الْحَلْوَاءِ وَغَيْرِهَا وَهُوَ صَائِمٌ ، وَكَانَ الْحَسَنُ : يُطْعِمُ إِخْوَانَهُ وَهُوَ صَائِمٌ تَطَوُّعاً وَيَجْلِسُ يُرَوِّحُهُمْ وَهُمْ يَأْكُلُونَ .

سَلَامُ اللهِ عَلَىٰ تِلْكَ الأَرْوَاحِ ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَىٰ تِلْكَ الأَشْبَاحِ ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَخْبَارٌ وَآثَارٌ ، كَمْ بَيْنَ مَنْ يَمْنَعُ الْحَقَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الإِيثَارِ ، لَاتَعْرِضَنَّ لِذِكْرِنَا فِي ذِكْرِهِمْ ، لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَىٰ كَالْمُقْعَدِ ، فَيَالَيْتَنَا إِذَا لَمْ نَكُنْ مِثْلَ هٰؤُلَاءِ الأَخْيَارِ ، سَلِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالأَوْزَارِ ، وَ يَالَيْتَنَا إِذَا لَمْ نَقْتَدِ بِالسَّلَفِ الْكِرَامِ ، تَرَكْنَا الْمُتَشَابِهَ وَالْحَرَامَ نَسْأَلُ اللهَ الْهِدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

•••••••••••••••••••

الموعظة الثانية عشرة
في الحث على الجود والإنفاق في وجوه الخير

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ واسِعِ الْفَضْلِ الكَرِيمِ الْمَنَّانِ ، مُضاعِفِ الحَسَناتِ لِذَوي الْجُودِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسانِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ الَّذي تَأَذَّنَ بِالْمَزِيدِ لِذَوي الشُّكْرانِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخِيرَتُهُ مِنْ نَوْعِ الإِنْسانِ أَللّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحابِهِ وَالتّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ .

أَمَّا بَعْدُ فَيا إِخْوانِيَ الْكِرامَ - إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمُحْتاجِينَ مِنْ أَبَرِّ الأَعْمالِ ، وَأَنَّ الإِنْفاقَ في وُجُوهِ الْخَيْرِ سَبَبُ النَّجاةِ مِنَ الشَّدائِدِ وَالأَهْوالِ ، قالَ تَعالىٰ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقائِلِينَ : « وَسارِعُوا إِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمٰواتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرّاءِ وَالضَّرّاءِ وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » وَقالَ تَعالىٰ : « وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَما تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ » وَقالَ تَعالىٰ : « وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » وَالآياتُ في هٰذَا الْبابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ ، وَقَدْ وَرَدَتْ أَحادِيثُ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ فِي التَّرْغِيبِ وَالْحَثِّ عَلَى الْكَرَمِ وَالْجُودِ وَالإِنْفاقِ في وُجُوهِ الْخَيْرِ .

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ (أَيْ يَنْبَغِي أَنْ لا يُغْبَطَ أَحَدٌ إِلَّا عَلىٰ إِحْدىٰ هاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ) رَجُلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فَسَلَّطَهُ عَلىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ

آتاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِها وَيُعَلِّمُها » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ،

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُها بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيها لِصاحِبِها كَما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيُدْخِلُ بِلُقْمَةِ الْخُبْزِ وَقَبْصَةِ التَّمْرِ وَمِثْلِهِ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمِسْكِينُ ، ثَلاثَةً الْجَنَّةَ ، رَبَّ الْبَيْتِ الْآمِرِ بِهِ ، وَالزَّوْجَةَ تُصْلِحُهُ ، وَالْخادِمَ الَّذِي يُناوِلُ الْمِسْكِينَ ، ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يَنْسَ خَدَمَنا » رَواهُ الطَّبَرانِيُّ وَالْحاكِمُ .

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ ما كانَتْ فِي حالَةِ الصِّحَّةِ وَالسَّلامَةِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّدَقَةِ فَقالَ : « أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ شَحِيحٌ صَحِيحٌ تَأْمُلُ الْبَقاءَ وَتَخافُ الْفَقْرَ ، وَلا تُمْهِلْ حَتَّىٰ إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلانٍ كَذا ، وَلِفُلانٍ كَذا ، أَلا وَقَدْ كانَ لِفُلانٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَلْيَعْلَمِ الْمُمْسِكُ أَنَّ ما أَخْرَجَهُ لَهُ ، وَما تَرَكَهُ لِغَيْرِهِ ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّكُمْ مالُ وارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مالِهِ ، قالُوا يا رَسُولَ اللهِ : ما مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ ، قالَ : فَإِنَّ مالَهُ ما قَدَّمَ وَمالَ وارِثِهِ ما أَخَّرَ » رَواهُ الْبُخارِيُّ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قالَ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَقُولُ

الْعَبْدُ مالِي وَإِنَّمالَهُ مِنْ مالِهِ ثَلاثٌ ، ما أَكَلَ فَأَفْنَى ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى ، أَوْ أَعْطَى فَأَبْقَى ، وَما سِوَى ذٰلِكَ فَهُوَ ذاهِبٌ وَتارِكُهُ لِلنّاسِ » رَواهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها : أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شاةً فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ما بَقِيَ مِنْها » قالَتْ : ما بَقِيَ مِنْها إِلَّا كَتِفُها ، قالَ : « بَقِيَ كُلُّها غَيْرَ كَتِفِها » رَواهُ التِّرْمِذِيُّ وَقالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَمَعْناهُ أَنَّهُمْ تَصَدَّقُوا بِها إِلَّا كَتِفُها ، فَقالَ : بَقِيَتْ لَنا فِي الآخِرَةِ إِلَّا كَتِفُها .

مَنْ عَلِمَ فَضْلَ الصَّدَقَةِ ، حَمَلَ النَّفْسَ عَلَى الإِخْراجِ ، بُعِثَ إِلَى عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها بِمالٍ عَظِيمٍ فَفَرَّقَتْهُ عَلَى الْفُقَراءِ ، فَقالَتْ لَها جارِيَتُها لَوْ خَبَأْتِ دِرْهَماً نَشْتَرِي بِهِ لَحْماً نُفْطِرُ عَلَيْهِ ، فَقالَتْ : لَوْ ذَكَّرْتِنِي لَفَعَلْتُ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كانَ أَبُو طَلْحَةَ الأَنْصارِيُّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَكْثَرَ الأَنْصارِ بِالْمَدِينَةِ مالاً مِنْ نَخْلٍ ، وَكانَ أَحَبَّ أَمْوالِهِ إِلَيْهِ (بَيْرُحاءُ) وَكانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ وَكانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُها وَيَشْرَبُ مِنْ ماءٍ فِيها طَيِّبٍ ، قالَ أَنَسٌ : فَلَمّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ : « لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ » جاءَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقالَ يا رَسُولَ اللهِ : إِنَّ أَحَبَّ أَمْوالِي إِلَيَّ (بَيْرُحاءُ) وَإِنَّها صَدَقَةٌ لِلّٰهِ تَعالَى أَرْجُو بِرَّها وَذُخْرَها عِنْدَ اللهِ تَعالَى ، فَضَعْها يا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَراكَ اللهُ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَخٍ ذٰلِكَ مالٌ رابِحٌ ، ذٰلِكَ مالٌ رابِحٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ ما قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَها فِي الأَقْرَبِينَ ، فَقالَ أَبُو طَلْحَةَ ، أَفْعَلُ يا رَسُولَ اللهِ ، فَقَسَمَها أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَجاءَ عَبْدُ الرَّحمنِ بْنِ عَوفٍ بِأَرْبَعَةِ آلافِ دِرْهَمٍ صَدَقَةً إلىٰ رَسُوْلِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقالَ يا رَسُوْلَ اللهِ : كانَ عِنْدي ثَمانِيَةُ آلافٍ فَأَمْسَكْتُ مِنْها لِنَفْسي وَعِيالي أَرْبَعَةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، وَأَرْبَعَةَ آلافٍ أَقْرَضْتُها رَبّي ، فَقالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بارَكَ اللهُ لَكَ فيما أَمْسَكْتَ وَفيما أَعْطَيْتَ » .

وَجاءَ عُثْمانُ بْنُ عَفّانَ فَجَهَّزَ جَيْشَ المُسْلِمينَ في غَزْوَةِ تَبُوْكٍ بِأَلْفِ بَعيرٍ بِأَقْتابِها وَأَحْلاسِها ، وَقالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ سَمُرَةَ : جاءَ عُثْمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِأَلْفِ دينارٍ في جَيْشِ العُسْرَةِ فَصَبَّها في حِجْرِ النَّبيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ النَّبيَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْخِلُ فيها يَدَهُ وَيُقَلِّبُها وَيَقُوْلُ : « ما ضَرَّ عُثْمانَ ما عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ » قالَ الكَلْبِيُّ : نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ ، « الَّذينَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوالَهُمْ في سَبيلِ اللهِ » في عُثْمانَ بْنِ عَفّانَ ، وَعَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ تَعالىٰ عَنْهُما .

أَيُّها الإِخْوانُ ـ إِذا كانَ هٰذا كَرَمُ الصَّحابَةِ رِضْوانُ اللهِ تَعالىٰ عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ ، وَما بَيَّنّاهُ قَليلٌ مِنْ كَثيرٍ ، فَكَيْفَ يَكُوْنُ كَرَمُ الرَّسُوْلِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ جَبَلَهُ اللهُ عَلىٰ أَكْمَلِ الأَخْلاقِ وَأَشْرَفِها ، كَما قالَ : « بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاقِ » فَهُوَ أَجْوَدُ النّاسِ عَلَى الإِطْلاقِ ، كَما أَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ وَأَشْجَعُهُمْ وَأَكْمَلُهُمْ في جَميعِ الأَوْصافِ الحَميدَةِ ، فَفي الصَّحيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : « كانَ رَسُوْلُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَحْسَنَ النّاسِ ، وَأَشْجَعَ النّاسِ ، وَأَجْوَدَ النّاسِ » وَكانَ مِنْ جُوْدِهِ ما في صَحيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قالَ : « ما سُئِلَ رَسُوْلُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلامِ شَيْئاً إِلّا أَعْطاهُ ، وَلَقَدْ جاءَ رَجُلٌ فَأَعْطاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلىٰ قَوْمِهِ فَقالَ : يا قَوْمِ أَسْلِمُوْا ، فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطي عَطاءَ

مَنْ لاَ يَخْشَى الفَقْرَ ـ قَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا فَمَا يُمْسِي حَتَّىٰ يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا » وَفِيهِ أَيْضاً عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ : « لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَانِي ، وَإِنَّهُ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّىٰ إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ » قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : أَعْطَانِي يَوْمَ حُنَيْنٍ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ، ثُمَّ مِائَةً ، ثُمَّ مِائَةً ، وَفِي مَغَازِي الوَاقِدِيِّ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَىٰ صَفْوَانَ يَوْمَئِذٍ وَادِياً مَمْلُوءاً إِبِلاً وَنَعَماً ، فَقَالَ صَفْوَانُ : أَشْهَدُ مَا طَابَتْ بِهٰذَا إِلاَّ نَفْسُ نَبِيٍّ » ـ وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ ، فَعَلِقَ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّىٰ اضْطَرُّوهُ إِلَىٰ سَمُرَةٍ فَخَطَفَتْ رِدَاهُ ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَعْطُونِي رِدَائِي ، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هٰذِهِ الْعُضَاهِ (شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ) نَعَماً لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذَّاباً وَلاَ جَبَاناً » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

أَيُّهَا الإِخْوَانُ ـ هٰكَذَا كَانَ كَرَمُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) وَالصَّحَابَةِ بَعْدَهُ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَنْظُرُ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَيَجُودُ عَلَيْهِ بِمَا عِنْدَهُ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَأَسَّىٰ بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَجْعَلَ الكَرَمَ سَجِيَّتَهُ ، فَيَتَصَدَّقَ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لِيُوَاسِيَ الفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ وَأَهْلَ الحَاجَةِ فَإِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرِيمَ مِنْ عِبَادِهِ ، جَوَادٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْجُودِ ، نَسْأَلُ اللهَ التَّوْفِيقَ إِلَىٰ مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالسَّدَادُ ،،

الموعظة الثالثة عشرة

في الأخلاق والحلم والتواضع

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ الْحِلْمَ شِعَارَ الصَّالِحِينَ ، وَجَعَلَ الْغَضَبَ سِمَةَ الْحُمْقَى وَنَعْتَ الْمُفْسِدِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ .

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِي الْكِرَامَ ـ إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ إِنْسَاناً كَامِلاً حَتَّىٰ يَتَخَلَّقَ بِالْأَخْلَاقِ الْكَامِلَةِ ، وَيَتَحَلَّىٰ بِالْفَضِيلَةِ ، وَيَجْتَنِبَ الْأَخْلَاقَ السَّيِّئَةَ ، وَيَتَخَلَّىٰ عَنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَيُبَلِّغُ الْعَبْدَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَقَدْ حَضَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التَّخَلُّقِ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ وَبَيَّنَ مَنْزِلَةَ الْمُتَخَلِّقِينَ بِهِ فَقَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَنْزِلاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً » رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ ، وَقَدْ سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ ، فَقَالَ لَهُ : « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ : « تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ » وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ ، فَقَالَ : « الْفَمُ وَالْفَرْجُ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ

الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَوْصِنِي ، قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » ـ فَرَدَّدَ مِرَاراً ـ قَالَ : لَا تَغْضَبْ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

فَالْغَضَبُ مِفْتَاحُ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ ، وَبَرِيدُ التَّفَرُّقِ وَالْإِنْقِسَامِ بِهِ يُسْتَدَلُّ عَلَى ضَعْفِ الْعَقْلِ ، وَخَطَلِ الرَّأْيِ ، وَسُوءِ التَّدْبِيرِ ، وَوَهَنِ الدِّينِ ، فَهُوَ سِمَةُ الْحَمْقَى وَنَعْتُ الْأَرَاذِلِ ، وَكَمْ يَجُرُّ الْغَضَبُ مِنَ الْمَآسِي وَالْفَوَاجِعِ ، عَلَى الْأُسَرِ وَالْعَائِلَاتِ ، بَلْ كَمْ مَزَّقَ مِنَ الرَّوَابِطِ الْوَثِيقَةِ ، وَالْعَلَاقَاتِ الْعَرِيقَةِ ، فَبِسَبَبِهِ يُفَارِقُ الْأَخُ أَخَاهُ ، وَالْوَلَدُ أَبَاهُ ، وَتُحْرَمُ الزَّوْجَةُ مِنْ أَوْلَادِهَا ، وَحَنَانِ بَعْلِهَا ، وَلَيْسَتْ قُوَّةُ الرِّجَالِ فِي الْبَطْشِ وَالْقَهْرِ ، إِنَّمَا الْقُوَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ فِي مَلْكِ زِمَامِ النَّفْسِ عِنْدَ هَيَجَانِ الْغَضَبِ ، فَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

فَالْقَوِيُّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْتَعْمِلُ عَقْلَهُ ، وَيَحْزِمُ رَأْيَهُ وَيَضْبِطُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، فَلَا يَجْعَلُ سَبِيلاً عَلَيْهِ لِلشَّيْطَانِ ، شَتَمَ رَجُلٌ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ سَاكِتٌ ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْجُودٌ عِنْدَهُمَا ، فَلَمَّا ابْتَدَأَ أَبُو بَكْرٍ بِرَدِّ الْجَوَابِ عَلَى الرَّجُلِ ، قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللهِ ، إِنَّكَ كُنْتَ سَاكِتاً لَمَّا شَتَمَنِي ، فَلَمَّا تَكَلَّمْتُ قُمْتَ ، قَالَ : لِأَنَّ الْمَلَكَ كَانَ يُجِيبُ عَنْكَ فَلَمَّا تَكَلَّمْتَ ذَهَبَ الْمَلَكُ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ شَيْطَانٌ ،

وَشَتَمَ رَجُلٌ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ ، فَقَالَ : إِنْ خَفَّتْ مَوَازِينِي فَأَنَا شَرٌّ

مِمّا تَقُوْلُ ، وَإِنْ ثَقُلَتْ مَوازِيني لَمْ يَضُرَّني مٰا تَقُوْلُ » . وَشَتَمَ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ ، فَقٰالَ لَهُ : إِنْ كُنْتَ صٰادِقاً فَغَفَرَ اللّٰهُ لِي ، وَإِنْ كُنْتَ كٰاذِباً فَغَفَرَ اللّٰهُ لَكَ » . وَمَرَّ عِيسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلىٰ قَوْمٍ مِنْ بَني إِسْرائيلَ ، فَقٰالُوْا لَهُ شَرّاً ، فَقٰالَ لَهُمْ خَيْراً ، فَقِيلَ لَهُ ، إِنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ لَكَ شَرّاً ، وَأَنْتَ تَقُوْلُ لَهُمْ خَيْراً ، فَقٰالَ : كُلٌّ يُنْفِقُ مِمّا عِنْدَهُ .

وَرَوَى الْبُخٰارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قٰالَ : « كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرانِيٌّ غَلِيظُ الْحٰاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبْذَةً شَدِيدَةً بِرِدائِهِ ، فَنَظَرْتُ إِلىٰ صَفْحَةِ عٰاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهٰا حٰاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ، ثُمَّ قٰالَ : يٰا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مٰالِ اللّٰهِ الَّذي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطٰاءٍ » وَرَوىٰ مُسْلِمٌ عَنْ عٰائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهٰا قٰالَتْ : « مٰا ضَرَبَ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ ، وَلاٰ امْرَأَةً وَلاٰ خٰادِماً ، إِلاّٰ أَنْ يُجٰاهِدَ في سَبِيلِ اللّٰهِ ، وَمٰا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمُ مِنْ صٰاحِبِهِ ، إِلاّٰ أَنْ يُنْتَهَكَ مِنْ مَحٰارِمِ اللّٰهِ تَعٰالىٰ فَيَنْتَقِمُ لِلّٰهِ تَعٰالىٰ » .

وَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرابِيٌّ ، فَأَصٰابَتْهُ مِنْ هَيْبَتِهِ رَعْدَةٌ فَقٰالَ لَهُ النَّبِيُّ : هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كٰانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ (اللَّحْمَ الْمُشَرَّرَ الْمُقَدَّدَ أَوْ مٰا قُطِعَ مِنْهُ طُوْلاً .)

وَإِذا كُنّا نَرىٰ أَيُّهَا الإِخْوانُ مَنْ يَبْتَعِدُ عَنِ التَّسْلِيمِ عَلَى الْفُقَراءِ وَالْمَسٰاكِينِ أَوْ يَتَجَنَّبُ مُصٰافَحَتَهُمْ ، أَوْ يَتَحٰاشىٰ لِقٰاءَهُمْ ، فَإِنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كٰانَ إِذا سَلَّمَ عَلىٰ أَحَدٍ ، مَهْمٰا يَكُنْ فَقيراً وَصَفَحَهُ لاٰ يَسْحَبُ يَدَهُ مِنْهُ

حَتّىٰ يَسْحَبَ الْفَقيرُ يَدَهُ ، وَكانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ يُجالِسُ الْفُقَراءَ وَيُلَبّي دَعْوَةَ مَنْ يَدْعوهُ ، وَإِذا اسْتَضافَهُ عَبْدٌ ، قَبِلَ ضِيافَتَهُ ، وَكانَ يَأْكُلُ مَعَ النّاسِ وَلَوْ كانُوا عَبيداً ، وَكَثيراً ما قالَ لِأَصْحابِهِ ، (مَنْ دُعِيَ فَلْيُجِبْ) وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يُمَيِّزُ نَفْسَهُ بِمَكانٍ ظاهِرٍ يَجْلِسُ فيهِ ، أَوْ مَقْعَدٍ عالٍ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، بَلْ كانَ يَجْلِسُ في مَكانٍ عادِيٍّ ، دُونَ أَنْ يَتَّخِذَ مَكاناً بارِزاً ، أَوْ مَوْضِعاً مُمْتازاً ، حَتّى لَقَدْ كانَ يَحْدُثُ لِبَعْضِ الْقادِمينَ عَلَيْهِ ، مِمَّنْ لا يَعْرِفونَهُ ، أَنْ يَسْأَلوا عَنْهُ ، وَهُوَ بَيْنَ أَصْحابِهِ ، وَكانَ إِذا مَشى ، مَشى النّاسُ مِنْ حَوْلِهِ ، وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَمِنْ أَمامِهِ ، لا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَبَداً ، وَما تَعاظَمَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلى أَحَدٍ مَعَ عُلُوِّ مَقامِهِ السّامي ، وَقَدْرِهِ الْعَظيمِ ، فَكانَ يَعودُ الْمَرْضى وَيُشَيِّعُ الْجَنائِزَ ، وَيُواسي الْمُصابينَ في مُصابِهِمْ ، وَالنَّبِيُّ الْعَظيمُ يَبْلُغُ بِهِ التَّواضُعُ إِلى أَنْ يُداعِبَ أَبْناءَ أَصْدِقائِهِ ، وَيَحْمِلَ أَوْلادَهُمُ الصِّغارَ ، وَأَكْثَرُ مِنْ هٰذا أَنَّهُ قَدْ يَشْتَري حاجاتِ أَصْدِقائِهِ وَجيرانِهِ ، وَلا يَجِدُ في كُلِّ ذٰلِكَ إِلّا ما يَزيدُهُ حُبّاً وَتَقْديراً وَتَعْظيماً .

وَإِذا عَرَفْنا صُوَراً مِنْ تَواضُعِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْخَدَمِ وَالْأَصْحابِ ، فَإِنَّ حَظَّ زَوْجاتِهِ مِنْ تَواضُعِهِ لَكَثيرٌ ـ فَقَدْ كانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُساعِدُ زَوْجاتِهِ ، في أَعْمالِ الْمَنْزِلِ : فَكانَ يَحْلُبُ الشّاةَ ، وَيَرْقَعُ مَلابِسَهُ بِنَفْسِهِ ، وَيُصْلِحُ نَعْلَهُ ، وَيَقومُ بِتَنْظيفِ دارِهِ ، وَيَعْني بِناقَتِهِ ، ـ وَلَمْ يَقْتَصِرْ تَواضُعُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى الْقَوْلِ الْمُهَذَّبِ وَالْعَمَلِ الْيَسيرِ ، بَلْ إِنَّهُ جاوَزَهُ إِلى ما فيهِ بَذْلُ الْجُهْدِ الْعَنيفِ وَمُتابَعَةُ الْعَمَلِ الْمُرْهِقِ الشّاقِّ ، فَقَدْ عَمِلَ رَسولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بِناءِ الْمَسْجِدِ بِيَدِهِ ، كَما عَمِلَ سائِرُ الْمُسْلِمينَ ، وَحَفَرَ مَعَهُمُ الْخَنْدَقَ

لِحِمَايَةِ ٱلْمَدِينَةِ ، وَحَمَلَ التُّرَابَ عَلَىٰ عَاتِقِهِ ، وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ ذَٰلِكَ مَرْكَزُهُ السَّامِيُّ ، وَمَقَامُهُ ٱلرَّفِيعُ ، وَقَدْ حَدَثَ أَنْ خَرَجَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ يَوْماً ، وَحَانَ مَوْعِدُ تَجْهِيزِ ٱلطَّعَامِ ، فَقَامَ أَصْحَابُهُ وَقَسَّمُوا ٱلْعَمَلَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ ، أَنَا عَلَيَّ إِحْضَارُ ٱلشَّاةِ ، وَقَالَ ٱلآخَرُ : وَأَنَا عَلَيَّ ذَبْحُهَا ، وَقَالَ ٱلثَّالِثُ : وَأَنَا عَلَيَّ طَبْخُهَا ، فَمَا كَانَ مِنَ ٱلنَّبِيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِلَّا أَنْ قَالَ : وَأَنَا عَلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ ٱلْحَطَبَ لَكُمْ ، فَقَالُوا يَارَسُولَ ٱللهِ نَكْفِيكَ ٱلْعَمَلَ ، فَقَالَ : عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَكْفُونَنِي ، وَلٰكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَتَمَيَّزَ عَلَيْكُمْ . وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُتَمَيِّزاً بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَهٰذِهِ أَمْثِلَةٌ مِنْ تَوَاضُعِهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَلَقَدْ تَأَثَّرَ بِهِ أَصْحَابُهُ وَقَلَّدُوهُ فِي تَوَاضُعِهِ ، وَعَمِلُوا عَلَىٰ أَنْ يَتَحَلَّوْا بِخُلُقِهِ لِأَنَّهُ يَجْلِبُ ٱلْمَحَبَّةَ ، وَيُؤَلِّفُ ٱلْقُلُوبَ ، وَيُسَبِّبُ ٱلإِحْتِرَامَ ،

فَكَانَ أَبُوبَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، يَحْلُبُ لِأَهْلِ ٱلْحَيِّ مَنَايِحَهُمْ ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ ، قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ ٱلْحَيِّ ، ٱلآنَ لَا يَحْلُبُ لَنَا ، فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ : بَلَىٰ لَأَحْلُبُهَا لَكُمْ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يُغَيِّرَنِي مَا دَخَلْتُ فِيهِ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ عَلَيْهِ ، فَكَانَ بَعْدَ ٱلْخِلَافَةِ يَحْلُبُ لَهُمْ أَيْضاً ،

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَتَعَهَّدُ امْرَأَةً عَمْيَاءَ بِٱلْمَدِينَةِ بِٱللَّيْلِ فَيَقُومُ بِأَمْرِهَا ، وَقِصَّتُهُ مَعَ ٱلصِّبْيَةِ ٱلْجِيَاعِ تَدُلُّ عَلَىٰ تَوَاضُعِهِ ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ لَا يَسَعُ ٱلْمَقَامُ بَيَانَهَا ، وَلَقَدْ حَدَثَ مَرَّةً أَنْ خَرَجَ عُمَرُ يَسْتَخْبِرُ عَنْ أَهْلِ ٱلْقَادِسِيَّةِ ، فَلَمَّا لَقِيَهُ ٱلْبَشِيرُ سَارَ عُمَرُ عَلَىٰ قَدَمَيْهِ ، وَٱلْبَشِيرُ رَاكِباً عَلَىٰ جَمَلِهِ ، فَمَازَالَ سَائِراً يَسْأَلُهُ ، وَٱلْبَشِيرُ رَاكِباً يُخْبِرُهُ وَلَا يَعْرِفُهُ ، حَتَّىٰ دَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ ، فَإِذَا ٱلنَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ ، قَائِلِينَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، فَجَاءَ ٱلْبَشِيرُ مُعْتَذِراً فَقَالَ لَهُ هَلَّا أَخْبَرْتَنِي يَرْحَمُكَ ٱللهُ أَنَّكَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ

وَجعَلَ عُمَرُ يَقُولُ لَهُ : لا عَلَيْكَ يا أَخي وَهٰذا لَيْسَ بِكَثيرٍ عَلىٰ عُمَرَ وَأَبي بَكْرٍ وَغَيْرِهِما مِنَ الصَّحابَةِ ، فَإِنَّ لَهُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وَقُدْوَةٌ طَيِّبَةٌ ، وَهُمُ الَّذينَ يَعْرِفُونَ جَيِّداً قَوْلَ اللهِ الكَريمِ « وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنينَ » فَاقْتَدُوا بِنَبِيِّكُمْ وَبِالصَّحابَةِ الأَمْجادِ في الحِلْمِ وَالتَّواضُعِ وَالرَّأْفَةِ وَحُسْنِ الخُلُقِ تَكُونُوا مِنَ المُفْلِحينَ ، وَتَجَمَّلُوا بِحُلَلِ الصَّبْرِ وَاحْتِمالِ الأَذىٰ وَالعَفْوِ وَالسَّماحَةِ عَنِ المُسيئينَ . وَابْتَعِدُوا عَنِ الكِبْرِياءِ وَالإِعْجابِ فَإِنَّها مِنْ أَعْمالِ الجاحِدينَ ، وَقَدْ نَهَى اللهُ عَنْ ذٰلِكَ فَقالَ : « وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ » .

الموعظة الرابعة عشرة

النظافة من الإيمان

الحَمْدُ لِلهِ الرَحِيمِ الرَحْمٰنِ ، ذي الجُوْدِ وَالإِحْسانِ . وَالفَضْلِ وَالغفرانِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ أَمَرَ بِنَظافَةِ البَدَنِ وَالثَوْبِ وَالمَكانِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ بَيَّنَ أَنَّ صِحَّةَ الأَبْدانِ أَساسُ صِحَّةِ الأَدْيانِ . أَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسانٍ .

أَمّا بَعْدُ فَيا إِخْوانِيَ الكِرامَ - إِعْلَمُوْا رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ النَظافَةَ رُكْنُ الصِحَّةِ وَالسَلامَةِ وَالعافِيَةِ . وَالرَسُوْلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنا أَنَّ الإِسْلامَ بُنِيَ عَلىٰ النَظافَةِ . كَما قالَ : « النَظافَةُ مِنَ الإِيمانِ » كَما أَرْشَدَ عَلَيْهِ الصَلاةُ وَالسَلامُ مُتَّبِعِيهِ إِلىٰ العِنايَةِ بِتَنْظِيفِ أَجْسامِهِمْ وَأَثْوابِهِمْ وَمَساكِنِهِمْ . حَتّىٰ يَكُوْنُوا جَمِيلِي المَنْظَرِ وَمُحَبَّبِينَ بَيْنَ النّاسِ ،

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ . « أَحْسِنُوْا لِباسَكُمْ . وَأَصْلِحُوْا رِحالَكُمْ ، حَتّىٰ تَكُوْنُوْا شامَةً فِي النّاسِ » رَواهُ الحاكِمُ . يُرِيدُ بِذٰلِكَ عَلَيْهِ الصَلاةُ وَالسَلامُ أَنْ تَكُوْنَ نَظافَتُهُمْ مَلْفَتَ الأَنْظارِ . وَمَبْعَثَ السُرُوْرِ ، وَمَرْكَزَ الجَمالِ . كَالشامَةِ الَّتِي تَقَعُ مَوْقِعَها الحَسَنَ مِنَ الوَجْهِ الجَمِيلِ

وَلِما لِلنَظافَةِ مِنْ أَثَرٍ صِحِّيٍّ فِي الجِسْمِ . أَوْجَبَ الدِيْنُ الإِسْلامِيُّ الإِسْتِنْجاءَ مِنَ البَوْلِ وَالغائِطِ . وَأَوْجَبَ الخِتانَ . وَهُوَ قَطْعُ الجِلْدَةِ الَّتِي تُغَطِّي الحَشَفَةَ ، لِئَلّا يَجْتَمِعَ فِيها الوَسَخُ . وَلِيُتَمَكَّنَ مِنَ الإِسْتِبْراءِ مِنَ البَوْلِ - وَحَبَّبَ لِمُتَّبِعِيهِ الإِسْتِحْدادَ (وَهُوَ حَلْقُ العانَةِ) وَنَتْفُ الإِبْطِ - وَتَقْلِيمُ الأَظْفارِ وَقَصُّ الشارِبِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ :

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ : « خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ ، الإِسْتِحْدادُ وَالْخِتَانُ - وَقَصُّ الشّارِبِ - وَنَتْفُ الإِبْطِ - وَتَقْلِيمُ الأَظْفارِ » رَواهُ الْبُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُما - وَيُسْتَحَبُّ الإِسْتِحْدادُ - وَنَتْفُ الإِبْطِ - وَتَقْلِيمُ الأَظافِرِ - وَقَصُّ الشّارِبِ - كُلَّ أُسْبُوْعٍ - إِسْتِكْمالاً لِلنَّظافَةِ - وَاسْتِرْواحاً لِلنَّفْسِ - فَإِنَّ بَقاءَ بَعْضِ الشُّعُوْرِ فِي الْجِسْمِ - يُوْلِدُ فِيهِ ضِيقاً وَكَآبَةً وَقَدْ رُخِصَ تَرْكُ هٰذِهِ الأَشْياءِ إِلىٰ أَرْبَعِينَ يَوْماً - وَلا عُذْرَ لِتَرْكِهِ بَعْدَ ذٰلِكَ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : « أَقَّتَ لَنا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَصِّ الشّارِبِ - وَتَقْلِيمِ الأَظافِرِ - وَنَتْفِ الإِبْطِ - وَحَلْقِ الْعانَةِ ، أَنْ لا يُتْرَكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » رَواهُ الإِمامُ أَحْمَدُ وَأَبُو داودَ وَغَيْرُهُما .

وَمِنَ النَّظافَةِ ، تَرْجِيلُ شَعْرِ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « مَنْ كانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ » رَواهُ الدارَقُطْنِيُّ،وَإِكْرامُ الشَّعْرِ غَسْلُهُ وَتَسْرِيحُهُ ، حَتّىٰ لا يَتَشَعَّثَ ، كَما أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَسْلِ الْيَدَيْنِ قَبْلَ تَناوُلِ الطَّعامِ وَبَعْدَهُ ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُكْثِرَ اللهُ خَيْرَ بَيْتِهِ ، فَلْيَتَوَضَّأْ إِذا حَضَرَ غِذاؤُهُ ، وَإِذا رُفِعَ » رَواهُ ابْنُ ماجَهْ وَالْبَيْهَقِيُّ ، الْمَعْنَى الَّذِي يُرِيدُ زِيادَةَ النِّعَمِ يُحافِظُ عَلَى الْوُضُوْءِ فِي أَوَّلِ الأَكْلِ وَبَعْدَهُ، وَالْمُرادُ بِالْوُضُوْءِ هُنا النَّظافَةُ وَغَسْلُ الْيَدَيْنِ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ ، فَأَصابَهُ شَيْءٌ فَلا يَلُوْمَنَّ إِلّا نَفْسَهُ » رَواهُ أَبُوْ داودَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ ، وَابْنُ ماجَهْ وَابْنُ حِبّانَ فِي صَحِيحِهِ ، يَعْنِي الَّذِي يَأْكُلُ وَلَمْ يَغْسِلْ يَدَهُ وَفَمَهُ ، فَأَصابَهُ ضَرَرٌ ، فَهُوَ الْجانِي عَلىٰ نَفْسِهِ ، وَعَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ حَسَّاسٌ لَحَّاسٌ فَاحْذَرُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ رِيحُ غَمَرٍ ، فَأَصَابَهُ شَيْءٌ ، فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ ، وَالْمَعْنَى ، أَنَّ الشَّيْطَانَ كَثِيرُ الْحِسِّ وَاللَّحْسِ وَاللَّمْسِ فَخَافُوا مِنْهُ أَيُّهَا الْآكِلُونَ ، وَنَظِّفُوا أَيْدِيَكُمْ ، وَاجْتَنِبُوا الْقَذَارَةَ .

كَذَلِكَ أَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَعَهُّدِ أَطْرَافِنَا ، وَأَمَرَنَا بِاسْتِعْمَالِ السِّوَاكِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ وَالتَّطَيُّبِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » رَوَاهُ ابْنُ مَنْصُورٍ ، وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ » رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْمٍ دَخَلُوا عَلَيْهِ قَدِ اصْفَرَّتْ أَسْنَانُهُمْ : « إِسْتَاكُوا مَالَكُمْ تَدْخُلُونَ عَلَيَّ قُلْحاً » رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ ،

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَى الطَّهَارَةِ ، وَاحْتَرِزْ مِنَ النَّجَاسَاتِ الظَّاهِرَةِ ، لِئَلَّا تُصِيبَكَ فِي الثِّيَابِ أَوِ الْبَدَنِ ، وَمِنْهَا الدَّمُ وَالْقَيْحُ وَالْقَيْءُ وَالْبَوْلُ وَالْغَائِطُ وَالْمَذْيُ وَالْوَدْيُ ، وَالْخَمْرُ وَنَحْوُهَا مِنَ الْقَذَرَاتِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنْهَا ، وَيَجِبُ عَلَيْكَ غَسْلُ مَا أَصَابَكَ مِنْهَا ، بِالْمَاءِ الطَّهُورِ الَّذِي لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَلَا لَوْنُهُ وَلَا رِيحُهُ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ » وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ »

وَحَافِظْ عَلَى نَظَافَةِ جِسْمِكَ مِنَ الْأَقْذَارِ وَالْأَوْسَاخِ ، فَإِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ

النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الوَسِخَ الشَّعِثَ » رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ . ــ وَالإِنْسَانُ إِذَا كَانَ نَظِيفَ البَدَنِ وَالثِّيَابِ ، يَكُونُ أَهْــلاً لِحُضُورِ كُلِّ مُجْتَمَعٍ . وَجَدِيرٌ بِلِقَاءِ كُلِّ إِنْسَانٍ . وَيَرَى نَفْسَهُ حَرِيّاً بِكُلِّ كَرَامَةٍ . ــ أَمَّا الوَسِخُ القَذِرُ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُحْتَقَراً فِي نَفْسِهِ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِ ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَّدَ غُسْــــلَ الجُمُعَةِ ، وَأَمَرَ بِلُبْسِ جَمِيلِ الثِّيَابِ لَهَا ، لِأَنَّهُ يَوْمُ عِيدٍ جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ وَقَالَ : « فَمَنْ جَاءَ الجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ » وَأَمَرَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طِيبٌ أَنْ يَمَسَّ مِنْهُ . كَمَا قَالَ : « غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ ، وَسِوَاكٌ . وَيَمَسُّ مِنَ الطِّيبِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ ،

وَالدِّينُ الإِسْلَامِيُّ حَذَّرَنَا مِنْ جَمِيعِ الأَقْذَارِ ، وَحَتَّى مِنْ رَذَاذِ البَوْلِ عِنْدَ مَا يَجْلِسُ الإِنْسَانُ لِحَاجَتِهِ ، فَقَدْ ذَكَرَ فِي الزَّوَاجِرِ ، أَنَّ مِنَ الكَبَائِرِ عَدَمَ التَّنَزُّهِ مِنَ البَوْلِ فِي البَدَنِ وَالثَّوْبِ . لِأَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ فِي ذَلِكَ ، مِنْهَا ــ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ : « إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ . وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ ، أَمَّا أَحَدُهُمَــا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ » وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً : « تَنَزَّهُوا مِنَ البَوْلِ فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ القَبْرِ مِنْهُ » وَذَكَرَ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً فِي ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَى الإِنْسَانِ فِي غَائِطِهِ أَنْ يُبَالِغَ فِي غَسْلِ مَحَلِّهِ ، وَأَنْ يَسْتَرْخِيَ قَلِيلاً ، حَتَّى يَغْسِلَ مَــا فِي تَضَاعِيفِ شَرَجِ حَلْقَةِ دُبُرِهِ ، فَإِنَّ كَثِيرِينَ مِمَّنْ لَا يَسْتَرْخُونَ وَلَا يُبَالِغُونَ فِي غَسْلِ ذَلِكَ المَحَلِّ ، يُصَلُّونَ بِالنَّجَاسَةِ ، فَيَحْصُلُ لَهُمْ ذَلِكَ الوَعِيدُ الشَّدِيدُ ، لِأَنَّهُ إِذَا تَرَتَّبَ عَلَى البَوْلِ ، فَلَأَنْ يَتَرَتَّبَ عَلَى الغَائِطِ مِنْ بَابِ أَوْلَى ــ اهـ

وَكَذٰلِكَ ذُكِرَ مِنَ الكَبَائِرِ تَرْكُ شَيْءٍ مِنْ غَسْلِ الأَيْدِي وَالأَرْجُلِ وَيُقَاسُ بِهِ بَقِيَّةُ واجِبَاتِ الوُضُوءِ ، فَيَنْبَغِي لِلْمُتَوَضِّئِ أَنْ لَا يُبْقِيَ وَسَخاً فِي أَظْفَارِهِ ، وَأَنْ يَدْلُكَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَأَنْ يُخَلِّلَ أَصَابِعَهُ وَلِحْيَتَهُ ، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ غَسْلَ المِرْفَقَيْنِ وَالكَعْبَيْنِ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :تَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ اليُمْنَى حَتَّى شَرَعَ فِي العَضُدِ ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ اليُسْرَى حَتَّى شَرَعَ فِي العَضُدِ ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ اليُمْنَى حَتَّى شَرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ اليُسْرَى حَتَّى شَرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ قَالَ : هٰكَذا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ ، وَقَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَنْتُمُ الغُرُّ المُحَجَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ إِسْبَاغِ الوُضُوءِ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ فَلْيَفْعَلْ» وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «إِذا تَوَضَّأْتَ فَخَلِّلْ أَصَابِعَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذا تَوَضَّأَ حَرَّكَ خَاتَمَهُ،رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ تَوَضَّأَ عَلَى طُهْرٍ كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ»رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ،

الموعظة الخامسة عشرة

الطهارة شرط لصحة الصلاة

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَرَضَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الصَّلَاةَ وَجَعَلَهَا عِمَادَ الدِّينِ ، وَأَمَرَ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا إِذْ قَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلّٰهِ قَانِتِينَ ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَيُّومُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَدْيِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِي الْكِرَامَ ـ يَقُولُ اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ، مَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » ذَكَرَ اللّٰهُ تَعَالَىٰ فِي هٰذِهِ الْآيَةِ ، الْوُضُوءَ ، وَالْغُسْلَ ، وَالتَّيَمُّمَ ، وَالْمَعْنَىٰ ـ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ غَيْرِ طَهَارَةٍ فَتَوَضَّؤُوا ، بِهٰذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، أَصْبَحَ الْوُضُوءُ فَرْضاً لَازِماً ، وَلَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ بِدُونِهِ . وَلَا يَجُوزُ إِقَامَتُهَا ، إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ، وَبِغَيْرِهِ فَهِيَ بَاطِلَةٌ ، وَمُقِيمُهَا بِغَيْرِ وُضُوءٍ آثِمٌ ،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : « لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلاةَ أَحدِكُمْ إِذا أَحْدَثَ حَتَّىٰ يَتَوَضَّأَ » رَواهُ الْبُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو داوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ،

فَالْوُضُوءُ هُوَ الطَّهارَةُ مِنَ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ ، وَفُرُوضُهُ سِتَّةٌ (١) النِّيَّةُ عِنْدَ غَسْلِ الْوَجْهِ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا الْأَعْمالُ بِالنِّيّاتِ ، وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوىٰ » رَواهُ الشَّيْخانِ ، وَيَجِبُ أَنْ تَنْوِيَ بِقَلْبِكَ لِأَنَّ النِّيَّةَ هِيَ الْقَصْدُ ، وَصِفَةُ النِّيَّةِ ، أَنْ تَنْوِيَ رَفْعَ الْحَدَثِ ، أَوِ الطَّهارَةَ لِلصَّلاةِ . إِلَّا الْمُسْتَحاضَةَ وَمَنْ بِهِ سَلَسُ الْبَوْلِ وَمُتَيَمِّماً فَيَنْوُوا اسْتِباحَةَ فَرْضِ الصَّلاةِ ، (٢) وَغَسْلُ الْوَجْهِ ، أَيْ إِسالَةُ الْماءِ عَلَيْهِ ، وَيَجِبُ اسْتِيعابُهُ بِالْغَسْلِ ، وَحَدُّ الْوَجْهِ هُوَ مابَيْنَ مَنابِتِ شَعْرِ الرَّأْسِ فِي الْعادَةِ إِلَى الذَّقَنِ طُولاً ، وَمِنَ الْأُذُنِ إِلَى الْأُذُنِ عَرْضاً ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ إِفاضَةُ الْماءِ عَلَىٰ ظاهِرِ النّازِلِ مِنَ اللِّحْيَةِ عَنِ الذَّقَنِ ، كَما يَجِبُ غَسْلُ جُزْءٍ مِنَ الرَّأْسِ وَسائِرِ ما يُحِيطُ بِالْوَجْهِ لِيَتَحَقَّقَ كَمالُهُ ، (٣) وَغَسْلُ الْيَدَيْنِ مَعَ الْمِرْفَقَيْنِ (٤) وَمَسْحُ جَمِيعِ الرَّأْسِ (٥) وَغَسْلُ الرِّجْلَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ (٦) وَالتَّرْتِيبُ عَلىٰ ما ذَكَرْناهُ، هٰذِهِ فُرُوضُ الْوُضُوءِ ، وَأَمّا سُنَنُهُ فَهِيَ كَثِيرَةٌ ،

مِنْها ـ التَّسْمِيَةُ فِي أَوَّلِهِ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ أَمْرٍ ذِي بالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ فَهُوَ أَجْذَمُ » أَيْ أَقْطَعُ ، وَلِما رَوَى الْبَيْهَقِيُّ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ فِي إِناءٍ وَقالَ لِأَصْحابِهِ تَوَضَّئُوا بِسْمِ اللهِ » قالَ النَّوَوِيُّ إِسْنادُهُ جَيِّدٌ ، وَهِيَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ ، وَقَدْ قالَ الإِمامُ أَحْمَدُ بِوُجُوبِها ،
وَمِنْها ـ السِّواكُ ، إِسْتِعْمالُهُ فِي الْوُضُوءِ مُسْتَحَبٌّ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلىٰ أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّواكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ » رَواهُ

مالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَهُوَ مُسْتَحَبٌّ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ ، وَلكِنْ فِي خَمْسَةِ أَوْقَاتٍ أَشَدُّ اسْتِحْباباً . عِنْدَ الوُضُوءِ . وَعِنْدَ الصَّلاةِ ، وَعِنْدَ قِراءَةِ القُرْآنِ ، وَعِنْدَ الإِسْتِيقاظِ مِنَ النَّوْمِ ، وَعِنْدَ تَغَيُّرِ الفَمِ ، وَمِنْها ـ غَسْلُ الكَفَّيْنِ ثَلاثاً ـ قَبْلَ إِدْخالِهِما الإِناءَ وَلا سِيَّما إِذا قامَ مِنَ النَّوْمِ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي إِناءٍ حَتَّى يَغْسِلَها ثَلاثاً فَإِنَّهُ لا يَدْرِي أَيْنَ باتَتْ يَدُهُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَمِنْها ـ المَضْمَضَةُ وَالإِسْتِنْشاقُ ، لِفِعْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ قالَ الإِمامُ أَحْمَدُ بِوُجُوبِها ، وَمِنْها ـ مَسْحُ الأُذُنَيْنِ ظاهِرِهِما وَباطِنِهِما بِماءٍ جَدِيدٍ ، قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ « رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ فَأَخَذَ لِأُذُنَيْهِ ماءً خِلافَ الماءِ الَّذِي أَخَذَهُ لِرَأْسِهِ » رَواهُ الحاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ وَقالا إِسْنادُهُ صَحِيحٌ ، وَمِنْها ـ تَخْلِيلُ اللِّحْيَةِ الكَثَّةِ ، لِحَدِيثِ عُثْمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يُخَلِّلُ لِحْيَتَهُ » رَواهُ ابْنُ ماجَهْ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ، وَمِنْها ـ تَخْلِيلُ الأَصابِعِ ، لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « إِذا تَوَضَّأْتَ فَخَلِّلْ أَصابِعَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ » رَواهُ الإِمامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ ، وَمِنْها ـ تَقْدِيمُ اليُمْنَى عَلَى اليُسْرَى ، مِنْ يَدٍ وَرِجْلٍ ، لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « إِذا لَبِسْتُمْ وَإِذا تَوَضَّأْتُمْ ، فَابْدَأُوا بِأَيامِنِكُمْ » رَواهُ الإِمامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ ، وَمِنْها ـ الطَّهارَةُ ثَلاثاً ثَلاثاً ، وَهُوَ السُّنَّةُ الَّتِي جَرَتْ عَلَيْها العَمَلُ غالِباً ، وَما وَرَدَ مُخالِفاً لَها فَهُوَ لِبَيانِ الجَوازِ ، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قالَ : جاءَ أَعْرابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ عَنِ الوُضُوءِ ، فَأَراهُ ثَلاثاً ثَلاثاً وَقالَ : « هٰذا الوُضُوءُ ، فَمَنْ زادَ عَلَى هٰذا فَقَدْ أَساءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ » رَواهُ أَحْمَدُ

وَالنَسائِيُ وَابْنُ ماجَهْ ، وَصَحَّ أَنَّهُ : صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ ، وَمِنْهَا ـ الْمُوالاةُ : أَيْ تَتابُعُ غُسْلِ الأَعْضاءِ بَعْضِها إِثْرَ بَعْضٍ ، بِأَنْ لَا يَقْطَعَ الْمُتَوَضِّيُ وُضُوءَهُ بِعَمَلٍ أَجْنَبِيٍّ يُعَدُّ فِي الْعُرْفِ انْصِرافاً عَنْهُ ، عَلَىٰ هٰذا مَضَتِ السُّنَّةُ ، وَعَلَيْها عَمَلُ الْمُسْلِمينَ سَلَفاً وَخَلَفاً ، فَيَنْبَغِي لِلْمُتَوَضِّيءِ أَنْ لا يَتْرُكَ سُنَّةً مِنْ هٰذِهِ السُّنَنِ الْمَذْكُورَةِ ، حَتَّىٰ لا يُحْرَمَ ثَوابَها ، لِأَنَّ فِعْلَ الْمَكْرُوهِ يُوجِبُ حِرْمانَ الثَّوابِ ، وَتَتَحَقَّقُ الْكَراهَةُ بِتَرْكِ السُّنَّةِ، هٰذا ـ

وَيَحْرُمُ عَلَى الْمُحْدِثِ ثَلاثَةُ أَشْياءَ ـ الصَّلاةُ ، وَالطَّوافُ ، وَمَسُّ الْمُصْحَفِ وَحَمْلُهُ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ مِنَ الْكَبائِرِ صَلاةَ الإِنْسانِ مُحْدِثاً أَيْ مُنْتَقِضَ الْوُضُوءِ، وَنَواقِضُهُ أَشْياءُ ،

مِنْها ، ما خَرَجَ مِنَ السَّبِيلَيْنِ ، الْقُبُلِ وَالدُّبُرِ ، فَالْخارِجُ مِنْهُما ناقِضٌ لِلْوُضُوءِ ، لِقَوْلِهِ تَعالىٰ : « أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ » وَهُوَ كِنايَةٌ عَنْ قَضاءِ الْحاجَةِ مِنْ بَوْلٍ أَوْ غائِطٍ ، وَسُئِلَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ الْحَدَثِ ، فَقالَ « فُساءٌ أَوْ ضُراطٌ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَيُسْتَثْنىٰ مِمّا خَرَجَ مِنَ السَّبِيلَيْنِ الْمَنِيُّ فَإِنَّهُ لا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ ، عَلَى الْمَذْهَبِ فِي الرّافِعِيِّ وَالرَّوْضَةِ وَيُوجِبُ الْغُسْلَ ، وَاللهُ أَعْلَمُ ،

وَمِنْهَا ـ النَّوْمُ الْمُسْتَغْرِقُ ، مَعَ عَدَمِ تَمَكُّنِ الْمَقْعَدَةِ مِنَ الأَرْضِ ، وَلَيْسَ فِي مَعْناهُ النُّعاسُ فَإِنَّهُ لا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ بِكُلِّ حالٍ ، وَدَليلُ النَّقْضِ بِالنَّوْمِ ، قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْعَيْنانِ وِكاءُ السَّهِ ، فَإِذا نامَتِ الْعَيْنانِ انْطَلَقَ الْوِكاءُ ، فَمَنْ نامَ فَلْيَتَوَضَّأْ » رَواهُ أَبُو داودَ وَابْنُ ماجَهْ ،

وَمِنْها ـ زَوالُ الْعَقْلِ : سَواءٌ كانَ بِالْجُنُونِ أَوِ الإِغْماءِ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ ناقِضٌ لِلْوُضُوءِ بِكُلِّ حالٍ ،

وَمِنْهَا ـ لَمْسُ الْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ بِدُوْنِ حَائِلٍ : لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : « أَوْلَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوْا مَاءً فَتَيَمَّمُوْا » عَطَفَ اللَّمْسَ عَلَى الْمَجِيْءِ مِنَ الْغَائِطِ وَرَتَّبَ عَلَيْهِمَا الْأَمْرَ بِالتَّيَمُّمِ عِنْدَ فُقْدَانِ الْمَاءِ ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ حَدَثٌ كَالْمَجِيْءِ مِنَ الْغَائِطِ ، هٰذا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ ، وَقَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ يَنْقُضُ وُضُوْءُ اللَّامِسِ مِنْهُمَا إِذا كَانَ بِشَهْوَةٍ ، وَقَالَ أَبُوْ حَنِيفَةَ لَا يَنْقُضُ إِلَّا الْجِمَاعُ ،

وَمِنْهَا ـ مَسُّ الذَّكَرِ أَوِ الدُّبُرِ بِبَطْنِ الْكَفِّ بِدُوْنِ حَائِلٍ ، مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ ، مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ، مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ ، مِنْ حَيٍّ أَوْ مَيِّتٍ لِمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذا أَفْضَىٰ أَحَدُكُمْ بِيَدِهِ إِلَىٰ ذَكَرِهِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا سُتْرَةٌ فَلْيَتَوَضَّأْ » وفِي حَدِيثٍ آخَرَ : مَنْ مَسَّ فَرْجَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ » صَحَّحَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ الْبُخَارِيُّ هُوَ أَصَحُّ شَيْءٍ فِي هٰذَا الْبَابِ ، ـ وَمَا سِوَىٰ هٰذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا لَا يَنْقُضُ الْوُضُوْءَ \ كَدَمِ الْفَصْدِ وَالْحِجَامَةِ ، وَالرُّعَافِ وَالْقَيْءِ وَنَحْوِ ذٰلِكَ ، سَوَاءٌ كَانَ قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً ، قَالَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ : « لَا يَزَالُ الْمُسْلِمُوْنَ يُصَلُّوْنَ فِي جِرَاحَاتِهِمْ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَقَالَ : « وَعَصَرَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا بَثْرَةً وَخَرَجَ مِنْهَا الدَّمُ فَلَمْ يَتَوَضَّأْ » وَصَلَّىٰ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ : وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ أَيْ يَسِيلُ دَماً : وَقَدْ أُصِيبَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ بِسِهَامٍ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَاسْتَمَرَّ فِي صَلَاتِهِ ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَالْبُخَارِيُّ تَعْلِيقاً ،

وَأَمَّا الْقَيْءُ فَلَمْ يَرِدْ فِي نَقْضِهِ حَدِيثٌ يُحْتَجُّ بِهِ ، وَكَذٰلِكَ الْقَهْقَهَةُ فِي الصَّلَاةِ لَا تَنْقُضُ الْوُضُوْءَ لِعَدَمِ صِحَّةِ مَاوَرَدَ فِي ذٰلِكَ ، وَ كَذٰلِكَ أَكْلُ شَيْءٍ مِنَ اللُّحُوْمِ لَا يَنْقُضُ الْوُضُوْءَ ، وَقِيلَ يَنْقُضُهُ أَكْلُ لَحْمِ الْجَزُوْرِ ، وَاخْتَارَهُ النَّوَوِيُّ وَقَوَّاهُ ، وَقَالَ : إِنَّ فِيهِ حَدِيثَيْنِ صَحِيحَيْنِ لَيْسَ عَنْهُمَا

جَوابٌ شافٍ ، وَقدِ اخْتارَهُ جَماعةٌ مِنَ الْمُحَدِّثينَ ، وَلِأَنَّ هٰذا الْمَذْهَبَ أَقوىٰ دَليلاً ، وَإِنْ كانَ الْجُمْهورُ عَلىٰ خِلافِهِ ، وَكَذلِكَ تَغْسيلُ الْمَيِّتِ لا يَجِبُ مِنْهُ الْوُضوءُ لِضَعْفِ دَليلِ النَّقْضِ ، وَكَذلِكَ إِذا شَكَّ الْمُتَوَضِّئُ في الْحَدَثِ هَلْ أَحْدَثَ أَمْ لا ، لا يَضُرُّ الشَّكُّ وَلا يَنْقُضُ وُضوءَهُ ، سَواءٌ كانَ في الصَّلاةِ أَوْ خارِجَها ، فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « إِذا وَجَدَ أَحَدُكُمْ في بَطْنِهِ شَيْئاً فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ أَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لا ، فَلا يَخْرُجْ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتّىٰ يَسْمَعَ صَوْتاً أَوْ يَجِدَ ريحاً » رَواهُ مُسْلِمٌ وَأَبو داوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَلَيْسَ الْمُرادُ خُصوصَ سَماعِ الصَّوْتِ وَوِجْدانِ الرّيحِ ، بَلِ الْعُمْدَةُ الْيَقينُ ، بِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ ، أَمّا إِذا تَيَقَّنَ الْحَدَثَ وَشَكَّ فِي الطَّهارَةِ فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ الْوُضوءُ بِإِجْماعِ الْمُسْلِمينَ وَاللهُ أَعْلَمُ

الموعظة السادسة عشرة

في الغسل وموجباته وكيفية الغسل والتيمم

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي مَنَّ عَلىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ وَسَمَّاهُمُ الْمُسْلِمِينَ، وَجَعَلَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ عِمَادَ الدِّينِ، وَأَمَرَ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ ـ إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ ـ أَنَّ الطَّهَارَةَ مِنَ الْأَحْدَاثِ طَهَارَتَانِ، (صُغْرىٰ) وَهِيَ الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ وَهُوَ الْوُضُوءُ. وَقَدْ سَبَقَ الْبَحْثُ فِيهَا. وَ (كُبْرىٰ) وَهِيَ الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَدَثِ الْأَكْبَرِ. وَهُوَ الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ وَالْبَحْثُ فِيهَا الْآنَ.

قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ: «وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا» يَعْنِي بِالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ. وَالْغُسْلُ هُوَ تَعْمِيمُ الْبَدَنِ بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ، وَإِفَاضَةُ هٰذَا الْمَاءِ عَلىٰ كُلِّ الْجَسَدِ وَالشَّعْرِ وَالرَّأْسِ، وَإِيصَالُهُ إِلىٰ بَاطِنِ الشَّعْرِ مَعَ النِّيَّةِ، ـ وَهُوَ الْوَسِيلَةُ الطَّيِّبَةُ لِنَظَافَةِ الْبَدَنِ كُلِّهِ، مِمَّا يَعْلَقُ بِهِ مِنَ الْأَوْسَاخِ، وَتَنْشِيطُهُ بِهٰذَا الْإِسْتِحْمَامِ الصِّحِّيِّ الْجَمِيلِ.

وَيَجِبُ الْغُسْلُ بِأُمُورٍ: ـ الْأَوَّلُ ـ خُرُوجُ الْمَنِيِّ عَلىٰ أَيِّ صِفَةٍ كَانَ مِنِ احْتِلَامٍ أَوْ تَفَكُّرٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ يُوجِبُ الْغُسْلَ عَلَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اَلْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، أَيِ الْإِغْتِسَالُ مِنَ الْإِنْزَالِ، فَالْمَاءُ الْأَوَّلُ الْمَاءُ الْمُطَهِّرُ، وَالثَّانِي الْمَنِيُّ، وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا

قالَتْ : «جاءَتْ أُمُّ سُلَيْم امْرَأَةُ أَبي طَلْحةَ إلى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقالَتْ يارَسُولَ اللهِ : إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ ، فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذا احْتَلَمَتْ ، قالَ : نعَمْ إِذا رَأَتِ المَاءَ ، فَغَطَّتْ أُمُّ سلمةَ وَجْهَها وَقالَتْ يارَسُولَ اللهِ : أَوَ تَحْتَلِمُ المَرْأَةُ ، قالَ : نَعَمْ تَرِبَتْ يَمِينُكِ فَبِمَ يُشْبِهُها وَلَدُها » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَزادَ مُسْلِمٌ بِرِوايَةِ أُمِّ سُلَيْمٍ : «إِنَّ ماءَ الرَّجُلِ غَليظٌ أَبْيَضُ ، وَماءُ المَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ ، فَمِنْ أَيِّهِما عَلا أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ » وَعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالَتْ : «سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ يَجِدُ البَلَلَ وَلا يَذْكُرُ احْتِلاماً قالَ : يَغْتَسِلُ - وَعَنِ الرَّجُلِ الَّذي يَرى أَنَّهُ قَدِ احْتَلَمَ وَلا يَجِدُ بَلَلاً قالَ : لا غُسْلَ عَلَيْهِ - قالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ : هَلْ عَلَى المَرْأَةِ تَرى ذٰلِكَ غُسْلٌ قالَ : نَعَمْ إِنَّ النِّساءَ شَقائِقُ الرِّجالِ » رَواهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو داودَ .

وَإِذا رَأى المَنِيَّ في فِراشٍ نامَ هُوَ مَعَ شَخْصٍ آخَرَ يُمْكِنُ كَوْنُهُ مِنْهُ ، لَمْ يَلْزَمْهُ الغُسْلُ ، لِأَنَّ الغُسْلَ لا يَجِبُ بِالشَّكِّ ، وَلٰكِنْ يُنْدَبُ لَهُ الغُسْلُ ، وَإِنْ كانَ لا يَنامُ فيهِ غَيْرُهُ ، لَزِمَهُ الغُسْلُ .

وَإِذا أَحَسَّ بِانْتِقالِ المَنِيِّ عِنْدَ الشَّهْوَةِ ، فَأَمْسَكَ ذَكَرَهُ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَلا غُسْلَ عَلَيْهِ ،

وَإِذا رَأى في ثَوْبِهِ مَنِيّاً ، لا يَعْلَمُ وَقْتَ حُصُولِهِ ، وَكانَ قَدْ صَلّى ، يَلْزَمُهُ إِعادَةُ الصَّلاةِ مِنْ آخِرِ نَوْمَةٍ لَهُ ، إِلّا أَنْ يَرى ما يَدُلُّ عَلى أَنَّهُ قَبْلَها ، فَيُعيدُ مِنْ أَوَّلِ نَوْمَةٍ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنْها .

الثاني - مِنْ مُوجِباتِ الغُسْلِ : إِلْتِقاءُ الخِتانَيْنِ ، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِالجِماعِ ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ إِنْزالٌ ، لِحَديثِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالَتْ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : «إِذا التَقى الخِتانُ ، أَوْ مَسَّ الخِتانُ

الخِتانَ وَجبَ الغُسْلُ ، فَعَلْتُهُ أنا وَرَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاغْتَسَلْنا » رَواهُ الإِمامُ أحْمَدُ وَمالِكٌ بِألْفاظٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إذا جَلَسَ أحَدُكُمْ بَيْنَ شُعَبِها الأرْبَعِ ثُمَّ جَهَدَ ها فَقَدْ وَجَبَ الغُسْلُ ، أنْزَلَ أمْ لَمْ يُنْزِلْ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ،

الثالثُ : انْقِطاعُ الحَيْضِ وَالنِفاسِ ، لِقَوْلِهِ تَعالى : « وَيَسْألُوْنَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أذىً فاعْتَزِلُوا النِّساءَ في المَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوْهُنَّ حَتّى يَطْهُرْنَ فَإذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أمَرَكُمُ اللهُ ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ » وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفاطِمَةَ بِنْتِ أبي حُبَيْشٍ : « إذا أقْبَلَتِ الحَيْضَةُ فَدَعِي الصَّلاةَ ، وَإذا أدْبَرَتْ فاغْتَسِلي وَصَلّي » رَواهُ البُخارِيُّ ، وَالنِفاسُ كالحَيْضِ في ذلِكَ ، وَفي مُعْظَمِ الأحْكامِ بِإجْماعِ الصَّحابَةِ ،

الرابِعُ : الوِلادَةُ ، فَإذا وَلَدَتِ المَرْأةُ وَلَداً وَلَمْ تَرَ دَماً ، فَفِيهِ وَجْهانِ ، أحَدُهُما وَهُوَ الراجِحُ ، أنَّهُ يَجِبُ عَلَيْها الغُسْلُ ، لِأنَّ الوَلَدَ مَنِيٌّ مُنْعَقِدٌ ، وَالثاني لا يَجِبُ لِأنَّهُ لا يُسَمّى مَنِيّاً وَلَمْ يَرِدْ في ذلِكَ نَصٌّ ،

الخامِسُ : المَوْتُ ، إذا ماتَ المُسْلِمُ وَجَبَ تَغْسِيلُهُ إجْماعاً ، لِحَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، أنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ في المُحْرِمِ الَّذي وَقَصَتْهُ ناقَتُهُ : « إغْسِلُوْهُ بِماءٍ وَسِدْرٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَالوَقْصُ كَسْرُ العُنُقِ ، وَلكِنَّ الشَّهِيدَ الَّذي قُتِلَ في مَعْرَكَةِ المُشْرِكِينَ ، فَإنَّهُ لا يَجِبُ غُسْلُهُ ،

السادِسُ : الكافِرُ إذا أسْلَمَ وَهُوَ جُنُبٌ فَإنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الغُسْلُ ، أمّا إذا أسْلَمَ غَيْرَ جُنُبٍ فَإنَّهُ يُنْدَبُ لَهُ الغُسْلُ ، لِأنَّهُ أسْلَمَ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَلَمْ

يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالغسل ؛ إلا أن الحنابلة قالوا : إذا أسلم الكافر فإنه يجب عليه الغسل ، سواء كان جنباً أو لا ، والله أعلم

هذه هي موجبات الغسل ،

وأما كيفيته ، فإنه يسن للمغتسل مراعاة فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في غسله ، فإنه إذا هيأ الماء ، أو دخل الحمام ، ويريد أن يغتسل من الحدث الأكبر ، فمن السنة أن يسمي الله تعالى ، ثم يبدأ بغسل كفيه ثلاثاً قبل أن يدخلهما في الإناء ، ثم يغسل فرجه ، ثم يتوضأ وضوءاً كاملاً كالوضوء للصلاة ، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اغتسل من الجنابة توضأ وضوءه للصلاة » متفق عليه ، ثم يغتسل من الجنابة فيفيض الماء على رأسه ثلاثاً مع تخليل الشعر ليصل الماء إلى أصوله ، ثم يفيض الماء على سائر بدنه بادئاً بالشق الأيمن ، ثم الأيسر مع تعاهد الإبطين وداخل الأذنين ، والسرة ، وأصابع الرجلين ، وذلك ما يمكن دلكه من البدن ، وبهذه الكيفية ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويجب أن يجتهد في ايصال الماء إلى أصول الشعر والبشرة ، سواء قل أو كثر ، فعن علي رضي الله عنه قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ترك موضع شعرة من جنابة لم يصبها الماء ، فعل الله به كذا وكذا من النار » قال علي : ومن ثم عاديت شعر رأسي . رواه أحمد وأبو داود ، وزاد ، وكان يجز شعره ،

وقد شرع صلوات الله وسلامه عليه : الاغتسال للجمعة والعيدين والكسوف والإحرام – ومن رحمة الله بهذه الأمة المحمدية ، ولطفه بهم . أن شرع لهم التيمم بالتراب إذا تعذر عليهم استعمال الماء ، بقوله

تَعالىٰ : «وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضىٰ أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ» وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَواهُ أَبُو داوُدَ : «الصَّعِيدُ وُضُوءُ الْمُسْلِمِ وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْماءَ عَشْرَ سِنِينَ فَإِذا وَجَدْتَ الْماءَ فَأَمِسَّهُ جِلْدَكَ» فَهُوَ بَدَلٌ عَنِ الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ ، وَمَعْنَى الْآيَةِ ، إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى تَخافُونَ زِيادَةَ الْمَرَضِ أَوْ بُطْءَ الْبُرْءِ بِاسْتِعْمالِ الْماءِ أَوْ تَخافُونَ الْهَلاكَ مِنْهُ ، أَوْ كُنْتُمْ عَلىٰ سَفَرٍ وَعَسُرَ عَلَيْكُمْ حُصُولُ الْماءِ بَعْدَ الطَّلَبِ ، أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا الْماءَ أَوْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا اسْتِعْمالَهُ لِمانِعٍ شَرْعِيٍّ ، فَتَيَمَّمُوا مِنْ تُرابٍ طَهُورٍ مُباحٍ غَيْرِ مُحْتَرِقٍ لَهُ غُبارٌ يَعْلَقُ بِالْيَدِ : «فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ» وَيُسْتَفادُ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، أَنَّ أَعْضاءَ التَّيَمُّمِ الْوَجْهُ وَالْيَدانِ ، سَواءٌ كانَ عَنْ حَدَثٍ أَصْغَرَ أَوْ أَكْبَرَ ،

وَكَيْفِيَّةُ التَّيَمُّمِ أَنْ يَنْوِيَ ، ثُمَّ يُسَمِّيَ وَيَضْرِبَ عَلَى التُّرابِ بِيَدَيْهِ مُفَرِّقِي الْأَصابِعِ ضَرْبَةً لِلْوَجْهِ ، وَضَرْبَةً لِلْيَدَيْنِ ، بَعْدَ نَزْعِ الْخاتَمِ وَنَحْوِهِ ، فَيَمْسَحُ بِالْأُولىٰ وَجْهَهُ ، وَبِالثّانِيَةِ يَدَيْهِ ، وَيَبْطُلُ التَّيَمُّمُ بِالرِّدَّةِ أَعاذَنا اللهُ مِنْها وَبِمُبْطِلاتِ الْوُضُوءِ ، وَبِالْقُدْرَةِ عَلىٰ اسْتِعْمالِ الْماءِ ، قالَ تَعالىٰ : «ما يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ» أَيْ فَلِهٰذا سَهَّلَ عَلَيْكُمْ وَيَسَّرَ وَلَمْ يُعَسِّرْ بَلْ أَباحَ التَّيَمُّمَ عِنْدَ الْمَرَضِ وَعِنْدَ فَقْدِ الْماءِ ، تَوْسِعَةً عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً بِكُمْ ، «وَلٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ» مِنْ أَوْساخِ الذُّنُوبِ ، وَأَدْرانِ الْخَطايا «وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ» بِالتَّسْهِيلِ فَإِنَّهُ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» نِعَمَهُ عَلَيْكُمْ فِيما شَرَعَهُ لَكُمْ مِنَ التَّوْسِعَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّسْهِيلِ وَالْمُسامَحَةِ ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ،

الموعظة السابعة عشرة

في غزوة بدر الكبرى للمناسبة

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي يُحِقُّ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُوْنَ ، اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ يُرْخِي لِلظَّالِمِينَ الْعِنَانَ ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدٰى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلٰى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَ .

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ – اِعْلَمُوْا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ – أَنَّهُ فِي الْعَامِ الثَّانِي لِلْهِجْرَةِ فِي سَبْعَةَ عَشَرَ رَمَضَانَ ، فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَقَعَتْ وَقْعَةُ الْبَدْرِ بَيْنَ الْقَائِدِ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَيْشِهِ الْبَاسِلِ ، وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ أَعْدَاءِ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ ، وَالَّتِي تُعْتَبَرُ هٰذِهِ الْوَقْعَةُ التَّجْرِبَةَ الْأُوْلٰى لِقَائِدِ جَيْشِ الْإِسْلَامِ رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقِصَّةُ بَدْرٍ ، مَشْهُوْرَةٌ مَعْرُوْفَةٌ مَذْكُوْرَةٌ فِي كُتُبِ السِّيَرِ وَالتَّوَارِيخِ ، وَمُلَخَّصُهَا ،

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ . بَعْدَ أَنْ حَالَ الشِّرْكُ الْكَامِنُ فِي مَكَّةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّعْوَةِ إِلٰى دِينِهِ ، وَتَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ ، وَوَضَعُوْا فِي طَرِيقِهِ الْعَقَبَاتِ ، وَتَلَمَّسُوْا لَهُ الْمَكَايِدَ ، وَاعْتَرَضُوْهُ فِي كُلِّ سَبِيلٍ ، عِنْدَ ذٰلِكَ .

بَدَأَ يُدَبِّرُ أَمْرَ الظَّفَرِ بِمَالِ قُرَيْشٍ بَدَلاً عَنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوْا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَاسْتَوْلَتْ قُرَيْشٌ عَلٰى أَمْوَالِهِمْ .

وَمِنْ حُسْنِ الْحَظِّ ، – أَنَّ الْقُرَيْشَ كَانُوْا يَشْتَغِلُوْنَ بِالتِّجَارَةِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ رِحْلَتَانِ إِلَى الشَّامِ فِي الْعَامِ – رِحْلَةُ الشِّتَاءِ ، وَرِحْلَةُ الصَّيْفِ ، لِقَوْلِهِ

تَعالىٰ : « لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ » ـ وَفي كُلِّ مَرَّةٍ كانَ يَرْأَسُ القافِلَـةَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، وَفي هٰذِهِ الـفَتْرَةِ مِنَ التّاريخِ ، كانَ زَعيمُها أَبا سُفْيانَ ، وَكانَ رَجُلاً ذا دَهاءٍ وَبَصيرَةٍ .

وَقَدْ عَلِمَ الرَّسُولُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِ القافِلَةِ القادِمَةِ مِنَ الشّامِ ، الَّتي كانَ يَرْأَسُها أَبُو سُفْيانَ ، تِلْكَ القافِلَةُ العامِرَةُ الَّتي كانَ فيها مِنَ الأَمْوالِ ما تُقَدَّرُ قيمَتُهُ [بِخَمْسينَ أَلْفَ دينارٍ] يَحْمِلُها أَلْفُ جَمَلٍ ، لِكُلِّ بَيْتٍ مِنْ قُرَيْشٍ فيها نَصيبٌ .

فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحابُهُ مِنْ يَثْرِبَ في اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ في السَّنَةِ الثّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ ، يُريدُونَ مُلاقـاةَ القافِلَةِ ، لِمُصادَرَةِ أَمْوالِ قُرَيْشٍ تَعْويضاً عَمّا أَخَذَتْ قُرَيْشٌ مِنْ أَمْـوالِ المُسْلِمينَ في مَكَّةَ ، وَرَدِّها عَلىٰ أَوْلِياءِ اللّٰهِ وَحِزْبِهِ الَّذينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْـلاً مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوانـاً ، وَيَنْصُرُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ ، لِيَتَقَوَّوْا بِهٰذِهِ الأَمْوالِ عَلىٰ عِبادَةِ اللّٰهِ وَطاعَتِهِ ، وَجِهادِ أَعْدائِهِ .

وَكانَ عِدَّةُ مَنْ مَعَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً ، وَكانُوا عَلىٰ غايَةٍ مِنْ قِلَّةِ الزّادِ وَالـظَّهْرِ ، فَـإِنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا مُسْتَعِدّينَ لِحَرْبٍ وَلا لِقِتالٍ ، إِنَّما خَرَجُوا لِطَلَبِ العيرِ ، فَكانَ مَعَهُمْ نَحْوُ سَبْعينَ بَعيراً ، يَعْتَقِبُونَها بَيْنَهُمْ ، كُلُّ ثَلاثَةٍ عَلىٰ بَعيرٍ ، وَكانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَميلانِ ، وَكانُوا يَعْتَقِبُونَ عَلىٰ بَعيرٍ واحِدٍ ، فَكانَ زَميـلاهُ يَقُولانِ لَهُ ارْكَبْ يارَسُولَ اللّٰهِ ، فَيَقُولُ : ما أَنْتُما بِأَقْوىٰ عَلَى المَشْيِ مِنّي ، وَلا أَنا بِأَغْنىٰ عَنِ الأَجْرِ مِنْكُما ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ إِلّا فَرَسانِ ، وَقيـلَ ثَلاثَةٌ ، وَقيلَ فَرَسٌ واحِدٌ إِلَّا .

فَلَمّا بَلَغَ أَبا سُفْيانَ خَبَرُ خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِطَلَبِ العيرِ ،

أَرْسَلَ إِلىٰ قُرَيْشٍ يَطْلُبُ مِنْهُمُ النَّجْدَةَ . وَلَجأَ إِلىٰ وَسِيلَةٍ مُؤَثِّرَةٍ في حَفْزِ قُرَيْشٍ عَلَى ٱلإِسْراعِ فِي النَّجْدَةِ ، وَتَلْبِيَةِ ٱلإِسْتِصْراخ . فَقَدْ أَخْبَرَ أَحَـدَ رِجالِهِ وَاسْمُهُ ضَمْضَمُ بْنُ عَمْرٍو الْغِفارِيّ ، أَنْ يَجْدَعَ بَعيرَهُ ، وَيُحَوِّلَ رَحْلَهُ . وَيَشُقَّ قَميصَهُ مِنَ ٱلأَمامِ وَٱلخَلْفِ ، وَيَذْهَبَ إِلىٰ قُرَيْشٍ ، فَلَمّا أَتاها . راحَ يَصْرُخُ ، « يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ » اللَّطيمَةَ اللَّطيمَةَ ، أَمْوالُكُمْ مَعَ أَبي سُفْيانَ قَدْ عَرَضَ لَها مُحَمَّدٌ في أَصْحابِه . لا أَرىٰ أَنْ تُدْرِكُوها ، الْغَوْثَ الْغَوْثَ ، ـ فَهَبَّتْ قُرَيْشٌ لِلنَّجْدَةِ ، حَتّىٰ لَمْ يَبْقَ في مَكَّـةَ قادِرٌ عَلَىٰ الْقِتالِ ، وَكانَ مِنْ دُعاةِ الْحَرْبِ وَٱلأَنْجادِ ، أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشامٍ ، الَّذي تَصِفُهُ كُتُبُ السِّيرَةِ بِأَنَّهُ كانَ رَجُلاً حَديداً ، حَديدَ الْوَجْهِ ، حَديدَ اللِّسانِ ، حَديدَ النَّظَرِ .

وَلٰكِنْ أَبُو سُفْيانَ الَّذي كانَ قَوِيَّ الْحيلَةِ تَمَكَّنَ أَنْ يُحَوِّلَ قافِلَتَـهُ عَنِ الطَّريقِ الْمُعْتادِ الْمُحاذي لِساحِلِ الْبَحْرِ الأَحْمَرِ ، وَأَنْ يَنْجُوَ بِها مِنْ قَبْضَةِ الْمُسْلِمينَ ، وَلَمّا رَأى أَبُو سُفْيانَ ، أَنَّهُ نَجا بِعيرِهِ أَرْسَلَ إِلىٰ قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ إِنَّما خَرَجْتُمْ لِتَمْنَعُوا عيرَكُمْ وَأَمْوالَكُمْ فَقَدْ نَجّاها اللهُ فَارْجِعُوا ـ فَقالَ أَبُو جَهْلٍ : وَاللهِ لا نَرْجِعُ حَتّىٰ نَرِدَ بَدْراً ـ وَكانَتْ بَدْرٌ مَوْسِمًا مِنْ مَواسِمِ الْعَرَبِ يَجْتَمِعُ لَهُمْ بِهِ سُوقٌ كُلَّ عامٍ ـ فَنُقيمُ عَلَيْهِ ثَلاثاً فَنَنْحَرُ الْجُزُرَ ، وَنُطْعِمُ الطَّعامَ وَنَسْقِي الْخَمْرَ ، وَتَعْزِفُ عَلَيْنا الْقِيانُ ، وَتَسْمَعُ بِنا الْعَرَبُ وَبِمَسيرِنا وَجَمْـعِنا فَلا يَزالُوا يَهابُونَنا أَبَداً بَعْدَ ذٰلِكَ . هٰذا ما كانَ مِنْ أَمْرِ قُرَيْشٍ .

وَأَمّا ما كانَ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحابِه ، فَـإِنَّ الرَّسُولَ قَدْ قامَ قُبَيْلَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ بِتَقْديرِ الْمَوْقِفِ حَسَبَ الأُصُولِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتي إِهْتَدىٰ إِلَيْها الْمُتَأَخِّرُونَ ، فَجَمَعَ أَصْحابَهُ وَقالَ لَهُمْ : أَشيرُوا عَلَيَّ

أيها الناس . فتكلم المهاجرون فسكت عنهم . وإنما قصده الأنصار لأنه ظن أنهم لم يبايعوه إلا على نصرته على من قصده في ديارهم ، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : والله لكأنك تريدنا - يعني الأنصار قال أجل : قال سعد : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق . وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله فوالذي بعثك بالحق نبيًّا ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد - ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال يا رسول الله : إمض لما أمرك الله ، فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : «إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، - واستوثق الرسول الكريم بهذه الأجوبة الصارمة الحاسمة من معنويات جيشه ، وعرف نفسياتهم المقبلة على الفداء والتضحية ، وسر بذلك سروراً عظيماً ، وسرى البشر إلى وجهه صلوات الله وسلامه عليه ، وقال : سيروا على بركة الله . وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين أنها لكم ، إما العير (أي قافلة أبي سفيان) وإما النفير (أي قتال قريش) والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم - وبهذا نرى أن المسلمين انتهوا من تقدير الموقف إلى ضرورة القتال ، وقد أرى الله رسوله في منامه الأعداء ، كما أراهموه وقت اللقاء ، قليلي العدة كيلا يفشل المسلمون وليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، قال تعالى : «إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور ، وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلاً ، ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع

الأمور »

ثم واصل المسلمون سيرهم نحو بدر ، بعد أن اتفق رأيهم على الحرب ، ولم ينس الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسل فرقة استطلاعية صغيرة ، لتحصل له على معلومات عن قريش . وتمكنت هذه الفرقة من أن تأسر غلامين لقريش ، فسألهما الرسول عن عدد قريش الذين جاءوا للقتال ، فقالا لا ندري ، فأعاد سؤالهما فقال : كم تنحرون من الجزر (الجمال) كل يوم ، فقالا يوماً تسعة ، ويوماً عشرة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف ، ـ وهنا تظهر لنا حذاقة النبي صلى الله عليه وسلم وقدرته على الإستنتاج ، ومعرفة الأشياء مما يلزم القائد العسكري الناجح .

ولم يزل المسلمون يواصلون السير حتى نزلوا بالقرب من بدر فقال له الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري ، وكان مشهوراً بجودة الرأي . يا رسول الله ، أهذا منزل أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال يا رسول الله ليس هذا بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله فإني أعرف غزارة مائه وكثرته ، ونغور (نطم) ما عداه من الآبار ، ثم نبني عليه حوضاً ، فنملؤه ماء . ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأي . فنهض وأمر المسلمين بالإنتقال إلى حيث أشار الحباب . ولما وصلوا أمر بالآبار التي خلفهم فغورت لينقطع أمل المشركين في الشرب من وراء المسلمين . وبنى حوضاً على القليب أي البئر الذي نزل عليه .

وَلَقَدْ كَانَ انْتِقَالُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَوْقِعِهِمُ الْجَدِيدِ ، الَّذِي أَشَارَ بِهِ الْحُبَابُ ضَرْبَةً مُحْكَمَةً أَصَابَتْ قُرَيْشاً ، فَقَدْ أَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ يَشْرَبُونَ وَهُمْ لَا يَشْرَبُونَ .

ثُمَّ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ ، لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا نَبِيَّ اللهِ . أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشاً تَكُونُ فِيهِ ، وَنُعِدُّ عِنْدَكَ رَكَائِبَكَ ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا . فَإِنْ أَعَزَّنَا اللهُ تَعَالَى وَظَهَرْنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا ، وَإِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى ، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ يَا نَبِيَّ اللهِ مَا نَحْنُ أَشَدَّ لَكَ حُبّاً مِنْهُمْ ، وَلَا أَطْوَعَ لَكَ مِنْهُمْ رَغْبَةً فِي الْجِهَادِ وَنِيَّةً ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْباً ، مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ ، إِنَّمَا ظَنُّوا أَنَّهَا الْعِيرُ ، يَمْنَعُكَ اللهُ بِهِمْ وَيُنَاصِحُونَكَ ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ يَقْضِي اللهُ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ

ثُمَّ بُنِيَ لِلرَّسُولِ عَرِيشٌ فَوْقَ تَلٍّ مُشْرِفٍ عَلَى مَيْدَانِ الْحَرْبِ ، وَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَدَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صُفُوفَهُمْ ، مَنَاكِبُهُمْ مُتَلَاصِقَةٌ فَصَارُوا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ، ثُمَّ نَظَرَ لِقُرَيْشٍ فَقَالَ : « اَللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ، اَللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي بِهِ »

وَقَدْ خَرَجَ مِنْ صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ وَكَانَ رَجُلاً شَرِساً ، سَيِّئَ الْأَخْلَاقِ ، وَقَالَ : أُعَاهِدُ اللهَ لَأَشْرَبَنَّ مِنْ حَوْضِهِمْ أَوْ لَأَهْدِمَنَّهُ أَوْ لَأَمُوتَنَّ مِنْ دُونِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَلَمَّا الْتَقَيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَأَطَارَ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ وَهُوَ دُونَ الْحَوْضِ ، فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ تَشْخُبُ رِجْلُهُ دَماً نَحْوَ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ حَبَا إِلَى الْحَوْضِ حَتَّى اقْتَحَمَ فِيهِ ، يُرِيدُ أَنْ يُبِرَّ يَمِينَهُ وَأَتْبَعَهُ حَمْزَةُ فَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ ، ثُمَّ وَقَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى

الثَّباتِ وَالصَّبْرِ ، وَكانَ فِيما قالَ : « وَإِنَّ الصَّبْرَ في مَواطِنِ الْبَأْسِ مِمَّا يُفَرِّجُ اللهُ بِهِ الْهَمَّ وَيُنْجِي بِهِ مِنَ الْغَمِّ » ثُمَّ ابْتَدَأَ الْقِتالُ بِالْمُبارَزَةِ ، فَخَرَجَ مِنْ صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ ، عُتْبَةُ بْنُ رَبيعَةَ بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ وَابْنِهِ الْوَلِيدِ ، فَطَلَبُوا أَكْفاءَهُمْ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ثَلاثَةٌ مِنَ الأَنْصارِ فَقالُوا : لا حاجَةَ لَنا بِكُمْ إِنَّما نُرِيدُ أَكْفاءَنا مِنْ بَنِي عَمِّنا ، فَقالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ قُمْ يا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَرْثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَقُمْ يا حَمْزَةُ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَقُمْ يا عَلِيُّ بْنَ أَبي طالِبٍ ، قُومُوا يا بَني هاشِمٍ فَقاتِلُوا بِحَقِّكُمُ الَّذي بُعِثَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ، فَبارَزَ عُبَيْدَةُ عُتْبَةَ ، وَحَمْزَةُ شَيْبَةَ وَ عَلِيٌّ الْوَلِيدَ أَمَّا حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ فَقَتَلا صاحِبَيْهِما ، وَأَمَّا عُبَيْدَةُ وَعُتْبَةُ فَاخْتَلَفا بِضَرْبَتَيْنِ كِلاهُما جَرَحَ صاحِبَهُ فَحَمَلَ رَفيقُ عُبَيْدَةَ عَلى عُتْبَةَ فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ ، وَحُمِلَ عُبَيْدَةُ مِنْ بَيْنِ الصُّفُوفِ جَرِيحاً يَسيلُ مُخُّ ساقِهِ وَأَضْجَعُوهُ إِلى جانِبِ مَوْقِفِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفْرَشَهُ رَسُولُ اللهِ قَدَمَهُ الشَّرِيفَةَ فَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَيْها وَقالَ لَهُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ شَهِيدٌ .

ثُمَّ ابْتَدَأَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِي الْجَيْشَ فَقالَ : « لا تَحْمِلُوا حَتَّى آمُرَكُمْ ، وَإِنِ اكْتَنَفَكُمُ الْقَوْمُ فَانْضِحُوهُمْ بِالنَّبْلِ وَلا تَسُلُّوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشُوكُمْ » ثُمَّ حَضَّهُمْ عَلَى الصَّبْرِ وَالثَّباتِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلى عَرِيشِهِ وَمَعَهُ رَفِيقُهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَحارِسُهُ سَعْدُ بْنُ مُعاذٍ واقِفٌ عَلى بابِ الْعَرِيشِ مُتَوَشِّحٌ سَيْفَهُ ،

وَباتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ - لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، قائِماً يُصَلِّي وَيَبْكِي وَيَدْعُو اللهَ وَيَسْتَنْصِرُهُ عَلى أَعْدائِهِ ، وَمِنْ دُعائِهِ ما رَواهُ مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ قالَ ، قالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « لَمَّا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ

وَأَصْحابُهُ ثَلاثُمائَةٍ وَبِضْعَةَ عشَرَ رَجُلاً دَخلَ الْعَرِيشَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَمَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : اَللّٰهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اَللّٰهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي ، اَللّٰهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هٰذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ ، لا تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ ، فَمَا زالَ يَهْتِفُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَادّاً يَدَيْهِ حَتَّىٰ سَقَطَ رِداؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ رِداءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلىٰ مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرائِهِ وَقالَ يا نَبِيَّ اللهِ كَفاكَ مُناشَدَتُكَ رَبَّكَ ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ « إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ »

وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَدَأَ الإِلْتِحامُ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَرِيشِ وَهُوَ يَقُولُ : « سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ » وَقالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يُحَرِّضُ الْجَيْشَ ، « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يُقاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلَ صابِراً مُحْتَسِباً مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ » فَقالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحَمامِ وَبِيَدِهِ تَمَراتٌ يأْكُلُها : بَخٍ بَخٍ ، مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هٰؤُلاءِ ، ثُمَّ قَذَفَ التَّمَراتِ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَقاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ » ـ وَاشْتَدَّ الْقِتالُ وَحَمِيَ الْوَطِيسُ ، وَأَيَّدَ اللهُ نَبِيَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُ بِنَصْرٍ مِنْ عِنْدِهِ وَبِجُنْدٍ مِنْ جُنُودِهِ ، قالَ تَعالىٰ : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ » وَقالَ : « فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمىٰ » وَرُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ جاءَ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقالَ لَهُ : خُذْ قَبْضَةً مِنْ تُرابِ هٰذَا الْوادِي فَارْمِهِمْ

بها ، فأخذ قبضة من حصباء الوادي فرمى بها نحوهم ، وقال :ـ « شاهت الوجوه » فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه ومنخره وفمه شيء منه فلم تكن إلا ساعة حتى هزم الجمع وولوا الدبر ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، وقتل الله صناديد كفار قريش ، وكان عدو الله إبليس قد جاء إلى المشركين في صورة سراقة بن مالك وكانت يده في يد الحارث بن هشام ، وجعل يشجعهم ويعدهم ويمنيهم ، فلما رأى الملائكة هرب وألقى نفسه في البحر، وقد أخبر الله عن ذلك بقوله :ـ

« وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب

وانتهى القتال برجحان كفة المسلمين ، على قلتهم العددية ، فقتل من قتل من صناديد قريش سبعون رجلاً ، وأسر من أسر من أشرافهم سبعون أسيراً ، فرأى الرسول وباقي المسلمين أخذ فدى من الأسرى ، نظير إطلاق سراحهم ، وكان على المسلمين أن يقودوا أسراهم تحت الحراسة إلى المدينة ، حتى يفتديهم أقاربهم، وقد وضع لنا النبي صلى الله عليه وسلم القواعد الكريمة ، في معاملة الأسرى ، فقال لأصحابه بعد أن فرق بينهم الأسرى ليحرسوهم : إستوصوا بهم خيراً ، فنفذ المسلمون تعليماته .

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقتلى فنقلوا من مصارعهم التي كان الرسول عليه السلام ، أخبر بها قبل حصول الوقعة إلى قليب بدر لأنه عليه السلام كان من سننه في مغازيه إذا مر بجيفة إنسان أمر بها فدفنت ، لا يسأل عنه مؤمناً أو كافراً .

ثم أمر عليه السلام براحلته فشد عليها حتى قام على شفة القليب

الذي رُمِيَ فيهِ المشركونَ ، فجعلَ يناديهم بأسمائهم وأسماءِ آبائهم يا فلانُ بنَ فلانٍ ، أيسرُّكم أنكم كنتم أطعتم اللهَ ورسولَه ، فإنا وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربُّكم حقاً - فقال عمرُ يا رسولَ اللهِ : ما تكلِّمُ من أجسادٍ لا روحَ فيها ، فقال : والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ ، ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم ، وتقولُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : إنما قالَ إنهم الآنَ ليعلمونَ أنَّ ما كنتُ أقولُ لهم حقٌّ ، ثم قرأتْ « إنكَ لا تُسمعُ الموتى ، وما أنتَ بمسمعٍ مَن في القبورِ » تقولُ : يعلمونَ ذلكَ حينما تبوّأوا مقاعدَهم منَ النارِ (رواهُ البخاريُّ) .

وهكذا تمَّ النصرُ للفئةِ القليلةِ المؤمنةِ الصابرةِ المحتسبةِ المتوجهةِ للقتالِ لنصرةِ دينِ اللهِ ، أمامَ حشودِ الشركِ ، وصولةِ الباطلِ ، فقد خرجَ الرسولُ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ بثلاثمائةٍ وخمسةَ عشرَ رجلاً من أصحابِهِ إلى بدرٍ ، بينما كانَ كفارُ قريشٍ تسعمائةٍ وخمسينَ رجلاً ، وبهذهِ الروحِ المؤمنةِ الباسلةِ ، فتحَ اللهُ على الإسلامِ والمسلمينَ ما بينَ المحيطِ الأطلسيِ إلى حدودِ الصينِ ، وجاءَ معَ الفتحِ الرغدُ والعزةُ والمجدُ لهؤلاءِ الذينَ وصفهم رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ بأنهم جياعٌ عراةٌ حفاةٌ ، « ولينصرنَّ اللهُ من ينصرُهُ إنَّ اللهَ لقويٌّ عزيزٌ ، »

******

الموعظة الثامنة عشرة
في شروط الصلاة وأركانها

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي بَشَّرَ مَنْ أَقَامَ الصَّلاٰةَ بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا بِالسَّعَادَةِ وَالْفَلاَحِ ، وَأَنْذَرَ مَنْ سَهَا وَلَهَا عَنْ صَلاَتِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحِرْمَانِ وَعَدَمِ النَّجَاحِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ أَجْزَلَ الْخَيْرَ لِلطَّائِعِينَ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْفَتَّاحُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَرَ أُمَّتَهُ بِكُلِّ مَا فِيهِ خَيْرٌ لَهُمْ وَصَلاَحٌ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَبَداً سَرْمَداً بِالْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ ـ إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ ـ أَنَّ الصَّلاٰةَ عِبَادَةٌ تَتَضَمَّنُ أَقْوَالاً وَأَفْعَالاً مَخْصُوصَةً ، مُفْتَتَحَةً بِالتَّكْبِيرِ ، مُخْتَتَمَةً بِالتَّسْلِيمِ وَلَهَا شُرُوطٌ وَأَرْكَانٌ تَتَرَكَّبُ مِنْهَا حَقِيقَتُهَا ، حَتَّىٰ إِذَا اخْتَلَّ شَرْطٌ أَوْ رُكْنٌ مِنْهَا ، لاَ يَتَحَقَّقُ وَلاَ يُعْتَدُّ بِهَا شَرْعاً ، فَالشَّرْطُ وَالرُّكْنُ لاَ بُدَّ مِنْهُمَا فِي صِحَّةِ الصَّلاٰةِ ، وَلٰكِنْ يَفْتَرِقَانِ ـ بِأَنَّ الشَّرْطَ مَا كَانَ خَارِجاً عَنْ مَاهِيَّةِ الصَّلاٰةِ ، وَالرُّكْنَ مَا كَانَ دَاخِلَهَا .

فَشُرُوطُ الصَّلاٰةِ خَمْسَةٌ : أَوَّلاً ـ الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَدَثِ الأَصْغَرِ وَالأَكْبَرِ ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهُمَا بِالتَّفْصِيلِ الْمُغْنِي عَنِ الشَّرْحِ .

ثَانِياً ـ طَهَارَةُ الْبَدَنِ ، وَالثَّوْبِ ، وَالْمَكَانِ الَّذِي يُصَلَّىٰ فِيهِ ، أَمَّا طَهَارَةُ الْبَدَنِ فَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَنَزَّهُوا مِنَ الْبَوْلِ فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ » رَوَاهُ الدَّارَ قُطْنِيُّ وَحَسَّنَهُ ، وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ : « إِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ فَدَعِي الصَّلاٰةَ وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ وَصَلِّي » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَأَمَّا طَهَارَةُ الثَّوْبِ ، فَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : « وَثِيَابَكَ

فَطَهِّرْ » وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَمِ الْحَيْضِ يُصِيبُ الثَّوْبَ: « ثُمَّ اغْسِلِيهِ بِالْمَاءِ » حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، وَأَمَّا طَهَارَةُ الْمَكَانِ ، فَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « بَالَ أَعْرَابِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، لِيَقَعُوا بِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا مُسْلِماً ،

ثَالِثاً - سَتْرُ الْعَوْرَةِ : لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ » وَالْمُرَادُ بِالزِّينَةِ مَا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ ، وَالْمَسْجِدِ الصَّلَاةُ ، أَيِ اسْتُرُوا عَوْرَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ وَعَوْرَةُ الرَّجُلِ مَا بَيْنَ سُرَّتِهِ وَرُكْبَتِهِ ، أَمَّا السُّرَّةُ وَالرُّكْبَةُ فَلَيْسَتَا مِنَ الْعَوْرَةِ عَلَى الصَّحِيحِ ، وَلَكِنْ يَجِبُ سَتْرُ جُزْءٍ مِنْهُمَا لِيَتَحَقَّقَ بِهِ سَتْرُ الْعَوْرَةِ ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ الْحُرَّةُ ، فَعَوْرَتُهَا جَمِيعُ بَدَنِهَا إِلَّا الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ ظَهْراً وَبَطْناً إِلَى الْكُوعَيْنِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا » قَالَ الْمُفَسِّرُونَ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ : « هُوَ الْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ ، وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةَ حَائِضٍ إِلَّا بِخِمَارٍ » وَالْمُرَادُ بِالْحَائِضِ الْبَالِغَةُ وَالْخِمَارِ غِطَاءُ الرَّأْسِ ، وَأَمَّا عَوْرَةُ الْأَمَةِ ، فَفِيهَا وَجْهَانِ ، الْأَصَحُّ أَنَّهَا كَالرَّجُلِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

رَابِعاً - الْعِلْمُ بِدُخُولِ الْوَقْتِ : وَيَكْفِي غَلَبَةُ الظَّنِّ ، فَمَتَى تَيَقَّنَ أَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ دُخُولُ الْوَقْتِ ، أُبِيحَتْ لَهُ الصَّلَاةُ ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِإِخْبَارِ ثِقَةٍ ، أَوْ آذَانِ الْمُؤَذِّنِ الْمُؤْتَمَنِ ، أَوِ الْإِجْتِهَادِ الشَّخْصِيِّ ، أَوْ أَيِّ سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْعِلْمُ ،

خَامِساً - إِسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ ، وَهِيَ الْكَعْبَةُ ، سُمِّيَتْ قِبْلَةً لِأَنَّ الْمُصَلِّيَ يَسْتَقْبِلُهَا ، وَكَعْبَةً لِارْتِفَاعِهَا ، وَاسْتِقْبَالُهَا شَرْطٌ لِصِحَّةِ الصَّلَاةِ فِي حَقِّ الْقَادِرِ

لا في شِدَّةِ الْخَوْفِ ، وَلا في نَفْلِ السَّفرِ الْمُباحِ وَاللهُ أَعْلَمُ ، هٰذِهِ هِيَ الشُّرُوطُ ، وَأَمَّا أَرْكانُها فَهِيَ ،

١ - النِّيَّةُ : لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا الأَعْمالُ بِالنِّياتِ وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِيءٍ ما نَوىٰ » رَواهُ الْبُخارِيُّ ،

٢ - تَكْبِيرَةُ الإِحْرام : لِحَدِيثِ عَلِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « مِفْتاحُ الصَّلاةِ الطُّهُورُ ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ » رَواهُ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ في حَدِيثِ الْمُسِيءِ صَلاتَهُ : « إِذا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلاةِ فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَكَبِّرْ »

٣ - الْقِيامُ فِي الْفَرْضِ مَعَ الْقُدْرَةِ : لِقَوْلِهِ تَعالىٰ : « وَقُومُوا لِلّٰهِ قانِتِينَ » أَيْ خاشِعِينَ مُتَذَلِّلِينَ ، وَالْمُرادُ بِالْقِيامِ الْقِيامُ لِلصَّلاةِ ، وَعَنْ عِمْرانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : « كانَ بِي بَواسِيرُ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلاةِ فَقالَ : « صَلِّ قائِماً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقاعِداً ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلىٰ جَنْبٍ » رَواهُ الْبُخارِيُّ ، وَزادَ النِّسائِيُّ : « فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَمُسْتَلْقِياً لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها » وَأَمَّا النَّفْلُ ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُصَلَّىٰ مِنْ قُعُودٍ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْقِيامِ ، إِلاَّ أَنَّ ثَوابَ الْقائِمِ أَتَمُّ مِنْ ثَوابِ الْقاعِدِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَلاةُ الرَّجُلِ قاعِداً نِصْفُ الصَّلاةِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ،

٤ - قِراءَةُ الْفاتِحَةِ : فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِن رَكَعاتِ الْفَرْضِ وَالنَّفْلِ ، وَقَدْ صَحَّتِ الأَحادِيثُ فِي افْتِراضِ قِراءَةِ الْفاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ، وَمادامَتِ الأَحادِيثُ فِي ذٰلِكَ صَحِيحَةً صَرِيحَةً ، فَلا مَجالَ لِلْخِلافِ وَلا مَوْضِعَ لَهُ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفاتِحَةِ الْكِتابِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَقالَ : « مَنْ صَلّىٰ صَلاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيها بِأُمِّ

الْقُرْآنِ وَفي رِوايَةٍ ، بِفاتِحَةِ الْكِتاب ، فَهِيَ خِداجٌ هِيَ خِداجٌ غَيْرُ تَمامٍ » رَواهُ أَحْمَدُ وَالشَّيْخانِ ،

وَأَمّا الْبَسْمَلَةُ فَهِيَ آيَةٌ مِنَ الْفاتِحَةِ : قالَ فِي الرَّوْضَةِ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، آيَةٌ كامِلَةٌ مِنْ أَوَّلِ الْفاتِحَةِ بِلا خِلافٍ ، وَحُجَّةُ ذٰلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : « عَدَّ الْفاتِحَةَ سَبْعَ آياتٍ وَعَدَّ الْبَسْمَلَةَ آيَةً مِنْها » وَعَزاهُ الْإِمامُ وَالْغَزالِيُّ إِلَى الْبُخارِيِّ وَلَيْسَ ذٰلِكَ في صَحِيحِهِ ، نَعَمْ ذَكَرَهُ في تارِيخِهِ ، (وَعَنْهُ) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « إِذا قَرَأْتُمُ الْحَمْدَ فَاقْرَؤُوا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، إِنَّها أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتابِ وَالسَّبْعُ الْمَثاني وَبِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ آيَةٌ مِنْها ، أَوْ قالَ : هِيَ إِحْدَى آياتِها » رَواهُ الدارَقُطْنِيُّ وَقالَ رِجالُهُ كُلُّهُمْ ثِقاتٌ ، وَعِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ وَالْحَنابِلَةِ : الْبَسْمَلَةُ سُنَّةٌ في كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ أَوَّلِ الْفاتِحَةِ : وَعِنْدَ الْمالِكِيَّةِ : مَكْرُوهَةٌ ، وَفي كُلِّ ذٰلِكَ تَفْصِيلٌ مَذْكُورٌ في كِتابِ الْمَذاهِبِ الْأَرْبَعَةِ ،

٥ ـ الرُّكُوعُ وَالطُّمَأْنِينَةُ فِيهِ : لِقَوْلِهِ تَعالَى : « يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا » وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسِيءِ صَلاتَهُ : « ثُمَّ ارْكَعْ حَتّى تَطْمَئِنَّ راكِعاً » وَقالَ : « لا تُجْزِئُ صَلاةٌ لا يُقِيمُ الرَّجُلُ فِيها صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ » رَواهُ الْخَمْسَةُ ،

٦ ـ الرَّفْعُ مِنَ الرُّكُوعِ وَالْإِعْتِدالُ قائِماً مَعَ الطُّمَأْنِينَةِ فِيهِ : لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسِيءِ صَلاتَهُ : « ثُمَّ ارْفَعْ حَتّى تَعْتَدِلَ قائِماً » وَعَنْهُ قالَ : « لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى صَلاةِ رَجُلٍ لا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ . » رَواهُ الْإِمامُ أَحْمَدُ قالَ الْمُنْذِرِيُّ إِسْنادُهُ جَيِّدٌ ،

٧ ـ السُّجُودُ وَالطُّمَأْنِينَةُ فِيهِ : لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسِيءِ صَلاتَهُ : « ثُمَّ اسْجُدْ حَتّى تَطْمَئِنَّ ساجِداً » وَأَعْضاءُ السُّجُودِ سَبْعَةٌ :

لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِذا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ وَجْهَهُ وَأَنْفَهُ وَيَدَيْهِ عَلَى الأَرْضِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالَىٰ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ أَسْجُدَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَعْضاءٍ ، الجَبْهَةِ ، وَالأَنْفِ ، وَالكَفَّيْنِ ، وَالرُّكْبَتَيْنِ ، وَصُدُورِ القَدَمَيْنِ ، وَأَنْ لا أَكُفَّ شَعْراً وَلا ثَوْباً ، فَمَنْ صَلَّىٰ وَلَمْ يُعْطِ كُلَّ عُضْوٍ مِنْها حَقَّهُ ، لَعَنَهُ ذٰلِكَ العُضْوُ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْ صَلاتِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

٨ - الجُلُوسُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَالطُّمَأْنِينَةُ فِيهِ : لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسِيءِ صَلاتَهُ : « ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جالِساً » وَفِي الصَّحِيحَيْنِ : « كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا رَفَعَ رَأْسَهُ لَمْ يَسْجُدْ حَتَّىٰ يَسْتَوِيَ جالِساً »

٩ - ١٠ - ١١ - الجُلُوسُ الأَخِيرُ ، وَالتَّشَهُّدُ فِيهِ ، وَالصَّلاةُ عَلَى النَّبِيِّ فِيهِ ، كُلٌّ واجِبٌ ، وَالمُرادُ بِالتَّشَهُّدِ التَّحِيّاتُ ، وَالدَّلِيلُ عَلىٰ وُجُوبِ ذٰلِكَ ، ما رَواهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : « كُنّا نَقُولُ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْنا التَّشَهُّدُ ، السَّلامُ عَلَى اللهِ ، السَّلامُ عَلىٰ فُلانٍ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا : التَّحِيّاتُ لِلهِ إِلىٰ آخِرِهِ » رَواهُ الدارَقُطْنِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ وَقالَ إِسْنادُهُ صَحِيحٌ ، وَإِذا ثَبَتَ وُجُوبُ التَّشَهُّدِ وَجَبَ القُعُودُ لَهُ ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ أَوْجَبَ التَّشَهُّدَ أَوْجَبَ القُعُودَ لَهُ .

وَأَمّا وُجُوبُ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلِما رَواهُ كَعْبُ ابْنُ عُجْرَةَ قالَ : خَرَجَ عَلَيْنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنا قَدْ عَرَفْنا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ فَقالَ : قُولُوا : « اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِ مُحَمَّدٍ » إِلىٰ آخِرِهِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَفِي رِوايَةٍ : كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذا صَلَّيْنا عَلَيْكَ فِي صَلاتِنا فَقالَ قُولُوا : « اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِ مُحَمَّدٍ » إِلىٰ آخِرِهِ ، رَواهُ الدارَقُطْنِيُّ وَقالَ :

إِسْنَادُهُ حَسَنٌ مُتَّصِلٌ .

أَمَّا الصَّلاةُ عَلَى الآلِ لا تَجِبُ عَلَى الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ وَلِكنَّهَا سُنَّةٌ وَاللهُ أَعْلَمُ .

١٢ - مِنْ أَرْكَانِ الصَّلاةِ التَّسْلِيمَةُ الأُولَى : لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ » وَيَجِبُ إِيقَاعُهَا فِي حَالِ الْقُعُودِ .

١٣ - التَّرْتِيبُ : فَلا يَجُوزُ تَقْدِيمُ رُكْنٍ عَلَى رُكْنٍ لِمَا ثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْمُسِيءِ صَلاتَهُ وَاللهُ أَعْلَمُ ،

الموعظة التاسعة عشرة

في المحافظة على الصلاة وأثرها في تهذيب النفس

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ الصَّلَاةَ أَعظَمَ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ ، وَوَعَدَ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا بِالثَّوابِ الجَزِيلِ فِي الدُّنْيَا وَفِي دَارِ السَّلَامِ ، وَأَوْعَدَ مَنْ ضَيَّعَهَا بِالعُقُوبَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ وَالآلَامِ

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ مِصْبَاحُ الظَّلَامِ . اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَرَةِ الأَمْجَادِ الكِرَامِ .

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الكِرَامَ ـ إِعْلَمُوْا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ ـ أَنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ ، وَصِلَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ أَحْكَمِ الحَاكِمِينَ . مَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ ، وَهِيَ تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، ثَوَابُهَا جَسِيمٌ وَفَضْلُهَا أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُشْهَرْ ، وَهِيَ خَمْسٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فُرِضَتْ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ قَبْلَ الهِجْرَةِ ، وَقَدْ خَاطَبَ اللّٰهُ رَسُوْلَهُ بِهَا مُبَاشَرَةً وَبِدُوْنِ وَاسِطَةٍ ، لِأَهَمِّيَّتِهَا ، وَعَظِيمِ قَدْرِهَا عِنْدَ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ .

لِذَا شَدَّدَ فِي التَّكِيرِ عَلَىٰ تَارِكِيهَا وَأَوْصَلَهُمْ إِلَىٰ دَرَجَةِ الكُفْرِ وَالضَّلَالِ فَهِيَ مِنْ أَهَمِّ أَرْكَانِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ ، وَهِيَ الحَدُّ الفَاصِلُ بَيْنَ الإِسْلَامِ وَغَيْرِ الإِسْلَامِ ، فَبِهَا يَتَمَيَّزُ الْمُسْلِمُ مِنَ الكَافِرِ ، وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الفَاسِقِ ، وَإِقَامَتُهَا مِنْ أَكْبَرِ عَلَامَاتِ الإِيمَانِ ، وَأَعْظَمِ شَعَائِرِ الدِّينِ ، وَأَظْهَرِ آيَاتِ الشُّكْرِ لِلّٰهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَىٰ ، وَإِضَاعَتُهَا إِنْقِطَاعٌ عَنِ اللّٰهِ تَعَالَىٰ ، وَحِرْمَانٌ مِنْ رَحْمَتِهِ وَفَيْضِ نِعَمِهِ وَجَزِيلِ إِحْسَانِهِ ، وَجُحُوْدٌ لِفَضْلِهِ تَعَالَىٰ وَآلَائِهِ .

أَلَا فَحَافِظُوْا عَلَيْهَا ، وَأَدُّوْهَا فِي أَوْقَاتِهَا ، بِخُشُوْعٍ وَخُضُوْعٍ ، وَعَلَىٰ

طَهارَةٍ كامِلَةٍ ، وَإِيّاكُمْ وَالتَكاسُلَ وَالتَهاوُنَ عَنْ أَدائِها ، فَقَدْ أَمَرَنا اللهُ بِالمُحافَظَةِ عَلَيْها فَقالَ : « حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلهِ قانِتِينَ » . وَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوَّلُ ما يُحاسَبُ عَلَيْهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيامَةِ ، الصَّلاةُ ، فَإِنْ صَلُحَتْ صَلُحَ سائِرُ عَمَلِهِ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سائِرُ عَمَلِهِ » رَواهُ الطَّبَرانِيُّ .

(وَعَنْهُ) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « خَمْسُ صَلَواتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى العِبادِ ، فَمَنْ جاءَ بِهِنَّ وَلَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئاً اسْتِخْفافاً بِحَقِّهِنَّ ، كانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ » . رَواهُ مالِكٌ وَغَيْرُهُ .

وَقَدْ مَدَحَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَى فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ حافَظُوا عَلَى صَلَواتِهِمْ فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ عَنْها تِجارَةٌ رابِحَةٌ ، وَلا دُنْيا مُقْبِلَةٌ ، فَقالَ تَعالَى : « رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصارُ ، لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ » وَذَمَّ آخَرِينَ ، فَقالَ : « وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِماً ، قُلْ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ ، وَاللهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ » .

بِالمُحافَظَةِ عَلَى الصَّلاةِ ، تَقْوَى النَّفْسُ عَلَى احْتِمالِ الشَّدائِدِ ، وَتَثْبُتُ عِنْدَ نُزُولِ البَلايا وَالمِحَنِ ، وَيَسْهُلُ عَلَيْها البَذْلُ حالَةَ الغِنَى وَاليَسارِ ، « إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإِذا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً ، إِلّا المُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ »

فَالمُحافَظَةُ عَلَى الصَّلاةِ ، دَلِيلُ الفَلاحِ ، وَالسَّعادَةِ وَالنَّجاحِ ، فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : « قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ » ذَلِكَ أَنَّ الصَّلاةَ الكامِلَةَ ، المَبْنِيَّةَ عَلَى الخُشُوعِ وَالخُضُوعِ ،

تُنيرُ القَلْبَ ، وَتُهذِّبُ النَّفسَ ، وَتُرَقِّقُ الخُلُقَ ، وَتَنْهى صاحِبَها عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ وَقَبيحٍ ، وَتُطَهِّرُهُ مِنَ الأَدْناسِ وَالأَرْجاسِ ، «إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ»

وَالصَّلاةُ الصَّحيحَةُ ، هِيَ الدَّواءُ الشّافي مِنْ أَمْراضِ القُلوبِ ، وَفَسادِ النُّفوسِ ، وَالنّورُ المُزيلُ لِظُلُماتِ الذُّنوبِ وَالآثامِ ، فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ ، سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقولُ : «أَرأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهراً بِبابِ أَحَدِكُمْ ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرّاتٍ ، هَلْ يَبْقى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ (الدَّرَنُ الوَسَخُ) قالوا : لا يَبْقى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ، قالَ : فَذلِكَ مَثَلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطايا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَمَعْنى ذلِكَ أَنَّ الصَّلَواتِ الخَمْسَ ، تُطَهِّرُ النُّفوسَ ، وَتُنَظِّفُها مِنَ الذُّنوبِ وَالآثامِ ، كَما أَنَّ الإِغْتِسالَ بِالماءِ النَّقِيِّ خَمْسَ مَرّاتٍ في اليَوْمِ يُطَهِّرُ الأَجْسامَ ، وَيُنَظِّفُها مِنْ جَميعِ الأَقْذارِ وَالأَوْساخِ .

فَالمُحافِظُ عَلَى الصَّلاةِ ، لا يَرْضى أَنْ يَكونَ حِلْساً في بُيوتِ القِمارِ ، أَوْ كَلْباً مِنْ كِلابِ بُيوتِ الدِّعارَةِ .

المُحافِظُ عَلَى الصَّلاةِ ، يَبْذُلُ رِفْدَهُ لِلْمُسْتَحِقّينَ ، وَلا يُخْلِفُ وَعْداً ، وَلا يَنْقُضُ ميثاقاً ، وَلا يَخونُ إِذا ائْتُمِنَ ، وَلا يَكْذِبُ إِذا حَدَّثَ ، وَلا يَغُشُّ إِذا باعَ أَوِ اشْتَرى ، وَلا يَنْقُصُ مِكْيالاً وَلا ميزاناً ، وَلا يُماطِلُ في حُقوقِ النّاسِ ، وَإِذا وُكِلَ إِلَيْهِ عَمَلٌ أَتْقَنَهُ وَأَدّاهُ عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ ، مِنْ غَيْرِ تَسْويفٍ وَلا تَأْخيرٍ ، وَإِذا وَلِيَ عَلَى النّاسِ عَدَلَ فيهِمْ ، وَنَظَرَ في مَصالِحِهِمْ لَيْسَ لِغَيْرِ الحَقِّ سُلْطانٌ عَلى نَفْسِهِ ، فَلا يُحابي قَوِيّاً ، وَلا يُضَيِّعُ حَقَّ ضَعيفٍ ، يُعَظِّمُ الحَقَّ وَأَهْلَهُ ، وَلا يَرْضى لِنَفْسِهِ وَلا لِأُمَّتِهِ الذِّلَّةَ وَالهَوانَ ، وَلا يَغْتَرُّ بِأَعْداءِ دينِهِ ، وَلا يُوالي أَهْلَ البَغْيِ وَالعُدْوانِ .

المُحافِظُ عَلَى الصَّلاةِ ، لا يُؤْذي جاراً وَلا أَحداً في نَفْسٍ أَوْ مالٍ أَوْ عِرْضٍ ، وَلا يَكُونُ لَعّاناً وَلا سَبّاباً وَلا نَمّاماً وَلا مُغْتاباً وَلا مُرابِياً وَلا زانِياً وَلا حَقُوداً وَلا حَسُوداً ، وَلا يَكُونُ مُخْتالاً وَلا فَخُوراً وَلا جَبّاراً وَلا عَنِيداً ،

المُحافِظُ عَلَى الصَّلاةِ ، لا يَجْزَعُ مِنْ نائِبَةٍ تَنْزِلُ بِهِ ، أَوْ مُصِيبَةٍ تَحُلُّ عَلَيْهِ ، وَلا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ ، وَلا تُخَيِّبُ النِّقْمَةُ رَجاءَهُ بِرَبِّهِ ، وَلا تَعْبَثُ بِعَقْلِهِ الخُرافاتُ وَالأَوْهامُ ، فَهُوَ المُسْلِمُ الَّذي سَلِمَ النّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسانِهِ ، وَهُوَ المُؤْمِنُ الَّذي يَأْمَنُ النّاسُ مِنْ شُرُورِهِ وَأَذاهُ ، وَهُوَ الَّذي يُرْجى خَيْرُهُ ، وَالَّذي يُسْتَعانُ بِهِ عِنْدَ الاِحْتِياجِ إِلَيْهِ ، وَلَوْ أَنَّ فِينا طائِفَةً مِنْ هٰؤُلاءِ المُحافِظِينَ عَلَى الصَّلاةِ ، لَأَقَمْنا بِهِمُ الحُجَّةَ عَلَى المُلْحِدِينَ الَّذينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْواهِهِمْ ، فَيُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ ، وَيُجادِلُونَ عَلى غَيْرِ هُدًى وَلا دَلِيلٍ عَقْلِيٍّ وَلا شَرْعِيٍّ : « اِشْتَرَوْا بِآياتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ » .

فَبَعْضُ تارِكي الصَّلاةِ ، إِنْ دَعَوْتَهُمْ إِلَى الصَّلاةِ أَجابُوا : الدِّينُ لَيْسَ في الصَّلاةِ ، وَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ صَلاتِنا ، وَإِنَّ الدِّينَ حُسْنُ الخُلُقِ ، وَحُسْنُ المُعامَلَةِ ، لا بِالصَّلاةِ وَلا بِالزَّكاةِ وَلا بِالحَجِّ وَلا بِأَيِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ الإِسْلامِ ، وَإِنَّنا لَمْ نُؤْذِ أَحَداً ، وَلَمْ نُسِئْ مُعامَلَةَ أَحَدٍ ، وَقُلُوبُنا صافِيَةٌ سَلِيمَةٌ ، وَنُحِبُّ الدِّينَ وَنَحْتَرِمُهُ أَكْثَرَ مِنَ المُصَلِّينَ ، فَماذا تُرِيدُونَ مِنّا أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ ، وَإِنَّنا نَرى كَثِيراً مِنَ المُصَلِّينَ يُصَلُّونَ وَقُلُوبُهُمْ سَوْداءُ وَأَعْمالُهُمْ خارِجَ الصَّلاةِ مُنْكَرَةٌ ، إِلى آخِرِ ما يَقُولُونَ .

هٰذا قَوْلُهُمْ وَحُجَّتُهُمُ الواهِيَةُ ، فَكَأَنَّ أَعْمالَ هٰؤُلاءِ وَصَلاتَهُمُ المَرْدُودَةَ في وُجُوهِهِمْ حُجَّةٌ عَلَى الدِّينِ ، وَعَلَى الصَّلاةِ نَفْسِها ، وَكَأَنَّ

الدِينَ جاءَ لِيَكُوْنَ مَقبُوْراً فِي الْقُلُوْبِ فَقَطْ ، وَلَيْسَ لَهُ مَظْهَرٌ مِنَ الْمَظاهِرِ الَّتِي تُبَيِّنُ عَلَى الْأَقَلِّ – عَقِيدَةَ الْقُلُوْبِ . وَحَيَاةَ هٰذَا الدِينِ ، وَلِذا تَراهُمْ لَا يأتَمِرُون بِشَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ الإِسْلامِ ، وَلَا يَتَّبِعُوْنَ سَنَنَ الرَسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لَقَدْ خابُوْا وَخَسِرُوْا لِأَنَّهُمْ هَدَمُوا الإِسْلامَ مِنْ أَساسِهِ وَقَوَّضُوْا أَرْكَانَهُ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُوْنَ صُنْعاً ،

وَمَا عَلِمُوْا أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ النَّاسَ بِعِبادَتِهِ وَأَنَّهُ قَالَ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُوْنَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ ، وَإِنْ لَمْ يَمْتَثِلُوْا أَوامِرَ اللهِ ، فَلا يُفِيدُهُمْ حُسْنُ مُعَامَلَتِهِمْ وَحُسْنُ أَخْلاقِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ كَفَرَ بِعِبادَةِ اللهِ ، وَاسْتَكْبَرَ عَلَىٰ أَوَامِرِ اللهِ ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ ،

لِأَنَّ الشَّارِعَ الحَكِيمَ ، قَدْ سَدَّ فِي وُجُوهِنا أَسْبابَ الأَعْذارِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى تَرْكِ الصَّلاةِ ، وَسَهَّلَ لَنَا الطُّرُقَ الْمُوْصِلَةَ إِلَى الْمُحافَظَةِ عَلَى الصَّلاةِ ، حَتَّىٰ لَا يَكُوْنَ عُذْرٌ لِمَنْ يُرِيدُ إِهْمالَها ، فَأَباحَ التَيَمُّمَ لِمَنْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ وُجُوْدُ الْمَاءِ أَوِ اسْتِعْمالُهُ ، وَأَجازَ الإِجْتِهادَ وَالتَحَرِّي لِمَنِ اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ الْقِبْلَةُ ، وَأَجازَ الْقُعُوْدَ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ الْقِيامِ . فَإِنْ عَجَزَ فَفِي الإِضْطِجاعِ ، حَتَّىٰ اكْتَفَىٰ مِنْهُ بِالإِشارَةِ ، وَجَوَّزَ الْقَضاءَ لِمَنْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ أَداؤُها فِي وَقْتِها ، فَحافِظُوْا عَلَىٰ صَلَواتِكُمْ وَلَا تَكُوْنُوْا مِنَ الْغافِلِينَ ، وَلَا تَجْتَرِحُوا السَّيِّئاتِ فَتُصْبِحُوْا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ، وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَارْكَعُوْا مَعَ الراكِعِينَ ، وَسارِعُوْا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمٰواتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ،

الموعظة العشرون

في فضل العشر الأواخر من رمضان والأمر بالاجتهاد فيه

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي جَعَلَ شَهْرَ رَمَضانَ غُرَّةَ وَجْهِ العامِ ، وَأَجْزَلَ فيهِ الْفَضائِلَ وَالْخَيْراتِ وَالْإِنْعامِ ، وَشَرَّفَ أَوْقاتَهُ عَلىٰ سائِرِ الْأَوْقاتِ وَفَضَّلَ أَيّامَهُ عَلىٰ سائِرِ الْأَيّامِ ، وَخَصَّ عَشْرَهُ الْأَخيرَ بِمَزيدِ فَضْلٍ وَإِكْرامٍ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ شَهادَةَ مَنْ قالَ رَبِّيَ اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقامَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ مَنْ صَلّىٰ وَصامَ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحابِهِ هُداةِ الْأَنامِ وَمَصابيحِ الظَّلامِ .

أَمّا بَعْدُ فَيا إِخْوانِيَ الْكِرامَ ـ إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ ـ أَنَّ عَشْرَ رَمَضانَ قَدْ يَنْزِلُ بِبَرَكاتِهِ إِلَيْكُمْ ، وَيُشْرِفُ بِفَضْلِهِ وَشَرَفِهِ وَبَرَكَتِهِ عَلَيْكُمْ ، فَتَأَهَّبُوا لِتَلَقّوهُ بِالْعَزْمِ الصّادِقِ عَلَى الْخَيْرِ ، وَاجْعَلُوا هِمَمَكُمْ مَصْرُوفَةً إِلىٰ حِراسَتِهِ لا غَيْرُ ، فَإِنَّهُ عَشْرٌ بِالْبَرَكاتِ الْوافِرَةِ قَدْ حُفَّ . وَبِالْكَرامَةِ الظّاهِرَةِ قَدْ زُفَّ ، فَأَعِدّوا لِقُدُومِهِ عُدَّةً ، وَاسْأَلُوا اللّٰهَ فيهِ التَّوْفيقَ إِلىٰ أَنْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ، وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ التَّفْريطِ وَالْإِهْمالِ ، وَالتَّكاسُلِ فيهِ عَنْ صالِحِ الْأَعْمالِ ، فَهِمَّةُ الصّالِحينَ الْقِراءَةُ وَالْقِيامُ ، وَالْكَفُّ عَنْ فُضُولِ الْكَلامِ ، وَالسَّلامَةُ مِنْ جَميعِ الْآثامِ ، وَالْإِشْتِغالُ بِذِكْرِ الْمَلِكِ الْعَلّامِ ، فَالسَّعيدُ مَنِ اغْتَنَمَ مَوْسِمَ الْعُمْرِ قَبْلَ ذَهابِهِ ، وَحاسَبَ نَفْسَهُ قَبْلَ قِراءَةِ كِتابِهِ ، وَراقَبَ مَوْلاهُ مُراقَبَةَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَراهُ فِي ذَهابِهِ وَإِيابِهْ .

إِنَّ عَشْرَكُمْ هٰذا هُوَ الْعَشْرُ الْأَخيرَةُ ، وَفيهِ الْخَيْراتُ وَالْأُجُورُ الْكَثيرَةُ

تَكْمُلُ فيهِ الفَضائِلُ وَتَتِمُّ المَفاخِرُ، وَيَطَّلِعُ عَلى عِبادِهِ الرَّبُّ العَظِيمُ القادِرُ، وَيُنيلُهُمُ الثَّوابَ الجَزِيلَ وَالحَظَّ الوافِرَ، فيهِ تَزْكُوا الأَعْمالُ، وَتُنالُ الآمالُ. كَيْفَ لا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يَسْهَرُ لَيْلَهُ، وَيُحْيِلُ كُلَّهُ، وَيَقُومُ فيهِ اللَّيْلَ كُلَّهُ.

هٰذا عَشْرٌ تَمْلأُ فيهِ المَساجِدُ، وَيَخْشَعُ فيهِ الراكِعُ وَالساجِدُ، وَيَنْهَضُ إِلَى الخَيْراتِ كُلُّ قاعِدٍ، وَيَصِيرُ الراغِبُ كَالزاهِدِ، فَصَحِّحُوا رَحِمَكُمُ اللهُ فيهِ الفُرُوضَ وَالنَّوافِلَ، وَاحْتَرِسُوا مِنَ الغَفَلاتِ القَواتِلِ، وَتَيَقَّظُوا فيهِ قَبْلَ لِحاقِ الأَواخِرِ بِالأَوائِلِ. وَاعْتَذِرُوا في هٰذِهِ اللَّيالِي وَالأَيّامِ القَلائِلِ، قَبْلَ أَنْ يُرَدَّ اعْتِذارُ العاصِي بِتَكْذِيبِهِ، وَعَظِّمُوا عَشْرَكُمْ فَإِنَّهُ عَظِيمُ الأَمْرِ، وَانْتَظِرُوا فيهِ بِحُسْنِ اليَقَظَةِ لِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَإِنَّها غَرِيبَةٌ غَرِيبَةٌ، وَعَجِيبَةٌ عَجِيبَةٌ، وَإِيّاكُمْ فيهِ وَفُضُولَ النَّظَرِ وَالكَلامِ، وَاجْتَهِدُوا بِالصَّلاةِ وَالقِيامِ، فَإِذا سَلِمَ رَمَضانُ سَلِمَ جَمِيعُ العامِ، عَساهُ يَقِيكُمْ شَرَّ الوُقُوفِ عَلَى الأَقْدامِ، هٰذا ما يَقُولُ لَكُمُ النّاصِحُ وَالسَّلامُ،

أَلا فَشَمِّرُوا عَنْ ساعِدِ الجِدِّ في هٰذا العَشْرِ وَاهْجُرُوا لَذِيذَ المَنامِ، وَاقْتَدُوا بِنَبِيِّكُمْ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَقَدْ كانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخُصُّ العَشْرَ الأَواخِرَ مِنْ رَمَضانَ بِأَعْمالٍ لا يَعْمَلُها في بَقِيَّةِ الشَّهْرِ يَخُصُّهُ بِالإِعْتِكافِ وَالقِيامِ وَالإِغْتِسالِ كُلَّ لَيْلَةٍ بَيْنَ العِشاءَيْنِ وَالتَّنَظُّفِ وَالتَّطَيُّبِ وَإِحْياءِ اللَّيْلِ كُلِّهِ، فَعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالَتْ: «كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ في رَمَضانَ ما لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ وَفي العَشْرِ الأَواخِرِ مِنْهُ ما لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ» رَواهُ مُسْلِمٌ، وَعَنْها أَيْضاً قالَتْ: «كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا دَخَلَ العَشْرُ الأَواخِرُ مِنْ رَمَضانَ أَحْيا اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ» وَرُوِيَ عَنْهُ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَّهُ كَانَ يَخْلِطُ العِشْرِينَ الأَوَّلَ بِصَلاةٍ وَنَوْمٍ فَإِذَا دَخَلَ العَشْرُ لَمْ يَذُقْ غَمْضاً ، وَطَوَى فِرَاشَهُ وَاعْتَزَلَ نِسَاءَهُ وَأَحْيَا اللَّيْلَ كُلَّهُ » وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيقُ الصَّلاةَ » رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ .

فَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي هٰذِهِ اللَّيَالِي المُبَارَكَةِ فِي القِيَامِ وَالقِرَاءَةِ وَالدُّعَاءِ فَهٰذِهِ عَادَةُ السَّلَفِ فِي كُلِّ زَمَانٍ لا سِيَّمَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَلا سِيَّمَا فِي هٰذِهِ العَشْرِ .

أَمَّا الإِعْتِكَافُ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كَانَ يُدَاوِمُ عَلَيْهِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ تَعَالَى ، يَطْلُبُ لَيْلَةَ القَدْرِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَعْتَكِفُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هٰذِهِ العَشْرِ الَّتِي يَطْلُبُ فِيهَا لَيْلَةَ القَدْرِ قَطْعاً لِأَشْغَالِهِ وَتَفَرُّغاً لِبَالِهِ وَتَخَلِّياً لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ وَذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ، وَكَانَ يَحْتَجِزُ حَصِيراً يَتَخَلَّى فِيهَا عَنِ النَّاسِ ، فَلا يُخَالِطُهُمْ وَلا يَشْتَغِلُ بِهِمْ وَلِهٰذَا ذَهَبَ إِمَامُ السُّنَّةِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى أَنَّ المُعْتَكِفَ لا يُسْتَحَبُّ لَهُ مُخَالَطَةُ النَّاسِ حَتَّى وَلا لِتَعْلِيمِ عِلْمٍ وَإِقْرَاءِ قُرْآنٍ بَلِ الأَفْضَلُ لَهُ الإِنْفِرَادُ بِنَفْسِهِ وَالتَّخَلِّي بِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ وَذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ

وَهٰذَا الإِعْتِكَافُ هُوَ الخَلْوَةُ الشَّرْعِيَّةُ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي المَسَاجِدِ ، لِئَلَّا يُتْرَكَ بِهِ الجُمَعُ وَالجَمَاعَاتُ ، فَإِنَّ الخَلْوَةَ القَاطِعَةَ عَنِ الجُمَعِ وَالجَمَاعَاتِ مَنْهِيٌّ عَنْهَا فَقَدْ سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ رَجُلٍ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ وَلا يَشْهَدُ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ فَقَالَ : هُوَ فِي النَّارِ ،فَالخَلْوَةُ المَشْرُوعَةُ لِهٰذِهِ الأُمَّةِ هِيَ الإِعْتِكَافُ فِي المَسَاجِدِ خُصُوصاً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَخُصُوصاً فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْهُ ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَفْعَلُهُ، فَالْمُعْتَكِفُ قَدْ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ وَذِكْرِهِ ، وَقَطَعَ نَفْسَهُ عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ يَشْغَلُهُ عَنْهُ وَعَكَفَ بِقَلْبِهِ وَقَالِبِهِ عَلَى رَبِّهِ ، وَمَا يُقَرِّبُهُ مِنْهُ فَمَا بَقِيَ لَهُ هَمٌّ سِوَى اللهِ وَمَا يُرْضِيهِ عَنْهُ .

وَشُرُوطُ الِاعْتِكَافِ، النِّيَّةُ وَالْإِسْلَامُ وَالْعَقْلُ وَالطَّهَارَةُ مِمَّا يُوجِبُ الْغُسْلَ وَقَدِ اتَّفَقَتِ الْأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّ الِاعْتِكَافَ مَشْرُوعٌ وَأَنَّهُ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَمُسْتَحَبٌّ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَلَكِنَّهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ ، وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْمُعْتَكِفَ يَحْرُمُ عَلَيْهِ النِّسَاءُ مَا دَامَ مُعْتَكِفاً فِي مَسْجِدِهِ ، وَأَنَّهُ لَوْ ذَهَبَ إِلَى مَنْزِلِهِ لِحَاجَةٍ لَابُدَّ لَهُ مِنْهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَلْبَثَ فِيهِ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا يَفْرُغُ مِنْ حَاجَتِهِ تِلْكَ مِنْ قَضَاءِ الْحَاجَةِ وَالْأَكْلِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُبَاشِرَ أَهْلَهُ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُبَاشَرَةِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا » وَلَا يَشْتَغِلُ بِشَيْءٍ سِوَى الِاعْتِكَافِ ، وَلَا يَعُودُ الْمَرِيضَ وَلَكِنْ يَسْأَلُ عَنْهُ وَهُوَ مَارٌّ فِي طَرِيقِهِ .

وَكَانَ الْفُقَهَاءُ الْمُصَنِّفُونَ لِكُتُبِ الْأَحْكَامِ ، يُتْبِعُونَ كِتَابَ الصِّيَامِ بِكِتَابِ الِاعْتِكَافِ ، إِقْتِدَاءً بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّهُ نَبَّهَ عَلَى ذِكْرِ الِاعْتِكَافِ بَعْدَ ذِكْرِ الصَّوْمِ ، وَفِي ذِكْرِهِ تَعَالَى الِاعْتِكَافَ بَعْدَ الصِّيَامِ إِرْشَادٌ وَتَنْبِيهٌ عَلَى الِاعْتِكَافِ فِي الصِّيَامِ ، أَوْ فِي آخِرِ شَهْرِ الصِّيَامِ ، كَمَا ثَبَتَتِ السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ ، رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِنَّ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ،

وَوَرَدَ أَنَّ مَنِ اعْتَكَفَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ،

رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ ، وَفِي الْحَدِيثِ «مَنِ اعْتَكَفَ فُوَاقَ نَاقَةٍ (أَيْ بِقَدْرِ مَا بَيْنَ حَلْبَتَيْنِ) - فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً » وَوَرَدَ (مَنِ اعْتَكَفَ عَشْراً مِنْ رَمَضَانَ كَانَ كَحَجَّتَيْنِ وَعُمْرَتَيْنِ » رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ،،

وَأَقَلُّ الاعْتِكَافِ ، سَاعَةٌ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ ، وَيَوْمٌ وَلَيْلَةٌ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ ، وَمِنْ شُرُوطِهِ عِنْدَهُمَا الصَّوْمُ ، وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى اسْتِحْبَابِ الصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ لِلْمُعْتَكِفِ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلْمُعْتَكِفِ أَنْ يَتَّجِرَ وَلَا يَكْتَسِبَ بِالصَّنْعَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ خُرُوجَ الْمُعْتَكِفِ لِمَا لَابُدَّ مِنْهُ كَقَضَاءِ الْحَاجَةِ وَغُسْلِ الْجَنَابَةِ جَائِزٌ ، وَعَلَى أَنَّهُ إِذَا اعْتَكَفَ بِغَيْرِ مَسْجِدِ الْجَامِعِ وَحَضَرَتِ الْجُمُعَةُ ، وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ لَهَا ، وَعَلَى أَنَّهُ إِذَا بَاشَرَ الْمُعْتَكِفُ فِي الْفَرْجِ عَمْداً بَطَلَ اعْتِكَافُهُ وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَأَمَّا الاغْتِسَالُ ، فَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ يَغْتَسِلُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّى فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ » وَرَوَى ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ « أَنَّهُ قَامَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنْ رَمَضَانَ فَاغْتَسَلَ ﷺ وَبَقِيَتْ فَضْلَةٌ فَاغْتَسَلَ بِهَا حُذَيْفَةُ وَسَتَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ ، كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَغْتَسِلُوا كُلَّ لَيْلَةٍ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ ، وَكَانَ النَّخَعِيُّ ، يَغْتَسِلُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّهُ إِذَا كَانَ لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ اغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ وَلَبِسَ حُلَّةً ، إِزَارٌ وَرِدَاءٌ ، فَإِذَا أَصْبَحَ طَوَاهُمَا ،

وَكَانَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ - وَحُمَيْدٌ الطَّوِيلُ - يَلْبَسَانِ أَحْسَنَ ثِيَابِهِمَا

وَيَتَطَيَّبانِ ، وَيُطَيِّبُونَ الْمَسْجِدَ بِالنُّضُوحِ وَالدُّخْنَةِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُرْجَىٰ فِيها لَيْلَةُ الْقَدْرِ .

وَكانَ لِتَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حُلَّةٌ اِشْتَراها بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَكانَ يَلْبَسُها فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُرْجَىٰ فِيها لَيْلَةُ الْقَدْرِ .

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لا يَكْمُلُ تَزْيِينُ الظَّاهِرِ إِلَّا بِتَزْيِينِ الْباطِنِ بِالتَّوْبَةِ وَالإِنابَةِ إِلَى اللهِ ، وَتَطْهِيرِهِ مِنْ أَدْناسِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّ زِينَةَ الظَّاهِرِ مَعَ خَرابِ الْباطِنِ لا تُغْنِي شَيْئاً ، كَما قِيلَ .

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِياباً مِنَ التُّقَىٰ ... تَقَلَّبَ عُرْياناً وَإِنْ كانَ كاسِياً

وَخَيْرُ خِصالِ الْمَرْءِ طاعَةُ رَبِّهِ ... وَلا خَيْرَ فِيمَنْ كانَ لِلهِ عاصِياً

فَيَنْبَغِي لِلإِنْسانِ أَنْ يُراعِيَ هٰذَا الْفَضْلَ مُدَّةَ عُمْرِهِ ، بَلْ يَنْقُلُ عَلَيْهِ هٰذِهِ اللَّيالِيَ الْمُبارَكَةَ ، الَّتِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطْعاً أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِيها ، كَما ثَبَتَ ذٰلِكَ فِي النُّقُولِ الصَّحِيحَةِ ، وَسَيَأْتِي الْكَلامُ وَالْبَحْثُ عَنْها فِي مَحَلِّها إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَىٰ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ .

الموعظة الحادية والعشرون
في الصلاة وعقوبة تاركها

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي فَرَضَ الصَّلاةَ عَلىٰ عِبادِهِ وَجَعَلَها مِنَ الْإِسْلامِ رُكْناً كَبيراً ، وَأَنْذَرَ تارِكَ الصَّلاةِ بِالْعَذابِ وَأَعَدَّ لَهُ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصيراً ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبيراً بَصيراً ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذي أَرْسَلَهُ بِالْهُدىٰ وَدينِ الْحَقِّ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً ، أَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحابِهِ وَسَلِّمْ تَسْليماً كَثيراً .

أَمّا بَعْدُ فَيا إِخْوانِيَ الْكِرامَ ـ إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ كَتَبَ عَلَى الْمُسْلِمينَ خَمْسَ صَلَواتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، لِيُزَكُّوا بِها نُفُوسَهُمْ ، وَيُطَهِّرُوا قُلُوبَهُمْ ، وَيَكُونُوا مَعَ اللهِ الْعَلِيِّ الْكَبيرِ ، في صِلَةٍ وَذِكْرٍ دائِمَيْنِ باقِيَيْنِ ، وَلا يُدْرِكُ لَذَّةَ هٰذِهِ الصِّلَةِ ، وَيَذُوقُ حَلاوَةَ الْإِيمانِ وَالْعِبادَةِ ، إِلاَّ الْمُتَّقُونَ الْأَبْرارُ ، وَمَنْ أَدَّىٰ هٰذِهِ الصَّلَواتِ ، كانَ لَهُ عَهْدٌ عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّها فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ ، إِنْ شاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شاءَ عَذَّبَهُ ،

وَهِيَ خَمْسٌ فِي الْأَداءِ ، وَخَمْسُونَ فِي الْأَجْرِ وَالْمَثُوبَةِ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثالِها ، وَمَجْمُوعُ رَكَعاتِ الْفَرائِضِ ، سَبْعَ عَشَرَةَ رَكْعَةً ، فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، إِثْنَتانِ فِي الصُّبْحِ ، وَثَلاثٌ فِي الْمَغْرِبِ ، وَأَرْبَعٌ في كُلٍّ مِنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْعِشاءِ ، وَهٰذِهِ الْفَرائِضُ ، هِيَ الَّتي يُثابُ الْمَرْءُ عَلىٰ فِعْلِها ، وَيُعاقَبُ عَلىٰ تَرْكِها ، وَهِيَ الصَّلَواتُ الْمَكْتُوبَةُ الْمَنْصُوصُ عَلَيْها فِي الْقُرْآنِ الْكَريمِ ، قالَ تَعالىٰ ، « فَإِذا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنينَ كِتاباً مَوْقُوتاً »

وَلَيْسَ بِغَرِيبٍ أَنْ نَسْمَعَ الْحُكْمَ عَلَىٰ تَارِكِهَا بِالْكُفْرِ ، أَوِ الْفِسْقِ ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ، وَنَرَاهُ يُسَمِّي تَارِكَ الصَّلاةِ مُجْرِماً وَيَسْلُكُهُ فِي عِدادِ الْمُجْرِمِينَ الْهَابِطِينَ إِلَى الْجَحِيمِ ، قَالَ تَعَالَىٰ : « أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » وَهَا هُوَ الْقُرْآنُ نَفْسُهُ يُفَسِّرُ وَيَصِفُ الْمُجْرِمَ الَّذِي يُقَابِلُ الْمُسْلِمَ ، بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ، فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ، مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ، حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ، فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ » مَعْنَاهُ ـ كُلُّ نَفْسٍ رَهِينَةٌ بِكَسْبِهَا ، مَأْخُوذَةٌ بِعَمَلِهَا إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ، الَّذِينَ فَكُّوا رِقَابَهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ ، كَمَا يَفُكُّ الرَّاهِنُ رَهْنَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ ، الَّذِينَ يَفُوزُونَ بِالْجَنَّاتِ ، وَيَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ، مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ، وَمَا حَبَسَكُمْ فِي النَّارِ ، فَيُجِيبُونَهُمْ ، إِنَّنَا تَكَبَّرْنَا عَلَىٰ رَبِّنَا ، وَلَمْ نُطِعْ أَمْرَهُ فَمَا صَلَّيْنَا ، وَلَا تَصَدَّقْنَا عَلَى الْمِسْكِينِ ، مُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ مُعْتَقِدِينَ أَنَّهَا هِيَ الْمَوْتَةُ الَّتِي لَا بَعْثَ بَعْدَهَا ، حَتَّىٰ أَتَانَا الْمَوْتُ وَنَحْنُ لَاهُونَ ، وَمَنْ كَانَتْ حَالَتُهُمْ هٰذِهِ ، فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ، وَالشَّفَاعَةُ نَافِعَةٌ بَعْدَ الْمَوْتِ لِكُلِّ أَحَدٍ إِلَّا لِهٰؤُلَاءِ .

فَتَرْكُ الصَّلاةِ إِذَنْ ـ يُوجِبُ السُّلُوكَ فِي سَقَرَ ، الَّتِي لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ، لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ، جَزَاءً وِفَاقاً ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ هَدَمَ عَمُودَ دِينِهِ ، وَعَصَىٰ أَمْرَ رَبِّهِ ، وَخَرَجَ عَلَىٰ تَعَالِيمِ نَبِيِّهِ ، الَّذِي ارْتَضَاهُ هَادِياً وَبَشِيراً ، وَسَمِعَ آيَاتِ اللهِ الزَّاجِرَاتِ وَوَعَاهَا ، ثُمَّ أَصَرَّ عَلَى الْعِنَادِ وَالْعِصْيَانِ ، وَاسْتَكْبَرَ عَلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّهِ الْمَنَّانِ ، فَلَيْسَ بِكَثِيرٍ عَلَيْهِ

هٰذَا الْحُكْمُ ، وَلَوْ حَاسَبَ نَفْسَهُ حِسَاباً يَسِيراً ، لَأَيْقَنَ بِأَنَّهُ بِتَرْكِهِ الصَّلَاةَ خَرَجَ مِنْ حَضِيرَةِ الْإِسْلَامِ ، وَلَيْسَ لَهُ حَقُّ الْإِعْتِرَاضِ عَلَىٰ هٰذَا الْحُكْمِ الْعَادِلِ ، بَعْدَ أَنْ سَمِعَ وَصْفَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَبَعْدَ أَنْ يَقْرَأَ مِثْلَ هٰذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الَّذِي يُرْوَىٰ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « عُرَى الْإِسْلَامِ وَقَوَاعِدُ الدِّينِ ثَلَاثَةٌ عَلَيْهِنَّ أُسِّسَ الْإِسْلَامُ ، مَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ فَهُوَ بِهَا كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ ، شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَالصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ » رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ ، ـ وَلٰكِنَّ الشَّيْطَانَ اللَّعِينَ الرَّجِيمَ أَعْمَىٰ بَصَرَ هٰذَا الْمُنْكِرِ الْمُعَانِدِ اللَّئِيمِ ، عَنِ الْحَقِّ وَالطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَأَغْوَاهُ وَقَادَهُ إِلَىٰ نَارِ الْجَحِيمِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ،

قَالَ تَعَالَىٰ : « إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » وَإِنَّ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ قَدْ حَثَّتْ عَلَىٰ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ لِمَا فِيهَا مِنْ أَسْرَارٍ وَحِكَمٍ وَفَوَائِدَ عَظِيمَةٍ ، تَنْفَعُ الْعَبْدَ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ ، كَمَا شَدَّدَتِ الشَّرِيعَةُ النَّكِيرَ عَلَىٰ تَارِكِيهَا حَتَّىٰ حَكَمَتْ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ فَقَالَ : « فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ » إِذَنْ ـ فَإِنْ لَمْ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَلَيْسُوا بِإِخْوَانِنَا فِي الدِّينِ ، وَالْأَحَادِيثُ فِي مَعْنَىٰ هٰذِهِ الْآيَةِ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا ـ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ » وَمِنْهَا ـ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الصَّلاَةَ يَوْماً فَقَالَ : «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُوراً وَبُرْهَاناً وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلاَ بُرْهَانٌ وَلاَ نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ ابْنِ خَلَفٍ» وَهٰؤُلاَءِ رُؤُوسُ الْكُفْرِ وَأَشَدُّ النَّاسِ عَذاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَرَوْنَ شَيْئاً مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاَةِ .

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ» وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» .

وَلِهٰذِهِ الأَحَادِيثِ وَغَيْرِهَا وَلِعِظَمِ الصَّلاَةِ فِي الإِسْلاَمِ فَقَدْ ذَهَبَ قِسْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ إِلَىٰ تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ مُتَعَمِّداً وَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ،

وَتَابَعَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي هٰذَا الرَّأْيِ ، وَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْه ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، وَالْحَكَمُ بْنُ عُتَيْبَةَ ، وَالنَّخَعِيُّ ، وَأَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ ، وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ شَيْبَةَ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَغَيْرُهُمْ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ .

وَذَهَبَ غَيْرُهُمْ إِلَىٰ فِسْقِ تَارِكِ الصَّلاَةِ عَمْداً مِنْ غَيْرِ جُحُودٍ لِفَرْضِيَّتِهَا فَأَوْجَبَ تَعْزِيرَهُ وَحَبْسَهُ إِلَىٰ أَنْ يُصَلِّيَ حَتَّىٰ لاَ يَكُونَ قُدْوَةً سَيِّئَةً لِلنَّاسِ ،

وَأَئِمَّةُ ٱلْمَذَاهِبِ تَذْهَبُ إِلىٰ وُجُوبِ قَتْلِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَوْجَبَ قَتْلَهُ كُفْراً . كَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَابْنِ ٱلْمُبَارَكِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْجَبَهُ حَدّاً . وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ رَحِمَهُمُ اللهُ وَرَضِيَ عَنْهُمْ أَجْمَعِيـــنَ .

أَيُّهَا ٱلإِخْوانُ - هٰكَذا حَكَمَتِ الشَّرِيعَةُ ٱلإِسْلامِيَّةُ عَلىٰ مَنِ انْتَسَبَ إِلَى ٱلإِسْلامِ وَلَمْ يُحَقِّقْ صِدْقَ انْتِسَابِهِ إِلَيْهِ بِالْقِيَامِ بِأَهَمِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِهِ ، وَأَجَلِّ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرائِضِهِ ، أَيْ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ .

وَلَقَدْ كانَ مِنْ أَثَرِ تَرْكِ الصَّلاةِ وَالتَّهاوُنِ بِأُمُورِ الدِّينِ أَنْ فَشَتِ ٱلْفَواحِشُ وَٱلْمُنْكَراتُ وَغَصَّتْ بِالنَّاسِ بُيُوتُ ٱلْفُجُورِ وَمَواخِيرُ ٱلْقِمارِ وَكَثُرَتْ حاناتُ ٱلْخُمُورِ وَتَجاهَرَ النَّاسُ بِشُرْبِها وَبَيْعِها ، وَعَبَدَ النَّــاسُ ٱلْمالَ ، فَلا يُبالُونَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي ، وَإِلىٰ أَيْنَ يَذْهَبُ ، وَقُبِضَتِ ٱلأَيْدِي عَنْ أَعْمالِ ٱلْخَيْرِ ، وَانْبَسَطَتْ فِي أَعْمالِ الشَّرِّ ، وَزالَ التَّعَطُّفُ وَالتَّراحُمُ وَقَلَّتِ الثِّقَةُ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَصَدَقَ فِينا قَوْلُ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالىٰ « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً »

وَمِنْ آثارِ تَرْكِ الصَّلاةِ انْحِلالُ رابِطَةِ الدِّينِ حَتّىٰ زالَ ذٰلِكَ التَّكافُلُ بِالْمَصالِحِ وَالتَّعاوُنُ عَلَى ٱلأَعْمالِ الَّتِي تَحْفَظُ وَحْدَةَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَتَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالنَّفْعِ العَمِيمِ ، وَٱلْخَيْرِ الجَسِيمِ .

وَمِنْ آثارِهِ ، فَقْدُ ٱلأَمْنِ بِٱلْمُدُنِ وَٱلْقُرىٰ حَتّىٰ كَثُرَ ٱلإِعْتِداءُ بِٱلْقَتْلِ وَالسَّرِقَةِ وَكَثُرَ ٱلْغِشُّ فِي ٱلْبَيْعِ وَالشِّراءِ وَتَطْفِيفُ ٱلْمِكْيالِ وَٱلْمِيزانِ وَأَصْبَحَ ٱلإِنْسانُ يَحْتاجُ لِحِفْظِ حُقُوقِهِ إِلىٰ صُكُوكٍ وَعُقُودٍ مُقَيَّدَةٍ بِـإِثْباتاتٍ وَشُهُودٍ وَمُوَقَّعَةٍ مِنْ قِبَلِ جِهاتٍ رَسْمِيَّةٍ وَمَعَ ذٰلِكَ فَكَمْ مِنْها ما أُنْكِرَتْ وَكَمْ مِنْ حُقُوقٍ فِيها هُدِرَتْ وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حافَظُوا عَلَى الصَّلَواتِ فِي

أَوْقاتِها ، وَأَقامُوْها عَلى وَجْهِها كَما أَمَرَ اللهُ، لَانْتَهَوْا عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَاسْتَراحُوْا مِنْ هٰذا الْبَلاءِ وَالشَّقاءِ ، وَعاشُوْا آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ. « وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوْعَظُوْنَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ، وَإِذاً لَآتَيْناهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا ، وَلَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً » وَلٰكِنَّهُمْ أَضاعُوْها فَضاعُوْا ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

الموعظة الثانية والعشرون

في وجوب حضور صلاة الجمعة بعد دخول الوقت وحرمة البيع والشراء حينئذ وبيان فضل الجمعة وآدابها

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ أَشْرَفِ الأَيَّامِ ، فَهُوَ فِي أَيَّامِ الأُسْبُوْعِ كَشَهْرِ رَمَضَانَ فِي شُهُوْرِ العَامِ ، وَجَعَلَهُ مَوْسِمًا لِاغْتِنَامِ الفَضَائِلِ وَعِيداً لِأَهْلِ الإِيْمَانِ وَالإِسْلَامِ ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوْسُ السَّلَامُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ شَفِيعُ الأُمَّةِ إِلَىٰ دارِ السَّلَامِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَرَةِ الأَمْجَادِ الْكِرَامِ ..

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ - إِعْلَمُوْا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ - أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ لِكُلِّ أَهْلِ مِلَّةٍ يَوْماً يَتَفَرَّغُوْنَ فِيهِ لِعِبَادَتِهِ وَالإِغْتِنَامِ ، وَيَتَخَلَّوْنَ فِيهِ عَنِ الإِشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا الزَّائِلَةِ وَفَانِي الْحُطَامِ ،وَيَدَّخِرُوْنَ فِيهِ لِيَوْمِ الْفَاقَاتِ وَالدَّوَاهِي الْعِظَامِ ، وَخَصَّكُمْ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّذِي شَرَّفَهُ وَعَظَّمَ قَدْرَهُ عَلَىٰ سَائِرِ الأَيَّامِ ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ نَبِيِّكُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « أَضَلَّ اللّٰهُ عَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، فَكَانَ لِلْيَهُوْدِ يَوْمُ السَّبْتِ وَلِلنَّصَارىٰ يَوْمُ الأَحَدِ فَجَاءَ اللّٰهُ بِنَا فَهَدَانَا لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ ، فَنَحْنُ الآخِرُوْنَ السَّابِقُوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الإِسْلَامِ النَّاصِعَةِ ، وَهُوَ أَفْضَلُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ،وَهُوَ يَوْمُ عِيدِ الْمُسْلِمِينَ ، فِيهِ يَسْعَوْنَ إِلَىٰ ذِكْرِ اللّٰهِ وَتَمْجِيدِهِ وَيَجْتَمِعُوْنَ فِي بُيُوْتِ اللّٰهِ مُتَجَرِّدِينَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَشَاغِلِهَا ، لِيُصَلُّوا هٰذِهِ الْفَرِيضَةَ الْمُحْكَمَةَ ، وَلِيَسْتَمِعُوْا إِلَىٰ خُطَبِ الْخُطَبَاءِ ، وَإِرْشَادِ الْعُلَمَاءِ

في هٰذَا ٱلإِجْتِمَاعِ ٱلأُسْبُوعِيِّ ٱلعَظِيمِ .

وَصَلاَةُ ٱلجُمُعَةِ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، وَقَدْ صَرَّحَ بِذٰلِكَ ٱلقُرْآنُ ٱلكَرِيمُ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ ٱلجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا ٱلبَيْعَ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » ٱلمَعْنَىٰ – إِذَا حَانَ وَقْتُ صَلاَةِ ٱلجُمُعَةِ ، وَأَذَّنَ ٱلمُؤَذِّنُ يُنَادِيكُمْ لَهَا ، فَوَاجِبٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْعَوْا إِلَيْهَا ، وَحَرَامٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَأَخَّرُوا عَنْهَا بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَلَوْ كُنْتُمْ مَشْغُولِينَ بِعُقُودِ بُيُوعٍ ، لِأَنَّكُمْ إِنْ تَمَادَيْتُمْ عَلَىٰ بُيُوعِكُمْ يُوشِكُ أَنْ تَمْتَدَّ بِكُمُ ٱلمُسَاوَمَاتُ إِلَىٰ أَنْ تَفُوتَ عَلَيْكُمُ ٱلصَّلاَةُ وَإِعْرَاضُكُمْ عَنِ ٱلصَّلاَةِ بِشُغْلِكُمْ بِدُنْيَاكُمْ حَتَّىٰ تَفُوتَ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ لَا شَكَّ فِي ذٰلِكَ « فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلاَةُ » أَيْ إِذَا أُدِّيَتْ صَلاَةُ ٱلجُمُعَةِ وَفَرَغْتُمْ مِنْ عَمَلِهَا « فَانْتَشِرُوا فِي ٱلأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ » أَيْ تَفَرَّقُوا بَعْدَ ٱلفَرَاغِ مِنَ ٱلصَّلاَةِ لِقَضَاءِ مَصَالِحِكُمْ، وَاطْلُبُوا ٱلرِّبْحَ ٱلمُوَصِّلَ إِلَىٰ سَعَادَتِكُمْ كَطَلَبِ عِلْمٍ ، أَوْ عِيَادَةِ مَرِيضٍ أَوْ زِيَارَةِ أَخٍ فِي اللهِ « وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » أَيِ اذْكُرُوهُ كَثِيراً لِأَجْلِ أَنْ تَفُوزُوا بِخَيْرَيِ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ « وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً » فِي ٱلصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ أَقْبَلَتْ عِيرٌ – أَيْ مِنَ ٱلشَّامِ – تَحْمِلُ طَعَاماً فَانْفَلَتُوا إِلَيْهَا حَتَّىٰ مَا بَقِيَ مَعَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً ، فَنَزَلَتْ هٰذِهِ ٱلآيَةُ – وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً – فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ : « وَٱلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ تَتَابَعْتُمْ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ لَسَالَ بِكُمُ ٱلوَادِي نَاراً » وَٱلمُرَادُ بِاللَّهْوِ ٱلطَّبْلُ، وَكَانَ مِنْ

عادَتِهِمْ أَنَّهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ الْعِيرَ بِالطَّبْلِ وَالتَّصْفِيقِ ، - قالَ الْعُلَماءُ - وَالَّذِي سَوَّغَ لَهُمُ الْخُرُوجَ ، وَتَرْكَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ الْخُرُوجَ بَعْدَ تَمامِ الصَّلاةِ جائِزٌ ، لِانْقِضاءِ الْمَقْصُودِ وَهُوَ الصَّلاةُ ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كانَ أَوَّلَ الْإِسْلامِ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ قَبْلَ الْخُطْبَةِ كَالْعِيدَيْنِ ، فَلَمّا وَقَعَتْ هٰذِهِ الْوَقْعَةُ وَنَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ ، قَدَّمَ الْخُطْبَةَ وَأَخَّرَ الصَّلاةَ ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ الْمُهِمَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَماعُ الْخُطْبَةِ كُلِّها . وَلِذا حَرَّمَ اللهُ الْمُبايَعَةَ وَالْإِشْتِغالَ بِمِهْنَةٍ بَعْدَ شُرُوعِ الْأَذانِ لِلْخُطْبَةِ لِأَنَّ الْإِسْلامَ وَهُوَ دِينُ الْفِطْرَةِ يَعْتَبِرُ صَلاةَ الْجُمُعَةِ أَفْضَلَ صَلاةِ الْأُسْبُوعِ وَيَعْتَبِرُ خُطْبَةَ الْجُمُعَةِ شَرْطاً لِصِحَّةِ هٰذِهِ الصَّلاةِ لا تَصِحُّ إِلّا بِها لِما لَها مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ الْكُبْرىٰ فِي نَظَرِ الشَّرْعِ الَّذِي جاءَ لِنَشْرِ تَعالِيمِ الْإِلٰهِ وَتَنْظِيمِ أَمْرِ الْمَعاشِ وَالْمَعادِ - وَفِي الْحَقِيقَةِ جُعِلَتْ لِلْخِطابَةِ مَكانَةُ الصَّلاةِ مِنْ حَيْثُ الْإِحْتِرامِ وَالْإِهْتِمامِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَهْتَمَّ بِها الْحاضِرُونَ اهْتِمامَهُمْ بِالصَّلاةِ . وَلِذا نَرىٰ صَلاةَ الْجُمُعَةِ اخْتُصِرَتْ فَكانَتْ رَكْعَتَيْنِ لِتَقُومَ الْخُطْبَتانِ مَقامَ الرَّكْعَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ « قُلْ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ » قُلْ -- يا أَشْرَفَ الْخَلْقِ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ ما عِنْدَ اللهِ مِنْ ثَوابِ صَلاتِكُمْ ، خَيْرٌ مِنْ لَذَّةِ لَهْوِكُمْ وَفائِدَةِ تِجارَتِكُمْ ، فَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ ، وَاطْلُبُوا الرِّزْقَ مِنْهُ لا مِنْ غَيْرِهِ ، وَامْتَثِلُوا أَمْرَهُ ، وَاسْتَعِينُوا بِطاعَتِهِ عَلىٰ نَيْلِ ما تَرْجُونَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ لا يُنالُ ما عِنْدَهُ إِلّا بِطاعَتِهِ .

وَصَلاةُ الْجُمُعَةِ حَقٌّ واجِبٌ عَلىٰ كُلِّ رَجُلٍ مُسْلِمٍ بالِغٍ حُرٍّ مُقِيمٍ ، وَتَجِبُ عَلىٰ كُلِّ جَماعَةٍ يَسْكُنُونَ وَلَوْ فِي قَرْيَةٍ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْجُمُعَةُ حَقٌّ واجِبٌ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ إِلّا عَلىٰ أَرْبَعَةٍ

عَبْدٌ مملوكٌ أَوِ امْرَأَةٌ أَوْ صَبِيٌّ أَوْ مَرِيضٌ » رَواهُ أَبُو داوُدَ ، وَقالَ، أَيْضاً « مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَعَلَيْهِ الْجُمُعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، إِلَّا مَرِيضاً أَوْ مُسافِراً أَوِ امْرَأَةً أَوْ صَبِيّاً أَوْ مَمْلُوكاً ، فَمَنِ اسْتَغْنَى بِلَهْوٍ أَوْ تِجارَةٍ اسْتَغْنَى اللهُ عَنْهُ وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » رَواهُ الدارَقُطْنِيُّ ، وَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْمٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ : « لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ » رَواهُ مُسْلِمٌ.وَقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَعْوادِ مِنْبَرِهِ « لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغافِلِينَ » رَواهُ مُسْلِمٌ ، وَقالَ أَيْضاً : « مَنْ تَرَكَ ثَلاثَ جُمَعٍ تَهاوُناً بِها طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ » رَواهُ أَبُو داوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُما .

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحادِيثُ كَثِيرَةٌ في فَضْلِ الْجُمُعَةِ وَآدابِها ، كُلُّ ذٰلِكَ تَعْظِيماً لِشَأْنِها ، وَاهْتِماماً بِأَمْرِها ، وَإِلَيْكُمْ بَعْضاً مِنْها ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْها ، وَلا تَقُومُ السّاعَةُ إِلَّا في يَوْمِ الْجُمُعَةِ »رَواهُ مُسْلِمٌ ، وَقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ في الْجُمُعَةِ لَساعَةً لا يُوافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْراً إِلَّا أَعْطاهُ إِيّاهُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ في شَأْنِ ساعَةِ الْجُمُعَةِ : « هِيَ ما بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلاةُ » فَاحْرِصْ أَيُّها الْمُؤْمِنُ عَلَى هٰذِهِ السّاعَةِ ، وَاطْلُبْ مِنَ اللهِ التَّوْفِيقَ وَالإِعانَةَ، فَقَدْ قالَ تَعالَى . « ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» وَمِمّا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ في يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، هُوَ أَنْ لا يَشْغَلَ نَفْسَهُ

عَنْها بِتِجارَةٍ أَوْ غَيْرِها ، بَلْ يَشْتَغِلَ بِما هُوَ مِنْ شُؤُوْنِهـا ، كَالْغُسْلِ وَتَقْليمِ الْأَظافِرِ وَتَنْظيفِ الْجَسَدِ مِنَ الرَّوائِحِ الْكَريهَةِ ، وَالتَّطَيُّبِ بِأَحْسَنِ الطِّيبِ وَالتَّزَيُّنِ بِأَجْمَلِ الثِّيابِ، وَأَفْضَلُها الْبَيْضاءُ - وَالتَّبْكيرِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَالْمَشْيِ إِلَيْها بِسُكُوْنٍ وَتَأَدُّبٍ ، رَوَى الْبُخارِيُّ وَأَبُـو داوُدَ وَاللَّفْظُ لَهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ قـالَ : « مَنِ اغْتَسَلَ يَـوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَبِسَ أَحْسَـنَ ثِيابِـهِ ، وَمَسَّ مِنْ طيبٍ إِنْ كـانَ عِنْـدَهُ ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ ، فَلَمْ يَتَخَطَّ أَعْناقَ النّاسِ ، ثُمَّ صَلَّى ما كَتَبَ اللهُ لَهُ ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذا خَرَجَ إِمامُهُ حَتّى يَفْرُغَ مِنْ صَلاتِهِ كانَتْ كَفّارَةً لِما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتي تَليها » وَرَوَى الشَّيْخانِ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ جَنابَةٍ (أَيْ كَغُسْلِها) ثُمَّ راحَ فِي السّاعَةِ الْأُوْلَى ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً وَمَنْ راحَ فِي السّاعَةِ الثّانِيَةِ فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ راحَ فِي السّاعَةِ الثّالِثَةِ فَكَأَنَّما قَرَّبَ كَبْشـاً أَقْرَنَ ، وَمَنْ راحَ فِي السـاعَةِ الرّابِعَةِ ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ دَجاجَةً ، وَمَنْ راحَ فِي السّاعَةِ الْخامِسَةِ ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَيْضَةً فَإِذا خَرَجَ الْإِمامُ حَضَرَتِ الْمَلائِكَةُ يَسْتَمِعُوْنَ الذِّكْرَ » وَفي رِوايَةٍ أُخْرَى : « إِذا كانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلائِكَةُ عَلَى بابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُوْنَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ ، فَإِذا جَلَسَ الْإِمامُ طَوَوُا الصُّحُفَ ، وَجاؤُوا يَسْتَمِعُوْنَ الذِّكْرَ »

وَيُسْتَحَبُّ فيهِ الْإِكْثارُ مِنَ الصَّلاةِ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ قِراءَةِ سُوْرَةِ الْكَهْفِ ، قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضاءَتْ لَهُ النُّوْرَ ما بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ » وَفي رِوايَةٍ : « أَضاءَ لَهُ نُوْرٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ إِلَى عَنانِ السَّماءِ » .

وَيَنْبَغي لِمَنْ ذَهَبَ إِلىٰ صَلاةِ الْجُمُعَةِ مُتَأَخِراً ، أَنْ لا يَتَخَطَّ رِقابَ النّاسِ بَلْ أَيْنَما وَجَدَ سَعَةً جَلَسَ فيها ، لِلنَّهْيِ عَنْ ذٰلِكَ . قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَخَطّىٰ رِقابَ النّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ اتَّخَذَ جِسْراً إِلىٰ جَهَنَّمَ » وَقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ رَآهُ يَتَخَطّى الرِّقابَ : « إِجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ وَآنَيْتَ » أَيْ إِنَّكَ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلىٰ إِساءَتِكَ بِتَأَخُّرِكَ في هٰذَا الْيَوْمِ الَّذي يَنْبَغي فيهِ التَّبْكيرُ ، بَلْ أَضَفْتَ إِلىٰ ذٰلِكَ إِساءَتَكَ لِلنّاسِ بِالتَّخَطّي عَلىٰ أَعْناقِهِمْ ، وَهٰذا لا يَليقُ بِالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ الْحَريصِ عَلَى الْخَيْرِ ، كَما لا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ في وَقْتِ الْخُطْبَةِ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً ، وَالَّذي يَقُولُ لَهُ أَنْصِتْ لَيْسَتْ لَهُ جُمُعَةٌ » رَواهُ الْإِمامُ أَحْمَدُ ، وَقالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ ، غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ ، وَزِيادَةُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصىٰ فَقَدْ لَغا » نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَنا إِلىٰ ما فيهِ الْخَيْرُ وَالصَّلاحُ إِنَّهُ جَوادٌ كَريمٌ .

الموعظة الثالثة والعشرون

في فضل صلاة الجماعة وعقوبة تاركها عند القدرة

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ الصَّلَاةَ رَأْسَ الْعِبَادَاتِ ، وَفَضَّلَ جَمَاعَتَهَا عَلَىٰ سَائِرِ الْجَمَاعَاتِ ، وَأَفَاضَ عَلَىٰ صُفُوفِهَا أَنْوَارَ التَّجَلِّيَاتِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ السَّادَاتِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ النُّجُومِ الْهُدَاةِ ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ - إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ - أَنَّ مِمَّا شَرَعَهُ الْإِسْلَامُ أَدَاءَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ جَمَاعَةً فِي الْمَسَاجِدِ ، لِمَنَافِعَ كَثِيرَةٍ ، وَمَزَايَا جَمَّةٍ ، وَفَوَائِدَ عَظِيمَةٍ ، وَحِكَمٍ وَأَسْرَارٍ عَالِيَةٍ ، ذٰلِكَ أَنَّ الْقِيَامَ بِهَا تَأْلِيفٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَمْعٌ لِقُلُوبِهِمْ فِي أَكْبَرِ عِبَادَةٍ ، مُطَهِّرَةٍ لِلْقُلُوبِ مُهَذِّبَةٍ لِلنُّفُوسِ ، مُرَقِّيَةٍ لِلشُّعُورِ ، مُنَمِّيَةٍ لِلْمَحَبَّةِ بَيْنَ الْمُصَلِّينَ مُوَصِّلَةٍ إِلَىٰ رَجَاءِ الثَّوَابِ وَتَعَلُّقِ الْآمَالِ ، بِاللّٰهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ،

وَفِيهَا يَقِفُ الْأَمِيرُ بِجَانِبِ الْحَقِيرِ ، وَالْغَنِيُّ بِجَانِبِ الْفَقِيرِ ، وَالْكَبِيرُ بِجَانِبِ الصَّغِيرِ ، فَتَسَاوَى الرُّؤُوسُ كَمَا تَسَاوَتِ الْأَقْدَامُ فِي الصُّفُوفِ ، كُلٌّ يُنَاجِي رَبَّهُ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْهِدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ وَالْإِعَانَةَ فَإِذَا شَاهَدَ الْغَنِيُّ أَوِ الْعَظِيمُ ذٰلِكَ ، احْتَقَرَ نَفْسَهُ ، وَقَلَّتْ دَعْوَاهُ ، وَعَظُمَ ابْتِهَالُهُ وَتَذَلُّلُهُ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ رَبَّاهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ وَذٰلِكَ الْفَقِيرُ عَبِيدٌ لِلّٰهِ ، إِنْ شَاءَ رَحِمَهُمْ بِفَضْلِهِ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ بِعَدْلِهِ ،

وَفِيهَا يَتَعَلَّمُونَ مِنَ الْإِمَامِ (الدِّينَ) بِطَرِيقٍ عَمَلِيٍّ أَوْ نَظَرِيٍّ بِمَا يُتْحِفُهُمْ بِهِ مِنَ النَّصَائِحِ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ ، فَتَعْلُوا مَدَارِكُهُمْ ، وَتَتَوَسَّعُ مَعَارِفُهُمْ .

وَفِي صَلاةِ الجَماعَةِ أَيضاً حَرَكَةٌ بِالسَّعْيِ إِلَى المَساجِدِ ، فَيَزُولُ الكَسَلُ وَيَحْلُو العَمَلُ ، وَفِيها سُهُولَةُ إِعْلامِ النّاسِ بِالأُمُورِ العامَّةِ ، وَالحَوادِثِ المُهِمَّةِ ، إِلىٰ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ مَزاياها ، وَبِالجُمْلَةِ فَهِيَ مُؤْتَمَرٌ مِنْ مُؤْتَمَراتِ المُسْلِمِينَ النّافِعَةِ المُتَكَرِّرَةِ خَمْسَ مَرّاتٍ في اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، لِيَتَداوَلَ المُسْلِمُونَ فِيها أُمُورَهُمْ ، وَما يَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالنَّفْعِ العَمِيمِ ، وَالخَيْرِ الجَسِيمِ .

وَفِي فَضْلِ صَلاةِ الجَماعَةِ وَرَدَتْ أَحادِيثُ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ ، وَإِلَيْكُمْ بَعْضاً مِنْها ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « صَلاةُ الجَماعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاةِ الفَذِّ (أَي المُنْفَرِدِ) بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَلاةُ الرَّجُلِ في جَماعَةٍ تُضَعَّفُ عَلىٰ صَلاتِهِ في بَيْتِهِ وَفي سُوقِهِ خَمْساً وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ إِذا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلّا الصَّلاةُ ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلّا رُفِعَتْ لَهُ بِها دَرَجَةٌ ، وَحُطَّتْ عَنْهُ بِها خَطِيئَةٌ ، فَإِذا صَلّىٰ لَمْ تَزَلِ المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ ما دامَ في مُصَلّاهُ مالَمْ يُحْدِثْ تَقُولُ : اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ ، اللّٰهُمَّ ارْحَمْهُ وَلا يَزالُ في صَلاةٍ ما انْتَظَرَ الصَّلاةَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما مِنْ ثَلاثَةٍ في قَرْيَةٍ وَلا بَدْوٍ وَلا تُقامُ فِيهِمُ الصَّلاةُ ، إِلّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ ، فَعَلَيْكُمْ بِالجَماعَةِ ، فَإِنَّما يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القاصِيَةِ » رَواهُ أَبُو داوُدَ بِإِسْنادٍ حَسَنٍ . القاصِيَةُ . المُبْتَعِدَةُ .

وَعَنْ مُعاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اَلْجفاءُ كُلُّ الْجفاءِ وَالْكفْرُ وَالنِفاقُ ، مَنْ سَمِعَ مُنادِيَ اللهِ يُنادي إِلَى الصَّلاةِ فَلا يُجيبُهُ » رَواهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرانِيُّ

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْمُؤَذِّنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ يارَسُولَ اللهِ : إِنَّ الْمَدينَةَ كَثيرَةُ الْهَوامِّ وَالسِّباعِ ، وَأَنا ضَريرُ الْبَصَرِ ، شاسِعُ الدارِ (أَي بَعيدُ الدارِ) وَلِي قائِدٌ لا يُلائِمُني (أَيْ لا يُوافِقُني) فَهَلْ لِي رُخْصَةٌ أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي ، فَقالَ : « هَلْ تَسْمَعُ النِداءَ » قالَ نَعَمْ ، قالَ : « فَأَجِبْ فَإِنِّي لا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً » رَواهُ أَبُو داوُدَ بِإِسْنادٍ حَسَنٍ .

أَيُّها الإِخْوانُ ـ هٰذا رَجُلٌ ضَريرُ الْبَصَرِ ، شَكَى ما يَجِدُ مَعَهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي مَجيئِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَلَيْسَ لَهُ قائِدٌ يَقُودُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَمَعَ هٰذا فَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ ، النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ صَحِيحَ الْبَصَرِ سَليماً لا عُذْرَ لَهُ ، ـ وَلِهٰذا لَمَّا سُئِلَ ابْنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما عَنْ رَجُلٍ يَقُومُ اللَّيْلَ ، وَيَصُومُ النَّهارَ ، وَلا يَشْهَدُ الْجَماعَةَ وَلا الْجُمُعَةَ ، فَقالَ : إِنْ ماتَ هٰذا فَهُوَ فِي النّارِ » رَواهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَأَخْرَجَ الْحاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ أَيْضاً قالَ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلاثَةٌ لَعَنَهُمُ اللهُ ، مَنْ تَقَدَّمَ قَوْماً وَهُمْ لَهُ كارِهُونَ ، وَامْرَأَةٌ باتَتْ وَزَوْجُها عَلَيْها ساخِطٌ ، وَرَجُلٌ سَمِعَ حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلاحِ ، ثُمَّ لَمْ يُجِبْ » وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَداً مُسْلِماً ، (يَعْنِي يَوْمَ الْقِيامَةِ) فَلْيُحافِظْ عَلَى هٰؤُلاءِ الصَّلَواتِ الْخَمْسِ ، حَيْثُ يُنادى بِهِنَّ فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدى ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَما يُصَلِّي هٰذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ

وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ ، أَوْ مَرِيضٌ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَىٰ بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ يُهَادِي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّىٰ يُقَامَ فِي الصَّفِّ، يَعْنِي مَرِيضاً لاَ يُمْكِنُهُ الْمَشْيُ وَحْدَهُ فَيَتَوَكَّأُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ حَتَّىٰ يَجِيءَ إِلَى الْمَسْجِدِ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ،

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ مِنْ مَجْمُوعِ هٰذِهِ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ ، تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ أَمْرَ الْجَمَاعَةِ أَكِيدٌ ، وَأَنَّ تَارِكَهَا مُعْرِضٌ عَنْ هَدْيِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُؤَكِّدُ ذٰلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيّاً ، يَصِيحُونَ عَلَىٰ بَابِ الْمَسْجِدِ ، أَلاَ إِنَّ أَرْبَعِينَ دَاراً جَارٌ — أَيْ مِنْ جَوَانِبِ كُلِّ مَسْجِدٍ — فَإِذَا نَظَرْتُمْ إِلَىٰ هٰذَا مَعَ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لاَ صَلاَةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلاَّ فِي الْمَسْجِدِ» عَلِمْتُمْ أَنَّ غَيْرَ الْجَارِ قَلِيلٌ ، وَلاَ سِيَّمَا مَعَ كَثْرَةِ وُجُودِ الْمَسَاجِدِ ، فَعَلَيْكُمْ بِالْحَزْمِ وَمُرَاعَاةِ الْخِلاَفِ ،

وَتَأَمَّلُوا مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ، وَمَا قَالَهُ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ عَنْ صَلاَةِ الْجَمَاعَةِ ، وَمَا أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النَّاسَ ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَىٰ رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقاً سَمِيناً أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ»

فَالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُقْسِمُ بِمَنْ نَفْسُهُ بِيَدِهِ وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ وَعَزَمَ وَصَمَّمَ ، أَنْ يَأْمُرَ بَعْضَ النَّاسِ بِإِحْضَارِ حَطَبٍ يُحْطَمُ وَيُكْسَرُ لِيَسْهُلَ اشْتِعَالُ النَّارِ فِيهِ ، ثُمَّ يَأْمُرَ بِالصَّلاَةِ يُؤَذِّنُ بِهَا الْمُؤَذِّنُ ، ثُمَّ يَتَخَيَّرَ بَيْنَ الْحَاضِرِينَ رَجُلاً يَؤُمُّ النَّاسَ

فِي الصَّلاةِ نِيابَةً عَنْهُ ، وَيَتَخَلَّفَ هُوَ أي الرَّسُولُ إِلىٰ رِجالٍ فِي مَنازِلِهِمْ قَعَدُوا عَنْ صَلاةِ الْجَماعَةِ وَتَرَكُوها بِلا عُذْرٍ ، فَيُحَرِّق عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ ، بِالْحَطَبِ الَّذي حُطِبَ ، فَيَذْهَبَ الْحَرِيقُ بِنُفُوسِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ عِقاباً لَهُمْ عَلىٰ تَرْكِ هٰذِهِ الشَّعِيرَةِ ،

ثُمَّ أَعادَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَسَمَ تَأْكِيداً وَتَثْبِيتاً وَقالَ : لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُ هٰؤُلاءِ الْمُتَخَلِّفِينَ ، أَنَّ فِي الذَّهابِ إِلىَ الْمَسْجِدِ شَيْئاً حَقِيراً مِنْ مَتاعِ هٰذِهِ الْحَياةِ يَأْكُلُهُ أَوْ يَنْتَفِعُ بِهِ ، لَحَضَرَ صَلاةَ الْعِشاءِ ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَثْقَلِ الصَّلَواتِ عَلىٰ ضُعَفاءِ النُّفُوسِ ، لِظَلامِ الطَّرِيقِ ، وَاقْتِرابِ مَوْعِدِ النَّوْمِ ، وَالْمَيْلِ فِيهِ إِلىَ الرّاحَةِ مِنْ عَناءِ الأَعْمالِ طَوالَ النَّهارِ ، وَقَدْ مَثَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّيْءَ الْحَقِيرَ بِظِلْفِ شاةٍ ، أَوْ بِعَظْمٍ بِهِ بَقايا لَحْمٍ ، أَوْ بِلُحَيْمَةٍ ، وَبِسَهْمَيْنِ دَقِيقَيْنِ حَسَنَيْنِ يَتَعَلَّمُ بِهِمَا الصِّبْيانُ الرِّمايَةَ ، وَقِيمَتُهُما ضَئِيلَةٌ ، يَعْنِي بِذٰلِكَ الرَّسُولُ أَنَّ هٰذا الْمُتَخَلِّفَ لَوْ وَجَدَ فِي الْحُضُورِ إِلىَ الْمَساجِدِ مَنْفَعَةً دُنْيَوِيَّةً يَسِيرَةً لَهَرْوَلَ إِلَيْها ، فَهُوَ ضَعِيفُ الإِيمانِ ، غافِلٌ عَنْ مَزايا الْجَماعَةِ ، مُؤْثِرٌ لِعَرَضِ هٰذِهِ الْحَياةِ عَلىٰ ما عِنْدَ اللهِ ،

وَالْحَدِيثُ كَما تَسْمَعُونَ فِيهِ وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِتارِكي صَلاةِ الْجَماعَةِ وَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ هَمَّ بِقَتْلِهِمْ وَتَحْرِيقِ بُيُوتِهِمْ ، وَلَعَلَّهُ مَنَعَهُ مِنَ التَّنْفِيذِ ، أَنَّ غَرَضَهُ مُجَرَّدُ التَّهْدِيدِ ، أَوْ نِساءٌ وَصِبْيانٌ يَسْكُنُونَ بُيُوتَهُمْ لا ذَنْبَ لَهُمْ وَلا جَرِيمَةَ .

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَيْها ، وَأَنْ لاَ يُفَوِّتَها إِلاّ لِعُذْرٍ شَرْعِيٍّ كَمَرَضٍ وَنَحْوِهِ حَتىٰ يَكُونَ فِي عِدادِ مَنْ قالَ اللهُ فِيهِمْ : « رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ

فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ، لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ »

الموعظة الرابعة والعشرون

في وجوب إخراج الزكاة وفضلها وعقوبة مانعيها

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَرَضَ الزَّكَاةَ وَأَوْجَبَهَا عَلَىٰ مَنْ كَانَ غَنِيّاً مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَعَلَهَا جُزْءاً قَلِيلاً وَمَبْلَغاً يَسِيراً تَسْهِيلاً عَلَى الْمُوسِرِينَ. وَتَطْهِيراً لِلْأَمْوَالِ وَرِفْقاً بِالضُّعَفَاءِ وَمُوَاسَاةً لِلْفُقَرَاءِ وَمُسَاعَدَةً لِلْمَسَاكِينِ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ جَاءَنَا بِالنُّورِ الْمُبِينِ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ - إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ - أَنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كَمَا فَرَضَ الصَّلَاةَ وَأَوْجَبَهَا عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُسْلِمِينَ، فَرَضَ الزَّكَاةَ وَأَوْجَبَهَا فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ الْمُوسِرِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» فَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ أُخْتَانِ وَمُنْكِرُهُمَا كَافِرٌ، لِأَنَّهُمَا مَعْلُومَتَانِ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، وَقَدْ أَمَرَ اللّٰهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَخْذِ الزَّكَاةِ مِنْ أَمْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ قَائِلاً: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا» أَيْ خُذْ مِنْ أَمْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، صَدَقَةً مُعَيَّنَةً، تُطَهِّرُهُمْ بِهَا مِنْ دَنَسِ الْبُخْلِ وَالشُّحِّ وَالطَّمَعِ وَالدَّنَاءَةِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الرَّذَائِلِ، وَتُزَكِّي أَنْفُسَهُمْ بِهَا، فَتَرْفَعُهَا إِلَى الْفَضَائِلِ الْخُلُقِيَّةِ، حَتَّىٰ يَكُونُوا أَهْلاً لِلسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، فَالزَّكَاةُ وَإِنْ كَانَتْ عِبَادَةً مَالِيَّةً، إِلَّا أَنَّهَا مَعَ ذٰلِكَ عِبَادَةٌ رُوحِيَّةٌ، وَهِيَ إِحْدَىٰ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، فُرِضَتْ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَفِي وُجُوبِ إِخْرَاجِهَا، وَعُقُوبَةِ مَانِعِيهَا، وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، صَحِيحَةٌ مَشْهُورَةٌ، وَإِلَيْكُمْ بَعْضاً مِنْهَا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بُنِيَ الإِسْلامُ عَلى خَمْسٍ ، شَهادَةِ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَإِقامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتاءِ الزَّكاةِ ، وَحَجِّ البَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضانَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَعَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ ، فَإِذا فَعَلُوا ذٰلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسابُهُمْ عَلَى اللهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ،

وَعَنْ جُدَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ « بايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلى إِقامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتاءِ الزَّكاةِ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلاً قالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ قالَ : « تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ ، وَتُؤتِي الزَّكاةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ،

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ مالٍ وَإِنْ كانَ تَحْتَ سَبْعِ أَرَضِينَ تُؤَدَّى زَكاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ ، وَكُلُّ مالٍ لا تُؤَدَّى زَكاتُهُ وَإِنْ كانَ ظاهِراً فَهُوَ كَنْزٌ » رَواهُ الطَّبَرانِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَعَنْ جابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَجُلٌ يارَسُولَ اللهِ : أَرَأَيْتَ إِنْ أَدَّى الرَّجُلُ زَكاةَ مالِهِ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَدَّى زَكاةَ مالِهِ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ » رَواهُ الطَّبَرانِيُّ فِي الأَوْسَطِ وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ ،

وَعَنِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ ، قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَصِّنُوْا أَمْوالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَداوُوْا مَرْضاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوْا أَمْواجَ الْبَلاءِ بِالدُّعاءِ وَالتَّضَرُّعِ » رَواهُ أَبُو داودَ وَالطَّبَرانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ ،

وَمَنِ امْتَنَعَ عَنْ أَدائِها ، قاتَلَهُ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذٰلِكَ مارَواهُ الْبُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ « لَمّا تُوُفِّيَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكانَ أَبُوبَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ ، فَقالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : كَيْفَ تُقاتِلُ النّاسَ وَقَدْ قالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النّاسَ حَتّى يَقُوْلُوْا لا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، فَمَنْ قالَها فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسابُهُ عَلَى اللهِ ، - فَقالَ : وَاللهِ لَأُقاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكاةِ فَإِنَّ الزَّكاةَ حَقُّ المالِ ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُوْنِي عِقالاً ، كانُوْا يُؤَدُّوْنَهُ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ ، قالَ عُمَرُ : فَوَاللهِ ما هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتالِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ »

فَهٰذِهِ الأَحادِيثُ أَيُّهَا الإِخْوانُ كُلُّها دالَّةٌ عَلَى وُجُوبِ الزَّكاةِ وَفَضْلِ إِخْراجِها وَما سَمِعْتُمُوْها قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ ، فَبادِرُوْا بِإِخْراجِ الزَّكاةِ ، وَلا تُضَيِّعُوْا حَقَّ اللهِ ، وَاعْمَلُوْا بِكِتابِهِ وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ ،

وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الأَغْنِياءُ أَنَّ مَنْ لَمْ يُزَكِّ مالَهُ مَعَ اعْتِقادِ وُجُوبِها يُعَذَّبُ بِها يَوْمَ القِيامَةِ وَلا بُدَّ مَعَ أَنَّهُ تُمْحَقُ مِنْهُ الخَيْرُ وَالبَرَكَةُ فِي الدُّنْيا ، كَيْفَ لا وَقَدْ صَرَّحَ بِذٰلِكَ القُرْآنُ المُبِينُ ، وَسُنَّةُ سَيِّدِ الأَنْبِياءِ وَالمُرْسَلِينَ ،

قالَ تَعالَى : « وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُوْنَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً

لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ » وَقَالَ : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هٰذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » وَقالَ : « وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ » سَمّاهُمُ الْمُشْرِكِينَ.

وَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ آتاهُ اللهُ مالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ شُجاعاً أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتانِ (نُقْطَتانِ سَوْداوانِ فَوْقَ عَيْنَيْهِ) يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَيَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ (أَيْ شِدْقَيْهِ) ثُمَّ يَقُولُ : أَنا مالُكَ ، أَنا كَنْزُكَ ، ثُمَّ تَلا هٰذِهِ الْآيَةَ : وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما مِنْ صاحِبِ ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْها حَقَّها ، إِلَّا إِذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفائِحُ مِنْ نارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِها جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّما بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمّا إِلَى النّارِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ،

وَقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما مِنْ صاحِبِ إِبِلٍ لا يَفْعَلُ فِيها حَقَّها - إِلَّا جاءَتْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَكْثَرَ ما كانَتْ وَقُعِدَ لَها بِقاعٍ (الْمَكانِ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ الْواسِعِ) قَرْقَرٍ (الْأَمْلَسِ) تَسْتَنُّ عَلَيْهِ بِقَوائِمِها وَأَخْفافِها ، وَلا صاحِبِ بَقَرٍ لا يَفْعَلُ فِيها حَقَّها إِلَّا جاءَتْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَوْفَرَ ما كانَتْ ، وَقُعِدَ لَها بِقاعٍ قَرْقَرٍ ، فَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِها ، وَتَطَؤُهُ

بِأَظْلافِها ، لَيْسَ فِيها جَمّاءُ . وَلا مُنْكَسِرٌ قَرْنُها ، وَلا صاحِبِ كَنْزٍ لا يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلّا جاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ شُجاعاً أَقْرَعَ ، يَتْبَعُهُ فاتِحاً فاهُ ، فَإِذا أَتاهُ فَرَّ مِنْهُ ، فَيُنادِيهِ ، خُذْ كَنْزَكَ الَّذِي خَبَأْتَهُ فَأَنا عَنْهُ غَنِيٌّ فَإِذا رَأى أَنْ لابُدَّ لَهُ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَيَقْضَمُها قَضْمَ الْفَحْلِ » رَواهُ مُسْلِمٌ ،

وَقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَيْلٌ لِلأَغْنِياءِ مِنَ الْفُقَراءِ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَقُولُونَ رَبَّنا ظَلَمُونا حُقُوقَنا الَّتِي فَرَضْتَ لَنا عَلَيْهِمْ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلالِي لَأُدْنِيَنَّكُمْ وَلَأُبْعِدَنَّهُمْ ، ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » رَواهُ الطَّبَرانِيُّ فِي الأَوْسَطِ وَالصَّغِيرِ ، وَالآياتُ وَالأَحادِيثُ فِي ذا الْبابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ مَشْهُورَةٌ ، وَالْعاقِلُ تَكْفِيهِ الإِشارَةُ ، قالَ اللهُ تَعالَى :

« فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها »

أَلا فاعْمَلُوا بِالْكِتابِ وَالسُّنَّةِ ، وَكُونُوا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، وَأَدُّوا زَكاةَ أَمْوالِكُمْ ، وَأَخْرِجُوها طَيِّبَةً بِها نُفُوسُكُمْ ، مُنْشَرِحَةً لَها صُدُورُكُمْ ، فَهِيَ حَقٌّ أَوْجَبَهُ اللهُ لِلْفُقَراءِ عَلَيْكُمْ ، لا تُفَكِّرُوا أَبَداً أَنَّها مِنْحَةٌ تَتَكَرَّمُونَ بِها عَلَيْهِمْ ، إِنْ شِئْتُمْ تَمْنَحُونَهُمْ إِيّاها ، وَإِنْ شِئْتُمْ تَحْجُزُونَها دُونَهُمْ ، إِيّاكُمْ أَيُّها الأَغْنِياءُ أَن تَظُنُّوا حِينَ تُؤَدُّونَ الزَّكاةَ لِأَرْبابِها ، أَنَّكُمْ تَتَفَضَّلُونَ بِها عَلَيْهِمْ ، بَلْ هِيَ حَقٌّ شَرْعِيٌّ لَهُمْ ، إِعْتَقِدُوا مِنْ صَمِيمِ قُلُوبِكُمْ ، أَنَّها حَق ، وَأَنَّها مِنْ مَصالِحِكُمْ ، وَصالِحِ مُجْتَمَعِكُمْ ، إِنَّها دَيْنٌ لَهُمْ فِي ذِمَّتِكُمْ ، إِنَّها حُكْمُ اللهِ ، فَلا تَتَهاوَنُوا فِي تَنْفِيذِهِ وَلا تُسَوِّفُوا ، وَلا تَسْلُكُوا الطُّرُقَ الْمُلْتَوِيَةَ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ أَدائِها وَلا تَحْتالُوا ، فَكُلُّ حِيلَةٍ تَسْتَعْمِلُونَها تُضَيِّعُ حَقّاً مِنْ حُقُوقِ اللهِ ، أَوْ

مِنْ حُقُوقِ عِبادِهِ ، أَوْ تُبِيحُ ما حَرَّمَ اللهُ ، أَوْ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ ، فَهِيَ حِيلَةٌ شَيْطانِيَّةٌ ، وَيُجازِيكُمُ اللهُ عَلَيْها أَشَدَّ الْجَزاءِ ،

الموعظة الخامسة والعشرون

في الحج إلى بيت الله الحرام

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي سَهَّلَ لِعِبَادِهِ الطَّرِيقَ إِلىٰ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، وَشَرَعَ الْحَجَّ تَذْكِيراً لَهُمْ بِمَا هُمْ لَا قُوَّةَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الزِّحَامِ ، وَجَعَلَ ذٰلِكَ لِمَنْ أَخْلَصَ مِنْهُمْ وَسِيلَةً لِمَحْوِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الْعَلَّامُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَفِيُّ الْأَنَامِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَرَةِ الْكِرَامِ ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ – إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ – أَنَّ الْحَجَّ إِلىٰ بَيْتِ اللّٰهِ الْحَرَامِ . أَحَدُ مَبَانِي الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ فَرْضٌ لَازِمٌ مَحْتُومٌ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ مُسْتَطِيعٍ فِي الْعُمُرِ مَرَّةً ، وَكَذٰلِكَ الْعُمْرَةُ ، قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ : « وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » وَقَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ لِخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ، وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللّٰهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ »

وَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلىٰ خَمْسٍ ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّٰهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ مَلَكَ زَاداً وَرَاحِلَةً وَلَمْ يَحُجَّ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ إِنْ شَاءَ يَهُودِيّاً وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيّاً » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَفِي هٰذَا نِهَايَةُ

التَّشْدِيدِ عَلَىٰ مَنْ يَتْرُكُ الْحَجَّ مَعَ الإِسْتِطاعَةِ ، فَلا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُؤَخِّرَ وَيَتَكاسَلَ وَيُسَوِّفَ وَيَتَعَلَّلَ بِالأَعْذارِ مِنْ سَنَةٍ إِلىٰ سَنَةٍ ، وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ مُسْتَطِيعٌ وَما يُدْرِيهِ لَعَلَّ الْمَوْتَ يَنْزِلُ بِهِ أَوْ تَذْهَبُ اسْتِطاعَتُهُ وَقَدْ اسْتَقَرَّ الْحَجُّ فِي ذِمَّتِهِ لِتَمَكُّنِهِ مِنْهُ فَيَلْقَىٰ اللهَ تَعالىٰ عاصِياً آثِماً ،

وَالإِسْتِطاعَةُ ، أَنْ يَمْلِكَ الإِنْسانُ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ فِي سَفَرِهِ إِلَى الْحَجِّ ذَهاباً وَإِياباً مِنْ زادٍ وَمَرْكُوبٍ وَلِما فِي مَعْنَىٰ ذٰلِكَ مِمّا لابُدَّ لَهُ مِنْهُ ، وَنَفَقَةَ مَنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ مِنَ الأَوْلادِ وَالأَزْواجِ وَنَحْوِهِمْ إِلىٰ وَقْتِ رُجُوعِهِ ، وَتَخْتَلِفُ الإِسْتِطاعَةُ بِاخْتِلافِ النّاسِ ، وَبِاخْتِلافِ الأَماكِنِ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ ، ـ وَمَنْ تَكَلَّفَ الْحَجَّ شَوْقاً إِلىٰ بَيْتِ اللهِ الْحَرامِ ، وَحِرْصاً عَلىٰ إِقامَةِ هٰذِهِ الْفَرِيضَةِ مِنْ دِينِ اللهِ ، وَلَيْسَ بِمُسْتَطِيعٍ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ ، فَإِيمانُهُ أَكْمَلُ وَثَوابُهُ أَعْظَمُ وَأَجْزَلُ ، وَلٰكِنْ بِشَرْطٍ ، أَنْ لا يُضَيِّعَ بِسَبَبِ ذٰلِكَ شَيْئاً مِنْ حُقُوقِ اللهِ تَعالىٰ ، لا فِي سَفَرِهِ وَلا فِي وَطَنِهِ ، وَإِلّا كانَ آثِماً وَفِي حَرَجٍ ، مِثْلُ أَنْ يُسافِرَ وَيَتْرُكَ مَنْ فَرَضَ اللهُ تَعالىٰ عَلَيْهِ نَفَقَتَهُمْ ضائِعِينَ لا شَيْءَ لَهُمْ ، أَوْ يَكُونَ فِي سَفَرِهِ مُتَّكِلاً عَلىٰ مَسْأَلَةِ النّاسِ ، مَشْغُولَ الْقَلْبِ بِالتَّشَوُّفِ إِلَيْهِمْ ، أَوْ يُضَيِّعَ بِسَبَبِ السَّفَرِ شَيْئاً مِنَ الصَّلَواتِ الْمَكْتُوباتِ ، أَوْ يَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمُحَرَّماتِ ، فَمَثَلُ مَنْ يُسافِرُ إِلَى الْحَجِّ عَلىٰ هٰذا الْوَجْهِ وَقَدْ وَسَّعَ اللهُ لَهُ فِي التَّرْكِ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ مُسْتَطِيعاً مَثَلُ مَنْ يَعْمُرُ قَصْراً وَيَهْدِمُ مِصْراً ، نَبَّهْنا عَلىٰ ذٰلِكَ لِأَنَّ كَثِيراً مِنَ الْعامَّةِ يُسافِرُونَ عَلىٰ هٰذا الْوَجْهِ وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللهِ تَعالىٰ بِحَجِّ بَيْتِهِ وَهُمْ فِي غايَةِ الْبُعْدِ عَنْهُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَدْخُلُوا الأَمْرَ مِنْ بابِهِ ، وَإِذا كانَ هٰذا فِي الْحَجِّ الْمَفْرُوضِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَكُونُ فِي الْحَجِّ الَّذِي لَيْسَ بِمَفْرُوضٍ أَعْظَمَ حَرَجاً وَأَكْثَرَ تَشْدِيداً ، وَكَلامُنا هٰذا فِي حَقِّ

ٱلعاجِزِ ٱلضَّعِيفِ ، وَأَمَّا ٱلقَوِيُّ ٱلمُسْتَطِيعُ فَقَدْ ذَكَرْنا أَنَّهُ يَتَأَكَّدُ عَلَيْهِ ٱلمُبادَرَةُ بِحَجَّةِ ٱلإِسْلامِ ، ثُمَّ يُسْتَحَبُّ لَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ لا يَتْرُكَ ٱلتَّطَوُّعَ بِٱلحَجِّ ، قالَ بَعْضُ ٱلسَّلَفِ رَحْمَةُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ أَقَلُّ ذٰلِكَ أَنْ لا تَمُرَّ عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوامٍ إِلَّا وَيَحُجَّ فِيها حَجَّةً ، وَقَدْ بَلَغَنا عَنِ ٱللهِ تَعالىٰ أَنَّهُ قالَ : « إِنَّ عَبْداً صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي ٱلمَعِيشَةِ ، تَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوامٍ وَلَمْ يَفِدْ عَلَيَّ لَمَحْرُومٌ » رَواهُ ٱلبَيْهَقِيُّ ، وَإِنَّما يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ ٱلقادِرِ ٱلإِسْتِكْثارُ مِنَ ٱلحَجِّ ، لِما فِيهِ مِنَ ٱلتَّعْظِيمِ لِحُرُماتِ ٱللهِ وَشَعائِرِهِ ٱلَّتِي تَعْظِيمُها مِنْ تَقْوَى ٱلقُلُوبِ ، وَلِما فِيهِ مِنَ ٱلفَضْلِ ٱلعَظِيمِ ٱلَّذِي وَرَدَتْ بِهِ ٱلأَخْبارُ ،

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَٱلرَّفَثُ وَٱلفُسُوقُ شَيْئانِ جامِعانِ لِلْأَقْوالِ وَٱلأَفْعالِ ٱلقَبِيحَةِ وَعَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ « ٱلعُمْرَةُ إِلَى ٱلعُمْرَةِ كَفّارَةٌ لِما بَيْنَهُما ، وَٱلحَجُّ ٱلمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزاءٌ إِلَّا ٱلجَنَّةُ » رَواهُ ٱلإِمامُ مالِكٌ وَٱلبُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمْ ،

وَعَنْ جابِرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قالَ ، قالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ هٰذا ٱلبَيْتَ دَعامَةٌ مِنْ دَعائِمِ ٱلإِسْلامِ ، فَمَنْ حَجَّ ٱلبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَهُوَ ضامِنٌ عَلَى ٱللهِ ، فَإِنْ ماتَ أَدْخَلَهُ ٱلجَنَّةَ ، وَإِنْ رَدَّهُ إِلىٰ أَهْلِهِ رَدَّهُ بِأَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ » رَواهُ ٱلطَّبَرانِيُّ فِي ٱلأَوْسَطِ ،

وَعَنِ ٱبْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُما ، أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « يُنْزِلُ ٱللهُ كُلَّ يَوْمٍ عَلىٰ حُجّاجِ بَيْتِهِ ٱلحَرامِ عِشْرِينَ وَمِائَةَ رَحْمَةٍ ، سِتِّينَ لِلطّائِفِينَ ، وَأَرْبَعِينَ لِلْمُصَلِّينَ ، وَعِشْرِينَ لِلنّاظِرِينَ » رَواهُ ٱلبَيْهَقِيُّ بِإِسْنادٍ حَسَنٍ ،

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هٰذا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِواهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الحَرامَ ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الحَرامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِواهُ » رَواهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنادَيْنِ صَحِيحَيْنِ ،

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ يُعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوا ، وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ مَادَعَوْا ، وَيُخْلِفُ عَلَيْهِمْ مَا أَنْفَقُوا الدِّرْهَمَ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ » رَواهُ البَيْهَقِيُّ ،

وَمِنْ آكَدِ المُهِمَّاتِ عَلَى المُسافِرِ إِلَى الحَجِّ ، الإِجْتِهادُ فِي أَنْ يَكُونَ زادُهُ طَيِّباً ، وَنَفَقَتُهُ حَلالاً ، وَلْيَحْرِصْ كُلَّ الحِرْصِ عَلَىٰ ذٰلِكَ ، فَإِنَّ الَّذِي يَحِجُّ بِالمَالِ الحَرامِ ، لا يَقْبَلُ اللهُ حَجَّهُ ، وَإِذا لَبَّى عِنْدَ إِحْرامِهِ ، يَقُولُ لَهُ سُبْحانَهُ : لا لَبَّيْكَ وَلا سَعْدَيْكَ ، زادُكَ حَرامٌ وَراحِلَتُكَ حَرامٌ ، وَحَجُّكَ غَيْرُ مَبْرُورٍ ، - وَيَقُولُ تَعالَىٰ لِلَّذِي يَحِجُّ بِالمَالِ الحَلالِ ، إِذا لَبَّى ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، زادُكَ حَلالٌ ، وَراحِلَتُكَ حَلالٌ ، وَحَجُّكَ مَبْرُورٌ ، كَذا وَرَدَ فِي الخَبَرِ ، وَلْيَكُنِ المُسافِرُ إِلَى الحَجِّ طَيِّبَ النَّفْسِ بِمَا يُنْفِقُهُ مِنَ المَالِ فِي سَفَرِهِ ، فَإِنَّهَا نَفَقَةٌ مَخْلُوفَةٌ مَتْبُوعَةٌ بِالخَيْرِ وَالبَرَكَةِ ، وَاليُسْرِ وَالسَّعَةِ ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ النَّفَقَةَ فِي الحَجِّ ، كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، الدِّرْهَمُ بِسَبْعِمِائَةٍ ، وَمَهْمَا كَانَ الحَاجُّ مُوسِرًا ، فَلْيُبالِغْ فِي تَوْسِيعِ النَّفَقَةِ عَلَى الفُقَراءِ وَالمَساكِينِ ، وَبَذْلِ المَعْرُوفِ لِلضُّعَفاءِ وَالمُقِلِّينَ وَلْيَكُنِ الحَاجُّ فِي سَفَرِهِ مُتَواضِعاً مُتَخَشِّعاً مُتَمَسِّكاً ، وَلا يَكُونُ فِي سَفَرِهِ وَحَجِّهِ مِنَ المُسْتَكْبِرِينَ ، وَلا مِنَ المُتَرَفِّهِينَ ؛

وَيَنْبَغِي لِلْحَاجِّ إِذا وَصَلَ إِلىٰ حَرَمِ اللهِ وَبَلَدِهِ مَكَّةَ المُشَرَّفَةَ ، زادَهَا اللهُ شَرَفاً ، أَنْ يَكُونَ مُمْتَلِئَ القَلْبِ بِتَعْظِيمِ اللهِ وَإِجْلالِهِ ، وَيَكُونَ عَلىٰ أَتَمِّ

ما يُمكِنُ مِنْهُ وَيَسْتَطِيعُهُ مِنَ التَذَلُّلِ وَالتَواضُعِ وَالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ وَالإِنْكِسارِ لِلهِ تَعالىٰ ، وَلْتَكُنْ هٰذِهِ الأَوْصافُ شِعارَهُ وَدِثارَهُ فِي جَمِيعِ الْمَواطِنِ وَالْمَواقِفِ الشَرِيفَةِ ، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَكْثِرَ جِدّاً مِنَ الطَوافِ بِالْبَيْتِ وَمِنَ الصَلاةِ عِنْدَهُ ، فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ مَنْ طافَ أُسْبُوعاً كانَ لَـهُ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ أَيْ يُعْتِقُها لِوَجْهِ اللهِ تَعالىٰ ، وَوَرَدَ أَنَّ الطائِفَ بِالْبَيْـتِ لا يَرْفَعُ قَدَمَهُ فِي طَوافِهِ وَلا يَضَعُها إِلاّ مُحِيَتْ عَنْهُ سَيِّئَةٌ ، أَوْ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، أَوْ رُفِعَتْ لَهُ دَرَجَةٌ ، وَلْيُكْثِرْ فِي طَوافِهِ مِنْ تِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَمِنَ الأَذْكارِ وَالأَدْعِيَةِ ، وَلْيُكْثِرْ مِنِ اسْتِلامِ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ الْمُبارَكِ فَإِنَّهُ يَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ ، يُصافِحُ بِها عِبادَهُ ، - وَمِنَ الصَلاةِ فِي الْحِجْرِ فَإِنَّهُ مِنَ الْبَيْتِ تَرَكَتْهُ قُرَيْشٌ لَمّا بَنَتْهُ فِي الْجاهِلِيَّةِ حِينَ قَصَرَتْ بِهِمُ النَفَقَةُ مِنَ الْحَلالِ ، وَلْيُكْثِرْ مِنْ شُرْبِ ماءِ زَمْزَمَ فَإِنَّهُ خَيْرُ ماءٍ عَلىٰ وَجْهِ الأَرْضِ كَما قالَ عَلَيْهِ الصَلاةُ وَالسَلامُ ، وَقالَ أَيْضاً : «ماءُ زَمْزَمَ لِما شُرِبَ لَهُ وَإِنَّها طَعامُ طُعْمٍ وَشِفاءُ سُقْمٍ » وَقَدْ شَرِبَ مِنْها جَماعاتٌ مِنَ الأَكابِرِ لِمَطالِبَ شَرِيفَةٍ فَنالُوها بِفَضْلِ اللهِ وَبِبَرَكاتِ رَسُولِ اللهِ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِذا وَقَفَ بِعَرَفاتٍ فَلْيُكْثِرْ مِنَ الإِسْتِغْفارِ وَالدُعاءِ وَالتَضَرُّعِ وَالْبُكاءِ ، وَلْيَسْأَلِ اللهَ بِصِدْقٍ وَرَغْبَةٍ وَإِقْبالٍ وَإِنابَةٍ لِنَفْسِهِ وَلِوالِدَيْهِ وَأَحْبابِهِ وَلِكافَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، بِصَلاحِ جَمِيعِ الأُمُورِ الأُخْرَوِيَّةِ وَالدُنْيَوِيَّةِ ، فَإِنَّهُ يَسْأَلُ كَرِيماً جَواداً بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ ، وَلَهُ خَزائِنُ السَمٰواتِ وَالأَرْضِ ، وَهٰذا الْمَوْقِفُ أَعْظَمُ الْمَواقِفِ الإِسْلامِيَّةِ وَأَجْمَعُها وَيَحْضُرُهُ مِنْ مَلائِكَةِ اللهِ وَعِبادِهِ الصالِحِينَ وَخَلائِقَ لا يُحْصَوْنَ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ يُباهِي بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ أَهْلَ السَماءِ وَيُشْهِدُ مَلائِكَتَهُ عَلىٰ أَنَّهُ غَفَرَ لَهُمْ أَعْنِي لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ . وَأَنَّهُ تَعالىٰ قَبِلَ مُحْسِنَهُمْ وَوَهَـبَ

مُسيئَهُمْ لِمُحْسِنِهِمْ ، وَفي الْخَبَرِ أَنَّ إِبْليسَ لَعَنَهُ اللهُ لا يُرى أَصْغَرَ وَلا أَدْحَرَ وَلا أَغْيَظَ مِنْهُ في يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَما ذٰلِكَ إِلاَّ لِكَثْرَةِ ما يَرى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وَتَجاوُزِ اللهِ عَنِ الْمُذْنِبينَ مِنَ الْواقِفينَ بِعَرَفاتٍ .

وَيَنْبَغي لِلْحاجِّ أَنْ يَأْتِيَ بِالْحَجِّ عَلىٰ أَكْمَلِ وُجُوهِهِ ، فَرْضاً وَنَفْلاً مَعَ الْقِيامِ بِجَميعِ السُّنَنِ وَالْآدابِ ، عَلىٰ وَفْقِ الْمَنْقُولِ مِنْ حَجِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُعْرَفُ ذٰلِكَ مِنَ الْمَناسِكِ الَّتي وَضَعَها الْعُلَماءُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ ، فَلا يَسْتَغْني الْحاجُّ عَنِ اسْتِصْحابِ شَيْءٍ مِنْها لِيَكُونَ عَلىٰ بَصيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، وَلْيَزُرْ جَميعَ الْمَشاهِدِ وَالْمَواضِعِ الْمُعَظَّمَةِ ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَلْيَحْرِصْ كُلَّ الْحِرْصِ عَلىٰ زِيارَةِ مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذا وَصَلَ الْمَسْجِدَ صَلّىٰ فيهِ رَكْعَتَيْنِ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ ، وَالْأَوْلىٰ أَنْ تَكُونَ فِي الْمُصَلَّى النَّبَوِيِّ بِالرَّوْضَةِ الشَّريفَةِ وَيَدْعُو بِما شاءَ مِنْ خَيْرَيِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ، لِنَفْسِهِ وَلِوالِدَيْهِ وَأَقارِبِهِ وَإِخْوانِهِ وَلِمَنْ أَوْصاهُ وَلِسائِرِ الْمُسْلِمينَ ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَبْرَ الشَّريفَ فَيَقِفُ قُبالَةَ وَجْـــهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَباعِداً نَحْوَ أَرْبَعَـــةِ أَذْرُعٍ بِأَدَبٍ وَخُشُوعٍ ، وَلا يَرْفَعُ صَوْتَهُ بَلْ يَقْتَصِدُ ، وَلا يَنْحَني وَلا يَسْتَلِمُ الْحُجْرَةَ وَلا الشُّبّاكَ وَلا يُقَبِّلُهُ وَلا يَطُوفُ بِهِ ، ذٰلِكَ كُلُّهُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصاحِبَيْهِ أَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلىٰ قُبالَةِ وَجْهِ النَّبِيِّ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فَيَحْمَدُ اللهَ تَعالىٰ وَيُثْني عَلَيْهِ وَيُصَلّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوالِدَيْهِ وَأَقارِبِهِ وَإِخْوانِهِ وَلِمَنْ أَوْصاهُ وَلِسائِرِ الْمُسْلِمينَ ،

الموعظة السادسة والعشرون

في فضل ليلة القدر

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي شَرَّفَ شَهْرَ رَمَضَانَ عَلىٰ سَائِرِ الشُّهُوْرِ وَالْأَيَّامِ ، وَخَصَّ لَيَالِيَهُ بِمَزِيدِ فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ وَإِنْعَامٍ وَإِكْرَامٍ ، وَمَيَّزَهَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ فَطُوْبىٰ لِمَنْ عَظَّمَهَا مِنَ الْأَنَامِ ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ الرُّسُلِ الْكِرَامِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامِ ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوانِي الْكِرَامَ – يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوْحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ» قَالَ الْمُفَسِّرُوْنَ رَحِمَهُمُ اللّٰهُ، مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، وَإِنَّمَا كَانَ كَذٰلِكَ ، لِمَا يُرِيدُ اللّٰهُ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْأَرْزَاقِ ، وَأَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ . وَمَعْنَى السُّوْرَةِ ، «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» أَيِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ «فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » أَيْ فِي لَيْلَةٍ قَدَّرَ اللّٰهُ فِيهَا الْأُمُوْرَ وَالْأَحْكَامَ ، وَالْأَرْزَاقَ وَالْآجَالَ ، وَكُلَّ مَا يَقَعُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ ، وَمَعْنىٰ هٰذَا التَّقْدِيرِ : أَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ – يُظْهِرُ ذٰلِكَ لِمَلَائِكَتِهِ وَيَأْمُرُهُمْ بِفِعْلِ مَا هُوَ مِنْ وَظِيفَتِهِمْ ، بِأَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ مَا قَدَّرَهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ ، وَيُعَرِّفَهُمْ إِيَّاهُ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ إِحْدَاثُهَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، لِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ – قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي الْأَزَلِ ،

قِيلَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ : أَلَيْسَ قَدْ قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَا مَعْنَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، قَالَ سَوْقُ الْمَقَادِيرِ إِلَى الْمَوَاقِيتِ ، وَتَنْفِيذُ الْقَضَاءِ الْمُقَدَّرِ ، — وَقِيلَ : سُمِّيَتْ بِذٰلِكَ لِعِظَمِ قَدْرِهَا وَشَرَفِهَا عِنْدَ اللهِ ، كَمَا يُقَالُ : لِفُلَانٍ قَدْرٌ عِنْدَ الْأَمِيرِ ، أَيْ مَنْزِلَةٌ وَجَاهٌ ، وَمَعْنَى إِنْزَالِ الْقُرْآنِ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ إِنْزَالُهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ ، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نُجُوماً مُتَفَرِّقَةً فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ ،

« وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ » أَيْ وَمَا أَعْلَمَكَ مَا حَقِيقَةُ فَضِيلَةِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، ثُمَّ ذَكَرَ فَضِيلَتَهَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ : « الْأَوَّلُ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » وَتَقَدَّمَ مَعْنَاهُ آنِفاً ، وَسَبَبُ نُزُولِهَا كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا — أَنَّهُ ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَمَلَ السِّلَاحَ عَلَى عَاتِقِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَلْفَ شَهْرٍ ، فَعَجِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذٰلِكَ ، وَتَمَنَّى ذٰلِكَ لِأُمَّتِهِ ، فَقَالَ : يَارَبِّ ، جَعَلْتَ أُمَّتِي أَقْصَرَ الْأُمَمِ أَعْمَاراً ، وَأَقَلَّهَا أَعْمَالاً ، فَأَعْطَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، فَأَنْزَلَهَا بِقَوْلِهِ : [لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ] حَمَلَ فِيهَا الْإِسْرَائِيلِيُّ السِّلَاحَ ،

الْوَجْهُ الثَّانِي : قَوْلُهُ : « تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » وَسَبَبُ نُزُولِهِمْ هٰذَا — عَلَى مَا قِيلَ — أَنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا : [أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ،] وَظَهَرَ الْأَمْرُ بِخِلَافِهِ ، وَتَبَيَّنَ لَهُمْ حَالُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ ، نَزَلُوا عَلَيْهِمْ لِيُسَلِّمُوا وَيَعْتَذِرُوا مِمَّا قَالُوهُ ، وَقَوْلُهُ : « وَالرُّوحُ فِيهَا » الْمُرَادُ بِالرُّوحِ

جِبْرِيلُ ، كَمَا رُوِيَ أَنَّهُ إِذا كانَتْ لَيلَةُ القَدْرِ ، نَزَلَ جِبْرِيلُ فِي كَبْكَبَةٍ (أَيْ جَمَاعَةٍ) مِنَ المَلائِكَةِ ، يُصَلُّونَ وَيُسَلِّمُونَ عَلَىٰ كُلِّ عَابِدٍ قَائِمٍ أَوْ قَاعِدٍ ، يَذْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقِيلَ إِنَّ الرُّوحَ . طَائِفَةٌ مِنَ المَلائِكَةِ ، لا تَرَاهُمُ المَلائِكَةُ إِلَّا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَقَوْلُهُ : [مِنْ كُلِّ أَمْرٍ] أَيْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ قُدِّرَ فِي الأَزَلِ ،

الوَجْهُ الثَّالِثُ : قَوْلُهُ : « سَلامٌ هِيَ » أَيْ مَا هِيَ إِلَّا سَلامٌ عَلَىٰ أَهْلِ المَسَاجِدِ ، وَأَهْلِ الطَّاعَةِ ، وَقِيلَ : لا يُنْزِلُ اللهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَّا السَّلامَ لِلْمُؤْمِنِينَ ، « حَتَّىٰ مَطْلَعِ الفَجْرِ » إِلَىٰ طُلُوعِهِ ،

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلَ رَمَضَانُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ هٰذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الخَيْرَ كُلَّهُ ، وَلا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ » قَالَ المُنْذِرِيُّ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ ،

وَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي تَعْيِينِ وَقْتِهَا عَلَىٰ أَقْوَالٍ ، وَالصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الأَكْثَرُ أَنَّهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، وَفِي أَوْتَارِهِ أَرْجَىٰ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الصَّحِيحِ : « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ »

وَحُكِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ ــ أَنَّهُ قَالَ : أَقْوَىٰ الرِّوَايَاتِ عِنْدِي فِيهَا لَيْلَةُ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « أُرِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ القَدْرِ ، ثُمَّ أُنْسِيَهَا ، وَقَالَ : أَرَانِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : فَوَالَّذِي أَكْرَمَهُ ، لَرَأَيْتُهُ يُصَلِّي بِنَا صَلاةَ المَغْرِبِ لَيْلَةَ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ ، وَإِنَّ

جَبْهَتَهُ وَأَرْنَبَةَ أَنْفِهِ لَفِي ٱلْمَاءِ وَالطِّينِ » رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ،

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ أَنَّهَا لَيْلَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ ، وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَفِيهَا قَوْلٌ لِلشَّافِعِيِّ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أُرِيتُ لَيْلَةَ ٱلْقَدْرِ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا ، وَأَرَانِي أَسْجُدُ صَبِيحَتَهَا فِي مَاءٍ وَطِينٍ » وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ : « وَأَنَا أُرِيتُ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ وَرَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ » قَالَ : فَمُطِرْنَا لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ ، فَصَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَانْصَرَفَ وَإِنَّ أَثَرَ ٱلْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَىٰ جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ ، أَيْ لِأَنَّ ٱلْمَسْجِدَ : كَمَا فِي رِوَايَةِ الصَّحِيحَيْنِ : عَلَىٰ عَرِيشٍ .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ أَنَّهَا لَيْلَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَارَوَى ٱلْبُخَارِيُّ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اِلْتَمِسُوا لَيْلَةَ ٱلْقَدْرِ فِي ٱلْعَشْرِ ٱلْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَىٰ ، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَىٰ ، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَىٰ »

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ ٱلْإِمَامِ أَحْمَدَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ ، مَارَوَىٰ مُسْلِمٌ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، « أَنَّهُ كَانَ يَحْلِفُ عَلَىٰ ذٰلِكَ وَلَا يَسْتَثْنِي ، وَكَذَا زِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ وَعَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ ،

وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ أَيْضاً ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : « إِنِّي وَاللهِ لَأَعْلَمُ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ، هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِيَامِهَا ، وَهِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ »

وَأَخْرَجَ ٱلْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ

وَعِشْرِينَ ـ أَوْ قَالَ : تَحَرَّوْهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ـ يَعْنِي ـ لَيْلَةَ الْقَدْرِ »

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ ذٰلِكَ أَيْضاً : قِيَامُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ فِي لَيْلَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ إِلَىٰ آخِرِ اللَّيْلِ ، حَتَّىٰ خَشُوْا أَنْ يُفَوِّتَهُمُ السُّحُورُ » وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضاً : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ أَهْلَهُ وَجَمَعَ النَّاسَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ » وَهٰذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَىٰ تَأَكُّدِ عَلَىٰ سَائِرِ لَيَالِي الْعَشْرِ .

قَالَ الْبَغَوِيُّ : وَبِالْجُمْلَةِ فَأَبْهَمَ اللهُ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى الْأُمَّةِ ، لِيَجْتَهِدُوْا فِي الْعِبَادَةِ لَيَالِيَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، طَمَعاً فِي إِدْرَاكِهَا ، كَمَا أَخْفَىٰ سَاعَةَ الْإِجَابَةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَأَخْفَى الصَّلَاةَ الْوُسْطَىٰ ، وَاسْمَهُ الْأَعْظَمَ فِي الْقُرْآنِ فِي أَسْمَائِهِ ، وَرِضَاهُ فِي الطَّاعَاتِ ، لِيَرْغَبُوْا فِي جَمِيعِهَا ، وَسَخَطَهُ فِي الْمَعَاصِي لِيَنْتَهُوْا عَنْ جَمِيعِهَا ، وَأَخْفَىٰ قِيَامَ السَّاعَةِ لِيَجْتَهِدُوْا فِي الطَّاعَاتِ حَذَراً مِنْ قِيَامِهَا ،

قَالُوْا : وَعَلَامَةُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ـ أَيْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ـ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءُ لَا شُعَاعَ لَهَا . ـ وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قُلْتُ يَارَسُوْلَ اللهِ ، إِنْ عَلِمْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُوْلُ فِيهَا ، قَالَ « قُوْلِي اَللّٰهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي »

الموعظة السابعة والعشرون
في أحكام زكاة الفطر

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةً وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصِّيَامُ ، وَأَوْجَبَ زَكَاةَ الْفِطْرِ عَلَى الْمَالِكِينَ رَحْمَةً بِفُقَرَاءِ الأَنَامِ، وَإِظْهَاراً لِلشَّفَقَةِ وَتَطْهِيراً لِلْقُلُوبِ وَتَكْفِيراً لِلذُّنُوبِ وَالآثَامِ ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مِصْبَاحُ الظَّلامِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا دَامَتِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِيَ الْكِرَامَ ـ إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ الزَّكَاةَ أَحَدُ الأَرْكَانِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الإِسْلامُ، وَسَمَّاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَنْطَرَةَ الإِسْلامِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ» .

وَالزَّكَاةُ تَنْقَسِمُ إِلَى زَكَاةِ مَالٍ ، وَزَكَاةِ بَدَنٍ ، وَمَقْصُودُنَا الآنَ الْكَلامُ عَلَى زَكَاةِ الْبَدَنِ ، وَهِيَ زَكَاةُ الْفِطْرِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ الإِسْلامُ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا أَفْطَرَ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ زَكَاةَ الْفِطْرِ ، يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنْ مَالِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِهِ ، وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِ هٰذِهِ الأُمَّةِ ، وَفُرِضَتْ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، قَبْلَ عِيدِ الْفِطْرِ بِيَوْمَيْنِ ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي فُرِضَ فِيهَا صَوْمُ رَمَضَانَ ، فَهِيَ مُلازِمَةٌ لِلصَّوْمِ ،

فَرَضَهَا الإِسْلامُ لِحِكْمَةٍ سَامِيَةٍ ، وَغَايَةٍ نَبِيلَةٍ ، فَهِيَ طُهْرَةٌ لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَمِمَّا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَتَى بِهِ مِنْ صِغَارِ الذُّنُوبِ ، قَالَ وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ : زَكَاةُ الْفِطْرِ لِشَهْرِ رَمَضَانَ ، كَسَجْدَةِ السَّهْوِ لِلصَّلاةِ ، تَجْبُرُ نُقْصَانَ الصَّوْمِ ، كَمَا يَجْبُرُ السُّجُودُ نُقْصَانَ الصَّلاةِ ،

- وَطُعْمَةٌ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكِينِ ، فِي يَوْمِ الْفِطْرِ ، كَما فِي خَبَرٍ: « أَغْنُوهُمْ عَنْ ذُلِّ السُّؤالِ فِي هٰذا الْيَوْمِ » لِأَنَّهُ يَوْمُ فَرَحٍ وَسُرُورٍ ، لِيَكُونَ الْفَرَحُ عامّاً ، وَالسُّرُورُ شامِلاً ، فَهِيَ - أَيْ صَدَقَةُ الْفِطْرِ - إِذاً بِمَثابَةِ (عِيدِيَّةٍ) لِهٰؤُلاءِ الْمَساكِينِ وَأَوْلادِهِمْ ، لِيَفْرَحُوا بِها ، وَتَزُولَ عَنْهُمْ وَحْشَةُ الْفَقْرِ وَآلامُهُ ، فِي يَوْمٍ تَعُمُّ فِيهِ الْأَفْراحُ ، وَتَنْشَرِحُ الصُّدُورُ ،

رَوىٰ أَبُو داوُدَ وَابْنُ ماجَهْ ، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : « فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكاةَ الْفِطْرِ ، طُهْرَةً لِلصّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَطُعْمَةً لِلْمَساكِينِ ، فَمَنْ أَدّاها قَبْلَ الصَّلاةِ فَهِيَ زَكاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدّاها بَعْدَ الصَّلاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقاتِ »

وَاتَّفَقَ الْأَئِمَّةُ الْمُجْتَهِدُونَ - عَلىٰ أَنَّ زَكاةَ الْفِطْرِ واجِبَةٌ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ قادِرٍ عَلىٰ أَدائِها ، عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ كُلِّ مَنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُمْ . مِنْ أَوْلادِهِ الصِّغارِ وَالْكِبارِ الْعاجِزِينَ عَنِ الْكَسْبِ ، وَزَوْجَتِهِ وَخَدَمِهِ .

وَاسْتَدَلُّوا عَلىٰ وُجُوبِها ، بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي اتَّفَقَ عَلىٰ رِوايَتِهِ أَصْحابُ السُّنَنِ السِّتَّةِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : « فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكاةَ الْفِطْرِ فِي رَمَضانَ صاعاً مِنْ تَمْرٍ أَوْ صاعاً مِنْ بُرٍّ أَوْ صاعاً مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْحُرِّ وَالْعَبْدِ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثىٰ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » - وَلِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : « كُنّا نُخْرِجُ زَكاةَ الْفِطْرِ إِذْ كانَ فِينا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صاعاً مِنْ طَعامٍ ، أَوْ صاعاً مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ صاعاً مِنْ شَعِيرٍ ، أَوْ صاعاً مِنْ زَبِيبٍ ، أَوْ صاعاً مِنْ أَقِطٍ ، فَلا أَزالُ أُخْرِجُهُ ما عِشْتُهُ » - وَقالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : صَوْمُ شَهْرِ رَمَضانَ مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّماءِ

وَالْأَرْضِ وَلَا يُرْفَعُ إِلَّا بِزَكَاةِ الْفِطْرِ »

وَتَجِبُ بِغُرُوبِ شَمْسِ آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ ، وَهٰذَا مَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْمُسْلِمِينَ ، فَمَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ غُرُوبِ شَمْسِ آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ ، أَوْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ تَزَوَّجَ أَوْ كَانَ مُعْسِراً فَأَيْسَرَ لَمْ تَلْزَمْهُ الْفِطْرَةُ ، وَإِنْ وُجِدَ قَبْلَ الْغُرُوبِ وَجَبَتْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ مَاتَ قَبْلَ الْغُرُوبِ أَوْ أَعْسَرَ أَوْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ لَمْ تَجِبْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ فَعَلَهُ بَعْدَهُ وَجَبَتْ ،

وَيُسَنُّ أَنْ لَا تُؤَخَّرَ عَنْ صَلَاةِ الْعِيدِ ، وَدَلِيلُهُ مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا : « أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَمَرَ بِزَكَاةِ الْفِطْرِ أَنْ تُؤَدَّىٰ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ » وَيَحْرُمُ تَأْخِيرُهَا عَنْ يَوْمِهِ لِغَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ كَغَيْبَةِ مَالِهِ أَوِ الْمُسْتَحِقِّينَ ، فَلَوْ أَخَّرَ بِلَا عُذْرٍ عَصَىٰ وَلَزِمَهُ الْقَضَاءُ ،

وَإِذَا عَلِمَ الْمُسْلِمُ أَنَّهُ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ أَدَائِهَا فِي صُبْحِ يَوْمِ الْعِيدِ وَقَبْلَ الْخُرُوجِ لِلصَّلَاةِ فَلَهُ أَنْ يُخْرِجَهَا قَبْلَ ذٰلِكَ ، ـ فَفِي مَذْهَبِ الْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ . يَجُوزُ إِخْرَاجُهَا قَبْلَ الْعِيدِ بِيَوْمَيْنِ لَا أَكْثَرَ ، ـ وَفِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيَّةِ يَجُوزُ تَعْجِيلُهَا مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ ، ـ وَعِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ يَجُوزُ تَعْجِيلُهَا مِنْ قَبْلِ رَمَضَانَ ـ أَيْ فِي أَوَّلِ الْحَوْلِ ،

فَعَلَى رَبِّ الْأُسْرَةِ أَنْ يُحْصِيَ عَدَدَ أَفْرَادِ أُسْرَتِهِ الَّذِينَ يَعُولُهُمْ وَيُنْفِقُ عَلَيْهِمْ ، وَيُخْرِجَ زَكَاةَ الْفِطْرِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْهُمْ جَمِيعاً ، فَكُلُّ مَنْ وَجَبَ عَلَى الْمَرْءِ نَفَقَتُهُ ، وَجَبَتْ عَلَيْهِ زَكَاةُ فِطْرِهِ ، وَكُلُّ مَنْ لَزِمَتْهُ فِطْرَتُهُ ، لَزِمَتْهُ فِطْرَةُ مَنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ ، مِنْ زَوْجَةٍ وَقَرِيبٍ وَمَمْلُوكٍ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ، وَوَجَدَ مَا يُؤَدِّي عَنْهُمْ ، لٰكِنْ لَا تَلْزَمُهُ فِطْرَةُ زَوْجَةِ الْأَبِ الْمُعْسِرِ ، وَمُسْتَوْلَدَتِهِ وَإِنْ لَزِمَتْهُ نَفَقَتُهُمَا ،

وَالْقادِرُ عَلىٰ أَدائِها ، هُوَ كُلُّ مَنْ قَدَرَ عَلىٰ أَدائِها مِمّا زادَ عَنْ حاجَتِهِ وَحاجَةِ عِيالِهِ ، لَيْلَةَ الْعِيدِ وَيَوْمَهُ ، وَعَنْ دَيْنٍ وَمَسْكَنٍ وَعَبْدٍ يَحْتاجُهُ ، وَالْمَرْءُ يَسْتَفْتِي قَلْبَهُ ، وَيَعْلَمُ حالَهُ وَمالَهُ ، فَهُوَ الْحَرِيُّ بِأَنْ يُقَدِّرَ ظَرْفَهُ وَحالَهُ الْمالِيَّ ، وَصاحِبُ الدِّينِ يُؤْثِرُ عَلىٰ نَفْسِهِ وَلَوْ كانَ بِهِ خَصاصَةٌ ، وَلَوْ وَجَدَ بَعْضَ ما يُؤَدِّيهِ لَزِمَهُ إِخْراجُهُ . وَيَبْدَأُ بِنَفْسِهِ ، ثُمَّ بِزَوْجَتِهِ الْمُطِيعَةِ . أَمّا النّاشِزَةُ وَقْتَ الْوُجُوبِ وَلَوْ حامِلاً ، أَوِ الَّتِي عَقَدَ عَلَيْهـا وَلَمْ تُمَكِّنْهُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ زَكاتُهُما . ثُمَّ وَلَدِهِ الصَّغِيرِ وَإِنْ كانَ لَهُ مالٌ أَخْرَجَها مِنْهُ . ثُمَّ أَبِيهِ ثُمَّ أُمِّهِ . ثُمَّ وَلَدِهِ الْكَبِيرِ الْعاجِزِ عَنِ الْكَسْبِ ، ثُمَّ أَرِقّائِهِ الْمَمالِيكِ .

وَلَوْ تَزَوَّجَ رَجُلٌ مُعْسِرٌ بِامْرَأَةٍ مُوسِرَةٍ أَوْ بِأَمَةٍ ، لَزِمَتْ سَيِّدَ الْأَمَةِ فِطْرَةُ أَمَتِهِ . وَلا تَلْزَمُ الْحُرَّةَ فِطْرَةُ نَفْسِها ، وَتَجِبُ فِطْرَةُ زَوْجَتِهِ الَّتِي طَلَّقَها طَلاقاً رِجْعِيّاً . وَلَمْ تَنْقَضِ عِدَّتُها ، وَتَجِبُ أَيْضاً فِطْرَةُ الزَّوْجَةِ الَّتِي طَلَّقَها ثَلاثاً فَبانَتْ مِنْهُ لٰكِنَّها حامِلٌ مِنْهُ ، إِذا لَمْ تَكُنْ لَها نَفَقَةٌ مُقَدَّرَةٌ .

وَيَلْزَمُ الْمُسْلِمَ زَكاةُ مَنْ يَمُونُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَوْ كانَ خادِمَ زَوْجَتِهِ إِذا أَنْفَقَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ لَهُ أُجْرَةٌ ، فَكُلُّ خادِمٍ أَوْ خادِمَةٍ لَيْسَ لَهُما أُجْرَةٌ سِوَى الْأَكْلِ وَالْكِسْوَةِ فَقَطْ . فَفِطْرَتُهُما عَلَيْهِ . وَكُلُّ خادِمٍ أَوْ خادِمَةٍ لَهُما أُجْرَةٌ مُعَيَّنَةٌ وَلَوْ كانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِما فَفِطْرَتُهُما عَلىٰ أَنْفُسِهِما .

وَيُسْتَحَبُّ إِخْراجُها عَنِ الْجَنِينِ عِنْدَ الْحَنابِلَةِ ، وَعِنْدَ الْإِمامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللّٰهُ . لا يَجِبُ عَلَى الزَّوْجِ إِخْراجُ فِطْرَةِ زَوْجَتِهِ ، بَلْ فِطْرَتُها عَلىٰ نَفْسِها ، وَلا يَجِبُ عَلَيْهِ أَيْضاً إِخْراجُ فِطْرَةِ وَلَدِهِ الْكَبِيرِ إِلّا إِذا

كانَ مَجْنُوناً ، وَلا غَيْرِهِمْ مِنَ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ ، وَيَجِبُ إِخْرَاجُهَا عَنْ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ الصَّغِيرِ الفَقِيرِ ، وَخَادِمِهِ ، بِشَرْطِ أَنْ يَمْلِكَ نِصَابــاً زَكَوِيّاً مِنَ المَالِ أَوِ المَاشِيَةِ ، فَاضِلاً عَنْ حَاجَتِهِ الأَصْلِيَّةِ .

وَاخْتَلَفَ الأَئِمَّةُ رَحِمَهُمُ اللهُ ، هَلْ تُخْرَجُ مِنَ الأَصْنَافِ الخَمْسَةِ الَّتِي كَانَتْ تُخْرَجُ فِي العَهْدِ النَّبَوِيِّ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُقْتَاتُ أَوْ أَنَّ المَدَارَ عَلَى الإِقْتِيَاتِ . فَذَهَبَ الإِمَامُ أَحْمَدُ إِلَى أَنَّهَا تُخْرَجُ مِنَ الأَصْنَافِ الخَمْسَةِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُقْتَاتَةً . وَمَذْهَبُ السَّادَةِ الشَّافِعِيَّةِ وَالمَالِكِيَّةِ ، أَنَّهَا تُخْرَجُ مِنْ غَالِبِ قُوتِ البَلَدِ الَّذِي يَسْكُنُهُ الإِنْسَانُ ، وَأَمَّا مَذْهَبُ الحَنَفِيَّةِ فَيَجُوزُ عِنْدَهُمْ إِخْرَاجُ القِيمَةِ ، فَتُعْطَى لِلْفَقِيرِ نَقْداً بَدَلَ الحُبُوبِ أَوِ التَّمْرِ ، إِذْ قَدْ يَكُونُ أَنْفَعَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا ، وَلَمْ يُجِزْهَا غَيْرُهُ وَكَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ فِي هٰذَا اليَوْمِ يَرَوْنَ رَأْيَ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ ، لٰكِنَّ دَفْعَ القِيمَةِ ، تُذْهِبُ مَعْنَوِيَّةَ صَدَقَةِ الفِطْرِ وَهَيْبَتَهَا وَإِظْهَارَ شَأْنِهَا وَاشْتِغَالِ النَّاسِ بِهَا وَاسْتِقْبَالِ العِيدِ بِمَظْهَرِهَا وَمَكَانَتِهَا ، فَلْيَتَأَمَّلِ المُفْتِي الكَرِيمُ ،

وَمِقْدَارُ الوَاجِبِ إِنَّمَا هُوَ صَاعٌ عَنْ كُلِّ شَخْصٍ ، وَالصَّاعُ خَمْسَةُ أَرْطَالٍ وَثُلُثُ رِطْلٍ بِالبَغْدَادِيِّ ، وَيُقَدَّرُ بِكِيلُوَيْنِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْ نِصْفِ الكِيلُو بِالوَزْنِ الحَدِيثِ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَزِيدَ شَيْئاً يَسِيراً لِاحْتِمَالِ اشْتِمَالِهَا عَلَى طِينٍ أَوْ تِبْنٍ وَنَحْوِ ذٰلِكَ .

وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ يَجِبُ مِنَ الحِنْطَةِ نِصْفُ صَاعٍ عَنِ الفَرْدِ الوَاحِدِ وَمِنْ غَيْرِهَا كَالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالزَّبِيبِ ، صَاعٌ كَامِلٌ ، وَالصَّاعُ أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ ، وَالمُدُّ عِنْدَهُ رِطْلانِ ، وَالرِّطْلُ مِائَةٌ وَثَلاثُونَ دِرْهَماً وَاللهُ أَعْلَمُ هٰكَذا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ .

وَلا يَجُوزُ إخراجُ الْمَعِيبِ وَالْمُسَوَّسِ وَالْمَبْلُولِ وَالْقَدِيمِ الَّذِي تَغَيَّرَ طَعْمُهُ ، وَيَجُوزُ صَرْفُ زَكَاةِ الْفِطْرِ لِشَخْصٍ واحِدٍ ، عِنْدَ الأَئِمَّةِ الثَّلاثَةِ الأَمْجادِ ، وَأَوْجَبَ الشَّافِعِيُّ تَعْمِيمَ الأَصْنافِ الثَّمانِيَةِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ ، وَخالَفَهُ بَعْضُ أَصْحابِهِ فَأَفْتَوْا بِجَوازِ صَرْفِها إِلَى واحِدٍ إِذِ التَّعْمِيمُ يَتَعَسَّرُ ، وَيُفَضَّلُ الأَقارِبُ عَلَى غَيْرِهِمْ فِي تَوْزِيعِها ، فَالأَقْرَبُونَ أَوْلَى بِالْمَعْرُوفِ ثُمَّ الْجِيرانُ ثُمَّ أَهْلُ الْبَلَدِ ، وَاللهُ يُوَفِّقُنا وَيَهْدِينا سَواءَ السَّبِيلِ ،،

الموعظة الثامنة والعشرون

في وداع شهر رمضان المعظم

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْقَدِيمِ الْإِحْسَانِ الْكَثِيرِ النَّوالِ، الْغَنِيِّ الْمَنَّانِ الْعَظِيمِ الْمِفْضَالِ، الْمُتَفَرِّدِ بِالدَّوامِ فَلاَ انْقِضَاءَ لَهُ وَلاَ زَوالَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَنِيُّ الْخِصَالِ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا دَامَتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِ.

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوانِيَ الْكِرامَ - إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ - أَنَّ يَوْمَكُمْ هٰذا يَوْمُ الْوَداعِ، لِشَهْرِكُمُ الَّذِي شَرَّفَهُ اللّٰهُ وَعَظَّمَهُ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ وَكَرَّمَهُ، بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَتِلاَوَةِ الْقُرْآنِ، وَنُزُولِ الرَّحْمَةِ عَلَيْكُمْ مِنَ اللّٰهِ وَالرِّضْوانِ، شَهْرٌ جَعَلَهُ اللّٰهُ مِصْبَاحَ الْعَامِ، وَواسِطَةَ النِّظَامِ، وَشَرَفَ قَواعِدِ الْإِسْلاَمِ، الْمُشْرِقَةِ بِأَنْوارِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، شَهْرٌ أَنْزَلَ اللّٰهُ فِيهِ كِتَابَهُ، وَفَتَحَ فِيهِ لِلتَّائِبِينَ أَبْوابَهُ، فَلاَ دُعَاءَ فِيهِ إِلاَّ مَسْمُوعٌ، وَلاَ خَيْرَ إِلاَّ مَجْمُوعٌ، وَلاَ ضُرَّ إِلاَّ مَدْفُوعٌ، وَلاَ عَمَلَ إِلاَّ مَرْفُوعٌ، الظَّافِرُ الْمَيْمُونُ مَنِ اغْتَنَمَ أَوْقَاتَهُ، وَالْخَاسِرُ الْمَغْبُونُ مَنْ أَهْمَلَهُ فَفَاتَهُ،

شَهْرٌ جَعَلَهُ اللّٰهُ لِذُنُوبِكُمْ تَطْهِيراً، وَلِسَيِّئَاتِكُمْ تَكْفِيراً، وَلِمَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ صُحْبَتَهُ ذَخِيرَةً وَنُوراً، وَلِمَنْ وَفَىٰ بِشَرْطِهِ وَقَامَ بِحَقِّهِ فَرَحاً وَسُرُوراً، شَهْرٌ تَوَرَّعَ فِيهِ أَهْلُ الْفِسْقِ وَالْفَسَادِ، وَازْدَادَ فِيهِ مِنَ الرَّغْبَةِ إِلَىٰ اللّٰهِ أَهْلُ الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ،

شَهْرُ عِمَارَاتِ الْقُلُوبِ، وَكَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ، وَاخْتِصَاصِ الْمَسَاجِدِ بِالْإِزْدِحَامِ وَالتَّحَاشُدِ، وَهُبُوطِ الْأَمْلاَكِ بِصِكَاكِ الْعِتْقِ وَالْفِكَاكِ، شَهْرٌ فِيهِ الْمَسَاجِدُ تُعْمَرُ، وَالْمَصَابِيحُ تُزْهَرُ، وَالآيَاتُ تُذْكَرُ، وَالْقُلُوبُ

تُجبرُ ، وَالذُّنوبُ تُغفرُ .

شَهرٌ تُشرِقُ فيهِ المَساجِدُ بِالأَنوارِ . وَتُكثِرُ المَلائِكَةُ لِصُوّامِهِ مِنَ الإِستِغفارِ ، وَيُعتِقُ فيهِ الجَبّارُ في كُلِّ لَيلَةٍ عِندَ الإِفطارِ ، سِتمِائَةِ أَلفِ عَتيقٍ مِنَ النّارِ ، وَتَنزِلُ فيهِ البَرَكاتُ . وَتَعظُمُ فيهِ الصَّدَقاتُ ، وَتُكَفَّرُ فيهِ السَّيِّئاتُ ، وَتُقالُ فيهِ العَثَراتُ ، وَتُدفَعُ فيهِ النَّكَباتُ ، وَتُرفَعُ فيهِ الدَّرَجاتُ ، وَتُرحَمُ العَبَراتُ ، وَتُنادي فيهِ الحُورُ الحِسانُ مِنَ الجَنّاتِ ، هَنيئاً لَكُم يا مَعشَرَ الصّائِمينَ وَالصّائِماتِ وَالقائِمينَ وَالقائِماتِ ، بِما أَعَدَّ اللهُ لَكُم مِنَ الخَيراتِ ، لَقَد غَمَرَتكُمُ البَرَكاتُ ، وَاستَبشَرَ بِكُم أَهلُ الأَرضِ وَالسَّمواتِ ، فَيالَيتَ شِعري مَنِ المَقبُولُ مِنّا فَنُهَنّيهِ بِحُسنِ عَمَلِهِ ، أَم لَيتَ شِعري مَنِ المَطرُودُ مِنّا فَنُعَزّيهِ بِسُوءِ عَمَلِهِ .

فَيا أَيُّها المَقبُولُ هَنيئاً لَكَ بِثَوابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرِضوانِهِ ، وَرَحمَتِهِ وَغُفرانِهِ ، وَقَبُولِهِ وَإِحسانِهِ ، وَعَفوِهِ وَامتِنانِهِ ، وَخُلُودِهِ في دارِ أَمانِهِ .

وَيا أَيُّها المَطرُودُ بِإِصرارِهِ وَطُغيانِهِ ، وَظُلمِهِ وَعُدوانِهِ ، وَغَفلَتِهِ وَخُسرانِهِ ، وَتَماديهِ في عِصيانِهِ ، لَقَد عَظُمَت مُصيبَتُكَ بِغَضَبِ اللهِ وَهَوانِهِ ، فَأَينَ مُقلَتُكَ الباكِيَةُ ، وَأَينَ دَمعَتُكَ الجارِيَةُ ، وَأَينَ زَفرَتُكَ الرّائِحَةُ الغادِيَةُ لِأَيِّ يَومٍ أَخَّرتَ تَوبَتَكَ ، وَلِأَيِّ عامٍ ادَّخَرتَ عُدَّتَكَ ، إِلىٰ عامٍ قابِلٍ ، وَحَولٍ حائِلٍ ، كَلّا فَما إِلَيكَ مُدَّةُ الأَعمارِ ، وَلا مَعرِفَةُ المِقدارِ ، فَكَم مِن مُؤَمِّلٍ أَمَّلَ بُلُوغَهُ فَلَم يَبلُغهُ ، وَكَم مِن مُدرِكٍ لَهُ وَلَم يَختِمهُ ، وَكَم مَن أَعَدَّ طيباً لِعيدِهِ ، جُعِلَ في تَلحيدِهِ ، وَثِياباً لِتَزيينِهِ ، صارَت لِتَكفينِهِ ، وَمُتَأَهِّباً لِفِطرِهِ ، صارَ مُرتَهِناً في قَبرِهِ ، وَكَم مَن لا يَصُومُ بَعدَهُ سِواهُ وَهُوَ يَطمَعُ في غَيرِهِ أَن يَراهُ ، فَاحمَدُوا اللهَ عِبادَ اللهِ عَلىٰ بُلُوغِ اختِتامِهِ ، وَسَلُوهُ قَبُولَ صِيامِهِ وَقِيامِهِ ، وَراقِبُوهُ لِأَداءِ حُقُوقِهِ ، وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ

اللهِ وَتَوْفِيقِهِ.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّكُمْ فَارَقْتُمْ شَهْراً عَظِيماً، مُتَفَضِّلاً كَرِيماً، أَيْنَ الصُّوَّامُ الْقُوَّامُ، الْمُوافِقُونَ لَكُمْ فِي سَالِفِ الْأَعْوَامِ، أَيْنَ مَنْ كَانُوا مَعَكُمْ لَيَالِيَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَاهِدِينَ، وَفِي كُلِّ حَقٍّ لِلَّهِ مُعَامِلِينَ، مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَالْإِخْوَانِ وَالْأَخَوَاتِ، وَالْجِيرَةِ وَالْقَرَابَاتِ، أَتَاهُمْ وَاللهِ هَاذِمُ اللَّذَّاتِ، وَقَاطِعُ الشَّهَوَاتِ، وَمُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ، فَأَخْلَى مِنْهُمُ الْمَشَاهِدَ، وَعَطَّلَ مِنْهُمُ الْمَسَاجِدَ، تَرَاهُمْ فِي بُطُونِ الْأَلْحَادِ صَرْعَى، لَا يَجِدُونَ لِمَا هُمْ فِيهِ دَفْعاً، وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً، يَنْتَظِرُونَ يَوْماً الْأُمَمُ فِيهِ إِلَى رَبِّهِمْ تُدْعَى، وَالْخَلَائِقُ تُحْشَرُ إِلَى الْمَوْقِفِ وَتَسْعَى، وَالْفَرَائِصُ تَرْعَدُ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَالْعُيُونُ تَذْرِفُ دَمْعاً، وَالْقُلُوبُ تَتَصَدَّعُ مِنَ الْحِسَابِ صَدْعاً. (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً)

فَرَحِمَ اللهُ امْرَءاً مَهَّدَ فِيهِ لِنَفْسِهِ، قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِهِ، وَاشْتَغَلَ بِيَوْمِهِ عَنْ غَدِهِ وَأَمْسِهِ، وَتَزَوَّدَ مِنْ بَقِيَّةِ شَهْرِهِ فَفِي نَفَادِهِ نَفَادُ عُمْرِهِ، وَأَظْهَرَ لِفِرَاقِ شَهْرِهِ جَزَعَهُ، وَسَلَّمَ عَلَى شَهْرِهِ وَوَدَّعَهُ، وَقَالَ:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ رَمَضَانَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ التَّجَاوُزِ وَالْغُفْرَانِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الْبَرَكَةِ وَالْإِحْسَانِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ التُّحَفِ وَالرِّضْوَانِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الْأَمَانِ، كُنْتَ لِلْعَاصِينَ حَبْساً، وَلِلْمُتَّقِينَ أُنْساً، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ النُّسْكِ وَالتَّعَبُّدِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ وَالتَّهَجُّدِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ التَّرَاوِيحِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الْأَنْوَارِ وَالْمَصَابِيحِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الْمَتْجَرِ الرَّبِيحِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْراً يُتْرَكُ فِيهِ الْقَبِيحُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُنْسَ الْعَارِفِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَخْرَ

ألواصفين ، السلامُ عليكَ يا نُورَ الوامقين ، السّلامُ عليكَ يا روضةَ العابدين ، السلامُ عليكَ يا شهراً يتسابقُ فيه المتقون ، السّلامُ عليكَ من فؤادٍ لفراقك محزونٍ ،

فياليتَ شعري : هل تعودُ أيامُكَ أولا تعودُ ، ويا ليتنا تحققنا ما تشهدُ به علينا يومَ الورودِ ، ويا ليتنا علمنا من المقبولُ منّا ومن المطرودُ ، وهل إذا عادت أيامُك فنحنُ في الوجودِ ، ونُنافسُ أهلَ الركوعِ والسجودِ ، أم قدِ انطبقت علينا اللحودُ ، ومزّقنا البلى والدودُ ، فيا أسفاً لتصرّمِك يا شهرَ السعودِ .

سلامٌ منَ الرحمنِ كُلَّ أوانِ ... على خيرِ شهرٍ قد مضى وزمانِ
سلامٌ على شهرِ الصيامِ فإنّهُ ... أمانٌ منَ الرحمنِ كُلَّ أمانِ
لأنْ كنتَ يا شهرَ الصيامِ منوّراً ... لكُلِّ فؤادٍ مظلمٍ وجنانِ
تعبّدَ فيكَ المسلمونَ فأقبلوا ... على ذكرِ تسبيحٍ ودرسِ قرانِ
فيا أسفاً حزناً عليكَ وحرقةً ... تزيدُ على الأعوامِ كُلَّ أوانِ
فيا أيها الشهرُ المباركُ كنْ لنا ... شفيعاً إلى ديّانِ كُلِّ مُدانِ
إذا نشرَ الأمواتَ للحشرِ ربُّنا ... ونادى المنادي عليكُمُ بفلانِ
وقالَ لنا الجبّارُ جلَّ جلالُهُ ... هلمّوا إلينا أيها الثقلانِ
هنالكَ تُعطى كُلُّ نفسٍ كتابَها ... فويلٌ لمنْ زلّتْ بهِ القدمانِ
ترحّلتَ يا شهرَ الصيامِ بصومِنا ... وقدْ كنتَ أنواراً بكُلِّ مكانِ
لئنْ فنيتْ أيامُكَ الزهرُ بغتةً ... فما الحزنُ من قلبي عليكَ بفانِ
عليكَ سلامُ اللهِ كنْ شاهداً لنا ... بخيرٍ رعاكَ اللهُ منْ رمضانِ

فيا شهرَنا غيرَ مودّعٍ ودّعناكَ ، وغيرَ مقليٍّ فارقناكَ ، كانَ نهارُكَ صدقةً وصياماً ، وليلُكَ قراءةً وقياماً ، فعليكَ منّا تحيّةً وسلاماً ، أتراكَ

تَعُودُ بَعْدَهَا عَلَيْنَا ، أَوْ يُدْرِكُنَا الْمَنُونُ فَلا تَؤُولُ إِلَيْنَا ، مَصَابِيحُنَا فِيكَ مَشْهُورَةٌ ، وَمَسَاجِدُنَا مِنْكَ مَعْمُورَةٌ ، فَالآنَ تُطْفَؤُ الْمَصَابِيحُ ، وَتَنْقَطِعُ التَّرَاوِيحُ ، وَنَرْجِعُ إِلَى الْعَادَةِ ، وَنُفَارِقُ شَهْرَ الْعِبَادَةِ ،

شَهْرُ رَمَضَانَ تَرَفَّقْ ، دُمُوعُ الْمُحِبِّينَ تَدَفَّقْ ، قُلُوبُهُمْ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ تَشَقَّقْ، عَسَى وَقْفَةٌ لِلْوَدَاعِ تُطْفِئُ مِنْ نَارِ الشَّوْقِ مَا أَحْرَقَ ، عَسَى سَاعَةُ تَوْبَةٍ وَإِقْلاعٍ تَرْفُو مِنَ الصِّيَامِ كُلَّمَا تَخَرَّقَ ، عَسَى مُنْقَطِعٌ عَنْ رَكْبِ الْمَقْبُولِينَ يَلْحَقُ ، عَسَى أَسِيرُ الأَوْزَارِ يُطْلَقُ ، عَسَى مَنِ اسْتَوْجَبَ النَّارَ يُعْتَقُ ،

عَسَى وَعَسَى مِنْ قَبْلِ وَقْتِ التَّفَرُّقِ إِلَى كُلِّ مَا نَرْجُو مِنَ الْخَيْرِ نَلْتَقِي
فَيُجْبَرُ مَكْسُورٌ وَيُقْبَلُ تَائِبٌ وَيُعْتَقُ خَطَّاءٌ وَيُسْعَدُ مَنْ شَقِي

عِبَادَ اللهِ ، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَنَعَ نَفْسَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْحَرَامِ ، فَلْيَمْنَعْهَا فِيمَا بَعْدَهُ مِنَ الشُّهُورِ وَالأَعْوَامِ ، فَإِنَّ إِلَهَ الشَّهْرَيْنِ وَاحِدٌ ، وَهُوَ عَلَى الزَّمَانَيْنِ مُطَّلِعٌ وَشَاهِدٌ ءاجَرَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى فِرَاقِ شَهْرِ الْبَرَكَةِ ، وَأَجْزَلَ أَقْسَامَنَا وَأَقْسَامَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ الْمُشْتَرَكَةِ ، وَبَارَكَ لَنَا وَلَكُمْ فِي بَقِيَّتِهِ ، وَسَلَكَ بِنَا وَبِكُمْ طَرِيقَ هِدَايَتِهِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ،

اَللَّهُمَّ وَأَهْلُ الْقُبُورِ رَهَائِنُ ذُنُوبٍ لا يُطْلَقُونَ ، وَأُسَارَى وَحْشَةٍ لا يُفَكُّونَ ، وَغُرَبَاءُ سَفَرٍ لا يُنْتَظَرُونَ ، مَحَتْ دَارِسَاتُ الثَّرَى مَحَاسِنَ وُجُوهِهِمْ ، وَجَاوَرَتْهُمُ الْهَوَامُّ فِي مَلاحِدِ قُبُورِهِمْ ، فَهُمْ جُمُودٌ لا يَتَكَلَّمُونَ وَجِيرَانُ قُرْبٍ لا يَتَزَاوَرُونَ ، وَسُكَّانٌ لُحُودٍ إِلَى الْحَشْرِ لا يَظْعَنُونَ ، وَفِيهِمْ مُحْسِنُونَ وَمُسِيئُونَ ، وَمُقَصِّرُونَ وَمُجْتَهِدُونَ ،

اَللَّهُمَّ فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مَسْرُوراً فَزِدْهُ كَرَامَةً وَحُبُوراً ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ

مَلْهُوفاً فَبَدِّلْ حُزْنَهُ فَرَحاً وَسُرُوراً ، اَللّٰهُمَّ وَتَعَطَّفْ عَلىٰ كَافَّةِ أَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ الرَّاحِلِينَ . وَالْمُقِيمِينَ الْمُسْتَسْلِمِينَ ، وَمُجَاوِرِي عَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ حَتَّىٰ يَكُونُوا فِي بُطُونِ الْأَلْحَادِ مُطْمَئِنِّينَ ، وَبِجُودِكَ وَكَرَمِكَ وَاثِقِينَ ، وَإِلَىٰ أَعْلَىٰ دَرَجَاتِكَ سَابِقِينَ ، وَاخْصُصْ بِذٰلِكَ الْآبَاءَ وَالْبَنِينَ ، وَالْإِخْوَةَ وَالْأَخَوَاتِ وَالْأَقْرَبِينَ ، قَبْلَ أَنْ يَشْتَمِلَ الْهَدْمُ عَلَى الْبِنَاءِ ، وَالْكَدَرُ عَلَى الصَّفَاءِ ، وَيَنْقَطِعَ مِنَ الْحَيَاةِ حَبْلُ الرَّجَاءِ ، وَتَصِيرَ الْمَنَازِلُ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرىٰ .

اَللّٰهُمَّ وَمَا قَسَمْتَ فِي هٰذَا الْيَوْمِ مِنْ عِتْقٍ وَغُفْرَانٍ ، وَرَحْمَةٍ وَرِضْوَانٍ ، وَعَفْوٍ وَامْتِنَانٍ ، وَكَرَمٍ وَإِحْسَانٍ ، وَنَجَاةٍ مِنَ النِّيرَانِ ، وَخُلُودٍ فِي نَعِيمِ الْجِنَانِ ، فَاجْعَلْ لَنَا فِيهِ أَوْفَرَ الْحَظِّ وَأَجْزَلَ الْأَقْسَامِ ، وَخُصَّنَا بِالْفَضْلِ وَالْإِكْرَامِ ،

اَللّٰهُمَّ فَكَمَا بَلَّغْتَنَا شَهْرَ الصِّيَامِ ، فَاجْعَلْ عَامَهُ عَلَيْنَا مِنْ أَبْرَكِ الْأَعْوَامِ ، وَأَيَّامَهُ مِنْ أَسْعَدِ الْأَيَّامِ ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا مَا قَدَّمْنَاهُ فِيهِ مِنَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ ، وَاغْفِرْ لَنَا مَا اقْتَرَفْنَاهُ مِنَ الْآثَامِ ، وَخَلِّصْنَا مِنْ مَظَالِمِ الْأَنَامِ ، يَوْمَ لَا يُرْجَىٰ فِيهِ سِوَاكَ يَا عَلَّامُ ،

اَللّٰهُمَّ إِنَّا قَدْ تَوَلَّيْنَا صِيَامَ شَهْرِنَا وَقِيَامَهُ عَلَى التَّقْصِيرِ ، وَأَدَّيْنَا فِيهِ حَقَّكَ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ ، وَقَدْ أَنَخْنَا بِبَابِكَ سَائِلِينَ ، وَلِمَعْرُوفِكَ طَالِبِينَ ، فَلَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ ، وَلَا مِنْ رَحْمَتِكَ آيِسِينَ ، فَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ ، الْأُسَرَاءُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، إِلَيْكَ تَوَجَّهْنَا ، وَلِمَعْرُوفِكَ تَعَرَّضْنَا ، وَلِبَابِكَ قَرَعْنَا ، وَمِنْ فَضْلِكَ سَأَلْنَا ، فَارْحَمْ خُضُوعَنَا ، وَاقْبَلْ خُشُوعَنَا ، وَاجْبُرْ قُلُوبَنَا ، وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا ، وَاغْفِرْ ذُنُوبَنَا ، وَأَقِرَّ بِرُؤْيَتِكَ فِي الْآخِرَةِ عُيُونَنَا ، وَلَا تَصْرِفْ وَجْهَكَ الْكَرِيمَ عَنَّا ، وَاجْعَلْ عَمَلَنَا مَقْبُولاً ، وَسَعْيَنَا

مَشْكُوراً ، وَحَظَّنا في هٰذا اليَوْمِ مَوْفوراً ،

أَللّٰهُمَّ إِنْ كانَ في سابِقِ عِلْمِكَ أَنْ تَجْمَعَنا في مِثْلِهِ فَبارِكْ لَنا فيهِ ، وَإِنْ قَضَيْتَ بِقَطْعِ آجالِنا وَما يَحُولُ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ ، فَأَحْسِنِ الخِلافَةَ عَلىٰ باقينا ، وَأَوْسِعِ الرَّحْمَةَ عَلىٰ ماضينا ، وَعُمَّنا جَميعاً بِرَحْمَتِكَ وَرِضْوانِكَ وَاجْعَلِ المَوْعِدَ بُحْبُوحَ جِنانِكَ ، مَعَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ ، وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفيقاً ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحابِهِ وَالتّابِعينَ وَسَلَّمَ والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ .

الموعظة التاسعة والعشرون
في الحث على الاجتهاد والطاعة والمنافسة في سبل الخيرات فيما بقي من شهر رمضان والتحذير عن العودة إلى العودة إلى المعاصي بعده

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ من عِبادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ ، سُبْحانَهُ لَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ مِلْأَ الأَرْضِ وَالسَّمٰواتِ ، وَمِلْءَ ما بَيْنَهُما وَمِلْأَ ما شاءَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَها مِنَ الْكائِناتِ ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ جَمِيعَ الْبَرِيّاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ السّاداتِ ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحابِهِ الأَئِمَّةِ الْعامِلِينَ وَالْمُصْلِحِينَ الْهُداةِ ،

أَمّا بَعْدُ فَيا إِخْوانِيَ الْكِرامَ - لا تَيْأَسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ ، إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ ، قالَ تَعالىٰ ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ قِيلاً ، « قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ ، إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » وَقالَ : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » وَقالَ : « وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غَفُوراً رَحِيماً »

وَقالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ لِلّٰهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْها رَحْمَةً واحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ وَالْبَهائِمِ وَالْهَوامِّ فَبِها يَتَعاطَفُونَ وَبِها يَتَراحَمُونَ ، وَأَخَّرَ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِها عِبادَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ» وَيُرْوىٰ : « أَنَّهُ إِذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ أَخْرَجَ اللّٰهُ تَعالىٰ كِتاباً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ فِيها إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي وَأَنا أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ ، فَيَخْرُجُ مِنَ النّارِ مِثْلا أَهْلِ الْجَنَّةِ »

فَاشْتَغِلُوا أَيُّهَا الإِخْوانُ ، بِطاعَةِ اللهِ في آخِرِ شَهْرِ رَمَضانَ ، إِنَّ العِبْرَةَ بِالأَواخِرِ ، فَكَمْ مِنْ عاصٍ تابَ إِلىٰ رَبِّهِ وَأَطاعَ فَأَدْرَكَتْهُ عِنايَةُ اللهِ في الآخِرِ . وَحازَ ما حازَهُ الأَبْرارُ الأَوَّلُونَ ، وَالعامِلُونَ المُخْلِصُونَ المُقَرَّبُونَ ، فَاجْتَهِدُوا رَحِمَكُمُ اللهُ وَأَكْثِرُوا فيما بَقِيَ مِنْ هٰذا الشَّهْرِ مِنَ الطّاعَةِ وَالذِّكْرِ وَالاعْتِكافِ وَالاسْتِغْفارِ ، وَمِنْ سُؤالِ الجَنَّةِ وَالتَّعَوُّذِ مِنَ النّارِ ، وَمِنَ البِرِّ وَالخَيْرِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى المُحْتاجِينَ ، خُصُوصاً عَلىٰ ذَوِي القُرْبىٰ وَاليَتامىٰ وَالأَرامِلِ وَالمَساكِينِ ، وَأَقْبِلُوا عَلىٰ فَرائِضِ اللهِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِكَثْرَةِ تِلاوَةِ القُرْآنِ ، وَداوِمُوا عَلىٰ طاعَتِهِ ، وَاسْتَقِيمُوا في دِينِكُمْ ، وَلْيَكُنْ رَمَضانُ حَدّاً فاصِلاً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ المَعاصِي ، فَإِنَّ المَعاصِيَ تُزِيلُ النِّعَمَ ، وَتُبَدِّلُ لَها بِالنِّقَمِ ، وَكُونُوا مُسْلِمِينَ حَقّاً ، وَمُؤْمِنِينَ صِدْقاً ، تَعْبُدُونَ اللهَ في كُلِّ حِينٍ ، حَتّىٰ تَكُونُوا مِنْ أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، وَمِنَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، وَلا تَكُونُوا مِنْ أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَصُومُونَ في رَمَضانَ وَيَهْتَدُونَ ، وَيُصَلُّونَ فِيهِ الصَّلَواتِ الخَمْسَ وَيَعْبُدُونَ اللهَ وَيَتَّقُونَ ، فَإِذا انْقَضىٰ شَهْرُ الطّاعَةِ وَالغُفْرانِ ، رَجَعُوا إِلَى الضَّلالِ وَالعِصْيانِ ، وَأَلْسِنَةُ أَحْوالِهِمْ تَقُولُ ـ رَمَضانُ وَلّىٰ ـ هاتِها يا ساقِي ـ إِلىٰ آخِرِ ما يَقُولُ ، وَيُصْبِحُ هٰؤُلاءِ وَكَأَنَّهُمْ غَيْرُ أُولٰئِكَ الَّذِينَ كانُوا بِالأَمْسِ صائِمِينَ قائِمِينَ ، خاشِعِينَ خاضِعِينَ لِلّٰهِ رَبِّ العالَمِينَ ،

أَتُرىٰ كَيْفَ ساغَ لَهُمْ أَنْ يَرْتَدُوا ثَوْبَ الضَّلالِ بَعْدَ ثَوْبِ الهُدىٰ ، وَيَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، ـ يا هٰؤُلاءِ ـ إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَى الَّذِي تَعْبُدُونَهُ في رَمَضانَ ، هُوَ الإِلٰهُ المَوْجُودُ المَعْبُودُ في شَوّالٍ

وَغَيْرِ شَوَّالٍ ، وَهُوَ اللهُ الواحِدُ القَهّارُ في رَمَضانَ ، وَفي سائِرِ الشُّهُورِ وَالأعْوامِ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَما بالُكُمْ تَعْصُونَ بَعْدَ طاعَةٍ ، وَتَضِلُّونَ بَعْدَ هُدىً ، وَتَعْوَجُّونَ بَعْدَ اسْتِقامَةٍ ، وَتَكْفُرُونَ بَعْدَ إيمانٍ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ ، فَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى حَيٌّ أَبَدِيٌّ لا يَفْنى وَلا يَمُوتُ . وَهُوَ الحَيُّ القَيُّومُ الدائِمُ الباقِي الَّذي لا يَزُولُ وَلا يَتَحَوَّلُ ، وَيَدُومُ وَجْهُهُ الكَرِيمُ ، وَيَفْنى كُلُّ شَيْءٍ « كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرامِ » وَإِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ رَمَضانَ ، فَرَمَضانُ يَأْتِي وَيَزُولُ ، وَيَرُوحُ وَيَغْدُو ، وَلا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرّاً وَلا نَفْعاً ، وَسَوْفَ تُحْرَمُونَ مِنْ ثَمَراتِ الصِّيامِ إِنْ لَمْ تُرِيدُوا بِصِيامِكُمْ وَجْهَ اللهِ تَعالى ، قالَ كَعْبٌ : مَنْ صامَ رَمَضانَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ إِذا أَفْطَرَ بَعْدَ رَمَضانَ لا يَعْصِي اللهَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلا حِسابٍ ، وَمَنْ صامَ رَمَضانَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ إِذا أَفْطَرَ عَصى رَبَّهُ فَصِيامُهُ عَلَيْهِ مَرْدُودٌ ، فاعْبُدُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، وَاتَّقُوهُ في جَمِيعِ الأَحْوالِ ، وَراقِبُوهُ فَإِنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى الأَقْوالِ مِنْكُمْ وَالأَفْعالِ ، ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ شَهْرَ رَمَضانَ قَدْ قَوَّضَ لِلرَّحِيلِ خِيامَهُ ، وَآذَنَ بِالفِراقِ بَعْدَ الإِقامَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلاّ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، أَوْ بَعْضُ هٰذا اليَوْمِ ، وَهُوَ إِمّا حامِدٌ لِصَنِيعِكُمْ ، أَوْ ذامٌّ لِتَضْيِيعِكُمْ فَيا سَعادَةَ مَنْ أَحْسَنَ صِيامَهُ وَقِيامَهُ ، وَالْتَزَمَ تَعْظِيمَهُ وَاحْتِرامَهُ ، وَياخَسارَةَ مَنْ أَساءَ فِيهِ الصِّيامَ وَالقِيامَ ، وَقَضاهُ بَيْنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالمَنامِ ،

فَيا أَيُّها الصائِمُونَ تَدارَكُوا ما فَرَطَ مِنْكُمْ بِالتَّوْبَةِ وَصالِحِ العَمَلِ فَهٰذا شَهْرٌ لاقِيمَةَ لَهُ فَيُباعُ ، وَلا يُسْتَدْرَكُ مِنْهُ ما ضاعَ ، فَاللهَ اللهَ في

الإجتهادِ قبلَ غَلْقِ البابِ ، وَالنُّهوضِ إلى الأَسْبابِ قبلَ طَيِّ الكِتابِ ، لَقَدْ ذَهبَتْ أيَّامُهُ وَما أطَعْتُمْ ، وَكُتِبَتْ عَلَيْكُمْ آثامُهُ وَما أضَعْتُمْ ، وَكَأنَّكُمْ بِالمُشَمِّرِينَ فيهِ وَقَدْ وَصَلُوا وَانْقَطَعْتُمْ ، أَتُرىٰ مَا هٰذا التَّوْبِيخُ لَكُمْ أوْ ما سَمِعْتُمْ ،

إِخْواني ـ هٰذا شَهْرُ رَمَضانَ مَوْسِمُ القَبُولِ وَالغُفْرانِ ، قَدْ بَقِيَ مِنْهُ لَيْلَةٌ واحِدَةٌ ، وَاقْتَسَمَ العامِلُونَ فَوائِدَهُ ، وَبَقِيَ مِنْ أيَّامِهِ يَوْمٌ ، وَكَأنَّهُ طَيْفٌ زارَ في النَّوْمِ ، فَلَقَدْ كانَ لِلْمُتَّقِينَ رَوْضَةً وَأُنْساً ، وَلِلْغافِلِينَ قَيْداً وَحَبْساً ، وَكانَ نُزْهَةً لِلأَبْرارِ ، وَقَيْداً لِلأَشْرارِ ، فَطُوبىٰ لِمَنْ حَلَّ فِيهِ عُقْدَةَ الإِصْرارِ ، وَحَلَّ في رَوْضَةِ التَّقْوىٰ في مَنْزِلِ الإِفْتِقارِ ، وَخَتَمَ شَهْرَهُ بِالإِسْتِغْفارِ ، لَعَلَّهُ يَرْفُو خُلَلَ التَّقْصِيرِ وَيَمْحُو الأَوْزارَ .

أَيُّ شَهْرٍ قَدْ تَوَلّىٰ يا عِبادَ اللهِ عَنّا حَقَّ أنْ نَبْكِيَ عَلَيْهِ بِدِماءٍ لَوْ عَقَلْنا
كَيْفَ لا نَبْكي لِشَهْرٍ مَرَّ بِالغَفْلَةِ عَنّا ثُمَّ لا نَعْلَمُ أنّا قَدْ قُبِلْنا أوْ طُرِدْنا
لَيْتَ شِعْري مَنْ هُوَ المَحْرُومُ وَالمَطْرُودُ مِنّا وَمِنَ المَقْبُولُ مِمَّنْ صامَ مِنّا فَيُهَنّا
كانَ هٰذا الشَّهْرُ نُوراً بَيْنَنا يَزْهَرُ حُسْناً فَاجْعَلِ اللّٰهُمَّ عُقْباهُ لَنا نُوراً وَحُسْنا

إِخْواني مَنْ كانَ مِنْكُمْ قَدْ أحْسَنَ في شَهْرِهِ هٰذا فَعَلَيْهِ بِالإِتْمامِ ، وَمَنْ كانَ مِنْكُمْ قَدْ فَرَّطَ فِيهِ فَلْيَخْتِمْهُ بِالحُسْنىٰ فَالعَمَلُ بِالخِتامِ ، وَاسْتَوْدِعُوهُ عَمَلاً صالِحاً يَشْهَدُ لَكُمْ بِهِ عِنْدَ المَلِكِ العَلّامِ ، وَوَدِّعُوهُ عِنْدَ فِراقِهِ بِأَزْكىٰ تَحِيَّةٍ وَسَلامٍ ،

سَلامٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ كُلَّ أوانِ عَلىٰ خَيْرِ شَهْرٍ قَدْ مَضىٰ وَزَمانِ
سَلامٌ عَلىٰ شَهْرِ الصِّيامِ فَإِنَّهُ أَمانٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ كُلَّ أَمانِ
لَئِنْ فَنِيَتْ أيّامُكَ الغُرُّ بَغْتَةً فَما الحُزْنُ مِنْ قَلْبي عَلَيْكَ بِفاني

مَضىٰ شَهْرُ رَمَضانَ ، وَكَأنَّهُ ما كانَ ، وَشَهِدَ عَلَى المُسِيءِ بِالإِساءَةِ وَعَلَى

الْمُحْسِنِ بِالْإِحْسَانِ ، وَحَصَلَ كُلُّ مَا قُسِمَ لَهُ مِنْ رِبْحٍ وَخُسْرَانٍ ، فَيَاحَسْرَةَ الْمُفَرِّطِ لَقَدْ أَضَاعَ الزَّمَانَ ، وَيَاخَيْبَةَ الْمُسِيءِ كَأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ الْمَوْتِ الْأَمَانَ أَعَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ يُمْهِلُهُ إِلَى رَمَضَانَ ثَانٍ .

إِذَا وَجَدَ الْإِنْسَانُ لِلْخَيْرِ فُرْصَةً وَلَمْ يَغْتَنِمْهَا فَهُوَ لَا شَكَّ عَاجِزُ
وَهَلْ مِثْلُ هَذَا الشَّهْرِ لِلْعَفْوِ مَوْسِمٌ وَلَكِنْ أَيْنَ الْعَامِلُ الْمُتَنَاهِزُ

فَلِلَّهِ دَرُّهُ مَا كَانَ أَطْيَبَ زَمَانَهُ فِي صَوْمٍ وَسَهَرٍ ، وَمَا كَانَ أَصْفَى أَوْقَاتَهُ مِنْ آفَاتٍ وَكَدَرٍ ، وَمَا كَانَ الْإِشْتِغَالُ فِيهِ بِالْآيَاتِ وَالسُّوَرِ ، فَيَالَيْتَ شِعْرِي مَنْ قَامَ بِوَاجِبَاتِهِ وَسُنَنِهِ ، وَمَنِ اجْتَهَدَ فِي عِمَارَةِ زَمَنِهِ ، وَمَنِ الَّذِي تَخَلَّصَ مِنْ آفَاتِ الصَّوْمِ وَفِتَنِهِ .

إِخْوَانِي - أَكْثِرُوا مِنَ التَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ ، وَقُولُوا بِرَفِيعِ الْأَصْوَاتِ : إِلٰهَنَا وَسَيِّدَنَا لَا تَحْرِمْنَا مِنْ نَبِيِّكَ الشَّفَاعَةَ ، وَاجْعَلِ التَّقْوَى لَنَا أَرْبَحَ بِضَاعَةٍ ، وَآمِنْ خَوْفَنَا يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ .

وَمُدُّوا أَيْدِيَ الذُّلِّ وَالْإِفْتِقَارِ ، وَأَسِيلُوا مِنْ عُيُونِكُمْ دَمْعَهَا الْمِدْرَارَ ، وَنَادُوا بِرَفِيعِ الْأَصْوَاتِ بِالسِّرِّ وَالْجِهَارِ ، عَبِيدُكَ أَهْلُ الْمَعَاصِي وَالْإِصْرَارِ أَتَوْكَ يَرْجُونَ الْعَفْوَ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْأَوْزَارِ ، وَقَدْ عَثَرْنَا فَأَقِلْ عَثْرَتَنَا مِنَ النَّارِ ، رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ .

إِلٰهَنَا ، شَفِيعُنَا إِلَيْكَ الذُّلُّ وَالْإِنْكِسَارُ ، وَالنَّدَمُ وَالرُّجُوعُ وَالدُّمُوعُ الْغِزَارُ .

إِلٰهَنَا ، إِنْ كَانَتْ ذُنُوبُنَا قَدْ أَخَافَتْنَا مِنْ عِقَابِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِكَ قَدْ أَطْمَعَنَا فِي ثَوَابِكَ ، فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ أَوْلَى مِنْكَ بِذٰلِكَ ، وَإِنْ عَذَّبْتَ فَمَنْ أَعْدَلُ مِنْكَ هُنَالِكَ .

إِلٰهِي ، إِنْ كُنْتَ لَا تَقْبَلُ إِلَّا مِنَ الْمُخْلِصِينَ ، فَمَنْ لِلْعَامِلِينَ الْمُخْلِطِينَ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَرْحَمُ إِلَّا الْمُجْتَهِدِينَ ، فَمَنْ لِأَهْلِ التَّفْرِيطِ وَالْمُقَصِّرِينَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تُكْرِمُ إِلَّا الْمُحْسِنِينَ ، فَمَنْ لِلْغَافِلِ الْمِسْكِينِ .

إِلٰهِي ، فَأَفِضْ عَلَى الْجَمِيعِ مِنْ بَحْرِ فَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ ، وَجَلِّلْنَا مِنْ عَطَايَاكَ وَامْتِنَانِكَ ، وَشَفِّعِ الْمُحْسِنَ فِي الْمُسِيئِينَ ، وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالصَّالِحِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الموعظة الثلاثون

في فضل عيد الفطر

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَصَّنَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأُمَمِ بِشَهْرِ الصِّيَامِ وَالصَّبْرِ، وَغَسَلَ بِهِ ذُنُوبَ الصَّائِمِينَ كَغَسْلِ الثَّوْبِ بِمَاءِ الْقَطْرِ، فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ إِذْ رَزَقَنَا إِتْمَامَهُ وَأَنَالَنَا عِيدَ الْفِطْرِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَرْجُو بِهَا النَّجَاةَ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ شَفِيعُ الأُمَّةِ يَوْمَ الْحَشْرِ، اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا دَارَتِ الأَفْلَاكُ وَتَعَاقَبَ الدَّهْرُ،

أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِي الْكِرَامَ - إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ الْعِيدَ سُمِّيَ بِذٰلِكَ لِتَكَرُّرِهِ كُلَّ عَامٍ، وَقِيلَ لِكَثْرَةِ عَوَائِدِ اللهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ، وَقِيلَ لِعَوْدِ السُّرُورِ بِعَوْدَتِهِ وَاغْتِنَامِ صَلَاتِهِ، قَالَ تَعَالَى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى» عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: تَزَكَّى أَيْ تَصَدَّقَ صَدَقَةَ الْفِطْرِ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ كَبَّرَ يَوْمَ الْعِيدِ فَصَلَّى صَلَاةَ الْعِيدِ، وَعَلَى ذٰلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ الأَئِمَّةُ فِي صَلَاةِ الْعِيدِ بَيْنَ الْوُجُوبِ وَالنَّدْبِ - قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ صَلَاةُ الْعِيدِ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ كَالْجُمُعَةِ - وَعِنْدَ الإِمَامَيْنِ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ، أَنَّهَا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وَعِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ، أَنَّهَا فَرْضُ كِفَايَةٍ.

وَهِيَ رَكْعَتَانِ - وَصِفَتُهَا عِنْدَ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - يُكَبِّرُ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى سَبْعاً[1]، وَفِي الثَّانِيَةِ خَمْساً[2]، وَيَقْرَأُ فِي الأُولَى بَعْدَ الْفَاتِحَةِ - قٓ - وَفِي الثَّانِيَةِ - اقْتَرَبَتْ - وَإِنْ شَاءَ قَرَأَ فِي الأُولَى - سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى -

(١) سوى تكبيرة الإحرام. (٢) سوى تكبيرة القيام.

وَفِي الثَّانِيَةِ ـ هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ ثُمَّ يَخْطُبُ بَعْدَهُما خُطْبَتَيْنِ كَالْجُمُعَةِ ، وَيَفْتَتِحُ الأُولىٰ نَدْباً بِتِسْعِ تَكْبِيراتٍ ، وَالثَّانِيَةَ بِسَبْعٍ .

وَفِعْلُها عِنْدَ الأَئِمَّةِ الثَّلاثَةِ بِالصَّحْراءِ ظاهِرِ الْبَلَدِ أَفْضَلُ مِنْ فِعْلِها فِي الْمَسْجِدِ، وَعِنْدَ الشّافِعِيِّ، فِعْلُها فِي الْمَسْجِدِ أَفْضَلُ إِذا كانَ واسِعاً ـ وَالصَّحِيحُ أَنَّ التَّكْبِيرَ فِي عِيدِ الْفِطْرِ آكَدُ مِنْهُ فِي يَوْمِ النَّحْرِ ، لِقَوْلِهِ تَعالىٰ: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلىٰ ما هَداكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » وَوَقْتُ تَكْبِيرِ عِيدِ الْفِطْرِ عِنْدَ الإِمامِ الشّافِعِيِّ وَالإِمامِ مالِكٍ ، مِنْ رُؤْيَةِ الْهِلالِ إِلىٰ أَنْ يُحْرِمَ الإِمامُ بِصَلاةِ الْعِيدِ : وَكانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما إِذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ غَدا إِلَى الْمُصَلّىٰ، وَكانَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ حَتّىٰ يَأْتِيَ الْمُصَلّىٰ ثُمَّ يُكَبِّرُ بِالْمُصَلّىٰ حَتّىٰ إِذا جَلَسَ الإِمامُ تَرَكَ التَّكْبِيرَ . قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « زَيِّنُوا أَعْيادَكُمْ بِالتَّكْبِيرِ » وَفِي رِوايَةٍ : « زَيِّنُوا الْعِيدَ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ » وَوَرَدَ أَنَّ صَلاةَ الْعِيدَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاةِ النَّفْلِ ، وَأَوَّلُ عِيدٍ صَلّاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِيدُ الْفِطْرِ فِي السَّنَةِ الثّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ ، وَلَمْ يَتْرُكْها النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَيُنْدَبُ الْغُسْلُ لِلْعِيدَيْنِ لِكُلِّ أَحَدٍ وَالتَّطَيُّبُ وَالتَّزَيُّنُ ، فَقَدْ كانَتِ الصَّحابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَحُثُّونَ عَلىٰ غُسْلِ الْعِيدَيْنِ ، وَكانُوا يَغْتَسِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْمُصَلّىٰ ، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « إِنَّ هٰذا يَوْمٌ جَعَلَهُ اللهُ عِيداً لِلْمُسْلِمِينَ فَاغْتَسِلُوا وَمَنْ كانَ عِنْدَهُ طِيبٌ فَلا يَضُرُّهُ أَنْ يَمَسَّ مِنْهُ وَعَلَيْكُمْ بِالسِّواكِ » وَقالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما « كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحُثُّ بِالتَّجَمُّلِ بِالثِّيابِ الْحَسَنَةِ فِي الْعِيدِ » وَكانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرْدَةٌ حِبَرَةٌ يَلْبَسُها فِي كُلِّ عِيدٍ ، وَيُكْرَهُ لُبْسُ السِّلاحِ فِي يَوْمِ الْعِيدِ إِلّا لِخَوْفٍ مِنْ عَدُوٍّ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَأْكُلَ شَيْئاً مِنْ تَمْرٍ وَنَحْوِهِ فِي عِيدِ الْفِطْرِ قَبْلَ الْخُرُوجِ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنْ يَكُونَ وِتْراً .. وَيُمْسِكَ فِي الْأَضْحَىٰ حَتَّىٰ يَرْجِعَ مِنْ صَلَاتِهِ وَأَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمُصَلَّىٰ مِنْ طَرِيقٍ ، وَيَرْجِعَ مِنْ آخَرَ ، وَأَنْ يَكُونَ الذَّهَابُ وَالْإِيَابُ مَاشِياً كُلُّ ذٰلِكَ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ كَانَ يَرْجِعُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا جَاءَ مِنْهُ ، وَكَانَ يُعَجِّلُ صَلَاةَ الْأَضْحَىٰ ، وَيُؤَخِّرُ صَلَاةَ الْفِطْرِ ، وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، كَانَتِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَقُولُونَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفُوا مِنْ صَلَاةِ الْعِيدِ : تَقَبَّلَ اللهُ مِنَّا وَمِنْكَ يَا رَسُولَ اللهِ . فَيَقُولُ : نَعَمْ تَقَبَّلَ اللهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ ، وَكَانَ يَحُثُّ عَلَى الذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ فِي لَيْلَتَيِ الْعِيدَيْنِ ، وَعَلَى التَّكْبِيرِ لَيْلَةَ الْفِطْرِ ، وَيَقُولُ : « مَنْ أَحْيَا لَيْلَتَيِ الْعِيدَيْنِ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ »

وَفَائِدَةُ إِحْيَاءِ لَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ : أَنْ يَكُونَ خِتَاماً لِقِيَامِهِ ، فَإِنْ كَانَ قِيَاماً تَامّاً ، كَانَ خِتَامُ الْإِجْتِهَادِ اجْتِهَادًا ، وَإِنْ كَانَ مُفَرِّطاً فِيمَا مَضَىٰ مِنْ قِيَامِهِ وَصِيَامِهِ ، كَانَ ذٰلِكَ نَدَماً عَلَىٰ تَفْرِيطِهِ ، فَلَعَلَّهُ يُدْرِكُ اللِّحَاقَ بِمَنْ أُعْتِقَ فِيهِ .

رَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدِ الْفِطْرِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ أَبْوَابِ الطُّرُقِ فَنَادَوْا : أُغْدُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ رَبٍّ كَرِيمٍ ، يَمُنُّ بِالْخَيْرِ ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيْهِ الْجَزِيلَ ، لَقَدْ أُمِرْتُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَقُمْتُمْ ، وَأُمِرْتُمْ بِصِيَامِ النَّهَارِ فَصُمْتُمْ ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ فَاقْبِضُوا جَوَائِزَكُمْ ، فَإِذَا صَلَّوْا ، نَادَىٰ مُنَادٍ ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ ، فَارْجِعُوا رَاشِدِينَ إِلَىٰ رِحَالِكُمْ فَهُوَ يَوْمُ الْمُجَازَاةِ ، وَيُسَمَّىٰ ذٰلِكَ الْيَوْمُ

فِي السَّمَاءِ يَوْمَ الْجَائِزَةِ)

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدِ الْفِطْرِ ، هَبَطَتِ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُومُونَ عَلَى أَفْوَاهِ السِّكَكِ ، يُنَادُونَ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ جَمِيعُ مَنْ خَلَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ، يَقُولُونَ : يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ اُخْرُجُوا إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ يُعْطِي الْجَزِيلَ ، وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ ، فَإِذَا بَرَزُوا إِلَى الْمُصَلَّى ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلَائِكَةِ يَا مَلَائِكَتِي ، مَا جَزَاءُ الْأَجِيرِ إِذَا عَمِلَ عَمَلَهُ فَيَقُولُونَ : إِلٰهَنَا وَسَيِّدَنَا جَزَاؤُهُ أَنْ يُوَفَّى أَجْرَهُ ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى : أُشْهِدُكُمْ يَا مَلَائِكَتِي ، أَنِّي جَعَلْتُ ثَوَابَ صِيَامِهِمْ وَقِيَامِهِمْ رِضَائِي وَمَغْفِرَتِي يَا عِبَادِي سَلُونِي فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ فِي جَمْعِكُمْ هٰذَا شَيْئاً لِآخِرَتِكُمْ إِلَّا أَعْطَيْتُكُمْ ، وَلَا لِدُنْيَاكُمْ إِلَّا نَظَرْتُ إِلَيْكُمْ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَسْتُرَنَّ عُيُوبَكُمْ فَلَا أُؤَاخِذُكُمْ وَلَا أَفْضَحُكُمْ ، إِنْصَرِفُوا مَغْفُوراً لَكُمْ ، قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَرَضِيتُ عَنْكُمْ » .

وَاعْلَمُوا أَنَّ يَوْمَ الْعِيدِ يَوْمٌ سَعِيدٌ ، يُسْعَدُ فِيهِ أُنَاسٌ وَيَشْقَى فِيهِ عَبِيدٌ فَطُوبَى لِعَبْدٍ قُبِلَتْ فِيهِ أَعْمَالُهُ ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ عَمَلُهُ عَلَيْهِ مَرْدُودٌ وَبَابُ التَّوْبَةِ عَنْهُ مَسْدُودٌ ، وَهُوَ يَوْمٌ يُهَنَّى فِيهِ الْمَقْبُولُ وَيُعَزَّى فِيهِ الْمَطْرُودُ ، فَاجْتَنِبُوا رَحِمَكُمُ اللهُ فِيهِ قَبِيحَ الْأَفْعَالِ ، وَاسْعَوْا فِي مَرْضَاةِ الْمَلِكِ ذِي الْجَلَالِ ، عَسَى أَنْ يُنْجِيَكُمْ مِنْ رَدِيءِ الْأَفْعَالِ ،

وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يُكْثِرَ اللَّعِبَ وَالضَّحِكَ فِي يَوْمِ الْعِيدِ ، فَقَدْ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَظْهَرُ عَلَيْهِ الْحُزْنُ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ ، فَيُقَالُ لَهُ ، إِنَّهُ يَوْمُ فَرَحٍ وَسُرُورٍ ، فَيَقُولُ : صَدَقْتُمْ ، وَلٰكِنِّي عَبْدٌ أَمَرَنِي مَوْلَايَ أَعْمَلُ لَهُ عَمَلاً فَلَا أَدْرِي أَتَقَبَّلَهُ مِنِّي أَمْ لَا :

لَيْسَ عيدَ الْمُحِبِّ قَصْدُ الْمُصَلّىٰ وَانْتِظارُ الأَميرِ وَالسُّلْطانِ
إِنَّمَا الْعيدُ أَنْ تَكُوْنَ لَدى اللهِ كَريماً مُقَرَّباً في أَمـــانِ

رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ : كُوْنُوْا لِقَبُوْلِ الْعَمَلِ أَشَدَّ اهْتِماماً مِنْكُمْ بِالْعَمَلِ أَلَمْ تَسْمَعُوا اللهَ يَقُوْلُ : « إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ » وَهٰذِهِ حالُ السَّلَفِ يَجْتَهِدُوْنَ في إِتْمامِ الْعَمَلِ وَإِكْمالِهِ وَإِتْقانِهِ ثُمَّ يَهْتَمُّوْنَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِقَبُوْلِهِ ، وَيَخافُوْنَ مِنْ رَدِّهِ ، وَهٰؤُلاءِ الَّذينَ يُؤْتُوْنَ ما آتَوْا وَقُلُوْبُهُمْ وَجِلَةٌ » .

وَعَنْ فُضالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قالَ : لَأَنْ أَكُوْنَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَقَبَّلَ مِنّي مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيا وَما فيها ، لِأَنَّ اللهَ يَقُوْلُ (إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) .

وَقالَ مالِكُ بْنُ دينارٍ : الْخَوْفُ عَلَى الْعَمَلِ أَنْ لّا يُتَقَبَّلَ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ وَقالَ عَبْدُ الْعَزيزِ بْنُ أَبي رَوّادٍ : أَدْرَكْتُهُمْ يَجْتَهِدُوْنَ في الْعَمَلِ الصّالِحِ فَإِذا فَعَلُوْهُ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْهَمُّ ، أَيُقْبَلُ مِنْهُمْ أَمْ لا ، قالَ بَعْضُ السَّلَفِ : كانُوْا يَدْعُوْنَ اللهَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضانَ ، ثُمَّ يَدْعُوْنَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنْهُمْ ، وَرَأىٰ وُهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ قَوْماً يَضْحَكُوْنَ في يَوْمِ الْعيدِ فَقالَ : إِنْ كانَ هٰؤُلاءِ تُقُبِّلَ مِنْهُمْ صِيامُهُمْ فَما هٰذا فِعْلُ الشّاكِرينَ ، وَإِنْ كانَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُمْ صِيامُهُمْ فَما هٰذا فِعْلُ الْخائِفينَ ،

وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ عيدٍ فَوَجَدَهُ يَأْكُلُ خُبْزاً خَشِناً ، فَقالَ : يا أَميرَ الْمُؤْمِنِينَ ، يَوْمَ الْعيدِ تَأْكُلُ خُبْزاً خَشِناً ، فَقالَ : الْيَوْمُ عيدُ مَنْ قُبِلَ صَوْمُهُ ، وَشُكِرَ سَعْيُهُ ، وَغُفِرَ ذَنْبُهُ ثُمَّ قالَ : الْيَوْمَ لَنا عيدٌ وَغَداً لَنا عيدٌ ، وَكُلُّ يَوْمٍ لا نَعْصي اللهَ تَعالىٰ فَهُوَ عيدٌ ، فَيا أَيُّهَا الْمَقْبُوْلُ هَنيئاً لَكَ ، وَيا أَيُّهَا الْمَطْرُوْدُ جَبَرَ اللهُ مُصيبَتَكَ

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ » وَلِلنِّسَائِيِّ : « جَعَلَ اللهُ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، فَشَهْرٌ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَ الفِطْرِ تَمَامُ السَّنَةِ » وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوَّالٍ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَصُومَ هٰذِهِ السِّتَّةَ ، لِيَحُوزَ هٰذَا الفَضْلَ الكَبِيرَ فَإِنَّ عَلَامَةَ قَبُولِ الطَّاعَةِ وَصْلُهَا بِطَاعَةٍ أُخْرَىٰ ، وَصِيَامُهَا يَدُلُّ عَلَىٰ رَغْبَتِهِ فِي الصِّيَامِ وَأَنَّهُ لَمْ يَمَلَّهُ ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الصَّائِمَ بَعْدَ رَمَضَانَ ، كَالكَارِّ بَعْدَ الفِرَارِ يَعْنِي كَالَّذِي يَفِرُّ مِنَ القِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِ ، فَلَا تُهْمِلُوا أَيُّهَا الإِخْوَانُ هٰذِهِ الفَضِيلَةَ ، وَاجْتَهِدُوا فِي إِكْمَالِ العَمَلِ وَإِتْمَامِهِ لِتَنَالُوا أَجْراً عَظِيماً ، وَفَضْلاً كَبِيراً .

اَللّٰهُمَّ أَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ بِرِّكَ وَإِحْسَانِكَ ، وَاخْتِمْ لَنَا شَهْرَ رَمَضَانَ بِغُفْرَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ فَازَ بِغُرَفِ جِنَانِكَ ، وَاجْبُرْ قُلُوبَنَا بِعَفْوِكَ وَرِضْوَانِكَ وَاكْتُبْ لَنَا بِالأَمْنِ وَالأَمَانِ تَوْقِيعَ أَمَانِكَ ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا مَا عَمِلْنَاهُ ، فَإِنَّا نَرْجُو قَبُولَكَ مَعَ إِحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ تَقْصِيرِنَا وَمَا اقْتَرَفْنَاهُ مِنْ عِصْيَانِكَ ، وَآمِنَّا مِنْ عَذَابِكَ وَنِيرَانِكَ .

اَللّٰهُمَّ أَنْتَ رَجَاؤُنَا إِذَا انْقَطَعَتِ الأَسْبَابُ ، وَفَرَجُنَا إِذَا غُلِقَتِ الأَبْوَابُ وَمِنْكَ نَطْلُبُ جَزِيلَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ ، فَعَامِلْنَا بِعَفْوِكَ يَا حَاكِمَ الحُكَّامِ ، وَأَحْسِنْ لَنَا الخِتَامَ ، اَللّٰهُمَّ إِنَّا تَوَلَّيْنَا صِيَامَ رَمَضَانَ عَلَىٰ تَقْصِيرٍ ،

وَقَدْ أَدَّيْنَا فِيهِ حَقَّكَ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ ، وَقَدْ أَنَخْنَا بِبَابِكَ سَائِلِينَ ، فَلَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ ، وَلَا مِنْ رَحْمَتِكَ آيِسِينَ ، اَللَّهُمَّ اجْعَلْ شَهْرَنَا شَاهِداً لَنَا بِأَدَاءِ فَرْضِكَ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ جَدَّ وَاجْتَهَدَ وَلَمْ يُرْضِكَ ، وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

خاتمة الكتاب

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانـا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله واصحابه ومن والاه .

بهذا تم الكتاب - وفي الختام احمد الله الذي من علي ووفقني على جمعه بمواعظ مهمة مختصرة ، بالفاظ موجزة مفيدة ، وبعبارة سهلة واضحة ، يستفيد منها الخاص والعام ، من أَهل الايمان والاسلام ، ويفهمها القاريءُ والمستمع .

والله اسال ان ينفع به ، ويجعله خالصاً لوجهه ، وان يلهم المسلمين رشدهم ، ويعيدهم الى صوابهم ، والى سيرتهم الاولى ، ويحبب اليهم دينهم ويهديهم سواء السبيل ، ويجعلنا واياهم من الذين رضي الله عنهم فاعزهم ونصرهم وآواهم ورعاهم ، وان يحقق امل كل مسلم يدعو الى الاسلام ، وان يؤيد كل من ينشر مباديه السامية ، انه سميع مجيب.

اللهم انك وعدت الذين جاهدوا فيك ان تهديهم سبيلك ، اللهم فاهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

واحشرنا يا مولانا في زمرة اولئك الذين تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم ، دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ،،

وقد جف ريق القلم عن تبييضه ، بعون من علم الانسان مالم يعلم بحسن توفيقه ، اواخر شهر ربيع الثاني عام الف وثلاثمائة وخمس وثمانين من هجرة سيد الانبياء والمرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله

وصحبه اجمعين ، .

اعتذار للأخوان الكرام

استمد من اخوان الصفاء ، وخلان الود والوفاء ، كتّاب العصر ، وارباب النظم والنثر ، علماء الزمان ، وادباء الاوان ، حفظهم الله ، وانال كلا منهم مناه ، ان يغضوا الطرف عن التقصير ، ويسحبوا ذيل العفو عن النقص في التحبير ، لانه قلّما يخلو مصنف من الهفوات والزلل ، او ينجو مؤلف من العثرات في العمل ، وارجومنهم ان ينظروا الى كتابي هذا بعين الرضاء والقبول، فان ذلك عندي غاية المامول .

ان تجد عيباً فسد الخللا جلا من لا عيب فيه وعلا

واني اعترف للاخوان والاحباب ، في كل ما تضمنه هذا الكتاب بقصر الباع وقلة الاطلاع ، فان عاملوني بما هم اهله احسانا او سعوني امتنانا وزدتهم شكرانا ، والا فلا اقتراف ، لذي اعتراف ، وعلى الله الاتكال ، في كل حال ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله خير الال ، واصحابه اصحاب الكمال والتابعين لهم باحسان بالغد والآصال ،،

المؤلف

كلمة شكر وتقدير

واني لاقدم خالص شكري ، وبالغ تقديري ، للسادة المحسنين الذين ساهموا في نشر هذا الكتاب ، وتكرموا بما تكلفه الطبع ، طيبة به نفوسهم ، منشرحة لذلك صدورهم ، واعتبر ذلك احسانا منهم الى الوعاظ خاصة . والمسلمين عامة .

ولا يسعني الا ان اتضرع الى العلي القدير ، ان يتقبل اعمالهم ويكافاهم على حسن صنيعهم خير الجزاء واعظم الاجر ، وان يوفقهم لخدمة الدين والمجتمع الاسلامي ، وان يرزقهم الاخلاص والسداد ، في خدمة الدين والعباد ، انه سميع مجيب ،،

ملاحظة

نلفت نظر الوعاظ وغيرهم الى ان المؤلف اعتبر في تاليف هذه المواعظ انها خاصة لشهر رمضان المعظم ، والواقع ان فيها مواعظ تصلح لكل وقت وزمان ، فليتنبه لذلك ،

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

النبي صلى الله عليه وسلم والعشر الأواخر من رمضان

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير البريات، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، أما بعد:

فها هو النبي ﷺ يستعد للثلث الأخير من رمضان، فكيف كان يستعد لذلك؟ وماذا كان يفعل في العشر الأواخر من رمضان؟ وما هي الفضائل المختصة بهذا العشر؟، وما هي العبادات التي كان ﷺ، يخص بها هذا العشر دون غيره؟ .. هذا ما سنحاول معرفته في هذه الأسطر اليسيرة بفضل الله تعالى وتوفيقه.

أما استعداد النبي ﷺ لهذا العشر، وشدة اجتهاده فيه، فقد بينت ذلك عائشة –رضي الله عنها– بقولها: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر، شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله) [متفق عليه].

وفي رواية: (أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد، وشد المئزر) [لفظ مسلم]، وفي رواية لمسلم قالت: (كان النبي ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره). وهذا يدل على فضل هذا العشر، وهو الثلث الأخير من رمضان؛ لأن الأعمال بالخواتيم، وهذا من رحمة الله تبارك وتعالى بهذه الأمة، حتى يستدرك المقصر ما فاته، ويزيد المحسن من إحسانه.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى ما ملخصه:

(كان النبي ﷺ يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر فمنها:

١- إحياء الليل، فيحتمل أن المراد إحياء الليل كله، ففي حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: (كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر -يعني الأخير- شمر، وشد المئزر) [رواه أحمد].

ويحتمل أن يريد بإحياء الليل: إحياء غالبه، ويؤيده ما في صحيح مسلم عن عائشة قالت: ما أعمله ﷺ قام ليلة حتى الصباح.

٢- ومنها أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي، ويتأكد إيقاظهم في آكد الأوتار التي ترجى فيها ليلة القدر.

وخرج الطبراني من حديث علي أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان، وكل صغير وكبير يطيق الصلاة. وقد صح عن النبي ﷺ أنه كان يطرق فاطمة وعليا ليلا، فيقول لهما: «**ألا تقومان فتصليان؟**» [متفق عليه].

وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده، وأراد أن يوتر، وفي الموطأ أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، ويقول لهم: الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾ [طه: ١٣٢].

٣- ومنها أن النبي ﷺ كان يشد المئزر، واختلفوا في تفسيره، فمنهم من قال: هو كناية عن شدة جده واجتهاده في العبادة، وهذا فيه نظر، فإنها قالت: (جد، وشد المئزر) فعطفت شد المئزر على

جده، والصحيح أن المراد اعتزاله النساء، وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون، منهم سفيان الثوري. وقد ورد ذلك صريحا في حديث عائشة وأنس، وقد كان النبي ﷺ غالبا ما يعتكف العشر الأواخر، والمعتكف ممنوع قربان النساء بالنص والإجماع.

٤- ومنها: تأخيره للفطور إلى السحر: روي عنه من حديث عائشة وأنس، أنه ﷺ كان يجعل عشاءه سحورا. ولفظ حديث عائشة: (كان رسول الله ﷺ إذا كان رمضان قام ونام، فإذا دخل العشر شد المئزر، واجتنب النساء، واغتسل بين الأذانين، وجعل العشاء سحورا) [أخرجه ابن أبي عاصم، وإسناده مقارب). وفي الصحيحين ما يشهد لذلك، ففيهما عن أبي هريرة قال: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، فقال: «**وأيكم مثلي، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**» فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوما ثم يوما، ثم رأوا الهلال، فقال: «**لو تأخر لزدتكم**» كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا. فهذا يدل على أنه واصل بالناس في آخر الشهر.

وروى عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال: ما واصل النبي ﷺ وصالكم قط، غير أنه قد أخر الفطر إلى السحور، وإسناده لا بأس به.

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «**لا تواصلوا، فأيكم أراد أن يواصل، فليواصل إلى السحر**». قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله، قال: «**إني لست كهيئتكم، إني**

أبيت لي مطعم يطعمني، وساق يسقيني». وظاهر هذا يدل على أنه ﷺ كان يواصل الليل كله. وقد يكون ﷺ إنما فعل ذلك؛ لأنه رآه أنشط له على الاجتهاد في ليالي العشر، و لم يكن ذلك مضعفا له عن العمل، فإن الله كان يطعمه ويسقيه.

معنى يطعمني ربي، ويسقيني

واختلف في معنى إطعامه، والصحيح أنه إشارة إلى ما كان الله يفتحه عليه في صيامه وخلوته بربه لمناجاته، وذكره من مواد أنسه، ونفحات قدسه، فكان يرد بذلك على قلبه من المعارف الإلهية، والمنح الربانية، ما يغذيه، ويغنيه عن الطعام والشراب.

٥- ومنها: اغتساله بين العشاءين:

وقد تقدم من حديث عائشة: (واغتسل بين الأذانين) والمراد: أذان المغرب والعشاء. وقال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر، وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة، ومنهم من كان يغتسل، ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر[1].

الاعتكاف

ومن فضائل العشر الأواخر من رمضان: أن النبي ﷺ كان يعتكف فيها، فقد قالت عائشة – رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ

---

(1) لطائف المعارف ص(٢٥٤-٢٦٠) باختصار.

يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده) [متفق عليه] وفي لفظ: (كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه، اعتكف عشرين يوما) [رواه البخاري].

والاعتكاف: هو لزوم المسجد لطاعة الله، والانقطاع لعبادته والتفرغ من شواغل الحياة. وهو سنة عن النبي ﷺ قال الإمام أحمد: لا أعلم عن أحد من العلماء خلافا أن الاعتكاف مسنون.

قال الشيخ ابن عثيمين: (والمقصود بالاعتكاف: انقطاع الإنسان عن الناس، ليتفرغ لطاعة الله في مسجد من المساجد، طلبا لفضله وثوابه، وإدراك ليلة القدر، ولذلك ينبغي للمعتكف أن يشتغل بالذكر والقراءة والصلاة والعبادة، وأن يتجنب ما لا يعنيه من حديث الدنيا.. ويحرم على المعتكف الجماع ومقدماته من التقبيل واللمس لشهوة؛ لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**﴾ [البقرة: ١٨٧][1].

ولا يجوز للمعتكف الخروج من المسجد إلا لحاجة ضرورية كالوضوء والغسل، والأكل والشرب، فإن تيسر له ذلك في المسجد، لم يجز له الخروج.

ولا يخرج لعبادة لا تجب عليه، كاتباع جنازة أو عيادة مريض ونحو ذلك، ولا يخرج لبيع أو شراء، أو زيارة أقارب أو غير ذلك.

---

(1) مجالس شهر رمضان ص(١٠٢).

ويستحب للمعتكف أن يجعل له مكانا في المسجد ينقطع فيه عن الناس، ويتفرغ لعبادة الله عز وجل، وإن جعل له خباء، أو مكانا مستورا يدخل فيه، فحسن.

الخلوة المشروعة

والاعتكاف في المساجد هو الخلوة المشروعة لهذه الأمة، خلافا للخلوة المبتدعة التي تفوت على صاحبها حضور الجمع والجماعات، وهو وسيلة لإدراك ليلة القدر، والفوز بما فيها من الثواب والأجر. قال ابن رجب: (إنما كان يعتكف النبي ﷺ في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر؛ قطعا لأشغاله، وتفريغا لباله، وتخليا لمناجاة ربه وذكره ودعائه. وكان يحتجر حصيرا يتخلى فيها عن الناس، فلا يخالطهم، ولا يشتغل بهم، ولهذا ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس، حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفسه، والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه.

وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية، وإنما يكون في المساجد، لئلا يترك به الجمع والجماعات، فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعة فنهي عنها. سئل ابن عباس عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يشهد الجمعة والجماعات، فقال: هو في النار.

فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد، خصوصا في شهر رمضان، خصوصا في العشر الأواخر منه، كما كان النبي ﷺ يفعله، فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه

وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقي له هم سوى الله، وما يرضيه عنه، كما كان داود الطائي يقول: همك عطل عليَّ الهموم، وحالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني اللذات، وحال بيني وبين الشهوات[١].

ومع كل تلك الفضائل والثمرات التي يجنيها المسلم من الاقتداء بالنبي ﷺ في اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، فإننا نجد كثيرا من العلماء وطلاب العلم، فضلا عن عامة المسلمين قد تركوا هذه السنة، وتكاسلوا عنها، والواجب التعاون على إحيائها، وترغيب الناس فيها، وبيان فضائلها وثمراتها وأثرها في بناء الفرد المسلم القادر على كبح جماح نفسه، وأطرها على طاعة الله أطرا.

على أن هناك ملمحا آخر لا يقل أهمية عن الملمح السابق، وهو أن بعض المعتكفين — هداهم الله - لم يعطوا هذه العبادة حقها من العلم والتطبيق، ولم يلتفتوا إلى هدي النبي ﷺ في اعتكافه، فلم يغتنموا ساعات اعتكافهم فيما شرع لأجله من الذكر والصلاة وتلاوة القرآن ومحاسبة النفس والتوبة إلى الله تعالى والاستغفار، وإنما أمضوا ساعاتهم في القيل والقال، والأحاديث الجانبية والتشويش على المعتكفين، وقد يتخلل ذلك من الضحك والغيبة والنميمة ما يجعل القاعد في بيته خيرا من هذا المعتكف، فأي اعتكاف هذا الذي يخرج منه صاحبه مأزورا غير مأجور، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) لطائف المعارف ص(٢٦١-٢٦٢).

ليلة القدر

ذكرنا أن من مقاصد النبي ﷺ من الاعتكاف هو إدراك فضيلة ليلة القدر، وهي الليلة الشريفة التي أنــزل الله فيها القرآن، وجعل فضلها عظيما لمن أدركها وسأل الله فيها العفو والغفران، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ [سورة القدر].

قال النخعي: العمل فيها خير من العمر في ألف شهر.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وفي هذه السورة فضائل متعددة لليلة القدر:

* **الفضيلة الأولى:** أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

* **الفضيلة الثانية:** ما يدل على الاستفهام من التفخيم والتعظيم في قوله: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**﴾.

* **الفضيلة الثالثة:** أنها خير من ألف شهر.

* **الفضيلة الرابعة:** أن الملائكة تنــزل فيها، وهم لا ينــزلون إلا بالخير والبركة والرحمة.

* **الفضيلة الخامسة:** أنها سلام؛ لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب.

* **الفضيلة السادسة:** أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة.

ومن فضائل ليلة القدر: ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

وليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، لقول النبي ﷺ: «**تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان**» [متفق عليه].

وهي في الأوتار أقرب من الأشفاع لقول النبي ﷺ: «**تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**» [رواه البخاري].

ولا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام، بل تنتقل، فتكون في عام ليلة سبع وعشرين مثلا وفي عام آخر ليلة خمس وعشرين تبعا لمشيئة الله وحكمته، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «التمسوها في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى» [رواه البخاري].

وقد أخفى الله سبحانه علمها على العباد رحمة بهم، ليكثر عملهم في طلبها في تلك الليالي الفاضلة بالصلاة والذكر والدعاء، فيزدادوا قربة من الله، وثوابا، وأخفاها اختبارا لهم أيضا؛ ليتبين بذلك من كان جادا في طلبها حريصا عليها، ممن كان كسلان متهاونا، فإن من حرص على شيء جد في طلبه، وهان عليه التعب في سبيل الوصول إليه والظفر به[1]..

---

(1) مجالس شهر رمضان ص (١٠٥-١٠٧) باختصار.

فها هي فرصتك – أخي الحبيب – للنعيم الذي ليس بعده بؤس، والسعادة التي ليس بعدها شقاء، والنجاة التي ليس بعدها هلكة.. فبادر إلى اغتنام تلك الفرصة، وحاذر من ضياع ليالي العشر في اللهو والغفلة، ففي المسند والنسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال في شهر رمضان: «**فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها قد حُرم**».

فيا ليلة القدر للعابدين، اشهدي، ويا أقدام القانتين، اركعي لربك، واسجدي، ويا ألسنة السائلين، جدي في المسألة، واجتهدي.

نسأل الله أن يعتق رقابنا في هذه الليلة من النار، وأن يدخلنا الجنة مع الأبرار، برحمتك يا عزيز يا غفار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إلى من أدرك رمضان
١٥٠ باباً من أبواب الخير

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإسهامًا منا في إحياء هذا الشهر العظيم، شهر رمضان، شهر المغفرة والرضوان، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ [البقرة: ١٨٥] رأينا أن نجمع في هذه الرسالة جملة من الأحاديث والآثار في مختلف أبواب الخير والبر مع التركيز على ما يتأكد منها في هذا الشهر الفضيل، بالإضافة إلى التنبيه على ضرورة المحافظة على فرائض العبادات ونوافلها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

١- الإخلاص: قال الله تعالى ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة: ٥].

٢- تجريد التوبة لله تعالى: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**» [رواه مسلم]، «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**» [رواه الترمذي].

٣- الدعاء عند رؤية الهلال: «**اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله**» [رواه أحمد والترمذي].

٤- صيام رمضان إيمانًا واحتسابًا: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [رواه أمد والترمذي].

٥- صيام ست من شوال: «**من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال كان كصوم الدهر**» [رواه مسلم].

٦- قيام رمضان إيمانًا واحتسابًا: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [رواه البخاري ومسلم].

٧- قيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [رواه البخاري ومسلم].

٨- الاجتهاد في العشر الأواخر: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد مئزره» [رواه البخاري ومسلم].

٩- العمرة: «**العمرة في رمضان تعدل حجة، أو حجة معي**» [رواه البخاري ومسلم].

١٠- الاعتكاف: «كان رسول الله ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان» [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

١١- تفطير الصائم: «**من فطر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا**» [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

١٢- قراءة القرآن وتلاوته: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**» [رواه مسلم].

١٣- تعلم القرآن وتعليمه: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» [رواه البخاري].

١٤- ذكر الله تعالى: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلي. قال ذكر الله تعالى**» [رواه الترمذي].

١٥- الاستغفار: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**» [رواه أبو داود والنسائي].

١٦- إسباغ الوضوء: «**من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره**» [رواه مسلم].

١٧- الشهادة بعد الوضوء: «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين؛ فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء**» [رواه مسلم].

١٨- المحافظة على الوضوء: «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» [رواه ابن ماجة].

١٩- السواك: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع**

كل صلاة» [رواه البخاري ومسلم].

٢٠- صلاة ركعتين بعد الوضوء: «**ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين يقبل بقلبه ووجهه عليهما، إلا وجبت له الجنة**» [رواه مسلم].

٢١- الدعاء بعد الأذان: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**» [رواه البخاري].

٢٢- الدعاء بين الأذان والإقامة: «**الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد**» [رواه أبو داود والترمذي]. وزاد: «قالوا: فما نقول يا رسول الله؟ قال: **سلوا الله العفو والعافية**».

٢٣- المحافظة على الصلوات الخمس: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله**» [رواه مسلم].

٢٤- المحافظة على الصلاة في وقتها: «**سئل الرسول ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها**» [رواه البخاري ومسلم].

٢٥- المحافظة على صلاة الفجر والعصر: «**من صلى البردين دخل الجنة**» [رواه البخاري].

٢٦- المحافظة على صلاة الجمعة: «**الصلوات الخمس،**

والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهم إذا اجتنبت الكبائر» [رواه مسلم].

٢٧- تحري ساعة الإجابة يوم الجمعة: «**فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه**» [رواه البخاري ومسلم].

٢٨- قراءة سورة الكهف يوم الجمعة: «**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**» [روه النسائي والحاكم].

٢٩- الذهاب إلى المساجد: «**من غدا إلى مسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح**» [رواه البخاري ومسلم].

٣٠- الصلاة في المسجد الحرام: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في هذا**» [رواه أحمد وابن خزيمة].

٣١- الصلاة في المسجد النبوي: «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**» [رواه مسلم].

٣٢- الصلاة في بيت المقدس: «**لا تشد الرحال إلا إلي ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى**» [رواه البخاري].

٣٣- الصلاة في قباء: «**من صلى فيه كان كعدل عمرة**»

[رواه ابن حبان].

٣٤- المحافظة على صلاة الجماعة: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**» [رواه البخاري ومسلم].

٣٥- الحرص على الصف الأول: «**لو يعلم ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا إن يستهموا عليه لاستهموا**» [رواه البخاري ومسلم].

٣٦- المداومة على صلاة الضحى: «**يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة؛ فكل تسبيحه صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل هليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك كله ركعتان يركعهما في الضحى**» [رواه مسلم].

٣٧- المحافظة على السنن الراتبة: «**ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة، إلا بني الله له بيتًا في الجنة**» [رواه مسلم].

٣٨- التطوع في البيت: «**اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبورًا**» [رواه البخاري].

٣٩- كثرة السجود: «**أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**» [رواه مسلم].

٤٠- الجلوس في المصلى بعد صلاة الصبح للذكر: «**من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، صم صلى**

ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة». قال رسول الله ﷺ **«تامة، تامة، تامة»** [رواه الترمذي وحسنه].

٤١- الصلاة على الميت واتباع الجنائز: **«من شهد الجنائز حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال مثل الجبلين العظيمين»** [رواه البخاري ومسلم].

٤٢- صلاة المرأة في بيتها: **«لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن»** [رواه أبو داود].

٤٣- الحرص على صلاة العيد في المصلى: **«كان رسول الله يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى»** [رواه البخاري].

٤٤- تعويد الأولاد على الصلاة: **«مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»** [رواه أبو داود].

٤٥- تعويد الأولاد على الصيام: عن الربيع بنت معوذ قالت: **«فكنا نصومه بعد، ونصوّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن»** [رواه البخاري].

٤٦- ذكر الله عقب الفرائض: **«من سبح دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون. ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»** [رواه مسلم].

٤٧- المحافظة على صلاة التراويح: «**أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**» [رواه مسلم].

٤٨- تعجيل الفطر: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**»[رواه البخاري].

٤٩- الإفطار قبل الصلاة: «**كان النبي ﷺ يفطر قبل أن يصلي**» [رواه أحمد].

٥٠- الإفطار على التمر إن وجد: «**من وجد التمر فليفطر عليه، ومن لم يجد التمر فليفطر على الماء، فإن الماء طهور**» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي].

٥١- المحافظة على دعاء الإفطار: «**ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى**» [رواه أبو داود والدارقطني والحاكم].

٥٢- الدعاء عند الإفطار: «**إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد**» [رواه ابن ماجه].

٥٣- الدعاء مطلقًا: «**إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني**» [رواه البخاري ومسلم].

٥٤- السحور: «**تسحروا، فإن في السحور بركة**» [رواه البخاري ومسلم].

٥٥- حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**» [رواه مسلم].

٥٦- الزكاة: قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة: ٥].

٥٧- زكاة الفطر: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين. من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات» [رواه أبو داود].

٥٨- الإنفاق في سبيل الله: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة: ١١٠].

٥٩- الصدقة: «**الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**» [رواه الترمذي].

٦٠- صدقة المقل: « يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال: **جهد المقل، وابدأ بمن تعول**» [رواه أبو داود وابن خزيمة والحاكم].

٦١- صدقة السر: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر**» [رواه الطبراني].

٦٢- فضل العامل على الصدقة: «**إن الخازن المسلم الأمين الذي ينفذ ما أمر به، فيعطيه كاملاً موفرًا، طيبة به نفسه، فيدفعه إلى الذي أمر به، أحد المتصدقين**» [رواه البخاري ومسلم].

٦٣- بناء المساجد: «**من بني مسجدًا يبتغي به وجه الله بني له مثله في الجنة**» [رواه الترمذي].

٦٤- إفشاء السلام وإطعام الطعام: «**أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**» [رواه الترمذي].

٦٥- إماطة الأذى عن الطريق: «**لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس**» [رواه مسلم].

٦٦- بر الوالدين وطاعتهما: «**رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه. قيل من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة**» [رواه مسلم].

٦٧- طاعة المرأة لزوجها: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصّنت فرجها، وأطاعت بعلها** – أي زوجها – **دخلت من أي أبواب الجنة شاءت**» [رواه ابن حبان].

٦٨- كسب الحلال والعمل باليد: «سئل رسول الله ﷺ: أي الكسب أطيب قال: **عمل الرجل بيده، وكل كسب مبرور**» [رواه الحاكم].

٦٩- النفقة على الزوجة والعيال: «**إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة**» [رواه البخاري ومسلم].

٧٠- النفقة على الأرملة والمسكين: «**الساعي على الأرملة**

والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» وأحسبه قال: «**وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**» [رواه البخاري].

٧١- كفالة اليتيم والنفقة عليه: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**، وقال **بأصبعيه: السبابة والوسطى**» [رواه البخاري].

٧٢- مسح رأس اليتيم والشفقة عليه: شكا رجل إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال: «**امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين**» [رواه أحمد].

٧٣- قضاء حوائج الإخوان: «**لأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجة – وأشار بأصبعه – أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين**» [رواه الحاكم].

٧٤- زيارة الإخوان في الله: «**النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا الله في الجنة**» [رواه الطبراني].

٧٥- زيارة المرضي: «**من عاد مريضًا لم يزل في خرفة الجنة**» قيل: يا رسول الله، وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**» [رواه مسلم].

٧٦- صلة الأرحام وإن قطعوه: «**الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعة الله**» [رواه البخاري ومسلم].

٧٧- إدخال السرور على المسلم: «**من لقي أخاه المسلم بما يحب يسره بذلك سره الله عز وجل يوم القيامة**» [رواه الطبراني].

٧٨- التيسير على المعسر: «**من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة**» [رواه مسلم].

٧٩- التخفيف على الخدم والعمال في رمضان: «**من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار**» [رواه ابن خزيمة مطولاً].

٨٠- الشفقة على الضعفاء ورحمتهم والرفق بهم: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء**» [رواه أو داود والترمذي].

٨١- الإصلاح بين الناس: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلي يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين**» [رواه أبو داود والترمذي].

٨٢- حسن الخلق: «**سئل رسول الله ﷺعن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: تقوى الله وحسن الخلق**» [رواه الترمذي].

٨٣- الحياء: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة. والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار**» [رواه أحمد وابن حبان والترمذي، وقال: حسن صحيح].

٨٤- الصدق: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة**» [رواه البخاري ومسلم].

٨٥- الحلم والصفح وكظم الغيظ: قال تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران:

١٣٤]. وقال رسول الله ﷺ للأشج: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة**» [رواه مسلم].

٨٦- المصافحة: «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا**» [رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن].

٨٧- طلاقة الوجه: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**» [رواه مسلم].

٨٨- السماحة في البيع والشراء: «**رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**» [رواه البخاري].

٨٩- غض البصر عن محارم الله تعالى: «**النظر سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه**» [رواه الطبراني].

٩٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» [رواه مسلم].

٩١- الجلوس مع الصالحين والأخيار: «**لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**» [رواه مسلم].

٩٢- حفظ اللسان والفرج: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**» [رواه البخاري ومسلم].

٩٣- الصلاة على النبي ﷺ: «**من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا**» [رواه مسلم].

٩٤- اصطناع المعروف والدلالة على الخير: «**كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله**» [رواه البخاري ومسلم]. و«**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» [رواه مسلم].

٩٥- الدعوة إلى الله: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**» [رواه مسلم].

٩٦- الستر على الناس: «**لا يستر عبد عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة**» [رواه مسلم].

٩٧- الصبر: «**ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، و لا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها؛ إلا كفر الله بها من خطاياه**» [رواه البخاري].

٩٨- كفارة المجلس: «**من جلس جلسة فكثر لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك**» [رواه أبو داود والترمذي].

٩٩- صلاة ركعتين إذا أذنب ذنبًا: «**ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر له**» [رواه أبو داود].

١٠٠- تربية البنات وإعالتهن: «**من كن له ثلاث بنات، يؤويهن، ويرحمهن، ويكفلهن؛ وجبت له الجنة البتة**» [رواه أحمد].

١٠١- الإحسان إلى الحيوان: «**أن رجلاً رأى كلبًا يأكل الثرى من العطش، فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه، فشكر الله له، فأدخله الجنة**» [رواه البخاري].

١٠٢- عدم سؤال الناس شيئًا: «**من تكفل لي ألا يسأل الناس شيئًا أتكفل له بالجنة**» [رواه أصحاب السنن].

١٠٣- التهليل والتسبيح: «**من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**» و «**من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة، حطت خطاياه وإن كانت مثل زيد البحر**» [رواه البخاري ومسلم].

١٠٤- الصدقة الجارية: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» [رواه مسلم].

١٠٥- حث النساء على الصدقة: «**تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن**» [رواه البخاري ومسلم].

١٠٦- تصدق المرأة من بيت زوجها: «**إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة، كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئًا**» [رواه البخاري ومسلم].

١٠٧- اليد العليا خير من اليد السفلى: «**اليد العليا خير من**

اليد السفلى، فاليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة» [رواه البخاري ومسلم].

١٠٨- الصدق في البيع والشراء: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا محقت بركة بيعهما**» [رواه البخاري].

١٠٩- إغاثة المسلمين: «**من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**» [رواه مسلم].

١١٠- عدم إيذاء المسلمين سئل رسول الله ﷺ : أي الإسلام أفضل؟ فقال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

١١١- مساعدة الغير وإعانتهم: «**كل سلامي عليه صدقة، كل يوم يعين الرجل في دابته يحامله عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة**» [رواه البخاري].

١١٢- الشفاعة للمسلمين لقضاء حوائجهم: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله علي لسان نبيه ما شاء**» [رواه البخاري].

١١٣- صلة أصدقاء الوالدين والبر بهم: «**إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**» [رواه مسلم].

١١٤- طيب الكلام: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة**» [رواه البخاري ومسلم].

١١٥- الرفق بالرعية والعمال ونحوهم: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه. ومن ولي من أمر أمتي**

شيئًا فرفق بهم فارفق به» [رواه مسلم].

١١٦- المداومة على العمل الصلح وإن قل: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**» [رواه مسلم].

١١٧- الإحسان إلى الجار: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**» [رواه مسلم].

١١٨- إكرام الضيف: «**ليلة الضيف حق على كل مسلم، فإن أصبح بفنائه فهو عليه دين، فإن شاء اقتضي، وإن شاء ترك**» [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة].

١١٩- الدعاء للوالدين: «**إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب، أني لي هذا؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**» [رواه أحمد].

١٢٠- الدعاء للأخ بظهر الغيب: «**ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال له الملك: ولك بمثل**» [رواه مسلم].

١٢١- الدعاء والاستغفار للمسلمين: قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠].

١٢٢- تنظيف المساجد: قال تعالى: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ [الحج: ٢٦].

١٢٣- الإحسان إلى الزوجة: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا**

خيركم لأهلي» [رواه ابن حبان وغيره].

١٢٤- تيسير الصداق للمتزوجين: «**خير النكاح أيسره**» [رواه ابن حبان].

١٢٥- الغيرة على النساء: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال «**أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني**» [رواه البخاري].

١٢٦- تعليم الرجل أهله: «**ثلاثة لهم أجران ... ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم اعتقها فتزوجها، فله أجران**» [رواه البخاري].

١٢٧- رد المظالم والتحلل من أصحاب الحقوق: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه**» [رواه البخاري].

١٢٨- إتباع السيئة الحسنة: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**» [رواه أحمد والحاكم].

١٢٩- البر بالخالة والخال: «**الخالة بمنزلة الأم**» [رواه البخاري].

١٣٠- أداء الأمانة والوفاء بالعهد: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**» [رواه أحمد].

١٣١- رحمة الصغير وإكرام الكبير: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا**» [رواه أحمد والترمذي].

١٣٢- التعاطف والتراحم مع المسلمين والاهتمام بأمورهم: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» [رواه البخاري ومسلم].

١٣٣- الصمت وحفظ اللسان إلا من خير: «**من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيرًا أو ليصمت**» [رواه البخاري].

١٣٤- الذب عن أعراض المسلمين: «**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**» [رواه البخاري].

١٣٥- سلامة الصدر وترك الشحناء: «**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا**» [رواه مسلم].

١٣٦- العدل بين الناس: «**كل سلامى من الناس عليه صدقة ،كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الناس صدقة**» [رواه البخاري].

١٣٧- التعاون مع المسلمين فيما فيه خير: قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢]. وفي الحديث: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه**

بعضًا. ثم شبك بين أصابعه» [رواه البخاري].

١٣٨٠ إغاثة الملهوف: «**على كل مسلم صدقة...**» الحديث. وفيه: «**فيعين ذا الحاجة الملهوف**» [رواه البخاري].

١٣٩- إجابة الداعي إلى الخير وإعطاء السائل: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه**» [رواه أحمد وأبو داود والنسائي].

١٤٠- شكر المعروف ومكافأة فاعله: «**من صنع إليه معروف فليجزه، فإن لم يجد ما يجزه فليثن عليه، فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره؛ وإن كتمه فقد كفره**» [رواه البخاري في الأدب المفرد].

١٤١- توزيع الكتاب والشريط الإسلامي النافع على الأسرة، أو الأصدقاء في العمل أو المدرسة أو النادي ونحوه.

١٤٢- الاستفادة من هواة المراسلة الذين ترد أسماؤهم عبر المجلات، أو الإذاعات العربية والأجنبية؛ وذلك بمراسلتهم بأسلوب تربوي رقيق مؤثر.

١٤٣- تقصي أخبار الجيران الملاصقين والمجاورين، وتبني ملف دعوي يهتم بأمورهم الدينية والدنيوية.

١٤٤- التنسيق مع التجار وأصحاب المحلات لشراء ملابس وما يلزم من أمور العيد، وتوزيعها في آخر رمضان على الفقراء والمحتاجين؛ لتعم الجميع فرحة العيد.

١٤٥- حث كل بيت على المساهمة في إفطار الصائم، كل بما يستطيع، وإرسال ما تيسر لهم من طعام إلى مسجد الحي، أو التنسيق مع المطاعم من أجل ذلك.

١٤٦- تبني المسجد حلقة لتعليم أبناء الحي القرآن العظيم، وتخصيص مدرس لذلك، مع تنمية روح التسابق إلى الخير بين الأطفال بإقامة مسابقات دورية، ثم تشجعيهم بالجوائز.

١٤٧- إقامة درس أسري أسبوعي، أو نصف شهري؛ يشارك فيه جميع أفراد الأسرة، كل حسب قدرته.

١٤٨- الاستفادة من حملات العمرة التي تقام في شهر رمضان المبارك، بتنظيم جملة من البرامج الدعوية والعلمية والثقافية للمشاركين، مع الحرص على أن يكون مع كل رحلة شيخ يستفاد من علمه، أو طالب علم إن تعذر الأول.

١٤٩- ترتيب كلمات تلقى خلال شهر رمضان أثناء صلاة التراويح، وتعلن في لوحة المسجد على شكل جدول بين وواضح.

١٥٠- القيام بزيارة المرضى في المستشفيات، وتشجيعهم وحثهم على الصبر والاحتساب، مع إهدائهم مجموعة من الهدايا الدعوية المفيدة.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أنواع الصيام

إعداد

علي بن سليمان العبداني

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإنه ينبغي للمسلم أن يتعلم أحكام دينه، ليعبد الله على علم، وليكون على بصيرة، ولتكون أعماله مقبولة؛ لقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** [المائدة: ٢٧]، وإن الناظر في آيات الصوم، وأحاديثه الصحاح يجد أن الصوم ثلاثة أنواع وهي: الصيام الواجب، والصيام المندوب (الصيام المستحب)، والصيام المنهي عنه.

وقد قمت مجتهدا – بفضل الله ومنته - بجمع هذه الرسالة المستفادة من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وكلام أهل العلم، وسميتها (أنواع الصيام).

سائلا الله تعالى أن ينفع بها من كتبها، أو طبعها، أو قرأها، أو سمعها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، ومن أسباب الفوز بجنات النعيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الصيام

تعريف الصيام:

لغة: الإمساك.

شرعا: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

فضل الصيام:

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صام يوما في سبيل الله بعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفا**» [متفق عليه].

عن أبي هريرة رضي الله عن أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم – مرتين – والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي. الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها**» [رواه البخاري].

وعن سهل بن سعد –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أي الصائمون؟ فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد**» [رواه مسلم].

فوائد الصيام:

إن الله سبحانه وتعالى ما شرع هذا الصيام لأجل مس الجوع والظمأ، وما شرع هذا الصيام لأجل أن نعذب أنفسنا، بل لابد من فوائد لهذا الصيام، وقد تخفى على الكثير، ومن هذه الفوائد:

١- حصول التقوى.

٢- حفظ الجوارح عن المعاصي.

٣- حمية للبدن.

٤- تذكر الفقراء والذين يموتون جوعا.

٥- تخفيف حدة الشهوة.

وللصوم فوائد اجتماعية منها: شعور الناس بأنهم أمة واحدة، يأكلون في وقت واحد ويصومون في وقت واحد، ويشعر الغني بنعمة الله، ويعطف على الفقير، ويقلل من مزالق الشيطان لابن آدم، وفيه تقوى الله، وتقوى الله الأواصر بين أفراد المجتمع.

مفطرات الصيام:

مفسدات الصوم هي المفطرات وهي:

١- الأكل والشرب والجماع:

قال تعالى: ﴿**فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ [البقرة: ١٨٧].

٢- إنزال المني بشهوة.

قال تعالى في الحديث القدسي: «**الصائم يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي**».

٣- ما كان بمعنى الأكل والشرب:

وهو الإبر المغذية التي يستغنى بها عن الأكل والشرب؛ لأن هذه وإن كانت ليست أكلا ولا شربا لكنها بمعنى الأكل والشرب حيث يستغنى بها عنه.

٤- القيء عمدا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من ذرعه القيء، فلا قضاء عليه، ومن استقاء فعليه القضاء**» [رواه ابن ماجة].

٥- خروج الدم بالحجامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفطر الحاجم والمحجوم**» [رواه ابن ماجة].

٦- خروج دم الحيض والنفاس:

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ فذلك نقصان دينها**» [رواه البخاري].

مبتدأ الصيام ومنتهاه في اليوم:

الصيام له ركن واحد وهو التعبد لله عز وجل بالإمساك عن

المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والمراد بالفجر هنا: الفجر الثاني دون الفجر الأول.

ويتميز الفجر الثاني عن الفجر الأول بثلاث ميزات:

الأول: أن الفجر الثاني يكون معترضا في الأفق، والفجر الأول يكون مستطيلا – أي: ممتدا من المشرق إلى المغرب، وأما الفجر الثاني فيمتد من الشمال إلى الجنوب.

الثاني: أن الفجر الثاني لا ظلمة بعده بل يستمر النور في الازدياد حتى طلوع الشمس، وأما الفجر الأول فيظلم بعد أن يكون له شعاع.

الثالث: أن الفجر الثاني متصل بياضه بالأفق، وأما الفجر الأول فبينه وبين الأفق ظلمة.

والفجر الأول ليس له حكم في الشرع، فلا تحل به صلاة الفجر، ولا يحرم به الطعام على الصائم بخلاف الفجر الثاني.

السحور، والإمساك، والإفطار:

السحور:

هو الأكلة قبيل الإمساك، وهو مستحب وإنه لا إثم على من تركه؛ لأنه ليس بواجب، وإنما يقوي المؤمن على طاعة الله، قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾ [البقرة: ١٨٧].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

«**تسحروا فإن في السحور بركة**» [رواه البخاري].

والمقصود ببركة السحور هي البركة الشرعية والبركة البدنية، أما البركة الشرعية فمنها: امتثال أمر الرسول ﷺ والاقتداء به، وأما البركة البدنية فمنها: تغذية البدن وقوته على الصوم.

ويستحب تأخير السحور، فعن أنس عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة، قلت: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسين آية.

قال النووي: معناه بينهما قدر قراءة خمسين آية أو أن يقرأ خمسين، وفيه الحث على تأخير السحور إلى قبيل الفجر.

الإمساك:

هو الحد الفاصل الذي يمنع الصائم من الأكل والشرب وهو طلوع الفجر، قال تعالى: ﴿**فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾ [البقرة: ١٨٧].

وعن ابن عمر، والقاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها أن بلالا كان يؤذن بالليل، فقال رسول الله ﷺ: «**كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر**».

قال القاسم: (و لم يكن بين أذاهما إلا أن يرقى ذا وينـــزل ذا) [رواه البخاري].

الإفطار:

وهو أن يفطر الصائم إذا تحقق غروب الشمس بمشاهدها أو غلب على ظنه الغروب بخبر موثوق به بأذان أو غيره.

ويستحب تعجيل الفطور؛ لحديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**» [متفق عليه].

آداب الصيام:

آداب الصيام تنقسم إلى قسمين: آداب واجبة، وآداب مستحبة.

الآداب الواجبة:

١- الصلاة المفروضة مع الجماعة التي هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين.

٢- اجتناب ما حرم الله ورسوله ﷺ من الأقوال والأفعال ومنها الغيبة، والنميمة، والغش، وآلات اللهو.

الآداب المستحبة:

١- تأخير السحور.

٢- تعجيل الإفطار.

٣- الدعاء عند الإفطار بما أحب.

٤- كثرة القراءة والذكر والدعاء والصلاة والصدقة.

٥- استحضار الصائم قدر نعمة الله عليه بالصيام.

٦- الإفطار على رطب، فإن عدم فماء، فإن عدم أفطر على ما تيسر من طعام أو شراب حلال، فإن لم يجد شيئا نوى الإفطار بقلبه.

أنواع الصيام:

أولا: الصيام الواجب.

ثانيا: الصيام المندوب (المستحب).

ثالثا: الصيام المنهي عنه.

أولا: الصيام الواجب:

أنواعه:

١- صيام شهر رمضان المبارك.

٢- صيام القضاء عن أيام أفطرها من أيام رمضان المبارك.

٣- صيام الكفّارات.

٤- صيام الفدية.

٥- صيام النذر.

١- صيام شهر رمضان المبارك:

صيام رمضان واجب، والأصل في وجوبه الكتاب، والسنة، والإجماع.

أما من الكتاب: فقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** *

أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٥].

ومن السنة: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**» [متفق عليه].

وعن طلحة بن عبيد الله: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**»، فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**»، قال رسول الله ﷺ: «**وصيام رمضان**»، قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**»، قال: وذكر له رسول الله ﷺ: «**الزكاة**، قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**»، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: «**أفلح إن صدق**» [متفق عليه].

وأما الإجماع: فقد أجمع المسلمون على وجوب صوم شهر رمضان.

٢- صيام القضاء عن أيام أفطرها من أيام شهر رمضان المبارك:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يكون علي الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان. [متفق عليه].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-:

كل من عليه أيام من رمضان يلزمه أن يقضيها قبل رمضان القادم، وله أن يؤخر القضاء إلى شعبان، فإن جاء رمضان الثاني و لم يقضها من غير عذر أثم بذلك، وعليه القضاء مستقبلا مع إطعام مسكين عن كل يوم كما أفتى بذلك جماعة من أصحاب النبي ﷺ، ومقدار الطعام نصف صاع عن كل يوم من قوت البلد يدفع لبعض المساكين ولو واحدا.

أما إن كان معذورا في التأخير لمرض أو سفر، فعليه القضاء فقط ولا إطعام عليه، لعموم قوله سبحانه: ﴿**وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥]، والله ولي التوفيق.

٣- صيام الكفارات:

أ- كفارة الجماع:

من جامع زوجته أو أمته في شهر رمضان وهو من يجب عليه الصيام فكفارته: عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي

ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت قال: «**مالك؟**»، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله ﷺ: «**هل تجد رقبة تعتقها؟**»قال: لا. قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**» قال: لا. قال: «**فهل تجد إطعام ستين مسكينا...**» الحديث. [رواه البخاري].

ب- كفارة اليمين:

إذا عقدها بالقلب ثم حنث فيها فعليه إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم أو إعتاق رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام.

قال تعالى: ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة: ٨٩].

ج- كفارة الظهار:

عتق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متواليين، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا. قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [المجادلة: ٣-٤].

٤- صيام الفدية:

قال تعالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [البقرة: ١٩٦].

تفسير ذلك إذا كان مريضا أو به أذى من رأسه يحتاج معه إلى الحلق -وهو محرم حلق وعليه فديه وهي:

أ- صيام ثلاثة أيام.

ب- أو يتصدق على ستة مساكين.

ج- أو يذبح لفقراء الحرم.

والذي حجّ حجَّ تمتع أو قران ولم يجد هديا يذبحه فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله. [التفسير الميسر].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-:

إذا عجز الشخص عن ذبح الهدي لذهاب نفقته، أو لفقره، وعسره وقلة النفقة، فإن يصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله، كما أمر الله بذلك، ويجوز أن يصوم عن الثلاثة اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر وذلك مستثنى من النهي

عن صيامها في حق من فقد الهدي فإنه يصوم هذه الأيام الثلاثة، وإن صام ذلك قبل يوم عرفة فهو أفضل إذا كان فقد النفقة متقدما ويصوم السبعة عند أهله.

٥- صيام النذر:

قال الله تعالى: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾ [الإنسان: ٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن سعيد بن عبادة رضي الله عنه استفتى رسول الله ﷺ فقال: إن أمي ماتت وعليها نذر، فقال: «**اقضه عنها**» [متفق عليه].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**» [رواه البخاري].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: «**مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**» [رواه البخاري].

وقال فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز –رحمه الله–:

النذر لا يرد من قدر الله شيئا وليس هو من أسباب النجاح، وقد نهى النبي ﷺ عن النذر وقال: إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل، كما ثبت ذلك في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ثانيا: الصيام المندوب (المستحب):

أنواعه:

١- صيام يوم عاشوراء.

٢- صيام يوم عرفة لغير الحاج.

٣- صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

٤- صيام ستة أيام من شهر شوال.

٥- صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع.

٦- صيام شهر الله المحرم.

٧- صيام شهر شعبان.

٨-صيام يوم وإفطار يوم.

٩- صام من خاف على نفسه العزبة.

١- صيام يوم عاشوراء:

عن عائشة رضي الله عنها، أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، ثم أمر رسول الله ﷺ بصيامه حتى فرض رمضان، وقال رسول الله ﷺ بصيامه حتى فرض رمضان، وقال رسول الله ﷺ: «**من شاء فليصمه ومن شاء أفطر**» [متفق عليه].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدم النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم عاشوراء، فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه وأمر

بصيامه. [متفق عليه].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ: «**فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع**»، قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ. [رواه مسلم].

وقال الحافظ ابن حجر: وقد كان ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ولاسيما إذا كان فيما يخالف فيه أهل الأوثان، فلما فتحت مكة واشتهر أمر الإسلام أحب مخالفة أهل الكتاب أيضا كما ثبت في الصحيح، فهذا من ذلك، فوافقهم أولا، وقال: «**نحن أحق بموسى منكم**»، ثم أحب مخالفتهم فأمر بأن يضاف إليه بوم قبله ويوم بعده خلافا لهم.

وقال ابن قيم الجوزية: فمراتب صومه ثلاثة –أي يوم عاشوراء– أكملها: أن يصام قبله يوم وبعده يوم، ويلي ذلك أن يصام التاسع والعاشر، وعليه أكثر الأحاديث، ويلي ذلك إفراد العاشر وحده بالصوم.

٢– صيام يوم عرفة لغير الحاج:

عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «**صيام يوم عرفة، إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده**» [رواه ابن ماجة».

وعن أبي سعيد الخدري، عن قتادة بن النعمان، قال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «**من صام يوم عرفة، غفر له سنة أمامه وسنة بعده**» [رواه ابن ماجة].

وقال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ –رحمه الله–: إذا كان الإنسان حاجًا وكان بعرفة فإنه لا يصومه. لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «**أنه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة**» [رواه أبو داود]. وإذا كان غير حاج أو كان حاجا وليس بعرفة بل لم يأت إلا متأخر كبعد المغرب فلا يدخل في النهي. وقد روى أبو قتادة عن النبي ﷺ أنه قال: «**صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء إنس أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله**» [رواه الترمذي، وابن ماجة، وابن حبان]. والحديث الأول خاص، والثاني عام، فيخرج الخاص من العام.

٣– صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام) [روه البخاري].

وعن معاذة العدوية أنها سألت عائشة زوج النبي ﷺ أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم. فقلت لها: من أي أيام الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم. [رواه مسلم].

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا**

عبد الله بن عمرو بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل، فلا تفعل، فإن لجسدك عليك حظا ولعينك عليك حظا، وإن لزوجتك عليك حظا، صم من كل شهر ثلاثة أيام، فذلك صوم الدهر» قلت: يا رسول الله، إني بي قدرة. قال: «**فصم صوم داود عليه السلام، صم يوما وأفطر يوما**» فكان يقول ليتني أخذت بالرخصة. [رواه مسلم].

وقال فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين - رحمه الله-: يسن للمسلم أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وقد ورد الترغيب في صيامها، وأن صيامها يعدل صيام الدهر كله، وكان كثير من الصحابة رضي الله عنهم يصومونها من أول الشهر، وإذا قيل لهم: أخروها إلى أيام البيض، قالوا: وما يدرينا أننا سندرك البيض؟!

ولكن إذا أخر المسلم صيامها إلى أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو أفضل.

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صمت من الشهر ثلاثا: فصم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر**».

وسميت هذه الأيام بيضا؛ لأن لياليها بيض القمر وأيامه بيض النهار.

٤- صيام ستة أيام من شهر شوال:

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه حدثه أن رسول الله

ﷺ قال: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر**» [رواه مسلم].

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، أنه قال: «**من صام ستة أيام بعد الفطر، كان تمام السنة. من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**» [رواه ابن ماجة].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله–: صيام ست من شوال سنّة وليس فريضة؛ لقول النبي ﷺ: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر**»[أخرجه مسلم]، والحديث المذكور يدل على أنه لا حرج في صيامها متتبعة أو متفرقة لإطلاق لفظه.

والمبادرة بها أفضل لقوله سبحانه: ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾ [طه: ٨٤].

ولما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من فضل المسابقة والمسارعة إلى الخير. ولا تجب المداومة عليها، ولكن ذلك أفضل؛ لقول النبي ﷺ: «**أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ**»، ولا يشرع قضاؤها بعد انسلاخ شوال؛ لأنها سنة فات محلها، سواء تركت لعذر أو لغير عذر. والله ولي التوفيق.

٥– صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان يتحرى صيام الاثنين والخميس. [رواه النسائي].

وعن حفصة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه جعل كفه اليمنى تحت خده الأيمن، وكان يصوم الاثنين والخميس. [رواه النسائي].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصوم الاثنين والخميس فقيل: يا رسول الله، إنك تصوم الاثنين والخميس؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا متهاجرين، يقول: دعهما حتى يصطلحا**» [رواه ابن ماجة].

وقال فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين – حفظه الله: «يستحب للمسلم أن يصومها وقد كان النبي ﷺ يصومها وسئل عن ذلك فقال: «**إن الأعمال تعرض فيها، وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**»، وسئل ﷺ عن صيام يوم الاثنين فقال: «**ذلك يوم ولدت فيه**» وفي رواية: «**وأنزل علي الوحي فيه**».

٦– صيام شهر الله المحرم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه قال: سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة، وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان، فقال: «**أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم**» [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الصيام أفضل بعد شهر رمضان؟ قال: «**شهر الله الذي تدعونه المحرم**» [رواه ابن ماجة].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله: أما شهر الله المحرم فقد قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم**»، فإذا صامه كله فهو طيب، أو صام التاسع والعاشر والحادي عشر فذلك طيب.

٧– صيام شهر شعبان:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيت أكثر صياما منه في شعبان) [رواه البخاري].

وعنها أيضا قالت: (لم يكن النبي ﷺ يصوم شهر أكثر من شعبان، وكان يصوم شعبان كله وكان يقول: «**خذوا من العمل ما تطيقونه، فإن الله لا يمل حتى تملوا**»، وأحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليها وإن قلت. وكان إذا صلى صلاة داوم عليها. [رواه البخاري].

٨– صيام يوم وإفطار يوم:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال له: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يوما ويفطر يوما**» [متفق عليه].

وعنه أيضا قال: قال لي النبي ﷺ: «**إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل**»، فقلت: نعم. قال: «**إذا فعلت ذلك هجمت له العين**

ونفهت له النفس، لا صام من صام الدهر، صوم ثلاثة أيام صوم الدهر كله». قلت: فإني أطيق أكثر من ذلك. قال: «**فصم صوم داود عليه السلام: كان يصوم يوما ويفطر يوما، ولا يفر إذا لاقى**» [رواه البخاري].

وقال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ – رحمه الله-: صيام يوم وفطر يوم هو أفضل الصيام، لما ورد عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوم ويفطر يوما**» [رواه البخاري]، لكن إنما يكون ذلك في حق من يداوم عليه. وأما الإنسان إذا كان عاجزا فإنه يداوم على ما يقدر عليه، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ**».

٩– صيام من خاف على نفسه العزبة:

عن علقمة قال: بينا أمشي مع عبد الله رضي الله عنه فقال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**» [رواه البخاري].

ثالثا: الصيام المنهي عنه:

أنواعه:

١– إفراد يوم الجمعة أو السبت بالصيام.

٢– صيام الدهر.

٣- صيام يومي الفطر والأضحى.

٤- صيام المرأة تطوعا بغير إذن زوجها.

٥- صيام يوم الشك (آخر يوم في شعبان) احتياطا لرمضان.

٦- صيام أيام التشريق.

١- إفراد يوم الجمعة أو السبت بالصيام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا يوما قبله أو بعده**» [رواه البخاري].

وعن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، فقال: «**أصمت أمس؟**» قالت: لا. قال: «**أتريدين أن تصومي غدا؟**» قالت لا. قال: «**فأفطري**» [رواه البخاري].

وعن محمد بن عباد بن جعفر سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وهو يطوف بالبيت أنهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة فقال: نعم ورب هذا البيت. [رواه مسلم].

وعن عبد الله بن بسر، قال: قال ﷺ: «**لا تصوموا يوم السبت، إلا فيما افترض عليكم. فإن لم يجد أحدكم إلا عود عنب، أو لحاء شجرة، فليمصه**» [رواه ابن ماجة].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-: لا يجوز أن يصوم يوم الجمعة منفردا يتطوع بذلك؛ لأن الرسول ﷺ

نهى عن ذلك، وهكذا لا يفرد يوم السبت تطوعا، ولكن إذا صام الجمعة ومعها السبت أو معها الخميس فلا بأس، كما جاءت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

٢- صيام الدهر:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول اله ﷺ: «**إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل**»، فقلت: نعم. قال: «**إنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين ونفهت له النفس، لا صام من صام الدهر**...» إلى آخر الحديث. [رواه البخاري].

وعن مطرف بن عبد الله الشخير، عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «**من صام الأبد، فلا صام ولا أفطر**» [رواه ابن ماجة].

٣- صيام يومي الفطر والأضحى.

عن أبي سعيد رضي الله عنه: (نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الفطر والنحر، وعن الصماء، وأن يحتبي الرجل في الثوب الواحد) [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ينهى عن صيامين وبيعتين: الفطر والنحر، والملامسة والمنابذة) [رواه البخاري].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: نهى رسول الله ﷺ عن صومين: يوم الفطر ويوم الأضحى. [رواه مسلم].

وقال فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله: يحرم صوم العيدين، عيد الفطر والأضحى، لما ثبت عن عمر رضي

الله عنه أنه قال: هذان اليومان عيد الفطر وعيد الأضحى كان النبي ﷺ ينهى عن صومهما: يوم فطركم من صيامكم واليوم الذي تأكلون فيه من نسككم.

وقد علل بعض العلماء التحريم بعدة علل منها، أن هذين اليومين يوما فرح واغتباط بإكمال عملين، فيوم الفطر يوم فرح بإكمال الصيام، وعيد الأضحى يوم فرح بإكمال الأعمال التي تعمل في ذي الحجة.

٤- صيام المرأة تطوعا بغير إذن زوجها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه، وما أنفقت من كسبه من غير أمره فإن نصف أجره له**» [متفق عليه].

وعنه أيضا أن النبي ﷺ قال: «**لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه**» [رواه مسلم].

٥- صيام يوم الشك (**آخر يوم في شهر شعبان احتياطا لرمضان**):

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صوما فليصم ذلك اليوم**» [رواه البخاري].

وعن صلة قال: كنا عند عمار، فأتى بشاة مصلية، فقال: كلوا فتنحى بعض القوم، قال: إني صائم. فقال عمار: من صام اليوم

الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ. [روه النسائي].

وعن سماك قال: دخلت على عكرمة في يوم قد أشكل، من رمضان هو؟ أم من شعبان؟ وهو يأكل خبزا وبقلا ولبنا. فقال لي: هلم! فقلت: إني صائم، قال: فلما رأيته يحلف لا يستثني تقدمت، قلت: هات الآن ما عندك، قال: سمعت ابن عباس يقول: قال رسول الله ﷺ: «**صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن حال بينكم وبينه سحابة، أو ظلمة، فأكملوا العدة** -عدة شعبان- **ولا تستقبلوا الشهر استقبالا، ولا تصلوا رمضان بيوم من شعبان**» [رواه النسائي].

٦- صيام أيام التشريق:

عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (لا يُرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي) [رواه البخاري].

وعن ابن كعب بن مالك عن أبيه أنه حدثه أن رسول الله ﷺ بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق، فنادى أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأيام منى أيام أكل وشرب. [رواه مسلم].

وعن نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيام التشريق أيام أكل وشرب**» [رواه مسلم].

وقال فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: (أيام التشريق لا تصام؛ لأن الرسول ﷺ نهى عن ذلك إلا أنه جاء ما يدل على جواز صومها عن هدي التمتع والقرآن، وخاصة لمن لم يستطع الهدي، لما ثبت في البخاري عن عائشة رضي الله عنها وابن عمر

رضي الله عنهما قالا: (لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن، إلا لمن لم يجد الهدي)، أما كونها تصام تطوعا لأسباب أخرى فلا يجوز.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- التفسير الميسر.

٣- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الأجزاء ٤، ٩، ١١.

٥- صحيح مسلم بشرح النووي –الجزء الرابع.

٦- صحيح سنن النسائي –تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني –الجزء الثاني.

٧- صحيح سنن ابن ماجة –تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني –الجزء الأول.

٨- زاد المعاد في هدي خير العباد –الجزء الثاني.

٩- المقنع والشرح الكبير والإنصاف –الجزء السابع.

١٠- الصيام والقيام وعيد شهر رمضان لشيخ الإسلام ابن تيمية وللمشايخ: ابن باز –رحمه الله_، والألباني –رحمه الله-، وابن عثيمين- رحمه الله، وابن جبرين، واللجنة الدائمة.

١١- فتاوى الصيام لابن باز –رحمه الله-، وابن عثيمين – رحمه الله، وابن جبرين، واللجنة الدائمة.

١٢- مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن

باز –رحمه الله– الجزءان: ٥، ٦.

١٣– فتاوى وتنبيهات ونصائح –لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز –رحمه الله–.

١٤– الصيام آداب وأحكام لفضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

١٥– نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان. د. سيد حسن العفاني.

١٦– صيام التطوع –تأليف شريدة المعوشرجي.

فهرس الموضوعات

بدموع الأحزان نودع شهر رمضان

كتبها

سليمان بن عبد الكريم المفرج

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب على هذه الخليقة فناء وزوالاً، وجعل لكل شيء منها إدبارًا وإقبالاً، ليدلنا بذلك على أن لكل نازل رحيلاً وانتقالاً، أحمده وأشكره إذ أعاننا على الصيام والقيام كرمًا منه وإفضالاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع شاهدها عاجلاً ومآلاً، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله يرشد جهالاً وضلالاً، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أزكى الأمة أعمالاً وأصدقهم أقوالاً، أما بعد:

عباد الله: هذا شهركم، قد قوضت خيامه، وتقطعت حباله، وتصرمت أيامه، وهو شاهد لكم غدًا بما عملتم، وشاهد عليكم بما أضعتم، فيا ليت شعري، هل يرحل حامدًا صنيعكم أو ذامًا تضييعكم؟

إني أعزيكم بانقضاء شهر رمضان، وحق لكل قلب أن يعزى بفراقه، وإنها لنعمة كبيرة أن أبقانا الله؛ لنعانقه، ونعيش أيامه ولياليه في روحانية وإيمان وأنس واطمئنان.

وحق لكل مسلم أن تذرف عيناه دموع الحزن على فراقه، ولا نلام إذا انهملت الدموع على الخدود وجادت بأغلى ما لديها:

يـــا عيونـــاً أرســـلت أدمعهـــا

ما بذا بأس لو أرســـلت الـــدما

فماذا قدمنا أيها الأحبة لهذا الضيف الذي أفل نجمه، وانطفأت شمسه؟

والله، لو كانت القلوب سليمة لخالجها الأسى بمغادرته، ووالله، لو لم يكن فيه إلا طرب القلوب والوقوف عند باب الرب لكفى.

لقد كنت يا رمضان للقلوب مقومًا، وللوجوه منيرًا، وللعيون مفيضًا.

وحق لعـــين أن تريـــق دموعهـــا
ولا خير في عين بـــذلك تبخـــل

هنيئًا لمن أكرمك أيها الضيف الراحل، ويا خسارة من فرط في إكرامك وارتحلت، ولم يغفر له بإدراكك.

سلف الأمة إذا شارف رمضان على الانقضاء حزنوا وبكوا، كيف لا، وقد كان لهم رمضان أنسًا ومغنمًا، علموا ما في رمضان؛ فتمنوا السنة كلها رمضان، ويدعون الله ستة أِشهر أن يقبله منهم، فالمعول على القبول لا على الأداء فحسب، لسان حال الواحد منهم يقول:

وإني حقيق بالتضـــرع والبكـــا
إذا ما هذا النوام والليل غيهـــب
وجالت دواعي الحزن من كـــل
وغارت نجـــوم الليـــل وانقـــض
كفى أن عيني بالـــدموع غزيـــرة
وأني بآهـــات صـــدري معـــذب

من منا لا تؤلم نفسه لحظات الفراق؟ ومن منا لا تجرح مشاعره ساعات الغياب؟ بدموع الفرح استقبلنا رمضان، وكأنني بك أخي

تطلق العبرات والزفرات لسماع أول الموعظات، وها أنت الآن بدموع الأثر والتأثر تودعه، وكأنني بك نادم كل الندم على التقصير والزلات.

أخي، وأنت تودع رمضان تذكر أن رمضان جاء، وها هو يذهب، وقد طوى دفاتره وسوى حساباته، وأعلن عمن فاز بالربح، وكسب الجولة، وختم كشوفه مع من خسر، وغبن في البيعة، ولا ندري – والله – أهنأ بقدوم عيد الفطر أم نعزى بفراق شهر القرآن والذكر؟!

ذهب رمضان ليعود على من بقي، وليودع من رحل، ذهب رمضان، فجرت المدامع وتناقص عدد الناس في الجوامع.

يا راحلاً وجميـــل الصـــبر يتبعـــه
هل من سبيل إلى لقيـــاك يتفـــق
ما أنصفتك دموعي وهي داميـــة
ولا وفى لك قلبي وهـــو يحتـــرق

اغتنموا شهركم بالتوبة النصوح، واسكبوا غزير الدمع لعل الله يتقبلكم، فكم من شخص جاء بالقليل وتوج بالقبول، وكم من شخص عمل الكثير لكنه مني بالحرمان.

إخواني، هذا شهر رمضان موسم القبول والغفران ما بقي منه إلا القليل، وكأنه طيف زار في النوم، لقد كان للمتقين روضة وأنسًا وللغافلين قيدًا وحبسًا، كان نزهة للأبرار وقيدًا للأشرار، فطوبى لمن حل فيه عقدة الإصرار ونزل في روضة التقوى في دار

الافتقار، وختم شهره بالاستغفار لعله، يرقع خلل التقصير، ويمحو الأوزار.

أي شهر قد تولى يا عباد الله عنا

حق أن نبكي عليه بدماء لو عقلنا

كيف لا نبكي بشهر مر بالغفلـــة

ثم لم نعلم أنا قد قبلنا أو طردنـــا

ليت شعري، من هـــو المحـــروم

ومن المقبول ممن صام منا فيهنـــا

كان هذا الشهر نورًا يرتدي زهوًا

فاجعل اللهم عقباه لنا خيرًا وغنما

إخواني، اجتهدوا في باقيه، وتلافوا تفريطكم ما أمكن تلافيه، متى يغفر لمن لم يغفر له فيه، ومتى يصلح من صعب عليه إدراك فارطه، وأقام على تماديه، لقد كان منبهًا لذوي الغفلات والنسيان، موسمًا لمضاعفة الأعمال والغفران، مخصوصًا لفضيلة تلاوة القرآن، وقت إفاضات الكرم من المولى والإحسان، ليله معمور بالقيام، ونهاره مصون بالصيام، فكيف لا تجرى دموع المؤمن على فقد رمضان وهو لا يدري أحظي بالقبول والغفران؟ أم رمي بالطرد والحرمان، ثم لا يشعر أهو يدركه في الزمان الثاني.

كيف لا يجري للمؤمن على فراق رمضان دموع وهو لا يدري هل بقي له في عمره رجوع؟

تذكرت أيامًـــا خلـــت وليـاليـــا
خلت فجرى من ذكرهن دمـــوع
ألا هل لها يومًا من الدهر عـــودة
وهل لي إلى يوم الوصال رجـــوع
وهل بعد إعراض الحبيب تواصل
كوهل لبدور قد أفلـــن طلـــوع

أين حرق المجتهدين في نهاره؟ أي قلق المتهجدين في أسحاره؟ كيف حال من خسر في لياليه وأيامه؟ ماذا يفعل المفرط فيه بكاؤه، وقد عظمت فيه مصيبته، وجل عزاؤه؟ كم نصح المسكين فما قبل النصح، كم دُعي إلى المصالحة فما أجاب الصلح، كم شاهد الواصلين فيه، وهو متباعد، كم مرت به زمر السائرين، وهو قاعد، حتى إذا ضاق به الوقت، وخاف المقت ندم على التفريط، حيث لا ينفع الندم، وطلب الاستدراك في وقت العدم.

إخواني، ماذا استفدنا من رمضان؟ سؤال يطرح نفسه عند وداع شهر الصيام، وليقف كل واحد منا مع نفسه لحظات، كيف استقبل الشهر؟ هل أطعم جائعًا؟ هل عاد مريضًا؟ هل زار ميتًا؟ هل فطر صائمًا؟ هل واسي يتيمًا؟ هل أرشد ضالاً؟ هل طيب خاطرًا؟ هل طهر مالاً؟ هل ربى حقًا ولدًا؟ هل تذكر ضعفًا؟ هل لله رفع كفًا؟ هل ذرفت عينه دمعًا؟ هل كان حليمًا؟ هل أغاث ملهوفًا؟ هل قدم عونًا؟

إخواني، كم أناس صلوا في هذا الشهر صلاة التراويح، وأوقدوا

في المساجد طلبًا للأجر المصابيح، ونسخوا بإحسانهم كل فعل قبيح، وقبل التمام سكنوا الضريح، ولم ينفعهم المال والآمال، رحلوا عن الدنيا قِدمًا قدمًا، ونقض ما بنوه هدمًا هدمًا، أدارت عليهم المنون رحاها، وأحلت وجوههم في الثرى فمحاها.

وهذا حالك عن قريب، فتيقظ يا قليل الزاد وحاد رحيله قد حدى، تأهب للتلف وتهيأ للردى، ذهب عنك شهر الصيام، وودعك، وسارت فيه قوافل الصالحين، وجهلك منعك، والتوبيخ متوافر فما أرجعك، وما أزعجك، وأنت تؤمل منازل العالمين بأفعال الغافلين فما أطمعك، كم من صائم يفضحه الحساب والعرض، وكم من عاص في هذا الشهر تستغيث منه الأرض، فيا ليت شعري، من المقبول منا، فنهنئه على توفيق الله له بحسن عمله، ويا ليت شعري، من المطرود منا، فنعزيه بسوء فعله، لله در أقوام حرسوا بالتقى أوقاتهم، وتدرعوا دروع المراقبة في صبرهم، وجمعوا بين الصدق والإخلاص في ذكرهم، صبروا باليقين على ظمأ الهواجر، وبسطوا أقدامهم على بساط الدياجر، وعملوا ليوم فيه القلوب لدى الحناجر، أقبلوا على ربهم إقبال عالم، ما سلكوا إلا الطريق السالم، تذكروا ذنوبهم القدائم، فجددوا التوبة بصدق العزائم، وعدوا التقصير من العظائم، وبذلوا المهج الكرائم، فإذا جن الليل؛ فساجد وقائم، أين أنت وهم؟ فهل ترى الساهر كالنائم، كلا، ولا المفطر كصائم.

وإلى كل من عزم على هجران الطاعات بعد رمضان أقول: اتقوا الله تعالى، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا،

واعلموا أن رب رمضان هو رب الشهور كلها، والعبادة لا تنقضي أبدًا.

يقول تعالى لرسوله: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ يقول الإمام أحمد: بئس القوم، لا يعبدون الله إلا في رمضان.

شتان وشتان بين من يرى رمضان كأنه حبيب زار بعد طول بعاد، وطيف خيال ألم في طيب سهاد، فقد شغله أنسه بحبيبه عن الأنام، فهو يتمنى لو كان رمضان على الدوام، قد هجر فيه لذيذ المنام، ولزوم الوقوف في حندس الظلام.

وآخر يرى رمضان موسمًا لنيل الشهوات، ويعد أيامه استعجالاً لأوقات الهفوات، وفرط في الإنابة والتوبة، وقصر عن الإجابة والأوبة، فازداد برمضان وزرًا على نزره، واكتسب بأيامه خسرًا إلى خسره، ولم يتزود منه ليوم حشره، ورضي بإبعاده وهجره، والسعيد في آخر هذا الشهر الذي يتذكر الوعد والوعيد، ويطلب من مولاه المزيد، فهي أيام يتفضل فيها الملك المجيد، ويعتق الإماء والعبيد.

اغتنموا العمل الصالح المبرور قبل طول الثواء في القبور، وانهضوا إلى الأسباب قبل طي الكتاب، وبادروا بالاستغفار قبل إغلاق الباب، وإسبال الحجاب.

إخواني، عن قريب ستفرحون بالعيد، وتلبسون الجديد، فالله، الله، لا تنسوا الجسد الجريح في كثير من بلدان المسلمين؛ واسوهم بمالكم، وخصصوا لهم من دعائكم ولا تنسيكم فرحة العيد إخوانًا

لكم، وليكن عيدكم عبادة لا موسم معاص أو عادة.

في وداع رمضان يكتب القلم بمداد الحزن، والعبرات تسبق العبارات:

دع البكاء على الأطلال والـــدار
واذكر لمن بان من خل ومن جار
واذر الدموع نحيبًا وابـــك مـــن
على فـــراق ليـــال ذات أنـــوار
على ليال لشهر الصوم ما جعلت
إلا لتمحـــــيص آثـــــام وأوزار
يا لائمي في البكا زدني به كلفـــا
واسمع غريب أحاديـــث وأخبـــار
ما كان أحسننا والشمل مجتمـــع
من المصلي ومن القانت القـــاري
وفي التراويح للراحـــات جامعـــة
فيها المصابيح تزهو مثل أزهـــار
شهر به ليلة القدر التي شـــرفت
حقا على كل شهر ذات أســـرار
تنزل الروح والأفـــلاك قاطبـــة
بإذن رب غفور خـــالق بـــاري
شهر به يعتق الله العصـــاة وقـــد
أشفو على جرف من حصة النار

نرجو الإله محب العفــو يعتقنــا
ويحفظ الكل من شــر وأكــدار
ويشمل العفو والرضوان أجمعنــا
بفضلك الجم لا تهتــك لأســتار
فابكوا على ما مضى في الشــهر
ما قد بقي فهو حق عنكم جاري

أخيرًا أخي، من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، وقنع بالتوبة والحزن، فمد إلى ربك يد الافتقار، وقم على بابه بالذل والانكسار، وارفع قصة ندمك على صحيفة خدك بمداد الدموع الغزار، قف على الباب باكيًا، ونكس الرأس شاكيًا، وألح على المولى داعيًا، وقل بلسان الاعتذار، وأنت نادم على الذنوب والأوزار:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثــرة
فلقد علمت بأن عفــوك أعظــم
إن كان لا يرجــوك إلا محســن
فمن الذي يدعو ويرجــو المجــرم
أدعوك ربي كما أمرت تضــرعًا
فإذا رددت يدي فمن ذا يــرحم
مالي إليــك وســيلة إلا الــدعا
وجميــل عفــوك ثم أني مســلم

سلام عليك يا شهر رمضان، يا شهر الصيام والقيام وتلاوة

القرآن، سلام عليك يا شهر التجاوز والغفران والبر والإحسان، يا شهر الأنوار والمصابيح، يا شهر يترك فيه القبيح، سلام عليك يا شهر التراويح، والمتجر الربيح..

سلام مــن الــرحمن كــل أوان
على خير شهر قد مضى وزمــان
سلام على شهر الصــيام فإنــه
أمان من الــرحمن كــل أمــان
لئن كنت يا شهر الصيام منــورا
لــك فــؤاد مظلــم وجنــان
ترحلت يا شهر الصيام بصــومنا
وقد كنت أنوارًا بكــل مكــان
لئن فنيت أيامك الزهــر بغتــة
فما الحزن من قلبي عليك بفــان
عليك سلام الله كن شاهدًا لنــا
بخير رعــاك الله مــن رمضــان

اللهم، أعد علينا رمضان أعوامًا عديدة، وأزمنة مديدة في حياة سعيدة، اللهم، أعده على الأمة الإسلامية، وقد صلحت أحوالها، واندملت جراحاتها، اللهم، استر علينا فاضحات السرائر، وهب لنا موبقات الجرائر، وسامحنا عن كل قبيح نطقت به الألسن وأكنته الضمائر، فها نحن عبيدك الخاضعون لهيبتك، المتذللون لعزك وعظمتك، الراجون لجميل رحمتك، أمرتنا ففرطنا، ولم تقطع عنا

نعمتك، ونهيتنا، فعصينا، فلم تحرمنا كرمك، اللهم، ردنا إليك بفضلك ورحمتك، ووفقنا للإقبال عليك والاشتغال بخدمتك، وتفضل علينا؛ فأنت البادي بالإحسان قبل توجه السائلين، وأنت الجواد بالعطاء قبل طلب الراغبين. فأتمم علينا إحسانك، كما بدأتنا، وأسبل علينا عفوك، كما عودتنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

سليمان بن عبد الكريم المفرج

الجوف – دومة الجندل

٠٥٥٣٨٩١٥٣

*****

بيوت الصائمات
البرنامج اليومي للأخت الصائمة في رمضان

الشيخ الدكتور
عمر بن سعود العيد

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيلاحظ في أيام رمضان على بعض المسلمين والمسلمات، أنه تمضي عليهم أيام الصيام وهم في تفريط وتقصير، واشتغال فيما لا يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة، وعدم تنافس أو النظر إلى ما حرم الله عليهم، ومن أجل ذلك أحببت أن أضع للأخت المسلمة برنامجا يوميا تقضي فيه وقتها فيها ينفعها، ويُرقِّي درجاتها في الجنة يبتدئ من السَّحر إلى السَّحر، اجتهدت فيه ما استطعت، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي المقصرة والشيطان.

*** قبل الفجر:**

يُسن للمسلمة أن تتسحر؛ لأمر النبي ﷺ بذلك، كما في حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه-: «**تسحروا فإن في السحور بركة**» [متفق عليه].

ويحصل السحور بما تيسر من الطعام، ولو على تمر لحديث أبي هريرة – رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «**نعم سحور المؤمن التمر**» [رواه أبو داود بسند حسن].

فإن لم تجد التمر شربت قليلا من الماء؛ لتحصل لها بركة السحور.

والسنة للمسلمة تأخير السحور، ما لم تخش طلوع الفجر، لما ثبت في ذلك من الأحاديث الصحيحة.

منها حديث أنس بن زيد بن ثابت قال: تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة، قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: «قدر خمسين آية» [متفق عليه].

وكان أصحاب النبي ﷺ يؤخرون السحور، كما روى عمرو بن ميمون، قال: كان أصحاب محمد ﷺ أعجل الناس إفطارا وأبطأهم سحورا. [رواه البيهقي بسند صحيح].

ولعل الحكمة من تأخير السحور هي:

١- أن السحور يُراد به التقوي على الصيام، فكان تأخيره أنفع للصائم.

٢- أن الصائم لو تسحر قبل طلوع الفجر بوقت طويل ربما نام عن صلاة الفجر.

* **أذان الفجر**:

الواجب على المسلمة إذا تحققت من طلوع الفجر أن تمسك عن الأكل والشرب، وإذا سمعت المؤذن فمن السنة أن تردد معه ألفاظ الأذان. ثم تدعو بما ورد: «**اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد**». لتحصل لها شفاعة النبي ﷺ، تصلي راتبة الفجر، تقرأ في الركعة الأولى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا**

الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، وفي الثانية: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** [الإخلاص: ١]، وسنة الفجر ينبغي المحافظة عليها، فلقد كان المصطفى ﷺ لا يدعها سفرا ولا حضرا.

روى البخاري ومسلم عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: (لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر).

وبعد سنّة الفجر تصلي الفجر، والسنّة أن تقرأ سورة طويلة من المفصل – إن تيسر ذلك– وإلا فمما تيسر معها من القرآن.

وبعد الانصراف من صلاة الفجر تحرص على الأوراد والأذكار التي تقال عقب الصلوات مع التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير. ويمكن للأخت المسلمة الاطلاع عليها في كتيب: "صحيح الكلم الطيب" أو غيره من كتب الأذكار المخرجة، وبعدها تقرأ أوراد الصباح، لتكون في حرز من الشيطان، وحصن حصين من الشرور.

والسنّة للمسلم والمسلمة يمكث في مصلاه إلى طلوع الشمس، وارتفاعها قيد رمح، يذكر الله – تعالى– ثم يصلي ركعتين، ليكتب له أجر حجة وعمرة تامة تامة. لما روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة: (أن النبي ﷺ كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس).

ولحديث أنس بن مالك – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة، قال**

رسول الله ﷺ: تامة تامة» [رواه الترمذي].

وتشتغل في جلوسها بقراءة القرآن، حفظا إن كانت حافظة، أو بمراجعة الحفظ، وإلا قرأت من المصحف ما تيسر لها، وإن لم تكن تعرف القراءة فيمكنها أن تستمع إليها من قارئ أو من شريط أو تشتغل بشيء من الأذكار، ومن ذلك أن تقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» مائة مرة. وبعدها تقول: «سبحان الله وبحمده» مائة مرة. ليحصل لها ما وعد النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان في يومه ذلك، حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه» وقال: **«من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر»**.

وقول: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»، لأنها كنــز من كنوز الجنة، فقد أوصى النبي ﷺ أبا موسى الأشعري حيث قال له: «**ألا أدلك على كنــز من كنوز الجنة**» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**قل لا حول ولا قوة إلا بالله**».

وإن خير ما يقضي به وقت المسلم والمسلمة، بأحب الكلام إلى

الله، وهو ما ثبت في مسلم من حديث سمرة بن جندب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت**».

إلى غير ذلك من الأذكار والأدعية والأوراد.

وبعد طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح، تصلي الصائمة ركعتين، أو ما شاءت من الركعات، ثم تأخذ قسطا من الراحة والنوم، ولا تنسى الأذكار الواردة عند النوم، من قراءة آية الكرسي، وقولها: «**باسمك اللهم أحيا وأموت**».

قراءة المعوذات، والنفث في اليدين، ومسح الجسد بيديها، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- (أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه، وقرأ بالمعوذات، ومسح بهما جسده).

وقولها: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا، وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوى. وغيرها كثير.

واحرصي على أن تعلمي أولادك هذه الأذكار عند نومهم؛ لأن ذلك من التربية لهم، والدعوة إلى الله، وفيها حفظ لهم وحرز من الشيطان، وتعويد لهم على طاعة الله.

*** صلاة الظهر:**

أختي المسلمة: إن لم تكوني مرتبطة بدوام أو دراسة، فاستيقظي

قبل الظهر، ولو بزمن يسير لتصلي سنة الضحى، فإن النبي ﷺ أوصى بها عددا من الصحابة – رضي الله عنهم- وليس لها عدد معين.

فإذا أذّن الظهر فاستمعي له، وقولي مثل ما يقول المؤذن، وادعي بما ورد بعد الأذان.

ثم صليّ سنّة الظهر القبلية، وهي أربع ركعات ثم صلي الظهر وبعدها صلي ركعتين. وإن شئت أربع ركعات، وهو أفضل. ولا تنسي الأوراد عقب الصلوات، وأن تقرئي ما تيسر من القرآن.

أختاه:

احرصي على إيقاظ أولادك وإخوانك لأداء الصلاة، سواء الظهر، أو العصر، أو غيرهما، فإن هذا من التعاون على البر والتقوى.

بيوت الصائمات:

إن رمضان شهر القرآن، فالله أنزل فيه كتابه، قال تعالى: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾** [البقرة: ١٨٥]. وأمر المسلم بقراءته، ورغب أن يجعل لبيته قسطا من قراءة القرآن.

فينبغي للصائمة أن تجعل لها حزبا يوميا من كتاب الله، تقرؤه في أثناء نهارها وليلها، وأوقات فراغها، فلا أقلَّ من أن تختم القرآن في شهر، كما أمر النبي ﷺ عبد الله بن عمرو العاص – رضي الله

عنهما- وإن قرأته في نصف شهر أو أسبوع، أو ثلاثة أيام، فهو أفضل، فقد كان عبد الله بن عمرو وتميم الداري — رضي الله عنهما- يختمان كل ثلاثة أيام، وبيَّن لنا ﷺ أن البيت الذي يقرأ فيه القرآن لا يقربه الشيطان، ولقراءتك للقرآن تأثير على الأطفال والصغار، إذ يسمعون آيات الله تتلى عليهم، وقراءة القرآن سبب لنـــزول رحمة الله عليكم.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة — رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان**».

وإن نعمة الله علينا في هذا العصر وجود إذاعة القرآن، وأشرطة القرآن، والمحاضرات المتوافرة في كل مكان، فيمكن للأخت المسلمة أن تسمع آيات طيلة وقتها، وتسمع كل خير عن طريق هذه الأجهزة.

وكم من الأخوات لا يستطعن القراءة من المصحف، وعوضها الله بسماع هذه الأشرطة الطيبة، فتزداد أجرا وثوابا بسبب النحل، بدلا من أن يُدوي فيه الزمر والطرب..

فقد كانت بيوت الصحابة مليئة بذكر الله —تعالى- فلنحرص على أن نكون مثلهم.

*** صلاة العصر:**

إذا أذَّن العصر فرددي مع المؤذن كما يقول، وصلي أربع ركعات قبل الفريضة، لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**رحم الله**

امرءا صلى قبل العصر أربعا» [رواه أبو داود والترمذي بسند حسن]، ثم صلي الفريضة، ولا تنسي الأذكار عقب الصلاة، وبعدها تنطلق الأخت إلى إعداد ما تحتاجه الأسرة من الطعام دون مبالغة ولا إسراف. واحتسبي في إعدادك للطعام، وأنك تقومين على خدمة صائمين، فلك أجر عظيم بهذا العمر، ويمكن إشغال سمعك بما ينفع من سماع لإذاعة القرآن أو شريط إسلامي.

*** فرحة الصائمة:**

وقبيل المغرب تنتظر الصائمة المؤذن، حيث امتنعت عن الأكل والشرب طيلة يومها، استجابة لربها، وعليك أختي المسلمة أن تشغلي هذا الوقت بالدعاء فإنه وقت إجابة كما ورد.

فإذا أذَّن المؤذن استحب لها تعجيل الفطر، كما روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد – رضي الله عنه– عن النبي ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور**»، ولا تغفلي عن البسملة قبل الأكل، وأفطري على تمر –إن تيسر– ثم رددي مع المؤذن ما يقول، واسألي الله الوسيلة، والفضيلة، لنبيك محمد ﷺ.

*** ملاحظة:**

يلاحظ على كثير من البيوت قبل الإفطار أنهم يضعون موائد كبيرة ومتنوعة الأصناف، مما يؤدي إلى التأخر عن صلاة المغرب، أو فوات تكبيرة الإحرام، أو بعض الركعات، أو فوات الصلاة بالكلية، وهذا لا ينبغي في غير رمضان، فكيف في رمضان؟!

أختي المسلمة: كوني عونا لأهل بيتك في طاعة الله، فقدمي لهم طعاما يسد جوعهم، واتركي الباقي بعد صلاة المغرب؛ لأن ترك الصلاة مع الجماعة معصية، وخطر عظيم.

كما أُذكرك أن لا تنسي الأذكار بعد الإفطار بعد أن أذهب الله عنك الظمأ، وابتلت العروق، ومن هذه الأذكار ما رواه عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا أفطر «**ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى**» [رواه أبو داود والنسائي بسند حسن].

وقوله: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وجعلنا مسلمين**».

بعد الإفطار أدي صلاة المغرب في أول وقتها، والأوراد التي بعدها، وأذكار المساء.

ثم صلي راتبة المغرب، وما بين المغرب والعشاء يكمل الصائم أو الصائمة وجبة الإفطار، وما بقي يمكن شغله مع الأهل بفائدة، إما بدرس القرآن، أو بقصة صحابي أو سرد غزوة من غزوات النبي ﷺ. قال علي بن الحسين –رضي الله عنه–: كانوا يعلموننا المغازي والسير، كما يعلموننا السورة من القرآن.

فإذا أذَّن للعشاء فاستمعي للأذان ورددي معه وقولي ما ورد، ثم أدي صلاة العشاء وسنتها التي بعدها.

*** صلاة التراويح:**

أختي المسلمة: إن مما تميز به رمضان صلاة التراويح، إذ ورد في فضلها أحاديث كثيرة، منها ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ

قال: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه**» أي إيمانا بالله، وما أعده من الثواب للقائمين، واحتسابا أي: طلبا لثواب الله، لم يحمله على أدائها رياء ولا سمعة، ولا غير ذلك.

والسنة للمرأة أن تصليها في منــزلها، وهو أفضل لحديث النبي ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن**».

وعددها إحدى عشرة ركعة، تسلم من كل اثنتين، والسنة إطالة القراءة فيها، لا العجلة ونقرها كنقر الغراب، وللمرأة أن تصلي التراويح في المسجد، وإذا صلت في المسجد فليكن مع إمام حسن الصوت، ليؤثر القرآن على قلبها وجوارحها، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾ [مريم: ٥٨].

ولا تنصرف من الصلاة حتى ينصرف الإمام من آخر ركعة، ليكتب لها قيام ليلة كاملة، فإذا سلم الإمام من وتره وسلمت قالت: سبحان الملك القدوس، ثلاث مرات.

* **تنبيه:**

إذا خرجت المرأة للصلاة في المساجد فلا يجوز لها أن تخرج متزينة أو متبرجة أو متعطرة لما في ذلك من المفاسد العظيمة، فإن بيوت الله مواطن عبادة لا صالات فرح وتجمل.

* **بعد التراويح إلى السحر:**

كثير من الصائمين والصائمات يسهرون الليل كله، إما في

مباح، أو محرم، مما يضطرهم إلى نوم غالب النهار، فيضيعون عليهم كثيرا من أعمال الخير!!

فمنهم من يسهر ليله على المعاصي والآثام، إما بزيارات يتخللها كلام في أعراض الناس من غيرة أو سخرية أو نميمة أو غيرها. وإما في جلوس عند أجهزة اللهو والطرب، أو متابعة الأفلام الماجنة، أو قراءة لمجلات ساقطة هابطة لا خير فيها في الدنيا ولا في الآخرة، أو خروج للأسواق من غير حاجة ماسة وتضييع للأوقات.

فنقول لهؤلاء: أين أنتم من سيرة السلف ولياليهم – رضي الله عنهم- إذ يقضون غالب أوقاهم في طاعة الله، وينامون جزءا منه، ليتقووا على فعل الخيرات، والنافسة في الطاعات.

إن نبي الله ﷺ قال للأمة مرغبا لها في شغل أوقاها في كل خير: «**فأروا الله من أنفسكم خيرا**».

ونقول لهؤلاء: اتقوا الله في رمضان، ولا تضيعوا أوقاته فيما لا ينفع، وفيما لا يكون سببا لمغفرة ذنوبكم، فاجتنبوا المعاصي والآثام صغيرها وكبيرها.

*** أعمال يمكن للمسلمة أن تشغل وقتها بها في رمضان:**

١- زيارة أقاربها، وصلة أرحامها، وتكون مشتملة على النصح والتوجيه، وإهداء الأشرطة المناسبة لهم، من قرآن، ومحاضرات، وكتيبات صغيرة. قال رسول الله ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**» [رواه البخاري ومسلم].

وقال رسول الله ﷺ: «**من سرَّه أن يبسط الله في رزقه، وأن ينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه**» [رواه البخاري ومسلم].

٢- زيارة الجيران لا لتضييع الوقت، وإنما امتثالا لحديث النبي ﷺ: «**لا يزال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**». وهذه الزيارة يكون فيها شيء من الإهداء والتعاون على البر والتقوى والتناصح.

٣- محاولة حفظ شيء من القرآن، ولو قليلا، لتكوني من خير هذه الأمة، قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**». أو حفظ بعض أحاديث النبي ﷺ.

٤- التعاون بين الأخوات لوضع درس علمي بينهن في بعض ليالي رمضان، لتحفهن الملائكة، وتغشاهن الرحمة، وتنــزل عليهن السكينة، ويذكرهن الله فيمن عنده.

٥- حضور المحاضرات والدروس المقامة في بعض المساجد -إن تيسر ذلك- لتتفقه في دينها، لأنهم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

٦- سماع بعض الأشرطة، ومحاولة تلخيصها، والاستفادة منها. وأعني بها أشرطة الدروس لا المحاضرات.

٧- وضع برنامج لها لقراءة بعض الكتب، وبحث بعض المسائل العلمية، وإن كان الأفضل إشغال وقتها بتلاوة القرآن أو حفظه.

٨- إذا كانت الأخت تسن قراءة القرآن، فينبغي لها أن تجعل لها حلقة لتدريس القرآن الكريم، لأهل بيتها أو جيرانها، لما في ذلك من الثواب العظيم.

٩- الجلوس مع أولادها أو إخوانها لتربيتهم على حب الله ورسوله ﷺ، وحب الطاعات، وعلى الأخلاق الفاضلة، والآداب الإسلامية، إما بتحفيظهم لبعض الآيات أو بعض الأدعية والأذكار، أو قص بعض القصص الإسلامية.

فكم من أخوات تظن أن التربية للأولاد في إعداد الطعام، وتنظيف الملابس وغيرها، وتنسى تربية القلب والروح، وهذا من الجهل بالتربية الحقيقية.

تجارة شهر رمضان الرابحة الصّدقة

إعداد

أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى الذي أكرم عباده بشهر رمضان، ووالى عليهم جلائل الإحسان، والصلاة والسلام على المبعوث بالقرآن، وعلى آله وأصحابه كواكب الحيران.

وبعد:

أخي المسلم: إليك يا من ذاق نفحات شهر النفحات

إليك يا من عاش أيام شهر التجليات

إليك يا من اشتاقت نفسه إلى تلك الأيام المباركات

ها هو شهر النفحات يطل عليك بطلائعه الميمونة ... ومواكبه الطاهرة ... فهل أعددت نفسك – أيها الموفق – لتكون فيمن يستقبل تلك المواكب الميمونة؟!

إنه: (شهر رمضان) موسم الطاعات ... وسوق الصالحات ... وأيام اقتناص الحسنات.

شهر القرآن وشهر الجود والإحسان!

فإياك أيها العاقل أن تكون من المحرومين فيه!

درة رمضانية

أخي المسلم: شهر رمضان: شهر الحسنات ... الصائم فيه بين حسنة ماضية وحسنة قادمة!

وفي هذه الصفحات سأذكرك بدرة من درر رمضان وبباب من أبواب الخير قليل من يلجه

أتدري ما هي هذه الدرة؟!

إنها (الصدقة في رمضان!) غنيمة باردة من غنائم هذا الشهر المبارك!

أخي: لست تجهل فضل الصدقة ... وعظيم شرف الإحسان ... ولكن للصدقة في رمضان مذاق خاص ... وشرف عظيم!

قال الله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال النبي ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل، الصائم النهار**» [رواه البخاري ومسلم].

قال يحي بن معاذ: «ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا من الصدقة».

وشهر رمضان – أيها الموفق – فرصة نادرة لاقتناص هذا

الشرف العظيم ... يحيا المسلم أيامه ولياليه بألوان من الطاعات ... لا تسل عن عظيم ثوابها!

فهو شهر تضاعف فيه الحسنات ... وترفع فيه الدرجات!

المحروم من حرم خيره ... والشقي من خرج صفرًا من أيامه الزاهرة!

فما هو نصيبك – أيها العاقل – من حسنات هذه الدرة (الصدقة في رمضان)؟!

وإياك أن تفهم أن هذا الفضل لا يبلغه إلا أصحاب الملايين! بل أنت من أهله بقليل تجود به نفسك!

وإليك البشارة: قال رسول الله ﷺ: «**من فطر صائمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا**» [رواه أحمد والترمذي/ صحيح الجامع للألباني (٦٤١٥)].

وإليك بشارة أخرى: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سرورًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تطعمه خبزًا**» [رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»، والبيهقي في «الشعب»/ صحيح الجامع (١٠٩٦)].

أخي المسلم: إنه: (شهر الجود) وأهل الجود والصدقة فيه من الفائزين بتلك الدرة الرمضانية ... ومن المتخلقين بخلق يحبه الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب**

الجودة، يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها» [رواه الطبراني وأبو نعيم في "الحلية"، والبيهقي في "الشعب" والحاكم/ صحيح الجامع للألباني (١٨٠٠)].

رمضان شهر الجود

أخي المسلم: هل تذكرت الجود وأنت تعيش نفحات رمضان؟!

هل تذكرت بر المساكين وأنت في شهر الجود؟!

هل تذكرت الإحسان إلى الضعفاء وأنت في شهر الرحمة؟!

سُئل بعض السلف: لم شُرِع الصيام؟ قال: «ليذوق الغني طعم الجوع، فلا ينسى الجائع».

فيا من أظلك شهر الجُود ... تذكر الجُود...

ويا من أظلك شهر القرآن تذكر الإحسان.

قل لي – أيها الموفق – ألا ترى كيف يقلق الجوع الحشى؟!

ألا ترى كيف ييبس الظمأ العروق؟!

فإن كان هذا حالك شهرًا واحدًا، فكيف بمن هذا حاله عامه كله!

ولكن هنالك من أهل الجود والإحسان من لا يهنأ لهم عيش إلا ببذل المعروف للضعفاء وأهل الحاجة.

قال حكيم بن حزام رضي الله عنه: «ما أصبحت صباحًا قط،

فرأيت بفنائي طالب حاجة، قد ضاق بها ذرعًا فقضيتها؛ إلا كانت من النعم التي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحًا لم أر بفنائي طالب حاجة، إلا كان ذلك من المصائب التي أسأل الله عز وجل الأجر عليها»!

وعن عروة بن الزبير قال: «لقد رأيت عائشة – رضي الله عنها – تصدقت بسبعين ألف درهم، وإنها لترقع جانب درعها»!

وذكر أن مالك بن دينار كان جالسًا ذات يوم، فجاءه سائل وسأله شيئًا، وكان عنده سلة تمر، فقال لامرأته: ائتيني بها.

فجاءت به، فأخذها مالك فأعطى نصفها السائل، ورد نصفها إلى امرأته.

فقالت له امرأته: مثلك يسمى زاهدًا! هل رأيت أحدًا يبعث إلى الملك هدية مكسرة؟!

فدعا مالك بالسائل، وأعطاه البقية، ثم أقبل على امرأته، فقال لها: يا هذه، اجتهدي ثم اجتهدي، فإن الله تعالى قال: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢].

فيُقال: من أين هذه الشدة؟! قال: ﴿**إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾ [الحاقة: ٣٣، ٣٤].

اعلمي أيتها المرأة إنا قد طرحنا من أعناقنا نصفه بالإيمان، فينبغي لنا أن نطرح النصف الآخر بالصدقة!

وكان أبو القاسم الجنيد لا يمنع قط أحدًا سأله شيئًا، ويقول: «أتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ».

وكان حماد بن أبي سليمان ﷺ يقول: «لولا سؤال المحتاجين لي ما اتجرت في شيء أبدًا»!

وكان السري السقطي يقول: «ذهب المعروف، وبقيت التجارة، يعطي أحدهم لأخيه الشيء لأجل أن يعطيه نظيره»!

وكان بقية بن الوليد يدخل دار صديقه في غيبته، ويأخذ القدر من النار، ويضعه على باب الدار، فيأكل منه، ويفرق على الفقراء والمساكين، فإذا جاء أخوه فرح بذلك، وقال: جزاك الله من أخ صالح خيرًا، قدمت لنا اليوم معادنا!

أخي المسلم: تأمل في مواقف هؤلاء الأمجاد ... قوم لذة المعروف عندهم فوق كل لذة! قوم وطنوا أنفسهم على اكتساب الذخر الباقي ... والتجارة الرابحة.

فأين أنت من تلك المناقب الزاهية؟!

وها هو شهر الجود يدعوك إلى الجُود ... وها هو شهر الرحمة يدعوك إلى رحمة الضعفاء ... فهل أنت من الملبين لهذا النداء؟!

جُود رسولنا ﷺ في رمضان

الجود من الأخلاق الفاضلة التي لا يتخلق بها إلا أهل المروءات ... ورسولنا ﷺ قد نال من كل خُلُق فاضل أرفعه ... ففي دنيا الجود والكرم ...كان أجود الناس يدًا ... وأكرمهم عطاءً ... ولكن جوده ﷺ في رمضان كان جودًا من نوع آخر ... وهو ما يجعل للجود في رمضان مقامًا ساميًا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل، كان أجود بالخير من الريح المرسلة» [رواه البخاري ومسلم].

قال الحافظ ابن رجب: «فإنه كان يلتقي هو وجبريل عليه السلام، وهو أفضل الملائكة وأكرمهم، ويدارسه الكتاب الذي جاء به إليه، وهو أشرف الكتب وأفضلها، وهو يحث على الإحسان ومكارم الأخلاق».

وقال أيضًا: «وكان جوده ﷺ يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضًا، فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة، وكان على ذلك من قبل البعثة».

أخي المسلم: إن كثرة جوده ﷺ في رمضان كان لمعان كثيرة،

ينبغي أن تفهمها، إذ إن النبي ﷺ هو المبين للشريعة، وفي كثرة جوده ﷺ في رمضان؛ لفت لك أيها المسلم إلى تلك المعاني العظيمة، وقد ساق هذه المعاني الحافظ ابن رجب، حيث قال:

منها: شرف الزمان، ومضاعفة أجر العمل فيه.

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أن من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله فقد غزا.

ومنها: أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لا سيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، كما قال ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**» [رواه البخاري ومسلم].

فمن جاد على عباد الله، جاد الله عليه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنس العمل.

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، كما في حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة غرفًا يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**» قالوا: لمن هي يا رسول الله؟! قال: «**لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**» [رواه أحمد والترمذي والحاكم].

وهذه الخصال كلها تكون في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن الصيام، والقيام، والصدقة، وطيب الكلام، فإنه يُنهى فيه الصائم عن اللغو والرفث.

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا، واتقاء جهنم، والمباعدة عنها، وخصوصًا إن ضم إلى ذلك قيام الليل.

ومنها: أن الصيام لا بد أن يقع فيه خلل ونقص ... وعامة صيام الناس لا يجتمع في صومه التحفظ كما ينبغي، ولهذا نُهي أن يقول الرجل: صمت رمضان كله، أو قمته، فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث.

ومنها: أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله، فإذا أعان الصائمين على التقوى على طعامهم وشرابهم؛ كان بمنزلة من ترك شهوة لله، وآثر بها، أو واسى منها، ولهذا يشرع له تفطير الصائم معه إذا أفطر؛ لأن الطعام يكون محبوبًا له حينئذ، فيواسي منه، حتى يكون ممن أطعم الطعام على حُبِّه، ويكون في ذلك شكر لله على نعمة إباحة الطعام والشراب له، ورده عليه بعد منعه إياه، فإن هذه النعمة إنما عُرف قدرها عند المنع منها. باختصار.

لماذا الصدقة في رمضان

أخي المسلم: الصدقة لا شك مندوب إليها في كل حين ... ولكن صدقة رمضان لها قدر خاص ... وقد مر معك كلام الحافظ ابن رجب في ذلك.

قال الإمام الشافعي: «أحبُّ للرجل الزيادة بالجُود في شهر

رمضان، اقتداءً برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم».

أخي المسلم: إن شهر رمضان شهر تساوى في نهاره الناس؛ من غني وفقير ... فالكل مفطوم عن الطعام والشراب ... ولكن عند الإفطار يظهر الفرق!

فترى الغني قد امتلأت مائدته بأنواع الطعام والشراب! وأما الفقير فهو يسد رمقه بما يجده أمامه ... وقد لا يجد ذلك!

فيا صاحب المائدة الحافلة بألوان المأكول والمشروب ... هل ذكرك جوع الصيام أخًا لك لا تصل يداه إلى تلك الألوان من الطعام؟!

كان ابن عمر رضي الله عنهما يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين، فإذا منعهم أهله عنه، لم يتعش تلك الليلة! وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه، أخذ نصيبه من الطعام، وقام فأعطاه السائل، فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة، فيصبح صائمًا و لم يأكل شيئًا!

اشتهى بعض الصالحين من السلف طعامًا، وكان صائمًا، فوضع بين يديه عند فطوره، فسمع سائلاً يقول: من يقرض الملي الوفي الغني؟! فقال: عبده المعدم من الحسنات!

فقام فأخذ الصحفة فخرج بها إليه، وبات طاويًا!

وجاء سائل إلى الإمام أحمد، فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره، ثم طوى وأصبح صائمًا!

وكان الحسن البصري يطعم إخوانه وهو صائم تطوعًا، ويجلس يروحهم وهم يأكلون!

وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم.

أخي المسلم: اجعل من شهر رمضان واعظًا لك ... ومذكرًا بآلام الضعفاء ... فإن رمضان مدرستك ... فإياك أن تكون من الفاشلين فيها!

وتقبل الله صيامي وصيامك ... وأعانني وإياك على طاعته في صباحي وصباحك ... ومسائي ومسائك ...

والحمد لله تعالى دائمًا ... والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه دائبًا.

تذكرة الصوام

بشيء من فضائل الصيام والقيام

وما يتعلق بما من أحكام

تأليـف

عبد الله بن صالح القصير

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي فضل شهر رمضان على سائر الشهور، وجعله موسما للمنافسة في الخيرات، والتجارة التي لن تبور. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرحيم الرحمن، الذي خص شهر رمضان بإنزال القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله، نبينا محمد الذي لا خير إلا دلّ الأمة عليه وسبقها إليه، ولا شر إلا حذرها منه وكان أبعدها عنه. ورضي الله على آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحابته الأئمة المهديين، والتابعين لهم لإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه تذكرة موجزة بشيء من فضائل الصيام والقيام، وما يتيسر مما يتعلق بهما من أحكام. جمعتها لنفسي من كتب مشايخي، ومَنْ سَلف من أهل العلم جزاهم الله خيرا، وضاعف مثوبتهم، وأحببت أن ينتفع بها من شاء الله من إخواني المسلمين، تبليغا للعلم وقياما بواجب النصيحة. وسميتها:

تذكرة الصوام بشيء من فضائل الصيام والقيام وما يتعلق بهما من أحكام".

وأسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه، مقبولة لديه، وأستغفر الله من الخطأ والزلل في القول والعمل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عبد الله بن صالح القصير

الفصل الأول

أحكام الصيام

أولا: حقيقة الصيام وحكمه.

ثانيا: من حكم فرضية الصيام.

ثالثا: فضائل الصيام.

رابعا: خصائص شهر رمضان.

خامسا: أحكام تتعلق بالصيام.

سادسا: أمور يفطر بـا الصائم.

سابعا: أمور لا يفطر بـا الصائم.

ثامنا: فضل قيام الليل.

تاسعا: فضل قيام رمضان.

عاشرا: فضل ليلة القدر.

أولا : حقيقة الصيام وحكمه

هو الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح، وغيرها من المفطرات - بنية العبادة فريضة أو نافلة - من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

قال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [1].

فأباح سبحانه التمتع بهذه الأمور في ليل الصيام إلى الفجر، ثم أمر بالإمساك عنها من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

وقد جاء في السُّنة الصحيحة عن النبي ﷺ ذكر أمور أخرى يفطر بها الصائم، غير تلك المذكورات في الآية، تأتي الإشارة إليها في موضعها - إن شاء الله - وألحق أهل العلم بها أمورا من جنسها قياسا عليها لاتفاقها في العلة.

وصيام رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام، وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة، ودليل فرضيته قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [2] إلى قوله: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٢) سورة البقرة آية: ١٨٣.

رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾... [1] .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قـال: ﴿ بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقـام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحـج البيت، وصوم رمضان ﴾ [2] [3] ولمسلم: ﴿ وصوم رمضان وحج البيت ﴾ [4] [5] وأحاديث كثيرة بمعناه في الصحيحين، وغيرهما من دواوين الإسلام.

وأجمع المسلمون على فرضيته إجماعا قطعيا معلوما بالضرورة من دين الإسلام، فمن أنكر وجوبه فقد كفر. فإن العلم بفرضيته من العلم العام، الذي توارثته الأمة خلفا عن سلف.

ويجب الصوم على كل مسلم بالغ عاقل مقيم قادر سالم من الموانع، لقولـه تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ [6] وقـوله ﷺ كمـا في الصحيحين وغيرهمـا: ﴿ صوموا لرؤيته - يعني الهلال - وأفطروا لرؤيته... ﴾ [7] الحديث [8] .

(١) سورة البقرة، الآيات ١٨٣-١٨٥.
(٢) البخاري الإيمان (٨)، مسلم الإيمـان (١٦)، الترمذي الإيمان (٢٦٠٩)، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠١)، أحمد (٩٣/٢).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٨) في الإيمان، باب: "قول النبي "بني الإسلام على خمس". ومسلم برقم (١٦). في الإيمان، باب: "بيان أركان الإسلام.." عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٤) البخاري الإيمان (٨)، مسلم الإيمان (١٦)، الترمذي الإيمان (٢٦٠٩)، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠١)، أحمـد (١٢٠/٢).
(٥) أخرجه مسلم برقم (١٦) - ٢٢.
(٦) سورة البقرة:١٨٥.
(٧) البخاري الصوم (١٨١٠)، مسلم الصيام (١٠٨١)، الترمذي الصـوم (٦٨٤)، النسائي الصيام (٢١١٧)، أحمـد (٤٩٧/٢)، الدارمي الصوم (١٦٨٥).
(٨) أخرجه البخاري برقم (١٩٠٩) في الصوم، باب: "إذا رأيتم الهلال فصوموا". ومسلم برقم (١٠٨١) في الصيام، باب: "وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تـذكـير

يجب على المسلم أن يصوم رمضان إيمانا واحتسابا، لا رياء ولا سمعة ولا مجاملة لأحد، ولا موافقة لأهله، أو متابعة لتمعه.

فإن الصائم لا ينال ثواب الصيام؛ ولا تجتمع له فوائده إلا إذا كان الحامل له إيمانه، بأن الله تعالى فرضه عليه رحمة منه به وإحسانا إليه، واحتسب الأجر على صيامه عند ربه، الذي وعد به الصائمين. كما في الصحيح عن النبي ﷺ قال: ﴿ من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ (١) (٢) وقد قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (٣) سواء كانت صوما أو غيره، والإحسان هو المتابعة والتأسي برسول الله ﷺ .

وكذلك يتعين على الصائم - فرضا أو نافلة - أن يصون صومه عما حرم الله عليه من الأقوال والأعمال والوسائل التي تبطل الصيام، أو تقدح فيه أو تنقص ثوابه، فإن المقصود بالصيام هو طاعة الله تعالى، وتعظيم حرماته، وجهاد النفس على مخالفة الهوى في طاعته، وتعويدها الصبر على محابه وعن محارمه ابتغاء وجهه.

وليس المقصود مجرد ترك الطعام والشراب وسائر الشهوات فقط، بل إنما شرع ترك هذه الأمور لأنا وسيلة توصل إلى ذلك، وتعين عليه، ولقطع الشواغل عنه والصوارف إلى ضده.

ولذا صح في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ الصيام جنة؛ فإذا كان يوم صوم

---

(١) البخاري الإيمان (٣٨)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٠)، الترمذي الصوم (٦٨٣) النسائي الصيام (٢٢٠٣) أبو داود الصلاة (١٣٧٢)، أحمد (٢/٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٨) في الإيمان، باب: "صوم رمضان إيمانا واحتسابا". ومسلم برقم (٧٦٠) في صلاة المسافـريـن وقصـرهـا، بـاب: "الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح" عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة البقرة، الآية:١١٢.

أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم ﴾ [١] [٢] لذا ينبغي للصائم أن يحفظ صيامه، وأن يصون لسانه من جميع الكلام إلا ما ظهرت مصلحته، وترجحت فائدته. ففي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: ﴿ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت ﴾ [٣] [٤] .

وقد كان السلف الصالح رحمة الله عليهم إذا صاموا قعدوا في المساجد، وقالوا: نحتفظ صومنا ولا نغتاب أحدا، وذلك لأنه صح في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه ﴾ [٥] [٦] رواه البخاري.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ رب صائم حظه من صيامه الجوع والظمأ ﴾ [٧] .

وفي ذلك التحذير الشديد، والزجر الأكيد عن أن يعرض الصائم نفسه إلى ما قد يفسد صيامه، أو ينقص ثوابه من قول الزور والعمل به، كالكذب، والبهتان، والغيبة،

---

(١) البخاري الصوم (١٨٠٥)، مسلم الصيام (١١٥١)، الترمذي الصوم (٧٦٤)، النسائي الصيام (٢٢١٧)، أبو داود الصوم (٢٣٦٣)، أحمد (٢/٢٧٣)، مالك الصيام (٦٨٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٩٠٤) في الصوم، باب: "هل يقول: إني صائم إذا شُتم؟"، ومسلم برقـم (١١٥١) في الصيام، باب: "فضل الصيام".. عن أبي هريرة.

(٣) البخاري الأدب (٥٦٧٢)، مسلم الإيمان (٤٧)، أحمد (٢/٢٦٧).

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (٦٠١٨) في الأدب، باب: "من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذ جاره" ومسلم برقم (٤٧) في الإيمان، باب: "الحث على إكرام الجار.." عن أبي هريرة. وأخرجه البخاري برقم (٦٠١٩) ومسلم برقم (٤٨) عن أبي شُريح رضي الله عنه.

(٥) البخاري الأدب (٥٧١٠)، الترمذي الصوم (٧٠٧)، أبو داود الصوم (٢٣٦٢)، ابن ماجه الصيام (١٦٨٩)، أحمد (٢/٥٠٥).

(٦) أخرجه البخاري برقم (١٩٠٣) في الصوم، باب: (من يدع قول الزور والعمل به". عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه ابن ماجه برقم (١٦٩٠) وأحمد في المسند (٢ ٣٧٣، ٤٤١) والبيهقي (٤ ٢٧٠). وصححه السيوطي في الجامع الصغير، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والنميمة، والشتم، وفاحش القول، بل كل ما لا مصلحة فيه من الكلام فينبغي اجتنابه والحذر منه في كل زمان ومكان.

وإذا شَرُف الزمان كرمضان، أو المكان كمكة، فإن السيئات قد تعظم، كما أن الحسنات تتضاعف، وربما كسب المفرط من آثامه ما يفوق حسنات صيامه، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

ثانيا : من حكم فرضية الصيام

شرع الصيام لحكم عظيمة كثيرة، استوجبت أن يكون فريضة من فرائض الإسلام، وركنا من أركانه، فكم فيه من المنافع الجمة، وكم له من الآثار المباركة.

فالصيام عبادة يتقرب با العبد إلى ربه، بترك محبوباته ومشتهياته، طاعة لربه وإيثارا لمحبته؛ فيقدم ما يحبه خالقه ومولاه على ما تحبه نفسه وتواه، فيظهر بذلك صدق إيمانه، وكمال عبوديته لله، وخالص محبته، وعظيم طمعه ورجائه فيما وعد الله به أهل طاعته، من الرحمة والرضوان والمغفرة والإحسان والأجر العظيم والنعيم المقيم في الجنان.

وفي الصيام ممارسة ضبط النفس والسيطرة عليها والتحكم فيها، والأخذ بزمامها إلى ما فيه خيرها وسعادتا وفلاحها في العاجل والآجل، حيث يُصبر المرء نفسه على فعل الطاعات، وترك الشهوات.

وفي الصحيح قال ﷺ ﴿ واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا ﴾ (١) (٢) وقال عليه الصلاة والسلام: ﴿ وما أعطي أحد عطاء خيرا ولا أوسع من الصبر ﴾ (٣) (٤) وفي التنـزيل: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (٥) و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٦) وقال

---

(١) أحمد (٣٠٨/١).

(٢) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ ٣٠٧) وقد أطال أحمد شاكر في تحقيق المسند (٢٨٠٤) في الكلام حول هذا الحديث والحاصل أن إسناده صحيح وقد رواه الترمذي بلفظ مختلف (٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الإمام أحمد أيضا في المسند (١ ٢٩٣، ٣٠٣) قال أحمد شاكر في تحقيقه على المسند (٢٦٦٩، ٢٧٦٣) : إسناده صحيح.

(٣) البخاري الرقاق (٦١٠٥)، مسلم الزكاة (١٠٥٣)، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٤)، النسائي الزكاة (٢٥٨٨)، أبو داود الزكاة (١٦٤٤)، أحمد (٩٤/٣)، مالك الجامع (١٨٨٠)، الدارمي الزكاة (١٦٤٦).

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩) في الزكاة، باب: "الاستعفاف عن المسألة. ومسلم برقم (١٠٥٣) في الزكاة، باب: "فضل التعفف والصبر" عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) سورة آل عمران الآية:١٤٦.

(٦) سورة الأنفال، الآية:٤٦.

تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

وفي الصيام من كسر النفس والحد من كبريائها حتى تخضع للحق وتتواضع للخلق، ما لا نظير له؛ فإن الشبع والري ومباشرة النساء، يحمل كل منها جملة من الناس - غالبا - على الأشر، والعلو، وبطر الحق، وغمط الناس في كثير من الأحوال.

وفي الجوع والظمأ وهجر الشهوات - خصوصا على وجه العبودية لله - ما يكسر من حدتها ويكبح من جماحها، ويكون عونا للمرء عليها ويجعلها تستعد لطلب وتحصيل ما فيه غاية سعادتها، وقبول ما تزكو به في حياتها الأبدية. قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ (٣) .

والصيام يذكر العبد بعظيم نعم الله عليه وجزيل إحسانه إليه؛ فإنه إذا جاع وعطش وهجر شهوته ذكر الأكباد الجائعة والأنفس المحرومة، فكان ذلك من دواعي حمده لربه على نعمته وشكره له على جوده وكرمه، وكان ذلك من أسباب رقة قلبه مما يجعله يعطف على المساكين ويغيث الملهوفين فيواسيهم ويجود عليهم. وذلك من أسباب حفظ النعم وزيادتها، واندفاع النقم والسلامة من آفاتها.

فالصيام من أعظم أسباب تطهير النفوس من أدرانها، وتزكيتها بتهذيب أخلاقها، وتنقيتها من عيوبها، مع ما فيه من إصلاح القلوب وترقيقها، وزرع التقوى فيها وتقوية خشيتها من خالقها وباريها. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا

---

(١) سورة الزمر، الآية:١٠.

(٢) سورة الشمس، الآيتان : ٩ ، ١٠.

(٣) سورة النازعات، الآيتان :٤٠ ، ٤١.

كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [(١)] .

فبين سبحانه أن الحكمة من فرض الصيام هي تحقيق التقوى.

والتقوى كلمة جامعة لكل خصال الخير من فعل الطاعات، وترك المعاصي والسيئات، والحذر من مزالق الشهوات، واتقاء الشبهات.

وللصوم أثر واضح في الإعانة على ذلك، فإنه يلين القلب ويذكره بالله، ويقطع عنه الشواغل التي تصده عن الخير أو تجره إلى الشر، ويحبب إلى الصائم الإحسان وبذل المعروف. ولذا يشاهد تسابق معظم الصائمين إلى الخيرات، وتجافيهم عن المحرمات، وبعدهم عن الشبهات، وتنافسهم في جليل القربات.

ثالثا : فضائل الصيام

الصوم عبادة من أجل العبادات، وقربة من أشرف القربات، وطاعة مباركة لها آثارها العظيمة الكثيرة العاجلة والآجلة، من تزكية النفوس، وإصلاح القلوب وحفظ الجوارح والحواس من الفتن والشرور، وتذيب الأخلاق. وفيها من الإعانة على تحصيل الأجور العظيمة، وتكفير السيئات المهلكة، والفوز بأعالي الدرجات ما لا يوصف.

وناهيك بعمل اختصه الله من بين سائر الأعمال فقال كما في الحديث القدسي الصحيح: ﴿ كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ﴾ [(٢)] [(٣)] رواه البخاري. فكفى بذلك تنبيها على شرفه، وعظم موقعه عند الله، مما يؤذن بعظم الأجر عليه.

فإضافة الله تعالى الجزاء على الصيام إلى نفسه الكريمة تنبيه على عظم أجر الصيام، وأنه

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٣.

(٢) البخاري الصـوم (١٨٠٥)، مسلم الصيام (١١٥١)، النسائي الصيام (٢٢١٦)، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨)، أحمد (٢/٢٧٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٩٠٤) في الصوم، باب: "هل يقول: إني صائم إذا شتم؟". ومسلم برقم (٢٧٠٠ - ١٦٣ في الصيام، باب: "فضل الصيام". من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يضاعف عليه الثواب، أعظم من سائر الأعمال، ولذلك أضيف إلى الله تعالى من غير اعتبار عدد؛ فدل على أنه عظيم كثير بلا حساب.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله ﷻ إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ﴾ (١) (٢) فما ظنك بثواب عمل يجزي عليه الكريم الجواد بلا حساب: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٣) .

والإخلاص في الصيام أكثر من غيره؛ فإنه سر بين العبد وبين ربه لا يطلع عليه غيره إذ بإمكان الصائم أن يأكل متخفيا عن الناس، فإذا حفظ صيامه عن المفطرات ومنقصات الأجر، دل ذلك على كمال إخلاصه لربه، وإحسانه العمل ابتغاء وجهه. ولذا يقول سبحانه في الحديث القدسي السابق: ﴿ يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ﴾ (٤) (٥)

فنبه سبحانه على وجهة اختصاصه به وبالجزاء عليه وهو الإخلاص.

والصـيام جنة، يقي الصائم ما يضره من الشهوات، ويجنبه الآثام التي تجعل صاحبها عرضة لعذاب النار، وتورثه الشقاء في الدنيا والآخرة كما قال ﷺ ﴿ يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه

---

(١) مسلم الصيـام (١١٥١)، الترمذي الصوم (٧٦٤)، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨)، أحمد (٢/٤٧٧)، الدارمي الصوم (١٧٧٠).

(٢) سبق تخريجه صفحة (١٧).

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٤) ابن ماجه الصيام (١٦٣٨)، أحمد (٢/٤٦٥)، مالك الصيام (٦٩٠)، الدارمي الصوم (١٧٧٠).

(٥) أخرجه البخاري برقم (١٩٨٤) في الصوم، باب: "فضل الصوم". ومسلم برقم (١١٥١) - ١٦٤. في الصيام، باب: "فضل الصوم". عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بالصوم فإنه له وجاء ﴾ [1] [2] ومعناه أن الصوم قامع لشهوة النكاح فيقي صاحبه عنت العزوبة ومخاطرها.

وقال ﷺ ﴿ الصيام جُنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم ﴾ [3] [4] رواه البخاري.

وفي المسند عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ الصيام جنة؛ يستجن بها العبد من النار ﴾ [5] [6].

ومن فضائل الصوم، أنه من أسباب استجابة الدعاء، ولعل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [7] ما ينبه على الصلة الوثيقة بين الصيام وإجابة الدعاء.

ومن فضائل الصوم، أنه من أسباب تكفير الذنوب، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما

---

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٩)، مسلم النكاح (١٤٠٠)، الترمذي النكاح (١٠٨١)، النسائي الصيام (٢٢٤٠)، أبو داود النكاح (٢٠٤٦)، ابن ماجه النكاح (١٨٤٥)، أحمد (٣٧٨/١)، الدارمي النكاح (٢١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٥) في النكاح، باب: "قول النبي من استطاع... ". ومسلم برقم (١٤٠٠). في النكاح، باب: "استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه...". من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) البخاري الصوم (١٨٠٥)، مسلم الصيام (١١٥١)، النسائي الصيام (٢٢١٦)، أبو داود الصوم (٢٣٦٣)، أحمد (٢٧٣/٢)، مالك الصيام (٦٨٩).

(٤) سبق تخريجه ص (١٠).

(٥) أحمد (٣٩٦/٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣ ٣٩٦) قال المنذري في الترغيب (٢ ٨٣): رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقي.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

بينهن إذا اجتنبت الكبائر ﴾ (١) (٢) .

وفي صحيح مسلم عن أبي قتادة ﷺ قال: ﴿ سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؛ قال: " يكفر السنة الماضية والباقية ". وسئل عن صيام يوم عاشوراء؟ فقال: " يكفر السنة الماضية ﴾ (٣) (٤) .

ومن فضائل الصوم، أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، لما روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ﴿ الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة. يقول الصيام: أي رب؛ منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قال: فيشفعان ﴾ (٥) (٦) .

ومن فضائل الصوم، فرح الصائم بما يسره في العاجل والآجل، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: ﴿ للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه ﴾ (٧) (٨) وهذا من الفرح المحمود لأنه فرح بفضل الله ورحمته، ولعل فرحه بفطره

---

(١) مسلم الطهارة (٢٣٣)، الترمذي الصلاة (٢١٤)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٨٦)، أحمد (٢/٤٠٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٣)- ١٦) في الطهارة، باب: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة.....".

(٣) مسلم الصيام (١١٦٢)، أبو داود الصوم (٢٤٢٥)، أحمد (٣٠٨/٥).

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (١١٦٢)- ١٩٧ في الصيام، باب: "استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر... ".

(٥) أحمد (١٧٤/٢).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٢ ١٧٤) والحاكم في المستدرك (١ ٥٥٤) والبيهقي في مجمع الزوائد (٣ ١٨١). قال أحمد شاكر في تحقيق المسند (٦٦٢٧): إسناده صحيح.

(٧) البخاري الصـوم (١٨٠٥)، مسلم الصيام (١١٥١)، النسائي الصيام (٢٢١٦)، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨)، أحمد (٢٧٣/٢).

(٨) أخرجه البخاري برقم (١٩٠٤) في الصوم، باب: "هل يقول إني صائم إذا شتم؟". ومسلم برقم (١٥١١) - ١٦٤ في الصيام، باب: "فضل الصيام". عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لأن الله من عليه بالهداية إلى الصيام والإعانة عليه حتى أكمله، وبما أحله الله له من الطيبات التي يكسبها الصيام لذة وحلاوة لا توجد في غيره. ويفرح عند لقاء ربه حين يلقى الله راضيا عنه ويجد جزاءه عنده كاملا موفرا.

ومما ينبه على فضل الصيام، وطيب عاقبته في الآخرة قوله ﷺ ﴿ والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ﴾ [(١)] [(٢)] وإنما كانت هذه الريح طيبة عند الله تعالى - مع أنها كريهة في الدنيا - لأنها ناشئة عن طاعته فهي محبوبة لديه.

ولعل في الحديث ما يشير إلى أن هذا الخلوف يفوح يوم القيامة من فم صاحبه أطيب من ريح المسك، حين يقف بين يدي ربه، مثله مثل الشهيد حين يأتي يوم القيامة، ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي، اللون لون دم والريح ريح مسك ﴾ [(٣)] [(٤)] متفق عليه.

ومن فضائل الصيام، أن الله اختص أهله بابا من أبواب الجنة لا يدخل منه سواهم، فينادون منه يوم القيامة إكراما لهم، وإظهارا لشرفهم، كما في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿ إن في الجنة بابا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؛ فيقومون فيدخلون، فإذا دخلوا

---

(١) البخاري الصوم (١٨٠٥)، مسلم الصيام (١١٥١)، الترمذي الصوم (٧٦٤)، النسائي الصيام (٢٢١٦)، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨)، أحمد (٢/٢٧٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨٩٤) في الصوم، باب: "فضل الصوم". ومسلم برقم (١١٥١) - ١٦٢). في الصيام، باب: "فضل الصوم". من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) البخاري الذبائح والصيد (٥٢١٣)، مسلم الإمارة (١٨٧٦)، الترمذي فضائل الجهاد (١٦٥٦)، النسائي الجهاد (٣١٤٧)، مالك الجهاد (١٠٠١)، الدارمي الجهاد (٢٤٠٦).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٣٧) في الوضوء، باب: "ما يقع من النجاسات في السمن والماء"، ومسلم برقم (١٨٧٦) في الإمارة، باب: "فضل الجهاد والخروج في سبيل الله". وهذا لفظ البخاري.

أغلق فلم يدخل منه أحد ﴾ [(١) (٢)] .

وانظر كيف يقابل عطش الصوام في الدنيا باب الريان، في يوم يكثر فيه العطشى؟ جعلنا الله ممن يشرب يوم القيامة شربة لا يظمأ بعدها أبدا بمنه وكرمه وجوده وفضله ورحمته، فإنه لطيف بعباده وهو أرحم الراحمين.

رابعا : خصائص شهر رمضان

لما كان للصوم تلك الفضائل العظيمة والعواقب الكريمة؛ التي سبقت الإشارة إلى طرف منها، فرضه الله على عباده شهرا في السنة، وكتبه عليهم كما كتبه على الذين من قبلهم، كما قال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [(٣)] .

فجعل سبحانه صيام رمضان فريضة على كل مسلم ومسلمة، بشروطه المعتبرة، التي جاء بها الكتاب والسنة، فدل على أنه عبادة لا غنى للخلق عن التعبد بها، لما يترتب على أدائها من جليل المنافع وطيب العواقب، وما يحدثه من خير في النفوس، وقوة في الحق، وهجر للمنكر، وإعراض عن الباطل.

ومما اختص الله به شهر رمضان، ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: ﴿ إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ﴾ [(٤) (١)] . رواه البخاري.

---

(١) البخاري الصوم (١٧٩٧)، مسلم الصيام (١١٥٢)، الترمذي الصوم (٧٦٥)، النسائي الصيام (٢٢٣٦)، ابن ماجه الصيام (١٦٤٠)، أحمد (٣٣٥/٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨٩٦) في الصوم، باب: "الريان للصائمين". ومسلم برقم (١١٥٢) في الصيام، باب: "فضل الصيام".

(٣) سورة البقرة الآية:١٨٣.

(٤) البخاري الصـوم (١٧٩٩)، مسلم الصيام (١٠٧٩)، النسائي الصيام (٢١٠٤)، أحمـد (٣٧٨/٢)، مالك الصيام (٦٩١)، الدارمي الصوم (١٧٧٥).

وفيه أيضا عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين ﴾ [٢] [٣] .

ولا يخفى ما في ذلك من تبشير المؤمنين بكثرة الأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة، وما يتيسر لهم من أسباب الإعانة عليها والمضاعفة لها، وما جعله الله في رمضان من دواعي الزهد في المعاصي والإعراض عنها، وضعف كيد الشياطين وعدم تمكنهم مما يريدون.

ومن فضائل صوم رمضان، ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ﴿ من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ [٤] [٥] .

فمن صام الشهر مؤمنا بفرضيته محتسبا لثوابه وأجره عند ربه، مجتهدا في تحري سنة نبيه ﷺ فيه فليبشر بالمغفرة.

وإذا كان ثواب الصيام يضاعف بلا اعتياد عدد معين، بل يؤتى الصائم أجره بغير حساب، فإن نفس عمل الصائم يضاعف في رمضان، كما في حديث سلمان المرفوع وفيه: ﴿ من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ﴾ [٦] فيجتمع للعبد في رمضان مضاعفة العمل ومضاعفة الجزاء

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨٩٨) في الصوم. باب: "هل يقال رمضان أو شهر رمضان.....". واللفظ له. عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه مسلم برقم (١٠٨٠) في الصيام، باب: "فضل رمضان" بلفظ: "إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين" عن أبي هريرة.

(٢) البخاري الصوم (١٨٠٠)، مسلم الصيام (١٠٧٩)، الترمذي الصوم (٦٨٢)، النسائي الصيام (٢١٠٤)، ابن ماجه الصيام (١٦٤٢)، أحمد (٢٨١/٢)، مالك الصيام (٦٩١)، الدارمي الصوم (١٧٧٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٨٩٩) في الصوم، باب: "هل يقال: رمضان أو شهر رمضان...؟". ومسلم برقم (٧٦٠) في صلاة المسافرين، باب: "الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح".

(٤) البخاري الإيمان (٣٨)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٠) الترمذي الصوم (٦٨٣)، النسائي الصيام (٢٢٠٣) أبو داود الصلاة (١٣٧٢)، أحمد (٢٤١/٢).

(٥) سبق تخريجه ص (٩).

(٦) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم (١٨٨٧) وانظر الدر المنثور للسيوطي (١ ١٨٤). وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد. قال أحمد بن حنبل ليس بالقوي، وقال ابن معين ضعيف.

عليه. ﴿ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [(١)] .

ومن فضائل رمضان، أن الملائكة تطلب من الله للصائمين ستر الذنوب ومحوها، كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال في الصوام: " وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا " [(٢)] رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة.

والملائكة خلق أطهار كرام؛ جديرون بأن يقبل الله دعاءهم، ويغفر لمن استغفروا له، والعباد خطاءون محتاجون إلى التوبة والمغفرة كما في الحديث القدسي الصحيح، يقول الله تعالى: ﴿ يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ﴾ [(٣)] [(٤)] فإذا اجتمع للمؤمن استغفاره لنفسه واستغفار الملائكة له، فما أحراه بالفوز بأعلى المطالب وأكرم الغايات.

وهو شهر المواساة والإحسان، والله يحب المحسنين؛ وقد وعدهم بالمغفرة والجنة والفلاح.

والإحسان أعلى مراتب الإيمان، فلا تسأل عن م لة من اتصف به في الجنة وما يلقاه من النعيم وألوان التكريم، ﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [(٥)] .

ويتيسر في هذا الشهر المبارك إطعام الطعام وتفطير الصوام، وذلك من أسباب مغفرة الذنوب وعتق الرقاب من النار، ومضاعفة الأجور، وورود حوض النبي ﷺ الذي من

---

(١) سورة الدخان، الآية:٥٧.

(٢) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ ٢٩٢). قال أحمد شاكر (٧٩٠٤): إسناده ضعيف. لأن فيه هشام بن أبي هشام وهو ضعيف؛ بل متفق على ضعفه. قال البخاري في الصغير (١٩٤): يتكلمون فيه، وصرح بضعفه في الكبير (٤ ٢ ١٩٩)، وترجم له ابن سعد (٧ ٢ ٣٧) وضعفه. وقال أبو زرعة. ضعيف الحديث.

(٣) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٧٧)، أحمد (١٥٤/٥).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) في البر والصلة، باب: "تحريم الظلم" عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٥) سورة الذاريات، الآية:١٦.

شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا. نسأل الله بمنه وجوده أن يوردنا إياه.

وإطعام الطعام من أسباب دخول الجنة دار السلام، ورمضان شهر تتوفر فيه للمسلمين أسباب الرحمة وموجبات المغفرة، ومقتضيات العتق من النار، فما أجزل العطايا من المولى الكريم الغفار.

وهو شهـر الذكر والدعاء وقد قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (١) وقال سبحانه ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (٢) وقال سبحانه: ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (٣) وقـد قال تعـالى في ثنايا آيات الصيـام: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ (٤) مما يدل على الارتباط بين الصيام والدعاء.

وفي شهر رمضان ليلة القدر التي قال الله في شأنها: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ (٥) قال أهل العلم معنى ذلك: أن العمل فيها خير وأفضل من العمل في ألف شهر وهي ما يقارب ثلاثا وثمانين سنة خالية منها، وكفى بذلك تنويها بفضلها وشرفها، وعظم شأن العمل فيها لمن وفق لقيامها نسأل الله تعالى أن يوفقنا على الدوام لذلك بمنه وجوده.

وجاء في الصحيح عن النبي ﷺ قال: « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٥) سورة القدر، الآية: ٣.

ذنبه ﴾ [1] [2] وهذا من فضائل قيامها، وكفى به ربحا وفوزا.

ومن خصائصه، فضل الصدقة فيه عنها في غيره، ففي الترمذي عن النبي ﷺ ﴿ سئل: أي · أجود بالخير من الريح المرسلة ﴾ [3] ورواه أحمد، وزاد: ﴿ ولا يسأل شيئا إلا أعطاه ﴾ [4] [5] .

والجود: سعة العطاء بالصدقة وغيرها.

وفي زيادة جوده ﷺ في رمضان اغتنام لشرف الزمان، ومضاعفة العمل فيه والأجر عليه، فقد روي عنه ﷺ كما في حديث سلمان أنه قال في رمضان: ﴿ من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمـن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه ﴾ [6] ولأن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا والوقاية من النار، ففي الحديث الصحيح: ﴿ الصوم جنة ﴾ [7] [8] أي: وقاية من النار. وفي الصحيح أيضا قال ﷺ ﴿ اتقوا النار ولو بشق تمرة ﴾ [9] [1] .

---

(١) البخاري الصـوم (١٨٠٢)، مسلم صلاة المسافرين وقصـرها (٧٦٠)، الترمذي الصوم (٦٨٣)، النسائي الصيام (٢٢٠٢)، أبو داود الصلاة (١٣٧٢)، أحمد (٢/٢٤١)، الدارمي الصوم (١٧٧٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧) في الإيمان، باب: "تطوع قيام رمضان من الإيمان". ومسلم برقم (٧٥٩) في صلاة المسافرين، باب: "الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح". من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) البخاري بدء الوحي (٦)، مسلم الفضائل (٢٣٠٨)، النسائي الصيام (٢٠٩٥)، أحمد (١/٣٦٣).

(٤) البخاري الجمعة (٨٩٣)، مسلم الجمعة (٨٥٢)، النسائي الجمعة (١٤٣٠)، أبو داود الصلاة (١٠٤٦)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١١٣٧)، أحمد (٢/٤٨٦)، مالك النداء للصلاة (٢٤٢)، الدارمي الصلاة (١٥٦٩) .

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦) في بدء الوحي، باب: "5". ومسلم برقم (٢٣٠٨) في الفضائل، باب: "كان النبي أجود الناس بالخير".

(٦) سبق تخريجه ص (٢٥).

(٧) البخاري التوحيد (٧٠٥٤)، مسلم الصيام (١١٥١)، الترمذي الصوم (٧٦٤)، النسائي الصيام (٢٢١٦)، أبو داود الصوم (٢٣٦٣)، مالك الصيام (٦٨٩).

(٨) سبق تخريجه ص (١٠).

(٩) البخاري الزكاة (١٣٥١)، مسلم الزكاة (١٠١٦)، النسائي الزكاة (٢٥٥٢)، أحمد (٤/٢٥٦).

ومن خصائص رمضان، أن العمرة فيه تعدل حجة، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ عمرة في رمضان تعدل حجة ﴾ [٢] [٣] وفي رواية: ﴿ حجة معي ﴾ [٤] .

ومن خصائصه، أنه شهر القرآن: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [٥] فللقرآن فيه شأن في إصلاح القلوب والهداية للتي هي أقوم لمن تلاه وتدبره وسأل الله به، وكم جاء عن النبي ﷺ من بيان لفضل تلاوة القرآن لقوله ﷺ ﴿ الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران ﴾ [٦] [٧] وقوله ﷺ ﴿ اقرؤوا القرآن فإنه يأتي شفيعا لأهله يوم القيامة ﴾ [٨] [٩] وقوله ﷺ ﴿ إن الله يرفع

---

(١) جـزء من حديث أخرجه البخاري برقم (١٤١٧). في الزكاة، باب: "اتقوا النار ولو بشق تمرة.... ". ومسلم برقم (١٠١٦)- ٦٨. في الزكاة، باب: "الحث على الصدقة".

(٢) الترمذي الحج (٩٣٩)، أبو داود المناسك (١٩٨٨)، ابن ماجه المناسك (٢٩٩٣)، أحمد (٤٠٥/٦)، الدارمي المناسك (١٨٦٠).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٧٨٢) في الحج، باب: "عمرة في رمضان". ومسلم برقم (١٢٥٦) في الحج، باب: "فضل العمرة في رمضان". من حديث ابن عباس رضي الله عنه. وقوله "حجة معي". أخرجها البخاري برقم (١٨٦٣) ومسلم. برقم (١٢٥٦)- ٢٢٢. وقد روي الحديث أيضا عن جابرأخرجه البخاري معلقا (١٨٦٣). ووصله الإمام أحمد (٣ ٣٥٣، ٣٦١، ٣٩٧) وابن ماجه برقم (٢٩٩٥) ورجاله ثقات.

(٤) البخاري الحج (١٧٦٤)، مسلم الحج (١٢٥٦)، أبو داود المناسك (١٩٩٠).

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٦) البخاري تفسير القرآن (٤٦٥٣)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩٨)، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٤)، أبو داود الصلاة (١٤٥٤)، ابن ماجه الأدب (٣٧٧٩)، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٦٨).

(٧) جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (٧٩٨) - ٢٤٤ في صلاة المسافرين وقصرها، باب: "فضل الماهر بالقرآن والذي ينتفع به". من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٨) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٤).

(٩) أخرجه مسلم برقم (٨٠٤)- ٢٥٢. في صلاة المسافرين وقصرها، باب: "فضل قراءة القرآن وسورة البقرة". عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

بذا الكتاب أقواما ﴾ [١] [٢] وقوله ﷺ ﴿ خيركم من تعلم القران وعلّمه ﴾ [٣] [٤] وكلها أحاديث صحيحة، متضمنة لأعظم البشارات لتالي القرآن عن تفكر وتدبر، فكيف إذا كان في رمضان؟

جعلنا الله من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

---

(١) مسلم صـلاة المسافرين وقصرها (٨١٧)، ابن ماجـه المقدمة (٢١٨)، أحمد (٣٥/١)، الدارمي فضائل القـرآن (٣٣٦٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٨١٧) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: "فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه". عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) البخاري فضائل القرآن (٤٧٣٩)، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٨)، أبو داود الصلاة (١٤٥٢)، ابن ماجه المقدمة (٢١١)، أحمد (٦٩/١)، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٣٨).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧) في فضـائل القرآن، باب: "خيركم مـن تعلم القرآن". قـال الحافظ في الفتح : (٨ ٦٩٣) : ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره. جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي، ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عنى سبحانه وتعالى بقوله: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، [فصلت: ٣٣]. والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها: تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع، وعكسه الكافر المانع لغيره من الإسلام، كما قال تعالى: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا [الأنعام: ١٥٧]. فإن قيل: فيلزم على هذا أن يكون المقرئ أفضل من الفقيه؟. قلنا: لا، لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء النفوس، لأنهم كانوا أهل اللسان، فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر مما يدريها من بعدهم بالاكتساب، فكان الفقه لهم سجية، فمن كان في مثل شأنهم شاركهم في ذلك، لا من كان قارئا أو مقرئا محضا لا يفهم شيئا من معاني ما يقرؤه أو يقرئه.

خامسا : أحكام تتعلق بالصيام

١- صوم المسافر

المسافر في رمضان يجوز له أن يفطر، ويقضي عدد الأيام التي أفطرها، سواء دخل عليه الشهر وهو في سفره أو سافر في أثنائه، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (١) .

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: ﴿ كنا نسافر مع النبي ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم ﴾ (٢) (٣) وثبت في السنن، أن من الصحابة من كان يفطر إذا فارق عامر قريته، ويذكر أن ذلك سنة رسول الله ﷺ .

فللمسافر أن يفطر ما دام في سفره ما لم يقصد بسفره التحايل على الفطر، فإن قصد ذلك فالفطر عليه حرام معاملة له بنقيض قصده، والجمهور على أن الشخص إذا قرر الإقامة في بلد أكثر من أربعة أيام فإنه يصوم لانقطاع أحكام السفر في حقه.

وقال بعض أهل العلم: الأفضل للمسافر فعل الأسهل عليه من الصيام أو الفطر لما في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ﴿ كانوا - يعني أصحاب رسول الله ﷺ - يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر فإن ذلك حسن ﴾ (٤) (٥) .

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) البخاري الصوم (١٨٤٥)، مسلم الصيام (١١١٨)، أبو داود الصوم (٢٤٠٥)، مالك الصيام (٦٥٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٩٤٧) في الصوم، باب: "لم يعب أصحاب النبي بعضهم بعضا في الصوم والإفطار". ومسلم برقم (١١١٨) في الصيام، باب: "الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر" عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) مسلم الصيام (١١١٦).

(٥) أخرجه مسلم برقم (١١١٦)- ٩٦ في الصيام، باب: "جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر... ".

ولما في سنن أبي داود عن حمزة بن عمرو الأسلمي أنه قال: ﴿ يا رسول الله، إني صاحب ظهر أعالجه، أسافر عليه وأكريه، وإنه ربما صادفني هذا الشهر - يعني رمضان - وأنا أجد القوة، وأنا شاب فأجد بأن الصوم يا رسول الله أهون علي من أن أؤخره فيكون دينا علي، أفأصوم يا رسول الله أعظم لأجري أم أفطر؟ قال: "أي ذلك شئت يا حمزة ﴾ [(١)] [(٢)] .

فإن شق عليه الصوم حَرُم عليه ولزمه الفطر لما في الصحيح ﴿ أن النبي ﷺ لما أفطر في سفره حين شق الصوم على الناس، قيل له: إن بعض الناس قد صام فقال النبي ﷺ " أولئك العصاة، أولئك العصاة ﴾ [(٣)] [(٤)] .

ولما في الصحيحين عن جابر ﴿ أن النبي ﷺ كان في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه، فقال: "ما هذا؟" فقالوا: صائم. فقال: ليس من البر الصيام في السفر ﴾ [(٥)] [(٦)] .

وأما إذا تساوى الصوم والفطر بالنسبة له من حيث المشقة وعدمها، فالصوم أفضل اغتناما لشرف الزمن، ولأن صيامه مع الناس أنشط له وأسرع في براءة ذمته، ولأنه فعل النبي ﷺ في بعض أسفاره.

---

(١) أبو داود الصوم (٢٤٠٣).

(٢) أخرجـه أبو داود برقم (٢٤٠٣). واللفظ له. وأخرجـه النسائي برقـم (٢٢٩٣، ٢٢٩٤). وأخرجه مسلم برقم (١١٢١) بلفظ مختلف.

(٣) مسلم الصيام (١١١٤)، الترمذي الصوم (٧١٠)، النسائي الصيام (٢٢٦٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١١١٤)- ٩٠، ٩١. في الصيام، باب: "الصوم والفطر للمسافر" عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وأخرجه البخاري بنحوه (١٩٤٨) في الصوم باب: "من أفطر في السفر ليراه الناس". عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) البخاري الصـوم (١٨٤٤)، مسلم الصيام (١١١٥)، النسائي الصيام (٢٢٦٢)، أبو داود الصوم (٢٤٠٧)، أحمد (٣١٧/٣)، الدارمي الصوم (١٧٠٩).

(٦) أخرجه البخاري برقم (١٩٤٦) في الصوم، باب: "قول النبي لمن ضلل عليه واشتد عليه الحر: "ليس من البر..." ومسلم برقم (١١١٥) في الصيام، باب: (الصوم والفطر في رمضان للمسافر".

وذهب الإمام أحمد وجماعة من أهل العلم رحمهم الله إلى أن الفطر للمسافر أفضل، وإن لم يجهده الصوم أخذا بالرخصة. ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [1] وفي الحديث: « إن الله يحب أن تؤتى رخصه » [2] ولأنه آخر الأمرين من النبي ﷺ ولما ثبت أن من الصحابة من يفطر إذا فارق عامر قريته ويذكر أن ذلك سنة رسول الله ﷺ.

ب- صوم المريض

المريض الذي دخل عليه شهر رمضان، وهو مريض، أو مرض في أثنائه له حالتان:

إحداهما: أن يرجى زوال مرضه، فهذا إذا خاف مع الصيام زيادة مرضه، أو طول مدته، جاز له الفطر إجماعا. وجعله بعض أهل العلم مستحبا، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [3] ولما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ قال: « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته » [4] [5] فيكره له الصوم مع المشقة لأنه خروج عن رخصة الله، وتعذيب من المرء لنفسه.

أما إن ثبت أن الصوم يضره، فإنه يجب عليه الفطر، ويحرم عليه الصيام، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [6] ولما ثبت في الصحيح أن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢ ١٠٨) عن ابن عمر رضي الله عنه. قال أحمد شاكر (٥٨٦٦): إسناده صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(١٩٤).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) أحمد (١٠٨/٢).

(٥) سبق تخريجه ص (٣٤).

(٦) سورة النساء، الآية: ٢٩.

النبي ﷺ قال: ﴿ إن لنفسك عليك حقا ﴾ [(١)] فمن حقها أن لا تضرها، مع وجود رخصة الله تعالى، وإذا أفطر لمرضه الذي يرجى زواله، قضى بعدد الأيام التي أفطرها ولا كفارة عليه.

الثانية: أن يكون المرض لا يرجى زواله، كالسل والسرطان والسكر وغيرها من الأمراض - نعوذ بالله من عضال الداء وشر الأسقام - فإذا كان الصوم يشق عليه فإنه لا يجب عليه؛ لأنه لا يستطيعه، وقد قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [(٢)] بل يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه؛ لأنه ليس له حال يصير إليها يتمكن فيها من القضاء، وفي هذا وأمثاله يقول تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [(٣)] قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: ليست بمنسوخة، هي للكبير الذي لا يستطيع الصوم [(٤)] رواه البخاري. والمريض الذي لا يُرجى برؤه في حكم الكبير. وهذا مذهب الجمهور. قال ابن القيم رحمه الله: ولا يُصار إلى الفدية إلا عند اليأس من القضاء.

ج- صوم الكبير

الكبير الذي لا يستطيع الصوم، أو لا يستطيع إتمام كل يوم لهرمه وضعفه، ولكن معه عقله وتمييزه، ولكن يشق عليه الصيام، فهذا أفتى ابن عباس وغيره من الصحابة رضي الله عنهم: أنه يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه، إقامة للإطعام مقام الصيام رحمة من الله وتخفيفا.

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (١٩٧٤، ١٩٧٥) في الصوم، باب: "حق الضيف في الصوم"، وباب: "حق الجسم في الصوم". ومسلم برقم (١١٥٩) في الصيام، باب: "النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا... " عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٤

(٤) انظر: البخاري برقم (٤٥٠٥) في تفسير القرآن، باب: "٢٥".

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [1] نزلت في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يطيقان الصيام، أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكينا" [2] أي ولا قضاء عليهما. وثبت في الصحيح ﴿ أن أنس بن مالك ﷺ لما كبر وضعف عن الصيام أفطر وأطعم ثلاثين مسكينا ﴾ [3] .

أما إذا كان الكبير قد فقد التمييز، وحصل منه التخريف والهذيان، فهذا لا يجب عليه صيام ولا إطعام، لسقوط التكليف عنه بزوال تمييزه وتخريفه، فأشبه الصبي قبل التمييز. فإن التكليف مرتبط بالعقل، فإذا أخذ ما وهب سقط ما وجب.

وأما إذا كان يميز أحيانا، ويخرف أحيانا، فإنه يجب عليه الصوم، أو الإطعام في حالة تمييزه، دون حال تخريفه، والصلاة أيضا كذلك.

د- صوم المرأة

الحيض من علامات البلوغ للنساء، فمتى ما رأت الفتاة الدم على وجه معتاد ولو كانت سنها دون الخامسة عشرة بل ولو كانت دون عشر سنين فهو حيض تصبح به الفتاة بالغة، فهي امرأة مكلفة يجب عليها الصيام، كما تجب عليها الصلاة وغيرها من الأحكام، التي يشترط لها البلوغ، قالت عائشة رضي الله عنها: "إذا حاضت الجارية فهي

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٥٠٥) في التفسير، باب "٢٥". بلفظ: "ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما فليطعمان مكان كل يوم مسكينا " وأخرجه أبو داود برقم (٢٣١٨) بلفظ: "كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصيام أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكينا والحبلى والمرضع إذا خافتا قال أبو داود: يعني على أولادهما أفطرتا وأطعمتا". صححه الألباني في الإرواء (٤ ١٨، ٢٥).

(٣) أخرجه البخاري تعليقا في التفسير، باب: "٢٥"، عند تفسير قوله تعالى: "أياما معدودات... ". قال الحافظ في الفتح (٨ ٦٥): وروى عبد بن حميد من طريق النضر بن أنس عن أنس أنه أفطر في رمضان وكان قد كبر، فأطعم مسكينا كل يوم، ورويناه في فوائد محمد بن هشام بن هلاس عن مروان عن معاوية عن حميد قال: ضعف أنس عن الصوم عام توفي فسألت ابنه عمر بن أنس أطاق الصوم؟ قال: لا، فلما عرف أنه لا يطيق القضاء، أمر بجفان من خبز ولحم فأطعم العدة أو أكثر. اهـ.

امرأة".

لكن يحرم على المرأة الصيام مدة الحيض، ولا يصح منها حتى تطهر كالصلاة. قال ﷺ في النساء: ﴿ أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم... ﴾ [1] [2] الحديث. فيجب على المرأة أن تفطر مدة الحيض، فإذا طهرت قضت بعـدد الأيام التي أفطرتا لقولـه تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [3] وسئلت عائشة رضي الله عنها: ﴿ ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: كان يصيبنا ذلك - تعني الحيض - فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة ﴾ [4] [5] .

وإذا حدث للمرأة الحيض أثناء النهار، ولو قبل غروب الشمس بوقت يسير، وهي صائمة صوما واجبا بطل صيامها، ذلك اليوم - أي لا تعتد به وأجرها على الله - ولزمها قضاؤه بعد طهرها.

وإذا طهرت المرأة من الحيض، قبل طلوع الفجر ولو بيسير، من أيام رمضان وجب عليها الصيام، ولا بأس بتأخير الاغتسال إلى ما بعد طلوع الفجر، حتى تتمكن من السحور. والنفساء كالحائض في جميع ما تقدم من أحكام.

وإذا كانت المرأة حاملا أو مرضعا، وخافت على نفسها الضرر من الصيام، فإنا تفطر وتقضي ما أفطرته من أيام أخر.

---

(١) البخاري الحيض (٢٩٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٠٤) في الحيض، باب: "ترك الحائض الصوم" عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وأخرجه مسلم برقم (٧٩) في الإيمان، باب: "بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات... ". بلفظ: "وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر رمضان، فهذا نقصان الدين". عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) البخاري الحيض (٣١٥)، مسلم الحيض (٣٣٥)، الترمذي الطهارة (١٣٠)، النسائي الصيام (٢٣١٨)، أبو داود الطهارة (٢٦٢)، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٣١)، أحمد (٢٣٢/٦)، الدارمي الطهارة (٩٨٦).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٣٢١) في الحيض، باب: "لا تقضي الحائض الصلاة". بلفظ مختلف. ومسلم برقم (٣٣٥)- ٦٩ في الحيض، باب: "وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة". واللفظ له.

أما إذا كان فطر المرأة الحامل أو المرضع، خوفا على ولدها، لا على نفسها، فالجمهور على أنها تطعم مع القضاء، عن كل يوم مسكينا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الحامل والمرضع تخاف على ولدها الضرر مع الصيام: تفطر وتقضي عن كل يوم يوما، وتطعم عن كل يوم مسكينا. وذهب جماعة من أهل العلم أن عليها الصيام، - أي القضاء فقط - دون الكفارة، كالمسافر، والمريض الذي يُرجى برؤه، ولعل هذا هو الراجح، ولا يتسع المقام لبسط أدلة ذلك، وهو رأي سماحة والدنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

سادسا : أمور يفطر با الصائم

١- الأكل والشرب

وما كان بمعناهما، من مقو، أو مغذ، إذا وصل إلى الجوف، من أي طريق كان، سواء الفم والأنف، أو الوريد، أو غير ذلك. وكان عن قصد واختيار فإنه يفطر به الصائم، لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ (١) ولقوله ﷺ مخبرا عن ربه أنه قال في الصائم: ﴿ يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ﴾ (٢) (٣) فالصيام ترك هذه الأمور، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فمن تناول شيئا منها أثناء النهار قاصدا مختارا لم يكن صائما.

٢- الجماع ومقدماته

فإنه مفسد للصيام بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ ﴾ (٤) إلى قوله: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ (٥) فدلت الآية على حل التمتع بذه الأمور، حتى طلوع الفجر، ثم يصام عنها إلى الليل. فإذا جامع في نار الصيام، فسد صومه وصار مفطرا بذلك، فعليه القضاء لذلك اليوم والكفارة، لانتهاكه حرمة الصوم في شهر الصوم.

فقد اتفق العلماء على أن من جامع في نار رمضان فعليه القضاء والكفارة في الجملة،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٢) البخاري الصوم (١٧٩٥).
(٣) سبق تخريجه صفحة (١٧).
(٤) سورة البقرة آية: ١٨٧.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

والكفارة مرتبة وهي:

أ) عتق رقبة مؤمنة.

ب) فإن لم يجدها فصيام شهرين متتابعين.

ج) فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا، لكل مسكين مد من طعام، وهو ربع الصاع مما يجزئ في الفطر، لما في الصحيح من قصة ﴿ الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال: هلكت وأهلكت. فقال: "ما لك؟" قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله ﷺ "هل تجد رقبة تعتقها؟" قال: لا. قال: "فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟" قال: لا. قال: "فهل تجد إطعام ستين مسكينا؟" قال: لا... ﴾ [(١)] [(٢)] .

وفي الحديث، أن الوطء في نار رمضان من الصائم كبيرة من كبائر الذنوب، وفاحشة من الفواحش المهلكات؛ لأن النبي ﷺ أقر الرجل على قوله: "هلكت" ولو لم يكن كذلك لهون عليه الأمر.

٣- إنزال المني في اليقظة

بمباشرة، أو تقبيل، أو بالاستمناء - وهي التي يسمونا العادة السرية أو جلد عميرة - ونحو ذلك، يفطر به الصائم وعليه القضاء؛ لأنه عن عمد واختيار.

٤- إخراج الدم من الجسد

بالحجامة ونحوها فإنه يفطر به الصائم، لقوله ﷺ ﴿ أفطر الحاجم والمحجوم ﴾ [(٣)] [(٤)]

---

(١) البخاري الصوم (١٨٣٤)، مسلم الصيام (١١١١)، الترمذي الصوم (٧٢٤)، أبو داود الصوم (٢٣٩٠)، ابن ماجه الصيام (١٦٧١)، أحمد (٢/٢٤١)، الدارمي الصوم (١٧١٦).

(٢) الحديث أخرجه البخاري برقم (١٩٣٧) في الصوم، باب: "المجامع في رمضان هل يطعم أهله من الكفارة". ومسلم برقم (١١١١) في الصيام"، باب: (تغليظ تحريم الجماع في نار رمضان على الصائم".

(٣) أبو داود الصوم (٢٣٦٧)، ابن ماجه الصيام (١٦٨١)، أحمد (٢٨٣/٥)، الدارمي الصوم (١٧٣٠).

(٤) عن شداد بن أوسأن رسول الله أتى على رجل وهو بالبقيع وهو يحتجم، وهو آخذ بيدي لثمان عشرة خلت من رمضان، فقال لـه: "أفطر الحاجم والمحجوم". أخرجه أبو داود برقم (٢٣٦٨) وابن ماجه برقم (١٦٨١) والدارمي (٢ ١٤). والنسائي في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف (٤٨١٨) وأحمـد في المسند (٤ ٢٢).

قال الإمام أحمد والبخاري وغيرهما عن هذا الحديث: إنه أصح شيء في الباب. فالحديث نص في الفطر بالحجامة، وهو مذهب أكثر فقهاء أهل الحديث، كأحمد وإسحاق وابن خزيمة وغيرهم من فقهاء الأمة، وكان فقهاء البصرة يغلقون حوانيت الحجامين [(١)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الأحاديث الواردة فيه - يعني الفطر بالحجامة - كثيرة، قد بينها الأئمة الحفّاظ.

وفي معنى إخراج الدم بالحجامة - وأنه يفطر به الصائم - إخراجه بالفصد للتحليل، أو لغير ذلك إذا كان الخارج من الدم نحو ما يخرج بالحجامة، وكذلك سحب الدم من الوريد، للتبرع أو لغير ذلك، فمن أراد فعل شيء من ذلك فليجعله ليلا، ومن اضطر إليه لمرض أو إسعاف مصاب، فليفطر ذلك اليوم - وهو معذور في ذلك شرعا - وليقض يوما مكانه.

٥- القيء

وهو إخراج ما في المعدة من الطعام والشراب، عمدا فعليه القضاء ويفطر بذلك، لحديث: « من استقاء فعليه القضاء » [(٢)] [(٣)] .

والطيالسي (٨٩١) وابن حبان (٩٠٠- موارد) والحاكم (١ ٤٢٨). والبيهقي (٤ ٢٦٥) والطحاوي في الشرح (٢ ٩٩). قال عبد الله بن أحمد في مسائله (٦٨٢): سمعت أبي يقول: هذا أصح حديث يروى عن النبي في إفطار الحاجم والمحجوم.

(١) وإفطار الحاجم والمحجوم رواه جمع من الصحابة منهم: رافع بن خديج، وثوبان، وأبو هريرة، وعائشة، وأسامة بن زيد، ومعقل بن يسار، وبلال، وصفية، وسعد بن أبي وقاص، وأبو موسى، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

(٢) الترمذي الصوم (٧٢٠)، أبو داود الصوم (٢٣٨٠)، ابن ماجه الصيام (١٦٧٦)، أحمد (٤٩٨/٢)، الدارمي الصوم (١٧٢٩).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٢٣٨٠) والترمذي (٧١٦) وابن ماجه (١٦٧٦) والنسائي في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٤٥٤٢) والدارمي (٢ ١٤). وأحمد في المسند (٢ ٤٩٨). وابن خزيمة (١٩٦٠). وابن حبان (٩٠٧ - موارد). والحاكم (١ ٤٢٧) والدارقطني (٢ ١٨٤) وابن الجارود (٣٨٥) والطحاوي في الشرح (٢ ٩٧) وفي المشكل (٢ ٢٧٦) والبيهقي (٤ ٢١٩) والبغوي في شرح السنة (٦ ٢٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث هشام عن ابن سيرين، عن أبي

سابعا : أمور لا يفطر بها الصائم

١- الاحتلام أثناء الصيام لا يفطر به الصائم، لعدم القصد والعمد باتفاق أهل العلم.

٢- من حصل منه القيء - التطريش - دون اختيار منه وهو صائم لم يفطر بذلك بل صومه صحيح لقوله ﷺ ﴿ من ذرعه القيء - أي غلبه وقهره وسبقه في الخروج - فلا قضاء عليه ﴾ [(١)] [(٢)] .

٣- ما يدخل في الحلق بغير اختيار من غبار أو ذباب، ونحو ذلك مما لا يمكن التحرز منه، فإنه لا يفسد الصوم، لعدم القصد. فإن الذي لم يقصد غافل، والغافل غير مكلف لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ [(٣)] ولقوله ﷺ ﴿ عفي لأمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ﴾ [(٤)] [(٥)] .

٤- خروج الدم من غير قصد: كالرعاف وا يف والجرح، ونحو ذلك، لا يفطر به الصائم، ولا يفسد به الصيام، لعدم الاختيار.

هريرة عن النبي إلا من حديث عيسى بن يونس. وقال محمد: لا أراه محفوظا. ثم قال: وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ولا يصح إسناده. وقد روي عن أبي الدرداء وثوبان وفضالة بن عبيد: أن النبي قاء فأفطر، وإنما معنى هذا أن النبي كان صائما متطوعا، فقاء فضعف فأفطر بذلك، هكذا روي في بعض الحديث مفسرا. والعمل عند أهل العلم على حديث أبي هريرة عن النبي أن الصائم إذا ذرعه القيء فلا قضاء عليه، وإذا استقاء عمدا فليقض. وبه يقول سفيان الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق أ. هـ. ونقل الزيلعي في نصب الراية (٢ ٤٤٨) عن أبي داود قال: سمعت أحمد يقول: ليس من ذا شيء. قال الخطابي: يريد أن الحديث غير محفوظ.

(١) الترمذي الصوم (٧٢٠)، أبو داود الصوم (٢٣٨٠)، ابن ماجه الصيام (١٦٧٦)، أحمد (٤٩٨/٢)، الدارمي الصوم (١٧٢٩).

(٢) سبق تخريجه ص (٤٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) ابن ماجه الطلاق (٢٠٤٣).

(٥) أخرجه ابن ماجه برقم (٢٠٤٣) عن أبي ذر الغفاري بلفظ: "إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليـه". قال الهيثمي في الزوائد: إسناده ضعيف لاتفاقهم على ضعف أبي بكر الهذلي. وأخرجه ابن ماجه أيضا برقم (٢٠٤٤) عن ابن عباس بلفظ: "إن الله وضع عن أمتي.... ".

٥- من أكل أو شرب ناسيا فصيامه صحيح ولا قضاء عليه؛ لقوله ﷺ ﴿ عفي لأمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ﴾ [(١)] [(٢)] ولقوله ﷺ ﴿ من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه ﴾ [(٣)] [(٤)].

٦- من أكل شاكا في طلوع الفجر صح صومه فلا قضاء عليه لأن الأصل بقاء الليل.

٧- من أصبح جنبا من احتلام أو جماع، وضاق عليه الوقت، فإنه يصوم وله أن يؤخر الغسل إلى ما بعد السحور، وطلوع الفجر، وصومه صحيح ليس عليه قضاؤه. لما في الصحيحين: ﴿ أن النبي ﷺ كان يصبح جنبا من جماع ثم يغتسل ويصوم ﴾ [(٥)] [(٦)] وفي صحيح مسلم قال ﷺ ﴿ وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم ﴾ [(٧)] [(٨)] والنصوص في ذلك متوافرة، وَذَكَرَ غير واحد الإجماع عليه.

٨- من غلب على ظنه غروب الشمس: لغيم ونحوه، فأفطر ثم تبين له أنا لم تغرب، فليمسك ولا قضاء عليه، كما هو اختيار جماعة من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله، قال: إذا أكل عند غروبا، على غلبة الظن، فظهرت، ثم أمسك

---

(١) ابن ماجه الطلاق (٢٠٤٣).

(٢) انظر الهامش السابق ص (٤٥).

(٣) البخاري الصـوم (١٨٣١)، مسلم الصيام (١١٥٥)، أبو داود الصوم (٢٣٩٨)، ابن ماجه الصيام (١٦٧٣)، أحمد (٢/٤٩١)، الدارمي الصوم (١٧٢٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١١٥٥) في الصيام، باب: "أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) البخاري الصـوم (١٨٢٥)، مسلم الصيام (١١٠٩)، أبو داود الصوم (٢٣٨٨)، ابن ماجه الصيام (١٧٠٤)، أحمد (٦/٣٦)، مالك الصيام (٦٤٢)، الدارمي الصوم (١٧٢٥).

(٦) أخرجه البخاري برقم (١٩٣٠) في الصوم، باب: "اغتسال الصائم". ومسلم برقم (١١٠٩) في الصيام، باب: "صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب". عن عائشة رضي الله عنها.

(٧) مسلم الصيام (١١١٠).

(٨) أخرجه مسلم برقم (١١١٠) في الصيام، باب: "صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب". عن عائشة رضي الله عنها.

فكالناسي؛ لأنه ثبت في الصحيـح: ﴿ أنهم أفطروا على عهد النبي ﷺ ثم طلعت الشمس.. ﴾ [1] [2] الحديث، ولم يذكر في الحديث، أنهم أمروا بالقضاء، ولو أمرهم لشاع ذلك، كما نقل فطرهم، فلما لم ينقل دل على أنه لم يأمرهم. أ. هـ.

وثبت عن عمر رضي الله عنه أنه أفطر ثم تبين النهار فقال: "لا نقضي فإنا لم نتجانف لإثم". قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا القول أقوى أثرا ونظرا، وأشبه بدلالة الكتاب والسنة والقياس.

ثامنا : فضل قيام الليل

قيام الليل سنة مؤكدة، وقربة معظمة في سائر العام، فقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة بالحث عليه، والتوجيه إليه، والترغيب فيه، ببيان عظيم شأنه وجزيل الثواب عليه، وأنه شأن أولياء الله، وخاصة من عباده الذين قال الله في مدحهم والثناء عليهم: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [3].

فقد مدح الله أهل الإيمان والتقوى، بجميل الخصال وجليل الأعمال، ومن أخص ذلك قيام الليل، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟

(١) البخاري الصوم (١٨٥٨)، أبو داود الصوم (٢٣٥٩)، ابن ماجه الصيام (١٦٧٤)، أحمد (٣٤٦/٦).
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٩٥٩) في الصوم، باب: "إذا أفطر في رمضان ثم طلعت الشمس". عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.
(٣) سورة يونس، الآيات: ٦٢ - ٦٤.

يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [١] ووصفهم في موضع آخر بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [٢] ... إلى أن قال: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [٣] .

وفي ذلك من التنبيه على فضل قيام الليل، وكريم عائدته ما لا يخفى، وأنه من أسباب صرف عذاب جهنم، والفوز بالجنة وما فيها من النعيم المقيم، وجوار الرب الكريم، جعلنا الله ممن فاز بذلك. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [٤]

وقد وصف المتقين في سورة الذاريات، بجملة صفات - منها قيام الليل - فازوا بها بفسيح الجنات، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [٥]

فصلاة الليل لها شأن عظيم في تثبيت الإيمان، والإعانة على جليل الأعمال، وما فيه صلاح الأحوال والمال، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢﴾ ﴾ [٦]

إلى قوله: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ

(١) سورة السجدة، الآيات: ١٥ -١٧.
(٢) سورة الفرقان آية: ٦٤ ، ٦٥.
(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٦٤ -٧٦.
(٤) سورة القمر، الآيات: ٥٤ -٥٥.
(٥) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ -١٧.
(٦) سورة المزمل آية: ١ ، ٢.

قِيلاً ﴿٦﴾ ﴾ [1] .

وثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ أفضل الصلاة بعد المكتوبة - يعني الفريضة - صلاة الليل ﴾ [2] [3] وفي حديث عمرو بن عبسة قال ﷺ ﴿ أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن ﴾ [4] [5] .

ولأبي داود عنه ﷺ قـال: أي الليل أسمع؟- يعني أحرى بإجابة الدعاء - قال ﷺ ﴿ جوف الليل الآخر فصَل ما شئت، فإن الصلاة فيه مشهودة مكتوبة ﴾ [6] [7] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ يـ ل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر. فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ ﴾ [8] [1] .

---

(١) سورة المزمل، الآيات: ١-٦.

(٢) مسلم الصيام (١١٦٣)، الترمذي الصلاة (٤٣٨)، أبو داود الصوم (٢٤٢٩)، أحمد (٣٢٩/٢).

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (١١٦٣) في الصيام، باب: "فضل صوم المحرم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الترمذي الدعوات (٣٥٧٩)، النسائي المواقيت (٥٧٢).

(٥) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٧٩). واللفظ له. وأخرجه النسائي مطولا (١ ٢٧٩، ٢٨٠) رقم (٥٧١). وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (١ ٤٣٤). وأخرجه أبو داود مطولا بلفظ مختلف (١٢٧٧)، وأخرجه مسلم أيضا مطولا بلفظ مختلف (٨٣٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١ ٢٥٧) رقم (٦٢٤). وصححه الأرناؤوط في جامع الأصول (٥ ٢٥٨) رقم (٣٣٣٨).

(٦) الترمذي الدعوات (٣٥٧٩)، أبو داود الصلاة (١٢٧٧).

(٧) أخرجه أبو داود (١٢٧٧).

(٨) البخاري التوحيد (٧٠٥٦)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨)، الترمذي الدعوات (٣٤٩٨)، أبو داود الصلاة (١٣١٥)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٦٦)، أحمد (٢٦٥/٢)، مالك النداء للصلاة (٤٩٦)، الدارمي الصلاة (١٤٧٩).

وفي صحيح مسلم عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه، وهي كل ليلة ﴾ [٢] [٣].

وفي صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ من تعار من الليل - يعني استيقظ يلهج بذكر الله - فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته ﴾ [٤] [٥].

وأخرج الإمام أحمد وغيره عـن أبي مالك الأشعري ﷺ قـال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن في الجنة غرفا، يرى ظاهرها من من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام ﴾ [٦] [٧].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ قال الله ﷻ أعددت

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٩٤) في التوحيد، باب: "قـول الله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله ". ومسلم برقـم (٧٥٨) ٦، ٢٤، في صلاة المسافرين وقصرها، باب: "الترغيب في الدعاء والذكر في أخر الليل والإجابة فيه".

(٢) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٧)، أحمد (٣/٣٤٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٧٥٧) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: "في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء".

(٤) البخاري الجمعة (١١٠٣)، الترمذي الدعوات (٣٤١٤)، أبو داود الأدب (٥٠٦٠)، ابن ماجه الدعاء (٣٨٧٨)، الدارمي الاستئذان (٢٦٨٧).

(٥) أخرجه البخاري برقم (١١٥٤) في التهجد، باب: "فضل من تعار من الليل فصلى".

(٦) الترمذي البر والصلة (١٩٨٤).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ ٣٤٣) وصححه ابن حبان (٦٤١). وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو عند الحاكم (١ ٣٢١) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه المنذري، وشاهد آخر من حديث علي عند الترمذي (١٩٨٥) و (٢٥٢٩).

لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴾ [١] [٢] .

قال أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [٣] .

وجاء في السنة الصحيحة، ما يفيد أن قيام الليل من أسباب النجاة من الفتن، والسلامة من دخول النار. ففي البخاري وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ استيقظ ليلة فقال: ﴿ سبحان الله، ماذا أنزل الليلة من الفتنة؟ ماذا أنزل الليلة من الخزائن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ ﴾ [٤] [٥] وفي ذلك تنبيه على أثر الصلاة بالليل في الوقاية من الفتن.

وفي قصة رؤيا ابن عمر قال: "فرأيت كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية، كطي البئر، وإذا لها قرنان يعني كقرني البئر وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر. فقال: لم ترع. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: ﴿ نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل، فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا ﴾ [٦] [٧] .

وأخرج الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ

(١) البخاري بدء الخلق (٣٠٧٢)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤)، الترمذي تفسير القرآن (٣١٩٧)، ابن ماجه الزهد (٤٣٢٨)، أحمد (٤٣٨/٢)، الدارمي الرقاق (٢٨٢٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٣٤٤) في بدء الخلق باب: (ما جاء في صفة الجنة وأنا مخلوقة". ومسلم برقم (٢٨٢٤) أول كتاب الجنة.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٤) البخاري الجمعة (١٠٧٤)، الترمذي الفتن (٢١٩٦)، أحمد (٢٩٧/٦)، مالك الجامع (١٦٩٥).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٧٠٦٩) في الفتن، باب: إلا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه".

(٦) البخاري الجمعة (١٠٧٠)، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٧٩)، ابن ماجه تعبير الرؤيا (٣٩١٩)، أحمد (١٤٦/٢)، الدارمي الرؤيا (٢١٥٢).

(٧) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (١١٢١، ١١٢٢) في التهجد، باب: "فضل قيام الليل". ومسلم برقم (٢٤٧٩) في فضائل الصحابة، باب "من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما".

قال: ﴿ عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم ﴾ [(١)] [(٢)] .

فتلخص مما سبق أن قيام الليل:

أ) من أسباب ولاية الله ومحبته.

ب) ومن أسباب ذهاب الخوف والحزن، وتوالي البشارات بألوان التكريم والأجر العظيم.

ج) وأنه من سمات الصالحين، في كل زمان ومكان.

د) وهو من أعظم الأمور المعينة على مصالح الدنيا والآخرة، ومن أسباب تحصيلها والفوز بأعلى مطالبها.

هـ) وأن صلاة الليل أفضل الصلاة بعد الفريضة وقربة إلى الرب ومكفرة للسيئات.

و) وأنه من أسباب إجابة الدعاء، والفوز بالمطلوب المحبوب، والسلام من المكروه والمرهوب، ومغفرة سائر الذنوب.

ز) وأنه نجاة من الفتن، وعصمة من الهلكة، ومنهاة عن الإثم.

ح) وأنه من موجبات النجاة من النار، والفوز بأعالي الجنان.

تاسعا : فضل قيام رمضان

فإذا تبين أن القيام من خصال الخير، وعظيم الأجر، وجزيل الأجر وأنه من خصال التقوى، التي فرض الله سبحانه الصيام لتحقيقها وتكميلها وتحصيل عواقبها الطيبة وآثارها المباركة، ظهر لك أن الصيام والقيام في رمضان متلازمان عند أهل الإيمان، فإن القيام في رمضان من الشعائر العظيمة التي سنها رسول الله ﷺ بقوله وفعله، ورغب فيها. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من قام رمضان إيمانا

---

(١) الترمذي الدعوات (٣٥٤٩).

(٢) أخرجه الحاكم (١ /٣٠٨) وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وحسنه العراقي.

واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ (١) (٢) .

وثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ أن النبي ﷺ صلى في المسجد - من جوف الليل - فصلى بصلاته ناس من أصحابه ثلاث ليال. فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله - أي امتلأ من الناس - فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال: "قـد رأيت الذي صنعتم، ولم يمنعني مـن الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم ﴾ (٣) (٤) وذلك في رمضان.

وفي هذا الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته. وفيه حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على السنة، ورغبتهم في قيام الليل. وفي الصحيحين أيضا عن النبي ﷺ قال: ﴿ من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ (٥) (٦) وهذا من أدلة فضل قيام رمضان، وخاصة العشر الأواخر منه - فإحياؤها من سنة النبي ﷺ - تحريا لليلة القدر، طلبا لما فيها من عظيم الأجر.

وقيام رمضان شامل للصلاة، في أوله وآخره، والتراويح من قيام رمضان، ففي السنن

---

(١) البخاري الإيمان (٣٧)، الترمذي الصوم (٦٨٣)، النسائي الصيام (٢٢٠٢)، أبو داود الصلاة (١٣٧١)، الدارمي الصوم (١٧٧٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧) في الإيمان، باب: "قيام ليلة القدر من الإيمان". ومسلم برقم (٧٥٩) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: "الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح".

(٣) البخاري الجمعة (٨٨٢)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٦١)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٠٤)، أبو داود الصلاة (١٣٧٣)، أحمد (٢٦٨/٦)، مالك النداء للصلاة (٢٥٠).

(٤) أخرجـه البخاري برقم (٩٢٤) و (٢٠١٢) في الجمعة، باب: "من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد. ومسلم برقم (٧٦١) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: "الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح" عن عائشة رضي الله عنها. وفي الباب عن أبي حميد الساعدي والمسور بن مخرمة وغيرهم.

(٥) البخاري الصـوم (١٨٠٢)، مسلم صلاة المسافرين وقصـرها (٧٦٠)، الترمذي الصوم (٦٨٣)، النسائي الصيام (٢٢٠٢)، أبو داود الصلاة (١٣٧٢)، أحمد (٢٤١/٢)، الدارمي الصوم (١٧٧٦).

(٦) سبق تخريجه ص (٢٨).

وغيرها عن أبي ذر ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة ﴾ [(١)] [(٢)] فينبغي الحرص عليها، والاعتناء با، رغبة في الخير وطلبا للأجر، فيصلي المرء مع الإمام حتى ينصرف، ليحصل له أجر قيام ليلة.

وإن أحب أن يصلي من آخر الليل، ما كتب له - فله ذلك - ليفوز بفضائل صلاة جوف الليل، فإنا - كما سبق - مشهودة مكتوبة يسمع فيها الدعاء ويستجاب، وتُقضى المسألة ويغفر الذنب، إلى غير ذلك مما جاء في فضل القيام.

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ صلاة الليل مثنى مثنى ﴾ [(٣)] [(٤)] فلم يقيد الصلاة بعدد، فيصلي ما شاء الله، غير أنه لا يوتر إن كان أوتر مع الإمام أول الليل، لقولـه ﷺ ﴿ لا وتران في ليلة ﴾ [(٥)] [(٦)] .

والمقصود أن أوقات شهر رمضان أوقات شريفة مباركة، ينبغي للموفق أن يغتنمها في جليل القرب، والإلحاح على الله بالطلب لخيري الدنيا والآخرة، والتوفيق من الله، فإنه هو

---

(١) الترمذي الصوم (٨٠٦)، النسائي السهو (١٣٦٤)، أبو داود الصلاة (١٣٧٥)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٢٧)، أحمد (٥/١٦٠).

(٢) أخرجـه أبو داود برقم (١٣٧٥). والترمـذي برقم (٨٠٦) والنسائي (٣ ٨٣، ٨٤) رقـم (١٣٦٣) والنسائي (٣ ٢٠٢، ٢٠٣) رقم (١٦٠٤). وابن ماجه برقم (١٣٢٧). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الأرناؤوط في تحقيق جامع الأصول (٦ ١٢٠) رقم (٤٢٢٠): إسناده صحيح.

(٣) البخاري الجمعة (٩٤٦)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٤٩)، الترمذي الصلاة (٤٦١)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٩٤)، أبو داود الصلاة (١٤٢١)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١١٧٥)، أحمد (٢/ ٧٨)، مالك النداء للصلاة (٢٦٩)، الدارمي الصلاة (١٤٥٨).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٩٩٠) في الوتر، باب: "ما جاء في الوتر". ومسلم برقم (٧٤٩) و (٧٥٣) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: "صلاة الليل مثنى مثنى". عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٥) الترمذي الصلاة (٤٧٠)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٧٩)، أبو داود الصلاة (١٤٣٩).

(٦) أخرجه أبو داود برقم (١٤٣٩) والترمذي برقم (٤٧٠) والشافعي (٣ ٢٢٩، ٢٣٠) رقم (١٦٧٨): عن طلق بن علي رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث حسن غريب، وقد حسنه الحافظ في الفتح (٢ ٣٩٩). وقال الأرناؤوط في جامع الأصول (٦ ٦٢) رقم (٤٦٦٥): حديث صحيح.

الرحمن المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

عاشرا : فضل ليلة القدر

ليلة القدر ليلة شريفة، خصها الله بخصائص عظيمة، تنبئ عن فضلها ورفعة شأنها، منها:

١- أنها الليلة التي أنزل فيها القرآن، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ ﴾ [(١)] ففي تخصيصها بذلك تنبيه على شرفها وتنويه بفضلها، حيث أنزل الله تعالى فيها أعظم الذكر وأشرف الكتب، ففي قراءته فيها أخذ بسبب من أعظم أسباب الهدى ودواعي التقى.

٢- وصف الله تعالى بأنها مباركة، بقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ فِي لَيۡلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍۚ ﴾ [(٢)] الآية فهي مباركة لكثرة خيرها وعظم فضلها، وجليل ما يعطي الله من قامها إيمانا واحتسابا [(٣)] من الخير الكثير والأجر الوفير.

٣- إخباره تعالى عنها، بقوله: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ [(٤)] أي يفصل من اللوح المحفوظ إلى صحف الكتبة من الملائكة من الأمور المحكمة مما يتعلق بالعباد، من أمر المعاش والمعاد إلى مثلها من العام القابل، من الأرزاق والأعمال والحوادث والآجال، ونحو ذلك من الأمور المحكمة المتقنة بمقتضى علم الله تعالى وحكمته ومشيئته وقدرته، وذلك كله مما يبين شرف تلك الليلة وعظم شأنها.

---

(١) سورة القدر، الآية: ١.
(٢) سورة الدخان، الآية: ٣.
(٣) لحديث: "من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" سبق تخريجه صفحة (٢٨).
(٤) سورة الدخان، الآية: ٤.

٤- ما يفيده قوله تعالى: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ ﴾ [(١)] من التنبيه على فضل قيامها وكثرة الثواب على العمل فيها، مع مضاعفة العمل، فإن عبادة الله تعالى وما يناله العبد من الثواب عليها خير من العبادة في ألف شهر خالية منها. وذلك ينيف عن ثمانين سنة، وإذا كان العمل الصالح يضاعف في رمضان ويضاعف ثوابه، فكيف إذا وقع في ليلة القدر؟ فلا يعلم إلا الله تعالى ما يفوز به من قامها إيمانا واحتسابا من الأجر العظيم والثواب الكريم.

٥- تنزل الملائكة فيها إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة لأهل الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾ [(٢)] ولذا فهي ليلة مطمئنة تكثر فيها السلامة من العذاب والإعانة على طاعة الغفور التواب.

٦- ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ [(٣)] [(٤)] فهي ليلة تغفر فيها الذنوب، وتفتح فيها أبواب الخير، وتعظم الأجور، وتيسر الأمور.

فلهذه الفضائل العظيمة وغيرها تواترت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ في الحث على تحري هذه الليلة في ليالي العشر الأخير من رمضان، وبيان فضلها، وفي سنته ﷺ في قيامها، وهدي أصحابه رضي الله عنهم من الاجتهاد في التماسها ما يبعث همم طلاب الآخرة والراغبين في العتق والمغفرة مع وافر الأجر وكريم المثوبة، إلى اتباعهم على ذلك

(١) سورة القدر، الآية: ٣.
(٢) سورة القدر، الآيتان: ٤، ٥.
(٣) البخاري الصوم (١٨٠٢)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٠)، الترمذي الصوم (٦٨٣)، النسائي الصيام (٢٢٠٢)، أبو داود الصلاة (١٣٧٢)، أحمد (٢/٢٤١)، الدارمي الصوم (١٧٧٦).
(٤) سبق تخريجه صفحة: (٢٨).

بإحسان، التماسا لرضا الرحمن، والفوز بفسيح الجنان.

ولم يرد عن النبي ﷺ نص صريح أنا في ليلة معينة لا تتعداها في كل سنة، وما ورد من النصوص في تحديدها بليلة معينة فالمراد - والله أعلم - في تلك السنة التي أخبر النبي ﷺ عنها فيها وحث على قيامها بعينها، وبذا تجتمع الأحاديث التي ظاهرها التعارض، وتفيد تلك الأحاديث أنا تنتقل من سنة إلى أخرى، فقد تكون في سنة ليلة إحدى وعشرين، وفي أخرى ليلة ثلاث وعشرين، وفي ثالثة أربع وعشرين، وهكذا.

قال الحافظ في الفتح: أرجح الأقوال أنا في الوتر من العشر الأخير وأنا تنتقل [1] .

قلت: ومما قرره أهل العلم بشأنا أنا تتحرى وتطلب في ليالي الشفع كما تطلب في ليالي الوتر، ولهذا جاء في بعض الأحاديث ونقل عن بعض السلف تحديدها في بعض الأعوام في ليالي الشفع من العشر.

وقد وجّه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ذلك بقوله: "إن كان الشهر تاما فكل ليلة من العشر وتر، إما باعتبار الماضي كإحدى وعشرين، وإما باعتبار الباقي كالثانية والعشرين، وإن كان ناقصا فالأوتار باعتبار الباقي موافقة لها باعتبار الماضي".

ولهذا ينبغي أن يتحراها المؤمن في كل ليالي العشر، عملا بقوله ﷺ ﴿ التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان ﴾ [2] [3] متفق عليه.

وإنما أخفى الله علمها عن العباد رحمة بم ليكثر اجتهادهم في طلبها، وتظهر رغبتهم فيها، وتكثر العبادة فيها، ليحصلوا على جليل العمل وجزيل الأجر بقيامهم لتلك الليالي المباركة، كل ليلة يظنون أنا ليلة القدر، فإنم بقيامهم لتلك الليالي يثابون على قيام كل ليلة - لا سيما وأنم يحتسبون أنا ليلة القدر، والأعمال بالنيات - مع أنم يدركون ليلة

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٤ ٣١٣).

(٢) البخاري صلاة التراويح (١٩١٦)، مسلم الصيام (١١٦٩)، الترمذي الصوم (٧٩٢)، أحمد (٥٠/٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٠٢٠) في فضل ليلة القدر، باب: "تحري ليلة القدر في الوتر.. " ومسلم برقم (١١٦٩) في الصيام، باب: "فضل ليلة القدر والحث على طلبها... ". عن عائشة رضي الله عنها.

القدر قطعا إذا قاموا كل ليالي العشر.

ولهذا كان من سُنّة النبي ﷺ الاعتكاف تلك العشر، وهذا فيه الاجتهاد في العبادة، وبذل الوسع في تحري تلك الليلة، فينقطع في المسجد - تلك المدة - عن كل الخلائق، مشتغلا بطاعة الخالق، قد حبس نفسه على طاعته، وشغل لسانه بدعائه وذكره، وتخلى عن جميع ما يشغله، وعكف بقلبه على ربه وما يقربه منه، فما بقي له سوى الله وما شغل نفسه إلا بما فيه رضاه.

وحقيقة أن الاعتكاف سُنّة مأثورة وشعيرة مبرورة، وقد أوشكت أن تكون بين الناس مهجورة، فينبغي - لمن تيسّر له أمره - إحياؤها والترغيب فيها، فإن: ﴿ من سَنّ في الإسلام سُنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ﴾ [١] [٢] رواه مسلم، وقال ﷺ ﴿ من دل على خير فله مثل أجر فاعله ﴾ [٣] [٤] رواه مسلم.

ومما ينبغي التفطن له تربية الأهل على العناية بهذه الليالي الشريفة، وإظهار تعظيمها، والأخذ بسُنة النبي ﷺ فيها، فقد كان يوقظ أهله [٥] وكل من يطيق القيام للصلاة والذكر، والتنافس فيما ينال به عظيم الأجر من خصال البر، حرصا على اغتنام هذه الليالي المباركة، فيما يقرب إلى الله تعالى، فإنها من فرص العمر وغنائم الدهر.

---

(١) مسلم الزكاة (١٠١٧)، الترمذي العلم (٢٦٧٥)، النسائي الزكاة (٢٥٥٤)، ابن ماجه المقدمة (٢٠٣)، أحمد (٣٥٩/٤)، الدارمي المقدمة (٥١٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٠١٧) في الزكاة، باب: "الحث على الصدقة...... " وأخرجه مسلم أيضا في العلم، باب: "من سن سنة حسنة أو سيئة....." عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) مسلم الإمارة (١٨٩٣)، الترمذي العلم (٢٦٧١)، أبو داود الأدب (٥١٢٩)، أحمد (١٢٠/٤).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٨٩٣) في الإمارة، باب: (فضل إعانة الغازي في سبيل الله...... " عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٥) لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله" أخرجه البخاري برقم ٢٠٢٤. ومسلم برقم ١١٧٤. وفي الباب أحاديث أخرى كثيرة.

وهما يدعو إلى القلق وعظيم الحزن تساهل بعض الناس - هدانا الله وإياهم - فيها، وزهدهم في خيرها، حيث يظهر منهم الكسل فيها أكثر مما سبقها من الشهر، حتى يتخلّفون عن الفرائض ويهجرون المساجد، ويزدحمون في الأسواق، ويرتكبون بعض خصال النفاق، نسأل الله تعالى لنا ولهم العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا من المسارعين إلى المغفرة والجنات، المتنافسين في الخيرات، الفائزين بعظيم الأجور وأعالي الجنات، إنه سبحانه سميع مجيب الدعوات.

الفصل الثاني

في مهمات من أحكام زكاة الفطر

١- معنى زكاة الفطر.

٢- تاريخ مشروعيتها والدليل عليها.

٣- حكمها.

٤- حكمة مشروعيتها.

٥- على من تجب الفطرة.

٦- أنواع الأطعمة التي تخرج منها زكاة الفطر.

٧- المقدار الواجب في الفطرة.

٨- وقت إخراج الزكاة.

٩- لمن تعطى صدقة الفطر.

١٠- إخراج قيمة زكاة الفطر.

١١- نقل زكاة الفطر من بلد الشخص إلى بلد آخر.

الفصل الثاني

في مهمات من أحكام زكاة الفطر

١- معنى زكاة الفطر

أي الزكاة التي سببُها الفطر من رمضان، وتسمى أيضا صدقة الفطر، وبكلا الاسمين وردت النصوص.

وسُميت صدقة الفطر بذلك لأنا عند الفطر عطية يُراد با المثوبة من الله، فإعطاؤها لمستحقيها في وقتها عن طيب نفس يُظهر صدق الرغبة في تلك المثوبة. وسميت زكاة لما في بذلها - خالصة لله - من تزكية النفس وتطهيرها من أدرانا، وتنميتها للعمل، وجبرها لنقصه.

٢- تاريخ مشروعيتها والدليل عليها

وكانت فرضيتها في السنة الثانية من الهجرة - أي مع رمضان - وقد دلّ على مشروعيتها عموم القرآن، وصريح السنة الصحيحة، وإجماع المسلمين؛ قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ ﴾ [١] أي فاز كل الفوز، وظفر كل الظفر، مَن زكى نفسه بالصدقة فنماها وطهرها.

وقال عكرمة رحمه الله في الآية: "هو الرجل يقدم زكاته بين يدي - يعني قبل - صلاته - أي العيد. وهكذا قال غير واحد من السلف رحمهم الله في الآية: هي زكاة الفطر.

وروي ذلك مرفوعا إلى النبي ﷺ عند ابن خزيمة وغيره. وقال مالك رحمه الله: هي- يعني زكاة الفطر - داخلة في عموم قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [٢] .

(١) سورة الأعلى، الآية: ١٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

وثبت في الصحيحين وغيرهما من غير وجه: ﴿ فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر ﴾ [1] [2] وأجمع عليها المسلمون قديما وحديثا، وكان أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها.

٣- حكمها

حكى ابن المنذر وغيره الإجماع على وجوبا، وقال إسحاق رحمه الله: "هو كالإجماع".

قلت: ويكفي في الدلالة على وجوبا - مع القدرة في وقتها - تعبير الصحابة رضي الله عنهم بالفرض كما صرح بذلك ابن عمر وابن عباس، قال ابن عمر رضي الله عنهما: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر... الحديث" [3] وبنحوه عبر غيره رضي الله عنهم.

٤- حكمة مشروعيتها

شرعت زكاة الفطر تطهيرا للنفس من أدرانا، من الشح وغيره من الأخلاق الرديئة، وتكميلا للأجر وتنمية للعمل الصالح، وتطهيرا للصيام مما قد يؤثر فيه ويُنقِص ثوابه من اللغو والرفث ونحوهما، ومواساة للفقراء والمساكين، وإغناءً لهم عن ذلّ الحاجة والسؤال يوم العيد.

فعن ابن عباس مرفوعا: ﴿ فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين ﴾ [4] [1] رواه أبو داود والحاكم وغيرهما.

---

(١) البخاري الزكاة (١٤٣٢)، مسلم الزكاة (٩٨٤)، الترمذي الزكاة (٦٧٦)، النسائي الزكاة (٢٥٠٤)، أبو داود الزكاة (١٦١١)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٦)، أحمد (٢/٦٦)، مالك الزكاة (٦٢٧)، الدارمي الزكاة (١٦٦١).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٠٤) ومسلم (٩٨٤). عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) سبق تخريجه صفحة (٦٨).

(٤) البخاري الزكاة (١٤٣٢)، مسلم الزكاة (٩٨٤)، الترمذي الزكاة (٦٧٦)، النسائي الزكاة (٢٥٠٤)، أبو داود الزكاة (١٦١١)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٦)، أحمد (٢/٦٦)، مالك الزكاة (٦٢٧)، الدارمي الزكاة (١٦٦١).

وفيها: إظهارُ شكر نعمة الله تعالى على العبد إتمام صيام شهر رمضان وما يسر من قيامه، وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه.

وفيها: إشاعة المحبة والمودة بين فئات المجتمع المسلم.

٥- على من تجب الفطرة

زكاة الفطر زكاة بدن، فتجب على كل مسلم ذكرا كان أو أنثى، حرا كان أو عبدا، وسواء كان من أهل المدن أو القرى أو البوادي، لإجماع من يُعتدّ بقوله من المسلمين.

ومن أدلة وجوبا حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين. وأمر بها أن تُؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة » (٢) (٣) متفق عليه.

ونحو هذا الحديث، مما فيه التصريح بالفرض والأمر، وإنما تجب على الغني، وليس المقصود بالغني في هذا الباب الغني في باب زكاة الأموال، بل المقصود به في زكاة الفطر: مَن فضل عنده صاع أو أكثر يومَ العيد وليلته من قوته وقوت عياله، ومن تجب عليه نفقته.

٦- أنواع الأطعمة التي تخرج منها زكاة الفطر

ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري ؓ قال: « كنا نعطيها - يعني صدقة الفطر - في زمان النبي ﷺ صاعا من طعام أو صاعا من تمر أو صاعا من شعير أو صاعا من

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٠٩) وابن ماجه (١٨٢٧). والدارقطني (٢ ١٣٨) والحاكم (١ ٤٠٩). والبيهقي (٤ ١٦٣) قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال الدارقطني: ليس فيهم مجروح. وقال الألباني في الإرواء (٣ ٣٣٢): حسن.

(٢) البخاري الزكاة (١٤٣٢)، مسلم الزكاة (٩٨٤)، الترمذي الزكاة (٦٧٦)، النسائي الزكاة (٢٥٠٤)، أبو داود الزكاة (١٦١١)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٦)، أحمد (٦٦/٢)، مالك الزكاة (٦٢٧)، الدارمي الزكاة (١٦٦١).

(٣) سبق تخريجه ص (٦٨).

الزبيب ﴾ [١] متفق عليه [٢] وفي رواية عنه في الصحيح، قال: ﴿ وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر ﴾ [٣] [٤] .

فالأفضل الاقتصار على هذه الأصناف المذكورة في الحديث ما دامت موجودة، ويوجد من يقبلها ليقتات با، فيخرج أطيبها وأنفعها للفقراء، لما في البخاري أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يُعطي التمر [٥] وفي الموطأ عن نافع: كان ابن عمر لا يُخرج إلا التمر في زكاة الفطر، إلا مرة واحدة فإنه أخرج شعيرا لمّا أعوز أهل المدينة من التمر، - يعني لم يوجد في المدينة - فأعطى شعيرا" [٦] .

وفي هذا تنبيه على أنه ينبغي أن يُخرج أطيب هذه الأصناف وأنفعها للفقراء والمساكين، ومذهب مالك والشافعي، وأحمد والجمهور أن البُر أفضل ثم التمر، قال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ [٧] فإخراجها من أحد هذه الأصناف إذا وجد من يقبله ليقتات به أفضل؛ لأن فيه موافقة للسنة، واحتياط للدين. فإن لم توجد فبقية أقوات البلد سواها.

وذهب بعض أهل العلم - وهو قول مالك والشافعي وأحمد وغيرهم - إلى أنه يجزئ كل حبّ وثمر يقتات، ولو لم تعدم الخمسة المذكورة في الحديث، وهو اختيار شيخ

---

(١) البخاري الزكاة (١٤٣٧)، الترمذي الزكاة (٦٧٣)، النسائي الزكاة (٢٥١٣)، أبو داود الزكاة (١٦١٦)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٩)، أحمد (٣/٩٨)، مالك الزكاة (٦٢٨)، الدارمي الزكاة (١٦٦٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٥١٠).
(٣) البخاري الزكاة (١٤٣٩).
(٤) أخرجه البخاري (١٥١٠).
(٥) أخرجه البخاري (١٥١١).
(٦) أخرجه البخاري (١٥١١) ومالك في الموطأ (١ ٢٨٤).
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

الإسلام ابن تيمية، واحتج له بقوله تعالى: ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ [(١)]

وبقوله ﷺ : ﴿ صاعا من طعام ﴾ [(٢)] [(٣)] والطعام قد يكون برّا أو شعيرا. وقال: "هو قول كثير العلماء، وأصح الأقوال، فإن الأصل في الصدقات أنا تجب على وجه المساواة للفقراء ".

وقال ابن القيم رحمه الله: "وهو الصواب الذي لا يقال بغيره، إذ المقصود سدّ خُلة المساكين يوم العيد، ومواساتم من جنس ما يقتات أهل بلدهم، لقوله ﷺ ﴿ أغنوهم في هذا اليوم عن الطواف ﴾ [(٤)] .

٧- المقدار الواجب في الفطرة

ثبت في الأحاديث الصحيحـة أن النبي ﷺ ﴿ فرض زكاة الفطر صاعا... ﴾ [(٥)] [(٦)] والمراد به صاع النبي ﷺ وهو أربعة أمداد. والمدّ: ملء كفي الرجل المتوسط اليدين من البر الجيد ونحوه من الحب. وهو كيلوان ونصف على وجه التقريب، وما زاد على القدر الواجب فهو من الصدقة العامة، وقد قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

(٢) البخاري الزكاة (١٤٣٥)، مسلم الزكاة (٩٨٥)، الترمذي الزكاة (٦٧٣)، النسائي الزكاة (٢٥١٣)، أبو داود الزكاة (١٦١٦)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٩)، أحمد (٩٨/٣)، مالك الزكاة (٦٢٨)، الدارمي الزكاة (١٦٦٤).

(٣) جزء من حديث أبي سعيد الخدري سبق تخريجه صفحة (٧٥).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه والـدارقطني (٢ ١٥٣) والبيهقي (٤ ١٧٥). وضعفـه الألباني في الإرواء رقـم (٨٤٤). عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٥) البخاري الزكاة (١٤٣٢)، مسلم الزكاة (٩٨٤)، الترمذي الزكاة (٦٧٦)، النسائي الزكاة (٢٥٠٤)، أبو داود الزكاة (١٦١١)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٦)، أحمد (٦٦/٢)، مالك الزكاة (٦٢٧)، الدارمي الزكاة (١٦٦١).

(٦) سبق تخريجه صفحة (٦٨).

﴿يَرَهُۥ ۞﴾ [1].

٨- وقت إخراج الزكاة

لإخراج زكاة الفطر وقتان:

الأول: وقتُ فضيلة، ويبدأ من غروب الشمس ليلة العيد إلى العيد، وأفضله ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد. لما ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر...» [2] الحديث وفيه قال: وأمر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة" [3] وتقدم تفسير - بعض السلف - قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۞﴾ [4] أنه الرجل يقدّم زكاته يوم الفطر بين يدي صلاته.

الثاني: وقتُ إجزاء، وهو قبل العيد بيوم أو يومين لما في صحيح البخاري رحمه الله قال: «وكانوا - يعني الصحابة - يعطون - أي المساكين - قبل الفطر بيوم أو يومين» [5] [6] فكان إجماعا منهم.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «فمن أدّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة،

---

(١) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

(٢) البخاري الزكاة (١٤٣٢)، مسلم الزكاة (٩٨٤)، الترمذي الزكاة (٦٧٦)، النسائي الزكاة (٢٥٠٤)، أبو داود الزكاة (١٦١١)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٦)، أحمد (٦٦/٢)، مالك الزكاة (٦٢٧)، الدارمي الزكاة (١٦٦١).

(٣) سبق تخريجه صفحة (٦٨).

(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤ ، ١٥.

(٥) البخاري الزكاة (١٤٤٠).

(٦) أخرجه البخاري (١٥١١). قال مالك: وذلك واسع إن شاء الله أن تؤدى قبل الغدو من يوم الفطر وبعده. الموطأ (١ ٢٨٥).

ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات ﴾ [1] رواه أبو داود وغيره [2] .

قال ابن القيم رحمه الله: "مقتضاه أنه لا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد". قلت: يعني من غير عذر وأنا تفوت بالفراغ من الصلاة.

وقال شيخ الإسلام: "إن أخرها بعد صلاة العيد فهي قضاء، ولا تسقط بخروج الوقت".

وقال غيره: اتفق الفقهاء على أنا لا تسقط عن من وجبت عليه بتأخيرها، وهي دين عليه حتى يؤديها، وأن تأخيرها عن يوم العيد حرام، ويقضيها آثما إجماعا إذا أخرها عمدا.

٩- لمن تعطى صدقة الفطر

في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين ﴾ [3] [4] ففي هذا الحديث أنا تُصرف للمساكين دون غيرهم. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لا يجوز دفعها إلا لمن يستحق الكفارة، وهم الآخذون لحاجة أنفسهم".

ويجوز أن يعطي الجماعة أو أهل بيت زكاتم لمسكين واحد، وأن تقسم صدقة الواحد على أكثر من مسكين للحاجة الشديدة. ولكن ينبغي أن تسلم لنفس المسكين أو لوكيله المفوض في استلامها من قبله.

١٠- إخراج قيمة زكاة الفطر

لا يجوز إخراج قيمة زكاة الفطر بدلا عنها، لنص النبي ﷺ على أنواع الأطعمة مع

---

(١) أبو داود الزكاة (١٦٠٩)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٧).

(٢) سبق تخريجه صفحة (٦٨).

(٣) البخاري الزكاة (١٤٣٢)، مسلم الزكاة (٩٨٤)، الترمذي الزكاة (٦٧٦)، النسائي الزكاة (٢٥٠٤)، أبو داود الزكاة (١٦١١)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٦)، أحمد (٦٦/٢)، مالك الزكاة (٦٢٧)، الدارمي الزكاة (١٦٦١).

(٤) سبق تخريجه صفحة (٦٨).

وجود قيمتها. فلو كانت القيمة مُجزئة لبين ذلك النبي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم؛ فإنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. وكذلك فإنه لا يُعلَم أن أحدا من أصحاب النبي ﷺ أخرج زكاة الفطر نقودا مع إمكان ذلك في زمانهم - وهم أعرف بسنته وأحرص على اتباع طريقته. وأيضا فإن إخراج القيمة يفضي إلى خفاء هذه الشعيرة العظيمة، وجهل الناس بأحكامها، واستهانتهم بها.

قال الإمام أحمد: "لا يعطي القيمة". قيل له: قوم يقولون: عمر بن عبد العزيز كان يأخذ القيمة؛ قال: يَدَعُونَ قول رسول الله ﷺ ويقولون: قال فلان. وقد قال ابن عمر: ﴿ فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر ﴾ [1] [2].

١١- نقل زكاة الفطر من بلد الشخص إلى بلد آخر

الأصل أن الشخص يدفع زكاة فطره لفقراء البلد الذي يدركه عيد الفطر وهو فيه، وهي إنما تجب بغروب الشمس ليلة العيد، ونقلها إلى بلد آخر يفضي إلى تأخير تسليمها في وقتها المشروع، وربما أفضى إلى إخراج القيمة وإلى خفاء تلك الشعيرة، وجهل الناس بسنة النبي ﷺ فيها، ولم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أحد من خلفائه الراشدين ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم - فيما أعلم - أنم نقلوها من المدينة إلى غيرها.

وبناءً عليه فنقلُها في هذا الزمان من مجتمع إلى آخر، والذي يدعو إليه بعض الناس ويرغب فيه، معدود من الأعمال المحدَثة التي يجب الحذر منها والبعد عنها، وتنبيه الناس على ما فيه من المخالفة. والله المستعان.

أما كون الإنسان يوكل أهله أن يخرجوا الزكاة في بلدهم وهو في بلد آخر فليس من هذا الباب، فإن الكلام في نقل زكوات بعض أهل بلد إلى بلد آخر، فإنه هو الذي قد تترتب عليه المحاذير السابقة.

---

(١) البخاري الزكاة (١٤٣٢)، مسلم الزكاة (٩٨٤)، الترمذي الزكاة (٦٧٦)، النسائي الزكاة (٢٥٠٤)، أبو داود الزكاة (١٦١١)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٦)، أحمد (٢/٦٦)، مالك الزكاة (٦٢٧)، الدارمي الزكاة (١٦٦١).

(٢) سبق تخريجه صفحة (٦٨).

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

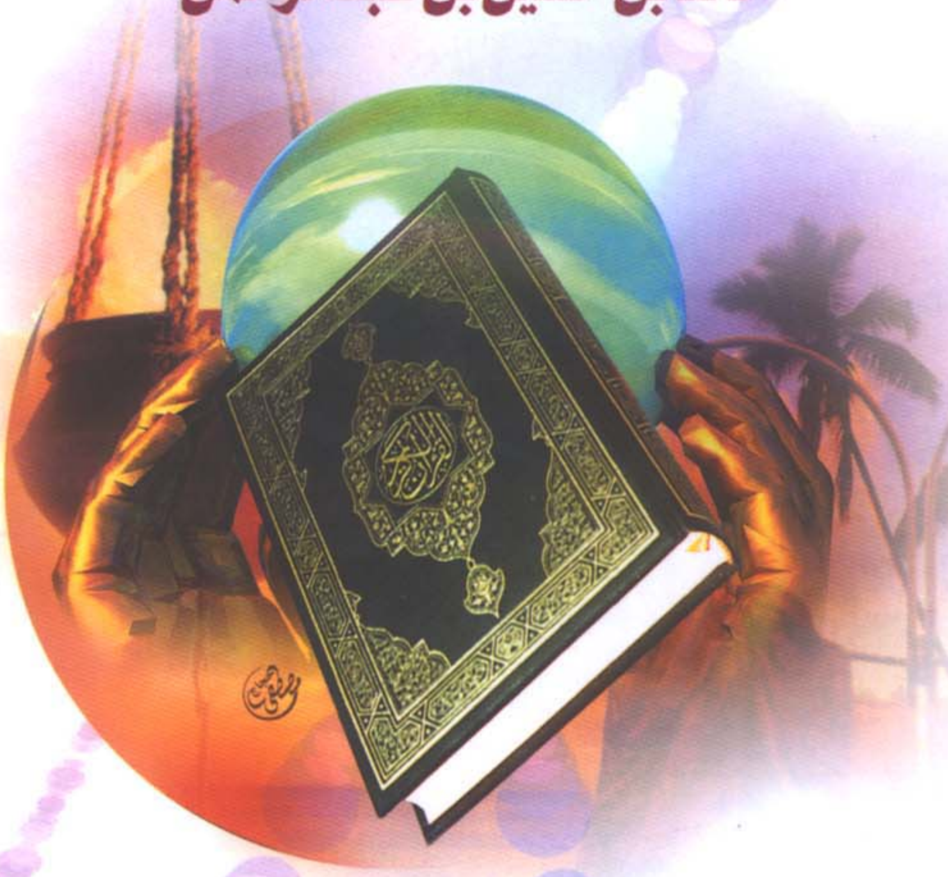
الفهرس

٢٥ ر.س

جليسك في رمضان

سنن • آداب • فضائل • مخالفات

خالد بن حسين بن عبدالرحمن



الطبعة الأولى

ر طويق للنشر والتوزيع

جليسك في رمضان

سنن - آداب - فضائل - مخالفات

تأليف

أبي عبد الرحمن خالد بن حسين بن عبد الرحمن

الجزء الأول

الناشر

دار طويق للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

جليسك في رمضان

سنن - آداب - فضائل - مخالفات

الطّبعَـة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

دار طـويق للنشـر والتوزيـع
ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥
ت: ٢٤٩١٣٧٤ - ٢٤٨٦٦٧٧ - ٢٤٨٦٦٨٨
بريد الكتروني: E-mail: dartwaiq@zajil.net

مكتب القاهـرة
هاتف : ٤٥٩٤٦٧٩
محمول : ٠١٢٢٩٦٤٨٣٦
مساكن كورنيش النيل مدخل (٥) شقة (١)
روض الفرج

إهداء

- **إلى** كل مسلم ومسلمة أرادوا وجه الله والدار الآخرة.
- **إلى** الصائمين بالنهار إيماناً والقائمين بالليل احتساباً في رمضان.
- **إلى** الصائمات القانتات القائمات في جنح الليل يبتهلن إلى رب الأرض والسموات في رمضان.
- **إلى** البطون الجائعة والشفاه الذابلة والقلوب الذاكرة في رمضان.
- **إلى** من سكبوا العبرات، وتعالت منهم الصيحات وارتفعت منهم الآهات في ليالي رمضان.
- **إلى** الذاكرين الله كثيراً والذاكرات في رمضان.
- **إلى** الأخ الحبيب والشيخ الألمعي الأديب، صاحب الإحساس المرهف والقلب الكبير، والوجه الطلق الشيخ أحمد سالم بادويلان ـ حفظه الله ـ فهو صاحب فكرة هذا الكتاب. فإليه أهدي هذا الجهد المتواضع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعـد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

وبعـــد:

فهذا بحث متواضع في موضوع مهم جداً، وقد كتب فيه كثير من أهل العلم، ومساهمة في هذا الباب قمت بجمع مادة هذا البحث وهو عن شهر رمضان المبارك، وسلكت فيه مسلك اليسر والسهولة في سرد الأحكام وما يتعلق بهذا الشهر من سنن وآداب وأخطاء ومخالفات يقع فيها بعض الصائمين.

وكانت مادة هذا الكتاب مستمدة من الوحيين، الكتاب الخالد الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾ [فصلت:٤٢]. والسُنة الصحيحة[١] الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي من صفاته ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم:٣-٤].

---

(١) لقد اجتهدت قدر المستطاع أن لا أذكر في هذا البحث من الأحاديث إلا ما صح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وربما ذكرت بعض الأحاديث المنازع فيها بين الصحة والضعف، وهي قليلة، لكن أغلب الأحاديث فهي مما يحتج بها إن شاء الله، والله أعلم.

وأقوال أهل العلم قديماً وحديثاً، مبتدءاً بالصحابة الكرام، ومنتهياً بعلماء عصرنا أمثال الإمام ابن باز رحمه الله ومحدث العصر الألباني رحمه الله وعلامة القصيم ابن عثيمين، وابن جبرين وغيرهم رحم الله من مات وحفظ الله من بقي.

وسميته (**جليسك في رمضان**) وقد بذلت قصارى جهدي أن آتي فيه بأهم الأشياء التي يحتاجها الصائم في صيامه حتى يكون صيامه صحيحاً مقبولاً إن شاء الله، وحتى يكون اسمه موافقاً لمسماه.

وقد جعلت هذا الكتاب من جزئين ويتكون الجزء الأول من الأبواب التالية:

- الباب الأول في : وقفة للمحاسبة.
- الباب الثاني في : رسالة عاجلة إلى من أدرك رمضان.
- الباب الثالث في : أبواب الخير في رمضان.
- الباب الرابع في : فضائل شهر رمضان.
- الباب الخامس في : الصيام أحكام وآداب وفضائل وسنن.

أما الجزء الثاني فيتكون من الأبواب التالية:

- الباب السادس في : صفة صوم النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان.
- الباب السابع في : صوم الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم.
- الباب الثامن في : أخطاء ومخالفات شائعة تتعلق بشهر رمضان.
- الباب التاسع في : فضل العشر الأواخر والاعتكاف.
- الباب العاشر في : فضل ليلة القدر.

- الباب الحادي عشر في : دمعة حارة على رحيل رمضان.
- الباب الثاني عشر في : زكاة الفطر والعيد آداب وأحكام ومخالفات.
- الباب الثالث عشر في : ماذا بعد رمضان؟
- خاتمة.
- الفهرس.

ويتخلل بين كل باب وباب أو بين فصول الباب الواحد استراحة، نأتي فيها بقصة أو نادرة أو طرفة أو فكاهة أو شيء مما يُستملح، وكان الهدف من ذلك الترويح عن النفس بما هو مباح.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أشكر المولى سبحانه جل وعلا بأن منَّ عليَّ ويسر لي الكتابة في هذا الموضوع الطيب المبارك. فأسأله سبحانه وتعالى كما يسر لي الكتابة فيه وجمع مادته على نحو ما تقدم أن يتقبله مني خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرفع به الدرجات ويثقل به الموازين إنه ولي ذلك والقادر عليه ومولاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أبو عبد الرحمن خالد بن حسين بن عبد الرحمن

وقفة للمحاسبة

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، هو الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه المرجع والمآب.

وأشهد أن لا إله إلا الله، الواحد الأحد الفرد الصمد، لا رب غيره ولا معبود بحق سواه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام الهدى ومصباح الدجى صلى الله عليه ما فاحت الأزهار، وما أشرقت الأنوار، وما تعاقب الليل والنهار. وسلم تسليماً كثيراً.

وأرض اللهم عن الصحابة الأخيار السادة الأبرار ومن سار على نهجهم وسلك طريقهم إلى يوم القرار.

أما بعد:

يقول الله جل ذكره: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَـٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَـٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١ ﴾[1].

(١) سورة المنافقون آية (٩ إلى ١١).

أخي في الله.. أختي المسلمة. إن من نظر إلى الدنيا بعين البصيرة لا بعين البصر المبهرج أيقن أن نعيمها ابتلاء، وحياتها عناء وعيشتها نكد وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، فالدنيا إما نعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية عاجلة أو آجلة.

وأقول: إن الدنيا إذا أقبلت يوماً أدبرت أعواماً، وإذا نعت يوماً أينعت سنيناً وإذا حلت يوماً أوحلت أعواماً، وإذا ضحكت يوماً أضحكت وأبكت دهوراً، وإذا فرَّحت يوماً أحزنت أعواماً. وإذا أسعدت يوماً أشقت سنيناً.

فكثيرها قليل، وعظيمها حقير، وعمرها قصير، وعزيزها ذليل، وطالبها تعيس وذميم.

من اطمئن إليها أقلقته، ومن ركن إليها زلته، ومن وثق بها خانته ومن استعان بها تركته، ومن استنصر بها خذلته، ومن فرح بها أحزنته ومن أراد الوصال هجرته، ومن أراد القرب أبعدته.

نعم: مسكين ابن آدم! رضي بدار حلالها حساب، وحرامها عقاب إن أخذه من حله حوسب عليه، وإن أخذه من حرام عذب به، ومن استغنى فيها فُتن، ومن افتقر فيها حزن، من أحبها أذلته، ومن نظر إليها أعمته، والناس فيها طائفتان:

طائفة فطناء علموا أنها ظل زائل، ونعيم حائل، وأضغاث أحلام، بل فهموا أنها نِعمٌ في طيها نِقمٌ، وعرفوا أن هذه الحياة الدنيا الفانية إنما هي

طريق إلى الحياة الباقية، فرضوا منها باليسير، وقنعوا فيها بالقليل، فاستراحت قلوبهم وأبدانهم، وسلم لهم منها دينهم، وكانوا عند الله تعالى من المحمودين، لم تشغلهم دنياهم عن طاعة مولاهم، جعلوا النفس الأخير وما وراءه نصب أعينهم، فلا يصرفهم عن ذلك صارف ولا يشغلهم عنه شاغل، وتدبروا ماذا يكون مصيرهم وفكروا كيف يخرجون من الدنيا وإيمانهم سالم لهم، وما الذي يبقى معهم منها في قبورهم، وما الذي يتركوه لأعدائهم(١). في الدنيا، ومن لا يغنيهم من الله شيئاً يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، ويبقى عليهم وباله ونكاله وتبعته، أدركوا كل هذا، فتأهبوا للسفر، وأعدوا الجواب للحساب، وقدموا الزاد ليوم المعاد (وخير الزاد التقوى) فطوبى(٢) لهم خافوا فأمنوا، وأحسنوا ففازوا.

وطائفة أخرى جهلاء: عميٌّ البصائر منتكسي الفطرة قليلي العقل سقيمي الفهم، محدودي الفكر والنظر، لم ينظروا في أمر الدنيا، ولم يتكشفوا سوء حالها ومآلها، برزت لهم بزينتها ففتنتهم، فإليها أخلدوا،

---

(١) من الأزواج والأولاد: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ [سورة التغابن:الآية ١٤].

(٢) قيل إن طوبى: شجرة في الجنة، وقيل هي منزلة في الجنة وقيل غير ذلك من الأقوال والله أعلم بالصواب.

وبها رضوا، ولها اطمأنوا، حتى ألهتهم عن الله تعالى وشغلتهم عن ذكره وطاعته، ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.(١)

نعم: إنهم نسوا الله، أهملوا حقوقه وفرطوا في أداء واجباته، وما قدروه حق قدره ولم يراعوا حدوده ولم يأتمروا بأوامره ولم ينتهوا بنهيه وذلك لانهماكهم في الدنيا وانشغالهم بها فكانت النتيجة ﴿ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ ﴾ والجزاء من جنس العمل، جعلهم بسبب انشغالهم بالدنيا وحرصهم وعكوفهم عليها، ناسين لأنفسهم حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها وسيرون يوم القيامة من الأهوال ما ينسيهم أرواحهم ويجعلهم حيارى ذاهلين ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾(٢) وفي ذلك يقول بعض العارفين: (اجتهادك فيما ضمن لك مع تقصيرك فيما طلب منك، دليل على انطماس البصيرة منك).

نعم: أقاموها فهدمتهم، واعتزوا بها من دون الله فأذلتهم، أكثروا فيها من الآمال، وأحبوا طويل الآجال، ونسوا الموت وما وراءه من أهوال

---

(١) سورة الحشر، آية (١٩).

(٢) سورة الحج، آية (٢).

ومخاوف، فخاب أملـهم، وضـل سـعيهم وخسـروا الدنيـا ولم يدركـوا الآخرة.

ركنـــوا إلى الدنيـــا الدنيـــة وتبـــوؤا الرتـــب العليـــة
حـــتى إذا غـــروا بهـــا صرعتـــهم أيـــد المنيـــة

أخي في الله.. أختي المسلمة: إن مما يروى من وصايا النبي صلـى الله عليه وسلم وبليغ عظاته أنه قال: (أيها النـاس! أيقنوا مـن الدنيا بالفنـاء ومن الآخرة بالبقاء، واعملوا لما بعد الموت، فكأنكم بالدنيا كأن لم تكن، وبالآخرة كأن لم تزل، إن من في الدنيا ضيف، وما في يده عارية، وإن الضيف مرتحل، والعارية مردودة، فرحم الله إمرءاً نظر لنفسه، ومـهد لرمسه ما دام سنه مرخي، وحبله على غاربه، ملقى قبل أن ينفد أجله وينقطع عمله، ألا وإن دنياكم سريعة الذهاب وشيكة الانقلاب، فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها، واهجروا عزيز عاجلها لكريه آجلها، ولا تسعوا في عمران دار قد قضى الله خرابها، ولا تواصلوها، وقد أراد الله منكم اجتنابها، بل اسعوا في عمـران آخرتكـم، واجتـهدوا في تكميلـها وتحسينها قبل انتقالكم، فإن قصـور الجنة وبسـاتينها تُعَد وتُهيـأ بحسب ما تقدمون من صالح الأعمال والأقوال، ومن فاته منزله في الجنة فليس له إلا النار دار الإهانة والنكال، فإن الناس يوم القيامة يصيرون إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير)أ.هـ.

وروى عنه صلى الله عليه وسلم في موعظة أخرى قوله: (فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت، والذي نفس محمد بيده، ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار)(١).

أخي في الله.. أختي المسلمة: إن من غفل عن نفسه تصرمت أوقاته واشتدت عليه حسراته، وأي حسرة على العبد أعظم من أن يكون عمره عليه حجة، وتقوده أيامه إلى مزيد من الردى والشقوة، إن الزمان وتقلباته أنصح المؤدبين، وإن الدهر بقوارعه أفصح المتكلمين، فانتبهوا بإيقاظه، واعتبروا بألفاظه، ورد في الأثر: (أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا).

أخي في الله: هل تذكرت الموت وسكراته؟! وشدة هوله وكرباته؟!، وشدة نزع الروح منك؟! فإن الموت كما قيل: أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض.

فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه ومن حاكم ما أعدله، فالموت حتم لا محيص عنه، ولا مفر منه، يصل إلينا في بطون الأودية، وعلى رؤوس الجبال،

---

(١) قلت: معظم أسانيد المواعظ التي نُسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم تسلم من مقال وفيها نظر إلا النذر القليل منها فانتبه! والكلام في معناه صحيح وإن لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم. والله أعلم.

وفوق الهــواء وتحـت المـاء وبين القــلاع المنيعــة، والحصـــون المتينـــة: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (١) ولـو نجا أحد من الموت لبسطه في جسمه، وقوة في بدنه أو وفرة في ماله، أو سعة في سلطانه وملكه وجاهه، لنجا من الموت كثير من الناس، وإلا فأين عـاد وثمود وفرعـون ذو الأوتـاد؟! أيـن الأكاسـرة والقيـاصرة؟ أيـن الجبـابرة والصناديد الأبطال؟! نقلوا بعظمة الموت من القصور إلى القبور ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مقاساة الهوام والديـدان، ومـن التنعـم بطيـب الطعـام والشـراب إلى التمـرغ في الوحـل والتراب، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل، فانظر: هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً؟! فسبحان الذي يحيي ويميت، وهو حي باق لا يموت.

فالموت لا يخشى أحد ولا يبقى على أحد، ولا تأخذه شفقة لأحـد، ينتزع الطفـل مـن حضـن أمـه، ويـهجم علـى الشـاب الفـتي، والفـارس القوي، ويداهم الذكي العبقري، ويسطو علـى صـاحب الجـاه والسـلطان ويأخذ الشيخ الهرم والشيخة الفانية، وصـدق الله حيـث يقـول: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (٢). نعـم: (كـل نفس ذائقــة المـوت) لا فـرق بين

(١) سورة النساء، آية (٧٨).

(٢) سورة آل عمران، آية (١٨٥).

نفس ونفس، لا فرق بين صغير وكبير، وعظيم وحقير وغني وفقير ورفيع ووضيع ولا رئيس ومرءوس، ولا آمر ومأمور، ولا مالك ومملوك.

يا نفس قد أزف الرحيل ... وأظلك الخطب الجليل
فتأهبي يا نفس ... لا يلعب بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزل ينسى ... الخليل فيه الخليل
وليركبن عليك فيه من ... الثرى ثقل ثقيل
كان الفناء لنا جميعا ... فلا يبقى العزيز ولا الذليل

نعم: لا يبقى العزيز ولا الذليل! أين الأكاسرة؟ أين الجبابرة؟ أين القياصرة، أين الفراعنة؟! أين من قال: أنا ربكم الأعلى؟ أين من قال: ما علمت لكم من إله غيري؟! أين الظالمون وأعوانهم؟ أين عاد وثمود؟!

أين الذين دوخوا الدنيا بسطوتهم
وذكرهم في الورى ظلمٌ وطغيان
هل أبقى الموت ذي عز لعزته؟!
أم هل نجا منهم بالسلطان إنسانُ؟!
فلا والذي خلق الأكوان من عدم
الكل يفنى فلا إنس ولا جان

فيا أخي الكريم: كفى بالموت مقرحاً للقلوب، ومبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات، وهادماً للذات، وقاطعاً للأمنيات، فهل تفكرت

يا ابن آدم في يوم مصرعك؟! وانتقالك من موضعك؟! وإذا نُقِلتَ من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأُخِذْت من فراشك وغطائك إلى الحفر! وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر، فيا جامع المال، والمجتهد في البنيان، ليس لك من مال إلا الأكفان، بل هي والله للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب فأين الذي جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟! كلا بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمْت بأوزارك إلا من لا يعذرك.

يا متعب الجسم كم تسعى لراحته ... أتعبت جسمك فيما فيه خسران
أقبل على الروح واستكمل فضائلها ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان
ويا حريصاً على الأموال يجمعها ... أقصر فإن سرور المال أحزان
والزم يديك بحبل الله معتصماً ... فإنه الركن إن خانتك أركان

فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده والجنة أو النار مورده أن لا يكون له فكر إلا في ذلك ولا استعداد إلا له، قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فرحاً، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت في عينه الدنيا، وهان عليه كل ما فيها».

ونظر ابن مطيع ـ رحمه الله ـ يوماً إلى داره فأعجبه حُسنها ثم بكى وقال: «والله لولا الموت لكنتُ بك مسروراً، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا».

وقال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: «ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل، تضعونه في صدع الأرض، قد توسد التراب، وخلف الأحباب وقطع الأسباب».

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى يبقى بشاشته ... يبقى الإله ويفنى المال والولد

لم تغني عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد

أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد؟!

حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من وردە يوماً كما وردوا

أخي في الله: لو لم يكن بين العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن ينغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره، ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره، ويعظم له استعداده، ويقف مع نفسه وقفة للمحاسبة الجادة التي تهون عليه شيء من هذا، لا سيما وهو في كل نفس بصدده، فالموت كما قيل: (كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يده المباركة فيها ويمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات» ثم نصب صلى الله عليه وسلم يده وجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قُبض صلى الله عليه وسلم ومالت يده[1].

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علو مكانته وعظيم قدره وجليل شرفه وسمو منزلته عند الله سبحانه وتقدس، فهو أحب خلق الله إلى الله، وهو سيد ولد آدم ولا فخر! وهو إمام المتقين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، وأول شافع وأول مشفع يوم الدين، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، واللواء المعقود، وصاحب الشفاعة العظمى يوم العرض على أحكم الحاكمين، ومع ذلك فقد وقع به من شدة الموت وسكراته وكرباته ما الله به عليم! فكيف بي وبك أنت أيها المسكين؟! فحري بنا أن نبكي طيلة عمرنا على ما سينزل بنا عند الموت نسأل الله العافية.

أخي : إن الموت ليس له سن معلوم، ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم ولا علامة مميزة، وذلك ليكون المرء على أهبة لذلك ومستعداً لهذا اليوم العصيب. وكان بعض السلف من الصالحين ينادي بليل على سور

---

(١) رواه البخاري وغيره.

المدينة: (الرحيل الرحيل) فلما مات فُقد صوته أمير المدينة، فسأل عنه فقيل: إنه قد مات. فقال منشداً:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره حتى أناخ برحله الجمال
فأصابه متيقظاً متشمراً ذا أهبة لم تلهه الآمال

وكان يزيد الرقاشي - رحمه الله - يقول لنفسه: «ويحك يا يزيد، من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ مَنْ الموت طالبه، والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر، كيف يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشياً عليه».

أخي المسلم المبارك.. أختي المسلمة: هل تذكرت القبر وظلمته، وضيقه ووحشته، هل تذكرت ذلك المكان الضيق، الذي يضم بين جوانبه جثث الموتى من عظيم وحقير، وحكيم وسفيه، وصالح وطالح ورئيس ومرؤوس و... والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وإما دار كرامة وسعادة أو دار إهانة وشقاوة، فوا عجباً لأهل المعاصي والذنوب كيف هم مصرون على المعاصي ولا يقلعون؟!، وهم يعلمون أنهم إلى القبور صائرون! ثم وا عجباً لأهل الغفلة والأعراض كيف لا

ينتبهون من غفلتهم ويستيقظون من سباتهم وهم يعلمون أنهم غداً في بطون اللحود مقيمون؟!.

أخي: هل تذكرت أول ليلة في القبر؟! حيث لا أنيس ولا جليس ولا صديق، ولا رفيق، ولا زوجة، ولا أطفال، ولا أقارب ولا أعوان، ولا خلان ولا أحوال، ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾[1].

فارقت موضع مرقدي ... يوماً ففارقني السكون
القبر أول ليلة ... بالله قل لي ما يكون

لما رجع علي - رضي الله عنه - من صفين وأشرف على القبور قال: «يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق، أما الدور فقد سُكنت، وأما الأزواج فقد نُكِحتْ، وأما الأموال فقد قُسِّمتْ، هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟!» ثم التفت إلى أصحابه فقال: «أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى».

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - لبعض جلسائه: (.. يا فلان! لقد أرقت الليلة أتفكر في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد

---

(١) سورة الأنعام، آية (٦٢).

ثلاثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد، وتخترقه الديدان مع تغير الريح، ويلى الأكفان بعد حسن الهيئة، وطيب الريح ونقاء الثوب).

فيا أخي الحبيب... تخيل نفسك بعد ثلاثة أيام وأنت في قبرك، وقد جُرِّدت من الثياب، وتوسدت التراب، وفارقت الأحباب، وتركت الأصحاب ولم يكن معك جليس ولا أنيس إلا عملك الذي قدمته في الدنيا، فماذا تحب أن تقدم لنفسك وأنت في زمن الإمهال حتى تجده في انتظارك يوم انتقالك إلى قبرك! ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِالعباد ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

والله لو عاش الفتى في عمره ... ألفا من الأعوام مالك أمره
متنعما فيها بكل لذيذة ... متلذذاً فيها بسكنى قصره
لا يعتريه الهم طول حياته ... كلا ولا ترد الهموم بصدره
ما كان ذلك كله في أن يفي ... فيها بأول ليلة في قبره

وعن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ قال: رأيت رجلاً يبكي قلت: وما يبكيك؟ قال: أبكاني كلامه، فقلت: وما هو؟ قال: كنا وقوفاً في المقابر، فأنشد:

---

(١) سورة آل عمران، آية (٣٠).

أتيـــت القبـــور فســاءلتها أيـــن الـــمعظم والمحتقـــر؟!
وأيـــن الـــمـــذل بسلطانه وأين القـــوي علـــى مـــا قـــدر؟!
تفانوا جميعاً فما مخـــبـــر وماتـــوا جميعـــاً ومـــات الخـــبر
فيا ســـائلي عـــن أنـــاس مضـــوا أما لـــك فيمـــا مضـــى معتـــبر؟!
تـــروح وتغـــدو بـــذاك الـــثرى فتمحـــى محاســـن تلـــك الصـــور

أخي في الله: هل تذكرت النفخ في الصور؟! والبعث يوم النشور؟! وتطاير الصحف! والعرض على الجبار ـ جل جلاله ـ والسؤال عن القليل والكثير والصغير والكبير، والفتيل والقطمير! ونصب الموازين لمعرفة المقادير! ثم جواز الصراط، ثم انتظار النداء عند فصل القضاء! إما بالسعادة وإما بالشقاوة!.

أخي: فمثل نفسك وقد بعثت من قبرك مبهوتاً من شدة الصاعقة شاخص العين نحو النداء، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور مفزوعين من شدة النفخ، ووقفوا في ذل وانكسار منتظرين بما يقضي عليهم، فكيف حالك وحال قلبك؟! فالقلوب منفطرة والأبصار شاخصة والأعناق منكسرة، فتأمل يا مسكين في طول هذا اليوم، وشدة الانتظار فيه، والخجل والحياء من الافتضاح عند العرض على الجبار جل جلاله ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر، أرض بيضاء قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا. قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد»[١].

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾[٢] قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: (ما يحشرون والله على أرجلهم ـ أي المؤمنين ـ ولكن على نوق رحالها الذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت)أ.هـ.

أما المجرمين فإنهم يساقون عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش ولا يردون إلى ماء بل إلى جهنم وجحيمها وحميمها، قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾[٣]، فشتان شتان بين الفريقين، وفرقان ما بين الطريقين، أولئك يغدون ركبانا إلى جنات النعيم ورحمة الرحمن الرحيم، وهؤلاء يسحبون على وجوههم سحبا إلى نار الجحيم، ونكالها الأليم، وعذابها المقيم.

هؤلاء في النور ينظرون، وأولئك في ظلمات لا يبصرون! هؤلاء إلى الرحمن يفيدون، وأولئك إلى النار يردون، هؤلاء حلوا أساور من

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٨٥، ٨٦.

(٣) سورة الإسراء، آية: (٩٧).

فضة، وسقاهم ربهم شرابا طهورا، وأولئك غلوا بالسلاسل وعلتهم الزبانية بالمقامع يضربون بطونا منهم وظهورا، وهؤلاء عليهم حلل من سندس واستبرق وسائر الألوان، وأولئك مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار، هؤلاء يقول لهم ربهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وأولئك يقول لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون، وما هم بخارجين من النار.

فحينئذ ظهر الفرقان، وافترق الطريقان وامتاز الفريقان، وصار الغيب شهادة والسر علانية، والمستور مكشوفا، والمخبأ ظاهرا، فريق في الجنة وفريق في السعير، يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت.

فيا أخي المسلم! يا عبد الله! ألم يأن لك أن تدرك حقيقة هذه الدار! أما علمت أن حياتها عناء، ونعيمها ابتلاء، جديدها يبلى، وملكها يفنى ودها منقطع، وخيرها ينتزع، المتعلقون بها على وجل، إما في نعم زائلة أو بلايا نازلة، أو منايا قاضية ﴿ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دار ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة غافر، آية (٣٩).

أخي الحبيب:

إن العمر قصير، والسفر طويل، والزاد قليل والخطر محدق وكبير، والمرء بين حالين: حال قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وآجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه.

وإذا كان الأمر كذلك أخي الحبيب، فعلى صاحب البصر النافذ أن يتزود من نفسه لنفسه، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، ومن صحته لمرضه ومن فراغه لشغله، ومن غناه لفقره، ومن قوته لضعفه، فما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا سوى الجنة أو النار، ومن أصلح ما بينه وبين ربه كفاه ما بينه وبين الناس، ومن صدق في سريرته حسنت علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، فلا بد من وقفة جادة للمحاسبة، والمحاسبة الصادقة ما أورثت عملا صادقا ينجيك من هول المطلع.

فعليك يا عبد الله أن تستدرك ما فات بما بقي، فتعيش ساعتك ويومك، ولا تشتغل بالندم والتحسر من غير عمل، واعلم أن من أصلح ما بقي غفر له ما مضى ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى وما بقي، والموت يأتيك بغتة، فأعط كل لحظة وكل نفس قيمته، فالأيام مطايا، والأنفاس خطوات والصالحات هي رؤوس الأموال، والربح جنات عدن أعدت للمتقين، والخسارة نار تلظى، لا يصلاها إلا الأشقى، وأنت حسيب نفسك.

فيا أخي الحبيب : هل خلوت بنفسك يوماً فحاسبتها عما بدر منها من الأقوال والأفعال؟! وهل حاولت يوماً أن تعد سيئاتك وزلاتك، ومعاصيك كما تعد حسناتك؟! بل هل تأملت يوماً طاعتك التي تفتخر بها ويذكرها، فوجدت أن كثيراً منها مشوباً بالرياء والسمعة وحظوظ النفس؟ فكيف تصبر على هذه الحال، وطريقك محفوف بالمكاره والأخطار؟ وكيف القدوم على الله وأنت محمل بالأثقال والأوزار؟ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1]. وقال صلى الله عليه وسلم : «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم»[2].

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا» وفي رواية «وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر»، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الحاقة، آية: ١٨][3].

---

(١) سورة الحشر، آية (١٨).

(٢) رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه الترمذي في صفة القيامة وقال: حديث حسن.

فحري بك ـ يا عبد الله ـ أن تقف مع نفسك هذه الوقفة وتحاسب نفسك هذه المحاسبة، فما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

ومثل طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما زاد شرباً منه كلما زاد عطشاً حتى يقتله، ولو فكر الطامع في عاقبة الدنيا لقنع، ولو تذكر الجائع فضول مآلها لشبع، فأنت من الشباب إلى الهرم ومن الصحة إلى السقم، ومن الوجود إلى العدم، وكان ميمون بن مهران ـ رحمه الله يقول: يا معشر الشيوخ ما ينتظر من الزرع إذا ابيض؟! قالوا: الحصاد، فنظر إلى الشباب فقال: إن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يُستحصد، وقبيح بالشباب تأخير التوبة، وأقبح منه تأخير الشيوخ، فخذ من صحتك لمرضك، ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لموتك، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وقل لنفسك:

ألا يا نفس ويحك ساعديني   بسعي منك في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي   بطيب العيش في تلك العلالي

❀ ❀ ❀

أقوال في محاسبة النفس

● كتب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى بعض عماله يقول له: «حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والخسارة».

● وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ «لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه ماذا أردت أن تعملين؟ وماذا أردت أن تأكلين؟ وماذا أردت أن تشربين؟ والفاجر يمضي قدماً لا يحاسب نفسه».

● وقال أيضاً: «المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة. إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي جوارحه، مأخوذ عليه في ذلك كله».

● وقال قتادة ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾(١) أضاع نفسه وغبن، مع ذلك تراه حافظاً لماله مضيعاً لدينه.

● وقال ميمون بن مهران ـ رحمه الله ـ «لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوان إن لم تحاسبه ذهب بمالك».

● كان الأحنف بن قيس ـ رضي الله عنه ـ يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه ويقول: «حس يا حنيف، ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟».

● وقال ابن أبي مليكة ـ رحمه الله ـ «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم من أحد يقول إنه على إيمان جبريل ومكائيل».

● وقال مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ «رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبه كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله ـ عز وجل ـ فكان لها قائداً».

● وذكر الإمام أحمد عن وهب قال: مكتوب في حكمه آل داود: «حق على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل

---

(١) سورة الكهف، آية: (٢٨).

ويجمل، فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات واجماماً للقلوب».

فانظر ـ يا رعاك الله ـ كيف حال القوم من العمل والاجتهاد وشدة المحاسبة لأنفسهم! وانظر إلى حالنا!!! ومعرفة الحال تغنيك عن الكلام! أفلا نرعوي ونقتدي بهم؟!!

أقسام محاسبة النفس

ومحاسبة النفس قسمان قسم قبل العمل وقسم بعده.

أما الأول: محاسبة النفس قبل العمل فهو أن يقف العبد عند أول همِّه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.

قال الحسن ـ رحمه الله ـ «رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله مضى وإن كان لغيره توقف».

القسم الثاني: محاسبة النفس بعد العمل.

وهو ثلاثة أنواع:

أحدهما: محاسبة النفس على طاعة قصَّرت فيها في حق الله تعالى، فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي.

وحق الله في الطاعة ستة أمور هي:

١- الإخلاص في العمل. ٢- النصيحة لله فيه.

٣- متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤- شهود مشهد الإحسان فيه.

٥- شهود مِنَّة الله عليه فيه. ٦- شهود تقصيره فيه.

فيحاسب العبد نفسه هل وفىّ هذه المقامات حقها؟

وهل أتى بها جميعاً في هذه الطاعة؟

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد لِمَ فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحاً، أو أراد به الدنيا وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به.

كيفية محاسبة النفس

أخي الحبيب.. فإذا علم ذلك فكيف تكون محاسبة النفس؟

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله أن محاسبة النفس تكون على النحو التالي:

أولاً: البدء بالفرائض، فإذا رأى فيها نقصاً تداركه.

ثانياً: ثم المناهي، فإذا عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

ثالثاً: محاسبة النفس على الغفلة ويتدارك ذلك بالذكر والإقبال على الله.

رابعاً: محاسبة النفس على حركات الجوارح، كلام اللسان، ومشي الرجلين وبطش اليدين، ونظر العينين، وسماع الأذنين، ماذا أردت بهذا؟ ولمن فعلت؟ وعلى أي وجه فعلته؟!.

الأسباب المعينة على محاسبة النفس

أخي الحبيب: اعلم رحمني الله وإياك أن محاسبة النفس أمر عسير عليها وتوجد معوقات كثيرة قد تحول أحياناً كثيرة عن محاسبة النفس، ولكن هناك أمور تعين العبد على هذه المحاسبة وتقوي بواعثها في النفس ومن أبرزها وأهمها:

١- استشعار رقابة الله على العبد واطلاعه على خطاياه، فإذا علم العبد ذلك استيقظ من غفلته وقام من رقاده، وقويت إرادته على محاسبة نفسه ومجاهدتها.

٢- معرفة العبد أنه كلما اجتهد في محاسبة نفسه اليوم استراح من ذلك غداً، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً.

٣- بذكر الحساب الأكبر والسؤال بين يدي الجبار جل جلاله يوم القيامة فإذا علم العبد أنه مسؤول بين يدي الله فيجب أن يعد لكل سؤال جواب ومن هنا. كان العبد أشد محاسبة لنفسه.

٤- معرفة العبد ربح محاسبة النفس، ومراقبتها وهي سكنى الفردوس الأعلى والنظر إلى وجه الرب سبحانه ومجاورة الأنبياء والصالحين وأهل الفضل وأن عدم المحاسبة تفقده هذا كله وتفوته عليه وليس بعد ذلك خسارة.

٥- النظر فيما يؤول إليه من ترك محاسبة النفس ومراقبتها من الهلاك والدمار، ودخول النار والحجاب عن رؤية الرب سبحانه ومجاورة أهل الكفر والضلال والخبث ـ عياذاً بالله.

٦- صحبة الأخيار الذين يحاسبون أنفسهم ويطلعونه على عيوب نفسه وترك صحبة من عداهم.

٧- النظر في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته ومعرفة أخبار وسير أهل المحاسبة والمراقبة من سلفنا الصالح.

٨- زيارة القبور والتأمل في أحوال الموتى الذين لا يستطيعون محاسبة أنفسهم أو تدارك ما فاتهم.

٩- حضور مجالس العلم والوعظ والتذكير، فإنها تدعو إلى محاسبة النفس.

١٠- قيام الليل، وقراءة القرآن بتدبر وخشوع وحضور قلب، والتقرب إلى الله تعالى بأنواع الطاعات.

١١ - البعد عن أماكن اللهو والغفلة والمجون والعربدة فإنها تنسي الإنسان محاسبة نفسه.

١٢ - ذكر الله تعالى ودعاؤه بأن يجعلك من أهل المحاسبة والمراقبة.

١٣ - سوء الظن بالنفس، فإن من حسن ظنه بنفسه نسي عن محاسبتها أو غفل عن ذلك، وربما إذا رأى العبد بسبب حسن ظنه بنفسه أن عيوبه ومساوءه كمالاً وهذا أدعى لعدم المحاسبة[1].

ثمرات محاسبة النفس

أخي في الله: إن من التزم بما سبق فإنه وبفضل الله لا يعدم بأن يجني بعض ثمار تلك المحاسبة سواء في الدنيا أو في الآخرة، وفوائد محاسبة النفس كثيرة جداً ومنها على سبيل المثال لا الحصر.

١ - الاطلاع على عيوب النفس وآفاتها، ومن لم يطلع على عيوب نفسه لم يمكن إزالتها.

٢ - التوبة والندم وتدارك ما فات في زمن الإمكان.

٣ - معرفة حق الله تعالى، فإن أصل محاسبة النفس هو محاسبتها على تفريطها في حق الله تعالى.

٤ - انكسار العبد وذلته بين يدي ربه تبارك وتعالى.

---

(١) انظر كتابنا: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) ص: (١٥، ١٦).

٥- معرفة كرم الله تعالى وعفوه ورحمته بعباده في أنه لم يُعجل عقوبتهم مع ما هم عليه من المعاصي والمخالفات.

٦- مقت النفس والإزراء عليها، والتخلص من العجب والرياء والسمعة.

٧- الاجتهاد في الطاعة وترك العصيان لتسهل عليه المحاسبة فيما بعد.

٨- رد الحقوق إلى أهلها وسل السخائم، وحسن الخلق، وهذه من أعظم ثمرات محاسبة النفس(١).

أخي الكريم: فحق على الحازم العاقل المؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها، وسكناتها وخطراتها وخطواتها فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد، وإضاعة هذه الأنفاس أو شراء صاحبها ما يجلب هلاكه خسران عظيم، لا يسمح بمثله إلا جاهل بل هو من أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلاً وفهماً، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِالعِبَادِ ﴾ (٣٠)(٢)

هذا وصلى الله على محمد وعلى أله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) انظر المصدر السابق. والمغني عن مجالس السوء ج (٣/٤٩).

(٢) سورة آل عمران آية (٣٠).

استراحة

١- إلطموا كما أنتم

ضاع لرجل ولدٌ، فجاؤوا بالنوائح ولطموا عليه، وبقوا على ذلك أياماً، فصعد أبوه يوماً الغرفة، فرآه جالساً في زاوية من زواياها، فقال يا بني أنت بالحياة! أما ترى ما نحن فيه؟!

قال: قد علمت ولكن هاهنا بيض قد قعدت مثل القِرْقة[1] عليه، لا يمكنني أن أبرح[2]، وأريد فُريخات أنا أحبهم. فاطلع أبوه إلى أهله.

فقال: قد وجدت ابني حياً، ولكن لا تقطعوا اللطم عليه، الطموا كما أنتم.

٢- لست من زينة الحياة الدنيا

قيل: نظر أعرابي إلى ولد له قبيح المنظر فقال له: يا بني إنك لست من زينة الحياة الدنيا.

---

(١) القرقة: الدجاجة التي تقعد على بيضها.

(٢) أبرح: أترك المكان.

٣- من كنت أنت ولده فهو بلا ولد

قال رجل لولده وهو في المكتب: في أي سورة أنت؟ قال: لا أقسم بهذا البلد، ووالدي بلا ولد، فقال: لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد.

٤- في عرض مصيبتي فيك

أرسل رجل ولده يشتري له رشاء[١] للبئر طوله عشرون ذراعاً، فوصل الولد إلى نصف الطريق ثم رجع فقال: يا أبتِ عشرون في عرض كم؟ قال الوالد: في عرض مصيبتي فيك.

❊ ❊ ❊

(١) أي حبل.

رسالة عاجلة
إلى
من أدرك رمضان

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان سيد الشهور، وضاعف فيه الحسنات والأجور وأحمده وأشكره فهو الغفور الشكور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم النشور، أرجو برها وذخرها والفوز بها بدار القرار والسرور، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف آمر ومأمور، اللهم صلي عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم وحذى حذوهم وسار على دربهم ونسج على منوالهم إلى يوم البعث والنشور.

أخي المسلم يا من أدرك رمضان:

ما هي إلا أيام قلائل حتى تكتمل دورة الفلك، ويشرق على الدنيا كلها هلال شهر رمضان المبارك، الذي تهفوا إليه قلوب المؤمنين وتتشوق إليه نفوسهم، وتتطلع شوقا إلى بلوغه لتنتظم في جامعته الكبرى، التي تفتح أبوابها كل عام لتستقبل أفواج الصائمين من كل أنحاء المعمورة.

أخي : سنستقبل رمضان بعد أيام ليعيد للقلوب صفاءها، وللنفوس إشراقها، وللضمائر نقاءها، بعدما تكدرت بفتن الحياة، وزحام الدنيا، وتلوثت بالنزوات العابرة، والشهوات العارمة، فجاء رمضان ليبعثها من رقاد ويوقظها من سبات.

عجبا!!! كنا بالأمس القريب نودع شهر رمضان الماضي وكأن صفحاته قد طويت قبل قليل، واليوم نستقبله أنا وأنت والأمة الإسلامية كلها بعد مرور عام!.

عام مضى ذهبت لذته، وبقيت تبعته، نُسيت أفراحه وأتراحه وبقيت حسناته وسيئاته.

نعم أخي المسلم: إن الحياة ستنقضي بأفراحها وأحزانها، وتنتهي الأعمار على طولها وقصرها، فالدنيا مهما عظمت فهي حقيرة ومهما طالت فهي قصيرة والليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال لابد من دخول القبر!

وعندئذ يعود الناس - وأنت منهم - إلى ربهم بعدما أمضوا فترة الامتحان على ظهر هذه الأرض: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تعودون ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ (١).

ثم تصبح الدنيا ذكريات، وهنا من ينتظر رمضان على أمل، وهو لا يدري فقد يباغته الأجل قبل أن يدرك هذا الأمل! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٢).

فيا أخي الحبيب: اتقي الله جل وعلا في جميع الأوقات، واغتنم لحظات العمر ومواسم الخير في التوبة إلى الله تعالى من جميع الخطيئات،

---

(١) سورة الأعراف، آية: (٢٩ - ٣٠).

(٢) سورة لقمان، آية (٣٤).

وسارع إلى جليل القربات، فإن مواسم الخير تمر مر السحاب، وإن العمر إلى نفاذ والعمل الصالح إلى انقطاع، والإنسان ظلوم تقوده الشهوة العارضة إلى الخطيئة، ويشغله المتاع ومحبة الأهل والأولاد عن الطاعة. ويلهيه الأمل المديد عن التوبة حتى يفجأه الموت، وهو على غير استعداد وينقله المنون إلى لحده دون كفاية من مهاد، فيكون عرضة للعذاب من خلل العمل، أو ينفذ إليه لهب النار لخرقه جنة التقوى بالمعاصي.

فيا أخي: كن على حذر أن يأتيك الموت وأنت على غير استعداد فتزود بالطاعات واغتنم مواسم الخيرات وخذ من التقوى زاد ليوم المعاد فإن خير الزاد التقوى.

أخي المسلم يا من أدرك رمضان: إن الله تعالى امتن علينا بشهر عظيم ووافد كريم. كله خير وأفضال، وفرصة للتنافس فيه بصالح الأعمال، قد أظلنا زمانه، وأدركنا أوانه، وإن بلوغ هذا الشهر أمنية عظيمة ونعمة جليلة ومنة من الله جسيمة لمن قدر الله له ذلك. إن بلوغ رمضان أمنية غالية كان يتمناها النبي صلى الله عليه وسلم ويسأل ربه أن يبلغه إياها، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان ويلغنا رمضان».

ذلك الشهر الذي هو من أفضل الشهور على الإطلاق، ذلك الشهر الذي خصه الله بفضائل كثيرة لا تعد ولا تحصى، أهمها أنه شهر تتنزل فيه الرحمات، وتغفر فيه الذنوب والسيئات، وتفتح فيه أبواب الجنان،

وتغلق فيه أبواب النيران، وتصفد فيه مردة الشياطين، فيه ليلة هي خير من ألف شهر، شهر تضاعف فيه الحسنات ويستجيب الله فيه الدعوات وتقال فيه العثرات، فماذا أعددت لهذا الشهر الكريم؟! فاحمد الله حمدا يليق بمنه وفضله أن بلغك هذا الشهر الطيب المبارك.

فاللهم سلمنا إلى رمضان وسلم رمضان لنا، وتسلمه منا متقبلا يا صاحب الفضل والإحسان.

أخي المسلم يا من أدرك رمضان: أبشر نفسي وإياك وأبشر كل مسلم على وجه هذه البسيطة بأشرف الشهور وأزكاها عند الله، والذي أتى بعد طول غياب، ووفد إلينا بعد فراق.

أبشرك أخي كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بحلول شهر رمضان فيقول: «أتاكم رمضان، شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»[1].

نعم إنها بشرى عظيمة، كيف لا يبشر المؤمن بشهر يفتح الله فيه أبواب الجنة؟! كيف لا يبشر المذنب بشهر يغلق الله فيه أبواب النار؟ كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل الله فيه مردة الشياطين؟ كيف لا يبشر العابد

(١) صحيح رواه النسائي والبيهقي.

بليلة هي خير من ألف شهر؟! شهر لا تحصى فضائله ولا تعد فوائده، فكيف لا يبشر به؟!.

أخي يا من أدرك رمضان : ها هو الشهر الكريم سيحل عما قريب بساحتك، ويملأ عليك الدنيا بهجة وسرورا وبركة وخيرا وضياء ونورا، فهذا هو حاله معك وتلك هي بعض مراسيم استقباله لك فما هو حالك أنت أخي معه؟! وما هي استعداداتك ومراسيل استقبالك لهذا الشهر؟!.

أخي يا من أدركت رمضان: احمد الله تعالى بأن أفسح لك في أجلك ومد في عمرك حتى أدركت رمضان، واحمده بأن أدام عليك نعمة الصحة والعافية في بدنك حتى أدركت هذا الشهر.

أخي: أين من كان معك في رمضان الماضي؟! أما أفنته المنون القواضي، أين من كان يصلي معك التراويح معك في الظلم؟! سافر عن داره منذ زمان ولم يعد؟! أين من صبر على الجوع والظمأ معك؟ أين من كانت ترتفع أصواتهم بالدعاء في ليالي رمضان؟! أين.. أين. أين...؟!.

إذا فحق لك بأن يفرح قلبك وينشرح صدرك وتزكو نفسك بقدوم هذا الضيف الكريم.

أخي أدعوك بهذه المناسبة بأن تفتح صفحة جديدة بيضاء مع ربك وإلهك، وأن تسدل الستار على ماض نسيته أنت وأحصاه الله، وبأن تتوب إلى التواب الرحيم من كل ذنب وتقصير وخطيئة، وأن لا تدع هذه الفرصة تفوتك كما فاتتك في السنوات الماضية، فهذا موسم خصب من

مواسم العمل الصالح، والتنافس في الخيرات والإكثار من النوافل وغيرها من القربات التي تقربك من المولى جل جلاله، ثم إلى متى الغفلة والتسويف، وطول الأمل واتباع النفس والهوى والشيطان؟!!

ما أجمل رمضان عندما يكون بداية للتوبة والانابة، وميدانا للتنافس في الطاعات، ذلك الشهر الذي تحط فيه الخطايا وترفع فيه الدرجات وتعتق فيه الرقاب من النيران، وتضاعف فيه الحسنات.

فكم من التائبين المنيبين إلى الله في رمضان؟! وكم من المستغفرين من ذنوبهم في رمضان!! وكم من المشمرين للطاعة في رمضان!! وكم من المستيقظين من سبات نومهم لنور الهداية في رمضان!! وكم من المقلعين عن الذنوب في رمضان!! وكم من النادمين على فعل المعاصي والمودعين لها في رمضان!!

ولذا أدعوك أخي لتنضم إلى قوافل التائبين القاصدة باب من هو غني عن خلقه جميعا، سبحانه، ومتوجهين إلى باب من لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة، وميمين وجوههم إلى باب غافر الذنب وقابل التوب، قبل أن يقفل هذا الباب بطلوع الشمس إلى مغربها، أو بلوغ الروح الحلقوم وعندئذ، لا ينفع الندم ولا يفيد التحسر، فطوبى لمن أجاب فاصاب، وويل لمن طرد عن الباب فما أجاب.

أخي المسلم يا من أدركت رمضان: إن اغتنام مواسم الخير بالجد في العمل الصالح والتوبة إلى الله تعالى مما سلف من القبائح ما يعوض الله به

العاملين عما مضى من نقص في العمل، ويصرف به عقوبة ما اقترف المرء من الذلل ويتجدد به النشاط في الخير، ويزيل به مظهر السآمة والملل، فيتبارى المتنافسون في مضمار السباق مقبلين على الله تعالى من شتى الآفاق ينشدون مغفرة الخطايا والزلات، ويطمعون في جنة عرضها الأرض والسموات عسى أن يكونوا ممن ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١).

إن من أعظم نعم الله عليك أنت أخي أن مد في عمرك، وجعلك تدرك هذا الشهر العظيم، فكم غيب الموت من صاحب، ووارى الثرى من حبيب فإن طول العمر والبقاء على قيد الحياة فرصة للتزود من الطاعات، والتقرب إلى الله عز وجل بالعمل الصالح، فرأس مال المسلم هو عمره لذا فأحرص على أوقاتك وساعاتك حتى لا تضيع سدى، وتذكر من صام معك العام الماضي، وصلى العيد!! ثم أين هو الآن بعد أن غيبه الموت؟! وتخيل أنه خرج إلى الدنيا اليوم فماذا يصنع؟! هل سيسارع إلى النزهة والرحلات؟! أم إلى الانغماس في الملذات والشهوات؟!! أم إلى فعل المحرمات وارتكاب المعاصي والمنهيات؟! كلا - والله - بل سيبحث عن حسنة واحدة، فإن دقيق الحساب شديد، والميزان

(١) سورة التوبة، آية (٢١، ٢٢).

دقيق ومحصى فيه مثقال الذر من الأعمال ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾(١) .

فاجعل أخي الكريم في رمضان نصيبا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغتنم شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل مرضك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» واحرص أن تكون من خيار الناس كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن أبي بكرة - رضي الله عنه - أن رجلا قال: يا رسول الله! أي الناس خير؟ قال صلى الله عليه وسلم: «من طال عمره وحسن عمله» قال: فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله»(٢) .

فرحم الله عبدا سارع إلى طاعة مولاه، وأطرح شهوته وهواه فكان له من الأجر العظيم والنعيم المقيم ما تقر به عيناه ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بالعباد ۝٣٠ ﴾(٣) .

أخي المسلم يا من أدركت رمضان: هل من وقفة صادقة للمحاسبة؟! هل من وقفة جادة للتأمل؟! لعلك أخي تستبين منعطفا

---

(١) سورة الزلزلة، آية (٧ ، ٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم.

(٣) سورة آل عمران آية (٣٠).

تستقيم به على طريق الجادة ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [(١)].

إن شهر رمضان هو شهر مغفرة الذنوب، وستر العيوب، ومضاعفة الأجور، شهر تعتق فيه الرقاب من النيران، وتفتح فيه أبواب الجنان، شهر تتنزل فيه الرحمات، وتتضاعف فيه الحسنات، شهر كله خير وأفضال، وفرصة للتنافس فيه بصالح الأقوال والأفعال والأعمال، شهر قد أظلنا زمانه، وأدركنا أوانه، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ملفتا الأنظار إلى فضله، ويحث المخاطبين واللاحقين إلى اغتنام وقته فقال: «أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه برحمته ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل»[(٢)].

فشهر هذا فضله، وشرفه، وقدره، وتلك منزلته وعلو مكانته عند الله فقل لي بالله عليك كيف يستقبل هذا الوافد الكريم، وهذا الشهر العظيم؟!.

أخي يا من أدركت رمضان: يستقبل شهر رمضان بتهيئة القلب وإصلاحه، فإن أعظم مطلب في هذا الشهر هو إصلاح القلوب، فالقلب الذي مازال مقيما على المعصية يفوته خيرا عظيما، فرمضان شهر القرآن،

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٥).

(٢) قال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير.

والقلوب هي أوعية القرآن، ومستقر الإيمان، فكيف بوعاء لوث بالآثام كيف يتأثر بالقرآن؟!.

وهذا هو التفسير ـ الحقيقي ـ لحالنا، وحال أناس ينتظمون في الصلاة وسرعان ما يتسرب إليهم الملل، وتتملكهم السآمة وآيات الله ـ التي لو أنزلت على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ـ تطرق أسماعهم، وذلك لأن القلوب القاسية لم تتطهر لاستقبال كلام الرحمن. قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم».

فيا أخي المسلم يا من أدركت رمضان: قدم بين يدي رمضان توبة صادقة تصلح القلب وترضي الرب، وتجلب الرحمات وتزيد الخيرات، وتمحو بها الخطايا، وتستبدل بها السيئات بالحسنات.

يستقبل شهر رمضان بتهيئة وتزكية النفوس وتصفيتها وتنقيتها من الضغائن والأحقاد التي خلخلت العرى، وأنهكت القوى، ومزقت المسلمين شر ممزق، فالذي يطل عليه رمضان وينزل بساحته وهو عاق لوالديه قاطع لأرحامه، هاجر لإخوانه، أفعاله قطيعة، ودوره في المجتمع النميمة، أقواله سباب وفسق وزور وبهتان، فهيهات.. هيهات أن يستفيد من رمضان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه»[1]. وقال بعض السلف: أهون الصيام ترك الطعام والشراب. قلت: ومراده ـ رحمه الله ـ

---

(١) رواه البخاري.

أن الصيام ليس ترك الطعام والشراب فحسب فهذا يقدر عليه أي أحد حتى الحيوان، ولكن الصيام الحقيقي أن تصوم الجوارح عن كل ما حرم الله، من غيبة ونميمة وسب وأذى، وسرقة وخيانة وغيرها.

وكان السلف ـ رحمهم الله ـ إذا صاموا جلسوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحدا.

يستقبل شهر رمضان بتطهير المال من الحرام، فالمال الحرام سبب كل بلاء في الدنيا ويوم الجزاء، فلا يستجاب معه دعاء، ولا تفتح له أبواب السماء، فما أفظعها من حسرة وندامة أن تلهج الألسن بالدعاء ولا استجابة، وربنا الرحمن يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1]. فبادر رعاك الله: وانظر في نفسك وابحث في بيتك، وأدخل يدك في جيبك، وتتطهر من كل مال حرام ليس من مالك، حتى تقف بين يدي الله بقلب خاشع، ومال طاهر، ودعاء صادق، يصعد في الفضاء وتفتح له أبواب السماء.

أخرج مسلم ـ رحمه الله ـ في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: (١٨٦).

(٢) رواه مسلم.

يستقبل رمضان على أنه مدرسة لتقوية الإيمان وتهذيب الخلق وتصفية القلب، وتزكية النفس وتقوية الإرادة.

ولكن يا أخي الحبيب - وللأسف - يأتي رمضان وفي الزمن تعساء يستقبلونه على أنه شهر جوع نهاري وشبع ليلي، نوم في الفرش في النهار إلى ما بعد العصر، وسمر في الليل ممتد إلى طلوع الفجر، ليس رمضان عندهم إلا موسم للموائد الزاخرة بألوان الطعام والشراب، ذو العمل منهم يتبرم من عمله، وصاحب التعامل يسيء في تعامله، وذو الوظيفة ثقلت عليه وظيفته.

وجوههم عابسة، وصدورهم ضيقة، وألسنتهم سليطة، وغيظهم حانق، لا يرون في رمضان إلا جوعا لا تتحمله أمعاءهم وعطشا لا تقوى عليه عروقهم، فيا خسارة من كان هذا دأبه، ويا حسرة من هذا شأنه، فو الله لقد حرم الخير الكثير، وفاته الفضل الكبير، حرم لذة الصبر في نهار رمضان، وفقد لذة المناجاة في ساعات الليل الغالية، فلم تفتح له أبواب الجنان، ولم تغلق عنه أبواب النيران، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!.

ويقابل هؤلاء التعساء قوم رضي الله عنهم ورضوا عنه يستقبلون شهرهم ليجددوا فيه صلتهم مع ربهم فيجدون في نهاره لذة الصابرين، ويعيشون فيه عيش الأبطال المجاهدين، ويقطعون ليلهم بلذيذ المناجاة وصادق الابتهالات، إيثار جميل، وصبر كريم، وتهذيب في الخلق نبيل،

لا يقابلون الإساءة بالإساءة، ولا يردون البذاءة بالبذاءة، «وإن سابه أحد أو قاتله قال: إني صائم إني صائم»[١].

فهؤلاء أخي هم الذين تفتح لهم أبواب الجنان في رمضان، وتغلق عنهم أبواب النيران، وتتلقاهم الملائكة ليلة القدر بالبشر والسلام، هؤلاء هم الذين ينسلخ عنهم رمضان مغفورا لهم ذنوبهم، مكفرة عنهم سيئاتهم، مجلوة قلوبهم طيبة نفوسهم، مجددة بقوة الإيمان عزائمهم، قد مسح الصيام عن جبينهم وعثاء الحياة، وأزال عن أجسامهم غبار المادة، وأبعد عن بطونهم ضرر التخمة، وغذي إيمانهم بالقوة والنور.

أخي المسلم المبارك يا من أدرك رمضان: ينقسم الناس في استقبال رمضان والاستعداد له إلى فريقين، فانظر إلى نفسك من أي الفريقين أنت!

هناك فريق اقتدى بأولئك السلف الصالح، فاتخذوا رمضان موسما لطاعة الله، ومضاعفة الأجور، والازدياد من الخير، صاموا نهاره فأحسنوا الصيام، وقاموا ليله فأحسنوا القيام، وبين هذا وذاك تلاوة للقرآن، وذكر واستغفار، وندم وبكاء، خوف ورجاء، أولئك هم الذين انتفعوا برمضان حق الانتفاع.

وصنف آخر لم يكن لهم أسوة ولا قدوة إلا النفس والهوى، والرغبات التي لا تنتهي والنزوات التي لا تنقضي والشهوات التي لا تقف عند حد.

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم.

فهؤلاء لم ينتفعوا برمضان ولم يستفيدوا بما فيه من صيام وقيام! لماذا؟!! لأن الله جعل الصيام للقلب والروح فجعلوه للبطن والمعدة، جعله لله للحلم والصبر، فجعلوه للغضب والبطش، جعله الله للسكينة والوقار، فجعلوه شهر السباب والشجار، جعله الله ليغيروا فيه من صفات أنفسهم، فما غيروا إلا مواعيد أكلهم وشربهم وشهواتهم.

جعله الله تهذيبا للغني الطاعم، ومواساة للبائس المحروم الجائع فجعلوه معرضا لفنون الأطعمة والأشربة، يزداد الغني فيه تخمة، والفقير فيه حسرة.

فقل لي يا أخي بالله عليك أي الفريقين أولى بالفوز والفلاح؟! وأحق بأن تفتح له أبواب الجنان وتسد عنه أبواب النيران؟! أي الفرقين قد صفدت سياطينه؟! ومن منهم أحق بنفحات الرحمن؟! ومن الأحرى بموافقة ليلة القدر؟! ومن منهم أولى بأن تغفر ذنوبه وتعتق رقبته من النار، ويدرك رحمته ربه العزيز الغفار؟!

جاء أبو أمامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مرني بأمر ينفعني الله به فقال: «عليك بالصيام فإنه لا مثل له»[(١)].

وثبت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[(٢)]. وعند

---

(١) رواه النسائي في فضل الصيام رقم (٢٢٢١).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: «من صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا»[١].

الله أكبر يا عبد الله! ما أوسع رحمتك يا رب، صيام يوم واحد يباعد وجه صاحبه عن النار سبعين خريفا، فما بالك بصيام شهر كامل ألا وهو شهر رمضان!!.

أخي الحبيب: معذرة للإطالة فأنا أحب لك الخير كما أحبه لنفسي، وأذن لي أن في نهاية رسالتي إليك أن أهاتف سمعك بهذا السؤال فأقول: من أي الفريقين أنت؟! وما هي استعداداتك لهذا الشهر الكريم؟! وكيف تستقبل هذا الضيف العزيز؟!

نعم أخي: فإني أراك تجيب وتقول بلسان الحال والمقال أنا من الذين يستقبلون هذا الضيف العزيز والوافد الكريم بقلب صافي ونفس طيبة زكية، ويسوقني الشوق إلى لقاءه.

نعم أخي: إني لأظنك من هذا الصنف الذين يسارعون في الخيرات ويلهثون بالدعوات يرجون رحمة الله ويخافون عقابه، فهم للخير مقدمون وعن الشر محجمون، ومن عذاب ربهم مشفقون ولنعيم الله طامعون ومتطلعون، أحسبك كذلك ولا أزكي أحدا على الله، والله حسيبك.

اللهم بلغنا رمضان، ووفقنا لصيامه وقيامه، واقبلنا فيه وتقبله منا، اللهم زدنا ولا تنقصنا، واعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا

---

(١) رواه البخاري.

ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرضى عنا، وعافنا وأعفو عنا، ولغيرك لا تكلنا، واجعلنا مجتمعين غير متفرقين، مغفورا لنا إن كنا مذنبين، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وكفر عنا سيئاتنا وأجزل حسناتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋

استراحة

- سمعت امرأة في الحديث أن صوم عاشوراء كفارة سنة ، فصامت إلى الظهر، ثم أفطرت. وقالت يكفيني كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان.
- قيل لطفيلي أي سورة تعجبك في القرآن قال (المائدة) قيل فأي آية قال : (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) قيل ثم ماذا؟ قال : (آتنا غداءنا) قيل ثم ماذا؟ قال : (ادخلوها بسلام آمنين) قيل ثم ماذا؟ قال : (وما هم منها بمخرجين).
- وقال عثمان بن دراج الطفيلي مرت بي جنازة يوما ومعي ابني ومع الجنازة امرأة تبكي ، وتقول الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ، ولا خبز ولا ماء ، فقال ابني يا أبت إلى بيتنا والله يذهبون ! !.
- وحكى عن هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا ، فقال لوزيره أعفر بن يحيى البرمكي ، إني أرقت في هذه الليلة وضاق صدري ، ولم أعرف ما أصنع ، وكان خادمه مسرور واقفا أمامه فضحك ، فقال له ما يضحكك ؟ ! استهزاء بي ! أم استخفافا ؟ ! قال

وقرابتك من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما فعلت ذلك عمدا[١] ولكن خرجت بالأمس أتمشى بظاهر القصر إلى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين، فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلي، فتفكرت الآن في شيء من حديثه وكلامه فضحكت، والعفو يا أمير المؤمنين. فقال له الرشيد ائتني به الساعة، فخرج مسرور مسرعا إلى أن جاء إلى ابن المغازلي، فقال له أجب أمير المؤمنين، فقال سمعا وطاعة، فقال له بشرط إنه إذا انعم عليك بشيء يكون لك منه الربع والبقية لي، فقال له بل اجعل لي النصف، ولك النصف، فأبى فقال الثلث ولك الثلثان فأجابه إلى ذلك بعد جهد عظيم، فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ، وترحم فأحسن ووقف بين يديه فقال له الرشيد إن أنت أضحكتني أعطيتك خمسمائة دينار، وإن لم تضحكني أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات.

فقال ابن المغازلي في نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن في نفسه أن الجراب فارغ، فوقف يتكلم ويتمسخر وفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود، فلم يضحك الرشيد ولم يبتسم، فتعجب ابن المغازلي، وضجر وخاف، فقال له الرشيد، الآن استحقيت الضرب ثم أخذ الجراب ولفه، وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان فضربه فلما وقعت الضربة في رقبته صرخ صرخة عظيمة، وافتكر الشرط

---

(١) لا يجوز الحلف بغير الله لأن ذلك شرك وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما ثبت عنه في الحديث.

الذي شرطه عليه مسرور، فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمتين. قال: قل ما بدا لك، قال: إن مسرورا شرط علي شرطا واتفقت أنا وإياه على مصلحة، وهو أن ما حصل لي من الصداقات يكون له فيه الثلثان، ولي فيه الثلث، وقد أجابني إلى ذلك بعد جهد عظيم، وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات، فنصيبي منها واحدة، ونصيبه اثنتان، وقد أخذت نصيبي، وبقي نصيبه، قال: فضحك الرشيد، ودعا مسرورا فضربه، وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقي فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلي شاكرا ومسرورا.

❀ ❀ ❀

أبواب الخير في رمضان

الحمد لله رب البريات، عالم الخفيات المطلع على الضمائر والنيات، أحمده سبحانه على ما خصنا به من جلائل النعم، وأشكره على ما حبانا به من ألوان الجود والكرم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن شهر رمضان شهر خير وبر وإحسان، الأعمال فيه مضاعفة وسبل الخير فيه كثيرة، فالنفوس تنشط في هذا الشهر عن غيره من الشهور. لذلك رأيت أخي الحبيب أن أجمع لك باقة عطرة من الأحاديث والآثار الصحيحة في مختلف أبواب البر والخير مع التركيز على ما يتأكد منها في هذا الشهر الفضيل. بالإضافة إلى التنبيه على ضرورة المحافظة على فرائض العبادات ونوافلها، ولقد تحريت أن أذكر الأمر والدليل عليه إما من الكتاب أو السنة الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم مع الاختصار الشديد حتى نستوعب أكبر عدد ممكن من الفوائد والله الهادي إلى سواء السبيل.

١- **الإخلاص:** قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝ ﴾[1].

٢- **تجديد التوبة لله تعالى:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[2]. وقال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[3].

٣- **الدعاء عند رؤية الهلال:** كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال يقول: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله»[4].

٤- **صيام رمضان إيمانا واحتسابا:** قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[5].

٥- **صيام ست من شوال:** قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان واتبعه ستا من شوال كان كصوم الدهر»[6].

٦- **قيام رمضان إيمانا واحتسابا:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[7].

---

(١) سورة البينة، آية (٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه أحمد والترمذي.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) رواه مسلم.

(٧) رواه البخاري ومسلم.

٧- **قيام ليلة القدر إيمانا واحتسابا:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[١].

٨- **الاجتهاد في العشر الأواخر:** «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر أحيا ليله وأيقظ أهله، وشد مئزره»[٢].

٩- **العمرة:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العمرة في رمضان تعدل حجة أو حجة معي»[٣].

١٠- **الاعتكاف:** «كان صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان»[٤].

١١- **تفطير الصائم:** قال صلى الله عليه وسلم: «من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا»[٥].

١٢- **تعلم القرآن وتعليمه:** قال صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[٦].

١٣- **ذكر الله تعالى والإكثار منه:** قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) رواه البخاري.

فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله تعالى»[١].

١٤- قراءة القرآن وتلاوته: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه»[٢].

١٥- الاستغفار: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب»[٣].

١٦- المحافظة على الصلوات الخمس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله»[٤].

١٧- المحافظة على الصلاة في وقتها: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟! قال: «الصلاة لوقتها»[٥].

١٨- المحافظة على صلاة الفجر والعصر: قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى البردين دخل الجنة»[٦].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود والنسائي.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) رواه البخاري.

١٩- المحافظة على صلاة الجمعة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهم إذا اجتنبت الكبائر»[١].

٢٠- تحري ساعة الإجابة يوم الجمعة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه»[٢].

٢١- كثرة الذهاب إلى المساجد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من غدا إلى مسجد أو راح أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح»[٣].

٢٢- اسباغ الوضوء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»[٤].

٢٣- الشهادة بعد الوضوء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه ومسلم.

شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من المتطهرين، فتحت له أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء»[1].

٢٤- المحافظة على الوضوء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[2].

٢٥- استعمال السواك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[3].

٢٦- الصلاة في المسجد الحرام: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في هذا»[4].

٢٧- الصلاة في المسجد النبوي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[5].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجة.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه أحمد وابن خزيمة.

(٥) رواه مسلم.

٢٨- الصلاة في مسجد قباء: قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى فيه كان كعدل عمرة»[(١)].

٢٩- المحافظة على صلاة الجماعة: قال صلى الله عليه وسلم: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفز بسبع وعشرين درجة»[(٢)].

٣٠- الحرص على صلاة الضحى: قال صلى الله عليه وسلم: «يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزىء من ذلك كله ركعتان يركعهما في الضحى»[(٣)].

٣١- المداومة على السنن الرواتب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يصلي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة، إلا بنى الله له بيتاً في الجنة»[(٤)].

٣٢- صلاة التطوع في البيت: قال صلى الله عليه وسلم: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبوراً».

٣٣- كثرة السجود: قال صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»[(٥)].

---

(١) رواه ابن حبان.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري.

٣٤- الجلوس في المصلى بعد صلاة الصبح للذكـر: قال صلى الله عليه وسلم: من صلى الفجر في جماعة ثـم قعـد يذكـر الله حتـى تطلـع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت لـه كأجر حجة وعمرة قال صلى الله عليه وسلم «تامة تامة تامة»(١).

٣٥- صلاة المرأة في بيتها: قال صلى الله عليه وسلم: «لا تمنعوا نسـاءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن»(٢).

٣٦- الحرص على صلاة العيدين في المصلـى: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في يوم الفطر والأضحى إلى المصلى»(٣).

٣٧- تعويد الأولاد على الصـــلاة: قال صلى الله عليه وسلم: «مروا أبناءكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين واضربوهـم عليـها لعشـر، وفرقوا بينهم في المضاجع»(٤).

٣٨- تعويد الأولاد الصيام: عن الرُبيِّع بنت معوذ قالت: «فكنا نصومه بعد، ونصوِّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن»(٥).

٣٩- ذكر الله عقب صلاة الفريضـة: قال صلى الله عليه وسلم: «من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) رواه البخاري.

ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت له خطاياه، وإن كانت مثل زيد البحر»(١).

٤٠- المحافظة على صلاة التراويح: قال صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»(٢).

٤١- تعجيل الفطر: قال صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»(٣).

٤٢- الإفطار قبل الصلاة: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي»(٤).

٤٣- الإفطار على تمر إن وجد: قال صلى الله عليه وسلم: «من وجد التمر فليفطر عليه ومن لم يجد التمر فليفطر على الماء فإن الماء طهور»(٥).

٤٤- المحافظة على دعاء الإفطار: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفطر يقول: «ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى»(٦).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(٦) رواه أبو داود والدارقطني والحاكم.

٤٥- الدعاء عند الإفطار: قال صلى الله عليه وسلم: «إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد»[١].

٤٦- الدعاء مطلقاً والإكثار منه: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»[٢].

٤٧- المواظبة على السحور: قال صلى الله عليه وسلم: «تسحروا فإن في السحور بركة»[٣].

٤٨- حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[٤].

٤٩- تفطير الصائمين: قال صلى الله عليه وسلم: «من فطّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء»[٥].

٥٠- الاجتهاد في العشر الأواخر: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر مما لا يجتهد في غيره»[٦].

٥١- الاعتكاف: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر في رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده»[٧].

---

(١) رواه ابن ماجة.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه أحمد والنسائي.
(٦) رواه مسلم.
(٧) رواه البخاري ومسلم.

٥٢- **الصدقة:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصدقة صدقة في رمضان»(١).

٥٣- **فضل الصدقة عموماً:** قال صلى الله عليه وسلم: «الصدقة تطفيء الخطيئة كما تطفيء الماء النار»(٢).

٥٤- **صدقة المقل:** سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل وابدأ بمن تعول»(٣).

٥٥- **فضل صدقة السر:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفيء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»(٤).

٥٦- **إخراج زكاة الفطر:** فرض صلى الله عليه وسلم: «زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أدها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»(٥).

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أبو داود وابن خزيمة والحاكم.

(٤) رواه الطبراني.

(٥) رواه أبو داود.

٥٧- إفشاء السلام وإطعام الطعام: قال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»(١).

٥٨- إماطة الأذى عن الطريق: قال صلى الله عليه وسلم: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس»(٢).

٥٩- بر الوالدين وطاعتهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رغم أنفه ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه» قيل من يا رسول الله؟ قال: (من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة»(٣).

٦٠- طاعة المرأة لزوجها: قال صلى الله عليه وسلم: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها ـ أي زوجها ـ دخلت من أي أبواب الجنة شاءت»(٤).

٦١- النفقة على الزوجة والعيال والتوسعة عليهم في هذا الشهر: قال صلى الله عليه وسلم: « إذا انفق المسلم على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة»(٥).

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه ابن حبان.

٦٢- النفقة علـى الأرملـة والمسـاكين: قال صلى الله عليه وسلم: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» وأحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر»[١].

٦٣- كفالة اليتيم والنفقة عليه: قال صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا.. وقال بأصبعه: السبابة والوسطى»[٢].

٦٤- مسح رأس اليتيم والشفقة عليـه: شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له صلى الله عليه وسلم: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين»[٣].

٦٥- قضاء حوائج الأخـوان: قال صلى الله عليه وسلم: لأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته ـ وأشار بأصبعه ـ أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين»[٤].

٦٦- زيارة الأخوان في الله: قال صلى الله عليه وسلم: «النبي في الجنة والصديق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة»[٥].

---

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه الحاكم.

(٥) رواه الطبراني.

٦٧- **زيارة المرضى:** قال صلى الله عليه وسلم: «من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة»، قيل: يا رسول الله ما خرفة الجنة؟ قال: «جناها»[(١)].

٦٨- **صلة الأرحام وإن قطعوا:** قال صلى الله عليه وسلم: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»[(٢)]

٦٩- **إدخال السرور على المسلم:** قال صلى الله عليه وسلم: «من لقي أخاه المسلم بما يحب يسره بذلك، سره الله عز وجل يوم القيامة»[(٣)].

٧٠- **التخفيف على الخدم والعمال في رمضان:** قال صلى الله عليه وسلم: «من خفف على مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار»[(٤)].

٧١- **التيسير على المعسر:** قال صلى الله عليه وسلم: «من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة»[(٥)].

٧٢- **الشفقة على الضعفاء ورحمتهم والرفق بهم:** قال صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[(٦)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه ابن خزيمة مطولاً.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه أبو داود والترمذي.

٧٣- الإصلاح بين الناس: قال صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قال: «إصلاح ذات البين»[(١)].

٧٤- حسن الخُلق: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحسن الخُلق»[(٢)].

٧٥- طيب الكلام: قال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة»[(٣)].

٧٦- الصمت وحفظ اللسان إلا من خير: قال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[(٤)].

٧٧- حفظ اللسان من اللغو والرفث والسب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم إني صائم»[(٥)].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه ابن خزيمة وابن حبان.

٧٨- **حفظ اللسان عن قول الزور**: قال صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(١).

٧٩- **حفظ اللسان من أذيـــة المســـلمين**: قال صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»(٢).

٨٠- **حفظ اللسان من الغيبـــة**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»(٣).

٨١- **حفظ اللسان من النميمة والوقيعة بين الناس**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قتات»(٤) أي نمّام.

٨٢- **الحلم والصفح وكظم الغيـــظ**: قال تعالى: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾(٥) وقـال ﷺ للأشـج: «إن فيك خصلتان يحبهما الله تعالى: الحلم والأناة»(٦).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) سورة آل عمران، الآية: (١٣٤).

(٦) رواه مسلم.

٨٣- **غض البصر عن محارم الله:** قال صلى الله عليه وسلم: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه»[١].

٨٤- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** قال صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٢].

٨٥- **كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:** قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي صلاة صلى الله عليها بها عشرا»[٣].

٨٦- **الجلوس مع الصالحين والأخيار:** قال صلى الله عليه وسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[٤].

٨٧- **اصطناع المعروف والدلالة على الخير،** قال صلى الله عليه وسلم: «كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله»[٥]. وقال: «ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله»[٦].

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) رواه مسلم.

٨٨- **الدعوة إلى الله**: قال صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[(١)].

٨٩- **كفارة المجلس**: قال صلى الله عليه وسلم: «من جلس جلسة فكثر لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك»[(٢)].

٩٠- **الستر على المسلمين**: قال صلى الله عليه وسلم: «لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[(٣)].

٩١- **إغاثة المسلمين**: قال صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه من كرب يوم القيامة»[(٤)].

٩٢- **المداومة على العمل الصالح وإن قل**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»[(٥)].

٩٣- **الإحسان إلى الجار**: قال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»[(٦)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه مسلم.

٩٤- **الدعاء للوالدين**: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أين هذا لي؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»(١).

٩٥- **رد المظالم والتحلل من أصحاب الحقوق**: قال صلى الله عليه وسلم: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»(٢).

٩٦- **اتباع السيئة الحسنة**: قال صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»(٣).

٩٧- **أداء الأمانة والوفاء بالعهد**: قال صلى الله عليه وسلم: «لا إيمان لمن لا أمان له، ولا دين لمن لا عهد له»(٤).

٩٨- **التراحم والتعاطف مع المسلمين**: قال صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٥).

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد والحاكم.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

٩٩- الذب عن أعراض المسلمين: قال صلى الله عليه وسلم: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»[(١)] .

١٠٠- سلامة الصدر وترك الشحناء: قال صلى الله عليه وسلم: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا»[(٢)] .

١٠١- التعاون مع المسلمين فيما فيه خير: قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[(٣)]. وفي الحديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه»[(٤)] .

١٠٢- توزيع الكتاب والشريط الإسلامي النافع على الأسرة أو الأصدقاء في العمل أو المدرسة أو النادي ونحوه من التجمعات.

١٠٣- التنسيق مع التجار وأصحاب المحلات لشراء ملابس وما يلزم من أمور العيد وتوزيعها في آخر رمضان على الفقراء والمحتاجين، لتعم الجميع فرحة العيد.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سورة المائدة آية (٢).

(٤) رواه البخاري.

١٠٤- حث كل بيت على المساهمة في إفطار الصائم، كل بما يستطيع، وإرسال ما تيسر لهم من طعام إلى مسجد الحي أو التنسيق مع المطاعم من أجل ذلك.

١٠٥- الاستفادة من حملات العمرة التي تقام في شهر رمضان المبارك بتنظيم جملة من البرامج الدعوية والعلمية والثقافية للمشاركين، مع الحرص على أن يكون مع كل رحلة شيخ يستفاد من علمه، أو طالب علم جيد إن تعذر الأول.

١٠٦- ترتيب كلمات تلقى خلال شهر رمضان أثناء صلاة التراويح وتعلن في لوحة المسجد على شكل جدول بين وواضح.

١٠٧- القيام بزيارة المرضى في المستشفيات، وتشجيعهم وحثهم على الصبر والاحتساب مع إهدائهم مجموعة من الهدايا الدعوية الهادفة النافعة المفيدة.

أخي الكريم:

هذا بعض أبواب الخير والتي معظمها يتعلق بشهر رمضان المبارك وغيرها كثير لكن ما ذكر فيه الكفاية لمن أراد الهداية، فاحرص أخي الكريم على فرص الخير ولا تدعها تفوتك، فلربما يكون هذا آخر عهدك برمضان، فاغتنم الفرصة، وأعمل لما تحب أن تراه يوم العرض على ملك الملوك وجبار السموات والأرض ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ

بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ [1].

وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

* * *

(١) سورة آل عمران، الآية (٣٠).

استراحــة

حالـب الشــاة

كـان سيدنا أبـو بكـر الصديـق ـ رضـي الله عنــه ـ قبـل مبايعتـه إمامـا للمسلمين وخليفـة لسيد الخلـق رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم يعنـى ويواظب ويهتم على تأدية خدمة عظيمة الشأن جليلة القدر لجيرانه ، فكـان يذهـب إلى بيـوت العجـزة واليتـامى والضعفـاء ـ ولا يخلـو مجتمـع منـهم ـ وغيرهم ممن مات عائلوهم أو استشهدوا في سبيل الله ، فكـان يحلـب لهـم أغنامهم كرما منه ، ويعجن خبزهم رأفة بهم !.

فلمـا صـار خليفـة وإمامـا للمسـلمين خشـي هـؤلاء أن يحرمـوا مـن عطف وخدمات أبي بكر لهم ! فلقد سمع إحـدى الأرامـل تقـول : «اليوم لا تحلب لنا شاة» !.

فقال : «بل لعمري لأحلبنها لكـم».. وسـارع يقـرع البـاب ، وتفتحه فتاة صغيرة لا تكاد تراه حتى تصيح : «حالب الشاة يا أماه !» .

الله أكبر! خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبشر بالجنة، وثاني اثنين إذ هما في الغار وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقاصم ظهر المرتدين، (حالب شاة)!!! ولمن؟ للعجزة واليتامى والأرامل!!!.

إن جلالة الموقف تغنيك عن كثير من الكلام لذا أريد أن يكون الموقف هكذا ببهاءه وصفاءه، فلا أريد أن أتكلم حتى لا أذهب ببهاء وأعكر صفاءه، ولكن أريد أن أقول:

إن ذوي النفوس الصغيرة تغيرهم المناصب الصغيرة - فضلا عن الكبيرة - ويطغيهم المال والغنى، وقد زين لهم الشيطان التمرد على الله وكفران النعم والتنكر لذوي الأرحام والأقارب والأصدقاء.. لكن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - الذي تربى في ظل النبوة الحانية وشرب من معينها الصافي ذا النفس الكبيرة لا يطغيه المنصب - أين كان - لا يغيره ولا يحجبه أو يشغله الحكم عن معروف كان يسديه لضعيف أو أرملة أو يتيم! وهل الحكم في الإسلام والسيادة إلا خدمة المسلمين ونفع الناس!!.

ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر حين علم ذلك من أبي بكر - رضي الله عنه - قال: «لقد أتعبت الخلفاء من بعد يا أبا بكر».

نعم: إنه لم يتعبهم فحسب بل أقام الحجة وأبان المحجة بيانا معتربا لا شك فيه ولا غموض لكل من ولى أمر المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد فهم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وأمثاله أن الخلافة : تكليف لا تشريف، أما الآخرين ففهموا الخلافة وولاية أمر المسلمين تشريف لا تكليف، ولك أخي الكريم أن تعرف الفرق في فهم أبي أبكر للخلافة وفهم غيره ممن ولاهم الله أمر المسلمين ! !.

❊ ❊ ❊

فضـــائل شهر رمضان

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

أخي المسلم.. أختي المسلمة: لقد فضل الله تبارك وتعالى شهر رمضان بفضائل كثيرة، هي أجل من أن تحصى وأكثر من أن تعد، فهو شهر بركة وخير، حباه الله بخير وافر، وبركة في كل شيء زائدة وأثرها واضح للعيان، فهو شهر القرآن، وشهر الإحسان وشهر البر والمواساة وشهر التقوى والمغفرة، وشهر التوبة وتكفير الذنوب، شهر قيام الليل والتهجد، شهر تصفيد الشياطين، شهر تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران، شهر العتق من النار، شهر يستجاب فيه الدعاء، شهر ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر؟! إنها ليلة هي خير من ألف شهر، ولو استطردنا في سرد فضائله وإيضاح محاسنه لطال بنا المقام ونفد منا المداد، قبل أن نأتي على شيء يسير من فضائله الجمة.

لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه رضوان الله عليهم بقدوم شهر رمضان.

أخرج الإمام أحمد في المسند والنسائي عن أبي قلابة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه - أي بحلول رمضان - «قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، افترض الله

عليكم صيامه، يفتح فيه أبواب الجنة ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حُرم»(١).

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ في التعليق على هذا الحديث: «هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان، كيف لا يُبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان، كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران، كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل فيه الشيطان»أ.هـ.

أخي الحبيب: إن بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عليه.

قال معلى بن الفضل: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم.

قال يحيى بن أبي كثير: «كان من دعائهم اللهم سلمني إلى رمضان وسلم رمضان لي وتسلمه مني متقبلاً».

عن أبي سلمة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رجلان من بني قضاعة، أسلما مع النبي صلى الله عليه وسلم، واستشهد أحدهما وأُخِرَ الآخر سنة، قال طلحة بن عبيد الله: فأريت الجنة، فرأيت فيها

---

(١) إسناده صحيح: رواه النسائي والبيهقي، كلاهما عن أبي قلابة، وانظر مسند الإمام أحمد: (٧١٤٨، ٩٤٩٣، ٨٩٧٩) تحقيق شاكر، عن أبي هريرة، قال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في التعليق على مسند أحمد (٧١٤٨) إسناده صحيح، وفي (التهذيب) يقال أن أبا قلابة لم يسمع من أبي هريرة ولم أجد ما يؤيد هذا، وأبو قلابة ـ عبد الله بن زيد ـ لم يعرف بتدليس، والمعاصرة كافية بالحكم بوصل الإسناد. أ. هـ.

المؤخر منهما، أدخل قبل الشهيد، فعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، أو ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أليس قد صام بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة أو كذا وكذا ركعة صلاة السنة»(١).

أخي الكريم:

من رحم في رمضان فهو المرحوم، ومن حرم خيره وبركته فهو المحروم، ومن لم يتزود فيه لمعاده فهو الملوم.

كم ممن أمل أن يصوم هذا الشهر فخانه أمله. فصار قبله إلى ظلمة القبر، كم من مستقبل يوما لا يستكمله، ومؤمل غدا لا يدركه، إنك لو أبصرت الأجل ومصيره، لأبغضت الأمل وغروره.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب ... حتى عصى ربه في شهر شعبان
فاحمل على جسد ترجو النجاة له ... فسوف تضرم أجساد بنيران
كم كنت تعرف ممن صام في سلف ... من بين أهل وجيران وإخوان
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم ... حيا فما أقرب القاصي من الداني
ومعجب بثياب العيد يقطعها ... فأصبحت في غد أثواب وأكفان
حتى متى يعمر الإنسان مسكنه ... يصير مسكنه قبر لإنسان(٢)

---

(١) إسناده صحيح: انظر مسند الإمام أحمد بتحقيق شاكر حديث رقم (٨٣٨٠، ٨٣٨١) (١٦/١٧٠-١٧١)، وعند ابن ماجة بسند صحيح انظر: (صحيح سنن ابن ماجة) للألباني (٢/٣٤٥-٣٤٦) رقم (٣١٧١).

(٢) لطائف المعارف ص (١٥٥ - ١٥٧).

فاعلم يا أخي الكريم أن الناصح لنفسه لا تخرج عنه مواسم الطاعات وأيام القربات عطلا، لأن الأبرار ما نالوا البر إلا بالبر، والعاقل خصيم نفسه.

فيجب على العاقل أن يضع نصب عينيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده»(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبدا».

فيتعرض العبد لإحسان مولاه، سبحانه من كريم أضحت رحالنا بباب كرمه مطروحة، ورمضان سيد الشهور وتاج على مفرق الأيام والدهور.

رمضان ربيع التقى وقد فاح فواحه.. رمضان يوسف الزمان في عين يعقوب الإيمان، فمرحبا بشهر طيب كريم مبارك.

هبت اليوم على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب في رمضان، وسعى سمسار الوعظ للمهجورين في الصلح، ووصلت البشارة للمنقطعين بالوصل، وللمذنبين بالعفو، والمستوجبين النار بالعتق، لما سلسل الشيطان في شهر رمضان، وخمدت نيران الشهوات بالصيام انعزل

(١) حسن: رواه الطبراني في (الكبير) عن أنس وقال الهيثمي إسناد رجاله رجال الصحيح، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٨٩٠).

سلطان الهوى، وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل، فلم يبقى للعاصي عذر.

فيا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي، يا شموس التقوى والإيمان اطلعي، يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعي، يا قلوب الصائمين اخشعي يا أقدام المتهجدين اسجدي لربك واركعي، يا عيون المجتهدين لا تهجعي، يا ذنوب التائبين لا ترجعي، يا أرض الهوى ابلعي ماءك، ويا سماء النفوس اقلعي، يا بروق العشاق للعشاق إلمعي، يا خواطر العارفين ارتعي. يا همم المحبين لغير الله لا تقنعي، ويا همم المؤمنين أسرعي[1].

فيا من طالت غيبته عن مولاه، قد قربت أيام المصالحة، يا من دامت خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، كم ينادي حي على الفلاح وأنت خاسر، وكم تدعى إلى الصلاح وأنت على الفساد مثابر.

من لم يربح في رمضان ففي أي وقت يربح، ومن لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يبرح.

وإليك أخي الحبيب هذه الفضائل لشهر رمضان، لعل أن يكون لك واعظا من نفسك، فتعلو الهمم، وتزكو النفس ويصفو القلب ويطهر من عوالق الحياة، ويكون لك النصيب الأوفر من بركة هذا الشهر وخيره.

---

(١) لطائف المعارف (١٤١ - ١٤٣).

١- شهر رمضان شهر نزول القرآن والكتب السماوية

عن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشر مضت من رمضان وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»[١].

قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ [سورة القدر:الآية ١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [سورة الدخان:الآية ٣]. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل القرآن جملة من الذكر[٢]. في ليلة أربع وعشرين من رمضان[٣]. فجعل في بيت العزة».

---

(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير عن واثلة، وأحمد في مسنده وابن عساكر، وحسنه الألباني (صحيح الجامع رقم (١٥٠٩).

(٢) أي اللوح المحفوظ.

(٣) وهي عند ابن عباس ليلة القدر والوتر من العشر الأواخر كما يقول ابن تيمية: قد يكون باعتبار ما مضى من الشهر أو باعتبار ما بقي.

وعنه أيضا قال: أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا، جملة واحدة، ثم فرق في السنين بعد، قال: وتلا ابن عباس هذه الآية: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة الواقعة:الآية ٧٥]. قال: نزل مفرقا.

وعن سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ: «نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في شهر رمضان، فجعل في سماء الدنيا».

قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ: «نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان ثم أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم على ما أراد الله إنزاله إليه»(١).

وقال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ أنزل في فضله ـ أي رمضان ـ القرآن(٢).

أخي الكريم:

القرآن: «كتاب هذه الأمة الخالد، الذي أخرجها من الظلمات إلى النور، فأنشأها النشأة، وبدلها من خوفها أمنا، ومكن لها في الأرض، ووهبها مقوماتها التي بها صارت أمة، ولم تكن من قبل شيئا، وهي بدون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان في الأرض، ولا ذكر في السماء، فلا أقل من شكر الله على نعمة هذا القرآن بالاستجابة إلى صوم الشهر الذي نزل فيه القرآن»(٣).

---

(١) تفسير الطبري: (٢/١١٤ - ١١٥).

(٢) التبصرة لابن الجوزي (٢/٧٣).

(٣) الظلال: (١٧١ - ١٧٢).

نعم:

«ولكن ستظل هناك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن ما لم نتمثل فيه حسنا، ونستحضر أن هذا القرآن خوطبت به أمة حية ذات وجود حقيقي، ووجهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة وأديرت به معركة ضخمة في داخل النفس البشرية وفي رقعة من الأرض كذلك»(١).

فالقرآن نعمة من الله عظيمة ومنة منه جسيمة تستلزم منا الشكر ليل نهار ونكون بذلك مقصرين غاية التقصير.

فالقرآن نور يضيء لنا الطريق في الدنيا والآخرة. والقرآن فيه الهدى والصلاح، فبه تطمئن القلوب، وتزكو النفوس، وتعلو الهمم وترتقي، وتشفى الصدور من عللها، وتسلم الأرواح والأبدان من أسقامها.

من قال به حكم، ومن حكم به عدل، ومن سار على نهجه هدي إلى صراط مستقيم، ومن أعرض عنه قيض له شيطانا فهو له قرين، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الزخرف:الآية ٣٦].

«وأسوأ ما يصنعه قرين بقرين أن يصده عن السبيل الواحدة القاصرة ثم لا يدعه يفيق، أو يتبين الضلال فيتوب، إنما يوهمه أنه سائر في الطريق القاصد القويم، حتى تفاجئهم النهاية وهم سادرون، هنا يفيقون

---

(١) من وحي القلم.

كما يفيق المخمور، ويفتحون أعينهم بعد العشى والكلال والعذاب كامل لا تخففه الشركة، ولا يتقاسمه الشركان فيهون[١] ».

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [سورة طه:الآية ١٢٤].

«إن الحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع، إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه. ضنك الحيرة والقلق.. ضنك الحرص والحذر: الحرص على ما في اليد، والحذر من الفوت.. ضنك الجري وراء بارق المطالع والحسرة على كل ما يفوت.

لقد أسرف لوخسر كلا من أعرض عن ذكر الله فألقى بالهدى من بين يديه وهو أنفس ثراء وذخر»[٢] .

فيا أخي الحبيب ليكن لك نصيبا مع القرآن في هذا الشهر الذي أنزل فيه وليكن لك في رسولك صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة الطبية، ففي الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة».

(١) الظلال. (٣١٨٩/٥ - ٣١٩٠).

(٢) الظلال. (٢٣٥٥/٤).

قال ابـن رجـب: «دل الحديـث علـى اسـتجاب دراسـة الـقرآن في رمضان والاجتماع على ذلـك، وعـرض القرآن علـى مـن هـو أحفـظ لـه، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان»[١].

قال ابـن رجـب: «كـان السلف يتلـون القـرآن في شـهر رمضـان في الصلاة في كل ست ليال»[٢].

«كان الأسود يختم القـرآن في رمضـان في كـل ليلتـين، وكـان يختـم في غير رمضان في كل ست ليال»[٣].

«كان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختـم في كل ثلاث ليال مرة، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة»[٤].

«وكان النخعي يفعل مثل ذلـك في العشـر الأواخـر منـه خاصـة، وفي بقية الشهر في ثلاث»[٥].

قال ربيع بن سليمان: «كان محمد بن إدريس الشافعي يختم في شـهر رمضان ستين ختمة، ما منها شيء إلا في صلاة»[٦].

وأخبار القوم كثيرة لكن فيما ذكر كفاية لمن أراد الهداية.

---

(١) لطائف المعارف: (١٨٩) قلت: وفي الحديث دليل أيضا على استحباب الصدقة في رمضـان وزيـادة البذل والعطاء والجود والكرم في ذلك الشهر الفضيل، وذلك لشرف الزمان، والله أعلم.

(٢) لطائف المعارف (١٩١).

(٣) حلية الأولياء (٢/١٦٣).

(٤) حلية الأولياء (٢/٣٣٨) و (لطائف المعارف) (١٩١).

(٥) لطائف المعارف (١٩١).

(٦) المصدر السابق.

فيا أخي الكريم: لا تكن من الغافلين في هذا الشهر عن قراءة القرآن فكن من الذاكرين له آناء الليل وأطراف النهار.

واعلم أخي الكريم: أن الصيام والقرآن يشفعان لك يوم القيامة كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان)[1].

فيا من فرط في شهره وأضاعه، يا من بضاعته التسويف والتفريط بئست البضاعة، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة؟![2].

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه والصور في يوم القيامة ينفخ

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني في (الكبير) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨٨٢).

(٢) لطائف المعارف (١٩٤).

٢- رمضان شهر التراويح والتهجد

شهر رمضان شهر المصابيح ، شهر التهجد والتراويح ، واها لأوقاته من زواهر ما أشرفها ، ولساعاته التي كالجواهر ما أظرفها ، أشرفت لياليها بصلاة التراويح ، وأنارت أيامها بالصيام والتسبيح ، حليتها الإخلاص والصدق ، وثمرتها الخلاص والعتق.

فطوبى لعبد صام نهاره ، وقام أسحاره.. يا حسنه ومصابيح النجوم تزهر ، والناس قد ناموا وهو في الخير يسهر ، غسل وجهه من ماء عينه وعين العين أطهر.

بشرى لمن قام رمضان إيمانا واحتسابا.

(أ) قيام رمضان من الإيمان ، ومغفرة لسالف الذنوب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[١] .

(ب) من قام رمضان فهو من الصديقين والشهداء.

---

(١) صحيح : أخرجه أصحاب الكتب الستة ومالك وأحمد والدارمي ، والفريابي في (كتاب الصوم) وعبد الغني المقدسي في (فضائل رمضان).

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال يا رسول الله: أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته فممن أنا؟ قال: «من الصديقين والشهداء»(١).

(جـ) من قام مع إمامه حتى ينصرف كتب له قنوت ليلة.

جاء في حديث أبي ذر قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام الليلة»(٢).

فيا أخي الحبيب: هل بعد هذا الفضل من فضل؟ وهذا الخير من خير؟ أما زلت مصرا على عصيانك، وتركك لصلاة التراويح والقيام بعدما سمعت وقرأت هذه الأحاديث؟! أما زلت تقضي الليل في السمر واللهو والعربدة ومشاهدة ما حرم الله وسماع الأغاني والطرب والمجون؟!.

ألا فاتق الله في عمرك، وأقبل على صلاة التراويح يقبل الله عليك، وانظر إلى سلفك من الصحابة رضوان الله عليهم.

عن السائب بن يزيد أنه قال: «أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميما الداري أن يقوما بالناس بإحدى عشرة ركعة، قال: وقد كان

---

(١) صحيح: رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما (واللفظ لابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٩٩٣) والتعليق على ابن خزيمة (٢٢١٢).

(٢) سنده صحيح: رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجة، وابن أبي شيبة، وقال الألباني: سنده صحيح: صلاة التراويح (ص١٥).

القاريء يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر خشية أن يفوتنا الفلاح»[١] أي السحور.

وإن تعجب فعجب من قوم يصلون بعض الركعات ثم يولون مدبرين تاركين الصلاة بحجة أن الإمام يطيل القراءة أو يطيل السجود والركوع أو غيرها من الحجج الواهية التي زينها لهم الشيطان فاستحسنوها فضلوا عن السبيل.

والله الذي لا إله غيره ما تصلح القلوب والأجساد والأبدان إلى بالقيام بين يدي علام الغيوب، فلا تفرط يا أخي الحبيب في صلاة التراويح وأعلم أن قيام الليل هو طريق الصالحين وقرة عيون الموحدين.

عن بلال ـ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»[٢].

قال بعض السلف: قيام الليل يهون طول القيام يوم القيامة.

---

(١) سنده صحيح: أخرجه مالك، وعنه البيهقي في (سننه الكبرى) وقال السيوطي في المصابيح سنده في غاية الصحة، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه الترمذي والبيهقي والحاكم عن بلال، وعن أبي أمامة، وابن عساكر في التاريخ عن أبي الدرداء، والطبراني في (الكبير) عن سلمان، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٥٠/٣) رقم (٣٩٥٨).

أخي في الله : هذا شهر القيام ، وهذه ليالي شهر رمضان ، موسم التهجد وطول القيام ، فلله در نفوس تركت نعم الدنيا الحاضرة واستعدت لأفزاع الآخرة.

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود أنين منه تنفرج الضلوع

فيا أخي الكريم: اغتنم زمن الأرباح ، فأيام المواسم معدودة ، وانتهز الفرصة فأوقات الفضائل مشهودة.

فلله در أقوام هجروا لذيذ المنام ، وتنصلوا لما نصبوا له الأقدام وانتصبوا للتعب في الظلام وغيرهم نيام ، يطلبون نصيبا من الإنعام ، إذا جن الليل سهروا ، وإذا طلع النهار اعتبروا ، وإذا نظروا في عيوبهم استغفروا ، وإذا تفكروا في ذنوبهم بكوا وانكسروا.

فيا أخي الحبيب : احذ حذوهم وسر على دربهم واسلك طريقهم وانسج على منوالهم ، وأحبهم ، لعلك تحشر معهم (فالمرء مع من أحب)[١] .

---

(١) جزء من حديث صحيح وهو عن ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- شهر رمضان شهر تكفير الذنوب

- عن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل فقال: يا محمد! من أدرك شهر رمضان فمات ولم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله. قل: آمين، فقلت: آمين. قال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين»(١).
- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(٢).
- وقال صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(٣).
- قال الخطابي: «إيمانا واحتسابا» أي نية وعزيمة، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه، طيبة به نفسه غير كاره له، ولا مستثقل لأيامه لكن يغتنم أيامه لعظم الثواب»(٤).

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وابن حبان في (صحيحه) وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٧٥).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة مختصرا.

(٣) صحيح: وقد تقدم تخريجه.

(٤) فتح الباري (٤/١٣٨ - ١٣٩).

وقال البغوي (احتسابا) أي طلبا لوجه الله وثوابه.

وقال المناوي: أي صام أيامه كلها إيمانا بفرضيته، ومصدقا طلبا للثواب.

أخي الحبيب: إن تكفير الذنوب والخطايا نعمة من الله عظيمة، ومنة من الله جسيمة، وذلك لمن سلك سبيل الهداية وترك سبيل الغواية، كان عبد الله بن مسعود يقول: وددت لو أن الله غفر لي ذنبا واحد، وأن لا يعرف لي نسب، وقال: وددت أني عبد الله بن روثة وأن الله غفر لي ذنبا واحدا.

فما ظنك أخي الكريم بغفران الذنوب في رمضان!.

أخي:

يا مضيعا اليوم تضيعه أمس، تيقظ.. ويحك، فقد قتلت نفسك بإصرارك على المعاصي.

يا من يجول في المعاصي قلبه وهمه، يا مؤثرا الهوى على التقى لقد ضاع حزمه، يا معتقدا صحته فيما هو سقمه، يا من كلما زاد عمره زاد إثمه، يا طويل الأمل وقد رق عظمه.

يا قليل العبر، وقد رحل أبوه وأمه، يا من سيجمعه اللحد عن قليل ويضمه، كيف يوعظ ما لا يعظه عقله ولا فهمه، كيف يوقظ من نام قلبه لا عينه ولا جسمه؟![1].

---

(١) التبصرة (٢/٩٨ ، ٩٩) بتصرف.

أخي قد ضاعت في الذنوب الأعمار فأين يكون لهذا الغرس إثمار؟!

من فاته الزرع في وقت الحصاد فمنك تراه يحصد إلا الهم والندما

يا من تعصي الله:

اعرف قدر من قدر، وتذكر كيف عصيته وستر، وايم الله لو قمت على البصر، وسجدت شكرا على الإبر، ما وفيت بشكر نعيم محتقر، أما طوى القبيح وستر، وكل الجميل أظهر ونشر، أما بعض نعمه السمع والبصر يا كثير المعاصي ابك على الذنوب الماضية، يا مبارزا بالقبائح أتصبر على جمر الهاوية، أسفا لك، إذا جاءك رمضان وما أنبت، وا حسرة لك إذا دعيت إلى التوبة فما أجبت، كيف تصنع إذا نودي بالرحيل وما تأهبت، ألست أنت الذي بارزت بالكبائر وما راقبت!.

فيا أخي تب إلى الله وأنخ رحالك ببابه وقل بقلب خاشع وعين دامعة:

بك استجير ومن يجير سواكا فأجر ضعيفا يحتمي بحماكا
يا غافر الذنب العظيم وقابلا للتوب أقبل تائبا ناجاكا
أترده وترد صادق توبتي حاشاك ترد لائذا حاشاكا
أنا كنت يا ربي أسير غشاوة رانت على قلبي فضل سناكا
واليوم يا رب محوت غشاوتي وبدأت بالقلب البصير أراكا
ذقت الهوى مرا ولم أذق الهوى يا رب حلوا قبل أن أهواكا

٤- شهر رمضان شهر الجود والإحسان

أخي الكريم: إن شهر رمضان شهر الجود والكرم والإحسان، والجود من معالي الأخلاق.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب الجودة، يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها»(١).

فالله سبحانه أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، وجوده يتضاعف في أوقات خاصة: كشهر رمضان، وفيه أنزل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عبادي عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دعوة ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٦].

ومن سابغ جود الله سبحانه وتعالى وعظيم كرمه في هذا الشهر تفضله بعتق عباده من النار.

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: « ... وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»(٢).

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٠٠).

(٢) سيأتي تخريجه قريبا إن شاء الله.

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لله عند كل فطر عتقاء»[1].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأكرم الناس وكان أجود ما يكون في رمضان.

في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة». وزاد أحمد في آخره: (لا يسأل عن شيء إلا أعطاه).

تعود بسط الكف حتى لو أنه ... ثناها لقبض لم تجبه أنامله
تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله
هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله
ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

نعم صدق من قال:

ما قال لاقط إلا في تشهده ... لولا التشهد لكانت لاؤه نعم

---

(١) صحيح: قال المنذري: رواه أحمد بإسناد لا بأس به، والطبراني والبيهقي، وقال هذا حديث غريب من رواية الأكابر عن الأصاغر، وهو من رواية الأعمش عن الحسين بن واقد، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) رقم (٩٩١).

فيا أخي الكريم:

أفهل تأسينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ونُنفق من أموالنا في هذا الشهر الكريم، في إفطار الصائمين، ومساعدة المحتاجين، ومواساة الأرامل والأيتام وغيرها من وجوه البر والإحسان عسى الله أن يتقبل منا أعمالنا.

عن زيد بن خالد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فطر صائما كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا»[1].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل، الصائم النهار»[2].

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الناس أنفعهم للناس»[3].

---

(١) رواه أحمد: الترمذي وابن ماجة وابن حبان وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٦٤١٥).

(٢) متفق عليه.

(٣) حسن رواه الطبراني في (الكبير) والدارقطني، والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر، والقضاعي، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٢٨٩).

٥- شهر رمضان شهر تفتح فيه أبواب الجنان

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء رمضان، فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين»(١). وفي رواية عند مسلم: فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين).

وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادِ منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»(٢).

فيا أخي الحبيب: اعلم أن أبواب الجنة تفتح في رمضان على الحقيقة لا يحتاج ذلك إلى تأويل، وهي نعمة عظيمة ومنة كريمة من الله، يتفضل بها على عباده هذا الشهر، فأبواب الجنان مغلقة لا تفتح إلا في تمام النعمة وكمال المنة.

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة وابن خزيمة في (صحيحه) والبيهقي.

فوا عجبا لمن يعلم أن الجنة تفتح أبوابها وتتزين في رمضان ثم لا يشتاق إليها ويحث السير نحوها ويسعى لها على الأجفان!.

قال صلى الله عليه وسلم: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»(١).

أخي الكريم:

إنها الجنة التي لا يسأل بوجه الله العظيم غيرها لكرامتها على الله(٢).

إنها الجنة التي اشتاق إليها الصالحون من هذه الأمة، فاسأل عنها جعفر الطيار، وعمير بن الحمام، وحرام بن ملحان، وأنس بن النضير، وعامر ابن فهيرة، وعمرو بن الجموح ومصعب بن عمير، وعبد الله بن رواحة رضي الله عن الجميع.

إنها الجنة دار كرامة الرحمن فهل من مشمر لها؟

إنها الجنة فاعمل لها بقدر مقامك فيها.. إنها الجنة فاعمل لها بقدر شوقك إليها.

إنها الجنة دار المتقين الموقنين بوعد الله المتهجدين في ليل رمضان، الصائمين نهاره.

أنها الجنة.. وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرا لأحبابه وملأها من رحمته، وكرامته، ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي النصر، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني من حديث أبي هريرة.

(٢) ورد النهي أن يسأل بوجه الله إلا الجنة.

العظيم. وملكها بالملك الكبير، وأودعها الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص.

فوا عجبا كيف نام طالبها! وكم لم يسمع بمهرها في رمضان خاطبها، كيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها، وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها.

فيا أخي الحبيب:

فاعمل لدار غدا رضوان خازنها　　الجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتها　　والزعفران حشيش نابت فيها

فالحذر الحذر أن تقدم على جنة عرضها السموات والأرض وليس لك فيها موضع قدم.

٦- شهر رمضان شهر تغلق فيه أبواب النيران

أخي الحبيب:

قد مر بك في الحديث أنه في شهر رمضان تغلق أبواب النيران، فما يفتح منها باب، فما أطيبها من نعمة يمن الله بها على العباد.

فوا عجبا لمن علم أن النار تسجر ويضحك بملىء فيه أما سمع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مرصادا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة النبأ:الآيتان ٢١-٢٢].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وأيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا» قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟! قال: «رأيت الجنة والنار»[١].

النار التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحطم بعضها بعضا، وقال عنها لما رآها: «لم أر منظرا كاليوم قط أفظع» فالنار مخلوقة ومعدة فإياك أن تكون من وقودها.

فيا أيها الغافل عن نفسه، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى ما أنت وارد عليه، فلقد أخبر الملك سبحانه وتعالى أن النار مورد الجميع قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا واردها كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة مريم:الآيتان ٧١-٧٢].

لما قرأ هذه الآية عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ بكى وقال: كيف لي بالصدور بعد الورود.

فأنت على الورود على يقين ومن النجاة في شك، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد، فعساك تستعد للنجاة منه، وتأمل في حال الخلائق، وقد

---

(١) صحيح: رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه.

قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أبنائها وتشفيع شفعائها، إذا أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيرا، وجرجرة، تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق البراء من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية قائلا: أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره في سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد والوعيد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولون له ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ [سورة الدخان:الآية ٤٩]. فأسكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، طعام أهلها الزقوم، وشرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، ومالهم منها فكاك، قد شدت أقدامهم إلى النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها، ويصيحون في نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان).

يا هذا : أحدثك عن نار غم قرارها ، بعيد قعرها ، مظلمة أقطارها حامية قدورها ، فظيعة أمورها ، عقابها عميم ، عذابها أليم ومهين ، بلاؤها شديد ، سلاسل وأغلال ، ومقامع وأنكال ، زمانها ليل حالك ضجيجهم ضجيج هالك ، يصطرخون فيها فلا يجيبهم مالك).

يدعون بالويل والثبور ، ومقامع الحديد تهشم بها جباهم ، ويتفجر الصديد من أفواههم ، تنقطع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ، لهيب النار سار في بواطن أعضائهم ، وحيات الهاوية وعقاربها تأخذ بأشفارهم.

يا هذا جهنم سوداء ، ماؤها أسود ، شجرها أسود ، أهلها سود مقبوحين ، كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً.

أخي:

عياذاً بالله : أن تكون من قوم لباسهم نار ، ومهادهم نار ، ولحافهم نار وسرابيلهم القطران ، ومساكنهم من نار في شر دار وأسوأ عذاب ، قد أكلوا من النار ، وشربوا من النار ، ومشوا على النار ، ثم عاشوا بعد ذلك لا يهدأون ولا ينامون ولا يموتون فيستريحون.

فيها غلاظ شداد من ملائكة … قلوبهم شدة أقسى من الحجر
لهم مقاميع للتعذيب مرصدة … وكل كسر لديهم غير منجبر
سوداء مظلمة شعثاء موحشة … دهماء محرقة لواحة البشر
يا ويلهم تحرق النيران أعظمهم … فالموت شهوتهم من شدة الضجر
ضجوا وصاحوا زماناً ليس ينفعهم … دعاء داع ولا تسليم مصطبر

وكل يوم لهم في طول مدتهم نزع شديد من التعذيب والسعر

يا هذا يا صبيح الوجه: كم من وجه صبيح ولسان فصيح غداً في أطباق النار يصيح.

وسيق المجرمون وهم عراة إلى ذات السلاسل والنكال
فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً وعجوا في سلاسلها الطوال
فليسوا ميتين فيستريحوا وكلهم بحرِّ النار صال

أخي إنك قد جربت جلدك في الشوكة تدميه، في العثرة تؤذيه، في ضربة الشمس تؤثر فيه.. أحدنا يؤثر الظل على الشمس فما بالنا لا نؤثر الجنة على النار.

فيا عجبا ندري بنار وجنة وليس لذي نشتاق أو تلك نحذر
إذا لم يكن خوف وشوق ولاحيا فماذا بقي فينا من الخير يذكر
وليس لحر صابرين ولا بلى فكيف على النيران يا قوم نصبر
وفوت جنان الخلد أعظم حسرة على تلك فليستحسر المتحسر

يا من يؤذيه حر الهجير ويأخذ بأنفاسه.. أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصاب نفسه لأحترق المسجد بمن فيه»[١].

(١) انظر المطالب العالية حديث رقم (٤٦٦٧).

فيا أخي الحبيب: إني لك ناصح وعليك مشفق، فاغتنم هذا الشهر في فعل الطاعات وعمل القربات عسى الله أن يرفع لك الدرجات وتكتب في المقبولين وتعتق من النار.

٧- شهر رمضان شهر إجابة الدعاء

أخي الكريم:

إن لم يكن رمضان وقت الدعاء المستجاب ففي أي شهر يكون الدعاء ورمضان هو وقت الشفاة الذابلة، والطاعة الكاملة، والبطون الضامرة، وقت نزول الملائكة، وقت فتح أبواب الرحمة وأبواب السماء قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عبادي عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دعوة ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٦].

ومن الجميل أن يذكر الدعاء أثناء الحديث عن الصيام وأحكامه قال الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ هذا التفات عن خطاب المؤمنين كافة بأحكام الصيام إلى خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يذكرهم ويعلمهم ما يراعونه في هذه العبادة وغيرها من الطاعة والإخلاص والتوجه إليه وحده بالدعاء الذي يعدهم للهدى والرشاد.

والدعاء أخي الكريم أمره عجيب وفضله عظيم ولقد جاءت الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم لتحث على الدعاء فهو سلاح المؤمن الذي يتسلح به ضد عدوه، وهو ملاذه عند خوفه ومؤواه عند فزعه.

وحتى يأتي الدعاء بثمراته المرجوة وفائدته المطلوبة لابد من مراعاة تلك الآداب وهي عشرة:

أولها: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل.

الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة.

وهذه الأوقات والأحوال التي يستجاب فيها الدعاء هي:

١- وقت التنزل الإلهي:

قال صلى الله عليه وسلم: «إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة»[١].

وعن عمرو بن عبسة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإذا استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»[٢].

---

(١) صحيح: رواه مسلم وأحمد.

(٢) صحيح: رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (١١٧٣).

٢- في السجود:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «.. وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن[١] أن يستجاب لكم»[٢].

٣- أن يبيت على ذكر فيتعار من الليل فيدعو:

عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يبيت على ذكر طاهراً فيتعار من الليل، فيسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه»[٣].

٤- عند الأذان:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا نادى المنادي فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء»[٤].

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا نودي بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء»[٥].

---

(١) أي: جدير.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه.

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٧٥٤).

(٤) صحيح: رواه الطيالسي وأبو يعلى والضياء، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨١٨).

(٥) صحيح: رواه أبو يعلى والحاكم وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٨١٨).

٥- بين الأذان والإقامة:

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب فادعوا»[١].

٦, ٧, ٨ عند نزول المطر، وعند إقامة الصلاة، وعند التقاء الجيوش:

عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء وتحت المطر»[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة، ونزول الغيث[٣]».

٩- آخر ساعة من نهار الجمعة:

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسال الله فيها شيئاً إلا أتاه الله إياه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر»[٤].

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٤٠٥) وفي المشكاة رقم (٦٧١).

(٢) حسن: رواه الحاكم وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٠٧٨).

(٣) صحيح: رواه الشافعي والبيهقي (في المعرفة) وصححه الألباني في (صحيح الجامع رقم (١٠٢٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود والنسائي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨١٩٠).

١٠- الدعاء بظهر الغيب:

عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد»(١).

١١- دعوة المسافر، ١٢- دعوة المظلوم. ١٣- دعوة الوالد لولده.

١٤- دعوة الصائم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر»(٣).

١٥- عدم العجلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت فلم يُستجيب لي»(٤).

---

(١) صحيح: رواه البزار، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٣٧٩).

(٢) حسن: رواه أبو الحسن بن مهرويه في (الثلاثيات، والضياء المقدسي في المختارة عن أنس، وانظر الصحيح (١٧٩٧)، صحيح الجامع (١/٥٨٢/٣٠٣٢).

(٣) صحيح: رواه ابن ماسي، وابن عساكر والبيهقي في شعب الإيمان. والعقيلي في الضعفاء عن أبي هريرة، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٧٩٧)، وانظر صحيح الجامع (١/٥٨٢/٣٠٣٠).

(٤) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجة.

١٦- دعاء رمضان: فهو وقت صيام، وزمان شريف.

وهناك علاقة وطيدة بين فتح أبواب السماء وأبواب الرحمة، وإجابة الدعاء كما يظهر من الأحاديث وهي حاصلة في رمضان.

● الثالث: أن يدعو مستقبلاً القبلة ورافعاً يديه.

● الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:١١٠].

قالت عائشة: أي بدعائك.

وقال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب»(١).

● الخامس: أن لا يتكلف السجع في الدعاء.

ادع بلسان الذل والخضوع والافتقار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق.

● السادس: التضرع والخشوع والرغبة والرهبة.

قال تعالى: ﴿ادعوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [سورة الأعراف:الآية ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [سورة الأنبياء:الآية ٩٠].

● السابع: أن يجزم بالدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء قلب غافل لاه»(٢).

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٢) حسن: رواه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٢٤٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، وليعزم المسألة وليعظم الرغبة، فإن الله لا يعظم عليه شيء أعطاه»(١).

عن سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة الحجر:الآيتان ٣٦-٣٧].

● الثامن: أن يلح في الدعاء ويعظم المسألة ويكرر الدعاء ثلاثاً:

قال عبد الله بن مسعود: «كان عليه السلام إذا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه»(٣).

وعنها أيضاً قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سأل أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه)(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد، ورواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه مسلم، وأصله متفق عليه.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في (الأوسط) ورمز السيوطي لحسنه، قال المناوي (١/ ٣٢٠): (وهو تقصير أو قصور وحقه الرمز لصحته، فقد قال الهيثمي وغيره: رجاله رجال الصحيح) أ.هـ. وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٤٣٧).

(٤) صحيح: رواه ابن حبان في (صحيحه) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٩١).

● التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله والثناء عليه وأن يختمه بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] .

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل دعاء محجوب حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم)[٢] .

قال أبو سليمان الدارني ـ رحمه الله ـ من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

● العاشر: وهو الأدب الباطن، وهو الأصل في الإجابة: (التوبة ورد المظالم، والإقبال على الله عز وجل، فذلك هو السبب القريب في الإجابة).

قال مالك بن دينار رحمه الله: (إنكم تستبطئون المطر وأنا استبطي الحجارة) أي نزول الحجارة.

قال عطاء السلمي ـ رحمه الله ـ منعنا الغيث فخرجنا نستسقي، فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر، فنظر إليّ وقال: يا عطاء! أهذا يوم النشور

---

(١) قلت: فإن الله يقبل الثناء عليه والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم، وما بينهما من الدعاء فإنه مقبول ـ إن شاء الله ـ لقبول ابتداء الدعاء وآخره. والله أعلم.

(٢) حسن: رواه الديلمي في (مسند الفردوس) والبيهقي في شعب الإيمان عن علي موقوفاً، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) (٤٥٢٣)، وورواه ابن حبان عن معاذ، وابن مخلد عن علي مرفوعاً.

أو بعثر ما في القبور؟ فقلت: لا، ولكنا منعنا الغيث، فخرجنا نستسقي فقال: يا عطاء! بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية؟ فقلت: بل بقلوب سماوية، فقال: هيهات يا عطاء، قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير، ثم رمق السماء بطرفه وقال: إلهي وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آرائك إلا ما سقيتنا ماءً غدقاً فراتاً تحيي به العباد، وتروي به البلاد، يا من هو على كل شيء قدير.

قال عطاء: فما أستتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجادت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول:

أفلح الزاهدون والعابدونا ... إذا لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين العليلة حباً ... فانقضى ليلهم وهم ساهرونا

شغلتهم عبادة الله حتى ... حسب الناس أن فيهم جنونا

قال ابن المبارك: «قدمت المدينة في عام شديد القحط، فخرج الناس يستسقون، فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد إإتزر بإحداهما، وألقى الأخرى على عاتقه، فجلس إلى جنبي فسمعته يقول: إلهي! أخلقت الوجوه عندك، كثرة الذنوب ومساويء الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء، لتؤدب عبادك بذلك، فأسألك يا حليماً ذا أناة، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة. فلم

يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب، قال ابن المبارك: فجئت إلى الفضيل، فقال لي: مالي أراك كئيبا؟ فقلت: أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا، وقصصت عليه القصة فخر الفضيل مغشيا عليه»(١).

فيا أخي الكريم: هذا شهر رمضان شهر الذكر والدعاء، فرطب لسانك بالدعاء والذكر والثناء، وقل:

«اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي لساني نورا، وفي بصري نورا، وفي سمعي نورا، وعن يميني نورا، وعن يساري نورا، ومن فوقي نورا، ومن تحتي نورا، ومن أمامي نورا، ومن خلفي نورا، واجعل لي في نفسي نورا، وأعظم لي نورا»(٢).

«اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطىء وعمدي، وهزلي وجدي، وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»(٣).

«اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما يهون علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل

---

(١) أنظر إحياء علوم الدين (١/٣٦١ - ٣٦٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا»(١).

آمين... آمين.. آمين.. لا أكتفي بواحدة حتى أوصلها مليون آمين.

٨- شهر رمضان شهر مضاعفة الأجور

اعلم يا أخي الكريم - وفقني الله وإياك لطاعته - أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب:

● منها شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل، كالحرم: ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة (الحرمين) كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح.

قال صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»(٢).

● ومنها شرف العامل عند الله وقربه منه وكثرة تقواه: كما يضاعف أجر هذه الأمة على أجور من قبلهم من الأمم وأعطوا كلفين من الأجر.

● ومنها شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذي الحجة.

---

(١) حسن: رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (١٢٦٨).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

ففي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمرة في رمضان تعدل حجة»[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي»[٢]. وفي رواية: (عمرة في رمضان لحجة معي»[٣].

قال المناوي (٣٦١/٤) أي تقابلها وتماثلها في الثواب لأن الثواب يفضل بفضيلة الوقت، ولا تقوم مقامها في إسقاط الفرض بالإجماع[٤].

قال ابن العربي: هذا صحيح مليح وفضل من الله ونعمة، نزلت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها.

قالت الشافعية. ويسن في رمضان العمرة والإكثار منها.

قال ابن رجب: «ذكر أبو بكر بن أبي بكر عن أشياخه أنهم كانوا يقولون: إذا حضر شهر رمضان فانبسطوا فيه بالنفقة، فإن النفقة فيه مضاعفة كالنفقة في سبيل الله، وتسبيحه فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره».

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وابن ماجة عن جابر.

(٢) صحيح: رواه مسلم.

(٣) صحيح: صححه ابن العربي والسيوطي، والألباني في صحيح الجامع.

(٤) فيض القدير للمناوي.

قال إبراهيم النخعي: «صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة،[١] . فلما كان الصيام في نفسه مضاعفا أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال، كان صيام شهر رمضان مضاعفا على سائر الصيام لشرف زمانه، وكونه هو الصوم الذي فرضه الله على عباده، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها»[٢] .

٩- شهر رمضان شهر تصفد فيه الشياطين

يا فرحة العابدين، ويا سعادة المجتهدين، ونشوة الذاكرين بشهر صفدت فيه الشياطين، وفتحت فيه أبواب السماء وغلقت فيه أبواب النيران.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»[٣] .

وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»[٤].

---

(١) قلت: والتحديد بهذا العدد لم يأتي عليه دليل، والأولى الإطلاق دون التحديد والله أعلم.

(٢) لطائف المعارف ص (١٦٩).

(٣) صحيح رواه البخاري.

(٤) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

وعند مسلم: «فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين».

وعنه أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب»[١].

وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاكم شهر رمضان، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين»[٢].

قال ابن خزيمة في صحيحه: «لفظ عام، مراده خاص في تصفيد الشياطين إنما أراد بقوله: (صفدت الشياطين) مردة الجن منهم لا جميع الشياطين، إذ اسم الشيطان قد يقع على بعضهم»[٣].

وقال ابن حبان في (الإحسان) «إنما يصفد الشياطين في شهر رمضان مردتهم دون غيرهم»[٤].

قلت: والذي ندين لله به ونؤمن به أن تصفيد الشياطين على الحقيقة وعلى ظاهر اللفظ ولا حاجة للتأويل وصرف اللفظ عن ظاهره.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة وابن خزيمة والبيهقي. ولفظ ابن خزيمة (صفدت الشياطين مردة الجن) بغير واو.

(٢) صحيح: رواه النسائي والبيهقي في سننه وصححه الألباني.

(٣) صحيح ابن خزيمة (٣/١٨٧ - ١٨٨).

(٤) (بذل الإحسان) (٨/٢٢١).

بعض أقوال أهل العلم في تصفيد الشياطين في رمضان

قال الحافظ في الفتح: (قال الحليمي: يحتمل أن يكون المراد من الشياطين مسترقوا السمع، فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ. ويحتمل أن يكون أن المراد لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه من غيره لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع للشهوات، وبقراءة القرآن والذكر.

وقال غيره: المراد بالشياطين بعضهم وهم المردة منهم، وترجم لذلك ابن خزيمة في صحيحه.

قال عياض: يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر العظيم، وتعظيم حرمته، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين.

وقال الزين بن المنير: والأول أوجه، ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره.

وقال الطيبي: فائدة فتح أبواب السماء توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين، وأنه من الله بمنزلة عظيمة، وفيه إذا علم المكلف ذلك بأخبار الصادق ما يزيد في نشاطه ويتلقاه بأريحية.

وقال القرطبي بعد أن رجح على ظاهره: فإن قيل كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيرا[١]. فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟ فالجواب أنها إنما تقل عن الصائمين بالصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه أو المصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم، كما تقدم في بعض الروايات.

أو المقصود: تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع فيه شر ولا معصية، لأن لذلك أسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية.

وقال غيره في تصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال له: قد كفت الشياطين عنك، فلا تعقل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية)[٢].

---

(١) قلت: إن كانت المعاصي في زمن القرطبي - رحمه الله - كثيرة ففي زماننا لا حصرة لها، والله المستعان.

(٢) (فتح الباري) (٤/١٣٦ - ١٣٧).

أساليب الشيطان في تضليل الإنسان

واعلم يا أخي الحبيب - حفظني الله وإياك من شياطين الإنس والجن - أن للشيطان أساليب متنوعة في إضلال العباد، نذكرها بإيجاز حتى تكون على حذر منها أو الأسباب المفضية إليها:

١- **تزيين الباطل:** كما قال اللعين لرب العزة ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الحجر: الآيتان ٣٩-٤٠].

يقول ابن القيم: (ومن مكايده أنه يسحر العقل دائما حتى يكيده ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، فلا إله إلا الله كم فتن بهذا السحر من إنسان، وكم حال بينه وبين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان، وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة على النقادين، وكم روج من السر على العارفين).

ومن صور تزيين الباطل تسمية الأمور المحرمة بأسماء محببة إلى النفس كما سمى الشجرة المحرمة بشجرة الخلد كي يزين لآدم الأكل منها، وكما يسمون الرقص والغناء والمجون، والتمثيل والتماثيل فنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٢- الإفراط والتفريط:

يقول ابن القيم: (وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو).

٣- تثبيطه للعباد عن العمل ورميهم بالتسويف والكسل:

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل نام ليلة حتى أصبح فقال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه».

فمن قام بالليل وتوضأ وصلى انحلت عنه عقد الشيطان كلها عن قافية رأسه فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان، كان أحد الصالحين يقول: (أنذرتكم سوف فإنها أكبر جنود إبليس).

٤- الوعد والأمنية:

إن الشيطان يعد الناس بالمواعيد الكاذبة ويعللهم بالأماني المعسولة كي يوقعهم في وهدة الضلال: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [سورة النساء:الآية ١٢٠].

٥- إظهار النصح للإنسان:

ومن العجيب أن يظهر الشيطان في مظهر الناصح الأمين للإنسان وأعجب منه أن يصدقه المغفلين السذج فيطيعونه ويتبعوا أمره.

قال تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الأعراف:الآية ٢١].

٦- التدرج في الإضلال:

للشيطان طرق عديدة وحيل متنوعة وصبر عجيب وخداع ومكر حتى يوقع الإنسان في شباك الفساد والضلال، وإذا ما حدث ما يريد، سخر منه الشيطان وقال له بلسان الحال والمقال. ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الحشر:الآية ١٦]. وانظر في ذلك قصة عابد بني إسرائيل (برصيصا) مع الأخوة الثلاثة وأختهم وكيف استدرجه الشيطان حتى زنى بها وقتل ابنها من الزنا ثم قتلها ودفنها بجوار ابنها، وهذا كله بالتدرج والمكر والحيل والخداع[1].

٧- إنساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾ [سورة يوسف:الآية ٤٢].

وإذا تمكن الشيطان من الإنسان تمكنا كليا فإنه ينسيه الله بالكلية قال تعالى: ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ ﴾ [سورة المجادلة:الآية ١٩].

(١) ذكرت هذه القصة في كتب التفاسير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الحشر:الآية ١٦].

٨- تخويف المؤمنين من أوليائه:

أي يخوفهم بأوليائه ويعظهم في صدورهم بأنهم ينفعوا أو يضروا، ولقد حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين من ذلك فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ١٧٥].

٩- دخوله إلى النفس من الباب الذي تهواه:

ومن هنا دخل الشيطان على آدم وحواء عليهما السلام (فشام عدو الله الأبوين فأحس منهما إيناسا وركونا إلى الخلد في تلك الدار، في النعيم المقيم فعلم أنه لا يدخل عليهما إلا من هذا الباب).

١٠- إلقاء الشبهات:

وهذا باب خطير فإذا استحكمت الشبهة من النفس ضل صاحبها ضلالا بعيدا وزاغ قلبه زيغا شديدا قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ٧].

(١١، ١٢، ١٣، ١٤) الخمر والميسر والأنصاب والازلام.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝ ﴾ [سورة المائدة:الآيتان ٩٠-٩١].

١٥- السحر:

وهو من أكبر الكبائر وأشدها فتكاً بالإنسان في الدنيا والآخرة.

١٦- ضعف الإنسان ومرض قلبه:

وأمراض القلب كثيرة وأساسها اتباع الهوى والسير وراء نزوات النفس وتلبية رغباتها التي لا تنقضي.

١٧- النساء:

وهذا أخطر سلاح يستخدمه الشيطان في إغواء البشر ولقد جاء التحذير الشديد من النبي صلى الله عليه وسلم لتجنب فتنة النساء، فكان أخوف ما خاف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته النساء لأن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء فقال: فاتقوا الدنيا واتقوا النساء).

١٨- حب الدنيا، والاطمئنان إليها والرغبة فيها وعدم الزهد في نعيمها، والجد في تحصيل كل لذة من لذاتها محرمة كانت أو غير محرمة.

١٩- الغناء والموسيقى:

وهذا هو جاسوس القلوب الذي يأخذها في عالم الشهوات والمتع المحرمة، وكم وقع أناس كثير في براثن وشباك المعاصي، وسقطوا في مستنقعها الآسن بسبب الغناء والموسيقى! صوت الشيطان ومزماره!!

٢٠- تهاون المسلمين فيما أمروا به:

وهذا ناتج عن عدم توقير أوامر الرب في القلوب وبالتالي الاستهانة بالأوامر والنواهي، ومن ثم الوقوع في المحرمات والمهلكات التي حذر الله من ارتكابها.

فيا أخي الكريم كن على حذر من أن تقع في شيء مما ذكر وكن حذرا من عدوك متيقظا له ولا تغفل عنه فإنه لا يغفل عنك أبدا، ينتظر أي زلة لك أو هفوة يدخل لك من خلالها وينصب شباكه حولك حتى يوقعك فيما حذرك منه ربك ومولاك.

فاغتنم فرصة هذا الشهر في الذكر والعبادة والطاعة وصنوف الخير - وهي كثيرة ولله الحمد والمنة - وإليك أخي بعض الأشياء التي تحفظك من الشيطان وتجعلك في حرز منه في رمضان وغير رمضان.

حرز الإنسان من الشيطان في رمضان وغيره

ذكر ابن القيم - رحمه الله - في بدائع الفوائد قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع به شره ويحترز منه.

وذلك بأمور نذكرها على وجه الاختصار:

الحرز الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ ﴾ [سورة الأعراف:الآية ٢٠٠].

الحرز الثاني: قراءة المعوذتان: قال صلى الله عليه وسلم: «أفضل ما تعوذ به المتعوذون وكان يتعوذ بهما في كل ليلة عند نومه»(١). وأمر عقبة بن عامر - رضي الله عنه - أن يقرأ بهما دبر كل صلاة.

الحرز الثالث: قراءة آية الكرسي عند النوم وعند الصباح والمساء. قال ابن تيمية: أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسي. أي على الجن وأعوانهم.

الحرز الرابع: قراءة سورة البقرة. وقد جاء في الحديث أنها إذا قرأت في بيت لم يدخله الشيطان ثلاث أيام.

قال صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»(٢).

الحرز الخامس: قراءة خاتمة سورة البقرة.

قال صلى الله عليه وسلم: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة من ليلة كفتاه».

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة.

الحرز السادس: «قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة»[١] .

الحرز السابع: الوضوء والصلاة.

الحرز الثامن: امساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة.

الحرز التاسع: الأذان، فالشيطان يهرب ويفر من الأذان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال[٢] ، له ضراط حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس، فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس»[٣] .

الحرز العاشر: أن يختم الإنسان بذكر حتى ينام، ويفتح بذكر إذا قام.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أوى الإنسان إلى فراشه، ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك اختم بخير، ويقول الشيطان اختم بشر، فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه ـ يعني النوم ـ طرد الملك الشيطان وبات يكلأه[٤] . «فإذا استيقظ

(١) قلت والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

(٢) أي تحول من موضعه.

(٣) صحيح رواه مسلم.

(٤) أي يحفظه.

ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك: افتح بخير، ويقول الشيطان افتح بشر، فإذا قال: الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد موتها، ولم يمتها في منامها، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت، أو يرسل الأخرى إلى أجل مسمى، الحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، طرد الملك الشيطان وظل يكلأه»[1].

وهناك أحراز أخرى ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن أراد الحفظ والوقاية.

واعلم أخي الكريم ـ وفقني الله وإياك لما يحب ويرضى ـ أن الشياطين لا تنحصر في الجن وحدهم بل هناك شياطين من بني جلدتنا يتسمون بأسمائنا ويتحدثون بألسنتنا هم دعاة إلى النار من أجابهم وقع فيها.

فكن على حذر منهم، فهم يعملون ليل نهار في تفريق الأمة وشتاتها، ويريدون أن تكون الأمة كقطيع من الغنم تساق بيد الكفر والإلحاد وذلك بوسائل عديدة ومتنوعة وأهمها، التفريق بين الأمة وبين كتابها الخالد وسنة نبيها المختار، وذلك بإلقاء الشبهات المضللة للعطن في الوحيين عن طريق شياطين الكفر والإلحاد والزندقة وحرية الفكر والكفر والإباحية، فهم يمكرون بالأمة ليلا ونهارا بالدعوة إلى الإباحية وشهوات الجسد المسعورة التي تأتي على الأخضر واليابس فتهلكه، وذلك لفتنة

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه ابن السني في (عمل اليوم والليلة) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

رجال الأمة شبابا وكهولا : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة مريم:الآية ٨٣].

فهم يبثون سمومهم عبر الإذاعات المرئية والمسموعة من أفلام داعرة ومسلسلات ماجنة وأغنيات فاضحة، ويزداد الأمر ضراوة وتبلغ الحرب أشدها خصوصا في شهر رمضان وفي تلك الأيام المباركة حتى يصرفوا الناس عن واجبهم الأساسي في هذا الشهر الكريم.

فهم يبثون الأفلام السافرة العاهرة حتى إفطار الناس خاصة وقبل تراويحهم، ويذيعون مسلسلاتهم الكاذبة باسم الدين[1] . والتي تطعن في الثوابت من دين الأمة، بكل خضراء الدمن ممثلة زنديقة سافرة فاجرة شوهاء:

حديثها كذب محض حقيقته ... مأخوذة من أباطيل الغرانيق
تباع في كل سوق للضلال فلا ... تسأل عن التاجر الكذاب والسوق
وعن سماسرة باعوا ضمائرهم ... وذوبوا العقل في نار الأبلريق
تبدي خصالا من الإيمان كاذبة ... وفي مشاعرها احساس زنديق[2]

---

(١) وحتى يتم التلبيس على المغفلين من هذه الأمة ـ المنكوبة بهم ـ يسمون المسلسلات التي تعرض في رمضان بالمسلسلات الدينية (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) فالدين بريء منهم ومن مسلسلاتهم، وليس في الدين تمثيل لأن التمثيل ضرب من ضروب الكذب.

(٢) من قصيدة لعبد الرحمن العشماوي.

وكل كذب إلى نهاية، ولا يبقى إلا الحق يا شوهاء يا من تسخر لإباحيتك وفجرك الطائرات... وتفتح لك الأبواب الموصدة، وتفرش لك الأرض بالزهور والورود، وكل ماهو محظور وممنوع فهو لك مباح وميسور ويا من جسدت العهر والزندقة في تمثيلك في رمضان إعلمي:

لا الليلة الحمراء باقية　　لا الكأس لا العشاق لا الخمر
كم نجمة بالأمس قد سقطت　　واليوم لا حس لها ولا خبر
أنت الضحية أنت بينهم　　وعليك ثم عليهم الوزر
لا تسخري بالتائبات ففي　　هذا الإياب العز والفخر
مست شغاف قلوبهم سور　　فتفجر الإيمان والعطر
ويح الذين قست قلوبهم　　وأمامهم يتشقق الصخر
ويح الذين تصخ سمعهم　　آيات ربي ثم لم يدروا
يا نجمة الأضواء إن غدا　　آت ويسدل بعدها الستر
والمعجبون سيرحلون غدا　　وسيرحل التطبيل والزمر
وستطفأ الأنوار في عجل　　فالزيت في قنديلكم نزر
وستزفين العمر من ندم　　لو كان ينفع عندنا الزفر
وستشربين الكأس مترعة　　مر شراب كئوسكم مر

وسيضرب النسيان بينكم سدا، فلا يبقى لكم ذكر
الآن مطوى كتابكم ولكل مطوى غدا نشر[١]

فيا أخي: كن على حذر ولا تغفل ولا تنخدع ببريق الأقوال التي تلقى على مسامعك من رؤساء الفتنة وتجارها ومروجوها، فاستعن بالله واقهر شيطانك، واجعل من هذا الشهر زاد لك إلى الله يوم الرحيل.

قال صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن لينصى شيطانه كما ينصى أحدكم بعيره في السفر»[٢].

فيا أخي الكريم:

شهر رمضان ليس شهر السهر أمام التلفاز والقنوات الفضائية الإباحية إلى قبيل الفجر، وليس شهرا للسمر المحرم من الغيبة والنميمة وشرب الدخان والمخدرات ولعب البالوت واستماع الأغاني والموسيقى، ولكنه شهر القرآن والذكر والقيام والتراويح والتسابيح، فكن من الذين

(١) إلى مثلة: لمحمود مفلح.

(٢) رواه أحمد في المسند، ينصى شيطانه، أي يأخذ بناصيته فيغلبه ويقهره.

يتجافى جنوبهم عن المضاجع، وقوفا بين يدي الرب جل وعلا، ولا تكن من الذين يبارزون الله بالمعاصي في كل وقت وحين.

وفقنا الله وإياك لكل خير وطاعة وبر، وصرف عنا وإياك كل سوء وشر إنه ولي ذلك والقادر عليه ومولاه.

اللهم خذ بنواصينا إليك يا أرحم الراحمين.

استراحة

● خرج المهدي يتصيد فغار به فرسه حتى وقع في خباء[1] أعرابي، فقال: يا أعرابي! هل من قرى؟ فأخرج له قرص شعير فأكله، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه، ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه، فلما شرب قال: [يا أعرابي !] أتدري من أنا؟ قال [الأعرابي]: لا! قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة، قال: بارك الله في موضعك، ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال: يا أعرابي! أتدري من أنا؟ فقال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال: لا أنا من قواد أمير المؤمنين. قال: رحبت بلادك وطال مرادك ثم سقاه الثالثة، فلما فرغ قال: يا أعرابي! أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين. قال: لا، ولكنني أمير المؤمنين، قال: فأخذ الأعرابي الركوة فوكأها وقال: إليك عني، فو الله لو شربت الرابعة لأدعيت أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضحك المهدي حتى غشي عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت إليه الملوك والأشراف، فطار قلب الأعرابي، فقال له: لا بأس عليك ولا خوف، ثم أمر له بكسوة ومال جزيل.

---

(١) الخباء: خيمة من صوف أو شعر تكون على عمودين أو ثلاثة.

- وحضر أعرابي مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له: يا أبا أمامة! أتقوم الليل؟ فقال: نعم، قالوا ما تصنع؟ قال: أبول وأرجع أنام.
- صلى أعرابي خلف إمام صلاة الصبح، فقرأ الإمام سورة البقرة، وكان الأعرابي مستعجلا، ففاته مقصوده، ولما كان في اليوم الثاني، وابتدأ الإمام بسورة الفيل، ولى الأعرابي هاربا وهو يقول: الفيل أكبر من البقرة.
- جيء بأعرابي متهم ومعه دليل براءته وهو يقول: هاؤم اقرؤا كتابيه. فقيل له: هذا يقال يوم القيامة! فقال: هذا والله شر من يوم القيامة، إن يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي وأنتم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي.

❀ ❀ ❀

الصيـــام، أحكام وآداب وفضـــائل وســـنن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الصوم من أفضل الطاعات وأجل القربات، كيف لا وهو الركن الرابع من أركان الإسلام التي بني عليها وقامت دعائمه، وللصيام خصائص أختص بها دون غيره من الأعمال ومن أشرفها إضافته لله جل وعلا حيث يقول في الحديث القدسي: (الصوم لي وأنا أجزي به)[١]. وكفى بهذه الإضافة شرفا وكرما كما شرف وكرم البيت الحرام بإضافته إليه سبحانه في قوله: ﴿... وطهر بيتي﴾ (الحج: ٢٦).

ونحن في الصفحات التالية سنتحدث عن الصوم وما يتعلق به من أحكام وآداب وسنن وفضائل وغيرها من الأمور التي تعين المسلم على أن يعيش شهر الصيام بالوجه اللائق به.

---

(١) سيأتي تخريجه والحكم عليه.

● **أولا : تعريف الصوم لغة وشرعا:**

الصوم لغة: الإمساك عن الشي والترك له والكف عنه، وقيل للصائم صائم وذلك لإمساكه عن المطعم والمشرب والمنكح.

قال تعالى حكاية عن مريم عليها السلام: ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة مريم:الآية ٢٦]. أي إمساكا عن الكلام.

ويقال للفرس صائم إذا أمسكت عن المشي أو العلف.

قال الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

أي خيل ثابتة ممسكة عن الجري أو ممسكة عن الطعام.

قال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام أو كلام أو مسير فهو صائم[1].

● **الصوم شرعا:** هو التعبد لله بالامتناع عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية.

وقيل: (هو الإمساك بنية عن أشياء مخصوصة في زمن معين من شخص مخصوص بشروط خاصة).

وقيل: هو إمساك المكلف بالنية عن تناول المطعم والمشرب والاستمناء والاستسقاء من الفجر إلى المغرب[1].

---

(١) لسان العرب (٣٥١/١٢) والمعجم الوسيط (ص ٥٢٩).

أركان الصوم

أعلم أخي الكريم: أن للصوم أربعة أركان[٢] وهي:

١- النية.

٢- الإمساك عن المفطرات.

٣- الزمان. أي (زمن الإمساك).

٤- الصائم.

وإليك بيان ذلك بإيجاز.

الركن الأول: النية:

النية مطلوبة في كل عبادة من العبادات وفي كل عمل من الأعمال لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾ [سورة البينة:الآية ٥].

ولقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى»[٣] الحديث. والنية محلها القلب فلا يسن التلفظ بها، وأن

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته (١٦١٦/٣)، صحيح المسند من أحكام الصيام (١١-١٢)، الصيام أحكام وآداب وغيرها.

(٢) اختلف أهل العلم في تحديد أركان الصوم منهم من جعلهم أربعة، ومنهم من جعلهم ثلاثة بحذف أحد الأربعة، ومنهم من جعلهما اثنين، وكلاهما لا تخرج عن الأربعة المذكورة فسلكنا مسلك الجمع وأتينا بهم جميعا، والله أعلم بالصواب.

(٣) صحيح: رواه البخاري في صحيحه (٩/١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

التلفظ بها بدعة محدثة، ولم يرد دليل صحيح ـ ولا ضعيف ـ عن النبي أنه تلفظ بالنية ولا ثبت ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم. ومذهب كافة العلماء أنه لا يصح صوم إلا بنية، وحجتهم أن الصوم عبادة محضة لا تتأدى إلا بنية، وهذه النية تكون ليلا وقبل طلوع الفجر.

عن حفصة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: «من لم يبيت النية من الليل فلا صيام له[1] ».

وقال صلى الله عليه وسلم: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له»[2] .

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له»[3] .

الركن الثاني: الإمساك عن المفطرات:

وذلك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧]. والمراد بالخيط الأسود والخيط الأبيض، بياض النهار وسواد الليل.

---

(١) صحيح: رواه النسائي، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٦٥٣٥).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٦٥٣٨).

(٣) صحيح: رواه الدارقطني في (الأفراد) والبيهقي في سننه عن عائشة، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٦٥٣٤).

وعند البخاري من حديث سهل بن سعد قال: أنزلت: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود» ولم ينزل: «من الفجر» فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: (من الفجر) «فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار»[(١)].

والمفطرات التي يجب على الصائم أن يمسك عنها هي:

١- الأكل والشرب. ٢- الجماع. ٣- إنزال المني بقصد.

٤- ما كان بمعنى الأكل والشرب. ٥- القيء عمدا.

٦- خروج دم الحيض والنفاس[(٢)].

الركن الثالث: الزمان: (زمن الإمساك).

يمسك الصائم عن جميع المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أقبل الليل من ههنا، وأدبر من ههنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١٣٢)، ومسلم (١٠٩١).

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في مفسدات الصوم، وهناك أشياء أخرى ولكن مختلف فيها سيأتي بيانها إن شاء الله.

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه.

وفي لفظ مسلم: «إذا غابت الشمس من ههنا وجاء الليل من ههنا فقد أفطر الصائم».

الركن الرابع: الصائم:

وهو المسلم البالغ العاقل، القادر على الصوم الخالي من الموانع[1].

مشروعية الصيام

من المعلوم أن صيام رمضان أحد أركان الإسلام التي بني عليها، وهو فرض من فروض الله، ومعلوم من الدين بالضرورة، ومجمع عليه من جميع المسلمين، توارثته الأمة خلفا عن سلف، وقد دل على وجوبه الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ...﴾ [سورة البقرة:الآيات ١٨٣-١٨٥].

ومن السنة:

١ - عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن

---

(١) سيأتي التفصيل عن ذلك في الكلام على من يجب عليه الصوم.

محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا»[١].

٢- عن طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: أن إعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس فقال: يا رسول الله! أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة، فقال الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئا. فقال: أخبرني بما فرض الله على من الصيام، قال: (شهر رمضان) قال هل علي غيره؟ قال: (لا، إلا أن تطوع شيئا).. الحديث[٢].

٣- وما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ من حديث جبريل الطويل عليه السلام، حين جاء يعلم الناس أمر دينهم.. قال يا رسول الله! ما الإسلام؟ قال: (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان..)[٣].

ومن الإجماع:

أجمعت الأمة على أن الصيام ركن من أركان الإسلام وأنه معلوم من الدين بالضرورة، بل وأجمعوا على أن من أنكر وجوبه كفر[٤].

---

(١) صحيح رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣/٣١) ومسلم (١/٣١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١/٢٠)، ومسلم (١/٣٠).

(٤) انظر بدائع الصناع (٢/٧٥)، المجموع (٦/٢٤٨)، ومغني المحتاج (١/٤٢٠)، المغني (٤/٣٢٤) وحاشية الروض المربع (٣/٣٤٤).

شروط الصوم

قال العلماء شروط الصوم تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شروط وجوب الصوم.

القسم الثاني: شروط صحة الأداء.

واختلفوا في تعيين الشروط في كل قسم من هذه الأقسام، وبعدا عن الخلاف ومنازعاته نجمل ذلك تحت عنوان آخر ونقول:

على من يجب الصوم

يجب الصوم على كل مسلم بالغ عاقل مقيم قادر خال من الموانع.

إذا هناك ستة شروط يجب أن تتوافر فيمن يجب عليه الصوم وهي:

١- الإسلام:

يخرج بقولنا الإسلام: الكافر: فلا يجب عليه الصوم ولا يصح منه، لأنه ليس أهلا للعبادة، وليس مخاطبا بتكاليف الشرع ولا يمنع ذلك أنه سيحاسب على ذلك في الآخرة.

وإذا أسلم لزمه الصيام من حين إسلامه، ولا يقضي ما مضى، يدل على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [سورة الأنفال:الآية ٣٨].

٢- البلوغ:

يخرج بقولنا البالغ: الصغير الذي لم يبلغ، فلا يجب عليه الصوم لرفع القلم عنه حتى يبلغ. ويحصل البلوغ بواحدة من ثلاث:

أ - إنزال المني باحتلام أو غيره.

ب - نبت شعر العانة.

جـ - بلوغ تمام خمس عشرة سنة.

وتزيد الأنثى على الذكر بالحيض إذ تبلغ به أو بأحد الأمور الثلاثة السابقة.

٣- العقل:

يخرج بقولنا العاقل: المجنون، فلا يجب عليه الصوم لرفع القلم عنه، وإذا كان الشخص يجن أحيانا ويفيق أحيانا أخرى لزمه الصوم متى أفاق ولم يجب عليه قضاء ماجن فيه.

٤- الإقامة:

يخرج بقولنا: مقيم: المسافر، فلا يجب عليه الصوم بل هو مخير بين الفطر والصيام، والأفضل له فعل الأيسر له على حسب الحال، قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥].

٥- القدرة:

يخرج بقولنا القادر: العاجز غير القادر على الصيام لأي سبب من الأسباب كمرض أو كبر سن أو نحو ذلك، فلا يجب عليه الصوم بل يقضيه بعد رمضان والكبير يطعم عن كل يوم مسكينا، وكذلك المريض الذي لا يرجى شفاؤه.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٤].

٦- عدم الموانع:

يخرج بقولنا خال من الموانع: من قام فيه مانع من موانع الصوم، فلا يجب عليه الصوم حال المانع، بل يجب عليه الفطر وعليه القضاء بعد زوال المانع، والمانع كالحيض والنفاس.

قال ابن رشد ـ رحمه الله ـ: (... وأما على من يجب وجوبا غير مخير فهو البالغ العاقل الحاضر الصحيح إذا لم تكن فيه الصفة المانعة من الصوم وهي الحيض للنساء، هذا لا خلاف فيه لقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥] [١].

---

(١) بداية المجتهد (١/٢٧٤)، بدائع الصنائع (٢/٧٧)، (٣/١٧٦)، كشاف القناع (٢/٣٠٨) والسيل الجرار للشوكاني (٢/١١١).

فضائل الصوم

أخي الكريم:

أنعم بالصوم عبادة بها رفع الدرجات، وتكفير الخطيئات، وكسر الشهوات وتكثير الصدقات، وتوفير الطاعات، وشكر عالم الخفيات، والانزجار عن خواطر المعاصي والمخالفات، والبعد عن سموم النار واللفحات، وقرع أبواب الجنات، وكم للصوم من فضائل وفضائل.. وإليك طرفا منها:

❁ الفضيلة الأولى: نداء الريان لمعاشر الصوام

عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه أحد»(١).

(١) صحيح: رواه البخاري (١١١/٤)، ومسلم (١١٥٢)، والنسائي (١٦٨/٤)، الترمذي (٤٧٤/٣) تحفة الأحوذي، وأحمد (٢٦٤/٥).

وفي رواية عند النسائي زاد في آخره: «من دخل فيه شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا». وعند الترمذي «ومن دخله لم يظمأ أبدا».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة» فقال أبو بكر - رضي الله عنه - بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم[1]».

❁ الفضيلة الثانية: الصيام جنة من الشهوات والنار

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[٢]».

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/١١٩)، ومسلم (١٤٠٠). قال الحافظ رحمه الله في الفتح (٤/١١٩) قوله: (فعليه بالصوم فإنه له وجاء) بكسر الواو وبجيم ومد، وهو رض الخصيتين، وقيل رض عروقها، ومن يفعل به ذلك تنقمع شهوته، ومتقضاه أن الصوم قامع لشهوة النكاح) أ.هـ.

● عن عثمان بن أبي العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «الصوم جنة من عذاب الله»[(١)].

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «الصوم جنة يستجن بها العبد من النار»[(٢)].

● وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى الصيام جنة يستجن بها العبد من النار، وهو لي وأنا أجزي به»[(٣)].

قال المناوي: «وقاية في الدنيا من المعاصي بكسر الشهوة وحفظ الجوارح وفي الآخرة من النار».

وقال: «الصوم جنة من عذاب الله فليس للنار عليه سبيل كما لا سبيل لها على مواضع الوضوء، لأن الصوم يغمر البدن كله فهو جنة لجميعه برحمة الله من النار».

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في (شعب الإيمان) ورواه أحمد والنسائي وابن ماجة، وابن خزيمة وابن حبان، وصححه السيوطي والألباني في (صحيح الجامع) برقم (٣٨٦٧).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في (الكبير)، ورواه أحمد والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان، وقال الهيثمي سنده حسن، وصححه السيوطي والألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٨٦٨) والجنة: أي الوقاية والحفظ والستر.

(٣) حسن: رواه أحمد، والبيهقي في (شعب الإيمان)، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) برقم (٤٣٠٨).

وقال: «أجزى به صاحبه جزاء كثيرا، وأتولى الجزاء عليه بنفسي فلا أكله إلى ملك مقرب ولا غيره لأنه سر بيني وبين عبدي، لأنه لما كف نفسه عن شهواتها جوزي بتولي الله سبحانه إحسانه»(١).

قال: ابن عبد البر: «حسبك بهذا فضلا للصائم».

الصوم في سبيل الله يباعد عن النار:

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا»(٢).

قال المناوي: «أي نجاه منها أو عجل إخراجه منها قبل أوان الاستحقاق، عبر عنه بطريق التمثيل ليكون أبلغ، لأن من كان مبعدا عن عدوه بهذا القدر لا يصل إليه ألبتة».

وقال: «سبعين خريفا» سنة أي نجاه وباعده منها مسافة تقطع في سبعين سنة إذ كل ما مر خريف انقضت سنة، فهو من إطلاق اسم البعض على الكل وذكر الخريف من ذكر الجزء وإرادة الكل، وخصه دون غيره من الفصول لأنه وقت بلوغ الثمار وحصول سعة العيش، وذلك لأنه تحمل مشقة الصوم ومشقة الغزو فاستحق هذا التشريف»(٣).

---

(١) فيض القدير (٢٤٢/٤ - ٢٥٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

(٣) فيض القدير (١٦١/٦).

أخي الكريم:

إذا كانت أعز أمنية لآخر أهل النار خروجا منها - وهو يخرج منها حبوا - صرف وجهه عن النار قبل الجنة لا يسأل مولاه غير ذلك، فكيف إذا باعد الله وجهه عن النار وجعل بينه وبين النار مسيرة سبعين سنة هذا بصيام يوم واحد نفلا، فما ظنك بصيام شهر كامل وهو شهر رمضان وهو الفريضة؟!.

الفضيلة الثالثة: الصيام لا مثل له وهو الطريق إلى الجنة

● عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله مرني بعمل قال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له». قلت: يا رسول الله مرني بعمل قال: «عليك بالصيام فإنه لا عدل له»(١).

وعند الحاكم وصححه النسائي قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به قال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له».

● وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: اسندت النبي ﷺ إلى صدري فقال: «من قال لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام

(١) صحيح رواه النسائي، وابن خزيمة في (صحيحه) هكذا بالتكرار وبدونه، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) (١/٤١٣).

يوما ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة»[١].

ورواه الأصبهاني ولفظه: «يا حذيفة من ختم له بصيام يوم يريد به وجه الله عز وجل أدخله الله الجنة».

● قال المناوي: «أي من ختم عمره بصيام يوم بأن مات وهو صائم أو بعد فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين أو من غير سبق عذاب[٢]».

● قال ابن خزيمة: «إيجاب الله عز وجل الجنة للصائم يوما واحدا إذا جمع مع صومه صدقة، وشهود جنازة وعيادة مريض»[٣].

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائما؟ فقال: أبو بكر: أنا، فقال: من أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال: من تبع منكم اليوم جنازة؟ فقال أبو بكر: أنا. قال: من عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبو بكر أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل إلا دخل الجنة»[٤].

---

(١) صحيح: قال المنذري: رواه أحمد بإسناد لا بأس به، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٤١٢).

(٢) فيض القدير (٦/١٢٣).

(٣) صحيح ابن خزيمة (٣/٣٠٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢/٧١٣) رقم (١٠٢٨)، ابن خزيمة في صحيحه (٣/٣٠٤).

قال ابن خزيمة «هذه فضائل لهذه الأعمال لا كما يدعى من لا يفهم العلم ولا يحسنه»(١).

فيا أخي الحبيب:

هذا طريق الجنة واضح أمامك، فهل أنت من أصحاب الهمم العالية والأهداف السامية، والغايات الرفيعة؟!

فإن كنت كذلك - وأظنك كذلك ولا أزكي أحدا على الله والله حسيبك - فهذا هو الطريق إنه الصوم فإنه لا عدل له.

الفضيلة الرابعة: الصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، قال: فيشفعان»(٢).

---

(١) قاله ابن خزيمة في (صحيحه) (٣٠٤/٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد في (مسنده) والطبراني في الكبير، ورجاله محتج بهم في الصحيح، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب (الجوع) وغيره بإسناد حسن، ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب) (٤١١/١).

قال محدث العصر العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ «أي يشفعهما الله فيه ويدخله الجنة».

قال المناوي: «وهذا القول يحتمل أنه حقيقة بأن يجسد ثوابهما ويخلق الله فيه النطق ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ويحتمل أنه على ضرب من المجاز والتمثيل».

قلت: والأول هو الصواب الذي ينبغي الإيمان به والجزم به هنا وفي أمثاله من الأحاديث التي فيها تجسيد الأعمال ونحوها، كمثل تجسيد الكنز شجاعا أقرع، ونحوه كثير.

وتأويل مثل هذه النصوص ليس من طريقة السلف رضي الله عنهم، بل هو طريقة المعتزلة، ومن سلك سبيلهم من الخلف، وذلك مما ينافي أول شروط الإيمان ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ فحذار أن تحذو حذوهم فتضل وتشقى، والعياذ بالله تعالى)[1].

حديث تضمن أكثر من فضيلة للصوم:

● عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، الصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده

(١) انظر تعليق الشيخ الألباني رحمه الله على (صحيح الترغيب والترهيب) (١/٤١١).

لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه»[١].

قلت: فهذا الحديث تضمن فوائد كثيرة نأخذ منها:

الفضيلة الخامسة: إضافة الله تعالى للصوم إضافة تشريف وتعريف بقدر الصوم.

● قال ابن عبد البر: كفى بقوله: ﴿الصوم لي﴾ فضلا للصيام على سائر العبادات.

● قال الحافظ في الفتح (٤/١٠٧): (وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: ﴿إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به﴾ مع أن الأعمال كلها له، وهو الذي يجزي بها على أقوال.

وسأنقل لك الأقوال باختصار ومن أراد التوسع فليرجع إلى الفتح.

١- أن الصوم لا يقع فيه رياء كما يقع في غيره.

٢- أن قوله: (وأنا أجزي به) أني انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس، وهذا كقوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله،

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي.

وصبر على محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم، فإن فيه صبراً على طاعة الله، وصبراً عما حرَّم الله على الصائم من الشهوات، وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن)[١] .

٣- أي أنه أحب العبادات إليّ، وهو المقدم عندي.

٤- الإضافة إلى الله إضافة تشريف كما يقال بيت الله، وإن كانت البيوت كلها لله.

٥- أن الاستغناء عن الطعام والشراب وغيره من الشهوات من صفات الرب جل جلاله، فلما تقرب إليه بما يوافق أضافه إليه. أ.هـ. من الفتح.

الصيام جُنَّة أي: وقاية، وقد سبق أن تكلمنا عن ذلك في الفضيلة الثانية فراجعه إن شئت غير مأمور.

الفضيلة السادسة: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك

● قال أبو حاتم: شعار المؤمنين في القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقا بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في القيامة بصومهم طيب خلوفهم أطيب من ريح المسك ليعرفوا بين ذلك الجمع بذلك العمل، نسأل الله بركة هذا اليوم.

---

(١) بغية الإنسان (ص ٤).

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ (ويؤخذ من قوله: (أطيب من ريح المسك) أن الخلوف أعظم من دم الشهيد، لأن دم الشهيد شبه ريحه بريح المسك والخلوف وصف بأنه أطيب، ولا يلزم من ذلك أن يكون الصوم أفضل من الشهادة لما لا يخفى، ولعل سبب ذلك النظر إلى أصل كل منهما، فإن أصل الخلوف طاهر، وأصل الدم بخلافه، فكان ما أصله طاهر أطيب ريحاً)(١) أ. هـ.

● قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ : (خلوف الفم: رائحة ما يتصاعد من الأبخرة لخلو المعدة من الطعام بالصيام، وهي رائحة مستكرهة في مشام الناس في الدنيا، لكنها طيبة عند الله حيث كانت ناشئة عن طاعته، وابتغاء مرضاته.

ثم قال: وفي طيب ريح خلوف الصائم عند الله عز وجل معنيان:

أحدهما: أن الصيام لما كان سرا بين العبد وبين ربه في الدنيا أظهره الله في الآخرة علانية للخلق، ليشتهر بذلك أهل الصيام ويعرفون بصيامهم بين الناس جزاء لإخفائهم صيامهم في الدنيا(٢).

قال مكحول: يروح على أهل الجنة فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحا منذ دخلنا الجنة أطيب من هذا الريح، فيقال: هذه رائحة أفواه الصوام.

---

(١) فتح الباري: (١٢٨/٤).

(٢) قلت: وهذا المعنى يفسر أيضا تخصيص باب الريان للصائمين دون غيرهم من سائر الناس فإذا دخلوا منه أغلق ولا يدخل منه غيرهم. والله أعلم.

والمعنى الثاني : أن من عبد الله وأطاعه وطلب رضاه في الدنيا بعمل فنشأ من عمله آثار مكروهة للنفوس في الدنيا ، فإن تلك الآثار غير مكروهة عند الله بل هي محبوبة له وطيبة عنده لكونها نشأت عن طاعته واتباع مرضاته ، فإخباره بذلك للعاملين في الدنيا فيه تطييب لقلوبهم لئلا يكره منهم ما وجد في الدنيا.

كل شيء ناقص في عرف الناس في الدنيا حتى إذا انتسب إلى طاعة الله ورضاه فهو الكامل في الحقيقة ، خلوف أفواه الصائمين له أطيب من ريح المسك ، عرى المحرمين لزيارة بيته أجمل من لباس الحلل.. نوح المذنبين على أنفسهم من خشيته أفضل من التسبيح.. إنكسار المخبتين لعظمته هو الجبر.. ذل الخائفين من سطوته هو العز.. تهتك المحبين في محبته أحسن من الستر.. بذل النفوس للقتل في سبيله هو الحياة.. جوع الصائمين لأجله هو الشبع.. عطشهم في طلب مرضاته هو الري.. نصب المجتهدين في خدمته هو الراحة.

ذل الفتى في الحب مكرمة   وخضوعه لحبيبه شرف[1]

● قال المناوي : «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» فإذا كان هذا بتغير ريح فمه ، فما ظنك بصلاته وقراءته وسائر عباداته»[2] .

---

(١) لطائف المعارف. (١٧٩ - ١٨٢) بتصرف.

(٢) فيض القدير (٤/ ٢٥٠).

قال ابن جماعة: «وفيه أن خلوف فم الصائم أفضل من دم الجريح في سبيل الله، لأن النبي ﷺ قال في الشهيد: إن ريحه ريح المسك، وقال في خلوف الصائم أنه أطيب منه، ووجهه أن الجريح يظهر أمره للناس، فربما دخله رياء، والصائم لا يعلم بصومه إلا الله، فلعدم دخول الرياء فيه صار أرفع».

الفضيلة السابعة: للصائم فرحتان

قال الحافظ في الفتح (١١٨/٤): قال القرطبي: معناه فرح بزوال جوعه وعطشه حيث أبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي وهو السابق للفهم، وقيل إن فرحه بفطره إنما هو من حيث أنه تمام صومه وخاتمة عبادته، وتخفيف من ربه ومعونه على مستقبل صومه، قلت: أي الحافظ: ولا مانع من الحمل على ما هو أعم مما ذكر، ففرح كل أحد بحسبه لاختلاف مقامات الناس في ذلك، فمنهم من يكون فرحه مباحا وهو الطبيعي، ومنهم من يكون مستحبا وهو من يكون سببه شيء مما ذكره.

وقوله: «وإذا لقي ربه فرح بصومه» أي بجزائه وثوابه، وقيل الفرح الذي عند لقاء ربه إما لسروره بربه أو بثواب ربه، على

الاحتمالين، قلت: أي الحافظ: والثاني أظهر، إذ لا ينحصر الأول في الصوم بل يفرح حينئذ بقبول صومه، وترتب الجزاء الوافر عليه»أ. هـ.

قال: الحافظ ابن رجب: ـ رحمه الله ـ: (أما فرحة الصائم عند فطره فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا منعت من ذلك في وقت من الأوقات ثم أبيح لها في وقت آخر فرحت بإباحة ما منعت منه خصوصا عند اشتداد الحاجة إليه، فإن النفوس تفرح بذلك طبعا، فإن كان ذلك محبوبا لله كان محبوبا شرعا، والصائم عند فطره كذلك، فكما أن الله تعالى حرم على الصائم في نهار الصيام تناول هذه الشهوات، فقد أذن له فيها في ليل الصيام، بل أحب منه المبادرة إلى تناولها في أول الليل وآخره، فأحب عباده إليه أعجلهم فطرا، والله وملائكته يصلون على المتسحرين، فالصائم ترك شهواته لله بالنهار تقربا إلى الله وطاعة له، ويبادر إليها في الليل تقربا إلى مولاه، وأكل وشرب وحمد الله، فإنه يرجى له المغفرة أو بلوغ الرضوان بذلك، وفي الحديث: (إن الله ليرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها) وربما استجيب دعاؤه عند ذلك، وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثابا على ذلك.

قال أبو العالية: الصائم في عبادة وإن كان نائما على فراشه، فكانت حفصة تقول: يا حبذا عبادة وأنا نائمة على فراشي، فالصائم في

ليله ونهاره في عبادة ويستجاب دعاؤه في صيامه وعند فطره، فهو في نهاره صائم صابر وفي ليله طاعم شاكر.

وفي الحديث الذي خرجه الترمذي وغيره: (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) ومن فهم هذا الذي أشرنا إليه لم يتوقف في معنى فرح الصائم عند فطره، فإن فطره على الوجه المشار إليه من فضله ورحمته فيدخل في قول الله تعالى: قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٨].

وأما فرحه عند لقاء ربه: فيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخرا فيجده أحوج ما كان إليه كما قال تعالى: قال تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [المزمل:٢٠].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ [آل عمران:٣٠].

وعن عيسى بن مريم عليه السلام قال: (إن هذا الليل والنهار خزائنان، فانظروا ما تصنعون فيهما، فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر، وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها، فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة)[1].

---

(١) لطائف المعارف (١٧٦ - ١٧٨) بتصرف.

الفضيلة الثامنة: الصيام يرفع الدرجات

وهذا في قوله: ﴿وأنا أجزي به﴾.

● قال الحافظ في الفتح: (٤/١٣٠): المراد بقوله: ﴿وأنا أجزي به﴾ أني انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله، إلا الصيام، فإن الله يثيب عليه بغير تقدير.

ويشهد لهذا السياق رواية الموطأ، وكذا رواية الأعمش عن أبي صالح حيث قال: (كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله) قال الله: ﴿إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به﴾ أي أجازي عليه جزاء كثيرا من غير تعيين لمقداره، وهذا كقوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ أ. هـ.

● قال المناوي في فيض القدير (٤/٢٥١): ﴿وأنا أجزي به﴾ إشارة إلى عظم الجزاء عليه وكثرة الثواب لأن الكريم إذا أخبر بأنه يعطي العطاء بلا واسطة اقتضى سرعة القضاء وشرفه) أ. هـ.

● وقال ابن رجب: (يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة فتكون الأعمال كلها تتضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام، فإنه

لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله عز وجل أضعافا كثيرة بغير حصر عدد)[١] .

الفضيلة التاسعة : الصيام كفارة من الذنوب والمعاصي

● عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره ، يكفرها الصيام ، والصلاة والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢] .

قال المناوي : «فتنة الرجل : أي ضلاله ومعصيته ، أو ما يعرض له من الشر ويدخل عليه من المكروه في أهله مما يعرض له معهم من نحو هم وحزن أو شغل بهم عن كثير من الخير وتفريطه فيما يلزمه من القيام بحقهم ، و «ماله» بأن يأخذه من غير حله ويصرفه في غير حله ووجهه ، أو بأن يشغله لفرط محبته له عن كثير من الخيرات.

وفتنة في (نفسه) بالركون إلى شهواتها ونحو ذلك ، وفتنته في (ولده) بفرط محبته والشغل به عن المطلوبات الشرعية ، وفي (جاره) بنحو حسد وفخر ومزاحمة في حق وإهمال وتعهد.

(١) لطائف المعارف (١٦٨).

(٢) صحيح : رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة.

ونبه على الأربع على ما سواها، «يكفرها» أي الفتنة المتصلة بما ذكر (الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) لأن الحسنات يذهبن السيئات، ونبه به على ما عداها، فنبه بالصلاة والصوم على العبادة الفعلية، وبالصدقة على المالية، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على القولية فهي أصول المكفرات، والمراد الصغائر فقط.

ويحتمل أن يكون كل واحد من الصلاة وما بعدها يكفر المذكورات كلها لا كل واحد منها!.

وخص الرجل لأنه غالبا صاحب الحكم في داره وأهله وإلا فالنساء شقائق الرجال في الحكم)[1] أ. هـ.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيمان واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه[2]».

● عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[3].

---

(١) فيض القدير (٤/١٣٤).

(٢) صحيح: متفق عليه وقد سبق الكلام عن ذلك في فضائل رمضان ولا داعي هنا للإعادة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١/٢٣٣).

الفضيلة العاشرة : دعوة الصائم لا ترد

● عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم ودعوة المسافر»[(١)] .

● وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»[(٢)] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم، الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم »[(٣)] .

فيا أخي الحبيب:

اغتنم الفرصة وارفع أكف الضراعة وأنت صائم وعند فطرك وتوجه بقلبك وقالبك إلى المولى جل في علاه وأدعوه وأنت موقن بالإجابة فإنها لا ترد.

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في (شعب الإيمان) والعقيلي في الضعفاء، ورواه ابن ماسي وابن عساكر، وصححه الألباني في ٠صحيح الجامع) رقم (٣٠٣٠).

(٢) حسن: رواه أبو الحسن بن مهروية في (الثلاثيات) والضياء والألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٠٣٢).

(٣) حسن: أخرجه ابن حبان في صحيحه، وأحمد والطيالسي، والبيهقي، وابن أبي شيبة والترمذي وابن ماجة وقال الترمذي حديث حسن، وقال ابن حجر في (أمالي الأذكار) هذا حديث حسن، ورواه البزار.

فأعظم به من دعاء تنطق به شفاه ذابلة من الصيام يصعد السموات فما يرده ـ بكرمه ـ الرحمن، إنها نعمة عظيمة لمن عرف قدرها وأحسن استخدامها، اللهم وفقنا لاغتنام مواسم الخير يا أرحم الراحمين.

الفضيلة الحادية عشر: إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»[١].

قلت: والسحور لا يكون إلا في الصيام، ولا يتسحر إلا من نوى الصيام ومن هنا يتبين فضل الصيام في ذلك لأنه كان سببا في أن يصلي الله تبارك وتعالى.

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ موقوفا (الصائم إذا أكل عنده صلت عليه الملائكة)[٢].

فإن كان الله وملائكته يصلون على المتسحرين، والسحور عون على الصيام فما ظنك بالصيام؟.

فأكرم بها من عبادة يصلي الله عليك بها والملأ الأعلى.

(١) حسن: رواه ابن حبان والطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في الجامع رقم (١٨٤٤).

(٢) إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو موقوف له حكم الرفع قاله الألباني في الضعيفة (٥٠٢/٣ - ٥٠٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة، وعبد الرزاق وابن المبارك.

يا هذا: تبيع صلاة الله والملائكة بشبع وتخمة، ولا تصوم عن لقمة!!

(إنما يريد العاقل أن يأكل ليحيا لا أن يحيا ليأكل).

وإن خير المطاعم ما استخدمت، وإن شرها ما خُدمت، وهل عالج الحجامة وفصد الفصاد إلا خارج عن حد الاقتصاد[1].

الفضيلة الثانية عشر: الصوم في الصيف يورث السقيا يوم القيامة

● عن ابن عباس - رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية في البحر، فبينما هم كذلك، قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة إذ هاتف فوقهم يهتف: يا أهل السفينة! قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه، فقال أبو موسى: (أخبرنا إن كنت مخبراً، قال: إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف، سقاه الله يوم العطش)[2].

قلت: أي يوم العطش الأكبر يوم القيامة يوم الحسرة والندامة نسأل الله العافية.

---

(١) مقامات ابن الجوزي (ص ٩١) نقلاً من نداء الريان للعفاني (١/٣٦).

(٢) حسن: قال المنذري: رواه البزار بإسناد حسن إن شاء الله، وحسنه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) (١/٤١٢).

وعن أبي موسى بنحوه إلا أنه قال فيه: قال: (إن الله قضى على نفسه أن من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة).

قال: «فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حراً فيصومه»(١).

صيام نهار الصيف من خصال الإيمان لطول نهار الصيف وشدة حره.

قال ابن رجب: (عن بعض السلف قال: بلغنا أنه يوضع للصوّام مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب فيقولون: يا رب نحن نحاسب وهم يأكلون فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتم، وقاموا ونمتم).

وما بكى العباد على شيء عند موتهم إلا على ما يفوتهم من ظمأ الهواجر.

قال معاذ بن جبل عند موته: «مرحباً بالموت، زائر مغب، حبيب جاء على فاقة، اللهم كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا لطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر»(٢).

---

(١) حسن: حسنه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) (٤١٢/١).

(٢) الثبات حتى الممات (لابن الجوزي) (ص ١١٩)، والزهد للإمام أحمد (ص ١٨٠)، وحلية الأولياء (٢٣٩/١).

الفضيلة الثالثة عشر: الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة

- قال رسول الله ﷺ: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة»[١].
- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ «الشتاء غنيمة العابدين»[٢].
- قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «نعم زمان المؤمن الشتاء، ليله طويل يقومه، ونهاره قصير يصومه».
- وقال قتادة ـ رحمه الله ـ إن الملائكة تفرح بالشتاء للمؤمن يقصر النهار فيصومه، ويطول الليل فيقومه.
- وكان عبيد بن عمير الليثي إذا جاء الشتاء يقول: «يا أهل القرآن، قد طال الليل لصلاتكم، وقصر النهار لصومكم».

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده، وأبو يعلى في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرى عن عامر بن مسعود ورواه الطبراني في (الأوسط) وابن عدي في (الكامل) والبيهقي في (شعب الإيمان) عن أنس، وابن عدي والبيهقي في (شعب الإيمان) عن جابر، ورواه ابن أبي شيبة، والضياء عن عامر، وأشار السيوطي إلى حسنه، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٨٩٨). وصح وقفه على أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ كما في (زوائد الزهد) لعبد الله بن أحمد وعنه أبو نعيم في الحلية وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال البيهقي: هذا موقوف وقال السخاوي: (هو اصح).

(٢) موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو صحيح، رواه أحمد في الزهد، وابن أبي شيبة، وأبو نعيم في الحلية عن أبي عثمان النهدي عن عمر، وإسناده صحيح على شرطهما.

فيا أخي الكريم: الشتاء ربيع المؤمن.

قال ابن رجب: «لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات، ويسرح في ميادين العبادات، وينزه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه، كما ترتع البهائم في مرعى الربيع، فتسمن وتصلح أجسادها فكذلك يصلح دين المؤمن في الشتاء بما يسر الله فيه من الطاعات فإن المؤمن يقدر في الشتاء على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة، تحصل له من جوع ولا عطش فإن نهاره قصير بارد فلا يحس فيه بمشقة الصيام»[١].

الفضيلة الرابعة عشر: الصيام شعار الأبرار

● عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار يقومون الليل ويصومون النهار، ليسوا بأثمة ولا فجار[٢]».

قال المناوي (٣٤٨/٣): «والظاهر أن المراد بالصلاة هنا الدعاء من قبيل دعائه لقوم أفطر عندهم قوله: صلت عليكم الملائكة».

فانظر إلى شعار الأبرار كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: قيامهم بالليل وصيامهم بالنهار، والأبرار سادات المتقين.

---

(١) لطائف المعارف (٣٤١).

(٢) صحيح: رواه عبد بن حميد، والضياء، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٠٩٧) و (الصحيحة) (١٨١٠).

الفضيلة الخامسة عشر: الصوم طريق لشكر المنعم على نعمه

● قال عز الدين بن عبد السلام: «وأما شكر عالم الخفيات: إذا صام عرف نعمة الله عليه في الشبع والري، فشكرها لذلك، فإن النعم لا تعرف مقدارها إلا بفقدها»[١].

●وقال العسقلاني وهو يتحدث عن مقاصد الصوم وفضائله: «تكثيره لشكر النعم واعترافه بما سبق له من نعمة الشبع عند جوعه، وعطشه، فيجتهد في الشكر، فإن الشيء إنما يعرف ما كان عليه بضده[٢]».

❀ ❀ ❀

(١) فوائد الصوم (ص ٢٥).

(٢) مدارك المرام في مسالك الصيام (ص ٧٦).

الفضيلة السادسة عشر
الصوم طريق لتكثير الصدقات والإحسان إلى ذوي الحاجات

● قال عز الدين بن عبد السلام: «وأما تكثير الصدقات، فلأن الصائم إذا جاع تذكر ما عنده من الجوع، فيحثه ذلك على إطعام الجائع (فإنما يرحم العشاق من عشقا) وقد بلغنا أن سليمان أو يوسف عليهما السلام لا يأكل حتى يأكل جميع المتعلقين به، فسئل عن ذلك؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع»[(١)].

● قال القسطلاني: «إعانته على بذل الصدقات، فإن الصائم يجوع، فيعرف قدر ألم الجوع، فيحرضه ذلك حرصه في الإحسان إلى الجياع، ويحمله على تدبر ما هم فيه من ضرر العجز والانقطاع، وإنما يجد ذوق التعب من ناوله، ويعرف قدر الضرر من واصله، وفي مثل ذلك قيل:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ... ولا الصبابة إلا من يعانيها[(٢)]

● قال القارى: في «مرقاة المفاتيح»:

«ومنها كونه - أي الصيام - موجبا للرحمة والعطف على المساكين فإنه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات ذكر من هذا حاله في عموم الساعات فتسارع إلى الرقة عليه، والرحمة حقيقتها في حق الإنسان نوع ألم باطن

---

(١) فوائد الصوم (ص ٢٥).

(٢) مدارك المرام في مسالك الصيام (ص: ٧٧ - ٧٨).

فيسارع لدفعه عنه بالإحسان إليه، فينال بذلك ما عند الله من حسن الجزاء ومنها موافقة الفقراء بتحمل ما يتحملون أحيانا وفي ذلك رفع حاله عند الله، كما حكى عن بشر الحافي أنه دخل عليه رجل في الشتاء فوجده جالسا يرعد وثوبه معلق على المشجب، فقال له: في مثل هذا الوقت تنزع الثوب أو معناه، فقال: يا أخي الفقراء كثير وليس لي طاقة مواساتهم بالثياب، فأواسيهم بتحمل البرد كما يتحملون»[(١)].

ولهذا كان يقول بعض الأولياء العارفين عند كل أكلة: «اللهم لا تؤاخذني بحق الجائعين»، وقد ورد عن سيدنا يوسف عليه السلام ما كان يشبع من الطعام في سنة القحط مع كثرة المأكول عنده في ذلك العام، لئلا ينسى أهل الجوع والفاقة وليتشبه بهم في الخاصة والحاجة»[(٢)].

قال أحمد شوقي أمير الشعراء وشاعر الأمراء: «الصوم حرمان مشروع وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب، وباطنه فيه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض

---

(١) قلت: ومثل هذه الأقوال والأفعال والأحوال مردودة غير مقبولة، لأن الشارع الحكيم لم يكلف العباد فوق طاقتهم، ولذا فإنه سبحانه لا يحاسبهم على ما لم يكلفهم به، وكذلك نهى الشارع أيضا أن ينزل الإنسان بنفسه الضرر، فإن ما فعله بشر الحافي ـ رحمه الله ـ أضر بنفسه لتعرضه للبرد، وهل جلوسه بهذا الشكل صرف عن الفقراء حاجتهم! ومن قال أن هذه مواساة!.

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/٢٢٩).

على الصدقة ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، عرف المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، وألم الجوع إذا لذع»[١].

وهناك فضائل أخرى للصوم لكن نكتفي بما ذكرناه فما ذكرناه كفاية لمن أراد الهداية. وبالله التوفيق.

* ثمرات الصيام

أما ثمرات الصيام فكثيرة ومتنوعة فمنها:

١- صحة الأبدان.

٢- سلامة الأذهان وتصحيح أفكارها، فإن الحرارة الغريزية يثيرها الجوع والعطش، فيقوى إدراكها لفهم المعاني ويكثر تدبرها لما من الأعمال الصالحة تعاني.

٣- نهضة القوة الحافظة وتقليل نسيانها، فإن كثرة الأكل تكثر الرطوبة في الجسد، وتوجب البلادة في الطبع.

٤- خفة حركة الأعضاء للطاعات، فإن الشبع يرخي الجسد، ويقتضي التثاقل عن العبادة والإبطاء عن الإجابة إليها.

٥- خذلان أعوان الشيطان ونصر أجناد الرحمن.

٦- رقة القلب وغزارة الدمع.

---

(١) نقلاً من «نداء الريان للعفاني» (١/ ٦٤).

٧- إجابة الدعاء، وذلك من علامة اللطف والاعتناء.

٨- صيانة جوارحه عن استرسالها في المخالفات.

٩- المباهاة به يوم القيامة.

١٠- اختصاصه بالدخول إلى الجنة من باب الريان(١) .

* رؤيــة الهــلال

قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة:١٨٥].

والمعنى: من شهد استهلال الشهر أي كان مقيما في البلد حين دخل الشهر وهو صحيح في بدنه أن يصوم، ويكون المراد بالشهر هنا الهلال، لأن الشهر نفسه لا يرى وإنما يرى هلاله.

وهذه الآية ـ كما هو ظاهر ـ توجب صيام رمضان من أوله إلى آخره، ومعرفة أوله إلى آخره تتم بأحد أمرين:

الأول:

رؤية هلال شهر رمضان أو شوال، فمتى ثبتت رؤية هلال شهر رمضان وجب الصيام ومتى ثبتت رؤية هلال شوال وجب الفطر، سواء رآه بنفسه أو رآه غيره وصدق خبره، ودليل ذلك:

---

(١) مدارك المرام في مسالك الصيام (٧٨ - ٨١). بتصرف.

بالإضافة إلى الآية المتقدمة بإيجاب الصوم لرؤية الهلال، ما رواه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غنم عليكم فاقدروا له..» (١).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غمي عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين» (٢).

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين» (٣).

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين يوما» (٤).

بهذه الأدلة وغيرها ـ كثير ـ يتضح أن الشارع علق حكم دخول شهر رمضان بأمر محسوس للناس يسير عليهم ليس فيه مشقة ولا كلفة بل يرون القمر بأعينهم، وهذا من تمام نعمة الله على عباده.

* كيفية رؤية الهلال:

اختلف أهل العلم في طريق إثبات هلال رمضان وشوال على أقوال ثلاثة:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١١٩/٤)، ومسلم (١٠٨٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٩٩/٤)، ومسلم (١٠٨١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١١٩/٤)، ومسلم (١٠٨٠).

(٤) حسن: رواه أحمد في المسند (٣٢٩/٣)، وأبو يعلى (١٧١/٤)، والبيهقي (٢٠٦/٤).

- قيل لا بد من رؤية جمع عظيم.
- وقيل تكفي رؤية مسلمين عدلين.
- وقيل تكفي رؤية رجل عدل واحد[١].

والذي تميل إليه النفس أنه يكفي لرؤية الهلال شاهد واحد عدل مسلم[٢].

فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته فصام وأمر الناس بصيامه»[٣].

قلت: والشاهد في ذلك أن النبي ﷺ أقر شهادة ابن عمر رضي الله عنهما ولم يلزمه بأن يأتي بشاهد آخر أو أكثر.

وكذلك ما روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أعرابيا رأى الهلال فأخبر النبي ﷺ بذلك، فصام وأمر الناس بالصيام أو جعل بلالا يؤذن في الناس بالصيام[٤] ولم يطلب من الأعرابي أن يأتي بشاهد آخر معه.

الثاني:

يثبت دخول شهر رمضان إتمام شعبان ثلاثين يوما، كما يثبت خروج رمضان بإكماله ثلاثين يوما وهذا في حالة عدم رؤية الهلال في دخول

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتب الفقه.

(٢) اتفق الشافعية والحنابلة على ذلك ولكن اختلفوا هل يكون ذكر أو أنثى، فالشافعية تقول بأن يكون ذكرا، والحنابلة لا تفرق بين الذكر والأنثى.

(٣) صحيح: رواه الدارمي (٢/٤) وابن حبان (٨٧١) والدارقطني (٢/١٥٦)، والبيهقي (٤/٢١٢) والحاكم (١/٤٢٣) وصححه ابن حزم (٦/٢٣٦) وأقره الحافظ في التلخيص (٢/١٨٧) وقال النووي في المجموع: صحيح (٦/٢٧٦).

(٤) رواه الحاكم وابن حبان وصححاه.

رمضان وخروجه، يدل ذلك ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين[1]».

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول: كان رسول الله ﷺ «يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان فإن غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام»[2].

* مفسدات الصوم (المفطرات)

قلنا بأن الصوم: هو التعبد لله بالامتناع ـ أي الإمساك ـ عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية.

وهذه المفطرات هي:

١ - الأكل. ٢ - الشرب.

---

(١) صحيح: متفق عليه وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٤٩/٦) وابن خزيمة (٢٠٣/٣) وابن حبان (٨٦٩) والحاكم (٤٢٣/١)، والبيهقي (٢٠٦/٤)، وابن الجارود رقم (٣٧٧) والدارقطني (١٥٦/٢ - ١٥٧) قال الدارقطني: هذا إسناد حسن صحيح، وقال الحافظ في التلخيص (١٩٨/٢): وإسناده صحيح، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

قلت: كلا بل هو على شرط مسلم وحده لأن في السند كل من: معاوية بن صالح، وعبد الله بن أبي قيس لم يخرج لهما البخاري. والله أعلم.

٣- الجماع. ٤- إنزال المني.

٥- ما كان في معنى الأكل والشرب (كالحقن الغذائية).

٦- القيء عمدا. ٧- الحجامة.

٨- خروج دم الحيض والنفاس.

وإليك الإيضاح بشيء من التفصيل:

(١ , ٢) الأكل والشرب متعمدا.

وهو إيصال الطعام أو الشراب إلى الجوف من طريق الفم أو الأنف أيا كان نوع المأكول أو المشروب لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

فأباح الله جل وعلا الأكل والشرب إلى طلوع الفجر الصادق (الثاني) ثم أمر بإتمام الصيام إلى الليل، وهذا معناه ترك الأكل والشرب في هذه الفترة ما بين طلوع الفجر إلى الليل.

ويدخل في ذلك السعوط في الأنف وكذا إيصال كل شيء مائع أو جامد عن طريق الأنف والعين أو الأذن شريطة وصوله للجوف(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «... ومعلوم أن النص والإجماع أثبتا الفطر بالأكل والشرب والجماع والحيض..»(٢).

(١) المجموع (٣١٣/٦)، كشاف القناع (٣١٧/٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٤/٢٥).

٣- ما كان بمعنى الأكل والشرب (كالحقن الغذائية).

كل ما كان بمعنى الأكل والشرب كحقن الدم التي يأخذها الصائم بحيث يستغنى به عن الأكل والشرب، وكالإبر المغذية التي تقوم مقام الأكل والشرب، فمتى حقن الصائم في دمه لحاجة ضرورية كحصول نزيف أو أعطى إبرا مغذية فإنه يفطر ويقضي ذلك اليوم، وقد أبيح له الفطر للضرورة وألزم القضاء لأن ما أفطر به يقوم مقام الأكل والشرب.

أما الإبر الأخرى غير المغذية فإنها لا تفطر وإن أخذها في أي مكان في الجسم وعلى أي كيفية، ما لم تصل إلى جوفه كما سبق بيانه.

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ «.. والذي يظهر لنا أن إبرة الوريد تفسد الصوم لتحقيق دخول مادتها إلى مستعملها، وقد صرح الفقهاء ـ رحمهم الله ـ بفساد صيام من أدخل إلى جوفه شيئا من أي موضع كان...»[1].

٤- الجماع:

قال تعالى: ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأذن في المباشرة فعقل من ذلك أن المراد الصيام عن المباشرة والأكل والشرب ولما قال أولا: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ كان معقولا عندهم أن الصيام هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع»[2].

---

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم (١٨٩/٤).

(٢) حقيقة الصيام (ص ١١).

فمتى جامع الصائم في نهار رمضان بطل صيامه وعليه التوبة والاستغفار وقضاء اليوم الذي جامع فيه، وعليه مع القضاء الكفارة وهي عتق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع صيام شهرين متتابعين أطعم ستين مسكينا لكل مسكين مد بر من النوع الجيد وهو يزن (٥، ٥٦٢) جراما[١]. أو من غير البر من غالب قوت البلد.

ولا يتحول من الصيام إلى الإطعام إلا إذا لم يقدر على الصيام لمانع صحيح، كأن يكون به مرض أو يخشى حدوث المرض بالصوم، أما ما تلحقه المشقة المحتملة بالصوم فليس ذلك مسوغا له للانتقال إلى الإطعام.

ولا بد أن يكون الصيام متتابعا لا يفطر فيه إلا لعذر شرعي كأيام العيدين، والتشريق وأيام الحيض والنفاس للمرأة، أو لعذر حسي كالمرض والسفر لغير قصد الفطر.

فإن أفطر لغير عذر ولو يوما واحدا لزمه استئناف الصيام من جديد ليحصل التتابع.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله! هلكت، قال: «مالك؟» قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقه؟» قال: لا: قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا، قال: «فهل تجد إطعام ستين مسكينا؟» قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أتى النبي بعرق فيها تمر، والعرق والمكتل، قال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: «خذ هذا فتصدق به» فقال الرجل: على

(١) المد يساوي $\frac{١}{٤}$ الصاع، والصاع = $\frac{١}{٤}$ ٢ كيلو جرام، إذ يكون المد = $\frac{٢٢٥٠}{٤}$ = $\frac{١}{٢}$ ٥٦٢ جرام.

أفقر مني يا رسول الله؟ فو الله ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: «أطعمه أهلك»[(١)].

وفي رواية: «صم يوما واستغفر الله»[(٢)].

قال ابن قدامة - رحمه الله -: (مسألة) قال: (ومن جامع في الفرج فأنزل أو لم ينزل أو دون الفرج فأنزل عامدا أو ساهيا فعليه القضاء والكفارة إذا كان في شهر رمضان).

لا نعلم خلافا بين أهل العلم في أن من جامع في الفرج فأنزل أو لم ينزل أو دون الفرج فأنزل أنه يفسد صومه، وقد دلت الأخبار الصحيحة على ذلك[(٣)].

قلت: وفي الحديث المتقدم مسائل:

***الأولى:** أن الجماع في نهار رمضان من الفواحش المهلكات لأن النبي ﷺ أقر الرجل على قوله: هلكت.

***الثانية:** من جامع زوجته في نهار رمضان وهو مقيم متعمدا لزمه أمور:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٦٣/٤)، ومسلم (١١١)، والترمذي (٧٢٤)، وأبو داود (٢٠/٧)، وابن ماجة (١٦٧١)، وأحمد (٢٠٨/٢)، والدارقطني (١٩٠/٢، ١٩١) والبيهقي (٢٢١/٤، ٢٢٢).

(٢) هذه الرواية رواها أبو داود من طريق هشام بن سعد وهو صدوق له أوهام غير أن له متابعات، وعلى العموم فهذه الرواية صحيحة بمجموع الطرق انظر كلام الحافظ في الفتح (١٧٢/٤)، وصححها الشيخ الألباني في تحقيقه على كتاب حقيقة الصيام لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) المغني (٣٧٢/٤)، والهداية للمرغيناني (١٢٢/١)، روضة الطالبين (٣٥٦/٢)، مواهب الجليل (٤٣٣/٢)، والفروق للقرافي (٩٢/٢).

١- الكفارة: وهي على الترتيب عتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين لا يفطر بينهما إلا لمرض أو سفر أو لأي عذر شرعي يقتضي الفطر أو إطعام ستين مسكيناً من غالب قوت البلد.

٢- يمسك بقية يومه لأنه أفطر بغير عذر شرعي فلم يكن لفطره معنى.

٣- يقضي يوماً مكان هذا اليوم لقوله ﷺ: «واقض يوماً مكانه[١]».

٤- يلزمه التوبة والاستغفار لقوله ﷺ: «صم يوماً واستغفر الله».

وبقولنا وهو مقيم: فخرج المسافر، فالمسافر يجوز له أن يجامع أهله ولو كان صائماً، لأن الصوم في حقه حينئذ لم يكن واجباً، وكذلك في حق أهله.

* الثالثة: اختلف العلماء فيمن جامع أهله ناسياً في نهار رمضان على قولين:

أصحهما أنه لا يبطل صومه وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ودليل هذا القول:

١- ما رواه الحاكم (١/ ٤٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفطر في رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة».

قال الحافظ ابن حجر: وهو صحيح ولفظ الإفطار في هذا الحديث عام في الجماع وغيره.

---

(١) جزء من حديث صحيح.

٢- قوله تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ وقولهﷺ «عفى عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(١).

٥- إنزال المني باختياره:

إذا أنزل الصائم المني باختياره بتقبيل أو ضم أو لمس أو استمناء - العادة السرية - أو غير ذلك، فسد صومه، لأن هذا من الشهوة التي تتنافى مع الصوم، وقد أمر الصائم باجتنابها كما جاء في الحديث القدسي «يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»(٢). ولكن عليه القضاء فقط دون الكفارة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما من استمنى فأنزل فإنه يفطر»(٣).

أما من قبل أو لمس دون إنزال لم يفطر، لكن إن كان الصائم يخشى على نفسه من الإنزال لو قبل أو يخشى أن يتدرج من القبلة إلى الجماع لعدم استطاعته كبح شهوته لم يجز له التقبيل سدا للذريعة، وصونا لصيامه من الفساد.

أما الإنزال باحتلام أو بتفكير مجرد من العمل فلا يفطر، لأن الاحتلام بغير اختياره والتفكير معفو عنه إن شاء الله(٤).

---

(١) حسن: رواه ابن ماجة (٢٠٤٥)، وابن حبان (١٤٩٨) والحاكم (٩٨/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وله طرق أخرى، راجع التلخيص الحبير (٢٨١/١ - ٢٨٣).

(٢) صحيح: متفق عليه.

(٣) حقيقة الصيام (٢٣).

(٤) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٩٠/٤ - ١٩١).

٦- القيء عمدا:

وهو استخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم عمدا.

ويفطر بالتقيؤ عمدا سواء كان بالفعل كعصر بطنه أو بالشم كأن يشم شيئا له رائحة كريهة نفاذة ليقيء بها، أو بالنظر، كأن يتعمد النظر إلى شيء قبيح ليقيء به، وعليه في كل ذلك القضاء، أما إذا غلبه القيء وخرج منه دون اختياره فإنه لا يؤثر على صيامه.

● عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، وإن استقاء فليقض[١]».

وقوله: «وإن استقاء فليقض» أي تقيء عمدا وبإرادته، فسد صومه وعليه قضاء يوم.

● عن معدان بن طلحة أن أبا الدرداء حدثه أن رسول الله ﷺ قاء فأفطر، فلقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ في مسجد دمشق فقلت له: إن

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤٩٨/٢)، الترمذي رقم (٧٢٠)، أبو داود (٦/٧)، وابن ماجة (١٦٧٦) وابن حبان (٩٠٧) موارد، والدارقطني (٨٤/٢)، والحاكم (٤٢٧/١)، والبيهقي (٢١٩/٤)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه ابن خزيمة (٢٢٦/٣)، وقال الدارقطني: (رواته كلهم ثقات)، وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى صحة هذا الحديث في كتابه (حقيقة الصيام) (ص ١٤).

أبا الدرداء حدثني أن رسول الله ﷺ قاء فأفطر، قال: صدق، وأنا صببت عليه وضوءه»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «... كما أنه بأي وجه أخرج القيء أفطر سواء جذب القيء بإدخال يده أو بشم ما يقيئه، أو وضع يده تحت بطنه واستخرج القيء فتلك طرق لإخراج القيء...»[٢].

وقال الحافظ في الفتح: «... أما القيء فذهب الجمهور إلى التفرقة بين من سبقه فلا يفطر وبين من تعمده فيفطر، ونقل ابن المنذر الإجماع على بطلان الصوم بتعمد القيء...»[٣].

٧- الحجامة:

الحجامة هي شرط ظاهر الجلد المتصل قصدا لإخراج الدم من الجسد دون العروق فمتى تم استخراج الدم من الصائم بحجامة أو فصد أو سحب للتبرع به لإنقاذ مريض محتاج للدم، فإنه يفطر والأصل في ذلك

---

(١) صحيح: رواه الترمذي رقم (٨٧)، وأبو داود (٨/٧)، والدارمي (٣٤٦/١)، وأحمد (١٩٥/٥)، والطيالسي رقم (٩٩٣)، والدارقطني (٥٨/١)، والحاكم (٤٢٦/١)، والبيهقي (١٤٤/١ ، ٢٢٠/٤)، وقال الترمذي: هو اصح حديث في هذا الباب، وقال ابن منده كما في تلخيص الحبير (١٩٠/٢): إسناده صحيح متصل، وتركه الشيخان لاختلاف في إسناده، وقال الشيخ المحدث مقبل بن هادي الوادعي ـ حفظه الله ـ: هذا حديث صحيح، وأما ما ورد في بعض ألفاظه: (قاء فأفطر فتوضأ) فلفظه (فتوضأ) غير محفوظة.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥٧/٢٥).

(٣) فتح الباري (١٧٤/٤).

ما رواه ثوبان مولى النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفطر الحاجم والمحجوم»[١].

وقد وردت أحاديث كثيرة مؤداها التفطير بالحجامة[٢] وعليه فلا يجوز للصائم صوما واجبا أن يتبرع بإخراج دمه إلا في حالة الضرورة القصوى، بشرط ألا يتضرر المتبرع ويفطر بذلك اليوم ويقضي[٣].

وأما خروج الدم بغير قصد من الصائم كالرعاف، ودم الجراحة وخلع الضرس ونحوه مما يؤثر في الصائم فلا يفطر به، لأنه ليس بمعنى الحجامة، ثم إن الصائم معذور في هذه الحالات لأنه محتاج لذلك حاجة ملحة.

---

(١) صحيح رواه أبو داود (٦/٤٩٣) وابن ماجة (١/٥١٥)، والدارمي (١/٣٤٧)، وابن الجارود رقم (٣٨٦) وأحمد (٥/٢٧٧)، وصححه ابن خزيمة (٣/٢٢٦)، وابن حبان (٨٩٩). قال ابن المديني: حديث ثوبان صحيح. وقال النووي في المجموع (٦/٣٥٠) (إسناد أبي داود صحيح على شرط مسلم) وقال علامة اليمن (الوادعي) هذا حديث حسن رواه أبو أسماء الرحبي اسمه عمرو بن مرثد روى عنه جماعة ولم يوثقه معتبر.

قلت: قد تابعه عبد الرحمن بن غنم كما عند الإمام أحمد (٥/٢٧٦)، وهذا الحديث قد ورد عن جمع من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ منهم شداد بن أوس، ورافع بن خديج وأبو موسى الأشعري، وقد ذكر طرق هذا الحديث الشيخ العلامة محدث العصر الألباني في الأرواء.

قلت: وانظر تفسير قوله: أفطر الحاجم والمحجوم في عون المعبود.

(٢) قلت: وقد اختلف العلماء في هذه المسألة اختلافا كبيرا، ولا يتسع المقام لبسط هذا الخلاف وعرض قول كل فريق، لكن ما ذكرناه هو الراجح إن شاء الله.

(٣) قال ابن قاسم ـ رحمه الله ـ (... ولا يفطر إلا بشرط أن يكون عامدا ذاكرا لصومه قاصدا للفعل ويجب القضاء إن كان الصوم واجبا) حاشية الروض المربع (٣/٣٩٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... وقد بينا أن الفطر بالحجامة على وفق الأصول والقياس، وأنه من جنس الفطر بدم الحيض والاستقاءة، وبالاستمناء، وإذا كان كذلك فبأي وجه أراد إخراج الدم أفطر...»[١].

٨- خروج دم الحيض والنفاس:

إذا حاضت المرأة أو نفست فسد صومها، سواء كان ذلك في أول النهار من رمضان أو في آخره ولو قبل المغرب بقليل، فإنها تفطر وتقضي الأيام التي أفطرت.

ويدل على ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ « .. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم، فذلك نقصان دينها...»[٢].

وما روته عائشة رضي الله عنها وفيه: «... كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة...»[٣].

الترهيب لمن أفطر في رمضان من غير عذر شرعي

أخي الكريم مر بك فضل شهر رمضان وكذلك فضائل الصيام وما في ذلك من الأجر العظيم والخير العميم، لذا كان الترهيب شديد والتحذير رهيب لمن أفطر في رمضان من غير عذر شرعي.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/٢٥٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٣) صحيح: رواه البخاري (١/٤٢٠) فتح.

عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي ـ أي عضدي ـ فأتيا بي جبلا وعرا فقالا: اصعد، فقلت: إني لا أطيق، فقال: سنسهله لك فصعدت حتى إذا كنت في سواد الجبل، إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلقا بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دما، قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم ـ أي قبل وقت الإفطار...[1]».

فيا أخي الحبيب:

هذه صورة بشعة لعذاب أولئك الذين ينتهكون حرمة شهر رمضان ويستهزؤن بهذه الشعيرة الطاهرة فيفطرون جهارا نهارا، إنهم سيعلقون من مؤخرة أقدامهم كما تعلق الدابة الذبيحة، تكون الأرجل هي العلوية والرأس أسفل، وأضف إلى ذلك تشقيق أشداقهم، ويسيل منها الدم[2].

---

(١) صحيح: رواه النسائي كما في تحفة الأشراف (٤/١٦٦)، وابن خزيمة (١٩٨٦)، وابن حبان (٧٤٤٨) والحاكم (١/٤٣٠) وصححه ووافقه الذهبي. (أشداقهم) جمع شدق وهو ملتقى الشفتين، ولكل إنسان شدقان.

(٢) قلت: وهذا التعذيب بهذه الصورة البشعة مناسبا لمن أرتكب هذا الذنب العظيم، فالتعليق من العراقيب على شكل الذبيحة مدعاة لنزول الطعام وتقيؤه، وكذلك تشقيق الأشداق وإسالة الدم منها، فهذا الفم الذي عصي به الله بأكل الطعام في نهار رمضان كان هو محل العذاب بهذه الصورة ونظير ذلك في الكتاب والسنة كثير، انظر على سبيل المثال حديث الإسراء والمعراج الطويل. هذا والله أعلم.

إنها حقا صورة بشعة مروعة تزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شديه، فهل يعتبر الظالمون لأنفسهم المنتهكون حرمة الشهر المبارك، الذين لم يراعوا للزمن حرمة ولا لخالقهم حقا وهدموا الركن الرابع من أركان الإسلام، غير مبالين بالغاية العظمى من خلقهم قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات:الآية ٥٦].

فيا أخي الكريم حذار أن تكون من هؤلاء الصنف فيصيبك ما أصابهم ومن كان متلبس بهذه الكبيرة فليتب إلى الله جل وعلا قبل أن يفاجئه الأجل ويكون مصيره هذا المصير الأليم.

ذكر أهل العلم أن من أفطر في رمضان من غير عذر شرعي فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: «ومن الكبائر إفطار رمضان بلا عذر ولا رخصة وهي العاشرة ـ أي الكبيرة العاشرة»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «.. وإذا كان المتقيىء معذورا كان ما فعله جائزا، وصار من جملة المرضى الذين يقضون ولم يكن من أهل الكبائر الذين أفطروا بغير عذر...»[(٢)].

وإذا ثبت فطر أحد في نهار رمضان من غير عذر وجب على ولي الأمر أو من ينوب عنه أن يعزره، حسب ما يؤديه إليه اجتهاده، والتعزير يكون

---

(١) الكبائر (ص ٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/٢٢٥).

بالسجن والجلد، أو غيرها من أساليب الردع والتأديب، لكن ينبغي أن تكون العقوبة رادعة له لئلا يتكرر ذلك منه مرة أخرى أو يقتدي به غيره.

قال: القفال: «... ومن أفطر في رمضان بغير جماع من غير عذر وجب عليه القضاء، وإمساك بقية نهاره ولا كفارة عليه، ويعزره السلطان، وبه قال أحمد وداود...»[١].

وقد نقل الجزائري عن الذهبي قوله: «... من المقرر عند المؤمنين أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عذر أنه أشر من الزاني، ومن مدمن الخمر، بل يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال...»[٢].

إن الذين يجاهرون بإفطارهم وهم في أكمل صحة وأتم عافية، وليس لهم عذر يبيح لهم الفطر، أناس قد فقدوا الحياء من الله والخوف منه، وعدم المبالاة بمشاعر الآخرين، ملأ الجحود عليهم العقول والأفئدة، وران على قلوبهم مس من الشيطان والآثام، وما دروا أنهم بإفطارهم هدموا ركنا من أركان الدين عظيم، وكانوا فسقة ناقصي الإيمان ساقطي القدر ينظر إليهم المسلمون بعين الاحتقار، وأنهم من أصحاب المعاصي والكبائر، ويوم القيامة تنتظرهم عقوبة العزيز الجبار، نسأل الله العافية.

---

(١) حلية العلماء (٣/١٩٨).

(٢) رسالة الصيام (ص ٦٦).

الأشياء التي لا تفطر(١)

هناك أشياء إذا حدثت من الصائم خارجة عن إرادته فإنه لا يفطر بها منها:

١- من أكل أو شرب ناسيا.

إذا أكل المسلم الصائم أو شرب ناسيا فإن صومه صحيح ولا شيء عليه ولا يلزمه القضاء، بل عليه أن يمسك إذا تذكر سواء في أثناء الأكل والشرب أو بعد الانتهاء، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة:الآية ٢٨٦].

● وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه»(٢).

فأمر النبي ﷺ بإتمام الصيام دليل على صحته، ونسبة إطعام الناس وسقيه إلى الله دليل على عدم المؤاخذة عليه، لكن متى ذكر أو ذكر أمسك، ولفظ ما في فمه إن كان فيه شيء لزوال عذره حينئذ، ومن الأفضل ـ إن لم يتعين ـ على من رأى صائما يأكل أو يشرب في نهار رمضان أن يذكره وينبهه لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة المائدة:الآية ٢].

---

(١) قلت: سيأتي في باب ما يباح للصائم فعله أشياء أخرى لا يفطر بها الصائم.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣/٤٠)، ومسلم (٣/١٦٠).

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ «وكان من هديه إسقاط القضاء عمن أكل أو شرب ناسيا، وأن الله سبحانه هو الذي أطعمه وسقاه، فليس هذا الأكل والشرب يضاف إليه فيفطر به، وإنما يفطر بما فعله وهذا بمنزلة أكله وشربه في نومه، إذ لا تكليف بفعل النائم ولا بفعل الناسي[1]».

٢- من غلبه القيء وخرج بدون اختياره:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، وإن استقاء فليقض»[2].

فقوله: «من ذرعه القيء» أي من غلبه القيء ولم يقدر عليه وخرج دون اختياره «فليس عليه قضاء» دليل على صحة الصوم، فإذا انتهى من قيئه فليتم صومه، ولا شيء عليه ـ والله أعلم.

٣- الاحتلام:

الاحتلام ليس من إدارة الشخص ولا اختياره، حيث لا تدخل له في ذلك فمن رأى أنه قد احتلم ورأى أثر ذلك فلا شيء عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن احتلم بغير اختياره كالنائم لم يفطر باتفاق الناس»[3].

---

(١) زاد المعاد (١/٣٣٨)، وانظر المبسوط (٣/٦٥)، والأم للإمام الشافعي (٢/٩٧).

(٢) صحيح: وقد تقدم قريبا.

(٣) حقيقة الصيام (ص ٢٣).

٤- الغيبة والنميمة والكذب والنظر بشهوة واليمين الكاذبة:

وهذه كلـها ذنـوب لا يجـوز للصـائم ـ وغـيره ـ ارتكابـها، ولكنـها لا تبطل الصوم، ولا يُفطّر فاعلها، وإنما تنقص في أجره[1].

وأما حديث: «خمس خصال يفطـرن الصـائم وينقضن الوضوء» «الكـذب، والنميمـة، والنظرة بشـهوة، واليمـين الكاذبـة» فـهذا حديـث موضـوع كمـا بين ذلـك محـدث العصـر العلاّمـة الألبـاني ـ رحمـه الله ـ في السلسلة رقم (١٧٠٨).

❀ ❀ ❀

---

(١) سيأتي في باب ما يجب على الصائم تركه مزيد إيضاح لهذه الأشياء.

استراحة

*** أول رمضان صامه المسلمون:**

يقال أن أول رمضان صامه المسلمون في التاريخ كان يوم الأحد ١ رمضان عام ٢ هجرية، الموافق ٢٦ فبراير عام ٦٢٤ ميلادية.

وقد فرض صيام شهر رمضان في شهر شعبان عام ٢ هجرية.

*** أول مدينة تطلق مدفع رمضان:**

تكاد تجمع المصادر على أن مدينة القاهرة بمصر كانت أول مدينة إسلامية أطلقت المدفع عند الغروب إيذاناً بالإفطار في شهر رمضان، وذلك عندما تم إطلاق مدفع الإفطار لأول مرة ـ عن طريق الصدفة البحتة ـ عند غروب أول يوم من شهر رمضان عام ٨٥٩ هجرية.

وقد حدث ذلك عندما أهدى إلى السلطان المملوكي (خوشقدم) مدفع فأراد أن يجربه للتأكد من صلاحيته، فصادف إطلاقه وقت المغرب بالضبط من أول يوم في رمضان ففرح الناس اعتقاداً أن هذا إشعار لهم بالإفطار وأن السلطان أطلق المدفع لتنبيههم إلى أن موعد الإفطار قد حان في هذه اللحظة. وذهبوا إلى القاضي في اليوم التالي لينقل شكرهم للسلطان وعندما علم السلطان بسعادتهم بذلك أمر بالاستمرار في ذلك وزاد على مدفع الإفطار مدفع السحور والإمساك.

* أول من اتخذ الكنافة من العرب:

يقول ابن فضل الله العمري: أن أول من اتخذ الكنافة من العرب معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ زمن ولايته الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وكانت تقدم له في السحور، فمعاوية ـ رضي الله عنه ـ كان من الأكلة المشهورين، فشكا إلى طبيبه محمد بن أثال ما يلقاه من الجوع في صيامه، فوصف له الكنافة.

وقيل إنها أول ما صُنعت كانت لسليمان بن عبد الملك.

* أول ما يحتاج إليه الجسم عند الإفطار:

ثبت طبياً أن السكر والماء هما أول ما يحتاج إليه الجسم عند الإفطار، لأن نقص السكر في الجسم ينتج عنه أحياناً ضيق في الخلق أو اضطراب في الأعصاب، وأن نقص الماء يؤدي إلى إنهاك الجسم وهزاله، ومن هنا يتبين لنا مدلول السنة النبوية الكريمة بالإفطار على التمر والماء، وهما أول ما يفطر عليه الصائم.

* أول مرة عُرف فيها فانوس رمضان:

عُرف فانوس رمضان لأول مرة في أيام الفاطميين وارتبط الفانوس بشهر رمضان بداية من اليوم الخامس من شهر رمضان عام ٣٥٨هجرية.

وذلك عندما خرج أهالي القاهرة لاستقبال المعز لدين الله الفاطمي ليلاً حاملين المشاعل، والفوانيس مرددين الهتافات والأغاني.

ويعتبر أهل القاهرة هم أول من حمل الفانوس في رمضان[١].

---

(١) نقلاً من كتاب: رمضان في ذاكرة التاريخ وديوان الشعر (ص ١٩ - ٢١).

ما يجب على الصائم تركه

يجب على الصائم أن يتجنب كل ما حرمه الله ورسوله ﷺ، ولا يتم التقرب إلى الله بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرَّم في كل حال من الكذب والظلم والعدوان وقول الزور والبهتان والغيبة والنميمة والغش في المعاملات، والنيل من الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم إلى غير ذلك من الأمور التي أمر الشارع باجتنابها.

قال بعض السلف: «أهون الصيام ترك الشراب والطعام».

وقال الشاعر:

إذا لم يكن في السمع مني تصاون ... وفي بصري غض وفي منطقي صمت

فحظي إذاً من صومي الجوع والظما ... فإن قلت إني صمت يومي فما صمت

فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل، ومن الأشياء التي يجب على الصائم أن يتجنبها:

١- قول الزور:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[(١)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١١٦). قال الحافظ في الفتح (٤/١١٧) قوله: (فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه): أما قوله: (فليس لله حاجة) فلا مفهوم له، فإن الله لا يحتاج إلى شيء، وإنما معناه فليس لله إرادة في صيامه، فوضع الحاجة موضع الإرادة.

وقوله: (في أن يدع طعامه وشرابه) قال ابن بطال: ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه. والمراد بقول الزور: الكذب الجهل، والسفه، والعمل به: أي بمقتضاه) أ. هـ.

٢- اللغو والرفث:

واللغو: هو الكلام الباطل الذي لا خير فيه.

والرفث: هو الكلام القبيح المصرح به.

فقد نهى الشارع أن ينطلق الإنسان ويتكلم بالكلام الباطل الذي لا خير فيه ولا فائدة منه، وأن يكون مهذباً في ألفاظه، فلا يتكلم إلا بكل جميل ويتنزه عن كل قول قبيح، وهذا في حق الصائم أولى.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب وإنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحداً أو جهل عليك فلتقل إني صائم إني صائم»(١).

ولله در القائل:

وترك مقال الزور في الناس واجب ... ولكنه من صائم ذو تأكد
فإن شتموه فليقل: أنا صائم ... لتذكير نفس أو إلى دفع معتد

٣- الكذب:

يجب على الصائم أن يتجنب الكذب، لأنه مُحرَّم في كل وقت وحين، وفي وقت الصيام أشد تحريماً لحرمة الزمان، والكذب كبيرة من الكبائر تؤدي إلى النار.

قال صلى الله عليه وسلم: «.. إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً»(٢).

---

(١) حسن: رواه ابن خزيمة (١٩٩٦)، والحاكم (١/٤٣٠ - ٤٣١) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٨/٣٠)، ومسلم (٨/٢٩).

٤- الغيبــة:

يجب على الصائم أن يتجنب الغيبة ويحذر من الوقوع فيها، وهي ذكر المسلم أخاه بما يكره في غيبته، سواء ذكره بما يكره في خلقته أو خلقه، وسواء كان فيه أو لم يكن، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [الحجرات:١٢].

أرأيت أخي الكريم: صورة أبشع من هذه الصورة، شخص يأكل لحم شخص ميت، ولكنها لا تُعمى الأبصار ولكن تُعمى القلوب التي في الصدور، والغيبة محرَّمة في كل حين ولكنها على الصائم أشد تحريماً لحرمة الزمان.

٥- النميمة:

يجب على الصائم أن يتجنب النميمة، وهي نقل المسلم كلام شخص في شخص إليه ليفسد بينهما.

والنميمة من كبائر الذنوب والمعاصي لأنها إفساد للفرد والمجتمع، قال تعالى: قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝ ﴾ [سورة القلم:الآيتان ١٠-١١].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»[(١)] .

(١) صحيح: رواه البخاري (٢١/٨)، ومسلم (٧١/١).

٦- الغش في المعاملات:

يجب على الصائم أن يكون صادقاً في معاملاته واضحاً فيها، فعليه أن يتجنب الغش في جميع المعاملات من بيع وإجارة وصناعة وغيرها، فإن الغش من الكبائر التي نهى عنها الشرع وحذر منها.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا»(١).

ما يباح للصائم فعله

من رحمة الله بعباده، ورفعاً للحرج عن أمة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم أباح الشارع للصائم فعل عدة أشياء منها:

١- الصائم يصبح جنباً:

من أدركه الفجر وهو جنب من أهله فيغتسل بعد الفجر ويصوم(٢).
وكذلك الحائض والنفساء إذا انقطع الدم من الليل جاز لهما تأخير الغسل إلى اصبح وأصبحتا صائمتين.

عن عائشة وأم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ: «أن النبي ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم»(٣).

٢- السواك للصائم:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١/٦٩).

(٢) قلت: والمحتلم له نفس الحكم ـ والله أعلم.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم ومالك.

قال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[١]. وفي رواية «عند كل وضوء».

قال ابن حجر في الفتح: (٤/١٨٨): «يقتضي إباحته في كل وقت وعلى كل حال. وكان ابن عمر يستاك أول النهار وآخره».

وقال ابن سيرين: لا بأس بالسواك الرطب، قيل له طعم. قال: والماء له طعم وأنت تمضمض منه.

قلت والحديث لفظه عام في استعمال السواك ولم يفرق بين صائم ومفطر ولا قبل الزوال ولا بعد الزوال، وقد ذكر صاحب عارضة الأحوذي فوائد عشرة للسواك وقال: «... وقد قدمنا فوائده العشرة في الطهارة، والصوم أحق بها»[٢].

قال ابن حجر في تلخيص الحبير (٢/٢٠٢): (وروى الطبراني بإسناد جيد عن عبد الرحمن بن غنم قال: سألت معاذ بن جبل أأتسوك وأنا صائم قال: نعم: قلت: أي النهار؟ قال: غدوة أو عشية، قلت: إن الناس يكرهونه عشية، ويقولون إن رسول الله ﷺ قال: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[٣] قال: سبحان الله! لقد أمرهم بالسواك، وما كان بالذي يأمرهم أن ييبسوا بأفواههم عمداً، ما في ذلك من الخير شيء بل فيه شر) أ. هـ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم، ولفظ (مع كل وضوء) علقها البخاري، وذكر الحافظ أن النسائي وابن خزيمة. وصلاه عن مالك، انظر الإرواء (١/١٠٩).

(٢) انظر عارضة الأحوذي (١/٤٠)، (٣/٢٥٦).

(٣) جزء من حديث صحيح وقد تقدم

إذاً فالقول الراجح في هذه المسألة: هو أن السواك عام يشمل الصائم والمفطر، قبل الزوال وبعده، وهذا رواية عن الإمام أحمد رحمه الله، وبه قال جمع من أهل العلم منهم ابن حزم والنووي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم رحمهم الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (لم يَقُم على كراهة السواك بعد الزوال دليل شرعي يُصْلح أن يخصص عمومات نصوص السواك)[١].

٣- المضمضة والاستنشاق بدون مبالغة:

يباح للصائم أن يتمضمض ويستنشق وهو صائم إلا أنه تكره المبالغة فيهما خشية الوقوع في المحذور.

عن لقيط بن صبرة قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال: «اسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً»[٢].

قال عطاء: إن استنثر فدخل الماء في حلقه لا بأس إن لم يملك.

قال ابن قدامة: (وإن تمضمض أو استنشق في الطهارة فسبق الماء إلى حلقه من غير قصد ولا إسراف فلا شيء عليه).

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/٢٦٦).

(٢) صحيح: أخرجه أصحاب السنن وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الإرواء رقم (٩٠، ٩٣٥) وفي حقيقة الصيام ص (٢٠)، وصححه كذلك الوادعي.

٤- المباشرة والقُبْلة للصائم:

وردت أحاديث كثيرة في الباب تدل على أن المباشرة والقُبْلة للصائم من الأشياء التي يباح له فعلها ولا حرج عليه في ذلك ولكن بشرط! عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقبِّل وهو صائم ويباشر وهو صائم، ولكنه كان أملككم لإربه»[(١)].

وورد عند مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ «كان يُقبِّل وهو صائم»[(٢)] وكذلك ورد عن حفصة رضي الله عنها[(٣)].

قلت: ولكن هناك فائدة مأخوذة من قول عائشة رضي الله عنها في الحديث المتقدم: «ولكن كان أملككم لإربه» أي كان متحكماً في شهوته، فلا يقوده ذلك إلى الوقوع فيما نهى عنه.

فنقول: إذا كان الإنسان شاب أو لا يستطيع أن يملك نفسه إذا باشر أو قَبَّل فيكره له ذلك خشية الوقع في المحظور، ربما قاده ذلك إلى أن يجامع، فالأولى في حقه الترك.

أما إذا كان الإنسان شيخاً كبيراً أو يعرف من نفسه أن يتحكم في شهوته فلا بأس من أن يُقبِّل ويباشر.

ودليل ذلك ما رواه أبو داود ـ رحمه الله ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن المباشرة للصائم فرخص له، وأتاه آخر

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٩/٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٧٨/٢) رقم (١١٠٧).

فسأله فنهاه، فإذا الذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب»[١]. وفي بعض الطرق «... أن الشيخ يملك نفسه»[٢].

وعند عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح عن أبي مجلز قال: جاء رجل إلى ابن عباس شيخ يسأله عن القُبلة وهو صائم فرخص له، فجاءه شاب فنهاه[٣].

وورد قريباً من ذلك عن ابن عمر بسند حسن عند البيهقي[٤].

فمما تقدم تكون القُبلة للصائم على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون ذا شهوة مفرطة يغلب على ظنه أنه إذا قَبَّل أنزل فهذا يحرم عليه لأنها مفسدة لصومه، ولربما غلبته الشهوة فجامع فوقع في المحظور المنهي عنه.

الثاني: أن يكون ذا شهوة لكن لا يغلب على ظنه أنه إذا قَبَّل أنزل فهذا لا يكره له لما تقدم من حديث عائشة في قوله: (أنه كان أملككم لأربه).

---

(١) حسن لغيره: رواه أبو داود (٧/١٣)، والبيهقي (٤/٢٣٢) من حديث عائشة وأحمد (٢/١٨٥) عن عبد الله بن عمرو، والطبراني في الكبير (١١/٥٩) عن ابن عباس وعند البيهقي كذلك عنه (٤/٢٣٢)، وقال الهيثمي (٣/١٦٦) رجاله رجال الصحيح.

قلت: وهذه الطرق لا تخلو من مقال، لكن بمجموعها يتقوى الحديث إلى الحسن لغيره والله أعلم.

(٢) عند أحمد (٢/١٨٥).

(٣) منصف عبد الرزاق (٤/١٨٥).

(٤) (٤/٢٣٢).

الثالث: أن يكون ممن لا تتحرك شهوته كالشيخ الكبير فهذا يباح له ذلك لما تقدم في حديث أبو هريرة وآثر ابن عباس في الرخصة للشيخ الكبير. هذا والله أعلم.

(**مسألة**): قال الحافظ في الفتح (٤/١٥١): (واختلف فيما إذا باشر أو قبّل أو نظر فأنزل أو أمذى، فقال: الكوفيون والشافعي يقضي إذا أنزل في غير النظر، ولا قضاء في الامذاء، وقال مالك وإسحاق: يقضي في كل ذلك ويكفر إلا الإمذاء فيقضي فقط) مختصراً أ. هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاختيارات: (ولا يفطر بمذي بسبب قُبْلة أو لمس أو تكرار نظر) أ. هـ[١].

وهذا الذي قاله شيخ الإسلام هو أصح الأقوال ـ والله أعلم.

وأما إذا قَبَّل أو باشر فأمنى فقال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ: (يفطر بغير خلاف نعلمه)[٢]. هذا والله أعلم.

٥- تحليل الدم وضرب الإبر والحقن التي في العضل والوريد:

إذا كانت هذه الإبر ليست للتغذية أو ما يستغني بها عن الطعام فإنها ليست من المفطرات (لأنها ليست منصوصاً عليها ولا بمعنى المنصوص ولكن الاحتياط أن الإنسان لا تستعمل مثل هذه الإبرة وهو صائم إلا في حالة مرض يبيح له الفطر، وحينئذ يفطر ويستعملها)[٣].

(١) (ص ١٠٨).

(٢) المغني (٤/٣٦١).

(٣) قال ذلك علامة القصيم فضيلة الشيخ ابن عثيمين ـ حفظه الله ـ فتاوى الصيام.

٦- الحجامة إذا لم تضعف:

وهو أخذ الدم من الرأس أو من عرق من العروق، وكذا الفصد، فقد كانت من جملة المفطرات ثم نسخت، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم)[(١)].

قلت: وقد مر بنا في باب المفطرات أن الحجامة تفطر وقد بينا ذلك، وهنا جاء ذكرها بأنها لا تفطر، فما حل هذا الإشكال؟

قلت: وحل هذا الإشكال الجمع بين الأحاديث وهذه طريقة أهل العلم فإذا كانت الحجامة تضر بالمحجوم وتلجئه للفطر فإنها تحرم عليه وتسير من المفطرات لأنها ألجئته إلى الفطر فسارت سبباً في ذلك فأخذت حكم الأشياء التي تفطر، ويكون ذلك عملاً بالحديث السابق في باب المفطرات. أما إذا كانت لا تلحق الضرر بالمحجوم ولا تلجئه للفطر فهي في حقه مباحة عملاً بهذا الحديث.

ودليل ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن ثابت البناني قال: (سُئل أنس بن مالك رضي الله عنه: أكنتم تكرهون الحجامة للصائم؟ قال: لا، إلا من أجل الضعف)[(٢)]. هذا والله أعلم.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤/١٧٤).

٧- الكحل والقطرة ونحوهما مما يدخل العين:

هذه الأمور لا تفطر سواء وجد طعمه في حلقه أم لم يجده، لأن العين ليست بمنفذ للجوف، وهذا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ورسالته «حقيقة القيام»، وتلميذه ابن القيم في «زاد المعاد».

قال البخاري في صحيحه: «لم ير أنس والحسن وغيرهم بالكحل للصائم بأساً».

أما الحديث المروي في الكحل أن النبيﷺ أمر بالإثمد المروح عند النوم وقال: وليتقه الصائم «رواه أبو داود فقط، وقال يحيى بن معين - رحمه الله - هذا حديث منكر».

٨- تذوق الطعام للحاجة:

قلت: وهذا مقيد بعدم دخوله الحلق.

عن عطاء عن ابن عباس قال: «لا بأس أن يذوق الخل والشيء يريد شراءه، ما لم يدخل حلقه وهو صائم»(١).

وعن ابن عباس أيضاً قال: «لا بأس أن يتطاعم الصائم العسل والسمن ونحوه يمجه»(٢).

---

(١) حسن: رواه البخاري تعليقاً (١٥٤/٤) ووصله ابن أبي شيبة (٤٦٣/٢)، ورواه البيهقي (٢٦١/٤) وغيره وحسن إسناده الألباني في إرواء الغليل رقم (٩٣٧).

(٢) رواه البيهقي وسكت عنه الحافظ في الفتح، وحسن إسناده الألباني في (إرواء الغليل) (٨٦/٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما إذا ذاق طعاماً ولفظه أو وضع في فيه عسلاً ومجه فلا بأس به للحاجة كالمضمضة والاستنشاق»(١).

٩- صب الماء البارد على الرأس والاغتسال:

ليس هناك حرج على الصائم أن يضع الماء البارد على رأسه أو أن يغتسل حال الصيام، فلقد بوب الإمام البخاري في صحيحه: «باب اغتسال الصائم وبلّ ابن عمر- رضي الله عنهما- ثوبا فألقاه عليه وهو صائم» ودخل الشعبي الحمام وهو صائم.

وقال الحسن: لا بأس بالمضمضة والتبرد للصائم(٢).

وأخرج أبو داود بسنده عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: رأيت النبي ﷺأمر الناس في سفره عام الفتح بالفطر، وقال تقووا لعدوكم وصام رسول الله ﷺ، قال أبو بكر قال الذي حدثني: لقد رأيت رسول الله ﷺ بالعرج يصب على رأسه الماء البارد وهو صائم من العطش أو الحر»(٣).

---

(١) الاختيارات الفقهية (١٠٨٥٥).

(٢) صححها الحافظ ابن حجر في الفتح (١٨٢/٤ - ١٨٣).

(٣) صحيح: رواه مالك في الموطأ (١٦٧/٢) شرح الزرقاني، وأحمد (٣٧٦/٥) وأبو داود (٤٩٢/٦) وقال الحافظ في تغليق التعليق (١٥٣/٣) إسناده صحيح، وقال العلامة الوادعي: هذا حديث رجاله رجال الصحيح (١٤٧٣) وصححه محدث العصر الإمام الألباني في (صحيح الجامع) و (صحيح أبي داود).

١٠- شم الروائح الطيبة والتطييب بالطيب:

استحب السلف ـ رضوان الله عليهم ـ للصائم الترفه والتجمل والترجل والإدهان كما قال ابن حجر، وأيضاً التطيب.

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «إذا كان صوم أحدكم فليصبح دهنياً مترجلاً»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وشم الروائح الطيبة لا بأس به للصائم»[٢].

١١- ويباح للصائم أن يأكل ويشرب ويجامع حتى يطلع الفجر:

لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

١٢- يباح للصائم ما لا يمكن الاحتراز منه كبلع الريق، وغبار الطريق وغربلة الدقيق والنخامة ونحو ذلك.

قال ابن المنذر «اجمعوا على أنه لا شيء على الصائم فيما يبتلعه مما جرى مع الريق مما بين أسنانه مما لا يقدر على إخراجه»[٣].

---

(١) رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم.

(٢) حقيقة الصيام (١٠٨).

(٣) فتح الباري (٤/ ١٩٠).

١٣- العلك: كل ما يمضغ ويبقى في الفم كالمصطكة قال ابن حجر في الفتح: (رخص في مضغ العلك أكثر العلماء إن كان لا يتحلب منه شيء، فإن تحلب منه شيء فزروه فالجمهور على أنه يفطر)[1].

١٤- يجوز للمرأة الحائض والنفساء إذا انقطع الدم بالليل أن تؤخر الغسل إلى الصبح، وتكون قد أصبحت صائمة وعليها أن تتطهر كالصلاة.

١٥- يجوز للصائم قلع سنه ومداواة جرحه.

١٦- يجوز للصائم أن يستعمل البخاخ ليخفف عن نفسه ضيق التنفس الحاصل مع الضغط وغيره، إذا كان البخاخ عبارة عن هواء بارد، وإن كان هذا البخاخ معه سائل فلا يستعمله. هذا والله أعلم.

***

ما يستحب للصائم فعله

يستحب للصائم في رمضان أن يكثر من فعل الطاعات من قراءة القرآن والدعاء والذكر والصدقة والعمرة وصلة الرحم وزيارة الأقارب وتفقد أحوالهم، والإحسان إلى الجيران ومواساة الفقراء والمحتاجين وتفطير الصائمين وغلى غير ذلك من أنواع العبادات والخير والبر.

(١) المصدر السابق.

١- قراءة القرآن في رمضان والذكر والدعاء والصدقة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة)[١].

وفي رواية (كان يدارسه القرآن... الحديث).

في هذا الحديث فوائد منها:

أ- الإكثار من قراءة القرآن الكريم في رمضان.

ب - الصدقة في رمضان والإكثار منها.

ولقد جاء في فضل الصدقة أحاديث كثيرة منها:

قال رسول الله ﷺ: (الصوم جنة، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفي الماء النار)[٢].

وقال النبي عن الصدقة في رمضان: «أفضل الصدقة الصدقة في رمضان»[٣].

قلت: وذلك لشرف الزمان.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) رواه الترمذي بسند صحيح.

(٣) رواه الترمذي بسند صحيح.

قلت: وللمزيد في موضوع الصدقة انظر كتابنا: (الصدقة) فلقد جمعنا في هذا الكتاب أغلب ما يتعلق بأمر الصدقة.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يدارس القرآن في رمضان وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وكان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف»(١).

٢- يستحب للصائم أن يفطر صائما أو أكثر ولو على تمرة أو شربة ماء، فهذا من أفضل الصدقة في رمضان.

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء»(٢).

٣- يستحب للصائم كذلك أداء العمرة في رمضان.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يقال لها: أم سنان: «ما منعك أن تكوني حججت معنا؟» قالت: ناضحان كان لأبي فلان (زوجها) حج هو وابنه على أحدهما،

---

(١) زاد المعاد (٣٢/٢) وسوف نتكلم عن الاعتكاف ـ إن شاء الله ـ في الحديث عن فضل العشر الأواخر.

(٢) حسن لغيره: رواه أحمد (١١٤/٤ - ١١٥) وابن خزيمة (٢٧٧/٣)، وابن حبان (١٨١/٥)، والطبراني في الكبير (٢٩٥/٥)، وابن أبي شيبة (٣٥١/٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١٣/٤)، والبيهقي في الشعب (٣٦٦٧) وفي السنن (٢٤٠/٤)، والترمذي (٥٣٣/٣) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة (١٧٤٦).

وكان الآخر نسقى عليه، قال ﷺ «فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي» وفي لفظ آخر: «فإذا جاء رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة»(١).

٤- يستحب للصائم أن يستعمل السواك، ولا فرق بين أول النهار وآخره ـ على ما سبق لنا بيانه ـ لأن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب.

٥- على الصائم أن يحفظ لسانه عن فضول الكلام.

وذلك لأن اللسان على صغر حجمه فهو عظيم طاعته وجرمه، فهو مصدر كثير من الآثام، وعلى المسلم عموما والصائم خصوصا أن يعرض عن لغو الحديث ويتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾ [المؤمنون:٣].

وقال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾ [ق:١٨].

فينبغي للصائم أن تصوم جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش من القول، وقول الزور وفضول الكلام، وبطنه عن الشراب والطعام، وفرجه عن الرفث، فإن تكلم فلا يتكلم بما يجرح صومه ويخدشه ويعيبه وإن فعل لا يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه طيبا

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٣/٣)، ومسلم (١٢٥٦)، والناضح: البعير يسقى عليه الماء ومعنى: تقضى حجة أي: تعدلها في الثواب، كما في الرواية الأخرى، لا أنها تقوم مقامها في اسقاط الفرض. والله أعلم.

وعمله صالحا وقد حث النبي ﷺ المسلم الصائم أن يتحلى بمكارم الأخلاق وصالحها، ويبعد عن الفحش والبذاءة والفظاظة، وهذه الأمور السيئة منهي عنها المسلم في كل وقت وحين، ولكن النهي أشد أثناء تأدية فريضة الصيام وغيرها من الفرائض.

يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه -: «... والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤء صائم[1]».

٦- غض البصر وحفظ الفرج:

على الصائم أن يغض بصره عما حرم الله، لأن للعين صياما كسائر الجوارح، وصيامها غضها عن الحرام، وكذلك يجب على الصائم أن يحفظ فرجه من الرفث ومن كل ما حرم الله عليه، لأن صيام الفرج حفظه عن الحرام، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠].

وبالجملة نقول: يستحب للصائم - إن لم يجب ويلزم - حفظ سائر الجوارح عن القبائح، فلا يفعل الصائم ما يخدش صيامه أو يشينه والجوارح المأمور بحفظها: اللسان والعين والأذن والبطن والفرج واليد

(١) صحيح: وقد تقدم.

والرجل، فإذا صان المسلم جوارحه عن الآثام كمل صومه، وضوعف أجره.

يقول ابن رجب ـ رحمه الله ـ : الصائمون على طبقتين:

أحدهما: من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى يرجو عنده عوض ذلك في الجنة، فهذا تاجر مع الله وعامله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب معه عامله، بل يربح أعظم الربح.

أما الطبقة الثانية من الصائمين: من يصوم في الدنيا عما سوى الله، فيحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى، ويريد الآخرة، فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته.

أهل الخصوص من الصوام صومهم صون اللسان عن البهتان والكذب
والعارفون وأهل الإنس صومهم صون القلوب عن الاغيار والحجب

العارفون لا يسليهم عن رؤية مولاهم قصر، ولا يرويهم دون مشاهدته نهر هممهم أجل من ذلك.

من صام عن شهواته في الدنيا أدركها غدا في الجنة، ومن صام عما سوى الله فعيده يوم لقائه ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ [العنكبوت:٥].

وقد صمت عن لذات دهري كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي[(١)]

خلاصة القول:

(١) لطائف المعارف (٢٢٢ - ٢٣٠) بتصرف.

على الصائم أن يعمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ويبتعد عن كل ما يبغضه الله ولا يرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة[1] .

❄ ❄ ❄

(١) قلت: قد سبق أن تكلمنا في أول الكتاب عن (أبواب الخير في رمضان) فعلى الصائم أن يتحرى هذه الأبواب ويضرب في كل باب بسهم.

مايكـــــــره للصـــــائم فعلـــــه

هناك أمور يكره للصائم أن يفعلها لأن التمادي فيها قد يؤدي إلى فساد الصوم، وهذه الأمور وإن كانت غير مفسدة للصوم نفسه لكنها قد تؤدي إلى ما يفسد الصوم، فكرهت من أجل ذلك، ومنها:

١- المبالغة في المضمضة والاستنشاق:

وذلك لقوله ﷺ للقيط بن صبرة: «وبالغ في المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائما»[(١)].

واختلف أهل العلم إذا دخل ماء المضمضة إلى جوفه خطأ فقالت: الحنفية والمالكية والشافعي في أحد قوليه، والمزني أنه يفسد صومه، وقال أحمد بن حنبل، وإسحاق والأوزاعي: أنه لا يفسد الصوم كالناسي، وهو الراجح - إن شاء الله - وأما إذا تعمد ودخل الماء إلى جوفه فإنه يبطل صومه وعليه القضاء - والله أعلم.

٢- ذوق الطعام لغير حاجة:

يكره للصائم أن يذوق الطعام لغير حاجة - وقد تقدم بيان ذلك - ولكن إذا احتاج إليه لمصلحة ولد صغير أو مريض أو ما شابه ذلك فهذا لا كراهة فيه لأنه موضع ضرورة.

---

(١) صحيح وقد تقدم.

٣- القبـلـــــة:

تكره القبلة للصائم إذا كانت تعمل على إثارة شهوته مما تجره إلى إفساد صومه بالإمناء أو بالجماع، فالاعتبار أولا وأخيرا بتحريك الشهوة وخوف الإنزال[١].

٤- عدم إدامة النظر إلى الزوجة أو الأمة إذا كان ذلك يثير شهوته لأنه قد يؤدي إلى فساد صومه.

٥- التفكير في الجماع:

يكره للصائم كثرة التفكير في شأن الجماع لأنه قد يؤدي به تفكيره إلى إنزال المني أو الإقدام على الجماع وهذا يفسد صومه ويوقعه في الإثم.

٦- جمع الريق وابتلاعه وكذا ابتلاع النخامة:

يكره للصائم أن يجمع ريقه ويبتلعه أو يبتلع النخامة، لأن ذلك يصل إلى جوفه ويتقوى به، وهو ينافي الحكم من الصيام[٢].

قلت: وبلع الريق والنخامة لا يفسد الصوم[٣].

٧- صوم الوصال:

يكره للصائم الوصال في صومه، وحقيقته المنهي عنها: أن يصوم المرء يومين فأكثر ولا يتناول في الليل شيئا من طعام أو شراب، فإن أكل أو شرب ولو يسيرا فليس ذلك بوصال.

---

(١) راجع باب: ما يباح للصائم فعله فقرة (٤).

(٢) انظر حاشية الروض المربع (٣/٤٠٤).

(٣) انظر: باب ما يباح للصائم فعله فقرة (١٢).

ولقد نهى النبي ﷺ عن الوصال في الصوم وذلك رحمة منه وشفقة على أمته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: (وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فلما أبو أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر لزوتكم) كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا)[1] .

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ : «إياكم والوصال مرتين قيل: إنك تواصل، قال: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فاكلفوا من العمل ما تطيقون»[2] . والوصال مع كراهته لا يبطل الصوم.

والحكمة من النهي عنه لئلا يضعف الجسم عن أداء الواجبات ، بل قد يلحق الجسم ضرر كبير يؤثر على الحواس والأعضاء.

٨- مضغ العلك واللبان:

إذا كان العلك يتحلل منه شيء يختلط مع الريق ويبتلعه الصائم كما هو معروف في العلك الحالي فهذا حرام، وهو مما يفطر به الصائم بلا خلاف، وأما إذا كان لا يتحلل منه شيء أبدا كقطعة المطاط الرخو مثلا فإن هذا يكره ولا يحرم[3] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٥/٤)، ومسلم (١١٠٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٦/٤).

(٣) قلت: وهناك نوع من العلك يباح للصائم مضغه قد بينا ذلك في باب: ما يباح للصائم فعله، فأنظره هناك فقرة (١٣).

٩- قول الصائم: صمت رمضان كله أو قمته كله:

يكره للصائم أن يقول: صمت رمضان كله أو قمته كله، لأن ذلك فيه تزكية للنفس وهذا منهي عنه.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لا يقولن أحدكم إني صمت رمضان كله وقمته كله) فلا أدري أكره التزكية أو قال: لابد من نومة أو رقدة)(١).

قلت: ولعل من الأسباب التي جاء من أجلها النهي أن الإنسان لا يدري أقبل صيامه أو قيامه أو لا! والله أعلم.

١٠- شم ما لا يؤمن من شمه أو تجذبه نفسه إلى حلقه كمسحوق المسك أو الكافور أو السعوط أو البخور ونحو ذلك.

❋ ❋ ❋

(١) صحيح: رواه أبو داود في سننه (٧/٧٠).

الأعذار المبيحة للفطر

(أهل الأعذار)

من المعلوم أن الصيام عبادة شاقة تحتاج إلى تحمل وصبر وقد لا يتحملها بعض فئات من المجتمع، وجرياً على سنة الإسلام القائمة على التيسير ورفع الحرج على الناس[1] فقد رخص الله عز وجل لبعض عباده في ترك الصوم وأباح لهم الفطر رحمة بهم وتخفيفاً عليهم، يقول تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

فقد رخص الله جلا وعلا للمريض والمسافر والشيخ والكبير والحائض والنفساء والحامل والمرضع وغيرهم من أصحاب الأعذار أن يفطروا في نهار رمضان، وهؤلاء يفطرون عمداً، بل منهم من يجب عليه الفطر ويحرم عليه الصيام كالحائض والنفساء، وإليك بيان ما تقدم بشيء من التفصيل:

وقبل الشروع في التفصيل يمكن لنا القول بأن أهل الأعذار ينقسمون إلى قسمين:

الأول: من يرخص لهم الفطر ويجب عليهم القضاء.

والثاني: من يرخص لهم الفطر وتجب عليهم الفدية.

---

(١) للمزيد في هذا الموضوع انظر: كتاب (الصوم والإفطار لأصحاب الأعذار) للدكتور فيحان المطيري (ص ٢١).

القسم الأول

من يرخص لهم الفطر ويجب عليهم القضاء

١- المريض:

يرخص للمريض أن يفطر رمضان لقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

والمريض في رمضان له ثلاث حالات:

الأولى: أن لا يشق عليه الصوم ولا يضره فيجب عليه الصوم لأنه ليس له عذر يبيح الفطر مثل وجع الإصبع والضرس وغير ذلك.

والثانية: أن يشق عليه الصوم ولا يضره، فهذا يجوز له النظر للآية المتقدمة، ولا ينبغي له الصوم لأنه خروج عن رخصة الله تعالى له وتعذيب نفسه، وتكاليف الشريعة ولله الحمد قائمة على اليسر ورفع الحرج ودفع المشقة.

الثالثة: أن يضره الصوم فهذا يجب عليه الفطر ولا يجوز له الصوم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء:٢٩]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥].

وإذا حدث له المرض في أثناء رمضان وهو صائم وشق عليه إتمام اليوم جاز له الفطر لوجود العذر المبيح للفطر.

وإذا برىء في نهاية رمضان وقد أفطر أول النهار للعذر، لم يصح صومه ذلك اليوم لأنه كان مفطراً في أول النهار، والصوم كما مر معنا أنه امتناع عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية، لكن يجب عليه القضاء بعدد الأيام التي أفطرها.

وكذلك إذا ثبت عن طريق الطبيب الحاذق الموثوق بدينه أن الصوم يجلب له المرض أو يؤخر له الشفاء من مرضه فإنه يجوز له الفطر محافظة على صحته، واتقاء للمرض، ويقضي هذه الأيام بعد شفاءه[1].

٢- المسافر:

يباح الفطر للمسافر الذي هلّ عليه شهر رمضان وهو في سفر أو أنشأ سفراً في أثناء الشهر، واستدل لذلك من الكتاب والسُنة والإجماع والمعقول.

فمن الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٤].

(١) انظر: حاشية ابن عابدين (٢/٤٢٢)، وبداية المجتهد (١/٢٨٥) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٢٧٦) والأم (٢/١٠٤)، والمجموع (٦/٢٥٧)، والانصاف للمر (٣/٢٨٥)، ومجالس شهر رمضان (ص ٣٣).

٢- قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

ومن السُّنة:

١- عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ (أأصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام فقال: إن شئت فصم وإن شئت فافطر)(١).

٢- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة(٢).

٣- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زحاماً ورجلاً ظُلِل عليه فقال: ما هذا؟ قالوا: صائم، فقال: «ليس من البر الصيام في السفر»(٣).

وفي رواية لمسلم زيادة «عليكم برخصة الله التي رخص لكم».

وهناك أحاديث أخرى في الباب سنتعرض لها فيما بعد.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١٧٩) ومسلم (١١٢١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/١٨٢) ومسلم (١١٢٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/١٨٣) ومسلم (١١١٥).

ومن الإجماع:

أجمع المسلمون على إباحة الفطر للمسافر في الجملة.

قال النووي في المجموع: (... فإن كان سفره فوق مسافة قصر وليس معصية، فله الفطر في رمضان بالإجماع مع نص الكتاب والسُنة...)[١].

ومن المعقول:

إن إباحة الفطر في السفر لكونه مظنة المشقة، فخفف عن المسلمين دفعاً للمشقة ورفع الحرج عنهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

مسألة: ما هو السفر المبيح للفطر؟

السفر المبيح للفطر:

أولاً: أن لا يكون سفر معصية، كمن يسافر إلى البلاد الأوروبية أو بلاد الكفر عموماً لممارسة الإباحية والانحلال هناك.

ثانياً: شرط السفر أن لا يقصد به المسافر التحيل على الفطر، فإن قصد ذلك فالفطر عليه حرام والصيام واجب عليه حينئذ.

---

(١) المجموع للنووي (٦/٢٦١) وانظر كذلك: بدائع الصنائع (١/٩٣)، وبداية المجتهد (١/٣٨٥)، والمغني (٤/٤٠٦).

وقد اتفق الفقهاء ـ رحمهم الله ـ على جواز الفطر في السفر الواجب كسفر الجهاد والحج والعُمرة، كما ذهب جماهير أهل العلم إلى جواز الفطر في السفر المندوب والمباح لأنهما ملحقان بالواجب لثبوت فطر الرسول صلى الله عليه وسلم في رجوعه من السفر الواجب، ورجوعه مباح، وأما المندوب فهو سفر طاعة.

وأما سفر المعصية فاختلفوا فيه على قولين: أصحهما حرمة الفطر فيه، ومثال ذلك السفر لبلاد الكفر بحثاً عن الدعارة والمخدرات والجريمة، وسفر قُطاع الطريق واللصوص ومن في حكمهم، ممن ينشرون الفساد في الأرض ويؤذون المؤمنين في أعراضهم وأموالهم(١).

مسألة: المسافة التي يباح فيها للمسافر الفطر:

علق الشارع الحكيم قصر الصلاة وإباحة الفطر على مطلق السفر دون تحديد له، غير أنه لما كان السفر مظنة المشقة، والمشقة لا تحصل غالباً إلا مع السفر الطويل، اختلف الفقهاء ـ رحمهم الله ـ في تحديد مسافة الفطر المبيحة للفطر:

فمنهم: من ذهب إلى أن المسافة التي يجوز فيها الفطر هي مسيرة يومين كاملين فأكثر، وهي تعادل ثمانين كيلومتراً تقريباً.

---

(١) انظر: بدائع الصنائع (١/ ٩٣)، بداية المجتهد (١/ ٢٨٥)، المجموع (٦/ ٢٦١) المغني (٤/ ٤٠٦).

ومنهم: من ذهب إلى المسافة المبيحة للفطر مسيرة ثلاثة أيام.

ومنهم: من ذهب إلى أن المسافة المبيحة للفطر مسيرة يوم واحد فقط.

ومنهم: من ذهب إلى أنه لا حد للسفر الذي يباح الفطر فيه، بل كل ما سمي سفراً عرفاً جاز الفطر فيه.

والقول الأول أخذ به جماعة من الصحابة والتابعين، وهو قول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد ـ رحمهم الله ـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... وأما مقدار السفر الذي يقصر فيه ويفطر فمذهب مالك والشافعي وأحمد أنه مسيرة يومين قاصدين بسير الإبل والأقدام هو ستة عشر فرسخاً[1] . كما بين مكة وعسفان، ومكة وجدة وقال أبو حنيفة: مسيرة ثلاثة أيام، وقال طائفة من السلف والخلف بل يقصر ويفطر في أقل من يومين، وهذا قول قوي...»[2].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «... ولم يكن من هديه ﷺ تقدير المسافة التي يفطر فيها الصائم بحد ولا صح عنه في ذلك شيء».

---

(١) الفرسخ ثلاثة أميال، والميل (١٦٠٩م) تقريباً فتكون المسافة المقررة = ١٦ × ٣ × ١٦٠٩ = ٧٧٢٣٢متراً أي ما يزيد على سبعة وسبعين كيلومتراً فأوصلناها ثمانين كيلومتراً تقريباً.

(٢) مجموع الفتاوى (٢١٢/٢٥)، ويلاحظ أن شيخ الإسلام يرجح القول الأخير، الذي لا يحد فيه المسافة بل يربطها بالعرف، وهذا الرأي قال به تلميذه الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٥٥/٢) وسيأتي، وهذا القول تميل إليه النفس والله أعلم.

مسألة: هل الأفضل الصيام أو الفطر في السفر:

المسافر حال السفر لا يخرج عن إحدى الحالات الآتية:

أولها: أن يتساوى عنده الفطر والصيام أي لا مشقة عليه من السفر فالأفضل في حقه الصيام لعموم قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٨٤].

وكذلك الأمور الآتية:

أ- لأنه أسرع في إبراء ذمته.

ب - أنشط له إذا صام مع الناس.

جـ- إدراكه لفضيلة الزمن.

د - وهذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم(١).

ويدل على ذلك ما رواه أبو الدرداء - رضي الله عنه - خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة(٢).

ثانيها: إذا شق عليه الصيام في السفر فإن الفطر في حقه أفضل لعموم قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

---

(١) قلت: وسيأتي بيان هديه ﷺ في السفر عند الكلام عن صفة صوم النبي ﷺ في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

وأيضاً لحديث جابر رضي الله عنه الذي قال فيه النبي ﷺ: «ليس من البر الصيام في السفر»[١].

وعنه أيضاً قال: أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب، فقيل له بعد ذلك:

إن البعض قد صام فقال: «أولئك العصاة أولئك العصاة»[٢].

وفي رواية أخرى: «فقيل له إن الناس قد شق عليهم الصيام وإنما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر.. الحديث»[٣].

ثالثها: أن يكون مخيراً بين الصوم والفطر، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ: «أأصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام. فقال: إن شئت فصم وإن شئت فأفطر[٤]».

ولم يعب أصحاب النبي ﷺ بعضهم بعضاً في الصوم والإفطار ـ أي حال الصيام لما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم)[٥].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢/٧٨٥) رقم (١١١٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧/٢٣٢).

(٤) صحيح: وقد تقدم.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٣/٣٩٥)، ومسلم (١١١٨).

(مسألة) إذا قدم المسافر إلى بلده في نهار رمضان :

إذا قدم المسافر إلى بلده في نهاية نهار رمضان وكان مفطراً لم يصح صومه ذلك اليوم لأنه كان مفطراً أول النهار، والصوم الواجب لا يصح إلا من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية كما مر بنا ذلك.

ولكن: هل يلزمه الإمساك بقية اليوم؟ اختلف العلماء في ذلك فقال بعضهم: يجب عليه أن يمسك بقية اليوم احتراماً للزمن ويجب عليه القضاء أيضاً لعدم صحة صيام هذا اليوم.

وقال بعضهم: لا يجب عليه أن يمسك بقية ذلك اليوم لأنه لا يستفيد من هذا الإمساك شيئاً لوجوب القضاء عليه. أما حرمة الزمن فقد زالت بفطره المباح له أول النهار ظاهراً وباطناً[1].

قلت: والقول الثاني هو الراجح إن شاء الله ولكن ينبغي له أن لا يعلن أكله ولا شربه لخفاء سبب الفطر عن الناس فيساء به الظن أو يقتدي به غيره خصوصاً من الجهال وضعاف النفوس.

(مسألة) من سافر من بلده إلى بلد آخر ونوى الإقامة في البلد الآخر يصوم أم يفطر :

اختلف أهل العلم في هذه المسألة خلافاً واسعاً، وقد رجح بعضهم أنه إذا نوى إقامة تزيد على أربعة أيام لزمه الصوم، وإتمام الصلاة كغيره من المقيمين لانقطاع أحكام السفر في حقه سواء كانت إقامته لدراسة أو

---

(١) المبسوط للسرخسي (٥٨/٣).

لتجارة أو غير ذلك من الأمور المباحة، وإذا نوى إقامة أربعة أيام فأقل أو أقام لقضاء حاجة لا يدري متى تنقضي[١] فله الإفطار لعدم انقطاع أحكام السفر في حقه[٢].

٣- الحائض والنفساء:

أجمع أهل العلم سلفا وخلفا أن الحائض والنفساء لا يحل لهما الصوم، وأنهما تفطران وتقضيان، وأنهما إذا صامتا لم يجزئهما الصوم ولم يصح، ودليل ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «...أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم، فذلك نقصان دينها»[٣].

وعند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين»[٤].

ولكن يجب عليهما القضاء بعدد الأيام التي أفطرتا فيها لقوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

---

(١) قلت: وقد تطول هذه المدة عن أربعة أيام بل قد تصل شهور فالراجح عندي أنه يفطر ويقصر لعدم وجود دليل على التحديد والله أعلم.

(٢) بدائع الصنائع (١/٩٧)، بداية المجتهد (١/٢٨٧)، المجموع (٦/٢٦٣) مغني المحتاج (١/٤٣٧)، الروض المربع (٣/٣٧٢) نيل الأوطار (١/٢٣٠).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/١٩١).

(٤) صحيح رواه مسلم (٧٩).

ولحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ وفيه: «كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة».

والأمر للنبي ﷺ لأنه صاحب الأمر عند الإطلاق(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... وكذلك ثبت بالسنة واتفاق المسلمين أن دم الحيض ينافي الصوم، فلا تصوم الحائض لكن تقضي الصيام...»(٢).

فصل

إذا حاضت المرأة أول النهار أو آخره ولو قبل الغروب بقليل فإنه يبطل صومها، لأن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما فإذا ثبتت العلة ثبت الحكم وإذا انتفت العلة انتفى الحكم.

وإذا طهرت المرأة من الحيض أو النفاس في أثناء نهار رمضان لم يصح صيامها بقية هذا اليوم لوجود ما ينافي الصيام في أول النهار، وهل يجب عليها الإمساك بقية اليوم أم لا؟ فيه خلاف بين أهل العلم أصحها أنه لا يجب وإن أمسكت بقية اليوم لحرمة الزمن فهذا أفضل(٣).

---

(١) صحيح: رواه البخاري، انظر الفتح (١/ ٤٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى: (٢٥/ ٢٢٠).

(٣) قلت: وحرمة الزمن قد زالت في حقها بفطرها المباح في أول النهار.

وإذا طهرت في الليل مـن رمضـان، ولـو قبـل الفجر بلحظة وجب عليها الصيام لأنها أصبحت من أهله، ولا يوجد مانع منه، حتى ولـو لم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر على الصحيح من كلام أهل العلم[١] .

(**تنبيه**) كثيرا ما تسأل النساء في بداية رمضان عن تناول حبـوب منع الحيض.

والجواب كما قال النبي ﷺ : «إن هذا أمر كتبه الله على بنات بـني آدم»[٢] وإذا كان هذا الأمر مكتوبا على النساء جميعا فلا ينبغـي للمرأة أن تتدخل في أمر قد كتبه الله عليها».

ويجب أن تعلـم المرأة المسلمة أن كـل مـا كتبـه الله وقـدره فيـه الخير المحض فالأفضل عدم المعارضة والتدخل من قبلها.

ويجب أن تعلم أيضا أن خروج دم الحيض وغيره من جسم المرأة لـه فوائـد كثيرة وذلـك لحكمـة عظيمـة، وأن انحباسه باستعمال الحبـوب فيـه أضـرار كثيرة، ومنهـا مـا يحصـل للمـرأة مـن أمـراض بعـد نـزول الـدم، واضطراب في مواعيـد العـادة الشهرية، وقرحـة تصيـب رحـم المرأة، وقـد يؤدي ذلك إلى العقم وأشياء كثيرة ذكرها الأطباء.

وعليه فالأفضل للمرأة ألا تستعمل حبوب منع الحيض، ولكـن إذا استعملت الحبوب جاز لها أن تصـوم وتصلي لإنتفـاء العلـة وانعـدام المانع

---

(١) انظر: المبسـوط (٣/٨٠)، والشـرح الصغـير (٢/٢٤٢)، ونهايـة المحتـاج (٣/١٨٤) والانصـاف (٣/٢٨٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري في صحيحه.

وهو الدم. ولكن إن طلب المرأة استعمال مثل هذه الحبوب في هذا الشهر لا شك دليل على حب النساء للخير والعبادة من الصوم وحضور صلاة التراويح وقراءة القرآن، وغيرها من أفعال الخير الذي تلزم طهارة المرأة.

ومع ذلك فالأحوط ترك هذه الحبوب، والله سبحانه مطلع على السرائر ويعلم ما في الضمائر فإنه لا يضيع أجر من نوى فعل الخير، هذا والله أعلم.

٤- الحامل والمرضع:

المرأة إذا كانت حاملا أو مرضعا وخافت على نفسها أو ولدها من الصوم فلها الفطر، ودليل ذلك ما رواه أنس بن مالك الكعبي القشيري[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة والصوم وعن المرضع والحامل الصوم[٢]» وفي لفظ «والحبلى».

ويلزمها القضاء بعدد الأيام التي أفطرتا متى تيسر لهما ذلك، ويزول عنهما الخوف، لأن المرضع والحامل بمنزلة المريض، والمريض أوجب عليه القضاء إذا زال عنه المرض وبرىء.

---

(١) قلت: هو آخر غير أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم وليس له إلا هذا الحديث.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٧/٤٥)، والنسائي (٤/١٩٠) والترمذي (٣/٤٠١) وقال حديث حسن، وقال: (... ولا يعرف لابن مالك هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث الواحد)، وابن ماجة (١/٥٣٣)، وأحمد (٤/٣٤٧)، وابن خزيمة (٢٠٤٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/٢/٢٩)، المزي في تهذيب الكمال (٣/٣٨٠) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٧٤).

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المرأة الحامل أو المرضع إذا أفطرتا خوفاً على نفسيهما فيجب عليهما القضاء فقط، وإذا أفطرتا خوفاً على ولديهما أفطرتا وأطعمتا عن كل يوم مسكين، وحجة هؤلاء قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة:١٨٤].

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: «كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصيام أن يفطرا أو يطعما مكان كل يوم مسكيناً والحبلى والمرضع إذا خافتا» قال أبو داود: يعني على أولادهما «أفطرتا وأطعمتا»[(١)].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن امرأته سألته وهي حبلى فقال: «أفطري وأطعمي عن كل يوم مسكيناً ولا تقضي».

والخلاصة: أن المرضع والحامل تفطران وتقضيان سواء خافتا على أنفسهما أو على ولديهما، هذا هو الراجح من قولي أهل العلم، وإن أطعمتا خروجاً من الخلاف كان أولى. والله أعلم.

٥- الفطر للضرورة:

قد ألحق الفقهاء ـ رحمهم الله ـ مجموعة من أصحاب الأعذار غير ما سبق، يباح لهم الفطر منهم:

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٦/٣١)، وابن الجارود (٣٨١)، والبيهقي (٤/٢٣٠) وابن جرير الطبري في تفسيره والقرطبي (٢/٢٨٨).

أ - من احتاج للفطر لدفع ضرورة غيره، كإنقاذ معصوم من الغرق أو الحرق أو الهدم أو نحو ذلك، فإذا كان لا يمكنه إنقاذه إلا بالتقوى على ذلك بالفطر من أكل وشرب جاز له ذلك، بل يجب لأن إنقاذ المعصوم من الهلكة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ويلزمه قضاء ما أفطره.

ب - من غلبه الجوع والعطش أبيح له الفطر دفعاً للضرر الحاصل عليه، بل قد يكون واجباً إذا تيقين الهلاك، ويستدل لذلك بالأدلة العامة التي تنفي الحرج وتقتضي التسير ودفع المشقة مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء: ٢٩][(١)].

جـ - من أكره على الفطر إكراهاً ملجئاً بحيث ألزمه غيره أن يأكل أو يشرب ففعل ذلك ولا حيلة له في الامتناع فأفطر دفعاً للضرر الواقع عليه فهذا عليه القضاء ولا إثم عليه - إن شاء الله - شريطة أن يكون من أكرهه قادراً على إنزال الضرر به لو لم يمتثل لأمره[(٢)].

وقيل ليس عليه شيء كما لو كان نائماً أو مغمى عليه وصب أحد الماء في حلقه، فإنه لا يفطر بذلك بل يواصل الصوم ولا قضاء عليه، وذلك لأن السُنة دلت على عدم الفطر مع عدم القصد كما ثبت في

---

(١) انظر في ذلك، الصوم والإفطار لأصحاب الأعذار (ص ٢١).

(٢) المغني (٤/٣٧٧). الإنصاف (٣/٣١٢)، الشرح الصغير (٢/٢٥٩) المجموع (٦/٣٢٩) مغني المحتاج (١/٤٣٠).

الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه».

قلت: والذي تميل إليه النفس القول الأول، وهو من باب الأولى والاحتياط.

د- من احتاج للفطر للتقوي به على الجهاد في سبيل الله.

فإنه يباح الفطر في هذه الحالة وعليه القضاء بعدد ما أفطر من الأيام.

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام»، قال: فنزلنا منزلاً فقال رسول الله ﷺ: «إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم» فكانت رخصة، فمنا من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر فقال: «إنكم مصبحوا عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا وكانت عزمة»[1].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «فلو اتفق مثل هذا في الحضر وكان في الفطر قوة لهم على لقاء عدوهم فهل لهم الفطر؟ فيه قولان: أصحهما دليلاً أن لهم ذلك وهو اختيار ابن تيمية وبه أفتى العساكر لما لقوا العدو بظاهر دمشق»[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧/٢٣٦) وغيره.

(٢) زاد المعاد (٢/٥٣).

القسم الثاني
من يرخص لهم الفطر وتجب عليهم الفدية

١- الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة.

يرخص للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة الإفطار في رمضان أن عجزا عن الصيام.

عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ قال ابن عباس: «ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعمان مكان كل يوم مسكيناً»[1].

قال البخاري - رحمه الله - «وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعدما كبر عاماً أو عامين في كل يوم مسكيناً خبزاً ولحماً وأفطر»[2].

وبهذا يتبين أن الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة إذا ضعفا على الصوم لا يجب عليهما القضاء، وإنما يجب عليهما الإطعام، وقد قدره أهل العلم بمد من البر، ربع الصاع النبوي[3] أو يصنع طعاماً ويوزعه على المساكين.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٩٧/٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٠/٦) كتاب التفسير.

(٣) قد مر بنا مقدار المد والصاع.

قال أهل العلم:

«ومتى أفطر العاجز عن الصيام وجب عليه أن يطعم عن كل يوم مسكينا لأن الله جل وعلا جعل الإطعام معادلا للصيام حين كان التخيير بينهما أول ما فرض الصيام، فتعين أن يكون بدلا عنه عند العجز لأنه معادل له»[(١)].

(مسألة) هل يلزم أن يطعم كل يوم مسكينا أو يجوز إطعام ثلاثين مسكينا دفعة واحدة؟!.

يجوز لمن عليه فدية الطعام في رمضان أن يجمع ثلاثين مسكينا ويطعمهم دفعة واحدة وقد فعل ذلك أنس بن مالك رضي الله عنه.

أخرج الدارقطني بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أنه ضعف عن الصوم فصنع جفنة من ثريد ودعا ثلاثين مسكينا فأشبعهم»[(٢)].

٢- المريض مرضا مزمنا لا يرجى برؤه:

يرخص كذلك للمريض مرضا مزمنا لا يرجى برؤه وذلك إذا أخبر بهذا الطيب المسلم الحاذق المؤتمن الموثوق بدينه، فإنه يفطر ولا قضاء عليه، ولكن يجب عليه إطعام عن كل يوم مسكينا بنحو ما تقدم بيانه.

وهناك ثم قسم ثالث ألحقه الفقهاء - رحمهم الله - بأصحاب الأعذار غير ما تقدم وهو:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/٢١٥)، وفتح القدير (١/١٨٠).

(٢) صحيح: أخرجه الدارقطني (٢/٢٠٧).

الهرم الذي بلغ الهذيان وسقط تمييزه، فهذا لا يجب عليه الصيام ولا الإطعام عنه، وذلك لسقوط التكليف عنه بزوال تمييزه، فأشبه الصبي قبل التمييز فإن كان يميز أحيانا ويهذى أحيانا أخرى، وجب عليه الصوم في حال تمييزه دون حال هذيانه[1].

وبهذا نكون قد انتهينا من أصحاب الأعذار الذين يباح لهم الفطر في رمضان على اختلاف أحوالهم، هذا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❁❁❁

(١) انظر: المغني (٤/٣٧٧)، الإنصاف (٣/٣١٢)، الشرح الصغير (٢/٢٥٩)، المجموع (٦/٣٢٩)، مغني المحتاج (١/٤٣٠).

استراحة

● خاتم للذكرى

سأل صديق لأشعب أن يهبه خاتما ليذكره به، فقال له أشعب: اذكرني أنك سألتني ذلك يوما فمنعتك.

● بحر بن فياض

سأل بعض الأعراب آخر عن اسمه، فقال: بحر. قال: ابن من؟ قال: ابن فياض. قال: ما كنيتك؟ قال: أبو الندى، قال: لا ينبغي لأحد لقاؤك إلا في زورق!.

● إنك جيد المضغ

قال رجل لبعض البخلاء: لم لا تدعوني إلى طعامك؟ قال: لأنك جيد المضغ سريع البلع، إذا أكلت لقيمة هيأت أخرى، فقال: يا أخي! أتريد إذا أكلت عندك أن أصلي ركعتين بين كل لقمتين!.

● بنى نمير

مرت امرأة بقوم من بني نمير فأحدوا النظر إليها، فقال منهم قائل: (والله إنها لرسحاء، فقالت: يا بني نمير، والله ما امتثلتم في واحدة من

اثنتين، لا قول الله عز وجل: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [النور:٣٠]. ولا قول الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

● كأن أمه أرضعتك

حضر أعرابي على مائدة بعض الخلفاء، فقدم جدي مشوي فجعل الأعرابي يسرع على المائدة في أكله منه، فقال له الخليفة: أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك! فقال الأعرابي: أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك!.

● أقنع الحمار بهذا الرأي

قال أحدهم: سافرت مرة إلى الشام عن طريق البر ومعي أعرابي استأجرت منه مركبي، ومضنى طول السفر، ربط الدابة فأخذت أسلي نفسي بقول القطامي:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

فقال الأعرابي: ما زاد قائل هذا الشعر على أن يثبط الناس عن الحزم وكان أولى به أن يزيد.

وربما ضر بعض الناس بطوؤهم وكان خيرا لهم لو أنهم عجلوا

فقلت: أناشدك الله أن تقنع حمارك بهذا الرأي لعله يسرع.

● نعـوذ بالله

كان الشيخ نصر الدين المعروف عند العامة بجحا، رجلا فاضلا فيه دعابة وفيه عقل؛ وكان يحلو له دائما أن يخلط بين المزاح والجد، ويصارح محدثه برأيه فيه في فكاهة مستملحة.

وذات يوم التقى بالطاغية تيمورلنك فقال له: يا نصر الدين! إني شديد الإعجاب بأسماء الخلفاء السابقين التي تختتم باسم (الله) كالواثق بالله، والمظفر بالله، والمستنصر بالله.. وأريد أن تختار لي اسما من هذا النوع، فالتفت إليه جحا وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة وقال: (أختار لك... نعوذ بالله) فضحك الطاغية ولم يستطع الكلام!.

● الصبر على طاعة الله

قيل للأحنف في شهر رمضان: إنك شيخ كبير، وإن الصوم يهدك فقال إن الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله[1].

❁ ❁ ❁

(١) نقلا من كتاب جواهر الجواب القاهر.

سنن الصوم

❀ الإفطار وآدابه

١- متى يفطر الصائم؟

● عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم» (١) .

● وعن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وهو صائم فلما غابت الشمس قال لبعض القوم: يا فلان قم فاجدح لنا فقال: يا رسول الله! لو أمسيت، قال: أنزل فأجدح لنا، قال: يا رسول الله! فلو أمسيت، قال: انزل فاجدح لنا، قال: إن عليك نهارا، قال: انزل فاجدح لنا، فنزل فجدح لهم فشرب النبي ﷺ ثم قال: «إذا رأيتم الليل اقبل من هاهنا فقد أفطر الصائم»(٢) .

يتضح مما تقدم أن الوقت الذي يفطر فيه الصائم له ثلاث علامات متلازمات وهي إقبال الليل من المشرق، وإدبار النهار من المغرب وغروب الشمس وجمع بينهما، لأنه قد يكون في واد ونحوه، بحيث لا يشاهد غروب الشمس، فيعتمد على إقبال الظلام، وأصل هذه العلامات غروب

---

(١) صحيح : رواه البخاري (١٧١/٤) ومسلم (١١٠٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٧٢/٤) ومسلم (١١٠١).

الشمس لأن به دخول الليل الذي جعله الله تعالى غاية لتمام الصوم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

وتبين الليل من المشرق وانصراف النهار من المغرب، دليل على غروب الشمس ولا عبرة بالحمرة الشديدة الباقية في الأفق، فمتى كان الصائم في مكان غربت فيه الشمس حل له الإفطار.

٢- تعجيل الفطر:

يستحب للصائم تعجيل الفطر إذا تحقق غروب الشمس بمشاهدتها أو غلب على ظنه بسماع الأذان لأنه خبر موثوق به.

● عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»(١).

● وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال أمتي على سنتي ما لم تنتظر بفطرها النجوم»(٢).

مما تقدم يتبين أن تعجيل الفطر أفضل، وفي ذلك خير عظيم، فمن ذلك محبة الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: إن أحب عبادي إلي أعجلهم إفطارا»(٣).

وفي تعجيل الإفطار إتباع هدي النبي ﷺ والعمل بسنته فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يعجل الإفطار فقد مر بنا في حديث عبد الله بن

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٩٨/٤)، ومسلم (١٠٩٨).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في زوائده (٩٨١) وأصله في الصحيحين كما تقدم.

(٣) حسن: أخرجه أحمد رقم (٨٣٤٢)، وابن خزيمة (٢٨٦/٣)، والترمذي (٣٧٦/٣) وقال الترمذي حديث حسن.

أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ أن النبي كان يعجل الإفطار، وعن أبي عطية قال: دخلت أنا ومسروق على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقلنا: يا أم المؤمنين! رجلان من أصحاب محمد ﷺ أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة، والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة، قالت: أيهما الذي يعجل الإفطار ويعجل الصلاة؟ قال: قلنا: عبد الله بن مسعود، قالت: كذلك كان رسول الله ﷺ، زاد أبو كريب: والآخر أبو موسى)[(١)].

وقد ورد أن تعجيل الإفطار من أخلاق النبيين كما قال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: «ثلاث من أخلاق النبوة: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور ووضع اليمين على الشمال في الصلاة»[(٢)].

وفي تعجيل الإفطار مخالفة لليهود والنصارى الذين نهينا عن التشبه بهم في عبادتنا وعادتنا، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر، لأن اليهود والنصارى يؤخرون»[(٣)].

وفي تعجيل الإفطار تيسير على الناس، وبعد عن صفة التنطع والغلو في الدين، وقد امتثل هذا الأدب خير القرون من صحابة رسول الله

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٧٧١/٢) رقم (١٠٩٩).

(٢) موقوف صحيح: رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (١٠٥/٢) وقال: «... مرفوعا وموقفا على أبي الدرداء، والموقوف صحيح، والمرفوع في رجاله من لم أجد من ترجم له».

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٤٥٠/٢)، وأبو داود (٤٨٠/٦) والنسائي في الكبرى (٢٥٢/٢) وابن ماجة (١٦٩٨)، والبيهقي (٢٣٧/٤) وابن خزيمة (٢٠٦٠) وقال الحاكم (٤٣١/١) صحيح على شرط مسلم وصححه ابن حبان (٣٥٠٣).

ﷺ قال البخاري رحمه الله تعالى: «وأفطر أبو سعيد الخدري حين غاب قرص الشمس»[(١)] . وقال عمرو بن ميمون الأودى ـ رحمه الله ـ: «كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطارا وأبطأهم سحورا»[(٢)].

(مسألة) فيمن أفطر يظن الشمس قد غربت

ومن أفطر يظن أن الشمس قد غربت وهي لم تغرب فصومه صحيح، لأنه معذور، ويمسك عن الأكل والشرب حتى تغرب، لأنه كمن أكل ناسيا والناسي كالمخطيء حكمهما واحد، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وإذا كان الناسي لا قضاء عليه، فالمخطيء كذلك، وقد ورد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «أفطرنا على عهد رسول الله ﷺ يوم غيم ثم طلعت الشمس»[(٣)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وهذا يدل على شيئين: أنه لا يستحب مع الغيم التأخير إلى أن يتيقن الغروب، فإنهم لم

---

(١) فتح الباري (١٩٦/٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٢٦/٤) وقال الحافظ في الفتح (١٩٩/٤) إسناد صحيح.

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٩٩/٤).

يفعلوا ذلك ولم يأمرهم به النبي ﷺ، والصحابة مع نبيهم أعلم وأطـوع لله ولرسوله ممن جاء بعدهم».

والثاني: لا يجب القضاء فإن النـبي ﷺ، لـو أمرهـم بالقضـاء لشاع ذلك ولنقل ذلك كما نقل فطرهم، فلما لم ينقـل ذلـك دل علـى أن أنـه لم يأمر به، فإن قيل: فقد قيل لهشام بن عروة: أمـروا بالقضـاء؟ قـال: أوَبُـد من القضاء؟!.

قيل: هشام قال ذلك برأيه، لم يرد ذلك في الحديـث، ويـدل علـى أنـه لم يكـن عنـد بذلـك عِلْمٌ، أن معمراً روى عنه قـال: سمعـت هشـاماً قال: لا أدري أقضوا أم لا؟ ذكر هذا، وهذا عنه البخاري، والحديث رواه عن أمه فاطمة بنت المنذر عن أسماء، وقد نقل هشامٌ عن أبيـه عـروة أنـهم لم يؤمروا بالقضاء وعروة أعلم من ابنه ...)[1] والله أعلم.

٣- ما يستحب الإفطار عليه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفـطر على رُطبات قبل أن يصلي، فـإن لم يكـن رطبـات فتمـرات، فـإن لم يكـن تمرات حسا حسوات من ماء»[2].

(١) حقيقة الصيام (ص ٣٣، ٣٤)، وانظر مجموع الفتاوى (٢٣١/٢٥) وفتح الباري (١٩٩/٤).

(٢) حسن: رواه أحمد (١٦٣/٣)، وأبو داود (٤٨١/٦)، والـترمذي (٣٨١/٣) وقـال: هـذا حديث حسن، ورواه ابن خزيمة (٢٢٧/٣)، انظر: الزرواء (٤٥/٤).

دل الحديث على بعض آداب الإفطار التي ينبغي للصائم أن يتأس بنبيه ﷺ فيها، ومن ذلك الإفطار قبل صلاة المغرب، وهذا ـ والله أعلم ـ إشارة إلى كمال المبالغة في استحباب تعجيل الفطر والمبادرة به.

ومن هذه الآداب أيضا: الإفطار على رطب فإن لم يتيسر أفطر على تمر (وهو يابس ثمر النخل) فإن لم يتيسر فعلى ماء، والبلاد التي لا يوجد فيها الرطب أو التمر يغني عنه بعض الفواكه الأخرى أو شيء من الحلوى، فإن لم يتيسر ذلك فعلى الماء.

عن سلمان بن عامر الضبي يبلغ به النبي ﷺ قال: «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، إنه بركة، فإن لم يجد فعلى الماء فإنه طهور»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ كان إذا أفطر بدأ بالتمر»[(٢)].

وعنه أيضا رضي الله عنه قال: «ما رأيت النبي ﷺ قط يصلي حتى يفطر ولو على شربة ماء»[(٣)].

والاقتصار على الرطب والماء عند الإفطار له فائدة طبية، وهي ورود الغذاء على المعدة بالتدرج، حتى تتهيأ للطعام بعد ذلك، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وفي فطر النبي ﷺ من الصوم على الرطب أو التمر

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٨١/٣) وقال: حديث حسن صحيح، وانظر: كتاب الصيام، للفريابي (ص٦٤).

(٢) رواه الفريابي في كتاب (الصيام) (ص ٦٦) ورجاله ثقات.

(٣) رواه الفريابي في (الصيام) ص (٦٧) وإسناده صحيح.

أو الماء تدبير لطيف جدا، فإن الصوم يخلي المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى القوى والأعضاء.

والحلو أسرع شيء وصولا إلى الكبد وأحبه إليها، ولا سيما إن كان رطبا، فيشتد قبولها فتنتفع به هي والقوى، فإن لم يكن فالتمر لحلاوته وتغذيته، فإن لم يكن فحسوات من الماء تطفيء لهيب المعدة وحرارة الصوم، فتنتبه بعده للطعام وتأخذه بشهوة»(١) أ. هـ.

٤- الدعاء عند الإفطار:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم»(٢).

ففي الحديث دليل على أنه ينبغي للصائم أن يغتنم لحظات الإفطار، وأوقات الإجابة فيدعو بما أحب من الخير، فإن له دعوة مستجابة فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد» قال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا أفطر: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي»(٣).

---

(١) زاد المعاد (٢/٥٠)، (٤/٣١٣).

(٢) حسن لشواهده: أخرجه الترمذي (١٠/٥٦) وابن ماجة (١٧٥٢)، وقال الترمذي: حديث حسن، قلت: والحديث له شواهد يحسن بها والله أعلم.

(٣) رواه ابن ماجة (١٧٥٣) والحاكم (١/٤٢٢) وابن السني (٤٨١)، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح، انظر الزوائد (ص ٢٥٤)، وضعفه الألباني في الإرواء رقم (٩٢١)، والصواب أن الحديث له ما يؤيده ويشهد له، انظر تنبيه القاريء) للشيخ عبد الله الدويش رحمه الله (ص ٧٨، ٧٩). والله أعلم.

ومما يستحب أن يقول عند فطره، ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يقول إذا أفطر: ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»(١).

فعلى الصائم أن يغتنم هذا الوقت، ويدعو بحضور قلب موقن بالإجابة في وقت ترجى فيه الإجابة، فإنه وقت ذل وانكسار بين يدي الله تعالى مع كونه صائما، ويكرر الدعاء ثلاثا.

قال النبي ﷺ «إن لله عتقاء في كل يوم وليلة، لكل عبد منهم دعوة مستجابة»(٢) وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لله عند كل فطر عتقاء»(٣).

فمن دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع وهو صائم ولم يمنع من إجابة الدعاء مانع كأكل الحرام ونحوه، فهو حري بأن يجاب له الدعاء، لأن الله تعالى قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره، واجتناب نواهيه القولية والفعلية، والإيمان به الموجب للاستجابة(٤) قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٦/٤٨٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٩٦)، والبيهقي (٤/٢٣٩)، والحاكم (١/٤٢٢) وابن السني (٤٧٨)، والدارقطني (٢/١٨٥) وقال: إسناده حسن.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد رقم (٧٤٤٣) وانظر كلام الشيخ أحمد شاكر عليه.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٩/١٠ الفتح الرباني) وقال المنذري: (رواه أحمد بإسناد لا بأس به والطبراني والبيهقي..) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/٤٩١).

(٤) قلت: قد بسطنا القول في ذلك عند الحديث في فضائل رمضان وفضائل الصيام فراجعه إن شئت.

عبادي عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دعان فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦].

وعليه أن يلح في الدعاء وطلب الغفران فإنه شهر فاضل وموسم عظيم من مواسم الخير والعبادة.

٥- دعاء الصائم لمن أفطر عنده:

ينبغي للصائم إذا أفطر عند قوم أن يدعو لهم جزاء لصنيعهم معه وشكرا لهم على ما قدموه له من معروف.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبي ﷺ «أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة»(١).

ويجوز كذلك لمن أفطر عنده أحد الصائمين أن يطلب رب البيت ممن قام بإفطاره أن يدعو له.

فعن عبد الله بن بسر قال: نزل رسول الله ﷺ على أبي قال: فقربنا إليه طعاما ورطبة فأكل منها ثم أتى بتمر فكان يأكل ويلقي النوى بين إصبعيه، ثم أتى بشراب فشربه، ثم ناوله الذي عن يمينه قال: فقال أبي وأخذ بلجام دابته: ادع الله لنا، فقال: «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم»(٢).

---

(١) صحيح لغيره رواه أبو داود (٦/٤٨٣) والنسائي (٢٩٧) وابن ماجة (١٧٤٧) وأحمد (٣/١١٨) والبيهقي (٤/٢٣٩ - ٣٤٠) وابن حبان (٧/٣٥٠) وصححه النووي والعراقي في تخريج الأحياء (٢/١٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٣/٢٢٥) والترمذي (١٠/٢٩) تحفة، وأبو داود (٣٧٢٩) والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٩١)، وأحمد (٤/١٨٨)، والبيهقي (٧/٢٧٤)، وقال الترمذي حسن صحيح، وحسنه ابن حبان في (بذل الإحسان) (٧/٣٥٠).

● كلمة لا بد منها

ومن آداب الإفطار التي ينبغي للصائم أن يراعيها عدم المبالغة في تقديم صنوف الأطعمة وأنواع الأشربة عند الإفطار، فإن هذا خلاف سنة النبي ﷺ، وهذا الأمر يشغل عن المبادرة لحضور صلاة المغرب مع الجماعة، بل قد يفوتها معهم بالكلية، وذلك لقلة وقت الانتظار فيها، قال ابن العربي - رحمه الله: (كان النبي ﷺ يفطر قبل أن يصلي على شيء يسير لا يشغله عن الصلاة، وفيه ثلاث فوائد: تعجيل الإفطار وتفريغ البال للصلاة، وفصل ما بين زمان العبادة والعبادة وبينهما في أنفسهما)[1].

ولا ينبغي للصائم الإسراف في طعام العشاء في رمضان والإكثار من الأكل فإن رمضان موسم طاعة وعبادة وليس موسم للتسمين وتقديم الموائد وتنويع المأكولات، إن رمضان فرصة يتعلم فيها الصائم الاقتصاد وتدبير المعيشة.

---

(١) عارضة الأحوذي (٣/٢١٥، ٢١٦).

وفي تنويع الأطعمة والإكثار منها إشغال لربات البيوت عن تلاوة القرآن وذكر الله تعالى، حتى صار رمضان عند كثير من الأسر موسما لتنويع المأكولات والمشروبات، وكأنهم يريدون أن يعوضوا ما فاتهم في نهار الصيام، ولا أدل على ذلك من استعداد الأسواق قبيل رمضان بكل ما لذ وطاب مما يثير الرغبات والشهوات، حتى صار شهر رمضان شهر التخمة والبطنة والتنعم، بعد أن كان شهر الصبر والعبادة والجهاد، والله المستعان.

إن الاقتصاد في وجبة العشاء في رمضان، يجعل الصائم في حالة صحية يستطيع معها أن يقوم لصلاة التراويح، والتهجد في الليل بكل نشاط ورغبة وهذا أمر ملحوظ فإنه إذا ملأ بطنه بالطعام احتاج إلى الشرب فيرتخي جسده، وتتخدر أعضاؤه فيكسل عن العبادة ولا ينتفع بنفسه باقي ليلته.

فعلى الصائم أن يأخذ بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)[1].

وإذا كان الصائم قد ترك في نهار رمضان جميع مألوفاته التي إعتادها احتسابا لله تعالى ووفاء بأمانة الصوم الذي أضافه الله إليه، مما يدل

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٣٢/٤)، والترمذي (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة (٣٣٤٩) وابن حبان (٤٤٩/٢) والحاكم (١٢١/٤) وغيرهم، وله طرق أخرى، انظر: ارواء الغليل (٤١/٧).

على قوة إرادته وصدق عزيمته ، فحري به أن لا يفعل عند الإفطار ما يخل بهذه القوة أو يوهنها ، فيفطر على ما حرم الله ، فيهدم في ليله ما بناه في نهاره فيضيع الحزم ويبرهن على ضعف إرادته وقلة صبره.

ومن ابتلي بشرب الدخان أو غيره من العادات الضارة فعليه أن يستغل مدرسة شهر الصوم ، فيصوم عنه في ليله كما صام عنه في نهاره ليهجره إلى غير رجعة ، عليه أن يواصل عزيمته وقوة إرادته بالليل كما كانت بالنهار ، ويهجر المجالس السيئة ، ويعتاض عنها بمجالس أهل الخير والصلاة ، فهي عون له على ذلك بعد إعانة الله وتوفيقه.

اللهم وفقنا لصالح الأعمال ، وجنبنا سيئات الأقوال والأفعال واحفظ صيامنا ، وألهمنا ذكرك وشكرك وارزقنا حب أوليائك وبغض أعدائك وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

❊ ❊ ❊

❁ السحور وآدابه

١- الأمر بالسحور وما فيه من البركة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تسحروا فإن في السحور بركة»(١).

في هذا الحديث دليل على أن الصائم مأمور بالسحور، لأن فيه خيرا كثيرا وبركة عظيمة دينية ودنيوية، وذكر النبيﷺ البركة في السحور من باب الحض عليه والترغيب فيه.

والسحور بفتح السين ما يؤكل في وقت السحر، وهو آخر الليل، وبضم السين: الفعل وهو أكل السحور، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «من أراد أن يصوم فليتسحر بشيء»(٢).

وهذا الأمر في هذا الحديث أمر استحباب لا أمر إيجاب بالإجماع، بدليل أن النبي ﷺ واصل وواصل أصحابه معه(٣).

عن عبد الله بن الحارث يحدث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وهو يتسحر فقال: «إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوه»(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٩/٤)، ومسلم (١٠٩٥).

(٢) حسن لغيره: رواه أحمد (٣٦٧/٣) وابن أبي شيبة (٨/٣) وغيرهما وهو من رواية شريك بن عبد الله النخعي، وهو سيىء الحفظ، لكن له شاهدا مرسلا عند سعيد بن منصور في سننه بلفظ (تسحروا ولو بلقمة) كما ذكر ذلك الحافظ في الفتح (١٤٠/٤). وانظر المسند: تحقيق الأرناؤوط (٢٠٨/٢٣).

(٣) قلت: قد سبق لنا أن تكلمنا عن الوصال وأنه منهي عنه وهو من خصائص النبي ﷺ.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢٧٠/٥)، والنسائي (١٤٥/٤).

ففي السحور بركة عظيمة وفوائد جليلة وحكمة بالغة وأجر كبير فمن ذلك:

١- أن من بركة السحور اتباع لهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم والسير على سنته وأن السحور خلق من أخلاق الأنبياء والمرسلين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نؤخر سحورنا ونعجل فطرنا وأن نمسك أيماننا على شمائلنا في صلاتنا)[(١)].

٢- ومن بركة السحور التقوي على العبادة والاستعانة على طاعة الله في النهار من صلاة وصيام وذكر وقراءة للقرآن، فإن الجائع يكسل عن العبادة كما يكسل عن العمل وهذا أمر محسوس.

٣- ومن بركة السحور مدافعة سوء الخلق الناتج عن الجوع، فالمتسحر طيب النفس حسن المعاملة.

٤- ومن بركة السحور تحصل بسببه الرغبة في الازدياد من الصيام وذلك لخفة المشقة فيه على المتسحر، فيرغب في الصيام، ولا يتضايق منه.

٥- ومن بركة السحور أن الإنسان يقوم آخر الليل للذكر والدعاء والصلاة، وذلك مظنة الإجابة، ووقت صلاة الله والملائكة على المتسحرين لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ «السحور أكله بركة فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في (الكبير) (١١/١٩٩) رقم (١١٤٨٥) والأوسط كما في مجمع البحرين (٣/١١٠) رقم (١١٥١١) وصححه الزرقاني في شرح الموطأ والألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣/٨) وأحمد (١٠/١٥ - ١٦)، والحديث في سنده ضعف لكن له طرق يقوي بعضها بعضا وله شواهد انظر المسند بتحقيق الأرناؤوط (١٧/١٥٠).

٦- ومن بركة السحور وحكمته البالغة أن فيه مخالفة لأهل الكتاب الذي أمرنا الله ورسوله عن مخالفتهم في كل شيء وعدم التشبه بهم في أي شيء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر[1] ». وفي رواية (السحور).

٧- ومن بركة السحور صلاة الفجر مع الجماعة في وقتها الفاضل.

ولذا تجد أن المصلين في صلاة الفجر في رمضان أكثر منهم بكثير في غيره من الشهور، وذلك لأنهم قاموا من أجل السحور.

فينبغي لصائم أن يحرص على السحور ولا يتركه لغلبة النوم أو غيره، وعليه أن يكون سهلا لينا عند إيقاظه من النوم، طيب النفس، مسرورا بامتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على الخير، لأن نبينا صلى الله عليه وسلم أكد على السحور ورغب فيه، وبين أنه شعار صيام المسلمين وأنه الفارق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب ونهى عن تركه.

٢- ما يستحب عند السحور:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «نعم سحور المؤمن التمر»[2] .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٠٧/٧) رقم (١٠٩٦).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٦/ ٤٧٠)، وابن حبان (٢٢٣) زوائد، والبيهقي (٤/ ٢٣٧).

ففي الحديث دليل أنه يستحب عند السحور التمر لما فيه من الفوائد والتي سبق وتكلمنا عليها في آداب الإفطار.

ويدل الحديث كذلك على أن السحور يحدث بأقل ما يناوله الإنسان من أكل وشرب.

٣- تأخير السحور:

عن أنس عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما أنه قال: تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام إلى الصلاة قلت: كم كان بين الأذان والسحور، قال: قدر خمسين آية)[١] .

ففي الحديث دليل على أنه يستحب تأخير السحور إلى قبيل الفجر، فقد كان بين فراغ النبي صلى الله عليه وسلم ومعه زيد رضي الله عنه من سحورهما ودخولهم في الصلاة قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية من القرآن، قراءة متوسطة لا سريعة ولا بطيئة، وهذا قريب على أن وقت الصلاة قريب من وقت الإمساك.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال: كنت أتسحر مع أهلي ثم تكون سرعة بي أن أدرك صلاة الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] .

والمراد بالأذان في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: الإقامة، سميت أذاناً لأنها إعلام بالقيام من الصلاة.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢/ ٥٤)، (١٣٨/٤) ومسلم (١٠٩٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢/ ٥٤)، (١٣٧/٤).

وقد ورد في صحيح البخاري أنه قيل لأنس: كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة: قال: ما يقرأ الرجل خمسين آية)[١].

قال الحافظ في الفتح: (وهو قدر ثلث خمس ساعة)[٢] أ. هـ. أي: أربع دقائق[٣].

وتعجيل السحور من منتصف الليل جائز لكنه خلاف السُنة، فإن السحور سمي بذلك لأنه يقع في وقت السحر وهو آخر الليل كما تقدم.

والإنسان إذا تسحر نصف الليل قد تفوته صلاة الفجر لغلبة النوم، ثم إن تأخير السحور أرفق بالصائم وأدعى إلى النشاط، لأن من مقاصد السحور تقوية البدن على الصيام، وحفظ نشاطه فكان من الحكمة تأخيره.

فينبغي للصائم أن يتقيد بهذا الأدب النبوي، ولا يتعجل بالسحور.

ومما يؤسف له أن أناساً يتسحرون نصف الليل، لأنهم يسهرون أمام آلات اللهو والمجون، أو في مجالس اللغو والاجتماعات الآثمة، فهؤلاء مع سهرهم المحرَّم مخالفون للسُنة في الأكل في السحر آخر الليل، ومنهم من ينام بعد الأكل ولا يستيقظ لصلاة الصبح إلا بعد طلوع الشمس تعمداً.

فهذا قد أضاع فريضة عظيمة من أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين أضاعها في أفضل الأوقات، وهو متوعد إذا لم يتب إلى ربه ويهتم بصلاته بقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن

---

(١) انظر: فتح الباري (٢/٥٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٤/١٣٨).

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين علامة القصيم ـ حفظه الله ـ: لكني قرأتها فبلغت نحو ست دقائق (تنبيه الأفهام) (٣/٣٨).

صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون:٤-٥]. والويل أي: الهلاك لمن غفل عن الصلاة، وقال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩]. أضاعوا الصلاة: لم يتركوها بالكلية ولكن أدوها في غير وقتها، والغي واد في جهنم بعيد قرعه خبيث طعمه) نسأل الله العافية.

٤- صفة الفجر الصادق والفجر الكاذب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الفجر فجران، فأما الأول بأنه لا يحرم الطعام ولا يحل الصلاة أما الثاني فإنه يحرم الطعام ويحل الصلاة)[١].

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا)[٢] وحكاه: حماد بيده قال يعني معترضا.

ففي الحديث بيان من الرسول صلى الله عليه وسلم أن الفجر فجران:

أ - فجر كاذب: وهو لا يحل صلاة الصبح ولا يحرم الطعام على الصائم، وعلامته هو البياض المستطيل الساطع المصعد كذنب السرحان.

---

(١) صحيح لغيره: رواه الحاكم ١/١٩١٩، والدارقطني (٢/١٦٥) والبيهقي (٤/٢١٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧/٢٠٥) رقم (١٠٩٤).

ب- فجر صادق: وهو الذي يحرم الطعام على الصائم ويحل صلاة الفجر، وعلامته هو الأحمر المستطير المعترض على رؤوس الشعاب والجبال المنتشر في الطرق والسكك والبيوت، وهذا هو الذي تتعلق به أحكام الصيام والصلاة.

هذا وقد دلت السنة على العمل بآذان المؤذن إذا كان ثقة عارفا الوقت وأذن بعد تبين الفجر، لكن يلاحظ اليوم على كثير من المؤذنين - هداهم الله - أنهم يؤذنون قبل الوقت، يزعمون أنهم يحتاطون لصيام الناس، وهذا الاحتياط غير صحيح ولا دليل عليه وليس له وجه مسوغ، وذلك لأن الاحتياط هو لزوم ما جاء به الشرع ما دامت النصوص واضحة جلية، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أن بلالا كان يؤذن بليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر) قال القاسم ابن محمد: لم يكن بين أذانهما إلا أن يرقى ذا وينزل ذا)[1] .

ومن المفاسد التي تترتب على الأذان قبل دخول الوقت، صلاة من لا جماعة عليه من نساء ومعذورين قبل دخول الوقت، وكذلك تحريم ما هو حلال من أكل وشرب وغيره مما يباح للصائم في ذلك الوقت.

فعلى المؤذنين أن يتحروا وقت دخول الفجر حتى لا يوقعوا الناس في الحرج والمؤذنون هم أمناء الناس على صلاتهم وسحورهم فعليهم أن لا يؤذنوا إلا إذا تبين لهم الصبح إما بمشاهدة أو علم عن حساب دقيق.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٦/٤)، ومسلم (٢٠٢/٧، ٢٠٣).

والإمساك قبل الفجر من قبيل الاحتياط مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على نحو ما تقدم. والله أعلم.

٥- مسائل تتعلق بالسحور:

(أ) من سمع الأذان والإناء بيده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه)[(١)].

فالحديث دلالته واضحة فيمن سمع الأذان والإناء في يديه يريد أن يشرب أو يأكل فلا يتركه حتى ينتهي منه، والنداء هنا هو الأذان للفجر الثاني (الصادق) ودل على ذلك قوله: (فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه) ومن المعروف أن الصائم لا يمسك إلا عند طلوع الفجر الثاني، وكذلك قوله في رواية أخرى عند أحمد (٢/ ٥١٠) (وكان المؤذن يؤذن إذا بزغ الفجر).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (وقد روى النسائي عن زر قال: قلنا لحذيفة: أي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: (هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع)[(٢)].

ب- من أكل بعد طلوع الفجر يظن أن الفجر لم يطلع:

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢/ ٥١٠)، والحاكم (١/ ٤٢٦)، ثم قال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه. قلت: كلا فإن محمد بن عمرو لم يخرج له مسلم إلا في المتابعات، والحديث حسنه علامة اليمين الشيخ مقبل بن هادي االوادعي في (الصحيح) مما ليس في الصحيحين رقم (١٢٦٤).

(٢) تهذيب السنن (٦/ ٤٧٦).

من أكل بعد طلوع الفجر يظن أن الفجر لم يطلع ثم تبين له بعد ذلك أنه قد طلع الفجر فصومه صحيح ولا قضاء عليه، لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

فأباح الله تعالى الأكل حتى يتبين الفجر، والمباح المأذون فيه لا يؤمر فاعله بالقضاء. والله أعلم.

جـ- من أكل أو شرب شاكا في طلوع الفجر:

ذهب ابن عباس وعطاء وهو مروي عن أبي بكر وابن عمر والأوزاعي والشافعي وأحمد ،أبي حنيفة والمشهور عن مالك أنه لا قضاء عليه[١].

قلت: أي صومه صحيح، وهذا هو الراجح إن شاء الله، والأظهر بدلالة ظاهر الآية المتقدمة ولحديث أذان ابن أم مكتوم المتقدم والله أعلم.

د - فيمن تسحر ونوى الصيام ثم عرض له عارض من أكل أو شرب أو نحوه.

من تسحر ثم نوى الصيام ثم عرض له أن يأكل أو يشرب أو يتناول دواء أو أي شيء مما يباح له فله ذلك ما لم يطلع الفجر، لأن الصوم الشرعي لا يبدأ إلا من طلوع الفجر، وليست نية ترك الطعام قبل الفجر تحرم شيئا من ذلك. والله أعلم.

---

(١) وللمزيد انظر المجموع (٦/٣٣٥ - ٣٣٦).

كلمة لا بد منها:

أخي الصائم:

إن من جملة الآداب التي تختص بالسحور ونص عليها أهل العلم أن لا يسرف الصائم في وجبة السحور، فيملأ بطنه بالطعام، بل يأكل مقدار يعينه على تحمل الجوع ومشقة الصوم، فلا يملأ بطنه حتى لا يستطيع الحركة إلا بشق الأنفس، فإنه ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه[١].

ومتى شبع الصائم وقت السحر لم ينتفع من وقته إلى قريب الظهر، لأن كثرة الأكل تورث الكسل والفتور، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم (نعم سحور المؤمن التمر)[٢]. إشارة إلى هذا المعني، فإن التمر بالإضافة إلى قيمته الغذائية العالية فهو خفيف على المعدة سهل الهضم، والشبع إذا قارنه سهر بالليل ونوم بالنهار فقد فات به المقصود من الصيام والله المستعان.

اللهم إنا نسألك من الخير كله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله ما علمنا منه وما لم نعلم، وجنبنا منكرات الأخلاق

---

(١) جزء من حديث تقدم وهو حديث حسن.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

والأعمال والأهواء واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

٦- لحظات السحر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له)[١].

فهذا الحديث دليل على فضل الدعاء والسؤال والاستغفار آخر الليل وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين الذين يدخلون الجنة خالدين فيها، فذكر من صفاتهم الاستغفار في وقت الأسحار، قال تعالى: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٧]. وقال تعالى: ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات:١٨].

فعلم من ذلك أن وقت السحر وقت شريف، ففي الحديث المتقدم دليل على أن الدعاء فيه مستجاب، وذلك إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع لأن الله تعالى وعد بالاستجابة لمن دعاه، وإعطاء من سأله، والمغفرة لمن طلب منه المغفرة.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣/٢٩) ومسلم (٧٥٨).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله! أي الدعاء أسمع قال: جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات)[١].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (إن جوف الليل إذا اطلق فالمراد به وسطه، وإن قيل جوف الليل الآخر فالمراد به: وسط النصف الثاني، وهو السدس الخامس من أسداس الليل، وهو الوقت الذي فيه النزول الإلهي)[٢].

وهذا الوقت من الأوقات التي ينبغي للعبد - ولا سيما في رمضان - أن يغتنمه، ولا يضيعه بالغفلة والنوم والكسل، فإنه وقت النزول الإلهي الذي يليق بجلال الله وعظمته من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه.

قال القحطاني - رحمه الله - في نونيته:

والله ينزل كل آخر ليلة لسمائه الدنيا بلا كتمان

فيقول هل من سائل فأجيبه فأنا القريب أجيب من ناداني

حاشا الإله بأن تكيف ذاته فالكيف والتمثيل منتفيان

قال ابن بطال: (هو وقت شريف خصه الله بالتنزيل فيه، فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم، وإعطاء سؤلهم، وغفران ذنوبهم وهو وقت غفلة وخلوة واستغراق في النوم واستلذاذ له، ومفارقة اللذة والدعة صعب لا سيما أهل الرفاهية، وفي زمن البرد، وكذا أهل التعب، ولا سيما في قصر الليل، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه مع ذلك، دل

---

(١) حسن بشواهده: أخرجه الترمذي (٩/٤٧١) والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٨٦).

(٢) جامع العلوم والحكم شرح الحديث التاسع والعشرين من الأربعين النووية.

على خلوص نيته وصحة رغبته في ربه ، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي لا تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا وعلقها ليستشعر العبد الجد والإخلاص لربه)(١) .

وفي هذه الليالي المباركة يجتمع للمؤمن في الليل ساعة الإجابة والنزول الإلهي ، والسجود ، وشرف الزمان وهو في رمضان ، وقد كان السلف الصالح من هذه الأمة يواظبون على قيام الليل ولا سيما في شهر رمضان تأسيا بنبيهم صلى الله عليه وسلم.

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه وذلك كل ليلة)(٢) .

وإذا كان الإنسان يقوم آخر الليل لأكلة السحور ، أليس حريا به أن يقوم وفي نيته أن يناجي علام الغيوب ! فليقم قبل ذلك بوقت كاف للذكر والدعاء وتلاوة القرآن والصلاة ، وأن يكون حاضر القلب ، محتسبا لله تعالى في قيامه ، وأن يحرص على الإخلاص والخشوع في صلاته ، فعسى أن يكون له نصيب من قول النبي صلى الله عليه وسلم (**أيها الناس أفشوا**

---

(١) فتح الباري (١١/١٢٩).

(٢) صحيح : رواه مسلم (٧٥٧).

السلام، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)[١] .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من شرك وعمل، ونسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، ومن العمل ما تحب وترضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

انتهيت من الجزء الأول وسوف يليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى

---

(١) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٢٥٣٨٠، ٢٥٧٣١، ٣٥٨٣٦) وأحمد (٤٥١/٥)، وعبد بن حميد في المنتخب (٤٩٦) والدارمي (٣٤٠/١) والترمذي (٢٤٨٥/٦٥٢/٤) وابن ماجة (١٣٣٤/٤٢٣/١، ٣٢٥١) وابن السني (٢١٥) والحاكم (١٣/٣)، (١٦٠/٤) والقضاعي (٧١٩/٤١٨/١)، والبيهقي (٥٠٢/٢) والبغوي (٩٢٦/٤٠/٤) والاصبهاني في الترغيب (٤٠١، ٢٠٥٢) وقال الترمذي والبغوي: حسن صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما وأقره المنذري والنووي والذهبي والعسقلاني في الفتح والألباني في الصحيحة.

فهرس الموضوعات

***

جليسك في رمضان

سنن - آداب - فضائل - مخالفات

تأليف

أبي عبد الرحمن خالد بن حسين بن عبد الرحمن

الجزء الثاني

الناشر

دار طويق للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

جليسك في رمضان

سنن - آداب - فضائل - مخالفات

الطّبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

دار طويق للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥
ت: ٢٤٩١٣٧٤ - ٢٤٨٦٦٧٧ - ٢٤٨٦٦٨٨
بريد الكتروني: E-mail: dartwaiq@zajil.net

مكتب القاهرة
هاتف : ٤٥٩٤٦٧٩
محمول : ٠١٢٢٩٦٤٨٣٦
مساكن كورنيش النيل مدخل (٥) شقة (١)
روض الفرج

صفة صوم النبي ﷺ في رمضان

الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله، فرض الصيام على عباده منة منه وفضل، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ورسوله خير من صام وقام، ونال عظيم الأجر والفضل، وارض اللهم عن آل بيته الطيبين وصحابته المخلصين، الذين كانوا بهديه مهتدين وبسنته متبعين ومن سار على دربهم وسلك طريقهم ونسج على منوالهم إلى يوم الدين.

أما بعـــد:

أخي الكريم: فهذه جولة يسيرة في رياض السيرة النبوية العطرة نتعرف من خلالها على بعض الشيء من هدي النبي ﷺ في رمضان.

● رحلة إلى مدينة رسول الله ﷺ:

أخي المسلم:

تعالى بنا وانهض معي لنركب سويا زورق الزمان لنخترق الزمان الغابر اختراقا تاريخيا عبر الخلوات والفلوات والصحارى

والقفار، فإذا بنا نصل إلى يثرب الأنصار حاضرة الإسلام الأولى وحاضنته، إلى طيبة الطيبة مدينة رسول الله ﷺ.

فإذا بنا نجد أن الصيام قد فرض في السنة الثانية للهجرة يوم الاثنين من شهر شعبان، وقد صام الرسول ﷺ والمسلمون شهر رمضان من نفس العام وكان بداية صيامهم يوم الأحد.

فتعالى بنا أخي الكريم لنسير مع رسول الله ﷺ في هذا الشهر لنستنضيء بنور هديه صلى الله عليه وسلم.

أسأل الله أن يرزقنا حسن الاقتداء وجميل الاتباع برسول الله ﷺ:

١- هدي النبي ﷺ بتحري دخول رمضـــان، وذلك برؤية الهلال أو إكمال عدة شعبان ثلاثون يوما.

كان من هديه ﷺ عدم الصوم والشروع فيه إلا إذا ثبت دخول شهر رمضان ثبوتا يقينيا، وذلك إما برؤية الهلال رؤية واضحة لا لبس فيها ولا غموض أو بإكمال عدة شهر شعبان ثلاثون يوما.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطر لرؤيته فإن غمى عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين[1] ».

---

(١) صحيح وقد تقدم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه إن غم عليكم فاقدروا له[١]».

٢- هدي النبي ﷺ فيما يؤخذ بشهادته في رؤية الهلال:

كان من هديه ﷺ فيمن تؤخذ شهادته في رؤية هلال رمضان أن يكونا شاهدي عدل، كقوله ﷺ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، وانسكوا لها، فإن غم عليكم فأكملوا ثلاثين فإن شهد شاهدان فصوموا وأفطروا[٢]».

وكذلك قبل النبي ﷺ شهادة الواحد، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته، فصام وأمر الناس بالصيام»[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال إني رأيت الهلال ـ يعني هلال رمضان ـ فقال: «أتشهد أن لا إله إلا الله» قال: نعم قال: «أتشهد أن محمدا رسول الله» قال: نعم، قال: «يا بلال أذن في الناس أن يصوموا غدا»[٤].

---

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد والدارقطني والنسائي والسياق له، وزاد أحمد (مسلمان) وقال الدارقطني: (ذوا عدل) وصححه الشيخ الألباني في (إرواء الغليل) رقم (٩٠٩).

(٣) صحيح وقد تقدم.

(٤) صحيح بشواهده: أخرجه الترمذي (٦٩١) وأبو داود (٢٣٤٠) والنسائي في الكبرى (٤/٢١١) وأيضا في الصغرى (٤/١٣٢) رقم (٢١١٠) (٢١١١) وابن ماجة (١٦٥٢)، وابن حبان موارد (٨٧٠) وعبد الرزاق (٧٣٤٢) وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٤/٤٠٧) رقم (٢٥٢٩) والبغوي شرح السنة رقم (١٧٢٤) والحاكم (١/٤٢٤) وصححه، والدارمي (١٦٩).

قلت ولم يطلب النبي ﷺ من ابن عمر ولا الأعرابي أن يأتي كل منهما بشاهد آخر يعزز شهادتهما، بل قبلها، فدل ذلك على الأخذ بشهادة الواحد في إثبات رؤية الهلال والله أعلم.

٣- هدي النبي ﷺ عند رؤية الهلال:

كان من هديه ﷺ عند رؤية الهلال الدعاء، فعن طلحة بن عبد الله رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله[١]» .

٤- هدي النبي ﷺ عند قدوم رمضان:

كان من هديه ﷺ عند قدوم شهر رمضان أن يبشر أصحابه بذلك. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم شهر رمضان شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»[٢] .

٥- هدي النبي ﷺ في النهي عن صيام يوما أو يومين قبل رمضان:

كان من هديه ﷺ عدم تقديم صيام يوم أو يومين قبل رمضان احتياطا وقد نهى عن ذلك.

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد (٩/٢٢٥، ٢٢٦)، والنسائي (٤/١٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/٤٩٠) وتمام المنة (ص ٣٩٥).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم»[(١)].

٦- هدي النبي ﷺ في صيام يوم الشك:

قد كان من هديه ﷺ أن ينهي عن صيام يوم الشك، وهو اليوم الذي يتحدث فيه الناس عن رؤية الهلال ولم يثبت الرؤية، فنهى عن صيام ذلك اليوم، والحديث المتقدم آنفاً دليل في ذلك، وعن صلة بن زُفر قال: كنا عند عمار في اليوم الذي يشك فيه، فأتى بشاة فتنحى بعض القوم فقال عمار: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم ﷺ»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١٢٧)، ومسلم (١٠٨٢).

(٢) رواه البخاري تعليقاً (٤/١٢٠) ورواه موصولاً كل من: الترمذي (٣/٣٦٥)، وأبو داود (٦/٤٥٧)، والنسائي (٤/١٥٣) وابن ماجة (١/٣٠٢) رقم (١٦٤٦) والدارمي (٢/٢) وصححه ابن خزيمة (٣/٢٠٤) وابن حبان (بذل الاحسان) (٣٥٧٧) والدارقطني (٢/١٥٧) والحاكم (١/٤٢٤)، والبيهقي (٤/٣٠٨) والطحاوي في شرح الآثار (٢/١١١) وأبو يعلى (٣/٢٠٨) وقال الحاكم صحيح مع شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقال الحافظ: هذا حديث صحيح، وأورد له شواهد ومتابعات راجع التعليق (٣/١٤٠)، والحديث له طرق أخرى عند ابن أبي شيبة في المصنف (٢/١٧٠-١٧١) وحسنه الحافظ في الفتح.

قلت: عُلِم من قول عمار رضي اله عنه: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم ﷺ، أن النبي ﷺ نهى عن صيام هذا اليوم وأن من صامه فقد عصى النبي ﷺ» والله أعلم.

٧- هدي النبي ﷺ في تبييت النية من الليل للصيام:

كان من هدي النبي ﷺ أن يُبيت النية لصوم الفريضة[(١)]. وحذر من يترك هذا الأمر، فعن عائشة رضي اله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له»[(٢)].

وعن حفصة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له»[(٣)]. وقوله ﷺ «من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له»[(٤)].

٨- هدي النبي ﷺ في استعمال الماء في نهار رمضان:

كان من هديه ﷺ استعمال الماء في نهار رمضان فقد ثبت عنه ﷺ استعمال الماء في نهار رمضان من اغتسال ونحوه، قال أبو بكر قال:

---

(١) قلت: خرج بقولنا (صوم الفريضة) صوم التطوع، فالراجح في صوم التطوع لا يشترط فيه تبييت النية وهذا هو قول الجمهور خلافاً لما قاله مالك والظاهرية. والله أعلم.

(٢) رواه البيهقي والدارقطني وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٦٤١٠).

(٣) صحيح لغيره: رواه أبو داود (١٢٢/٧) وابن خزيمة (١٩٣٣) والبيهقي (٢٠٢/٤) وأخرجه والنسائي (١٩٦/٤) والترمذي (٤٢٦/٣) من طريق آخر وصححه ابن خزيمة والحاكم والنووي في شرح المهذب (٤٨٩/٦).

(٤) رواه النسائي (١٩٦/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٦٤١١).

الذي حدثني: لقد رأيت رسول الله ﷺ بـالعرج يصب على رأسه الماء وهو صائم من العطش أو الحر»[١].

وثبت عنه أيضا أنه كان يتمضمض ويستنشق في نهار رمضان فعن لقيط بن صبرة قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال: «أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائما»[٢].
وعن ابن عبسة رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ مضمض واستنشق في رمضان»[٣].

وكذلك ما جاء في قصة عمر رضي الله عنه لما جاء يعتذر إلى النبي ﷺ أنه قبل وهو صائم، فقال له ﷺ: «أرأيت لو تمضمضت بماء وأنتم صائم؟ قلت: أي عمر - لا بأس بذلك، فقال ﷺ: ففيم؟»[٤]. أي: ففيم الخوف إذا.

٩- هدي النبي ﷺ في استعمال السواك في رمضان:

كان من هديه ﷺ استعمال السواك في جميع الأحوال وذلك لعموم قوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة». وعند البخاري تعليقا «عند كل وضوء».

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه أحمد في المسند) ولكن فيه انقطاع قلت: - القائل خالد - ولكن يشهد له حديث لقيط بن صبرة المتقدم، وكذلك حديث عمر الذي سوف يأتي. والله أعلم.

(٤) حسن: رواه أحمد وغيره وهو يشهد لما قبله.

بل ثبت عنه أنه كان يستعمله في رمضان، فعن ربيعة العدوى عن أبيه قال ما أحصى ولا أعد ما رأيت رسول الله ﷺ يتسوك وهو صائم»[١].

قلت: ولا فرق في استعمال السواك في أول النهار وآخره لما تقدم فكان هذا هديه ﷺ في نهار رمضان حال الصيام يتمضمض ويستنشق ويغتسل ويستعمل السواك. والله أعلم.

١٠- هدي النبي ﷺ قُبيل الإفطار وعند الإفطار وبعد الإفطار وإذا أفطر عند قوم.

يُسن الدعاء في هذه الحالات الأربعة:

فالبنسبة للدعاء قُبيل الإفطار فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «إن لله عند كل فطر عتقاء وذلك كل ليلة»[٢].

أما الدعاء عند الإفطار، فكان هديه ﷺ أن يقول عند الإفطار «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»[٣]. وقوله: «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت».

---

(١) صحيح: رواه البخاري وأبو داود.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

وذلك لأن دعوة الصائم لا ترد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات لا ترد، دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»[١].

أما الدعاء بعد الانتهاء من الإفطار، فقد ثبت عنه ﷺ الدعاء بعد الانتهاء من الأكل أو الشرب، ومن هذه الأوعية قوله: «اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه»[٢]، وقوله: «الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا»[٣]، وقوله: «الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة»[٤].

أما الدعاء إذا أفطر عند قوم، فكان من هديه ﷺ أن يقول: «اللهم أطعم من أطعمني وسقى من سقاني»[٥]، وقوله اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم»[٦] وقوله: «افطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»[٧].

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) أحاديث صحيحة انظر صحيح سنن الترمذي أما الحديث الثالث فهو عند البخاري.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) أحاديث صحيحة قد تقدمت وهي عند مسلم.

(٦) المصدر السابق.

(٧) حسن لغيره وقد تقدم.

١١- هديه ﷺ في الإفطار والسحور والإمساك.

أولاً هديه ﷺ في الإفطار:

كان هديه ﷺ في الفطر أن يتحرى دخول الوقت، فإذا غربت الشمس وغاب قرصها بالعين المجردة أفطر، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا كان صائماً أمر رجلاً أن يقوم على نشز من الأرض، فإذا قال: قد وجبت الشمس أفطر».

وكان من هديه ﷺ أن يعجل بالفطر، وذلك لما ورد عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[١].

وكان من هديه ﷺ أن يفطر على رطب أو تمر أو حسوات من ماء أو على شيء لم تصبه النار، ورد ذلك عن أنس رضي الله عنه، وعنه أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان صائماً لم يصل حتى نأتيه برطب وماء، فيأكل ويشرب، إذا كان الرطب، وإذا كان الشتاء لم يصل حتى نأتيه بتمر د ماء، وعنه أيضاً: أنه ﷺ كان يفطر على لبن وتمر العجوة.

وكان من هديه ﷺ أن يفطر قبل أن يصلي المغرب، فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يصلي»[٢]. وعنه

---

(١)، (٢) كلها أحاديث صحيحة وقد تقدمت وأحاديث أنس كلها في إفطار النبي صلى الله عليه وسلم يحتج بها لأنها في درجات الصحة والقبول. والله أعلم.

أيضاً قال: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلى صلاة المغرب حتى يفطر ولو كان على شربة ماء»(١) قلت: وهذا عمل الحرمين اليوم.

ثانياً هديه ﷺ في السحور:

كان هدي النبي ﷺ في السحور التأخير وكان يحب ذلك ويحث عليه ويرغب فيه لما في ذلك من الخير الكثير فقد ثبت عنه ﷺ: أنه قال: «لا تزال أمتي بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر»(٢). وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تسحروا آخر الليل» وكان ﷺ يحث على تناول السحور فعن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ «تسحروا فإن في السحور بركة»(٣) وكان يحب التمر في السحور كما كان يحبه في الفطر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «نعم سحور المؤمن التمر»(٤) وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تسحروا ولو بجرعة ماء»(٥). وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن يصوم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صحيح: رواه أحمد في سنده.

(٣) صحيح وقد تقدم.

(٤) صحيح وقد تقدم.

(٥) صحيح: رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، والضياء المقدسي في المختارة، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

فليتسحر بشيء»[١]. لذا كان أصحاب رسول الله ﷺ أسرع الناس إفطاراً وابطأهم سحوراً»[٢].

ثالثاً : هديه ﷺ في الإمساك:

فكما أسلفنا أنه ﷺ كان يتحرى عند فطره دخول الوقت فكان كذلك في الإمساك.

لقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز زمن الإمساك فقال عز من قائل سبحانه : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧].

وقد بين كذلك النبي ﷺ أن هناك فجران، أحدهما كاذب والآخر صادق، فالأول لا يحل صلاة ولا يحرم طعام، أما الثاني فإنه يحل الصلاة ويحرم الطعام والشراب على الصائم. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الفجر فجران، فالأول لا يحرم الطعام ولا يحل الصلاة، وأما الثاني فإنه يحرم الطعام ويحل الصلاة»[٣].

فالوقت الذي يمسك فيه الصائم هو الفجر الصادق وهو الأحمر المستطير المعترض على رؤوس الجبال والشعاب، المنتشر في الطرق

---

(١) رواه أحمد في المسند.

(٢) صحيح : وقد تقدم.

(٣) صحيح : وقد تقدم.

والسكك والبيوت وهذا هو الذي تتعلق به أحكام الصيام والصلاة . والله أعلم.

١٢- هديه ﷺ فيمن سمع النداء من الفجر الصادق وفي يده الإناء:

كان هديه ﷺ فيمن سمع النداء وفي يده الإناء أن لا يدعه حتى يقضي منه حاجته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمع أحدكم النداء والإناء في يده، فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه»[١].

قلت: والمقصود بالنداء هنا الفجر الصادق، ودليل ذلك الزيارة التي رواها أحمد والطبري وغيرهما عقب هذا الحديث، وهي: «وكان المؤذن يؤذن إذا بزغ الفجر»[٢] ويشهد لهذا المعنى كذلك ما روى عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: «أقيمت الصلاة والإناء في يد عمر، قال: أشربها يا رسول الله؟قال: «نعم» فشربها»[٣].

١٣- هديه ﷺ فيما يجب على الصائم تركه:

كان من هديه ﷺ حث الصائمين بالتحلي والتزين بالأخلاق الحميدة الفاضلة، والبعد عن الأخلاق الرذيلة الفاجرة، فقد نهى ﷺ الصائم عن قول الزور وعن اللغو والرفث والسباب والشتم والصخب

---

(١) حسن: وقد تقدم.

(٢) زيادة صحيحة وقد تقدمت.

(٣) حسن: رواه ابن جرير الطبري بإسنادين.

إلى غير ذلك مـن الأخـلاق السيئة الـتي تأباهـا الفطـرة السـليمة وتمجـها النفوس الزكية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يـدع قـول الـزور والعمـل بـه فليـس لله حاجـة في أن يـدع طعامـه وشرابه»[١].

وعنه أيضاً قال: قال ﷺ: «ليس الصيام مـن الأكـل والشـراب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم إني صائم»[٢].

قلـت: وفي البـاب أحـاديث كثيرة تبـين هـدي النـبي ﷺ في تزكيـة النفوس في هذا الشهر المبـارك قـد مـرت بنـا في هـذا الكتـاب فراجعـها في موضعها.

١٤- هدي النبي ﷺ في القُبلة والمباشرة وهو صائم:

كـان النـبي ﷺ يُقبـل ويباشـر وهـو صـائم فعـن عائشـة رضـي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقبل وهـو صـائم ويباشـر وهـو صـائم ولكنه كان أملككم لإربه»[٣] وعنها أيضاً قالت: كان يُقبل في رمضان

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

وهو صائم[١] ، وعنها أيضاً قالت: أراد النبي ﷺ أن يُقبلني، فقلت إني صائمة! فقال: «وأنا صائم ثم قبلني»[٢].

وعنها أيضاً قالت: «فيُقبل أين شاء من وجهي»[٣].

فكان هذا هديه ﷺ من الملاطفة والمداعبة والمباشرة والتقبيل في نهار رمضان حال الصيام[٤].

١٥- هدي النبي ﷺ إذا أصبح جنباً في رمضان:

كان من أحواله ﷺ أن يدركه الفجر وهو جنب من أهله فيغتسل ويصوم.

عن أم سلمة وعائشة رضي الله عنها قالتا: «أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم»[٥].

وعنهما أيضاً: «أنه ﷺ كان يصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يصوم في رمضان»[٦].

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) صحيح: يشهد له ما قبله.

(٣) صحيح لما قبله.

(٤) وقد تكلمنا عن ذلك بالتفصيل في باب ما يباح للصائم فعله فراجعه.

(٥) صحيح. وقد تقدم.

(٦) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

١٦-هدي النبي ﷺ في التداوي في نهار رمضان:

تقدم بيان هدي النبي ﷺ في استعمال الماء والسواك في نهار رمضان، وهنا نبين ما كان يفعله وهو صائم في استخدام الدواء، وذلك في ثلاثة أشياء وهي:

(أ) الإكتحال. (ب) الإدهان. (ج) الحجامة.

(أ) هدي النبي ﷺ في الإكتحال:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أنه ﷺ قد كان ربما يكتحل وهو صائم» وجاء مثله عن بريرة[1] ولكنه حديث ضعيف، قال البخاري: لا يصح عنه ﷺ في ذلك شيء.

ولذلك اختلف العلماء في جوازه وعدمه، ولذلك رأى فريق من أهل العلم أن الأحوط تركه.

قلت: ومما يؤيد الترك، ما رواه البخاري تعليقاً: (أنه ﷺ أمر بالإثمد المروح عند النوم، وقال: (وليتقه الصائم) قلت: أي حال صومه نهاراً. قلت: وقد ضعف هذا الحديث ابن القيم في زاد المعاد والترمذي ويحيى بن معين وغيره.

---

(١) قلت: وهي مولاة لعائشة وروت عن عائشة كثير، وهي زوجة مغيث الذي فارقته بعدما أعتقت، وكان مغيث يحبها حباً جماً، وبكى لفراقها بكاء كاد أن يقضي عليه، وأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع له عندما لترجع إليه فأبت. انظر ترجمتها في كتب السير والتراجم.

قلت: لكن شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته (حقيقة الصيام) وتلميذه ابن القيم في كتابه القيم (زاد المعاد) رجحا بأن الكحل والقطرة ونحوهما لا يفطر بها الصائم سواء وجد طعمه في حلقه أم لم يجده.

قلت: ولعل سبب هذا الترجيح أن هذه الأشياء وما في حكمها لا تقوم مقام الغذاء ولا تقوى الصائم ولا يستغنى بها عن الغذاء والله أعلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (وأما الكحل والحقنة وما يقطر في إحليله ومداواة المأمومة والجائفة فهذا مما تنازع فيه أهل العلم، فمنهم من لا يفطر بشيء من ذلك، ومنهم من فطر الجميع لا بالكحل، ومنهم من فطر بالجميع لا بالتقطير، ومنهم من لم يفطر بالكحل ولا بالتقطير ويفطر بما سوى ذلك.

والأظهر أنه لا يفطر بشيء من ذلك، فلو كانت هذه الأمور مما حرمها الله ورسوله في الصيام، ويفسد بها الصوم لكان هذا مما يجب على الرسول ﷺ بيانه، ولو ذكره لعلمهم الصحابة وبلغوه الأمة)أ.هـ[١].

● **مذاهب العلماء في الاكتحال:**

● قال الإمام البخاري في صحيحه: (ولم ير أنس والحسن وإبراهيم بالكحل للصائم بأساً)[٢].

---

(١) مجموع الفتاوي (٢٠/٢٣٣ - ٢٣٤).

(٢) انظر: مختصر صحيح البخاري ص (٤٥١).

● قال النووي: (جائز عندنا ولا يكره ولا يفطر به، سواء وجد طعمه في حلقه أم لا.

● وحكاه ابن المنذر: عن عطاء والحسن البصري والنخعي والأوزاعي وأبي حنيفة وأبي ثور.

● وحكاه غيره عن ابن عمر وأنس وابن أبي أوفى، وبه قال داود.

● وقال سليمان التيمي ومنصور بن المعتمر وابن شبرمة وابن أبي ليلى يبطل صومه.

● وقال قتادة: يجوز بالاثمد ويكره بالصبر.

● وقال مالك وأحمد: يكره، وإن وصل إلى الحلق أفطر)[(١)] .

قلت: والراجح - والله أعلم - ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وبه أقول.

(ب) هدي النبي ﷺ في الإدهان:

أما الإدهان: فالمقصود به إصلاح الشعر أو البدن بالكريم أو الزيت أو بغير ذلك من المركبات الحديثة ونحوها.

فقد جاء في مجمع الزوائد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ أن أصبح يوم صومي دهنياً مترجلاً ولا تصبح يوم صومك عبوساً) وعنه موقوفاً عليه «اصبحوا مدهنين صياماً»[(٢)] .

---

(١) المجموع: (٦/٣٨٧ - ٣٨٨).

(٢) قال الهيثمي في مجموع الزائد: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

قلت : ويشهد لذلك ما روته عائشة رضـي الله عنـها أنـها كـانت ترجل رسول الله ﷺ وهو معتكف في المسجد، ويدخل لها رأسه فترجله وهي في بيتها[(١)] .

(جــ) هدي النبي ﷺ في الحجامة:

هناك خلاف شديد بين أهل العلم حول موضوع الحجامة ففريق من أهل العلم قال بأن الحجامة تفطر لما روى عن ثوبـان مـولى النـبي ﷺ أنه قال : «أفطر الحاجم والمحجوم»[(٢)] وفريق آخر - وهو الجمهور - يـرى أنها لا تفطر وأن هذا الحديث على كونه صحيح فإنه نُسخ بحديث ابـن عباس رضي اله عنهما أنه قال : «أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم»[(٣)] .

قلت : وقد بسطنا القول في ذلك عن الحديث عن الحجامة مما لا فائدة من ذكره هنا فراجعه إن شئت[(٤)] .

---

(١) سيأتي عند الكلام عن الإعتكاف إن شاء الله.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

(٤) هناك كلام نفيس للعلامة الألباني حول هذه المسألة في كتابـه القيـم ارواء الغليـل (٤/ ٦٥ - ٨٠)، وتخريج كتاب (حقيقة الصيام) لشيخ الإسـلام ابن تيمية رحمـه الله (ص ٦٧-٨٦) فراجعه إن شئت غير مأمور.

١٧- هدي النبي ﷺ فيمن أكل أو شرب ناسياً:

قاعدة مهمة جداً:

مما ينبغي أن يعلم ويوضع في الاعتبار أن النبي ﷺ لم ينسى، وذلك لأن النسيان من الشيطان، كما قال تعالى حكاية عن غلام موسى عليه السلام ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ ﴾ [سورة الكهف:الآية ٦٣]. وكذلك لما سَلَّم النبي ﷺ في صلاة الظهر من ركعتين، قال له ذو اليدين: أنسيت أم قصرت الصلاة يا رسول الله؟ قال له: (كل ذلك لم يكن) فقال: بل بعض ذلك قد كان، فأتم صلاته وسجدوا للسهو، ثم قال: (إني لا أنسى. ولكني أُنَسَّى لأسنَّ).

قلت: ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٠٦]. فالله الذي ينسيه إياها ليأتي بخير منها أو مثلها، فلم يثبت عنه ﷺ أنه نسي في صومه أو غيره والله أعلم.

ولكن جاء عنه ﷺ بيان وحكم من أكل أو شرب ناسياً وهو صائم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه»(١) وفي رواية عنه

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

أيضاً عند البخاري وغيره (من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه) وفي رواية الدارقطني (ولا قضاء عليه ولا كفارة).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (وكان من هديه ﷺ: اسقاط القضاء عمن أكل وشرب ناسياً، وأن الله ـ سبحانه ـ هو الذي أطعمه وسقاه، فليس هذا الأكل والشرب يضاف إليه فيُفطر به، فإنما يفطر بما فعله، وهذا بمنزلة أكله وشربه في نومه، إذ لا تكليف بفعل النائم، ولا بفعل الناسي)أ.هـ(١)

١٨- هدي النبي ﷺ في الجود والكرم في رمضان:

من المعلوم أن النبي ﷺ أتم الناس خُلقاً وأكملهم خَلْقاً فقد امتدحه الله بقوله في التنزيل العزيز: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [سورة القلم:الآية ٤]. وهو القائل: (إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً)(٢).

فكان من تمام وكمال أخلاقه ﷺ أنه لا يرد سائلاً أبداً فقد ثبت عنه ﷺ أنه (كان لا يُسأل عن شيء إلا أعطاه)(٣).

وصدق من قال:

ما قال لا قطُّ إلا في تشهده لولا التشهد لكانت لاؤه نعم

---

(١) زاد المعاد.

(٢) صحيح: البخاري (٥٥٦/٦) رقم (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١/١٨١٠/٤).

(٣) صحيح: من حديث ابن عباس في الصحيحين وهذه زيادة عند أحمد في المسند.

نعـــم:

تـــراه إذا مـــا جئتـــــه متـــــهللاً كأنك تعطيه الذي أنت ســـائله

ولو لم يكن في كفـــه غـــير روحـــه لجاد بهـــا فليتـــق الله ســـائله

هو البحر من أي النواحـــــي أتيتـــه فلُجّته المعروف والجود ســـاحله

فعـن ابـن عبـاس رضـي الله عنـهما قـال: (كـان النبي ﷺ أجـود النـاس وكـان أجـود مـا يكـون في رمضـان حـين يلقـاه جـبريل فيدارسـه القـرآن، وكـان جبريل يلقـاه كـل ليلـة في رمضـان فيدارسـه القـرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة).

وزاد أحمد في آخره (لا يُسأل عن شيء إلا أعطاه)(١).

١٩- هدي النبي ﷺ مع القرآن في رمضان:

كان من هديه ﷺ في رمضان الإكثار من قراءة القرآن ومدارسته، وقد تقدم معنا حديث ابن عبـاس الـذي في الصحيحين وغيرهمـا ليـدل على ذلك(٢).

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) قلت: لا يفهم من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القـرآن في رمضـان فقـط، بـل كـان بأبي هو وأمي يتلوه أناء الليل وأطراف النهار، وقد كان يقوم بـه في جـوف الليـل ينـاجي ربـه حتـى تورمت قدماه صلى الله عليه وسلم، ولكن كان يكثر من قراءته في رمضـان وكـان جبريل يدارسه القرآن في رمضان كل عام مرة وفي العام الذي مات فيه دارسه فيه مرتين صلى الله عليه وسلم فهذا دليل على أنه كان يكثر منه في رمضان والله أعلم.

٢٠- هدي النبي ﷺ في السفر، وهل كان من هديه ﷺ تقدير المسافة التي يفطر عندها الصائم؟

من المعلوم أن النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم جميعاً ثبت عنه وعنهم السفر في رمضان حال الصيام وغير رمضان.

فمن السفرات التي ثبتت في رمضان سفر النبي ﷺ وأصحابه إلى بدر في السنة الثانية للهجرة، وكذلك سفره وأصحابه إلى مكة في السنة الثامنة للهجرة، وإلى تبوك في السنة التاسعة للهجرة وهناك سفرات أخرى، فماذا كان هديه ﷺ في تلك السفرات؟

١- صح عنه ﷺ أنه سافر في رمضان ولم يفطر.

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر[1]، وما فينا من صائم، إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة).

٢- وصح عنه أنه سافر في رمضان وأفطر:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس

(١) صحيح: وقد تقدم.

ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب فقيل له بعد ذلك إن البعض قد صام، فقال: (أولئك العصاة أولئك العصاة)(١).

قلت: ففي الحديث الأول الأخذ بالعزيمة، وفي الحديث الثاني الأخذ بالرخصة وكلاهما جائز بنص الكتاب والسُنة، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٤].

٣- وهناك صورة ثالثة من هديه ﷺ في السفر في رمضان يوضحها الحديث التالي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام، قال: فنزلنا منزلاً فقال رسول الله ﷺ: (إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم) فكانت رخصة، فمنا من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر فقال: (إنكم مصبحوا عدوكم والفطر أقوى لكم فافطروا) فكانت عزمة فأفطرنا، ثم لقد رأيتنا نصوم بعد ذلك مع رسول الله ﷺ في السفر)(٢).

قلت: فهذا الحديث يوضح صورة أخرى للنبي ﷺ وصحابته في السفر حال الصيام على ثلاث مراحل:

الأولى: الصيام أول السفر.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

الثانية: الترخيص بالفطر عند الاقتراب من العدو.

الثالثة: الأمر بالفطر عند مواجهة العدو، وعلل ذلك بقوله: (والفطر أقوى لكم) ومن لم يأتمر فقد عصى، كما جاءت في بعض الروايات عن جابر (فقيل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام فقال: (أولئك العصاة، أولئك العصاة).

وكان من هديه ﷺ كراهية الصوم للمسافر إذا شق عليه الصوم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى زحاماً، ورجل قد ظلل عليه، فقال: (ما هذا؟) فقالوا: صائم، فقال: (ليس من البر الصيام في السفر)[١] وزاد مسلم: (عليكم برخصة الله التي رخص لكم).

قلت: وهذا مصداقاً لقوله ﷺ: (إن الله يحب أن تؤتى رخصة كما يكره أن تؤتى معصيته)[٢] وفي رواية أخرى (كما يحب أن تؤتى عزائمه)[٣].

فائدة:

قلت: وقد يكون الفطر في السفر حال الصيام فيه الأجر الكبير والثواب العظيم فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنا مع

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد (٢/١٠٨) وابن حبان(٢٧٤٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: رواه ابن حبان (٣٥٤) والطبراني في الكبير (١١٨٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

رسول الله ﷺ أكثرنا ظلاً الذي يستظل بكسائه، وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب، وامتهنوا وعالجوا، فقال النبي ﷺ : (ذهب المفطرون اليوم بالأجر)(١) .

وفي لفظ آخر عنه (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، فمنا من يتقى الشمس بيده، فسقط الصوام، وقام المفطرون، فضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال رسول الله ﷺ: (ذهب المفطرون اليوم بالأجر).

قلت: ففي حديث جابر المتقدم سمى الذين صاموا في السفر ولم يمتثلوا أمره بالعصاة، وفي هذا الحديث أثنى على المفطرين، لقيامهم في مهنة إخوانهم الذين أسقطهم الصوم وشق عليهم، قلت: ولعل يتضح هنا قوله ﷺ : (والفطر أقوى لكم) هذا والله أعلم.

فكان هذا هديه ﷺ وحال أصحابه معه في السفر حال الصيام.

وبالجملة أقول: كان النبي ﷺ يقدر لكل حالة قدرها فكل ضرورة تقدر بقدرها. والله أعلم.

أما عن المسافة التي كان يفطر عندها الصائم:

قال ابن القيم رحمه الله: (ولم يكن من هديه ﷺ تقدير المسافة التي يفطر فيها الصائم بحد ولا صح عنه في لك شيء) وقد أفطر دحية

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦/ ٨٤) ومسلم (١١١٩).

فأكل، فقلت له: سُنة؟ قال: سُنَّة ثم ركب)[1] قال الترمذي: حديث حسن وقال الدارقطني فيه: «فأكل وقد تقارب غروب الشمس».

وهذه الآثار صريحة في أن من أنشأ السفر في أثناء يوم من رمضان فله الفطر فيه)أ. هـ[2].

٢١- هدي النبي ﷺ في القضاء:

قد مر بنا هدي النبي ﷺ في السفر حال الصيام من صوم وفطر وعليه يكون قضاء الأيام التي أفطرها فكيف كان ذلك؟!

عن عمر رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا فاته شيء من رمضان قضاه في عشر ذي الحجة) وفي رواية: (كان رسول الله ﷺ لا يرى بأساً بقضاء رمضان في ذي الحجة)[3].

قلت: وفي ذلك بيان جواز التأخير في القضاء.

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي رقم (٧٩٩، ٨٠٠) وقال: هذا حديث حسن.. وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا الحديث وقالوا للمسافر أن يفطر في بيته قبل أن يخرج وليس له أن يقصر الصلاة حتى يخرج من جدار المدينة أو القرية وهو قول إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أ. هـ. قلت وهو إسحاق بن راهوية.

وأخرجه الدارقطني (١/٢٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٢٤٦). وقال البغوي في شرح السنة (٦/٣١٣) (قال الحسن: إذا أصبح المقيم على نية سفر في يومه جاز له أن يفطر في بيته وبه قال اسحاق ويروي ذلك عن أنس بن مالك أنه كان يريد سفراً وقد رحلت له راحلته، ولبس ثياب السفر فدعا بطعام فأكل فقيل له سُنة؟ قال: سُنة ثم ركب)أ. هـ

(٢) زاد المعاد (٢/٥٥) بتصرف يسير.

(٣) قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني.

ابن خليفة الكلبي في سفر ثلاثة أميال، وقال لمن صام: قد رغبوا عن هدي محمد ﷺ)[١].

وكان أصحابه حين ينشئون السفر، يفطرون من غير اعتبار مجاوزة البيوت، ويخبرون أن ذلك سنته وهديه ﷺ كما قال عبيد بن جبر: ركبت مع أبـي بَصْرَة الغفاري صاحب رسول الله ﷺ في سفينة من الفسطاط [إلى الإسكندرية][٢] في رمضان، فلم يجاوز البيوت حتى دعا بالسفرة، قال: اقترب، قلت: ألست ترى البيوت؟ قال: أبو بصرة: أترغب عن سنة رسول الله ﷺ ؟.

وفي بعض الطرق: (... فقلت يا أبا بصرة! والله ما تغيبت عنا منازلنا بعد؟ قال: أترغب عن سنة رسول الله ﷺ ، فقلت: لا، قال: فكل. قال: فلم نزل مفطرين حتى بلغنا)[٣].

وقال محمد بن كعب: (أتيت أنس بن مالك في رمضان وهو يريد سفراً وقد رُحِلت له راحلته، وقد لبس ثياب السفر، فدعا بطعام

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٤١٣).

(٢) هذه زيادة في بعض طرق الأثر وهي عند أحمد في المسند (٦/٣٩٨).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٤١٢) والبيهقي (٤/٢٤٦) وأحمد (٦/٣٩٨) وصحح الحديث علامة الشام ومحدث العصر الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في (إرواء الغليل) (٤/٦٣، ٦٤) وقال: (هذا سند رجاله كلهم ثقات غير كليب بن ذهل، قال الحافظ (مقبول) لكن للحديث شاهد من حديث دحية بن خليفة فهو يتقوى به وآخر من حديث أنس بإسناد صحيح) أ. هـ.

وعن عائشة رضي الله عنها تقول: (كان يكون عليّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان)[1] لانشغالي). قال يحيى (أحد رجال السند): الشغل من النبي ﷺ أو بالنبي ﷺ.

قلت: ومن المعلوم أن عائشة لما كانت تؤخر قضاء ما كان عليها من رمضان إلى شعبان كان ذلك بحضرة النبي ﷺ وبعلمه، فدل ذلك على أمور منها:

١- قال الحافظ في الفتح: (١٩١/٤) (وفي الحديث دلالة على جواز تأخير قضاء رمضان مطلقاً سواء كان لعذر أو لغير عذر).

٢- أن الأفضل التعجيل والمبادرة والمسارعة إلى قضاء ما فات من صيام رمضان عند زوال العذر أو من غير وجود العذر وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ وقوله: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وكذلك لأن عائشة رضي الله عنها قد بينت عذرها في التأخير وهو انشغالها بالنبي ﷺ.

٣- يجوز تأخير القضاء إلى رمضان التالي:

مسألة: واعلم أن من أخر قضاء رمضان حتى أدركه رمضان الثاني لا يخلو من حالين:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٨٩/٤)، ومسلم (١١٤٦).

الأولى: من أخر قضاء رمضان إلى آخر لعذر، كما لو استمر به السفر أو المرض أو النفاس أو الحمل أو غير ذلك من الأعذار فهذا لا فدية عليه، وإنما عليه القضاء وهذا مذهب جمهور أهل العلم.

الثانية: من أخر القضاء لغير عذر حتى أدركه رمضان الثاني وجب عليه القضاء إجماعاً وأما الفدية فقد اختلف أهل العلم على قولين:

الأول: أنه يلزمه مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم.

وذلك لما رواه الدارقطني (١٩٦/٢) عن أبي هريرة: في رجل مرض في رمضان ثم صح ولم يصم حتى أدركه رمضان آخر، قال: يصوم الذي أدركه، ويطعم عن الأول لكل يوم مداً من حنطة لكل مسكين فإذا فرغ في هذا صام الذي فرط فيه، قال الدارقطني: إسناده صحيح موقوف.

وكذلك صح عن ابن عباس يقول به وابن عمر، وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير والثوري والإمام مالك وأحمد والشافعي.

الثاني: أنه يلزمه القضاء فقط ولا كفارة عليه (أي الفدية) وإنما يجب عليه التوبة لتفريطه، وبه قال الحسن البصري وإبراهيم النخعي، وأبو حنيفة وغيرهم.

وذلك لعموم قوله: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥].

قالوا: فأوجب الله القضاء ولم يوجب الكفارة، والأصل براءة الذمة.

قلت: وهذا أصح الأقوال وأرجحها، ولكن يستحب الإطعام ولا يجب، وهذا من باب الاحتياط. والله أعلم.

وهناك صورة أخرى من هديه ﷺ في القضاء.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أن النبي ﷺ قال: (قضاء رمضان إن شاء فرّق وإن شاء تابع).

قلت: وفي هذا جواز القضاء متتابعاً ومفرقاً، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥].

ذهب جمهور الفقهاء على عدم وجوب التتابع في قضاء رمضان إلا أنه مستحب عندهم ويجوز تفريقه.

قال النووي ـ رحمه الله ـ: (مذهبنا أنه يستحب تتابعه ويجوز تفريقه وبه قال علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وابن عباس وأنس وأبو هريرة والأوزاعي، والثوري وأبو حنيفة ومالك وأحمد وإسحاق وأبو ثور رضي الله عنهم)[1].

---

(١) المجموع (٦/٤١٣).

قال ابن عباس رضي الله عنهما (لا بأس به أن يفرق)[١] .

قال أبو هريرة رضي الله عنه (يواتراه إن شاء)[٢] .

قلت: ونقل ابن المنذر وغيره عن علي وعائشة وجوب التتابع وهو قول بعض أهل الظاهر، وروى عبد الرزاق بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (يقضيه تباعاً).

قال النووي: (وعن ابن عمر وعائشة والحسن البصري وعروة بن الزبير والنخعي وداود الظاهري أنه يجب التتابع).

قلت: وخلاصة القول أنه لم يصح - فيما أعلم - في التفريق ولا المتابعة حديث مرفوع. والأقرب والأسهل والأيسر جواز الأمرين، وبه قال إمام أهل السُنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله.

قال أبو داود في مسائله: (سمعت أحمد سئل عن قضاء رمضان قال: (إن شاء فرق وإن شاء تابع)[٣] .

إذاً يمكنا أن نقول: كان من هديه ﷺ في قضاء رمضان التأخير والتتابع والتفريق، هذا والله أعلم.

٢٢- هدي النبي ﷺ في مواصلة الصوم (صوم الوصال):

كان من هديه ﷺ مواصلة الصوم، ولكن من رحمته بأمته ﷺ أنه نهاهم عن الصوم مواصلةً دون الفطر لما في ذلك من المشقةِ والتشديدِ عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً ووصله الدارقطني وعبد الرزاق وابن أبي شيبة بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة والدارقطني وإسناده صحيح، وانظر الارواء (٤/٩٥).

(٣) مسائل أبو داود (ص ٩٥).

قالت عائشة رضي الله عنها: (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم)[(١)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: وأيكم مثلي؟ إن أبيت يطعمني ربي ويسقين، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال، فقال: (لو تأخر لذتكم، كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا)[(٢)].

وفي لفظ آخر: (لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم إني لست مثلكم) أو قال: (إنكم لستم مثلي فإني أظل يطعمني ربي ويسقيني)[(٣)].

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: (إياكم والوصال مرتين، قيل: إنك تواصل، قال: إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فاكلفوا من العمل ما تطيقون)[(٤)].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢/٢٤٢) ومسلم (١/٧٧٦) رقم (١١٠٥) وأحمد (٦/٨٩، ٩٣، ١٢٦، ٢٤٢، ٢٥٨) والبيهقي (٤/٢٨٢) وأبو يعلى الموصلي (٧/٣٤٢) رقم (٤٣٧٨).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٢/٢٤٣)، ومسلم (١/٧٧٤) رقم (١١٠٣)، والدارمي (١/٣٤١) رقم (١٧١٣).

(٤) صحيح: وقد تقدم.

ولكن من أراد الوصال وشعر من نفسه نشاطاً فليواصل ولكن إلى السحر فقط لأن النبي ﷺ رخص في ذلك.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أنه سمع النبي ﷺ يقول: (لا تواصلوا، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر)(١).

قلت: يتضح مما تقدم أن الوصال في الصيام من هديه ﷺ الخاص به دون غيره، وليس من هديه المأمور باتباعه(٢)، لأنه ليس من البر ولا المصلحة وصل الصوم دون إفطار ولو من السحر إلى السحر، بل إن الوصال في الصيام من انتهاك ما نهى عنه الرسول ﷺ. والله أعلم.

مسالة : هل الوصال جائز أو محرَّم أو مكروه.

قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (اختلف الناس في هذه المسالة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه جائز إن قدر عليه، وهو مروي عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف، وكان ابن الزبير يواصل الأيام(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢/٢٤٢، ٢٤٣)، أبو داود (٢/٧٦٧) رقم (٢٣٦١)، والدارمي (١/٣٤١) رقم (١٧١٢) وأحمد (٣/٨، ٨٧، ٩٦) والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٦١) عن علي بن أبي طالب، وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح، وعن جابر بن عبد الله وقال رواه الطبراني في الأوسط وهو حديث حسن.

(٢) قلت: من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم له خصائص ينفرد بها دون غيره.

(٣) رواه الترمذي (٣/١٤٨).

وقالت طائفة أخرى: لا يجوز الوصال، منهم مالك، وأبو حنيفة، والشافعي والثوري وغيرهم.

قال ابن عبد البر: وقد حكاه عنهم: أنهم لا يجيزون لأحد..

والقول الثالث: وهو أعدل الأقوال: إن الوصال يجوز من سحر إلى سحر وهذا هو المحفوظ عن أحمد وإسحاق، لحديث أبي سعيد الخدري المتقدم وهو أعدل الوصال وأسهله على الصائم، وهو في الحقيقة بمنزلة عشائه إلا أنه تأخر، فالصائم له في اليوم والليلة أكلة، فإذا أكلها في السحر كان قد نقلها من أول الليل إلى آخره، والله أعلم) أ.هـ[1] .

وهكذا أخي الكريم: قد تمت رحلتنا بسلام ويُسر، وكم كانت طيبة بطيب رسول الله ﷺ، وكم كانت مباركة ببركته بأبي هو وأمي ﷺ، وكم كانت عطرة بذكره صلوات ربي وتسليماته عليه.

ونكون بهذا عرفنا شيئاً يسير من جوانب سيرته العطرة التي يفوح شذاها في كل وقت وحين.

فتعالى بنا أخي المبارك لنركب زورقنا مرة أخرى لنعود من حيث أتينا، إلى هنا، وما أدراك ما هنا....!!.

---

(١) زاد المعاد.

استـــراحة

• كلهـم أعــداءنا

مر بعضهم بقارىء يقرأ: (ألم غلبت الترك في أدنى الأرض) فقال له: الروم، فقال: كلهم أعداءنا قاتلهم الله.

• لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك

جاء رجل إلى فقيه فقال: أفطرت يوماً في رمضـان، فقـال: أقض يوماً مكانه، قال: قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا مأمونية فسبقتني يدي إليها، فأكلت منها، فقال: اقض يوماً آخر مكانه، قال: قضيت وأتيت أهلي، وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي إليها فقال: أرى أن لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك.

• عافاك الله خريت بإجماع المذاهب

جاء رجل إلى بعض الفقهاء، فقال له: أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل وأني توضأت وصليت، فبينما أنا في الصلاة إذا أحسست ببلل في سراويلي يتلزق فشممته، فإذا رائحته خبيثة، قـال الفقيه: عافاك الله خريت بإجماع المذاهب.

● امرأتي طالق إن أخرجتك منه

وقع نحوي في كنيف ، فجاء كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حي أم لا ، فقال له النحوي : اطلب لي حبلاً دقيقاً ، وشدني شداً وشيقاً ، واجذبني جذباً رقيقاً ، فقال له الكناس : امرأتي طالق إن أخرجتك منه ، ثم تركه وانصرف.

● سلوا القاضي

شوهد مؤذن يؤذن من رقعة ، فقيل له ما تحفظ الأذان؟ فقال سلوا القاضي ، فأتوه ، فقالوا السلام عليكم ، فأخرج دفتراً وتصفحه وقال وعليكم السلام ، فعذروا المؤذن.

❋ ❋ ❋

صوم الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم

ممن جاءوا بعدهم رضي الله عنهم جميعا

أخي الكريم: قد مر بنا في الصفحات الماضية صفة صوم النبي ﷺ وبعض أحواله في هذا الشهر الكريم من قراءة القرآن، والذكر والجود والكرم إلى غير ما تقدم، وكم سعدنا بهذه الرحلة المباركة التي سرنا فيها مع الإمام الأول والمعلم الأوحد وشيخ الإسلام وإمام التوحيد، وإمام الأنبياء والمرسلين، بل وإمام الدنيا كلها محمد ﷺ.

وإني أريد أن أعاود الكرة مرة أخرى لنسير مع الرعيل الأول أولئك النفر الذين تخرجوا في الجامعة الكبرى التي أسسها إمام الهدى محمد بن عبد الله ﷺ.

فأصبحوا أئمة هدى ومصابيح دُجى تنير الطريق للسالكين، وتوضح معالم الدرب للسائرين، فهم علماء الدنيا وساستها، ولم تعرف البشرية على مر العصور والأزمان جيل مثل هذا الجيل، جيل صحابة محمد ﷺ، بل وعقمت الدنيا أن تأتي بمثلهم.

من تلقى منهم تقل لاقيت سيدهم

مثل النجوم التي يسري بها الساري

وتخرج على يد هذا الجيل جيل آخر نقل لنا الصورة الحية لما كان عليه صحابة المصطفى ﷺ وهكذا تتابع جيل وراء جيل سلف يعقبه خلف ولا يزال الخير في أمة محمد حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

● رحلة عبر التاريخ

أظنك أخي الحبيب قد اشتقت مثلي إلى تلك الكوكبة الفريدة فهيا بنا - أخي - على عادتنا لنركب زورق الزمان ونخترق الزمان اختراقاً تاريخياً لنسير مع بعض أولئك الذين أنعم الله عليهم من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين ومن سار على دربهم وسلك طريقهم ونسج على منوالهم، من الأئمة الأعلام والسادة الأجلاء، لنعرف شيئاً - ولو يسير - من سيرهم حال الصيام[(١)].

(١) صوم الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

المفارق للتنعم والترفيه، المعانق لما كُلِّف من التشمر والتوجيه.

قال عنه ﷺ: (لم أر عبقرياً يفرى فَرِيَّة)[(٢)].

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: ما مات عمر حتى سرد الصوم[(٣)].

---

(١) اعتمدنا في هذا الباب على بعض ما ذكره، الدكتور الشيخ سيد العفاني - حفظه الله - في كتاب القيم الجامع في بابه (نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان) (١/١١٣ - ١٥٨) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٣) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/١٢١) والبيهقي في سننه (١/٣٠١) وابن حزم في المحلى (٧/١٤) وابن الجوزي في صفة الصفوة (١/٢٨٦).

(٢) صوم ذو النورين عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

أمير البررة وقتيل الفجرة.

حبيب محمد ووزير صدق ورابع خير من وطئ الترابا

قال أبو نعيم عنه: (حظه من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام، مبشر بالبلوى، ومنعم بالنجوى)[١].

وعن الزبير بن عبد الله عن جدة له يقال لها هيمة قالت: (كان عثمان يصوم الدهر، ويقوم الليل إلا هجعة من أوله) (رضي الله عنه قتلوه وقد كان صائماً)[٢].

روى ابن كثير في البداية والنهاية (٢٠٧/٧): (صلى صلاة الصبح ذات يوم فلما فرغ أقبل على الناس فقال: إني رأيت أبا بكر وعمر أتياني الليلة فقالا لي: صم يا عثمان فإنك تفطر عندنا، وإني أشهدكم أني قد أصبحت صائماً، وإني أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالماً مسلوماً منه، ثم دعا بالمصحف فأكب عليه) رضي الله عنه (ما طوى المصحف.. وقتلوه وهو يقرؤه).

(٣) صوم أبي طلحة الأنصاري (رضي الله عنه).

زيد بن سهل أحد أعيان الصحابة البدرين، وأحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة، قال عنه ﷺ: (لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل)[٣].

---

(١) حلية الأولياء (٥٥/٤).

(٢) حلية الأولياء (٥٦/١)، وصفة الصفوة (٣٠٢/١).

(٣) صحيح: رواه الحاكم في المستدرك عن جابر ورواه ابن عساكر وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٥٠٨١).

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة لا يصوم على عهد رسول الله ﷺ من أجل الغزو، فلما قبض النبي ﷺ لم أره يفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر)(١).

وقال الذهبي: (كان قد سرد الصوم بعد النبي ﷺ)(٢).

قال أبو زرعة الدمشقي: إن أبا طلحة عاش بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة يسرد الصوم)(٣).

قال الذهبي: (قلت بل عاش بعده نيفاً وعشرين سنة)(٤).

وعن أنس رضي الله عنه: (أن أبا طلحة صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة لا يفطر إلا يوم فطر أو أضحى)(٥).

---

(١) أخرجه الطبراني في (الكبير) (٥/٩١) وأشار الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي إلى صحته قلت: ولا يفهم من ذلك أن أبا طلحة رضي الله عنه ترك الجهاد والغزو بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل ظل مجاهداً حتى مات غازياً رضي الله عنه. ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (١/٥٥٠) عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني وعلي بن زيد عن أنس بن مالك قال: أن أبا طلحة رضي الله عنه قرأ سورة (براءة) فأتى على قوله تعالى: (انفروا خفافاً وثقالاً) فقال: لا أرى ربنا إلا يستنفرنا شباباً وشيوخاً، يا بنيَّ جهزوني جهزوني، فقالوا له: يرحمك الله! قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات، ومع أبي بكر رضي الله عنه حتى مات ومع عمر رضي الله عنه حتى مات؛ فدعنا نغزوا عنك، قال: لا، جهزوني، فغزا البحر فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فدفنوه بها ولم يتغير. أ. هـ. انظر كذلك: ابن سعد في الطبقات (٣/٥٠٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٩/٢١) والحاكم (٣/٣٥٣) وأبو يعلى (٣٤١٣) ومجمع الزوائد (٩/٣١٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٢٧).

(٣) تاريخ دمشق لأبي زرعة (٥٦٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/٢٩).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٣٥٣) وقال على شرط مسلم.

(٤) صوم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

(الصديقة بنت الصديق ، العتيقة بنت العتيق ، حبيبة الحبيب ، وأليفة القريب ، سيد المرسلين محمد الخطيب ، المبرأة من العيوب ، المعراة من ارتياب القلوب لرؤيتها جبريل علام الغيوب)[١] .

عن عبد الرحمن بن القاسم : أن عائشة كانت تصوم الدهر[٢] ، وأخرجه ابن سعد عن القاسم بلفظ : أن عائشة كانت تسرد الصوم[٣] .

عن عروة : أن عائشة رضي الله عنها كانت تسرد الصوم ، وعن القاسم أنها كانت تصوم الدهر ، لا تفطر إلا يوم أضحى أو فطر)[٤] .

قال عروة : بعث معاوية مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم ، فقسمتها ، لم تترك منها شيئاً ، فقالت بريرة : أنت صائمة ، فهلا ابتعت لنا منها بدرهم لحماً؟ قالت : (لو ذكرتني لفعلت)[٥] .

---

(١) حلية الأولياء (٣/٤٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/١٨٧)، ورجاله ثقات أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٦٨).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٧٥).

(٤) السمط الثمين (ص ٩)، وصفة الصفوة (٢/٣١)، والمعنى: أنها كانت تصوم غير الأيام المنهي عنها شرعاً: كالعيدين وأيام التشريق والحيض وغيرها.

(٥) أبو نعيم في الحلية (٢/٤٧) والحاكم في المستدرك (٤/١٣).

وعن محمد بن المنكدر عن أم ذرة[1] وكانت تغشى عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: بعث إليها معاوية بمال في غرارتين، قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهي صائمة يومئذ، فجعلت تقسم بين الناس، فلما أمست قالت: (يا جارية هلمي فطوري) فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة: (أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه) فقالت: (لا تعنفيني، لو كنت ذكرتني لفعلت)[2].

(٥) صوم أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها:

(القوامة الصوامة، حفصة بنت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ وارثة الصحيفة الجامعة للكتاب)[3].

عن قيس بن زيد أن النبي ﷺ طلق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان أبنا مظعون، فبكت وقالت: والله ما طلقني عن شبع وجاء النبي ﷺ فتجلببت، قال: فقال لي جبريل عليه السلام: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة[4].

---

(١) وفي بعض النسخ أم درة بالدال المعجمة، ولعل ذلك تصحيف من بعض النساخ. والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٤٦) وأبو نعيم في الحلية (٢/٤٧) ورجاله ثقات.

(٣) الحلية (٢/٥٠).

(٤) حسن: أخرجه الحاكم في المستدرك عن أنس وقيس بن زيد.

الله أكبر! وأي شهادة أعظم من شهادة الله وجبريل لحفصة رضي الله عنها، وأنعم بها من عبادة كانت سبباً لرجوع أم المؤمنين حفصة إلى رسولنا لتبقى في عصمته في الدنيا، وفي الآخرة زوجته في الجنة.

عن نافع قال: (ماتت حفصة حتى ما تفطر).

(٦) صوم عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

صاحب الصيام والقيام، الإمام الحبر العادل له مناقب وفضائل ومقام، راسخ في العلم والعمل.

عن عبد الله بن عمرو قال: (أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كَنّته[١] فيساءلها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل، لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال «ألقني به» فلقيته بعد، فقال: «كيف تصوم؟» قلت أصوم كل يوم، قال: «وكيف تختم؟» قلت: كل ليلة. قال: «صم في كل شهر ثلاثة واقرأ القرآن في كل شهر» قال. قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صم ثلاثة أيام في الجمعة». قال: قلت أطيق أكثر من ذلك، قال: «أفطر يومين وصم يوماً». قال: قلت أطيق أكثر من ذلك، قال: صُم أفضل الصوم صيام داود، صيام يوم

---

(١) كَنّته: بفتح الكاف وتشديد النون هي زوج الولد.

وإفطار يوم واقرأ في كل سبعة ليال مرة فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وذاك أني كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن في النهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى وصام مثلهن، كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي ﷺ [عليه][1].

(٧) صوم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

الإمام القدوة شيخ الإسلام[2] المتعبد المتهجد يكفيه قول رسول الله ﷺ «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»[3] وقوله: «إن عبد الله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل»[4].

قال عنه نافع مولاه: كان ابن عمر لا يصوم في السفر ولا يكاد يفطر في الحضر[5].

عن سعيد بن جبير قال: (لما احتضر ابن عمر، قال: ما آسي على شيء من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وإني لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت بنا، يعني الحجاج)[6].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن (٨/٧١٢، ٧١٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٢٠٤).

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٤) صحيح: رواه البخاري ومسلم وابن ماجة.

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/٢١٥).

(٦) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد (٤/١٨٥)، والذهبي في السير (٣/٢٣٢).

(٨) صوم أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه :

صاحب رسول الله ﷺ صاحب الكرامة الباهرة[١] .

عن جابر بن حيوة عن أبي أمامة قال: أنشأ رسول الله ﷺ فأتيته فقلت: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة. قال: اللهم سلمهم وغنمهم فغزونا فسلمنا وغنمنا، حتى ذكرت ذلك ثلاث مرات، قال: ثم أتيته، فقلت: يا رسول الله! إني أتيتك تترى ثلاث مرات، أسألك أن تدعو لي بالشهادة، فقلت: «اللهم سلمهم وغنمهم» فسلمنا وغنمنا يا رسول الله، فمرني بعمل أدخل به الجنة، فقال: «عليه بالصوم فإنه لا مثل له» قال: «فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهاراً إلا إذا نزل بهم ضيف، فإذا رأوا الدخان نهاراً عرفوا أنه قد اعتراهم ضيف»[٢] .

وعن أمامة : «فكان أبو أمامة وامرأته، وخادمه لا يُلْفون إلا صياماً»[٣] .

---

(١) أنظر سير أعلام النبلاء (٣٦٢/٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (٣١٥/٣).

(٢) إسناده صحيح على شرط مسلم وقد تقدم في باب فضائل الصوم في هذا الكتاب. قلت: ومعنى (أنشأ) أي أنشأ جيشاً للغزو وجهزه.

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٦٠/٣).

(٩) صوم عبد اله بن الزبير (رضي الله عنه):

أمير المؤمنين ابن الحواري العائد ببيت الله، المشاهد في القيام، المواصل للصيام قال الذهبي: عدوه في صغار الصحابة. وإن كان كبيراً في العلم والشرف والجهاد والعبادة(١).

قالت عنه أسماء بنت أبي بكر أنه: قوّام الليل، صوام النهار، وكان يسمى حمام المسجد(٢).

عن ابن أبي مليكة قال: (كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام ويصبح في اليوم السابع وهو أليثنا)(٣).

وقال ابن عمر وقد رآه مصلوباً: (السلام عليك يا أبا حبيب - كررها ثلاثاً - أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم، أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير)(٤).

(١٠) صوم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

الأمير السعيد، الشهيد البدري النقيب، أبو عمرو الأنصاري الخزرجي شاعر رسول الله ﷺ.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٢).

(٢) حلية الأولياء (١/٣٣٥)، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٦٧).

(٣) رواه الحاكم (٣/٥٤٩)، أليثنا: أي كأنه ليث.

(٤) صحيح: رواه البخاري في صحيحه.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة)[١].

وعند الذهبي في السير: (إن كنا لنكون مع رسول الله ﷺ في السفر في اليوم الحار ما في القوم أحد صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة)[٢].

(١١) صوم أبي مسلم الخولاني (رحمه الله):

(المتسلي بالأوراد والنوب، الخولاني عبد الله بن ثوب، حكيم الأمة وممثلها ومديم الخدمة ومحررها)[٣].

عن عطية بن قيس، قال: (دخل ناس من أهل دمشق على أبي مسلم وهو غاز في أرض الروم، وقد احتقر جورة في فسطاطه[٤]. وجعل فيها نطعاً وأفرغ فيه الماء وهو يتصلق[٥] فيه، فقالوا: ما حملك على الصيام وأنت مسافر؟ قالوا: لو حضر قتال لأفطرت ولتهيأت له وتقويت، إن الخيل لا تجرى الغايات وهُن بُدَّن، إنما تجرى وهن

---

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٣٢ - ٢٣٣) واصله في الصحيحين كما تقدم.

(٣) حلية الأولياء (٢/ ١٢٢).

(٤) البيت من الشعر.

(٥) يتصلق، أي: يتقلب ويتلوى على جنبه.

ضُمّر، ألا وإن أيامنا باقية جائية)[١] وفي الحلية (بين أيدنا أياماً لها نعمل)[٢].

(١٢) صوم عامر بن قيس (رحمه الله):

القدوة الولي الزاهد راهب هذه الأمة.

كان يقول: (لذات الدنيا أربعة: المال والنساء والنوم والطعام، فأما المال والنساء فلا حاجة لي فيهما، وأما النوم والطعام فلابد لي منهما، فو الله لأضرن بهما جهدي، ولقد كان يبيت قائماً ويظل صائماً)[٣].

كان يقول: (ما أبكي على دنياكم رغبة فيها، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء)[٤].

عن قتادة: «لما احتضر عامر بكى، فقيل ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وقيام الليل»[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/١٠).

(٢) حلية الأولياء (٢/١٢٧).

(٣) حلية الأولياء (٢/٨٨).

(٤) حلية الأولياء (٢/٨٨).

(٥) سير أعلام النبلاء (٤/١٩).

(١٣) صوم الأسود بن يزيد النخعي (رحمه الله):

الإمام القدوة، القاريء القوام، الساري الصوّام، الفقيه الأثير، الفقير الأسير، «هو نظير مسروق في الجلالة والعلم والثقة والسن يضرب بعبادتهما المثل»[1].

سُئل الشعبي عن الأسود فقال: «كان صواماً قوَّاماً حجاجاً»[2].

عن علقمة بن مرثد قال: «انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الأسود ابن يزيد، كان مجتهداً في العبادة يصوم حتى يخضر جسده ويصفر، وكان علقمة بن قيس يقول له: ويحك لِم تعذب هذا الجسد؟ قال: راحة هذا الجسد أريد [إن الأمر جد إن الأمر جد][3]، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: مالي لا أجزع ومن أحق بذلك مني؟! والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لهمني الحياء منه مما قد صنعته، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مستحياً منه)[4].

(١) المصدر السابق (٤/ ٥٠).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ١٠٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥١).

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ٣٩٩).

(٤) حلية الأولياء (٢/ ١٠٣، ١٠٤)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢).

وروى شعبة عن الحكم أن الأسود كان يصوم الدهر[(١)] .

وروى حماد عن إبراهيم، كان الأسود يصوم حتى يسود لسانه من الحر[(٢)] .

وعن عبد الله بن بشر أن علقمة والأسود بن يزيد جحا، وكان الأسود صاحب عبادة، وصام يوما وكان الناس بالهجير، وقد تربد وجهه، فأتاه علقمة فضرب على فخذه فقال: ألا تتق الله يا أبا عمرو في هذا الجسد؟ علام تعذب هذا الجسد؟ فقال الأسود: يا أبا شبل الجد الجد[(٣)] .

قال: حنس بن حارث: رأيت الأسود وقد ذهبت إحدى عينيه من الصوم، فقيل له في ذلك فقال: لا ضير إن كانت الجنة فسيبدل الله بعين أصح منها[(٤)] . الله أكبر! ما ضرهم ما أصابهم جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة.

(١٤) صوم ثابت البناني (رحمه الله):

المتعبد الفاضل، والمتهجد الذابل أبي محمد.

قال عنه أنس بن مالك: إن للخير مفاتيح، وإن ثابتا مفتاح من مفاتيح الخير[(٥)] قال شعبة: كان ثابت يقرأ القرآن في كل يوم وليلة، ويصوم الدهر.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥٢/٤).

(٢) المصدر السابق (٥٣/٤).

(٣) حلية الأولياء (١٠٤/٢).

(٤) المصدر السابق (١٠٤/٢).

(٥) قلت: وأنس بن مالك رضي الله عنه شيخ ثابت البناني وكان ثابت رحمه الله من أثبت الناس في أنس رضي الله عنه، وهذه الشهادة من الشيخ الجليل للتلميذ النبيل وسام فخر ودرة في جبين الدهر. رضي الله عن الجميع.

قال بكر بن عبد الله: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البناني، فما أدركت الذي هو أعبد منه، إنه ليظل في اليوم المعمعاني[١]. الطويل ما بين طرفيه صائماً يروح ما بين جبهته وقدمه[٢].

وكان رحمه الله يقول: لا يسمي عابد أبداً عابداً، وإن كان فيه كل خصلة من خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان، الصوم والصلاة، لأنهما من لحمه ودمه[٣].

قال مبارك بن فضالة: دخلت على ثابت البناني في مرضه وهو في علوله، وكان لا يزال يذكر أصحابه فلما دخلنا عليه، قال: يا إخوتاه، لم أقدر أن أصلي البارحة كما كنت أصلي، ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي فأذكر الله عز وجل كما كنت أذكره معهم، ثم قال: اللهم إذا حبستني عن ثلاث فلا تدعني في الدنيا ساعة [أو قال] إذا حبستني أن أصلي كما أريد وأصوم كما أريد وأذكرك كما أريد، فلا تدعني في الدنيا ساعة. فمات من وقته رحمه الله[٤].

---

(١) في (النهاية) كان ابن عمر يتتبع اليوم المعمعاني فيصومه أي: شديد الحر.

(٢) حلية الأولياء (٣١٨/٢).

(٣) حلية الأولياء (٣١٨/٢).

(٤) حلية الأولياء (٣٢٠/٣).

(١٥) صوم سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري (رضي الله عنه) :

فقيه العصر ، صائم الدهر ، المتعبد القارىء ، الكاسي العاري ، سعد بن إبراهيم الزهري. قال شعبة : كان سعد بن إبراهيم يصوم الدهر[١] .

كان رحمه الله يحتبى فما يحل حبوته حتى يختم القرآن.

قال إبراهيم بن سعد : كان أبي سعد بن إبراهيم إذا كانت ليلة إحدى وعشرين ، وثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين لم يفطر فيما بين المغرب والعشاء والآخرة ، وكان كثيرا إذا أفطر يرسلني إلى مساكين يأكلون معه[٢] .

(١٦) صوم سعيد بن المسيب (رحمه الله) :

سيد التابعين ، عالم العلماء كما قال مكحول فقيه الفقهاء ، حدث يزيد بن أبي حازم أن سعيد بن المسيب كان يسرد الصوم ، وقال هو عن نفسه ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد[٣] .

---

(١) حلية الأولياء (٣/١٦٩).

(٢) حلية الأولياء (٣/١٧٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٢٢١) وقال الذهبي : إسناده ثابت.

(١٧) صوم أبي بكر بن عبد الرحمن راهب قريش (رحمه الله) :

الإمام أحد الفقهاء السبعة ، وكان من سادات قريش ، قال ابن سعد كان يقال له راهب قريش لكثرة صلاته[(١)] .

روى الشعبي عن عمر بن عبد الرحمن أن أخاه أبا بكر كان يصوم ولا يفطر. قال الذهبي (قلت : كان أبو بكر بن عبد الرحمن ممن جمع العلم والعمل والشرف وكان ممن خلف أباه في الجلالة)[(٢)] .

(١٨) صوم عروة بن الزبير (رحمه الله) :

عالم المدينة أحد الفقهاء السبعة وابن حواري رسول الله ﷺ مكن من الطاعة فاكتسب وامتحن بالمحنة فاحتسب عروة بن الزبير بن العوام المتعبد الصوام[(٣)] .

قال الزهري : جالست ابن المسيب سبع سنين لا أرى أن عالما غيره ، ثم تحولت إلى عروة ففجرت به ثبج بحر.

وقال أيضا : رأيت عروة بحرا لا تكدره الدلاء[(٤)] .

عن هشام بن عروة أن أباه كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر ومات وهو صائم ، وكانوا يقولون له أفطر فلم يفطر[(٥)] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/٢٠٧ - ٢٠٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٤١٧ - ٤١٨).

(٣) الحلية (٢/١٧٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/٤٢٥).

(٥) طبقات ابن سعد (٥/١٨٠)، والزهد لأحمد (٣٧١). صفة الصفوة (٢/٨٨).

وعن هشام بن عروة أن أباه كان يسرد الصوم(١).

وعن هشام أن أباه وقعت في رجله الآكلة، فقال: ألا ندعو لك طبيبا، قال إن شئتم، فقالوا نسقيك شرابا يزول فيه عقلك؟ فقال: امض لشأنك إن الله ابتلاني ليرى صبري ما كنت أظن أن خلقا يشرب ما يزل عقله حتى لا يعرف به، فوضع المنشار على ركبته اليسرى، فما سمعنا له حسا، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذت، لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت، وما ترك جزءه بالقرآن تلك الليلة(٢).

وكان ورده ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرا يقوم به الليل.

وعن عبد الواحد مولى عروة قال: شهدت عروة بن الزبير قطع رجله من المعضل وهو صائم(٣).

الله أكبر! والله لكأنها الأعاجيب، ولكن لا عجب من رجل أمه أسماء ذات النطاقين وأبوه الزبير حوارى رسول الله ﷺ، وجده الصديق، وجدته صفية وخالته عائشة وأخوه عبد الله رضي الله عن الجميع.

فما استخبأت في رجل خبيئا كمثل الدين أو حسب عتيق
ذوو الأحساب أكرم من تراث وأصبر عند نائبة الحقوق

---

(١) صفة الصفوة (٢/٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٤٣٠).

(٣) حلية الأذكياء (٢/١٧٨).

(١٩) صوم إبراهيم النخعي (رحمه الله):

التقى الخفي النقي الفقيه الرضي الإمام الحافظ فقيه العراق ومفتي الكوفة حدثت هنيدة امرأة إبراهيم أن إبراهيم كان يصوم يوما ويفطر يوما(١).

قال سعيد بن جبير: تستفتوني وفيكم إبراهيم النخعي(٢).

وكان يقول رحمه الله: وددت أني ما تكلمت، ولو وجدت بدا من الكلام ما تكلمت وأن زمانا صرت فيه فقيها لزمان سوء(٣).

(٢٠) صوم الحسن البصري (رحمه الله):

إمام الدنيا كلها، سيد الزاهدين في زمانه وبعده إمام في العلم، إمام في الورع، لم يكن هناك باب من أبواب الخير وإلا وكان فيه إماما.

قال عنه جعفر الباقر: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء(٤).

---

(١) قلت من الذين كانوا يصومون يوما ويفطرون يوما عطاء بن يسار وكان أخوه سليمان يصوم الدهر وابن سيرين وسليمان بن طرخان، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب وغيرهم كثير رحم الله الجميع.

(٢) حلية الأولياء (٤/٢٢١).

(٣) الحلية (٤/٢٢٣) قلت: وهذا من تواضعه رحمه الله، وإلا فإن زمانه كان زمان خير وبركة.

(٤) الحلية (٢/١٤٧)، والسير (٤/٥٨٥).

قال أيوب السختياني: لو رأيت الحسن لقلت أنك لم تجالس فقيها قط[١].

وقال عوف: ما رأيت رجلا أعلم بطريق الجنة من الحسن[٢].

قال السرى بن يحيى (كان الحسن يصوم البيض وأشهر الحرم والإثنين والخميس)[٣].

وكان يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم قد كبلتك الخطايا والذنوب[٤].

(٢١) صوم عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي (رحمه الله):

الإمام بن الإمام، قال هلال بن خباب: كان عبد الرحمن بن الأسود، وعقبة مولى أديم وسعد أبو هشام يحرمون من الكوفة ويصومون يوما ويفطرون يوما حتى يرجعوا.

وعن الحكم، أن عبد الرحمن بن الأسود لما احتضر بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أسفا على الصلاة والصوم ولم يزل يتلو حتى مات.

وروى أن عبد الرحمن صام حتى أحرق الصوم لسانه[٥].

---

(١) السير (٤/ ٥٨٥).

(٢) السير (٤/ ٥٧٥).

(٣) السير (٤/ ٥٧٨)، والزهد للإمام أحمد (ص ٢٦٩).

(٤) الحسن البصري لابن الجوزي (ص ١٦).

(٥) السير (٥/ ١٢). قلت: (ذرية بعضها من بعض)، ومن شابه أباه فما ظلم.

(٢٢) صوم منصور بن المعتمر (رحمه الله):

حليف الصيام والقيام، خفيف التطعم والمنام، الحافظ القدوة أبو عتاب السلمي.

قال أبو بكر بن عباس: رحم الله منصورا كان صواما قواما.

قال الثوري: لو رأيت منصور بن المعتمر لقلت: يوم الساعة.

حدث زائدة أن منصورا صام أربعين سنة، وقام ليلها وكان يبكي فتقول له أمه: يا بني قتلت قتيلا، فيقول: أنا أعلم بما صنعت بنفسي فإذا كان الصبح أكحل عينيه، ودهن رأسه وبرق شفته وخرج إلى الناس.

وذكر سفيان بن عيينة منصورا فقال: قد كان عمش من البكاء، وقال سفيان أن منصور بن المعتمر صام ستين سنة يقوم ليلها ويصوم نهارها[١].

(٢٣) صوم الزهري (رحمه الله):

الإمام العلم حافظ زمانه محمد بن شهاب الزهري.

عن معاذ بن صالح أنا أبا جيلة حدثه قال: كنت مع ابن شهاب في سفر وصام يوم عاشوراء، فقيل له لم تصوم وأنت تفطر في رمضان في السفر؟ قال: إن رمضان له عدة من أيام أخر، وأن عاشوراء يفوت[٢].

---

(١) السير (٥/٤٠٤ - ٤٠٦)، الحلية (٥/١٢٤)، مختصر قيام الليل (٢٨).

(٢) السير (٥/٣٤٢).

(٢٤) صوم داود بن أبي هند (رحمه الله) :

أبي بكر الإمام الحافظ الثقة مفتي أهل البصرة[١] .

قال حماد بن زيد ما رأيت أحدا أفقه من داود.

قال الفلاسي : سمعت ابن أبي عوف يقول : صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم أهله به ، وكان خزازار يحمل معه غذاه فيتصدق به في الطريق[٢] .

قال ابن الجوزي : يظن أهل السوق أنه أكل في البيت ويظن أهله أنه قد أكل في السوق[٣] .

(٢٥) صوم ابن أبي ذئب (رحمه الله) :

الإمام العلم شيخ الإسلام أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب القرشي.

قال أحمد : كان يشبه سعيد بن المسيب ، فقيل لأحمد خلف مثله ، قال : لا ، ثم قال : كان أفضل من مالك إلا أن مالكا رحمه الله أشد تنقية للرجال منه كان يصلي الليل أجمع ويجتهد في العبادة ، ولو قيل له : إن القيامة تقوم غدا ما كان فيه مزيد من الاجتهاد.

---

(١) السير (٦/٣٧٦ - ٣٧٧) واسم أبي هند ، دينار بن غذافر.

(٢) السير (٦/٣٧٨).

(٣) المدهش (ص ٤٣٥).

قال أخوه: كان أخي يصوم يوما ويفطر يوما ثم سرد الصوم، وكان شديد الحال يتعشى الخبز والزيت[١].

(٢٦) صوم معروف الكرخي (رحمه الله):

الملهوف إلى المعروف، عن الفاني مصروف، وبالباقي مشغول، وبالتحف محفوف، وللطفل مألوف، الكرخي أبو محفوظ معروف[٢]، علم الزهاد، بركة العصر أبو محفوظ البغدادي[٣].

قال: أحمد بن حنبل: وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف.

قال ابن عبيد لإسماعيل بن شداد: ما فعل ذلك الحبر الذي منكم ببغداد؟ قلنا: من هو؟ قال: أبو محفوظ معروف، قلنا: بخير، قال: لا يزال أهل تلك المدينة بخير ما بقي فيهم[٤].

سئل: كيف تصوم؟ فغالط السائل وقال: صوم نبينا محمد ﷺ كان كذا وكذا، وصوم داود كان كذا وكذا، فألح عليه فقال: أصبح دهري صائما فمن واعاني أكلت ولم أقل إني صائم[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤١/٧).

(٢) السير (٣٩/٩).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٠٠)، وطبقات الحنابلة (١/ ٣٨٢).

(٤) الحلية (٣٦٦/٨)، وتاريخ بغداد (١٣/ ٢٠١)، والسير (٩/ ٣٤٠).

(٥) السير (٣٦٥/٨) والسير (٣٤٢/٩).

قال عبيد بن محمد الوراق: مر معروف وهو صائم بسقاء يقول: رحمه الله من شرب فشرب رجاء الرحمة[١].

وكان يقول: إذا أراد الله بعبد شرا أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل[٢].

(٢٧) صوم أحمد بن حرب (رحمه الله):

الإمام القدوة شيخ نيسابور أبو عبد الله النيسابوري، كان من كبار الفقهاء والعباد[٣]. من صحت بدايته صحت نهايته، أجسام ذلت منذ الصغر لخدمة سيدها ومولاها، ومن لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة.

قال زكريا بن حرب: ابتدأ أخي بالصوم وهو في الكتاب، فلما راهق حج مع أخي الحسين بن حرب، ثم أقاما بالكوفة للطلب وبالبصرة وبغداد ثم أقبل على العبادة لا يفتر، وأخذ من المواعظ والتذكير وحث على العبادة وأقبلوا على مجلسه[٤].

قال محمد بن يحيى: مر أحمد بن حرب بصبيان يلعبون فقال أحدهم: أفسحوا فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل، فقبض

---

(١) الحلية (٨/٣٦٥) والسير (٩/٣٤٢).

(٢) الحلية (٨/٣٦١)، والسير (٦/٣٤٠).

(٣) السير (١١/٣٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/٣٣).

على لحيته ، وقال : الصبيان يهابونك وأنت تنام ، فأحيا الليل بعد ذلك حتى مات[١].

(٢٨) صوم أحمد بن حنبل إمام أهل السنة (رحمه الله) :

معلم الخير، إمام أهل السنة ، الواقف يوم المحنة : الصابر في ذات الله ، المقدم رضى مولاه على رضى من سواه. ناصر الدين ، وقامع المبتدعين أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني.

قال يحيى معين : أحمد بن حنبل معلم الخير، وقال : والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد وعلى طريقة أحمد.

قال ابن المديني : أحمد بن حنبل سيدنا ، وقال : اتخذت أحمد بن حنبل إماما فيما بيني وبين الله ، وقال : إن الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين لا ثالث لهما : أبو بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة.

وقال اسحاق بن راهويه : لولا أحمد بن حنبل وبذل نفسه لما بذلها له لذهب الإسلام.

وقال بشر بن الحارث : إن هذا الرجل قام اليوم بأمر عجز عنه الخلق. أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء؟ إن أحمد بن حنبل قام مقام الأنبياء ، حفظ الله أحمد من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٣).

وعن يمينه وعن شماله، إن أحمد بن حنبل طار بحظها وغنائها في الإسلام.

قال إبراهيم بن هانيء ـ وكان أبو عبد الله حيث توارى من السلطان توارى عنده ـ فحكى أنه لم يرد أحد أقوى على الزهد والعبادة وجهد النفس من أبي عبد الله أحمد بن حنبل، قال: كان يصوم النهار ويعجل الإفطار، ثم يصلي بعد العشاء الآخرة ركعات، ثم ينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيتطهر ولا يزال يصلي حتى يطلع الفجر، ثم يوتر بركعة وكان هذا دأبه طوال إقامته عندي، ما رأيته فتر ليلة واحدة، وكنت لا أقوى معه على العبادة، وما رأيته مفطر إلا يوماً واحداً أفطر واحتجم[(١)].

وبعد خروج الإمام أحمد إلى العسكر بعد إنقضاء ما اتهم به، قال أبو بكر المروزي: قال لي أحمد بن حنبل ونحن بالعسكر إلى اليوم ثمان لم آكل شيئاً ولم أشرب إلا أقل من قدر نصف ربع سويق، فربما شربه وربما ترك بعضه، وكان إذا ورد عليه أمر يهمه لم يطعم ولم يفطر إلا على شربة ماء.

(١) مناقب الإمام أحمد (٣٥٩، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٦).

قال صالح بن أحمد: جعل أبي يواصل الصوم يفطر في كل ثلاث على تمر شهرين، فمكث بذلك خمسة عشرة يوماً، يفطر في كل ثلاث، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلة وليلة لا يفطر إلا على رغيف.

وكان إذا جيء بالمائدة توضع في الدهليز لكي لا يراها، فيأكل من حضر، وكان إذا أجهده الحر تُلقى له خرقة فيضعها على صدره[١].

وكُلم في أمره في الحمل على نفسه، فقيل له: لو أمرت بقدر تطبخ لك ليرجع إليك نفسك فقال: الطبيخ طعام المطمئنين، مكث أبو ذر ثلاثين يوماً ما له من طعام إلا ماء زمزم، وهذا إبراهيم التيمي كان يمكث في السجن كذا وكذا لا يأكل، وهذا ابن الزبير كان يمكث سبعاً[٢].

نعم: إنها إرادة تكسر الحديد رحم الله أبو عبد الله رحمة واسعة وجمعنا اللهم به في مستقر رحمته في مقعد صدق عنده إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(٢٩) صوم إبراهيم بن هانيء النيسابوري (رحمه الله):

الإمام العلم أبو إسحاق النيسابوري.

قال الخطيب البغدادي (كان أحد الأبدال)[٣].

---

(١) مناقب الإمام أحمد (٣٥٩، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ بغداد (٦/٢٠٤، ٢٠٥).

قال الإمام أحمد بن حنبل: (إن يكن أحد ممن يعرف من الأبدال فإبراهيم بن هانيء)[(١)].

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء: كان أحمد بن حنبل مختفياً هاهنا عندنا في الدار فقال لي أحمد بن حنبل: لست أطيق ما يطيق أبوك ـ يعني من العبادة ـ لو لم يكن لهذا الإمام الجبل من الفضل إلا ما قاله إمام أهل السُنة والجماعة فيه لفكاه فخراً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا الإمام الصوام الذي مات وهو صائم.

قال أبو بكر النيسابوري: حضرت إبراهيم بن هانيء عند وفاته فجعل يقول لإبنه إسحاق: يا إسحاق ارفع الستر، قال: يا أبت الستر مرفوع، قال: أنا عطشان، فجاء بماء، قال: غابت الشمس؟ قال: لا قال: فرده، ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون ثم خرجت روحه.

وفي (صفة الصفوة) فدعا ابنه إسحاق فقال: هل غربت الشمس؟ قال: لا، ثم قال: يا أبت رخص لك الإفطار في الفرض وأنت متطوع، قال: أمهل: ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، ثم خرجت نفسه[(٢)].

---

(١) تاريخ بغداد (٦٧/٢٠٤، ٢٠٥).

(٢) تاريخ بغداد (٦/٢٠٦) وصفة الصفوة (٢/٤٠١).

(٣٠) صوم بقي بن مخلد (رحمه الله):

الإمـــام القــدوة، شــيخ الإسلام الحافــظ، صاحب التفســـير و (المسند) الذين لا نظير لهما، تلميذ الإمام أحمد.

قال عنه الإمام الذهبي: كان إماما مجتهدا صالحا ربانيا صادقا مخلصا، رأسا في العلم والعمل، عديم المثل، منقطع القرين، يفتي بالأثر ولا يقلد أحدا.

قد ظهرت له إجابات الدعوة في غير ما شيء[١].

قال عنه أبو عبد الملك أحمد بن محمد بن عبد البر: (وكان فاضلا تقيا صواما قواما متبتلا، منقطع القرين في عصره، منفردا عن النظير في عصره)[٢].

قال أبو عبيدة صاحب القبلة (كان بقي يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشر وكان يصلي بالنهار مئة ركعة، ويصوم الدهر[٣] وكان كثير الجهاد، فاضلا، يذكر عنه أنه رابط اثنتين وسبعين غزوة[٤].

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٦ - ٢٨٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٩).

(٣) ومن الذين كانوا يصومون الدهر كذلك، العالم الزاهد أحمد بن سليمان أبو بكر النجاد وكان يفطر على رغيف.

(٤) يسير (١٣/ ٢٩٢).

قال عنه حفيده عبد الرحمن: (كان جدي قد قسم أيامه على أعمال البر، فكان إذ صلى الصبح قرأ حزبه من القرآن في المصحف، سدس القرآن، وكان أيضا يختم القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة، ويخر في كل ليلة في الثلث الأخير إلى مسجده، فيختم قرب انصداع الفجر، وكان يصلي بعد حزبه من المصحف صلاة طويلة جدا، ثم ينقلب إلى داره وقد اجتمع في مسجده الطلبة فيجدد الوضوء ويخرج إليهم، فإذا انقضت الدروس، صار إلى صومعة المسجد، فيصلي إلى الظهر، ثم يكون هو المبتديء بالأذان، ثم يهبط، ثم يسمع إلى العصر، ويصلي ويسمع وربما خرج في بقية النهار، فيقعد بين القبور يبكي ويعتبر، فإذا غربت الشمس أتى مسجده ثم يصلي، ويرجع إلى بيته فيفطر، وكان يسرد الصوم إلا يوم الجمعة ويخرج إلى مسجده، فيخرج إليه جيرانه، فيتكلم معهم في دينهم ودنياهم ثم يصلي العشاء، ويدخل بيته فيحدث أهله، ثم ينام نومة قد أخذتها نفسه، ثم يقوم، هذا إلى أن توفى)[١].

رحم الله الإمام العالم الرباني بقى بن مخلد ورفع درجته في العليين.

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٥).

(٣١) صوم ابن جميع (رحمه الله):

المسند الرحال العالم الصالح محمد بن أحمد بن جميع الغساني الصيداوي صاحب (المعجم).

قال ابنه: (صام أبي أبو الحسين وله ثمان عشرة سنة إلى أن توفي، وقد عاش ستا وتسعين سنة)(١).

وكذا كان والده أبو بكر عابدا صواما(٢).

(٣٢) صوم وكيع بن الجراح (رحمه الله):

النصاح والمفهم المفصاح أبو سفيان وكيع بن الجراح الإمام الحافظ الرؤاسي محدث العراق، كان من بحور العلم وأئمة الحفظ.

قال يحيى بن معين: وكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه.

قال الإمام أحمد بن حنبل: ما رأيت قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب مع خشوع وورع(٣).

قال يحيى بن أكثم: صحبت وكيعا في الحضر والسفر، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/١٥٥، ١٥٦).

(٢) قلت ومن الذين اشتهروا بالصوم كذلك ابن بطة العبكري الفقيه المحدث صاحب (الإبانة الكبرى) قال عنه الخطيب (... لم ير في سوق ولا رؤى مفطر إلا في عيد...) تاريخ بغداد (١٠/٣٧٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/١٥٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/١٤٢ - ١٥٧).

قال ابن عمار: كان وكيع يصوم الدهر، ويفطر يوم الشك والعيد[١].

كان وكيع لا ينام حتى يقرأ جزءه في كل ليلة ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل، فيقرأ المفصل، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر.

قلت: صدق الإمام الذهبي حيث قال: (رضي الله عن وكيع وأين مثل وكيع)[٢].

قال أبو جعفر الجمال: أتينا وكيعا فخرج بعد ساعة، وعليه ثياب مغسولة فلما بصرنا به، فزعنا من النور الذي يتلألأ في وجهه، فقال رجل بجنبي أهذا ملك؟ فتعجبنا من ذلك النور[٣].

(٣٣) صوم العماد المقدسي (رحمه الله):

العالم الإمام الزاهد، القدوة، بركة الوقت، عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم المقدسي أخو الحافظ عبد الغني.

كان الشيخ الموفق يقول: ما نقدر نعمل مثل عمل العماد.

قال الضياء: لم أر أحدا أحسن صلاة منه ولا أتم خشوع وخضوع.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/١٤٢ - ١٥٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/١٤٢ - ١٥٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/١٤٢ - ١٥٧).

قيل: كان يسبح عشرا يتأنى فيهم، وكان يصوم يوما ويفطر يوما، وكان إذا دعا كان القلب يشهد بإصابة دعائه من كثرة ابتهاله وإخلاصه.

ومن دعائه المشهور: (اللهم اغفر لأقسانا قلبا وأكبرنا ذنبا، وأثقلنا ظهرا، وأعظمنا جرما).

(يا دليل الحيارى دلنا على طريق الصادقين واجعلنا من عبادك الصالحين).

قال عنه الموفق: ما أعلم أنني رأيت أشد خوفا منه[1].

(٣٤) صوم جعفر بن الحسن الدرزيجاني المقرىء (رحمه الله):

الزاهد الفقيه الحنبلي.

قال عنه الحافظ ابن رجب (كان من عباد الله الصالحين، أمارا بالمعروف ناه عن المنكر، وله المقامات المشهورة في ذلك).

كان مداوما على الصيام والتهجد والقيام، وله ختمات كثيرة جدا، كل ختمة منها في ركعة، توفي في الصلاة ساجدا سنة ٥٠٦هـ رحمه الله تعالى)[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤٩/٤٨/٢٢).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١١٠/١).

(٣٥) صوم رحلة العابدة مولاة معاوية (رحمها الله):

عن سعيد بن عبد العزيز قال : ما بالشام ولا بالعراق أفضل من رحلة ، ودخل عليها نفر من القراء ، فكلموها في الرفق بنفسها فقالت : (مالي وللرفق بها؟ فإنما هي أيام مبادرة فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غدا ، والله يا إخوتاه لأصلين ما أقلتني جوارحي ، ولأصومن له أيام حياتي ، ولأبكين له ما حملت الماء عيناي.

ثم قالت : أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه.

ولقد قامت رحمها الله حتى أقعدت ، وصامت حتى اسودت ، وبكت حتى عمشت وكانت تقول : (علمي بنفسي قرح فؤادي ، وكلم قلبي ، والله لوددت أن الله لم يخلقني ولم أك شيئا مذكورا).

وكانت رحمها الله تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين في سبيل الله[١] .

(٣٦) صوم ميمونة بنت الأقرع (رحمها الله):

العابدة الزاهدة التقية الورعة ، كتبت عن الإمام أحمد بن حنبل أشياء.

وأخبر المروزي فقال : (ذكرت لأحمد بن حنبل ميمونة بنت الأقرع فقلت له : إنها أرادت أن تبيع غزلها فقالت للغزال : إذا بعت

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٠ ، ٤١).

هذا الغزل، فقل إني ربما كنت صائمة فأرخى يدى فيه، ثم ذهبت ورجعت فقالت: رد علي الغزل أخاف ألا تبين للغزال هذا!)[١].

فانظر يا رعاك الله إلى هذا الورع الفريد، والخوف الشديد والحساب الدقيق وقد قيل: إنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا.

(٣٧) صوم السيدة المكرمة الصالحة نفسيه ابنه الحسن بن زيد ابن السيد سبط النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي (رضي الله عنها):

كانت رحمها الله وأكرمها من الصالحات العوابد، زاهدة تقية، تقوم الليل، وتصوم النهار حتى قيل لها: (ترفقي بنفسك) لكثرة ما رأوا منها، فقالت: كيف أترفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون!.

حجت ثلاثين حجة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره[٢].

قال عنها ابن كثير (رحمه الله) كانت عابدة زاهدة كثيرة الخير.

توفيت رحمها الله تعالى وهي صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: (واعجباه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن هذا لا يكون وخرجت من الدنيا وقد انتهت قراءتها إلى

---

(١) أعلام النساء (لعمر رضا كحالة (١٣٨/٥)، نقلا عن طبقات الفقهاء الحنابلة للفراء (مخطوطة).

(٢) نقلا من كتاب (عودة الحجاب) (٦٠٧/٢ - ٦٠٨).

قوله تعالى: (قل لمن في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة)[1] (سورة الأنعام: ١٢).

ورحم الله من قال:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم تعدوا
قوم أبوهم [علي] حين تنسبهم طابوا أو طاب من الأولاد ما ولدوا
إنس إذا آمنوا جن إذا فزعوا مرزءون بها ليل إذا حشدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

قال عمر: (أحسن، وما أعلم أحدا أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتهم منه)[2].

ونختم رحلتنا المباركة هذه التي كانت مع الصالحين العابدين القائمين الصائمين بالعجب العجاب.

(٣٨) زيد بن بندار بن زيد أبو النخاني يصوم هو وابنه وامرأته نحو أربعين سنة.

نعم: إنها أعجوبة حقا.

---

(١) مرآة الزمان (ص ٨٢).

(٢) تاريخ الطبري (٢/٥٧٧ - ٥٧٨) والبيت الثاني في الأصل قوم أبوهم سنان بدلاً من عليّ.

رحم الله أبا جعفر زيد بن بندار بن زيد أبو النخاني.. (كان من العابدين)[١] .

قال عنه أبو نعيم الأصبهاني : (من الفقهاء، صام نحو أربعين سنة هو وابنه وامرأته توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين)[٢] .

أخي الكريم: وبهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية رحلتنا وكم كانت طيبة بطيب أولئك النفر الأجلاء الفضلاء، وكم كانت مباركة ببركة هذه الكوكبة الإيمانية، وكم كانت رحلة شيقة بحق ممتعة بصدق.

كم كنا نود أن تستمر الرحلة أكثر من ذلك، لكن ما زال البحث معنا مستمراً في رياض الصيام وبركة رمضان، وكذلك لكل ذهاب إياب، فهيا بنا أخي الكريم انهض معي لنركب زورقنا مرة أخرى لنعود من حيث كنا إلى هنا وما أدراك ما هنا...!!

❋ ❋ ❋

(١) طبقات المحدثين بأصبهان، لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٢٢٩).

(٢) تاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٣٧٧).

استراحة

- قيل من عادة الكريم إذا قدر غفر، وإذا رأى زلة ستر.
- وقالوا: ليس من عادة الكريم سرعة الغضب والانتقام.
- وقيل: من انتقم فقد شفى غيظه، وأخذ حقه، فلم يجب شكره، ولم يحمد في العالمين ذكره.
- وقيل: الحليم عليم، والسفيه كليم.
- وقال محمد بن عجلان، ما من شيء أشد على الشيطان من عالم معه حلم، إن تكلم تكلم بعلم وإن شكت سكت بحلم، يقول الشيطان سكوته أشد عليّ من كلامه.
- قال الحسن البصري: إن أفضل رداء تردى به الإنسان الحلم، وهو والله عليك أحسن من برد الحبر.
- كان الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى من أحلم الناس.
- وكان يقول: ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره باحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه.

● شتم رجل الأحنف بن قيس، وجعل يتبعه حتى بلغ حيُّه، فقال الأحنف: يا هذا إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره.

● قال الأصمعي: بلغي أن رجلاً قال لآخر: والله لئن قلت واحدة لتسمعن عشراً فقال له الآخر: لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة.

● أجلسه معه على سرير الملك

قال معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ قدم علقمة بن وائل الحضرمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنطلق به إلى منزل رجل من الأنصار أنزل عليه، وكان منزله أقصى المدينة، فانطلقت وهو على ناقة له وأنا أمشي في ساعة حارة وليس علي حذاء فقلت: احملني يا عم من هذا الحر، فإنه ليس علي حذاء، فقال: لست من أرداف الملوك.

قلت: إني ابن أبي سفيان، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ذلك، قلت: فألق إلي نعلك، قال: لا تقبلها قدماك، ولكن امش في ظل ناقتي فكفاك بذلك شرفا، وإن الظل لك لكثير.

قال معاوية: فما مر بي مثل ذلك اليوم قط.

ثم أدرك سلطاني فلم أؤاخذه بل أجلسته معي على سريري هذا.

أي على سرير الملك والسلطان. رضي الله عنه معاوية ما أحلمه!.

أخطاء ومخالفات شائعة تتعلق بشهر رمضان

الحمد لله معطي الجزيل لمن أطاعه ورجاه، وشدد العقاب لمن أعرض عن ذكره وعصاه، اجتبى من شاء بفضله وقربه وأدناه. وأبعد من شاء بعدله فولاّه وما تولاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله المعبود بكل صفات الجلال والكمال.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من صلى وصام وقام، وارضى اللهم عن صحابته الأطهار الأخيار الأبرار، الذين قاموا بتبليغ الدعوة ونشرها خير قيام.

أما بعد:

أخي الكريم قد مر بك فضل رمضان وعظمته وفضل الصيام وبركته، ومر بك أحكام الصيام وآدابه وسننه وأحكامه وما يتعلق به، وطوفت معنا في السيرة العطرة فعرفت هدي النبي ﷺ في الصيام وكذلك سير أصحابه ومن جاء بعدهم كيف كان حالهم من الصيام والقيام وتلاوة القرآن إلى آخر ما رأيت.

ولكن أخي الكريم حتى تكتمل لك درة هذا الشهر وتفوز فيه بعظيم الأجر هناك بعض الأخطاء تقع من بعض إخواننا الصائمين ـ هدانا الله وإياهم إلى سواء السبيل ـ أردت أن أنبه النظر إليها حتى نعمل على تجنبها ونحذر من الوقوع فيها.

والله أسأل أن تكون هذه الكلمات زخراً يوم القيامة لمن كتبها وجمعها ومن ساهم في نشرها ، ولمن قرأها تكون له عونا على صحة صيامه. آمين.

أخطاء الصائمين

١- من الأخطاء يستقبل بعض المسلمين ـ وللأسف ـ شهر رمضان بالضجر والتبرم والاستياء وهمهم الوحيد متى ينتهي هذا الشهر الثقيل على أنفسهم الخبيثة لأنه يحول بينهم وبين ما يشتهون من الملزات والشهوات والمحرمات ، وارتكاب الفواحش والموبقات. بل ربما يلجأ أحدهم إلى إنشاء سفر للخارج بلا حاجة ولا ضرورة وكل ذلك من أجل أن يتحايل ويفطر ، وهذا خطأ عظيم ، وهذا السفر لا يجوز ولا يحل الفطر فيه.

٢- ومن الأخطاء العظيمة كذلك يستقبل بعض المسلمين ـ وللأسف الشديد ـ شهر رمضان باللهو والطرب والرقص والغناء وآلات الطرب والمجون بدلاً من ذكر الله وشكره أن بلغهم هذا الشهر المبارك ، فقد كان رسول الله ﷺ يستقبل هلال شهر رمضان بقوله :

(اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله، هلال رشد وخير)[١].

فمن استقبل شهر رمضان باللهو والطرب والرقص والأغاني والمجون والخلاعة فإن هذا دليل على فساد القلب وقبح السريرة وسوء النية وخبث الطوية، وهو على شفا هلكة إن لم يتدارك نفسه ويتوب إلى الله ويقلع عن المعاص والذنوب قال تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة طه، الآية:٨٢].

وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر).

فأين هذا الرقص والغناء والطرب من صيام رمضان إيماناً واحتساباً؟!.

يا عباد الله: من لم تناله الرحمة في رمضان فمتى تناله؟! ومن لم يكن أهلاً للمغفرة في هذا الموسم ففي أي موسم يتأهل لها ويكون من أهلها؟!

إذا الروض أمسى مجدباً في ربيعه ففي أي حين يستنير ويخصب؟!

فيا عباد الله توبوا إلى الله واستغفروه، ولا يستخفنكم الشيطان، واعلموا أنه:

---

(١) حسن. وقد تقدم.

تفنى اللـــذاذة ممـــن نـــال صفوهـــا   مـــن الحـــرام ويبقـــى الإثم والعـــار
تبقـــى عواقـــب ســـوء في مغبتـــها   لا خير في لـــذة مـــن بعدهـــا النـــار

٣- ومن الأخطاء: جهل بعض العامة ـ إلا من رحم الله تعالى ـ بفضل شهر رمضان فيستقبلونه كغيره من أشهر السنة، وهذا خطأ فقد صح عنه أنه قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» وفي رواية أخرى «وسلسلت الشياطين»[1]. وقد مر بك أحاديث كثيرة من فضل رمضان فراجعها.

فيا عباد الله! شهر هذا فضله فاستقبلوه بما هو أهله، ويكون لسان حالنا ومقالنا:

مرحباً أهلاً وســـهلاً بالصيـــام   يا حبيبنـــا زارنـــا في كـــل عـــام
قـــد لقينـــاك بحـــب مفعـــم   كل حب في سوى المـــولى حـــرام
فـــاغفر اللـــهم منـــا ذنبـــا   ثم زدنـــا مـــن عطايـــاك الجســـام
لا تعاقبنـــا فقـــــد عاقبنـــا   قلـــق أســـهرنا جنـــح الظـــلام

٤- ومن الأخطاء : عدم المبالاة ـ من البعض ـ في إحصاء عدة شعبان وإقامة بعضهم صلاة التراويح ليلة الثلاثين من شعبان، وذلك قبل

(١) صحيح: وقد تقدم.

ثبوت دخول رمضان وهذا خطأ فادح فعلى المسلم أن يحصى عدة شعبان ويتحرى دخول رمضان وذلك إما برؤية الهلال أو إحصاء عدة شعبان ثلاثين يوماً، وذلك لأن الشهر أما أن يكون تسعة وعشرين يوماً أو ثلاثين يوماً لما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهر تسع وعشرين ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين[١]» .

٥- ومن الأخطاء العجيبة والمخالفات الغريبة أن بعض الناس إذا بلغه أن هذه الليلة هي أول ليالي رمضان، لا يصلي صلاة التراويح! ما السبب؟! الله أعلم. وكأن القوم قد جبلوا على المخالفة والعصيان، والآيتان بالغرائب والمعضلات!

أخي:

ألم يأن أن نخشع وأين التهجد ... أفي سِنَة نحن أم القلب جلمد

تيقظ أخي واحذر وإياك ترقد ... أترقد يا مغرور والنار ترقد

فلا حرها يطفي ولا الجمر يخمد

٦- ومن الأخطاء صيام بعضهم يوماً أو يومين قبل دخول شهر رمضان احتياطاً وهذا ما يسمى عند أهل العلم (بصيام يوم الشك) وهذا خطأ ومنهي عنه لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

رسول الله ﷺ: « لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين إلا رجلاً كان يصوم صوماً فليصمه»[١] وصح عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه قال: (من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم)[٢].

ولكن إذا كان عليه قضاء من رمضان الفائت فلا حرج عليه بل يجب عليه صيامه قبل أن يحل رمضان جديد. والله أعلم.

٧- ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض المسلمين الاعتماد في رؤية الهلال على ما يقوله الفلكيون، وهذا خطأ، فالواجب الاعتماد على الرؤية بالعين المجردة، وذلك بأن يشهد شاهدان مسلمان، ذوا عدل في ثبوت تلك الرؤية أو شاهد واحداً سلماً عدلاً لقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥].

والشهادة هنا معناها رؤية الهلال وقد تقدم بيان ذلك، ولما صح عن النبي ﷺ: « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، وأنسكو لها، فإن غم عليكم فاكملوا ثلاثين، فإن شهد شاهدان، فصوموا وأفطروا»[٣] وغيرها من الأحاديث التي تفيد أن الاعتماد في الرؤية لابد وأن يكون على النظر بالعين المجردة والاعتماد على ما يقوله الفلكيون وحساباتهم في اثبات الهلال مخالفاً لقول النبيﷺ: « إنا

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين»[(١)] .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام مفيد في ذلك جداً في مجموع الفتاوى (١٣١/٢٥ ، ١٣٢ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ٢٠٧). ومن بعض ما قاله في ذلك رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٠٧/٢٥): (والمعتمد على الحساب في الهلال، كما أنه ضال في الشريعة مبتدع في الدين، فهو مخطيء في العقل وعلم الحساب، فإن العلماء بالهيئة يعرفون أن الرؤية لا تنضبط بأمر حسابي، بل خطؤها كثير، وقد جرب وهم يختلفون كثيراً: هل يرى؟ أم لا يرى؟ وسبب ذلك أنهم ضبطوا بالحساب مالم يعلم بالحساب فأخطأوا طريق الصواب)أ.هـ.

وفي المجموع (٢٨٩/٦): قال الدارمي: لا تصوموا بقول منجم.

٨- ومن الأخطاء كذلك اعتماد أهل بلد ما على رؤية البلاد الأخرى، وهذا خطأ، والصواب أن لكل بلد رؤيتهم، وذلك لإختلاف المطالع والمسافات التي بين البلاد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتمد على الرؤية وفي ذلك أحاديث كثيرة وقد مرت بنا كثير فلا داعي للتكرار.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٥١/٤) وانظر كلام الحافظ في الفتح فإنه مهم.

وقد علم بهذا الصحابة رضوان الله عليهم وكان عملهم بمقتضى ما علموه، وخير شاهد لذلك قصة كريب مولى ابن عباس وهي:

عن كريب أن أم الفضل ـ رضي الله عنها ـ بعثته إلى معاوية بالشام قال: فقدمت الشام، فقضيت حاجتها، واستهل عليّ رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ثم ذكر الهلال، فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أنت رأيته؟ فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية، فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه، فقلت: أو لا نكتفي برؤية معاوية وصيامه، فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[(١)].

ولقد بوب النووي ـ رحمه الله ـ في شرح صحيح مسلم: (باب بيان أن لكل بلد رؤيتهم وأنهم إذا رأوا الهلال ببلد لا يثبت حكمه لما بَعُد عنهم) وقال: (١٤١/٣): فيه حديث كريب عن ابن عباس وهو ظاهر الدلالة للترجمة)أ. هـ. والله أعلم.

٩- ومن الأخطاء غفلة بعض الناس ـ إلا من رحم الله تعالى ـ عن الدعاء عندما يعلن عن دخول شهر رمضان أو عند رؤية الهلال،

---

(١) صحيح: رواه مسلم والترمذي وابو داود.

وهذا خطأ فمن السُنة إذا أعلن عن ثبوت دخول هذا الشهر أو عند رؤية الهلال أن يقول كما قال رسول الله ﷺ عند رؤية الهلال: اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله، هلال رشد وخير)[١] .

وليس كما يقول الجهلة من العامة عندما يرون الهلال يرفعون أيديهم ويقولن: (هَلّ هلالك، جل جلالك شهر مبارك)[٢] .

١٠- ومن الأخطاء كذلك أن هناك بعض الناس يستقبل شهر رمضان بفتور واضح، وإذا علم به لا يبشر من يعرف بقدوم هذا الشهر المبارك، وهذا خطأ فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يُبشر أصحابه رضي الله عنهم جميعاً بقدوم شهر رمضان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم»[٣] .

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) قلت: وهذا لا أصل له في دواوين السُنة.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

١١- ومن الأخطاء: أن بعض الناس لا يبيت النية مع علمه بدخول الشهر، وهذا خطأ فإذا علم الصائم بدخول شهر رمضان وجب عليه تبييت النية بالصيام لما ورد عن النبي ﷺ في ذلك قوله: «من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له»[١].

وقوله: «من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له»[٢]، وفي رواية: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له»[٣].

١٢- ومن الأخطاء: أن بعضهم يتلفظ بالنية كأن يقول مثلاً: نويت صيام غد من رمضان إيماناً واحتساباً لله تعالى «أو يقول» اللهم إني نويت أن أصوم الشهر كله أو غير ذلك من الأقوال التي لم يأتي بها دليلاً معتبراً من الشرع أو ضعيفاً أو موضوعاً! وهذا خطأ من وجهين:

أحدهما: (أنه لا يجوز التلفظ بالنية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والتكلم بالنية ليس واجباً بإجماع المسلمين، فعامة المسلمين إنما يصومون بالنية وصومهم صحيح)[٤].

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

(٤) مجموع الفتاوى (٢١٥/٢٥).

الثاني: إن الكلمات التي قالها وتلفظ بها لم يرد بها دليل من الشرع يستند إليه، فإن كان المتلفظ بها جاهلاً فهو مخطىء معذور، وإن كان عالماً حال تلفظه بها فهومبتدع، وهذا أدهى وأمر. والله أعلم.

١٣- ومن الأخطاء: (أن من الناس من قطع صومه لحاجة داعية لذلك من سفر أو مرض أو غيرها، ثم استأنف صومه بعد ذلك في نفس الشهر فإنه يصوم بدون أن يبيت نية جديدة للأيام المقبلة من الشهر، وهذا خطأ، والصحيح - والله أعلم - أنه يحتاج إلى تجديد النية ليتميز يوم صومه من يوم فطره)(١).

١٤- ومن الأخطاء: (أن هناك من يوجب القضاء على من نسي أن يبيت النية في الليل، وهذا خطأ، فإذا نسي ذلك من الليل فلا إثم عليه لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة:الآية ٢٨٦]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب:الآية ٥].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)(٢).

---

(١) فتاوى الشيخ ابن عثيمين كتاب الدعوة (١/١٤٤ - ١٤٥).

(٢) صحيح على شرط الشيخين رواه الحاكم والدارقطني والطحاوي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قلت : ولا تعارض بين هذه الأدلة وبين حديث : (من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له) المتقدم آنفا وغيره ، وذلك لأن هذا الحديث يقصد من تعمد عدم تبييت النية ، قاصدا ذلك ، أو من علم ولكن لم يبالي ، فيخرج من حكم هذا الحديث الناسي ومن في حكمه وذلك لما تقدم من الأدلة والله أعلم(١) .

١٥- ومن الأخطاء : عدم إمساك بعض الناس من لم يعلم بدخول شهر رمضان كأن يكون مسافرا أو نائما أو غير ذلك من الأسباب التي تحول بينه وبين معرفة دخول الشهر ، وهذا خطأ منه ، فينبغي على المسلم متى علم بدخول شهر رمضان أن يمسك بقية يومه وإن كان مفطرا ، لما ورد عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا ينادي في الناس يوم عاشوراء ؛ إن من أكل فليتم [أي فليتم صومه ذاك اليوم] أو فليصم ومن لم يأكل فلا يأكل(٢) .

---

(١) قلت : هذا الكلام من استنباطي والجمع بين الأدلة والتوفيق بينها إن أمكن ، وهذا مذهب ومسلك أهل العلم في مثل هذه الأمور ، فإن أصبت فمن الله وحده ، وإن كنت أخطأت - وهذا آكد ومتيقن - فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان ، ثم أنا بريء منه قبل الممات وبعد الممات.

(٢) صحيح : رواه البخاري (٤/١٤٠).

قلت: فإن كان هذا الأمر في صيام يوم مندوب ففي رمضان أولى وأوجب والله أعلم.

١٦- ومن الأخطاء: اجتهاد بعض الصائمين ـ عفا الله عنهم ـ في الإكثار من أنواع العبادات مع بداية شهر رمضان، وهذا حسن ومحمود منهم، فقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره من الشهور[١]، لكن الخطأ أن هؤلاء يصابوا بالفتور في آخر رمضان يوماً بعض يوم، وذلك راجع إلى ضعف الوازع الديني عند هؤلاء والله المستعان.

١٧- ومن الأخطاء العظيمة أن بعض الناس ـ هدانا الله وإياهم ـ لا يصلون إلا في رمضان، أو ربما صلى في الجمع والمناسبات، وهذا خطأ فادح لأن من هذا شأنه على خطر عظيم ويخشى عليه سوء العاقبة، فينبغي عليه أن لا يترك الصلاة في أي وقت من أوقات السنة لأن رب رمضان هو رب جميع الشهور.

وأقول لهذا: إن من ترك الصلاة جاحداً لها فهو محكوم بكفره وردته. بإجماع المسلمين، ومن تركها تهاوناً وتكاسلاً عالماً بحكم

---

(١) زاد المعاد (٢/٢٢).

تاركها متماديا في غيه فهذا أيضا كافر كفر رده في أظهر قولي العلماء.

والأحاديث الواردة في حكم تارك الصلاة معلومة وكثيرة فليرجع إليها من أراد الحق والنجاة غدا بين يدي الله سبحانه وتعالى.

١٨- ومن الأخطاء كذلك جهل بعض الناس بمفطرات ومفسدات الصيام، مما يقع فيه البعض خاصة مع بداية رمضان، وهذا خطأ عظيم، فمن اللائق بالصائم أن يعرف قبيل رمضان مبطلات الصيام ومفسداته، حتى يتحرز من الوقوع فيها، وقد مرت بنا في باب (المفطرات) فارجع إليها إن شئت ولا داعي هنا للتكرار.

١٩- ومن الأخطاء العظيمة بل ومن الأخطاء الجسيمة ترك بعض الناس - هداهم الله - صيام رمضان أو يوما من أيامه مع القدرة، متعمدا ذلك وبدون عذر شرعي، وهذا خطأ عظيم وخطر جسيم وفعل قبيح وعاقبة وخيمة، فهو بذلك قد ترك ركنا من أركان الإسلام وارتكب كبيرة من الكبائر، قال الإمام الذهبي (رحمه الله) وعند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا عذر أنه شر

من الزاني ومدمن الخمر، بل يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال[(١)].

فليحذر الذين يغلقون عليهم الأبواب ويستترون عن أعين الناس لفعل المعاصي والإفطار في رمضان فليعلموا أن الله يراهم ويعلم سرهم ونجواهم وهو سبحانه لا تخفى عليه خافية، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [سورة الزخرف:الآية ٨٠].

وقد مر بنا حديث أبو أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصور فيه عاقبة المفطرين في رمضان فراجعه في موضعه.

٢٠- ومن الأخطاء غفلة البعض - إلا من رحم الله - عن حكم الصيام واسراره، وهذا خطأ، فللصوم معان متعددة كريمة، ومقاصد كثيرة وغايات نبيلة وأهداف سامية يأتي في مقدمتها إعداد النفس للتقوى والمجاهدة والصبر والعبودية لله تعالى والاستسلام والخشية له سبحانه، ومن أسرار الصوم غرس روح المراقبة لله في نفس الصائم في السر والعلن، وتقوية روح العاطفة والرحمة والبر والأخوة الإيمانية والمواساة والشعور بالآخرين والإحساس بهم

---

(١) انظر كتاب الكبائر للذهبي الكبيرة العاشرة.

ومد يد العون لهم، وبالجملة نقول: إن رمضان مدرسة للتربية الحقيقية للنفس البشرية فمن غفل عن ذلك فقد خسر وأخطأ.

٢١- ومن الأخطاء تجد بعض الناس ـ عفا الله عنا وعنهم ـ لا يصون صومه فتجده مرتكب للمعاصي والسيئات واقع في المحرمات من بذاءة اللسان والظلم والعدوان والحقد والحسد والبغضاء، بل ربما خيل إليه الشيطان أن صومه يدفع الإثم عنه، فتراه يصوم ولا يبالي ماذا أفطر، ولا يتحاشى في صومه غيبة أو نميمة ولا قذف ولا نظرة، ولا زور ولا بهتان ولا فضول كلمة ولا غير ذلك من المحرمات، وهذا كله من جهله وسفهه وتلبيس ابليس عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[١].

٢٢- ومن الأخطاء تجد من يفتي الناس بغير علم ولا هدى ولا بصيرة، فهو لا يدري عن شيء من أحكام الصيام أو شروطه أو مفسداته أو غير ذلك مما يتعلق بالصيام، ومع ذلك تجده يخطيء هذا ويصوب ذاك ويستنكر على هذا وهو بذلك قد ضل وأضل وضر وأضر، وهذا خطأ عظيم.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

فالواجب على المسلم أن يتقي الله ولا يفتي بغير علم لأنه بذلك يعرض نفسه بأن يتحمل أوزار من أفتاهم بجهله وبغير علم، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الفتيا فقال: (أسرعكم إلى النار أجرأكم على الفتيا).

ولله در من قال:

ومن غدا بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تقبل

٢٣- ومن الأخطاء أيضا اعتقاد بعض الناس بأن نهار رمضان فرصة للنوم والراحة والاسترخاء والدعة، وهذا خطأ فشهر رمضان دافع للنشاط والقوة فهو شهر الانتصارات والجهاد والفتوحات، فلقد انتصر المسلمون على مر العصور بفضل الله في نهار رمضان في مواقع كثيرة منها: غزوة بدر الكبرى، والخندق، وفتح مكة، واليرموك، والقادسية وفتح الأندلس، وفتح البوسنة والهرسك، وعين جالوت، والنصر على اليهود في العاشر من رمضان، إلى غير ذلك من المواطن والمواقع التي أعز الله فيها الحق وأهله، وأذل فيها الشكر والكفر والإلحاد وأهله.

٢٤- ومن الأخطاء تأخير بعض الصائمين صلاتي الظهر والعصر عن وقتهما لغلبة النوم وهذا من أعظم الأخطاء قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ

لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ [سورة الماعون:الآيتان ٤-٥]. قال بعض السلف: هم الذين يؤخرونها عن وقتها.

قلت: وتأخير وقت الصلاة علامة على عدم حسن إسلام المرء لما ورد عن ابن مسعود في الصحيحين أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أي الإسلام خير؟ فقال صلى الله عليه وسلم الصلاة على وقتها أو في وقتها ـ وفي رواية ـ على أول وقتها.

٢٥- ومن الأخطاء أن بعض الصائمين ـ هدانا الله وإياهم ـ يرد بألفاظ نابية بذيئة غاية في الفحش وذلك إذا سبه أحد أو جهل عليه، وهذا خطأ. فالواجب على الصائم أن يحفظ لسانه أولا فلا يسب أحد ويجهل عليه، وإن حدث وأن أحدا سابه أو شاتمه أو جهل عليه فعليه أن يحفظ لسانه ويملك نفسه ويتأدب بآداب الإسلام ولا يجهل على من جهل عليه بل يقول له إني صائم إني صائم لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: الصيام جنة فإن كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: «إني صائم إني صائم»[١] وفي رواية عند الحاكم في المستدرك: (فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم إني صائم).

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

٢٦- ومن الأخطاء: قضاء بعض الصائمين جزء كبير من نهار رمضان في القيل والقال وإطلاق الألسنة بالغيبة والنميمة ولغو الحديث، وإذا تقدم إليهم أحد بالنصيحة، فأقل ما يقولون، وأهذب ما يتلفظون به لهذا الناصح: «نحن لا نفعل شيء نحن نسلي صيامنا»، وهذا خطأن فالواجب على الصائم أن يحفظ صومه وذلك بحفظ جوارحه ولا سيما اللسان، فلا يتحدث إلا بخير وإلا فليصمت فقد ثبت عن المعصوم ﷺ قوله: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[١].

٢٧- ومن الأخطاء: تجد بعض الصائمين ضيق الصدر سيء الخلق كثير اللعن لأتهف الأسباب، وهذا خطأ، فعلى الصائم أن لا يكون لعانا ولا فحاشا لا في رمضان ولا في غيره، فلا يلعن أخاه المسلم ولا أولاده ولا أهله حتى وإن بدر منهم ما يثيره فعليه أن يضبط نفسه ولا يلعن بحال من الأحوال، لما ورد عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: (من لعن مؤمنا فهو كقتله)[٢].

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم من حديث أبي شريح العدوى وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

٢٨- ومن الأخطاء كذلك: تجد بعض الصائمين عنده عصبية زائدة أثناء قيادته السيارة علاوة على السرعة الجنونية، وذلك قبيل موعد الإفطار وهذا خطأ، فلا ينبغي من صائم مثل هذه الأمور.

٢٩- ومن الأخطاء غفلة بعض الصائمين عن الدعاء والذكر قبيل آذان المغرب وهذا خطأ، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: (إن لله عند كل فطر عتقاء وذلك كل ليلة)(١).

٣٠- ومن الأخطاء: عدم مبالاة بعض الصائمين بدخول وقت الإفطار فما أن يسمع أي مؤذن ولو لم يدخل الوقت يبدأ في تناول الإفطار وهذا خطأ.

فعلى الصائم أن يتحرى وقت الإفطار وهو بعد غروب الشمس واختفاء قرحها، ولا عبرة بالحمرة الشديدة الباقية في الأفق، فمتى غابت الشمس أفطر الصائم لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧]. ولقول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: (إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس أفطر الصائم)(٢).

---

(١) صحيح: وقد تقدم من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

٣١- ومن الأخطاء أن بعض الصائمين لا يفطر إلا بعد انتهاء المؤذن من آذانه احتياطا، وهذا خطأ، فمتى سمع المؤذن وهو ممن يعرف بأمانته وحرصه على الآذان في وقته، فعلى الصائم أن يفطر بمجرد ما يسمع الأذان، ومن تأخر حتى نهاية الأذان، فقد تنطع وتقعر وتعمق وتكلف بما ليس مطالب به، وقد نهى النبي ﷺ عن التنطع في الدين فقال: (هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون)(١).

ومنهم من لا يفطر إلا بعد أن يصل المؤذن إلى الشهادتين وينتهي منهما، وهذا للجهل والتقليد الأعمى أو للابتداع الضال، حيث لم يرد شيئا من السنة في ذلك.

٣٢- ومن الأخطاء كذلك انشغال بعض الصائمين بالإفطار عن متابعة آذان المغرب، وهذا خطأ، فإنه يسن للصائم وغيره أن يتابع المؤذن ويقول مثل ما يقول، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن)(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

قلت: ويكون متابعة المؤذن مع مواصلة الإفطار، وعدم الانقطاع، وذلك لعدم ورود النهي عن الأكل حال متابعة المؤذن في تردد الآذان والله أعلم.

٣٣- ومن الأخطاء أن بعض الناس ـ هدانا الله وإياهم ـ لا يبالي أأفطر على حلال أم حرام، وهذا خطأ عظيم، فقد ورد الوعيد الشديد لمن أكل الحرام سواء في رمضان أو غيره، قال ﷺ: (لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت)(١). أي نبت من حرام، فعلى من أبتلي بالمال الحرام سواء من سرقة أو ربا أو أخذ مال وهو ظالم فيه أو غير ذلك من صور المال الحرام. أن يتقي الله ويتحلل من هذا المال، وليعلم بأنه لا يقوى على حر جهنم، فجهنم حرها شديد، وقرعها بعيد، ولها مقامع من حديد نسأل الله العافية.

٣٤- ومن الأخطاء أن بعض المدخنين من الصائمين ما إن يسمع الآذان حتى يأكل شيئا يسيرا ثم يسرع إلى سيجارته ويشعلها، بل هناك من يفطر على هذه السيجارة الخبيثة قبل أي شيء، ولربما دخل المسجد وألقى السيجارة عند الباب وريحته الخبيثة تعصف وتفوح، وفي هذا العمل أربع أخطاء مجتمعة.

---

(١) حسن: رواه أحمد والحاكم وغيرهما.

١- أنه خالف سنة أبا القاسم ﷺ بتركه الفطر على التمر أو ارطب أو الماء أو أي شيء لم تصبه النهار، قال ﷺ: (من وجد تمرا فليفطر عليه ومن لم يجد فليفطر على الماء فإنه طهور)(١).

٢- أنه أفطر على شيء محرم وهو شرب الدخان، والتحريم قال به العلماء قديما وحديثا(٢).

٣- أن شرب الدخان والمعدة خالية من الطعام والشراب يضر بالجسم ضررا عظيما.

٤- أنه بشربه الدخان وذهابه للمسجد فقد آذى المسلمين، وقد ورد النهي عن ذلك، ويا ويل من يصلي بجانبه ـ أعانه الله على تحمل هذه الرائحة ـ.

ونصيحتي إلى كل مدخن: بأن يستغل شهر رمضان فهو فرصة عظيمة لترك التدخين حيث أنه معظم اليوم لا يدخن وذلك لأنه صائم.

٣٤- ومن الأخطاء: تأخير الإفطار، وهذا إما أن يكون الصائم نائما فيؤخر إفطاره وغالب هذا الأمر يكون عند الحاضرة، أو يؤخر إفطاره احتياطا وغالبا هذا يكون عند البادية وهذا خطأ.

---

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) انظر كتاب (من أخطاء المدخنين) لمحمد الغفيلي.

فمن السنة أن يعجل الصائم إفطاره حين غروب قرص الشمس بالعين المجردة أو عند سماعه مؤذن الحي الموثوق فيه، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بكروا بالإفطار وأخروا السحور)[٢].

وتعجيل الفطر فيه أمور منها:

١- أنه يدل على استقامة الصائم على أمر دينه ودخل بمخالفته اليهود والنصارى المأمور بمخالفتهم، وهذا من الفوارق التعبدية بيننا وبينهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون)[٣].

٢- أن من عجل الفطر فهو من أحب عباد الله إلى الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (يقول الله عز وجل: إن أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا)[٤].

٣- في تعجيل الفطر اقتداء برسول الله ﷺ وصحابته[٥].

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

(٤) حديث صحيح وقد تقدم.

(٥) قد مر بنا بيان ذلك فراجعه في موضعه.

٣٦- ومـن الأخطـاء: إسراف بعـض الصـائمين واهتمامـهم الزائـد في إعـداد الفطـور وتنـوع أصنافه، مما يـؤدي ذلـك إلى رمـي كميـات كبيرة من الطعـام فائضـة عـن حاجـة الصـائم، وذلـك بوضعـها في سلات النفايا في حين أن هناك من المسلمين لا يجد مـا يسـد رمقـه، وربما كان هذا جار لك وقريب، وهذا خطـأ لما فيه مـن الإسـراف والتبذير المنهي عنه، وإضاعة المال في غـير موضعـه وسـوف تُسـأل عنه وكذلك عدم شكر النعمة كما ينبغي.

ناهيك عن الأضرار الصحية التي تصيب الصـائم نفسـه مـن جـراء هذا الطعام، وصـدق الله حيث يقـول: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الأعـراف:الآيـة ٣١].

وصـدق الرسـول الكريـم ونحن علـى ذلـك مـن الشـاهدين حيــث يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شراً مـن بطـن حسـب الآدمي لقيمـات يقمـن صلبه، فـإذا غلبـت الآدمـي نفسـه فثلـث للطعـام وثلـث للشراب وثلث للنفس»[(١)].

٣٧- ومن الأخطاء غفلة البعض عن الدعاء عند الإفطـار وبعـد إفطـار وإذا أفطر الصائم عند قوم، وهذا خطـأ فإنـه مـن السُنة الدعـاء في هـذه الحـالات الثـلاث وقـد مـر بنـا في صفـة النـبي ﷺ بيـان ذلـك

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

فراجعه إذا شئت غير مأمور، ولا داعي للتكرار، حيث لا فائدة من ذلك.

٣٨- ومن الأخطاء: أن هناك بعض الصائمين من لا يفطر إلا بعد صلاة المغرب، وهذا خطأ لمخالفة سُنة النبي ﷺ، فكان من هديه ﷺ أن يفطر قبل صلاة المغرب ولو على ماء فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ (يفطر قبل أن يصلي)(٢).

٣٩- ومن الأخطاء: تأخير صلاة المغرب من قبل البعض نتيجة للإسراف في تناول الإفطار من مأكولات ومشروبات مختلفة، وهذا الأمر فيه ثلاثة أخطاء:

أ - ترك صلاة المغرب مع الجماعة بدون عذر شرعي وهذا لا يجوز.

ب - خلو المعدة من الطعام طوال النهار ثم مفاجأتها بتلك الأصناف المتنوعة من الطعام مما يحدث أضرارا بالغة بالصحة وهذا منهي عنه.

جـ - ترك سنة النبي ﷺ في الإفطار على التمر أو الرطب أو الماء، وهذا له من الفوائد الشرعية والصحية الكثير.

---

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

قال ابن العربي - رحمه الله تعالى - (كان النبي ﷺ يفطر قبل أن يصلي على شيء يسير لا يشغله عن الصلاة، وفيه ثلاث فوائد: تعجيل الإفطار، وتفريغ البال للصلاة، وفصل ما بين زمن العبادة والعبادة)[١].

٤٠- ومن الأخطاء كذلك ترى من يضيع ليالي رمضان بالجلوس أمام التلفاز أو الدش - وما أدراك ما الدش؟! الساعات الطوال، أو يقضي الليل في اللهو والنوادر والألغاز ولعب الورق (البالوت) والسمر والزمر والطبل، والطرب والمجون، والدخان والشيشة والتسكع في الطرقات إلى غير ذلك من الموبقات التي تفوت عليه الخير الكثير، وهذا كله خطأ عظيم وفعل قبيح فعلى المسلم أن يحافظ على أوقاته لأنه مسؤول عنها، ففي النهار ينبغي أن يكون له ورد من القرآن لأننا في شهر القرآن، وفي الليل ينبغي أن يكون له قسط من القيام لأننا في شهر القيام، ولله در من قال:

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة ... تلهيك فيه من القبيح فنونه
واعلم بأنك لا تنال قبوله ... حتى تصوم نهاره وليله تصونه[٢]

---

(١) انظر تحفة الأحوذي (٣/ ٢١٥، ٢١٦).

(٢) قلت: لفظة (وليله) زيادة من عندي ليست في أصل البيت.

٤١- ومن الأخطاء أن بعض الصائمين يفوت صلاة العشاء نتيجة للتخمة التي قد أصيب بها من جراء إسرافه في الإفطار وهذا خطأ عظيم فعلى الصائم أن لا يترك لنفسه العنان حتى لا يفوته الخير الكثير في هذا الشهر الكريم، فإن شهر رمضان شهر عبادة وتبتل وخشوع، لا شهر تسمين وبلادة وفتور. قال بعض السلف (من أكل كثيرا نام كثيرا ومن نام كثيرا فاته خيرا كثيرا).

٤٢- ومن الأخطاء كذلك تجد بعض الناس يفوت صلاة العشاء مع الجماعة الأولى من أجل إدراك إمام معين اعتاد أن يصلي معه التراويح كل ليلة من ليالي رمضان وذلك لحسن تلاوته وعزوبة صوته.

وهذا من تلبيس إبليس اللعين على المسلم، ومن مداخله عليه، حيث أن الشيطان صرفه عن المحافظة على أداء الواجب إلى المحافظة على أداء النفل.

أقول: ولا ينكر على من ترك مسجدا قريبا وذهب إلى مسجد آخر بعيدا طلبا لحسن الصوت وحسن التلاوة والأداء من الإمام إذا كان ذلك يعينه على الخشوع في صلاته، ويطمئن قلبه ويجمع عليه عقله، فلا بأس في ذلك بل يشكر على هذا ولكن شريطة ألا يقع في الخطأ الذي أسلفنا ذكره.

٤٣- ومن الأخطاء: ظاهرة وجود جماعتين في مسجد واحد، الأولى تصلي التراويح والثانية تصلي الفريضة وهذا خطأ فلا يشرع وجود جماعتين في مسجد واحد، بل على الجماعة المتخلفة (التي تصلي الفريضة) تدخل مع الإمام الراتب (الذي يصلي التراويح) وبعد انتهاء الإمام تقوم وتنهض وتكمل صلاتها فهي لهم فريضة وللإمام تراويح، في أصح قولي العلماء[١]. والله أعلم.

٤٤- ومن الأخطاء: تجد بعض أئمة المساجد - هدانا الله وإياهم - يؤدون صلاة التراويح بعجلة وسرعة مفرطة، لا تمكن من الإتيان ببعض الواجبات والأركان، والصلاة على هذه الحالة باطلة وصاحبها آثم، وقد قال ﷺ في حديث المسيء صلاته المشهور، لما شاهد من سرعته وعدم اطمئنانه في الصلاة: (ارجع فصل فإنك لم تصل)[٢] أي أن صلاتك باطلة غير مجزئة لك وذلك لعدم الاطمئنان فيها والإتيان بأركانها.

والأدهى والأمر ما تجده من بعض المصلين من عدم الصبر مع الإمام الذي يخشع في صلاته، وصلاتهم خلف الأئمة المتعجلين في الصلاة المستخفين فيها والسكوت عنهم وعدم مناصحتهم

(١) انظر كتاب (الجواب الصحيح من أحكام صلاة التراويح) للإمام الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

والرفع عنهم إذا لم ينزجروا لأن الصلاة خلفهم إقرار لهم على منكرهم وباطلهم.

٤٥- ومن الأخطاء: تفريط البعض في صلاة التراويح جماعة وبعض الناس يكتفي ببعض الركعات ثم ينصرف من قبل أن ينتهي الإمام وهذا خطأ فهو بذلك قد فاته الخير الكثير، والفضل العظيم، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)[٢]. وصلاة التراويح ليست سنة فحسب بل هي سنة مؤكدة لهذا الحديث وغيره من الأدلة التي تبين ذلك، وقد كان ﷺ صلاها بأصحابه عدة ليال ثم خاف أن تفرض عليهم فتركها ولكن رغبهم في صلاتها، فكان الرجل يصليها وحده ويصلي الاثنان جمعا ويصلي الثلاثة جماعة[٣].

٤٦- ومن الأخطاء توهم بعض العامة أن القيام يقتضي إحياء كل الليل بالعبادة وهذا توهم خاطىء غير صحيح ولا سند له من كتاب ولا سنة، وإنما يكون قيام الليل في رمضان بصلاة التراويح

---

(١) حديث صحيح قد تقدم.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

(٣) فتاوى الصيام للعلامة ابن جبرين (ص ١٣٥).

من أول الليل، ويكون بصلاة ركعات من جوف الليل تهجدا أو بصلاة ركعات من آخر الليل عند السحر تهجدا فمن فعل ذلك في كل ليلة من ليالي رمضان فقد قام رمضان واستحق أن يغفر له الله ما تقدم من ذنبه إذا كان ممن قام ذلك إيمانا واحتسابا، ووقت الصلاة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر. والله أعلم.

٤٧- ومن الأخطاء توهم بعض الناس أن القيام لا يكون إلا في رمضان فقط، وهذا خطأ فقيام الليل بالصلاة والتهجد سنة وفضيلة وليس خاصا في رمضان بل في جميع أيام السنة، ولكن يزاد فضله في رمضان لشرف الزمان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ أوصاه بفعل ثلاثة أشياء لا يدعهم فذكر منهم (الوتر) أي قيام الليل، وهذا في رمضان وغيره والله أعلم.

٤٨- ومن الأخطاء اعتقاد بعض الناس أن صلاة التراويح عددا معينا وأن الزيادة عليه أو النقص منه لا يجوز بل بدعة وهذا خطأ، فالأمر واسع ولله الحمد فيجوز أي عدد (١١، ١٣، ٢٣، ٣١،...) وهذا كله وارد عن السلف(١). ولكن الأفضل والأكمل (١١)، (١٣) مع إطالة الركوع والسجود والقراءة بما لا يشق على من وراءه لكون ذلك هو الموافق لفعل النبي ﷺ في غالب أحواله(٢).

---

(١) انظر فتح الباري (٤/٢٥٣، ٢٥٤).

(٢) قلت: ولشيخنا مصطفى العدوي حفظه الله بحث غاية في الحسن في بيان عدد ركعات قيام الليل، وقد أحسن فيه شيخنا وأجاد وأفاد فجزاه الله خيرا فعليك به يا طالب الحق. فإن فيه بغيتك.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة: يصلي أربعة فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا)[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كانت صلاة النبي ﷺ ثلاثة عشرة ركعة، يعني بالليل..)[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (.. فيكون تكثير الركعات أو تقليلها بحسب طول القيام أو قصره..) وقال: (الأفضل يختلف باختلاف المصلين، فإن كان فيهم احتمال لطول القيام بعشر ركعات وثلاث بعدها كما كان النبي ﷺ يصلي لنفسه في رمضان وغيره فهو الأفضل، وإن كانوا لا يتحملون فالقيام بعشرين هو الأفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين)[٣] .أ. هـ.

٤٩- ومن الأخطاء: جهل بعض الناس بفضل صلاة التراويح فتجده غير منتظم في أدائها وهذا خطأ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣/٣٣) ومسلم (٧٣٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢/٤٦)، ومسلم (٢/١٧٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣/١١٣).

قـال: سمعت رسـول الله ﷺ يقـول عـن رمضـان (مـن قامـه إيمانـا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)(١).

٥٠- ومـن الأخطـاء فـهم بعـض النـاس أن صـلاة الـتراويح لا تشـرع للنساء، وهذا خطأ، بل يشرع للنساء حضورها في جماعة المسجد كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: (.. فلما كانت الليلة الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قال: قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور.)(٢).

ولكن لابد لنا هنا من كلمة للنساء:

لا بأس بحضور النساء صلاة التراويح في المسجد بشرط أمن الفتنة، وأن يخرجن لها متسترات متحجبات غير متبرجات متزينات ولا متطيبات، يؤدين الصلاة بخشوع وخضوع متعبدات عن فضول الكلام والغيبة والنميمة والحديث في أمور بيوتهن مما ينبغي أن تنزه عنه بيوت الله، والله يوفق الجميع.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤/٢٤٨)، النسائي (٣/٢٠٢) والترمذي (٣/١٦٩) وابن ماجة (١٣٢١) والبغوي شرح السنة (٤/١٢٤)، وابن أبي شيبة (٢/٣٩٤) وابن خزيمة (٣/٣٣٧) وابن حبان (٤/١٠٩) والبيهقي (٦/٤٤٨) وصححه الشيخ الوادعي وقال على شرط مسلم، وصححه العلامة الألباني في صلاة التراويح (١٥).

٥١- ومن الأخطاء: متابعة بعض المصلين قراءة الإمام حال صلاته عن طريق حمل المصحف وهذا خطأ حيث لا يوجد دليل على ذلك، والأصل في المأموم أن يكون خاشعا في صلاته لقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [سورة المؤمنون:الآيتان ١-٢]. وكذلك فإن المأموم مأمور بالإنصات والتدبر عند سماع القرآن لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤ ﴾ [سورة الأعراف:الآية ٢٠٤].

هذا فضلا لما في هذا العمل من الأخطاء في الصلاة منها:

١- كثرة الحركة في الصلاة، وهذا ينافي الخشوع والطمأنينة في الصلاة.

٢- عدم رفع اليدين في التكبير وهذا مخالف للسنة.

٣- انشغال اليدين بحمل المصحف، والسنة وضع اليد اليمنى على اليسرى فوق الصدر.

٤- النظر في المصحف، ينافي ما كان يفعله ﷺ في الصلاة، كان ﷺ إذا صلى طأطأ رأسه ورمى بصره نحو الأرض ﷺ.

ولكن هناك حالة يمكن فيها للمأموم أن يحمل فيها المصحف وذلك إذا كلف الإمام أحد المؤمومين بأن يحمل معه المصحف ليتابعه إذا أخطأ إذا كان الإمام لا يضبط القراءة[1].

(١) فقه العبادات للعلامة ابن عثيمين (٢٠٧).

٥٢- ومن الأخطاء: السهر بالليل طوال أيام شهر رمضان، وهذا خطأ لأنه مخالف لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ ﴾ [سورة النبأ: الآيتان ٩-١٠]. وهذا السهر قد يؤدي بالبعض إلى أن يفوت صلاة الفجر وهذا خطأ عظيم.

ويا ليت شعري بأن يكون هذا السهر في عبادة الله كأن يكون هناك قيام ليل أو تلاوة القرآن أو صلة الأرحام أو عيادة المريض أو أي أمر من أمور الخير، لكن الأمر على خلاف ذلك تماما والله المستعان.

٥٣- ومن الأخطاء: تجد بعض الناس يتفنون في إضاعة وقت ليل رمضان بصور شتى منها:

١- اجتماع البعض على ما ينافي الشرع كلعب البلوت والمسير والقمار والنرد وشرب الدخان وغيره من المخدرات والمسكرات وهذا خطأ واضح وجرم فادح.

٢- التجمعات الشبابية على الأرصفة في الشوارع حتى قبيل السحور.

٣- الدوران في الشوارع بالسيارات.

٤- التجمعات حول التلفاز أو الفضائيات وما أدراك ما الفضائيات وإن شئت قل الإباحيات والفضاحيات إنه الشر المستطير والعدو اللئيم.

٥- كثرة الخروج إلى الأسواق لحاجة وبدون حاجة، وخصوصا من النساء - هداهن الله - مما يحدث من جراء ذلك المفاسد العظيمة والأضرار الجسيمة، مما تغضب الرب جل وعلا، وتوجب نقمته وعذابه، قال ﷺ : (أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)[1] .

٥٤- ومن الأخطاء العظيمة والأضرار القاتلة جلوس كثير من الناس - إلا من رحم الله - في أغلب الليالي في رمضان - إن لم يكن كلها - عند ما يسمونه بـ (الفوازير) ذاك الشر المستطير، وهذه متنوعة، فهناك فوازير بالصحف والمجلات أو الإذاعة أو التلفاز أو الفضائيات (الفضاحيات) والأخيرة من أخطرها، وهذا خطأ عظيم لما تحمله في طياتها من المعاصي والذنوب منها:

١- الغناء والطرب والموسيقى والمجون، وهذا محرم.

٢- الاختلاط بين النساء والرجال اختلاط سافر يخدش الحياء ويجرح المشاعر، ويحث على الرذيلة ويبغض إلى النفس الفضيلة وهذا محرم.

٣- الاستهزاء بدين الله تعالى وجرح مشاعر المسلمين وهذا محرم.

٤- التبرج والسفور، وهذا محرم.

---

(١) صحيح: رواه مسلم.

٥- سماع الألفاظ القبيحة ، ومشاهدة المناظر الخليعة التي تثير الشهوات الكامنة وتزيد من ثورتها ، وفورانها وشدة تهيجها وهذا محرَّم.

٦- غرس عادات الكفار والمشركين بين أبناءنا ونساءنا وهذا محرَّم.

٧- اكتساب بعض العادات من الكفرة والمشركين مما يؤدي إلى التشبه بهم في اللباس والزينة وغير ذلك وهذا محرَّم.

وقل ذلك على الأفلام والمسلسلات والمسرحيات ، وأعجب من هذا كله ما يسمونه بالمسلسلات الدينية ، والدين من فعلهم وقولهم بريء والله المستعان.

٥٥- ومن الأخطاء يمر على بعض الناس ـ وللأسف ـ شهر رمضان كله ولم يقرأ أية واحدة من كتاب الله ! أو إذا قرأ قرآن قرأ جزء يسير جداً ، وإذا قرأ قرأه على عجل من غير ترتيل ولا تدبر لآياته ، وهذا كله خطأ فعلى الصائم أن يقرأ القرآن بترتيل وتدبر لآياته ويختمه في هذا الشهر مرة أو مرتين أو ثلاث على حسب حاله واجتهاده ونشاطه.

قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [سورة المزمل:الآية ٤].

وقال تعالى: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة ص:الآية ٢٩].

وقال ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[١] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري.

فالواجب على المسلم عدم هجر القرآن بالكلية، خصوصاً في هذا الشهر كيف لا، وهذا هو شهر القرآن قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥]. وقد جاءت أحاديث كثيرة صحيحة وثابتة عن النبي ﷺ توصي بكتاب الله عز وجل، ولقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم إذا دخل رمضان تركوا مجالس العلم وأقبلوا على تلاوة القرآن الكريم.

٥٦- ومن الأخطاء ما يصيب البعض بالفتور في قراءة القرآن عند قرب انتهاء شهر رمضان فنجد بعض الصائمين يتلو الآيات في أول الشهر في كل وقت ثم يفتر في وسطه ثم يكاد يتركه في آخره، وهذا خطأ فعلى المسلم أن تكون همته في آخر الشهر كما كانت أول الشهر، لأن تعطير الأفواه بذكر الله وقراءة القرآن نعمة عظيمة ومنحة من الرحمن جليلة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا حسد إلا في اثنتين، رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه أناء الليل وأناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما عمل..)[١].

٥٧- ومن الأخطاء تعجيل السحور وتأخير الإفطار أو عدم السحور البتة أو الاكتفاء بأكلة في منتصف الليل، وهذا كله مخالف لهديه

(١) صحيح: رواه البخاري.

ﷺ، فمن المستحب أن يتسحر الصائم قبل طلوع الفجر لقول النبي ﷺ: (ثلاث من أخلاق النبوة، تعجيل الفطر، وتأخير السحور، ووضع اليمنى على الشمال في الصلاة)[١].

ولهذا كان أصحاب رسول الله ﷺ أعجل الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً[٢].

وكذلك السحور فيه مخالفة لأهل الكتاب الذين أمرنا بمخالفتهم في كل شيء، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكله السحور)[٣].

تنبيه: وليس معنى هذا أن الذي لا يتسحر صيامه غير صحيح، بل صيامه صحيح إن شاء الله لأن السحور ليس شرطاً في صحة الصوم، والله أعلم.

٥٨- ومن الأخطاء: اعتقاد بعض الصائمين أن من تسحر ونوى الصيام ثم عرض له أن يأكل أو يشرب أو يتناول دواء أو غير ذلك مما يحل له، فيظن أن ليس له فعل شيء من ذلك، وهذا خطأ، بل له ذلك ما لم يطلع الفجر، لأن الصوم الشرعي لا

---

(١) حديث تقدم وتقدم الحكم عليه.

(٢) حديث تقدم وتقدم الحكم عليه.

(٣) حديث تقدم وتقدم الحكم عليه.

يحسب إلا من عند طلوع الفجر الصادق، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧].

وليس نية ترك الطعام وغيره وعقد الصوم قبل الفجر يحرم الأكل والشرب لمن أراد ذلك ما لم يطلع الفجر، والله أعلم.

٥٩- ومن الأخطاء التوسع في الأكل والشرب ولو بعد الأذان الثاني (الفجر الصادق) ولربما قالوا، كل واشرب ما لم يقل المؤذن (حي على الصلاة) بعضهم يتوسع فيقول: كل واشرب ما لم يخرجوا من المسجد، وبعضهم يتسحر ثم إذا سمع المؤذن لصلاة الفجر قام فشرب ماء، وهذا كله خطأ فادح، فلا يجوز الأكل والشرب بعد التأكد من دخول الوقت (أي وقت الفجر) بل يجب الإمساك على الفور، فكما أن الصائم يفطر بمجرد غروب الشمس فإنه يمسك بمجرد طلوع الفجر، ومن فعل ذلك فصومه باطل وعليه القضاء. والله أعلم.

٦٠- ومن الأخطاء: إنكار بعض العوام على الصائم حين يسمع النداء والإناء في يده يأكل منه أو يشرب، وحجتهم أن المؤذن ينادي وهذا خطأ، وذلك لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: «إذا سمع أحدكم النداء والإناء في يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه»[١].

٦١- ومن الأخطاء: الإسراف في أكلة السحور فيملأ الصائم بطنه بالطعام وهذا خطأ بل يأكل بمقدار (فإن ما ملأ آدمي وعاء شر من بطنه..)[٢]. ومتى شبع الصائم وقت السحور اعتراه الكسل والفتور، وربما نام عن صلاة الفجر، وهنا تكون قاصمة الظهر، فعليه أن لا يكثر من السحور، وأفضل السحور التمر أو يجعل في سحوره تمراً، قال رسول الله ﷺ: «نعم سحور المؤمن التمر»[٣].

٦٢- ومن الأخطاء: ما يفعله بعض المؤذنين في تقديم وقت آذان الفجر احتياطاً للعبادة بزعمهم، وهذا خطأ فادح، فلربما سمعت امرأة أو مريض الآذان فصلى الفجر قبل دخول الوقت ـ سبحان الله ـ يحتاطون للصيام بزعمهم الفاسد ورأيهم الكاسد، ولا يحتاطون للصلاة التي لو كبرَّ الإنسان تكبيرة الإحرام قبل دخول الوقت لبطلت.

---

(١) حديث تقدم وسبق الحكم عليه.

(٢) حديث تقدم وسبق الحكم عليه.

(٣) حديث تقدم وسبق الحكم عليه.

وهذا الحديث وغير يرد على أمثال هؤلاء: (.. وكان المؤذن يؤذن إذا بزغ الفجر...)(١) ، أي إذا دخل الفجر، وحديث: (.. وكان ابن أم مكتوم رجل أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت)(٢) . أي دخلت في وقت الصبح.

وكذلك التكبير في أذان الفجر قبل دخول وقته يوقع الصائمين في حرج فمجرد سماع الأذان يمسك الصائم، ولا يدري أنه مازال هناك وقت.

فعلى المؤذن أن يتقي الله تعالى حتى لا يعرض غيره للحرج ونفسه للإثم، قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾ [سورة النحل:الآية ٢٥].

وعلى المؤذن كذلك أن يجتهد في تحري دخول الوقت حتى لا يقع في الخطأ ويوقع غيره، قال صلى الله عليه وسلم: (الإمام ضامن المؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين)(٣) .

٦٣- ومن الأخطاء: أن بعض الناس يفطرون في رمضان لعذر شرعي، وهذا بداية ليس خطأ، لكن الخطأ أنهم لا يستترون عن أعين الناس عند تعاطيهم شيئاً من تلك المفطرات، والمطلوب

(١) حديث تقدم وسبق الحكم عليه.

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٣) صحيح: انظر صحيح سنن الترمذي.

إخفاء ذلك حتى لا يتهموا ويساء الظن بهم من قبل من يراهم ولا يعرف عذرهم.

٦٤- ومن الأخطاء: عدم تعويد الصبيان والفتيان صغيري السن على الصيام والمستحب تعويدهم على الصيام قبل البلوغ فيؤمرون به للتمرين عليه خاصة إذا أطاقوه، لما ورد عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنهما، قالت: فكنا نصوم صبيانا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار[1].

٦٥- ومن الأخطاء كذلك إصرار بعض المرضى على الصيام مع وجود المشقة، وهذا خطأ، فالحق سبحانه وتعالى قد رفع الحرج عن الناس ورُخص للمريض أن يفطر ويقضي بعد ذلك، قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥].

ولا شك أن هذا الذي يصر على الصيام مع المشقة للمرض الذي أصابه أنه يريد الخير ويحرص عليه، ولكن قد جعل الله له من أمره متسعاً ورخص له فليقبل رخصة الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب

(١) صحيح رواه البخاري (٤/٢٠٠) ومسلم (١١٣٦). ومعنى العهن: أي الصوف ونحوه.

أن تؤتي رخصة كما يكره أن تؤتي معصيته) وفي رواية (كما يحب أن تؤتي عزائمه)[١].

٦٦- ومن الأخطاء تحرج من أكل أو شرب ناسياً، وتجد هنا من يلزمه القضاء وهذا خطأ، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة:الآيـة ٢٨٦]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه)[٢]. إذا فصومه صحيح لما تقدم وليس عليه قضاء والله أعلم.

٦٧- ومن الأخطاء تحرج البعض من استعمال السواك في نهار رمضان ظناً منه أن ذلك يفطره ويبطل صومه، وهذا خطأ، قال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[٣] قال الإمام البخاري رحمه الله «ولم يخص النبي ﷺ الصائم من غيره» وقال العلّامة ابن عثيمين ـ حفظه الله ـ «لا يفطر الصائم بالسواك بل هو سنة له ولغيره في كل وقت في أول النهار وآخره» أ. هـ. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه استعمل السواك في رمضان فعن

---

(١) حديث قد تقدم وسبق الحكم عليه.

(٢) حديث قد تقدم وسبق الحكم عليه.

(٣) حديث قد تقدم وسبق الحكم عليه.

عامر بن ربيعة قال: «رأيت رسول الله ﷺ ما لا أحصى يتسوك وهو صائم»[١].

٦٨- ومن الأخطاء تحرج بعض الناس عندما يصبح جنبا سواء من جماع أو احتلام فيظن أن صومه باطل وعليه القضاء، وربما أفتاه أحد الجهلة بذلك، وهذا خطأ والصحيح أن صومه صحيح ولا قضاء عليه، فقد كان النبي ﷺ يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم[٢].

ويقول سماحة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ الاحتلام لا يبطل الصوم لأنه ليس باختيار الصائم وعليه أن يغتسل غسل الجنابة إذا رأى الماء)أ. هـ[٣].

٦٩- ومن الأخطاء اعتقاد البعض أن وضع الحناء أثناء الصوم يبطل الصوم ويفطر من فعل ذلك هذا خطأ قال الشيخ ابن عثيمين حفظه الله: (هذا أيضاً لا صحة له، فإن وضع الحناء أثناء الصيام لا يفطر ولا يؤثر على الصائم شيئاً كالكحل وكقطرة الأذن وكالقطرة في العين فإن ذلك كله لا يضير الصائم ولا يفطره)[٤].

---

(١) حسن: وقد تقدم.

(٢) تقدم ذلك من حديث عائشة وأم سلمة في أكثر من موضع.

(٣) فتاوى مهمة تتعلق بالصيام للعلامة ابن باز.

(٤) فتاوى ابن عثيمين (١/٥٠٣).

٧٠- ومن الأخطاء اعتقاد البعض وتحرجهم - وخصوصاً النساء - أن تذوق الطعام يفسد الصوم، وهذا خطأ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا بأس أن يذوق الخل والشيء ما لم يدخل حلقه وهو صائم[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في الاختيارات الفقهية (ص ١٠٨) وأما إذا ذاق طعاماً ولفظه أو وضع في فيه عسلاً ومجه فلا بأس به للحاجة كالمضمضة والاستنشاق.

وقال العلاّمة ابن جبرين - حفظه الله - لا بأس بتذوق الطعام للحاجة بأن يجعله على طرف لسانه ليعرف حلاوته وملوحته، وضدها ولكن لا يبتلع منه شيئاً بل يمجه أو يخرجه من فيه ولا يفسد بذلك صومه إن شاء الله)أ. هـ[٢].

٧١- ومن الأخطاء اعتقاد بعض المرضى أن الحقنة الشرجية تفطر، وهذا خطأ سئل سماحة الإمام ابن باز - رحمه الله - عن تلك الحقنة فقال: حكمها عدم الحرج من ذلك إذا احتاج إليها المريض في أصح قول العلماء، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية -

---

(١) تقدم ذلك.

(٢) فتاوى الصيام لابن جبرين.

رحمه الله ـ وجمع كثير من أهل العلم لعدم مشابهتها للأكل والشرب)أ. هـ[(١)].

٧٢- ومن الأخطاء أن هناك من يعيب على المسافر الفطر في رمضان، وهذا خطأ، فإن للمسافر في رمضان الفطر والصوم وهذا على حسب حالته. وقد بسطنا القول في هذه المسألة في أكثر من موضع ومن ثم فلا فائدة من الإعادة هنا والتكرار فارجع إليه إن شئت غير مأمور.

ولكن زيادة على ما تقدم نقول: إن أصحاب رسول الله ﷺ وهم أعلم الأمة بعد رسولها بمقصود الشرع وفهم معانيه ووعي نصوصه، وما المراد من تلك النصوص.

فإن تقرر ذلك فاعلم ـ وفقني الله وإياك إلى كل خير ـ أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يعيبوا بعضهم بعضاً الفطر في السفر حال الصيام وإليك بيان ذلك.

- عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: (كنا نسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم)[(٢)].

---

(١) فتاوى مهمة تتعلق بالصيام ص (٢٥).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣/٣٩٥) ومسلم (١١١٨).

- وعن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهم ـ قالا : (سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصوم الصائم ويفطر المفطر، ولا يعيب بعضهم على بعض)[١].
- وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أيضاً قال : (كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر، فلا يجد الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون أن وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن)[٢].

هذا ما تيسر جمعه في هذا الباب بفضل الله وعونه ومدده ولطفه، فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجنبنا الخطأ والزلل، وأن يرزقنا الفقه في الدين، وأن يجعلنا من الذين صاموا رمضان إيماناً وقاموا احتساباً، وأن يتقبل ذلك منا، وأن يغفر لنا خطأنا وعمدنا، وجدنا وهزلنا وسرنا وجهرنا وكل ذلك عندنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه ومولاه وهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح : رواه مسلم.

(٢) صحيح : رواه مسلم.

استراحة

● لستم أجل من فرعون.. ولا أنا أعظم حكمة من موسى

تنبأ إنسان - أي أدعى النبوة - فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة، فقال: أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب، قالوا رضينا، فأخرج حصاة معه، وطرحها في الماء فذابت، فقالوا: هذه حيلة، ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب.

فقال: لستم أجل من فرعون(١)، ولا أنا أعظم حكمة من موسى، ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعباناً، فضحك المأمون وأجازه.

● إنما يبعث إلى كل قوم مثلهم

تنبأ رجل في أيام المعتصم فلما حضر، فلما حضر بين يديه قال: أنت نبي؟ قال: نعم، قال: وإلى من بُعثت؟ قال: إليك، قال: أشهد

(١) قلت: أما من ناحية أن المأمون ومن معه ليسوا أجل من فرعون فهذا كذب بل هم أجل من ملىء الأرض من فرعون لأن المأمون آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله، والآخر كافر بكل شيء بل ادعى الألوهية من دون الله. ولكن هذا على سبيل النوادر لكن لابد من التنبيه.

أنك لسفيه أحمق، قال: إنما يبعث إلى كل قوم مثلهم، فضحك المعتصم وأمر له بشيء.

● أنا أول من آمن بك

تنبأ رجل في أيام المأمون وادعى أنه إبراهيم الخليل، فقال له المأمون، إن إبراهيم الخليل كانت له معجزات وبراهين، قال: وما براهينه، قال: أضرمت له نار، وألقي فيها فصارت بردا وسلاما عليه، ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها، فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك، قال: أريد واحدة أخف من هذه، قال: فبراهين موسى [عليه السلام]، قال: وما براهينه، قال: ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى، وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء، قال: وهذه علي أصعب من الأولى، قال: فبراهين عيسى [عليه السلام] قال: وما هي؟ قال: إحياء الموتى، قال: مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة، فقال: يحيى أنا أول من آمن بك!.

● إنما يعطي زوجته من لا يؤمن به

تنبأ رجل زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له : أنت نبي قال : نعم قال : فما الدليل على صحة نبوتك؟ قال : القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى : (إذا جاء نصر الله والفتح) (النصر : ١). وأنا اسمي نصر الله ، قال : فما معجزتك قال : ائتوني بامرأة عاقر أنكحها تحمل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بي.

فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى إعطه زوجتك حتى تبصر كرامته.

فقال الوزير أما أنا فأشهد أنه نبي الله وإنما يعطي زوجته من لا يؤمن به ، فضحك المتوكل وأطلقه.

● ما حصلت من السفينة إلا على الصارى

تنبأ رجل يسمى نوحا ، وكان له صديق نهاه فلم يقبل منه ، فأمر السلطان بقتله ، فصلب ، فمر به صديقه فقال له : يا نوح! ما حصلت من السفينة إلا على الصاري.

● فهل قال لا نبية بعدي!

وأتي بامرأة تنبأت في أيام المتوكل فقال لها: أنت نبية قالت: نعم، قال: أتؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قالت: نعم، قال: فإنه صلى الله عليه وسلم قال: (لا نبي بعدي) قالت: فهل قال لا نبية بعدي! فضحك المتوكل وأطلقها[١].

❁ ❁ ❁

(١) المستطرف في كل فن مستطرف.

البحر الزاخر في فضل واغتنام العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله الذي لم يزل بصفات الكمال متصفا، وبآثار ربوبيته وآلائه إلى عباده متعرفا، وأحاط علما بجميع الكائنات ما ظهر منها وما بطن.

فسبحانه من إله تفرد بالإيجاد والاختيار، وتنزه عن مشابهة الأغيار، وتوحد بالبقاء على ممر الزمان وتوالي الأعصار، الملك القهار العظيم الجبار العزيز الغفار، الذي يرحم من قصد جنابه، ويقرب أولياءه وأحبابه ويفتح للتوابين أبوابه، ليجبر الكسر، ويغني الفقير، ويغفر الأوزار، أحمده على جزيل فضله وإحسانه، وأشكره على سوابغ كرمه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وسلطانه، شهادة أدخرها ليوم لا تنفع فيه الأعذار.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار، نبي شرح الله له صدره ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذل والصغار على من خالف أمره، صلى الله عليه وعلى أصحابه البررة الأطهار المهاجرين والأنصار.

وبعد:

أخي الحبيب: هذه أيام شهر رمضان تتقلص ولياليه الشريفة تنقضي وتتخلص وقد أوشك على الرحيل، وتأهب للتوديع، فيا شهرنا تمهل.

هذه الأيام التي مضت وتلك الليالي التي انقضت، فهي شاهدة عليك بما عملته، وحافظة لك لما فيها أودعته، هي لأعمالك خزائن محصنة، ومستودعات محفوظة، وستكون في انتظارك يوم القيامة فهي شاهدة لك أو عليك ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ٣٠].

فيا أخي الكريم: زين هذه الأيام بصالح الأعمال وجميل الأقوال والأفعال، ولا تشينها بطالح الأعمال وقبيح الأقوال والأفعال، ينادي عليك ربك الجليل فيقول: (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)(١).

فيا عبد الله! هذا شهر رمضان قد زاد على النصف، فمن منا حاسب نفسه لله ونصف، من منا عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبني له فيها غرفا من فوقها غرف، ألا وإن شهرك قد أخذ في النقصان فزد أنت في العمل فكأنك به وقد انصرف، فكل شهر فعسى أن يكون لك منه خلف، وأما شهر رمضان فمن أين لك به من خلف؟!.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٥٧/١٩٩٤/٤) في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه وهو حديث قدسي طويل.

تنقص الشهر وا لهفاه وانهدما ... واختص بالفوز بالجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسرا ... مثلي فيا ويحه يا عظم ما حرما
من فاته الزرع في وقت البذار فما ... تراه يحصد إلا الهم والندما
طوبى لمن كانت التقوى بضاعته ... في شهره وبحبل الله معتصما

هذا هو الشهر وهذه هي نهايته، كم من مستقبل له لم يستكمله؟ وكم من مؤمل بالعود إليه لم يدركه؟ هلا تأملت الأجل ومسيره، وهلا تبينت خداع الأمل وغروره!.

فيا أخي المسلم: كنا بالأمس القريب نستقبل شهر رمضان، ونحن في غبطة وسرور، وفي لحظة وغفلة من أمرنا أنسلخ الشهر وشرع في الرحيل، وهكذا العمر سينقضي وينتهي الأجل، فيا ليت شعري ماذا قدمنا لهذا اليوم؟!.

التقي الفضيل بن عياض - رحمه الله - برجل، فسأله الفضيل وقال له: يا رجل! كم عمرك؟ فقال الرجل: عمري ستون سنة، فقال الفضيل: الله أكبر! منذ ستين سنة وأنت تسير إلى الله، يوشك أن تقترب.

فقال الرجل: (إنا لله وإنا إليه راجعون) قال الفضيل: يا رجل: أعلمت معناها؟ قال الرجل: نعم. علمت بأني لله عبد، وأني إليه سائر وبين يديه واقف، فقال الفضيل: من علم بأنه لله عبد، وأنه إليه سائر وبين يديه واقف، علم بأنه مسؤول، فليعد لكل سؤال جواب!.

قال الرجل: وما الحيلة؟ قال الفضيل: يسيرة، قال الرجل: دلني عليها يرحمك الله. قال الفضيل: يا هذا اتق الله فيما بقى، يغفر الله ما قد مضى، وما قد بقي.

أخي: فكأني بك وقد قصم الموت عراكك التي بها تمكنت، فأخرجك من دارك التي أحسنت عمارتها وسكنت، فتفكر في قبر تخلو فيه بما أسأت وأحسنت فيما كنت أسلفت، إلى أن تقوم للحساب على ما أسررت وأعلنت، فتزين بالتقى فطوبى لك إن تزينت، فلا أم حنون لك تقيك مما يلاقيك ولا والد شفيق يقدر أن يفديك، ولا ولد بار يقدر أن ينجيك، وقد ودعك الأهل وداع من لا يلتقي، وتصعد الروح من أسفل الجسد وترتقي، فماذا يكون مقالك؟! وكيف ينفعك مالك؟! إذا أوبقتك أعمالك! وأوردتك المهالك أقوالك وأفعالك! فحاسب نفسك يا مسكين قد قرب سؤالك.

أيها الأخ الكريم: إن كان في النفس زاجر، وإن كان في القلب واعظ، فقد بقيت بقية من أيام هذا الشهر، بقية وأي بقية! إنها العشر الأواخر من أيام هذا الشهر المبارك، والتي أقسم بها رب العالمين في محكم التنزيل، فقال جل من قائل سبحانه ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ ﴾ [سورة الفجر:الآيتان ١-٢]. وفي ذلك تنبيه على شرفها وعظيم بركتها، وحث للمخاطبين على اغتنامها، والتقرب إلى الله تعالى بما

شرع فيها من أنواع العبادات والطاعـات، وجليـل القربـات، فإن هـذه الليالي العشر أفضل ليالي السنة على الإطلاق[(١)] .

تلك العشر الأخيرة، التي فيـها الخيرات والأجـور الكثـيرة، تكمل فيها الفضـائل، وتتـم فيـها المفاخر، ويطلـع على عباده العظيـم القـادر، وينيلـهم الثواب الجزيـل والحظ الوافر، فيـها تزكـوا الأعمـال وتنال الآمال.

تلك العشر الأخيرة التي كـان يحتفي بـها النبي صلى الله عليه وسلم أيما احتفاء.

كان النبي صلى الله عليه وسلم في العشرين الأول مـن رمضـان يخلطها بصلاة ونوم فإذا دخلت العشر الأواخر شمـر وجـد وشـد المئزر هجر فراشه وأيقظ أهله.

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضـي الله عنـها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسـلم يخلـط العشـرين بصـلاة ونـوم، فإذا كان العشر - يعني الأخير - شمر وشد المئزر).

---

(١) فائدة: قال ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد (١/ ٥٧) (فإن قلت أي العشرين أفضل؟ عشر ذي الحجة أو العشر الأخير مـن رمضـان؟ قلـت: - أي ابن القيـم - فـالصواب فيـه أن يقال: ليالي العشر الأخير من رمضان أفضـل مـن ليـالي عشـر ذي الحجـة، وأيـام عشـر ذي الحجة أفضل مـن أيـام عشـر رمضـان وبـهذا التفضيـل يـزول الاشـتباه ويـدل عليـه أن ليـالي العشر من رمضان إنمـا فضلـت باعتبـار ليلـة القـدر، وهـي من الليالي (العشـر) وعشـر ذي الحجة إنما فضل باعتبار أيامه، إذ فيه يوم النحر ويوم عرفة ويوم التروية)أ. هـ.

أخي الكريم: ربما يكون هذا الشهر آخر شهر يصومه بعضنا، ولا يدري من السابق فينا من اللاحق، فالله الله في مضاعفة المثابرة والاجتهاد في زمن مبارك أدركنا وأدركناه، ونحن في وافر الصحة والعافية، فالحذر الحذر من التفريط في مثل هذه التجارة الرابحة، التي من حرمها فقد حرم خيرا كثيرا، ولن يضمن إدراك تلك الصفقة مرة أخرى.

فيا أخي الكـــريم: إن عشر رمضان قد نزلت ببركتها إليك، وأشرقت بفضلها وشرفها عليك، فتأهب لتلقيها بالعزم الصادق على الخير، واجعل همتك مصروفة إلى حراستها لا غير، فإنها عشر البركات الوافرة قد حفت، وبالكرامة الظاهرة إليك قد زفت، عشر تربح فيها بضائع العباد، وتغنم فيها عبادة الزهاد، وتستقيم فيها صفوف الجهاد، ويحسن فيها الاجتهاد، عشر فيها يعتق الأسير ويجبر بالفضل الكسير، وتكف بالتقى أكف التبذير وتحضر القلوب وينفع التحذير، ويستقيم فيها قدم العابد ويقل التعثير، ويقوى فيها الباعث إلى التوبة المثير.

عشر أقبلت على المقبولين بتكثير الأجور وعلى الصادقين بتوفير النور وعلى المتقين بالفرح والسرور، وعلى التائبين بتقويم الأمور، وعلى العامل بنصيبه موفور.

عشر يتم فيها الإسعاد والتكريم، ويتفضل بجزيل الإنعام الملك الكريم، ويصفد فيها كل شيطان رجيم، ويعافى فيها مريض الخطايا السقيم، إذا امتثل فيها بأمر طبيبه العليم.

عشر فيها تتوافر العطايا والمنح، ويتحصل فيها كل مأمول مقترح ويتم فيها للعابد الثواب والفرح، ويغفر للعاصي كل ما جنى واجترح، ويعاد فيها بالخير على كل من أصلح فيها وصلح.

عشر يعفو فيها عن عباده الرؤوف الرحيم، فاحفظه لعله يحلك جنات النعيم، ويقيك في القيامة هول الجحيم، إذا انزعجت القلوب من لهب الحميم.

فيا أخي الكريم: صحح في هذه الأيام الفروض والنوافل، واحترس من الغفلات القواتل، وتيقظ فيها قبل لحاق الأواخر بالأوائل، واعتذر إلى مولاك في هذه الأيام والليالي القلائل.

واحذر غيبة الناس فإنها تحبط الأجر، وجانب أكل الحرام فإنه سبب الطرد والهجر، وعظمك عشرك فإنها من عظيم الأمر، وانتظر فيها بحسن اليقظة لليلة القدر، فإنها عظيمة القدر فيا فوز من خشي فيها الرب!.

وإياك فيها وفضول النظر والكلام، واجتهد في الصلاة والقيام، فإذا سلم لك رمضان سلم لك جميع العام، واعلم أن مهور الحور العين بطول التهجد والقيام وهو حاصل في هذه العشر الحسان.

فيا قوم ألا خاطب في هذه العشر إلى الرحمن؟ ألا راغب فيما أعده الله للطائعين في الجنان؟ ألا طالب لما أخبر به من النعيم في الجنان؟ مع أنه قد قيل: ليس الخبر كالعيان.

مــن يــرد ملــك الجنـــان   فليـــدع عنـــه التـــوان
وليقـــم في ظلمـــه الليـــل   إلى نـــور القـــرآن
وليصـــل صومـــا بصـــوم   إن هـــذا العيـــش فـــان
إنمـــا العيـــش جـــوار   الله في دار الأمـــان

فيا أخي الحبيب: أين اللائذ بالجناب؟ أين الواقف على الباب؟ أين الباكي على ما جنا؟ أين المستغفر لأمر قد دنا؟ ألا رب فرح بما يؤتي قد خرج اسمه في الموتى، ألا رب غافل عن تدبر أمره، قد انفصمت عرى عمره، ألا رب معرض عن سبيل رشده، قد آن أوان شق لحده، ألا رب رافل في ثوب شبابه قد أزف فراقه لأحبابه، أين من كان في مثل هذا العشر في منازله أما ظهر له الخسران عند حساب

معامله؟ أين المعتذر مما جناه؟ قد أطلع عليه مولاه؟ أين الباكي على تقصيره، قبل تحسره في مصيره؟.

تعالوا كل من حضرا لنطرق بابه سحرا
ونبكي كلنا أسفا على من بات قد هجرا

فيا عجبا من حال أقوام تمر عليهم تلك الليالي الفاضلة والأوقات المباركة وهم في غفلة عنها، لا يقيمون لها وزنا ولا يقدرون لها ثمنا، وهذا والله هو المغبون الذي فرط في خير كثير وكان بإمكانه أن ينال الكثير والكثير لو فطن لنفسه، فهذه العشر الفضائل فيها كثيرة، والمصالح فيها وافرة غزيرة فالسعيد من عمل وقبل، والشقي من طرد وخذل، والمحروم من حرم خير هذا الشهر.

أخي الطيب المبارك: أترضى يا مسكين أن تكتب أسماء من حولك في صحف الملائكة أنهم من المقبولين وتبقى أنت وحيدا فريدا محروما من تلك الغنيمة العظيمة التي فرطت في ثوابها وفضلها، وكانت منك قاب قوسين أو أدنى؟.

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر

فشمر يا عبد الله عن ساعد الجد، وجاهد نفسك على طاعة الله تعالى، وأطرها على فعل الخيرات، وترك المنكرات والملهيات، والبعد عن الشهوات والملذات:

تفنى اللذاذة ممن ذاق صفوتها ... من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

فيا أخي: احذر المعاصي فبئس المطلوب، وما أقبح أثرها في الوجوه والقلوب، فالمعاصي سواد في الوجه، وضيق في الصدر وقلة في الرزق، ووحشة من الخلق، وبعد عن الرب، وظلمة في القبر وحسرة وندامة يوم العرض.

فالله الله في نفسك فلا توردها الموارد ولا تعرضها للهلكة وأنت شاهد، وازجرها وقل لها:

يا نفس فاز الصالحون بالتقى ... وأبصروا الحق وقلبي قد عمي
يا حسنهم والليل قد أجنهم ... ونورهم يفوق نور الأنجم
ترنموا بالذكر في ليلهم ... فعيشهم قد طاب بالترنم
قلوبهم بالذكر قد تفرقت ... دموعهم كاللؤلؤ المنتظم
أسحارهم من نورهم قد أشرقت ... وخلع الغفران خير المقسم
ويحك يا نفس ألا تيقظ ... ينفع قبل أن تزل قدمي
مضى الزمان في توان وهوى ... فاستدركي ما قد بقي واغتنمي

أخي الكريم: ليكن لك في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في تلك الليالي العشر، ففي الصحيحين من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله)[١]. هذا لفظ البخاري، وعند مسلم: (أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر).

وعند مسلم عنها أيضا قالت: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لم يجتهد في غيره).

وكان النبي ﷺ يخص العشر الأواخر في رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر منها:

(١) **إحياء الليل**: المراد بذلك أن النبي ﷺ كان يحيي الليل كله بالعبادة أو إحياء غالبه.

(٢) **أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله للصلاة**؛ صح عن النبي ﷺ أنه كان يطرق الباب على فاطمة وعلي ليلا فيقول لهما: ألا تقومان فتصليان؟![٢].

وكان ﷺ يتجه إلى حجر نسائه أمرا فيقول: (أيقظوا صواحب الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة)[٣].

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه البخاري وأحمد.

(٣) صحيح: رواه البخاري ومالك.

وكان ﷺ يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يوتر.

وكان ﷺ لم يترك أحداً من أهل بيته صغيراً أو كبيراً يطيق الصلاة إلا وأيقظه، فعند الطبراني من حديث علي رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان، وكل صغير وكبير يطيق الصلاة.

وعند الترمذي من حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (لم يكن النبي ﷺ إذا بقي من رمضان عشرة أيام يدع أحداً من أهله يطيق القيام إلا قامه).

قلت: وهو بذلك ﷺ متمثلاً قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [سورة طه:الآية: ١٣٢].

فهذا بعض حال النبي ﷺ إذا أقبلت العشر الأواخر إحياء الليل بالقيام، وإيقاظ للأهل للصلاة وهو من هو؟! هو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بمن تلوث بالمعاصي والذنوب؟!.

أخي المسلم المبارك: هل أحييت ليلك بالقيام ونهارك بالصيام وتلاوة القرآن؟ هل أيقظت أهلك وأولادك في هذه الليالي المباركة ليالي العشر من رمضان؟!.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (رحم الله رجلا قام من الليل، فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)(١) وفي رواية: (فإن قاما من ليلتهما هذه كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات).

أم إنك أخي تركتهم أمام التلفاز جالسون، وعلى الدش عاكفون، وللأغاني يرددون، وعلى أنغام الموسيقى يرقصون، وفي اللهو غارقون!.

فاعلم يا عبد الله أنك عنهم مسؤول أمام الله يوم تذل بك القدم وتعلوك الحسرة ويعتريك الندم، حيث لا ينفع الندم ولات حين مناص.

ولقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم من أسرع الناس امتثالا واتباعا لهدي المصطفى ﷺ ففي الموطأ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة وهو يقول لهم: (الصلاة الصلاة) ويقرأ قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وابن خزيمة وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٤٩٤).

نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [سورة طه:الآية ١٣٢].

قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (أحب إلي إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك).

كانت امرأة حبيب أبي محمد الفارسي وكان مجاب الدعوة رحمهما الله تعالى ـ تقول له بالليل: قم يا حبيب! قد ذهب الليل، وبين أيدينا طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا:

يا نائما بالليل كم ترقد — قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وخذ من الليل وأوقاته — وردا إذا ما هجع الرقد

من نام حتى ينقضي ليله — لم يبلغ المترل أو يجهد

قل لذوي الألباب أهل التقى — قنطرة العرض لكم موعد

كان أبو ذر رضي الله عنه ـ يقول للناس: (أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرا، أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى، قال: فسفر القيامة أبعد، فخذوا له ما يصلحكم: حجوا حجة لعظائم الأمور وصوموا يوما شديدا حره لحر يوم النشور، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور، وتصدقوا بصدقة لشر يوم عسير).

فيا صاحب الذنب العظيم، والإثم الكبير، فالغنيمة الغنيمة في هذه الأيام الكريمة، فمن يعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة والمنحة الجسيمة.

يا من أعتقه مولاه من النار إياك أن تعود بعد أن صرت حرا إلى رق الأوزار، أيبعدك مولاك من النار وتقترب منها! وينقذك منها وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها!.

ماذا فات من فاته خير رمضان؟! وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان؟! كم بين من حظه فيه القبول والغفران، ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران؟!.

أخي الكريم: إحسان الظن ليس بالتمني، ولكن إحسان الظن بحسن العمل، إن هناك أناس قالوا: إننا نحسن الظن بالله، وقد كذبوا فلو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل، والرجاء في رحمة الله مع عصيانه ضرب من الحمق والخذلان، والخوف ليس بالبكاء ومسح الدموع، ولكن الخوف بترك ما يخاف منه العقوبة.

أخي المسلم: اعلم - رحمني الله وإياك - أن الأعمال بالخواتيم، فمن أصلح فيما بقي غفر له ما قد مضى، ومن أساء فيما بقى، أخذ بما قد بقى ومضى.

فها هي العشر الأواخر فرصة لتصلح ما قد أفسدته في العشرين الأول فيها ليلة هي خير من ألف شهر، وفيها يسن الاعتكاف والإكثار من الدعاء والذكر وطول القيام، والتهجد في جوف الليل وتلاوة القرآن والإنس بمناجاة الملك سبحانه وتقدس.

فقم يا أخي ودع عنك التواني والكسل فاز والله من كان بالله متصل

قم يا أخي إلى الله بقلب خاشع، وانتظم في سلك الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فما تراهم إلا بين ساجد وراكع.

تيقظ بساعات من الليل يا فتى لعلك تحظى بالجنان وحورها

فتنعم في دار يدوم نعيمها محمد فيها والخليل بدورها

قال تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الذاريات:الآيتان ١٧-١٨]. وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة السجدة:الآيتان ١٦-١٧]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة الفرقان:الآية ٦٤]. وقال ﷺ: (أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل)[1].

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)(١).

وعند أحمد في المسند من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله إلى السماء الدنيا ثم تفتح أبواب السماء حتى يطلع الفجر) وقال ﷺ: (من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار).

قال أبو الدرداء رضي الله عنه (صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبور)(٢).

وقيل للحسن البصري رحمه الله: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره(٣).

وقال كعب الأحبار: إن الملائكة ينظرون من السماء الدنيا إلى الذين يصلون بالليل في بيوتهم كما تنظرون إلى النجوم في السماء).

وجاء في الأثر أن الله سبحانه وتعالى قال لداود: (يا داود إن صلاة الليل نور على وجه صاحبها يوم القيامة).

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٦٤).

(٣) طبقات الشافعية (٤/٢٢٥).

سألت الربيع بن خثيم ـ رحمه الله ـ ابنة له قائلة : يا أبتاه الناس ينامون ولا أراك تنام؟ قال : يا بنية إن أباك يخاف السيئات[(١)] .

قم الليل يا هذا لعلك ترشد — إلى كم تنام الليل والعمر ينفذ
أراك بطول الليل ويحك نائما — وغيرك في محرابه يتهجد
أترقد يا مغرور والنار توقد — فلا حرها يطفى ولا الجمر يخمد
ألا إنها نار يقال لها لظى — فتظلم أحيانا وحينا توقد

قال أحمد بن حرب : عجبت لمن يعلم أن الجنة تزين فوقه ، والنار تضرم تحته كيف ينام[(٢)] .

يروى أن طاوسا ـ رحمه الله ـ جاء في السحر يطلب رجلا ، فقالوا : هو نائم ، قال : ما كنت أرى أحدا ينام في السحر[(٣)] .

فيا أخي الكريم : إن جوف الليل ملاذ الخائفين ، ولذة المتعبدين وأنس المستوحشين ، ونعيم الطائعين ، ومناجاة المحبين ، وخلوة العارفين ، ومطية السالكين ، وقرة عين المحسنين فجنوبهم عن المضاجع واجفة ، وقلوبهم من خشية الله خائفة ، ونفوسهم لرحمة الله طامعة وألسنتهم بالاستغفار والدعاء لاهجة ، سكبوا العبرات ، وتعالت منهم الآهات والأنات ، وكلما تذكروا الذنوب والزلات والسيئات ارتفعت

---

(١) الزهد للإمام أحمد (٤٦٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/٤٥٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/٤٢)، صفة الصفوة (١/٥٠٥).

منـهم الصيحـات، ورفعـوا أيديـهم إلى رب الأرض والسـموات وقالـوا: ﴿ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [سورة آل عمـران:الآيـة ١٩٣]. فكان الجواب من رب البريـات: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ [سـورة آل عمـران:الآيـة ١٩٥].

كان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جن الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول: (إنك لين، والله إن في الجنة لألـين منك، فيترك الفراش ولا يزال يصلي الليل كله)[١].

إذا ما الليل أظلـم كـابدوه فيسفر عنـهم وهـم ركـوع
أطار الخوف نومـهم فقـاموا وأهل الأمن في الدنيـا هجـوع
لهم تحت الظلام وهم سـجود أنـين منه تتفـرج الضـلوع

فيا أيها المذنب ـ وكلنا كذلك ـ لو قمت في هـذه الليـالي من الأسحار ووقفت على قدم الإنكسار، ورفعت رسائل الاعتـذار لربك الغفار مضمونها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ ﴾ [سورة يوسف:الآية ٨٨]. لبرز

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٤٢٠).

لك التوقيع عليها: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة يوسف:الآية ٩٢].

أشكو إلى الله كما قد شكى أولاد يعقوب إلى يوسف
يا رب قد مسني الضر وأنت الذي تعلم حالي وترى موقفي
بضاعتي المزجاة محتاجة إلى سماح من كريم وفى
فقد أتى المسكين مستمطر جودك فارحم ذلة واعطف
فأوف كيلي وتصدق علي هذا المقل البائس الأضعف

قال الحسن البصري: إن الرجل ليحرم قيام الليل بالذنب يصيبه.

وقال الفضيل بن عياض: إذا لم تقدر على صيام النهار وقيام الليل فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك.

فيا أخي الكريم: ما أبهاك وأحلاك إذا وقفت بين يدي مولاك وقلت:

يا رب عبدك قد أتاك وقد أساء وقد هفا
يكفيك منه حياؤه من شر ما قد أسلفا
حمل الذنوب على الذنوب الموبقات وأسرفا
وقد استجار بذيل عفـ ـوك من عقابك ملحفا
يا رب فاعف عنه وعافه فلأنت أولى من عفا

(٣) أن النبي ﷺ كان يشد المئزر في تلك العشر الأواخر:

وقد اختلفوا في معنى شد المئزر على قولين والراجح منهما ـ والله أعلم ـ أنه كناية على اعتزال النساء وذلك لتفرغه للعبادة والعكوف على طاعة الله وذكره ومناجاته سبحانه.

قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ (والصحيح أن المراد اعتزاله النساء، وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون منهم سفيان الثوري وقد ورد ذلك صريحا من حديث عائشة وأنس، وقد كان النبي ﷺ غالبا يعتكف العشر الأواخر، والمعتكف ممنوع من قربان النساء بالنص والإجماع)أ. هـ[(١)] .

(٤) تأخيره ﷺ للفطور إلى السحور: ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله؟ فقال: وأيكم مثلي إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)[(٢)] .

(٥) اغتساله ﷺ بين العشاءين:

ورد عن عائشة وعلي وحذيفة أنه ﷺ: (كان يغتسل بين العشاء بين كل ليلة) يعني في العشر الأواخر وقد ورد ذلك عن بعض السلف.

---

(١) بغية الإنسان (ص ٥٨).

(٢) لطائف المعارف (٢٧١)، ضياح لبن: أي اللبن الخاثر الممزوج بالماء.

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر، وكان النخعي يغتسل في العشر الأواخر كل ليلة.

ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر، فأمر ذر بن حبيش بالإغتسال ليلة سبع وعشرين من رمضان.

وروى عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه إذا كانت ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب ولبس حلة إزار ورداء، فإذا أصبح طواها فلم يلبسهما إلى مثلها من قبل.

(٦) الاعتكاف:

تعريف الاعتكاف:

والاعتكاف هو: لزوم المسجد للتفرغ لطاعة الله عز وجل.

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: (فمعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والإنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية)[1].

(١) لطائف المعارف (ص ٢٧٤).

حكمــه:

الاعتكاف مستحب باتفاق أهل العلم وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع وليس بواجب إلا أن يوجبه الإنسان على نفسه فيجب عليه الوفاء به.

وهو سنة مؤكدة في العشر الأواخر من رمضان.

أما الكتاب: فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧]. وأما السنة فالأدلة منها كثيرة منها:

(٦/١) عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: (كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان)(١).

(٦/٢) عن عائشة زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ: (كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه من بعده)(٢).

(٦/٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف في كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه)(٣)

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٧١) ومسلم (١١٧٧١) وزاد، قال نافع: وقد أراني عبد الله بن عمر المكان الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فيه في المسجد.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٧١) ومسلم (١١٧٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٧١) ومسلم (١١٧٢).

حكمته:

قال شيخ الإسلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفاً على جمعيته على الله ولمُّ شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القلب لا يلمّه إلا الإقبال على الله تعالى.

وكان فضول الطعام والشراب وفضول مخالطة الأنام وفضول الكلام وفضول المنام مما يزيده شعثاً ويشتته في كل واد ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه، اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم الإعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته فيستولي عليها بدلها ويصير الهم كله به) أ. هـ[1].

والإعتكاف عبادة جليلة يترتب عليها صفاء الروح ونقاء القلب وتزكية النفس لما فيه من الانقطاع عن شواغل الدنيا والإشتغال بتحصيل ثواب الآخرة، لهذا كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان كل عام.

---

(١) زاد المعاد (٢/٨٦).

والاعتكاف من السنن المهجورة التي قل العمل بها وغفل عنها كثير من الناس، قال الإمام الزهري ـ رحمه الله ـ: (عجبا للمسلمين! تركوا الاعتكاف مع أن النبي ﷺ ما تركه منذ قدم المدنية حتى قبضه الله ـ عز وجل ـ).

فبادر أخي المسلم إلى إحياء هذه السنة العظيمة وحث الناس عليها والترغيب فيها، وأبدأ بنفسك فإن الدنيا مراحل قليلة وأيام يسيرة، فتخلص من عوائق الدنيا وزخرفها وأنت في اعتكافك فلا تجعل هذا الخير العظيم يفوتك، واحرص عليه، واجعل لك أياما يسيره تتحرر فيها من المشاغل والأعمال وتتجه بقلبك وجوارحك إلى الله عز وجل في ذل وخضوع وانكسار ودموع لتلحق بركب المقبولين الفائزين.

شروطه:

أ - لا يشرع إلا في المساجد لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧]. أي لا تجامعوهن، وهو قول جمهور المفسرين[١].

قال الحافظ في الفتح: (ووجه الدلالة من الآية أنه لو صح في غير المسجد لم يختص تحريم المباشرة به، لأن الجماع مناف للاعتكاف بالإجماع، فعلم من ذكر المساجد أن المراد أن الاعتكاف لا يكون إلا فيها)[٢].

---

(١) انظر: زاد المسير (١/١٩٣).

(٢) فتح الباري (٤/٢٧٢).

ب - أن يكون في مسجد تقام فيه الجمعة (المسجد الجامع) لكي لا يضطر للخروج منه لصلاة الجمعة فإن الخروج لها واجب.

قالت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ : (والسُنة في المعتكف أن لا يخرج إلا لحاجته التي لابد منها، ولا يعود مريضاً، ولا يمس امرأته، ولا يجوز أن يباشرها، ولا اعتكاف إلا في مسجد جماعة والسُنة فيمن اعتكف أن يصوم)[1].

ج ـ والسُنة فيمن اعتكف أن يصوم كما تقدم عن عائشة رضي الله عنها[2].

ما يباح للمعتكف فعله

يباح للمعتكف أمور منها:

أ - الخروج من المسجد لحاجة، كقضاء الحاجة وغسل الجنابة والوضوء والأكل والشرب إذا لم يكن له من يأتيه بالأكل والشرب ويباح له تغسيل شعره وترجيله وخروج بعض بدنه كرأسه وما شابه ذلك.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «وإن كان رسول الله ﷺ ليُدخل عليَّ رأسه وهو معتكف في المسجد وأنا في حجرتي فأرجله» وفي

---

(١) أخرجه البيهقي بإسناد صحيح، وأبو داود بإسناد حسن.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٠٣٧) عن عائشة وروى معناه عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم (٨٠٣٣).

رواية «فأغسله» وإن بيني وبينه لعتبة الباب وأنا حائض وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان إذا كان معتكفاً[١]» .

ب - الوضوء في المسجد:

ويجوز للمعتكف أن يتوضأ في المسجد لقول رجلٍ خدم النبي ﷺ «توضأ النبي ﷺ في المسجد وضوءاً خفيفاً[٢]».

وعند أحمد من طريق أبي العالية عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «حفظت لك أن رسول الله ﷺ توضأ في المسجد[٣]» .

ج - يباح للمعتكف أن يتخذ له مكاناً في المسجد يضع فيه فراشه وسريره وخيمته.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان فكنت أضرب له خباء فيصلي الصبح يم يدخله[٤] .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية[٥]» .

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن أبي شيبة.

(٢) أخرجه البيهقي بسند جيد.

(٣) أخرجه أحمد (٥/٣٦٤) بسند صحيح.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٧٥)، ومسلم (١١٧٣).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢/٨٢٥) وابن ماجة (١٧٧٩).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ «أنه كان إذا اعتكف طرح له فراش أو يوضع له سرير وراء اسطوانة التوبة(١)» .

د - محادثة الرجل أهله في معتكفه.

يباح للمعتكف أن يحادث أهله حال اعتكافه فعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أن صفية زوج النبي ﷺ أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب ، فقام رسول الله ﷺ معها يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبي ﷺ «على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي». فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! وكبر عليهما(٢) .

فقال النبي ﷺ «إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا(٣)».

---

(١) أخرجه ابن ماجة والبيهقي وإسناده قريب من الحسن.

(٢) قلت: ومعنى كبر عليهما أي أن يشكا في رسول الله ويظنا به ظن السوء كما جاء في بعض الطرق (أنشك فيك يا رسول الله!).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٧٨) ومسلم (٢١٧٥).

قال الحافظ في الفتح (وفي الحديث من الفوائد جواز اشتغال المعتكف بالأمور المباحة من تشيع زائره والقيام معه والحديث مع غيره وإباحة خلوة المعتكف بالزوجة وزيارة المرأة للمعتكف)(١).

و ـ الأكل والشرب في المسجد.

يباح للمعتكف أن يأكل ويشرب في المسجد.

عن سليمان بن زياد الحضري أنه سمع عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي يقول: (كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ في المسجد الخبز واللحم)(٢).

● مبطلات الاعتكاف:

أ - الجمــاع:

لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧].

قال ابن المنذر ـ رحمه الله ـ في الإجماع: (وأجمعوا على أن من جامع امرأته وهو معتكف عامداً لذلك في فرجها أنه مفسد لاعتكافه)(٣).

---

(١) فتح الباري (٤/٢٨٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/١٩٠) وابن ماجة (٢/٢٤٠) رقم (٣٣٤٣) وقال البوصيري في الزوائد (٢/١٧٩) هـذا إسناد حسن، وصححه العلامة الألباني، والعلامة الوادعي في الصحيح المسند رقم (٥٥٧).

(٣) الإجماع (ص ٤٨).

ونقل الإجماع على ذلك ابن كثير والخطابي والنووي وابن قدامة وغيرهم، قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - (الأمر المتفق عليه عند العلماء أن المعتكف يحرم النساء ما دام معتكفا في مسجده ولو ذهب إلى منزله لحاجة لابد منها فلا يحل له أن ثبت فيه إلا بمقدار ما يفرغ من حاجته تلك من قضاء الغائط أو الأكل، وليس له أن يُقبِّل امرأته ولا أن يضمنها ولا يشتغل بشيء سوى اعتكافه ولا يعود مريضاً ولكن يسأل عنه وهو مار في طريقه)[١] .أ.هـ.

قال ابن المنذر في الإجماع: (وأجمعوا على أن المعتكف ممنوع من المباشرة)[٢] .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: (ثم المراد بالمباشرة إنما هو الجماع ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحو ذلك، فأما معاطاة الشيء ونحوه فلا بأس به، فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يدني إليّ رأسه فأرجله وأنا حائض وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان، قالت عائشة:

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٤).

(٢) الإجماع (ص ٤٨).

ولقد كـان المريـض يكـــون في البيـت فمـا أسـأل عنـه إلا وأنـا مارة)[١].

والصحيح والله أعلم: أن التقبيل والضم لا يبطل الاعتكاف ـ كما أنه لا يبطل الصيام ـ ولكن ينبغي على المعتكف أن يبتعد عن هذا كله، وأن ينشغل بطاعة الله وذكره والخلوة به وبما يقربه إلى الله وهذا هو مقصود الاعتكاف.

ب ـ الخروج لغير حاجة:

فإذا خرج المعتكف من المسجد لغير حاجة تدعو إلى ذلك مثل أن يخرج للبيع أو الشراء أو لزيارة أهله أو ما شابه ذلك فإن اعتكافه يبطل لحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ المتقدم (وكان رسول الله ﷺ لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان إذا كان معتكفا) متفق عليه ولأن الخروج لغير حاجة يناقض الاعتكاف وينافي مقصوده.

قال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ (واتفقوا على أن من خرج من معتكفه في المسجد لغير حاجة ولا ضرورة ولا برأ مر به أو ندب إليه فإن اعتكافه قد يبطل)[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٨).

(٢) مراتب الإجماع (ص٤١).

• قضـــاء الاعتكاف.

قد مر بنا بأن الاعتكاف ليس بواجب ولكنه مستحب باتفاق أهل العلم وأجمعوا على ذلـك، وعليـه فإن قضـاءه ليس بواجـب ولكـن مستحب أيضـاً فإن تقـرر ذلك فيستحب للمسـلم إذا كـان اعتـاد الإعتكـاف وحـدث لـه ظـرف أو مانــع مـن الموانـع حـال بينه وبين أن يعتكف في سنة ما فعليه أن يقضي هذا الاعتكـاف في العـام المقبل.

فعن أبي بن كعب أن النبي ﷺ «كان يعتكف العشـر الأواخـر من رمضان فلـم يعتكـف عامـاً فلمـا كـان مـن العـام المقبـل اعتكـف عشرين ليلة[1]».

قال الخطابي: (وفيــه من الفقـه أن النوافـل المعتـادة تقضـي إذا فاتت كما يقضي الفرائض، ومن هذا قضى رسول الله ﷺ بعـد

---

(١) صحيـح: رواه النسـائي في الكـبرى كمــا في تحفـة الأشـراف (١/ ٣٩)، وابــن ماجــة (١/ ٥٦٢)، وابن خزيمة (٢٢٢٥)، وابن حبان (٥/ ٢١٨) وأحمد (٥/ ١٤١)، وأبـو داود والطيالسي (٧٥، ٥٥٣) والضياء المقدسي (٤/ ٤٧/ ١٢٧٧) والحاكم (١/ ٤٣٩) والبيهقي (٤/ ٣١٤) وفي بعض الروايات (فسافر عاماً فلم يعتكف) وصححه الألباني والوادعي في الصحيح المسند رقم (٢) والحديث له شاهد من حديث أنس عند الترمذي وغيره مما سبق ذكرهم.

العصر الركعتين اللتين فاتتاه لقدوم الوفد واشتغاله بهم)[١].

● **كلمة وتوجيه، نصح وإرشاد.**

أخي المعتكف احرص على أن يكون اعتكافك في مسجد بعيد عن كثرة الناس والإزعاج، واختر أحد المساجد التي لا تعرف فيها أحد ولا يعرفك فيها أحد، فإن هذا أحرى للإخلاص وأفرغ لقلبك وذهنك من محادثة الناس وكثرة مجالستهم ومخالطتهم، وإن كنت ممن يعتكف في الحرمين الشريفين فتجنب التضييق على إخوانك المصلين وأفسح لهم المجال لأداء الصلوات ولا تكن ممن يرغب في أن يُظهر للمصلين اعتكافه حتى يسلموا عليه أو يفسحوا له!

وبعض المعتكفين ـ هدانا الله وإياهم ـ لا يصلي أحياناً التراويح أو القيام مع المصلين ويشوش عليهم برفع الصوت في أحاديث لا طائل من ورائها.

واعلم أخي المعتكف أن من أهم أهداف الإعتكاف تحري ليلة القدر، قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ (وإنما يعتكف النبي ﷺ في هذه

(١) عون المعبود (١٣٥/٧)، معالم السنن (١١٨/٢).

العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعا لاشغاله وتغريغا للياليه وتخليا لمناجاة ربه، وذكره ودعائه وكان يحتجر حصيرا يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم، ولهذا ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن، بل الأفضل له الإنفراد بنفسه والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه، وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية.. فالخلوة الشرعية لهذه الأمة هي الإعتكاف في المساجد وخصوصا في شهر رمضان وخصوصا في العشر الأواخر منه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله.

فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره وقطع على نفسه كل مشاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقي له هم سوى الله، وما يرضيه عنه كما كان داود الطائي يقول في ليله: همك عطل علي الهموم، وحالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني اللذات وحال بيني وبين الشهوات.

مالي شغل سواه مالي شغل يصرف عن قلبي هواه عذل
ما أصنع أجفان وخاب الأمل مني بدل ومنه مالي بدل)[1] **أ. هـ**

(١) لطائف المعارف (٢٧٣ - ٢٧٤).

والإعتكـاف مسـنون في أي وقـت، فللمسـلم أن يبتـديء الإعتكاف متى شاء وينهيه متـى شـاء إلا أن الأفضـل أن يعتكـف في رمضـان خاصة العشر الأواخر منـه، فـإذا صلـى فجـر يـوم الحـادي والعشرين من رمضان دخل المعتكف ويمكث في المسجد حتى خروجه إلى صلاة العيد وهـذا وقت انتهائه المستحب وهـذا أكمل الهدى لأن ذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

أخي المعتكف: احرص على الذكر والقراءة والصلاة والعبادة، وتجنب ما لا يعنيك من حديث الدنيا ولا بأس أن تتحدث بحديث مباح مع أهلك أو غيرهم لمصلحة، لحديـث صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ وقد تقدم.

أخي المعتكف: إن كان معك رفقة، فاختر الرفقة التي تعينك على الطاعة وتشد أزرك وتحرص على الخير واستغلال الأوقات وعمارتـها بالعبادة، وتجنب الذين تضيع أوقاتـهم في حديـث وكـلام لا فـائدة منه ولا طائل من وراءه.

وبعض المعتكفين إذا كانوا جماعة يظهر عليهم الجد في أول الأيام ثم يتراخون ويتكاسلون، وتراهم كثيرا ما تضيع أوقاتهم في أحاديث لا فائدة من ورائها ولا طائل منها، وقد ينجر الحديث إلى أمور محرمة من غيبة أو نميمة أو غير ذلك.

أخي المسلم: الاعتكاف سنة والمحافظة على بيتك وأبنائك ومن استرعاك الله عليهم من أهم الواجبات فإحذر أن تضيع الأهم وتفرط في أمر رعيتك، بل اجمع بين الأمرين إن أمكن، واحرص على ابتعادهم عن مواطن الفتن، ولا يكن اعتكافك فيه ضياع لحقوق واجبة عليك، وإن تيسر أن يصحبك أبناؤك في الاعتكاف فإن ذلك خير لما فيه من التربية لهم والراحة النفسية لك، والألفة بينكم، وتعويدهم على العبادة والطاعة وإن صعب الأمر عليهم فلا أقل من ليلة يعتكفون معك، ويفضل الليالي الوتر التي يرجى فيها ليلة القدر، وأجزل لهم العطية وشجعهم على ذلك.

أخي المسلم: مواسم الطاعة محطات إيمانية يتزود فيها المسافر إلى جنة عرضها السموات والأرض، فكن من العقلاء الفطناء الذين لا تفوتهم هذه الفرص وهذه المحطات إلا وقد نالوا من نفحات الرب وجزيل الأجر وعظيم المثوبة.

فاحرص على الاعتكاف بنية صادقة متبعا في ذلك هدي المصطفى ﷺ، وابتعد عن المباهاة والرياء، وحب المدح والثناء، وإياك ثم إياك والعجب بأعمالك فإنه مهلكة، واحرص على أن تكون أعمالك خالصة لله عز وجل قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [سورة البينة:الآية ٥]. وفي الحديث المشهور: (إنما

الأعمال بالنيات، وإنما لكل إمريء ما نوى)[1] الحديث. ومما يعينك على ذلك اختيار المسجد الذي لا تعرف فيه أحد ولا يعرفك فيه أحد، ولا حاجة لك أن تعلن اعتكافك على الملأ في يوم العيد أو بعده.

أقر الله عينك بالعبادة وجعلك من الفائزين المقبولين. آمين.

● مسألة. هل يجوز للمرأة الإعتكاف؟

هناك أدلة صحيحة ثابتة تفيد بأنه يجوز للمرأة أن تعتكف منها:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان فكنت أضرب له خباء فيصلي الصبح ثم يدخله فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء فأذنت لها، فضربت خباء فلما رأته زينب بنت جحش ضربت خباء آخر فلما أصبح النبي ﷺ رأى الأخبئة فقال ما هذا؟

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

فأخبر، فقال النبي ﷺ آلبر تردن بهن؟ فترك الاعتكاف ذلك الشهر ثم اعتكف عشرا من شوال)[١].

٢- عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ (أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه من بعده)[٢].

قال العلامة محدث العصر الألباني ـ قدس الله روحه ـ: (وفيه دليل على جواز اعتكاف النساء، ولا شك أن ذلك مقيد بإذن أوليائهن لذلك، وأمن الفتنة، والخلوة مع الرجال للأدلة الكثيرة في ذلك، والقاعدة الفقهية: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)[٣] أ.هـ.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/٣٧٥)، ومسلم (١١٧٣).

وقوله: (آلبر تردن) قال القاضي عياض: (قال صلى الله عليه وسلم: هذا الكلام إنكارا لفعلهن، وقد كان صلى الله عليه وسلم أذن لبعضهن في ذلك. قال: وسبب إنكاره أنه خاف أن يكن غير مخلصات في الاعتكاف، بل أردن القرب منه لغيرتهن عليه أو لغيرته عليهن، فكره ملازمتهن المسجد مع أنه يجمع الناس ويحضره الأعراب والمنافقون، وهن محتاجات إلى الخروج والدخول لما يعرض عليهن فيتبدلن بذلك، أو لأنه صلى الله عليه وسلم رآهن عنده في المسجد، وهو في المسجد فصار كأنه في منزله بحضوره مع أزواجه، وذهب المهم من مقصود الاعتكاف وهو التخلي عن الأزواج ومتعلقات الدنيا، وشبه ذلك، أو لأنهن ضيقن المسجد بأبنيتهن)أ.هـ.

(٢) صحيح: وقد تقدم قريبا.

(٣) انظر رسالة (قيام رمضان) للألباني.

٣- عن عائشة رضي الله عنها قالت: (اعتكف مع رسول الله ﷺ امرأة مستحاضة من أزواجه، فكانت ترى الحمرة والصفرة، فربما وضعنا الطست تحتها وهي تصلي)[1].

❁❁❁

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/ ٢٨١).

عظيم الأجر في فضل واغتنام ليلة القدر

الحمد لله الذي ملأ قلوب أحبته من محبته سرورا، وكسا وجوههم حين اشتغلوا بخدمته بهجة ونورا، وتوجههم بتيجان البهاء، وكتب لهم بالولاء منشورا، وهداهم إلى طريق معرفته، فداموا على خدمته وما غير تغييرا.

اطلع على سرائرهم، وتجلى على ضمائرهم، فصفى خلاصة جواهرهم وزادهم هدى وتبصيرا، وروق لهم الشراب، ورفع لهم الحجاب، وقال: مرحبا بالأحباب، لا تخشوا اليوم حزنا ولا تكديرا.

قد شربوا من شراب حبه كئوسا، واستجلوا من أنوار مشاهدته شموسا، وبرزت لهم الدنيا بزينتها عروسا فقالوا: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الإنسان:الآية ١٠].

ذلك يوم يا له من يوم، يحير من هوله كل قوم، ويطير من شدته من العيون النوم ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الإنسان:الآية ١١].

قد كابدوا قيام الليل وصيام النهار، ففازوا بجوار العزيز الغفار وتغشاهم الملائكة بالأنوار، في جنات تجري من تحتها الأنهار، تخدمهم الملائكة فيها مساء وبكورا ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الإنسان:الآية ١٩].

فسبحان من وثقت بعفوه هفوات المذنبين فوسعها، وعكف بكرمه آمال المحسنين فما قطع طمعها، وخرقت السبع الطباق دعوات التائبين والسائلين فسمعها، يجود على عبده بالنوال قبل السؤال ويعطي سائله ومؤمله فوق مع تعلقت به منهم الآمال، ويغفر لمن تاب إليه ولو بلغت ذنوبه عدد الأمواج والحصى والتراب والرمال، بابه الكريم مناخ الآمال ومحط الأوزار، وسماء عطاياه لا تقلع عن الغيث بل هي مدار، ويمينه ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار.

أحمده وأشكره على ما أولاه من الأنعام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام شهادة أرجو بها أن يجعل ذنبي مغفورا وعيبي مستورا.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للأنام، وداعيا إلى دار السلام، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، صاحب الحوض المورود واللواء المعقود والمقام المحمود، وصاحب الشفاعة العظمى يوم العرض على أحكم الحاكمين.

نبي جعله الله عبدا شكورا، وأعاد به ظلام الشرك مقهورا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

أخي الكريم: ما زلنا نسير بحول الله وقوته ومدده وطوله في بستان الرياض النضرة في ليالي الأيام العشرة.

فيا أخي: يا من سرت في قوافل التائبين، وتركت سبيل المذنبين يا من تلذذت بنعيم المناجاة، وأسكبت العبرات وتعالت منك الآهات والأنات اعلم - رحمني الله وإياك - أن في تلك الليالي الحسان ليلة أمرها عظيم، والخير فيها جزيل وعميم، وكفى وصفها في القرآن الكريم: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الدخان:الآية ٤].

فيها تقسم الآجال والأعمار، فيها يكتب الحجاج والعمار، كم جامع دينارا إلى دينار، وأكفافه عند القصار وهو يعمر الدنيا عمارة مقيم.

كم مؤمل أملا خاب، كم منقول على ذم وعاب، يا هذا! مضى زمان الشباب، يا من كبر سنه على الزلل وشاب، قد استشن الأديم.

يا سيء السر والعلن، يا جاريا على اقبح سنن، يا ناسيا لحاق من ظعن، يا سليما في الجسم والبدن لكنه سقيم.

أخي: إلى كم من البلايا، إلى متى تأمن الرزايا؟ أين الاستعداد للمنايا؟ اعتذر الليلة من الخطايا. فالمولى كريم.

أقبل بقلبك الليلة إليه، وقف بالخضوع والخشوع بين يديه، وتعلق بجوده وكرمه تعويلا عليه، وانكسر بالذل بين يديه، فإنه غفور رحيم.

مد أنامل الرجاء إلى بابه وأبكي بين يديه فهذا طريق أحبابه، وتعرض الليل لجزيل ثوابه، واحذر من سطوته وعقابه، فعقابه شديد أليم.

أخي: بين أيدينا يوم لا كالأيام، ينتبه فيه كل من غفل ونام، وتزفر جهنم على أهل الآثام، فيجثو الخليل والكليم.

فقم بنا إلى مطلوبنا، وقف بنا على باب محبوبنا، هلم نستغيث من ذنوبنا، لعله يهب على قلوبنا من العفو نسيم، ويكون لسان حالنا ومقالنا:

ببابك ربي قد أنخت ركائبي	ومالي من أرجوه يا خير واهب؟
فإن جدت بالفضل الذي أنت أهله	فيا نجح آمالي ونيل رغائبي
وإن أبعدتني عن حماك خطيئتي	فيا خيبة المسعى وضيعة جانبي
حرام على قلبي وإن شفه الضنا	يميل إلى مولى سواك وصاحب
فزعت إلى باب المهيمن ضارعا	مدلا أنادي باسمه غير هائب
فلم أخش حجابا ولم أخش منعة	ولو كان سؤلي فوق هام الكواكب
كريما يلبي عبده كلما دعا	نهارا وليلا في الدجى والغياهب
يقول له لبيك عبدي داعيا	وإن كنت خطاء كثير المعائب
فما ضاق عفوي عن جريمة خاطيء	وما أحد يرجوا نوالي بخائب

إذا مت من شـوق إليـك وحسـرة عليك فما بلغـت فيـك مـآربي
فامنن علي بعفـو منـك يا أمـلـي فإنـي موثـق بالذنب مرهـن

فيا أخي الكريم: لا تكن أشقى الخلق وأغبنهم بحرمانك قيام ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ولكن كن فيها من السعداء الفائزين، وذلك باحياءها بالقيام والذكر والدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه[(١)]».

وكيف يكون إحياءها؟ قال ابن رجب.

(ونقل عن ابن عباس أن إحياءها يحصل بأن يصلي العشاء في جماعة، ويعزم أن يصلي الصبح في جماعة).

قال الشافعي: من شهد العشاء والصبح ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها، ومثله قال مالك رحمه الله.

قيل للضحاك: أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم ألهم في ليلة القدر نصيب؟

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٥٥) ومسلم (٧٥٩٠).

قال علامة القصيم فضيلة الشيخ ابن عثيمين ـ حفظه الله تعالى ـ (فقوله إيمانا واحتسابا يعني إيمانا بالله وبما أعد الله من الثواب للقائمين فيها واحتسابا للأجر وطلب الثواب وهذا حاصل لمن علم بها ومن لم يعلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشترط العلم بها في حصول هذا الأجر)أ.هـ من مجالس شهر رمضان (ص ١٠٦).

قال: نعم، كل من تقبل الله عمله، سيعطيه الله نصيبه من ليلة القدر والمعول عليه القبول لا الاجتهاد، والاعتبار بالقلوب لا بعمل الأبدان، ورب قائم ليس له من قيامه إلا النصب والتعب، وكل ميسر لما خلق له.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: يستحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلتها)[1] أ. هـ.

● فضلها:

لقد تواترت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على فضل ليلة القدر وأنها أعظم ليالي السنة على الإطلاق فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ [سورة الدخان:الآيتان ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وما أدراك مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ [سورة القدر:الآيات ١-٥].

---

(١) بغية الإنسان في وظائف رمضان.

والقدر بمعنى الشرف والتعظيم، أو بمعنى التقدير والقضاء، لأن ليلة القدر شريفة عظيمة يقدر الله فيها ما يكون في السنة ويقضيه من أموره الحكيمة.

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ يعني في الفضل والشرف وكثرة الثواب والأجر، ولذلك كان من قامها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ يتنزل الملائكة في ليلة القدر إلى الأرض بالخير البركة والرحمة (وَٱلرُّوح) جبريل عليه السلام، خصه الله بالذكر لشرفه وفضله (سَلَٰمٌ هِيَ) يعني ليلة القدر، ليلة سلام للمؤمنين من كل مخوف لكثرة من يعتق فيها من النار ويسلم من عذابها، ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ يعني ليلة القدر تنتهي بطلوع الفجر لانتهاء عمل الليل به.

وفي هذه السورة الكريمة عظيمة القدر فضائل متعددة لليلة القدر:

- **الفضيلة الأولى:** أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.
- **الفضيلة الثانية:** ما يدل عليه الإستفهام من التضخيم والتعظيم في قوله تعالى: ﴿ وما أدراك مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ ﴾.

- **الفضيلة الثالثة**: أنها خير من ألف شهر.
- **الفضيلة الرابعة**: أن الملائكة تتنزل فيها وهم لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة.
- **الفضيلة الخامسة**: أنها سلام لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله.
- **الفضيلة السادسة**: أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة ترتل إلى يوم القيامة.
- **الفضيلة السابعة**: فيها يفرق كل أمر حكيم: أي في ليلة القدر، يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق كما قال سبحانه: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الدخان:الآية: ٤].

ومن فضلها كذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه).

• وقتها:

أخي الصائم الكريم: إذا فهمت ما تقدم وعلمت ما تقرر فاعلم: أن ليلة القدر ليلة عظيمة وأنها باقية لم ترفع على الصحيح وأنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر وهي آكدة في الليالي الوتر من ليالي

العشر وقد اختلف في تعينها، فذهب بعضهم أنها ليلة إحدى وعشرين، وهو قول الشافعي ويدل عليه حديث ابن مسعود الذي رواه البخاري ومسلم قال: (أرى رسول الله ﷺ ليلة القدر ثم أنسيها، وقال: أراني أسجد في ماء وطين، فو الذي أكرمه، لرأيته يصلي بنا صلاة المغرب ليلة إحدى وعشرين وإن جبهته وأرنبة أنفه لفي الماء والطين)(١).

● وذهب بعضهم إلى أنها ليلة ثلاث وعشرين، وهو قول أهل المدينة، وأحد قولي الشافعي.

ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال في ليلة القدر: «إني أسجد صبيحتها في ماء وطين، فانصرف النبي ﷺ من صلاة الصبح يوم ثلاث وعشرين وعلى جبهته أثر الماء والطين(٢)».

وذهب بعضهم إلى أنها ليلة أربع وعشرين.

كان حميد الطويل وأيوب السختياني وثابت يغتسلون في ليلة أربع وعشرين، ويقول أيوب: (ليلة أربع وعشرين ليلة أهل البصرة).

● وذهب بعضهم أنها ليلة خمس وعشرين، ويدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه مسلم.

قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى[١]».

وعند البخاري أيضا عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: (خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة)[٢].

وعند مسلم وأحمد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما وذكر الحديث المتقدم ثم قال: (قال: قلت يا أبا سعيد: إنكم أعلم بالعدد منا فقال: أجل! نحن أحق بذلك منكم، قال: قلت: ما التاسعة والسابعة والخامسة؟ قال: إذا مضت واحدة وعشرون فالتي تليها اثنان وعشرين فهي التاسعة، فإذا مضت ثلاث وعشرين فالتي تليها السابعة، فإذا مضت خمس وعشرين فالتي تليها الخامسة)[٣].

وعند أحمد في المسند عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها في تسع بقين أو سبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث بقين أو آخر ليلة» قال: وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان صلاته سائر السنة، فإذا دخل العشر اجتهد[٤].

---

(١) صحيح: رواه البخاري.

(٢) صحيح: رواه البخاري وأحمد والبيهقي وابن خزيمة.

(٣) صحيح: رواه مسلم وأحمد.

(٤) رواه أحمد والترمذي وصححه.

وذهب بعضهم إلى أنها ليلة سبع وعشرين، وهذا مذهب وقول الإمام أحمد وإسحاق بن راهوية ومن وافقهما، وهناك أدلة على ذلك كثيرة منها[١] :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان متحريها فليتحر بها ليلة سبع وعشرين، وقال تحرروها ليلة سبع وعشرين[٢]» يعني ليلة القدر.

وعند معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ في ليلة القدر قال: «ليلة القدر ليلة سبع وعشرين[٣]» .

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (إني والله لأعلم أي ليلة هي ليلة القدر هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين)[٤] .

وعند مسلم عنه أنه كان يحلف على ذلك ولا يستثني وكذا زر بن حبيش وعبدة بن أبي لبالة.

---

(١) نقل الحافظ في الفتح أقوالا كثيرة في تعيين ليلة القدر تزيد على الأربعين وهو خلاف لا طائل من ورائه، ولذلك قال الحافظ: (أرجع الأقوال أنها في وتر من العشر الأخير وأنها تنتقل).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/١٥٧)، والطيالسي (١٨٨٨).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤/٢٦٤)، وقال النووي في المجموع (٦/٤٦٨) إسناده صحيح، وقال علامة اليمن الشيخ الوادعي: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٤) صحيح: رواه مسلم.

وعن قتادة بن عبد الله السهمي قال: سألت زرا عن ليلة القدر فقال: (كان عمر وحذيفة وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين).

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلا قال: يا رسول الله إني شيخ كبير عليل يشق علي القيام فمرني بليلة يوفقني الله فيها لليلة القدر، فقال: (عليك بالسابعة والعشرين)[١].

ومما يدل على ذلك أيضا: قيام النبي ﷺ في أصحابه في ليلة سبع وعشرين إلى آخر الليل حتى خشوا أن يفوتهم السحور.

وروى عبد الرزاق في المصنف من طريق محمد بن كعب رضي الله عنه قال: (بينما عمر بن الخطاب جالس في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين ذكروا ليلة القدر، ومعهم ابن عباس رضي الله عنهما فتكلم كل رجل منهم بما سمع عنها، وابن عباس ساكت، فقال له عمر: مالك يا ابن عباس ساكت لا تتكلم؟ تكلم ولا تمنعك الحداثة، فقال ابن عباس: إن الله تعالى وتر يحب الوتر، وإنه جعل أيام الدنيا تدور على سبع، وخلق أرزاقنا من سبع، وجعل فوقنا سبعا، وجعل تحتنا سبعا، وجعل البحار سبعا وجعل ما يقع في السجود من أعضاءنا سبعا، وحرم من نكاح الأقربين سبعا والطواف بالبيت سبعا، ورمي

---

(١) صحيح: رواه أحمد وإسناده على شرط البخاري.

الجمار سبعا، فأظنها والله أعلم في ليلة سبع وعشرين من رمضان فتعجب عمر. قال: يا قوم! من كان يروي هذا كرواية ابن عباس؟.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى، ومما استدل به من رجح ليلة سبع وعشرين الآيات والعلامات التي رئيت فيها قديما وحديثا، وما وقع فيها من إجابة الدعوات.

وهناك من قال أنها في السبع الأواخر.

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر(١)».

ومنهم من ذهب إلى أنها في العشر الأواخر من أوتارها.

ودليل ذلك ما رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر(٢)».

ومنهم من ذهب أنها في العشر الأواخر كلها اشفاعها وأوتارها:

ودليل ذلك قوله ﷺ: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان(٣)».

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٥٦) ومسلم (١١٦٥).

(٢) صحيح رواه البخاري (٤/٢٥٩) ومسلم (١١٦٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري والترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الغوابر[1]».

وعن الحسن ومالك: أنها تطلب في جميع ليالي العشر الأواخر أشفاعه وأوتاره.

قال ابن رجب ورجح بعض أصحابنا أنها تطلب في جميع ليالي العشر الأواخر أشفاعها وأوتارها.

قلت: واختلاف الروايات في تعيين وتحديد ليلة القدر في أي ليلة تكون من ليالي العشر فهذه لحكمة من الله بالغة، فإنه أخفى علمها على العباد ليجدوا في طلبها ويجتهدوا في العبادة والصلاة والدعاء والاستغفار والذكر وقراءة القرآن في هذه العشر الأواخر، ليعرف المجد من الكسلان ولو كانت ليلة القدر معينة في ليلة بذاتها، لتكاسل الناس وتركوا العبادة اتكالا على تلك الليلة. والله أعلم.

قال الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ: وفي الجملة أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا بالعبادة في ليالي رمضان طمعا في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢/٨٢٤) رقم (١١٦٦).

ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها.

أخي الكريم.

إذا تقرر هذا وعلمت ما ورد من الحث عليها، فاعلم أنه ينبغي عليك وعلى كل موفق مريد للكمال، والسعادة الأبدية أن يبذل وسعه ويستفرغ جهده في إحياء ليالي العشر الأخير، وقيامها لعله أن يصادف تلك الليلة الجليلة العظيمة التي اختص الله تعالى بها هذه الأمة، وأتاهم فيها من الفضل ما لا يحصره العدد.أ.هـ.

● الدعاء فيها:

أخي الكريم: يتبين لك مما تقدم أن ليلة القدر ليلة شريفة فيها يتجلى الرب جل جلاله رب الأرباب، ويجزل للعالمين بطاعته الثواب، ويسمع فيها الدعاء ويستجاب، فيها تتنزل الملائكة بأمر رب العالمين، ويسلمون على المؤمنين، فيها تتلألأ الأنوار، ويكثر الملائكة للصائمين من الاستغفار فالله الله يا أخي في الاجتهاد في هذه الليلة المباركة بالصلاة والدعاء والاستغفار والأعمال الصالحة، فإنها فرصة العمر، والفرص لا تدوم فإن الله سبحانه وتعالى أخبر أنها خير من ألف شهر، يعني تزيد عن ثمانين عاما، وهي عمر طويل لو قضاه

الإنسان كله في طاعة الله، فليلة واحدة خير منه وهي ليلة القدر، وهذا فضل من الله عظيم.

فأي فضل أعظم من هذا الفضل لمن وفقه الله، فاحرص يا أخي - رحمني الله وإياك - على طلب هذه الليلة واجتهد فيها بالأعمال الصالحة وأكثر من الدعاء والإستغفار، لتفوز بثوابها فإن المحروم من حرم الثواب هذه الليلة، وغيرها من مواسم الخير التي تمر عليه وهو محملا بالذنوب والمعاصي، وهذا لغفلته عن هذه المواسم المباركة وإعراضه عنها وعدم المبالاة بها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها، قال: (قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)[1].

قال سفيان الثوري: الدعاء في ليلة القدر أحب إلي من الصلاة.

قال: وإذا كان يقرأ ويدعو، ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٤٩٥/٩) وقال حديث حسن صحيح، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٨٧٢) وابن ماجة (٣٨٥٠)، وأحمد (١٧١/٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٧٦٧)، والحاكم (٥٣٠/١) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، واسحاق بن راهوية في مسند عائشة رقم (٨١٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٩/٧)، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٦٦/٢) وصححه النووي في الأذكار (ص ١٧٣).

ومراده ـ رحمه الله ـ أن كثرة الدعاء في هذه الليلة أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء، وإن قرأ ودعا كان أولى وأحسن.

وليلة القدر التي شرفت على ... كل الشهور وسائر الأعوام
من قامها يمحو الإله بفضله ... عنه الذنوب وسائر الآثام
فيها تجلى الحق جل جلاله ... وقضى القضاء وسائر الأحكام
فادعوه واطلبه لكي تعطى المنى ... وتجاب بالإنعام والإكرام
فالله يرزقنا القبول بفضله ... ويجود بالغفران للصوام
ويذيقنا فيها حلاوة عفوه ... ويميتنا حقا على الإسلام

فيا أخي الكريم: إن ليلة القدر يفتح فيها الباب، وتقرب الأحباب، ويسمع الخطاب، ويرد الجواب، ويكتب للعاملين فيها جزيل الأجر والثواب، هي ليلة تتلقى فيها الوفود، ويحصل لهم المقصود، من القبول والفوز والسعود، أترى يؤلمك أيها المطرود؟ هذه أوقات يربح فيها من فهم ودرى ويصل إلى مراده من جد وسرى، ويفك فيها العاني وتطلق الأسرى، تقدم القوم وأنت راجع إلى ورا، أوليس كل هذا قد جرى وكأنه لم يجر؟

لليلة القدر عند الرب تفضيل ... وفي فضلها قد جاء تنزيل
فجد فيها على خير تنال به ... أجرا فللخير عند الرب تفضيل
واحرص على فعل أعمال تسر بها ... يوم المعاد ولا يغررك تأميل
فكم رأينا صحيح الجسم ذا أمل ... في ليلة القدر لم يبله تنويل

فتب إلى الله واحذر من عقوبته عن كل ما فيه توبيخ وتنكيل
ولا تغرنك الدنيا وزخرفها فكل شيء سوى التقوى أباطيل

فيا ليلة القدر للعابدين اشهدي يا أقدام القانتين اركعي لربك واسجدي، يا ألسنة السائلين جدي في المسألة واجتهدي.

يا رجال الليل جدوا رب داع لا يرد
ما يقوم الليل إلا من له عزم وجد

اللهم يا من عم العباد فضله ونعماؤه، ووسع البرية جوده وعطاؤه، نسألك أن تجعلنا في هذه الليلة من العتقاء من النيران، وتجود علينا بالعفو والغفران، وتتوب علينا توبة تجلو أنوارها ظلمة الإساءة والعصيان يا عظيم يا منان يا رحيم يا رحمن يا رب العالمين.

● علاماتها:

أخي الكريم: هناك علامات يعرف بها ليلة القدر من غيرها وقد جاءت بها الأحاديث الصحيحة الثابتة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فمن هذه العلامات:

١- تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها:

عن رز بن حبيش يقول سمعت أبي بن كعب رضي الله عنه فقلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر، فقال: رحمه الله أراد أن لا يتكل الناس أما أنه قد علم أنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر، وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف لا يستثنى

أنها ليلة سبع وعشرين فقلت: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر؟ قال بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها تطلع أي الشمس يومئذ لا شعاع لها)[١].

٢- يطلع القمر فيها مثل شق جفنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة)[٢].

عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نظرت إلى القمر صبيحة ليلة القدر فرأيته كأنه فلق جفنة)[٣] قال أبو اسحاق إنما يكون ذلك ليلة ثلاث وعشرين.

٣- ليلة معتدلة لا حارة ولا باردة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: في ليلة القدر قال: (ليلة طلقة لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة)[٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢/٨٢٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢/٨٢٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد في المسند (٥/٣٦٩).

قلت: وجهالة الصحابي لا تضر لأن الصحابة كلهم عدول كما هو مقرر في علم الحديث.

(٤) حسن لغيره: رواه ابن خزيمة (٣/٣٣١) والطيالسي (٢٦٨٠) والبزار في كشف الأستار (١٠٣٤) والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٢٩٢) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٥٣٥١).

٤- تكون ليلتها ليلة ممطرة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (.. وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها فابتغوها من العشر الأواخر، وابتغوها في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين، فاستهلت السماء تلك الليلة فأمطرت فوكف المسجد في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة إحدى وعشرين فبصرت عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونظرت إليه انصرف في الصبح ووجهه ممتلىء طيناً وماءً)(١).

وعن عبد الله بن أنيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أريت ليلة القدر ثم أنسيتها، صبحها أسجد في ماء وطين). قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف وأنّ أثَر الماء والطين على جبهته وأنفه)(٢).

وهناك علامات أخرى ذكرها بعض أهل العلم كالطبري والبيهقي ولا أصل لها، ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها شيء منها:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٥٩/٤) ومسلم (٨٢٤/٢) رقم (١١٦٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٢٧/٢) رقم (١١٦٨).

١- أن الأشجار تسقط حتى تصل الأرض ثم تعود إلى أوضاعها الأصلية.

٢- وأن ماء البحر ليلتها يصبح عذباً.

٣- وأن الكلاب لا تنبح فيها.

٤- وأن الملائكة تنزل وتسلم على المسلمين، وكل هذا وغيره مما لا أصل له، وإن ذكره بعض أهل العلم - والله أعلم.

• ما يستحب فيها:

يستحب في هذه الليلة الاجتهاد في فعل الطاعات من صلاة وذكر وتلاوة ودعاء واستغفار وتوبة وغيرها من أنواع الطاعات.

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه يستحب كذلك الاغتسال والتطيب في هذه الليلة وقد تقدم معنا طرفاً من ذلك في الحديث عن الأعمال التي كان يخص بها الليالي العشر الأخيرة من رمضان، وجاء ذلك عن أنس رضي الله عنه، ورز بن حبيش والنخعي وغيرهم.

قال حماد بن سلمة: كان ثابت البناني وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان ويطيبون المسجد بالنصوح والدخنة في الليلة التي يرجى فيها ليلة القدر.

وقال ثابت: كان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم، وكان يلبسها في الليلة التي يرجى فيها ليلة القدر.

فتبين من ذلك أنه يستحب في الليالي التي يرجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين والتطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد وسائر الصلوات، والله أعلم.

ولكن لا يكمل تزين الظاهر إلا بتزين الباطن بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى وتطهيره من الذنوب وأوضارها، فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغنى شيئاً، قال تعالى: قال تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف:٢٦].

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عرياناً وإن كان كاسياً

وكان أيوب السختياني يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر، ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة[1] . والتي تليها ليلتنا، يعني: البصرين.

أخي الكريم:

إن ليلة القدر يجود فيها الرب على العباد، ويقضي فيها القضاء بما شاء وأراد، تُكتب فيها الآجال والأرزاق، وهي أفضل الليالي في

(١) أي أن أرجى الليالي عند أهل المدينة هذه الليلة. أي ليلة القدر.

حقنا على الإطلاق فاغتنمها فإنها عظيمة القدر ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝ ﴾ [سورة القدر:الآية ٥].

يا أيها العبد قم لله مجتهداً ... وانهض كما نهضت من قبلك السعدا
فذي ليالي الرضا جاءت وأنت على ... فعل القبيح مصر ما جلوت صدى
قم فاغتنم ليلة تحيا النفوس بها ... ومثلها لم يكن في فضلها أبداً
طوبى لمن مرة في العمر أدركها ... ونال منها الذي يبغيه مجتهداً
فليلة القدر خير قال خالقنا ... (من ألف شهر) هنيئاً من لها شهدا
فيها القرآن بأمر الله أنزله ... بعلمه وبهذا النص قد وردا
فيها تفتح أبواب السماء لمن ... يرى من الكشف من يعطي بها مددا
ويترل الروح فيها والملائك من ... عند المهيمن لن تُحصى لهم عدداً
يا فوز عبد رآها إنه رجل ... قد عاش في الدهر عيشاً دائماً رغداً
وفاز بالأمن والغفران مغتبطا ... ونال ما يرتجى من ربه أبداً
فاطلب من الله إن وافيتها سحراً ... جنات عدن تكن من جملة السُعدا
وابكِ ونح وتضرع في الدجى أسفا ... وقل إلهي تفضل بالجميل غدا

أخي المبارك:

متى يُغفر لمن لم يُغفر له في رمضان؟ متى يُقبل من رُدّ في ليلة القدر وما فيها من الغفران؟ متى يُزْلَفُ من رُمي فيه بالإبعاد والهجران؟ متى يُشفى قلب لم تَشْفِهِ آيات القرآن؟ يا لها من خسارة لا تشبه الخسران! أن ترى المحسنين قد حظوا بالقرب والزُلفى والرضوان، وأزْلِفَت لهم الجنات وألبسوا التيجان، واعطوا المُلك والخُلد، وأدخلوا

على الرحمن، وقد رُمِيت بالطرد والإبعاد والحرمان، تُغل وتُجرُّ إلى النيران، أترى قلبك هذا نائماً أم يقظان، قم على أقدام الذل وقت السحر، فللرحمة مع السحر شان، وناد في ناد الذل: يا صاحب الإحسان، فما حيلةُ من طُرد عن الباب، ما يصنع من قُطَع عن الأحباب؟ ما وسيلة من حق عليه حُكم الكتاب؟ فما يزعجه التعنيف والعتاب؟ يا خيبة من لم يكن مولاه ناصره، يا شقاوة من لم يكن مسعده وجابره.

اللهم وفقنا لسبيل الطاعة، وثبتنا على اتباع أهل السُنة والجماعة، ولا تجعلنا ممن عرف الحق وأضاعه.

اللهم اسلك بنا سبيل الصادقين الأبرار، وألحقنا بعبادك المصطفين الأخيار وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.

❀❀❀

استراحة

خشبة المقترض

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر: «أن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بشهداء أشهدهم. قال: كفى بالله شهيداً، قال: ائتني بكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً.

قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للأجل الذي أجَّله، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها وأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلى صاحبها، ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر ثم قال: اللهم إنك قد علمت أني استلفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضى بك، وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً. فرضي بك، وإني قد جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه بالذي أعطاني فلم أجد مركباً، وإني استودعتكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه.

ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركباً إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعلّ مركباً يجيئه بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما كسرها وجد المال والصحيفة.

ثم قدم الرجل الذي كان قد سلف منه، فأتاه بألف دينار، وقال: والله مازلت جاهداً في طلب مركب آتيك بمالك، فما وجدت مركباً قبل الذي أتيته فيه، قال: فإن الله أدى عنك الذي بعثت به في الخشبة، فانصرف بألفك راشد[1]».

❀❀❀

---

(١) صحيح: رواه البخاري وأحمد.

دمعة حارة على رحيل رمضان

الحمد لله الذي قضى بالزوال والفناء على أهل هذه الدار، وتوحد بالبقاء فلا يعتري ملكه زوال ولا إدبار، العزيز الذي عنت الوجوه لعزته، وخضعت الرقاب من سطوته، واندك الجبل لِعِظَم هيبته، وصُعقت الملائكة من خيفته، وانطفأت النار لطاعته، ورعدت السماء لكلمته.

أحمده على فضله الشامل، وأشكره على إحسانه الكامل، وأومن به إيمان مخلص مُعامل، وأعترف له بنعم لا يماثلها ماثل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة ظهر نورها ولاح، وغدا برهانها وراح، وأشرق هداها في المساء والصباح، واكتسب قائلها شرفاً لا يزاح.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله والحق دائر، وقدم الصواب عاثر، فقمع الباطل بالحق الظاهر، ونسخ ظلمات الجهالة بنور العلم الزاهر ﷺ وعلى آله وصحبه صلاة تمتد على ممر الأزمان وتواليها، وعلى أزواجه الطاهرات من العيوب، وعلى التابعين لهم في إخلاص الأعمال وصفاء القلوب، ما ترددت الشمس بين الشروق والغروب، واستترت النجوم وبدا باديها.

أخي الكـريم: أعلـم ـ رحمني الله وإياك ـ أن كل باك فسيُبكى، وكل ناعٍ فسيُنْعى، وكل مذخور سيفنى، وكل مذكـور سينسى، ليس غير الله يبقى من علا فالله أعلى، من علا فالله أعلى...

نعم: تلك الشهور والأعـوام والليالي والأيام، مواقيت الأعمال ومقادير الآجال، تمضي سريعاً، وتنقضي جميعاً، دورات الأفـلاك تتصرم، وسنوات الأعمار تنقضي، أفلاك سابحة، وكواكب سيارة وثابتة، وكل يجرى لأجل مسمى، وهذه سنة الله في خلقـه وكونه ولـن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً، وأهل الدنيا في هـذا كأنهم بين أحلام نائم وخيال زائل!.

فاعلم يا عبد الله! أن ما من يوم ينشق عليك فجره إلا وينادي عليك منادٍ بلسان ويقول لك: يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد، فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة!.

فكل يوم يمر عليك يا عبد الله فإنه يُطوى في سجل أعمالك ذاهباً بما استودعته من أقوالك وأفعالك فإن يكن خيراً فخير، وإن يكن شراً فشـــــر. ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ٣٠].

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [سورة الزلزلة:الآيتان ٧-٨].

تمر بنـــا الأيـــام تـــترى وإنمـــا ... نساق إلى الآجال والعـــين تنظـــر
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى ... ولا زائـــل هـــذا المشيب المكدر

أخي الكريم: هـذا شهر رمضـان قـد قُوضـت خيامـه، وتشتت نظامه وتصرمـت لياليه وأيامه، فابكِ عليه بالأحزان وودعه، وأجرِ لأجل فراقه الدمع وشيعه، فكم من صائم لا يصوم غيره أبداً، وكم من قائم لا يقوم بعده أبداً.

دع البكاء على الأطـــلال والـــدار ... واذكر لمن بان من خل ومـــن جـــار
واذر الدموع نحيباً وابك من أســـف ... علـــى فـــراق ليـــال ذات أنـــوار
على ليال لشهر الصوم مـــا جُعلـــت ... إلا لتمحيـــص آثـــــام وأوزار
يا لا ئمي في البكا زدني بـــه كلفـــاً ... واسمع غريـــب أحـــاديث وأخبـــار
ما كان أحســـننا والشـــمل مجتمـــع ... منا المصلي ومنـــا القـــانت القـــاري
وفي الـــتراويح للراحـــات جامعـــة ... فيها المصابيح تزهـــو مثـــل أزهـــار
شهر به ليلة القـــدر الـــتي شـــرقت ... حقاً على كـــل شـــهر ذات أســـرار
تـــنزل الـــروح والأمـــلاك قاطبـــة ... بـــإذن رب غفـــور خـــالق بـــاري
شهر بـــه يُعتـــق الله العصـــاة وقـــد ... أشفوا على جرف من حصـــة النـــار
فابكوا على ما مضى في الشـــهر واغتنموا ... ما قد بقي فهـــو حق عنكم جـــاري

فلله در أقوام بادروا الزمان، وتغانموا أوقات الفضائل والغفران وودعوا شهر رمضان بالأشجان، واستغرقوا أوقاته بالصيام والقيام والتهجد بالقرآن.

أخي في الله: إن شهر رمضان آذن بالرحيل ولم يبقى منه إلا القليل، فمن منا أحسن فعليه التمام، ومن فرط فليختمه بالحسنى والعمل بالختام، فاغتنم منه ما بقي من الليالي اليسيرة والأيام، واستودعه عملاً صالحاً يشهد لك به عند الملك العلام، وودعه عند فراقه بأزكى تحية وسلام.

فالسلام عليك يا شهر رمضان، السلام عليك يا شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، السلام عليك يا شهر التجاوز والغفران، السلام عليك يا عليك يا شهر الخير والرضوان، السلام عليك يا شهر اليُمن والإيمان، السلام عليك يا شهر النُسك والتعبد، السلام عليك يا شهر الصيام والتهجد، السلام عليك يا شهر الأنس للعارفين، السلام عليك يا شهر العابدين المجتهدين، السلام عليك يا شهر التائبين القانتين السلام عليك يا شهر من هم بالأسحار مستغفرين السلام عليك يا شهر العيون الساهرة، والدموع الهاطلة، والمحاريب المتعطرة، والعبرات المنسكبة والقلوب المنفطرة، والأنفاس الصاعدة من القلوب المحترقة.

السلام عليك يا شهر التراويح ، السلام عليك يا شهر الأنوار والمصابيح السلام عليك يا شهر المتجر الربيح ، السلام عليك يا شهر يُترك فيه القبيح ، السلام عليك يا أنس العارفين ، السلام عليك يا فخر الواصفين ، السلام عليك يا نور السائرين ، السلام عليك يا روضة العابدين ، السلام عليك يا شهر يتسابق فيه المتقون ، السلام عليك من فؤاد لفراقك محزون.

كنت للعاصين حبساً وللمتقين أنساً ، كان نهارك صدقة وصياماً ، وليلك قراءة وقياماً ، فعليك منا تحية وسلاماً.

أتراك تعود بعد هذا العام علينا ! أو يدركنا المنون فلا تؤول إلينا ! مصابحنا فيك مشهورة ، ومساجدنا فيك معمورة ، فالآن تنطفيء المصابيح وتنقطع التراويح ، ونرجع إلى العادة ونفارق شهر العبادة ، فياليت شعري من المقبول منا فنهنيه بحسن عمله ، أم ليت شعري من المطرود منا فنعزيه بسوء عمله ، فيا أيها المقبول هنيئاً لك بثواب الله ورضوانه ، ورحمته وغفرانه ، وقبوله لك وإحسانه ، وعفوه عنك وامتنانه ، وخلودك في دار أمانه.

ويا أيها المطرود بإصراره وطغيانه ، وظلمه وعدوانه ، وغفلته وخسرانه وتماديه وعصيانه ، لقد عظمت مصيبتك بغضب الله عليك

وهوانه، فأين مقلتك الباكية؟! وأين دمعتك الجارية؟! وأين زفرتك الرائحة والغادية؟!.

لأي يوم أخرت توبتك؟! ولأي يوم ادخرت عدتك؟! إلى عام قابل! وحول حائل! كلا! فما إليك مدت الأعمار، ولا معرفة المقدار فكم من مؤمل أمل بلوغه ولم يبلغه، وكم من مدرك له ولم يختمه، وكم ممن أعد طيباً لعيده جعل في تلحيده، وثياباً لتزينه صارت لتكفينه، ومتأهباً لفطره صار مرتهناً في قبره، وكم ممن لا يصوم سواه، وهو يطمع في غيره أن يراه!.

فيا ليت شعري هل تعود أيامك أو لا تعود؟ ويا ليتنا تحققنا ما تشهد علينا يوم الورود، ويا ليتنا علمنا من المقبول منا ومن المطرود؟ وهل إذا عادت أيامك فنحن في الوجود، ونناقس أهل الركوع والسجود؟ أم قد انطبقت علينا اللحود، ومزقنا البلى والدود، فيا اسفا لتصرمك يا شهر السعود.

فيا أخي استيقظ من غفلتك ورقدتك وخذ لك زاداً لنقلتك، وشيع بقية شهرك بالتوبة والإنابة لعلك تحصل لك الإجابة وتنالك الرأفة والرحمة، وتلحق بأهل المغفرة.

فودع شهر رمضان بإرسال العبرات لعلك تُقال العثرات، وتُغفر لك الزلات وتمحي عنك السيئات ويزداد رصيد الحسنات.

سـلام مـن الرحمـن كـل أوان ... على خير شهر قد مضى وزمـان
سلام على شـهر الصيـام فإنـه ... أمان من الرحمـن كـل أمـان
لئن كنت يا شهر الصيام منـوراً ... لكل فـؤاد مظلـم وجنـان
تعبد فيـك المسلمون فـأقبلوا ... على ذكر وتسبيح ودرس قـرآن
فيا أسفاً حزنـاً عليـك وحرقـة ... تزيد على الأعـوام كـل أوان
فيا أيها الشهر المبارك كـن لنـا ... شفيعاً إلى ديَّـان كـل مُـدان
إذا نشر الأموات للحشـر ربنـا ... ونادى المنادي هاتفـاً بفـلان
وقال لنـا الجبـار جـل جلالـه ... هلمـوا إلينـا أيـها الثقـلان
هناك تعطى كـل نفـس كتابهـا ... فويل لمن زلت به القدمـان
ترحلت يا شهر الصيام بصومنـا ... وقد كنت أنوراً بكـل مكـان
لئن فنيت أيـامك الزهـر بغتـة ... فما الحزن من قلبي عليك بفـان
عليك سلام الله كن شاهداً لـنـا ... بخير رعاك الله من رمضـان

أخي في الله: إن في رحيل رمضان لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فتلك الأيام التي مضت وتلك الليالي التي انقضت تريد أن تقول لنا: يا إخوان الغفلة تيقظوا، يا مقيمين على الذنوب انتهوا واتعظوا.

فبالله عليك أخبرني: من اسوأ حالاً ممن استعبده هواه، أم من أخسر صفقة ممن باع آخرته بدنياه، فما للغفلة قد شملت قلوبنا؟! وما للجهالة قد سترت عنا عيوبنا؟! أما ترون أن الدنيا قد آذنت بالذهاب؟

ونحن نعلل بالأماني وبين أيدينا يوم الحساب! أما ترون صوارم الموت بيننا لامعة، وقوارعه بنا واقعة، وفجائعه لعذرنا قاطعة وسهامه فينا نافذة، وأحكامه بنواصينا آخذة، فإلى متى الغفلة والتسويف؟ أو علام التخلف والمقام السخيف؟ أنطمعم في بقاء الأبد؟ كلا والواحد الأحد، إن الموت لبالمرصاد ولا يبقى على والد ولا ولد.

آه من ثقل الحمل وسوء الرفيق   آه من قلة الزاد وبُعد الطريق

فيا تائِهاً في الضلال بلا دليل ولا زاد، متى يوقظك منادي الرحيل فترحل عن الأموال والأولاد؟! قل لي: متى تتيقظ وماضي الشباب لا يعاد ويحك! كيف تقدم على سفر الآخرة بلا راحلة ولا زاد، ستندم إذا حان الرحيل، وأمسيت مريضاً تُقاد، ومنعت التصرف فيما جمعت، وقطعت الحسرات منك الأكباد، فجاءتك السكرات ومُنع عنك العواد، وكفنت في أبلى الثياب، وحملت على الأعواد، وأودعت في ضيق لحد وغربة مالها من نفاد، تغدو عليك الحسرات وتروح إلى يوم التناد.

فانظر يا أخي في حال الدنيا وكيف يحول، ونعيمها وكيف يذهب ويزول، فالمغرور من اغتر بها، والمسعود من رأى عيبها وفر منها.

أخي الكريم: اعلم ـ رحمني الله وإياك ـ أن هذه الليلة هي ليلة الوداع لشهرنا الذي شرفه الله وعظمه، ورفع قدره وكرمه بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، ونزول الرحمة علينا من الله والرضوان، جعله الله مصباح العام، وواسطة النظام، وشرف قواعد الإسلام المشرقة بأنوار الصيام والقيام، أنزل فيه كتابه، وفتح فيه للتائبين أبوابه، فلا دعاء فيه إلا وهو مسموع، ولا خير إلا وهو مجموع، ولا ضر إلا وهو مدفوع، ولا عمل إلا وهو مرفوع، الظافر الميمون من اغتنم أوقاته والخاسر المغبون من أهمله ففاته.

فاحمد الله يا أخي أن بلغك ختام الشهر بسلام، فسأله قبول قيامه وصيامه وراقب المولى جل وعلا في السر والعلن وذلك بأداء الحقوق، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والإعتصام بحبل الله المتين.

واعلم يا أخي الكريم: أنك فارقت شهر عظيما مفضلا كريما، شهر جعله الله لذنوبنا تطهيرا، ولسيئاتنا تكفيرا، ولمن أحسن منا صحبته ذخيرة ونورا، ولمن وفى بشرطه وقام بحقه فرحا مسرورا.

شهر تورع فيه أهل الفسق والفساد، وازداد فيه من الرغبة إلى الله أهل الجد والاجتهاد.

شهر عمارات القلوب، وكفارات الذنوب، واختصاص المساجد بالازحام والتحاشد، وهبوط الأملاك بصكاك العتق والفكاك.

شهر فيه المساجد تُعمر، والمصابيح تُزهر، والآيات تُذكر، والقلوب تُجبر، والذنوب تُغفر.

رحل هذا الشهر كما رحل آخرون! أين الصوام القوام المرافقون لك في سالف الأعوام؟! وأين من كان معك في ليالي رمضان من الساجدين؟! وفي كل حق لله من العاملين، من الآباء والأمهات والأخوة والأخوات والجيران والقرابات أتاهم والله هادم اللذات وقاطع الشهوات ومفرق الجماعات، وميتم البنين والبنات، فأخلى منهم المشاهر، وعطل منهم المساجد، تراهم في بطون الإلحاد صرعى، لا يجدون لما هم فيه دفعاً، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ينظرون يوم الأمم إلى ربها تدعى والخلائق إلى الموقف تحشر وتسعى، والفرائص ترعد من هول ذلك اليوم جمعاً والعيون تذرف دمعاً، والقلوب تصدع من الحساب صدعاً ونفح في الصور فجمعناهم جمعاً.

أخي:

ترحل الشهر والهفاه وانصرما ... واختص بالفوز في الجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسراً ... مثلي فيا ويحه يا عظم ماحرما
من فاته الزرع في وقت الحصاد فما ... تراه يحصد إلا الهم والندما
طوبى لمن كانت التقوى بضاعته ... في شهره وبحبل الله معتصما

شهر رمضان، وأين شهر رمضان؟! ألم يكن منذ لحظات بين أيدينا ألم يكن ملء أسماعنا وأبصارنا؟ ألم يكن هو حديث منابرنا،

وزينة منائرنا، وبضاعة أسواقنا، ومادة موائدنا، وسمر أنديتنا، وحياة مساجدنا، فأين هو الآن؟!.

أي شهر رمضان، أي سلطان الشهور، وجامع البشر والسرور، أي شهرنا الكريم، وموسم خيرنا الوسيم، أي شهر المكرمات والكرمات، انجابت فيك الظلمات، وتضاعفت فيك الحسنات، وفتحت أبواب السماوات لو لم يكن لك من الفضل إلا ليلة القدر، وتردد الملائكة حتى مطلع الفجر، لكان كفاية في تفضيلك ونهاية في تبجيلك.

أخي: قلوب المتقين إلى هذا الشهر تحن، ومن ألم فراقه تئن، أين حرق المجتهدين في نهاره، أين قلق المتهجدين في اسحاره؟ كيف حال من خسر في أيامه ولياليه! ماذا ينفع المفرط في بكاءه، وقد عظمت فيه مصيبته وجل عزاؤه، كم نُصح المسكين فما قبل النصح؟! كم دعى إلى المصالحة وما أجاب إلى الصلح، كم يشاهد الواصلين فيه وهو متباعد كم مرت به زُمر السائرين وهو قاعد، حتى إذا ضاق به الوقت، وخاف من الغوت والمقت ندم على التفريط حين لا ينفع الندم وطلب الاستدراك في وقت العدم.

أخي في الله:

كم أناس صلوا في هذا الشهر صلاة التراويح، وأوقدوا في المساجد طلبا للأجر المصابيح، وملأوا بالعبادة المكان الفسيح، ونسخوا بإحسانهم كل فعل قبيح، قنصتهم والله في آخره المصائد فقهروا، وأسرتهم المصائد فأسروا، فلم ينفعهم المال والآمال لما نقلوا، رحلوا والله عنا قدما قدما ونقض ما بنوه من الدنيا هدما هدما، أدارة عليهم المنون رحاها، وجعلت قبورهم لمهب الرياح سطرا، وزودتهم من الحنوط عطرا، فهذا حالك عن قريب فتيقظ، وهذا مآلك عن قليل فاجتهد وتحفظ.

يا قليل الاعتبار، وقد سمعت ورأيت، يا طويل الأمل قد نأيت. يا مشغولا باللهو مفتونا بالمنى، يا متعلقا بما يوقن أن عقباه الفنا!.

يا من راح في المعاصي وغدا، ويقول: أتوب اليوم أو غدا.

يا قليل الزاد وحادى رحيله قد حدى، تأهب للتلف وتهيأ للردى، ذهب عنك شهر الصيام وودعك، وسارت فيه قوافل الصالحين وأنت جالس فما أجهلك، تؤمل منازل العابدين بأفعال الغافلين فما أحمقك.

يا من أصبح ساعيا إلى ما يضره متقدما ، وأضحى بنا أمله بكف أجله متهدما ، ستعلم يا مسكين من يأتي غدا حزينا متقدما ، ويبكي بعد الدموع من الحسرات الدما.

هل أعددت عدة حازم لقبرك! أحصلت عملا ينجيك في حشرك ، أحفظت حدود صومك في شهرك؟ أم هتكت حرمة الحمى؟! متى حضر قلبك في صلاتك؟! متى خرجت عن العادة في عبادتك؟ لقد تسلط الشيطان عليك بغفلاتك.

كم من صائم يفضحه الحساب والعرض ، وكم من عاصي في هذا الشهر تستغيث منه الأرض ، وتشكو من أعماله السماء والأرض ، لقد سعد في هذا الشهر من كف جوارحه عن كسب آثامه ، ولقد خاب في هذا الشهر من كان حظه من صيامه الجوع والظمأ.

ولله در أقوام حرصوا بالتقى أيام شهرهم ، وتدرعوا درع المراقبة في صبرهم ، وجمعوا بين الصدق والإخلاص في ذكرهم ، فظهرت آثار الفوز منهم ، صبروا باليقين على ظمأ الهواجر ، وبسطوا أقدامهم على بساط الدياجر ، وعملوا ليوم فيه القلوب لدى الحناجر ، احتسبوا أوقات النصب مغنما ، قصدوا مولاهم ، ووقفوا بين يديه ورفعوا حوائجهم في دياجي الليل إليه ، وبسطوا ألسنة الرجاء فتمنوا عليه فأعطاهم مولاهم ما تمنوا عليه.

لقد أصابوا الطريق وما أصبت، ولقد أجابوا داعيهم وما أجبت، وا عجبا! أيخرج رمضان وما أنبت! هذا والله هو العمى، فاجتهد في لحاق القوم، فقد جدوا ولا ترضى لنفسك دون ما أعدوا، وأنصت لحادى الطريق فيما يحدوا فإن اجتهدت ادركتهم وإلا فلا!.

وتيقظ للملك الموت فكأنه قد هجم، وودع شهر رمضان بالدمع لقد ذهب وانصرم، وتحقق أن يشهد لك أو عليك يوم الحسرة والندم.

أخي: كيف لا تجري للمؤمن على فراق رمضان دموع! وهو لا يدري هل بقي له في عمره إليه رجوع.

يا شهر رمضان ترفق، دموع المحبين تدفق، قلوبهم من ألم الفراق تشقق، عسى وقفة للوداع تطفيء من نار الشوق ما أحرق، عسى ساعة توبة وإقلاع ترفو من الصيام كل ما تخرق، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق، عسى أسير الأوزار يطلق، عسى من استجوب النار يعتق.

عسى وعسى من قبل وقت التفوق إلى كل ما نرجو من الخير نلتقي
فيجبر مكسور ويقبل تائب ويعتق خطاء ويسعد من شقي

أيها الأخ المسلم: عهدناك في شهر رمضان منيبا إلى ربك، تائبا من ذنبك، راغبا في رحمة الله وثوابه، خائفا من نقمته وعذابه، عهدناك في رمضان محافظا على أداء الصلوات في الأوقات، حريصا على شهود الجماعة والجماعات، مقبلا على مجالس العلم ومستعدا

لقبول النصائح والعظات، عهدناك في رمضان مهذبا نقيا، متواضعا تقيا، فعلى أي شيء عزمت بعد انقضاء شهر رمضان؟ شهر الصيام وتلاوة القرآن! أتراك بعدما ذقت حلاوة الطاعة تعود إلى مرارة العصيان؟ أتراك بعدما صرت من حزب الرحمن تنقلب على عقبيك فتنضم إلى حزب الشيطان؟ أتراك بعدما حسبت في عداد المصلين تترك الصلاة وهي عماد الدين وشعار الإيمان؟ وهل يليق بك بعدما كتبت في جملة الطائعين المرحومين، أن تصير في زمرة العاصين المحرومين؟ أيليق بك بعدما كنت في رمضان برا تقيا. أن تصير في الإفطار جبارا شقيا؟ أيليق بك بعدما كنت في رمضان ملكا كريما، أن تصير بعده شيطانا رجيما؟ كلا! ما هكذا يكون المؤمنون، بل ما هكذا يكون العقلاء المتبصرون، ولا السعداء الموفقون.

فيا أخي في الله: إن كان رمضان قد مضى وانتهى كأنه طيف خيال، وعزمت على العود إلى التفريط والتقصير في شوال، **فالله** حي أبدى سمردي لا يدركه زوال، ولا يفنيه تداول الأوقات، وتعاقب الأهلة هلالا بعد هلال فلا تقل: الآن ذهب رمضان، واستهل شوال بالفسوق والعصيان، فعلم أن الله تعالى يرضى عمن أطاعه في أي شهر كان ويغضب على من عصاه في كل وقت وآوان.

فحافظ أخي في الله على العبادات والطاعات التي كنت تقوم بها في رمضان وابتعد عن المعاصي التي هجرتها في رمضان، فلا تكن عبدا رمضانيا ولكن كن عبدا ربانيا، فإن رب رمضان هو رب شوال هو رب الشهور كلها وهو رب السنين والأعوام.

أخا الإسلام: إن الليل والنهار خزانتان، فانظر ما تضع فيهما، فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر، وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها، فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة.

أخي المسلم: إذا تقرر ذلك فاعلم بأن الدنيا مزرعة للآخرة وأن الدنيا عمل بلا حساب وأن الآخرة حساب ولا عمل، فاتق الله يا عبد الله وخذ من دنياك لآخرتك، ومن حياتك لموتك، ومن صحتك لسقمك ومن غناك لفقرك، ومن فراغك لشغلك، ومن شبابك لهرمك، وتزود لسفر طويل، واستعد لحساب يوم عسير وهول عظيم، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، ويوم يعض الظالم على يديه نادما على ما جناه.

أخي المسلم المبـــارك: كان السلف الصالح رضوان الله عليهم جميعا يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه ثم يهتمون بعد ذلك

بقبولـــه، ويخــافون مـــن رده، وهـــؤلاء الذيـــن ﴿ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾ [سورة المؤمنون:الآية ٦٠].

روى عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: (كانوا لقبول العمل أشد إهتماما منكم بالعمـل، ألم تسمعوا الله عز وجل يقـول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة المائدة:الآية ٢٧].

وقال مالك بن دينار ـ رحمه الله تعـالى ـ: الخوف على العمـل أن لا يتقبل أشد من العمل.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: أدركتهم ـ أي الصحابة ـ يجتـهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم، أيقبل منهم أم لا.

قـال بعـض السـلف: كـانوا ـ أي الصحابـة ـ رضـي الله عنـهم ـ يدعـون الله ستة أشـهر أن يبلغـهم شـهر رمضـان، ثـم يدعـون الله سـتة أشهر أن يتقبله منهم. قلت: فكانت حياتهم كلها رمضان.

أخي الكــريم: كـان هـذا حـال سـلفنا الصـالح رضـوان الله عليهم جميعا فاجتهد في الدعاء إلى الله بأن يتقبل منك صيامك وقيـامك وكـل أعمالك، تقبل الله منا ومنك صالح الأعمال.

اعلـم أخـي في الله أن الأعمـال بـالخواتيم، ومـن أحسـن وأصلـح فيما بقي غفر له ما قد مضى وما قد بقي، ومن استمر في تقصيره أخذ بما مضى وبقى، وخير ما يختم به هـذا الشـهر الكريـم الإسـتغفار،

فالإستغفار من أعظم أسباب المغفرة، فإن الإستغفار دعاء بالمغفرة، ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه وعند فطره.

قال الحسن البصري: أكثروا من الإستغفار فإنكم لا تدرون متى تنزل الرحمة.

وقال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني عود لسانك الإستغفار فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلا.

والإستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها، فتختم بالإستغفار الصلاة والحج وقيام الليل، ويختم به المجالس، فإن كانت ذكرا كان كالطابع عليها، وإن كانت لغوا كان كفارة لها، فكذلك ينبغي أن يختم صيام رمضان بالاستغفار.

كتب عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - إلى الأمصار يأمرهم بختم شهر رمضان بالإستغفار والصدقة صدقة الفطر.

فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والإستغفار يرقع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (الغيبة تخرق الصيام والإستغفار يرقعه، فمن استطاع أن يجيء بصوم مرقع فليفعل).

أخي في الله: فصيامنا هذا يحتاج إلى استغفار نافع، وعمل صالح يكون له جابر وشافع، كم نخرق صيامنا بسهام الكلام! ثم نرقعه وقد

اتسع الخرق على الراقع ! كم نرفوا خروقه بمخيط الحسنات ، ثم نقطعه بحسام السيئات القاطع !.

كان بعض السلف إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها ، كما يستغفر المذنب من ذنبه.

فإذا كان هذا حال المحسنين في عبادتهم ، فكيف حال المسيئين أمثالنا في عبادتهم ! ارحموا من حسناته سيئات ، وطاعته كلها غفلات.

وأنفع الإستغفار ما قارنته توبة نصوح صادقة من قلب خاشع منيب يفيض بالندم على ما فرط في زمن العصيان ، وقد عزم على أن لا يعود إلى المعاصي مرة أخرى ، وقد أخذ العهود والمواثيق على نفسه بذلك.

فمن استغفر بلسانه ، وقلبه على المعصية معقود ، وعزمه أن يرجع إلى المعاصي بعد شهر رمضان ، ويعود ، فصومه عليه مردود ، وباب القبول عنه مسدود.

قال كعب الأحبار : (من صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر بعد رمضان أن لا يعصي الله ، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب ، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر بعد رمضان عصى ربه فصيامه عليه مردود)(١) .

---

(١) أخرجه سلمة بن شبيب في فضائل الصيام.

فـاحرص يـا أخـي ـ بـارك الله فيـك ـ علـى الإســتغفار ، فإنـه دواء المعـاصي ، والـزم عتبـة التوبـة ، وقـف علـى بـاب العبوديـة بـأقدام الـذل والانكسار عسى الله أن ينظر إليك بعين الرضى ، فمـن نظـر إليـه المولى بعين الرضى لا يسخط عليه أبدا.

أخي في الله: لئن انقضـى شـهر رمضـان ، شـهر الصيام ، والقيـام ، وتـلاوة القـرآن ، والذكـر والإسـتغفار ، فـإن زمـن عمـــل المؤمـن لا ينقضي إلا بالمـــوت قـال الله تعـــالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة الحجر:الآيـة ٩٩]. وقـال تعـالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ١٠٢]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث.. الحديث[(١)]» .

فلم يجعل الله لانقطاع عمل العبد غايـة إلا المـوت ، فلئـن انقضـى صيام شهر رمضان ، فإن المؤمـن لـن ينقطـع مـن عبادة الصيام بذلـك ، فالصيام لا يزال مشروعا ولله الحمد في كل العام ، فقـد سـن رسـول الله ﷺ ورغـب في صيـام أيـام غـير رمضـان ، ومـن ذلــك صيـام سـت مـن شوال ، فمن جملة شكر العبـد لربـه علـى توفيقـه لصيـام شـهر رمضـان وقيامه ، أن يصوم عقب ذلك ستة من شوال شكرا لله تعالى وتقربا إليـه

---

(١) صحيح : رواه مسلم.

وتأسيا برسول الله ﷺ وموافقة له فيما رغب فيه من الخير فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر[(١)]».

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها[(٢)]».

ولكن يتنبه هنا لأمر هام: من كان عليه قضاء من رمضان فليبادر إلى صيام تلك الأيام التي فاتته في رمضان، ثم يتبعه بست من شوال، ليتحقق له بذلك إكمال الصيام المفروض، ويتم له إدراك فضل صيام الست من شوال بعد ذلك.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى - بعد كلام له: «فلا يحصل مقصود صيام ستة من شوال إلا لمن أكمل صيام رمضان، ثم أتبعه بست من شوال فمن كان عليه قضاء من رمضان ثم بدأ بصيام ست من شوال تطوعا لم يحصل له ثواب من صام رمضان ثم اتبعه بست من شوال حيث لم يكمل عدة رمضان»أ. هـ.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٢٢/٢)، الترمذي (٤٦٥/٣) وأبو داود (٨٦/٧)، وابن ماجة (١٧١٩).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجة (١٧١٨) وابن حبان في صحيحه (٩٢٨) والدارمي (٢١/٢).

ومن ذلك أيضاً صيام يومي الإثنين والخميس من كل أســـبوع

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تُعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم[1]» .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبيﷺ «يتحرى صيام الإثنين والخميس[2]» .

وعن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: ﷺ « فيه ولدت وفيه أنزل علي[3]» .

ومن ذلك أيضاً صيام يومي عرفة وعاشوراء.

وعن أبي قتادة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله[4]» .

---

(١) صحيح لغيره، رواه الترمذي (٤٥١/٣) وأحمد (٣٢٩/٢) بمعناه، والدارمي (٢٠/٢) وابن ماجة (١٧٤٤).

(٢) رواه الخمسة إلا أبا داود.

(٣) صحيح رواه مسلم (٨٢٠/٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٨١٨/٢) رقم (١١٦٢) وأحمد (٢٩٦/٥) والترمذي (٤٥٣/٣) وابن ماجة (١٧٣٤).

ولكن ينبغي هنا أن يعلم أن صيام يوم عرفة يكون لغير الحاج إما إذا كان حاجاً فلا يستحب له ذلك، فقد روى البخاري ومسلم عن أم الفضل: أن أناساً تماروا عندها عيشة عرفة في صوم النبي ﷺ فقال بعضهم هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فبعثتَ إلى النبي ﷺ بشراب أو قدح فيه لبن وهو واقف على بعيره فأخذه فشربه، فعلى هذا فإنه يكره صوم يوم عرفة للحجاج، وهذا أقوى لهم والله أعلم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما رأيت النبي ﷺ يتحرى يوما فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء، وهذا الشهر يعني شهر رمضان[1]».

ومن ذلك أيضا صيام الأيام البيض:

عن جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر، وأيام البيض صبيحة ثلاثة عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة[2]».

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٤٥) ومسلم (١١٣٢).

(٢) صحيح: رواه النسائي (٤/٢٢١)، البيهقي في الشعب (٣٨٥٣) وأبو يعلى (٧٥٠٤) والطبراني في الكبير (٢/٣٥٦).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صمت شيئا فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة[1]».

ومن ذلك صيام شعبان:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرا أكثر من شعبان وكان يصوم شعبان كله[2]».

وعن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله! لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم[3]».

ومن ذلك أيضا صيام شهر الله المحرم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل[4]».

---

(١) صحيح بمجموع الطرق. رواه النسائي (٤/٢٢٣)، أحمد (٥/١٦٢)، والترمذي (٣/٤٦٩) وابن خزيمة (٢١٢٨) والبيهقي (٤/٢٩٤) والبغوي (٦/٣٥٥) وابن حبان (٩٤٣) والطيالسي (٤٧٥) والطبراني في الكبير (١٩/١٥ - ١٦)، وابن ماجة (١٧٠٧) والطحاوي (٢/٨١).

(٢) صحيح رواه البخاري (٤/٢١٣) ومسلم (٢/٨١١) رقم (١١٥٧).

(٣) حسن: رواه النسائي (٤/٢١٠) رقم (٢٣٥٧).

(٤) صحيح : رواه مسلم (٢/٨٢١) رقم (١١٦٣).

من ذلك أيضا صيام يوم وإفطار يوم لمن يطيق وقد مر بنا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وهو عند البخاري.

فيا أخي هذه أعمال البر موصولة برمضان فبادر إليها.

ولئن انتهى قيام رمضان فإن القيام لا يزال مشروعا ولله الحمد في كل ليلة من ليالي السنة، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقوم ويصلي من الليل حتى ترم قدماه: فيقال له: فيقول: أفلا أكون عبدا شكورا؟.

وقال ﷺ: (أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)(1) وكذلك يا أخي لم ينتهي الذكر وتلاوة القرآن والإستغفار بانتهاء رمضان، بل كل هذه الأعمال وغيرها من أعمال البر والطاعات مشروعة في كل وقت من الأوقات.

أخي الكريم: اجتهد في فعل الطاعات واجتنب الخطايا والسيئات، لتفوز بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، والأجر العظيم بعد الممات، قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل:الآية ٩٧].

اللهم إن كان في سابق علمك أن تجمعنا في مثله فبارك لنا فيه، وإن قضيت بقطع آجالنا، وما يحول بيننا وبينه فأحسن الخلافة على باقينا، وأوسع الرحمة على ماضينا، وعمنا جميعا برحمتك وغفرانك واجعل الموعد بحبوح جنتك ورضوانك. آمين... آمين... آمين.

---

(١) صحيح: وقد تقدم انظر الحديث السابق.

استراحة

◻ دعها تصيح

سأل رجل عمرو بن قيس عن حصاة المسجد، يجدها الإنسان في خفه أو ثوبه أو جبهته، فقال له: ارم بها، فقال: زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد. قال" دعها تصيح حتى ينشق حلقها، قال الرجل: أو لها حلق؟! قال: فمن أين تصيح إذن!.

◻ أعمش وأعور

كان إبراهيم النخعي في طريق فلقيه الأعمش فانصرف معه فقال له: يا إبراهيم! إن الناس إذا رأونا قالوا: أعمش وأعور.

قال: (و) ما عليك أن يأثموا ونؤجر، قال: وما عليك أن يسلموا ونسلم.

◻ متى عميت؟

دخل الشعبي الحمام فرأى داود الأودي بلا مئزر، فغمض عينيه فقال له داود: متى عميت يا أبا عمرو؟ قال: منذ هتك الله سترك.

□ إلى جهة ثيابك

جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تسرق.

□ امرأة عرجاء

وجاء رجل إلى الشعبي وقال: إني تزوجت امرأة وجدتها عرجاء، فهل لي أن أردها؟ فقال له: إن كنت تريد أن تسابق بها فردها!.

✦✦✦

زكاة الفطر والعيد
آداب وأحكام ومخالفات

الحمد لله موفر الثواب للأحباب، ومكمل الأجر، وجاعل ظلام الليل نسيخة للفجر، المحيط علمه بخائنة الأعين وخافية الصدر، ومعلم الإنسان ما لم يعلم به ولم يدر، والمتعالي إدراك خواطر النفس وهواجس الفكر، جل أن تناله أيدي الحوادث على مرور الدهر، وتقدس أن يخفى عليه باطن السر وظاهر الجهر، أحصى عدد الرمل في الفيافي والقفر، وأبصر فلم يخف عليه دبيب الذر في البر، وسمع فلم يعزب عن سمعه دعاء المضطر، إن أسر أو جهر، ويعطي عطاء لا يحيط به كثرة العد والحصر، وقدر المقادير فلم يحتج إلى معين بالإعانة والنصر، وأجرى الأقدار كما شاء في ساعات العصر.

فسبحان من قسم بين الخلائق - كما أراد - أسباب العسر واليسر، وخصنا من بين سائر الأمم بشهر الصيام والصبر، وغسل به ذنوب الصائمين كغسل الثوب بماء القطر، فلله الحمد إذا رزقنا إتمامه وأنالنا عيد الفطر.

أحمده حمد من قام بواجب الحمد وأشكره وقد تكفل بالمزيد لمن شكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أفوز بها يوم القيام من القبر، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد البشر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما دارت الأفلاك وتعاقب الدهر، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

أخي في الله: هذا شهر رمضان قد رحل عنا وكأنه لم يكن شيئا مذكورا رحل عنا وكأنه لحظات وسرعان ما انتهت، وهكذا العمر، فإن عمرك في حساب الزمن لحظات.

فيا شهر رمضان غير مودع ودعناك، وغير مقلى فارقناك، كان نهارك صدقة وصياما وليلك قراءة وقياما، فعليك منا تحية وسلاما.

أتراك تعود بعدها علينا أو تدركنا المنون فلا تؤول إلينا، مصابحنا فيك مشهورة، ومساجدنا فيك معمورة فالآن تنطفيء المصابيح وتنقطع التراويح.

تذكرت أياما مضت ولياليا — خلت، تجرى من ذكرهن دموع
ألا هل لها يوما من الدهر عودة — وهل لي إلى يوم الوصال رجوع؟
وهل بعد إعراض الحبيب تواصل — وهل لبدور قد أفلن طلوع؟

أخي الكريم: رحل رمضان وقد أودعته أعمالك. فهو شاهد لك أو عليك، فإن كنت أودعته أعمالا صالحة فاحمد الله وأبشر بحسن الثواب، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وإن كنت أودعته أعمالا سيئة فلا تقنط من رحمة الله وسارع بالتوبة النصوح والإنابة والرجوع قبل أن ينتهي الأجل كما انتهى رمضان! وكن على يقين بأن الله سيقبل توبتك إن كنت صادقا فيها فإن الله يتوب على من تاب.

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو بابك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
ألست الذي غذيتني وكفلتني ومازلت مناناً عليّ ومنعماً
عسى من له الإحسان يغفر زلتي ويستر أوزاري وما قد تقدما

● زكاة الفطر وما يتعلق بها:

أخي المبارك: اعلم ـ وفقني الله وإياك ـ أن من علامات قبول العمل والتوفيق اتباع الحسنة بحسنة مثلها، فيا أخي الكريم: أتبع صيامك وقيامك بحسنات تجبر الكسر وتزيد في الأجر.

وإن من مظاهر الإحسان في خواتيم هذا الشهر الكريم وتوديعه بحسن ختام إخراج زكاة الفطر.

***حكمها:**

زكاة الفطر فريضة فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين، وما فرضه رسول الله ﷺ أو أمر به فله حكم الله تعالى أو أمر به قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠ ﴾ [سورة النساء:الآية ٨٠]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَـٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [سورة الحشر:الآية ٧].

فزكاة الفطر فريضة على الكبير والصغير الذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (فرض

رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين)[١].

ولا تجب عن الذي في البطن إلا أن يتطوع فلا بأس، فقد كان أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه يخرجها عن الحمل.

فالمرء يجب عليه أن يخرجها عن نفسه، وكذلك عمن تلزمه نفقته ومؤونته من زوجة وأولاد أو قريب إذا لم يستطيعوا إخراجها عن أنفسهم، فإن استطاعوا فالأولى أن يخرجوها هم عن أنفسهم، لأنهم المخاطبون بها أصلاً.

***حكمتها:**

أما حكمة إخراج زكاة الفطر فهي ظاهرة للعيان، ففيها إحسان إلى الفقراء وكف لهم عن السؤال في أيام العيد ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم ويكون عيداً للجميع.

وفيها الإتصاف بخلق الكرم وحب المواساة، وفيها تطهير الصائم مما يحصل له في صيامه من نقص ولغو دائم، وفيها إظهار نعمة الله بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣/٤٧٣)، ومسلم (٢/٦٧٧). رقم (٩٨٤).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أدها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات[١]».

***جنسها:**

والجنس الواجب في زكاة الفطر طعام الآمين من تمر أو بر أو أرز أو زبيب أو أقط أو غيرها من طعام بني آدم، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر في رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير...» الحديث.

وكان الشعير يومذاك من طعامهم كما قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كنا نخرج يوم الفطر في عهد النبي ﷺ صاعاً من طعام، وكان طعامنا الشعير والزبيب والإقط والتمر[٢]».

فعلى هذا فلا يجزيء إخراج طعام البهائم لأن النبي ﷺ فرضها طعمة للمساكين لا للبهائم.

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٢/١١١) رقم (١٦٠٩) وابن ماجة رقم (١٨٢٧) وحسنه الألباني في الارواء رقم (٨٤٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣/٤٧٢) رقم (١٥١٠).

ولا يجزيء إخراجها من الثياب والفرش والأواني والأمتعة وغيرها مما سوى طعام الآدميين، لأن النبي ﷺ فرضها من الطعام فلا تتعدى ما عينه الرسول ﷺ.

ولا يجزيء إخراج قيمة الطعام لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد[١]». ومعنى رد أي مردود.

وكذلك إخراج زكاة الفطر قيمة مخالف لعمل الصحابة رضوان الله عليهم حيث كانوا يخرجونها صاعاً من طعام، وقد قال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي[٢]».

وأيضاً زكاة الفطر عبادة من جنس معين فلا يجزيء إخراجها من غير الجنس، كما لا يجزيء إخراجها في غير الوقت المعين.

* مقدارها:

ومقدار زكاة الفطر صاع بصاع النبي ﷺ الذي يبلغ وزنه بالمثاقيل أربعمائة وثمانين مثقالاً من البر الجيد، وبالجرامات كليوين اثنين وأربعين جراماً من البر الجيد، وذلك لأن زنة المثقال (أربعة

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٧٠/٥) رقم (٢٦٩٧)، ومسلم (١٣٤٣/٣) رقم (١٧١٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وصححه الألباني (صحيح الترمذي) (٢١٥٧).

جرامات وربع ، فيكون مقداره أربعمائة وثمانين مثقالاً ألفي جرام وأربعين جراماً.

* وقتها:

أما وقت وجوب إخراج زكاة الفطر فهو غروب الشمس ليلة العيد ، فمن كان من أهل الوجوب حينذاك وجبت عليه وإلا فلا ، وعلى هذا فإذا مات قبل الغروب ولو بدقائق لم تجب عليه زكاة الفطر ، وإن مات بعده بدقائق وجب إخراج زكاة فطره ، وإذا ولد شخص بعد الغروب ولو بدقائق لم تجب عليه زكاة فطر ، لكن لا بأس إخراجها عنه كما سبق.

وإن وُلد قبل الغروب ولو بدقائق وجب إخراج زكاة الفطر عنه.

وإنما كان وقت وجوبها غروب الشمس من ليلة العيد لأنه الوقت الذي يكون به الفطر من رمضان ، وهي مضافة إلى ذلك ، فإنه يقال : زكاة الفطر من رمضان فكان الحكم هذا الوقت.

وأما زمن دفعها فله وقتان : وقت فضيلة ووقت جواز.

١- **أما وقت الفضيلة:** فهو صباح العيد قبل الصلاة لما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : «كنا نخرج في عهد النبي ﷺ يوم الفطر صاعاً من طعام[(١)]».

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٣/٤٧٢) رقم (١٥١٠).

ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيه: أن النبي ﷺ (أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة)[١].

٢- وأما وقت الجواز: فهو قبل العيد بيوم أو يومين، فعن نافع قال: (كان ابن عمر يعطي عن الصغير والكبير حتى إذا كان يعطى عن بنيّ وكان يعطيها الذين يقبلونها، وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين)[٢].

ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، فإن أخرها عن صلاة العيد بلا عذر لم تقبل منه لأنه خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ، وقد سبق من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (.. من أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات)[٣].

أما من أخرها لعذر شرعي فلا بأس، مثل أن يأتي خبر ثبوت العيد مفاجئاً بحيث لا يتمكن من إخراجها فينسى أن يخرجها فلا بأس أن يخرجها بعد العيد لأنه معذور في ذلك، ولذلك كان من الأفضل تأخير صلاة العيد يوم الفطر ليتسع الوقت لإخراج زكاة الفطر.

والواجب أن تصل إلى مستحقها أو وكيله في وقتها قبل الصلاة، فلو نواها لشخص ولم يصادفه ولا وكيله وقت الإخراج فإنه يدفعها إلى مستحق آخر ولا يؤخرها عن وقتها.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣/٤٦٣) رقم (١٥٠٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١١/٧٢٨) رقم (٦٧١٣).

(٣) صحيح: سبق تخريجه.

*مكان إخراجها:

وأما مكان إخراجها أو دفعها، فتدفع إلى فقراء المكان الذي هو فيه وقت الإخراج سواء كان محل إقامته أو غيره من بلاد المسلمين ولا سيما إن كان مكاناً فاضلاً كمكة. والمدينة، أو كان فقراءه أشد حاجة، فإن كان في بلد ليس فيه من يدفع إليه أو كان لا يعرف المستحقين فيه وكّل من يدفعها عنه في مكان فيه مستحقين.

والمستحقون لزكاة الفطر هم الفقراء، ومن عليهم ديون لا يستطيعون الوفاء بها، فيعطون منها بقدر حاجتهم، ويجوز توزيع زكاة الفطر على أكثر من فقير، ويجوز دفع عدد من زكاة الفطر إلى مسكين واحد.

فيا أخي المسلم أسرع في إخراج زكاة فطرك في الوقت الذي علمت، فبذلك تأتلف القلوب، ويشعر الفقير بتعاطفك معه، فما اشتكى فقير إلا بقدر ما قصر غني، فأخرجها يا أخي طيبة بها نفسك، تكف بها يد المسكين عن الطلب، ويستغني بها من غير مسألة ويشارك إخوانه بهجة العيد، فالعيد موسم بهجة بعد أداء الفريضية، وقد قيل: من أراد معرفة أخلاق الأمة فليراقبها في أعيادها، إذ ينطلق فيه السجايا على فطرتها، وتبرز العواطف والميول والعادات على حقيقتها، والمجتمع السعيد الصالح هو الذي تسمو أخلاقه في العيد إلى أرفع ذروة، وتمتد فيه مشاعر الإخاء إلى أبعد مدى، حيث يبدو في العيد متماسكاً متعاوناً متراحماً تخفق فيه القلوب بالحب والود والبر

والصفاء، وذلك مصداقاً لقول المصطفى ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[١]».

أخي المبارك: إن يوم العيد يوم سعيد، يسعد فيه أناس ويشقى فيه عبيد فطوبى لعبد قُبلت فيه أعماله، والويل ثم الويل لمن عمله عليه مردود، وباب التوبة عنه مسدود.

ويوم العيد يوم يهنأ فيه المقبول، ويعزى فيه المطرود، فيا ليت شعري من المقبول منا فنهنيه! ومن المحروم والمطرود فينا فنعزيه؟!

ليت شعري من هو المطرود والمحروم منا
ومن المقبول ممن صام منا فيُهنا
كان هذا الشهر نوراً بيننا يزهر حسنا
فاجعل اللهم عقباه لنا نور وحسنا

فيا أيها المقبول هنيئاً لك بثواب الله عز وجل وغفرانه، وتعساً لك أيها المطرود بإصرارك على عصيانه، لقد عظمت مصيبتك، فأين دمعتك وتوبتك؟! فلأي يوم أخرت توبتك؟! ولأي عام ادخرت عدتك؟ أإلى عام قابل؟! وحول حائل؟! كلا: فما إليك مدة الأعمار ولا معرفة المقدار، فكم من أعد طيباً لعيده جُعل في تلحيده، وكم من جهز ثوباً

---

(١) صحيح وقد تقدم.

لتزيينه صار لتكفينه، وكم متأهباً لفطره صار مرتهناً في لحده، فاحمد الله يا أخي على بلوغ ختام شهر رمضان وسأله قبول صيامه وقيامه.

أخي في الله: كم فرح بالعيد مسرور وهو مبعد مهجور، فليس العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن طاعته تزيد، ليس العيد لمن تجمل باللباس والركوب إنما العيد لمن غفرت له الذنوب.

في ليلة العيد تفرق خلع العتق والمغفرة على العبيد، فمن ناله منها شيء فهو له عيد، وإلا فهو مطرود بعيد.

أخي الكريم: إن العيد الحقيقي لمن قُبل صيامه وقيامه وتعرض لنفحات الرب جل في علاه، إن عيد المؤمن يوم يعتق من النار، وتفتح له أبواب الجنان، وينظر الله إليه بعين الرضى والغفران، فيكون من الذين وافاهم ربهم أجرهم بغير حساب، فيكون ثوابه من صيامه وقيامه رضا الرب ومغفرته، ويكون من الذين يقول لهم المولى يوم العيد: انصرفوا مغفوراً لكم قد أرضيتموني ورضيت عنكم، والملائكة شهود على ذلك.

أما من انغمس في الشهوات وعصى رب البريات يوم عيده فهذا ليس له بيوم عيد، ولكنه يوم شقاءه وبعده عن الله المبديء المعيد.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: (كل يوم يمر عليك لم تعصي الله فيه فهو عيد).

عيدي مقيم وعيد الناس منصـــرف والقلب مني عن اللذات منحرف
ولي قرينـــان مـــالي منهما خلـــف طول الحنين وعـــين دمعها يكفُ

إن عيد المسلم الحقيقي بانتظامه في سلك التائبين المنيبين الراغبين في رحمة من رحمة الله وثوابه، الخائفين من بطشه وعقابه العيد لمن تذوق حلاوة الطاعة، ولذيذ المناجاة، بعد أن تجرع مرارة العصيان ولوعة البعد والهجر كؤوساً.

العيد لمن حسنت نيته وطهرت طويته وعلم أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأن الدنيا عمل ولا حساب والآخرة حساب ولا عمل، فأخذ من دنياه لآخرته، ومن حياته لماته، ومن صحته لسقمه ومن غناه لفقره، ومن شبابه لهرمه، وتزود لسفر طويل، واستعد لحساب يوم عسير وهول عظيم، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، يوم يعض الظالم على يديه ندماً على ما جناه.

مر أحد الصالحين على شباب يلعبون يوم الفطر فقال لهم: يا هؤلاء إن صومكم قد قُبل فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان صومكم لم يُقبل فما هذا فعل المحزونين، فوقع كلامه في قلوبهم وتركوا لهوهم.

إن من الناس من تطغى عليه فرحة العيد فتستبد بمشاعره ووجدانه لدرجة تنسيه واجب الشكر والإعتراف بالنعم، وتدفعه إلى الزهو والإعجاب بالنفس حتى يبلغ حد المخيلة والتباهي والكبر والتعالي.

ألم يعلم هذا أن العيد قد يأتي على أناس قد ذلوا من بعـد عز، فتهيج في نفوسهم الأشجان، وتتحرك في صدورهم كثير من الأحزان، ذاقوا من البؤس ألواناً بعد رغد العيش، وتجرعـوا مـن العلقـم كؤوسـاً بعد وفرة النعيـم، فاعتـاضوا عـن الفرحـة بالبكـاء، وحـل محـل البهجـة الأنين والعناء.

أخي المسلم: إن العيـد في الإسـلام غبطـة في الديـن والطاعـة، وبهجـة في الدنيـا والحيـاة، ومظهـر القـوة والإخـاء، إنـه فرحـة بانتصـار الإرادة الخيِّرة علـى الأهـواء والشـهوات، وبـالخلاص مـن مؤامـرات شياطين الإنس والجن، والرضـا بطاعـة المولى والفـوز بمغفرتـه في الدنيا والوعد الكريم الصادق بالفردوس الأعلى والنجاة من النار في الآخرة.

أخي: إن العيد عبـادة مـن العبـادات تعبدنـا الله بـها، وقربـة مـن القربات التي يتقرب بها إلى رب الأرض والسموات، والله لا يقبل مـن الأعمال إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه، وكان علـى وفـق مـا جـاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

لـذا أرى أخـي الكريـم أن نقـوم برحلـة ثالثـة عـبر الزمـان الغـابر لنقف على شيء من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في العيـد، فـهيا بنـا أخـي لنـركب زورقنـا كمـا تعودنـا لنخـترق الزمـان

اختراقاً تاريخياً، فإذا بنا في مدينة رسول الله وقد طلع عليهم العيد بإشراقه، فانظر ماذا ترى!.

قال ابن عابدين في حاشيته (٢/١٦٥): (سمي العيد بهذا الاسم لأن لله تعالى فيه عوائد الإحسان، أي أنواع الإحسان العائد على عباده في كل يوم، منها: الفطر بعد المنع، وصدقة الفطر).أ. هـ.

قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا[(١)]».

قال الصديق رضي الله عنه: «لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئاً أن أزيغ».

أخي: حتى لا نزيغ فنضل ونضيع عن الطريق فهذه جملة من هديه ﷺ وهدي أصحابه رضوان الله عليهم في العيد.

العيد سنن وآداب وأحكام

(١) التجمل في العيد:

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ عمر جبة من استبرق تباع في السوق، فأخذها، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! اتبع هذه تجمل بها للعيد والوفود، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه لباس من لا خلاق له» فلبث عمر ما شاء الله أن يلبث ثم أرسل إليه رسول الله ﷺ

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجة.

بجبة ديباج، فأقبل بها عمر، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إن قلت: «إنما هـذه لباس من لا خلاق له» وأرسلت إليّ بهذه الجبة، فقال له: رسول الله ﷺ: «تبيعها أو تصيب منها حاجتك[(١)]».

قلت: إنكار النبي ﷺ على عمر كون الجبة من استبرق ولم ينكر عليه التجمل للعيد فدل ذلك على الجواز، ولذلك قال الإمام السندي رحمه الله «منه عُلم أن التجمل يوم العيد كان عادة مستقرة بينهم ولم ينكرها النبي ﷺ فعُلم بقاءها[(٢)]».

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ـ قال: «كان للنبي ﷺ جبة يلبسها في العيدين[(٣)]».
- وكان ابن عمر يلبس أحسن ثيابه في العيدين[(٤)].

(٢) الاغتسال يوم العيد قبل الخروج للصلاة:

- عن نافع: «أن عبد الله بن عمر كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدوا إلى المصلى[(٥)]».

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد.

(٢) حاشية السندي على النسائي (٣/١٨١).

(٣) ورواه ابن خزيمة في صحيحه.

(٤) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا وصحح إسناده ابن حجر في الفتح (٢/٤٣٩).

(٥) أخرجه مالك ورواه أيضاً الشافعي وعبد الرزاق وسنده صحيح.

● قال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: «سنة الفطر ثلاث: المشي إلى المصلى والأكل قبل الخروج والاغتسال[(١)]».

● قال ابن قدامة في المغني (٢/٣٧٠) «يستحب أن يتطهر بالغسل للعيد وكان ابن عمر يغتسل يوم الفطر، وروى ذلك عن علي - رضي الله عنه - وبه قال علقمة وعروة، وعطاء والنخعي والشعبي وقتادة وأبو الزناد ومالك والشافعي وابن المنذر».

« وأما الذي روي عن رسول الله ﷺ في ذلك فهو ضعيف[(٢)]».

(٣) أكل تمرات قبل الخروج لصلاة عيد الفطر والأكل بعد صلاة الأضحى:

● عن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترا[(٣)]».

وعن بريدة - رضي الله عنه - قال: «كان النبي ﷺ لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم، ويوم النحر لا يأكل حتى يرجع فيأكل من نسيكته[(٤)]».

---

(١) رواه الفريابي بإسناد صحيح، أنظر: إرواء الغليل (٢/١٠٤).

(٢) كما عند ابن ماجة، وفي إسناده جبارة بن المغلس وشيخه وهما ضعيفان، ورواه أيضا وفيه: يوسف بن خالد السمتي كذبه غير واحد.

(٣) صحيح: رواه البخاري والترمذي وغيرهما.

(٤) رواه الترمذي (٥٤٢) وابن ماجة (١٧٥٦).

● وقال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (١/٤٤١): «وكان ﷺ يأكل قبل خروجه في عيد الفطر تمرات، ويأكلهن وتراً، وأما عيد الأضحى فكان لا يطعم حتى يرجع من المصلى فيأكل أضحيته»أ. هـ.

وقد ذكر أهل العلم الحكمة في تقديم الأكل يوم الفطر على الصلاة وتأخيره يوم الأضحى عنها، فقالوا: «إن يوم الفطر يوم حُرم فيه الصيام عقيب وجوبه، فاستحب تعجيل الفطر لإظهار المبادرة إلى طاعة الله تعالى ـ وامتثال أمره في الفطر على خلاف العادة، والأضحى بخلافه، ولأن في الأضحى شرع الأضحية والأكل منها فاستحب أن يكون فطره على شيء منها[١]» أ. هـ.

وقال المهلب: «الحكمة في الأكل قبل الصلاة ـ أي في الفطر ـ: أن لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلي العيد، فكأنه أراد سد هذه الزريعة[٢]».

(٤) الخروج إلى المصلى:

● عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة[٣]».

---

(١) المغني (٣/٢٥٩).

(٢) فتح الباري (٢/٤٤٧).

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم والنسائي.

● عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قـال: «كـان رسـول الله ﷺ يغدو إلى المصلى في يوم العيد، والعترة تحمل بين يديه، فإذا بلغ المصلى نصبت بين يديه، فيصلي إليها، وذلك أن المصلى كان فضاء ليس فيه شيء يستتر به[1]».

فالسنة في صلاة العيدين أن تؤدى في المصلى وبذلك قال جمهور العلماء.

● قال النووي ـ رحمه الله ـ «هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلاة العيد إلى المصلى، وأنه أفضل من فعلها في المسجد، وعلى هذا عمل الناس في معظم الأمصار».

● وقال ابن حجر في الفتح (٢/ ٤٥٠) «استدل به على استحباب الخروج لصلاة العيد، وأن ذلك أفضل من صلاتها في المسجد لمواظبة النبي ﷺ على ذلك مع فضل مسجده[2]».

ولكن إذا كان هناك عذر يمنع من الخروج كالمطر أو الريح الشديدة أو الأعاصير أو غير ذلك من الموانع فلا بأس من صلاة العيد في المساجد.

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة واللفظ له.

(٢) قلت: ومن أراد المزيد فليرجع إلى الرسالة القيمة لمحدث العصر الإمام الألباني رحمه الله (صلاة العيدين في المصلى هي السُنة) ففيها الغنية والكفاية ـ والله أعلم.

● قال البغوي في شرح السُنة: «السُنة أن يخرج الإمام لصلاة العيدين إلا من عذر، فيصلي في المسجد».

(٥) مشروعية خروج النساء إلى المصلى:

● عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى، العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة - وفي لفظ المصلى - ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله: إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: «لتلبسها أختها من جلبابها[1]» .

● قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: «حق على كل ذات نطاق الخروج إلى العيد[2]».

فالسُنة خروج النساء إلى المصلى لصلاة العيدين وفي الباب أحاديث أخرى صحيحة.

(٦) غض البصر:

غض البصر مأمور به المسلم في كل وقت وحين، وذلك عما حرَّم الله لما ورد في الكتاب والسُنة، ولكن آكد في يوم العيد لأنه يوم

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١/٦٠٥) (٣٥١) ومسلم (٢/٦٠٥) (٨٩٠). والعواتق: الأنثى أول ما تبلغ.

(٢) رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح.

طاعة وقربة لله ويزداد هذا الأمر تأكيدا في زماننا هذا، فالفتن تلاحق المسلم في كل مكان والله المستعان.

● روي عن حسان بن أبي سنان ـ رحمه الله ـ: أنه خرج في يوم عيد فلما عاد قالت له امرأته: كم من امرأة حسناء قد رأيت؟! فقال: «والله ما نظرت منذ خرجت من عندك إلا في إبهامي إلى أن رجعت إليك».

(٧) إتيان المصلى ماشيا والعودة منه ماشيا:

● عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان رسول الله ﷺ يخرج إلى العيد ماشيا ويرجع ماشيا[١]».

● قال علي رضي الله عنه ـ: «إن من السنة أن تأتي العيد ماشيا[٢]».

قال الترمذي: والعمل على هذا الحديث عند أكثر أهل العلم، يستحبون أن يخرج الرجل إلى العيد ماشيا.

قال ابن المنذر: المشي إلى العيد أحسن وأقرب للتواضع ولا شيء على من ركب[٣]».

---

(١) رواه ابن ماجة بسند صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجة، وصححه الألباني.

(٣) الأوسط (٤/٢٦٤).

(٨) التكبير في العيدين:

● قال تعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥].

● قال البغوي: «ومن السنة إظهار التكبير ليلتي العيدين مقيمين وسفرا في منازلهم ومساجدهم وأسواقهم وبعد الغدو في الطريق، وبالمصلى إلى أن يحضر الإمام، كان ابن عمر - رضي الله عنهما - يغدو إلى المصلى يوم الفطر إذا طلعت الشمس فيكبر حتى يأتي المصلى ثم يكبر بالمصلى حتى إذا جلس الإمام ترك التكبير(١)».

● عن ابن عمر رضي الله عنهما - قال: «كان ﷺ يخرج في العيدين رافعا صوته بالتهليل والتكبير(٢)».

● وثبت عنه ﷺ: «أنه كان يخرج يوم الفطر فيكبر حتى يأتي المصلى، وحتى يقضي الصلاة، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير(٣)».

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي وصححه، ورواه الدارقطني وابن أبي شيبة بإسناد صحيح أنظر الإرواء (٦٥٠).

(٢) رواه البيهقي بسند حسن.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والمحاملي في (صلاة العيدين) وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٠).

- وكان أبو بكر وابن المسيب وعروة وأبو سلمة يكبرون ليلة الفطر في المسجد يجهرون بالتكبير.
- سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن وقت التكبير في العيدين فقال ـ رحمه الله ـ «الحمد لله: أصح الأقوال في التكبير الذي عليه جمهور السلف والفقهاء من الصحابة والأئمة: أن يكبر في فجر عرفة إلى آخر أيام التشريق عقب كل صلاة، ويشرع لكل أحد أن يجهر بالتكبير عند الخروج إلى العيد، وهذا باتفاق الأئمة الأربعة»أ. هـ.

(٩) صيغ التكبير:

ومن صيغ التكبير الثابتة:

- «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد[١]».
- «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد[٢]».
- «الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا[٣]».
- «الله أكبر الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر وأجل، الله أكبر على ما هدانا[٤]».

---

(١) رواه ابن أبي شيبة بإسناد صححه الألباني عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) سنده صحيح عن ابن مسعود، وابن عباس.

(٣) رواه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان.

(٤) رواه البيهقي وصحح إسناده الألباني عن ابن عباس.

● قال أبو عبد الرحمن السلمي: كانوا في الفطر أشد منهم في الأضحى، قال وكيع: يعني في التكبير.

(١٠) مخالفة الطريق في الذهاب والإياب إلى المصلى:

والسنة مخالفة الطريق ذهابا وإيابا إلى المصلى، وذلك اقتضاء برسول الله ﷺ.

● فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: «وكان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق[١]».

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان ﷺ إذا خرج يوم العيد في طريق رجع من غيره[٢]».

● قال الإمام النووي: «وإذا لم يعلم السبب، استحب التأسي قطعا والله أعلم[٣]».

● قال الإمام ابن القيم: «وكان ﷺ يخرج ماشيا، وكان ﷺ يخالف الطريق يوم العيد، فيذهب من طريق ويرجع من آخر، قيل ليسلم على أهل الطريقين، وقيل لينال بركته الفريقان، وقيل ليقضي حاجة من له حاجة منهما، وقيل ليظهر شعائر الإسلام في سائر الفجاج والطرق، وقيل ليغيظ المنافقين برؤيتهم عزة الإسلام وأهله، وقيام

---

(١) صحيح: رواه البخاري والترمذي وابن ماجة وأحمد.

(٢) رواه الترمذي بسند صحيح.

(٣) روضة الطالبين (٢/ ٧٧).

شعائره، لتكثر شهادة البقاع، فإن الذاهب إلى المسجد والمصلى إحدى خطواته ترفع درجة وتحط خطيئة، حتى يرجع إلى منزله، وقيل وهو الأصح إنه لذلك كله، ولغيره من الحكم التي لا يخلو فعلها منها[1]» أ. هـ.

(١١) لا يصلي قبل العيد شيئا:

- عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: «أن النبي ﷺ صلى يوم الفطر ركعتين، لم يصل قبلها ولا بعدها[2]».

قال ابن حجر في الفتح (٢/٤٧٦): «والحاصل أن صلاة العيد لم يثبت لها قبلها ولا بعدها، خلافا لمن قاسها على الجمعة».

- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -: «كان رسول الله ﷺ لا يصلي قبل العيد شيئا، فإذا رجع إلى منزله صلى ركعتين[3]».

(١٢) حكم صلاة العيدين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «.. ولهذا رجحنا أن صلاة العيد واجبة على الأعيان كقول أبي حنيفة وغيره وهو أحد أقوال الشافعي، وأحد القولين في مذهب أحمد، وقول من قال: لا تجب في غاية البعد، فإنها من أعظم شعائر الإسلام والناس يجتمعون لها

---

(١) زاد المعاد (١/٤٤٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٣) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ والألباني.

أعظـم مـن الجمعـة، وقـد شـرع فيـها التكبير، وقـول مـن قـال: هـي فرض على الكفاية لا ينضبط[١]» أ. هـ.

● قـال العلامـة صديـق حسـن خـان: «ومـن الأدلـة علـى وجوبها أنـها مسقطة للجمعة إذا اتفقنا في يوم واحد[٢]»، «ومـا ليـس بواجـب لا يسقط ما كان واجبا، وقد ثبت أنه لازمها جماعة منذ شـرعت إلى أن مات، وانضم إلى هذه الملازمة الدائمة أمره للناس بأن يخرجوا إلى الصلاة[٣]» أ. هـ.

(١٣) وقت صلاة العيد:

عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ أنه خرج مع الناس يـوم فطر أو أضحى، فأنكر إبطاء الإمام، قال: «إن كنا قـد فرغنـا سـاعتنا هـذه، وذلك حين التسبيح[٤]» أي وقت صلاة النافلة إذا مضى وقت الكراهة.

● قال ابن القيم «يؤخر صلاة عيد الفطر، ويجعل الأضحى».

---

(١) مجموع الفتاوى. (٢٤/٢١٠).

(٢) كما في حديث أبي هريرة - عندما اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال: (اجتمـع في يومكـم هـذا عيـدان، فمـن شـاء أجزأه من الجمعـة وإنا مجمعـون) رواه أبو داود وابن ماجة وسـنده حسـن. وانظـر المغـني (٢/٣٥٨)، ومجمـوع الفتاوى (٢٤/٢١٢).

(٣) انظر الروضـة الندية (١/١٤٢)، الموعظـة الحسـنة (٤٢ - ٤٣)، نيـل الأوطـار (٣/٣٨٢ - ٣٨٣)، وتمام المنة (٣٧).

(٤) علقه البخاري في صحيحه ووصله أبو داود وابن ماجة والحاكم والبيهقي وسنده صحيح.

● قال صديق حسن خان: وقتهما بعد ارتفاع الشمس قيد رمح إلى الزوال.

(١٤) لا أذان ولا إقامة للعيدين:

● عن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال: «صليت مع رسول الله العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة[(١)]».

● عن ابن عباس وجابر - رضي الله عنهما - قال: «لم يكن يؤذن يوم الفطر ولا يوم الأضحى[(٢)]».

● قال ابن القيم - رحمه الله -: «وكان إذا انتهى إلى المصلى أخذ في الصلاة من غير أذان ولا إقامة، ولا قول: الصلاة جامعة والسنة أن لا يفعل شيء من ذلك[(٣)]».

● قال الصنعاني: «عدم شرعيتها في صلاة العيد فإنها بدعة[(٤)]».

(١٥) صلاة العيد ركعتان:

● عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «صلاة المسافر ركعتان، وصلاة الأضحى ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، تمام غير قصر، على لسان محمد ﷺ[(٥)]».

---

(١) صحيح: رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

(٢) صحيح: رواه البخاري.

(٣) زاد المعاد (١/ ٤٤٢).

(٤) سبل السلام (٢/ ٦٧).

(٥) سنده صحيح: رواه أحمد والنسائي والطحاوي في شرح معاني الآثار والبيهقي.

(١٦) كيفية صلاة العيد:

● الركعة الأولى تبدأ بتكبيرة الإحرام ثم يكبر فيها سبع تكبيرات، وفي الركعة الثانية خمس تكبيرات، سوى تكبيرة الانتقال.

● عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان يكبر في الفطر والأضحى: في الأولى سبع تكبيرات، وفي الثانية خمسا سوى تكبيرتي الركوع»[١].

● والسنة في التكبير أن يكون قبل القراءة لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «كبر رسول الله ﷺ في صلاة العيد سبعا الأولى ثم قرأ ثم كبر فركع، ثم سجد، ثم قام فكبر خمسا، ثم قرأ، ثم كبر فركع ثم سجد[٢]».

● لم يصح عن النبي ﷺ أنه كان يرفع يديه مع تكبيرات العيد[٣].

ولكن قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٤٤١): «وكان ابن عمر - مع تحريه للإتباع يرفع يديه مع كل تكبيرة».

قال الإمام مالك: «ارفع يديك مع كل تكبيرة» وهذا قول عطاء.

---

(١) إسناده صحيح: رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد والبيهقي.

(٢) حسن بشواهد: رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد، انظر إرواء الغليل (٣/ ١٠٨ - ١١٢) وزاد المعاد (١/ ٤٤٣ - ٤٤٤).

(٣) إرواء الغليل (٣/١١٢ - ١١٤).

● لم يصح عن النبي ﷺ ذكر معين بين تكبيرات العيد، ولكن ثبت عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال عن صلاة العيد «بين كل تكبيرتين حمد لله عز وجل، وثناء على الله(١)».

وفيه أيضا عن ابن مسعود أنه قال: «يحمد الله ويثني عليه ذويصلي على النبي ﷺ(٢)».

● عن أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ «سألني عمر بن الخطاب عما قرأ به رسول الله ﷺ في العيد؟ فقلت: بـ ﴿اقتربت الساعة﴾ و ﴿ق(٣)﴾.

● قال ابن القيم (ربما قرأ فيهما ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾، ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ أخرجه مسلم من حديث النعمان بن بشير. صح عنه هذا وهذا ولم يصح عنه غير ذلك.

● وباقي هيئاتها، كغيرها من الصلوات المعتادة.

(١٧) من فاتته صلاة العيد جماعة يصلي ركعتين:

● قال البخاري ـ رحمه الله ـ (باب إذا فاته العيد صلى ركعتين) وهو قول عطاء ومذهب الشافعي.

---

(١) رواه البيهقي والمحاملي وجوده الألباني.

(٢) صححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(١٨) الخطبة بعد الصلاة:

السُنة في خطبة العيد أن تكون بعد الصلاة خلافاً لما فعله مروان بن الحكم.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة).

(١٩) التخيير بحضور الخطبة:

حضور الخطبة ليس واجباً كالصلاة. قال عبد الله بن السائب: شهدت العيد مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلما قضى الصلاة قال صلى الله عليه وسلم: (إنا نخطب، فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس، ومن أحب أن يذهب فليذهب)(١).

- قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٤٤٨): ورخص النبي صلى الله عليه وسلم لمن شهد العيد أن يجلس للخطبة أو أن يذهب.

(٢٠) التهنئة بالعيد:

- قال جبير بن نفير: (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد، يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك)(٢).

---

(١) إسناده صحيح: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وابن خزيمة والألباني في إرواء الغليل (٣/ ٩٦ - ٩٨).

(٢) قال ابن حجر في الفتح (٢/ ٤٤٦): أدينا في المحامليات بإسناد حسن عن جبر بن عبد نفير وحسنه أيضاً السيوطي في (وصل الأماني بأصول التهاني).

● سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن التهنئة يوم العيد فأجاب: (أما التهنئة يوم العيد، يقول بعضهم لبعض إذا لقيه بعد صلاة العيد: تقبل الله منا ومنكم، وأحال الله عليك ونحو ذلك، فهذا قد روي عن طائفة من الصحابة أنهم كانوا يفعلونه ورخص فيه الأئمة كأحمد وغيره، لكن قال أحمد: أنا لا أبتدىء أحداً، فإن ابتدأني أحد أجبته، وذلك لأن جواب التحية واجب، وأما الابتداء بالتهنئة فليس سُنة مأموراً بها، ولا هو أيضاً مما نهى عنه، فمن فعله فله قدوة، ومن تركه فله قدوة، والله أعلم)[١].

(٢١) الأذن بسماع الدف من الجويريات وتركه أولى:

● عن عائشة رضي الله عنها ـ قالت: دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند جاريتان يغنيان بغناء بعاث[٢] فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (دعمها) فلما غفل غمزتها فخرجتا.

وفي رواية أخرى: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا)[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٥٣).

(٢) كان فيه حرب بين الأوس والخزرج وبعاث: اسم لحصن الأوس.

(٣) صحيح: والروايتان للبخاري ومسلم وأحمد وابن ماجة، والرواية الثانية تقدمت قريباً.

قال الحافظ في الفتح (٢/٤٤٣) (وفي هذا الحديث من الفوائد، مشروعية التوسعة على العيال في أيام الأعياد بأنواع ما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن من كلف العبادة، وأن الإعراض عن ذلك أولى، وفيه أن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين)أ.هـ.

وهكذا أخي الكريم انتهت هذه الرحلة أيضاً بسلام، وكم سعدنا فيها بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، نسأل الله أن يرزقنا حسن الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم والسير على نهج صحابته الأبرار، وأن يتقبل منا ومنك ومن جميع المسلمين صالح الأعمال والأقوال، إنه جواد كريم وبالإجابة قدير، وهيا بنا مرة أخرى لنركب زورقنا لنرجع من حيث كنا إلى هنا وما أدراك ما هنا!.

● مخالفات العيد

أخي الكريم: هناك بعض المخالفات يقع فيها بعض المسلمين في ليالي العيد وأيامه فأردت أن ألفت النظر إليها حتى يحذر من الوقوع فيها فمنها:

(١) التكبير الجماعي بصوت واحد، أو الترديد خلف شخص يقول: (الله أكبر) أو إحداث صيغ للتكبير غير مشروعة.

(٢) اعتقاد مشروعية إحياء ليلة العيد، ويتناقلون أحاديث لا تصح.

(٣) تخصيص يوم العيد لزيارة القبور والسلام على الأموات.

(٤) اختلاط النساء بالرجال في بعض المصليات والشوارع والمتنزهات.

(٥) بعض الناس يجتمعون في العيد على الغناء واللهو والطرب والعبث والمجون وهذا لا يجوز بحال من الأحوال.

(٦) كثرة تبرج النساء وعدم تحجبهن، وحري بالمسلمة المحافظة على شرفها وعفتها بأن تحتشم وتستتر، لأن عزها وشرفها في دينها وعفتها.

(٧) خروج النساء لصلاة العيد متزينات متعطرات وهذا لا يجوز.

(٨) الإغراق في المباحات من لبس وأكل وشرب حتى تجاوز الأمر إلى الإسراف. قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [سورة الأعراف:الآية ٣١].

(٩) البعض يظهر عليه الفرح بالعيد لأن شهر رمضان انتهى وتخلص من العبادة فيه، وكأنها حمل ثقيل على نفسه. وهذا على خطر عظيم.

(١٠) بعض الناس يتهاون في أداء صلاة العيد، ويحرم نفسه الأجر والخير الكثير، فلا يشهد الصلاة، ودعاء المسلمين، وقد يكون المانع من الحضور سهره الطويل بالليل.

(١١) بعض الناس أصبح يُحيي ليالي العيد وأيامه بأذية المسلمين في أعراضهم فتجده يتابع عورات المسلمين ويصطاد في الماء العكر،

وسيلته في ذلك سماعة الهاتف، أو الأسواق التي أصبحت تعج بالنساء، وهن في كامل زينتهن، فتنهدم بيوت عامرة، وتتشتت أسر مجتمعة، وتنقلب الحياة جحيماً لا يطاق، بعد أن كانت آمنة مستقرة!!

(١٢) هناك من يجعل العيد فرصة له لمضاعفة كسبه الخبيث، وذلك بالغش والخديعة، والكذب والاحتيال، وأكل أموال الناس بالباطل وكأنه لا رقيب عليه ولا حسيب، فتجده لا يتورع عن بيع ما حرم الله من المأكل والمشروبات، والملهيات، ووسائل هدم البيوت والمجتمعات.

(١٣) ومن الأخطاء والمخالفات التي تتكرر في مناسبات الأعياد وليالي رمضان، عبث الأطفال والمراهقين بالألعاب النارية، التي تؤذي المصلين والمسلمين عموماً، وتروع الآمنين، وكم جرت من مصائب وحوادث!! فهذا أصيب في عينه، وذاك في رأسه، وآخر في يده إلى غير ذلك والناس في غفلة عن هذا الأمر.

أخي: وقبل أن أطوي هذه الصفحات أود أن أقول لك:

كم من يتيم يأتي عليه العيد وهو ينشد عطف الأبوة الحانية ويلتمس حنان الأم الرؤوم فلا يجد، ينظر إلى من يمسح رأسه ويخفف بؤسه ويجفف دمعه فلا يجد؟!.

كم من فقير يأتي عليه العيد يتلمس ثوباً جديداً يشارك الناس فيه بهجة العيد فلا يجد؟!

كم من مسكين يأتي عليه العيد يتلمس شيئاً يسد به رمقه فلا يجد؟!.

كم من أناس يأتي عليهم العيد وهم في الشعاب مطردون! وعن أهليهم وزويهم مبعدون، وعن أوطانهم مشردون! فلا مأوى يأويهم، ولا شراب يسقيهم ولا لباس يسترهم؟!

كم من أناس يأتي عليهم العيد وهم تحت وطأة الظلم والقذف والقتل والتعذيب والتشريد والسلب والنهب وهتك الأعراض، أشلاء متفرقة، جماجم متناثرة، عظام مكسرة، جثث مبعثرة، بحار من الدم تسبح فيها الجثث، صياح وعويل، صراخ وأنين، خوف واستغاثة، أطفال تبكي، فتيات تصرخ، نساء تنوح وتستغيث، فلا مجيب، أصوات ترتفع وتقول: وا إسلاماه وا معتصماه لكن! لا أحد يسمع، ولا معتصم يجيب!

رب وامعتصماه أنطلقت ... ملء فم الصبيا اليُتم

ربما صادفت أسماعنا ... لكنها لم تصادف نخوة المعتصم

ذبحوا الصبي وأمه ... وفتاتها ذات الوشاح

يا ألف مليون مسلم ... وأين أنتمو؟! كثر الجراح

أخي:

لا أريد أن أنغص علي فرحة العيد، ولكن أريد منك أن تتذكر وأنت تحنو على أطفالك يوم العيد أن هناك ألوف من أطفال المسلمين قد شُرِّدوا وقتل آباؤهم فلم يجدوا في هذا اليوم من يحنوا عليهم وتذكر وأنت تمازح أهلك وتنبسط معهم أن هناك أخوات لك ثكلى فقدن عائلهن تحت وطأت القهر والظلم، فليس معهن من يقوم على شؤونهن.

وتذكر وأنت تزور إخوانك وأرحامك وأقاربك أن لك إخواناً في شتى بقاع الأرض قد شردوا، وقتلوا، وأبعدوا عن أوطانهم وذويهم.

وبالجملة تذكر حال الأمة المنكوبة وقد أتى عليها العيد وهي مسلوبة لإرادة مهضومة الحقوق كسيرة الجناح.

● عيد بأي حال جئت يا عيد

أقبلت يا عيد والأحزان أحزان ... وفي ضمير القوافي ثار وبركان
أقبلت يا عيد والرمضاء تلفحني ... وقد شكت من غبار الدرب أجفان
أقبلت يا عيد، هذي أرض حسرتنا ... تموج موجاً وأرض الأنس قيعان
أقبلت يا عيد، والظلماء كاشفة ... عن رأسها، وفؤاد البدر حيران
أقبلت يا عيد، أجرى اللحن في شفتي ... رطباً فيغبطني أهل وإخوان
أزف تهنئتي للناس أشعرهم ... أني سعيد وأن القلب جذلان
وأرسل البسمة الخضراء تذكرة ... إلى نفوسهمو تزهو وتزدان
قالوا وقد وجهوا نحوي حديثهمو ... هذا الذي وجهه للبشر عنوان
هذا الذي تصدر الآهات من دمه ... شعراً رصيناً له وزن وألحان

لا لــن أعاتبــهم هــم ينظــرون إلى ... وجهي وفي خاطري للحزن كتمــان
والله لو قرأوا في النفــس مــا كتبــت ... يد الحراج ومــا صاغتــه أشــجان
ولو رأوا كيف بــات الحــزن متكئــا ... على ذراعــي وفي عينيــه نكــران
لأغمضــوا أعينــا مبــهورة وبكــوا ... حالي وقد نــالوا بــؤس وحرمــان
أقبلت يــا عيــد، والأحــزان نائمــة ... على فراشي وطرف الشوق ســهران
من أين نفرح يــا عيــد الحــراج وفي ... قلوبنا من صنــوف الهــم ألــوان
ومن أين نفرح والأحــداث عاصفــة ... وللدمــى مقــل ترنــو وأذان؟!
من أين.. والمسجد الأقصــى محطمــة ... آماله، وفــؤاد القــدس ولهــان؟!
من أين.. نفرح يا عيــد الحــراج وفي ... دروبنــا جــدر قــامت وكثبــان؟
من أيــن.. والأمــة الغــراء نائمــة ... على سرير الهوى والليل نشــوان؟
من أين.. والذل يبني ألــف منتجــع ... في أرض عزتنا والربــح خســران؟
من أين.. نفرح والأحباب ما اقــتربوا ... منا ولا أصبحوا فينا كمــا كــانوا؟
يا من تسرب منهم في الفــؤاد هــوى ... قامت له في زوايا النفــس أركــان
أصبحت في يوم عيدي والسؤال علــى ... ثغري يئــن وفي الأحشــاء نــيران
أيــن الأحبــة.. لا غيــم ولا مطــر ... ولا ريــاض ولا ظــل وأغصــان
أيــن الأحبــة.. لا بــدر يلــوم لنــا ... ولا نجــوم بهــا الظلمــاء تــزدان؟
أيــن الأحبــة.. لا بحــر ولا جــزر ... تبدو، ولا سفن تجــري وشــطآن؟
أين الأحبة.. وارتــد الســؤال إلى ... صدري سهاما لها في الطعن إمعان[1]

---

(١) قصيدة (عندما يحزن العيد) من ديوان (شموخ في زمن الإنكسار) للدكتور الشاعر عبد الرحمن حفظه الله ورعاه.

بشراك بالعيد الجديد [1]

بشراك بالعيد الجديد ... قم حي مطلعه السعيد
عد بالهناءة والمسرة ... والسلام على الوجود
وانشر سناك على الفقير ... وظلك الحاني الودود
وهب البخيل من القناعة ... ما يصيره يجود
وأعد لمن ينس الحياة ... وعيشها الأمل الرغيد
تلك الشيشان [2] لم تزل ... في الحرب أصلب من حديد
لم يثن عزم كفاحها ... وعد العدو ولا الوعيد
تفري العدو بأسها ... وتريه أهوال الصمود
تيهي يا روسيا [3] كيف شئت ... فليس يومك بالبعيد

---

(١) هذه القصيدة أخذها المؤلف من الشاعر إبراهيم بن عبد الرحمن بن حمد المفدى في إحدى الجلسات الأحدية لفضيلة الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري حفظه الله ورعاه. وقد نشرت هذه القصيدة عام ١٣٨٠هـ في جريدة القصيم الغراء.

(٢) كانت في الأصل (الجزائر) بدل (الشيشان) لكنني قمت بتغييرها حتى تناسب هذا الوقت وقد استئذنت الشاعر في ذلك فأذن لي.

(٣) كانت في الأصل (فرنسا) بدل (روسيا) لكنني قمت بتغييرها حتى تناسب هذا الوقت بعد موافقة الشاعر.

قد أشعل الإسلام[1] الكفاح وأنت للنار الوقود
أما فلسطين الجريحة في يد الخصم العنيد
لا لن تضيع ولن يضيع بها جريح أو شهيد
سنعيدها للاجئين وكل مسلوب شريد
استيقظ الإسلام الغداة ولم يعد فيهم رقود
ولسوف نسحق غاصبا قد عاث في أرض الجدود
يا عيد عد باليمن والإقبال والنصر المزيد
وانشر على الدنيا السلام وحقق الأمل الوطيد
حتى نرى العرب استردوا عز ماضينا المجيد
حلم إذا ما صح كان على العروبة خير عيد

❀ ❀ ❀

أخي الحبيب: تقبل الله منا ومنك صالح الأعمال وأسأل الله أن يكون هذا العيد علينا وعليك وعلى سائر المسلمين في كل مكان عيد بركة وخير، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يعيديه علينا أعواما عديدة وأزمنة مديدة، وأن يعيد إلينا مقدساتنا

(١) كانت في الأصل (العرب) بدل (الإسلام) لكنني قمت بتغييرها بعد موافقة الشاعر.

ويرجـع إلينـا عزتنـا وينصـر الإسـلام والمسـلمين ويـذل الشـرك والمشركين ويرفـع راية الحق خفاقة إلى يـوم الديـن إنـه ولي ذلـك والقادر عليه ومولاه.

***

استــراحة

● ومن الغباوة ما يضحك

قال الأصمعي:

كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسواد، فاستعانت بابن عبدل في دينها[١]، وقالت له: إني امرأة ليس لي زوج، وجعلت تعرض بأنها تزوجه نفسها، فقام ابن عبدل في دينها حتى اقتضاه، فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه:

سيخطئك الذي حاولت مني ... فقطع حبل وصلك من حبالي
كما أخطأت معروف بن بشر ... وكنت تعد ذلك رأس مال

قال: وكان ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة فساله، فقال له: أخمسمائة أحب إليك الآن عاجلة أم ألف في قابل؟)[٢].

قال: ألف في قابل؟ فلما أتاه قال له: ألف أحب إليك أم ألفان في قابل؟ قال: ألفان في قابل. فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئا.

---

(١) ابن عبدل الأسدي: صاحب النوادر، كان أعرج أحدب من الشعراء المجيدين هجاء خبيث اللسان.

(٢) قابل: أي في عام مقبل أو العام القادم.

● الطبيب أعلم منك

قيل: إن امرأة عجوزا مرضت، فأتاها ابنها بطبيب، فرآها الطبيب متزينة بأثواب مصبوغة، فعرف ما بها، فقال الطبيب: ما أحوجها إلى زوج! فقال الابن: وما حاجة العجائز للأزواج! فقالت الأم العجوز: ويحك! الطبيب أعلم منك على كل حال.

● لو رأيت حسني؟!

تزوج أعمى امرأة، فقالت له يوما:
لو رأيت حسني وجمالي وبياضي لعجبت.
فقال: لو كنت كما تقولين، ما تركك لي البصراء.

● خذي أمك معك

التفت الأب إلى ابنته وقال لها: لقد تقدم شاب يطلب يدك، ووافقت على تزويجك منه، قالت الإبنة: ولكني يا أبي لا أريد أن أفارق أمي. قال الأب: إنني أقدر شعورك نحو أمك، ولن أقف في طريق سعادتك، خذي أمك معك!!.

ماذا بعد رمضان؟

الحمد لله الدائم فلا يزول ولا يتغير، الحكيم الذي جعل في انقضاء الشهور وتقلب الليل والنهار عبرة لمن تفكر، لا إله إلا هو جعل الفلاح لمن عمل بأحكام الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله فتح أبواب رحمته لمن داوم على طاعته، وحجب أنوار هدايته عمن انقاد لشهوته، وانغمس في حمأة رذيلته، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله إمام المتقين وسيد الأنبياء والمرسلين، اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تمسك بالدين واهتدى بهديه.

أما بعد:

أخي الكريم: ها نحن قد ودعنا شهر رمضان المبارك بنهاره الجميل ولياليه العطرة، ها نحن قد ودعنا شهر رمضان شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، شهر مغفرة الذنوب، وستر العيوب وعمارة القلوب، شهر فُتحت فيه أبواب الجنان، وأغلقت فيه أبواب النيران، شهر كانت فيه مردة الجن والشياطين مصفدة، والخيرات والرحمات فيه مُنزلة، شهر تشرق فيه المساجد بالأنوار، وتكثر الملائكة لصوامه من الاستغفار، شهر تعظم فيه الصدقات، وتضاعف فيه أعمال البر والخيرات، وتكفر فيه السيئات، وتُقال فيه العثرات، وتدفع فيه

النكبات، وترفع فيه الدرجات، شهر قد فاز فيه من صامه وقامه إيمانا واحتسابا، وخسر فيه من قال زورا وبهتانا.

فيا ليت شعري من المقبول منا فنهنيه بحسن عمله، أم ليت شعري من المطرود والخسران منا فنعزيه بسوء عمله.

فيا أيها المقبول هنيئا لك بثواب الله عز وجل عليك ورضوانه، ورحمته وغفرانه، وقبوله وإحسانه، وعفوه وامتنانه، وخلوده في دار أمانة.

ويا أيها المطرود بإصراره وطغيانه وظلمه وعدوانه، وغفلته وخسرانه، وجهله وتماديه وعصيانه، لقد عظمت مصيبتك بغضب الله وهوانه، فأين مقلتك الباكية؟ وأين دمعتك الجارية؟

أخي: ذهب شهر رمضان وولى ومضى كأنه طيف خيال أو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، ذهب شهر رمضان بأيامه الجميلة ولياليه العطرة، وثماره اليانعة وظلاله الوارفة، ورياضه النضرة.

ذهب وقد استودعناه أعمالنا، خيرها وشرها، حلوها ومرها، صفوها وكدرها، إحسانها وإساءتها!

فيا ليت شعري! أيشهد لنا رمضان أم يشهد علينا؟

ذهب رمضان ولم يبقى منه إلا الذكريات الجميلة التي تثير في النفس شجونا وتلهب فيها لوعة الشوق للقاء فيواسيها الأمل ويمنيها إلى معاد.

تذكرت أياما مضت ولياليا خلت فجرت من ذكرهن دموع
ألا هل لها يوما من الدهر عودة وهل لي إلى يوم الوصال رجوع؟
وهل بعد إعراض الحبيب تواصل وهل لبدور قد أقلف طلوع؟!

ذهب شهر رمضان وربما يكون آخر رمضان في سجل حياتنا! أتراه يعود علينا؟ أم يدركنا المنون فلا يؤول غلينا؟!

هل استفدنا من رمضان؟! هل جنينا من ثماره اليانعة؟ هل تحققنا بالتقوى! وتخرجنا من مدرسة رمضان بشهادة المتقين؟!

هل تعلمنا فيه الصبر والمصابرة على الطاعة وعن المعصية؟!

هل ربينا فيه أنفسنا على الجهاد بأنواعه؟ هل جاهدنا أنفسنا وشهواتنا وانتصرنا عليها؟ أم غلبتنا التقاليد والعادات السيئة؟!

هل سعينا إلى العمل بأسباب الرحمة والمغفرة والعتق من النار؟

هل... هل... هل..؟! أسئلة كثيرة وخواطر عديدة، تتداعى على قلب كل مسلم صادق.. يسأل نفسه ويجيبها بصدق وصراحة ماذا استفدت من رمضان؟!

إن رمضان مدرسة إيمانية ومحطة روحية يتزود فيها العبد لبقية العام، ويشحذ فيها همته بقية العمر.

فمتى يتعظ ويعتبر ويستفيد ويتغير ويغير من حياته وسلوكه وأخلاقياته وعاداته من لم يفعل ذلك في رمضان؟!

شهر رمضان، شهر خير وبركة، فيه تتضاعف الأعمال وتنزل الرحمات فمن حرم خير هذا الشهر فقد حرم، فماذا فات من فاته خير رمضان، وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان؟ كم بين من حظه فيه القبول والغفران ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران؟ فمن لم يغفر له في رمضان فمتى يغفر له؟! شهر رمضان شهر العتق من النار، فمن لم يعتق في هذا الشهر فمتى يعتق؟!

إذا الروض أمسى مجدبا في ربيعه ... ففي أي حين يستنير ويخصب

كل ما لا يثمر من الأشجار في أوان الثمار فإنه يقطع ويجتز من جذوره ثم يلقى في النار.

كل من فرط في الزرع في وقت البدار لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسران.

ذهب شهر الخير والإحسان وانصرما ... واختص بالفوز بالجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسرا ... مثلي فيا ويله يا عظيم ما حرما
من فاته الزرع في وقت البدار فما ... تراه يحصد إلا الهم والندما

أخي الحبيب:

عهدناك في رمضان منيبا إلى ربك تائبا من ذنبك، راغبا في رحمة الله وثوابه خائفا من نقمته وعذابه، عهدناك في رمضان محافظا

على الصلوات في الأوقات حريصا على شهود الجمعة والجماعات، مقبلا على مجالس العلم والذكر، مستعدا لقبول النصائح والتوجيهات والعظات، عهدناك في رمضان قواما تاليا للقرآن، مرتلا له آناء الليل وأطراف النهار، واقفا عند حدوده مأتمرا بأوامره، منتهيا بنواهيه متدبرا لآياته، عهدناك في رمضان مهذبا نقيا، متواضعا تقيا، فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن، فعلى أي شيء عزمت بعد انقضاء شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن؟ أو ما حالنا بعد رمضان؟ أو ماذا بعد رمضان؟ وهل هناك وجه مقارنة بين حالنا في رمضان، وحالنا بعد رمضان؟

ولزاما على كل واحد منا، أن يصدق في جوابه مع نفسه، وأن يتجرد من أحابيل الشيطان وتلبيسه، وأن يترك التماس الأعذار الواهية التي يسلي بها نفسه ويمنيها.

والجواب عن هذا السؤال: ما نراه ونلمسه من حال بعضنا، فبعض الناس قد زادهم رمضان إيمانا فاض عليهم من فضله وألبسهم من حلله، فزادهم بهجة وضياء، فزاد حبهم للخير، وقويت رغبتهم فيه بجميع أنواعه، من صيام وقيام وتلاوة للقرآن، وصدقة وصلاة وبر وصلة رحم، ورأفة على الأيتام، وشفقة على الأرامل وذوي الحاجات وعطف على الفقراء والمساكين، فتجدهم في أبواب الخير متسارعون وفي وجوه البر متنافسون، وفي الطاعات متسابقون،

وللمعاصي تاركون وللشهوات منتهون، وعن الشر بكل صوره مبتعدون، ولسان حال الواحد منهم يقول: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ ﴾ [سورة الزمر:الآية ١٣]. هذا في الدنيا أما في الآخرة فيكون لسان حالهم ومقالهم ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨ ﴾ [سورة الطور:الآيات ٢٥-٢٨]. فهؤلاء هم الذين استفادوا من رمضان، وتحققت فيهم صفات المتقين، وظهرت فيهم علامات المحسنين، فكان صيامهم إيمانا حقا، وقيامهم إحتسابا صدقا جاهدوا أنفسهم في رمضان مجاهدة حقة فألزموها الطاعة ومنعوها من ارتكاب المعاصي وفعل القبائح والانغماس في الشهوات والملزات، ففازوا برضا الرب، وطمأنينة القلب، ومغفرة الذنب، وتزكية النفس، وعتقها من ذل العبودية لغير الله.

نسأل الله أن نكون من أولئك الذين نفعهم الله بصيامهم وقيامهم. الله آمين.

وقسم آخر من الناس كان متلبسا ببعض الذنوب والمعاصي والآثام، فاعلا بعض الكبائر العظام الجسام من ترك الصلاة وشرب للخمر، وقطع للأرحام وسماع الغناء الماجن ومشاهدة الفيلم الفاضح

الداعر إلى غير ذلك من الكبائر التي تغضب الرب جل وعلا، وهذا كله كان قبل رمضان، فلما أتى رمضان وأقبل بنوره وخيره وبركته، تأثر بروحانية شهر رمضان، وسكينة الصيام، وطول القيام، وتلاوة القرآن، وذاق حلاوة المناجاة وشعر بلذة القرب والإنس بالحي القيوم، بعدما جرب مرارة البعد والهجر، فعزم عزما أكيدا على ترك ما سلف من ماضيه، فطلقه طلاقا بائنا لا رجعة فيه، وعرف أنه كم كان مقصرا في حق نفسه وفي حق خالقه ومولاه ابتداء.

وهذا الصنف إن صدق مع الله في عزمه فسيرى من الله ما يسره قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة محمد:الآية ٢١].

فالخير كل الخير في الصدق مع الله تبارك وتعالى، والشر كل الشر في المكر والخداع والكذب مع الله، فإن عاقبة ذلك وخيمة ومرددة على صاحبها ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [سورة فاطر:الآية ٤٣].

يا غافلا عن مصيره، يا واقفا مع تقصيره، سبقك أهل العزائم وأنت في بحر الغفلة عائم، قف على الباب وقوف نادم، ، ونكس الرأس بذل وقل: أنا ظالم، وناد في الأسحار: مذنب وراحم، وتشبه بالقوم وإن لم تكن منهم وزاحم، وابعث بريح الزفرات سحاب ودمع

ساجم، وقـم في الدجى ناديا وقف على الباب تائبا، واستدرك من العمر ذاهبه ودع اللهو جانبا، وطلق الدنيا إن كنت للآخرة طالبا، وأحمد الله الذي بلغك ختام رمضان، واجعل من هذا الشهر المبارك مرحلة تنقيه وتهذيب لسلوكك وأخــلاقك، واعلــم أن الله يتوب علــى مــن تــاب ﴿ فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة المائدة:الآيــة ٣٩]. وتذكر قول نبيك صلى الله عليه وسلم حيث قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)[١].

وتذكر قصة ذاك الرجل الذي قتل مائة نفس وأراد أن يتوب فلما صدق مع الله في التوبة، تاب الله عليه وغفر له واعلم بأنك إذا تبت إلى الله ورجعت إليه فرح الله بك فرحا شديدا كما ثبت بذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم[٢] وأحاديث التوبة كثيرة فارجع إليها وجدد التوبة والأدبة مع الله ولنعزم أخي في الله من الآن على التوبة النصوح، ولنغتنم ذلك قبل فوات الأوان فما زال في العمر بقية ومازالت سكينة الصيام قريبة العهد بنا.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩/٢١١٣/٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) حديث: قاتل مئة نفس متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، وحديث فرح الرب بتوبة العبد متفق عليه من حديث أنس.

أخي في الله:

تجد بعض الناس من الذين تاب الله عليهم في هذا الشهر وأقلعوا عما كانوا فيه من المعاصي والذنوب واقعين، وعزموا على التوبة الصادقة، تراودهم أنفسهم أحيانا إلى الرجوع إلى ما كانوا عليه قبل التوبة من المعاصي والآثام والملهيات المحرمة من سماع ونظر إلى ما حرم الله إلى غير ذلك من الذنوب، فيجد الواحد منهم نفسه في مفترق طريقين، ويختلج في صدره نداءين وداعيين.

الداعي الأول: هو نداء الفطرة السليمة، وهو داعي الخير والإيمان يناديه ويقول له: امض في طريقك واسلك السبيل فأنت على الهدى والحق ولا تلتف لأي نداء آخر.

والداعي الثاني: هو نداء الهوى والنفس والشيطان، وهو داعي الشر يناديه ويقول له: ائتنا هلم إلينا، فلطالما اجهدت نفسك وحرمتها مما تشتهي! فنقول لمن هذا حاله: يا أخي: تمهل واستمع فإني لك ناصح أمين، وعليك مشفق.

أتراك بعدما ذقت حلاوة الطاعة، تعود إلى مرارة العصيان؟! أتراك بعدما ذقت لذة الإنس والقرب والمناجاة تعود إلى لوعة البعد والهجر والحرمان؟! أتراك بعدما صرت من حزب الرحمن تنقلب على عقبيك فتنضم إلى حزب الشيطان؟! أتراك بعدما حسبت في عداد

المصلين تترك الصلاة وهي عماد الدين وتكتب من الغافلين؟ وهل يليق بك بعدما كنت في رمضان برا تقيا أن تصير في الإفطار جبارا شقيا؟! ما هكذا يكون المؤمن، بل ما هكذا يكون العاقل المتبصر!.

أخي المسلم: يقول الرب جلا وعلا: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [سورة النحل:الآية ٩٢]. فإياك ثم إياك من نقض الغزل بعد غزله.. أرأيت لو أن إنسانا غزل غزلا، ثم صنع منه قميصا أو ثوبا جميلا.. فلما نظر إليه واعجبه.. جعل يقطع خيوط هذا الثوب وينقضها خيطا خيطا، وبدون سبب.. فماذا يقول الناس عنه؟!

فهذا هو حال من يرجع إلى المعاصي والفسق والمجون ويترك الطاعات والأعمال الصالحة بعد رمضان، فبعد أن تنعم بنعيم الطاعة ولذة المناجاة، وحلاوة القرب، تجده يرجع القهقري إلى جحيم المعاصي والفجور، بعد أن أنقذه الله من هذا كله.

فبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ومن الخذلان بعد التوفيق، ومن العمى بعد البصيرة، ومن الشك بعد اليقين.

أخي المبارك: ولنقض العهد بعد توكيده أمور ومظاهر عديدة ومتنوعة عند الناس، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

١- ما نراه من بعض الناس إضاعتهم للصلاة مع الجماعة أو فرادى في أول يوم العيد، فبعد أن كانت المساجد ممتلئة بالمصلين في صلاة التراويح - التي هي سنة - نراها قد قل روادها في الصلوات الخمس التي هي فرض، ويكفر تاركها!! فما إن انسلخ رمضان حتى اختفوا وانمحت آثارهم من المساجد، وقبعوا في بيوتهم، كأنهم استغنوا عن الله والعياذ بالله، أو كأن الواجبات سقطت عنهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢- التبرج والسفور والاختلاط في الحدائق والذهاب إلى الملاهي رجالا ونساء والاستماع إلى الأغاني الماجنة ومشاهدة الأفلام الداعرة العفنة التي تهجم هجوما شرسا على العفة والحياء، والمعاكسات القبيحة الوقحة بأنواعها، والنظر إلى ما حرم الله، وكأن القوم فك أسرهم وأطلق سراحهم بعد سجن طال أمده، وكأنهم نشطوا من عقال! وكأن المحرمات قد كان عليها حظر في رمضان ثم رفع وأبيحت لهم بعد رمضان، فانطلقوا نحوها كالكلاب المسعورة التي ألهبها سياط الجوع وأضناها سوط الظمأ، وفجأة وجدت ما فقدت من الطعام والشراب والملذات، فاندفعت إليها بقوة، وانغمست فيها بشراهة، فأكلت حتى تخمت وشربت حتى ثملت، فهكذا القوم فهم ثمالى سكارى تتلاعب بهم الأهواء وتحركهم الشهوات

غابت عقولهم، وحجبت عنهم الحقيقة فهم غرقى في بحر الشهوات والملذات المحرمة، ظلمات بعضها فوق بعض كلما أراد أن يخرج منها لا يستطيع، فإذا ما انتهى من شهوة بحث عن أخرى، فهو لا يتروى ظمأه ولا تهدأ نفسه، فهو دائم الطلب عن الحرام حثيث السير نحوه.

٣- ومن ذلك أيضا السفر خارج البلاد للمعصية فترى الناس على أبواب وكالات السفر زرافات ووحدانا يتسابقون لشراء تذاكر السفر إلى بلاد الكفر والانحلال والفساد وإلى غير ذلك من المحرمات التي تغضب الرب سبحانه، وكأن لسان حال القوم يقول: بأن الله يراهم وهم في داخل بلادهم أما خارجها فلا! تعالى الله عما يظنون علوا كبيرا، فالله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا يغيب عن ملكه وسمعه وبصره وعلمه شاردة ولا واردة إلا وعلم مستقرها ومستودعها فسبحان من أحاط بكل شيء علما قال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة الأنعام:الآية ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادسهم وَلَآ أدنى مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة المجادلة:الآية ٧].

يحكى أن رجلا راود امرأة عن نفسها، فقالت له إن أردت فاذهب بنا في مكان لا يرانا فيه أحد، فذهب بها في الليل الدامس والظلام الحالك إلى صحراء بيداء، يبيد فيها البيد ويضيع فيها الذكي والبليد، وقال لها: أظن أن هذا المكان لا يرانا فيه أحد، ورفع بصره إلى السماء وقال: إلا هذه الكواكب، فقالت المرأة وأين مكوكبها؟ أين الله؟!

وهذا آخر يسير مع امرأة في الخلاء في إحدى الغابات ويقول لها بزهوه وغطرسطه: لو أردت أن أفعل بك ما أريد فلا يمنعني شيء، ولا يراني أحد! فسمع صوتا من أعلى يقول: قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الملك:الآية ١٤].

نعم:

إذا ما خلوت بريبة في ظلمة	والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحى من نظر الإله وقل لها	يا نفس إن الذي خلق الظلام يران

دخل الأديب الكبير ثعلب على الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ فقال له الإمام: يا ثعلب! ماذا تحفظ من الشعر؟ قال: أحفظ قول القائل:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل طرفة وأن ما تخفيه عنه يغيب

فقام الإمام أحمد من مجلسه، ورمى ما في يده من الكتب، ودخل غرفة، وأغلق من دونه الباب، فسمع تلامذته بكائه من خلف الباب وهو يردد الأبيات:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل طرفه وأن ما تخفيه عنه يغيب

فسبحان من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء!

أخي في الله: أعلم ـ وفقني الله وإياك ـ أن من علامات قبول العمل والتوفيق اتباع الحسنة بحسنة مثلها، ومن علامات رد العمل والخذلان اتباع الحسنة سيئة قال تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة محمد:الآية ٣٣].

فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فإن السيئات تؤثر على الحسنات، وقد قيل: ذنب بعد توبة أقبح من سبعين قبلها.

بكى بعض السلف عند الموت، فسئل عن ذلـك، فقـال: أبكـي على ليلة ما قمتها، وعلـى يـوم مـا صمتـه، الله أكـبر! فـإذا كـان هـؤلاء الأبرار يبكون ويندمون عند الموت على ترك النوافل، فما بـالك بندامة من ضيع الفرائض؟

أخي الكريم: إن للقبول والربح في رمضـان علامـات واضحـة، وللخسـران والـرد علامـات أيضـا واضحـة وضـوح شمـس في رابعـة النهار، يعرفها كل إنسان في نفسه، ففكر في نفسك!.

فمن كان حاله في الخير والاستقامة بعد رمضان أحسن من حالـه قبله من حسن سلوك وابتعاد عن المعاصي وحرص على الطاعة وحـب الخير فهذا دليـل علـى قبـول أعمالـه الصالحة في رمضـان، ودليـل علـى ربح تجارته في رمضان.

ومن كان حاله بعد رمضان كحاله قبله أو أسـوأ منـه مقيـم علـى المعـاصي، غـارق في الملـذات منغمـس في الشـهوات المحرمة مـن سمـاع وطرب ومجون ومشاهدة إلى مـا يغضـب الـرب جـل جلالـه، بعيـد عـن الطاعة متخاذل، نشيط في ارتكاب المعاصي ومسارع، تـارك مـا أوجبـه الله عليه، يسـمع النـداء للصـلاة فـلا يجـب، ويعصـي الله ولا يخـاف ويتـوب، لا يدخـل مـع المسـلمين في بيـوت الله، لا يشـهد الجمعـة ولا الجماعـات لا يتلـو كتـاب الله ولا يتـأثر بـالوعد والوعيـد، ولا يردعـه

التهديد، سماعه للأغاني والمزامير، ونطقه قول البهتان والزور، وشرابه الدخان والمخدرات والخمور، وماله من الرشوة والربا، وبيع السلع المحرمة، وسلوكه الكذب والخداع في المعاملة والغش والفجور، فمن كان هذا حاله، فماذا استفاد من رمضان؟ ومن مواسم المغفرة والرضوان؟ إنه لم يستفد سوى الآثام والخذلان والخسران والعقاب والنيران، والخيبة والحرمان فيا عظم الخسارة ويا فداحة المصيبة، ويا هول العقوبة، ويا شدة الفاجعة، نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الكسل بعد المنشط، ومن الفتور بعد الهمة، ومن البعد بعد القرب، ومن الهجر بعد الوصل.

فاتق الله يا أخي وواصل السير إلى الله، فمن زرع وتعاهد زرعه بالسقيا حصد، ومن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادما يوم الحصاد.

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمـت على التفريط في زمن البـذر

أخي الكريم:

تذكر بمضي الليالي والأيام والليل والنهار، سرعة انقضاء الأعمار وقرب الرحيل من الديار، فكم لك في المواعظ فيمن تعرف ممن فارقوا المنازل والقصور، وما كانوا فيه من النعيم والحبور، فسكنوا الأجداث والقبور، وانتقلوا من ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ومن التنعم بالأكل والشراب إلى التمرغ في الوحل والتراب، ومن ملاعبة

الجواري والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل.

فالسعيد من وعظ بغيره، واتعظ وعقل عن الله أمره فخافه، وأدى ما عليه فرض وإن الشقي من فرط في ماضيه، ولم ينتفع من أيامه ولياليه، ولم يتدارك بقية عمره في الإنابة إلى خالقه وباريه، والمسارعة في التقرب إلى المنعم عليه بما يرضيه، قبل أن يوقف رغم أنفه بين يدي ربه، وإذا بالمولى سائله فماذا يكون جوابه؟ وإذا قرره بما جنته يداه في دنياه، فبما يكون اعتذاره وشهوده من نفسه ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة يس:الآية ٦٥]. وقد ثبت: أن من نوقش العذاب فقد عذب.

وهناك قسم آخر من الناس فرط في تلك الثروة العظيمة والتجارة الرابحة، فلم يرعها حق رعايتها، فحرم نفسه خيرا كثيرا واكتسب وزرا كبيرا، وخسر خسرانا مبينا، فهذا الشقي هو الذي لم يردعه الصيام عن فعل المعاصي والآثام، ولم يتغير عن ماضيه قبل رمضان فكان صيامه عن الطعام والشراب فقط، هذا إن صام! وهذا أهون الصيام كما قال بعض السلف: أهون الصيام أن تصوم عن الطعام والشراب، فهو في نهار رمضان قوله زورا وبهتانا، صام عن

الطعام والشراب، وأفطر على لحوم المسلمين وأعراضهم من السب والشتم والهتك، وسمعه على ما حرم الله من اللهو واللغو والطرب والموسيقى، وبصره على ما حرم الله من مشاهد العري والفساد والخلاعة، وإذا جن عليه الليل فهو مرتكب لكبائر شارب للخمر مدمن للمخدرات عابس بأعراض الناس فهو في كل أحواله مضيع لحدود الله، فلا يأتمر بأمر ولا ينتهي بنهي، فهو في كل وادي من أودية المعاصي هائم، ولكل باب من أبواب الشر طارق ومقبل، ولأبواب الخير والبر صاد ومدبر.

فقل لي بالله عليك: أي رمضان كان عند من هذا حاله؟ هل يتوقع أن يتغير حاله بعد رمضان؟ فهو بعض رمضان أشد ضراوة من رمضان، فهو متخبط في مستنقع المعاصي الآسن مرتكب لكل صغيرة وكبيرة ولم يترك شاذة ولا فاذة ولا شاردة ولا واردة إلا اقترفها بكلتا يديه وما يملك من سبيل، وكأنه في سباق يريد أن يفوز بجدارة.

نعم: هو في سباق لكن مع الهوى والنفس والشيطان.

فهو ملازم للمعصية مصرا عليها لا يهدأ له بال، ولا يسكن له خاطر ولا يستقر له قرار، مضطرب دائما غير هاديء، قلق غير مطمئن، ينتقل من معصية إلى أخرى باحثا عن الراحة والمتعة فلا يجد إلا التعب والشقاء، وصدق الله حيث يقول: (ومن أعرض عن ذكري

فإن له معيشة ضنكا) في الدنيا (ونحشره يوم القيامة أعمى..) إن لم يتب إلى الله.

ومع ذلك فهو غير مكترث بما يفعل، بل أصبحت هذه المعاصي ملازمة له ليل نهار، فهو ينام على معصية الله ويقوم على معصية الله، وهذا من خلو القلب من محبة الله وعدم خشيته مما يؤدي إلى عدم الخوف من الله.

فإن القلب إذا خلا من محبة الله وانشغل بمحبة من سواه أورث ذلك عدم خشية لله، فإذا كان الحال كذلك، فإنه لا يعرف لله قدره، ولا يدرك له فضله ونعمه، ولا يشعر بإحسان الله إليه، وامتنانه عليه، فتهين عنده أوامر الله ونواهيه، فلا يخضع لربه ومولاه، فترتفع في ساحته ألوية الحرب والتعدي، والتمرد على حدود الله، فهو منتهك لحرمات الله سرا وعلانية، بالليل والنهار بالقول والفعل، وهو بذلك قد آثر الهجر على الوصال، والبعد عن القرب، فلا تراه إلا قد حيث نهاه الله، وتفتقده فيما كان يحب أن يراه الله، فهو للشيطان خليل، وللنفس سامع مطيع وللهوى صديق حميم، ولربه ومولاه وخالقه عدو لئيم، ومعاند ذميم فهو للشر مسارع ومناضل، وقلبه حاضر، وللخير متوان ومتخاذل وقلبه غافل، فيا حسرة قلبه وشدة أسفه عندما يجني ما زرعت يداه في وقت الحصاد، وذلك عندما تنفطر السماء،

وتنثر الكواكب وتفجر البحار ويبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور، عندما ينتقل هذا المسكين من عالم الغيب إلى عالم الشهادة والمعاتبة ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ٣٠][1].

فيا من هذا حاله أفنيت عمرك في اللعب وأنت عنيد، وغيرك فاز بالمقصود وأنت منه بعيد، غيرك على الجادة وأنت في شهوات وتنكيد، ترى متى يقال: فلان عن المعاصي رجع واستقال! ياله من يوم سعيد متى تخرج من الهوى وترجع إلى مولاك العزيز الحميد!

يا مسكين، لو عاينت قلق التائبين، وتململ الخائفين من هول الوعيد، جعلوا قرة أعينهم في الصلاة والزكاة والتزهيد، وأهل الحرمان ضيعوا الشباب في الغفلة، والشيب في الحرص والأمل المديد، لا بالشباب انتفعت ولا عند المشيب ارتجعت، يا ضيعة الشباب والمشيب ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة سبأ:الآية ٥١].

---

(١) وللمزيد انظر: كتابنا الخوف من الله.

أخي في الله:

إن مواسم الخير بين أيدينا موصولة ومتكـررة فبـين أيدينـا موسـم يتكـرر في اليـوم والليلـة خمـس مـرات وهـي الصلـوات الخمـس الـتي فرضها الله علينا ، فهي تدعونا لحضورها في المساجد لنقف بين يدي الله نستغفره ونسأله التوبة والفضل من عنده ، وهناك أيضـا موسـم وعيـد ، يتكرر كل أسبوع وهو يوم الجمعة الذي اختص الله به هذه الأمة ، وفيه ساعة إجابة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه.

وبين أيدينا مواسـم في جـوف الليـل ، وفي وقـت الأسـحار ، وفي دبر كل صلاة من ذكر واستغفار وتوبة وتلاوة للقرآن.

أخـي:

إن فضل الله علينا متواصل ، ومواسم المغفرة لا تزال متتالية لمـن وفقه الله لاغتنامها ، فإنه لما انقضى شهر رمضان دخلت أشهر الحج إلى بيت الله الحرام ، فكما أن من صام رمضان وقامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، فكذلك من حـج البيت ولم يرفـث ولم يفسـق رجـع كيوم ولدته أمه. فما يمضي من عمر المؤمن ساعة مـن السـاعات إلا ولله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات.

فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف ويتقرب بها إلى مولاه، فأشكر الله على هذه النعم واغتنمها بطاعته ولا تضيعها بالغفلة والإعراض عنه.

اللهم كما بلغتنا شهر رمضان فاجعل عامه علينا من أبرك الأعوام وأيامه من أسعد الأيام، وتقبل منا ما قدمناه فيه من الصيام والقيام واغفر لنا ما اقترفنا فيه من الآثام، وخلصنا من مظالم الأنام، يوم لا يرجى فيه سواك يا علام.

اللهم عالم الخفيات ويا دافع البليات، ويا كاشف الكربات، ويا مجيب الدعوات، أعتق رقابنا ووالدينا وأقرباءنا وأزواجنا من النار، وما فيها من اللفحات، وارفع لنا بصيام شهر رمضان عندك الدرجات وانفعنا بما صرفت في كتابك من الآيات، وكفر بتلاوته عنا السيئات وضاعف لنا الحسنات، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

***

خاتمة

الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى، ولك الحمد على حمدنا إياك.

بهذا نكون قد انتهينا مما يسر الله لنا جمعه في هذا الكتاب الطيب المبارك (**جليسك في رمضان**) أسأل الله أن يكون جاء موافقا لعنوانه، كما أسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يتقبله منا خالصا لوجهه الكريم ليس لأحد من خلقه فيه نصيب وأن يجعله في ميزان الحسنات يوم نلقاه، وأن ينفعنا بما جاء فيه وينفع به الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه ومولاه.

ونسأل الله أن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، والله يعلم أنا ما تعمدنا الخطأ، بل تحرينا الصواب ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، ولكن الخطأ شيء وارد والنسيان من خصائص الإنسان، وكم ترك السابق للاحق، فإن وفقت فهذا فضل الله ومنه وكرمه، وإن كانت الأخرى

فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا جهد مقل، ولا يلام المرء بعد استفراغ جهده.

ثم إننا نهيب بإخواننا أن يوافونا بما من الله عليهم به من ملاحظات ولهم عند الله في ذلك الأجر.

وصلي اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

أبو عبد الرحمن خالد بن حسين بن عبد الرحمن

غفر الله له ولوالديه والمسلمين

آمـــين

***

فهرس موضوعات الجزء الثاني

الموضــــــــوع **رقم الصفحة**

جهاد النبي
- صلى الله عليه وسلم -
في رمضان
غزوة بدر - فتح مكة

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن شهر رمضان في حياة النبي ﷺ هو شهر الجهاد والنصر، والجهاد كما ذكر ابن القيم رحمه الله على أربع مراتب: **جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين**، وأكمل الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها، ولذلك كان النبي ﷺ هو أكمل الخلق وأكرمهم على الله؛ لأنه كمل تلك المراتب في رمضان وفي غير رمضان، وجاهد في الله حق جهاده من حين بعث إلى أن توفاه الله عز وجل وسوف نذكر في هذه الرسالة نوعا من أنواع جهاد النبي ﷺ في رمضان ألا وهو جهاد الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر دينه.

وفي رمضان من السنة الثانية وقعت أهم الغزوات التي غزاها النبي ﷺ بنفسه، وهي غزوة بدر، يوم الفرقان الذي نصر الله فيه نبيه ﷺ في قلة مؤمنة على الكثرة الكافرة الجاهلة الحاقدة، فأصبحت قريش بعد ذلك تحسب لهذه الفئة المؤمنة ألف حساب بعد أن كانت لا تعدها في ميزان القوة شيئاً.

وفي هذا الشهر أيضا من السنة الثامنة وقعت أهم الأحداث في تاريخ هذه الأمة وهو فتح مكة واستسلام أهلها للنبي ﷺ، وهزيمة المشركين وهدم أصنامهم مما مهد بعد ذلك لانتشار الإسلام خارج جزيرة العرب. وهذه نبذة يسيرة عن ذلك الحدثين العظيمين.

غزوة بدر- رمضان في السنة الثانية

قال ابن رجب: وكانت على المشهور ليلة سبع عشرة، وصبيحتها هو يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، وسمي يوم الفرقان؛ لأن الله تعالى فرق بين الحق والباطل، وأظهر الحق وأهله، على الباطل وحزبه، وعلت كلمة الله وتوحيده، وذل أعداؤه من المشركين وأهل الكتاب.

وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة، فإن النبي ﷺ قدم المدينة في ربيع الأول من أول سنة من سني الهجرة، ولم يفرض رمضان في ذلك العام، ثم صام عاشوراء، وفرض عليه رمضان في ثاني سنة، فهو أول رمضان صامه، وصام المسلمون معه.

ثم خرج النبي ﷺ لطلب عير لقريش، قدمت من الشام إلى المدينة وأفطر في خروجه إليها.

وكان سبب خروجه: حاجة أصحابه، خصوصاً المهاجرين **﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾** [الحشر:٨] وكانت هذه العير معها أموال كثيرة لأعدائهم الكفار الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ظلماً وعدواناً، كما قال تعالى: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾** [الحج ٣٩-٤٠]، فقصد النبي ﷺ أن يأخذ أموال هؤلاء الظالمين المعتدين على أولياء الله وحزبه وجنده، فيردها على أولياء

الله وحزبه المظلومين المخرجين من ديارهم وأموالهم ؛ ليتقووا بها على عبادة الله وطاعته، وجهاد أعدائه، وهذا مما أحل الله لهذه الأمة، فإنه أحل لهم الغنائم، ولم تحل لأحد قبلهم.

وكان عدة من معه ثلاثمائة وبضعة عشر، وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمرو قال: خرج رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة كما خرج طالوت، فدعا لهم رسول الله ﷺ حين خرجوا فقال: «**اللهم إنهم حفاة فاحملهم، وإنهم عراة فاكسهم، وإنهم جياع فأشبعهم**». ففتح الله عليهم يوم بدر، فانقلبوا حين انقلبوا وما فيهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين، واكتسوا وشبعوا.

وكان أصحاب النبي ﷺ حين خرجوا على غاية من قلة الظهر والزاد، فإنهم لم يخرجوا مستعدين لحرب ولا قتال، وإنما خرجوا لطلب العير، فكان معهم نحو سبعين بعيراً يعتقبونها بينهم، كل ثلاثة على بعير ، ولم يكن معهما إلا فرسان، وقيل: ثلاثة، وقيل: فرس واحد للمقداد.

وبلغ المشركين خروج النبي ﷺ لطلب العير، فأخذ أبو سفيان بالعير نحو الساحل، وبعث إلى مكة يخبرهم الخبر، ويطلب منهم أن ينفروا لحماية عيرهم، فخرجوا مستصرخين، وخرج أشرافهم ورؤساؤهم، وساروا نحو بدر، واستشار النبي ﷺ المسلمين في القتال، فتكلم المهاجرون، فسكت عنهم، وإنما كان قصده الأنصار؛ لأنه ظن أنهم لم يبايعوه إلا على نصرته على من قصده في ديارهم. فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد؟ يعني الأنصار! والذي نفسي

بيده، لو أمرتنا أن نُخيِضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغماد لفعلنا.

وقال له المقداد: لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] ولكن نقاتل عن يمينك وشمالك، وبين يديك ومن خلفك ، فسر النبي ﷺ بذلك وأجمع على القتال(١). وقال: «**سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، وإني قد رأيت مصارع القوم**».

فسار النبي ﷺ بجنود الرحمن حتى نزلوا أدنى ماء من مياه بدر، فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله ! أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال النبي ﷺ: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**»، فقال: يا رسول الله ! إن هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ونَغُور(٢) ما وراءه من القُلُب(٣)، ثم نبني عليه حوضا فنملأه، فنشرب ولا يشربون، فاستحسن النبي ﷺ هذا الرأي، ونهض فنزل بالعُدوة الدنيا مما يلي المدينة، وقريش بالعودة القصوى مما يلي مكة، وحال الله بين قريش وبين الماء بمطر عظيم أرسله، وكان نقمة على الكفار، ونعمة على المسلمين، مهد لهم الأرض ولبدها.

---

(١) لطائف المعارف ص (٢٤٥-٢٤٧).

(٢) نغور: ننزح.

(٣) القلب: جمع قليب وهو البئر.

وبني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيه. ومشى ﷺ في موضع المعركة، وجعل يريهم مصارع رؤوس القوم واحداً واحداً، فيقول لهم: هذا مصرع فلان غداً، وهذا مصرع فلان غداً، فما جاوز أحد منهم عن الموضع الذي أشار إليه رسول الله ﷺ.

وبات رسول الله ﷺ تلك الليلة وهي ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان، بات قائما يصلي إلى جنب شجرة هناك ويبكي، ويستنصر الله تعالى على أعدائه.

فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم هذه قريش جاءت بفخرها وخيلائها وخيلها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم أنجز لي ما وعدتني** »، واستنصر المسلمون بربهم، واستغاثوا به، فاستجاب لهم وأمدهم بمدده كما قال: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ [الأنفال:١٢].

ثم تقابل الجمعان، وحمي الوطيس، واستدارت رحى الحرب، ورسول الله ﷺ في العريش يناشد ربه ويستنصره ويستغيثه، ثم أغفى إغفاءة، وخرج يقول: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾ [القمر:٤٥]، وأخذ يحرض أصحابه على القتال، وأخذ كفًّا من تراب أو حصا، فرمى بها وجوه القوم فلم تترك منهم رجلاً إلا ملأت عينيه، ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين، فتناولوهم قتلا وأسرا، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين، وأخذوا غنائمهم،

وكان من جملة من قتل من المشركين: أبو جهل عمرو بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وهم ممن حدد رسول الله ﷺ مواضعهم، فأمر بهم رسول الله ﷺ، فسحبوا إلى القليب قليب بدر فألقوا فيه، ثم وقف عليهم رسول الله ﷺ فبكتهم وقرعهم على تكذيبهم له.

أما الأسرى فقد استشار فيهم النبي ﷺ أصحابه، وقبل فيهم مشورة أبي بكر الصديق حيث قال له: يا رسول الله ! هم بنو العم والعشيرة، وأرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فأخذ النبي ﷺ منهم الفدية (١).

وهكذا نصر الله نبيه ﷺ والمؤمنين في بدر، وأذل الشرك وأهله، وأظهر قدرته في نصر عباده ولو كانوا ضعفاء أذلاء قليلين، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [آل عمران].

فنسأل الله تعالى أن يمدنا بمدد من عنده، وأن ينصرنا على القوم الكافرين.

فتح مكة – رمضان في السنة الثامنة

وتتوالى بشائر الخير في شهر الخير، ففي رمضان من السنة الثامنة من الهجرة، فتحت مكة، وطهرها الله تبارك وتعالى من

(١) انظر ، مجالس شهر رمضان ص (٨٦-٨٨) والدر المنثور في مجلس سيد الشهور (ص ،١٦١-١٦٢).

الشرك والاستكبار. وسبب هذا الفتح العظيم أن قريشا نقضت عهد المودعة مع رسول الله ﷺ الذي عقدوه في الحديبية ، حيث أعانت قريش حلفاءها بني بكر في الإغارة على خزاعة حلفاء النبي ﷺ، وقتلوا منهم أناساً، فلما علم النبي ﷺ بما صنعت قريش وبنو بكر بحلفائه قال: «**لأمنعنكم مما أمنع نفسي منه** ».

ثم إن قريشا ندمت على ما فعلت، حين لا ينفعها الندم، فأرسلوا أبا سفيان بين حرب إلى المدينة لتثبيت الصلح فلم يجد جواباً من أحد، فرجع بخفي حنين.

أما الرسول ﷺ فإنه تجهز للسفر، وبعث إلى من حوله من العرب، وهم: أسلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وسليم، وطوى الأخبار عن الجيش كيلا تعلم قريش.

ثم سار بالجيش، وكان عشرة آلاف مجاهد، وولي على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

ولما كان في أثناء الطريق لقيه عمه العباس بأهله وعياله مسلماً، ثم لقيه عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابن عمته عبد الله بن أبي أمية، وكانا من أشد أعدائه فأسلما، فقبل منهما.

ولما بلغ رسول الله ﷺ مكانا يسمى (مر الظهران) قريبا من مكة، أمر الجيش فأوقدوا عشرة آلاف نار، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد جاء في صحيح البخاري: لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح، فبلغ ذلك قريشاً، خرج أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن

حزام، وبديل بن ورقاء، يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران، فإذا هم بنيران، كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه ؟ لكأنها نيران عرفة. فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو. فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك. فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ، فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان. فلما سار قال النبي ﷺ للعباس: «**احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين** ».

فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ، تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة، فقال: يا عباس! من هذه ؟ قال: هذه غفار. قال: مالي ولغفار.، ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم، فقال مثل ذلك. ومرت سليم فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها. فقال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار، عليهم سعد بن عبادة معه الراية.

فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس! حبذا يوم الذمار. ثم جاءت كتيبة — وهي أقل الكتائب — فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام. فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: «ما قال؟» قال: قال كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ «**كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة**» وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون.

وأمر ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كَداء، ودخل النبي ﷺ من كُدا، فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان: حبيش بن الأشعر، ورز بن جابر الفهري.

وقال عبد الله بن مغفل: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته، وهو يقرأ سورة الفتح.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصبًا، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ**﴾ [الإسراء:٨١]، ﴿**جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**﴾ [سبأ:٤٩].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل، في أيديهما من الأزلام، فقال النبي ﷺ: «**قاتلهم الله، لقد علموا ما استقسما بها قط**» ، ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت، وخرج ولم يصل فيه [(١)].

ثم أمن الرسول ﷺ أهل مكة، ونادى مناد بأمر الرسول ﷺ: «**من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن**»، واستثنى أشخاصاً أهدر الرسول ﷺ دمهم، لمساوئهم التي لا تحصى.

ثم جلس النبي ﷺ في المسجد، والأبصار خاشعة إليه، لترى ما

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي رقم (٤٢٨٠ ، ٤٢٨١ ، ٤٢٨٧ ، ٤٢٨٨).

هو فاعل بمشركي مكة أعدائه، الذين آذوه، وأخرجوه من بلاده، وقاتلوه، وهموا بقتله مراراً، ثم قال: يا معشر قريش ! ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً؛ أخ كريم، وابن أخ كريم فقال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»، ثم ابتدأ الناس يبايعون رسول الله ﷺ على الإسلام [(١)]، لما رأوه من كريم خصاله وجميل عفوه وسماحة نفسه.

وبهذه الفتح المبين، تم نصر الله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وعاد بلد الله بلداً إسلاميا، أعلن فيه بتوحيد الله وتصديق رسول وتحكيم كتابه، وصارت الدولة فيه للمسلمين، واندحر الشرك وتبدد ظلامه، ولله الحمد، وذلك من فضل الله على عباده إلى يوم القيامة [(٢)].

***

(١) انظر لباب الخيار في سيرة المختار ﷺ (ص، ٩٧-٩٨).
(٢) مجالس شهر رمضان ص (٩٢).

حال السلف في رمضان

إعداد

أحد طلبة العلم

مصدر هذه المادة :

المكتبة الإسلامية

www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي المسلم ... أختي المسلمة

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ... وبعد:

أبعث إليكم هذه الرسالة محملة بالأشواق والتحيات العطرة، أزفها إليكم من قلب أحبكم في الله، نسأل الله أن يجمعنا بكم في دار كرامته ومستقر رحمته. وبمناسبة قدوم شهر رمضان أقدم لكم هذه النصيحة هدية متواضعة، أرجو أن تتقبلوها بصدر رحب وتبادلوني النصح، حفظكم الله ورعاكم.

كيف نستقبل شهر رمضان المبارك؟

قال الله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

أخي الكريم:

خص الله شهر رمضان عن غيره من الشهور بكثير من الخصائص والفضائل منها:

* خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

* تستغفر الملائكة للصائمين حتى يفطروا.

* يزين الله كل يوم جنته ويقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المئونة والأذى ثم يصيروا إليك.

* تصفد فيه الشياطين.

* تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار.

* فيه ليلة القدر هي خير من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حُرم الخير كله.

* يغفر للصائمين في آخر ليلة من رمضان.

* لله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة من رمضان.

فيا أخي الكريم: شهر هذه خصائصه وفضائله بأي شيء نستقله؟ بالانشغال باللهو وطول السهر، أو نتضجر من قدومه ويثقل علينا، نعوذ بالله من ذلك كله.

ولكن ... العبد الصالح يستقبله بالتوبة النصوح، والعزيمة الصادقة على اغتنامه، وعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة، سائلين الله الإعانة على حسن عبادته.

وإليك أخي الكريم الأعمال الصالحة التي تتأكد في رمضان:

١- الصوم: قال ﷺ: «**كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. يقول عز وجل: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه. ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**» [أخرجه البخاري ومسلم] وقال: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [أخرجه البخاري ومسلم]، ولا شك أن هذا الثواب الجزيل لا يكون لمن امتنع عن الطعام والشراب فقط، وإنما كما قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في**

أن يدع طعامه وشرابه» [أخرجه البخاري]. وقال: «**الصوم جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل، فإن سابه أحد فليقل إني امرؤ صائم**» [أخرجه البخاري ومسلم].

٢- القيام: قال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [أخرجه البخاري ومسلم] ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا*وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٣: ٦٤]، وقد كان قيام الليل دأب النبي ﷺ وأصحابه، قالت عائشة رضي الله عنها: «لا تدع قيام الليل، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا».

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء الله حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم الصلاة الصلاة... ويتلو ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾ [طه: ١٣٢]. وكان ابن عمر يقرأ هذه الآية: ﴿**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ [الزمر: ٩]. قال: ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال ابن أبي حاتم: وإنما قال ابن عمر ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بالليل وقراءته حتى أنه ربما قرأ القرآن في ركعة.

وعن علقمة بن قيس قال: بت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليلة فقام أول الليل، ثم قام يصلي، فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيه يرتل ولا يراجع، يسمع من حوله ولا يرجع صوته،

حتى لم يبق من الغلس إلا كما بين أذان المغرب إلى الانصراف منها، ثم أوتر.

وفي حديث السائب بن زيد قال: كان القارئ يقرأ بالمئين – يعني بمئات الآيات – حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام قال: وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر.

تنبيه: ينبغي لك أخي المسلم أن تكمل التراويح مع الإمام حتى تكتب في القائمين، فقد قال ﷺ: «**من قام مع إمامه حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**» [رواه أهل السنن].

٣- الصدقة: كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، كان أجود بالخير من الريح المرسلة... وقد قال ﷺ: «**أفضل الصدقة صدقة في رمضان** ...» [أخرجه الترمذي عن أنس].

روى زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك مال عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، قال فجئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك**» قال: فقلت مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لهم**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا.

وعن طلحة بن يحيى بن طلحة، قال: حدثتني جدتي سعدي بنت عوف المرية – وكانت محل إزار طلحة بن عبيد الله – قالت:

دخل علي طلحة ذات يوم وهو خائر النفس، فقلت: ما لي أراك كالح الوجه؟ وقلت: ما شأنك أرابك مني شيء فأعينك؟ قال: لا؛ ولنعم حليلة المرء المسلم أنت. قلت: فما شأنك؟ قال: المال الذي عندي قد كثر و أكربني، قلت: ما عليك، اقسمه، قالت: فقسمه حتى ما بقي منه درهم واحد، قال طلحة بن يحيى: فسألت خازن طلحة كم كان المال؟ قال: أربعمائة ألف.

فيا أخي، للصدقة في رمضان مزية وخصوصية فبادر إليها، واحرص على أدائها بحسب حالك، ولها صور كثيرة منها:

أ- إطعام الطعام: قال الله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾ [الإنسان: ٨-١٢]. فقد كان السلف الصالح يحرصون على إطعام الطعام ويقدمونه على كثير من العبادات، سواء كان ذلك بإشباع جائع أو إطعام أخ صالح، فلا يشترط في المطعم الفقر. قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل الناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**» [رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني] وقد قال بعض السلف: لأن أدعو عشرة من أصحابي فأطعمهم طعامًا يشتهونه أحب إلي من أن أعتق عشرة من ولد إسماعيل.

وكان كثير من السلف يؤثر بفطوره وهو صائم، منهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وداود الطائي ومالك بن دينار وأحمد بن حنبل، وكان ابن عمر لا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين، وربما علم أن أهله قد ردوهم عنه، فلم يفطر في تلك الليلة.

وكان من السلف من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم ويجلس يخدمهم ويروحهم، منهم الحسن وابن المبارك.

قال أبو السوار العدوي: كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد، ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس وأكل الناس معه.

وعبادة إطعام الطعام ينشأ عنها عبادات كثيرة منها: التودد والتحبب إلى إخوانك الذين أطعمتهم، فيكون ذلك سببًا في دخول الجنة: «**لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا**» كما ينشأ عنها مجالسة الصالحين واحتساب الأجر في معونتهم على الطاعات التي تقووا عليها بطعامك.

ب- تفطير الصائمين: قال ﷺ: «**من فطر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**» [أخرجه أحمد والنسائي وصححه الألباني] وفي حديث سلمان: «**من فطر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، فقالوا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم، فقال رسول الله ﷺ: يعطي الله**

هذا الثواب لمن فطر صائمًا على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء، ومن سقى صائمًا سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها، حتى يدخل الجنة».

٤- الاجتهاد في قراءة القرآن: سأذكرك يا أخي هنا بأمرين عن حال السلف الصالح:

أ- كثرة قراءة القرآن.

ب- البكاء عند قراءته أو سماعه خشوعًا وإخباتًا لله تبارك وتعالى.

كثرة قراءة القرآن: شهر رمضان هو شهر القرآن، فينبغي أن يكثر العبد المسلم من قراءته، وقد كان من حال السلف العناية بكتاب الله، فكان جبريل يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يختم القرآن كل يوم مرة، وكان بعض السلف يختم القرآن في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، وبعضهم في كل عشر، فكانوا يقرءون القرآن في الصلاة وفي غيرها، فكان للشافعي في رمضان ستون ختمة، يقرءوها في غير الصلاة. وكان قتادة يختم في كل سبع دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر في كل ليلة. وكان الزهري إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم. ويقبل على تلاوة القرآن في المصحف. وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن.

وقال ابن رجب: إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من

ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان والأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا لفضيلة الزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق.

البكاء عند تلاوة القرآن: لم يكن من هدي السلف هَذُّ القرآن هذّ الشعر دون تدبر وفهم، وإنما كانوا يتأثرون بكلام الله عز وجل ويحركون به القلوب. ففي البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرأ علي**» فقلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟! فقال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» قال: فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١] قال: «**حسبك**»، فالتفت فإذا عيناه تذرفان.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ**﴾ [النجم: ٥٩، ٦٠] فبكى أهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع رسول الله ﷺ حسهم بكى معهم، فبكينا ببكائه. قال رسول اله ﷺ: «**لا يلج النار من بكى من خشية الله**»، وقد قرأ ابن عمر سورة المطففين حتى بلغ ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المطففين: ٦] فبكى حتى خر، وامتنع من قراءة ما بعدها. وعن مزاحم بن زفر قال: صلى بنا سفيان الثوري المغرب فقرأ حتى بلغ ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ بكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ الحمد.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت فضيلاً يقول ذات ليلة وهو يقرأ سورة محمد، وهو يبكي ويردد هذه الآية: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ [محمد: ٣١] وجعل يقول: ونبلو أخباركم، ويردد وتبلوا أخبارنا، إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا، إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا، ويبكي.

٥- الجلوس في المسجد حتى تطلع الشمس: كان النبي ﷺ إذا صلى الغداة - أي الفجر - جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس [أخرجه مسلم]. وأخرج الترمذي عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة**» [صححه الألباني] هذا في كل الأيام، فكيف بأيام رمضان؟

فيا أخي - رعاك الله - استعن على تحصين هذا الثواب الجزيل بنوم الليل، والاقتداء بالصالحين، ومجاهدة النفس في ذات الله، وعلو الهمة لبلوغ الذروة من منازل الجنة.

٦- الاعتكاف: كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام؛ فلما كان العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يومًا [أخرجه البخاري].

فالاعتكاف من العبادات التي تجمع كثيرًا من الطاعات من التلاوة والصلاة والذكر والدعاء وغيرها.

وقد يتصور من لم يجربه صعوبته ومشقته، وهو يسير على من

يسره الله عليه، فمن تسلح بالنية الصالحة والعزيمة الصادقة أعانه الله. وآكد الاعتكاف في العشر الأواخر تحريًا لليلة القدر، وهو الخلوة الشرعية، فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف قلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقي له هم سوى الله وما يرضيه عنه.

٧- العمرة في رمضان: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**» [أخرجه البخاري ومسلم]، وفي رواية: «**حجة معي**» فهنيئًا لك — يا أخي — بحجة مع النبي ﷺ.

١٨- تحري ليلة القدر: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [القدر: ١-٣] وقال ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [أخرجه البخاري ومسلم]، وكان النبي ﷺ يتحرى ليلة القدر ويأمر أصحابه بتحريها، وكان يوقظ أهله ليالي العشر رجاء أن يدركوا ليلة القدر. وفي المسند عن عبادة مرفوعًا. «**من قامها ابتغاءها ثم وقعت له؛ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» وللنسائي نحوه، قال الحافظ: إسناده على شرط الصحيح.

وورد عن بعض السلف من الصحابة والتابعين الاغتسال والتطيب في ليالي العشر تحريًا لليلة القدر التي شرفها الله، ورفع قدرها.

فيا من أضاع عمره في لا شيء، استدرك ما فاتك في ليلة

القدر، فإنها تحسب من العمر، العمل فيها خير من العمل في ألف شهر سواها، من حُرِمَ خيرها فقد حُرم.

وهي في العشر الأواخر من رمضان، وهي في الوتر من لياليه الآخرة، وأرجى الليالي ليلة سبع وعشرين، لما روى مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه: «والله إني لأعلم أي ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، وهي ليلة سبع وعشرين». وكان أبي يحلف على ذلك ويقول: «بالآية والعلامة التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ، أن الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: «**قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» [رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني].

٩- الإكثار من الذكر والدعاء والاستغفار: أخي الكريم، أيام وليالي رمضان أزمنة فاضلة فاغتنمها بالإكثار من الذكر والدعاء وبخاصة في أوقات الإجابة، ومنها:

* عند الإفطار فللصائم عند فطره دعوة لا ترد.

* ثلث الليل الأخير حين ينزل ربنا تبارك وتعالى ويقول: «**هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له**».

* الاستغفار بالأسحار: قال تعالى: ﴿**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الذاريات: ١٨].

وأخيرًا ... أخي الكريم... وبعد هذه الجولة في رياض الجنة

نتفيأ ظلال الأعمال الصالحة، أنبهك إلى أمر مهم ... أتدري ما هو؟ إنه الإخلاص ... نعم الإخلاص ... فكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر و التعب، أعاذنا الله وإياك من ذلك. ولذلك نجد النبي ﷺ يؤكد على هذه القضية ... «**إيمانًا واحتسابًا**» وقد حرص السلف على إخفاء أعمالهم خوفًا على أنفسهم، فهذا التابعي الجليل أيوب السختياني يحدث عنه حماد بن زيد فيقول: كان أيوب ربما حدث بالحديث فيرق فيلتفت فيتمخط ويقول: ما أشد الزكام**!** يظهر أنه مزكوم لإخفاء البكاء. وعن محمد بن واسع قال: لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة وقد بل ما تحت خده من دموعه، لا تشعر به امرأته. ولقد أدركت رجالاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي جنبه.

وكان أيوب السختياني يقوم الليل كله فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة. وعن ابن أبي عدي قال: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، وكان خرازًا يحمل معه غذاؤه من عندهم فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشيًا فيفطر معهم.

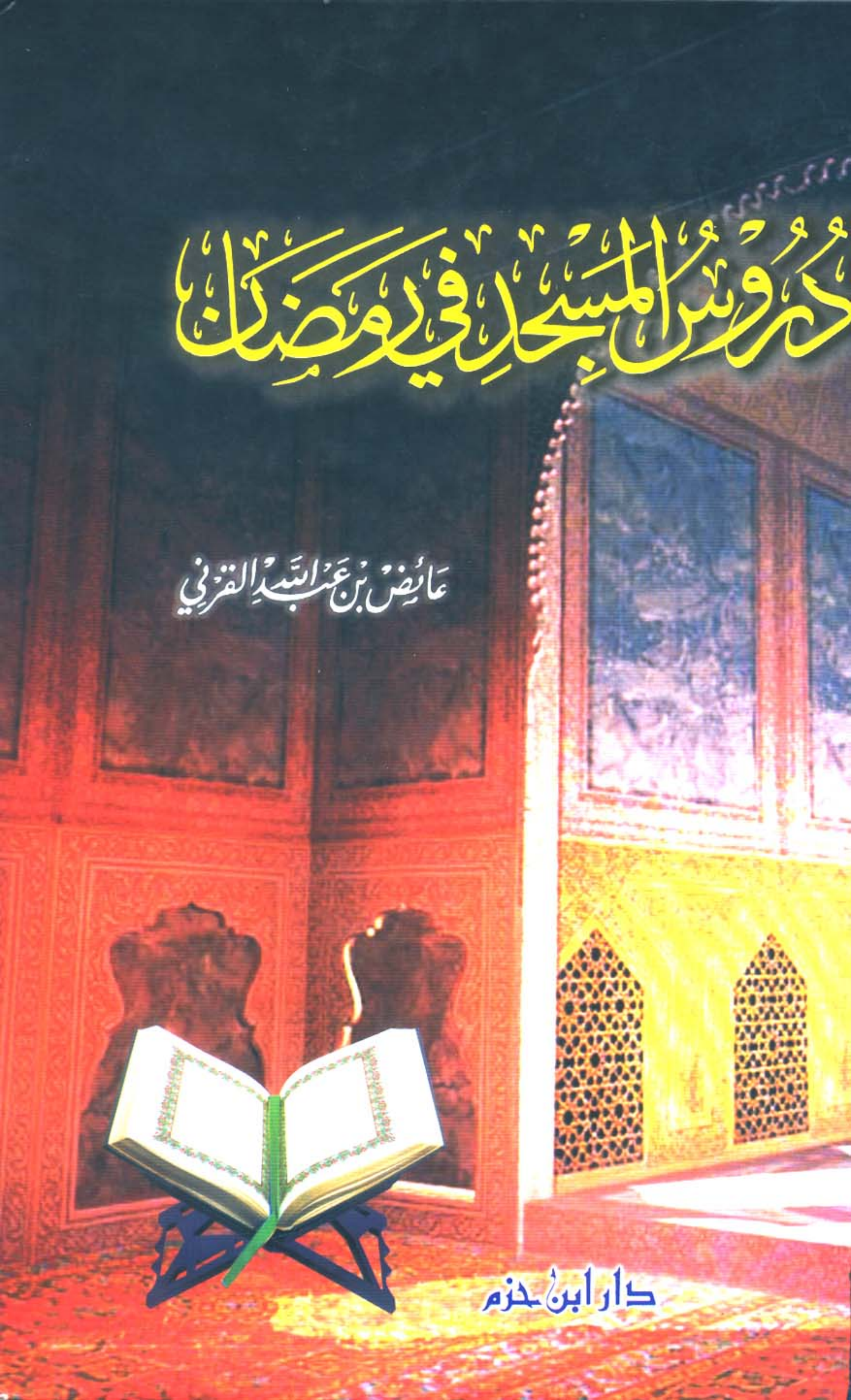
وقال سفيان الثوري: بلغني أن العبد يعمل العمل سرًا، فلا يزال به الشيطان حتى يغلبه فيكتب في العلانية، ثم لا يزال به الشيطان حتى يحب أن يحمد عليه، فينسخ من العلانية فيثبت في الرياء.

اللهو في رمضان: أخي ... أظن أني قد أطلت عليك وأنا أحثك على اغتنام الوقت... قطعت عليك الوقت... ولكن أتأذن لي أن نعرج سويًا على ظاهرة خطيرة وبخاصة في رمضان. إنها ظاهرة إضاعة الوقت وتقطيعه في غير طاعة الله ... إنها الغفلة والإعراض عن الرحمات والنفحات الإلهية، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا*قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى*وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**﴾ [طه: ١٢٤-١٢٧]. وكم تتألم نفسك، ويتقطع قلبك حسرات على ما تراه من شباب المسلمين، الذين امتلأت بهم الأرصفة والملاعب في ليالي رمضان الفاضلة ... كم من حرمات الله ومعاصيه التي يجاهر بها في ليالي رمضان المباركة... نعم إن المسلم ليغار على أوقات المسلمين وعلى زهرة شبابهم أن تبذل في غير طاعة الله.

ولكن ...!!! لا بأس عليك... إن الطريق لسعادتك وسعادة إخوانك الدعوة والدعاء. نعم، دعوة من غفل من أبناء المسلمين وهدايتهم الصراط المستقيم. والدعاء لهم بظهر الغيب لعل الله أن يستجيب فلا نشقى أبدًا.

أخوك الناصح

أخي المسلم – أختي المسلمة، اغتنم الثواب بإهدائها لغيرك..


دروس المسجد في رمضان
عائض بن عبد الله القرني
دار ابن حزم

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف في سطور

- د. عائض بن عبدالله بن عائض آل مجدوع القرني.
- من مواليد عام ١٣٧٩هـ ببلاد القرن جنوب المملكة العربية السعودية.
- حصل على الشهادة الجامعية من كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤هـ.
- حصل على الماجستير في الحديث النبوي عام ١٤٠٨هـ وعنوان رسالته: «البدعة وأثرها في الدراية والرواية».
- حصل على الدكتوراه من جامعة الإمام عام ١٤٢٢هـ بعنوان: «دراسة وتحقيق كتاب المفهم على صحيح مسلم للقرطبي».
- له أكثر من ثمانمائة شريط كاسيت إسلامي في الخطب والدروس والمحاضرات والأمسيات الشعرية والندوات الأدبية.
- يحفظ القرآن الكريم وكتاب بلوغ المرام ويستحضر ما يقارب من خمسة آلاف حديث وأكثر من عشرة آلاف بيت شعر.
- له أربعة دواوين شعرية هي:

  ١ ـ لحن الخلود.

  ٢ ـ تاج المدائح.

  ٣ ـ هدايا وتحايا.

  ٤ ـ قصة الطموح.

- أما مؤلفاته: فقد ألّف في الحديث والتفسير والفقه والأدب والسيرة والتراجم، ومن مؤلفاته التي أصدرتها دار ابن حزم بلبنان:

١ - الإسلام وقضايا العصر.
٢ - تاج المدائح.
٣ - ثلاثون سبباً للسعادة.
٤ - دروس المسجد في رمضان.
٥ - فاعلم أنه لا إله إلا الله.
٦ - مجتمع المُثل.
٧ - ورد المسلم والمسلمة.
٨ - فقه الدليل.
٩ - نونية القرني.
١٠ - المعجزة الخالدة.
١١ - اقرأ باسم ربك.
١٢ - تحف نبوية.
١٣ - حتى تكون أسعد الناس.
١٤ - سياط القلوب.
١٥ - فتية آمنوا بربهم.
١٦ - هكذا قال لنا المعلم.
١٧ - ولكن كونوا ربانيين.
١٨ - من موحد إلى ملحد.
١٩ - إمبراطور الشعراء.
٢٠ - وحي الذاكرة.
٢١ - إلى الذين أسرفوا على أنفسهم.
٢٢ - ترجمان السنة.
٢٣ - حدائق ذات بهجة.
٢٤ - العظمة.
٢٥ - لا تحزن.
٢٦ - وجاءت سكرة الموت بالحق.
٢٧ - مقامات القرني.
٢٨ - احفظ الله يحفظك.
٢٩ - أعذب الشعر.

- حضر عشرات المحاضرات والأمسيات، وحضر مؤتمر الشباب العربي المسلم ومؤتمر الكتاب والسنة بالولايات المتحدة الأمريكية، وحاضر في الأندية الأدبية والرياضية وحاضر في الجامعات والملتقيات الثقافية.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فهذا كتابُ «**دروس المسجد في رمضان**» أحببت أن أتحدَّث فيه عن أحكام تَهُمُّ الصائم، ورتَّبتها على مسائل، ليسهُل على إمام المسجد، وخطيب الجامع، والمعلِّم، والواعظ، والمربِّي، قراءتها، والاستفادة منها.

فما كان فيه من صواب، فمن الله وحده، وله الحمد والمنة على توفيقه، وما كان غير ذلك، فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم منه.

لكن قدرة مثلي غير خافية   والنمل يعذر في القدر الذي حملا

والله أسأل التوفيق والسداد، لا رب غيره، ولا أرجو إلا خيره، عليه توكلت، وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

وكتب
أبو عبدالله
د/عائض بن عبدالله القرني
الرياض

❁ المسألة الأولى: فرضية الصيام، وأدلة ذلك، وحكمه، ومقاصده.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

يخاطب الله تبارك وتعالى في هذه الآية الأمة المسلمة، آمراً أفرادها بالصيام، وهو: الإمساك عن الطعام، والشراب، والوقاع، بنيةٍ خالصةٍ لله، عزَّ وجلَّ. قال أبو عمر بن عبدالبر: أما الصيام في الشريعة: فمعناه: الإمساك عن الأكل والشرب، ووطء النساء نهاراً، إذا كان تارك ذلك يريه به وجه الله وينويه، هذا معنى الصيام في الشريعة عند جميع علماء الأمة[1]؛ لما فيه من زكاة النفوس، وطهارتها، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة، والأخلاق الرذيلة، وذكر أنه كما أوجبه عليهم، فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيهم أسوة، فليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض الذي أكمله الله، سبحانه وتعالى، لهم، كما قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ولهذا قال هاهنا: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ لأن الصوم

---

(١) «التمهيد» (١٩/٥٣).

فيه تزكية للبدن، وتضييق لمسالك الشيطان، ولهذا ثبت في الحديث: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»**(١).

ثم بيَّن مقدار الصوم، وأنه ليس في كل يوم؛ لئلاً يشق على النفوس، فتضعف عن حمله، وأدائه، بل في أيام معدودات، وقد كان هذا في ابتداء الإسلام، يصومون من كل شهر ثلاثة أيام، ثم نُسخ ذلك بصوم شهر رمضان.

وقد روي أن الصِّيام كان أولاً ـ كما كانت عليه الأمم قبلنا ـ من كل شهر ثلاثة أيام، ولم يزل هذا مشروعاً من زمان نوح، عليه السلام، إلى أن نسخ الله تعالى ذلك بصيام شهر رمضان، قال الحسن البصري: «لقد كُتب الصيام على كل أمة قد خلت كما كُتب علينا شهراً كاملاً، وأياماً معدودات، عدداً معلوماً»(٢).

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣] يعني بذلك أهل الكتاب، ثم بيَّن سبحانه وتعالى حكم الصيام على ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام(٢).

وفي الحديث عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: **«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج»**(٣).

وبيّن فرضيته، عليه الصلاة والسلام، في أحاديث كثيرة، فعن طلحة بن عبيد الله قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فإذا هو يسأله عن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٧٩ ـ ٢٨٠) في آية (١٨٣) من سورة البقرة.

(٣) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **«خمس صلواتٍ في اليوم والليلة»**، فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: **«لا إلا أن تطوَّع»**، فقال رسول الله ﷺ: **«وصيام شهر رمضان»** قال: هل عليَّ غيره؟ قال: **«لا إلا أن تطوَّع»**. قال: وذكر له رسول الله ﷺ: **«الزكاة»**، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: **«لا إلا أن تطوَّع»**، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: **«أفلح إن صدق»**[(١)]، وكذلك في حديث ضمام بن ثعلبة: فعن أنس بن مالكٍ قال: بينما نحن جلوسٌ مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجلٌ على جملٍ فأناخه في المسجد، ثم عقله، ثم قال لهم: أيُّكم محمدٌ والنبي ﷺ متكىءٌ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكىء، فقال له الرجل: يا ابن عبدالمطلب، فقال له النبي ﷺ: **«قد أجبتك»**، فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد عليَّ في نفسك، فقال: **«سل عما بدا لك»**، فقال: أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟، فقال: **«اللَّهمَّ نعم»**، قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: **«اللَّهمَّ نعم»**، قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: **«اللَّهمَّ نعم»**، قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: **«اللَّهمَّ نعم»**، فقال الرجل: آمننت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر[(٢)].

وأجمع أهل العلم على فرضية صيام شهر رمضان.

قال ابن عبدالبر: وأجمع العلماء على أن لا فرض في الصوم غير شهر رمضان[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣).

(٣) «التمهيد» (١٤٨/٢).

وللصيام حِكَمٌ عظيمة، وفوائد عميمة:

منها: التقوى، كما نصّ على ذلك مولانا، تبارك وتعالى، بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، فإنه من أعظم أسباب غضِّ البصر، وحفظ الفرج، وكسر النفس الشيطانية، والغضبية، والشهوانية، وردها إلى مولاها، وهو: مَرْغمة للشيطان، وهو: امتثال لأمر المولى، سبحانه وتعالى، وتجربة للنفوس لتحمل المشاق، وفيه أيضاً: انتصار على النفس الأمَّارة بالسوء؛ فإنَّ العبد إذا صام خالف شهوات النفس، فانتصر عليها.

وفيه: أيضاً تعويد للنفس على الصبر، والقيام بالتكاليف العظيمة، والأمور الجسيمة؛ ليكون المسلم والمسلمة في مسألة امتحان أمام الله، سبحانه وتعالى، وما يحبه ويرضاه.

وفيه: أيضاً تذكُّرٌ لأحوال البائسين، والمساكين، والفقراء الذين يجوعون، أكثر مما يشبعون، فإن من لا يحس بالجوع، قد لا يدرك ما هم عليه من المشقة والضنك، فمن حكمة الله، عزَّ وجلَّ: أن يذوق الناس ألم الجوع، وألم الظمأ؛ ليتذكَّر بعضهم بعضاً.

ومن حكم الصوم: أيضاً جمع الأمة من أقصاها إلى أدناها على صيام شهر واحد، يُفطر غالبهم في وقت واحد، ويصومون في وقت واحد، فيكون هناك اجتماع للأمة وتوجه لها، ووحدة معنوية وحسية.

والصيام ـ بعد ذلك ـ صحة للبدن، فهو يُذهب الأخلاط الرديئة من الجسم، ويُصَفِّي الدم، ويريح المعدة، وقد قال كثير من أهل الطِّب، وأيَّدهم أهل الشريعة: إنه ـ أي الصيام ـ من أسباب صحة الجسم وقوَّته، ولله الحِكَم البالغة، هذا ما أدركناه، وما لم ندركه أكثر من أسرار شريعة الله، سبحانه وتعالى.

❁ المسألة الثانية: فضل الصيام.

في الحديث عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: **«الصيام جُنَّة، فإذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم** «مرتين»، **والذي نفسي بيده لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها»**[١].

وإنما فُضِّل الصيام عند أهل العلم لأسباب منها:

أولاً: أن الصوم لا يقع فيه الرياء، كما يقع في غيره من العبادات، حكاه المازري وغيره من أهل العلم، وقال بعضهم: رُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«ليس في الصيام رياء»**[٢]، وذلك لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات، إلا الصوم فإنما يقع بالنية التي تخفى على الناس، فقد يفطر الإنسان دون أن يعلم الناس به.

وقد روى الحديث السابق البيهقي في «الشعب»[٣] من طريق سهل مولى المغيرة بن أبي الصلت عن الزُّهري، موصولاً، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، ولكن إسناده ضعيف، لجهالة بعض رواته، ولفظه: **«الصيام لا رياء فيه، قال الله: هو لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه من أجلي»**. وهذا ـ لو صحَّ ـ كان قاطعاً للنزاع.

وقال القرطبي: لمّا كانت الأعمال يدخلها الرياء، واصوم لا يَطَّلِعُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١٦١، ١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ضعيف، أخرجه هناد وفي «الزهد» (٦٨٠/٣٥٨/٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٢١/٢٠١/٧) من حديث عقيل بن خالد، عن الزهري هكذا مرسلاً، ومراسيل الزهري من أضعف المراسيل عند أهل هذا الفن.

(٣) ضعيف، انظر الموضع السابق.

عليه بمجرَّد فعله إلا الله، أضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال في الحديث: «**يدع شهوته من أجلي**».

قال ابن الجوزي: جميع العبادات تظهر بفعلها، وقلَّ أن يَسْلَمَ ما يظهر من شوب خلاف الصوم، وارتضى هذا المازريُّ، وقرَّره القرطبي.

ثانياً: أن المراد بقوله: «**وأنا أجزي به**»، أني أنفرد بعلم مقدار ما لعبدي من الثواب، ومضاعفة الحسنات، وأما غيره من العبادات فقد اطَّلع عليها بعض الناس.

قال القرطبي: معناه: أن الأعمال قد كُشفت مقادير ثوابها للناس، وأنها تُضاعف من عشرة، إلى سبعمائة ضِعْفٍ، إلى ما شاء الله، إلا الصوم، فإن الله يثيب عليه بغير تقدير، ويشهد لهذا حديث: «**كل عمل ابن آدم يُضاعف له، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضِعْفٍ إلى ما شاء الله، قال الله: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»(١)، أي: يجازي به، ولأن الصوم من الصبر، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ثالثاً: معنى قوله: «**الصوم لي**»، أي: أنه أحبُّ العبادات إليَّ، والمقدَّم عندي، وكفى بقوله: «**الصوم لي**» فضلاً للصيام على سائر العبادات، وروى النسائي وغيره من حديث أبي أمامة مرفوعاً: «**عليك بالصوم، فإنه لا مثل له**»(٢).

رابعاً: الإضافة إضافة تشريف وتعظيم، كما يُقال: بيتُ الله، وإن

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح على شرط مسلم، رواه ابن أبي شيبة (٥/٣)، والإمام أحمد (٥/٢٥٥، ٢٥٨)، والنسائي (٤/١٦٥)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣٤٢٥، ٣٤٢٦) وغيرهم من طريقين محفوظين من حديث رجاء بن حيوة عن أبي أمامة به ورجاء على شرط مسلم، وبقية رجاله رجال الصحيحين.

كانت البيوت كلها لله، قال ابن المنيِّر: التخصيص في موضع التعميم في مثل هذا السياق لا يُفهم منه إلاّ التعظيم والتشريف.

خامساً: أن الاستغناء عن الطعام، وغيره من الشهوات من صفات الرب جلَّ جلاله، فهو يُطْعِمُ ولا يُطعَم، فلمَّا تقرَّب الصائم إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه.

قال بعض أهل العلم: معناه: أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام؛ فإنه مناسب لصفة من صفات الحق، كأنه يقول: إن الصائم يتقرَّب إليّ بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي.

سادساً: أن المعنى كذلك، لكن بالنسبة إلى الملائكة؛ لأن ذلك من صفاتهم.

سابعاً: أنه خالص لله تعالى، وليس للعبد فيه حظ، قاله الخطَّابي.

وقال ابن الجوزي: المعنى: ليس لنفس الصائم فيه حظ بخلاف غيره، فإن لها فيه حظاً؛ لثناء الناس عليه لعبادته، لأنها تظهر، هذا وقد يقع في الصوم الرياء إذا أظهره العبد أمام الناس بقصد جلب الثناء، ولكن المقصود أن وقوع الرياء في الصيام أقل من وقوعه في غيره.

ثامناً: سبب الإضافة إلى الله تعالى: أن الصيام لم يعبد به غير الله تعالى، بخلاف الصلاة، والصدقة، والطواف، وغير ذلك، واعترض على هذا بما يقع من عُبَّاد النجوم، وأصحاب الهياكل، والاستخدامات، فإنهم يتعبَّدون لها بالصيام، وأجيب بأنهم لا يعتقدون ألوهيَّة الكواكب، وإنما يعتقدون أنها فعّالة بأنفسها، وهذا الجواب ليس له طائل.

تاسعاً: أن جميع العبادات تُوَفَّى منها مظالم العباد إلا الصيام، وقد رُوي عن ابن عيينة قال: إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده،

ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله حتى لا يبقى له إلا الصوم، فيتحمَّل الله ما بقي عليه من المظالم، ويدخله بالصوم الجنة.

عاشراً: أن الصوم لا يظهر فتكتبه الحفظة كما تكتب سائر الأعمال، فإنه من الأعمال الخفية التي لا يطَّلع عليها إلا الله عز وجل، وكثيرٌ من الناس لا يعلمون بصيام الصائم، بخلاف الصلاة والحج والزكاة، فإنها تظهر لجمهور الناس.

حادي عشر: أنه كفّارة، وقد عقد البخاري على ذلك باباً سمّاه: «الصوم كفّارة»، وأورد حديث حذيفة عنه عليه الصلاة والسلام: «**فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفِّرها الصلاة والصيام والصدقة**»(١).

ثاني عشر: أن الله عزَّ وجلَّ ـ كما صحَّ في الأحاديث ـ جعل للصائمين باباً في الجنة يُسمَّى الرَّيَّان، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن في الجنة باباً يُقال له: الريَّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يُقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق، فلم يدخل منه أحد**»(٢).

وقد ورد عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»(٣). ومعنى إيماناً: أنه مؤمن بالله عزَّ وجلَّ، فلا يصِحُّ صيام الكافر، ومعنى احتساباً: أنه يريد بصيامه وجه الله عزَّ وجلَّ، محتسباً أجره على الله تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥ ـ ١٨٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨ ـ ١٩٠١ ـ ٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

❁ المسألة الثالثة: شروط وجوب الصيام.

وهي أربعة شروط:

أولها: الإسلام، فلا يجب على الكافر ولا المرتد؛ لأنه عبادة فلا تجب على الكافر كالصلاة، ولأن الله سبحانه وتعالى خاطب بفريضة الصيام المؤمنين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ولأن الكافر والمرتد لم يأتِ بأصل الإسلام، فلا يُقبل منه، وعمله مردودٌ عليه؛ لأنه لم يعتقد وحدانية الباري سبحانه وتعالى، ولا صدَّق برسالة المعصوم عليه الصلاة والسلام.

ثم إنه لا يطالب الكافر - لو أسلم - بما فات عليه في عمره من صلاة وصيام، وكذلك من ارتدَّ فبقي فترة لا يصلي ولا يصوم، ثم عاد إلى الإسلام، فإنه لا يطالب في تلك الفترة بصيامِ وصلاةِ ما ترك، بل تكفيه التوبة النصوح، والدخول في الدِّين.

ثانيها: العقل، فلا يجب على مجنون؛ لأن الله سبحانه وتعالى خاطب أهل العقول، وجعل من شروط القيام بالشرع الحنيف: العقل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وذكر سبحانه وتعالى العقل في مسألة الاحتجاج فقال: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ [الملك: ١٠]، فمن لا يسمع أو يعقل ومن شابههم لا يطلب منهم القيام بالشرع، وتكاليفه وأحكامه.

ثالثها: البلوغ، فلا يجب على صبيٍّ، لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث: «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن**

النائم حتى يستيقظ، وعن الغلام حتى يحتلم»(١).

وقال بعض أهل العلم: يجب على من أطاقه، لما روي عنه عليه الصلاة والسلام وعن الصحابة أنهم كانوا يُصَوِّمون الصِّبيان، لكن هذا ليس على وجه الوجوب، ولكن على وجه التمرين، والتدريب، والتربية لهؤلاء، فيؤمر الصبي به إذا أطاقه، ويُضرب عليه ليعتاده، ولا يجب عليه للخبر المتقدم، بل هو كالصلاة، فإنَّ الصلاة يُؤمر بها الصبي في السابعة، ويُضرب عليها في العاشرة.

رابعها: الاستطاعة، فإن من لا يستطيع الصوم يسقط عنه، إما بالكليَّة فيطعم، وإما إلى وقت آخر كالمسافر والمريض، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

❁ المسألة الرابعة: بماذا يُعرف دخول شهر رمضان؟

يجب صوم شهر رمضان بأحد ثلاثة أشياء:

- كمال شعبان ثلاثين يوماً إجماعاً، ورؤية هلال رمضان لقوله ﷺ: **«صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته»**(٢).

- ووجود غيم أو قَتَرٍ في مطلع ليلة ثلاثين من شهر شعبان يَحُول

---

(١) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (١٤٤/٦، ١٠٠، ١٠١)، وأبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي (١٥٦/٦)، وابن ماجه (٢٠٤١)، وابن الجارود في «المنتقى» (١٤٨)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١٤٢)، والحاكم (٥٩/٢) وغيرهم من حديث حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم النخعي، عن الأسود بن يزيد، عنها به.
وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وقال النووي في «المجموع» (٦/٣): هذا الحديث صحيح. وفي الباب عن علي أو ابن عباس.

(٢) رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

دونه، لما روى ابن عمر أنَّ النبي ﷺ قال: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمَّ عليكم فاقْدِروا له**»(١). يعني، ضيِّقوا له، من قوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] أي: ضُيِّق عليه رزقه.

وتضييق العِدَّة أن يُحسب شعبان تسعةً وعشرين يوماً، «وكان ابن عمر إذا حال دون مطلعه غيم أو قتر أصبح صائماً»، رواه أبو داود. وابن عمر هو راوي الحديث وعمله به تفسير له. وعنه: لا يصوم، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**فإن غَمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً**»(٢)، ولأن في أول الشهر شكّاً فأشبه حال الصحو، ثم ورد أن الناس تبعٌ للإمام في ذلك، فإن صام صاموا، وإن أفطر أفطروا، لقوله ﷺ: «**صومكم يوم تصومون، وأَضْحاكم يوم تُضَحُّون**»(٣).

- إن رأى الهلال وحده صام، لقوله ﷺ: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**»(٤)، فإن كان عدلاً صام الناس بقوله، لما قال ابن عمر رضي الله عنهما: «تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته، فصام وأمر الناس بالصيام»(٥).

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٠ ـ ١٩٠٦)، ومسلم (١٠٨٠).

(٢) صحيح سبق تخريجه.

(٣) صحيح، أخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٦٩٧)، والدارقطني (٢٥٨)، والبيهقي (٢٥٢/٤) من حديث ابن المنكدر عن عائشة، وأثبت البخاري سماعه منها، وإن كان لا يخلو سنده من مقال، فقد أخرجه أبو داود (٢٣٢٤)، والدارقطني (٢٣١)، والبيهقي (٢٥١/٤ ـ ٢٥٢) من طريق محمد بن المنكدر عن أبي هريرة بلفظ: «**فطركم يوم تفطرون، وأضحاكم يوم تضحون**...».
وله طرق أخرى لا تسلم من الضعف، ويتقوى بمجموعها حتى حسنه الترمذي، وصححه النووي في «المجموع» (٢٨٣/٦). انظر بحثه في «إرواء الغليل» (٩٠٥/١١/٤) فهو بحث ماتع.

(٤) صحيح سبق تخريجه.

(٥) صحيح، رواه أبو داود (٢٣٤٢)، والدارمي (٤/٢)، والدارقطني (١٥٦/٢)، والحاكم (٢٤٣/١)، والبيهقي (٢١٨/٤).

ولأنه مما طريقه: المشاهدة، فدخل به في الفريضة، فقُبل من واحد كوقت الصلاة، والمعتبر في رؤية الهلال: الرؤية البصرية، فإننا أمة أمِّيَّة لا نكتب ولا نحسب، فلا يعتمد على الحساب في ذلك، وأما الأرصاد التي يقوم بها أهل الفلك، فإنها إذا كانت على رؤية للهلال بأجهزة مكبِّرة فلا بأس في ذلك قياساً على رؤية العين.

وإن كانت بالحساب «حساب الفلك»، فإن هذا ليس وارداً ولا جائزاً، لقوله ﷺ: «**إنا أمة أميَّة لا نكتب ولا نحسب**»[(١)]، ولأن الرسول عليه الصلاة والسلام عمل هو وأصحابه بالرؤية.

❁ المسألة الخامسة: أحكام المريض في شهر رمضان.

للمريض أن يفطر إذا كان الصوم يزيد مرضه، فإن تحمَّل وصام كُره له ذلك وأجزأه، وقد أجمع أهل العلم على إباحة الفطر للمريض في الجملة، والأصل فيه: قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

والمرض المبيح للفطر، هو: المرض الشديد الذي يزيد بالصوم، أو يخشى تباطؤ برئه في الصوم.

قيل لأحمد: متى يُفطر المريض؟ قال: إذا لم يستطع، قيل: مثل الحمَّى؟ قال: وأيُّ مرضٍ أشد من الحمّى[(٢)]؟!

= من حديث أبي بكر بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما به.
قال الدارقطني: تفرد به مروان بن محمد، عن ابن وهب، وهو ثقة. وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي.
وقال الحافظ في «التلخيص» (٤٠٦/٢): صححه ابن حزم. اهـ وهو كما قالوا، رحم الله الجميع.

(١) رواه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) «مسائل صلح للإمام أحمد» (١٢٢٦/١٤/٣، ١٢٢٧).
وانظر: تفصيل المسألة في «المغني» (١٤٧/٣)، و«الفروع» (٢٧/٣)، و«الإنصاف» (٢٨٥/٣).

وحُكي عن بعض السلف: أنه أباح الفطر بكل مرضٍ، حتى من وجع الإصبع والضِّرْس؛ لعموم الآية، ولأن المسافر يُباح له الفطر، وإن لم يحتج إليه فكذلك المريض.

والصحيح: أن من لم يؤذه المرض، ولا يشق عليه، فإن عليه الصيام، لأنه شاهد للشهر لا يؤذيه الصوم.

وشرط المرض المبيح للفطر، هو: ما يخاف منه الضرر، فإذا تحمَّل المريض، وصام مع هذا فقد فعل مكروهاً، لما يتضمنه من الإضرار بنفسه، وتركه: تخفيف الله تعالىٰ، وقَبول رخصته، ويصح صومه ويجزئه؛ لأنه عزيمة أبيح تركها رخصة، فإذا تحمَّله أجزأه، كالمريض الذي يُباح له ترك الجمعة فيحضرها، والذي يُباح له ترك القيام في الصلاة فيقوم بها.

والصحيح: أنَّ الذي يخشى زيادة المرض بالصيام يباح له الفطر خوفاً مما يتجدَّد بصيامه من زيادة المرض وتطاوله، فإذا خاف على نفسه من هذا المرض ـ لو صام ـ كان ترك الصيام له أولى.

ولا يدخل فيما يبيح الفطر من المرض: وجع الضرس، والجرح في الإصبع، والدُّمَّل، والقُرْحة اليسيرة والجَرَب، والرَّمَد، وأشباه ذلك، فإن هذا لا يشق على الصائم. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس من البر الصوم في السفر**»(١)، وخرج النبي ﷺ يوم الفتح فأفطر فبلغه أن أناساً صاموا فقال: «**أولئك العصاة، أولئك العصاة**»(٢).

فإن كان المرض يُرجى بُرؤه أخَّر الصيام لعدَّة من أيام أُخر، وإن كان المرض مستمراً لا يُرجى بُرؤه بقول طبيب مسلم حاذق، فإن عليه أن يُطعم عن كل يوم مسكيناً، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.
(٢) رواه مسلم (١١١٤)، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

﴿يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة: ١٨٤]. قال ابن عباس: كانت رخصة للشيخ والمرأة الكبيرة، وهما يُطيقان الصيام، أن يفطرا، ويطعما عن كل يوم مسكيناً، وكذلك الحُبلى والمرضع إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وأطعمتا.

❁ المسألة السادسة: المسافر في شهر رمضان.

فإن سافر سفراً تُقصر فيه الصلاة، فإن له أن يفطر؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وهنا مسائل تتعلق بهذه الآية:

إحداها: أنه قد ذهبت طائفة من السلف إلى أن من كان مقيماً في أول الشهر، ثم سافر في أثنائه، فليس له الإفطار بعُذر السفر والحالة هذه، لقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وإنما يباح الإفطار لمسافر استهلّ الشهر وهو مسافر، وهذا قول غريب، نقله ابن حزم في كتابه «المحلّى» عن جماعة من الصحابة والتابعين، وفيما حكاه عنهم نظر، فإنه قد ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ: «أنه خرج في شهر رمضان في غزوة الفتح فسار حتى بلغ «الكديد»، ثم أفطر وأمر الناس بالفطر»(١).

الثانية: ذهب آخرون من الصحابة والتابعين إلى وجوب الإفطار في السفر؛ لقوله تعالى: ﴿... فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾. والصحيح: قول الجمهور، أن الأمر في ذلك على التخيير، وليس بحتم؛ لأنهم كانوا يخرجون مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان، قال: فمنا الصائم ومنا المفطر، فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، فلو كان الإفطار هو الواجب، لأنكر عليهم الصيام، بل الذي

---

(١) رواه البخاري (١٩٤٤)، ومسلم (١١١٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، والكديد: ماء بين عسفان وقديد.

ثبت من فعل رسول الله ﷺ، أنه كان في مثل هذه الحالة صائماً لما ثبت في الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حرٍّ شديد حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبدالله بن رواحة»(١).

الثالثة: قالت طائفة، منهم: الشافعي: الصيام في السفر أفضل من الإفطار، لفعل النبي ﷺ كما تقدَّم، وقالت طائفة: بل الإفطار أفضل أخذاً بالرخصة، وقالت طائفة: هما سواء؛ لحديث عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال: يا رسول الله إني كثير الصيام أفأصوم في السفر؟ قال: «**إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر**»(٢)، وقيل: إن شق الصيام فالإفطار أفضل، لحديث جابر، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً قد ظُلِّلَ عليه فقال: «**ما هذا؟**»، قالوا: صائم، قال: «**ليس من البر الصيام في السفر**»(٣).

الرابعة: القضاء: هل يجب متتابعاً، أو يجوز فيه التفريق؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه يجب التتابع؛ لأن القضاء، يعني: الأداء.

والثاني: لا يجب التتابع، بل إن شاء فرّق وإن شاء تابع.

وهذا قول جمهور السلف، والخلف، وعليه ثبتت الأدلة؛ لأن التتابع إنما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر، فأما بعد انقضاء رمضان فالمراد: صيام أيام عدة ما أفطر، ولهذا قال تعالى: ﴿... فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

---

(١) رواه البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢).

(٢) رواه البخاري (١٩٤٣)، ومسلم (١١٢١).

(٣) صحيح، سبق تخريجه.

❁ المسألة السابعة: حكم الحائض والنفساء في شهر رمضان.

إذا حاضت المرأة أو نفست أفطرت وقضت، فإن صامت لم يجزئها، وأجمع أهل العلم على أن الحائض والنفساء لا يحل لهما الصوم، وأنهما تفطران رمضان وتقضيان، وأنهما إذا صامتا لم يجزئهما الصوم[(١)]، وقد قالت عائشة: «كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[(٢)].

والأمر إنما هو للنبي ﷺ، وقال أبو سعيد الخدري: قال النبي ﷺ: **«أليس إحداكنَّ إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم، فذلك من نقصان دينها»**[(٣)]. والحائض والنفساء سواء، لأن دم النفاس ودم الحيض حكمهما سواء، ومتى وُجد الحيض في جزء من النهار فسد صوم ذلك اليوم سواء وُجد في أوله أو في آخره، ومتى نَوَت الحائض الصوم، وأمسكت مع علمها بتحريم ذلك أثمت ولم يجزئها، ويصح صومها قبل الغسل إذا طهرت من الليل.

❁ المسألة الثامنة: الحامل والمرضع.

عن أنس بن مالك الكعبي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله عز وجل وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحُبلى والمرضع الصوم»**، وفي لفظ بعضهم: **«وعن الحامل والمرضع»**. وهذا الحديث حسَّنه الترمذي[(٤)]، وهو يدل على أنه يجوز للحُبلى والمرضع

---

(١) قال ابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٢/١٠٧): وهذا إجماع أن الحائض لا تصوم في أيام حيضتها، وتقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة لا خلاف في شيء من هذا، والحمد لله. اهـ.

(٢) رواه البخاري (٣٢١) بنحوه، ومسلم (٣٣٥).

(٣) رواه البخاري (٣٠٤).

(٤) حسن، رواه الإمام أحمد (٤/٣٤٧)، (٥/٢٩)، والترمذي (٧١٥)، والنسائي (٤/١٧٨)، وابن خزيمة (٢٠٤٣، ٢٠٤٤)، والطحاوي في «شرح المعاني» (١/٤٢٣)، =

الإفطار، وقد ذهب إلى ذلك الفقهاء إذا خافت المرضع على الرضيع، والحامل على الجنين، قالوا: إنها تفطر حتماً، قال أبو طالب: ولا خلاف في الجواز، وقال الترمذي: العمل على هذا عند أهل العلم.

وقال بعض أهل العلم: الحامل والمرضع تفطران، وتقضيان، وتطعمان، وبه يقول سفيان، ومالك، والشافعي، وأحمد، وقال بعضهم: تفطران، وتطعمان، ولا قضاء عليهما، وإن شاءتا قضتا، ولا إطعام عليهما، وبه يقول إسحاق.

وقد قال بعدم وجوب الكفَّارة مع القضاء الأوزاعي، والزُّهري، والشافعي في أحد أقواله، وقد قال مالك، والشافعي، في أحد أقوالهما: إنها تلزم المرضع لا الحامل، إذ هي كالمريض، «يعني بذلك الكفَّارة».

والراجح في المسألة: أن الحامل والمرضع ـ إذا خافتا على نَفْسَيْهِما ـ فإنهما تفطران، وتقضيان بلا إطعام، وإذا خافتا على وَلَدَيْهما، فإنهما تفطران، وتقضيان، وتطعمان، فأما القضاء فأمره معلوم؛ لعموم الآية: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وأما الإطعام فقد ورد عن ابن عباس، رضي الله عنه وأرضاه، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] قال: «كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصيام أن يفطرا ويُطعما مكان كل يوم مسكيناً، وكذلك الحُبلى والمرضع ـ إذا خافتا على أولادهما ـ أفطرتا وأطعمتا».

= من حديث أنس بن مالك الكعبي وليس الأنصاري المشهور، وفي أسانيده ضعف يسير ينجبر، وقد صححه جماعة كابن خزيمة، وحسنه الترمذي، ورجحه أبو حاتم في «العلل» (٢٦٦/١) أنه أنس بن مالك الأنصاري: خادم الرسول. انظر: «إتحاف المهرة» (٤١٦/٢)، و«التلخيص الحبير» (٤٤٥/٢). =

وكلام الصحابي مقدَّم على كلام غيره من أهل العلم من المتأخرين، لما علَّمهم سبحانه وتعالى، ولما خصَّهم به من كمال الفهم، وتمام المعرفة، وجودة الاستنباط.

❁ المسألة التاسعة: العاجز عن الصيام لكبر أو مرض لا يُرجى بُرؤه.

فإنَّ هذا عليه أن يفطر، وأن يُطعمُ عن كل يوم مسكيناً، كما ورد في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، للآية، فإنها رخصة للشيخ الكبير، ولأن الأداء صوم واجب، فجاز أن يسقط إلى الكفَّارة كالقضاء، ولأن الصيام على الاستطاعة، والكبير والمريض لا يستطيعان، والله عز وجل يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ . . .﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أما المريض الذي لا يُرجى بُرؤه، فإنه يفطر، ويُطعم عن كل يوم مسكيناً، لأنه في معنى الشيخ، قال أحمد: فإن شاء أخرج الإطعام عن كل يوم بيومه، وإن شاء قدَّم الإطعام كله في أول الشهر، وإن شاء أخَّره في آخر الشهر. وورد عن أنس، رضي الله عنه، أنه جمع في أول الشهر ثلاثين مسكيناً فأطعمهم، وكان عاجزاً عن الصيام؛ والأَوْلى في ذلك: الإطعام لا القيمة، فإن هذا أقرب للنصوص الشرعية.

❁ المسألة العاشرة: من ذهب عقله.

فإنه يسقط عنه التكليف. وليس عليه صيامٌ ولا إطعام، وليس مخاطَباً بالشرع لقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ . . .﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولقول المعصوم عليه الصلاة والسلام: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»(١) وهو لا يستطيع، وقد فَقَدَ أمراً هاماً من أمور التكليف، وقد قال ﷺ: «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى**

---

(١) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الصغير حتى يكبر»[1].

وهو في معناهم؛ إذ العلة في ذلك فُقدان العقل في الجميع.

وكان الإطعام للعاجز من كبر، أو مرض لا يُرجى برؤه، لأنهما لا يستطيعان مع وجود العقل، وأما هذا فإنه لا صيام عليه، ولا إطعام، لأنه لا يستطيع مع فُقدان العقل.

❁ المسألة الحادية عشرة: ومن المفطرات: الأكل والشرب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ومفهوم الآية: أنه إذا تبيَّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر حَرُمَ علينا الأكل والشرب في نهار رمضان، وقد أجمع أهل العلم على أن من المفطرات الأكل والشرب في نهار رمضان، فيهجر الأكل والشرب من بعد طلوع الفجر حتى تغرب الشمس.

❁ المسألة الثانية عشرة: الجماع.

وهو محرَّم ـ في نهار رمضان ـ بالكتاب والسنّة والإجماع، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومفهوم الآية: أنه في نهار رمضان يحرم علينا ذلك، وقد دلَّت السنة المطهرة على تحريم الجماع في النهار في شهر رمضان، وأنه مفطر، وفيه كفَّارة، ومنها: حديث أبي هريرة، رضي الله عنه: «أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: هلكتُ يا رسول الله! فقال له: **«ما أهلكك؟»**، قال: وقعت على امرأتي في نهار رمضان...»

---

(١) صحيح، سبق تخريجه ص ٢٠.

الحديث[١]، فأقرَّه عليه الصلاة والسلام على أنه هلك بالجماع في نهار رمضان، ثم بيَّن له ﷺ الكفَّارة.

۞ المسألة الثالثة عشرة: القيء.

فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«من ذَرَعَهُ القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمداً فليقض»**[٢].

والحديث يدل على أنه لا يبطل صوم من غلبه القيء، ولا يجب عليه القضاء، ويبطل صوم من تعمَّد إخراجه ولم يغلبه ويجب عليه القضاء، وقد ذهب إلى هذا: عليٌّ، وابن عمر، وزيد بن أرقم، وزيد بن علي، والشافعي.

وحكى ابن المنذر الإجماع على أن من تعمَّد القيء يفسد صيامه، وقال ابن مسعود وعكرمة وربيعة: أنه لا يفسد الصوم سواء كان غالباً أو مستخرجاً ما لم يرجع منه شيء باختيار، واستدلوا بحديث أبي سعيد: **«ثلاث لا يفطرن: القيء، والحجامة، والاحتلام»**[٣].

---

(١) رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

(٢) حسن، رواه الإمام أحمد (٤٩٨/٢)، وأبو داود (٢٣٨٠)، والترمذي (٧٢٠)، وابن ماجه (١٦٧٦)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٩٧/٢)، والدارقطني (١٨٤/٢)، والحاكم (٤٢٧/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

واعترض على تصحيحه بعض العلماء كالبخاري، والترمذي، والنسائي، وأبو داود وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وقال الدارقطني: رواته كلهم ثقات. وأحسن من تصحيحه وتضعيفه تحسينه، لقول جمهور العلماء به، ولكون العمل عليه عند أهل العلم.

(٣) ضعيف، أخرجه الترمذي (٨١٩)، وأبو يعلى (١٠٣٩)، والدارقطني (١٨٣/٢)، والبيهقي (٢٥٤/١، ٢٦٤/٤).

بإسناد فيه اثنان من الضعفاء، لا يحتمل ضعفهم التفرد بهذا الخبر. وضعفه الدارقطني والحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٤٢١/٢، ٤٢٢).

وأجيب بأنه حديث ضعيف، لا ينهض للاستدلال، ولو سُلِّمَ بصلاحيته فهو محمول ـ كما قال البيهقي ـ على من ذرعه القيء، وهذا لا بد منه، لأن ظاهر حديث أبي سعيد أن القيء لا يفطر مطلقاً، وظاهر حديث أبي هريرة أنه يفطر نوع منه خاص، فيُبنى العام على الخاص.

وفي الحديث الذي أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن الجارود، وابن حبان، والدارقطني، والبيهقي، والحاكم، عن أبي الدرداء، أن رسول الله ﷺ «قاء فأفطر»[1]. قال معدان بن أبي طلحة الراوي له عن أبي الدرداء: فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فقلت: إن أبا الدرداء أخبرني ـ فذكر الحديث ـ فقال: صدق، أنا صببت عليه وضوءه، قال ابن منده: إسناده صحيح متصل، فهذا الحديث محمول على القيء عامداً، وكأنه ﷺ كان صائماً تطوعاً.

❁ المسألة الرابعة عشرة: الاكتحال.

عن عبدالرحمٰن بن النعمان بن معبد بن هوذة عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه أمر بالإثمد المروَّح عند النوم وقال: «**ليتقه الصائم**»[2]. قال ابن معين: عبدالرحمٰن هذا ضعيف، وقال أبو حاتم الرازي: هو صدوق.

---

(١) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٦/٤٤٣)، وأبو داود (٢٣٨١)، والترمذي (٨٧)، والنسائي (٣١٢٣)، وابن الجارود (٨)، وابن حبان كما في «موارد الظمآن» (٩٠٨)، والدارقطني (٢/١٨١ ـ ١٨٢)، والحاكم (١/٤٢٦)، والبيهقي (١/١٤٤)، وإن اختلف على إسناده فقد صححه جماعة من أهل العلم، كالإمام أحمد، والترمذي.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/٣٩٨)، وأبو داود (٢٣٧٧)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/٩٤/١٠٥٩) بهذا الإسناد، وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء والمجهولين.

وقد ذهب بعضهم إلى أن الاكتحال يفسد الصوم، واستدلوا بحديثٍ: «**الفطر مما دخل، والوضوء مما خرج**»[١]. وذهب الجمهور إلى أن الاكتحال لا يفسد الصوم، واستدلوا على ذلك بما أخرجه ابن ماجه عن عائشة: «أن النبي ﷺ اكتحل في رمضان وهو صائم»[٢]، وفي إسناده بقية عن الزبيدي عن هشام عن عروة، والزبيدي المذكور مجهول.

وروى البيهقي: «أن رسول الله ﷺ كان يكتحل وهو صائم» وإسناده لا يثبت[٣]، وفي حديث ابن عمر قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ وعيناه مملوءتان من الإثمد وذلك في رمضان وهو صائم»[٤]. ورواه الترمذي[٥] من حديث أنس في الإذن فيه لمن اشتكت عينه، وقال: إسناده ليس بالقوي، ولا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء.

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه الدارقطني (١/١٥١)، والبيهقي (١/١١٦، ١١٧) وغيرهما من طرق عن ابن عباس، موقوفاً ومرفوعاً، وضعفه الحافظ في «التلخيص الحبير» (١/٣٣٢).

(٢) ضعيف، أخرجه ابن ماجه (١٦٧٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣/١٢٤١)، والبيهقي (٤/٢٦٢) بهذا الإسناد. وضعفه ابن عدي، والنووي، والبيهقي، وابن حجر. انظر: «التلخيص الحبير» (٢/٤١٢).

(٣) حديث منكر، أخرجه البيهقي (٤/٢٦٢)، والطبراني (١/٣١٧/٩٣٩) من حديث محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده. قال أبو حاتم: هذا حديث منكر. وعلق محمد هذا قال هو عنه وكذا البخاري: منكر الحديث.

(٤) ضعيف، أخرجه ابن حبان في «كتاب المجروحين» (١/٤٠٢)، وعزاه الحافظ إلى ابن أبي عاصم في «كتاب الصيام» من حديث سعيد بن زيد، عن عمرو بن خالد، عن حبيب، عن نافع، عن ابن عمر وفيه سعيد بن زيد أخو حماد.
قال ابن حبان: وكان محمد يخطىء في الأخبار، ويهم في الآثار حتى لا يحتج به إذا انفرد. اهـ والجمهور على تضعيفه.
وقول الحافظ في «التلخيص الحبير» (٢/٤١٢): وسنده مقارب. اهـ لا يسلم من النقد، لا سيما وقد قال الترمذي: لا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء.

(٥) رقم (٧٢٦).

والصحيح: ما ذهب إليه الجمهور، من أن الاكتحال لا يفسد الصوم؛ لأن البراءة الأصلية لا ننتقل عنها إلا بدليل، وليس في الباب ما يصلح للنقل، ولا سيما بعد أن شدَّ هذا الحديث من عضُدها، وعلى فرض صلاحية حديث الفطر مما دخل، فإن حديث اكتحال النبي ﷺ يكون مخصِّصاً للكحل، وكذلك على فرض صلاحية حديث الباب يكون محمولاً على الأمر باجتناب الكحل المطيَّب، لأن المروَّح هو المطيَّب فلا يتناول ما لا طيب فيه، ويمكن أن يقال: حديث الاكتحال صارفٌ للأمر عن حقيقته، أعني: «الوجوب»، فيكون الاكتحال مكروهاً، ولكن يبعد أن يفعل النبي ﷺ ما هو مكروه.

❁ المسألة الخامسة عشرة: الحجامة[١].

عن ابن عباس، رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ احتجم وهو محرم واحتجم وهو صائم»[٢].

قال ابن القيِّم في «زاد المعاد»[٣]: ولا يصحُّ عنه ﷺ أنه احتجم وهو صائم، قال مهنا: سألت أحمد عنه فقال: ليس بصحيح، وقد أنكره يحيى بن سعيد الأنصاري، وقال الأثرم: سمعت أبا عبدالله ذكر هذا الحديث فضعَّفه، قال مهنا: وسألت أحمد عن حديث ابن عباس أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم ومُحْرِم، فقال: ليس فيه صائم، إنما وهو محرم، والمقصود أنه لم يصح عنه ﷺ أنه احتجم وهو صائم.

(١) انظر تفصيل هذه المسألة «فتح الباري» (٢٠٦/٤ ـ ٢١٠)، «زاد المعاد» (٥٩/٢ ـ ٦٣)، وانظر لزاماً «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٥٢/٢٥ ـ ٢٥٨).

(٢) رواه البخاري (١٩٣٨)، والاختلاف في إثبات لفظه كبير، حتى أنكره جماعة من العلماء.

(٣) (٦١/٢).

وعن شدَّاد بن أوس، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أتى على رجل بالبقيع وهو يحتجم في رمضان فقال: **«أفطر الحاجم والمحجوم»**[(١)]، وصحَّحه أحمد وابن خزيمة وابن حبان، وقال السيوطي في «الجامع الصغير»: متواتر، وقال الإمام أحمد: فيه غير حديث ثابت؛ وقال إسحاق: ثبت هذا من خمسة أوجه عن النبي ﷺ، وقال ابن القيم في «زاد المعاد»[(٢)]: والذي صحَّ عنه ﷺ أنه يُفطر الصائم الأكل والشرب والحجامة والقيء. والقرآن دلَّ على أن الجماع مفطر.

وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: «أول ما كُرهت الحجامة للصائم أن جعفر بن أبي طالب احتجم وهو صائم فمرَّ به النبي ﷺ فقال: **«أفطر هذان»**، ثم رخَّص النبي ﷺ في الحجامة، وكان أنس يحتجم وهو صائم»[(٣)].

والصحيح في هذه المسألة ـ إن شاء الله ـ أن الحجامة مفطرة، ويجب على الصائم اجتنابها في نهار رمضان.

❁ المسألة السادسة عشرة: من أكل أو شرب ناسياً.

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتمَّ صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»**[(٤)].

فهذا الحكم دلَّت عليه النصوص كتاباً وسنة، فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا...﴾ [البقرة: ٢٨٦]،

---

(١) صحيح انظر لتخريجاته «التلخيص الحبير» (٢/٤١٣ ـ ٤٢٣).
(٢) (٢/٥٩).
(٣) أخرجه الدارقطني (٢/١٤٣/٢٢٣٨) وقال بعده: كلهم ثقات، ولا أعلم له علة.
(٤) رواه البخاري (١٩٣٣ ـ ٦٦٦٩)، ومسلم (١١٥٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»(١).

ومن رأى من يأكل أو يشرب في نهار رمضان ناسياً فهل عليه أن ينبِّه هذا الناسي أم يسكت؟ الظاهر: أن عليه أن ينبِّهه، لأنه من باب الأمر بالمعروف والنصيحة، والتعاون على البر والتقوى.

المسألة السابعة عشرة: التحفظ من الغيبة واللغو للصائم.

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفسُ محمدٍ بيده لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**»(٢).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس للّه حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»(٣).

فالغيبة، واللغو، والسب، والشتم، تجرح صيامَ الصائم،

---

(١) صحيح بطرقه، قال الشوكاني في «فتح القدير» (٣٨٨/١ ـ ٣٨٩): وقد أخرج ابن ماجه، وابن المنذر، وابن حبان، والطبراني، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي من حديث ابن عباس. وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي ذر مرفوعاً، والطبراني من حديث ثوبان، وابن عمر، والطبراني والبيهقي من حديث عقبة بن عامر، وأخرجه ابن عدي وأبو نعيم من حديث أبي بكرة، وأخرجه ابن أبي حاتم من حديث أم الدرداء.
وأخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد من حديث الحسن مرسلاً، وابن حميد من حديث الشعبي مرسلاً... إلى أن قال: وفي أسانيد هذه الأحاديث مقال، ولكنها يقوي بعضها بعضاً، فلا تقصد عن رتبة بحسن لغيره، وقد تقدم حديث: «إن الله قال: قد فعلت» وهو في «الصحيح»، وهو يشهد لهذه الأحاديث. اهـ.

(٢) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١٦٣).

(٣) رواه البخاري (١٩٠٣ ـ ٦٠٥٧).

وتُضْعِفُ الأجر والثواب، وتعرِّض الصائم للعقاب، ولكن لا يلزم الصائم أن يقضي يوماً مكان هذا اليوم ـ فيما أعلم ـ ولا أعلم حديثاً صحيحاً كدليل لمن أوجب قضاء هذا اليوم.

والمقصود من الصيام: حفظ اللسان، والجوارح عمَّا يُغضب الربَّ تبارك وتعالى، وأما قوله في آخر الحديث: «**فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»، فقال بعض أهل العلم: ليس معناه أنه يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور، ولا مفهوم لذلك، فإن الله لا يحتاج إلى شيء، وإنما معناه فليس لله إرادة في صيامه فوضع الحاجة موضع الإرادة، وقال بعضهم: بل هو كناية عن عدم القَبول، كما يقول المُغْضَب لمن ردَّ عليه شيئاً طلبه منه فلم يقم به: لا حاجة لي في ذلك، وقال ابن العربي: مقتضى هذا الحديث أنه لا يثاب على صيامه، ومعناه: أن ثواب الصيام لا يقوم في الموازنة بإثم الزور، وما ذكر معه.

واستدل بهذا الحديث على أن هذه الأفعال تُنقص ثواب الصوم، وتُعقب بأنها صغائر تكفر باجتناب الكبائر، والله أعلم.

❁ المسألة الثامنة عشرة: تبييت النية من الليل.

عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من لم يبيِّت الصيامَ قبل الفجر فلا صيام له**»[(١)]، ومال الترمذي والنسائي إلى ترجيح وقفه، وصحَّحه ـ مرفوعاً ـ ابن خزيمة وابن حبان، وللدارقطني: «**لا صيام لمن لم يفرضه من الليل**»، وتبييت الصيام: عقد القلب بالنية عليه ابتداءً من آخر الليل وأول النهار.

---

(١) هذا الحديث اختلف في رفعه ووقفه كثيراً، والذي تطمئن إليه النفس وقفه، ولهذا ينظر لزاماً هذا البحث «إرواء الغليل» (٤/٢٥/٩١٤)، و«التلخيص الحبير» (٢/٤٠٧/٨٨١).

والنية هي: إخلاصه لله، وابتغاء وجهه ومرضاته بالعمل، ولا بد أن يكون ذلك مصاحِباً لجميع أجزاء العمل من صيام، وصلاة، وغيرها.

ومن شرط صحة صيام الفريضة تبييت نية الصيام من الليل، فلو لم ينوِ حتى طلع الفجر فلا صيام له، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من علم أن غداً من رمضان كفته نيته هذه «هذا في الفريضة»، وهو مقصود حديثه عليه الصلاة والسلام. والتبييت إنما يكون في الليل قبل الفجر، ولو بيَّت النية قبل أن ينام ثم لم يستيقظ حتى طلع الفجر لكفاه ذلك.

ومن لم يعلم بدخول الشهر إلا بعد طلوع الفجر، فإنه يمسك ذلك اليوم، ويقضي يوماً مكانه، لأنه لم يفرض النية من الليل.

❁ المسألة التاسعة عشرة: نيةُ النافلة في الصيام:

عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: دخل عليَّ النبيُّ ﷺ ذات يوم فقال: «**هل عندكم شيء؟**»، قلنا: لا، قال: «**فإني صائم**»، ثم أتانا يوماً آخر فقلنا: أُهدي لنا حَيْسٌ، فقال: «**أرينيه، فلقد أصبحت صائماً، فأكل**»[1].

وهذا الحديث يدلُّ على أن المتنفِّل له أن يعقد النية من أثناء النهار، ولا يلزمه أن يبيِّت النية من الليل كالمفترض، وإذا أمسك وهو مفطر، ثم أراد أن يصوم فله أن يكمل من أثناء النهار حتى من بعد الزوال عند كثير من أهل العلم.

وإذا صام نافلةً، ثم أراد أن يفطر لسبب من الأسباب فله ذلك، ولا قضاء عليه في القول الصحيح من أقوال أهل العلم، لأن المتطوع أمير نفسه خلافاً للأحناف.

---

(١) رواه مسلم (١١٥٤).

❁ المسألة العشرون: السُّنَّة في الفطر.

عن سهل بن سعد، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر»**[(١)]. وفي الحديث عن عمر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم»**[(٢)]، فجعله مفطراً حكماً بدخول وقت الفطر، وإن لم يتناول شيئاً.

فمن الخطأ ما يصنعه البعض من العامة وأشباههم تمكيناً في الإفطار، أو في الإمساك قبل الفجر، فإن هذا يستدعي إدخال جزء من الوقت الذي أوجب الله فطره في الصوم وهذا تنطُّع، وقد هلك المتنطِّعون.

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«قال الله عزَّ وجلَّ: أحبُّ عبادي إليَّ أعجلهم فطراً»**[(٣)].

ومعنى تعجيل الفطر: أن يفطر المسلم والمسلمة إذا غابت الشمس، وإذا أدبر النهار وأقبل الليل، فهذا هو الضابط الشرعي لهذا، فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فدخول أول جزء من الليل مبيح للإفطار، ولو لم يفطر العبد، فاتباع السنّة في ذلك أن يبدأ في أول جزء، ولا يتنطع في ترك الفطر حتى يتمكن الليل كثيراً.

وهنا مسألة: هل الضابط الأذان أم إقبال الليل وغروب الشمس؟ والصحيح في ذلك غروب الشمس، لكن إذا كان المؤذن ثقة أميناً عارفاً بالوقت، فإنه يؤخذ بأذانه ويفطر عليه، كالشاهد، وكالراوي، وناقل

---

(١) رواه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

(٢) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).

(٣) حسن رواه الترمذي (٧٠٠) وحسَّنه.

الخبر، وأما إذا لم يعرف عنه الثقة، والأمانة، والضبط، فإنه يعتبر بالليل، وبغروب الشمس.

۞ المسألة الحادية والعشرون: ما جاء في السحور.

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسحَّروا فإن في السحور بركة**»(١). وورد في السنن: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكْلة السَّحَر**»(٢).

وكان ﷺ يُحبِّذ السحور، ويتسحَّر، عليه الصلاة والسلام، وأصحابه، وإنما كان في السحور بركة؛ لأنه مُعين على صيام النهار، ولأنه في وقت إجابة الدعاء حين يتنزَّل الله، سبحانه وتعالى، إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه، ولأنه اتباع لسنّة الرسول، عليه الصلاة والسلام، ولأنه مخالفة لأهل الكتاب، فإنهم كانوا لا يتسحَّرون إذا صاموا، وقد أمرنا بمخالفتهم فيما لم يرد شرعُنا به.

وفي الحديث عن زيد بن ثابت أنهم تسحَّروا مع رسول الله ﷺ، فقيل لزيد: كم بين السحور وأذان الفجر؟ قال: «مقدار ما يقرأ القارىء خمسين آية»(٣).

فكأن من السنة أن يكون بين الأذان وبين الكفِّ عن السحور وقت كهذا الوقت، وهو الأقرب، والأحسن، والألْيَق.

وما يفعله بعض الناس من تقديم السحور كثيراً حتى يكون في وقت العشاء، أو ترك السحور، مخالفٌ للسنة، ولو أن صيام هؤلاء

---

(١) رواه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥).

(٢) رواه مسلم (١٠٩٦) بلفظ «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل...». والترمذي (٧٠٩).

(٣) رواه البخاري (١٩٢١).

صحيح، ولكن الأَولى اتباعه، عليه الصلاة والسلام، في دقائق سُنَّته.

❁ المسألة الثانية والعشرون: على ماذا يفطر الصائم؟

عن سليمان بن عامر عن النبي ﷺ قال: «**إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإن لم يجد فليفطر على ماء، فإنه طهور**»(١). وقد ورد في بعض الروايات: «على رُطَبٍ، فإن لم يجد فعلى تمرٍ، فإن لم يجد حسا حسواتٍ من ماء»(٢).

وهذا الحديث الأخير من فعله، عليه الصلاة والسلام، فالسُّنَّة: الفطر على شيء من التمر، وإنما خُص التمر ـ كما قال بعض الفضلاء ـ: لأن فيه مادة حلوة، وهي أنسب ما يكون لجائع البطن، كما أنها أصح للمعدة، وهذه من حكمه البالغة ﷺ، ومن أسرار الشريعة الكاملة.

والسُّنة: أن يفطر بتمرات وتراً بعد غروب الشمس، قبل أن يصلي المغرب، ولو أفطر على غير هذه المادة من المأكولات لجاز، ولكن الأفضل ما وردت به السنة.

ووردت بعض الأحاديث فيما يدعو به الصائم عند الفطر، ولكن في بعضها ضعف، قد يشعر تعددها، وتعدد طرقها بقوتها، كحديث:

---

(١) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٢١٣/٤)، وأبو داود (٢٣٥٥)، والترمذي (٦٩٥)، والنسائي في «الكبرى» (٢٣١٤)، وابن ماجه (١٦٩٩)، وابن خزيمة (٢٠٦٧)، والحاكم (٤٣١/١)، والبيهقي (٢٣٨/٤). وصححه جماعة كالترمذي، والحاكم، وابن خزيمة، وقال الحافظ في «التلخيص» (٤٣٥/٢): صححه أبو حاتم الرازي أيضاً.

(٢) حسن، رواه الإمام أحمد (١٦٤/٣)، وأبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٩٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (٣٣١٧) وغيرهم من حديث أنس بن مالك من فعله ﷺ. وقد ضعفوه لانفراد جعفر بن ثابت، وأنكروه عليه، ويقوى بما سبقه. انظر «التلخيص الحبير» (٤٣٥/٢).

«ذهب الظمأ، وابتلَّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله»[١]، وحديث: **«اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، فتقبَّل مني، إنك أنت السميع العليم»**[٢].

ثم إنه ورد دعوة لا تُرَدّ، فلو دعا لكان أحسن قبل أن يفطر.

❁ المسألة الثالثة والعشرون: حكم الوصال.

ومعناه: أن يَصِلَ الصائم النهار بالليل، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه: نهى رسول الله ﷺ عن الوِصال، فقال رجل من المسلمين: إنك تواصل، يا رسول الله؟ فقال: **«وأيكم مثلي؟، إنني أَبيت يطعمني ربي ويسقيني»**، فلما أبوا أن ينتَهوا عن الوِصال واصلَ بهم يوماً ثم يوماً، ثم رأوا الهلال فقال: **«لو تأخَّر الهلال لزدتكم»**، كالمنكر لهم حين أبوا أن ينتهوا[٣].

وهذا لا يطيقه إلا النبي ﷺ الذي شغله صدق المحبة لله تعالى، وقوة الصلة به، فالله تعالى يغذيه من المعارف، ويفيض على قلبه من لذة المناجاة والشوق ما هو غذاء للقلوب، ونعيم للأرواح، فيغني هذا عن غذاء الجسم مدَّة من الزمان.

---

(١) حسن، أخرجه أبو داود (٢٣٥٧)، وابن السني (٤٧٢)، والدارقطني (٢٤٠)، والحاكم (٤٢٢/١)، والبيهقي (٢٣٩/٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
قال الدارقطني: إسناده حسن. وانظر: «إرواء الغليل» (٣٩/٤/ ٩٢٠).

(٢) ضعيف جداً، رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٢/٢)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٨٨/٢) من حديث أنس.
قال الطبراني: لم يروه عن شعبة إلا داود بن الزبرقان.... اهـ.
وقال الهيثمي في «المجمع» (١٥٩/٣): وهو ضعيف. اهـ.
قلت: بل هو متروك، ضعفه الجمهور، قال الحافظ: إسناده ضعيف فيه داود بن الزبرقان وهو متروك. انظر «التخليص» (٤٤٥/٢).

(٣) رواه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣).

وليس معنى قوله: **«أبيت يطعمني ربي»** أنه يطعمه طعاماً وشراباً بالفم، وإلا لما كان صائماً، عليه الصلاة والسلام، فقد نهى ﷺ الأمة نهيَ تحريم عن الوصال، فإن فيه مشقة، أما الوصال الذي نُقل عن بعض السلف، فكأنهم ما سمعوا نهيه، عليه الصلاة والسلام، وقد يفعل بعض العلماء أمراً ـ وهو خلاف السنة ـ متأوِّلاً في ذلك، مجتهداً، فيؤجر أجراً واحداً، وأما من بلغه الدليل فلا يجوز مخالفته.

۞ المسألة الرابعة والعشرون: الرخصة في القُبلة للصائم إلا لمن يخاف على نفسه.

عن أم سلمة، رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يقبِّلها وهو صائم»[(١)]. وعن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقبِّل وهو صائم، ويباشر وهو صائم، كان أملككم لإزبه»[(٢)]، وفي لفظ: «يقبِّل في رمضان وهو صائم»[(٣)].

وعن عمر بن أبي سلمة، رضي الله عنه، أنه سأل رسول الله ﷺ: أيقبِّل الصائم؟ فقال له رسول الله ﷺ: **«سل هذه»** ـ لأم سلمة ـ فأخبرته أن رسول الله ﷺ يفعل ذلك، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، فقال له رسول الله ﷺ: **«أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له»**[(٤)]. وفيه أن أفعاله حجة.

فإذا خاف الصائم على نفسه من القُبلة، فالأَوْلى: اجتنابها، وعدم التقبيل، وأما إذا أمِنَ فقد رخَّص في ذلك عليه الصلاة والسلام، وكأن

---

(١) رواه البخاري (١٩٢٩)، ومسلم (١١٠٨).
(٢) رواه مسلم (١١٠٦).
(٣) رواه مسلم (٧١).
(٤) رواه مسلم (١١٠٨).

لحالة الشخص أثراً في اختلاف الحكم، فمن كان شاباً تطمح نفسه، فالأَوْلى له اجتناب القبلة، ومن كان شيخاً كبيراً، فلا بأس، والله أعلم.

❁ المسألة الخامسة والعشرون: الصوم في السفر والإفطار.

عن ابن أبي أوفى، رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال لرجل: «**انزل فاجدح لي**»، قال: يا رسول الله، الشمس، قال: «**انزل فاجدح لي**»، قال: يا رسول الله، الشمس، قال: «**انزل فاجدح لي**»، فنزل، فجدح له، وشرب، ثم رمى بيده هاهنا ثم قال: «**إذا رأيتم الليل أقبل من هاهنا فقد أفطر الصائم**»(١). واستدل بهذا الحديث البخاري على جواز الصوم في السفر، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان مسافراً، كما يعلم من هذا الحديث.

وعن عائشة، رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ: أأصوم في السفر؟ ـ وكان كثير الصيام ـ قال: «**إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر**»(٢)، قال ابن دقيق العيد: ليس فيه تصريح بأنه صوم رمضان، فلا يكون فيه حجة على من منع صيام رمضان في السفر.

وقال ابن حجر: وهو كما قال بالنسبة إلى سياق حديث الباب، لكن في رواية أبي مرواح التي ذكرها مسلم أنه قال: يا رسول الله، أجد بي قوة على الصيام في السفر فهل عليَّ جُناح؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هي رخصة من الله، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب**

---

(١) رواه البخاري (١٩٤١)، ومسلم (١١٠١).
(٢) رواه البخاري (١٩٤٣)، ومسلم (١١٢١).

أن يصوم فلا جناح عليه»(١). وهذا يُشعر بأنه سأل عن صيام الفريضة، وذلك أن الرخصة إنما تُطلب في مقابلة ما هو واجب.

وأصرح من ذلك إحدى روايات الحديث السابق من طريق عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي سأل رسول الله ﷺ: عن الصيام في السفر؟ فقال: **«إن شئت صم، وإن شئت أفطر»**(٢).

والحاصل أنه يجوز للمسافر أن يصوم رمضان في السفر إذا لم يشق عليه، فإذا شق عليه، فالأولى له والأحسن: أن يفطر لأنها رخصة، والله أعلم.

❁ المسألة السادسة والعشرون: صلاة التراويح.

عن عائشة، رضي الله تعالىٰ عنها، قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حُسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حُسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً، قالت عائشة: قُلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ قال: **«يا عائشة إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي»**(٣).

وفي هذا الحديث: دليل على أنه، عليه الصلاة والسلام، كان يصلي في رمضان قياماً إحدى عشرة ركعة، ومن شاء أن يزيد على ذلك فلا حرج، ولكن الأَوْلى والأقرب للسنة ـ والأحسن سنته عليه الصلاة والسلام ـ أن يصلي إحدى عشرة ركعة كما فعل عليه الصلاة والسلام.

وفي رواية عن عائشة: كان يصلي من الليل عشر ركعاتٍ، ويوتر

---

(١) رواه مسلم (١٠٧) [١١٢١].

(٢) مسلم (١٠٣) (١١٢١).

(٣) رواه البخاري (٢٠١٣)، ومسلم (٧٣٨).

بسجدة، ويركع ركعتي الفجر، فتلك ثلاث عشرة ركعة[١]. يفهم من هذا أن من قال إنه ﷺ كان يصلي ثلاث عشرة ركعة إنما يدخل في ذلك ركعتي الفجر، وأما القيام فبإحدى عشرة ركعة، وورد في رواية أيضاً عن عائشة: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك بخمس لا يجلس في شيء إلا في آخرها[٢]، وتفسر هذه الروايةُ الروايةَ التي قبلها أن فيها ركعتي الفجر كما سلف.

أما ما يفعله بعض الناس في بعض المساجد، بأن يصلوا التراويح في أول الليل، ثم يجتمعون للقيام في آخر الليل فما أعلم أن الرسول، عليه الصلاة والسلام، ولا أحداً من أصحابه، ولا من التابعين لهم بإحسان فعل ذلك في جماعة، بل كان المعروف عند السلف أنهم كانوا يصلون صلاة القيام مرةً واحدةً في الليل بعد صلاة العشاء، أما اجتماعهم مرتين بحيث يصلون التراويح في أول الليل والقيام في آخره جماعة، فلم ينقل ذلك في حديث صحيح، ولا في أثر ولا في عمل الصحابة ولا التابعين، فالأولى أن يكتفى إما بالتراويح جماعة في أول الليل، وإما بالقيام في آخر الليل، وهذا هو الأقرب لسنته عليه الصلاة والسلام والأَوْلى.

والأَوْلى للأئمة أن يكتفوا بإحدى عشرة ركعة، يقرأون فيها ما تيسَّر من كتاب الله سبحانه وتعالى، ويُحسنون سجودها، وركوعها، وخشوعها، لتكون مشابهة لسنَّته عليه الصلاة والسلام، وقريبة من صلاته ﷺ.

❁ المسألة السابعة والعشرون: السواك للصائم.

جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**لولا أن أشقَّ على**

---

(١) رواه البخاري (١١٤٠). ومسلم (١٢٨).

(٢) رواه مسلم (٧٣٧).

أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»، وفي لفظ: **«عند كل وضوء»**[١].

وهذا الحديث عام في رمضان وفي غيره، وفيه دليل لمن سنّ السواك للصائم طيلة يوم رمضان لأن لفظ: **«عند كل صلاة»** و**«عند كل وضوء»** يقتضي أن يكون في أول النهار وفي آخره.

وحديث عامر بن ربيعة قال: «رأيت رسول الله ﷺ يستاك ما لا أُحصي ولا أعد وهو صائم»[٢]، دليل لمن استحب السواك للصائم في أول النهار وفي آخره ومع كل صلاة ومع كل وضوء.

وبعض أهل العلم يرى أن الصائم له أن يستاك في أول النهار، وليس له أن يستاك في آخر النهار، ويعلل ذلك بأن خُلوف فم الصائم الذي هو أحسن وأطيب عند الله من ريح المسك يزول بالسواك، وهذا التعليل فيه نظر، إذ إن الخلوف إنما هو من المعدة، وليس من الفم، وليس للسواك أثر في إزالة الخلوف أو بقائه، والله سبحانه وتعالى طيِّب لا يقبل إلا طيِّباً، فالأَوْلى: القول باستحباب السواك في أول النهار وفي آخره للصائم.

---

(١) رواه البخاري (٨٨٧) و(٧٢٤٠)، ومسلم (٢٥٢) من حديث أبي هريرة. وكلا اللفظين صحيح.
قال ابن منده كما في «البدر المنير» (٨٨/٣): إسناده مجمع على صحته، وقال النووي في «المجموع» (٢٦٨/١): غلط بعض الأئمة الكبار، فزعم أن البخاري لم يخرجه، وهو خطأ منه، وليس هو في الموطأ من هذا الوجه، بل هو فيه عن ابن شهاب، عن حميد، عن أبي هريرة قال: «لولا أن يشق على أمته لأمرهم بالسواك مع كل وضوء»، ولم يصرح برفعه.
قال ابن عبدالبر: وحكمه: الرفع، وقد رواه الشافعي عن مالك مرفوعاً.

(٢) إسناده حسن، رواه الإمام أحمد (٤٤٥/٣)، وأبو داود (٢٣٦٤)، والترمذي (٧٢٥)، وعلقه له البخاري في «كتاب الصيام».
وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص» (٢٢٩/١): إسناده حسن.

المسألة الثامنة والعشرون: قراءةُ القرآن في رمضان.

في الحديث عن ابن عباس: «أن جبريل عليه السلام كان يلقى رسولنا ﷺ في رمضان فيدارسه القرآن، فلَرسول الله ﷺ أسرع بالخير من الريح المرسَلَة»(١). وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام: «أن جبريل كان يعرض عليه القرآن في رمضان مرة واحدة، فلما قربت وفاته ﷺ عرض عليه في آخر رمضان القرآن مرتين، فعلم ﷺ أن أجله قد دنا»(٢).

ويؤخذ من هذا: فضل تدارس القرآن في رمضان، ولو درسه المسلم مع غيره كان أفضل وأمتع، وإن سمعه من غيره كان أحسن، والأَوْلى للمسلم أن يكثر من تلاوة القرآن في رمضان أكثر من غيره من الشهور، لمضاعفة الأجر في ذلك، ولعمله عليه الصلاة والسلام، وعمل أصحابه، والسلف الصالح.

ونُقِل عن كثير من الأئمة أنهم كانوا يعتزلون مجالس الفُتيا والدروس العلمية، العامة والخاصة، ويعكفون على كتاب الله عز وجل قراءة وتدبُّراً وتأملاً، والأوفق في هذا أن يُقرأ القرآن بترسُّل وتمهُّل وتدبُّر، لأن هذا هو المقصود، وهو الذي يُثمر العمل، ويزيد في الإيمان، والناس في ذلك ما بين غالٍ ومقصِّر، والمتوسط هو الموفَّق.

فمنهم من يكثر من القراءة بلا تدبر، ويرى أن كثرة الختمات هي المقصودة، فيختم في كل يوم، أو في كل يومين، ولا يقف عند الآيات، ولا يعرف المقصود مما يقرأ، ولا يتأمل ما يمر به من عِظات، والأنسب للمسلم: أن يختم في شهر رمضان مرتين، أو ثلاثاً،

---

(١) رواه البخاري (٦). ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) إسناده صحيح، رواه أحمد في المسند (١: ٢٧٥ ـ ٢٧٦) بنحوه. قال الشيخ أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» (٤:١٦٧): إسناده صحيح، وهو كما قال، رحمه الله.

أو أربعاً بتدبر، وهذا هو الأدق، وهو عمل كثير من الأئمة والصالحين والأخيار.

❁ المسألة التاسعة والعشرون: فضل العمرة في رمضان.

جاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**عمرة في رمضان كحَجَّة**» وفي لفظ: «**كحَجَّة معي**»[١]. فللعمرة في رمضان فضل عظيم عليها في غيره من الأشهر، ويستحب للمسلم ـ إذا استطاع ـ أن يعتمر في رمضان، فهو الأفضل، وهنا أمور أحبُّ أن أُنبه عليها وهي:

أولاً: أن كثيراً من الناس يتركون ما هو أفضل إلى العمل المفضول، فمنهم من يترك ـ مثلاً ـ إمامة المسجد، ويذهب للعمرة، أو يترك عمله، ووظيفته ويعتمر، وهذا فيه حرج عظيم، وفيه عُدول عن العمل الأفضل إلى العمل المفضول، ويحتاج هذا إلى فقهٍ في الدين، فالأَوْلى لمن كان بقاؤه أفضل له وللمسلمين أن يبقى، ولو لم يعتمر في رمضان كإمام المسجد، والخطيب، والداعية، ومعلِّم الناس، والموظف.

وهنا مسألة ثانية وهي: أن بعضهم يترك عمله بلا استئذان، ويذهب للعمرة، وهذا يأثم من جانب، ويُؤْجَر من جانب، فالأَوْلى له ألا يذهب إلا بإذن، فإن لم يؤذن له فلا يذهب.

ثانياً: أن بعضهم يكذب في عذره، فيدَّعي أن له مريضاً، أو ظرفاً آخر ليس بصحيح، ليحصل على إجازة اضطرارية، ثم يعتمر، فهذا ارتكب إثماً في كذبه وتزويره، فلم يتقِ الله عز وجل في ذلك.

ثالثاً: أن بعض الناس يكرر العمرة في رمضان، خصوصاً أهل

(١) رواه البخاري (١٧٨٢) و(١٨٦٣)، ومسلم (١٢٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مكة، وهذا خلاف عمل الرسول، عليه الصلاة والسلام، والسلف الصالح، بل الأَوْلى له أن يعتمر عمرة في رمضان، ويجعل بقية أوقاته في قراءة القرآن، والذكر، ونوافل العبادة الأخرى.

❁ المسألة الثلاثون: من أصبح جنباً وهو صائم.

عن عائشة أن رجلاً قال: يا رسول الله، تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وأنا تدركني الصلاة وأنا جُنب فأصوم**»، فقال: لستَ مثلنا يا رسول الله، فقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، فقال: «**والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي**»[(١)].

وعن عائشة أم المؤمنين: «أن النبي ﷺ كان يُصبح جُنُباً من جماع غير احتلام ثم يصوم في رمضان»[(٢)].

وعن أم سلمة قالت: «**كان رسول الله ﷺ يصبح جُنباً من جماع لا من حُلم ثم لا يفطر ولا يقضي**»[(٣)].

بهذه الأحاديث استدل من قال: إن من أصبح جُنباً فصومه صحيح، ولا قضاء عليه من غير فرقٍ بين أن تكون الجنابة عن جماع أو غيره، وإليه ذهب الجمهور، وجزم النووي بأنه استقر الإجماع على ذلك.

وقال ابن دقيق العيد: إنه صار ذلك إجماعاً أو كالإجماع.

فعلى كل حال من أخَّر الغسل حتى طلع الفجر من جنابة فصيامه صحيح، ومن نام في أثناء النهار واحتلم، ثم استيقظ ووجد بللاً

(١) رواه مسلم (١١١٠).

(٢) رواه البخاري (١٩٣٠ ـ ١٩٣١)، ومسلم (١١٠٩).

(٣) رواه البخاري (١٩٢٥ ـ ١٩٢٦)، ومسلم (٧٧).

فصيامه صحيح، وعليه أن يغتسل، أي أنه لا يلزم الصائم أن يكون طاهراً من الجنابة قبل الفجر، والأولى لمن أراد الصيام أن يغتسل قبل الفجر، ليحصل على أجر ركعتي الفجر ودخول أول الوقت وحضور الجماعة، فهو الأفضل والأليق.

وهنا صورة وهي: من جامع في ليل رمضان ثم نام وغلبه نومه فما استيقظ إلا بعد ذهاب الفجر وطلوع الشمس، فإنه يغتسل ويصلي وصيامه صحيح.

❁ المسألة الحادية والثلاثون: الاغتسال للصائم.

عن أبي بكر بن عبدالرحمٰن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «**رأيت النبي ﷺ يصب الماء على رأسه من الحرِّ وهو صائم**»[(١)].

وفيه دليل على أنه: يجوز للصائم أن يكسر الحرَّ بصبِّ الماء على بعض بدنه أو كلِّه، وقد ذهب إلى ذلك الجمهور، ولم يفرِّقوا بين الأغسال الواجبة، والمسنونة، والمباحة، وقالت الحنفية: إنه يكره الاغتسال للصائم، واستدلوا بما أخرجه عبدالرزاق عن علي من النهي عن دخول الصائم الحمَّام، وهو مع كونه خص من محل النزاع، ففي إسناده ضعف كما قال الحافظ.

❁ المسألة الثانية والثلاثون: من مات وعليه صيام.

من مات وعليه صيامٌ، وكان قد تمكن من صيامه قبل موته اختلف الفقهاء في حكمه، فذهب جمهور العلماء، ومنهم: أبو حنيفة، ومالك، والمشهور عن الشافعي: أن وليه لا يصوم عنه، ويطعم عنه مُدّاً عن كل يوم، والمذهب المختار عند الشافعية أنه: يستحب لوليه

---

(١) جسن، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣:٤٧٥)، وأبو داود (٢٣٦٥) بنحوه، وغيرهما، وحسنه جماعة، والعمل عليه.

أن يصوم عنه، ويبرؤ به الميت ولا يحتاج إلى إطعام عنه، والمراد بالولي: القريب، سواء كان عَصَبَةً، أو وارثاً، أو غيرهما، ولو صام أجنبي عنه صح إن كان بإذن الولي، وإلا فإنه لا يصح، واستدلوا بما رواه أحمد، والشيخان عن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: **«من مات وعليه صيام صام عنه وليه»**[(١)]، زاد البزَّار لفظ: **«إن شاء»**، وسنده حسن[(٢)].

وروى أحمد، وأصحاب السنن عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه عنها؟ فقال: **«لو كان على أمِّك دَيْنٌ أنت قاضيه؟»**، قال: نعم، قال: **«فدين الله أحقُّ أن يُقضى»**[(٣)]. قال النووي: وهذا القول هو الصحيح المختار الذي نعتقده وهو الذي صححه محققو أصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث، لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة.

❁ المسألة الثالثة والثلاثون: ليلة القدر.

ليلة القدر أفضل ليالي السنة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ . . .﴾ [القدر: ١ ـ ٣]، أي: العمل فيها من الصلاة والتلاوة والذكر، خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

ويُستحب طلبها في الوتر من العشر الأواخر من رمضان، فقد كان النبي ﷺ يجتهد في طلبها في العشر الأواخر من رمضان.

وللعلماء آراء في تعيين هذه الليلة، فمنهم من يرى أنها ليلة الحادي والعشرين، ومنهم من يرى أنها ليلة الثالث والعشرين، ومنهم

---

(١) رواه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

(٢) إسناده حسن، رواه البزّار بإسناد حسن، كما في «مجمع الزوائد» (٣:١٧٩).

(٣) رواه مسلم (١٥٥) من كتاب الصيام.

من يرى أنها ليلة الخامس والعشرين، ومنهم من ذهب إلى أنها ليلة التاسع والعشرين، ومنهم من قال: إنها تتنقل في ليالي الوتر من العشر الأواخر، وأكثرهم على أنها ليلة السابع والعشرين، وروى أحمد بإسناد صحيح عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان متحرّيها فليتحرها ليلة السابع والعشرين**»(١).

وعن أُبي بن كعب أنه قال: «والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان ـ يحلف ما يستثني ـ ووالله إني لأعلم أي ليلة، هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة السابع والعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها»(٢).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»(٣).

وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «قلت يا رسول الله: أرأيت إن علمتُ أيُّ ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: **قولي: اللهم إنك عَفُوٌّ تحبُّ العَفْوَ فاعفُ عني**»(٤).

۞ المسألة الرابعة والثلاثون: اختلاف المطالع.

ذهب الجمهور إلى أنه لا عبرة باختلاف المطالع، فمتى رأى الهلال أهل بلدٍ وجب الصومُ على جميع البلاد، لقول الرسول ﷺ: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**»(٥). وهذا خطاب عام لجميع الأمة،

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢: ٢٧ ـ ١٥٧).
(٢) رواه مسلم (٧٦٢).
(٣) رواه البخاري (١٩٠١ ـ ٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠).
(٤) صحيح، رواه الإمام أحمد (٦: ١٨٢ ـ ١٨٣ ـ ٢٥٨)، والترمذي (٣٥١٣) وصححه، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وغيرهم.
(٥) رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فمن رآه منهم في أي مكان كان ذلك رؤية لهم جميعاً، وذهب عكرمة والقاسم بن محمد، وسالم، وإسحاق، والصحيح عند الأحناف، والمختار عند الشافعية، أنه يُعتبر لأهلِ كل بلدة رؤيتهم، ولا يلزمهم رؤية غيرهم لما رواه كريب قال: «قدمتُ الشام واستهلَّ عليَّ هلال رمضان وأنا بالشام فرأيتُ الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمتُ المدينة في آخر الشهر فسألني ابن عباس ثم ذكر الهلال فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلتُ: رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أنت رأيته؟ فقلتُ: نعم، ورآه الناس وصاموا وصام معاوية، فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نُكمل ثلاثين أو نراه، فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا، هكذا أمر رسول الله ﷺ»(١). والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم أنَّ لكل بلد رؤيته.

وفي «فتح العلام شرح بلوغ المرام»: الأقرب لزوم أهل بلد الرؤية وما يتصل بها من الجهات التي على سَمْتِها.

❁ المسألة الخامسة والثلاثون: صيامُ الصبي.

والصبي - وإن كان الصيام غير واجب عليه - إلا أنه ينبغي لولي أمره أن يأمره، ليعتاده من الصغر ما دام مستطيعاً وقادراً، فعن الربيع بنت معوّذ قالت: «أرسل رسول الله ﷺ صبيحة عاشوراء إلى قرى الأنصار، «**من كان أصبح صائماً فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطراً فليصم بقية يومه**»، فكنا نصومه بعد ذلك ونُصوِّم صِبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العِهن، فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياه، حتى يكون عند الإفطار»(٢).

---

(١) رواه مسلم (١٠٨٧).

(٢) رواه البخاري (١٩٦٠)، ومسلم (١١٣٦).

وعند البخاري معلقاً أن عمر، رضي الله عنه، رأى رجلاً نشوان(١) في نهار رمضان فضربه، وقال: ويحك، وصبياننا صائمون.

❁ المسألة السادسة والثلاثون: الشك في طلوع الفجر.

ولو شكَّ في طلوع الفجر، فله أن يأكل ويشرب، حتى يستيقن طلوعه ولا يعمل بالشك، فإنَّ الله عز وجل جعل نهاية الأكل والشرب التبيُّن نفسه لا الشك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ..﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقال رجل لابن عباس، رضي الله عنهما: إني أتسحَّر فإذا شككتُ أمسكت، فقال ابن عباس: كُلْ ما شككت حتى لا تَشُك.

وقال أبو داود: قال أبو عبدالله أحمد بن حنبل: وإذا شكَّ في الفجر يأكل حتى يستيقِن طلوعه، وهذا مذهب ابن عباس، وعطاء، والأوزاعي وأحمد.

وقال النووي: قد اتفق أصحاب الشافعي على جواز الأكل للشاكِّ في طلوع الفجر.

❁ المسألة السابعة والثلاثون: الدعاء عند الفطر وأثناء الصيام.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**إن للصائم عند فطره دعوةً ما تُرَدّ**»(٢). وكان عبدالله إذا أفطر يقول: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسِعت كل شيء أن تغفر لي.

---

(١) أي: من الخمر.

(٢) صحيح، أخرجه الطيالسي، وابن ماجه (١٧٥٣) من طريقين مختلفين عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما يقوي أحدهما الآخر.
لذا قال أبو صبري: إسناده صحيح.

وفي الحديث أنه ﷺ كان يقول: «**ذهب الظمأ، وابتلَّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى**»(١).

وروي مرسلاً أنه ﷺ كان يقول: «**اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت**»(٢).

جاء أنه ﷺ قال: «**ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، والمظلوم**»(٣).

❁ المسألة الثامنة والثلاثون: ماذا على من جامع في نهار رمضان؟

على من جامع في نهار رمضان: القضاء والكفارة.

فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: هلكت يا رسول الله، قال: «**وما أهلكك؟**»، قال: وقعتُ على امرأتي في رمضان، فقال: «**هل تجد ما تعتق رقبة؟**»، قال: لا، قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**»، قال: لا، قال: «**فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً؟**»، قال: لا، قال: ثم جلس فأُتي النبي ﷺ بعِرْقٍ فيه تمر فقال: «**تصدَّق بهذا**»، قال: فهل على أفقر منا؟ فما بين لابَتَيْها أهل بيت أحوج إليه منَّا! فضحك النبي ﷺ حتى بَدَت نواجذه، وقال: «**اذهب فأطعمه أهلك**»(٤).

ومذهب الجمهور: أن المرأة والرجل سواء في وجوب الكفارة

---

(١) حسن، سبق تخريجه ص٤١.

(٢) ضعيف جداً، سبق تخريجه ص٤١.

(٣) صحيح، رواه البيهقي في «الشعب»، والعقيلي في «الضعفاء» والطبراني في «الدعاء». ورمز السيوطي بالحسن. انظر «فيض القدير» (٣/٣٩٧)، و«فقه الدعاء» (ص٣٣٩).

(٤) رواه البخاري (١٩٣٦). ومسلم (١١١).

عليهما ما داما قد تعمَّدا الجماع مختارَيْنِ في نهار رمضان، وكانا قد نويا الصيام.

فإن وقع الجماع نسياناً، أو لم يكونا مختارَيْن، بأن أُكرها عليه، أو لم يكونا ناويَيْن الصيام فلا كفارة عليهما.

فإن أُكرهت المرأة من الرجل أو كانت مفطرة لعذر وجبت الكفارة عليه دونها.

ومذهب الشافعي أنه لا كفَّارة على المرأة مطلقاً لا في حالة الاختيار ولا في حالة الإكراه وإنما يلزمها القضاء فقط.

قال بعض العلماء: والأصح على الجملة: وجوب كفَّارة واحدة عليه خاصة عن نفسه فقط، وأنه لا شيء على المرأة، ولا يلاقيها الوجوب، لأنه حق مال مختص بالجماع فاختصَّ به الرجل دون المرأة كالمهر.

قال أبو داود: سئل أحمد عمَّن أتى أهله في رمضان، أعليه كفارة؟ قال: ما سمعنا أنَّ على المرأة كفَّارة[١].

قال في «المغني»[٢]: وجه ذلك أن النبي ﷺ أمر الواطىء في رمضان أن يعتق رقبة، ولم يأمر المرأة بشيء، مع علمه بوجود ذلك منها.

والكفارة على الترتيب المذكور في الحديث في قول جمهور العلماء.

فيجب العِتق أولاً، فإن عجَز عنه صام شهرين متتابعين، فإن عجَز عنه أطعم ستين مسكيناً من أوسط ما يُطعم منه أهله.

---

(١) انظر «مسائل الإمام أحمد» (٢/ ٣٤٨).

(٢) انظر بحث المسألة في «المغني» (٣/ ١٣٢)، و«الفروع» (٣/ ٨٨)، و«الإنصاف» (٣/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤).

ولا يصح الانتقال من حالة إلى أخرى إلا إذا عجَز عنها.

ويذهب المالكية وكذلك رواية عن أحمد أنه مخيَّر بين هذه الثلاث، فأيها فعل أجزأ عنه، لما روى مالك وابن جريج عن حُميد بن عبدالرحمٰن عن أبي هريرة: **«أن رجلاً أفطر في رمضان، فأمره رسول الله ﷺ أن يكفِّر بعتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً»**(١).

و«أو» تفيد التخيير؛ لأن الكفَّارة بسبب المخالفة، فكان على التخيير ككفارة اليمين، والذي نراه أن الترتيبَ أكثر حديثاً، ومعهم الزيادة.

ومن جامع عامداً في نهار رمضان، ولم يكفِّر، ثم جامع في يوم آخر منه، فعليه كفارة واحدة عند الأحناف، ورواية عن أحمد؛ لأنها جزاء عن جناية تكرر سببها قبل استيفائها فتتداخل، وقال مالك، والشافعي، ورواية عن أحمد: عليه كفارتان؛ لأن كل يوم عبادة مستقلة، فإذا وجبت الكفارة بإفساده لم تتداخل كرمضانين، وقد أجمعوا على أن من جامع في نهار رمضان عامداً، وكفَّر، ثم جامع في يوم آخر، فعليه كفارة أخرى، وكذلك أجمعوا على أن من جامع مرتين في يوم واحد، ولم يكفر عن الأول، فإن عليه كفارة واحدة، فإن كفر عن الجماع الأول لم يكفر ثانياً عند جمهور الأئمة، وقال أحمد: عليه كفارة ثانية.

❁ المسألة التاسعة والثلاثون: قضاء رمضان.

قضاء رمضان لا يجب على الفور، بل يجب وجوباً موسعاً في أي وقت، وكذلك الكفارة فقد كانت عائشة، رضي الله عنها، تقضي ما

(١) رواه مالك في الموطأ (٢٨)، ومسلم (٨٤) من كتاب الصيام.

عليها من رمضان في شعبان، ولم تكن تقضيه فوراً عند قدرتها على القضاء.

والقضاء مثل الأداء، بمعنى: أن من ترك أياماً، يقضيها دون أن يزيد عليها، ويفارق القضاء الأداء في أنه لا يلزم فيه التتابع لقول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ..﴾ [البقرة: ١٨٤] أي: ومن كان مريضاً، أو مسافراً، فأفطر، فليصم عدة الأيام التي أفطر فيها في أيام أُخر متتابعات، أو غير متتابعات، فإن الله أطلق الصيام ولم يقيده.

وإن أخَّر القضاء حتى دخل رمضان آخر صام رمضان الحاضر، ثم يقضي بعده ما عليه ولا فدية عليه، سواء كان التأخير لعذر، أو لغير عذر، وهذا مذهب الأحناف، والحسن البصري.

ووافق مالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وفي أنه لا فدية عليه إذا كان التأخير بسبب العذر، وخالفوهم فيما إذا لم يكن له عذر في التأخير فقالوا: عليه أن يصوم رمضان الحاضر، ثم يقضي ما عليه بعده، ويفدي عمّا فاته عن كل يوم مُدّاً من طعام.

❁ المسألة الأربعون: ما لا يمكن الاحتراز منه للصائم.

كبلع الرِّيق، وغُبار الطريق، وغَرْبَلة الدقيق، والنُّخالة ونحو ذلك.

قال ابن عباس: لا بأس أن يذوق الطعام مثل: الخلِّ، والشيء يريد شراءه، وكان الحسن يمضغ الجوز لابن ابنه، وهو صائم، ورخَّص فيه إبراهيم، وأما مضغ العلك، فإنه مكروه إذا كان لا تتفتت منه أجزاء، وممن قال بكراهته: الشعبي، والنخعي، والأحناف، والشافعي، والحنابلة، ورخَّصت عائشة، وعطاء في مَضغه؛ لأنه لا يصل إلى الجوف فهو كالحصاة يضعها في فمه، هذا إذا لم تتحلل منه أجزاء، أما إذا تحللت منه أجزاء ونزلت إلى الجوف فإنه يُفطر.

قال ابن تيمية: وشم الروائح الطيِّبة لا بأس به للصائم.

وقال: أما الكُحل والحقنة وما يقطر في إحليله ومداواة المأمومة والجائفة، فهذا مما تنازع فيه أهل العلم، فمنهم من لم يفطِّر بشيء من ذلك، ومنهم من فطَّر بالجميع لا بالكُحل، ومنهم من فطَّر بالجميع لا بالتقطير، ومنهم من لا يفطِّر بالكحل، ولا بالتقطير، ويفطِّر بما سوى ذلك، فإن الصيام من دين الإسلام الذي يحتاج إلى معرفته الخاص والعام، فلو كانت هذه الأمور مما حرَّمه الله ورسوله ﷺ في الصيام، ويفسد الصيام بها، لكان هذا مما يجب على الرسول ﷺ بيانه، ولو ذكر ذلك لعلِمه الصحابة وبلَّغوه الأمة كما بلَّغوا سائر شرعه، فلما لم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي ﷺ في ذلك لا حديثاً صحيحاً، ولا ضعيفاً، ولا مسنداً، ولا مرسلاً، عُلم أنه لم ينكر شيئاً من ذلك.

قال: فإذا كانت الأحكام التي تَعُمُّ بها البلوى لا بد أن يبيِّنها الرسول ﷺ بياناً عاماً ولا بدَّ أن تنقل الأمة ذلك، فمعلوم أن الكحل ونحوه مما تعمُّ به البلوى، كما تعمُّ بالدُّهن، والاغتسال، والبُخُور، والطِّيب، فلو كان هذا مما يفطِّر لبيَّنه النبي ﷺ كما بيّن الإفطار بغيره، فلما لم يبيِّن ذلك، علم أنه من جنس الطيب، والبَخور، والدُّهن.

والبخُور قد يتصاعد للأنف، ويدخل الدماغ، وينعقد أجساماً، والدُّهن يشربه البدن، ويدخل إلى داخله، ويتقوَّى به الإنسان، وكذلك يتقوَّى بالطيب قوة جيدة، فلما لم يُنه الصائم عن ذلك، دلَّ على جواز تطيُّبه، وتبخُّره، وادِّهانه، وكذلك اكتحاله.

وقد كان المسلمون في عهده عليه الصلاة والسلام، يجرح أحدهم إما في الجهاد، وإما في غيره مأمومة وجائفة، فلو كان هذا يفطِّر لبيَّنَ لهم ذلك، فلما لم ينه الصائم عن ذلك، عُلم أنه لم يجعله مفطِّراً.

❁ المسألة الحادية والأربعون: بعض الأحاديث الضعيفة في باب الصيام.

١ ـ حديث: «**لكل شيء باب، وباب العبادة الصوم**»[١].

٢ ـ حديث: «**نوم الصائم عبادة**». روي في أمالي ابن منده من رواية ابن المغيرة القوَّاس، عن عبدالله بن عمر بسند ضعيف، ولعله عبدالله بن عمرو، فإنهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية إلا عنه، ورواه أبو منصور الدَّيلمي في «مسند الفردوس» من حديث عبدالله بن أبي أوفى، وفيه: سليمان بن عمرو النخعي أحد الكذَّابين، وبالجملة: فهو لا يثبت.

٣ ـ حديث: «**إن الله تعالى يُباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول: أيها الشابُ التاركُ شهوته..**»، عُدَّ من حديث ابن مسعود بسند رواه، ورواه ابن عدي من حديثه بسند ضعيف.

٤ ـ حديثُ جابر عن أنس: «**خمسٌ يفطرن الصائم: الكذب، والغيبة، والنميمة، واليمين الكاذبة، والنظرة بشهوة**»[٢].

٥ ـ حديث: «إن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا، فبعثتا

---

(١) أخرجه مرسلاً بسند ضعيف ابن المبارك في «الزهد» (١١٠٠)، من حديث ضمرة بن أبي حبيب مرسلاً، وفيه أبو بكر ابن أبي مريم النسائي وهو ضعيف.

(٢) قال الزيلعي في «نصب الراية» (٤٨٣/٢): قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، وقال ابن معين: سعيد كذاب، [يعني: سعيد بن عنبسة]، ومن سعيد إلى أنس كلهم مطعون فيهم، وقال ابن أبي حاتم في «العلل»: سألت أبي عن حديث.... فقال: إن هذا كذب، وميسرة كان يفتعل الحديث. اهـ.
وانظر لهذا الحديث: «اللآلىء المصنوعة» (٦٠/٢)، و«الموضوعات» (١٩٦/٢)، و«علل الحديث» (١٤٧/٢).

إلى رسول الله ﷺ تستأذناه في الإفطار، فأرسل إليهما قدحاً، وقال ﷺ: **«قل لهما: قيئا فيه ما أكلتما»**، فقاءت إحداهما نصفه دماً عبيطاً ولحماً غليظاً، وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتا، فعجب الناس من ذلك، فقال ﷺ: **«هاتان صامتا عما أحلَّ الله لهما وأفطرتا عما حرَّم الله عليهما، قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم»**(١).

٦ ـ حديث: **«المغتاب والمستمع شريكان في الإثم»**، حديث غريب.

وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف: «نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة»(٢).

٧ ـ حديث: **«إنما الصوم أمانة، فليحفظ أحدكم أمانته»**. رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» من حديث ابن مسعود في حديث الأمانة والصوم وهو ضعيف جداً.

٨ ـ حديث: **«من صام ثلاثة أيام من شهر حرام: الخميس والجمعة والسبت، كتب له عبادة سنتين»**(٣).

---

(١) وهذا حديث ضعيف، رواه الإمام أحمد (٤١٣/٥) بسند فيه رجل لم يسم، عن عبيد مولى رسول الله ﷺ. وقال العراقي (٢١١/١): إنه مجهول، وقد رواه الطيالسي (١٨٨/١) من حديث أنس، بسند ضعيف جداً، فيه الربيع بن صبيح، وهو ضعيف، ويزيد هو ابن أبان الرقاشي، وهو متروك.

(٢) انظر: «إتحاف السادة المتقين» (٥٣/٧)، و«تذكرة الموضوعات» (١٧٠).

(٣) وقد رواه الطبراني في «الأوسط» (١٨١٠) من حديث أنس. وذكره ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٦٤/٢)، وقال الذهبي في «التلخيص» (٥٢٣): هذا باطل، راشد بن محمد مجهول، مسلمة بن راشد: واهٍ.
وانظر «مجموع الزوائد» (١٩١/٣).

❁ المسألة الثانية والأربعون: أسرار الصوم.

وهي ستة:

الأول: غض البصر، وكفه عن الاتساع في النظر، إلى كل ما يُذَم ويُكره، وإلى كل ما يشغل القلب، ويلهي عن ذكر الله تعالى. وقد تقدَّم شيءٌ من أسرار الصوم ومقاصده، فأعيده هنا بشيء من البسط.

الثاني: حفظ اللسان عن الهذيان، والكذب، والغيبة، والنميمة، والفحش، والبذاءة، والجفاء، والخصومة، والمراء.

الثالث: كفُّ السمع عن الإصغاء إلى كل ما هو مكروه، لأن كل ما حَرُمَ قوله حَرُمَ الإصغاء إليه، ولذلك سوَّى الله عز وجل بين السمع وأكل السحت، فقال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢].

الرابع: كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل، وعن المكاره، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار، فلا معنى للصوم عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام.

الخامس: ألا يكثر من الطعام وقت الإفطار بحيث يمتلىء بطنه فيثقله ذلك عن العبادة، وألا يكسر شهوته، بل يتوسط في ذلك، ويُراعي صحته، فإن من أسباب ترهُّل الجسم، وضعفه عن العبادة، وكسله عن أوامر الله عز وجل امتلاء المعدة.

السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار بين الخوف والرجاء، فهو لا يدري أيقبل صومه فيكون من المقرَّبين، أو يُرد عليه فيكون من الممقوتين؟ وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها.

❁ المسألة الثالثة والأربعون: في وعيد من أفطر يوماً من رمضان بغير عذر.

روى الترمذي وأبو داود والنسائي وغيرهم أنه ﷺ قال: «**من أفطر يوماً في رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه عنه صوم الدهر كله وإن صامه**»(١).

وروى ابن خزيمة وابن حبان أنه ﷺ قال: «**بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلاً وعِراً فقالا: اصعد، فقلتُ: إني لا أطيقه، فقالا: إنّا سنسهِّله لك، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل، فإذا أنا بأصوات شديدة فقلت: ما هذه الأصوات؟ قالا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلقا بي فإذا أنا بقوم معلَّقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دماً، قلت: من هؤلاء؟ قالا: الذين يفطرون قبل تحلّة صومهم**»(٢).

وروى الطبراني في «الكبير» أن ابن مسعود قال: «**من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة لقي الله به، وإن صام الدهر كله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه**»(٣).

وروى البزّار أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني هلكت، أفطرت في شهر رمضان متعمِّداً، قال: «**أعتق رقبة**»، قال: لا أجد، قال: «**صم**

---

(١) ضعيف، رواه أبو داود (٢٣٩٦)، والترمذي (٧٢٣)، وابن ماجه (١٦٧٢)، وابن خزيمة (١٩٨٧) من حديث أبي هريرة، بسند ضعيف.
ضعفه ابن خزيمة (٣/٢٣٨)، وقال النووي في «المجموع» (٦/٣٢٩): إسناده غريب.

(٢) صحيح، أخرجه ابن خزيمة (١٩٨٦)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٤٧٩١)، والحاكم (١/٤٣٠)، والبيهقي (٤/٢١٦) من حديث عبدالرحمٰن بن يزيد بن جابر، حدثني سليم بن عامر، حدثني أبو أمامة به وهو سند صحيح، رجاله كلهم ثقات. وصححه الحاكم، وأقره الذهبي.

(٣) ضعيف، ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣:١٦٨).

شهرين متتابعين»، قال: لا أقدر، قال: «**أطعم ستين مسكيناً**»»[١].

وأخرج أبو يعلى مرفوعاً أنه ﷺ قال: «**عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أُسّس الإسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر، حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان** - وفي رواية - **من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر، ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله**»[٢].

❁ المسألة الرابعة والأربعون: مسائل يحتاج إليها الصائم.

١ - **مسألة**: من أكل بعد أذان الفجر في رمضان شاكاً.

إذا شكَّ هل طلع الفجر أو لم يطلع، فله أن يأكل وأن يشرب حتى يتبين طلوعه، ولو علم بعد ذلك أنه أكل بعد طلوع الفجر ففي وجوب القضاء نزاع، والأظهر أنه لا قضاء عليه، وهو الثابت عن عمر، رضي الله عنه، وقال به طائفة من السلف والخلف، والقضاء هو المشهور في مذاهب الفقهاء الأربعة، والله أعلم.

٢ - **مسألة**: مَنْ إذا صام أغمي عليه.

إذا كان الصوم يجلب له مثل هذا المرض، فإنه يُفطر ويقضي، فإن كان هذا يصيبه في أي وقت صام كان عاجزاً عن الصيام، فيُطعم عن كل يوم مسكيناً.

---

(١) إسناده ضعيف، رواه البزار (١١٠٧) بسند فيه الواقدي، والجمهور على تضعيفه، وأصل الحديث معروف في الصحيحين من رواية أبي هريرة فيمن وقع على أهله في نهار رمضان. ويسميه أهل العلم: حديث المحترق؛ انظر «مجمع الزوائد» (١٦٨/٣).

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه اللالكائي في «السنة»، وأبو يعلى من حديث مؤمل بن إسماعيل، قال: ثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس به. وفيه مؤمل وهو كثير الخطأ، وعمرو لم يوثقه سوى ابن حبان، واضطرب حماد في رفعه ووقفه ولعل الأخير هو الصواب. والله أعلم.

٣ ـ **مسألة**: من أفطر في نهار رمضان متعمِّداً، ثم جامع، عليه القضاء، وأما الكفارة فتجب في مذهب مالك، وأحمد، وأبي حنيفة، ولا تجب عند الشافعي، والصحيح: وجوب القضاء والكفارة.

٤ ـ **مسألة**: من قبَّل زوجته، أو ضمَّها فأمذى هل يُفسد ذلك صومه أم لا؟

والجواب: يفسد الصوم بذلك عند أكثر العلماء.

٥ ـ **مسألة**: من أفطر في رمضان متعمداً.

إذا أفطر في رمضان ـ وهو عالم بتحريمه ـ استحلالاً له وجب قتله، وإن أفطر لكنه غير مستحِلٍّ مع إقراره بوجوبه كان فاسقاً، ويعاقب عن فطره في رمضان بحسب ما يراه الإمام، وإن كان جاهلاً عُرِّف بذلك، ويُرجع في ذلك لاجتهاد الإمام.

٦ ـ **مسألة**: من أدركه شهر رمضان، ولم يكن يقدر على الصيام من المرض وتوفي وعليه صيام شهر رمضان.

فهذا إذا اتصل به المرض، ولم يمكنه القضاء فليس على ورثته إلا الإطعام عنه.

❁ المسألة الخامسة والأربعون: اختلاف الأنبياء في الصوم.

قال أهل العلم: واختلفت سنن الأنبياء، عليهم السلام، في الصوم، فكان نوح، عليه السلام، يصوم الدهر، وكان داود عليه السلام، يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وكان عيسى، عليه السلام، يصوم يوماً ويفطر يومين، أو أياماً، وكان نبينا ﷺ في خاصة نفسه يصوم حتى يُقال: لا يُفطر، ويفطر حتى يُقال: لا يصوم، ولم يكن يستكمل صيام شهر إلا رمضان، وذلك أن الصيام تِرياق، والترياق لا يُستعمل إلا بقدر المرض.

وكان قوم نوح، عليه السلام، شديدي الأمزجة حتى رُوي عنه ما روي، وكان داود، عليه السلام، ذا قوةٍ ورزانة، وكان كما قال ﷺ: **«لا يفر إذا لاقى»**[(١)]، وكان عيسى، عليه السلام، ضعيفاً في بدنه، فارغاً لا أهل ولا مال، فاختار كل واحد ما يناسب الأحوال، وكان نبينا ﷺ عارفاً بفوائد الصوم والإفطار، مطَّلعاً على مزاجه وما يناسبه فاختار بحسب مصلحة الوقت ما شاء، واختار لأمته ألواناً من الصيام:

منها: يوم عاشوراء، وسرُّ مشروعيته أنه وقت نصر الله تعالى فيه موسى، عليه السلام، على فرعون وقومه، وشكر موسى بصوم ذلك اليوم وصار سنةً بين أهل الكتاب والعرب، فأقرَّه رسول الله ﷺ.

ومنها: صوم عرفة، والسر فيه أنه تشبه بالحُجَّاج، وتشوق إليهم، وتعرُّض للرحمة التي تنزل عليهم، وسر فضله على صوم يوم عاشوراء أنه خوض في لجة الرحمة النازلة ذلك اليوم، والثاني: تعرض للرحمة التي مضت وانقضت، فعمد النبي ﷺ إلى ثمرة الخوض في لجة الرحمة وهي كفارة الذنوب السابقة والنبو عن الذنوب اللاحقة، بأن لا يقبلها صميم قلبه فجعلها لصوم عرفة، ولم يصمه ﷺ في حجته.

ومنها: ستة من شوال، قال ﷺ: **«من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»**[(٢)]. والسر في مشروعيتها أنها بمنزلة السنن الرواتب في الصلاة تُكمِّل فائدتها بالنسبة إلى أمزجة من لم تتم فائدتها بهم، وإنما خصَّ بيان فضلها في التشبه بصوم الدهر، لأن من القواعد المقررة أن الحسنة بعشر أمثالها وبهذه الستة يتم الحساب.

---

(١) رواه البخاري (١٩٧٧ ـ ١٩٧٩)، ومسلم (١٨٦ ـ ١٨٧).

(٢) رواه مسلم (١١٦٤) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

ومنها: ثلاثة من كل شهر، لأنها بحساب كل حسنة بعشر أمثالها تضاهي صيام الدهر، ولأن الثلاثة أقلُّ حد الكثرة، وقد اختلفت الرواية في اختيار تلك الأيام، فورد: «**يا أبا ذر، إن صمت من الشهر الثلاثة فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة**»(١).

۞ المسألة السادسة والأربعون: النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين.

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَقَدَّموا رمضان بصوم يوم ولا يومين إلا رجل كان يصوم صوماً فليصمه**»(٢).

وإنما نهى رسول الله ﷺ عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين دفعاً لوسوسة الشيطان وحِيَله وتلبيسه، كما فعل ببعض الأمم السابقة حتى صاروا يتقدَّمون بالصيام قبل الوقت المفروض، إلى أن أخرجهم عن الوقت المفروض ولبَّس عليهم(٣)، وصدَّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه...، ولذلك ربطت الشريعة الإسلامية صيام رمضان بأمر ظاهر، وهو رؤية الهلال، أو إكمال العدة ثلاثين صيانة لهذه الشريعة التي لا ينسخها الله تعالى حتى ينسخ الليل والنهار، والشمس والقمر، ومع ذلك فقد وقع بعض أهلِ الأهواء فصاروا يتقدَّمون رمضان بالصيام احتياطاً له، كما أنهم يؤخِّرون المغرب حتى تشتبك النجوم احتياطاً له فيما زعموا، وصان الله تعالى أهل السنة والجماعة من ذلك كله.

وفي هذا الحديث فوائد، منها: تحريم تقدم رمضان بصيام يوم

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٧٦١)، وصححه، والنسائي (٢٤٢٤)، وغيرهما بسند صحيح.

(٢) رواه البخاري (١٩١٤). ومسلم (١٠٨٢).

(٣) لا وجه لها، حيث لم يتعرض المؤلف لبيان اختلاف الصحابة.

أو يومين، ومنها: جواز الصيام قبل رمضان بيوم أو يومين لمن كان له ورد من الصوم وصادف ذلك الوقت.

والفائدة الثالثة: أنه يجوز أن يقال رمضان دون إضافة كلمة شهر.

الأمر الرابع: ينبغي الحذر من تلبيس إبليس، أعاذنا الله من شرِّه.

الخامس: أن التنطُّعَ والتعمُّقَ في الدين مذموم، وأن الشريعة حنيفية سمحة ميسَّرة، وأن الخير في اتباعه، عليه الصلاة والسلام، وعدم الابتداع.

❁ المسألة السابعة والأربعون: ما أجمع عليه أهل العلم في باب الصيام والاعتكاف.

قال ابن المنذر:

- أجمعوا على أن من نوى الصيام كل ليلة من صيام شهر رمضان فصام أن صومه تام.

- وأجمعوا على أن السحورَ مندوب إليه.

- وأجمعوا على أنه لا شيء على الصائم إذا ذرعه القيء، وانفرد الحسن البصري فقال: عليه، ووافق في أخرى.

- وأجمعوا على إبطال صوم من استقاء عامداً.

- وأجمعوا على أن لا شيء على الصائم فيما يَزْدَرِده مما يجري مع الريق مما بين أسنانه فيما لا يقدر عن الامتناع منه.

- وأجمعوا على أن المرأة إذا كان عليها صيام شهرين متتابعين فصامت بعضاً ثم حاضت أنها تبني إذا طهرت.

- وأجمعوا على أن للشيخ الكبير والعجوز العاجزين عن الصوم أن يفطرا.

ـ وأجمعوا على أن الاعتكاف لا يجب على الناس فرضاً، إلا أن يوجبه المرء على نفسه، فيجبُ عليه.

ـ وأجمعوا على أن الاعتكاف جائز في المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد إيليا (وهو المسجد الأقصى).

ـ وأجمعوا على أن للمعتكف أن يخرج عن معتكفه للغائط والبول.

ـ وأجمعوا على أن المعتكِف ممنوع من المباشرة.

ـ وأجمعوا على أن من جامع امرأته، وهو معتكف عامداً لذلك في فرجها أنه مفسد لاعتكافه.

❁ المسألة الثامنة والأربعون: ما يفعله بعض الناس في رمضان، وهو خلاف الأَوْلى، وخلاف السنة.

من ذلك: صلاتهم ثلاثاً وعشرين ركعة، أو أكثر من ذلك، وهذا جائز، ولكنه خلاف للأولى، إذ إنه ﷺ لم يزد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، والخشوع في إحدى عشرة ركعة، وتدبُّر القرآن أفضل من صلاة ثلاثٍ وعشرين ركعة بعجلة، ومشقة على الناس.

ومنها: صلاتهم التراويح في أول الليل بعد صلاة العشاء، ثم رجوعهم في العشر الأواخر قبل السَّحَر لصلاة القيام، وهذا كما سلف في أول الكتاب لم يُعهد عن الرسول، عليه الصلاة والسلام، ولا عن أصحابه، ولا عن التابعين بمثل هذه الهيئة والكيفية، ولم يثبت به نقل صحيح، فالأولى اتباع السنة في مثل هذا، إما الاكتفاء بالتراويح، وإما بالقيام، ومن شاء أن يتنفَّل في أحد الوقتين في بيته فهو الأفضل.

ومنها: دعاء القرآن بعد أن تنتهي صلاة التراويح في آخر ليلة أو

قبل ذلك، فلم يثبت عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه دعا بالناس لختم القرآن، ولم يصح عن أحد من أصحابه رضوان الله عليهم، وهذا أمر مبتدَع، وما يفعله بعض الأئمة من دعاء ختم القرآن، وحفظ أدعية في ذلك، ليس من سنّته، عليه الصلاة والسلام.

ومنها: صلاة وِترين في ليلة، وهو خلاف سنّته عليه الصلاة والسلام، وقد قال: **«لا وتران في ليلة»**[1]. فبعض الناس يوتر في صلاة التراويح، ثم يوتر في القيام، وقد أخطأ في ذلك، فإما أن يكتفي بوتر التراويح، أو بوتر القيام.

ومنها: الهَذْرَمة، أي: الاستعجال في قراءة القرآن، بقصد الختم بلا تدبُّر، فإن كثيراً من الأئمة يتبارون أيهم يختم القرآن قبل الآخر، ومقصده: مجرد الختم ليقال: ختم! وكأن الختم أمر لازم، وهذا غير صحيح، فإن المقصود: تدبر شيء من القرآن في رمضان لا الختم ذاته.

ومنها: التكلف في الدعاء في صلاة التراويح، والقيام، والسجع، وتزويق العبارة، والتطويل بالناس، والتظاهر بالبكاء، فإن هذا مما يخل بالخشوع، ويخالف سنّته، عليه الصلاة والسلام، بل السنّة في ذلك التقصير في الدعاء، وقصد جوامع الكلم، والابتعاد عن التكلف، وعن التمطيط، وعن الرياء.

وقد وجد أن بعض الأئمة يُدخل عبارات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ولم ترد في السنة، ولا عملها السلف الصالح، حتى إنها عبارات لا تناسب العبارات الشرعية العلمية، ولا تليق بالمسجد، ولا بصلاة التراويح، ولا بدعاء الوتر.

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (١٤٣٤)، والترمذي (٤٧٠)، والنسائي (١٦٧٨)، وابن خزيمة (١١٠١)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٢٤٤٩)، والبيهقي (٣٦/٣) من حديث طلق بن حبيب وهو حديث صحيح.

ومن ذلك تقليد بعض الأئمة لأصوات بعض، والتكلف في ذلك حتى يخرج عن حدِّ الخشوع، ويشق على المأمومين، وهذا نوع ذوبان في الشخصيات وتقليد منهي عنه، فإنه مما تشمئز منه النفوس، وتنقبض له القلوب، فالواجب على الإمام أن يقرأ بصوته الذي وهبه الله تعالى، وأن يحسن صوته ما استطاع، وأن يرتِّل، وأن يتدبَّر، ولا يتكلَّف تقليد الآخرين[١].

❁ المسألة التاسعة والأربعون: عقد البخاري رحمه الله باباً لطيفاً شريفاً في صحيحه فقال: باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له.

وأورد عن أبي جحيفة قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كُل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قُم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربِّك عليك حقاً، ولنفسِك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حقٍّ حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: **«صدق سلمان»**[٢].

قال أهل العلم: في هذا الحديث من الفوائد: مشروعية المؤاخاة في الله تعالى، وزيارة الإخوان والمبيت عندهم.

وفيه: جواز الفطر لمن صام التطوع، وهو قول الجمهور، ولم يجعلوا عليه قضاءً، إلا أن يستحب ذلك.

---

(١) انظر «بدع القراء» للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، حفظه الله.

(٢) رواه البخاري (١٩٦٨).

وروى عبدالرزاق عن ابن عباس أنه ضرب لذلك مثلاً كمثل من ذهب بمالٍ ليتصدق به، ثم رجع ولم يتصدق به، أو تصدق ببعضه وأمسك بعضه.

ومن حجتهم: حديث أم هانىء أنها دخلت على النبي ﷺ، وهي صائمة فدعا بشراب فشرب، ثم ناولها فشربت، ثم سألته عن ذلك فقال: **«أكنتِ تقضين يوماً من رمضان؟»** قالت: لا، قال: **«فلا بأس»**. وفي رواية: **«إن كان من قضاء فصومي مكانه، وإن كان تطوعاً، فإن شئت فاقضيه، وإن شئت فلا تقضيه»**(١). وعن مالك الجواز وعدم القضاء بعذر، والمنع وإثبات القضاء بغير عذر، وعن أبي حنيفة يلزمه القضاء مطلقاً، ذكره الطحاوي وغيره.

وأغرب ابن عبدالبر فنقل الإجماع على عدم وجوب القضاء عمن أفسد صومه بعذر، واحتج من أوجب القضاء بما رواه الترمذي والنسائي عن عائشة قالت: كنتُ أنا وحفصة صائمتين، فعرض لنا طعام اشتهيناه، فأكلنا منه، فجاء رسول الله ﷺ فبَدَرَتني إليه حفصة، وكانت بنت أبيها فقالت: يا رسول الله، فذكرت ذلك، فقال: **«اقضيا يوماً آخر مكانه»**(٢).

وأما قول القرطبي: يُجابُ عن حديث أبي جحيفة بأن إفطار أبي الدرداء كان لقسم سلمان، ولعذر الضيافة، فيتوقف على أن هذا العذر من الأعذار التي تبيح الإفطار.

---

(١) حسن، قال الإمام النووي في «المجموع» (٦/٣٩٥): رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، والدارقطني، والبيهقي، وغيرهم، وألفاظ رواياتهم متقاربة المعنى، وإسنادها جيد، ولم يضعفه أبو داود، وقال الترمذي: في إسناده مقال.

(٢) ضعيف، رواه أبو داود (٢٤٥٧)، والترمذي (٧٣٥) من حديث الزهري: بلغني... فذكره، وقد أطال الإمام النووي في «المجموع» (٦/٣٩٦) بذكر حال هذا الحديث، ثم ضعفه.

والصحيح: أن للمتنفِّل أن يُفطر دون أن يقضي، لأنه أمير نفسه، وهذا من باب التطوع خصوصاً إذا رأى المصلحة في الإفطار.

المسألة الخمسون: زكاة الحلي[1].

وإنما ذكرت هذه المسألة في كتاب الصيام؛ لأن شهر رمضان موسم لإخراج الزكاة، ولأنه كثر القيل والقال في هذه المسألة، فمن أهل العلم من يوجب الزكاة في الحلي، ومنهم من لا يرى أن الحلي فيه زكاة، فأحببتُ أن أذكر القول الراجح بالدليل، والله أعلم.

دلَّ على وجوب زكاة الحلي في العموم قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ..﴾ [التوبة: ٣٤].

والحلي من الكنز، وكذلك ما في الحديث: «... **ولا صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صُفحت صفائح يوم القيامة ثم تُحمى في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره..**»[2].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه[3] رضي الله عنهما: «أن امرأة أتت النبي ﷺ ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مَسْكتان من ذهب، فقال لها: «**أتعطين زكاة هذا؟**» قالت: لا، قال: «**أيسرك أن يسوِّرَك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟**» فألقتهما»[4]. وفي لفظ

---

(١) هذه المسألة من مضايق الخلاف، انظر بحثها في «المبسوط» (١٩١/٢ ـ ١٩٢)، والأم (٣٥/٢)، و«المحلى» (٧٥/٦)، و«الإنصاف» (١٣٨/٣ ـ ١٣٩)، و«مجموع الفتاوى» (١٦/٢٥ ـ ١٧)، و«فتح الباري» (٣١٤/٣).

(٢) رواه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما.

(٤) صحيح، رواه أبو داود (١٥٦٣)، والترمذي (٦٣٧)، والنسائي (٢٤٧٩) وغيرهم بهذا الإسناد، وقال النووي في «المجموع» (٣٣/٦): إسناده حسن، وتعقب الترمذي في قوله: ولا يصح في هذا الباب شيء.

أبي داود: فخلعتهما فألقتهما إلى رسول الله ﷺ وقالت: هما لله ولرسوله ﷺ.

وروى أحمد عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: دخلت أنا وخالتي على رسول الله ﷺ فساق هذا الحديث بمثله[(١)].

وعن أم سلمة رضي الله عنها: «أنها» كانت تلبس أوضاحاً من ذهب، فقالت: يا رسول الله أكنز هو؟ قال: «**إذا أدَّيت زكاته فليس بكنز**»[(٢)].

وهذه الأدلة كافية في بيان وجوب الزكاة في الحلي، سواء لبس أم لم يلبس، وهو قول كثير من أهل العلم.

أما القول الآخر: فإن أدلة من قال به ضعيفة، كحديث سمرة بن جندب، رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع»[(٣)]، وهناك أحاديث أخرى ضعيفة، لا تقوم بها الحجة، فعلى المسلم أن ينبه أهله، وأن يحثهم على دفع زكاة الحلي، فإن هذا أبرأ للذمة، وأحوط للدين، وأبعد عن التَّبِعة، والله أعلم.

❁ المسألة الحادية والخمسون: غزوة بدر.

كانت غزوة بدر في هذا الشهر المبارك، وتمَّ نصر الله سبحانه وتعالى للمؤمنين على المشركين، وسُمي ذلك اليوم يوم الفرقان، لأن الله فرَّق فيه بين الحق والباطل بنصر رسول الله ﷺ ودَحْرِ الكافرين

---

(١) رواه أحمد (٦: ٤٦١).

(٢) سنده جيد رواه أبو داود (١٥٦٤)، والدارقطني (٢/١٠٥)، والحاكم (١/٣٩٠) بسند جيد كما قال الحافظ العراقي، ونقله عنه الحافظ في «الفتح» (٣/٣٢٠)، وحسنه النووي كما في «المجموع» (٦/١٣).

(٣) ضعيف رواه أبو داود (١٥٦٢). وفي سنده من لا يعرف. انظر «المجموع» (٦/٤٨).

والمنافقين، وكانت هذه الغزوة في السنة الثانية، خرج فيها رسول الله ﷺ ومعه ما يقارب الثلاثمائة وأربعة عشر من أصحابه، وخرج المشركون ومعهم خيلهم وخيلاؤهم بما يقارب الألف والتقوا في بدر، وتنزلت الملائكة تقاتل مع رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول حسان:

وبيوم بدر إذ يصد وجوههم   جبريل تحت لوائنا ومحمد

وطلب عليه الصلاة والسلام من الناس أن يبدوا رأيهم في ملاقاة الكفار قبل الغزوة فتحدَّث المتحدِّثون، وقام المقداد بن الأسود فسدَّد في كلامه وقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله عز وجل، فوالله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن نقاتل عن يمينك، وشمالك، ومن بين يديك، ومن خلفِك، ثم قام سعد بن معاذ الأوسي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا تنصرك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار، وأجيب عنهم، فاصنع حيث شئت، وصِل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا منها ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا فيه تبع لأمرك، ووالله لئن سرت بنا حتى تبلغ البرك من غمدان لسرنا معك، ولئن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلَّف منا رجل واحد، وإنا لصُبُرٌ عند الحرب صُدق عند اللقاء، ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسُرَّ عليه الصلاة والسلام لما سمع من كلام المهاجرين والأنصار، رضي الله عنهم، وقال: «**سيروا وأبشروا فوالله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**»، فسار النبي ﷺ والتقى الجمعان.

ومن المعالم البارزة في هذه الغزوة المباركة أن عمير بن الحمام ـ أحد الصحابة ـ كان يأكل تمراتٍ من جوعٍ، وكان يحملها بيده، فسمع

الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: **«يا أهل بدر ما بينكم وبين الجنة إلا أن يقتلكم هؤلاء فتدخلون الجنة»**، فقال عمير بن الحمام: بخٍ بخٍ..! إنها لحياة طويلة إذا أنا بقيت حتى آكل هذه التمرات، فألقى التمرات من يده وقاتل حتى قُتل.

وقال عليه الصلاة والسلام: **«يا أهل بدر إن الله اطَّلع عليكم فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم»**(١).

وكان هناك مبارزة نصر الله فيها عباده المؤمنين الثلاثة المبارِزين وهم: حمزة بن عبدالمطلب، وعليُّ بن أبي طالب، وابن الحارث، يقابلهم شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فانتصر المؤمنون على الكافرين، وبدأت المعركة، ووقع القتل في صفوف أعداء الله، فقُتل منهم سبعون، وأُسر سبعون وارتفعت راية التوحيد، وتفتَّحت السماء لهذا النصر، وانشرح صدر الحنيفية السمحةِ، وارتفع نداء الحق، ودُحِر الباطل، وأُرغِمَ أنف الشيطان، وفرَّ أولياؤه وهُزم أتباع إبليس، وتحقق في هذه الغزوة للإسلام فتح عظيم، كان أول الفتوحات على الإسلام والمسلمين.

ومن بركة هذه الغزوة أنها كانت في هذا الشهر المبارك، بل إنَّ أكثر غزواتنا - كأمة مسلمة - كانت في هذا الشهر، وكانت فتوحاتنا في هذا الشهر، وكانت انتصاراتنا في هذا الشهر.

❁ المسألة الثانية والخمسون: غزوة الفتح في شهر رمضان.

وفي هذا الشهر المبارك كان الفتح الأعظم، فتح مكة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح: ١ - ٢] فارتفعت راية الحق بهذا

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٣)، و(٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤).

الفتح، وصارت مكة بلداً إسلامياً، حلَّ فيه التوحيد مكان الشرك، والإيمان محل الكفر، وأُعلنت فيه عبادة الله الواحد القهَّار، وكُسرت فيه أوثان الشرك، فما لها بعد ذلك من قرار.

وكان سبب هذا الفتح أنه لما تمَّ الصلح بين النبي ﷺ وبين قريش في الحديبية في السنة السادسة، كان الأمر بالخِيار، فمن أحب أن يدخل في عهد الرسول ﷺ فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش فعل، فدخلت خُزاعة في عهد النبي، عليه الصلاة والسلام، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وكان بين القبيلتين دماءٌ في الجاهلية، فانتهزت بنو بكر هذه الهدنة فأغارت على خزاعة وهم آمنون، وأعانت قريش حلفاءها بني بكر بالرجال والسلاح سراً على خزاعة حلفاء النبي ﷺ.

ووقعت الخيانة الكبرى من كفار قريش، ونُكث الميثاق، ونقض العهد، فتهيأ عليه الصلاة والسلام، بجيش عَرَمْرَم من المدينة وقال: «**اللهم خذ على قريش أسماعها وأبصارها**»، ومَضى عليه الصلاة والسلام بأصحابه، وطوَّق عليه الصلاة والسلام مكة ودخلها بجيوشه المنتصرة من أربع جهات ثم دخل ﷺ الحرم وحول الكعبة آنذاك ثلاثمائة وستون صنماً، فأخذ يشير إليها ﷺ بعصاه فتتنكَّس وتقع على الأرض محطَّمة، مكسَّرة، والنبي ﷺ يقول: «**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد**»[١]، ثم قام عليه الصلاة والسلام خطيباً في الناس فقال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، صدَق وعده، ونصَر عبده، وهزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُّمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من**

(١) رواه البخاري (٤٧٢٠)، ومسلم (١٧٨١).

تراب، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

يا معشر قريش ما تظنون إني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابن أخ كريم، قال: «**فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوانه:** ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢] **اذهبوا فأنتم الطلقاء»**.

وبهذا الفتح المبين تمَّ نصر الله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وعاد بلد الله بلداً إسلاميّاً، أُعلن فيه توحيد الله، وتصديق رسوله ﷺ، وتحكيم كتابه، وصارت الدولة فيه للمسلمين، واندَحَر الشرك، وتبدَّد ظلامه، فللَّه الحمد والمنّة.

۞ المسألة الثالثة والخمسون: فضل العشر الأواخر من رمضان.

للعشر الأخيرة من رمضان خصائص ليست لغيرها من الأيام، فمن خصائصها: أن النبي ﷺ كان يجتهد في العمل فيها أكثر من غيرها، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها، «أن النبي ﷺ كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها»(١).

وفي الصحيحين عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شدَّ مِئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله»(٢).

وفي المسند عنها قالت: «كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر شمّر، وشدَّ المئزر»(٣).

فهذه العشر كان يجتهد فيها ﷺ أكثر مما يجتهد في غيرها من

---

(١) رواه مسلم (١١٧٥).

(٢) رواه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(٣) صحيح، رواه أحمد (٦:١٤٦) بسند صحيح.

الليالي والأيام من أنواع العبادة: من صلاة، وقرآن، وذكر، وصدقة، وغيرها، ولأن النبي ﷺ كان يشد مئزره، يعني: يعتزل نساءه ويتفرغ للصلاة والذكر، ولأن النبي ﷺ كان يُحيي ليله بالقيام والقراءة والذكر بقلبه ولسانه وجوارحه لشرف هذه الليالي، والتي فيها ليلة القدر التي من قامها إيماناً واحتساباً غفر الله ما تقدم من ذنبه.

وظاهر هذا الحديث أنه ﷺ، يحيي الليل كله في عبادة ربه من الذكر والقراءة والصلاة والاستعداد لذلك والسحور وغيرها.

وبهذا يحصل الجمع بينه وبين ما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما أعلمه ﷺ قام ليلة حتى الصباح»[(١)]، لأن إحياء الليل الثابت في العشر يكون بالقيام وغيره من أنواع العبادة، والذي نفته إحياء الليل بالقيام فقط.

ومما يدل على فضيلة العشر من الأحاديث أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله فيها للصلاة والذكر، حرصاً على اغتنام هذه الليالي المباركة بما هي جديرة به من العبادة، فإنها فرصة العمر، وغنيمة لمن وفَّقه الله عز وجل، فلا ينبغي للمسلم العاقل أن يفوِّت هذه الفرصة الثمينة على نفسه وأهله، فما هي إلا ليالٍ معدودة، ربما يُدرك الإنسانَ فيها نفحةٌ من نفحات المولى، فتكون سعادة له في الدنيا والآخرة.

❁ المسألة الرابعة والخمسون: في الاعتكاف وأحكامه.

ومن خصائص هذه العشر أن النبي ﷺ كان يعتكف فيها، والاعتكاف: (لزوم المسجد للتفرغ لطاعة الله عز وجل)، وهو من السنن الثابتة بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

---

(١) رواه مسلم (١٤١) من كتاب صلاة المسافرين.

وقد اعتكف النبي ﷺ واعتكف أصحابه معه وبعده، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأولى من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط، ثم قال: «**إني أعتكف العشر الأول ألتمس هذه الليلة ثم أعتكف العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل لي: إنها في العشر الأواخر، فمن أحبَّ منكم أن يعتكف فليعتكف**»(١).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده(٢).

وفي صحيح البخاري عنها أيضاً قالت: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يوماً»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلَّى الفجر، ثم دخل معتكَفه»، فاستأذنته عائشة، فأذن لها فضربت لها خباء، وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها، ففعلت، فضربت لها خباء، فلما رأت ذلك زينب أمرت بخباءٍ، فضرب لها، فلما رأى النبي ﷺ الأخبية قال: «**ما هذا؟**» قالوا: بناءُ عائشة وحفصة وزينب، فقال النبي: «**البرَّ أردن بهذا؟ انزعوها فلا أراها**»، فنُزعت، وترك الاعتكاف في رمضان حتى اعتكف في العشر الأول من شوال»(٤). وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: لا أعلم عن أحدٍ من العلماء خلافاً أن الاعتكاف مسنون.

---

(١) رواه مسلم (٢١٥) من كتاب الصيام.
(٢) رواه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (٥) من كتاب الاعتكاف.
(٣) رواه البخاري (٢٠٤٤).
(٤) البخاري (٢٠٣٣ ـ ٢٠٤١)، ومسلم (١١٧٣).

والمقصود بالاعتكاف: انقطاع الإنسان عن الناس، ليتفرَّغ لطاعة الله في مسجد من مساجده، طلباً لفضله وثوابه، وإدراك ليلة القدر، ولذلك ينبغي للمعتكف أن يشتغل بالذكر والقراءة والصلاة والعبادة، وأن يتجنب ما لا يعنيه من حديث الدنيا، ولا بأس أن يتحدَّث قليلاً بحديثٍ مباحٍ مع أهله أو غيرهم لمصلحة، لحديث صفيَّة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدَّثته ثم قمتُ لأنقلب (أي: لأَنصرف إلى بيتي)، فقام النبي ﷺ معي»[(١)].

ويحرم على المعتكف الجماعُ ومقدماتهُ من التقبيل واللمس لشهوة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وأما خروجه من المسجد، فإن كان ببعض بدنه فلا بأس به لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي ﷺ يخرج رأسه من المسجد وهو معتكف فأغسله وأنا حائض**»[(٢)]، وفي رواية: «**كانت ترجِّل رأس النبي ﷺ وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه**»[(٣)].

وإن كان خروجه بجميع بدنه فهو ثلاثة أقسام:

الأول: الخروج لأمر لا بد منه طبعاً أو شرعاً، كقضاء حاجة البول والغائط والوضوء الواجب، والغُسل الواجب، لجنابة، أو غيرها، والأكل والشرب، فهذا جائز إذا لم يمكن فعله في المسجد، فإن أمكن فعله في المسجد، فلا يخرج، مثل أن يكون في المسجد حمام يمكنه أن يقضي حاجته فيه وأن يغتسل فيه، أو يكون له من يأتيه بالأكل والشرب، فلا يخرج حينئذٍ لعدم الحاجة لذلك.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٣٥ ـ ٢٠٣٨ ـ ٢٠٣٩).
(٢) رواه البخاري (٢٠٣١).
(٣) رواه البخاري (٢٠٤٦).

الثاني: الخروج لأمر طاعة لا تجب عليه، كعيادة مريض، وشهود جنازة، ونحو ذلك، فلا يفعله إلا أن يشترط ذلك في ابتداء اعتكافه، مثل أن يكون عنده مريض يحب أن يعوده، أو يخشى موته، فيشترط في ابتداء اعتكافه خروجه لذلك فلا بأس به.

الثالث: الخروج لأمر ينافي الاعتكاف، كالخروج للبيع، والشراء، وجماع أهله، ونحو ذلك، فلا يفعله، لا بشرط، ولا بغير شرط، لأنه يناقض الاعتكاف، وينافي المقصود منه.

ومن خصائص هذه العشر أن فيها ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، فاعرفوا ـ رحمكم الله ـ لهذه العشر فضلها، ولا تضيِّعوها، فوقتها ثمين وخيرها ظاهر مبين.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

موسم الغفران

الحمد لله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

والصلاة والسلام على رسول الله القائل: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(١)

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، شهادة أدّخرها لي ولكم ليوم العرض على الله، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

اللهم صلِّ على نبيك وعلى آل نبيك وعلى صحبه وعلى من سار

(١) أخرجه البخاري (٣٨ ـ ١٩٠١ ـ ٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

على منهجه إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمَنِّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

أما بعد، أيها الناس، فقد حلّ عليكم ضيف كريم، وشهر عظيم، يغفر الله فيه السيئات، ويتجاوز الله فيه عن الخطايا ويعتق فيه الله الرقاب.

مرحباً أهلاً وسهلاً بالصيام ... يا حبيباً زارنا في كل عام
قد لقيناك بحب مفعم ... كل حب في سوى المولى حرام
فاغفر اللهمَّ منا ذنبنا ... ثم زدنا من عطاياك الجسام
لا تعاقبنا فقد عاقبنا ... قلق أسهرنا جنح الظلام

مرحباً بك يا رمضان، جئت بعد عام كامل، مات في هذا العام قوم وولد قوم، واغتنى قوم وافتقر قوم، وسعد قوم وشقي قوم، واهتدى قوم وضل قوم، جئتنا بعد عام ملأناه إما بحسنات وإما بسيئات.. تُعرض علينا في الصحف يوم العرض على الله تعالى.

فليت شعري والأنوار قد قُسِمَت ... على الصراط وقَعْرُ النار ملتهِب
لينفع العلم قبل الموت صاحبه ... قد صار قوم بها الرجعى فما وهبوا

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)﴾ [الأنعام: ٩٤].

صحفنا تُعرض علينا يوم القيامة، في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ [الإسراء: ١٤].

جئت يا رمضان لتقول للعيون صومي عن النظر إلى الحرام، قبل أن تغضبي الملك العلاَّم، وتورَدي النار الضِّرام، فصومي عن النظر، واسكبي الدمع في جنح الظلام.. وتقول للألسن: يا لسان صم عن الغيبة والنميمة، وعن الفحش والبذاءة، وعن العُهر واللغو.

لسانك لا تذكر به عورة امرىء فكلُّك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معايباً لقوم فقل يا عين للناس أعين

وجئت يا رمضان تقول للأيدي صومي، صومي أيتها الأيدي التي سفكت الدماء وقتلت الأنفس البريئة، والتي هدمت المنازل على رؤوس الأبرياء، والتي قتلت الشيوخ والنساء، صومي أيتها الأيدي عن الضرب وعن القتل وعن السرقة وعن الاختلاس.. وصومي عن الرشوة، قبل أن يأتي يوم تُغَلِّين فيه بالأغلال، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.. يوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون.

جئت يا رمضان تقول للأرجل: صومي عن المشي إلى الحرام، عن المشي في طريق الضياع والندامة والضلال، عن الذهاب والإياب في مغضبة رب السماوات والأرض، عن تلك الطرق الذميمة الخسيسة الحقيرة.. صومي أيتها الأرجل..

ثم جئتَ يا رمضان تقول للبطون: صومي عن أكل الحرام، وعن أكل الربا، فإن جسداً غُذي بالحرام فالنار أولى به.

صومي أيتها البطون عن أكل الحرام والغش والخداع قبل أن تلقي الله سبحانه وتعالى الذي يعلم السر وأخفى.

وفي الحديث عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تبارك وتعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي.**

والصيام جُنّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن قاتله أحد أو شاتمه فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان

يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصيامه»(١).

❁ شرح الحديث:

فأما قوله سبحانه وتعالى: **«كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»**، فمعناه: أن الصِّيام سرٌّ بين العبد وبين الله، لا يدري أنك صائم إلا الله، ولا يعلم أنك صائم إلا الله، قد تأكل الطعام إذا اختفيت عن أعين الناس، ولكن يراك رب الناس، وقد تشرب الشراب إذا اختفيت عن أعين الناس، ولكن يراك رب الناس، فلذلك اختصَّ الله بالصيام لنفسه فيقول: كل عمل ابن آدم له، أي: بيني وبينه، وبينه وبين الناس، فهو منشور معلوم.. إلا الصيام فإنه سر من الأسرار.. أكشفه له يوم يأتيني يوم القيامة، وأجازيه بفعله، فإن صدق معي عوضته من ذاك الظمأ إرواء من الحوض المورود، يوم يعطش الناس، ويظمأ الناس، ويفتر الناس، ويتعب الناس..

ومن جاع هنا أشبعته من ثمار الجنة، يوم يرد الجائعون عند الأبواب. فالصيام لله تعالى، وهو يجزي به، فجزاؤه أفضل الجزاء، وعطيته أفضل العطية وأهنأها وهو القائل سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وفي الصوم تجتمع أقسام الصبر الثلاثة فهنيئاً لمن صام رمضان ليرضيَ الله عزَّ وجلَّ فأدرك ذلك.

وأما قوله سبحانه وتعالى: **«يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»**، أي بمعنى يترك ذلك كله، طلباً لثوابي، وهروباً من عقابي، وامتثالاً لأمري وانتهاء عن نهيي، وطلباً لما عندي، فجزاؤه عندي المغفرة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، (١٨٩٤)، ومسلم (١٦٣ ـ ١٦٤) من كتاب الصيام.

وأما قوله ﷺ: «**الصيام جُنَّة**» فمعناه: حفظ من المعاصي ورِدء من السيئات، وحجاب من النار، وجُنَّة من غضب الجبار سبحانه وتعالى.

وأما قوله: «**فإن سابَّه أحدٌ أو شاتمه فليقل إني صائم**».

قال أهل العلم: يقول بلسانه: «**إني صائم**». فإذا صمت وأتاك رجل يريد مشاتمتك ومقاتلتك والمهاترة معك، فذكِّره الله، وقل له: «**إني صائم**»، بمعنى اتقِ الله فيَّ فإني صائم.. وخف الله فيَّ فإني صائم، لا تعتدِ على عرضي ولا على مالي، ولا تتسبَّب في اعتدائي عليك فإني صائم.

وقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أن تقول بقلبك إني صائم فتجريها على قلبك، وكأنك تقول لنفسك: اتق الله فيَّ فإني صائم فلا تجرح صيامي.

وأما قوله ﷺ: «**فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب**»، معنى لا يرفث: لا يتكلم بدواعي الجماع، ولا ما يوقظ الغريزة الجنسية أو الشهوة لأنه في عالم آخر، صامت روحه ونفسه وصام قلبه، فلا يثير نوازع الشيطان ومكامن الشر في نفسه.

«**ولا يصخب**»، أي: لا يرتفع صوته، وليحترم صيامه، ولا يماري، ولا يجادل، ولا يخاصم، ولكن ليحفظ الله سبحانه وتعالى في هذا الصوم.

قوله: «**ولخُلوف فم أحدكم أطيب عند الله من ريح المسك**»، لا مسك إلا خُلوف الصائم، ولا طِيب إلا طيب خلوف فم الصائم عند الله سبحانه وتعالى.. وما المسك عند خلوف فم الصائم؟ وما الطيب؟ بل خُلوف فمه أحسن من المسك وأطيب من الطِّيب. لأنه صام في مرضاة الله، وجاع بطنه ليريد ما عند الله، وظمئت كبده

لمرضاة الله.. فحيَّهلا بهذا الخُلوف، ومرحباً به من خُلوف، يفوح مسكاً عند الله يوم القيامة.

فيا من يريد أن يتعرَّف على الله في رمضان، إن ربَّ رمضان، هو رب شوال ورب شعبان، فخف الله في رمضان وفي غير رمضان، فإنه رب كل زمان ومكان سبحانه وتعالى، واستبشر بالقبول، ورحِّب بهذا الشهر، وحاول أن تكون من المعتقين فيه، ومن المقبولين فيه، حاول ألا يخرج هذا الشهر إلا وقد أعتقك الله من النار، وقد أعتق رقبتك من غضبه سبحانه، فإن غضبه يحقّ المحْقَ في الديار، وحاول ألا ينسلخ الشهر إلا وقد سجَّلك الله في سجل المقبولين، الذين كتب لهم الحسنى، فهم لا يسمعون حَسِيس جهنم وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون.

جُع لتشبع عند الله، ولتدخل من باب الريَّان، يوم يفتح باب الريَّان من الجنة فلا يدخل إلا الصائمون، فإذا دخلوا أغلق عليهم، واظمأ لتشرب من الكوثر، من حوض محمد ﷺ، يوم يقف يسقي العباد ومعه سبعون ألف ملك حول حوضه المورود، طوله شهر، وعرضه شهر، عدد آنيته عدد نجوم السماء، ماؤه أحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأبيض من اللبن، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، نسأل الله من فضله. فحاول أن تكون من الشاربين الذين تركوا الشراب في الدنيا، وحاول أن تصوم كل جوارحك، كل الجوارح، الأذن التي كانت تستمع الغناء والخنا والفُحش، حاول ألا تسمعه مرة ثانية، من هذا العهد، لأن من سمع غناء الدنيا حرمه الله من سماع غناء الآخرة في الجنة.

قال ابن عباس ويرسل ربنا ... ريحاً تهزّ ذوائب الأغصان
فتثير أصواتاً تلذُّ لمسمع الـ ... إنسان كالنغمات بالأوزان
يا خيبة الآذان لا تتعوّضي ... بلذاذة الأوتار والعيدان

ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، كفَّارات لما بينهن ما لم تُغش كبيرة»**(١).

وكان السلف الصالح إذا دخل رمضان بشَّر بعضهم بعضاً بهذا الشهر العظيم، وتهيأوا له، وقدوتهم وإمامهم محمد ﷺ. كان يقول: **«اللهم أهلَّه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله، هلال خير ورشد»**(٢)، ثم يبشر أصحابه ﷺ.

وَرَدَ عن الإمام مالك، رحمه الله، أنه كان إذا دخل عليه شهر رمضان، أغلق على كتبه، وأخذ المصحف، وجلس في المسجد يتوضأ بين الحين والآخر، ويقول: «هذا شهر القرآن، لا كلام فيه مع القرآن».

وورد عن كثير منهم أنهم كانوا يخرجون إلى المساجد فلا يزالون في المسجد ذكراً وتلاوة إلا لأمر لا بد منه فيعودون إلى بيوتهم.

وكان الإمام أحمد إذا دخل شهر رمضان، ترك الفتوى والمسائل وجلس يذكر الله، ويهلِّل الله، ويكبِّر الله، ويتلو آيات الله...

فيا أيها الأبرار الأخيار، استقبلوا هذا الشهر بخير ما يستقبل من توبة نصوح، ومن استغفار، ومن صدق لُجْىءٍ، ومن كثير دعاء، ومن تلاوة، ومن محافظة على صلاة الجمعة والجماعة، ومن نصيحة لله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامَّتهم، ومن صِدْقٍ مع الله تعالى.

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣).

(٢) حديث صحيح، هذا الحديث معروف من رواية جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة: ابن عمر أخرجه الدارمي (٣/٢، ٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٨٨٨)، والطبراني (١٣٣٠). بسند فيه ضعف.

وطلحة بن عبيدالله أخرجه أحمد (١/١٦٢)، والترمذي (٣٤٥١)، والحاكم (٤/٢٨٥) بسند يقبل التحسين. ولهما شواهد كذلك من حديث رافع؛ وعبادة بن الصامت، وأنس بن مالك.

كيف نستقبل رمضان..؟

الحمد لله، الحمد لله رب الأرض والسموات، رفيع الدرجات، عالِم ما تخفيه السرائر والنيَّات، المطَّلع على كل ما أخفاه العبد وهو الذي يرفع لعباده الحسنات بالحسنات ويكتب لهم السيئات سيئات.

والصلاة والسلام على خير من أفطر وصام، ونام وقام، وطاف بالبيت الحرام باني دولة الإسلام، وهادم دولة الأصنام، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام.

أما بعد، عباد الله، فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

أيها الناس: أظلَّكم شهر كريم، وضَيْفٌ عظيم.

لنعش هذه اللحظات مع رسول الله ﷺ، وكيف استقبل الشهر العظيم، وكيف احتفى بالضيف الكريم، فإنه المعصوم، بأبي هو وأمي، الذي على أقواله تُقاس الأقوال، وعلى أعماله توزن الأعمال، وعلى أحواله تصحَّح الأحوال.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فلا إله إلا الله، ما أربح من اتبعه، واقتدى بسنّته واهتدى بسيرته، ولا إله إلا الله، ما أعظم خسارة من تلفظ أقواله، ولم يتبعه على منواله، ولم يقتدِ بأحواله عليه الصلاة والسلام.

كان يستقبل شهر رمضان استقبالاً حافلاً.

في الحديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان إذا رأى هلال رمضان قال: «**اللهم أهله علينا باليُمن والإيمان، والسلامة والإسلام، هلال خير ورشد، ربي وربُك الله**»(١).

وما أحسن نبضات التوحيد، وما أحسن لمسات العقيدة في استقبال الشهر، يوم يقول للهلال في السماء (ربي وربك الله). وكان المشركون يعبدونه من دون الله، كأنه يقول له: يا هلال أنت مخلوق كما أنا مخلوق، وربي وربك الله يا هلال، فأنت لا تملك ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولا رزقاً ولا تدبيراً، ولقد أخطأ خطأً عظيماً، وغلط غلطاً بيِّناً من عَبَدَك من دون الله، فربِّي وربك الله، ثم يستهل ﷺ الشهر.

ورمضان فرصة ثمينة لا تعوَّض، ولحظة من اللحظات الذهبية في حياة المسلم، يعتق الله كل ليلة مائة ألف ممن استوجبوا النار، فإذا

(١) حديث صحيح سبق تخريجه ص٨٩.

كان آخر ليلة أعتق الله بقدر ما أعتق في تلك الليالي جميعاً.

فهل بعد هذا الفضل من فضل؟

إنَّ الملوكَ إذا شابت عبيدهم في رقِّهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا خالقي أولى بذا كرماً قد شبتُ في الرق فاعتقني من النار

يقول ابن عباس، رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، ولقد كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[1]، والريح المرسَلة سمِّها إن شئت الصَّبَا، وسمِّها النجدية التي تهبُّ معطاءة وكريمة ورخواً، فكان المصطفى عليه الصلاة والسلام أجود الناس في رمضان.. ما سئل سؤالاً فقال لا.

ما قال لا قطُّ إلا في تشهدهِ لولا التشهد كانت لاؤُهُ نعم

ومع ذلك إذا دخل رمضان أكثرَ من البر، من الصدقة، من المعروف، من التبسُّم في وجوه المسلمين، من الصِّلة، من الزيارة، من الرقة، من العطاء والبذل والتضحية.

فنفَسُه طيِّب، وكلامه طيِّب، وزيارته طيِّبة، وصدقته طيِّبة، صَلح ظاهراً وباطناً، وكمل سراً وجهراً، وأصبح للناس من أفضل الناس، فهو الجواد الذي لا يقاس به حاتم، وهو الشجاع الذي لا يقارن به عنترة، وهو الخطيب الذي لا يوزن معه قِسّ[2]، فلا إله إلا الله ما أكمله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) رواه البخاري (٦) بلفظ قريب، ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) قِس بن ساعدة الإيادي. كان من خطباء الجاهلية المشهورين.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

والمقصود أنه في رمضان يُخَصَّص هذا الشهر لقراءة القرآن، وقد فهم هذا علماء الأمة، فعطَّلوا الفُتيا وحلقات العلم والتدريس والاتصالات الخارجية بالناس، وأخذوا المصحف يتدارسونه، يضعون دواءه على الجراحات، ويأخذون بَلْسَمه على الأمراض والأسقام فيشفيهم رب الأرض والسماء، لأن هذا القرآن شفاء، ونزل في الليل، وأتى في رمضان ليحيي الأمة الميتة التي ما عرفت الحياة، وينير بصيرة الأمة التي ما عرفت البصيرة، ويرفع رأس الأمة التي كانت في التراب.

إن البرية يوم مبعث أحمد   نظر الإله لها فبدَّل حالها
بل كرَّم الإنسان حين اختار من   خير البرية نجمها وهلالها

فلما أتى عليه الصلاة والسلام قال لأمته في أول رمضان ما قاله الله تبارك وتعالى: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به**»(١). لأنه سرٌّ بينك وبين الله، لا يطَّلع على صيامك إلا الله، ولا يعلم أنك صائم إلا الله، بإمكانك أن تأكل وراء الجدران، وأن تشرب وراء الحيطان، ولكن من الذي يعلم السر وأخفى إلا الله.

من الذي يعلم أنك أكلت أو شربت أو تمتعت إلا الله؟ هو رب الظلام ورب الضياء.

وإذا خلوتَ بريبة في ظلمة   والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها   إن الذي خلق الظلام يراني

والصلاة تُصلَّى بمجمع من الناس، والزكاة تُزكى بمجمع من

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١٦٣) من كتاب الصيام.

الناس، والحج يُحج بمجمع من الناس، أما الصيام فيا سبحان الله! قد تختفي في الظلام وتأكل وتشرب ويظن الناس أنك صائم، ولكن الله يدري أنك لست بصائم.. هو سرٌّ بينك وبين الله «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به**»، ثم انظر إلى التلطف في لفظ الحديث القُدسي يوم يقول الله: «**يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، يجوع من أجلي، ويظمأ من أجلي، ويحرم نفسه التمتع من أجلي، ثم يقول الله: ولخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»[١].

يوم تهب رائحة الصوم، ويتأذى منها الناس، تنبعث شذاً وعبيراً فتسبَح عبر الأثير إلى الحي القيوم، فتكون كالمسك الخالص.

كل عمل ابن آدم له الحسنة بمثلها، أو بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلا الصيام فلا يعلم ثوابه إلا الله، وخصص الله للصائمين باباً في الجنة، باباً واسعاً يدخل منه الصُوَّام يوم القيامة، يناديهم الله بصوته إذا دخلوا: كلوا يا من لم يأكلوا، واشربوا يا من لم يشربوا، وتمتعوا يا من لم يتمتعوا.

وفي الحديث عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة باباً يسمى الريَّان، يدخل منه الصائمون لا يدخل منه غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق الباب فلا يدخل منه غيرهم**»[٢].

والصائم حبيب الله، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام يوماً في سبيل الله باعدَ الله وجهه عن النار سبعين خريفاً**»[٣].

من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين

---

(١) صحيح سبق تخريجه.
(٢) رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).
(٣) رواه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

خريفاً، فَهِمَ السلف الصالح أن الصيام في سبيل الله يعني وأنت تقاتل الأعداء، وأنت غاز في سبيل الله، وأنت تقدم روحك خالصة في سبيل الله.

ولذلك ذكر ابن كثير والذهبي وغيرهما من أهل العلم أن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه وأرضاه أتى معركة مؤتة يوم بايع الله على الموت، أتى وهو صائم وقُتِل قبله زيد بن حارثة وجعفر الطيَّار، ودعي إلى القتال مع غروب الشمس وهي تؤذن بالغروب وهو صائم، جائع البطن ظمآن الكبد، فقال: هلمُّوا بشيء آكله لأتجلد للقتال. والسيوف تلمع في الضياء، والرماح تتكسر على رؤوس الأبطال، وابن رواحة، رضي الله عنه وأرضاه، صائم، فلما رأى إخوانه قتلوا قال: ائتوني بعرق من لحم أتمتع به، فلما أتي له بالعرق، قال: هل غربت الشمس؟ لأنه صائم. قالوا: لا، فانتظر فلما غربت الشمس أخذ لقمة ليأكلها ولكن ما أصبح للطعام لذة، وما أصبح للشراب معنى، وما أصبح للبقية حياة، فألقى اللقمة التي في فمه، ووضعها في الأرض، وكسر غمد سيفه على ركبته، والتفت إلى السماء وهو يقول:

إن أقسمَ الناسُ وشدُّوا الرَّنَّة ... هل أنت إلا نطفة في شِنَّة

ثم قاتل حتى قُطِّع بالسيوف وهو صائم.

فانظر إلى هذه الأرواح كيف سَبحت إلى الله، وكيف هاجرَت إلى الحي القيوم.

ماذا قدَّمنا للإسلام؟ لا قيام ليل، لا جهاد، لا بذل أموال، لكن هم السلف الصالح، الذين علموا أن الصيام مدرسة روحية، وأنه حياة خالدة مع الله، فرفعوا لا إله إلا الله بالسيوف.

ومن الذي رفع السيوف ليرفع ... اسمك فوق هامات النجوم منارا

كنا جبالاً في الجبال وربما ... صرنا على موج البحار بحارا

أرواحـــنـا يـا رب فـوق أكـفـنـا   نـرجـو ثـوابـك مـغـنـمـاً وجـوارا

فيا أيها المسلمون، يا من ولدتم على لا إله إلا الله، ويا من شبَبْتم على لا إله إلا الله، جاءكم شهر رمضان، وأصبح منكم قاب قوسين أو أدنى، فاللّهَ الله، لا يخرج رمضان منكم وقد خاب الكثير وخسر الكثير، اغتنموا أن يعتق الله رقابكم فيه من النار، وخذوه فرصة لا تعوَّض فإنه التوبة وإنه القَبول من الله، أكثروا فيه من الذكر والتهليل، والتسبيح والتحميد، وتدارسوا فيه القرآن، وأحيوا بيوتكم بآيات الله البيِّنات، واهجروا الأغاني الماجنات الخليعات السافِلات السخيفات التي أغوت القلوب عن ربها سبحانه.

فاغتنموه أن تعتق رقابكم من النار، وأن تبيض وجوهكم يوم تعرضون على الواحد القهار؛ طوبى لبطون جاعت في سبيل الله، هنيئاً لأكباد ظمئت لمرضاة الله، هنيئاً لكم يوم أدرككم الشهر تصومونه إيماناً واحتساباً، ويباهي بكم الله الملائكة من فوق سبع سماوات، فيا أيتها الأمة الخالدة، يا أيتها الأمة التي رضي الله عنها بمحسنيها:

كفروا عن سيئاتكم في هذا الشهر، وجدِّدوا توبتكم مع الله، فحيَّاك الله يا رمضان، لتحط عنا بفضل الله كل خطيئة وخسران، ولتوردنا الحوض المورود نشرب منه بإذن الله شربة لا نظمأ بعدها أبداً.

لماذا شرع الصيام؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

فلِلَّه في شرعه أسرار، وله في أحكامه حِكم، وله في خلقه مقاصد، فمن هذه الأسرار والحِكم والمقاصد ما تُدركها العقول، ومنها ما تقف عندها كالَّة، وقد أخبر سبحانه عن بعض حِكم الصيام فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].

فالصوم طريق لتقوى الله عزّ وجلّ، والصائم من أقرب الناس إلى مولاه جلّت قدرته، جاع بطن الصائم فصفا قلبه، ظمئت كبد الصائم فدَمعت عينه، وصحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنّه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرْج، ومن لم يستطعْ فعليه بالصومِ فإنه له وجاء**».

* فالصوم يضيِّق مجاري الطعام والدم، وهي مجاري الشيطان، فتقلّ وسوسته.

* والصوم يُضعف الشهوة وخَطَرات السوء وواردات المعصية، فتُشرق الرُّوح.

* والصوم يذكر الصائم بإخوانه المسلمين من الجائعين

المحتاجين والفقراء والمساكين، فيرحمهم ويعطف عليهم ويمدّ يده بالعون إليهم.

يا صَائماً تركَ الطَّعام تَعفُّفاً أضحى رفيق الجوع واللأواء
أبْشرْ بعيدكَ في القيامةِ رَحْمة محفُوفة بالبرِّ والأنداءِ

❁ والصوم مدرسة لتربية النفس، وتزكية القلب، وغضّ البصر، وحفظ الجوارح.

❁ والصوم سرٌّ بين العبد وبين المعبود سبحانه، ففي الصحيح أن الله عزّ وجلّ يقول: «**كلُّ عمل ابن آدمَ له إلاَّ الصيامَ فإنه لي وأنا أجزي به**» لأن الصوم لا يطّلع عليه إلا الله تعالى بخلاف الصلاة والزكاة والحج.

وقد عرف السلف الصالح الصيام قربة لله عزّ وجلّ، ومضماراً للسّباق، وموسماً للخيرات، فبكُوا فرحاً لاستقباله، وبكُوا حزناً عند فراقه.

وعرف السلف الصّيام، فأحبّوا رمضان، واجتهدوا في رمضان، وبذلوا نفوسهم في رمضان، فجعلوا من لياليه قياماً، وركوعاً، وسجوداً، ودموعاً، وخشوعاً، وجعلوا من نهاره: ذكراً وتلاوةً وتعليماً، ودعوةً، ونصحاً.

وعرف السلف الصيام قرّة عين، وراحة نفس، وانشراح صدر، فربّوا أرواحهم بمقاصده، وزكّوا قلوبهم بتعاليمه، وهذّبوا نفوسهم بحكمه.

❁ كان السلف يجلسون بمصاحفهم في المساجد، يتلون ويبكون، ويحفظون ألسنتهم وأعينهم عن الحرام.

❁ الصيام يا صائمون وحدة للمسلمين، يصومون في زمن ويفطرون في زمن، جاءوا معاً، إلفة وإخاء، وحُبّ ووفاء.

❁ الصيام يا صائمون كفّارة للخطايا ومُذهب للسيئات، كما في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**الصلوات الخمس، والجُمُعةُ إلى الجُمُعةِ، ورمضانُ إلى رمضان، كفاراتٌ لما بينها ما لم تُؤت كبيرةٌ**».

❁ والصيام يا صائمون صحَّة للجسم، لأنه يستفرغ المواد الفاسدة، ويريح المعدة ويصفّي الدّم ويطلق عمل القلب، فتشرق به الرُّوح، وتصفو به النّفس، وتُهذَّب به الأخلاق.

❁ إذا صام الصائم ذلَّت نفسه، وانكسر قلبه وخفّت مطامعه، وذهبت شهواته، ولذلك تكون دعوته مستجابة لقربه من الله عزّ وجلّ.

❁ في الصيام سرٌّ عظيمٌ، وهو امتثال عبودية الله عزّ وجلّ، والإذعان لأمره والتسليم لشرعه، وترك شهوة الطعام والشراب والجماع لمرضاته.

❁ والصيام انتصار للمسلم على هواه، وتفوُّق للمؤمن على نفسه، فهو نصف الصبر، ومن لم يستطع الصيام بلا عُذر فلن يقهر نفسه، ولن يَغْلِب هواه.

❁ والصيام تجربة هائلة للنفس، لتكون على استعداد تام لتحمل المشاق، والقيام بالمهام الجسام من جهاد، وبذل، وتضحية، وإقدام. ولذلك لما أراد طالوت أن يقاتل أعداءه ابتلى الله قوم طالوت بنهر، وقال لهم طالوت: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فنجح أهل الصبر وفاز منهم من غلب هواه، وتخلّف عن الجهاد عَبَدَة الشّهوات المقهورون تحت سلطان طبائعهم.

ولعل بعض حِكَم الصوم تتلخَّص في أنه تقوى لله عزّ وجلّ، وامتثال لأمره وقهرٌ للهوَى، وانتصار على النّفس، وتهيئة للمسلم في

مواقف التضحية وضبطٌ للجوارح، وكبحٌ للشهوات، وصحةٌ للجسم، ومكفِّر للسيئات، وإلفةٌ وإخاء، وشعور بجوع الجائعين، وحاجة المحتاجين، والله أعلم.

استقبال رمضان

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فسلامُ الله عليكم ورحمته وبركاته، سلام الله على تلك الأرواح الطيبة التي طالما سجدَت لله، وأبى غيرها أن يسجد، وطالما ركعت لله، وأبى غيرها أن يركع، سلام عليكم يا أيها الذين استقبلوا شهر رمضان بالصيام والقيام، وغيركم من أمم الأرض الكافرة رفضت أن تصوم لله، ورفضت أن تقوم لله، ورفضت أن تسجد لله، ورفضت أن تركع لله.

اللَّهمَّ إن ألسنتنا سبحت في علاك ورؤوسنا ما سجدت لسواك
يا من يرانا ولا نراك لا نعبد إلا إياك

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

يحييكم الله سبحانه وتعالى كما أحيا أجدادكم يوم رفعوا لا إله إلا الله على المحيطات، يوم ركبوا البحار بلا إله إلا الله، يوم امتطوا منابر الدنيا بلا إله إلا الله، فاسألوا عنَّا الدنيا واسألوا عنا البحار واسألوا

عنا المحيطات.. كانت الدنيا في وثنية وفي شرك وفي طاغوت، فلما أتى محمد ﷺ رفع رؤوس الإنسانية لتتجه إلى بارئها سبحانه وتعالى:

إن البريَّة يومَ مبعثِ أحمد نظر الإله لها فبدَّل حالها
بل كرَّم الإنسان حين اختار من خير البرية نجمها وهلالها
لبس المرقَّع وهو قائد أمة جَبَتِ الكنوز فكسرت أغلالها

ألا إن باب الريان ينتظركم يا شباب الإسلام، ألا إن ثمار الجنة قد تهدَّلت وتدلَّت لتقدم إليكم موائد من موائد الرحمٰن سبحانه وتعالى.

ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**يقول تبارك وتعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»، ثم يقول: «**والصيام جنة فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه**»(١).

فبُشْرى لكم ببشريات كثيرة:

أولها: كما ثبت عنه ﷺ أن خُلوف فم الصائم منَّا نحن المسلمين لا من غيرنا أطيبُ عند الله من ريح المسك.

وثانيها: أن تتطيب الجنان في كل يوم بزينة يعدُّها الله لأوليائه.

وثالثها: أن الحيتان في البحر تستغفر للصائم حتى يفطر.

ورابعها: أن الله يصفِّد الشياطين فلا تخلُص إلينا ولا تعبث بأفكارنا وعقولنا وقلوبنا كما كانت تفعل من قبل.

أيها الأخيار، أيها الأبرار، نحن ننتظر أو نستقبل في هذا اليوم الشهر المبارك ليكفِّر عنا ربنا سيئاتنا وخطايانا، كم أخطأنا وكم أسأنا

---

(١) صحيح سبق تخريجه.

وكم ابتعدنا، وأتينا اليوم لنقول لله: يا رب وقفنا أمامك، وعلى أعتاب أبوابك وعلى موائدك ننتظر رحمتك لا رحمة سواك، ومغفرتك لا مغفرة غافر سواك، فأنت الرحمٰن الرحيم..

وقفنا ببابك يا ذا الملك ... وزرنا رحابك والملك لك
أتيناك نطوي قفار السهاد ... وما خاب يا رب من أمَّلك

أيها الإخوة لا بد أن أتطرق معكم إلى بعض أسرار الصيام التي يجب أن نفهمها ومنها:

ألا يفهم أن الصيام جوع وعطش فحسب، لا، إن الصيام قبل أن يكون صيام بطن عن الطعام والشراب هو صيام عين، صيام هذه العين التي خلقها الله لك جميلة لترى بها وتنظر وتتدبَّر، هي تصوم كما يصوم البطن في رمضان، تصوم عن الحرام، تصوم عن نظر الفتنة، تصوم عن نظر المعصية، فإن لم تصم عينك كما يصوم بطنك عن الطعام والشراب فما صامت إذن!.

والصيام للسان، يصوم لسانك عن الغيبة والنميمة وعن الجدل وعن اللعن، نعوذ بالله من اللعن، اللعن الذي انتشر بين شبيبتنا وأجيالنا وأصبح دارجاً مألوفاً وهو من أقبح الكلمات وأفظع الجرائم التي يرتكبها اللسان.

لسانك لا تذكر به عورة امرىءٍ ... فكلك عورات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك معايباً ... لقومٍ فقُلْ يا عين للناس أعين

وتصومُ أذنك، تصوم أذنك عن سماع الغناء الماجن الفاحش الذي دمَّر شباب الإسلام، والذي ضيَّع شباب الإسلام، والذي حبَّب الفاحشة إلى شباب الإسلام، الغناء الذي غرس الغرائز في القلوب، وأنبت الجرائم في النفوس، والخنا كذلك، تصوم أذنك فلا تستمع إلى خنا ولا غيبة ولا نميمة ولا فحشاء ولا بذاءة.

إن من المعلوم عند أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى ينعم على أهل الجنة.. إننا نتعامل بوحي سماوي لا نقول أفكاراً وخُزَعْبَلات من أفكارنا، إنها كما قال عمر: لو لم يكن هناك أخرى لكان غير ما ترون، إننا نأمل رضا الله عز وجل، فمن رضاه على المؤمنين، ومن نعيمه على المؤمنين أنه سبحانه وتعالى يسمعهم غناء في الجنة، يلذ في مسامعهم وتطرب له نفوسهم..

قال ابن عباس ويرسل ربنا ريحاً تهز ذوائب الأغصان
فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الإ نسان كالنغمات بالأوزان
يا خيبة الآذان لا تتعوضي بلذاذة الأوتار والعيدان

وتصوم رجلك عن المشي إلى الحرام وعن كل مشوار يغضب الله مع جلساء السوء في المقاهي وفي الملاهي وفي المُتَنَزَّهات الماجنة التي ضيعت أوقاتنا، وضيعت أعمارنا وأيامنا وليالينا، ليالينا وأيامنا التي سوف نسأل عنها أي والله أمام الله، يوقفنا الحي القيوم ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

ونصون أيدينا عن البطش، وعن المهاترة، وعن الخيانة، وعن أكل المال الحرام والاختلاس والرشوة، هذا هو الصيام في الإسلام، ثم يأتي صيام البطن في الأخير، نصوم عن الطعام والشراب لنروى ونشبع عند الله عز وجل.. إن الذي لا يصبر على الصيام لا يصبر على تحمل تكاليف العبودية.. إن أجدادكم من الصحابة كانوا شبيبة لما أتى ﷺ لينير معالم الإنسانية، الواحد منهم في الثالثة عشرة إلى الخامسة عشرة إلى العشرين يقود الجيوش ويرتقي المنابر، ويصلح أفكار الإنسانية.

أما علمتم أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عندما قاد جيش رسول الله ﷺ في الردة كان عمره سبع عشرة سنة؟

هذا العمر المبارك الضخم الذي قدمه قرباناً إلى الله.

ونحن يبلغ الواحد منا الثلاثين والأربعين من عمره وهو سفيه.. سفيه في تصوراته، سفيه في اهتماماته، وسفيه في إمضاء وقته.

ولذلك لما أتت معركة أحد وشارك فيها صحابة محمد ﷺ وكلكم يعرف معركة أحد الفاصلة الكبرى المسجَّلة في خَلَدِ المسلمين إلى قيام الساعة، تقدَّم أحد رجالات شباب الإسلام، فلبس أكفانه في الصباح بعد أن اغتسل وتطيَّب وتحنَّط، اسمه: حارثة بن سراقة الأنصاري، وحضر معركة أحد وقال لأهله: أستودعكم الله الذي لا تضيِّع ودائعه.. والله لا أعود مرة ثانية إليكم.. لأنه باع نفسه كما يقول شاعر الإسلام محمد إقبال في فداء الصحابة وفي مجد الصحابة:

لِمعابد الإفرنج كان أذانُنا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنسَ أفريقيا ولا صحراؤها ... سجداتنا والأرض تقذف نارا
كنا نقدِّم للشيوخ رؤوسنا ... لم نخشَ يوماً غاشماً جبارا
أرواحنا يا رب فوق أكفِّنا ... نرجو ثوابك مغنماً وجوارا

أتى هذا الصحابي الذي ذكره ﷺ بعد أن اغتسل وتكفَّن وتطيّب في أُحد فقاتل حتى قُتل، وأتت أمه فقالت: يا رسول الله، أإبني في الجنة بعد أن قُتل فأصبر وأحتسب أم هو في غير الجنة فسوف ترى ماذا أصنع؟ فقال لها ﷺ: **«أهبلت، أجننت، إنها والذي نفسي بيده جِنان كثيرة، وإن ابنك في الفردوس الأعلى»**[(١)].

يقول ﷺ: **«إن الله جمع شهداء أُحد فقال لهم سبحانه وتعالى: تمنّوا عليَّ»**، كلمهم كفاحاً بلا تُرجمان، **«قالوا: نتمنى أن تعيدنا إلى الدنيا فنُقتل فيك ثانية. فيقول سبحانه وتعالى: إني كتبت على نفسي**

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٢ ـ ٦٥٥٠).

أنهم إليها لا يرجعون، فتمنوا، قالوا: نتمنى أن ترضى عنا فنحن قد رضينا عنك. فقال سبحانه وتعالى: فإني أحللت عليكم رضائي لا أسخط عليكم أبداً».

ثم جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر ترِدُ الجنة فتأكل من أشجارها وتشرب من مائها وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش حتى يبعث الله الناس ليوم لا ريب فيه. هؤلاء هم أجدادكم أهل التضحية وأهل الفداء وهم الذين رفعوا راية الله في المشرق والمغرب. الشاهد من هذه القصة أنّ نُخْلِصَ لله عز وجل أعمالنا، لأنه العطية يوم القيامة، والجزاء لا يعلمه إلا الله تعالى.

هديه ﷺ في الصوم(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثارُ من أنواع العبادات، فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يُدارسه القرآن الكريم في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجودَ بالخير من الريحِ المرسلة، وكان أجود النّاس، وأجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن الكريم، والصلاة والذكر والاعتكاف.

وكان يخصُّ رمضان من العبادة بما لا يخصُّ غيره به من الشهور، حتى إنه كان ليواصل فيه أحياناً ليوفّر ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون له: إنك تواصل، فيقول: «**لستُ كَهَيْئَتِكم، إنِّي أبيتُ عند ربِّي يُطعِمُني ويَسْقيني**».

والرسول ﷺ أذكرُ الذّاكرين وأعبدُ العابدين، جعل شهر رمضان موسماً للعبادة، وزمناً للذّكر والتلاوة. ليله ﷺ قيامٌ يُناجي مولاه ويضرع إلى ربِّه يسأله العون والسداد والفتح والرّشادَ، يقرأُ بالسُّور

(١) سيأتي تخريج آثار هذا الفصل في الفصول القادمة.

الطوالِ، ويُطيل الركوعَ والسجودَ، شأن النّهم الذي لا يَشْبَع من العبادة، جعل من قيامه لليل زاداً وعتاداً، وقوة وطاقة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ١ ـ ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

ونهاره عليه الصلاة والسلام: دعوة وجهاد ونُصح وتربية ووعظ وفُتيا.

❁ وكان من هديه ﷺ أن لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة أو بشهادة شاهد واحد.

❁ وكان عليه الصلاة والسلام يحثّ على السُّحور، فقد صحّ عنه أنه قال: «**تَسَحَّروا فإنّ في السَّحور بركةً**». لأن وقت السَّحور مبارك، إذ هو في الثلث الأخير من الليل وقت النزولِ الإلهي، ووقت الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

ثم إن السحور عونٌ على الصِّيام والعبادة، ثم هو صَرف للنعمة في عبادة المنعِم سبحانه وتعالى.

❁ وكان عليه الصلاة والسلام فيما صحَّ عنه أمراً وفعلاً يُعجِّل الإفطار بعد غروب الشمس، فيفْطِرُ على رُطب أو تمر أو ماءٍ، لأن خالي المعدة أوفقُ شيء له الحلاوة، فكان في الرُّطب والتمر ما يوافق الصائم الجائع.

❁ وقد صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إنَّ للصائم عند فطرهِ دعوةً ما تُردُّ**»، فكان يدعو عليه الصلاة والسلام بِخيْرَي الدنيا والآخرة.

❁ وكان يُفطر ﷺ قبل أن يُصلي المغرب، ففي الصحيح

عنه ﷺ أنه قال: «**إذا أقبلَ الليلُ من هاهُنَا، وأدبرَ النهار من هاهُنا فقد أفطرَ الصائمُ**».

❁ وسافر رسول الله ﷺ في رمضان، فصام وأفطر، وخيّر الصحابة بين الأمرين.

❁ وكان يأمرهم بالفطر إذا دنوا من عدوّهم ليتقوّوا على قتاله. فقد كان يخرج ﷺ لبعض غزواته وسراياه في رمضان. بل كانت بدر الكبرى في رمضان، فنصره الله نصراً ما سمع العالم بمثله. وأفطر ﷺ في غزوتين من غزواته في رمضان، كما أخبر بذلك عمر رضي الله عنه عند الترمذي وأحمد، ولم يحدِّد ﷺ تقدير المسافة التي يُفطرُ فيها الصائمُ بحدٍّ ولا صحَّ عنه في ذلك شيء.

❁ وكان من هديه ﷺ أن يُدركه الفجرُ وهو جُنبٌ من أهله، فيغتسلُ بعد الفجر ويصوم. وكان يُقبّل بعضَ أزواجه وهو صائمٌ في رمضان، وشبّه قبلة الصائم بالمضمضة بالماء.

❁ وكان من هديه ﷺ إسقاط القضاء عمَّن أكل وشرب ناسياً، وأن الله سبحانه هو الذي أطعمه وسقاه.

والذي صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام: أن الذي يُفطّر الصائم: الأكل والشربُ والحجامة والقيء. والقرآن الكريم دلّ على أنّ الجماع مُفطر كالأكل والشرب.

❁ واعتكف عليه الصلاة والسلام في العشر الأواخر من رمضان، فجمع قلبه مع الله تعالى، وفرّغ باله من هموم الدنيا، وسرَّح عين قلبه في ملكوت السموات والأرض، وقلّل من التقائه بالنّاس، فأكثر من التبتُّل والابتهال ودعاء ذي الجلال والإكرام.

وعكف قلبه على مُدارسة الأسماء والصفات، وعلى مطالعة الآيات البينات، والتفكر في مخلوقات ربِّ الأرض والسموات، فلا إله

إلا الله كم من معرفة حصلت له، وكم من نور ظهر له، وكم من حقيقة ظفر بها؟

فهو أعلم الناس بالله، وأخوف الناس من الله، وأتقى الناس لله، وأبلغ توكلاً على الله، وأبذل الناس لنفسه في ذات الله! فعليه الصلاة والسلام ما تضوّع مسك وفاح، وما ترنّم حمامٌ وناح، وما شدَا بُلبلٌ وصاح.

هدي الرسول ﷺ وأصحابه في رمضان

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكوراً.

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، رفع الله به رؤوسنا وكانت مخفوضة، وشرح الله به صدورنا وكانت ضيقة، وأسمع به آذاننا وكانت صمَّاء، وبصَّر به عيوننا وكانت عمياء، فعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم..

أما بعد، فاعلموا بارك الله فيكم أن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، هو المعصوم الذي على قوله تصحَّح الأقوال، وعلى فعله توزن الأفعال، وعلى حاله تُقاس الأحوال، فإن الله أصلحه ظاهراً وباطناً، وسراً وجهراً، ورضيه قدوة للناس ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فهو عليه الصلاة والسلام معصوم، لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحي يوحى، وهو، بأبي وأمي، نفَسه طيب، وقوله طيب، وفعله طيب، فهو مبارك أينما حلّ وارتحل، زكَّاه الله ظاهراً وباطناً، وامتدح

أخلاقه وأفعاله وأقواله، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [طه: ٤]، وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].. وقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

فإذا عُلم ذلك كان على المؤمن الذي أراد أن ينصح نفسه أن يتبع هذا الرسول، عليه الصلاة والسلام، وأن يقتدي بكل ما أتى عنه وصحَّ وثبت، فإنه، عليه الصلاة والسلام، قائد كل موحِّد، وكل مؤمن إلى الجنة، ومن اعتقد أنه سوف يهتدي بهدي غير الهدي الذي أتى به فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا كلاماً ولا ينظر إليه ولا يزكِّيه وله عذاب أليم.

فلا إله إلا الله، ما أعظم ربح من اتبع أقواله، واقتدى بأفعاله وسار على مِنواله، ولا إله إلا الله ما أشد خَسارة من تنكَّر لشريعته وجَحَد سنّته وخالف فعله عليه الصلاة والسلام.

إذا عُلم ذلك فإننا نريد أن نعيش معه ﷺ، في رمضان وفي غير رمضان، وإن كان للعمر مواهب، وإن كان للحياة بقية، وإن كان للأيام لذة فإنما هو في العيشة معه ﷺ.

قد لقيناك بحب مفعَم كل حب في سوى المولى حرام
فاغفر اللهمَّ ربي ذنبنا ثم زدنا من عطاياك الجسام
لا تعاقبنا فقد عاقبنا قلق أسهرنا جنح الظلام

فلننظر إلى هديه، عليه الصلاة والسلام، وإلى هدي أصحابه الأبرار، وسلف الأمة الأخيار، كيف استقبلوا هذا الشهر، كيف صاموه وقاموه، وكيف قضوا أوقاته، وكيف عاشوا ساعاته لنكون على بصيرة، فإن بمثلهم يُقتدَى وعلى منوالهم يُحتذَى.

كان عليه الصلاة والسلام يستقبل الشهر، فعن طلحة بن عبيدالله أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان إذا رأى الهلال ـ وعند الترمذي هلال رمضان ـ قال: «**اللهم أهلَّه علينا باليُمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربُّك الله، هلال خير ورشد..**»[(١)].

وهذا الحديث عجيب، بحول الله عز وجل يقول للهلال ربي وربُّك الله، فأنت مخلوق كما أنا مخلوق، لأن الأهلَّة والقمر والشمس كانت تُعْبَد من دون الله، فأراد الرسول ﷺ أن يخبر الناس، ويخبر الأجيال أن الكائنات كلها مخلوقة لله سبحانه وتعالى، فيقول ربي وربك الله، فلا يحق لأحد أن يعبدك من دون الله، فالذي أهلَّك هو الله، والذي أبداك هو الله، والذي جمَّلك هو الله، والذي أبدعك هو الله، فكما أنا مخلوق لله، فأنت مخلوق لله، فأخطأ من عَبَدَكَ، أو توجَّه إليك من دون الله، وأخطأ من توجه لمخلوق من دون الله.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

أنت تحس من هذا الحديث لمسات التوحيد التي أتى بها عليه الصلاة والسلام.

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما، تُرْجُمان القرآن، وحبرُ الأمة الذي عاش الآيات، وعاش الأحاديث، وعاش الإسلام كله، واستضاء بنور هذا الدين يقول: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[(٢)].. وهذا من أحسن الكلام، فإنه قال

---

(١)(٢) سبق تخريجه.

في أوله: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، لئلا يُظَنَّ أنه إذا قال كان جواداً في رمضان أن يسكت عن غير رمضان فتدخل الظنون أنه لم يكن جواداً، وحاشا وكلاً، بل أكرم الناس وأحلم الناس وأبرّ الناس وأوصل الناس رسول الله ﷺ، فكان أجود الناس.

ما قال لا قط إلاَّ في تشهُّده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فلا يكلَّم إلا حين يبتسم

فقال: كان أجود الناس ومع ذلك أجود ما يكون في رمضان.. ومتى؟ حين يلقاه جبريل، حين يلقاه أمين الوحي فيدارسه كلام الله، وكتاب الله، ومواعظ الله، في آياته سبحانه وتعالى.

(فالرسول ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة). والريح المرسلة هي الصَّبا التي تهب من نجد فإنها مِعطاءة باردة، إذا وصف الشاعر العربي الكريم قال: هو أجود من الصبا أو أجود من الريح المرسلة.. فلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.. إذن أكبر المعالم من معالم سيرته وهديه ﷺ في رمضان: الجود، والإعطاء، والإنفاق، والبذل، والهبة، والسخاء.. فهو أكبر معلم نراه في سيرته ﷺ لا يمسك شيئاً حتى الثياب والأسمال التي عليه إذا سُئل أعطاها.. ففي حديث سهل بن سعد قال: نسجت امرأة للرسول ﷺ ثوباً فلبسه محتاجاً إليه، فعرض إليه رجل فقال: يا رسول الله، أعطني هذا الثوب، فقال الصحابة لهذا الرجل: صنع الله بك وصنع، وفعل الله بك وفعل، لبسه رسول الله ﷺ محتاجاً إليه فجئت، فسألته، وهو لا يردُّ شيئاً، فلما أعطاه ﷺ، قال الرجل: أرجو أن يكون هذا الثوب كفناً لي، وأعطاه الله ما تمنَّى، وأعطاه الله ما سأل، فكان كفناً له كُفِّن فيه[١].. إذن فالرسول عليه الصلاة والسلام يوم يأتي رمضان يستقبله

(١) رواه البخاري (١٢٧٧ ـ ٢٠٩٣ ـ ٦٠٣٦).

بنفسٍ مِعطاءة، لأن الجزاء من جنس العمل، فلما كان العبد سخياً كريماً جازاه الله بمثل فعله من السخاء والكرم والبذل له.

ومن المعالم الأخرى في حياته ﷺ التي تؤخذ من هذا، مصاحبته ﷺ للقرآن، وعيشه مع القرآن، وتدارسه لآيات القرآن مع جبريل عليه السلام، فهذا الشهر شهر القرآن ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فهذا الشهر هو شهر القرآن، فيوم يدخل عليه ﷺ يهيىء نفسه ويخفف من ارتباطاته ومشاغله، ليعيش تدبر القرآن وقراءة القرآن، والقرآن أخذ الحظ الأوفى من حياته عليه الصلاة والسلام.. أخذ الدقائق الغالية، والساعات الثمينة من حياته ﷺ، ولأنه معجزته الكبرى. أرسله في الدنيا معجزة لا يضاهيها أي معجزة، لأن المعجزات تنصرف في الفترات التي يتولى فيها الأنبياء، أو يموتون، كالعصا في عهد موسى انتهت بانتهائه عليه السلام، وكإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى في عهد عيسى عليه السلام انتهت بانتهائه عليه السلام..

ولكن القرآن أخذ يشق طريقه إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، وأخذ يثبت جدارته، ويعلن قوته، ويبدي دعوته في قوة وخلود يخاطب الأجيال.

فالرسول عليه الصلاة والسلام جعل أكبر وقت للقرآن وقت رمضان.. ولذلك سُئلت عائشة، رضي الله عنها، كما في الحديث: كيف كان خُلُقه عليه الصلاة والسلام؟ قالت: كان خُلُقه القرآن عليه أفضل الصلاة والسلام.. فهو يعيش مع القرآن أينما حلَّ وارتحل، وإذا وجد وقت راحة، وإقبال قلب، وسفر روح إلى الله، شغل هذا الوقت بالقرآن..

وفي الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه،

قال: قال لي ﷺ: «**اقرأ عليَّ القرآن**»(١)، يقول لابن مسعود أحد طلابه وتلاميذه اقرأ عليَّ القرآن، قلت: يا رسول الله، كيف أقرأ عليك القرآن وعليك أُنزل؟.. ما أحسن هذا الأدب، وما أجلَّ هذا الحياء، كيف أقرأ عليك القرآن وأنا تعلَّمت القرآن منك؟ قال: «**اقرأ عليَّ القرآن فإني أحب أن أسمعه من غيري**». أحب أن أتلقاه غضّاً طريّاً من غيري إذا تلي عليَّ، فانطلق ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه يقرأ والرسول عليه الصلاة والسلام يُنصت، فلما بلغ قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] قال: «**حسبك الآن**» قال: فنظرتُ فإذا عيناه تذرفان عليه أفضل الصلاة والسلام. تأثر الحبيب بكلام حبيبه، وتذكَّر صاحب هذا الكلام سبحانه وتعالى الذي أنزله، والذي تكلَّم به من فوق سبع سماوات، فبكى عندها ﷺ.

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره، أن الرسول ﷺ ربما خرج في بعض الليالي ليستمع القرآن في بيوت الأنصار، يوم كانت تُشغل بيوت الصحابة بالقرآن، يوم كانوا يعيشون ساعات الليل بالقرآن، يوم كانوا ينفقونها في تدبر آيات الله الواحد الديَّان، يوم لم يكن يشغلهم القيل والقال، وكثرة السؤال، وإضاعة الوقت في المجريات، وفي التُّرَّهات، وفي الأغنيات، وفي السَّفاهات، يوم كانوا يعيشون لله ليلاً ونهاراً، يوم كانوا رُهباناً في الليل، فرساناً في النهار، جنوداً لرفع لا إله إلا الله يوم يحمى الوطيس.

خرج عليه الصلاة والسلام فسمع امرأة عجوزاً تقرأ سورة الغاشية، فوقف عند بابها وجعل رأسه عند الباب وهو يستمع إليها وهي تقرأ وتردد وتبكي، عجوز فأين شباب الإسلام؟ عجوز فأين فتية

(١) رواه البخاري (٤٥٨٢).

الحق؟ عجوز فأين شباب الصحوة؟. هل أتاك حديث الغاشية، من هو المخاطب، هو الرسول ﷺ، يقول الله له: يا محمد، هل أتاك حديث الغاشية؟ يعني: ما أتاك يوم القيامة، إنه حديث عجيب، وإنه نبأ غريب، وإنه حدث جلَل في الدنيا فهل أتاك؟ فأخذ يبكي ويقول: نعم أتاني.. كلما قالت: هل أتاك حديث الغاشية، بكى، وقال: نعم أتاني.. إلى هذا الحد يتأثر عليه الصلاة والسلام بالقرآن.

وفي الصحيح أيضاً أن الرسول عليه الصلاة والسلام ذهب إلى أبيّ بن كعب، أبي المنذر، سيد القرَّاء، رضي الله عنه وأرضاه، الذي جعل وقته لتعليم القرآن، فهو أقرأ الأمة بلا شك، فقال له ﷺ: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك**: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ [البينة: ١]» الآية، فيقول أبي بن كعب في ذهول: (وسمَّاني لك؟)، أي سمَّاني الله من فوق سبع سماوات لك، كأن لسان حاله يقول: مَن أنا حتى أُسَمَّى في السموات السبع، مَنْ أنا حتى يسمِّيني الله عز وجل.

قال: «وسماني لك؟» قال: «**نعم سمَّاك لي**». فذرفت عين أُبيّ وأخذ يبكي تأثراً بهذا، وقرأ عليه الصلاة والسلام سورة: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾(١) [البينة: ١].

والرسول عليه الصلاة والسلام يوم عاش مع القرآن عاش مع القرآن عملاً، عاش تدبراً واستنباطاً، يقول لأبي: يا أبا المنذر أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: الله ورسوله أعلم، ثم قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فيضرب عليه الصلاة والسلام بيده اليمنى

(١) رواه البخاري (٤٩٥٩ ـ ٤٩٦٠ ـ ٤٩٦١) ومسلم (٧٩٩).

في صدر أُبي ويقول: «**لِيَهْنِك العلم أبا المنذر**»[١]. أي: والله ليهنك العلم الصافي، وليهنك العلم النيِّر العَذب، فإن هذا هو العلم يا أبا المنذر..

وعيشه ﷺ مع القرآن عيش تذكُّر وتدبُّر، يقول مطرف بن عبدالله بن الشخِّير كما في سنن أبي داود: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يصلي ولصدره أزيز كأزيز المِرْجَل[٢] من البكاء، والمِرْجَل هو القِدْرُ إذا استجمع غلياناً، فصدره يتخضخض من البكاء، وله صوت أَزَّة وأزيز تأثراً بكلام الله سبحانه وتعالى..

وفي حديث أبي ذر أنه ﷺ قام ليلة من الليالي يقرأ، فافتتح قوله سبحانه وتعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فأخذ يبكي، ثم أعادها بسم الله الرحمٰن الرحيم، فأخذ يبكي، ثم أخذ يتأوَّه في النافلة ويقول: خاب من لم تدركه رحمة الله، خاب من لم تدركه رحمة الله..

نعم هذه حياته ﷺ مع القرآن، لأن القرآن وهو في رمضان أكبر مقاصده أنه كتاب هداية، ليس بكتاب طِب، ولا تاريخ، ولا جغرافيا وليس بكتاب هندسة، ولكنه كتاب هداية يقود القلوب إلى الله الواحد الأحد، فهذا مقصد القرآن، علم ذلك ﷺ من هذا الكتاب العظيم.

وعند ابن مردويه وأورده كثير من المفسِّرين في تفاسيرهم بأسانيدهم أن بلالاً رضي الله عنه وأرضاه مرَّ رسول الله ﷺ ببيته سَحَراً يؤذنه بصلاة الفجر، فسمعه يقرأ ويقول: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠

---

(١) رواه مسلم (٨١٠).

(٢) رواه أبو داود (٩٠٤)، والنسائي (١٢١٤)، ويُنظر «صحيح أبي داود» (٧٩٩).

ـ ١٩١] الآيات.. فقال لبلال وهو يبكي: **«نزلت عليَّ آيات ويل لمن قرأها ولم يتدبر»**.

فأعظم معالم حياته ﷺ في رمضان، هذا القرآن، ولذلك يرى بعض السلف أن شهر رمضان يخصص لتدبر القرآن، ولا يشتغل بغيره مهما كان العلم فاضلاً، رأى بعضهم هذا.

وسنّته ﷺ، الاعتدال والتدبر في قراءته، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«لا يفقه القرآن من قرأه في أقل من ثلاثة أيام»**(١)، وقال لابن عمرو: **«اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك»**(٢). فالسنة قراءة القرآن في أكثر من ثلاثة أيام، كل بحسبه.

في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: **«إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنة وغُلِّقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين»**(٣) فهي لا تؤذي في ذاك الشهر لأن الله عز وجل أكثر من التوبة على عباده، وجعله موسِماً للخيرات، ولقَبول الأعمال، وللتوبة، ورفع الدرجات، وتقديم الحسنات، فطوبى لمن أدركه رمضان، وأحسن في رمضان، وطوبى لمن أرضى الرحمٰن في شهر رمضان، وسبحان الله كم له من الأجر يوم يختم الشهر فيعتقه الله فيمن عتق..

إن الملوك إذا شابت عبيدهم ... في رقِّهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا خالقي أَوْلى بذا كرم ... قد شبتُ في الرق فأعتقني من النار

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي**

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٩٤٩)، وابن ماجه (١٣٤٧)، بسند صحيح.
(٢) رواه البخاري (٥٠٥٤).
(٣) رواه البخاري (١٨٩٩ ـ ٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩).

به، **يدع طعامه وشرابه** ـ وفي رواية: **وشهوته ـ من أجلي، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصيامه، ولخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، فإذا كان أحدكم صائماً فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إني صائم»**(١).

وفي لفظ في الصحيحين: «**كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلاَّ الصوم فإنَّه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي**»(٢).. وهو سرٌّ بين العبد وبين الله، مَن يراك إذا اختفيت خلف الجدران إلا الله، مَن يراك إذا تستَّرت بالحيطان إلا الله، مَن يراك إذا غِبت عن العيان إلا الله، بإمكانك أن تأكل في عُقر بيتك وفي قَعر منزلك ولا تراك عيون الناس، ولا تنظر إليك أبصار الناس، ولكن الذي خلق الظلام يراك..

وإذا خلوتَ بريبة في ظلمة ... والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها ... إن الذي خلق الظلام يراني

والخُلوف كريح المسك عند الله، ولذلك رأى بعض الشافعية ألا يتسوَّك الصائم لأنه يُغيِّر الخلوف، ولكن الخُلوف من المعدة ليس من الفم، والسواك لا يزيدك إلاَّ طيباً، ولكن لعظيم أجرك عند الله جعل مخلَّفات جوعك أطيب عند الله سبحانه وتعالى من ريح المسك.. فدم الشهيد وخلوف فم الصائم سيّان، يفوح منهما يوم القيامة رائحة المسك، ما شاء الله وما أحسن هذا الجزاء، وما أطيب أفواه الصائمين.

وكان عليه الصلاة والسلام في رمضان يقوم الليل كغيره من الليالي لكن يجتهد في رمضان فإنه شهر الصيام والقيام.. ولذلك صحّ

(١) رواه البخاري (١٨٩٤ ـ ١٩٠٤)، ومسلم (١٦٣ ـ ١٦٤) من كتاب الصيام.
(٢) يُنظر البخاري (١٨٩٤ ـ ١٩٠٤)، ومسلم (١٦٤) من كتاب الصيام.

عنه ﷺ في حديث أبي هريرة، أنه قال: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[١]، إيماناً أخرج: من لم يصمه إيماناً، ولم يقر بصيامه وإنما صامه عادة، واحتساباً أخرج: من صامه رياءً وسمعة. فمن صامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

وكان عليه الصلاة والسلام في ليالي رمضان، إذا جَنَّ الليل قام متبتِّلاً لله سبحانه وتعالى، وما أعظم قيام الليل وخاصة في رمضان، وما أعظم السجدات وخصوصاً في رمضان، وما أحسن الوضوء وما أحسن التبتُّل والدعاء والبكاء وبالخصوص في ليالي رمضان..

قلت لليل هل بجوفك سر　　عامر بالحديث والأسرار
قال لم ألقَ في حياتي حديثاً　　كسجود الأبرار في الأسحار

وقيام الليل لما تركته الأمة الإسلامية ـ إلا من رحم الله ـ ذبل في صدورها الإيمان وضعف اليقين، وعاش جيل لكنه ليس ذاك الجيل الذي عاش مع الرسول ﷺ، جيل فيه برود وفيه تهاون وتكاسل إلا من رحم ربك، وقليل من عبادي الشكور.. فلما علم ذلك كان يمضي ﷺ ليالي رمضان متهجِّداً لله سبحانه وتعالى.. ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

كما قمتَ في الليل سوف تقوم يوم القيامة، وموقفك في الليل وقيامك في الليل أشبه شيء بموقفك عند الله يوم تكون شافعاً مشفعاً بإذن الله، يوم يتخلَّى الأنبياء عن الشفاعة، وتأتي أنت على حدِّ قول الأول:

واستشفع الناس بأهل العز في　　إراحة العباد من ذي الموقف
وليس فيهم من رسول نالها　　حتى يقول المصطفى أنا لها

(١) أخرجه البخاري (٣٨ ـ ١٩٠١ ـ ٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠).

فمقامك في الدنيا يوم قمت بالقرآن تقومه يوم القيامة على ملأ بين يدي الرحمٰن سبحانه وتعالى، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، كما قمت بالليل.

والذي ينبغي للمسلم الذي يريد أن ينصح نفسه أن يُكثر من تلاوة القرآن، ويُكثر من صلاة الليل، فإن هذا الشهر شهر تجديد للروح، وشهر فرصة ثمينة لا تتعوض أبد الدهر، وشهر توبة وعتق من النار.

وخيبة وندامة وهلاك وبوار لمن أدركه رمضان ولم يتب من الماضي والخسران، ولم يعتقه الله من النيران.

كان عليه الصلاة والسلام كما في الحديث عن عائشة لا يزيد في رمضان ولا في غير رمضان عن إحدى عشرة ركعة[1] . . ولكن الركعة الواحدة تساوي آلاف الركعات من ركعات كثير من الناس، يقف في الركعة الواحدة أمداً طويلاً فيناجي ربه ويتدبَّر كلام مولاه، ويحيي روحه بتدبر القرآن، يبكي ويتباكى ويناجي ويسجد طويلاً ويركع طويلاً فتصبح الركعة حسنة جداً ما أحسن منها، والله يقول: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، ولم يقل أكثر عملاً.

لذلك فالتجويد في التراويح والقيام أحسن من التكثير بلا جودة، وكان الكيف أحسن من الكمِّ حتى في التلاوة، فلا يُهَذْرِم القرآن، ولا يهذي، ولا يهذر هذراً يُضَيِّع معانيه وحروفه على حساب الختم، ولكن المقصود هو التدبُّر والمعايشة للمعاني، فإن من الناس من يختم القرآن في رمضان مرة، ولكن يا لها من ختمة ما أحسنها وما أجودها وما أجلَّها وما أعظمها، شافى أمراض نفسه بكلام الله، وداوى جراحات قلبه بكلام مولاه، فكان للقرآن أثر في تلاوته.

---

(١) رواه البخاري (٢٠١٣)، ومسلم (٧٣٨).

وأناس يقرأون فيختمون كثيراً، لكن مقصودهم الأجر، فهم مأجورون، لكن غذاء الروح ومدد اليقين، وماء الإيمان، لا يحصل إلا بالتدبر ومعايشة القرآن.

كان عليه الصلاة والسلام في رمضان، يُعَجِّل الإفطار ويقول: **«أحبُّ العباد إلى الله أعجلهم فطراً»**(١) والفطر هنا تعجيله إذا غربت الشمس، كما في حديث عمر في الصحيح: **«إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»**(٢)، لأن اليهود كانوا يؤخرون الفطر، فقدم ﷺ الإفطار بشرط أن تغرب الشمس، وأن يذهب النهار وأن يأتي الليل.

وكان يفطر ﷺ على رُطَبٍ، كما في حديث أنس. قال: «كان ﷺ يفطر على رُطب فإن لم يجد فعلى تُميرات، فإن لم يجد حسا ماء»(٣). ومن حديث سلمان بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليفطر أحدكم على تمر فإن لم يجد فليشرب ماء فإنه طهور»**(٤).

والعجيب أن في الرطب والتمر سراً عجيباً للصائم، أورد ذلك ابن القيم في زاد المعاد. فإن القلب أو البطن إذا جاع كان أحلى شيء يوافق المعدة التمرُ، فهو حلو يوافق الجوع، وهو أحسن ما يوافق المعدة في تلك الحالة، فسبحان الله، من عَلَّمه وهداه ﷺ سواء

---

(١) رواه الترمذي (٧٠٠)، وانظر «التلخيص الحبير» (١/ ٤٣٥).

(٢) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).

(٣) حسن، أخرجه الإمام أحمد (٣/١٦٤)، وأبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (٣٣١٧)، من حديث أنس.
وانظر «التلخيص الحبير» (٢/٤٣٥).

(٤) صحيح، أخرجه عبدالرزاق (٧٥٨٦)، وابن أبي شيبة (٣/١٠٧)، وأحمد (٤/٢١٣)، وأبو داود (٢٣٥٥)، والترمذي (٦٩٥)، والنسائي في «الكبرى» (٢٣١٤)، وابن ماجه (١٦٩٩) بسند صحيح. وصححه الترمذي والحاكم والذهبي، وأبو حاتم الرازي كما في «التلخيص الحبير» (٢/٤٣٥).

السبيل، فكان طبيباً للأبدان وطبيباً للقلوب يقودها إلى الله تبارك وتعالى.

وكان عليه الصلاة والسلام يؤخِّر السحور بشرط ألا يصبح عليه الصباح، يقول عليه الصلاة والسلام: «**تسحَّروا فإن في السحور بركة**»[1].. وبركة السحور تأتي في أمور ثلاثة:

١ ـ أنها إحياء لهذه السنة العامرة من الرسول عليه الصلاة والسلام، فبركة السُّنة لا يعادلها شيء. وكثير من الناس قد يترك طعام السحور وقد خالف في ذلك سنة ولو أن صومه صحيح، فالسُّنة أن تقوم فتتسحَّر بما يسَّر الله ليبارك الله في قيامك وصيامك..

٢ ـ أنها ساعة يتنزَّل الله فيها إلى سماء الدنيا فيقول: «**هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأجيبه، هل من مستغفر فأغفر له**»[2]. فإذا رآك الله، وأنت متسحِّر، ذاكر له، مستغفر، منيب، تائب، غفر الله لك سبحانه، وقبل دعاءك وأجاب سؤالك وتاب عليك فيمن تاب، وعتق رقبتك من النار، فهنيئاً لك بتلك الجلسة الروحية.. إنك تجلس مستغفراً في السَّحَر، فما أحسن السَّحَر، وما أطيب السَّحَر.

قام طاوس بن كَيْسان العلاَّمة الكبير، الزاهد العابد، يزور أخاً له وقت السحر فطرق عليه الباب فقال له صديقه: سبحان الله أتأتيني في هذا الوقت؟ فقال طاوس: والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن أحداً ينام في السَّحَر، يعني من المسلمين، فانظر إلى هذا من كثرة عبادته، واتصاله بالله، يستغرب أن ينام أحدٌ من الناس في السحر.

٣ ـ أن في طعام السحور إعانة لك بإذن الله على الصيام في

(١) رواه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١١٤٥ ـ ٦٣٢١ ـ ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

النهار وأنت تتلذذ بنعمة الله، وأنت تتناول طعام سحورك، وكأنك تقول: يا رب هذا الطعام الذي خلقته، ورزقتنيه، أتقوَّى به على طاعتك، وما أحسن الطعام إذا استُعين به على طاعتك. وما أحسن الطعام إذا استُعين به على مرضاة الله عز وجل.

وكان من هديه ﷺ في رمضان أن يُكثر من الذكر، والتبتُّل، والاستغفار، والمناجاة، والدعاء، فإنها حياة القلوب، وكان يواصل وينهىٰ الصحابة عن الوصال عليه الصلاة والسلام، فيواصِلون ويقولون: يا رسول الله إنك تُواصِل ـ أي الليل بالنهار ـ قال: «**إني لست مثلكم إن ربي يُطعمني ويسقيني**»، وفي رواية: «**إن ربي يطعمني ويسقيني**»[(١)]، أورد هذه الرواية ابن القيم في زاد المعاد بألفاظها..

وقد اختلف أهل العلم في هذا الطعام والشراب على قسمين:

قوم يقولون إنه طعام حسي، وماء معروف، يُسقَى به، عليه الصلاة والسلام ويأكل، وليس هذا بصحيح؛ لأنه لو كان كذلك لما كان صائماً عليه الصلاة والسلام، ولو كان كذلك لما قال إنكم لستم كهيئتي، ولو كان كذلك لما كان له مِيزة، عليه الصلاة والسلام، عليهم يوم يواصل.

والصحيح ـ وهو القول الثاني ـ أنه يُطعَم ويُسقَى بالمعارف التي تُفاضُ على قلبه من الواحد الأحد، من لذَّة المناجاة، من عُذوبة الذِّكر، من عذوبة دعائه لمولاه سبحانه وتعالى، بما يُغدِق الله على روحه، وبما يُسْدِلُ على قلبه من ذكر ودعاء وتبتُّل يشبع ويروى.. ولذلك ترى بعض الناس إذا سُرُّوا بأمر تركوا الطعام والشراب، نزلت دموع الفرحة من خدودهم..

---

(١) سبق تخريجه.

طفح السرور عليَّ حتى أنني ... من عُظْم ما قد سرَّني أبكاني

فبعض الناس لِوَلَهِه ولكثرة سروره وفرحه يستعيض عن الطعام. حتى قال الأول يتحدث عن لذة قلبه بقدوم قادم، أو بكلام حبيب، أو بمناجاة صاحب..

لها أحاديث من ذكراكَ تشغَلها ... عن الطعام وتلهيها عن الزاد
لها بوجهِكَ نورٌ يستضاءُ به ... ومن حديثِكَ في أعقابها حادي
إذا تشكَّتْ كِلالَ السَّير أسعفها ... شوقُ القدوم فتحيا عند ميعاد

فكأنه، عليه الصلاة والسلام، لفرحه بعبودية ربه، كان من أسر القوم قلباً ،ومن أشرحهم صدراً، يستعيض عن كثرة الطعام والشراب، ولذلك يقول الأندلسي أبو إسحاق لابنه في قصيدته الحارّة المبكية التي تُوجَّه إلى كل شاب:

فقوت الروح أرواح المعاني ... فليس بأن طعمتَ ولا شربتَ

يقول: قوت القلوب، وغذاء الروح، هي جواهر المعاني من الآيات والأحاديث وليس بأن تأكل وتشرب لأن هذا للجسم.

تفتُّ فؤادك الأيام فتَّا ... وتنحت جسمك الساعات نحتا
وتدعوك المَنون دعاءَ صدقٍ ... ألا يا صاح أنت مريد أنتا

إذن، كان، عليه الصلاة والسلام، يتغذَّى بالذكر، بالتهليل، بالتكبير، بالتسبيح، بالاستغفار، بكثرة الدعاء، فأدعوكم أيها الأخيار والأبرار إلى استغلال هذا الشهر بكثرة الذكر.

والظاهرة التي نسأل الله أن يبدلها، وأن يجعل مكانها خيراً ومبرَّة ورحمة: ظاهرة استغلال النهار بالنوم فإنها وُجدَت عند الصالحين بكثرة، تجد الصالح من الصائمين يقضي ساعات يومه في النوم، فما كأنه وجد للجوع حرارة، ولا وجد للظمأ مشقة، ولا وجد لمعاناة

العبادة كلفة، فأي حياة هذه الحياة في رمضان؟ إذا نام من الصباح إلى الظهر، ومن الظهر إلى العصر، ومن العصر إلى الغروب، ثم أمضى الليل في السهر.

وظاهرة تغيير برنامج المسلم في رمضان ليست بمحمودة، بل على المسلم أن يكون على وتيرته، وما هو الداعي إلى أن يغير وقته لهذا الوقت فيجعل وقت المناجاة، ووقت الذكر، ووقت حرارة الجوع ومشقة الظمأ، يجعله رُقاداً ونُعاساً ونوماً.

فأين معنى الصيام؟

يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].. فمقاصد الصيام أعظمها التقوى، والتقوى هي أن تعيش ساعات الصيام ودقائق الصيام للتعامل معه، فما الفرق بين المفطِر الذي ينام النهار جميعاً وبين الصائم الذي ينام النهار جميعاً؟.

❁ فوائد الصيام:

١ ـ تقوى الله عز وجل، فإنه ختم الآية فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. فالصيام سببٌ للتقوى، فهو يكسر قلبك عن المعاصي، ويرد جماحَ روحِك عن الذنوب، ويأخذ بزِمام نفسك عن الخطايا والمخالفات.. ولذلك دعا ﷺ الشباب إلى الزواج، ففي السنة من حديث ابن مسعود أنه ﷺ قال: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء**»[1].. فجعل ﷺ الصوم يقوم مقام الزواج لأنه يكسر النفس ويردها.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠).

٢ ـ يُفَرغ الأوقات للعبادة، فإن الواجبات قد تأخذ كثيراً من أوقات العبادة. وهل أخذ أوقاتنا، وضيع ساعاتنا، إلا كثرة الأكل والشرب؟ إننا نجلس في شرب الشاي والمشروبات، والمرطِّبات ساعات طويلة تكفي مثل ابن تيمية وابن القيم إلى أن يؤلفوا رسائل في خدمة الإسلام وكتباً في رفع راية هذا الدين، ولذلك يقولون عن ابن تيمية أنه ألّف كتاب التدمرية من صلاة الظهر إلى صلاة العصر وهو الكتاب المقرَّر اليوم في الكليات سنة كاملة، وما فهمها كثير من الطلاب بل رسبوا في التدمرية لأنها تدمِّر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم!.

فهذا الوقت يمكن أن يُستغَل في مرضاة الله عز وجل، وفي تلاوة كتابه والاستغفار.

٣ ـ أن فيه حياة للقلب، فإن القلب قد يموت بكثرة المباحات من مأكولات، ومشروبات، ومسكونات، وملبوسات، فكلما أكثرتَ على القلب من هذه الأمور قتلتَه وأَمَتَّه.

بعض الناس يظن أن حياة القلب أن تُكثِر من الأكل والشراب وهذا ليس بصحيح، فالقلب، أو الروح إنما أتيا نفحة من الله عز وجل، كلَّما أقللت من علائقها من الأرض. والتراب هاجرت إلى الله سبحانه وتعالى.

٤ ـ ومن فوائد الصيام أيضاً أنه يذكِّرك بالبطون الجائعة من الفقراء المساكين، فيجعلك تعيش آلامهم، وآمالهم، وتعيش ما يعيشونه، وتذوق ما يذوقونه، وتحيا ما يحيونه فتعيش تلك الساعات المريرة التي يعيشونها.

وكان من هديه ﷺ الاعتكاف في رمضان، والاعتكاف سُنَّة من أحسن السنن، وقد عُطِّل إلا في بعض الأماكن، ومن بعض الأشخاص، وهو من أحسن ما يمكن أن يربَّى به القلب، يوم تتفرغ من

الناس ومن كلام الناس، ومن الاتصال بالناس، لتتصلَ بربِّ الناس، ملكِ الناس، إله الناس.. وهل أحسن من هذا؟ كان هديه ﷺ ذلك..

وكان هديه ﷺ في رمضان أنه يبشِّر به الأمة الإسلامية الخالدة أمة لا إله إلا الله، أمة الرسالة..

إن الله عز وجل يُعتق في كل ليلة من ليالي رمضان مائة ألف، وأما في آخر ليلة فيعتق بقدر ما أعتق في كل ليلة مرَّت..

فهل بعد هذا من بُشرى للأمة؟ إنها مبشرات أو بشريات ليست بشرى واحدة، وإنها مَكرُمات ليست مَكْرُمة واحدة، وإنها أُعطِيات ليست أُعطية واحدة..

وكان، عليه الصلاة والسلام، في رمضان يقوم الليل، كما أسلفت، وربما قام الناس معه جماعة، وربما ترك، عليه الصلاة والسلام، الجماعة وصلَّى وحده، ولذلك أتى عمر رضي الله عنه فجمع الناس في صلاة التراويح.

والصيام من أعظم ما يُربي العبد على الصبر، ومن أعظم ما يقود روحه إلى مولاه تبارك وتعالى.. ولذلك في الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه وأرضاه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلاَّ باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً»**(١).

يوماً واحداً في سبيل الله!

ما معنى في سبيل الله؟

قال أهل العلم: في الغزو في سبيل الله، في مقاتلة الأعداء، أنت مقاتل وأنت صائم، فقولوا لي، بالله، يا أيها الجيل، يا أيها

---

(١) سبق تخريجه.

الأخيار، من منا أكثر من الصيام، وهو ليس في سبيل الله، بل تحت الظل، ومع الماء البارد.. وتحت المشهِّيات، ومع كل ما لذَّ وطاب، صحابة الرسول ﷺ يصومون، والقنا على رؤوسهم، والسيوف تتحاك على آذانهم، والرماح تتشاجر بين وجوههم، ومع ذلك يصومون.

ذكر أهل التراجم عن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه وأرضاه أنه لما حضر معركة مؤتة كان صائماً وهو قائد من قواد معركة مؤتة فحضر المعركة وكان هو القائد الثالث، فلما قُتِل القائدان زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب دعا إلى أخذ الراية، رضي الله عنه وأرضاه، وسبق له قبل سنوات أن بايع في صكٍّ وقَّع عليه محمد، عليه الصلاة والسلام، هذا العقد أتى من رب العالمين، وأملاه سبحانه وتعالى ووقّع عليه رسوله ﷺ على أن السِّلعة الجنة، وعلى أن الثمن أرواح المؤمنين، فكان ابن رواحة من المبايعين، يوم قال للرسول عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله ـ يوم بيعة العقبة ـ ماذا تريد منا؟ قال: «**أن تحموني مما تحمون منه نساءكم وأطفالكم وأموالكم**».

قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «**لكم الجنة**» قال: رَبِحَ البيع لا نقيل ولا نستقيل[١].

والبيِّعان بالخِيار ما لم يتفرَّقا، فإذا تفرَّقا فقد وجب البيع!

فتفرَّق ابن رواحة من هذا المجلس، أو قام على هذا البيع، فلم يكن له حق أن يقيل أو يستقيل، وحضر في مؤتة، وهو صائم، ودعا مع الغروب، والشمس تميل إلى الغروب، وتأذن بالأفول، وهو جائع، وهو في شدَّة الحرب، والسيوف أمامه، والقتلى حوله، فقال: ائتوني بعرق لحم لعلي أسُدُّ به جَوْعتي، فأتوا له بقطعة من اللحم، وهو صائم على فرسه، فنظر إلى الشمس حتى في هذه الساعة الحرِجة،

---

(١) يُنظر المسند للإمام أحمد (٢: ٣٢٢ ـ ٣٢٣) و(٣٣٩ ـ ٣٤٠).

والأرواح تتطاير، والنفوس تسافر، واللحوم تمزق، والرؤوس تضرب في الأرض، يتحرَّى غروب الشمس.

قال: أغربت الشمس؟ قالوا: نعم غربت، فأخذ لقمة وقال: «بسم الله، اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت»، فأتى ليأكلها، وقد دعي ليقود المعركة، ويُسيِّر دفتها، وليدير كؤوس الموت على رؤوس الأعداء، فأكل مضغة فأتى يمضغها، ولكن ما كان لها مذاق، ذهب طعم الطعام، وذهبت لذة الشراب، وذهبت بقية الحياة، ما أصبح للطعام لذة، وما أصبح للشراب معنى. كيف يكون له معنى، وقد قتل زيد، وجعفر، والأحباب والأخيار؟ وقد أصبحت الخيل تدوسهم بالسنابك؟

فلفظها من فمِه، وأخذ جَفنة السيف، فكسرها على ركبته، وقال وهو ينشد نشيد المعركة، وقصيدة الفداء، وأنشودة التضحية:

أقسمت يا نفسي لتنزلنه إن أقسم الناس وشدُّوا الرنَّة
ما لي أراك تكرهين الجنة هل أنت إلا نطفة في شنة؟

ثم خاض غمار المعركة وما أتى عليه الغروب إلا وهو في روضة من رياض الجنة.. ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

رضي الله عنكم يا من رفعتم راية الإسلام على الجوع، ورضي الله عنكم يا من بذلتم الجهد والمشقة وأنتم جَوْعَى في سبيل الله.

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسمك فوق هامات النجوم منارا
كنا جبالاً في الجبال وربما صرنا على موج البحار بحارا
أرواحنا يا رب فوق أكفنا نرجو ثوابك مغنماً وجِوارا
كنا نرى الأصنام من ذهب فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا

لو كان غير المسلمين لحازها   كنزاً وصاغ الحليّ والدينارا

وفي حديث أبي الدرداء قال: سافرنا مع رسول الله ﷺ حتى كنا في أشد الحر، فكان الواحد منا يتقي حرَّ الشمس بكفِّه وما منا صائم إلا رسول الله ﷺ وابن رواحة(١).

فانظر إليه في السفر، وفي القتال، كيف يصوم؟ كيف يتربَّى.

ذكر أهل السير في ترجمة رَوْح بن زمباع وهو أمير أموي أنه مرَّ بالصحراء وهو معتَمِر، وكانت له سُفرة كبيرة فيها لحوم، ودجاج، وفواكه، وخضروات، ومشروبات، ومرطِّبات، فمرَّ بأعرابي، والأعرابيُّ يرعى غنماً، فقال له رَوْحُ بن زمباع: تعال أيها الأعرابي كُلْ معي من الغداء.

فقال الأعرابي: لقد دعاني إلى مأدُبته من هو أكرم منك.

قال: ومَن هذا؟

قال: الله رب العالمين.

قال: بماذا؟

قال: أنا صمتُ، وسوف أفطر له.

قال رَوح: أفطر اليوم، وصم غداً.

فقال الأعرابي: وهل تضمن لي أيامي يا أيها الأمير؟

فبكى الأمير وقال: حفظتَ أيامك، وضيَّعنا أيامنا.

فالعبادة كل العبادة أن تكون في سبيل الله عز وجل، وأن تكون لوجهه، وأن تجد المشقة في سبيله سبحانه وتعالى، حينها لا تجد للتعب في نفسك كُلفة، ولا تجد للجوع ولا للظمأ مشقة..

(١) رواه البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢).

إن كان سَرَّكُمُ ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكُمُ ألم

عاش الصحابة، وعاش السلف الصالح دقائق رمضان توجهاً وجهاداً، وخدمة في سبيل الله، ولذلك كما تعلمون فإن أعظم معارك الإسلام كانت في رمضان، فبَدْرُ كانت في رمضان، وفتح مكة في رمضان، وحطين في رمضان، وعين جالوت في رمضان، ومعارك (لا إله إلا الله) في رمضان.

إذن كانت الانتصارات الرائعة في هذا الشهر يوم نزل القرآن فيه ليحيي الأمة الميتة، الأمة التي ما عرفت إلا التقاتل على موارد الشياه والإبل والبقر، الأمة التي ما عرفت الحضارة، ولا الثقافة، الأمة التي بقيت في الجهل آلاف السنوات.

نزل القرآن ليقول لها استفيقي، انظري إلى السماء، أنقذي البشرية بلا إله إلا الله، ولا يردها إلى الله، إلا القرآن، ورمضان، ولا تقبل على الله إلا بالقرآن ورمضان.

فيا أيها الأخيار، يا من شابت لحيته في الإسلام: هذا شهرك، وكأنه الأخير من شهورك، فاجعله خاتمة مطافك مع الله، ويا أيها الشباب الذي أقبل تائباً إلى الله، هذا كأنه شهرك شهر التوبة، والإقبال، فاغتنمه إلى الله، ويا أيها المسيء، الذي أكثر من العصيان، اليوم فرصتك الذهبية، ويومك الثمين، وعيد ميلادك يوم أن تولد في التوبة ميلاداً ثانياً، لأن الكافر يموت مرتين، والمؤمن يحيا مرتين.

الكافر يموت يوم أن يكتب الله عليه الميتة، ويموت قبلها يوم أن تموت روحه عن لا إله إلا الله، وتموت نفسه عن مبادىء لا إله إلا الله، ويموت ضميره عن لا إله إلا الله.

والمؤمن يولد ميلادين، ويحيا حياتين: الحياة الأولى يوم أن تحيا

بالإسلام، ويوم أن يتوب الله عليك، فإن كثيراً من الناس أحياء وليسوا بأحياء، يأكلون ويشربون ولكنهم ليسوا بأحياء.

الحياة أن يسافر قلبك إلى الله، والحياة أن تعيش مع الله، والحياة أن تقضي عمرك في عبادة الله.

قال سبحانه: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والحياة الثانية يوم أن تأتي بك أمك فتقع على الأرض وأنت على الفطرة.

ولدتك أمك باكياً مستصرخاً والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمل لنفسك أن تكونَ إذا بكَوْا في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

أقبل رمضان، فرحِّبوا بهذا الشهر الكريم، وأعيدوا معي:

مرحباً أهلاً وسهلاً بالصيام يا حبيباً زارنا في كل عام..

وأسأل الله عز وجل أن يتقبَّل منَّا صالح الأعمال، وأن يتجاوز عنا سيئاتها، وأن يجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم، وأن يجعلنا ممن مَنَّ عليهم بالتوبة، وممن جعلهم من وُرَّاث الجنة، وممن تاب عليهم بهذا الشهر، وممن ختم لهم بحسن، وممن صامه وقامه إيماناً واحتساباً..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

كيف يصوم القلب؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]. وهداية القلب أساس كل هداية، ومبدأ كل توفيق، وأصل كل عمر، ورأس كل فعل.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«ألا وإنّ في الجسدِ مُضغةً إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب»**[1].

فصلاح قلبك سعادتك في الدنيا والآخرة، وفساده هلاك محقّق لا يعلم مداه إلا الله عز وجل، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] ولكل مخلوق قلب، ولكنهما قلبان، قلبٌ حيٌّ نابضٌ بالنور، مشرق بالإيمان، ممتلىء باليقين، عامر بالتقوى، وقلب ميّت، مندثرٌ، سقيمٌ فيه كل خراب ودمار.

يقول سبحانه وتعالى عن قلوب المعرِضين اللاهين: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة: ٨٨]، وقال سبحانه:

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وقال عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥].

فالقلوب تمرض ويطبع عليها، وتُقفل وتموت.

إن قلوب أعداء الله عز وجل معهم في صدورهم، ولكن لهم قلوب لا يفقهون بها، لذلك كان يقول ﷺ كما صحَّ عنه: **«يا مُقلِّب القلوب ثبِّتْ قلبي على دينكَ»**[1].

قلب المؤمن يصوم في رمضان وغيره، وصيام القلب يكون بتفريغه من المادة الفاسدة من شركيات مهلكة، ومن اعتقاد باطل، ومن وساوس سيئة، ومن نوايا خبيثة، ومن خَطَرات موحشة.

قلب المؤمن عامر بحبِّ الله، يعرف ربه بأسمائه وصفاته، كما وصف سبحانه وتعالى نفسه، فهذا القلب يطالع بعين البصيرة سطور الأسماء والصفات، وصفحات صنع الله في الكائنات، ودفاتر إبداع الله في المخلوقات.

وكِتَابُ الفَضَاءِ أقْرَأُ فيهِ صوراً ما قرأتُها في كِتابِ

قلب المؤمن فيه نورٌ وهّاجٌ لا تبقى معه ظلمة، نور الرسالة الخالدة، والتعاليم السماوية، والتشريع الرباني، يُضاف هذا إلى نور الفطرة التي فطر الله عليها العبد، فيجتمع نوران عظيمان، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

قلب المؤمن يزهر كالمصباح، ويضيء كالشمس، ويلمع كالفجر،

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢)، والنسائي كما في التحفة (٩/ ٦١)، وابن ماجه (١٩٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢١٩)، والحاكم (١/ ٥٢٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٨٩) من حديث النواس بن سمعان، وصححه البوصيري والحاكم والذهبي وفي الباب: عن عائشة، وأنس، وأم سلمة، وسبرة بن الفاكه، وأبي هريرة.

يزداد قلب المؤمن من سماع الآيات إيماناً، ومن التفكر يقيناً، ومن الاعتبار هداية.

قلب المؤمن يصومُ عن الكبْر لأنهُ يفطّر القلب، فلا يسكن الكبْر قلب المؤمن لأنه الحرام، والكبْر خيمته ورواقه ومنزله في القلب، فإذا سكن الكبْر في القلب أصبح صاحب هذا القلب مريضاً سفيهاً، وسقيماً أحمق، ومعتوهاً لعّاباً.

يقول سبحانه كما في صحيح الحديث القدسي: **«الكِبْرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري، من نازعَني فيهما عذَّبته»**[(١)].

وقلب المؤمن يصوم عن العُجب، والعُجب تصور الإنسان كمال نفسه، وأنه أفضل من غيره، وأن عنده من المحاسن ما ليس عند الآخرين، وهذا هو الهلاك بعينه. صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«ثلاثٌ مهلكاتٌ: إعجابُ المرءِ بنفسه، وشُحٌّ مطاعٌ، وهوىً مُتّبعٌ»**[(٢)].

ودواء هذا العجب النظر إلى عيب النفس، وكثرة التقصير، وآلاف السيئات والخطايا التي فعلها العبد، واقترفها ثم نسيها، وعِلْمُها عند ربي في كتاب لا يَضِلُّ ربي ولا يَنْسى.

وقلب المؤمن يصوم عن الحسد، لأن الحسد يحبط الأعمال الصالحة، ويطفىء نور القلب، ويُعطّل سيره إلى الله تعالى.

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٢/٣٧٦). وأبو داود (٤٠٩٠).

(٢) حسن، رواه البزّار كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (١ : ٩١) وذكر أن في السند محمد بن عون الخراساني، وهو ضعيف جداً.
ورواه العقيلي، وأبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم»، وأبو مسلم الكاتب في «الأمالي»، وأبو نُعَيم في «الحلية»، والهروي في «ذم الكلام»، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٠٢).

يقول سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

ويقول ﷺ: «**لا تحاسدُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا تَناجشُوا، ولا يبغ بعضُكم على بيع بعضٍ**»[١].

أخبر ﷺ ثلاث مرات عن رجل من أصحابه أنه من أهل الجنة، فلما سُئل ذاك الرجل بمَ تدخل الجنة؟ قال: لا أنام وفي قلبي حسدٌ أو حقدٌ أو غشٌّ على مسلم. فهل من قلب يصوم صيام العارفين:

صيام العَارفينَ له حنينٌ   إلى الرّحمنِ ربّ العالمينا
تصومُ قلُوبُهم في كلِّ وقتٍ   وبالأسْحارِ هم يَسْتغفرونا

اللهم اهدِ قلوبنا إلى صراطك المستقيم، وثبّتها على الإيمان يا رب العالمين.

(١) رواه البخاري (٦٠٦٤). ومسلم (٢٥٥٩ ـ ٢٥٦٣).

كيف يصوم اللسان؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد:

للّسان صيامٌ خاصٌ يعرفه الذين هم عن اللّغو مُعرضون، وصيام اللسان دائم في رمضان، وفي غير رمضان، ولكن اللسان في رمضان يتهذب ويتأدّب.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال لمعاذ رضي الله عنه: «**كُفَّ عليك هذا وأشار إلى لسانه**» فقال معاذ: أوَ إنا لمؤاخذون بما نتكلَّم به يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**ثَكِلتْكَ أمُّك يا معاذُ، وهل يَكُب الناس في النّار على وجوههم إلاّ حصائدُ ألسِنَتِهِم**»[(١)].

ضرر اللسان عظيم وخطره جسيم.

اللسان سبع ضار، وثعبان ينهش، ونار تتلهَّبُ.

لسانُكَ لا تذْكُر به عورة امرئٍ فكلُّكَ عوراتٌ وللنّاسِ ألسُنُ

هذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول للسانه: يا لسان قُلْ خيراً تَغْنمْ أو اسكُت عن شرٍّ تسلم. رحم الله مسلماً حبس لسانه عِن الخَنَا، وقيَّده عن الغيبة، ومنعه من اللّغو، وحبسه عن الحرام.

(١) صحيح، سبق تخريجه.

رحم الله من حاسب ألفاظه، ورعى ألحاظه، وأدَّب منطقه، ووزن كلامه.

يقول تبارك اسمه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، فكل لفظة محفوظة، وكل كلمة محسوبة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«من يَضْمَنْ لي ما بين لحيَيْهِ وما بين فَخْذَيْه أضمن له الجنةَ»**[١].

احذرْ لسانَك أيها الإنسانُ لا يلْدغنّكَ إنه ثُعبانُ
والله إنَّ الموت زلةُ لفظةٍ فيها الهلاكُ وكلُّها خُسرانُ

لما تأدَّب السلف الصالح بأدب الكتاب والسنة، وزنوا ألفاظهم واحترموا كلامهم، فكان نطقهم ذكراً، ونظرهم عبراً، وصمتهم فكراً.

ولمّا خاف الأبرار من لقاء الواحد القهار، أعملوا الألسنة في ذكره وشكره، وكفُّوا عن الخَنَا والبذاء والهُراءِ.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «والله ما في الأرض أحقُّ بطولِ حبسٍ من لسانٍ». يريد الصّالحون الكلام فيذكرون تبعاته وعقوباته ونتائجه فيصمتون.

كيف يصوم من أطلق للسانه العنان؟ كيف يصوم من لعب به لسانه وخدعه كلامه وغرَّه منطقه؟ كيف يصوم من كذب واغتاب، وأكثر الشتم والسُّباب ونسي يوم الحساب؟ كيف يصوم من شهد الزور ولم يكفَّ عن المسلمين الشرور؟

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«المسلمُ من سلمَ المسلمون من لسانه**

(١) رواه البخاري (٦٤٧٤).

ويدهِ»[(١)]. وهل الإسلام إلا عمل وتطبيق، ومنهج وانقياد، وسلوك وامتثال.

يقول جلَّ اسمه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٣]، والتي هي أحسن هي اللفظ المؤدب الجميل البديع الذي لا يجرح هيئةً، ولا شخصاً، ولا عِرْضَ مسلم، ولا ينال من كرامة المؤمن.

يقول عزّ من قائل: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

كم من صائم أفسد صومه يوم فسد لسانه، وساء منطقه، واختلَّ لفظه؟

ليس المقصود من الصيام: الجوع والظمأ، بل التهذيب والتأديب.

في اللسان أكثر من عشرة أمراض إذا لم يُتحكَّم فيه.

من عيوبه: الكذب، والغيبة، والنميمة، والبذاء، والسبّ، والفُحش، والزُّور، واللّعن، والسخرية، والاستهزاء، وغيرها.

ربَّ كلمة هوى بها صاحبها في النار على وجهه، أطلقها بلا عنان، وسرَّحها بلا زمام، وأرسلها بلا خِطام.

اللسان طريق للخير، وسبيل للشر، فيا لقرّة عين من ذكر الله به واستغفر، وحمد، وسبّح، وشكر، وتاب. ويا لخيبة من هتك به الأعراض، وجرح به الحرمات، وثلم به القيم.

يا أيها الصائمون، رطبوا ألسنتكم بالذكر، وهذّبوها بالتقوى، وطهّروها من المعاصي.

اللهم إنا نسألك ألسنةً صادقة، وقلوباً سليمة، وأخلاقاً مستقيمة.

---

(١) رواه البخاري (١٠ ـ ٦٤٨٤)، ومسلم (٤١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

كيف تصوم العين؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلىٰ آله وصحبه وبعد:

وللعين أيضاً صيام، وأي صيام!

صيام العين: غضُّها عن الحرام، وإغماضُها عن الفحشاء، وإغلاقها عن المناهي.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

العين منفذ للقلب وباب للروح، فإما أن يدخل منه على الخيرات، أو الطيبات، أو يعذبه على المنكرات.

وأنا الذي جلبَ المنيةَ طرفُهُ فَمن المُطالبُ والقتيلُ القاتلُ

قال رسول الله ﷺ: «**غُضّ البصر**»[١].

من لم يحبس نظره أصيب بأربع مصائب:

أولها: تشتت القلب في كل واد، وتمزقه في كل أرضٍ، فلا يقرُّ

(١) رواه البخاري (٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٢١) من حديث أبي سعيد الخدري.

له قرار، ولا يهدأ له بال، ولا يجتمع له شمل، فهو مطعون يئن ويشكو من فعل العين بسبب نظراتها وتلفتاتها.

ثانيها: إتعاب النفس وتعذيبها بفقد ما نظرت إليه وعدم تحصيله، فالنفس من فعل العين في حسرة وفي همٍّ واضطراب.

وكنت متى أرسلت طرْفكَ رائداً إلى كلِّ عين أتعبتْكَ المناظِرُ
أصَبْتَ الذي لا كلّه أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضِهِ أنتَ صابرُ

ثالثها: ذهاب العبادة، وحلاوة الطاعة، بإطلاق النظر.

ولا يجدْ ذوقَ الإيمان واليقين إلا من غضّ بصره، وأطبق أجفان عينيه.

رابعها: ذنب عظيم، وإثم كبير جزاءً وفاقاً لما فعلت العين بالأعراض، ولما هتكت من المحارم، وما وقع ساقط في الفاحشة إلا بعد إطلاق النظر، وضياع البصر، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

وجزاء من غضَّ بصره عن الحرام أن يبدله الله تعالى إيماناً يجد حلاوته في صدره.

قالوا عن العين: هي رائد إذا أُرسل صادَ، وإذا انقيدَ انقادَ، وإذا أُطلق وقع بالقلب الفساد.

وقالوا عن العين: إذا أفلت حبلها أوبقتك، وإذا أطلقت قيدها عذَّبتك.

قال شاه الكرماني: من غضَّ بصره عن الحرام وعَمَر باطنه بالتقوى، وظاهره باتباع السنة، لم تخطىء له فراسة. وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾ [الحجر: ٧٥].

في غض البصر وحبس العين خمس كرامات ومنافع:

أولها: طاعة المولى جلَّت قدرته في أمره بغض البصر، وحسبك بهذه نعمة وعزة في الدنيا والآخرة.

ثانيها: سلامة القلب، وعماره، وجمع شمله، وراحته، واطمئنانه وسروره، وفرحه.

ثالثها: البعد عن الفتن، والأمان من البلايا، والتحرُّز من الخطايا.

رابعها: الفتح على العبد من الله تعالى بالعلم، والمعرفة، والتوفيق، والسداد جزاء تقواه.

خامسها: فُرقان من الله تعالى في قلوب العارفين، ونور من الباري في نفوس الصادقين يعطيه تبارك اسمه لمن غضَّ بصره.

إذا دخل رمضان طلب من العين أن تصوم طاعة للحي القيوم، فكم للجوع من فضل على العين.

جَزَى الله المَسِيرَ إليك خيراً وإنْ تركَ المطَايَا كالمزادِ

الجوع يكسر جموح العين، ويحبس خطاها، ويقيِّد مداها.

الجوع يضعف شهوة النظر، ويطفىء حرارة البصر.

لما أطلق العابثون أبصارهم، وطفحُوا بأعينهم، وقعُوا في براثن المعصية، وفي أحابيل الفاحشة.

ومن الناس من يصوم بطنه عن الشراب والطعام، وترتع عينه في خمائل الحرام، فهذا الصائم ما عرف حقيقة الصيام.

فلتصم عيوننا، يا عباد الله، عن الحرام كما صمنا عن الشراب والطعام، لعلّ قلوبنا أن تَصِحَّ وأرواحنا أن ترتاح.

قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان: ١٢ ـ ١٣].

سلام على من صامت عيناه لمرضاة ربه ورحمة الله وبركاته.

كيف تصوم الأذن؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

يقول عزَّ مِن قائل: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

الأذن مسؤولة أمام الله عز وجل عمَّا استمعت إليه، والصالحون هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويا لندامة من صرف سمعه عن الهدى، وأغلق أذنه عن صوت الحق.

الأذن تصوم عن سماع الخنا، والغناء، وعن الفحش، والبذاء. وللأبرار صيام عظيم عن سماع ما يغضب الله عز وجل في رمضان وغيره.

كثير من البشر عطّلوا ما منَّ الله تعالى عليهم به من أعضاء، يقول عنهم سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

نعم لهم آذانٌ، ولكن لا يسمعون سماع موعظة، وسماع تدبر وفَهم، سماع كثير من الناس كسماع الأنعام تماماً لا ذكرى ولا اعتبار، لا نفع ولا فائدة. قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ

﴿يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

من الناس من ملأ أذنيه من النغمة المحرّمة والكلمة الآثمة، والمجون الأثيم، وحجب عن أذنيه سماع القرآن الكريم، ذلك السماع الشرعي السنيّ النبويّ العظيم.

سماع القرآن الكريم الذي يثمر الإيمان، والهدى، والنور، والفلاح.

سماع القرآن الكريم الذي يملأ القلب حكمة، وسكينة، وأُنساً، وطمأنينة.

سماع القرآن الكريم حرز من الواردات المنحرفة، والوساوس الخطيرة، والخطرات الآثمة.

قوت الأذن: الذكر، والعلم النافع، والموعظة الحسنة، والأدب الجم، ودُرر المعارف ومحاسن القول.

يا أذنُ لا تَسمَعِي غيرَ الهُدى أبداً   إنّ استماعَك للأوزار أوزارُ

عن أبي حاتم بسند جيد أنه ﷺ مرّ على عجوز في المدينة فسمعها تقرأ من وراء بابها ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾﴾ [الغاشية: ١] وهي ترددها وتبكي، فأخذ ﷺ يسمع لقراءتها ويردّد: **«نعم أتاني نعم أتاني»**(١).

مدح الله قوماً بجودة السماع، وحسن الاستماع فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

فهؤلاء استفادوا أعظم فائدة، واستمعوا أحسن سماع.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤:٥٣٦)، [أو ٤:٥٠٢ من طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ، المصوّرة].

آذان الصائمين عاكفة على سماع الجميل، وآذان اللاهين مصغية للباطل الدخيل:

لا تَستمِعْ إلاّ لقولٍ صادقٍ يُغْنِيك عن خَطَلٍ من الأقوالِ
فالأذنُ نافذةُ العلومِ وخَيرُهَا أذنٌ وعتْ ذكراً تلاهُ التَّالي

إذا سمحت أذنُ المسلم للكلمة الآثمة بالدخول أخربتْ بيت القلب، وهدَّمت قصرَ الإرادة، وأفسدت بستان المعارف.

انظر إلى صنفين، وفريقين، وطائفتين، وصفهما رب العزة فقال:

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥].

سماع الحق يزيد القلب ثباتاً على الحق، وسماع الباطل يورث في القلب آثار الباطل.

إن من واجب المسلم أن يحمد الله على نعمة السمع، وأن يصرفها في مرضاة ربه تبارك وتعالى فيزداد من سماع القرآن الكريم، ودروس العلم، والمحاضرات النافعة، والحكم البالغة.

وينقذ أذنه من سماع الإثم، والإصغاء إلى الفحش، وكل ما يصد عن سبيل الله، يقول تبارك وتعالى عن عباده الصالحين: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

جعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

كيف يصوم البطن؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فحل الطعام وحُرمته له أثره على حياة الإنسان، وسلوكه، وأخلاقه، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى رسله فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال سبحانه للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

والطيِّبات هي: ما أحلَّه الله عز وجل لعباده المؤمنين على لسان رسول الله ﷺ، فالله يقول عنه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وصيام البطن: اجتنابه للحرام، زيادة عن اجتنابه الطعام والشراب، وكل ما يُفطر في نهار رمضان، لكنه يصوم أيضاً عن الحرام عند إفطاره، فلا يأكل الرِّبا، إذ أنه بأكله الربا يغضب المولى تبارك وتعالى. يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وقال سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

صحّ عنه ﷺ أنه قال: **«لعنَ الله آكل الرِّبا ومُوكله وكاتبه**

وشاهدَيْه» وقال: **«هم سواءٌ»**(١).

آكل الرّبا يضحك على نفسه، يملأ بطنه من الحرام، ويدعو ربه، وقد سدَّ طرق الإجابة وأغلق باب القَبول.

صحَّ عنه ﷺ أنه ذكر الرجل أشعثَ أغبر يُطيل السّفر يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب.. يا رب، ومَطعمُه حرامٌ، ومشربُه حرامٌ، وغُذّي بالحرام، فأنَّى يُستجابُ له(٢). فهذا رجل عابد كثير العبادة، ولكنه آثم في طعامه، غير متّقٍ لله في أكله وشرابه.

كيف يصوم البطن، وقد أفطر على الحرام طعامه الربا والسحت، والغش ومال اليتيم والغصب.

فسدت، والله، الأذواق لمّا فسد الطعام والشراب، قست القلوبُ لمّا خَبُثَ المأكلُ والمشربُ، انطمس النور لما فُقدت اللقمةُ الحلال.

جاء عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أنه تغذى يوماً من الأيام ثم سأل خادمه من أين هذا الطعام؟ قال: من كِهانةٍ كنت أتكهّنُ بها في الجاهلية، فأدخل أبو بكر يده وانتغر فأخرج ما في بطنه من الطعام، فرضي الله عنه ما أصدقه وأطيبه وأطهره.

اللقمة تبقى في بطن صاحبها، ويبقى أثرها من اللحم والدم، وأيما جسد نبت من الحرام فالنَّارُ أولى به.

كان السلف الصالح يعرفون من أين يأكلون، فصفت أذواقهم وصحّت أبدانُهم، وأشرقتْ قلوبهم، فلما فسد طعام المتأخرين، وشرابهم انطمست معالم الهُدى في قلوبهم.

جاء عنه ﷺ أنه قال: **«ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل**

---

(١) رواه مسلم (١٥٩٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٠١٥).

من عمل يده، وإن نبيّ الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده»(١).

فزكريا، عليه السلام، كان نجّاراً، وداود، عليه السلام، كان حدّاداً، ومحمد ﷺ والأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، كانوا يرعون الغنم.

والإسلام يدعو إلى الكسب، وطلب الرزق، لكن من أبوابه المشروعة.

يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقال عزَّ اسمه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وصحّ عنه ﷺ أنه قال: «**لعن الله الراشي والمُرتشي**». ويروى: والرائش(٢).

يقول سبحانه ذامّاً من فسد من اليهود والنصارى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المائدة: ٦٢].

يقصّ بعض أهل العلم خبراً عن نفسه يقول: أنه أكل أكلة من شبهة فتغير قلبه، وأظلم عليه فترة من الزمن، وذلك لصفاء قلوبهم

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٢).

(٢) صحيح، رواه أحمد (٢: ١٦٤)، وأبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢٣١٣) وصححه ابن حِبّان.

أحسوا بالتغير، أما الكثير اليوم فيأكل ما أراد من الحرام فلا يرى تغير قلبه لأنه:

مَن يَهُنْ يَسْهُلُ الهَوَانُ عليه ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

وتناول بعضهم الخمر والمسكر بأنواعه فحُرِمَ لذّة العبادة وحلاوة الطاعة، وعاش منغَّصاً قلقاً محروماً من السعادة ومن ساعة الإجابة.

فيا أيها الصائم، هناك صيامُ البطن من لم يصمه فكأنه ما صام، فهل من صائم عن الحرام، ورِع في الشراب والطّعام ليدخل دار السلام.

اللهمَّ اجعلنا ممن يحلِّل حلال الشريعة ويحرّم حرامها.

أخطاء يقع فيها بعض الصائمين!!

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

يخطىء كثير من الصائمين في عدم الفقه في دين الله تعالى بما فيه الصيام، فكثير منهم لا يعرف ما يفطّر صومه، ولا ما يجرحهُ، ولا ما يُفسدُه، وماذا يُسنّ للصائم، وماذا يجوز له، وماذا يجب عليه وما يحرُمُ عليه.

وقد جاء عنه ﷺ أنه قال: «**من يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين**»(١)، فكأن الذي لا يتفقَّه في الدِّين، ولا يسأل عن أمور دينه ما أراد الله به خيراً.

يقول سبحانه لعباده: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، وأهل الذكر هم العلماء، فحقٌّ على المسلم الذي يريد أن يعبد الله على بصيرة أن يسأل عما يجهله من أمر دينه، ويبحث عن العلم، ويحرص على الفقه في الدين.

ويقع بعض الصائمين في ذنوب عظيمة تفسد عليهم صيامهم، وتضيّع عليهم قيامهم منها: الغيبة. وقد سبق ذكرها في درس كيف

(١) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

يصوم اللسان؟ ومنها: النميمة، والفحش في القول، والاستهزاء، واللعن، وغيرها من ذنوب اللسان.

ومن الأخطاء: الإسراف في رمضان في موائد الإفطار، والسحور فيُوضَعُ من الطعام ما يكفي الفئام من الناس، ويكثر من الأنواع ويفنن في عرض كل غالٍ، ورخيص من مطعم ومشرب، من حالٍ وحامضٍ، وحلوٍ ومالح، ثم لا يؤكل منه إلا القليل، ويهدر باقيه مع الفضلات، ويرمى مع النِّفَايات، وهذا خلاف هَدْي الإسلام العظيم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

فكل ما زاد على حاجة الإنسان، واستهلاكه فهو إسرافٌ مذمومٌ، ولا يرضى به رب الصائمين، ويندرج تحت قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧]، وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

تصبح الأسواقُ في رمضان مليئة بالمشترين، وكلهم يحمل من الأشربة والأطعمة ما يكفي عشرات الأسر.

هناك أُسر تموت جوعاً، لا تجد فُتات الخبز، تنام في العراء، تفترش الغبراء، وتلتحف السماء، وأُسر هنا أصابتها التُّخمة من كثرة إسرافها وتبجُّحها.

من مقاصد الصيام: استفراغ المواد الفاسدة في المعدة بتقليل الطعام، وكيف يتم ذلك لمن أسرف في طعامه وشرابه، وبذّر في مأكله؟

وكثير من الصائمين قطعوا النهار في نوم، فكأنهم ما صامُوا، منهم من لا يستيقظ إلاّ عند الصلاة، ثم يعود إلى نومه، قطع نهاره بالغفلة وأمضى ليله بالسهر.

فـمـا أَطَـالَ الـنّـومُ عـمـراً ومـا قـصَّـر فـي الأعـمـارِ طـولُ الـسَّـهَـر

الحكمة من الصيام: أن يعيش الصائم لذة الجوع لمرضاة الله، وطعم الظمأ في سبيل الله، والذي جعل النهار نوماً كله لا يجد ذلك.

ومن الصائمين من يلعب ألعاباً أقل أحكامها الكراهة، مثل لعب الورق، والإسراف في لعب الكرة، وكذلك ألعاب يزعمون أنها مسلية تُضيّع الوقت وتُفني الساعات في غير منفعة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠].

ومن الصائمين من يسهر الليل سهراً ضائعاً، لا منفعة فيه، ولا أجر فهم في لهو ولعب وشرود، بينما لا تجد في هذا السهر ركعتين في ظلام الليل.

ومن أشنع أخطاء بعض الصائمين تخلفهم عن صلاة الجماعة لأدنى سبب وأتفه عذر، وهذا من علامات النِّفاق، ومن براهين مرض القُلوب، وموت الأرواح، ومنهم من ليس بينه في رمضان وبين القرآن الكريم صلة أو قربى، يقرأ كثيراً لكن في غير القرآن الكريم، ويطالع كثيراً ولكن في كتب غير كتاب الله عزّ وجلّ.

ومن الصائمين من لا تجود نفسه بصدقة في هذا الشهر العظيم، ولا تَشْرُف مائدته بتفطير بعض الصائمين، فبابه مغلق وكفّه بخيلة، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

ومن الصائمين من ترك صلاة التراويح وتكاسل عنها، ولسان حاله يقول: تكفيني الفريضة، وهو لا يكتفي من الدنيا بالقليل، بل يحرص على الكماليات منها حرصه على الضروريات.

ولَوْ قد جئتَ يومَ الحشر فرداً   وأبْصَرْتَ المنازلَ فيه شَتَّى
لأعْظَمتَ الندامةَ فيه غبناً   على ما في حياتِكَ قد أضعتا

ومن الصائمين من أتعب أهله بتكلف صُنع كثير من الأطعمة والأشربة حتى أشغلهم عن القرآن الكريم والسنّة، وعن ذكر الله والعبادة، ولو اقتصر على الضروري لوجد أهله وقتاً واسعاً للتزوُّد من طاعة الله عزّ وجلّ.

اللهمَّ زدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنَّا وسامحنا واعف عنا.

أسرار الصيام

الحمد لله، الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكوراً.

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين.

أما بعدُ عبادَ الله: فإن للصيام أسراراً ومقاصد، لا يعلمها إلا من عاش الصيام بحرارة وعاشه بإقبال وتقبل.

أول هذه الأسرار: أنه مُعِين وطريق إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، ولذلك ختم الله الآية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، ولم يقل لعلكم تتدبرون، أو تتذكرون، أو تشكرون، وإنما تتقون.

ولذلك ورد في السنة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه له وجاء**»(١). ومعنى ذلك أنه مُعين على تقوى الله،

(١) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠).

والنفس تنكسر بالجوع، فتسلك سبيلها إلى ربها سبحانه وتعالى.

السر الثاني: أن فيه تذكيراً بأهل الجوع من المصابين بداء الفقر المُدْقِع الذي ما علم عنه المترفون والأغنياء، فإن من يعش على اللحم والفواكه والخضروات دائماً وأبداً، صباحاً ومساءً، لا يدري أن هناك من يعيش الجوع الحار صباحاً ومساءً.. فأراد الله أن يخبرهم أن هناك إخواناً لهم ينامون على التراب ويتلحَّفون السماء ولا يجدون كسرة الخبز، ولسان الحال يقول لهم: إن كنتم تجوعون شهراً واحداً، فالناس غيركم يجوعون شهوراً.

السر الثالث: أن فيه تفرغاً للعبادة، فإنَّ النفس إذا أكلت وشبعت ورويت تثبطت إلى الطين وهاجرت إلى التراب، وإذا جاعت وظمئت سافرت إلى الحي القيوم سبحانه وتعالى.

ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يواصل الليل بالنهار صائماً، فيريد الصحابة أن يواصلوا، فيقول: «**إني لست كهيئتكم إني أبيت يُطعمني ربي ويسقيني**»[(١)].

قال ابن القيم[(٢)]: طعام ليس بحسِّيٍّ، وشراب ليس بحسيٍّ، وإنما معناه ما يفيض الله عليه من الأشواق، ومن لذة المناجاة، ومن أبواب المعارف، ومن الدعاء، ومن القُرب، فيأتي السرور، هذا يحل مكان الطعام والشراب.

والعرب في جاهليتها كانت تستغني بالسرور أو بالفرح عن كثير من الطعام والشراب، حتى يقول الأول:

طفحَ السرور عليَّ حتى إنني ... من عُظْم ما قد سرَّني أبكاني

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «زاد المعاد» (٢: ٣١).

فكان عليه الصلاة والسلام يستعيض بتلاوة القرآن، وبالدعاء لمولاه، وبالقُرب منه عن كثير من الطعام والشراب، فإن أقوات الروح هي المعاني، وأقوات الأجسام هي الطعام والشراب.

ولذلك يقول الأندلسي لابنه:

فقوت الروح أرواح المعاني وليس بأن طعِمْتَ ولا شربت

فالرسول ﷺ يعيش رمضان تلهفاً وحباً وسروراً لمولاه أن وفَّقه لهذا الشهر، وأن المنية لم تأته قبل أن يصوم الشهر، فصامه وقامه.

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزادِ
لها بذكرك نورٌ تستضيء به ومن حديثك في أعقابها حادِ
إذا تشكَّت كِلال الشوق أسعفها روح القدوم فتحيا عند ميعادِ

ظواهر في رمضان

والظاهرة عند كثير من الناس اليوم في شهر رمضان ظاهرة تكمن في ثلاثة أمور، وهي مخالفة، أو فيها شيء من الخطأ توجد عند كثير من الناس إلا من رحم الله:

أولها: أن كثيراً منهم لا يعرفون الله إلا في رمضان، يسيئون ويعصون، ويتولون ويشردون عن الله سبحانه وتعالى، أحد عشر شهراً، يبتعدون عن تلاوة القرآن، ويرتكبون المخالفات والمعاصي، فإذا سمعوا بأن شهر رمضان قد أقبل أقبلوا إلى المساجد، وتمسكنوا وخشعوا وذلوا وكأنهم يخادعون الله.

أليس رب رمضان هو رب شوال وشعبان؟! أليس الذي يعلم السر وأخفى في رمضان هو الذي يعلم السر وأخفى في غير رمضان؟! ثم إذا تولى رمضان ولبسوا ثياب العيد، عادوا إلى المهاجرة ومقاطعة رب العالمين، وعادوا إلى حالتهم الأولى، وهذا فيه شبه من بني إسرائيل، فإنهم كانوا تحت السوط يخضعون ويخافون، وإذا أغدق عليهم بالنعم تكبروا وبطروا وتجبروا.. فالله الله يا عباد الله، لا تكن معرفتنا بالله في رمضان، فإذا انتهى رمضان تنكرنا للواحد الديّان.

فتباً لمن ظنّ أن الله لا يعرفه إلا في رمضان، وسحقاً سحقاً لمن ظنّ أن الله لا يعلم السر إلا في رمضان، فما هذا المفهوم الخاطىء.

الأمر الثاني: أن كثيراً من الناس إذا أقبل رمضان، حرصوا على صلاة التراويح تراهم ينصبّون من القرى، وينسكبون من الأحياء للجوامع يصلون فيها صلاة التراويح، وإذا ذهب رمضان تركوا الجماعة في المسجد.

وصلاة التراويح نافلة من النوافل، وثوابها عظيم لمن صلاها، لكن أين الفريضة، وصلاة الجماعة؟ التي قال عنها أهل العلم أنها واجبة، بل رأى بعضهم أنها شرط في صحة الإسلام لمن لا عذر له.. وصلاة واحدة في فريضة أفضل من قيام أو تراويح ثلاثين ليلة في شهر رمضان.

فانظر إلى هذا الفهم، وهذا الفقه، يوم يأتي أحدهم فيحرص على التراويح ولكنه لا يصلي الصلاة في جماعة إذا تولى رمضان!

الأمر الثالث: أن كثيراً من الناس ينامون كلَّ اليوم أو أكثر اليوم. فهو نائم من الصباح إلى الظهر، ومن الظهر إلى العصر، ومنهم من ينام من العصر إلى الغروب.. فأين التلذذ بالصيام؟ وأين حرارة الجوع؟ وأين مشقة الظمأ؟

إذا كنت نائماً كأنك في الليل ما كأنك صمت، وأين المعاني الإيمانية في رمضان، إذا كان الليل كله سمراً في اللهو واللغو والنهار نوماً، فأين مفهوم رمضان؟

إذن أصبحت الأشهر الأخرى أحسن في حق هذا من رمضان، فإنه يكون معبس الوجه مع الغروب ليأكل ويشرب، ويسمع ويتمتع، ثم إذا أتى اليوم الثاني تلفف بردائه ونام في فراشه، فبقي في غيبوبة حتى الغروب، وما هذا من معاني الصيام؟!

لا بد من نوم في النهار، لكن لا يَطُول، لأن المقصود من الصيام أن تعيش أحداث الصيام، وساعات الصيام، وجوع الصيام،

وظمأ الصيام، وتتعلم كيف تصفو روحك، وكيف ينبل قلبك لينقذك الله من النار.

لا نقول النوم حرام، ولكن خلاف الأولى، وليس بهدي الصالحين أن ينام النهار، فالأفضل أن ينام من الليل، وخاصة إذا علم أن في سهره ضياعاً لعمره ووقته الثمين وأن يأخذ وقت النهار فيما يقربه عند الله الحي القيوم.

واجبنا في الصيام

علينا في الصيام واجبات أسردها لكم، فإنكم سوف تبنون عليها ما بأذهانكم من معان نحو صيام هذا الشهر المبارك العظيم.

١ ـ أن ندرك أنَّ اللّهَ أراد أن يمتحِنَ إيمانتا به سبحانه وتعالى. يريد سبحانه وتعالى أن نصدق معه أم لا؟ ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].. يعلم الصادق في الصيام وفي غير الصيام، من الكاذب في الصيام وفي غير الصيام.. ولذلك في الحديث القُدسي الذي رواه الشيخان عنه ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي**»[(١)]، أي أنه سرٌّ بينك وبين الله، بإمكانك أن تأكل ولا يراك أحد وأنت صائم، بإمكانك أن تشرب ولا يراك أحد إلا الله وأنت صائم، بإمكانك أن تستتر بالحيطان، تدخل بعض الغرف وتغلق على نفسك، فتأكل ما أردت، وتشرب ما أردت، فلا يراك أبوك، ولا أمك، ولا جيرانك، ولا إخوانك، ولكن يراك رب الناس، الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين.. فالصيام سرٌّ بينك وبين الحي القيوم.

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١٦٣) من كتاب الصيام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الصلاة بينك وبين الله، فيراك الناس لأنك تصلي جماعة والحج كذلك، لكن الصيام سرٌّ من الأسرار لا يطَّلع على عملك إلا الله، فيا إخوتي فلندرك هذا السر ونعلم أنه لا رقيب ولا حسيب ولا شهيد إلا الله عز وجل.

٢ ـ أن نصوم بنيَّة، فإنه لا أجر لمن لا نية له، بعض الناس يفعل العبادات أو الصلاة أو الصيام على عادة آبائه، يصوم لأن الناس صاموا، ويحج لأن الناس حجوا، ويزكِّي لأن الناس يزكُّون، هذا تقليد لا ينبغي في العبودية لله عز وجل، لا بد أن تصوم لله رضاء منك بهذه الشعيرة التعبدية من الله عز وجل، فلا بد من استحضار النية، في الصيام.

إذا أتيت تفطر من الغروب تنوي بفطرك أنك قد قدمت يوماً من أيام الله الزاهية العظيمة في حياتك وأنك قد صمت لله، فتقول: «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فتقبَّل مني إنك أنت السميع العليم».

وتنوي بطعامك هذا القوة على طاعة الله، وتنوي إذا تسحَّرت أنك تستعين به على صيام النهار وأنك تستغفر عند السحور لله سبحانه وتعالى، وأنك سوف تصوم يوماً جديداً، وتنوي بصلاة التراويح مع المسلمين بعد الفرائض أن تقدمها لله عز وجل، لا لتُمدَح من الناس، لا رِياء ولا سُمعة، فإن من أشرك مع الله شيئاً تركه سبحانه وتعالى وشركه.

٣ ـ ألا نُقطِّع يومنا الطويل في النوم، فإن بعض الناس إذا دخل يوم رمضان جعل النهار كله نوماً فلا يشعر بالصيام ولا بلذة الصيام ولا بحرارة الجوع، ولا بحرارة الظمأ، فأين سر الصيام إذن.. ينام من الصباح إلى الظهر ومن الظهر إلى العصر، ومن العصر إلى قبيل الغروب، فأين إذن سر الصيام، وأين إذن عبودية الصيام؟ ثم يجعل الليل كله قياماً فيما لا يرضي الله عز وجل.

فلا ينبغي جعل النهار كله للنوم، والليل كله للضياع والجلسات التي لا تغني، لأن بعض الناس إذا أتى الليل صرفه في الجلسات التي لا ترضي الله عز وجل في المقاهي، وفي المنتديات، وفي المُتَنَزَّهات مع جلساء السوء، وفي الإتيان ببعض الأمور التي تضيِّع الوقت، وتصرف الوقت، وتصد عن ذكر الله عز وجل.

٤ ـ كثرة قراءة القرآن، هذا هو شهر القرآن الذي أُنزل فيه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، كان الإمام مالك رحمه الله إذا دخل عليه شهر رمضان، أغلق على كتبه، وأخذ المصحف، ومنع الفتوى، والمساءلة مع الناس، وقال: هذا هو شهر رمضان، هذا هو شهر القرآن، فيمكث في المسجد حتى ينسلخ شهر رمضان.

وكان الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، الزاهد العابد العالم إمام أهل السنة إذا دخل شهر رمضان، دخل المسجد، ومكث فيه، يستغفر ويسبِّح، وكلما انتقض وضوؤه عاد فجدَّده، فلا يعود لبيته إلا لأمر ضروري من أكل أو نوم أو شرب، هكذا حتى ينسلخ شهر رمضان، ثم يقول للناس: هذا هو الشهر المكفِّر فلا نريد أن نلحق به الأشهر الأخرى في المعاصي والخطايا والذنوب.

فمن آداب هذا الشهر ومن سنن هذا الشهر: كثرة قراءة القرآن، لأنكم أنتم أهل القرآن، وإذا لم تقرأوا القرآن أنتم فمن يقرأ القرآن يا ترى؟ أتنتظرون من غيركم أن يقرأ القرآن، وأنتم لا تقرأونه بكثرة كاثرة ولا بتدبر؟ لا، فأنتم أهل القرآن، ولا يمكن أن نستقيم ولا أن نهتدي إلا بالقرآن ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

أمور تتطلبها رسالة القرآن

إخواني: إن رسالة القرآن تتطلب منا أموراً ثلاثة:

الأول: أن نقرأ هذا الكتاب العظيم وأن نتلقَّاه على أنه كلام الله عز وجل، فنشعر بجلال ورهبة عندما نقرؤه، ونحفظ منه مع القراءة ما استطعنا، فإن القلب أو الصدر الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخَرِب، بيت خَرِب تعشعِش فيه الحيَّات، والعقارب، والغربان، والبوم.. كذلك الصدر الذي ليس فيه شيء من القرآن يعشعِش فيه الغناء، والأفكار السيئة، والكلام الفاحش البذيء، وهذه الخزعبلات، وهذه التُرَّهات التي لا تُرضي الحي القيوم.. فالواجب أن نحفظ ما استطعنا منه، ونستغل هذا العمر فيما يقرِّبنا أو ما يجعلنا قريبين من هذا القرآن العظيم.

الأمر الثاني: أن نعمل به، وهذا هو سرُّ القرآن، وهذا هو المقصود بالقرآن، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: والله ما جلس جالس مع القرآن إلا قام بزيادة أو نقص: إما أن تقوم بزيادة إيمان ويقين، وإما.. نسأل الله العافية يقوم من يقرؤه بنقص، لأن القرآن يأمر ببرِّ الوالدين ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] فيقرأ هذا القارىء وهو عاق لوالديه فيلعنه القرآن، ويأمر القرآن بحسن الخلق، وبعدم الكذب، فيكذب هذا القارىء للقرآن، والله

يقول: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] فيلعنه القرآن، ويأمر القرآن بصلة الأرحام يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣].. فيقطع هذا القارىء أرحامه فيلعنه القرآن، فأي علم إذن؟ وأي فائدة في هذه التلاوة إذا لم نطبِّق تعاليم الله عز وجل؟ ولذلك يقول السلف: يأتي القرآن يوم القيامة إما شافع مقبول، وإما شاهد يدحض صاحبه إلى النار، إما أن يقودك القرآن إلى الجنة فتدخل في رحمة الله، وإما أن يأخذك إلى النار نعوذ بالله من النار.. يقول عليه الصلاة والسلام: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**اقرأوا القرآن فإن كل حرف بحسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»(٢)، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**يقال لصاحب القرآن يوم القيامة** ـ أي في الجنة ـ **اقرأ وارتق، ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها من القرآن**»(٣)، فحافظ الجزء الواحد يرتقي في سُلَّم الجنة وفي درجاتها بحسب الجزء، وحافظ الجزأين بحسب الجزأين والثلاثة بالثلاثة وهكذا حتى يأتي صاحب القرآن فيرتقي ويصبح كأنه كوكب دُرِّي.. ولذلك أعظم ما أثر

---

(١) رواه مسلم (٨٠٤).

(٢) صحيح، أخرجه البخاري في «التاريخ» (٢١٦/١)، والترمذي (٢٩١٠)، والحاكم (٥٦٦/١)، والبيهقي في «الشعب» (١٨٣١). من طرق من حديث ابن مسعود به.
قال أبو القاسم الغافقي في «لمحات الأنوار» (١١٥/١): وهذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) صحيح، أخرجه أحمد (١٩٢/٢)، وابن أبي شيبة (٤٩٨/١٠)، والترمذي (٢٩١٤)، وأبو داود (١٤٦٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٥٦)، والحاكم (٥٥٢/١) من طرق كثيرة من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وقال الذهبي: صحيح.

في سيرته ﷺ أو في حياته أو في دعوته أنه جعل القرآن منهجه، كان لا يرتاح إلا أن يسمع القرآن، يجتمع بالصحابة وشبيبة الصحابة فيقول لأحدهم اقرأ القرآن عليَّ، يقول ذلك لابن مسعود الشاب الذي رفعه الله بالقرآن والذي سجّل اسمه حتى قيام الساعة بسبب انتمائه لهذا الدين، فيقرأ ابن مسعود، ويستمع ﷺ حتى يبلغ ابن مسعود قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، فيبكي ﷺ ويقول: «**حسبك الآن**» فيقول ابن مسعود: نظرتُ فإذا عيناه تذرفان ﷺ[١].

الأمر الثالث: أن ننشره بين الناس لننقذ به أنفسنا من غضب الله، ومن لعنة الله، ومن سخط الله. ونُوَعِّي أهلنا في بيوتنا: الأم مسؤولية في عنقِك، الأب أمانة كذلك يسألك الله سبحانه وتعالى عن إخوانك وجيرانك لأنك أنت الداعية، ومحفل الأجيال محتاج إلى صوتك العالي وإن لم يسمعوك، أنت داعية الأمة لأنك طالب العلم، وأنت مقدَّم الجيل فإذا لم تدع أهل بيتك ولم تنقذهم من غضب الله فمن ينقذهم يا ترى؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

٥ ـ ومن واجباتنا في شهر رمضان أن نجدد توبتنا مع الله الحي القيوم، يقول عليه الصلاة والسلام كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «**رمضان إلى رمضان، والجمعة إلى الجمعة، والصلاة إلى الصلاة، مكفِّرات لما بينهن ما لم يؤتَ كبيرة**»[٢]، فرمضان إلى رمضان يكفر الصغائر التي كنا نقترفها ولا نداوم عليها، لكن الكبائر لا بد لها من توبة، عقوق الوالدين كبيرة لا يكفِّرها الصيام،

---

(١) رواه البخاري (٤٥٨٢). ومسلم (٨٠٠).
(٢) رواه مسلم (٢٣٣).

لأنه لا بد من توبة لها، شرب الخمر كبيرة، السرقة، اللعن، أمور ذكرها ﷺ، هذه الأمور لا يكفِّرها رمضان، ولا الجمعة، ولا الصلاة، وإنما تكفِّرها التوبة، وأما رمضان فيكفر الصغائر التي سوَّدْنا بها صحائفنا، والتي نسأل الله أن لا يؤاخذنا بها وأن يجعلها من المكفِّرات في هذا الشهر.

يقول سبحانه وتعالى لعبده بعد أن يعطيه صحفه: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤]، كل حسنة وسيئة مسجَّلة، علمها عند ربي في كتاب لا يضِل ربي ولا ينسى، فمن واجبنا في هذا الشهر أن نجدد التوبة، من كان منا في إسرافه وفي بُعده مع الله فليستقبل هذا الشهر ولا يفوته هذا الشهر ليعتق الله رقبته من النار، وليقبله الله فيمن قُبِل وليتجاوز عن خطاياه.

٦ ـ ومن واجبنا في هذا الشهر تجديد الأعمال، إن كانت سيئة فنجددها بصالحة، من كان منا عاقّاً لوالديه فليراجع حسابه مع الله، فإنَّ عاقَّ والديه ارتكب أكبر جريمة بعد الشرك بالله عز وجل، ولذلك عاقُّ الوالدين لا تقبل له دعوة، وهو مغضوب عليه لأنه قطع ما بينه وبين الله عز وجل، ومن كان منا مفرِّطاً في وقته ومضيِّعاً لأوقاته فعليه أن يبدأ في تنظيم وقته من الآن، وفي تصحيح مساره في حياته من الآن. يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦].

يقول ﷺ فيما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**نِعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصِّحة والفراغ**»(١)، الصحة في البدن والفراغ في الوقت.

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٢).

ومعنى «**مغبون فيهما**» أي: أنه خاسر مضيع ضال مفرط في هذا الوقت وفي هذه الصِّحة.. تجد كثيراً من شباب الإسلام رزقهم الله الصحة والشباب والفراغ في الوقت، ثم يضيِّعونها في المعاصي، يضيِّعونها في التُّرَّهات، يضيِّعونها في السَّفَه والانحراف والضياع، نسأل الله العافية والسلامة.

وقل لبلال العزم من قلب صادق أرحنا بها إن كنت حقاً مصلِّيا
توضأ بماء التوبة اليوم مخلصاً به تلقَ أبواب الجنان الثمانيا

فأول ما نحافظ عليه في أوقاتنا الصلوات، فهذه لا يردنا عنها رادٌّ، لا امتحان، ولا مذاكرة، ولا استقبال ضيف، ولا سماع كلمة، ولا قراءة كتاب، ولا مطالعة، ولا ذهاب ولا إياب، فمن فعل ذلك فقد خان نفسه أولاً، ثم خان رسالته، ثم خان دينه، ثم خان أمته.

يقول بعض أهل العلم وهو يتكلم عما يصاب به الشباب في أخلاقهم وفي دينهم، قال: قد يصابون بسبب أنهم لا يعتقدون أن الهداية في دين الإسلام.

كثير من الناس الآن يظن ظناً أن في الإسلام هداية، لكنه لا يعتقد من قلبه أن الهداية كل الهداية في الكتاب والسنة، ولذلك يقول ابن تيمية: من اعتقد أنه سوف يهتدي بغير هدي الله الذي بعث به محمداً ﷺ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا كلاماً يوم القيامة.

ويقول: كل أرض لا تشرق عليها شمس الرسالة فهي أرض ملعونة، وكل قلب لا يشرق بنور الدين فهو قلب مغضوب عليه. فنعوذ بالله من غضب الله.

الأمر الثاني الذي لا بد من ملاحظته: الجدّ في طلب العلم، فلا

يظن أحدنا أن الدراسة تذهب وتأتي، وأنها سهلة وأنها كغيرها من الأمور الثانوية في حياة المسلم، لا بل هي من العبادة، وأعظم من أن تتنفل بالصلاة، جلوسك على الكرسي، مستقبل الأستاذ تسمع ما يلقي عليك من العلم أعظم من نوافل العبادات..

ولذلك أفتى الإمام أحمد والشافعي بأن من طلب العلم وجلس للعلم أعظم من أن يتنفَّل بالصلوات.

إذا خرجت تصلي صلاة الضحى وخيِّرت بين أن تجلس في الفصل لتطلب العلم، فجلوسك في الفصل أحسن، وأفضل إذا أخلصت النية من صلاتك النافلة، صلاة الضحى، وإن جمعت بينهما فهو الأفضل، وهو الفضل من الله سبحانه وتعالى.

فاعلموا أن طلب العلم من أعظم النوافل ومن أعظم الأعمال الصالحة.. فالذي أريده منكم هو الحِرص كل الحِرص وألاً يظن أحدنا أن هذه من الأمور الثانوية كما أسلفت.. لا، بل هي من الأمور الأساسية، بل هي من الأمور المفترَض علينا أن نتعلمها.

يقول سبحانه وتعالى للرسول ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].. قل رب زدني علماً كل يوم، إذا لم تزدد فيه علماً فقد ذهب هذا اليوم من عمرك، وقد فرَّطت فيه وأنت مغبون فيه.

أما نحن أهل الرسالة الخالدة، أما نحن الذين سطَّر أجدادنا المكرمات، أما نحن الذين فتحوا سُبل السلام للبشرية، فسَلُوا عنَّا الناس، سَلُوا عن أجدادنا كم كانوا يقرأون، وكم كانوا يحافظون على أوقاتهم، لكن خلفنا نحن فرأينا النعمة، والأمن، والسكينة، ورغد العيش، الفرش الوثيرة، والسيارات الفاخرة، والموائد الشهية، ومتمنَّيات ومتطلبات الحياة مما لذّ وطاب، سبَّب لنا إرباكاً في حياتنا، واضطراباً في أعمالنا، وضياعاً في أوقاتنا فنشكو أمرنا إلى الله عز وجل..

يذكر أهل التراجم أن أحد علماء المسلمين، اسمه ابن عقيل الحنبلي ألَّف كتاباً مكوناً من سبعمائة مجلد، هذا الكتاب مخطوط في بعض مكتبات الغرب، سبعمائة مجلد والسبب أنه كان من أحفظ الناس على وقته، حتى يُقال إنه كان يأكل الكعك إذا تغذى وتعشى ولا يأكل الخبز، فقالوا له: كيف تأكل الكعك ولا تأكل خبزاً؟ فقال: بين أكل الكعك وأكل الخبز مقدار قراءة خمسين آية من كتاب الله عز وجل.

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثاني

هل حاسبنا أنفسنا على الوقت أيها الأخيار؟ هل وقفنا قليلاً لنرى أننا نقرأ أم لا؟ الذي أريد أن أؤكده أنه لا بد لنا بالذات من مكتبة في البيت تشمل كتباً إسلامية لا كتب خرافات وخُزَعبلات، لا كتب إلحاد نعوذ بالله من الإلحاد، لا كتب مجون، وخلاعة، وإسفاف، وهي واردة في أسواقنا، وموجودة في مكتباتنا، لكن كتب علم، كتب هداية، كتب توجيه، وأذكر على سبيل المثال بعد كتاب الله عز وجل التي لا بد أن يكون في بيوتنا هذه الكتب:

زاد المعاد لابن القيم، تفسير ابن كثير، رياض الصالحين، بلوغ المرام.

ويكفينا ولو مكتبة صغيرة: عشرة كتب، عشرون كتاباً في مكتبتك لا بد من مطالعتها باستمرار، ولا بد أن نقلل من الذهاب والإياب في كل مشوار لا ينفعنا في الدنيا ولا في الآخرة..

ولا بد من الإشارة الآن إلى بعض الأمور:

الأول: مما يفسد علينا حياتنا ومستقبلنا وأوقاتنا وذكاءنا وأعمالنا ووقوفنا بين يدي الله عز وجل هي المعاصي.. فأدعوكم ونفسي إلى التوبة من المعاصي ما ظهر منها وما بطن، وألقي عليكم حديث

رسول الله ﷺ لابن عمه ابن عباس حيث يقول له وهو معه على الدابة رديفه: «**يا غلام احفظ الله يحفظك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة إذا اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضرُوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١).

فأسألكم بعد سؤال نفسي وأتضرع إلى الله العلي القدير أن يعصمنا والعصمة لرسوله ﷺ، وأن يحفظنا من الخطايا والذنوب لأنها هي المدمِّرة، وما دمَّر شباب الإسلام، وما ضيع جيل الإسلام إلا المعاصي، فإنها هي التي طمست ذكاءهم وبصيرتهم وعطلت منابع القوة في حياتهم.. ولذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما: المعصية ظلمة في القلب، وسواد في الوجه، وبُغض في قلوب الخلق، وضيق في الرزق، ويقول: الطاعة نور في الوجه، وبياض في القلب، ومحبة في قلوب الخلق، وسعة في الرزق. فمن أراد القوة، ومن أراد راحة القلب، ومن أراد السعادة في الدنيا والآخرة، ومن أراد الذكاء، والفهم، والنور، فعليه بطاعة الله، وترك المعاصي.

يقول ابن تيمية شيخ الإسلام مجدِّد القرن السابع، ذاك العالم النِّحْرير، ذاك العالم الذي ما طرق العالم من قرنه حتى الآن عالم مثله في جلالته وقوته وعلمه، كان عمره ثماني سنوات، تصوروا ثماني سنوات، ذكر عنه أهل التراجم وأهل السير أنه كان يسجد قبل صلاة الفجر في غوطة دمشق ويمرغ وجهه في التراب ويقول: (يا معلم إبراهيم علِّمني، ويا مفهِّم سليمان فهِّمني)، فعلَّمه الذي علَّم إبراهيم

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٢٩٣/١)، والترمذي (٢٥١٦)، وابن السني (٤١٩)، وأبو يعلى (٦٦٥/٢)، والآجري في «الشريعة» (ص١٩٨) من طرق. قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

وفهَّمه الذي فهَّم سليمان.. يقول عن نفسه وهو يقرأ في الكتب ويحقق المسائل: (فتصعب علي المسألة فأستغفر الله ما يقارب ألف مرة فيفتحها الله علي).

علمنا علم يأتي إلى القلوب، ولا يَرين على القلب إلا المعاصي فإذا صعبت عليك مادة من المواد، أو موضوع من الموضوعات، أو بحث من البحوث فعليك بأمور:

١ ـ تقوى الله، فمن علم الله فيه التقوى سدَّده وهداه وفتح بصيرته ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]..

٢ ـ كثرة الاستغفار، تأتي، وتذاكر، وتستغفر، وأنت تذاكر، وأنت تقلب صفحات كتابك، تستغفر، وتسأل الله العون والسداد.

٣ ـ عليك أن تجدَّ في المذاكرة، لا يظن أحدنا أنه إذا استغفر سوف ينجح ولم يذاكر، لا، (اعقِلْها وتوكَّل)، إننا أمة تتوكل لا نتكل، لسنا أمة اتكالية ولكن أمة نعمل ونجد ونحرص ونتوكل على الله، ولذلك يقول ﷺ كما صحّ في صحيح مسلم عن أبي هريرة من قوله ﷺ: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قُل: قدَّر الله وما شاء فعل**»[١].

فنحرص، ونذاكر، ونثابر، ونستغفر، ونتقي الله، فإذا أفلحنا بها فنِعْم النجاح، وإذا رسبنا فقد عذرنا أنفسنا، أمَّا إنسان خامل كسول مضيع لوقته لا يذاكر ولا يحافظ على وقته، ثم يأتي، ويمتحن، فإذا رسب قال كذا وكذا، وقال الأسئلة كانت صعبة أو المصيبة أنني فرطت أو فعلت، نعم لكن لا تقل لو، لأن لو لا تنفع هنا.. لكن احرص من أول الطريق..

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

إخوتي في الله أنبهكم إلى ترك المعاصي؛ لأنها هي التي دمَّرتنا وضيَّعت أوقاتنا.

فيا رب.. هذه الشبيبة متطلعة إليك لتمدها بنور من نورك، وهداية من هدايتك، وتوفيق من توفيقك، فاهدها سُبل الإسلام، وأخرجها من الظلمات إلى النور، وأمِّن سبيلها، واسكب عليها من فيضك، ومن رحمتك، ومن برِّك ما أنت به أهل.

اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق أحينا ما كانت الحياة خيراً لنا، وتوفَّنا إذا كانت الوفاة خيراً لنا.. اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، ونسألك القصد في الغنى والفقر، اللهم إنا قد صمنا لمرضاتك فاجعلنا يا رب العالمين من المفطرين يوم القيامة على موائد نعمائك إنك على كل شيء قدير..

اللهم إننا حرَّمنا على بطوننا الطعام والشراب لمرضاتك، فأطعمنا من روضات الجنات، واسقنا من الحوض المورود الذي قال فيه رسولك محمد ﷺ: **«آتاني الله الكوثر طوله شهر وعرضه شهر، عدد آنيته عدد نجوم السماء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، من شرِب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً»**[١].

فيا رب تقبَّل منا صيامنا وقيامنا، واجعلنا من المقبولين في هذا الشهر، وأصلح بنا وأصلحنا، ووجِّهنا لما فيه خير أمتنا وخير أنفسنا، إنك على كل شيء قدير، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين..

(١) رواه مسلم (٢٤٧).

آخر أيام رمضان

اللهم لك الحمد، اللهم لك الحمد خيراً مما نقول، ومثل ما نقول، وفوق ما نقول، لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالصيام، ولك الحمد بالقيام.

عزَّ مقامك، وجلَّ ثناؤك، وتقدَّست أسماؤك، ولا إله إلا أنت. في السماء ملكك، وفي الأرض سلطانك، وفي البحر عظمتك، وفي الجنة رحمتك، وفي النار سطوتك، وفي كل شيء حكمتك وآيتك..

من تقرَّب إليك قرَّبته، ومن أحبَّك أحببته، ومن توسَّل إليك قبلته، ومن عصاك أدَّبته، ومن حاربك كبتَّه، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى.

والصلاة والسلام على من رفعتَ به منارة الإسلام، وحطمتَ به دولة الأصنام، وفرضتَ به الصلاة والصيام، والطواف بالبيت الحرام، خير من أفطر وصام، وخير من سجد وقام، رسول البشرية، ومعلم الإنسانية، ومزعزع كيان الوثنية، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فحديثنا عن الأيام الأخيرة في شهر رمضان.

إنكم تعيشون الأيام الأخيرة من هذا الشهر المبارك، شهرٌ

رضي الله سبحانه وتعالى عمَّن صامه وقامه، شهر فتح الله فيه أبواب الجنان، وأوصد فيه معامل الشيطان، شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار.

شهرٌ أنفاس الصائمين فيه خير عند الله من المسك، شهر يُعتق الله في كل ليلة منه مائة ألفٍ ممن استوجبوا دخول النار، شهر جعله الله عزَّ وجل صلة بين المذنبين وبينه تبارك وتعالى.

والله عز وجل طلب من المكلَّفين أن يستغفروه بعد كل عمل صالح، فقال للرسول عليه الصلاة والسلام في آخر عمره: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١ ـ ٣]، وقال سبحانه وتعالى للحجيج بعد أن قضوا مناسكهم وانتهوا من أعمال حجهم: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩].

فواجبك في هذه الأيام والليالي أن تعود إلى الملك العلاَّم، وأن تختم هذه الساعات القريبة، الوجيزة، التي بقيت من هذا الشهر الفضيل، ومن هذا الموسم الجليل، بالاستغفار والتوبة، لعلَّ الله أن يقبلك فيمن قبل، وأن يعفو عنك فيمن عفا عنه، وأن يردَّك سبحانه وتعالى إليه، فإن الأنبياء، عليهم السلام، سلفاً وخلفاً، استغفروا الله عزَّ وجل على حسناتهم وبرِّهم، وعلى صلاحهم.

قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

وقال آدم وزوجه لما أذنبا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

وقال سليمان عليه السلام وقد رأى ملكه وجيشه: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [صٓ: ٣٥].

وقال إبراهيم عليه السلام في آخر عمره: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨٢].

والله عز وجل وعد المستغفرين ألا يأخذهم بنقمه في الدنيا إذا استغفروه فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

ونادى الله الناس جميعاً فقال: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال مادحاً سبحانه وتعالى من استغفر يوم يذنب، ومن تاب يوم يسيء، ومن راجع حسابه مع الحي القيوم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦].

ومن صفات الله عزَّ وجل الحسنى، أنه توَّاب رحيم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥].

وقال لبني إسرائيل: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٤].

وقال سبحانه وتعالى مخبراً أن من اجتنب الكبائر غفر الله له

الصغائر فقال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]، وقال جلَّ ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ[١] لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

فسبحان من بسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وسبحان من بسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها.

والله يقول في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم تذنبون في الليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم**»[٢].

متى يتوب من لا يتوب في رمضان؟ ومتى يعود إلى الرحمٰن من لا يعود في رمضان؟ ومتى يُراجع حسابه مع الواحد الديَّان من لا يراجع حسابه في رمضان؟

ينسلخ الشهر ولا يُمحى الذنب، ينسلخ الشهر، ولا تُسارع في فِكاك رقبتك من النار، ومن العار ومن الدمار..

أليس من الحسرة والندامة، أن يعفو الله عن مئات الألوف ثم لا يعفو عن البعيد؟

أليس من العار، والخزي، والخسار، أن ينسلخ الشهر ثم لا تكونُ من الذين رضي الله عنهم، ونعوذ بالله من ذلك.

فسارع أيها المسلم في فِكاك رقبتك في هذه الليالي، واغتنم كثرة

---

(١) هذا في حياته ﷺ، لا كما يزعم الصوفية والقبوريون أنه في حياته وبعد موته! وذلك تراهم يتمرَّغون عند القبور ولا يلجؤون إلى خالق مَن فيها (الناشر).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

الصلاة على المصطفى ﷺ، وكثرة التوبة والاستغفار، وبادر بالحسنات. فمن يدري، لعلك أذنبت ذنباً كبيراً لا يُغفر إلا في هذه الليالي، ولعلك أسأت إساءة كبرى لا يمحوها إلا التوبة في هذه الأيام.

فبادر في فكاك رقبتك، وارفع يديك إلى الله عز وجل، فإنك لا تدري لعل رمضان لا يعود إليك مرة أخرى.

فوداعاً يا شهر الصيام والصلاة، ووداعاً أيتها الأيام العاطرة التي عشناها في ذكر وتلاوة، لا ندري أتقبل منا فنخرج يوم العيد في فرح وسرور وحبور ونور؟

أم رُدَّت أعمالنا علينا (والعياذ بالله) فنخرج في ويل وثبور وفي حسرة وندامة؟ فإن السعيد مَن أسعده الله، وكتبه في صحائف الخلود، والسعادة، والشقي من أخزاه الله، وغضب عليه سبحانه وتعالى.

إذا عُلم ذلك، فأُوصي نفسي وإيَّاكم، بالتوبة النصوح، وكثرة الاستغفار في هذه الليالي، ورفع يد الضراعة إلى الحي القيوم.. لعل الله أن يغفر.

فوالله، ليس لنا من الأعمال العظيمة الشريفة ما نتقدَّم به إلى الله، لأن كل أعمالنا خطيئة وذنبٌ، وكلنا فقر ومسكنة، وعجز وتقصير، نخشى من أعمالنا أن يشوبها الرياء والسمعة، فيبطلها الله أولاً وآخراً.

يظن العبد يوم يصلي ساعة، أو يقرأ ساعة، أو يذكر الله ساعة، أنه فعل شيئاً عظيماً؟. فأين ساعات النعيم؟ وأين ساعات الأكل والشرب؟ وأين ساعات اللهو واللعب؟ وأين ساعات الترح، والمرح، والذهاب، والمجيء..؟

فيا أيها المسلمون، يا من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ..الله الله في هذه الليالي التي لا تدري ماذا يكتب لك فيها، من يدري لعلك أن تكون شقيّاً فيمحو الله ذنوبك

ويكتبك سعيداً. . أو تكون بعيداً فيقربك الله ويجعلك سعيداً.

أو لعلك أن تكون مغضوباً عليه ـ نعوذ بالله من ذلك ـ فيتولاك الله فيمن تولى.

وإنما الأعمال بالخواتم لا تحتقر شيئاً من المآثم
ومَنْ لقاءَ الله قد أحبا كان له الله أشد حبّا
وليتك بالخوف والرجاء ولا تيأس وللنفس فجاهد عجلا
وإن فعلت سيئاً فاستغفر وتب إلى الله بداراً يغفر
وبادر بالتوبة النصوح قبل احتضار وانتزاع الروح
والله لو علمت ما وراكا لما ضحكت ولأكثرت البكا
قد حُفّت الجنة بالمكارهِ والنار بالذي النفوس تشتهي
مع كون كل منهما لدينا أدنى من الشراك في نعلينا

فسبحان من بسط ميزان العدل للعادلين، وسبحان من نشر القبول للمقبولين، وسبحان من فتح باب التوبة للتائبين، فمن مُقبِل ومُدبر، ومن سعيد وشقي، ومن تائب وخائب.

فنسأل الذي بيده مفاتيح القلوب، أن يفتح على قلوبنا وقلوبكم، وأن يعتق رقابنا ورقابكم من النار، وأن يُنقذنا من عذاب جهنم، وأن يجعلنا ممن قبل صيامه وقيامه وذكره وتلاوته.

ربنا تقبل منّا أحسن ما عملنا وتجاوز عن سيئاتنا في أصحاب الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون.

يوم العيد

الحمد لله، الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً.. وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.. وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكوراً..

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.. بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

ففي صباح يوم العيد، يوم تطل شمس العيد، ويبزغ نورها وترسل أشعتها، في ذاك الوقت الباكر الساحر تتنزل الملائكة من السماء، زُرافات ووحداناً، تتنزل ملائكة الرحمة في ثوب جميل بهي، تتنزل الملائكة في صباح عيد المسلمين.. ومعها الصحف. فتقف على السِّكك، والمنحنيات، والطرقات، وبمداخل الشوارع، تسجِّل الذاهبين إلى المصلَّى، وتُرسل إليهم الهدايا المعنوية، والجوائز الرمزية، التي كلَّفهم الله بإعطائها للعباد.

فمِن آخذٍ جائزته بيمينه فمقبول وسعيد.. ومن مطرودٍ خائفٍ شقي.

والملائكة يوم ينصرف الناس من المصلى يشهدون للمقبولين بالقبول، والمردودين بالرد، فلا إله إلا الله، كم من مقبول يوم العيد قد فرحَ وسُرَّ، وكم من مطرود يوم العيد قد خاب وخسر.

فمَن قضى الشهر في الصيام والقيام، والذكر والتلاوة، والعبادة والخشوع، قبله الله يوم العيد، وألبسه جديد التوبة مع جديد الثياب. وجعله الله في دار المغفرة والرضوان.. ومَن ضيَّع عمره في رمضان، وعصى الله، واجترأ على حرمة الشهر، وتعدَّى حدود الله، وانتهك محارم الله، لا ينفعه والله لبس الجديد، بل يعود نادماً خاسراً فاشلاً.

يوم العيد سر من أسرار هذه الأمة، فيه تخرج الأمة الإسلامية معلنة تضامنها والتزامها وتكافلها.

يوم العيد يكون ترنيمنا ونشيدنا الخالد.. «**الله أكبر كبيراً**»، فالله أكبر من كل قوة، والله أكبر من كل هيئة، والله أكبر من كل كيان.. «**الله أكبر**» له البقاء والرفعة، «**الله أكبر**» له الثناء والمجد، «**الله أكبر**» له البقاء أبداً سرمداً..

والتكبير يوم العيد سنَّة سنَّها رسول الله ﷺ، في المناسبات وغيرها، فكأنما نقول للناس: يا من تكبَّر وتجبَّر إن الله أكبر منك، ويا مَن غفل وسها وتمرَّد على الله، الله أكبر منك.

في العيد نلبس الجديد ونُظهر النعمة التي أنعم الله بها علينا، فنقول بلسان الحال: يا ربِّ هذه نعمُك علينا، يا رب هذا اللباس الذي ألبستنا.

ونقول للناس: انظروا لنِعَم الله علينا، انظروا لفضل الله علينا، انظروا لكرم الله علينا. فقد قال ﷺ: «**إن الله يُحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»(١).

---

(١) حسن، أخرجه الترمذي (٢٨١٩) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وقال: حديث حسن، وهو كما قال.

وقال: «**إذا أتاك الله مالاً، فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته**»[(١)].

وقد خرج ﷺ يوم العيد ليصلي بالأمة الإسلامية، وليقود الجماهير لخطبة عاطرة رضية، فلبس حُلَّة حمراء من أحسن الحُلل، ليُظهر جمال الإسلام.

وفي يوم العيد نتوضأ ونغتسل لأن ذلك سُنَّة، ونخرج ونقول: يا رب طهَّرنا الأجساد فطهِّر القلوب، طهَّرنا الظاهر فطهِّر الباطن.. طهَّرنا ما ظهر للناس، فطهِّر ما خفي عنهم.

وفي يوم العيد نخرج من طريق ونرجع من طريق آخر، والأحسن أن نأتي مشاة، لنقول لكل عدو للإسلام: ها نحن الأمة المسلمة خرجنا إلى الله، منيبين إليه، شاكرين نعماءه، ونمشي على الأرض، وهو الأفضل؛ لنطلب الثواب من الله عز وجل، ولنقول: عليك أيتها الأرض نمشي، وعلى ظهرك نأكل ونشرب، وفي باطنك نُقبَر، فنحن عباد من تراب..

ونعود يوم العيد من طريق ليرانا الذين لم يرونا من الطريق الأولى، فكأننا حشود منظمة، أو كتائب منسجمة، أو إطلال من إطلالات الفجر، أو شعاع من شعاعات النور..

وفي يوم العيد أمرنا ﷺ بزكاة الفطر، لنغني الفقراء، فلا يصح أبداً أن نلبس الملابس الغالية، ونركب المراكب الفخمة، ونسكن القصور الشاهقة، والفقراء يموتون على الأرصفة جوعاً وبرداً وعطشاً.

وأجلُّ معاني العيد يا أمة العيد، أن نعود إلى الحي القيوم.. فمن لا يعود إلى الله، ولا يعلن العودة إلى الله فليس له عيد.

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٤٧٣/٣)، والنسائي (٢٩١/٢)، وأبو داود (٤٠٦٣)، والحاكم (١٨١/٤) من حديث أبي الأحوص عن أبيه، وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، وهو كما قالا.

لماذا يفرحُ وقد ابتعد عن الله؟ لماذا يفرح وقد قطع الحبال بينه وبين الله؟ لماذا يفرح وقد أوصد أبواب التوبة بينه وبين الله؟

فمعنى العيد: أن تعود إلى الله، وتعلن توبتك، كما يفر العبد فيعود إلى مولاه عبداً آبقاً خائفاً.

ومن معاني العيد: أن نقف صفوفاً في المصلَّى وكأننا نقول: يا رب إن قبلت فزدنا قَبولاً، وإن غضبت فآتنا رضاك، وإن أذنبنا فتب علينا.

ومن أجلِّ أسرار العيد، أن نتواصل فيما بيننا ونتزاور.

ولا نكون كمن قال الله فيهم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣]، ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

فحينما تأتي يوم العيد فتزور أباك، وأمك، وأخاك، وأختك، وعمَّك وعمَّتك، وخالك وخالتك، وكل قريب يقرب منك، وصلك الله بوشيجة منه، فإن الله لما خلق الرحم قال: تكلَّمي.

قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. وتعلقت بالعرش.

فقال الله: ألا ترضين أن أصِل من وصلك، وأن أقطع من قطعك؟!

قالت: بلى.

قال: فذاك لك[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٠)، ومسلم (٢٥٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فأنزل الله الرحم، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله.

والذي لا يصل رحمه يوم العيد كأنه ما فعل شيئاً، فإن من أسرار العيد أن تصل رحمك، وأن تُدخل السرور على من جعل الله بينك وبينهم وشائج قُربى.. وأن تريهم نفسك، وأن يسمعوا حديثك، وتسمع حديثهم، لأن الحياة قصيرة فلا تقطعها بالقطيعة.

ومن أسرار العيد أن تعود إلى صف المسلمين، في الجُمَع والجماعات، في المناسبات، في الأعطيات، والتبرعات، وأن تقف معهم صفاً واحداً، فأنت عضو حسَّاس من أعضائهم، وأنت مُضغة من جسمهم، وأنت ذرَّة من هذا الكيان الخالد.

وبؤساً للقوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان، وبؤساً للعبد الذي إذا أتى رمضان، صام وقام، وتلا آيات الواحد العلاَّم، ثم رجع يوم العيد إلى ما كان عليه من البُعد والضياع.

لما سمع الإعلان يوم العيد تمرَّد على رب العبيد، أليس رب رمضان هو رب شعبان وشوال؟.. أليس رب رمضان هو الذي يدرك السر وما يدور في الخلدان؟.. أليس رب رمضان هو المطَّلع على ما تخفيه الضمائر في الوجدان؟

فيا عباد الله، مَنْ عرف الله في رمضان فليَصل بمعرفته كلَّ آن.. ومن تاب إلى الله في رمضان فليواصل توبته إلى الله في كل زمان ومكان.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انطباعات رمضانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فهذه بعض الانطباعات حول شهر الصيام وواجبنا تجاهه، بدأت فيها بالحديث عن الإخلاص في الأعمال وأن تكون متابعة للمعصوم ﷺ.

ثم بيَّنت واجب الصائم بحفظ أعضائه وكيف يجعل من تلك الأعضاء أنفساً تصوم.. القلب والعين واللسان والأذن.

ثم تنبيهات للشباب حول حفظ الوقت والزمن على ما ينفعهم في هذا الشهر.

فأقول:

أما إخلاص العمل فالمقصَد هو الله.

كان أحد الوعّاظ إذا جلس في مجلس الوعظ قال وهو يلتفت إلى السماء: إنك تعلم ما نريد، كل شيء هالك إلا وجهه، ما عُمل للدنيا يفنى، وما عُمل من أجل الناس يذهب إلى الناس ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا

﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

صائمان اثنان: هذا جائع وذاك جائع، وهذا ظمىء وذاك ظمىء، وهذا سهِر وهذا سهِر، ولكن شتَّان ما بين الفريقين.

أما ذاك فقد تقبَّل الله عمله؛ لأنه قصد وجه الله، ورضي الله عنه وأرضاه؛ لأنه أراد بعمله وجه الله تعالى.

وهذا ردَّ الله عليه عمله كله، فلا قبِل جوعه، ولا قبِل ظمأه، ولا قبِل سهره ولا قبِل صيامه؛ لأنه راءَى ولم يخلص النية.

ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال عن الله سبحانه: «**من أشرك معي في عمل أحداً تركته وشركه**»(١).

وفي الصحيحين: «**من راءَى راءَى الله به، ومن سمّع سمّع الله به**»(٢).

إذاً يا أيها الفضلاء، يا أيها النبلاء، لا بد أن نعرف مسألتين في الإخلاص:

أولها: أن نعرف الله، فهو القدير الذي بيده مفاتيح القلوب والمعطي، والمانع، والقادر، والباسط، والقابض، والمحيي، والمميت ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣].

إخوتي في الله يقول ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء**

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥) بنحوه.

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦ ـ ٢٩٨٧).

ما نوى»(١)، كثير من الناس يجوّدون صلاتهم من أجل الناس، ويصومون من أجل الناس، ويتلون كتاب الله من أجل الناس ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧﴾ [التوبة: ١٧].

فأوصي نفسي وإياكم أولاً بمعرفة الباري وهو الله الذي يوم لقيه موسى في أول لقاء تاريخي قال يا موسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤].

يقول شاعر السودان مقرِّراً هذه الحقيقة وهي معرفة (الله):

قل للطبيب تخطفته يد الردَى ... من يا طبيب بطِبِّه أرداك
قل للمريض نجا وعوفي بعدما ... عجزت فنون الطب من عافاك
والنحل قل للنحل يا طير البوادي ... من الذي بالشهد قد حلاَّك
وإذا ترى الثعبان ينفث سُمّه ... فقل من ذا الذي بالسم قد حشاك
واسأله كيف تعيش أو تحيا يا ... ثعبان وهذا السم يملأ فاك
فالحمد لله الكريم لذاته ... حمداً وليس لواحد إلاَّك

فلا بد أن يعيش المسلم في توحيد الرب جل جلاله، ومعرفته، والإنابة إليه.

فشرفنا وأصالتنا وعمقنا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فنحن ما خلقنا للغناء، وما خلقنا للرقص والتطبيل، والمسرحية الآثمة والفيديو المهدِّم.

بل عشنا لكي نحقق معاني العبودية، والإخلاص في حياتنا، وهذا هو الأمر الثاني بعد معرفته سبحانه وتعالى.

أما متابعته ﷺ فاسأل نفسك في صيامك، وفي صلاتك، وفي

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد سبق.

حجِّك، وفي هديك، وفي ليلك ونهارك، من هو إمامك؟ من هو قدوتك؟ من هو الذي تحبه في الحياة؟

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
يا من تضوّع طيب القاع أعظمه فطاب من طيب ذاك القاع والأكم

اسأل نفسك من هو قدوتك في الحياة؟ اعرض أعمالك على محمد ﷺ، فإنه برهان.

زِن أقوالك وأقواله فإنه ميزان.

فإن خالفته فاعلم أن في البضاعة بهرجاً، وأن في العملة زيفاً، وأن في البضاعة غشاً لا يقبله الله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

من الذي أحيا القلوب بإذن الله؟

من الذي غرس فيها لا إله إلا الله وكانت ميتة؟

من الذي أخرج للعالم أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وحساناً وابن عباس؟

إنه رسولنا ﷺ.

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له وأنت أحييت أجيالاً من الرمم
أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكة والرسل في المسجد الأقصى على قدم
كنت الإمام لهم والجمع محتفل أعْظم لمثلك من هادٍ ومؤتمم

أليس خزياً وعاراً أن يحفظ بعض الناس تواريخ البشر وينسون تاريخ أعظم البشر؟

يقرأون سيرة أخسِّ البشر ويتركون سيرة أكرم البشر.

يحفظون آداب أحقر البشر من الأقزام، ويتركون العظيم الذي ما طرق العالم مثله.

فالمطلوب من المسلم: متابعته ﷺ في الصيام.. كيف يصوم؟ ما هو هديه في الصيام؟

وأحسن من تحدّث في هذا الموضوع هو ابن القيم في (زاد المعاد).

كان ﷺ أصبر الناس على الصيام، يواصل الليالي والأيام ولا يأكل لقمة ولا يشرب جرعة، فيريد الصحابة أن يواصلوا مثله ولكن هيهات، شتَّان ما بين الفريقين والمَثَلَيْن.

هم فضلاء ولكن هو نوع آخر.

وإن تفق الأنام وأنت منهم فإنَّ المِسك بعض دم الغزال

يقول: «**إني لست كهيئتكم**»، رفض أن يواصلوا معه «**إني أبيت فيطعمني ربي ويسقيني**»(١)، يا للعظمة! يا للجلال! الله يطعمك ويسقيك فكيف تكون صائماً؟

قال ابن القيم: ليس طعاماً محسوساً وليس شراباً محسوساً، بل طعام المعاني وطعام الأرواح بالكلمات النيِّرات التي تتنزل عليه من السماء.

طعام الإشراق والحكمة وطعام المعرفة.

أما الصدق وحسن التوجه إلى الباريء فهو غير الإخلاص، لأن الإخلاص شيء من الصدق، والصدق شيء من الإخلاص، لكن الصدق يزيد عليه.

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ـ ٧٢٩٩)، ومسلم (١١٠٣) وقد سبق.

الصدق: أن تصدق في عبادتك ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ [العنكبوت: ٦٩] أن تصدق في الكلام، أن تصدق في العمل. يقول ﷺ: «**إنَّ الصدقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدقَ حتى يُكتب عند الله صدِّيقاً**»[١]. الصدق عجيب، والصدق من أحسن ما يكون.

سُجن أحد الأخيار من العلماء في سجن في بغداد، وكان الذي سجنه المهدي، الخليفة ابن أبي جعفر المنصور، وسبب السجن أن الخليفة يقول للعالم: لا بد أن تخبرني أين عيسى بن زيد، وهو من نسل علي بن أبي طالب، رجل فاضل ورجل عظيم، لكنه اتُّهم بأنه يريد الخلافة، فأتى الناس الوشاة وقالوا لهذا العالم بأن هذا الرجل الصالح في بيتك فذهبوا به إلى الخليفة.

فقال له الخليفة: أخرج عيسى بن زيد.

قال: والله ما كذبت في حياتي، ووالله الذي لا إله إلا هو لو كان عيسى بن زيد بين جلدي وعظمي ولحمي ما أخرجته.. أتقتل ابن بنت رسول الله ﷺ؟

قالوا: اضربوا عنقه.

فاقتربوا بالسيف من عنقه وقال: قل لي أين هو؟

قال: والله لا أكذب أبداً وهل جزاء الصدق إلاّ الجنة؟!

قال: اضرب عنقي، فضربه ففصل رأسه عن جسمه.

فمعنى الصدق أن تصدق في العبادة، وأن تكون موافقة لسنة الرسول ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

وأما صوم القلوب: فيا أيها الإخوة: إن مفهوم الصيام عند كثير من المسلمين هو أن يتركوا الخبز، والفاكهة، واللحم من طلوع الفجر إلى المغرب.

وهذا صيام في الشريعة، لكن مفهوم الصيام، ومقصد الصيام، وجلالة الصيام بأن يصوم قلبك عن السوء وأن تهجر السيئات من الكبْر ومن العُجْب، ومن الحقد ومن الحسد.

كيف يصوم البطن ولا يصوم القلب؟ كيف يصوم من يعتقد الاعتقادات السيئة الباطلة؟ اعتقاد الاستهزاء بالكتاب والسنّة، اعتقاد الاستهزاء بالرسول ﷺ، الاستهزاء بالصالحين، التكبر على عباد الله، العُجْب، بما عنده من منصب، أو ثروة، أو وظيفة، أو سيارة.

بعض الناس قلبه كقلب فرعون، ولو كان يصلي مع الناس، ويصوم شهر رمضان، ويحج البيت العتيق، فقلبه مثل قلب فرعون، فهو لا ينظر إلى الناس، ولا يرد السلام، ولا يبتسم، ولا يعرف من الإسلام شيئاً، صوّر له شيطانه أنه من أعظم الناس.

خفِّف الوطأ ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد
صاح هذه قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد

وظاهرة الكِبر انتشرت في المجتمع خاصة في من حاز منصباً، أو مالاً، أو ثروة، أو وجاهة في المجتمع، أو علماً، أو معرفة، أو شهادة عالية، أو ثقافة.

فتجده لا يرى الناس شيئاً، وعلامة المتكبِّرين الذين ما صامت قلوبهم منها: سواد الوجه واكْفِهْرارُه، فهو بخيل بالبسمة كأنه ينحت من جسمه إذا أراد أن يبتسم لك.

سبحان الله!

وجوههم من سواد الكِبر عابسة كأنما أُورِدوا غصباً إلى النار

هانوا على الله فاستاءت مناظرهم ... يا ويحهم من مناكيد وفُجَّار
ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضاً ... أهدوك من نورهم ما يُتحف الساري
من تلقَ منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

فمن علامات الصالحين في رمضان وغير رمضان: البسمة، وحسن الخلق، ولين الجانب، والزيارة، ورد السلام، والعِشرة الطيِّبة.

أما أن يحشوَ الإنسان قلبه بالكبر، ويتكبر على عباد الله، ويتغطرس على الناس بما عنده من ماديات، فهذا والعياذ بالله ما صام.

صيام القلب بأن يصوم عن الاعتقادات الباطنة، والزندقة، والإلحاد، والشكوك الآثمة.

وأنا أيها الإخوة أسمع من كثير من الشباب الذين بدأوا في الهداية بأنهم يجدون وساوس في قلوبهم، وخَطَرات، وواردات، وعلاج هؤلاء أمران:

أولاً: تدبُّر كتاب الله ـ عز وجل ـ صباح مساء، وأن يجعل المسلم القرآن أنيسه وسميره.

والأمر الثاني: الابتهال إلى الله الواحد الأحد، ثم الجزم.

إذاً.. فالصيام لا يناسب الكبْر.

فكيف يكون عبداً لله ويتكبر؟ مسكين من يتكبر، وضعيف من يختال على الناس؛ لأنه ما عرف نفسه ولا عرف ربه، ولذلك يسمي السلف الصالح المتكبِّرين: حَمْقى.

قيل لأحد الصالحين: من هو الأحمق؟

قال: من لم يعرف ربه ولم يعرف نفسه.

مرَّ ابن هُبيرة أحد أمراء بني أمية بجيش عَرَمْرَمَ على خيول متوَّجة

وعليهم الديباج والحرير، فهو أمير قد نسي نفسه ونسي الله.

فقام له الناس جميعاً إلا الحسن البصري جلس.

قال: لِمَ لم تقم يا حسن وقد قام لي الناس؟

قال: أردت أن أقوم فتذكرت فيك ثلاث خصال فما قمت لك.

قال: ما هي؟

قال: علمتُ أنك أتيت من نطفة مذرة ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: ٧].

وعلمتُ أنك تحمل في بطنك العَذِرة (الغائط).

وعلمتُ أنك تصير إلى جيفة قذِرة، تُرمى في التراب كما تُرمى الكلاب، فما قمت لك.

فنكّس رأسه خجلاً أمام الناس وذهب.

وهذه معرفة الموحِّدين بقدر المتكبِّرين.

وأن يصوم القلب عن العُجب بألا تعجبه نفسه، أو علمه، أو ثقافته، أو شهادته.

يا أيها الإخوة، إن هذه الشهادات مهما علت، والله، لا تساوي قيمة الأحذية إذا لم تكن بإيمان.

والله، ليس لها وزن في الدنيا ولا في الآخرة، والله إنها لعنة على صاحبها إن لم تكن تدله على الإيمان، والمسجد، والقرآن، وخشية الله.

والمناصب كذلك ليست بشيء فأعظم منصب في الدنيا تولاّه فرعون الذي يقول: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ

غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، لكنه أصبح في اللحظات الأخيرة والسكرات يقول: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] أين منصبك؟ أين وظيفتك؟ أين جاهك؟.

ومما ينبغي أن يصوم عنه القلب أن يصوم عن الحسد والحقد.

فالحسد خصلة ذميمة وهي من خصال بني إسرائيل أتى بها الشيطان وهكذا الحقد.

أما صوم العيون.. فإن كثيراً من الناس، نسأل الله أن يتوب علينا وعليهم، قد تصوم بطونهم، وتصوم فروجهم، وتصوم أكبادهم عن الماء، ولكن لا تصوم عيونهم؛ فهم ينظرون إلى الحرام إلى عورات المسلمين إلى كل مفتونة، وكل منظر يغضب المولى تبارك وتعالى.

وهذا ليس بصيام والله يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، ومما يؤثر: النظر سهم مسموم من سهام إبليس». وجزاء من غضَّ البصر أن يعوِّضه الله إيماناً يجد حلاوته في صدره.

نظر أحد الناس إلى امرأة فاتنة فقال له أحد الصالحين: أتنظر إلى حرام؟ والله لتجدنّ غبها ولو بعد حين.

قال: فنسيت القرآن بعد أربعين سنة، جزاء للمعصية وعقوبة على ما اقترفت عينه.

ولذلك فأكثر ما نجده في الحياة من هَمٍّ، أو غَمٍّ، أو حزن، أو مصائب، أو رسوب، أو فشل، أو انهزام، أو تقهقر، أو فقر، أو مرض، فهو من الذنوب والخطايا ومما كسبت أيدينا.

قال بعض أهل العلم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر: ٧٥]: الذين يغضون أبصارهم يرزقهم الله فراسةً إيمانية.

ولذلك قالوا عن ابن تيمية أنه كان ينظر بنور الله لأنه يغض عن محارم الله، حتى ذكروا أنه كان يعرف الزاني من صورته، والكاذب، والمخادع.

حتى يقول الذهبي عنه: كانت عيناه كلِسانين ناطقين.

أما اللسان: فهو السُّم الزُّعاف، وهو القتل كل القتل.

يقول الرسول ﷺ لمعاذ والحديث صحيح: «**ألا أدلك على مِلاك ذلك كله**»؟ على ما يجمع لك الخير؟

قال: بلى.

قال: «**كُفَّ عليك هذا**»، وأخذ بلسان نفسه.

قال: يا رسول الله، أإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

قال: «**ثكِلتك أمك يا معاذ، وهل يكبُّ الناسَ في النار على أنوفهم إلاّ حصائد ألسنتهم**»(١).

سبحان الله ما أعدى اللِّسان!

سبحان الله ما أشد ضرر اللِّسان!

لا إله إلا الله كم صرع اللسان من عظيم!

احذر لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنَّك إنه ثعبان
كم في المقابر من صريع لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٨] فأنت تمزح والملائكة تسجِّل.. تتكلم، تذكر الله، تأتي بفسق أو بباطل أو لعن أو هراء أو غيبة أو نميمة أو

(١) صحيح، رواه أحمد (٥/ ٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٤١٣).

زور، فكله مسجّل عليك، وقالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

وفي أثر: «**من صَمَتَ نجا**»(١).

وقال ابن مسعود: والله ما في الدنيا أحق بطول حبس من اللسان.

وكان أبو بكر، رضي الله عنه، يأخذ بلسان نفسه ويقول: هذا أوردني الموارد ويبكي.

ويقول ابن عباس على الصَّفا وهو يبكي: يا لسان، قل خيراً تَغْنَم أو اسكت عن شرٍّ تَسْلَم.

فهل قيدنا ألسنتنا؟ وهل حسبنا ما نتكلم به في الأعراض، وفي الذِّمم، وفي حُرمات المسلمين، وفي لحوم عباد الله الموحدين؟ وهل ابتعدنا عن الكذب، والغيبة، والفُحش، واللعن البذيء، وقِلَّة الحياء التي كلها من اللسان؟ حتى يقول بعض أهل العلم: تسعة أعشار الذنوب من اللسان.

وأما صيام الأذن: فأن تصوم عن سماع الباطل وعن السماع الشيطاني.

وقد قسم أهل العلم السماع إلى قسمين: سماع رحماني شرعي ديني، وسماع شيطاني طاغوتي إلحادي.

فأما سماع أهل الإيمان فهو القرآن.. كان عمر رضي الله عنه وأرضاه إذا أحس من نفسه قسوة جمع الصحابة وقال: يا أبا موسى ذكِّرنا ربنا.. لأن أبا موسى ذو صوت جميل حسن.

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٢: ١٥٩ ـ ١٧٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٣٦).

فيقرأ، والصحابة يستمعون، ويبكون تأثراً بالقرآن.

لقد عاش ذاك الجيل مع القرآن؛ لأن القرآن تنزَّل مع حياتهم.. يفعل الواحد منهم فعلة فيأتي القرآن يفتيه فيها.

يسأل سؤالاً فيأتي القرآن بجواب السؤال.

يحضرون المعركة مثل بدر، وأُحد، والأحزاب، وحُنين فيتنزل القرآن ويخبرهم عن المعركة.

فلذلك عاشوا في ظلال القرآن.

وأنا أعجب، والله، من كثير من الشباب، عشرات بل مئات، حتى في جزيرة العرب، جزيرة محمد ﷺ، جزيرة أبي بكر، وخالد بن الوليد، سيوف الإسلام، وأسود المعمورة، وحكماء الدنيا، ويأتي العشرات بل المئات من الشباب لا هَمَّ لهم إلا الأغنية الماجنة، والسماعِ الشيطاني، وطوال الوقت هو مع هؤلاء المغنين الراقصين الذين عطّلوا مسيرة الأمة عن التضحيات والبذل والعطاء.

حتى أصبحنا في مؤخِّرة الركب، وسخِر منا الأعداء بسبب هذا التهالك.

فكيف يرضى الإنسان أن يعيش حياته كلها مع هذه الأغاني غافلاً عن كتاب ربه؟ فيا أحبتي في الله، عليكم بالسماع القرآني الذي يحيي قلوبكم وفِرُّوا من سماع الخنا وسماع أهل الوله والفسق الذي مصيره الوقوع في الزنا أو الإعراض عن دين الله.

اعتزل ذكر الأغاني والغزل ... وقل الفصل وجانب من هزل
ودع الذكرى لأيام الصبا ... فلأيام الصبا نجم أفل
واهجر الخمرة إن كنت فتى ... كيف يسعى في جنون من عقل
واتق الله فتقوى الله ما ... جاورت قلب امرىء إلاّ وصل

وأما صيام اليد: بأن تمتد بالإحسان، وتكف عن الباطل، فتعطي بها الفقراء الصدقات، والطعام، وتعين بها الناس، وتكفها عن المعاصي الخاصة بها من البطش والضرب.

وأوصيكم في شهر الصوم بالصدقة كثيراً، فإنه شهر الصدقة، وشهر البر والإحسان، وقد كان ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان.

والناس عيال الله، فأحبُّهم إليه أنفعهم لعياله، بتقديم الصدقات لهم، وملاحظة حاجتهم، والقيام بشؤونهم في هذا الشهر الفضيل.

وواجب على الشباب هذا الشهر أن يهتموا بترتيب أوقاتهم، وأن لا يصرِفوها في اللهو والضياع كما قد تعوَّدوا في الأشهر الماضية، لكن يكون هذا الشهر نقلة لهم من عالم المعصية إلى عالم الطاعة، ومن عالم الضلال إلى عالم الهدى.

دقاتُ قلب المرء قائلة له … إن الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها … فالذكر للإنسان عمر ثاني

وخير من يحرص على وقته هم الشباب، لكي لا يضيع سُدى بين القيل والقال، واللعب، والمعاصي، بل يُصْرف في حفظ القرآن، وفي الطاعات وفي قراءة الكتب النافعة، وسماع المفيد.

وأن يستغلوا وقت السَّحَر الذي ينزل فيه ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة فينادي: «**هل من سائل فأعطيه هل من داعٍ فأستجيب له. . . هل من مستغفر فأغفر له**»(١) إلى أن يطلع الفجر.

فواجب أن يستغلوه في التضرع إلى الله الحي القيوم، بأن يتوب

---

(١) صحيح، سبق تخريجه.

عليهم، وأن يصلح حالهم، لا أن يكون هذا الوقت بين لعب، ومشاهدة لما يغضب الله أو فيما لا مصلحة فيه.

وينبغي على الصائم أن يتهيأ للإفطار، وأن يتلمس لحظته بالدعاء، لأن للصائم دعوة ما تُرد إن شاء الله.

فينبغي التهيؤ النفسي لتلكم الدقائق، لا أن يكون المرء قد قام قبل دقائق من نومه وهمه التقام التمر.

وأما صلاة التراويح فعليكم بها، فإنها العبادة السنوية التي تجلب الروحانية إلى القلب، وتريحه من عناء تلكم الأشهر الطويلة التي ضاعت في أمور لا تنفع.

فهي استراحة المسلم، ولكنها استراحة روحانية.

فينبغي على المسلم أن يحرص عليها جداً وأن يأخذ أهله معه إليها ولا يحرمهم إياها.

هذه بعض الانطباعات عن شهر رمضان، وواجب المسلم تجاهه. أما تفصيل الأحكام فمكانه رسائل أخرى من هذا المجموع، والله أعلم.

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

على عتبات باب الريّان

الحمد لله الملك القُدُّوس السلام، ذي الطَّول والعزة والإكرام، هدانا للإسلام، وشرّفنا بالصلاة والصيام.

والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وخِيرة المصلين الصائمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فهذا كتاب «**على عتبات باب الريّان**» جمعت فيه من الآيات أوقعها، ومن الأحاديث أصحّها، ومن الأبيات أعذبها، ومن المواعظ أرقَّها، فهو كتاب للصالحين في مجالس السَمَر، وللمنتقلين في منازل السفر، وللأحباب في النُّزُهات، وللوعّاظ في المحاضرات، ولعل الأستاذ أن يستفيد منه، والخطيب أن يعرِّج عليه. وإمام المسجد أن يقرأ فيه.

جعلت من مقاصد هذا الكتاب أموراً ثلاثة:

أولها: توثيق مواعظه ورقائقه بآيات الكتاب العزيز والسنة الصحيحة الثابتة، فلا أُورد حديثاً ضعيفاً أبداً، ولا قصةً واهية، ولا أثراً مستغرَباً.

ثانيها: قصدت به غرس الإيمان في النفوس وبناء اليقين في القلوب، وما قصدت جمع الأحكام أو المسائل الفقهية، إذ كفاني في

هذه المهمة الفضلاء فأثْرَوْا بما كتبوا المكتبة الإسلامية. فجانب الأحكام كثيرة مادّته، ولكن الإيمانيات والعبر الموجبات والنداءات الجليات هي التي تنقصنا، فعسى أن يكون هذا الجهد ملبّياً لهذا الطلب.

ثالثها: حرصت في هذه الدروس على أن أكسوها بجلباب الأدب القشيب، وأن أتوِّجها بتاج الفصاحة الأغرّ، سيراً على منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة في جمال العبارة، وإشراق الألفاظ وروعة الدّيباجة، ليكون المطالِع بين جدولٍ وخميلةٍ، وبستان وواحة، وماءٍ وظلٍّ، وطلٍّ وندى.

دررٌ تـعـيـشُ الأذنُ فـي نـغـمـاتِـهـا   بـمـطـرّزٍ عـذبٍ وغـيـرِ مـطـرّزِ

القرآن الكريم وشهر رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

فالقرآن الكريم يُحبُّ رمضان، ورمضان يُحب القرآن الكريم، فهما صديقان حبيبان. قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

نزل القرآن الكريم كله إلى سماء الدنيا من اللّوح المحفوظ في رمضان، وتشرَّف هذا الشهر بنزول هذا الكتاب فيه، ولذلك كان ﷺ يتدارس القرآن الكريم مع جبريل عليه السلام في رمضان، يسمعه ويتدبّره، ويتلوه، ويتأمّل عِبَرَهُ، ويعيش أنداءه، ويسرِّح طرف القلب في خمائله، ويُطلق كفّ الحبّ في كنوزه.

إنّ الصائم القارىء يُؤلف في صيامه بين رمضان، وبين القرآن الكريم، فيعيش هذا الشهر مع هذا الكتاب العظيم الذي قال الله فيه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

القرآن الكريم في رمضان له طعم ومذاق، وله إيحاءات خاصة ودلالات من نوع آخر.

القرآن الكريم في رمضان مُخْضلّ الأنداء، معطّر النّسمات، شذيّ الأنفاس.

القرآن الكريم في رمضان يُعيد ذِكرى نُزوله، وأيّام تدارسه، وأوقات اهتمام السلف به.

جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**اقرؤوا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»، وقال ﷺ: «**خَيْرُكُم من تعلّم القرآنَ وعلّمَهُ**»، وقال عليْه الصلاة والسلام: «**اقرؤوا الزّهْرَاوِيْن، سورة البقرة وآل عمران، فإنهما تأتيان كغمامتين أو غيايتين، أو كفُرقان من طير صَوافّ تظلاّن صاحبهما يوم القيامة**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السَّفَرةِ الكرامِ البَرَرَةِ، والذي يقرأ القرآن وهو يُتَعْتِعُ فيه لَهُ أجرانِ**».

سَمِعْتُكَ يَا قُرآنُ واللَّيْلُ غافِلٌ ... سرَيتَ تَهُزُّ القَلْبَ سُبْحانَ من أسْرى
فَتَحْنَا بك الدُّنْيَا فأشْرقَ صُبْحُهَا ... وطُفْنَا رُبوعَ الكَوْنِ نَمْلؤُهَا أجْراً

أسلافنا إذا قدم شهر رمضان فتحوا المصاحف، وحلّوا، وارتحلوا مع القرآن الكريم.

بيوت سلفنا كان لها في رمضان خاصّة دويٌّ كدويّ النّحل، تُشعُّ نوراً وتملأ سعادة، كانوا يرتّلون القرآن الكريم ترتيلاً، يقفون عند عجائبه ويَبْكُون من عظاته ويفرحون ببشاراته ويأتمرون بأمره وينتهون بنهيه.

إذَا اشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ في خُدُودٍ ... تَبَيّن من بَكَى ممَّن تَبَاكَى
فأمّا من بَكَى فيذوبُ وَجْداً ... لأنّ به من التّقْوى حِراكا

وصحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه استمع لأبي موسى رضي الله عنه ثم قال له: «**لو رأيتني وأنا أستمع إلى قراءتك البارحة،**

لقد أوتيتَ مِزمَاراً من مزامير آل داود»(١).

وإنّـي لَـيُـبْـكِـيـنـي سَـمَـاعُ كَـلاَمِـهِ   فَكَيْفَ بعيني لَوْ رَأتْ شَخْصَهُ بَدا
تَـلاَ ذِكْـرَ مـولاهُ فـحـنّ حـنِـيـنـه   وشـوقُ قـلـوبِ الـعَـارِفـيـن تـجـدّدا

لما فسدت أمزجة المتأخرين عن سماع كلام ربِّ العالمين، ظهرت التربية معوجّة، والفطرة منكوسة، والأفهام سقيمة.

لما استبدل القرآن الكريم بغيره حلّ الفساد، وكثر البلاء، واضطربت المفاهيم، وفشلت العزائم.

القرآن الكريم مهمته هداية الناس إلى طريق الله المستقيم.

القرآن الكريم نور وشفاء لما في الصدور وعلم وثقافة ومعرفة وبرهان.

القرآن الكريم حياة وروح، وإنقاذ وسعادة، وأجر ومثوبة.

القرآن الكريم تعاليم ربانية، ودستور إلهي، وحكمة خالدة:

فهل لنا أن نعيش مع القرآن الكريم في رمضان وغير رمضان، وهل لنا أن نعرف عظمة القرآن الكريم فنملأ حياتنا سعادة بالقرآن الكريم، ونوراً بالقرآن الكريم، وإشراقاً مع القرآن الكريم. هل لنا أن نفعل ذلك؟

---

(١) رواه البخاري (٥٠٤٨) دون القسم الأول، ومسلم (٧٩٣).

حداء الصائمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

للصائمين نغمات خاصة، وأهازيج موقّرة وحداء خالد.

الصائمون أكثر الناس ذكراً لله عزّ وجلّ تسبيحاً، وتهليلاً، وتكبيراً واستغفاراً، إذا طال النّهار على الصائمين قصّروه بالأذكار، وإذا آلمهم الجوع أذهبت حرارته الأذكار، فهم من ذكرهم في مُتعة، ومن تسبيحهم في سعادة. يذكرون الله فيذكرهم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ويشكرونه فيزيدهم ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

الصائمون الصادقون يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.

الصائمون الصادقون تطمئن قلوبهم بذكر الله، وتسعد أرواحهم بحبّ الله، وترتاح نفوسهم بالشوق إلى لقاء الله.

ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**مثل الذي يذكر ربَّه والذي لا يذكره كمثل الحيِّ والميّت**»[١]، فلا إله إلا الله كم من ميِّت ما عرف الذكر، وهو يعيش في الحياة يأكل ويشرب ويسرح ويمرح؟ ولكنه ما عرف الحياة أبداً.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

وجاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: **«سبق المفرِّدون»** قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: **«الذّاكرون الله كثيراً والذاكرات»**[١].

الصائم الذّاكر أسبق الناس إلى الخيرات، سريع إلى الجنة، بعيد عن النار، سجلاته مليئة بالحسنات، مُفعمة بالخيرات، فهنيئاً له.

وجاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال لرجل سأله عن عمل يتشبث به، قال له: **«لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»**[٢].

والتعبير هذا جميل كلّ الجمال، غاية في الروعة، نهاية في الإبداع، كيف يجوع الصائم وهو يذكر الله دائماً، كيف يظمأ الصائم وهو يُسبح الله أبداً.

رُبَّ ذِكْرَى قَرّبَتْ مِن نَزَحَا   اذْكُرونا مثل ذِكْرانَا لكُم
سَكَبَ الدّمْعَ ونادَى الفَرَحَا   واذْكُروا صبّاً إذا مرّ بكم

الذاكرون الله كثيراً هم الذين يذكرونه مع خروج الأنفاس، وتلاقي الشفتين، وتعاقب اللحظات.

الذاكرون الله كثيراً سجَّلوا بذكرهم أعظم الأجور، وأعلى الأمنيات، وأجزل الأعطيات.

إذا أعرض بعض المقصِّرين عن ذكر ربّ العالمين، اجتاحتهم الهموم، وأحدقت بهم الغموم، وتوالت عليهم الأحزان، عندهم الدواء ولكن ما تناولوه، ولديهم العلاج ولكن ما عرفوه، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٣٣٧٥) وحسّنه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا.

جاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**من قال سبحان الله وبحمده غُرِسَتْ له نَخْلة في الجنة**»[١]. فكم من النخيل يفوت أهل النوم الثقيل والعبث الطويل.

وجاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**لئن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس**»[٢].

ما هي الدنيا؟ ما هو ذهبها؟ ما هي فضتها؟ أي شيء قصورها ودورها؟

هكذا يزنها عليه الصلاة والسلام ويثمّنها، فكلّ ما طلعت عليه الشمس لا يساوي «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

فهل من ذاكر يملأ ساعاته بهذه الكلمات الغاليات ليجدها يوم العرض الأكبر نوراً وحُبوراً وسرُوراً.

جاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنَّه قال: «**ألا أُنبِّئكم بخير أعمالكم وأزْكَاها عند مَليكِكُم، وخيرٌ لكم من إنفاق الذّهب والوَرِق، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربُوا أعناقَهم ويَضربُوا أعناقَكُم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**ذكر الله تعالى**»[٣].

كان الأبرار إذا صلّوا الفجر جلسوا يذكرون الله عزّ وجلّ حتى يرتفع النهار، كان بعضهم ينشر مُصحفه بعد صلاة الفجر فيسرِّح طرفه في الآيات البيّنات والحكم البالغات فيملأ صدره نوراً وديوانه أجراً. إن

---

(١) حسن، رواه الترمذي (٣٤٦٤ ـ ٣٤٦٥) وحسنه.

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٥).

(٣) صحيح رواه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا.

المقصِّر كل التقصير من فاته رمضان، ولم يسعد فيه بذكر ربّه، ولم يصرف ساعاته في تسبيح مولاه.

فهل من مثابر يغتنم أنفاس العمر ودقائق الزمن؟

دقاتُ قَلب المرءِ قائلة له   أنَّ الحياةَ دقائقٌ وثواني
فارفَعْ لنفْسكَ قبلَ موتِ ذِكْرَها   فالذّكر للإنسان عمرٌ ثانِي

رمضان مدرسة للجود والعطاء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾ [البقرة: ٢٦١].

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسَلة[(١)].

إن الصيام يدعو إلى إطعام الجائع، وإعطاء المسكين، وإتحاف الفقير.

وشهر رمضان موسِم للمتصدِّقين، وفرصةٌ سانحةٌ للباذلين والمعطين:

الله أعطاكَ فابذُلْ مِنْ عَطِيَّتِه ... فالمالُ عاريةٌ والعُمْرُ رَحّالُ
المالُ كالماءِ إنْ تُحبَس سَواقيه ... يَأسَنْ وإنْ يُجرَ يعذبْ منه سلسَالُ

(١) رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) وقد سبق.

ما أجمل البذل، وما أحسن الصدقة، وما أجلّ العطاء!

جاء عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «**إن لله مَلَكينْ يُناديان في كلّ صباح يقول أحدهما: اللهُمّ أعطِ منفقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»[١].

كلما أنفق العبد أخلف الله عليه ببسطةٍ في الجسم وراحةٍ في البال وسعةٍ في الرّزق.

صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**الصّدقةُ تطفىءُ الخطيئةَ كما يُطفىءُ الماءُ النّارَ**»[٢]. والخطايا لها حرارة في القلوب، واشتعال في النفوس، ونار موقدة في الحياة، ولا يطفىء هذه الحرارة والاشتعال إلا الصدقة.

الصدقة باردة على القلب طيبة على الروح، تَحُتُّ الخطايا حتّاً.

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «**كلُّ امرىءٍ في ظلِّ صدقته يوم القيامة، حتى يُقضى بين الناس**»[٣]. عجيب! جدُّ عجيب، للصدقة ظل وارف ولها أفياء يتظلل في ظلها العباد يوم القيامة، وكلٌّ بحسب ظله الذي أنتجته صدقته في الدنيا.

كان عثمان بن عفان، رضي الله عنه، صاحب مال وعنده ثراء،

---

(١) رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٢) صحيح بل هو على شرط مسلم، أخرجه عبدالرزاق (٢٠٧١٩)، وأحمد (٣٢١/٣)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١٧٢٣)، والحاكم (٤٢٢/٤) من حديث كعب بن عجرة بسند صحيح. وقد صححه الحاكم وأقره الذهبي، وهو حديث طويل.

(٣) صحيح، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٤٥)، وأحمد (١٤٧/٤)، وأبو يعلى (١٧٦٦)، وابن خزيمة (٢٤٣١)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣٣١٠)، والحاكم (٤١٦/١) من حديث عقبة بن عامر، وصححه ابن خزيمة والحاكم وأخرجه الذهبي، وهو كما قالوا.

فجعل ماله وثراءه في مرضاة ربّه تبارك وتعالى، جهَّز جيش تبوك وشرى بئر رومة للمسلمين، وتصدّق وأعطى ولسوف يرضى.

وكان عبدالرحمٰن بن عوف، رضي الله عنه، غنيّاً موسراً، فتصدَّق مرة واحدة بحِمل سبعمائة جمل على فقراء المدينة؛ ليكافئه الله على ما فعل.

في الناس صائمٌ لا يجد كسرة خبزٍ، ولا مَذْقَةَ لبن، ولا حفْنة تمر.

في الناس صائمٌ لا يجد بيتاً يُؤويه، ولا مركباً يحمله، ولا صاحباً يُواسيه.

في الناس صائم لا يجد ما يُفطر به، أو يتسحَّر عليه.

وقد جاء عنه ﷺ أنه قال: **«من فطّر صائماً كان له مثل أجرهِ دون أن ينقصَ من أجر الصائمِ شيئاً»**(١).

الصالحون يزيد كرمهم في رمضان، فيبذلون ويُعطون وينفقون.

كان كثير من الأخيار يتكفّل بإفطار جماعات من الفقراء والمساكين طلباً للأجر العظيم، والثواب الجزيل من الله تعالى.

كانت مساجد السلف تمتلىء بالطعام المقدَّم للفقراء، فلا تجد جائعاً ولا محتاجاً.

والعجيب أنّ كلَّ ما يُنفقه العبد في أكله وشربه ولباسه، فانٍ زائل لا محالة إلا ما يُنفقه في مرضاة الله عزّ وجلّ.

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (١١٤/٤)، والدارمي (٧/٢)، والترمذي (٨٠٧)، وابن ماجه (١٧٤٦)، وابن خزيمة (٢٠٦٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣٤٢٩) من حديث زيد بن خالد الجهني بسند صحيح، رجاله كلهم ثقات.

يقول عزّ من قائل: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

أيها الصائم إنك ببذلك وعطائك تُقرض ربك ليوم فقرك وحاجتك وضرورتك يوم الفقر والمسكنة، يوم التغابن.

أيها الصائم: شربة ماء، ومذْقة لبن، وحَفْنة تمر، وقليل من الطعام والمال، واللباس، والفاكهة، تُسديها إلى محتاج، هي طريقك إلى الجنة.

أيها الصائم، تالله لا يحفظ المال مثل الصدقة، ولا يزكي المال مثل الزكاة.

مات كثير من الأثرياء، وتركوا من الأموال، والكنوز، والدور، والقصور، ما الله به عليم، فأصبح كل ذلك حسرة عليهم، وندامة وأسفاً، لأنهم ما جعلوه في مصارفه.

وغداً يظهر لك الربح من الخسران، والله المستعان.

رمضان شهر القيام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ١ ـ ٤]. هكذا قال سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ. ولقد امتثل الحبيب ﷺ أمر ربّه فقام وأطال في القيام، وبكى وأطال في البُكاء، وخشع وأطال في الخشوع. ويقول عزّ وجلّ لرسوله ومصطفاه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩].

مثل قيامك في ليالي الدنيا يكون قيامك المحمود يوم القيامة. رمضان شهر الصيام والقيام، أحلى الليالي وأغلى الساعات يوم يقوم الصوّام في جنح الظلام:

ليل الصائمين قصير لأنه لذيذ، وليل العابثين طويل لأنه سقيم.

فقِصارُهنّ مع الهمومِ طويلةٌ وطِوالُهنّ مع السُّرور قصارُ

وصف الله الصالحين من عباده فقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذاريات: ١٧]، فليلهم من أحسن الليل، ووصفهم في السحر فقال: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٨]، وقال: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]. فأسحارهم من أجمل الأسحار:

يا ليلةَ الجزعِ هلاّ عدْت ثانيةً سَقَى زمانَك هطّالٌ من الديم
أمسيتُ في نشوةِ التّوفيق يُقْلِقُني طُلوعُ فجرٍ بدا من عالي العَلَمِ

كان المهاجرون والأنصار إذا أظلم عليهم الليل سمع لهم نشيج بالبكاء، وإذا أسفر الصباح فإذا هم الأسود إقداماً وشجاعة:

في الليلِ رهبانٌ وعندَ لقائهم لعدوِّهِمْ من أشْجَعِ الشُّجْعَانِ

كانت بيوت المهاجرين والأنصار في ظلام الليل مدارس تلاوة، وجامعات تربية، ومعاهد إيمان، فما لبيوت كثير من الناس اليوم أصبحت ثُكْنات للغناء، والمجون، وملاجىء للسفه واللهو؟. اللهم عفوك يا كريم.

لما فقدنا قيام الليل قست قلوبنا، وجفَّت دموعنا وضَعُف إيمانُنا.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**من قامَ رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه**»[1].

ومما يُعين على قيام الليل تذكر ذاك القيام المهول: يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يُبعثرُ ما في القبور، ويُحصل ما في الصدور.

ومما يعين على قيام الليل: تذكر ظلمة القبر، ووحشة القبر، وهمِّ القبر، فقيام الليل نور لظلمة القبور.

ومما يُعينَ على قيام الليل: تذكر الأجر، والمثوبة، والعفو عن الخطيئة والذنب.

تفنَّن السلف في قيام الليل، فمنهم من أمضى الليل راكعاً، ومنهم من قطعه ساجداً، ومنهم من أذهبه قائماً، منهم التالي الباكي، ومنهم

---

(١) رواه البخاري (٣٧ ـ ٢٠٠٩)، ومسلم (٧٥٩) وغيرهما وقد سبق.

الذاكر المتأمل، ومنهم الشاكر المعتبر، لماذا أقفرت بيوتنا من قيام الليل، لماذا خَوَت من التلاوة، لماذا شكت منازلنا من قلة المتهجِّدين؟.

أيا دارَ سَلْمى كنتِ أولَ منزلِ   نَزلنا به والرّكبُ ضجت بلابله
نزلنا فلمْ نشهدْ به رفقةً مضتْ   فسالَ من الدّمع المكتّم عاجلُه

إذا أظلم الليل نامت قلوب الغافلين، وماتت أرواح اللاعبين، حينها تحيى القلوب المؤمنة، وتسهر العيون الخائفة.

نَامتْ الأعينُ إلاَّ مقلةٌ   تذرفُ الدّمعَ وترعى مَضْجعَكْ

كيف ينام من يتذكر رقدة القبور، والحشر يوم النشور، وقاصمة الظهور، ما كنّا نظن أن جيلاً من المسلمين يسهر على الورق والشطرنج، والغناء، وقلة الحياء، فرحماك يا رب:

كُنْ كالصحابةِ في زهدٍ وفي ورعٍ   القومُ هم ما لهُمْ في الناسِ أشباهُ
عبّاد ليلٍ إذا جنّ الظلامُ بهم   كم عابدٍ دمعه في الخدِّ أجراهُ

صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لابن عمر: «**يا عبدالله لا تكُن كفلانٍ كان يقوم الليل ثم ترك قيام الليل**»(١).

---

(١) رواه البخاري (١١٥٢). ومسلم (١٨٥) من كتاب الصيام، وقد سبق.

البيت الإسلامي في رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

يقول المولى جلّت قدرته: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩].

البيت الإسلامي بيت أسس على التقوى، عماده: تقوى الله، وأطنابه: الأعمال الصالحة، وأساسه: امتثال أمر الله تعالى.

يقول عزَّ مِن قائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

البيت أمانة، ومسؤولية، ورعية، فهل من راعٍ واعٍ، ومن مسؤولٍ أمين؟!

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**كلُّكم راع وكُلُّكم مسؤول عن رعيته**»(١).

ورعاية البيت في رمضان وغيره، تقوم بأمرهم بالصَّلاة، قال تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٥].

---

(١) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إن أحوج ما يحتاجه البيت المسلم إلى أبٍ رشيدٍ، وأمٍّ مؤمنة، يقومان على تربية البيت.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وإنّ من أعظم الأمانات البيت وإصلاح البيت.

البيت الإسلامي يعيش رمضان ذكراً، وتلاوة، وخشوعاً، وتقوى.

البيت الإسلامي عامر بسنّة محمد ﷺ في الطعام، والشراب، والمدخل، والمخرج، واليقظة، والمنام.

البيت الإسلامي يحترم الحجاب، ويدين لله به، ويعتبره شرفاً وعزّاً للمرأة، وأجراً ومثوبة عند الله عزّ وجلّ.

ابْتُليتْ بيوتٌ كثيرة بالغناء، فأفسد قلوب أهلها، وضيّعَ مستقبلها، وفتَّتَ قوتها.

دخل الغناء، واللهو بعض البيوت، فخرج الذّكر والسكينة، والحشمة، والوقار. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٦]، ولهو الحديث عند أهل العلم هو الغناء، فكم عبث الغناء بالقيم، وسفَّه المبادىء، وأرهق العقول.

البيت الإسلامي يصحُو على ذكر الله، وينامُ على ذكره بعيداً عن اللغو والهُراء، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ٣].

بُيوتُ الصالحينَ لها دَوِيٌّ ... بذكر الله رب العالمينا
لها نورٌ من التَّوفيق عالٍ ... كأن شُعَاعَهُ من طورِ سِينا

ليت البيوت الإسلامية تُدخل العلم الشرعي جنباتها لتكون رياضاً للمغفرة وبساتين للعرفان.

إن البيت يحتاج إلى مسائل مهمة، من أعظمها المحافظة على

الصلوات الخمس، في أوقاتها بخشوعها، وركوعها، وسجودها وروحانيتها، وعلى تلاوة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار، وعلى ذكر الله عز وجل بالغدوّ والآصال، وعلى إحياء السُّنن في كلّ دقيقة وجليلة، ويحتاج إلى إخراج كل لهو وعبث واجتناب كل لغو وزُور.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

إن شهر رمضان يُضفي على البيت المسلم روحانية واطمئناناً، فيوقظ أهل البيت لقيام الليل، ويدعوهم إلى صيام النهار، ويحثّهم على ذكر الله عزّ وجلّ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩ ـ ٣٠].

نسألك يا أرحم الراحمين أن تملأ بيوتنا بالإيمان والحكمة والسكينة.

ذكرياتنا في رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

فأجمل ذكرياتنا نحن المسلمين في شهر رمضان، أُنزل كتابنا العظيم، والذكر الحكيم في شهر رمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

نزل كتابنا في رمضان، فكانت ذكراه أحلى الذكريات، وأيامه في الدَّهر خالدات.

نزل القرآن الكريم على أمة أميَّة، ليخرجها بإذن الله تعالى من الظلمات إلى النور.

كلما جاء رمضان تذكرنا هذه المنّة العظيمة بإنزال هذا الكتاب الحكيم على الرسول الكريم، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

وفي رمضان انتصرنا وغلبنا ـ بإذن الله ـ الباطل، ودَحرنا الكفر في بدر الكبرى.

وفي رمضان انتصر رسولنا ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢٣﴾ [آل عمران: ١٢٣].

انتظر الإسلام على الكفر في رمضان، وارتفعت لا إله إلا الله محمد رسول الله في رمضان، واندَحَر الإلحاد في رمضان ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

بدر الكبرى كانت في السابع عشر من هذا الشهر، فكلما مر بنا هذا اليوم ذكَّرنا بتلك الغزوة المباركة.

في رمضان كانت غزوة الفتح، فتح مكة، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح: ١].

فتح رسولنا ﷺ القلوب بالقرآن الكريم في رمضان، وفتح مكة بالتوحيد في رمضان، فاجتمع الفتحان، وانتصر الإيمان، وعلا القرآن، وفاز حزب الرحمٰن. معارك المسلمين الكبرى تقع في رمضان، وانتصارات المسلمين الخالدة كانت في رمضان.

ومن ذكرياتنا في رمضان أن أمين الوحي جبريل (عليه السلام) كان ينزل على رسولنا ﷺ في هذا الشهر كثيراً فيدارسه القرآن ويراجع معه آيات الله البيِّنات، ويثبِّت حفظه ويتدبَّر معه تلك الحكم العظيمة والآيات الكريمة، ويعيد عرض هذا الكتاب عليه، ويتأنق معه في التلاوة، ويجوِّد معه الوحي، فكانا في أعظم عبادة، وأجل قربة، وأحسن مجلس.

ومن ذكرياتنا في رمضان اجتماع الصدر الأول من الصحابة في صلاة التراويح، فكانوا يسمعون لإمام واحد، وهو يتلو عليهم كتاب ربهم، فيخشعون، ويبكون، ويتدبَّرون.

يطول بهم الليل فيقصرونه بالقيام، فلو رأيتهم وقد سالت منهم الدموع، وثبت في قلوبهم الخشوع، فهم في قيام وسجود وركوعٍ.

ولو رأيتهم، وقد هلّت منهم العبرات، وارتفعت منهم الزَّفرات، وضجُّوا إلى رب الأرض والسموات.

ولو رأيتهم وقد وجلت منهم القلوب، واقشعرَّت منهم الجلود، وجادت بدمعها العيون.

ومن ذكرياتنا في رمضان: أنه الشهر الذي تفتح فيه أبواب الجِنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتُقيَّد فيه الشياطين، وهذه من أحلى الذكريات يوم يشعر المؤمن أنه مرحوم في هذا الشهر الكريم، وأن إغواء الشياطين مصروف عنه في هذه الأيام المباركة، ثم إن لكل صائم في هذا الشهر فرحتين: يفرح بفطره، ويفرح بلقاء ربه تبارك وتعالى، فكلما تجدَّد هذا الشهر تجدّد معه الفرح وزاد الأنس والسرور.

وهذا الشهر كفَّارة لما بينه وبين رمضان الماضي كما أخبر بذلك ﷺ في الصحيح، فهو شهر يحمل ذاكرة مجيدة لكل مسلم، يوم يعلم أنه مطهِّر له من السيئات والخطايا.

ورمضان شهر الفقراء والمساكين، فهم يجدون فيه السخاء، والعطاء، من الأغنياء، ويجدون العون، والمدد من الأثرياء، فكثير منهم يسعد في هذا الشهر بما يجود الله به على أيدي الباذلين.

قال ﷺ: **«إنَّ في الجنة باباً يقال له الرَّيَّانُ، يدخل منه الصائمون، فإذا دخلوا أُغلقَ فلا يدخلُ منه غيرهم»**(١).

فباب الرَّيَّان له مكانةٌ عظيمةٌ في رمضان عند عباد الرحمٰن.

أتاكَ شهرُ السّعدِ والمُكرماتْ فحيّهِ في أجملِ الذِّكرياتْ
يا موْسم الغُفْرَانِ أتْحَفْتَنَا أنتَ المُنى يا زمنَ الصّالحاتْ

اللهمَّ أعِد علينا رمضان أياماً عديدة، وأعواماً مديدة، في ثياب من البرّ والتوبة جديدة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦) بلفظ قريب. ومسلم (١١٥٢) وقد سبق.

رمضان طريق للتوبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فإن من أعظم ما يعود على المسلم في هذا الشهر الكريم: توبته وإنابته إلى ربه، ومحاسبته لنفسه، ومراجعته لتاريخه.

باب التوبة مفتوح، وعطاء ربك ممنوح، وفضله تعالى يغدو ويروح، ولكن أين التائب المستغفر؟ قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وهذا الشهر هو موسم التوبة والمغفرة، وشهر السّماح والعفو، فهو زمن أغلى من كل غالٍ وأنفسُ من كل نفيسٍ.

جاء عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمسُ من مغربها**»(١).

الإساءات منّا كثيرة، والعفو منه أكثر، الخطأ منّا كبير، ورحمته أكبر، الزلل منّا عظيم، ومغفرته أعظم:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري.

سبحان من يعطي ونخطىء دائماً ولم يزلْ مهما هفَا العبدُ عفا
يُعطي الذي يُخطي ولا يمنعهُ جلالُه عن العطَا لذِي الخطَا

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)﴾ [آل عمران: ١٣٥].

لم يصرُّوا أبداً، أخطأوا فاعترفوا، وأذنبوا فاستغفروا، وأساؤوا فندموا، فغفر الله لهم.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**رَغِمَ أنف من أدركه رمضان فلم يُغفر له**»[(١)]. إنها فرصة لا تتكرر أبداً، ولا تعود إلا نادراً، فهل من مجتهد حريص؟

ذنوب العام كل العام تُمحى لمن صدق مع الله تعالى في رمضان إذا اجتنب الكبائر، النقص طوال السَّنة، والعيوب المتراكمة تصحح في رمضان.

صحَّ في الحديث القدسي أن الله عزّ وجلّ يقول: «**يا عبادي إنكم تُذنبون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم**»[(٢)].

من طبيعتنا الذنب، ولكن منَّا من يتوب، وينيب ويستغفر مولاه، ومنَّا من يصرُّ ويستمر ويُكابر، وهذا هو المغبون المخذول عن طريق الهداية.

أتوبُ إليكَ يا رحمنُ ممَّا جنتْ نفسي فقد كثُرتْ ذنوبُ
وأشكو يا إلهي من معاصٍ أصابتني وآذتني عيوبُ

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٣٥٤٥). يُنظر «صحيح الجامع» للألباني رقم (٣٥١٠).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

صحَّ في الحديث القدسي أن الله يقول: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي**»(١).

يا صائمون، هذا الشهر فرصتنا للتوبة النصوح، وهذه الأيام غنيمة لنا فهل نبادر الغنيمة والفرصة؟

وبادرْ بالتوبةِ النصوحِ قبل احتضارٍ وانتزاع الروحِ
لا تحتقرْ شيئاً من المآثمِ وإنَّما الأعمالُ بالخواتِم

صام معنا قوم في العام الماضي، ثم ردُّوا لمولاهم الحق، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين، مضوا بأعمالهم وتركوا آثارهم.

ومن علامات قَبول الصائمين: الصدق في التوبة، والعزم على عدم العودة، والندم على ما فرّط العبد في جنب الله عزّ وجلّ.

يقول سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ۝٢٥﴾ [الشورى: ٢٥].

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لو لم تُذنبُوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»(٢).

متى يتوب من لم يتب في رمضان؟ ومتى يعود إلى الله من لم يعد في رمضان؟

إن بعض الصائمين يستقيم حاله، ويصلح باله في رمضان، فإذا انتهى الشهر، وانصرم الصيام، عاد إلى حالته القديمة، وسيرته الأولى فأفسد ما أصلح في رمضان، ونقض ما أبرم في رمضان، فهو عمره في هدم، وبناء، ونقض، وإبرام. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].

---

(١) صحيح، وقد سبق.
(٢) رواه مسلم (٢٧٤٩).

كان كثير من السلف إذا انتهى شهر الصيام بكوا لفراقه، وتأسَّفوا على رحيله، وندموا على انتقاله، وذلك لكثرة صلاحهم، وصفاء قلوبهم، وإشراق نفوسهم.

اللهمَّ وفِّقنا لما وفَّقت إليه عبادك الصالحين، واهدنا صراطك المستقيم.

الإيمان يزداد في رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

فالإيمان يزيد وينقص بحسب الأعمال، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، يزيد بالصلاة، وينقص بالفساد، يزيد بالاستقامة، وينقص بالانحراف، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَنٰهُمْ تَقْوَنٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧]، وقال عزَّ مِن قائل: ﴿لِيَزْدَادُوٓا إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وفي رمضان يزداد الإيمان، ويعظم اليقين، ويشرق التوحيد لقرب العبد من ربِّه تبارك وتعالى.

فالصيام من أعظم الأعمال، وهو قُربة إلى الله عزّ وجلّ، وصلة عظيمة يباعد بين العبد وبين النار، ويفرق بين المسلم والمعاصي.

وقيام رمضان أنس، ومحبة، وطاعة، وشوق يطرد النّفاق عن العبد، ويسقي شجرة الإيمان، حتى تستوي على سوقها، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وإليكم، أيها الصائمون، تلك الأعمال التي تزيد في إيمانكم، وتنمّي يقينكم:

١ - الصلاة في جماعة بخشوع، وخضوع، وتأمل، وحضور

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]، والصلاة في جماعة مُذهبة للنفاق، ومُورثة للخشية، وناهية عن الفحشاء والمنكر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٢ ـ قراءة القرآن الكريم بتدبُّر، وتأمل آياته، والعيش في ظلاله، واستنشاق نسماته، والاهتداء بهديه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩].

٣ ـ ذكر الله عزّ وجلّ بالقلب، واللسان، والجوارح، واللهج بالتسبيح، والتكبير، والتحميد، والتهليل ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ومناجاة الله عزّ وجلّ في الأسحار، والإكثار من الاستغفار.

٤ ـ طلب العلم النافع، والتفقه في الدين ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]، وسؤال أهل العلم، قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وحضور مجالس الذكر «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»، فطلب العلم زيادة في الإيمان، وتثبيت لأصل التوحيد: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] بدأ هنا بالعلم قبل القول والعمل.

٥ ـ ومما يزيد الإيمان: الصدقة، والبذل والعطاء، فإنها ترفع من إيمان العبد وتزكيه، تهذِّب سلوكه، وتقوّم اعوجاجه.

٦ ـ ومما يزيد الإيمان: التفكرُ في آيات الباري، تبارك اسمه، ومطالعة آثاره في الكائنات، وبديع صنعه في المخلوقات. قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ورمضان زمن صفاء ذهن المتأمل، وإشراق فكر المتفكر،

واستنارة قلب المعتبر، فهو جدير بالتفكر في بديع صنع الخالق، تباركت أسماؤه.

والإيمان ينقص ويمرض وقد يموت.

فهو ينقص:

١ ـ بالإعراض عن الكتاب والسنة، والاكتفاء بحثالة أذهان البشر، وعصارة أدمغة الناس، والعكوف على نتاج المخلوقين الضعفاء المقهورين، فإذا فعل العبد ذلك، واستبدل الذي هو خير بالذي هو أدنى تمّت خسارته، وبان هلاكه، وظهرت مقاتله، واستحوذ عليه الشيطان، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

إذا ما لم يزدْكَ العلمُ خيراً فليتَكَ ثم ليْتكَ ما علمْتَا
وإن ألقاكَ فهمُك في مغاوٍ فليتَكَ ثم ليتكَ ما فهمتا

٢ ـ ويُنقص الإيمان: اللهوُ، واللعبُ، والغفلة، والإعراض عن منهج الله عزّ وجلّ ومجالسة أهل الباطل المعرضين عن الشريعة الساقطين في حمأة الرذائل والشهوات، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

٣ ـ ويُنقص الإيمان: إطلاقُ الجوارح في المعاصي، وتلطيخ الأعضاء بالسيئات، وتسويد القلب بالذنوب.

عين تنظر إلى الحرام، وأذنٌ تستمع إلى الخنا، وقلب يرتع في الشهوات، ويد تبطش ظلماً، وفرج يقترف الفحشاء، وبطن يمتلىء من الآثام، رحماك يا رب وعفوك يا الله.

يا صائماً عافَتْ جوارحُه الخَنَا أبشرْ برضوانٍ من الديّان
عفوٍ ومغفرةٍ ومسكن جنةٍ تأوي بها من مدْخلِ الريّان

على الصائم أن ينظر هل زاد إيمانه في رمضان أم نقص؟ هل عظم يقينه أم قلَّ؟ ليعرف الزيادة من النقصان، والرِّبح من الخسران.

اللهمَّ زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً وتوفيقاً.

محبة الله عزَّ وجلَّ
تعظيم في رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

فإن امتثال أمر الله عزّ وجلّ بصيام شهر رمضان تزيد من محبة الله عزّ وجلّ في قلب الصائم. وأولياء الله عزّ وجلّ يُحبون ربهم تبارك وتعالى حُبّاً عظيماً ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وليس العَجَب من قوله [يحبونه] فإنه سبحانه المنعم المتفضل، لكن العجب من قوله [يحبهم] يخلقهم، ويرزقهم، ويعافيهم، ثم يحبهم.

ولمحبة الله عزّ وجلّ عشر علامات مَنْ فعلها فقد أحبَّ الله حقيقة لا ادعاءً:

أولها: محبة كلامه الذي تكلَّم به، وأنزله على رسوله ﷺ وحياً. والشوق إلى تلاوة هذا الكلام، وتدبره، والأنس به، وإصلاح القلب بتعاليمه، وتسريح الطرف في رياضه، والسهر به في جنح الليالي، وحنادس الظلام، والعمل بمقتضاه، وتحكيمه في كل شؤون الحياة.

ثانيها: محبة رسول الله ﷺ، واتّباعه، وكثرة الصلاة والسلام عليه ﷺ، واعتقاد عصمته، واتخاذه أُسوة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى

رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، والعمل بسنته بدون تحرُّج، ولا تهيُّب، ولا تذبذب ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

ثالثها: الغيرة على محارم الله تعالى، والذّبّ عن حدود الله عز وجل أن تُنتهك، والغضب عند إهانة شيء من شعائر الإسلام، والتحرق على هذا الدين، والتألم لواقعه بين أهل البدع، والمجاهدة بالقلب واللسان واليد ما أمكن لنصر شرع الله وتمكين دين الله في الأرض.

رابعها: التشرف بولاية الله تعالى، والحرص على نيل هذه الولاية، وصف الله أولياءه فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: ٦٢ - ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

خامسها: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبذل النفس، والنفيس في ذلك، فهو قطب رَحَى الإسلام، وسياجه، وترسه الذي يحتمي به، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وتزيد هذه الصفة إشراقاً في شهر رمضان، وبذل الصائمون الصادقون نصيحتهم، ودعوتهم لعباد الله محتسبين الأجر من الله تبارك وتعالى.

سادسها: الاجتماع بالصالحين، وحبّ الأخيار، والأنس بمجالسة أولياء الله، وسماع حديثهم، والشوق إلى لقائهم، وزيارتهم، والدعاء لهم، والذّبّ عن أعراضهم، وذكر محاسنهم، ونفعهم بما يستطاع،

فالله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

سابعها: التقرُّب إلى الله بالنوافل، والتوصل إلى مرضاته بالأعمال الصالحة، صلاة، وصياماً، وصدقة، وحجّاً، وعمرة، وتلاوة، وذكراً، وبرّاً، وصلةً إلى غيرها من الأعمال؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ويقول سبحانه في الحديث القدسي الصحيح: **«وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّهُ»**(١).

ثامنها: تقديم حبّ الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، والتهيؤ للقاء الله عز وجل، والتزود ليوم المعاد، وإعداد العُدة لذاك الرحيل المرتقَب.

تزوّد للذي لا بدَّ منهُ ... فإنَّ الموت ميعادُ العبادِ
أترضى أن تكون رفيقَ قومٍ ... لهم زادٌ وأنتَ بغير زادِ

تاسعها: التوبة النصوح، وترك المعاصي، والمخالفات، والإعراض عن اللاهين اللاعبين، من أهل الانحراف والفجور، فإن مجالستهم حُمَّى دائمة وسُمٌّ زعاف وداء مستمر ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، ويقول ﷺ في الصحيح: **«المرء يُحشرُ مع من أحبّ»**(٢).

عاشرها: تمني الشهادة في سبيل الله، وارتقاب ذاك اليوم الذي تُقدَّم النفسُ فيه خالصة لله، وبيع النفس، والمال، والولد من الله تعالى، وعدم العود في هذا البيع العظيم، والصفقة الرابحة.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري (٦١٦٨ ـ ٦١٦٩ ـ ٦١٧٠) ومسلم (٢٦٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١].

اللهم زدنا لك محبة، وفيما عندك رغبة، وإليك إنابة، إنك على كل شيءٍ قديرٌ.

كيف نربي أطفالنا في رمضان وغيره؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

ففي رمضان تتجلى التربية الصادقة، والتوجيه الحكيم في رعاية الأطفال، فهم أمانة ووديعة.

كان السلف الصالح يُدربون أطفالهم على الصيام، ويعوِّدونهم على القيام.

وينشأ ناشىء الفتيان منَّا على ما كان عوّدهُ أبوهُ

فيا صائماً، يريد لأبنائه الفوز معه، إليك مسائل في التربية لعلها أن تدعوك إلى حسن الرعاية بأطفالك:

أولاً: كن قدوة أنت أيها الوالد، في أخلاقك، وسلوكك، وحياتك، فإن أطفالك ينظرون إليك: أباً، ومعلماً، ومربياً، وأُسوة، يقول سبحانه عن زكريّا عليه السلام: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثانياً: ما يُعرض، وما يُسمعُ، وما يُرى في البيت له أعظم الأثر

في حياة الطفل ومستقبله، فإدخال الإيمان، والقرآن الكريم، والسنّة في البيت وكثرة الذكر والقيام بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه تكوّن طفلاً مستقيماً ملتزماً.

وإدخال الملاهي، والمفاتن، وآلات اللعب، والإغواء، والتهاون بشرع الله تعالى تخرج طفلاً لاغياً هامشياً.

ثالثاً: ربط الطفل بكتاب الله عزّ وجلّ، حفظاً، وتجويداً، وتلاوةً، فهذا عصر الحفظ، وهذا زمن التلقي، وإذا فات الطفل هذا العصر الذهبي، وقضاه في الضياع، والتلفت، والترفيه ندم بعد كبره أعظم ندامة، وتأسف كل الأسف ولات ساعة مندم.

رابعاً: مصاحبة الطفل في عهد الطفولة، والصّبا، ومنعه من مصاحبة الأنذال، والأرذال، وسَقَطَة الناس، وسفَلة القوم، فإنهم أضر عليه من الجرَب، وأفسد من كل عدو، فلا إله إلا الله، كم أفسد الفاسد من صالح، وكم أثّر الجليس في جليسه، وكم سحب الصاحب من صاحب، وقد صحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«المرءُ على دين خليله، فلينظر أحدكُم من يُخالِل»**(١).

عن المرء لا تسأل وسلْ عن قرينِه فكلُّ قرينٍ بالمقارن يَقتدي

خامساً: تنشئة الطفل تنشئة عصامية رُجوليَّة، فتحبب له معالي الأمور وتكرّه إليه أراذلها، وقد صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«إن الله يحبُّ معاليَ الأخلاق ويكرهُ سفسافها»**(٢)، فلا يميِّع الطفل

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٣٧٨) وحسّنه، وأحمد (٢: ٣٠٣)، قال الشيخ شاكر في شرحه للمسند (١٥: ١٧٨): إسناده صحيح. ورواه أبو داود والحاكم والخطيب وعبد بن حُمَيد.

(٢) حسن، ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨: ١٨٨)، ثم قال: رواه الطبراني في «الكبير»، و«الأوسط» بنحوه، ورجال الكبير ثقات. وابن عدي وغيرهما، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٢٧).

ولا يترك متشبهاً بالنساء، والسقطة، والأرذال، فإنّها حسرة عليه، وعار، وشنار.

سادساً: ملاحظة الطفل في زيّه، ولباسه، وهيئته، فيقوم بالأدب على منهاج السنة وعلى الطريقة المحمدية الكاملة فلا يتشبه بأعداء الله، وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**من تشبّه بقوم فهو منهم**»(١). فيجنَّب الذَّكرُ لبس الذّهب، والحرير، والإسبال، والميوعة، والانكسار في الكلام، وكثرة الضحك، والعبث، والطيش، والعجلة، والخفّة، والسخف، وضياع الوقت، وغير ذلك من العيوب والمثالب.

سابعاً: تعظيم أمر الله في قلب الطفل، وتعظيم كل ما له علاقة بالدِّين، فيقدّس الله عزّ وجلّ بأسمائه وصفاته وأفعاله، وينزهه عن العيوب، ويُظهر هذا للطفل في تربيته ليغرس في نفسه تعظيم الله عزّ وجلّ، وكلامه، ورسوله ﷺ.

ثامناً: توجيه الطفل لطلب العلم النافع، وتحصيله، والجدّ فيه، والإخلاص في طلبه، وبذل الجُهد في حفظه وتكراره، وإشعار الطفل بثمرة العلم العظيمة اليانعة، ونتائجه المعسولة لعلّه أن يهُبَّ من رقدة السّبات، وسنة الغفلة.

أبا بكرِ دعوتُك لو أجبْتَا ... إلى ما فيهِ حَظُّكَ لو عقلْتا
إلى علم تكونُ بهِ إماماً ... رئيساً إن نهيت وإنْ أمرْتا

تاسعاً: الدعاء له بالتوفيق مع كل صلاة، والإلحاح في مسألة المولى تبارك وتعالى، أن يصلحه، وأن يهديه، وأن يأخذ بيده،

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٢/ ٥٠) قال الشيخ شاكر في شرحه للمسند (٧/ ١٢١): إسناده صحيح؛ ورواه عبد بن حُمَيد في «المنتخب من المسند»، وابن أبي شيبة في «المصنف» وأبو سعيد الأعرابي في «المعجم»، والهروي في «ذم الكلام» وصححه ابن تيمية، وابن رجب وغيرهما.

والضراعة في السحر وفي أوقات الإجابة أن يكتب الله الإيمان في قلبه، وأن يؤيّده بروح منه، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

عاشراً: رحمة هذا الطفل، والشفقة، والعطف عليه، وتقبيله، ومداعبته وممازحته، وإدخال السرور عليه، وعدم الغلظة، والفظاظة معه، وعدم تجريحه أمام الناس، وليفعل المسلم بأطفاله كما فعل رسول الهدى ﷺ بالأطفال، فإن الراحمين يرحمهم الله عزّ وجلّ.

اللهم اجعلنا مباركين أينما كنا، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ظاهرة الإسراف في رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

الإسراف: من الذنوب والخطايا التي وقعت فيها الأمم المنحرفة، وقد نهانا الله عنه وذمّه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

الإسراف عادة أقوام لا يرجون لله وقاراً، ولا يحترمون نعم الله عزّ وجلّ، قال سبحانه: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧]، لقد أكثر بعض الناس من الإسراف في رمضان.

فمن صور الإسراف: الإكثار من الطعام فوق الحاجة، فإن من الناس من تعوّد كثرة المطعومات، والمشروبات، فتراه في رمضان يملأ مائدته في الإفطار والسحور بكل ما لذّ وطاب، ثم تكون عرضة للإتلاف والرّمي.

فيا أيها الصائم، إياك إياك، والإسراف، إن في المسلمين فقراء ومساكين، ومحتاجين، ففطّر عباد الله بما زاد على حاجتك، لتكون لك ذخراً عند الله عزّ وجلّ، قال سبحانه عن عباده الصالحين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً

وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٠].

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**يقول عزّ وجلّ يوم القيامة: يا ابن آدم استطعمتك ولم تُطعمني؟ قال: كيف أطعمكَ وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً استطعَمَك فما أطعمته، أما إنك لو أطعمتهُ لوجدت ذلك عندي..**». الحديث(١).

ومن صور الإسراف: الإسراف في النوم فوق القدر المطلوب، وخاصة في النهار، فإن بعض الصائمين جعلوا من أيامهم غفلةً وسُباتاً عميقاً، والعجيب أن هؤلاء يسرفون في سهرٍ لا طائل من ورائه، سهر ضائع في القيل والقال والتوافه، والبعض يسهر في مزاولة أمور محرمة، ومكروهة تُغضب المولى تبارك وتعالى.

ومن صور الإسراف: الإسراف في الإعداد لعيد الفطر، وتكليف النفس فوق طاقتها، والتبذير في الإنفاق من لباس، وهيئة، ولعب، ومباهج، حتى إنك لترى بعض الفئات من الناس ينفقون الألوف المؤلَّفة في هذه الترّهات، بينما هم من أبْخل الناس في أبواب الخير، وفي طرق البر.

فيا من أنعم الله عليه بالمال، في المجتمع يتيمٌ، وفي الناس مسكين، وفي جوارك فقير، ألا تطعم جائعاً؟ ألا تكسو عارياً؟ ألا تبني مسجداً؟ ألا توصل منقطعاً؟ ألا تفكّ كربة مكروب؟

ومن صور الإسراف: عند بعض الصائمين كثرة الزيارة في غير طائل، وبلا فائدة، والإكثار من الخلطة بالناس لغير مصلحة، والاجتماع بالآخرين لغير نفع، فيذهب الزمن هدراً، والعمر بدداً، والأيام ضياعاً، والأوقات لعباً، ولسان الحال يقول: ﴿يَحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٩).

فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]، كذلك كثرة اجتماعات الناس على غير منفعة، وكثرة المجالس الفارغة.

تعيشُ الدّهر ويحكَ في غرورٍ بها حتَّى إذا متَّ انتبهتا

ومن صور الإسراف: إدمان التسلية، والترفيه في اللعب من كرة، وتمارين رياضية، وتنزهات، ونحوها على حساب وقت الجد والعبادة، والذكر والتلاوة وتحصيل العلم والدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حتى إن بعض الناس يدفع الوقت دفعاً عجيباً، وينفقه بيد التبذير، وغداً سيعلم إذا بُعثر ما في القُبور، وحُصِّل ما في الصدور أي شيء فعل.

إذا أنت لم ترحلْ بزادٍ من التُّقى ولاقيتَ بعد الموتِ من قد تزوَّدا
ندمت على أن لا تكون كمثلِهِ وأنَّك لم ترصدْ لما كان أرْصدَا

فصور الإسراف عند كثير من الناس متعدِّدة:

قوم أسرفوا في المعاصي والذنوب، فإسرافهم أخطر إسراف، وأسوأ تبذير.

وقوم أسرفوا في الوقت، فنثروه شذر مذر، وهم من أعظم الناس حسرةً يوم العرض الأكبر.

وقوم أسرفوا في الطعام والشراب واللباس، فما زادهم إلا تعاسة وقلقاً.

وقوم أسرفوا في المباحات من لعب، وتسليات، وتنزهات، فهم في الحقيقة مغبونون في أعمارهم.

نسأل الله توفيقاً وسداداً، ورشداً واقتصاداً.

رمضان شهر البرِّ والصلة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

ينكسر قلب الصائم، وتذلّ نفسه، وتزداد رحمته وشفقته، وأحقّ الناس برحمة الصائم، وبره، وصلته هم: أقاربه وأرحامه.

ورمضان يذكّر المسلْم بأن له أقارب، وأصهاراً، وأرحاماً، فيزورهم، ويصلهم، ويبرّهم، ويتودّد إليهم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

قطيعة الرحم من أعظم الذنوب، وأفظع الخطايا، وأجلّ الرزايا.

وصلة الرحم من أحسن الحسنات، ومن أكبر الأعمال الصالحات.

يقول أحد الحكماء، وهو يذكر تعامله مع أقاربه، وموقفه من عشيرته:

وإنّ الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمّي لمختلفٌ جدّا

إذا هَتكُوا عِرْضي وفرْت عروضهُم ... وإنْ هَدمُوا مجدي بنيت لهم مجدا

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لما خلق الله الرّحم تعلّقت بالعرش**

فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعَكِ، قالت: بلى، قال: فذلك لك»(١).

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**»(٢).

وصحَّ عنه ﷺ أن رجلاً قال له: يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسنُ إليهم ويسيئون إليّ. فقال ﷺ: «**إن لئن كُنْتَ كما تقول فكأنما تُسفُّهُم الملَّ ولا يزال معك من الله ظهير**»(٣)، ومعنى تسفّهم الملّ أي تُؤكّلهم الرماد الحارّ.

كان أقارب الرسول ﷺ، إلا القليل، من أشد الناس عداوة له، أخرجوه من داره، طاردوه، شرّدوه، آذوه، حاربوه، فلما نصره الله عز وجل عليهم، عفا عنهم عفواً ما سمع الناس بمثله.

فصلة الرحم: تزيد في العمر، وتبارك فيه، وتزكيه، ويكثر به الأجر، وتتضاعف به المثوبة.

وصلة الرحم: عنوان على كمال الإيمان، وخشية الرحمٰن، وامتثال القرآن.

وصلة الرحم: تقي مصارع السوء، وخزي الدنيا والآخرة، وسوء المنقلب.

وجاء في الأثر: «**إن الله أمرني أن أصل من قطعني، وأن أعفو عمن ظلمني، وأن أعطي من حرمني**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٠). ومسلم (٢٥٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٩٩١) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) حسن، روى أحمد (٤:١٤٨) أن رسول الله ﷺ قال لعقبة بن عامر: «**يا عقبة، صِل مَن قطعك، وأعطِ مَن حرمك، وأعرِض عمن ظلمك**». =

ومن أعظم الصلات وأرفع القربات برُّ الوالدين والحنو عليهما وإكرامهما والدعاء لهما وطاعتهما في طاعة الله عزّ وجلّ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمُّك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»(١).

فالصيام أعظم مدرسة للبرّ والصلة، فهو عين الأخلاق، ورافد الرحمة، وحبل المودة، من صام رقّت روحه، وصفت نفسه، وجاشت مشاعره، ولانت عريكته، فلعلنا أن نعود في هذا الشهر إلى أقاربنا فنتحفهم بالزيارة والبذل، والأنس، والدعاء، والصلة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

اللهم فقّهنا في الدين، وثبّتنا على سنة إمام المتقين، واهدنا سواء السبيل.

= وفي رواية «واعفُ عمن ظلمك» رواها أحمد ٤:١٥٨ قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨:١٨٨): رواه أحمد والطبراني. وأحد إسنادي أحمد رجاله ثقات.

(١) رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رمضان شهر الرحمة بالمسلمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

الرحمة فضل من الله يضعه في قلب من يشاء، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

والله رحمٰن رحيم، يحب الرحماء، ويدعو إلى الرحمة، ويأمر عباده أن يتواصوا بالصبر والمرحمة، وقد يفقد الإنسان الرحمة لأسباب، منها: كثرة الذنوب والمعاصي، فإنها ترين على القلب حتى يعمى، ويصبح أشدّ قسوة من الحجارة. قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، وقال سبحانه عنهم لما أعرضوا وتمردوا على شرعه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

ومما يُذهب الرحمة الطغيان بالمال، والتكبر بالغنى، قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦ ـ ٧]، ويوم يُهذَّب القلب بالإيمان، والعمل الصالح يمتلىء رحمة وحناناً.

ولعل من الأسباب في ضعف الرحمة كثرة الشبع، فإنه يُورث الأشر والبطر، ولذلك جاء شهر الصيام ليكسر هذا الجموح، ويُحطِّم هذا التفلت.

فالصائم من أرحم الناس؛ لأنه ذاق الجوع، ووجد الظمأ، وعاش المشقة، فبدأت نفسه تتوق لرحمة المسلمين، والحنان إليهم، واللطف بهم.

إن الرحمة مطلوبة من كل مسلم لأخيه المسلم، مطلوبة من المسؤول الراعي أن يرحم رعيته، وأن يشفق عليهم وأن يلين لهم. جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشْقُقْ عليه، ومن وَلي من أمر أمتي شيئاً فرَفَقَ بهم فارفق به»**(١).

والرحمة: تُطلب من العالم والأستاذ لطلابه، فيرفق بهم، ويتوخى بهم أيسر السبل، وأحسن المسالك ليحبوه، وينتفعوا بكلامه، فيجعل الله تعالى له أعظم الأجر، وأجلّ المثوبة. واقرأ قوله سبحانه مادحاً رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والرحمة: تُطلب من الإمام بالمأمومين فلا يشق عليهم ولا يدخل الضرر عليهم، بل يكون رحيماً رفيقاً حكيماً، صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«من أمَّ منكم بالناس فليُخفف فإن فيهم الكبيرَ والمريض والصغير وذا الحاجة»**(٢).

وصحَّ عنه ﷺ أنه لمَّا أطال معاذ بالناس قال له ﷺ: **«أفتّانٌ أنتَ يا مُعاذ؟ أفتّانٌ أنتَ يا مُعاذ؟ أفتانٌ أنتَ يا مُعاذ؟»**(٣).

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال لعثمان بن أبي العاص الثقفي لما قال: يا

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٩٠). ومسلم (٤٦٧) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٧٠١ ـ ٧٠٥). ومسلم (٤٦٥).

رسول الله اجعلني إمام قومي، قال: **«أنت إمامهم واقتد بأضعفهم واتَّخذ مؤذِّناً لا يأخذ على أذانه أجراً»**(١).

والرحمة: مطلوبة من الداعية المسلم بالمدعوين، فينْصَحُ لهم بلطف، ويبيِّن لهم بشفقة، فلا يفضح، ولا يجرح، ولا يشهِّر بالناس، ولا يشنِّع بالعصاة على رؤوس الأشهاد، فقد قال عزّ وجلّ موصياً موسى وهارون، عليهما السلام، في دعوتهما لفرعون الطاغية: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]. وقال سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

يقول الشافعي:

تعمّدني بنصحكَ في انفرادِ ... وجنّبْني النصيحةَ في الجماعة
فإن النصحَ بين الناسِ نوعٌ ... من التوبيخِ لا أرضَى استماعه
فإن خالفْتني وعصيتَ أمرِي ... فلا تجزعْ إذا لم تعطَ طاعة

والرحمة: مطلوبة من الوالد بأولاده، وقد سبق هذا في درس «كيف نربي أطفالنا». ورحمة الوالد، والأم بالأطفال له أعظم الأثر في صلاحهم، وفلاحهم، وطاعتهم، فإن الصلف والغلظة باب شؤم.

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزِعَ الرِّفقُ من شيء إلا شانه»**(٢).

يا صائماً جاع بطنه، إن آلاف البطون جَوْعَى تنتظر لقمة فهل من مطعم؟

---

(١) صحيح رواه أبو داود (٥٣١)، والنسائي (٦٧٢)، وأحمد (٤:٢١٧) وصححه الألباني في المشكاة (٦٦٨).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

يا صائماً ظمأت كبده، إن آلاف الأكباد ظَمْأى تنتظر جرعة من ماء فهل من ساقٍ؟

يا صائماً يرتدي أجمل اللباس، إن آلاف الناس في عُرْيٍ ينتظرون قطعة من قماش فهل من كاسٍ؟

اللهمَّ ارحمنا رحمة واسعة تغفر بها الذنب، وتمحو بها الخطيئة، وتعفو بها عن الزلل.

كيف نُحيي السنة في رمضان؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

إمام الأمة، وقدوة الناس، هو: محمد رسول الله ﷺ، لا سعادة إلا في اتباعه، ولا فلاح إلا في اقتفاء أثره، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

الجنة لا تُدخل بعد إرساله ﷺ إلا من طريقه، سُنَّته كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها هلك، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدَثات الأمور فإنّ كلّ مُحْدَثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[1].

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٦٠٧). والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٢٦/٤ ـ ١٢٧) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«من رغِب عن سنتي فليس مني»**(١).

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»**(٢).

ويقول عزّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ومنع الله التقدم بين يديه، ويدي رسوله ﷺ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: ١].

وشهر رمضان هو موسم مبارك **لإحياء السنة المطهرة** في النفس والبيت والمجتمع. **أما سنن الصيام** فمرَّ شيء من ذلك في أول الكتاب عند الحديث عن هديه ﷺ في رمضان.

وأما السنن العامة التي تجب على الصائم المسلم أن يقوم بها في كل وقت فمنها: ما صحَّ عنه ﷺ عند مسلم والخمسة أنّه قال: **«عشر من الفطرة: قصُّ الشارب، وإعفاء اللحية، واستنشاق الماء، وقصُّ الأظفار، وغسلُ البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء»**(٣). والبراجم هي: العُقد التي على ظهر مفاصل الأصابع.

وصحَّ عنه ﷺ أنه نهى عن إسبال الإزار وما في حكمه، فقال

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري تعليقاً [باب النجش من كتاب البيوع، وباب إذا اجتهد العامل ـ أو الحاكم ـ من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة] ورواه موصولاً برقم (٢٦٩٧) بلفظ «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردّ» ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم (٢٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها بزيادة «والسواك» بعد «إعفاء اللحية» قال الراوي: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة.

كما عند مسلم: «**لا ينظر الله إلى من جرّ ثوبه خُيلاء**»[١]. وصحَّ عنه أنه قال: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**»[٢].

وصحَّ عنه ﷺ أنه نهى عن أمور كثيرة منها: نهيه ﷺ «أن يشرب الرّجُلُ قائماً».

ونهيه ﷺ عن «إقامة الرجل والجلوس في مقعده».

ونهيه ﷺ «عن أن يمسَّ الرجل ذَكَرَهُ بيمينه، وأن يمشي في نعل واحدة، وأن يشتمل الصماء[٣]، وأن يحتبي في ثوب ليس على فرجه منه شيء».

«ونهى أن يمشي الرجل في نعلٍ واحدة أو خُفٍّ واحدة».

«ونهى عليه الصلاة والسلام أن يُنفخ في الشراب».

«ونهى عن الأكل والشرب في إناء الذهب والفضة».

«ونهى ﷺ عن التختم بالذهب».

«ونهى ﷺ الرجال عن لبس الذهب والحرير، وأحله للنساء».

«ونهى ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب».

«ونهى ﷺ عن الصلاة إلى القبور».

«ونهى ﷺ عن النوم قبل العشاء، وعن الحديث بعدها».

---

(١) رواه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الصمّاء: أن يتجلبب الرجل بثوبه فلا يترك فُرجة يخرج منها يديه. فنهى عن ذلك لئلا يصيبه شيء فلا يقدر على دفعه. وقيل: الصمّاء هي أن يلبس ثوباً واحداً ويرفعه من جانب فتظهر عورته. والنهي عام.

«ونهى عن النياحة».

«ونهى عن نتف الشيب».

«ونهى عن صيام يوم الجمعة أي إفراده بالصيام».

«ونهى عن بيع فضل الماء».

«ونهى عن الوشم».

«ونهى عن الوصال»[١]. إلى غير ذلك من المناهي المعلومة في السنة الصحيحة.

ومن السنن الصحيحة الثابتة عنه ﷺ سنّة السواك، فقد صحّ أنه قال: **«لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسِّواك عند كل وضوء»**[٢]. وفي لفظ: **«عند كل صلاة»**. وصحَّ عنه أنه قال: **«السواك مطهرة للفمَ مرضاة للربّ»**[٣].

ومن السنن: تحية المسجد ركعتان قبل الجلوس، والبدء بالرِّجل اليمنى عند دخول المسجد، واليسرى عند الخروج، والبدء بلبس النعل باليمنى، والخلع باليسرى، والاستئذان ثلاثاً، فإن أذن وإلا فليرجع المستأذن، وإنما أشرت إلى السنن العملية اليومية.

اللهمَّ وفِّقنا لاتباع السنة والعمل بها والمحافظة عليها.

---

(١) ثبتت كل هذه المناهي بأسانيد صحيحة، ولا حاجة لإثقال الهوامش بذكر تخريجاتها.

(٢) يُنظر البخاري (٨٨٧ ـ ٧٢٤٠)، ومسلم (٢٥٢)، وموطأ مالك (١١٤ ـ ١١٥) من كتاب الطهارة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح، رواه أحمد (١ :٣) و(٦ ـ ٤٧) ورواه البخاري تعليقاً باب (٢٧) من كتاب الصوم جازماً به. والنسائي (٥)، والشافعي في الأم، والبيهقي، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٦٦).

رسالة إلى المرأة المسلمة بمناسبة رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

أختي المسلمة: سلام الله عليك ورحمته وبركاته.

أثنى الله عزّ وجلّ على المسلمات المؤمنات الصابرات الخاشعات، ووصفهن بأنهن حافظات للغيب بما حفظ الله، ولما ذكر الله عز وجل أوصاف الصالحين، قال سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وبمناسبة هذا الشهر أزفُّ إليك **يا فتاة الإسلام**، ويا أَمَةَ الله، التهنئة بهذا الشهر سائلاً الله لي ولك المغفرة والتوبة النّصُوح، وتقبّلي منّا بهذه المناسبة باقة من النصائح أطْلَعت عشر زهرات:

الأولى: المرأة المسلمة تؤمن بالله عزّ وجلّ ربّاً، وبمحمد ﷺ نبيّاً، وبالإسلام ديناً، وتظهر آثار الإيمان عليها قولاً وعملاً واعتقاداً، فهي تحاذر غضب الله، وتخشى أليم عقابه، ومغبّة مخالفة أمره.

الثانية: المرأة المسلمة تحافظ على الصلوات الخمس بوضوئها وخشوعها في وقتها، فلا يشغلها عن الصلاة شاغل، ولا يلهيها عن

العبادة مُلهي، فتظهر عليها آثار الصلاة، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي الحرز العظيم من المعاصي.

الثالثة: المرأة المسلمة تحافظ على الحجاب وتتشرف بالتقيد به، فهي لا تخرج إلا متحجبة تطلب ستر الله، وتشكره على أن أكرمها بهذا الحجاب، وصانها، وأراد تزكيتها. قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

الرابعة: المرأة المسلمة تحرص على طاعة زوجها فتلين معه وترحمه وتدعوه إلى الخير وتُناصحه وتقوم براحته ولا ترفع صوتها عليه ولا تُغلظ له في الخطاب.

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**إذا صلّت المرأةُ خَمْسَها وصامتْ شهرَها وأطاعتْ زوجها دخلتْ جنّة ربها**»(١).

الخامسة: المرأة المسلمة تربّي أطفالها على طاعة الله تعالى، تُرضعهم العقيدة الصحيحة، وتغرس في قلوبهم حب الله عزّ وجلّ وحب رسوله ﷺ، وتجنبهم المعاصي، ورذائل الأخلاق، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦].

السادسة: المرأة المسلمة لا تخلُو بأجنبي. وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**ما خلت امرأة برجل إلا كان الشيطان ثالثَهُما**»(٢). وهي لا تسافر

---

(١) صحيح، رواه أحمد (١٩١/١)، ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٧٢/٩) رقم (٨٨٠٠) ومال الشيخ أحمد شاكر في شرحه للمسند ٣:١٢٨ إلى انقطاع إسناد حديث الإمام أحمد.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤:٣٠٦: وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢١٦٥) وقال: حسن صحيح. وأحمد (٣٣٩/٣ ـ ٤٤٦).

بلا محرم، ولا تجوب الأسواق، والمجامع العامة إلا لضرورة، وهي متحجبة محتشمة متسترة.

السابعة: المرأة المسلمةُ لا تتشبّه بالرجال فيما اختصّوا به. وقد قال ﷺ: «**لعنَ الله المتشبهينَ من الرّجال بالنساءِ والمُتشبهات من النساءِ بالرجالِ**»(١). ولا تتشبه بالكافرات فيما انفردت به من أزياء وموضات وهيئات. وقد قال ﷺ: «**من تشبّه بقومٍ فهو منهم**»(٢).

الثامنة: المرأة المسلمةُ داعيةٌ إلى الله عزّ وجلّ في صفوف النساء بالكلمة الطيبة، بزيارة جاراتها، بالاتصال بأخواتها بالهاتف، بالكتيب الإسلامي، بالشريط الإسلامي، وهي تعمل بما تقول، وتحرصُ أن تنقذ نفسها، وأخواتها من عذاب الله تعالى. صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لئن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُرِ النَّعم**»(٣).

التاسعة: المرأة المسلمة تحفظ قلبها من الشبهات والشهوات، وعينها من الحرام، وأذنها من الغناء، والخنا، والفجور، وجوارحها جميعاً من المخالفات، وتعلم أن هذا هو التقوى.

العاشرة: المرأة المسلمة تحفظ وقتها من الضياع، وأيامها ولياليها من التمزق، فلا تكون مغتابة نمّامة سبّابة لاهية ساهية، قال سبحانه: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]. وقال تعالى عن قوم ضيَّعوا أعمارهم أنهم يقولون: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١].

اللهمَّ اهد فتاة الإسلام لما تحبه وترضاه، واعمُر قلبها بالإيمان.

---

(١) رواه البخاري (٥٨٨٥).

(٢) صحيح وقد سبق.

(٣) رواه البخاري (٢٩٤٢ ـ ٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

هموم العالم الإسلامي في شهر رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فيقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠].

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**مثل المسلمين في توادِّهم وتراحُمِهم كمثلِ الجسدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسهرِ**»[(١)].

المسلمون يعيشون هذا الشهر وهم في مآسٍ وأزمات.

❁ **شيوعية حمراء** تأكل الأخضر واليابس، وتسحق المسلمين بالحديد والنّار، وتغرس الإلحاد في قلوب الأجيال، تبثُّ أفكارَها في عالم الاقتصاد، والمال، والنظريات العلمية.

❁ **والرأسمالية** تطفح بالشّهوات، فهي تكيد للعالم الإسلامي

(١) رواه مسلم (٢٥٨٦) وقد سبق.

بالغزو الفكري، وسيلتها في ذلك المرأة والكأس ومفاتن الحياة من لهو وترف وترفيه محرم ومُجونٍ وإغراء.

❁ **وعلمانية** (لا دينية) تدعو إلى الفصل بين الدين والدنيا، وإقصاء الإسلام عن مسرح الحياة، بحجةِ أن الدّين يفرق بين الشعوب، والعلمانية فكر مُلحدٌ كافر، لا يُقرّ الديانات كلها، ولا يرضى بالإسلام، جملةً وتفصيلاً في شؤون الحياة.

❁ **وماسونية** أنتجها اليهود، جاءت لهدم الأديان، بما فيها الإسلام، وهي في ظاهرها تدعو لتوحيد الأجناس، ولها وسائل، وطقوس، وشارات، وأحزاب، وهي سرية العمل، عالمية التأثير، صهيونيَّةِ النشأة.

والعالم الإسلامي اليوم مُثخنٌ بالجراح:

سُلبت منه فلسطين، والمسجد الأقصى في الأسر، والشيوخ، والنساء، والأطفال يذبحون صباح مساء، ولن يعيد فلسطين إلى بلاد المسلمين إلا الإسلام بغضبة عمر بن الخطاب، وإقدام صلاح الدين، وصدق ابن تيمية.

ودمرت أفغانستان، وشرد شعبها، وسحقت مدنها، وهدّمت مساجدها بدبابات أعداء الله الحمر، آلاف اللاجئين لا يجدون مسكناً، ولا خبزاً، ولا ماءً ولا كساءً.

ولايات الإسلام في روسيا مثل: أذربيجان، وأوزبكستان، وتركمستان، تشكو الظلم، والإبادة، والتشريد، والمجاعة، فهل من ناصر؟!

لماذا التقاطُعُ في الإسلام بينكُم ... وأنتُمُ يا عباد الله إخوان

لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ ... إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

المرأة المسلمة تُحارَب في حجابها، وسترها، وعرضها، ودينها، وعفافها.

الشباب يفتنون بوسائل الهدم، وإغراءات الشياطين، وملذَّات الهوى.

التنصير يجوب العالم الإسلامي، شرقاً، وغرباً، وشمالاً، وجنوباً.

فرقة بين المسلمين، إلا من رَحِم ربك، وهذه الفرقة تُوهِن الصفّ، وتفرِّق الكلمة، وتفتُّ في العضد.

فما هو موقف المسلم من ذلك؟ لعله أن يتذكر إخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

إن المطلوب من المسلم أن يعيش لهذه القضايا الكبرى بمشاعره، بمقاله، بدعائه، بتوعية إخوانه المسلمين أمام هذه الأخطار، بجمع كلمة المسلمين ليكونوا صفّاً واحداً، بإخبار الناس بهذه المصائب، التي يعيشها العالم الإسلامي لتكون هي قضايا الساعة، ولا يحتقر المسلم نفسه، ففي كل مسلم خير.

والمطلوب من المسلم: أن يجاهد، إن تمكن، وانتفت المعاذير، أن يجاهد بنفسه وماله، فإن لم يستطع فبماله يساند إخوانه، ويهبّ بدرهمه، وديناره لنصرة الإسلام.

وأن يكثر من الدعاء في أدبار الصلوات، وفي السّحرِ، وساعات القبول للمسلمين بالنصر، والتمكين في الأرض.

وأن يدعو إلى تقوى الله عزّ وجلّ، فما أُصِبْنا به من كوارث ومصائب ودواهي إلا بذنوبنا وتقصيرنا، ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥].

تعودت الأمة الإسلامية أن تعيش رمضان انتصارات وفتوحات لكنها في السنوات الأخيرة، لما ضعفت عن حمل الرسالة، وانغمست في الدنيا، أصبحت تعيش رمضان همّاً، وحزناً، وتقتيلاً، وتشريداً، وإبادة.

ولكن إذا عدنا إلى الله تعالى نصرنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٠]، ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

اللهمَّ إنا نسألك نصرك الذي وعدتنا، اللهمَّ ثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

رمضان يدعو إلى حفظ الوقت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فما أسرع انصرام العمر ومرور الأيام وتعاقب الليالي:

دقاتُ قلبِ المرءِ قائلةً له ... إنّ الحياةَ دقائقٌ وثوانِ
فارفع لنفسكَ قبل موتك ذكرها ... فالذّكرُ للإنسانِ عمرٌ ثانِ

وصف الله جواب اللاعبين والمفرطين يوم القيامة فقال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٦].

قال أحد الصالحين: العمر قصير فلا تقصّره بالغفلة، وهذا حقّ، فإن الغفلة تقصّر الساعات، وتستهلك الليالي.

وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**نِعْمتَان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(١). فكثير من الناس صحيح مُعافى،

---

(١) صحيح، وقد سبق.

فارغ، وعمره يمرّ أمامه، لا يستفيد منه، ولا يستثمره.

وقد جاء عنه ﷺ أنه قال: «**لا تَزول قدمَا عبدٍ يوم القيامةِ حتى يُسأل عن أربع، وذكر عمره فيما أبْلاهُ**»[١]. العمر كنز، من أنفقه في طاعة الله، وجد كنزه، يوم لا ينفع مال، ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وإن أنفقه في الغفلة، والمعاصي، واللّهو، واللّعب ندم ندامة ما بعدها ندامة، وقال: يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها.

الليل والنهار مطيتان تنقلان الإنسان إلى السعادة الأبدية، أو إلى الخسران.

كان السلف الصالح يبادرون أنفاسهم في حفظ أوقاتهم، ولهم في ذلك قصص عجيبة، منهم من كان يقرأ القرآن الكريم، وهو في سياق الموت كالجنيد بن محمد حتى قال له أبناؤه: أجهدت نفسك، قال: ومن أحق الناس بالإجهاد إلا أنا.

وكان الأسودُ بن يزيد، التابعي، يُصلي أكثر الليل، فقال له بعض أصحابه: لو ارتحت قليلاً، قال: الراحة أريد، يعني: في الآخرة.

وجلس سفيان الثوري في الحرم مع قوم يتحدثون فقام من بينهما فزعاً، وهو يقول: نجلس هنا والنهار يعمل عمله.

ومن السلف من قسم نهاره، وليله إلى ساعات، فساعات: صلاة، وتلاوة، وذكر، وتفكّر، وطلب علم، وكسب حلال، ونوم، لم يكن للعب عندهم وقت.

أما المتأخرون، فأصيبوا بمصيبة ضياع الوقت، إلاّ من رحم ربُّك، كثرة نوم، وبطالة، وغفلة، وشرود، وإسراف في المباحات،

---

(١) صحيح، وقد سبق.

والمُلْهِيات، وجلسات لا فائدة فيها، واجتماعات، إن لم تكن معصية، كانت طريقاً إلى المعصية، وسبباً لها.

من أعظم ما ينظم الوقت، ويرتب الأعمال: الصلوات الخمس. يقول عزّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

فبعد الفجر: زمن الحفظ، والتلاوة، والذكر، والتأمل، ومن ارتفاع الشمس إلى الظهر هو: وقت العمل، والكسب، والتجارة، وطلب العلم، والسعي في الأرض، وبعد صلاة الظهر: خاصة لطلبة العلم، هو: وقت قراءة المجاميع العامة، وكتب التاريخ، وبعد العصر، هو زمن المكتبة، والتحصيل الجاد، وتحقيق المسائل، وبعد المغرب لزيارة الإخوان، واستقبال الأصحاب، وبعد صلاة العشاء للأهل، ثم النّوم، فقيام آخر اللّيل، ويوم الخميس زمن راحة، ونزهة مباحة، ويوم الجمعة يوم عبادة، وتلاوة، وذكر، واستعداد للجمعة بغسل، وسواك، وطيب، ولباس، وتبكير.

وشهر رمضان: مدرسة لتنظيم وقت المسلم، واستثمار هذا الوقت فيما يقرِّب من الله عزّ وجلّ.

الصائم في النهار متفرِّغ للعبادة، إذ هو معافى من تهيئة الطعام وإعداده وتحضيره، والتشاغل به، وهذه الأمور تأخذ وقتاً طويلاً، وقد توفر هذا الوقت للصائم فزاده في وقت العبادة، والعمل الصالح.

من الناس من لا يدري ما معنى الصّيام، فهو في غفلة كبرى، وفي سُبات عميق، قطع نهاره نوماً وقطع ليله سفراً ضائعاً:

يا مذهباً ساعاتِ عمرٍ ما لها عِوَضٌ وليس لفَوْتِها إرجاعُ
أنفقتَ عُمرَكَ في الخسارِ وإنه عملٌ ستأتي بعده أوجاعُ

اللهمَّ احفظ علينا أعمارنا، وثبِّت أقدامنا، واستعملنا في طاعتك يا ربَّ العالمين.

في رمضان تتجلى صور الحب والتآخي بين المسلمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فالمسلمون يد واحدة وقلب واحد وكيان واحد، المسلمون كما وصفهم ﷺ بأنّهم كالجسد الواحد، ولم يجمع شتاتهم إلاّ الإسلام، ولن يؤاخي بينهم إلاّ الإسلام، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٣].

ليس عند المسلمين وحدة لغة، أو دم، أو لون، أو جنس، أو وطن، وإنما عند المسلمين وحدة دين، تجمعهم مظلّة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

المسلمون يتمايزون بالتقوى، ويتفاضلون بالعلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

لـمّا دعا محمد ﷺ إلى الإسلام، جاء المؤذن من الحبشة يقول: لبيك اللهم لبيك، وخرج لسان الحال بسلمان الفارسي ليقول:

«**سلمان منا آل البيت**»، وهبّ صُهَيب الرّومي ينادي: الله أكبر، الله أكبر، وتخلّف أهل التمييز العنصري: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، وأبو لهب.

قال الأول:

إذا فخَرْت بآباءٍ لهم كرمٌ   نعم صدقْتَ ولكن بئس ما ولدُوا

المسلمون جمعية كبرى، عضوها كل بار مؤمن راشد، والإسلام ليس لأمة دون أخرى، فالإسلام للعرب، والهنود، والأتراك، والباكستان، والأفارقة بل لكل العالم، أبو بكر الصديق رضي الله عنه قرشيّ، وبلال حبشي، وصُهيب رومي، وسلمان فارسي، ومحمد الفاتح تركي، وإقبال هندي، وصلاح الدين كردي، جمعتهم جميعاً لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وفي رمضان تظهر هذه الوحدة العظيمة، فشهر واحد، وصيام واحد، وقبلة واحدة، ومنهج واحد.

نصلي جميعاً وراء إمام واحد، والله يقول لنا: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

خاطبنا الله تعالى بالصّيام جميعاً، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].

حَجُّنا واحد في زمن واحد، على صعيد واحد ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

دعانا الله عز وجل إلى الاعتصام بحبله، ونبذ الفرقة فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

نهانا سبحانه عن الفرقة، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتَّى لا يبغي أحد على أحدٍ ولا يفخرُ أحدٌ على أحدٍ»**[١].

إن يختلفْ ماءُ الوصالِ فماؤنَا عذبٌ تحدّرَ من غمامٍ واحدِ
أو يفترقْ نسبٌ يؤلّفُ بيننا دينٌ أقمناه مقامَ الوالدِ

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»**[٢]، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذُله ولا يحقرُه، بحسب المسلم من الشرّ أن يحقِرَ أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلمِ حرامٌ، دمه وماله وعرضُه»**[٣].

من لوازم هذه الأخوة: السؤال عن حال أخيك المسلم، وزيارته في الله، وعيادته إذا مرض، والسلام عليه عند اللقاء، والبشاشة في وجهه، وتشميته إذا عطس، وإجابة دعوته، وتشييع جنازته، والدعاء له بظهر الغيب، والذبّ عن عرضه، وسد حاجته، والوقوف إلى جانبه، ونصره إذا ظُلم، ونصيحته وتوجيهه، إلى غير ذلك من الحقوق، فكل مسلم في الأرض أخ لك أخوة إيمانية قرآنية شرعية، كتب عقدها الله، وجاء بصفتها محمد رسول الله ﷺ.

اللهم ألِّف بين قلوبنا، واجمع شملنا، ووحّد صفوفنا يا أكرم الأكرمين.

---

(١) رواه مسلم (٦٤) من حديث عياض بن حمار المجاشعي.
(٢) صحيح وقد سبق، رواه البخاري (٤٨١ ـ ٢٤٤٦ ـ ٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥).
(٣) صحيح وقد سبق.

شهر رمضان موسم مبارك للدعوة الإسلامية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فالدعوة الإسلامية مهمةُ الأنبياء والرّسل، عليهم الصلاة والسلام، ما من نبيٍّ إلا قام داعية، ومعلِّماً كلهم يقول: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٩٥] ويقول الداعية منهم لقومه: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

ويقول عزّ من قائل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقول تبارك اسمه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة هي العلم النافع والعمل الصالح.

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

والدعوة إلى الله لها آداب خمسة، مع خمس وسائل، وخمس نتائج:

أما آدابها الخمسة فهي:

أولاً: الإخلاص لله، والصدق مع الله، وطلب ما عند الله تعالى، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وقد أخبر المعصوم ﷺ أن من أول من تُسعّر بهم النار ثلاثة، ومنهم: عالم تعلّم العلم ليقال عالم وقد قيل.

ثانياً: العمل بما يدعو إليه، فإن مخالفة الفعل للقول فضيحة وعار، قال سبحانه: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

يقول الشاعر:

يا أيها الرّجلُ المعلِّم غيرهُ ... هلاّ لنفسكَ كان ذَا التعليمُ
تصفُ الدواءَ لذي السقامِ وذي الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فإذا انتهتْ عنه فأنت حكيمُ

ثالثاً: اللين في تبليغ الدعوة ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، ويقول سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وصحّ عنه ﷺ أنه قال: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**»(١).

رابعاً: التدرج في الدعوة، والبدء بالأهم فالمهم، كما فعل ﷺ في دعوته للناس، وكما قال لمعاذ لما أرسله إلى اليمن فقال: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٦٩ ـ ٦١٢٥)، ومسلم (١٧٣٢ ـ ١٧٣٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٤٩٦ ـ ٤٣٤٧). ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

خامساً: مخاطبة كل قوم بما يناسبهم وما يحتاجونه، فلأهل المدن خطاب، ولأهل القُرى خطاب، ولأهل البوادي خطاب، وللمتعلم مقام، وللجاهل مقام، وللمجادل أسلوب، وللمُذْعِنِ أسلوب، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ووسائل الدعوة خمس:

أولها: الدعوة الفردية، وهي: مخاطبة المدعو منفرداً عن الناس، إذا كانت المسألة تخصه.

ثانيها: الدعوة العامة في هيئة محاضرة، أو موعظة وهي تنفع العامة، وجمهور المسلمين.

ثالثها: الدرس الخاص بطلبة العلم كلٌّ في فنِّه، وهذه مهمة العلماء القائمين بفنونهم.

رابعها: الدعوة بالمكاتبة والمراسلة، والتآلف، والهدايا، وتقديم النفع للمدعو.

خامسها: الدعوة بالوسائل الحديثة الإعلامية، واستغلالها في رفع كلمة الحق.

أما نتائجها فخمس:

أولها: إحراز منصب وراثة الأنبياء والرسل، عليهم الصلاة والسلام، فهم الدعاة الأوائل، والمنائر السامقة في عالم الدعوة.

ثانيها: استغفار المخلوقات لمعلم الناس الخير حتى الحيتان في البحر كما صحَّ به الحديث.

ثالثها: كسب أجور عظيمة بقدر أجور المدعوّين، فقد صحَّ

عنه ﷺ أنه قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه دون أن ينقص من أجورهم شيئاً**»(١).

رابعها: انتقال الداعية من منزلة المدعو إلى منزلة الداعي، فيؤثر في غيره، ولا يتأثر بغيره من دعاة السوء.

خامسها: إمامته في الناس والاقتداء به، فإن الله عزّ وجلّ وصف الصالحين، وذكر أنهم يدعون، ويقولون: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وفي رمضان تتهيأ مشاعر الدعاة، وتنطلق ألسنتهم، وتجود أقلامهم، وترحب بهم المنابر، لسماع دعوتهم وكلامهم، فهل من داعية يجود بالعلم في هذا الشهر لينفع الله به؟.

اللهم زدنا علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، وفقهاً في الدّين.

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧ ـ ٢٦٧٤) من حديث جرير بن عبدالله البجلي.

للصائم دعوة لا ترد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**للصائم دعوةٌ لا تُردُّ**»[(١)]، لماذا؟ لأن الصائم منكسر القلب، ضعيف النفس، ذلَّ جُموحه، وانكسر طُموحه، واقترب من ربه، وأطاع مولاه، ترك الطعام والشراب خِيفَة من الملك الوهّاب، كفَّ عن الشهوات طاعة لرب الأرض والسموات.

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**الدُّعاء هو العبادة**»[(٢)]، إذا رأيت العبد يُكثر من الإلحاح في الدعاء، فاعلم أنه قريب من الله واثق من ربه.

قال الصحابة: يا رسول الله، أربُّنا قريب فنناجيه أم بعيدٌ فنناديه؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**إنكم لا تدْعُون أصمّ ولا غائباً، وإنما تدعون سميعاً بصيراً أقرب إلى أحدكم من عُنق راحلته**»[(٣)].

(١) صحيح، رواه ابن ماجه (١٧٥٣) وقال البوصيري: إسناده صحيح.

(٢) صحيح، رواه أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٣٧٢) وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

الدعاء حبل مديد وعروة وُثقى وصلة ربانية.

الله ينادينا أن ندعوه، ويطلب منا أن نسأله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

لو لم تَردْ نيلَ ما أرجو وأطلبهُ   من جود كفِّك ما علّمتني الطلبا

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**ينزل ربُّنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأُعطيه، هل من داعٍ فأجيبه، هل من مستغفر فأغفر له**»(١).

وشهر رمضان هو شهر الدعاء، وشهر الإجابة، وشهر التوبة والقبول.

فيا صائماً جفَّت شفته من الصيام، وظمأت كبده من الظمأ، وجاع بطنه، أكثر من الدعاء وكن ملحاحاً في الطلب. وصف الله عباده الصالحين فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وللدعاء، يا صائمون، آداب ينبغي على الصائم معرفتها، منها:

عزم القلب، والثقة بعطاء الله عزّ وجلّ، وفضله، صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزمَ المسألة فإن الله لا مُكره له**»(٢).

ومن الآداب: الثناء على الله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ في أول الدعاء، وأوسطه، وآخره.

---

(١)(٢) صحيح، وقد سبق.

ومنها: توخي أوقات الإجابة كالثُّلث الأخير من الليل، وفي السجود، وبين الأذان والإقامة، وفي أدبار الصلوات، وآخر ساعة من يوم الجمعة، وبعد العصر، ويوم عرفة.

ومنها: تجنب السجع في الدعاء، والتكلف، والتعدي فيه.

ومنها: الحذر من الدعاء بإثم أو قطيعة رحم.

أيها الصائم، قبل الغروب، لك ساعة من أعظم الساعات، قبل الإفطار، يوم يشتد جوعك، ويعظم ظمؤك، فأكثر الدعاء، وزد في الإلحاح، وواصل الطلب، ولك في السحر ساعة فجُد على نفسك بسؤال الحيّ القيوم، فإنك الفقير، وهو الغني، وإنك الضعيف وهو القوي، وإنك الفاني وهو الباقي.

يا ربِّ عفوَك ليس غيركَ يُقصدُ ... يا من له كلُّ الخلائق تَصمدُ
أبواب كل مُملَّكٍ قد أوصدَت ... ورأيتُ بابك واسعاً لا يوصدُ

دعا إبراهيم، عليه السلام، فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

ودعا موسى، عليه السلام، فقال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ [طه: ٢٥، ٢٦].

ودعا سليمان، عليه السلام، فقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

ودعا محمد ﷺ كما في الصحيح: **«اللهم ربّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق**

بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(١).

للدعاء أربع فوائد:

الأولى: عبودية لله عزّ وجلّ، وتذلل له، وثقة به، وهي مقصود العبادة وثمرتها.

الثانية: تلبية الطلب إما لإعطاء خير، أو دفع ضر، وهذا لا يملكه إلا الله عزّ وجلّ.

الثالثة: ادخار الأجر والمثوبة عند الله إذا لم يُجبْ الداعي في الدنيا، وهذا أحسن وأنفع.

الرابعة: إخلاص التوحيد بطريق الدعاء وقطع العلائق بالناس والطمع فيما عندهم.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك، أنت الوهّاب.

---

(١) رواه مسلم (٧٧٠).

هدايا للصائمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد.

فإني لا أجد أحسن هدية، ولا أعظم تُحفة، ولا أجل عطية من أن أقدم للصائم هدايا من رسول الهدى ﷺ يهديها لكل مسلم، إنها تلك الأحاديث العملية التي ذُكرت مقرونة بالأجر والثواب، إنها تلك-الأحاديث التي هي من أبواب السعادة ومن طرق الخير في الدنيا والآخرة.

أيها الصائم دونك هذه الأحاديث واحرص على العمل بها:

يقول ﷺ: **«من قال إذا أصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قديرٍ، كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل وكتبت له بها عشر حسنات، وحُطّ عنه بها عشر سيئات، ورُفع له بها عشر درجات، وكان في حِرْز من الشيطان حتى يُمسي، وإذا قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يُصبحَ»**.

وقال ﷺ: **«من قال حين يُصبح أو حين يُمسي: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدُك، وأنا على عهدِك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوءُ لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فمات من يومه أو ليلته دخل الجنة»**.

وقال ﷺ: «من قال حين يُصبح وحين يُمسي: سبحان الله العظيم وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ذلك وزاد عليه».

وقال ﷺ: «من قال رضيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً وجَبتْ له الجنةُ».

وقال ﷺ: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده، غُرِسَت له نخلةٌ في الجنة».

وقال ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطّت خطاياه وإن كانت مثل زَبَدِ البحر».

وقال ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتب من المُقنطرين».

وقال ﷺ: «من قال حين يُمسي: بسم الله الذي لا يَضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميعُ العليمُ، ثلاث مرات، لم يصبه فجأة بلاء حتى يُصبح. ومن قالها حين يُصبح ثلاث مرات، لم يصبه فجأة بلاء حتى يُمسي».

وقال ﷺ: «من قال حين يُمسي ثلاث مرات: أعوذ بكلمات الله التّامات من شرّ ما خلق، لم يضره لدغة حية في تلك الليلة».

وقال ﷺ: «من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفيت ووُقيت، وتنحَّى عنه الشيطان».

وقال ﷺ: «من قال حين يسمعُ المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله ربّاً وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر الله له ما تقدم من ذنبه».

وقال ﷺ: **«من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له بيتاً في الجنة»**.

وقال ﷺ: **«من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»**.

وقال ﷺ: **«من قرأ آية الكرسي دُبُر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»**.

وقال ﷺ: **«من قرأ قل هو الله أحد، فكأنما قرأ ثلث القرآن»**.

وقال ﷺ: **«من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة»**(١).

هذه باقة عطرة من محمد ﷺ نزفّها إلى كل صائم.

اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. آمين.

---

(١) ثبتت كل هذه الأحاديث بأسانيد صحيحة لا مطعن فيها، وآثرت عدم تخريجها لإطالة الهوامش.

العيد غداً

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد.

فغداً العيد والعيدُ غداً، فما معنى العيد وكيف يكونُ العيد؟.

ليس العيد لمن لبس الجديد، ولمن تفاخر بالعُدد والعَديد، إنما العيد لمن خافَ يوم الوعيد، واتقى ذا العرشِ المجيد.

ليس العيد نغمة ووَتَر، ولا مباهج فارغة، ولا مظاهر، وفوضى، بل العيد شكر للمنعم عزّ وجلّ، واعتراف بفضله، وإظهار نعمته، والمسيرة في موكب من المؤمنين إعزازاً للدين، وكبتاً لأعداء المسلمين.

وفي العيد قضايا منها:

١ - الأكل في صباح عيد الفطر قبل الصلاة، وذلك بتناول تمرات لنمتثل أمر الله تعالى في الإفطار كما امتثلناه في الصيام.

٢ - ومنها: زكاة الفطر طُهرة للصائم من اللغو والرفث، وإسعاداً للفقير وإحياء لروح التعاون، والتراحم بين المسلمين، وتزكية للنفس وقهراً للشح.

٣ - ومنها: لبس الجديد من الملابس، والتطيب اعترافاً بجميل صاحب الجميل تبارك وتعالى وتزيناً له، فهو، سبحانه، جميل يحب الجمال، ثم هو إظهار لنعمة الله عزّ وجلّ، ففي حديث

حسن عنه ﷺ أنه قال: **«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»**[(١)].

٤ ـ والعيد: أن يعود بعضنا على بعض بالزيارة، والسلام، والصفاء، والحب.

٥ ـ والعيد: صلة للأرحام، وبر بالوالدين، وعطف على الفقير، والمسكين، ورحمة بالجار.

٦ ـ العيد: عند المسلمين، تتجلى فيه الأفراح الإيمانية المنضبطة بضوابط الشرع المحفوفة بسياج الأدب، ففي العيد المزح الوقور والدعابة اللطيفة، والنكتة البريئة، والبسمة الحانية، والنزهة المباحة، والقصص البديعة.

٧ ـ العيد يذكر بيوم العرض الأكبر جمع حاشد، وألوف مؤلفة؛ غني وفقير، وكبير وصغير، وأمير ومأمور، وسعيد وشقي، ومسرور ومحزون.

٨ ـ العيد يوم الجوائز، فمن صام، وقام إيماناً واحتساباً، فبشراه بالجائزة الكبرى، والفوز العظيم، والثواب الجسيم.

ومن فَجَرَ في صيامه، وتهاون في أمر ربه، وتعدَّى حدوده فيا ندامته، ويا أسفه، ويا حسرته.

يعود الناس من المصلى وهم فريقان:

فريق مأجور مشكور يقول الله تعالى لهم: انصرفوا مغفوراً لكم فقد أرضيتموني، ورضيت عنكم.

وفريق خاسر خائب يعود بالخيبة، والخسران، والأسف، والحرمان.

---

(١) صحيح، سبق تخريجه.

مرَّ أحد الصالحين بقوم يلهون ويلغون يوم العيد فقال لهم: إن كنتم أحسنتم في رمضان فليس هذا شكر الإحسان، وإن كنتم أسأتم فما هكذا يفعل من أساء مع الرحمٰن.

يا أيها المسلم، تفكَّر فيمن صلّى معك الأعياد الماضية من الآباء والأجداد، والأحباب، والأصحاب، أين هم؟ أين ذهبوا؟ وأين ارتحلوا؟

قال أبو العتاهية الزاهد:

فكم فجع الموت من والدٍ ... وكم سكّت الدهر من والده
وكم قد رأينا فتىً ماجداً ... تفرَّع من أسرة ماجده
يشمِّر للحرب في الدارعين ... ويطعم في الليلة البارده
رماه الفراق بسهم الردى ... فأصبح في التلة الهامده
فما لي أرى الناس في غفلةٍ ... كأن قلوبهم سامده
شروا برضا الله دنياهم ... وقد علموا أنها بائده
إذا أصبحوا أصبحوا كالأسود ... باتت مجوَّعة حارده
مظاهرهم تُعجب الناظرين ... ونياتهُم بالردى فاسده

غداً تنال الجائزة، وغداً توفَّى أجرك مكتوباً في سجلات الأعمال، فاحرص أن يكتب فيه خير، وانتظر عيدك الأكبر يوم تفوز إن شاء الله برضى الله وعفو الله ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التوّاب الرحيم.

رسالة شهر رمضان المبارك

إعداد

خالد الحمودي

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وبعد:

فهذه نصائح وتوجيهات موجزة مفيدة تتعلق بشهر رمضان وما يندب فيه من الأعمال، وما يلاحظ على الكثير من المسلمين فيه من الخلل والنقص، وإرشادات إلي الخيرات التي ينبغي للمسلم الناصح لنفسه أن يسابق إليها، حتى يحظى بالعزة والتمكين، ويغفر الله له ما تقدم من ذنبه. وقد كتبها أخونا الشاب: خالد الحمودي أحد طلبة العلم المعروفين بحب الخير والنصيحة للمسلمين، وفقه الله تعالى وشفاه، وعافانا وإياه. فينبغي للمسلم التأمل فيها والحرص على تطبيقها حسب القدرة.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

عضو الإفتاء/ ١٨ شعبان ١٤١٦هـ

أخي المسلم.. أختي المسلمة:

سلام الله عليكم ورحمة اله وبركاته... وبعد:

* أبعث إليكم هذه الرسالة محملة بالأشواق والتحيات العطرة، أزفها إليكم من قلب أحبكم في الله، نسأل الله أن يجمعنا بكم في دار كرامته. وبمناسبة قدوم شهر رمضان أقدم لكم هذه النصيحة هدية متواضعة.. وما أتيت فيها بجديد، ولكن هي موعظة وذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

* أرجو أن تقبلوها بصدر رحب وتبادلوني النصح والدعاء، حفظكم الله ورعاكم، وسدد على طريق الخير خطاكم.

أولاً: لقد خص الله رمضان عن غيره من الشهور بكثير من الخصائص والفضائل منها:

* خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

* تستغفر الملائكة للصائمين حتى يفطروا.

* يزين الله في كل يوم جنته ويقول: «يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المئونة والأذى، ثم يصيروا إليك».

* تصفد فيه الشياطين.

* تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار.

* فيه ليلة هي خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم الخير كله.

* يغفر للصائمين في آخر ليلة من رمضان.

* لله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة في رمضان.

فيا أخي الكريم. ويا أختي الكريمة:

شهر هذه خصائصه وفضائله بأي شيء نستقبله؟ بالانشغال واللهو وطول السهر، أو نتضجر من قدومه ويثقل علينا، نعوذ بالله من ذلك كله. ولكن.. العبد الصالح يستقبله بالتوبة النصوح والعزيمة الصادقة على اغتنامه، وعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة. سائلين الله الإعانة على حسن عبادته.

ثانيًا: الأعمال الصالحة التي تجب أو تتأكد في رمضان:

١- الصوم:

* قال ﷺ: «**كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، يقول عز وجل: إلا الصيام لي وأنا أجزي به، ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه. و لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»

* وقال ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [أخرجه البخاري ومسلم].

* لا شك أن هذا الثواب الجزيل لا يكون لمن امتنع عن الطعام والشراب فقط، وإنما كما قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [أخرجه البخاري].

* وقال ﷺ: «**الصوم جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل، فإن سابه أحد فليقل إني امرؤ صائم**»[أخرجه البخاري ومسلم].

* فإذا صمت يا عبد الله فليصم سمعك وبصرك ولسانك وجميع جوارحك، ولا يكن يوم صومك ويوم فطرك سواء كما روي ذلك عن جابر.

٢- القيام:

* قال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [أخرجه البخاري ومسلم].

* وهذا تنبيه مهم، ينبغي لك أخي المسلم أن تكمل التراويح مع الإمام حتى تكتب في القائمين، فقد قال ﷺ: «**من قام مع إمامه حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**» [رواه أهل السنن].

٣- الصدقة:

* كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، كان أجود من الريح المرسلة، وقد قال ﷺ: «**أفضل الصدقة صدقة في رمضان**» [أخرجه الترمذي].

ولها أبواب وصور كثيرة منها:

أ – إطعام الطعام:

* قال تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**

*** إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾** [الإنسان: ٨ – ١٢].

* فقد كان السلف الصالح يحرصون على إطعام الطعام ويقدمونه على كثير من العبادات، سواء كان ذلك بإشباع جائع أو إطعام أخ صالح؛ فلا يشترط في المطعم الفقر، فلقد قال رسول الله ﷺ: «**أيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع أطعمة الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمنًا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم**» [الترمذي بسند حسن].

* وكان من السلف من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم، ويجلس يخدمهم ويروحهم، منهم الحسن وابن المبارك.

* قال أبو السوار العدوي: كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد، ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلي المسجد فأكله مع الناس وأكل الناس معه.

* وعبادة إطعام الطعام ينشأ عنها عبادات كثيرة منها: التودد والتحبب إلى إخوانك الذين أطعمتهم، فيكون ذلك سببًا في دخول الجنة: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا**» [رواه مسلم]. كما ينشأ عنها مجالسة الصالحين، واحتساب الأجر في معونتهم على الطاعات التي تقووا عليها بطعامك.

ب- تفطير الصائمين:

* قال ﷺ: «**من فطر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**» [أخرجه أحمد والنسائي وصححه الألباني].

٤- الاجتهاد في قراءة القرآن:

* احرص أخي في الله على قراءة القرآن بتدبر وخشوع، فقد كان السلف رحمهم الله يتأثرون بكلام الله عز وجل. أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ**﴾ بكى أهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع رسول الله ﷺ حسهم بكى معهم فبكينا ببكائه، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يلج النار من بكى من خشية الله**»[رواه الترمذي والنسائي].

٥- الجلوس في المسجد حتى تطلع الشمس:

* كان النبي ﷺ إذا صلى الغداة (الفجر) جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس [أخرجه مسلم]. وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة**» [صححه الألباني] هذا في كل يوم، فكيف بأيام رمضان؟

٦- الاعتكاف:

كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان

العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يومًا [أخرجه البخاري].

٧- العمرة في رمضان:

* ثبت عن نبي الله أنه قال: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**» [أخرجه البخاري ومسلم].

٨- تحري ليلة القدر:

* قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ*لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [القدر: ١ – ٣]. قال ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [أخرجه البخاري ومسلم]، وكان النبي ﷺ يتحرى ليلة القدر ويأمر أصحابه بتحريها، وكان يوقظ أهله في ليالي العشر رجاء أن يدركوا ليلة القدر، وهي في العشر الأواخر من رمضان، وهي في الوتر من لياليه أحرى، وفي الصحيح عن عائشة قالت: «يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر ما أقوال؟ قال: قولي: **اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**».

٩- الإكثار من الذكر والدعاء والاستغفار:

أخي الكريم.. أخي المبارك:

* أيام وليالي رمضان أزمنة فاضلة فاغتنمها بالإكثار من الذكر والدعاء وخاصة في أوقات الإجابة ومنها:

* عند الإفطار، فللصائم عند فطره دعوة لا ترد.

* ثلث الليل الأخير: حين ينزل ربنا تبارك وتعالى ويقول: «هل

من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟» [البخاري ومسلم].

* الاستغفار بالأسحار، قال تعالى: ﴿**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الذاريات: ١٨].

* تحرى ساعة الإجابة يوم الجمعة، وأحراها آخر ساعة من نهار يوم الجمعة.

١٠- ملاحظات ومخالفات يجب تجنبها:

١- جعل الليل نهارًا والنهار ليلاً.

٢- النوم عن بعض الصلوات المكتوبة.

٣- الإسراف في المأكل والمشرب.

٤- التلثم والعصبية الزائدة أثناء قيادة السيارة.

٥- إضاعة الأوقات.

٦- تبكير السحور والنوم عن صلاة الفجر.

٧- قيادة السيارة بسرعة جنونية قبيل موعد الإفطار.

٨- عدم تأدية صلاة التراويح كاملة.

٩- افتراش الأرصفة واجتماع الشباب على معصية الله.

١٠- الاجتماع مع زملاء العمل وقت الدوام وتجريح الصيام بالغيبة والنميمة.

١١- انشغال المرأة غالب وقتها بالمطبخ والأسواق.

أخيرًا.. أخي:

* أظن أني قد أطلت عليك.. وأنا أحثك على اغتنام الوقت.. ولكن أتأذن لي أن نعرج سويًا على أمر مهم.. بل هو مهم جدًا؟ أتدري ما هو؟ إنه الإخلاص.. نعم الإخلاص.. فكم من صائم ليس له صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب! أعاذنا الله وإياك من ذلك .. ولذلك نجد النبي ﷺ يؤكد على هذه القضية بقوله: «**إيمانًا واحتسابًا**». فنسأل الله لنا ولكم الإخلاص في القول والعمل وفي السر والعلن.

فيـــــا بـــــاغي الخــــير أقبـــــل
ويـــــا بـــــاغي الشـــــر أقصـــــر

* فاغتنم أخي فرصة العمر.. فالعمر محدود، أما تفكرت.. أين الذين صاموا معنا رمضان في العام الماضي؟ أين الذين قاموا معنا رمضان في العام الماضي؟ منهم من اختطفه ملك الموت.. ومنهم من مرض فلم يقو على الصيام أو القيام.. فاحمد الله أخي في الله وتزود مادمت في زمن الإمهال، وخير الزاد التقوى.

* اللهم وفقنا لصيام وقيامه، واجعلنا فيه من المقبولين، واجعلنا فيه من عتقائك من النار، آمين.

ثالثًا: يسأل كثير من الناس عن الأدعية التي تقال في صلاة التهجد والقيام، وذلك لإطالة الركوع والسجود فيها؛ فوجدت رسالة قيمة للأخ الشيخ: رياض الحقيل، رأيت أن أوردها كما ذكر — جزاه الله خيرًا — وقد تضمنت بعض الأدعية النبوية التي تقال في

الركوع والسجود والجلسة بين السجدتين وغيرها، ليسهل على المصلين حفظها وترديد بعضها في صلاة القيام والتهجد.. وخاصة في ليالي العشر الأواخر التي يطيل فيها المصلون الركوع والسجود بين يدي رب العالمين، نسأل الله القبول.

* وقد يكون البعض لا يعرف هذه الأذكار.. أو يصعب عليه جمعها.. أو يدعو بما لم يثبت.. والأولى الاقتصار على ما ثبت ليحصل لك أجر الدعاء والذكر مع أجر المتابعة والاقتداء.

أولاً: أذكار الركوع:

* قال رسول الله ﷺ: «**أما الركوع فعظموا فيه الرب**» [رواه مسلم] فنقول: سبحان ربي العظيم (ثلاثًا أو أكثر من ذلك) .. أو سبحان ربي العظيم وبحمده (ثلاثًا).

* ثم تتخير من هذه الأذكار ما شئت وتنوع، فهذه تارة وتلك تارة:

* «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**».

* «**اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، أنت ربي، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي (وعظامي) وعصبي، وما استقلت به قدمي لله رب العالمين**». وفي رواية: «**وعليك توكلت، أنت ربي، خشع سمعي، وبصري، ودمي، ولحمي، وعظمي، وعصبي لله رب العالمين**».

* «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**».

* «**سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة**».

ثانيًا: بعد الرفع من الركوع:

* فتقول «**ربنا ولك الحمد**. وتارة: **لك الحمد**. وتارة: **اللهم ربنا لك الحمد**.. أو **اللهم ربنا ولك الحمد**».

* ثم تتخير من هذه الأدعية ما شئت:

* «**ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه (أو مباركًا عليه) كما يحب ربنا ويرضي**».

* أو تزيد: «**ملء السموات وملء الأرض وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**» أو «**لربي الحمد... لربي المجد**» تكررها كثيرًا.

* أو تزيد: «**اللهم طهرني بالثلج، والبرد، والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس**».

ثالثًا: أذكار السجود:

* قال عليه الصلاة والسلام: «**وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن – أي حري وجدير – أن يستجاب لكم**» [رواه مسلم].

* وقال ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد،**

فأكثروا الدعاء فيه» [رواه مسلم].

* فتقول: سبحان ربي الأعلى (ثلاثً) أو تكررها كثيرًا أو: سبحان ربي العلى وبحمده (ثلاثًا).

* **«سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»**.

* **«سبوح قدوس رب الملائكة والروح»**.

* **«اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، وأنت ربي، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، فأحسن صوره، وشق سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين»**.

* **«اللهم اغفر ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره»**.

* **«سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، أبوء بنعمتك على، هذي يدي، وما جنيت على نفسي»**.

* **«سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»**.

*« **سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت»**.

* **«اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت.. اللهم اجعل في قلبي نورًا واجعل في لساني نورًا واجعل من فوقي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، واجعل أمامي نورًا، واجعل خلفي نورًا، واجعل في نفسي نورًا، وعظم لي نورًا.**

* **«اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت**

على نفسك».

* «**اللهم اغفر ما أسررت وما أعلنت»**.

رابعًا: أذكار الجلسة بين السجدتين:

* «**رب اغفر لي.. رب اغفر لي.. رب اغفر لي..»**

* أو تزيد كما في رواية أخرى يقويها الشيخ الألباني: «**اللهم رب اغفر لي، وارحمني واجبرني، وارفعني واهدني، وعافني وارزقني»**.

خامسًا: أذكار سجود التلاوة:

* «**سبحان ربي الأعلى»**.

* «**سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته»**.

* «**اللهم اكتب لي بها عندك أجرًا، وضع عني بها وزرًا، واجعلها لي عند ذخرًا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبد داود»**.

سادسًا: إذا انتهيت من صلاة الوتر فيستحب أن تقول:

* «**سبحان الملك القدوس (ثلاثًا)**» وترفع بها صوتك..

ثم أوصيك أخي الحبيب.. أختي المسلمة:

* بالإكثار من الاستغفار والتسبيح والتهليل والدعاء، والابتهال والتضرع إلى الله جل وعلا بأن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن يجمع كلمتهم على الحق، كما تدعو لنفسك وأهلك وللمسلمين بخيري الدنيا والآخرة.

كما أوصيك أن تكثر من قول: «**اللهم أنك عفو تحب العفو فاعف عني**». وخاصة في ليالي الوتر من العشر الأواخر.. كما علم النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها أن تدعو بهذا في ليلة القدر.

وختامًا أخي الحبيب.. أختي المسلمة:

* لابد من استحضار معاني هذه الأدعية والأذكار والتدبر لها عند ذكرها فـــ «**إن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه**» [السلسلة الصحيحة للألباني].

* وكذا عليك استحضار النية والخشوع عند ذكرها.. لعل الله أن ينفعنا ويرفعنا بذكره ودعائه.

* وقبل الوداع أطلب منك أخي الحبيب.. أختي المسلمة.. ألا تنسوا من أعد هذه الرسالة ومن كتبها ونقلها لكم بدعوة خالصة من القلب.. تقبل الله منا ومنكم.. وإلى لقاء.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محبكم في الله

الراجي عفو ربه

خالد بن عبد الله الحمودي

ملاحظة:

جميع الأحاديث التي أوردناها ثابتة إن شاء الله.. صححها الشيخ الألباني أو حسنها، أو صححها الأرناؤوط حفظهم الله.

المراجع:

[الأذكار للنووي، صفة صلاة النبي ﷺ، صحيح الكلم الطيب، صحيح الترمذي، صحيح ابن ماجه، صحيح أبي داود، جامع الأصول لابن الأثير بتحقيق الأرناؤوط ج٤، وصحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم والهلالي وغيرها.]

تنبيه:

الأذكار والأدعية التي ذكرناها ليست جميعها خاصة بصلاة القيام في رمضان، بل هي لكل صلاة، فلينتبه لهذا!!

رمضان
أمل و ألم

تأليف

محمد بن سرار اليامي

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

والصلاة والسلام على النبي القائل: «**للصائم فرحتان، فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه**»، والقائل: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» والقائل: «**إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون، فإذا دخلوا أغلق، فلا يدخل منه غيرهم**» أما بعد:

*فقد هل أشرف الشهور.. بعد طول غياب.. وبعد شوق عظيم.. ذابت الأحداق في انتظاره.. وتمزقت المآقي على فراقه .. وها هو يقدم .. بين يديه العتق والرحمة والمغفرة من الله جل وعز..

أتـــاك شــــهر الســـــعد والمكرمـــــات
فحيـــــــه في أجمـــــــل الـــــــذكريات
يــــــا موســــــم الغفـــــران أتحفتنـــــا
أنـــت المـــنى يـــا زمـــن الصـــالحات

أتى هذا الشهر ..بالأمل:

*أتى هذا الشهر.. ليقول للناس: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف:٥٦].

* أتى هذا الشهر.. ليغتسل العاصي من أدران الذنوب والخطايا.. بماء التوبة الطاهر النقي..

* أتى هذا الشهر.. ليقول للكون .. كل الكون .. ويقول للدنيا كل الدنيا .. أنا شهر العتق من النار .. فأين الفرار...

* أتى ليضعف الشهوة.. والخطرات الشيطانية .. فتشرق الروح.

* أتى ليذكر المسلم بإخوان له .. أضر بهم الجوع.. الدهر كله؛ فعليه أن يتذكر ما هم فيه من بؤس..

* أتى ليربي النفس، ويزكي القلب؛ أتى ليوحد الكلمة؛ فينساب المجتمع الإسلامي الكبير .. كنهر عذب مورود..

يسقي من ماء إخائه كل من كان متعطشا للم الشمل.. وتوحيد الصف.

* أتى هذا الشهر.. ليكون سلوة للنفوس..، أنسا للقلوب ..، روضة للعقول..، بلسما للهموم ..، عزاء لمن تلطخ بأوحال المعاصي، مفتاحا لمن أراد الطاعة .. مغلاقا على من أراد الشر والفساد..

* فهو يهيئ القلوب، والنفوس لتقبل على الطاعات.. وتبتعد عن الذنوب والمعاصي .. يقول ابن القيم – رحمه الله: (وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان، الإكثار من أنواع العبادات، فكان

جبريل عليه الصلاة والسلام يدارسه القرآن الكريم في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان) .اهـــ بتصرف.

***

ماذا أقول عن رمضان؟!

*أحبتي.. أنا الآن أتكلم عن هذا الشهر وأحكامه، إنما أتكلم عن مدى وقع أيامه البيض في صفحاتنا السود.. نعم .. أتكلم عن تربيته لنا..

يا أهل الصيام.. ويا أهل القيام .. أبشروا، وأملوا من ربكم ما يسركم..

يـــا صـــائماً تـــرك الطعـــام تعففـــاً
أضـــحى رفيـــق الجـــوع والـــلأواء
أبشـــر بعيـــدك في القيامـــة رحمـــة
محفوفـــــة بـــــالبر والأنـــــداء

*أن رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما ما لم تؤت الكبائر .. قل لي بربك .. أليست هذه بشرى؟!

*إن عاتقا حمل هموماً وغموماً .. وأحزاناً وآلاماً.. وذنوبا ومعاصي .. لعاتق منهك .. ضعيف .. يحتاج إلى العون .. والنصرة .. ولا يطلب العون، ولا النصرة إلا من الله سبحانه وتعالى..

*كم هو سعيد ذلك العبد حينما يلقي عن عاتقه هذه الهموم والغموم..

*كم هو سعيد حين تغمره رحمة أرحم الراحمين.. ويكون من المعتقين..

*أحبتي.. إن ميزان السعادة الحقيقية هو مدى طاعة العبد لربه..، فإذا أردت أن تقيس مدى سعادتك في حياتك .. فانظر إلى معدلات طاعتك لربك .. فإن كانت جيدة، فأنت سعيد .. وإن كانت غير ذلك .. فأنت ... (أترك الجواب لك).

***

رمضانيات:

*هذه رمضانيات لكل مسلم، ومسلمة .. يحتاج إليها الشيخ الكبير والشاب الطرير، والحدث الصغير ..، والأم والأخت، والبنت ..، والزوجة ..، نقبس منها.. من منهل عذب مورود ..، من سيرة المعصوم وسنته ﷺ.

*كان من هدية عليه الصلاة والسلام تحري رؤية الهلال ..، وقد أمر المسلمين .. أن يصوموا لرؤية الهلال .. وأن يفطروا لرؤيته.

*كان عليه الصلاة والسلام يحث على السحور.. فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام قوله: «**تسحروا، فإن في السحور بركة**».

*كان عليه الصلاة والسلام يأمر بتعجيل الفطور، فكان يفطر قبل أن يصلي المغرب، كما يقول الإمام ابن القيم في زاد المعاد.

*كان يسافر في رمضان، ويصوم ويفطر في السفر، وكان يغزو ويجاهد في رمضان، ولا دل على ذلك من (بدر الكبرى)؛ وكان عليه الصلاة والسلام يعتكف في العشر الأواخر من رمضان.

رمضان والأسرار:

*شرع الصيام لمقاصد وحكم عظيمة .. فهو يضعف الشهوة، ويذكر المسلم بإخوانه، ويربي النفوس، ويزكي القلوب، ويغض الأبصار .. ويحفظ الجوارح..لماذا؟!

لأنه سر بين العبد وبين ربه جل وعز .. ففي الصحيح أن الله جل وعز يقول: «**كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به**»، ولأنه انتصار يحققه الإنسان على هواه، وتفوق يقدمه المؤمن في سجلاته.. فهو نصف الصبر.. وشحنة من الجهاد.

***

فاذكروني أذكركم:

*أخي الصائم.. أختي الصائمة..

أتدرون عن طعم القرآن في رمضان..، إن القرآن في رمضان له في النفوس إيحاء خاص..، ومشاعر عجيبة .. يحركها كتاب الله ..

في نفوس أهل الإيمان .. أتدرون لماذا؟

لأنه يعيد ذكرى نزوله، وأيام تدارسه، وأوقات عناية السلف به .. يعيد أوقات دوي كدوي النحل في البيوت من قراءة القرآن.

سمعتك يــا قــرآن والليــل غافــل
سريت تهز القلب سبحان من أســرى
فتحنا بك الــدنيا فأشــرق صــبحها
وطفنا ربوع الكــون نملؤهــا أجــرًا

*يتطاول النهار.. وتمتد الساعات، في نهار رمضان، فيقل عليها المؤمن بسكين الذكر فيتركها شذر مذر ... نعم: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم:٧]. صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، كمثل الحي والميت** » فكيف بمن يذكر ربه، وهو صائم قائم.. نعم، والله، إن (المفردون) لفي فوز عظيم.

*إن مما ينبغي على المسلم فعله.. هو ذكر الله ذكراً مشروعاً .. كما أمر ربنا جل وعز .. نعم .. ذكر مع كل نفس ..، ذكر مع كل همسة ولحظة ..، ذكر مع كل حركة وسكنة .. ذكر حسن .. خالص لوجه الله جل وعز .. ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[الرعد:٢٨].

***

الإحسان في رمضان:

*أما البذل في رمضان.. وما أدراك ما البذل.. ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة:١١٠] إن الصيام.. يدعو الصائم إلى إعطاء الجائع .. وسد فاقة المحتاج .. نعم يوجد من لا يؤويه بيت .. يوجد من لا يجد ما يفطر أو يتسحر به .. نعم .. يوجد من لا يجد كسرة الخبز، ولا حفنة التمر..

فمن لهم غيرك أيها المسلم؟! صح عنه ﷺ أنه قال: «**من فطر صائما كان له مثل أجره، دون أن ينقص من أجر الصائم شيئا**» فهل تريل أن تصوم رمضان مرات عديدة، في شهر واحد.

فأنفق ينفق عليك.. واعلم أن شق التمرة قد يحول بينك وبين النار – بإذن الله – نعم..

لقد كانت مساجد السلف تمتلئ بالطعام المقدم للفقراء وعابري السبيل..

فلا نجد جائعا، ولا محتاجاً .. لماذا؟!

لأنهم كانوا يريدون ما عند الله، فهل تريد ذلك ؟!

*فلا شيء في رمضان أحق بالإكثار منه من الصدقات والذكر..

*ولا شيء أحق بالإمساك ..، والتقييد من اللسان، والصمت حكمة، وقليل فاعله.

لسانك لا تذكر بـــه عـــورة امـــرئ
فكلك عـــورات، وللنـــاس ألســـن

نعم.. إن حصائد الألسن .. عظيمة .. وعواقب إطلاقها وخيمة ...، والله يقول: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[ق:١٨].

*فيصوم البطن عن الحرام، من ربا ورشوة وقمار..، وغيرها .. في رمضان وفي غيره .. ويصوم اللسان عن الغيبة والنميمة، والكذب، والحلف بغير الله .. وغيرها .. في رمضان وفي غيره ..، وتصوم العين عن النظر إلى الحرام في رمضان وغيره ..، ويصوم القلب عن التعلق في من سوى الله في الحياة كلها .. فإن فعل ذلك العبد .. كان صائماً حقا ..، طائعاً صدقا..، محبا لله ..، ولما عند الله ..

من علامات حب الله:

*إذا علم ما سبق، فإن لمحبة الله عشر علامات، من فعلها فقد أحب الله:

١- محبة كلامه الذي تكلم به.

٢- محبة رسوله ﷺ وأتباعه.

٣- الغيرة على محارم الله.

٤- التشرف بولاية الله تعالى.

٥- الأمر بالمعروف بالمعروف، والنهي عن المنكر بالمعروف.

٦- الاجتماع بالصالحين، وحب الأخيار، ومجالستهم.

٧- التقرب إلى الله بالنوافل.

٨- تقديم حب الآخرة الباقية على الدنيا الفانية.

٩- التوبة النصوح، وترك المعاصي والرجوع إلى الله.

١٠- تمني الشهادة في سبيل الله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ**﴾[التوبة:١١١].

رمضان ..أمل

*أحبتي.. يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[الزمر:٥٣]..، وهذا الشهر هو موسم عظيم للتوبة والمغفرة .. صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إن الله يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**».

فسبحان من يعطـــي ونخطـــئ دائمـــاً

ولم يـــزل مهمـــا هفـــا العبـــد عفـــا

يعطـــي الـــذي يخطـــئ ولا يمنعـــه

جلالـــه عـــن العطـــا لـــذي الخطـــا

*فكفارة الذنب .. التوبة منه ..، وعدم الإصرار عليه ..

والاعتراف به ..، والاستغفار منه .. والندم عليه ...

*قال جل وعز: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾آل عمران: ١٣٥].

*فرغم أنفه .. ثم رغم أنفه .. من أدرك رمضان فلم يغفر له .. لماذا؟! .. لأنه فرصة .. قد لا تتكرر مرة أخرى .. بل قد لا تعود أبداً..

والسؤال الذي كان يراودني، منذ أن وضعت قلمي على ورقتي، أرقم هذه العبارات والجمل .. هو ..

متى يتوب من لم يتب في رمضان؟!

متى يعود إلى الله من لم يعد في رمضان؟! متى .. متى ..

*أحبتي: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[النحل:٩٢].

*إن شهراً هذه خصائصه.. وصفاته .. لحقيق بأن يذرف الدمع على فراقه.. وتتفتت الأكباد عند وداعه..

رمضان ..، والآلام:

*لقد دار الدهر دورته ..، ومضت الأيام تلو الأيام..، وإذا

بشهرنا تغيض أنواره .. وتبلى أستاره .. ويأفل نجمه بعد أن سطع ..، ويظل ليله بعد أن لمع ..، ويخيم السكون على الكون .. بعدما كان الوجود كل الوجود يستعد ويتأهب للقاء هذا الضيف الكريم..

أنا لا أدري، وأنا أرقم هذه الجمل .. أؤهنئكم بحلول عيد الفطر المبارك ..، أم أعزيكم بفراق شهر العتق والغفران..

إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع .. وإنا على فراقك يا رمضان لمحزونون..

***

لحن الخلود:

إن قلبي ليملي على بناني عبارات الأسى واللوعة، فتكتب البنان بمداد المدامع لحن الخلود، وتأبى الكلمات أن تستلقي على صفحات دفاتري..

إلا حينما أعظها بواحدة .. حينما أعظها بان الله .. قد جعل من سننه في هذه الحياة .. أن للشمل التمام والافتراق ..

ستر السنا وتحجبت شمـــس الضـــحى
وتغيبـــت بعـــد الشـــروق بـــدور
ومضى الذي أهوى، وجرعني الأســـى
وغـــدت بقلـــبي جـــذوة وســـعير

يا ليتـــه لمـــا نـــوى عهـــد النـــوى
وافى العيـــون مـــن الظـــلام نـــذير
ناهيك مـــا فعلـــت بمـــاء حشاشـــتي
نـــار لهـــا بـــين الضـــلوع زفـــيرُ

انقضى رمضان .. ويا ولهي عليه .. انقضت أيامه ولياليه .. ذهب .. ليعود على من بقي ..، وليودع من كان أجله قد حان .. نعم .. ذهبت يا رمضان .. فجرت المدامع ..

يـــا راحـــلاً وجميـــل الصـــبر يتبعـــهُ
هل مـــن ســـبيل إلى لقيـــاك يتفـــق
ما أنصفتك دمـــوعي، وهـــي داميـــةٌ
ولا وفي لـــك قلـــبي، وهـــو يحتـــرقُ

نعم.. انقضى رمضان .. ولكن .. ماذا بعده؟!

***

إن عمل المؤمن لا ينقضي أبدًا:

*انقضى رمضان ..، وقد اعتاد كثير من أبنائه الصلاة مع جماعة المسلمين..

فيا من ألف الحق .. تمسك به هديت ..، واستمر عليه .. نعم .. اجعل رمضان كقاعدة تنطلق منها للمحافظة على الصلاة في باقي الشهور .. نعم، اجعل رمضان منطلقا لترك الذنوب والمعاصي

.. عَلَّ الله جل وعز أن يغفر لك بما قدمت ..، وإياك ثم إياك من أن تكون من عباد رمضان..

*إن من علامات قبول العمل المواصلة فيه، والاستمرار عليه .. فاحكم أنت على صيامك .. هل هو مقبول أم مردود .. نعم، احكم أنت ..

***

خواطر صائم في لحظات الوداع:

*أخي الصائم .. أختي الصائمة:

إن لحظات الوداع لحظات لا تنسى ..، ولوعتها لوعة لا تبلى .. حرقة الوداع تلهب الأحشاء ..، ودموعه تحرق الوجنات بحرارة العبرات..

لم يـــــبكني إلا حــــــديث فـــــراقكم
لمـــــا أســـــر بـــــه إلى مـــــودعي
هو ذلــك الــدر الــذي أودعــتم
في مســـمعي أجريتــه مــن مــدمعي

*فيا من صام لسانه في رمضان عن الغيبة والنميمة والكذب واصل مسيرتك ..، وجد في الطلب .. ويا من صامت عينه في رمضان عن النظر المحرم .. غض طرفك ما بقيت .. يورث الله قلبك حلاوة الإيمان ما حييت ..

*ويا من صامت أذنه في رمضان عن سماع ما يحرم من القول، وما يستقذر .. من سماع غيبة ..، أو نميمة ..، أو غناء ..، أو لهو .. اتق الله ..، ولا تعد ..، اتق الله، ولا تعد ..

*ويا من صام بطنه في رمضان عن الطعام ..، وعن أكل الحرام .. اتق الله في صيامك ..، ولا تذهب أجرك بذنبك ..، وإياك ثم إياك من أكل الربى ..، فإن آكله محارب لله ولرسوله ﷺ .. فهل تطيق ذلك ..

*ويا من صام بطنه .. تذكر إخواناً لك في رمضان وغيره .. يبيتون على الجوع ..، والعري .. ولا يجد أحدهم ما يسد به جوعته، ولا فاقة عياله .. تذكر أنهم ينتظرون منك .. نعم .. منك أنت، ومن أمثالك من يمد لهم يد العون، والمساعدة.

***

حان الوداع

وأخيراً أخي الصائم .. أختي الصائمة..

*إن العيد على الأبواب ..، وإن رمضان آذن بوداع ..، وكم هي شاقة هذه الكلمة (وداع) ..، ولكنني أسأل الله الكريم رب العرش العظيم .. أن يعيده علينا وعلى سائر المسلمين أياما عديدة .. وأزمنة مديدة .. وقد تحقق للأمة الإسلامية ما تصبو إليه من عز وتمكين، وسؤدد في العالمين.. إن الله ولي ذلك، والقادر عليه..

يا لائمي في البكـــا زدني بــــه كلفـــا
واسمـــع غريـــب أحاديـــث وأشـــعار
ما كان أحســـننا والشـــمل مجتمـــع
منا المصلي، ومنـــا القانـــت القـــاري
وفي التـــراويح للراحـــات جامعـــة
فيها المصـــابيح تزهـــو مثـــل أزهـــار
شـــهر بــــه يعتـــق العصـــاة، وقـــد
أشفوا على جرف من حصـــة النـــار
فابكوا على مـــا مضـــى في الشـــهر،
ما قد بقي، فهو حق عـــنكم جـــاري

فرحة العيد:

إلى كل صائم وصائمة .. أوجه هذه العبارات .. عل الله جل وعز أن يكتبها في ميزان الحسنات .. أقول:

أخي .. أخي: حينما تشرق شمس صباح العيد ..، فيجتمع الشمل..، ويلبس الجديد ..، ويؤكل ما لذ وطاب ..

تذكروا ذلكم الطفل اليتيم .. الذي ما وجد والداً يبارك له بالعيد ..، ولا يقبله، ولا يمسح على رأسه..

قتل أبوه في جرح من جراح هذه الأمة ..، وتذكروا تكلم الطفلة الصغيرة .. حينما ترى بنات جيرالها يرتدين الجديد ..، وهي يتيمة الأب..

إنها تخاطب فيكم مشاعركم ..، وأحاسيسكم .. إنها تقول لكم:

أنا طفلة صغيرة ..، ومن حقي أن أفرح بهذا العيد .. نعم .. من حقي أن أرتدي ثوبا حسناً لائقاً بيوم العيد .. من حقي .. أن أجد الحنان والعطف .. أريد قبلة من والدي..، ومسحة حانية على رأسي .. أريد حلوى ..، ولكن السؤال المر.. الذي لم أجد له جواباً حتى الآن هو .. أين والدي ؟ أين والدي ؟ أين والدي ؟!

*فيا أخي .. ويا أختي .. قدموا لأنفسكم، واجعلوا فرحة هذا العيد المبارك .. تعم أرجاء عالمنا الإسلامي..

فها هي المبرات ..، ودور الصدقات، ولجان الإغاثة، والمساعدات .. مشروعة أبوابها ..، فهلموا إليها .. وما تقدموا لأنفسكم تجدوه عند الله.

والله يرعاكم ويتولانا وإياكم، جعل الله صيامنا وصيامكم مقبولاً، خالصاً لوجهه الكريم..

***

مشاريع الإحسان ..في رمضان:

*أخي .. أختي .. إن شهراً هذا ألم الفراق والحرقة عليه لشهر حقيق بأن يغتنم..، ويستثمر ..، كل هذا للفوز بجنة عرضها السماوات والأرض، وهنا مقترحات دعوية في هذا الشهر .. عل

الله جل وعز أن يجعلها مفتاحا لكما في الخير .. آمين ..، وقبل ذكرها لا بد من التعريج على أمور مهمة منها:

أولاً: لا تكن كصاحب الجراب [(١)]، فالإخلاص لله جل وعز وفي الدعوة وشتى الأمور مطلوب، فلا قبول إلا به وبالمتابعة للمعصوم عليه الصلاة والسلام.

ثانيا: أن يحمل المسلم في يديه المشعل الذي حمله خير الورى عليه الصلاة والسلام (حنيفاً مسلماً).

ثالثا: أن يعبد الناس لله لا لغيره سبحانه.

رابعا: أن يحمل هماً وصداعاً وصوتاً يرن في رأسه..، وذلك الهم، والصداع، والصوت هو: متى يرى هذه الأمة منيبة إلى ربها، عائدة إليه، تائبة له سبحانه ..، وهو يطمع أن يكون ممن يرتفع هذا الدين على أشلائه ..، ودموعه، وبذله وأكتافه..

خامسا: دخول الجنة ليس بالمجان .. (إنما بالقول والاعتقاد والعمل) الصحيح، والبذل، والتضحية من الأموال، والأوقات وغيرها.

سادساً: أن يستشعر أحدنا أنه مسئول أمام الله عن أهله، وأهل حيه، وجماعة مسجده، وأقاربه (وأنذر عشيرتك الأقربين).

---

(١) وصاحب الجراب هذا حمله على ظهره مدة من الزمن، وقد أثقل الجراب كاهله، وقد قطع الظمأ عنقه ، وعندما توسط الصحراء، فتح الجراب يريد الماء، فإذا في جرابه حجر . فالذي خسر الإخلاص من أول الطريق حري بالإفلاس في آخره.

سابعاً: أن ينسى الشاب الهزائم النفسية، ويرميها وراء ظهره، ويقبل على الدعوة بعين ملؤها التفاؤل والفرح، وأن المستقبل لهذا الدين، شاء من شاء وأبى من أبى.

ثامناً: تربية النفس تربية جادة على حب الجنة حبا يجعلها تسلك كل وسيلة شرعية للوصول لهذه الجنة..، وبعد هذا، وما تقدم نشرع في المراد وبالله التوفيق والسداد..

*حتى نغتنم رمضان لا بد وأن نستفيد مما يلي، وهي مشاريع مطروحة في هذا الشهر الكريم:

١- درس نسائي يقوم به بعض طالبات العلم في مصلى النساء.

٢- إفطار جماعي في مسجد الحي، فبتقارب الأبدان تقترب القلوب.

٣- مسابقة للمسجد (مسابقة الأسرة المسلمة).

٤- مسابقة نسائية.

٥- حلقة بعد صلاة العصر لكبار السن لتعليم ما تيسر من القرآن. ولو كانت الحلقة لضبط سورة الفاتحة فقط للكبار لكفى بذلك خيراً.

٦- بين التراويح كلمات تلقى من الأئمة، والدعاة، والوعاظ، لاجتماع المسلمين والمسلمات.

٧- الشباب أصحاب التلاوة الجيدة، والحفظ المتقن يقومون بصلاة التراويح بعد الاتفاق مع الإمام، من باب التنويع على جماعة

الحي، ومن باب تدريب الشباب الناشئ على خدمة المسلمين.

٨- الكتابة في مواضيع مختلفة عن (العبودية – الإخلاص – آداب الصيام – لماذا الصوم – الصوم الحقيق – صوم القلوب – الزاد في رمضان – كيفية استغلال رمضان– كيفية ختم القرآن في رمضان أكثر من مرة – كيف تصوم في شهر واحد خمس مرات لهذا الشهر).

٩- رحلة عمرة جماعية لجماعة مسجد الحي.

١٠- يجعل هناك جوائز للشباب الصغار المحافظين على الصلوات مع المسلمين، ويدخل فيها التراويح على أن تجعل جوائز سخية لهم، يأخذونها في نهاية الشهر الكريم.

١١- دورة علمية في (كيف تكون صائما حقاً)، يعلم فيها الجاهل، ويذكر فيها الغافل.

١٢- مشروع هدية رمضان بمناسبة حلول هذا الشهر الكريم تقدم هدية لسكان الحي أو لجماعة المسجد، وتحتوي على:

أ- شريط للرجال. ب- شريط للشباب.

جـ- شريط للنساء. د- شريط للأطفال.

هـ- مجلة نسائية. و- مجلة أسرية.

مع نشرة عن فتاوى في رمضان، أو أحكام تهم المسلمين عامة، ويهتم فيها بالانتقاء الحسن، ففي إدخالها للبيوت نفع عظيم، وخير عميم.

١٣- كلمة بعد صلاة العصر أو بين الأذان والإقامة للنساء خاصة، ولعموم المسلمين.

١٤- اعتكاف جماعي، ليحصل التآلف، وتتحقق المحبة، ويتعاون المسلم مع إخوانه.

١٥- حلقة تلاوة الجزء، وتكون بعد الفجر.

١٦- الزيارات بعد التراويح، ففيها جمع للصف، وتوحيد للكلمة، وانتفاع بمشورة، وتثبيت على الحق بإذن الله.

١٧- القهوة بين التراويح أثناء الكلمة المعدة.

١٨- اجعل من قدرك مدخلاً إلى الجنة، فاحرص على تفطير الصائم.

١٩- جلسة جماعية بعد الفجر لشباب المسجد يتخللها (تلاوة قرآن – قراءة في باب فقهي – حفظ قرآن – حفظ بعض المتون).

٢٠- انتداب شباب قادرين على نفع المسلمين، ويحبون ذلك لبعض القرى المجاورة للمنطقة، ليصلوا بالناس التراويح، ويفقهوهم في أمور دينهم، وعقيدهم، ولو في الأسبوع مرة واحدة.

٢١- جمع الملابس القديمة من كل بيت، والذهاب بها للمغسلة لغسلها وكيها، ثم إهدائها للفقراء قبل العيد بيومين أو ثلاثة، على أن تكون صالحة للاستعمال وجيدة، وإن كان الجديد أفضل وأولى وأحسن وأكمل، ولا ننسى: ﴿**حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾.

٢٢- الشريط [الدعوي]، لا ينزل من سيارة الصالحين، ففيه

نفع وخير كثير بإذن بالله، وكم عرفنا من شباب تاب بسبب شريط سمعه في رحلة أو في سيارته، وهم كثير.

٢٣- القارورة الفواحة في الجيب الفواح، فلا تنزل زجاجة العطر، ولو كان رخيص الثمن من جيبك بتطييب مدخن، أو عاص لكسب قلبه، ومناصحته بالحسنى.

٢٤- إهداء السواك، ففي ذلك إحياء لسنة المعصوم ﷺ.

٢٥- (كروت أذكار الصباح والمساء) تهدي لكل مسلم ومسلمة، فثمنها زهيد، وأجرها عظيم، خصوصاً في هذا الشهر الفضيل.

٢٦- يوضع (صندوقات) في المسجد، واحد في مصلى النساء، والآخر في مسجد الرجال حول الأبواب لجمع الفتاوى، والإجابة عنها من كلام أهل العلم، أو طرق المواضيع المهمة منه.

٢٧- لوحتان لنشرات أسبوعية تعلق إحداها عند الرجال، والثانية عند النساء، ويتولى مجموعة من الشباب إعدادها، وتجهيزها، والمحافظة عليها، وكذلك اللوحة النسائية يتولى ذلك مجموعة من الشابات.

٢٨- (رف) في مسجد الرجال باسم (خذ نسختك) من فتاوى تهم المجتمع (فتاوى هيئة كبار العلماء)، ورف عند النساء لفتاوى نسائية مهمة لنساء الأمة.

٢٩- ولبدنك عليك حق (أمسية رياضية للشباب).

٣٠- تذكر مواسم الخيرات وأنها ستمر، فحينما يربي الشاب نفسه على استغلالها، سينجح، ويفلح بإذن الله...

تمت الرسالة على ما فيها من خلل ونقص واضح للمتأمل، فما كان فيها من صواب فمن الله وحده.. وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان.. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*تمت مراجعة الرسالة وتبييضها في حرم الله الآمن بجوار بيت الله العتيق في ليلة الجمعة الموافق ١٤٢٠/٧/٦هـ راجياً من الله قبولها في صالح الأعمال إنه ولي ذلك والقادر عليه.

قاله بلسانه وكتبه ببنانه
راجي عفو ربه وغفرانه
محمد بن سرار بن علي اليامي
ص.ب:١٢٢٥٨٦ – الرياض: ١١٧٣١.

رمضان بلا أمراض

د/ سمير عبد الخالق عقار

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار طويق للنشر والتوزيع

مقدمة

الحمد لله ملء السماوات والأرضين السبع وما بينهن، حمدًا يتناسب مع عظيم فضله وجلال سلطانه، حمدًا دائمًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه، عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا شريك له في ملكه، واحد أحد، فرد صمد، حي قيوم، سميع بصير رؤوف رحيم، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، عز سلطانه، وتقدست أسماؤه وصفاته.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، رسول الإنسانية ومعلم البشرية، وهادي الأمة، وكاشف الغمة، وقائدنا إلى أحسن طريق، وأقوم ملة، أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، وأعد لمن اتبعن وسار على هديه في الجنة منازل وقصور، ووعده في دنياه وآخرته بهناء وسرور، فصلاة ربي وسلامه عليه عدد الرمال والحصى والصخور، صلاة وسلامًا تجعل صاحبها في سعادة وحبور، ويبلغنا الله بها في الجنة أعلى المراتب والقصور، وأما بعد:

فقد أظلنا شهر عظيم، طيب النفحات، كثير الخيرات، شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، شهر هو عند الله من خير الشهور، فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيام نهاره فريضة، وقيام ليله تطوعًا، الحسنة فيه بعشر أمثالها، من صام نهاره وقام ليله إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، وجعل الله له

فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، وخصه بباب من أبواب الجنة لا يدخل منه إلا الصائمون، وكفاه فخرًا أن تكون رائحة فمه أطيب عند الله تعالى من ريح المسك.

ولعل من خير الأعمال في هذا الشهر هو الصوم الذي فرضه الله تعالى على عباده، كما فرضه على الأمم السابقة، لحكمة إلهية، وغاية ربانية، واختبارًا لعباده المؤمنين وتعويدًا لهم على الصبر عن الشهوات والتجرد من سلطانها عليهم، وتربية لنفوسهم على قوة التحمل، وتعويدًا لإرادتهم على الصبر في مواجهة شدائد الأمور، وتزكية لنفوسهم وأبدانهم وتطهيرًا لها من أغلال الطمع والحقد والأنانية، وتنظيفًا لها من سموم الأغذية، وسموا بأرواحهم الإنسانية وبلوغًا بها أسمى المراتب الإيمانية وهي التقوى، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة: ١٨-١٨٥].

والإسلام دين يسر وسماحة، تتجلى مظاهر يسره وسماحته في مواطن كثيرة، قال الله تعالى، وهو أصدق القائلين: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ**

الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال أيضًا: **﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ﴾** [المائدة: ٦].

والصوم من أهم الشرائع الإسلامية التي تتضح فيها مظاهر يسر الإسلام وسماحته، حيث فرضه الله تعالى على من يطيقه، وأقّته بمدة معينة، فقال تعالى: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾** [البقرة: ١٨٧].

ورخص الفطر لمن لا يقوى على الصوم بعذر من الأعذار الشرعية كالسفر لمسافات طويلة، أو المرض المخوف، فقال تعالى: **﴿مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾** [البقرة: ١٨٥].

ومع أن الكثير من الأدلة الشرعية والتجارب العلمية تؤكد على أهمية الصوم للتمتع بصحة جيدة واستخدامه في علاج الكثير من الأمراض التي تصيب الإنسان على مر العصور، إلا أن الصوم قد يكون في بعض الأحيان عاملاً مساعدًا في تفاقم بعض الأمراض وتأخر شفائها، أو يسبب أضرارًا تتعلق بسائر وظائف البدن.

ومن هنا تتضح لنا الحكمة الإلهية، ومظاهر الرحمة واليسر في الشريعة الإسلامية في ترخيص الفطر للمريض.

وينقسم المرض مع الصيام إلى نوعين: نوع يمكن الصوم معه دون حدوث أضرار أو مخاطر صحية للمريض، ونوع آخر لا يمكن الصوم معه، وإذا صام المريض يتعرض لمشاكل صحية جسيمة.

والطبيب المسلم الحاذق الذي لديه معرفة بالفقه هو الذي يستطيع تحديد نوع المرض الذي يمكن الصوم معه، والمرض الذي لا يمكن الصوم معه، وهو الذي يقرر للمريض إذا كان يصوم أم لا.

وحتى يتمتع المرء بالصحة والعافية بإذن الله تعالى ويؤتي الصوم معه أفضل الثمرات، وأطيب النتائج يجب أن يتبع الصائم سلوكًا معينًا قبل الصيام وأثناء فترة الصيام وبعد الصيام، وهو الأمر الذي دفعنا لإعداد هذا الكتاب، والذي نرجو من الله تعالى أن يكون بادرة خير لمن أراد التمسك بدين الله والاقتداء بسنة نبيه محمد ﷺ.

كما يجب أن يفهم المسلم الحكمة العظيمة والغاية الجليلة لهذه الفريضة الغراء، وأن يكون الصوم كما قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٤].

وكما قال رسوله الكريم ﷺ: «**صوموا تصحوا**» (موسوعة الحديث الشريف).

والله تعالى نسأل أن يوفقنا إلى سواء السبيل، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجنبنا الزلل، ويعفو عما وقعنا فيه من خطأ، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب.

الناشر

الصوم جنة

الصوم جنة:

الصوم جنة تقي الصائم وتحميه من كثير من الأضرار النفسية والصحية، فالصوم يشبه السياج الواقي الذي يحمي الصائم من الوقوع في الخطيئة، ومقارفة الرذيلة، واعتلال البدن، وتدهور الصحة.

فمن الناحية الصحية يزيد الصوم من مناعة الجسم ومقاومته للأمراض المختلفة، ويساعده في تقليل فرص الإصابة بها.

ومن الناحية النفسية، يزيد الصوم من اطمئنان الصائم الروحي، واستقراره النفسي، ويقوي عزيمته ويربي إرادته ويهذب أخلاقه، ويقوم سلوكه.

وكما يحمي الصوم الفرد ويقيه من كل هذه الأمور، يحمي المجتمع بأسره، من كثير من الأضرار والأمراض الاجتماعية وما يترتب عليها من مشاكل نفسية وأضرار صحية، ويربي لدى الأفراد والجماعات قيما حميدة تؤثر في سلوكهم وعاداتهم، مما يجعل المجتمع قوي البنيان، متماسك الأركان، ثابت الدعائم، لا تتنازعه الأهواء، ولا تؤثر فيه المحن.

وهناك كثير من الأمراض النفسية والاجتماعية والعضوية التي يمكن علاجها بالصوم وتفادي الأضرار الناتجة عنها، الأمر الذي يكشف لنا عن الإعجاز العلمي، والحكمة الإلهية في قوله تعالى:

﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وقول سيدنا محمد ﷺ: «**صوموا تصحوا**» (موسوعة الحديث الشريف).

وإذا ذهبنا لنتحدث عن الفوائد الكثيرة التي يمكن أن تتحقق لنا بالصوم ونجيها منه لقلنا: إنها ذات أنواع شتى واتجاهات عديدة، فمنها:

الفوائد الروحية والنفسية، التي تتمثل في الشعور بالراحة النفسية، والاطمئنان الروحي، وسمو النفس على الغرائز المختلفة، والشعور المتواصل بالبهجة والسعادة، والسيطرة على الانفعالات والمشاعر، وضبط السلوك.

ومنها الفوائد الاجتماعية، التي تتمثل في اختفاء مشاعر البغض والكراهية واستبدالها بمشاعر الحب والرحمة، والقضاء على كل مظاهر الأنانية والحرص، وانتشار مظاهر التعاون والبذل، وعلاج الكثير من الأمراض الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية.

ومنها الفوائد الاقتصادية، التي يتمثل معظمها في ترشيد الاستهلاك، وحسن استخدام النعم التي حبانا الله إياها، ومعرفة قدرها، والإحساس بقيمها، والقضاء على كل مظاهر البذخ والإسراف.

ومنها الفوائد الصحية والبدنية، التي تتمثل في الوقاية من الإصابة بأمراض فرط التغذية وما يترتب عليها من مشاكل صحية وأضرار بدنية، وعلاج العديد من الأمراض العضوية، كأمراض

الجهاز الهضمي، والجهاز العصبي، والجهاز الدوري، والجهاز التنفسي، والأمراض الجلدية ... وغير ذلك كثير مما لا يمكن حصره.

صوموا تصحوا

صوموا تصحوا

يقول الرسول ﷺ: «**ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**» (موسوعة الحديث النبوي الشريف)

ومما لا شك فيه أن الأخطار الصحية والأضرار البدنية الناتجة عن كثرة الأكل وتنوع الأغذية التي يلتهمها الإنسان بلا موعد ولا ضابط باتت حقيقة لا نزاع فيها، يقول الدكتور (بلاك بورن) أستاذ الجراحة بكلية الطب جامعة هارفارد الأمريكية الشهيرة، بعد أن درس التأثيرات الفيزيائية التي يحدثها الصوم على جسم الصائم: «من المؤكد أن الأكل خصوصًا المتعاقب – إدخال الطعام على الطعام – يشكل عبئًا ثقيلاً بالتمثيل الغذائي، فيفرز كميات كبيرة من هرمونات الجهاز الهضمي والأنسولين، وقطع هذه العادة سوف يقلل من إفرازه هذه الهرمونات، مما يحفظ صحة الجسم، ويعطي للإنسان حياة أفضل وعمرًا أطول» (موقع هيئة الإعجاز العلمي بتاريخ: ١٨/١٢/١٤٢١هـ).

ويقول الدكتور (ماهلر) في بحثه عن السمنة: «إن الإنسان في العصر الحديث لا يأكل لأنه جائع، بل ليرضي شهوته للطعام» (موقع هيئة الإعجاز العلمي بتاريخ: ١٨/١٢/١٤٢١هـ).

ويؤكد كثير من الأطباء أن الصوم يعد من أنجح الوسائل

وأهمها على الإطلاق في علاج الكثير من الأمراض التي تنتج عن كثرة تناول الطعام والشراب طوال العام والوقاية منها، فهو يعد وسيلة آمنة لعلاج كثير من الأمراض المزمنة، ومنشط لسائر العمليات الحيوية داخل الجسم، ورافع لمعدلات أدائها لتجدد خلايا الجسم، وتعيد ترميم ما تهدم منها، كما أنه يكبح جماح الشهوة الغريزية تجاه الطعام والشراب والجنس وسائر الشهوات.

والصوم الإسلامي يحقق للصائم فوائد عظيمة ومنافع جمة، حيث يعطي الصائم أجهزة جسمه المختلفة فترات من الراحة بعد طول عناء، ويتيح لها الفرصة لإعادة تنظيم عملها وترميم ما تهدم من أنسجتها، فيخرج الصائم من فترة صومه بقوتين: قوة روحية تتمثل في شعوره بالاستقرار النفسي، والاطمئنان الروحي، وقوة بدنية تتمثل في نشاط الجسم بعد خموله، وقوته بعد ضعفه، وصحته بعد اعتلاله.

وقد أجمع على هذه الفوائد الصحية التي يحققها الصوم للصائمين كثير من الأطباء والباحثين استنادًا إلى نتائج التجارب التي قاموا بها على العديد من المرضى على مر العصور.

وحتى يكون صومنا صومًا بإذن الله مقبولاً، وصحيًا، وتتحقق لنا الفوائد المنشودة منه يجب علينا العمل بالنصائح التالية:

* أن يدرك الصائم أنه إنما يتوجه بهذا العمل لخالقه عز وجل، فمن ثم يخلص النية ويحسن الأداء.

* أن نتبع الأمر الإلهي والهدي النبوي عند الإفطار وعند

السحور، وفي سلوكنا أثناء فترة الصوم وبعدها وقبلها.

* أن نغير من عاداتنا الغذائية، وسلوكياتنا الأخلاقية بما يتوافق مع ما أمر به الشرع الحنيف.

* أن نقتصد في تناول الطعام والشراب ولا نسرف فيهما، ونتمثل دائمًا بقول الله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١].

* أن نحاول فهم المعنى الحقيقي للصوم وندرك الحكمة الإلهية منه، ألا وهي بلوغ التقوى المتمثل في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣].

* أن نقلع عن العادات الضارة، والسلوكيات الخاطئة، كالتدخين، والسهر، والكسل والخمول، وإهدار الوقت فيما لا يفيد.

* أن نحافظ على أداء السنن والنوافل أثناء الصيام وبعده ونستمر على ذلك.

فعند ذلك فقط يتحقق لنا قول الرسول الكريم ﷺ: «**صوموا تصحوا**» (موسوعة الحديث النبوي الشريف).

تأثيرات الصوم على الصحة

تأثيرات الصوم على الصحة:

للصوم تأثيرات عدة على أجهزة الجسم المختلفة، تناولنا الحديث عن كثير منها في الصفحات السابقة، وفيما يلي تذكير ببعض التأثيرات التي يحدثها الصوم على أجهزة الجسم المختلفة:

١- تأثيرات الصوم على الجهاز العصبي:

إن المتأمل في فلسفة الصوم الإسلامي يجد أنه عملية تربوية تتم فيها تربية النفس وتهذيبها والارتقاء بها عن الوقوع في الموبقات، والإغراق في إشباع الشهوات والغرائز، كما أن أدبيات الصيام وأخلاقه تلزم المسلم بالابتعاد عن مظاهر الغضب والانفعال، عملاً بقول الرسول ﷺ: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم**» (موسوعة الحديث النبوي الشريف).

وهذا الأمر يؤدي بالصائم إلى الشعور بالسكينة وانشراح الصدر، فتخرج النفس من ضيق وشدائد الحياة اليومية، ومشاكلها وضغوطها إلى سعة في الصدر وانشراح في النفس ورضا في القلب، وهذا الإحساس يكون عاملاً مساعدًا مهمًا في شفاء كثير من الأمراض النفسية والعصبية.

ومما يؤكد هذا الأمر ما تثبته الإحصائيات العلمية من انخفاض لمعدلات الجريمة خلال شهر رمضان، وتحسن كثير من الحالات

المرضية بالمرض النفسي أو العصبي خلال هذا الشهر الكريم. (انظر/ موقع المسلمة بتاريخ ١٤٢١/١٢/١٨هـ موقع إسلام أون لاين).

٢- تأثيرات الصوم على الجهاز الهضمي:

في شهر رمضان وأثناء فترة الصيام تقل حركة الأمعاء، وتقلل المعدة من إفراز العصارات الهاضمة، وتتاح الفرصة أمام أعضاء الجهاز الهضمي للراحة بعد طول عناء، ومن ثم تتحسن حالة الصائم الصحية، كما تتحسن الأمراض المرتبطة بالجهاز الهضمي وتختفي أعراضها شيئًا فشيئًا، كما تزول أسباب السمنة وأعراضها، وتزول أمراض الجهاز الهضمي ذات العلاقة بالضغط النفسي والتهيج العصبي مثل: تهيج القولون، وانتفاخات المعدة والتهابات المعدة والمريء المزمنة.

ومن أهم الفوائد الصحية التي يجنيها الصائم من صومه هي تخفيف الوزن والتخلص من الوزن الزائد، وهو ما أشارت إليه العديد من الدراسات العلمية الحديثة، وهو الأمر الذي يجنب الصائم أضرار السمنة ومشكلاتها الصحية الخطيرة حيث تؤدي إلى الإصابة بكثير من الأمراض كتصلب الشرايين، وتجلط الدم، وارتفاع الضغط، والسكر.

(انظر/ موقع المسلمة بتاريخ ١٤٢١/١٢/١٨هـ، موقع إسلام أون لاين).

٣- تأثيرات الصوم على الجهاز الدوري:

يعمل الصوم على خفض محتوى الدم من الكولسترول الضار،

ويزيد من نسبة الكولسترول النافع الذي يساهم بشكل فعال في التخلص من ترسبات الدهون داخل الشرايين والأوعية الدموية، أضف إلى ذلك أن معدل ضربات القلب أثناء فترة الصوم يقل إلى ٦٠ ضربة في الدقيقة الواحدة مما يعني توفر المجهود اللازم لـــ (٢٨٨٠٠) دقة كل ٢٤ ساعة.

(انظر/ موقع المسلمة بتاريخ ١٤٢١/١٢/١٨هـــ/ وقع إسلام أون لاين).

ويعد الصوم فرصة ذهبية لمدمني التدخين والمكيفات كالشاي والقهوة للإقلاع عن هذه العادات الضارة، ويقلل من نسبة النيكوتين والكافيين في الجسم، ويساعدهم على التخلص من مسكنات الألم الطبيعية بمواد أخرى يفرزها المخ.

ومن الآثار الإيجابية أيضًا للصيام على الجهاز الدوري أنه يساعد في خفض مستوى ضغط الدم عند المرضى المصابين بارتفاع في ضغط الدم، كنتيجة طبيعية لتقليل كميات الطعام وكميات الأملاح أثناء فترة الصوم.

(انظر/ موقع المسلمة بتاريخ ١٤٢١/١٢/١٨هـــ/ وقع إسلام أون لاين).

٤- تأثيرات الصوم على الأمراض العضوية:

تؤكد كثير من الأبحاث العلمية الحديثة التي قامت بدراسة موضوع الصوم وبحث تأثيراته على الأمراض العضوية في مناطق مختلفة من العالم، أن الصوم من العوامل المهمة التي تساهم بشكل

فعال في علاج الكثير من الأمراض العضوية، بل إنه يعد أهم هذه الوسائل وأفضلها على الإطلاق.

وقد أثبت الصوم فاعلية كبيرة في علاج أمراض الجهاز الهضمي والدوري والتنفسي، وأمراض الجلد والعيون، بالإضافة إلى الأمراض النفسية والعصبية، وكثير من الأمراض الاجتماعية.

المرض في شهر الصوم

المرض في شهر الصوم:

سبق أن قلنا أن المرض في شهر يصوم ينقسم إلى نوعين: نوع يمكن الصوم معه ولا يترتب على الصوم ضرر كبير بالمريض، ونوع آخر يمكن أن يترتب عليه ضرر كبير بالمريض، ومن يحدد احتمال حدوث الضرر من عدمه هو الطبيب المسلم الحاذق الخبير، لأنه هو الذي يتابع حالة المريض ويكون أقدر على تشخيصها بدقة.

ومع كل إطلالة لشهر رمضان يتساءل كثير من المرضى هل يصوم أم يفطر؟ وهل يعد من ذوي الأعذار المباح لهم الفطر أم لا؟ ويقع كثير منهم تحت عبء ثقيل، ويكون ضحية للأوهام أو فتاوى الجهلاء، دون الرجوع إلى أولي الأمر من ذوي الاختصاص الطبي وأهل الفتاوى الشرعية.

ومع أن عصرنا هذا يشهد تقدمًا كبيرًا في وسائل الاتصال والإعلام، وطرق العلاج المستخدمة إلا أن الحاجة ما زالت ملحة لإنشاء مراكز طبية متخصصة في تشخيص الأمراض وتصنيفها إلى ما يمكن الصوم معه وما لا يمكن، تكون هذه المراكز مزودة بأطباء مسلمين على دراية بعلم الفقه وأصوله حتى لا يكون الإفتاء لعبة في يد من لا يحسن صناعته، ولا يملك أدواته.

فهناك العديد من الأمراض التي يصلح الصوم معها، ويكون الصوم فيها عاملاً مهما من العوامل التي تعجل بالشفاء، وهناك

أمراض أخرى كثيرة لا يصلح الصوم معها، بل يؤدي الصوم إلى حدوث انتكاسة شديدة تؤثر على حالة المريض، وربما تؤخر من شفائه أو تعرضه للهلاك.

ومن الضروري جدًا أن يكون لدى الأشخاص الصائمين وعي بهذه الحالات التي يباح فيها الفطر دون غيرها، كما يجب أن يكون لدى الطبيب المعالج فقه معين تجاه التعامل مع هذه الحالات المرضية.

كما يجب أن تساهم وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة المرئية والمقروءة والمسموعة بشكل فعال في نشر هذه الوعي الصحي والفقهي تجاه هذه الحالات.

ومن الأمور المعلومة لدى الأطباء والفقهاء أن الأمراض منها المرض المخوف، والمرض غير المخوف، ومنها ما يرجى برؤه، وما لا يرجى برؤه، ولكل نوع منها وصفه الطبي عند الأطباء، وحكمه الفقهي عند الفقهاء.

فالمريض الذي يرجى برؤه والصوم لا يؤثر على حالته المرضية ويطيق الصوم فإنه يصوم، والصوم خير له من الفطر، عملاً بقوله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ [البقرة: ١٨٤]. كمن يعالج من جرح بسيط أو كسر أو غير ذلك من الأمراض التي يمكن الصوم معها.

وأما إذا كان الصوم يؤثر في حالته الصحية، كمن يحتاج إلى تناول العلاجات اللازمة من الأدوية والأغذية التي تصل إلى الجوف مباشرة في مواقيت محددة أثناء النهار فإنه يفطر، ويقضي صيام المدة

التي أفطرها بعد شفائه من مرضه بإذن الله تعالى، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأما المرض الذي لا يرجى برؤه، كالمريض بمرض مزمن، فإنه ينقسم أيضًا إلى قسمين: قسم يمكن الصوم معه، كالمصاب بأحد الأمراض المزمنة ويمكن تناول الدواء الخاص بها ليلاً، ولا يؤثر الصوم على حالة المريض الصحية تأثيرًا كبيرًا، وقسم آخر لا يمكن الصوم معه، فإذا كان الصوم يؤثر في حالته الصحية تأثيرًا سلبيًا، كالمريض بفشل كلوي، أو المريض بداء السكر من النوع الخطير، فإنه يفطر ولا قضاء عليه، وإنما يكفر عن إفطاره بإطعام مسكين.

وهنا يتضح لنا يسر الإسلام وسماحته في هذه الفريضة العظيمة، حيث رخص للمريض والشيخ الفاني الذي لا يطيق الصوم، والمسافر الذي أرهقه عناء السفر بالفطر، حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أمراض الصوم

وكيف تتغلب عليها؟

أمراض الصوم:

إذا كان الصوم يساهم بشكل فعال في علاج العديد من الأمراض، كما أوضحنا فيما سبق، فإنه أيضًا ينتج عنه بعض المشاكل الصحية، وخاصة في الأيام الأولى منه، منها: الصداع، والشعور بالضعف، والإمساك، والتلبك المعوي، وعسر الهضم، وقلة التركيز.

وهذه الأمراض غالبًا ما تكون طارئة ومؤقتة تزول آثارها بمجرد تناول الصائم لوجبة الإفطار، كما أنها تختفي تدريجيًا بعد اليوم الرابع أو الخامس من بدء الصوم، ويكون الجسم قد اعتاد على التغيرات الفسيولوجية التي تحدث له أثناء الصوم.

ومعظم هذه الأمراض ينتج بسبب تغير الساعة البيولوجية للجسم، حيث يغير الصوم من نمط التغذية لدى الصائم، ويغير من مواعيد تناوله الغذاء ومن كميته، أضف إلى ذلك استهلاك المخزون من العناصر الغذائية من الدهون والسكريات المخزنة في الجسم وتحويلها إلى طاقة، لاستكمال أنشطة الجسم الحيوية.

أو قد تنشأ بسبب الإهمال في تناول وجبتي الفطر والسحور، وعدم الحرص على أن تكون هذه الوجبات متكاملة من الناحية

الغذائية، أو بسبب المجهود البدني والذهني الشديد، أو اعتياد تناول أطعمة ومشروبات بعينها كالقهوة والشاي والتدخين ونحو ذلك.

كيف نتغلب على أمراض الصوم؟

فيما يلي عرض لأهم وأشهر هذه الأمراض مع بيان أسبابها، وسبل الوقاية منها، وطرق علاجها:

١- الصداع:

يعد الصداع من أهم وأشهر الأمراض الطارئة التي تصيب الصائم، وينتج غالبًا إما بسبب أمراض عضوية، كإجهاد العينين، والتهابات الأذنين، وارتفاع ضغط الدم، والأمراض الأنفية، والحمى، و ... وغير ذلك من الأمراض العضوية.

(انظر: موقع المسلم بتاريخ ١٧/١٠/١٤٢٦هـ)

وقد يحدث الصداع نتيجة قلة الغذاء الذي يصل إلى المخ بسبب الصوم، خاصة إذا لم يداوم الصائم على تناول وجبة السحور، وغالبًا ما يزداد الشعور بالألم في ساعات النهار الأخيرة.

وقد ينتج الصداع بسبب إدمان بعض أنواع المنبهات والمكيفات كالقهوة والشاي والتبغ (الدخان)، والامتناع عن تناول هذه الأمور أثناء فترة الصوم يقلل تركيز المواد المنبهة والمكيفة التي تشتمل عليها مثل مادة النيكوتين، والكافيين في الدم.

(انظر: موقع المسلم بتاريخ ١٧/١٠/١٤٢٦هـ)

ويعد السهر الطويل وقلة ساعات النوم أثناء الليل من الأسباب

الرئيسية التي تسبب الصداع، وترهق البدن، وتصيبه بالكسل والخمول.

ولتفادي الإصابة بالصداع أثناء فترة الصوم وما يترتب عليه من آلام ينبغي أن يزيل الصائم الأسباب التي تؤدي إليه، وعليه اتباع التعليمات التالية:

* أن يواظب الصائم على تناول وجبتي الإفطار والسحور، مع ضرورة أن تشتمل كل وجبة منهما على جميع العناصر الغذائية المفيدة.

* أن يقلل الصائم تدريجيًا من كمية المواد المنبهة كالشاي والقهوة قبل بدء الصيام بعد أيام أو أسابيع، وأثناء فترة الصوم.

* أن يعتبر الصائم أن الصوم بالنسبة له فرصة ذهبية للإقلاع عن التدخين كلية، ويبدأ في تركه، ويخلص النية لله عز وجل، مع احتساب الأجر والثواب من الله تعالى.

* أن يعود نفسه على الصبر على ألم الجوع والحرمان، ويعلم أنه يتوجه بعمله هذا لخالقه ومبدعه، الذي أنعم عليه بنعم كثيرة ومتعة بها أزمان طويلة، فعند ذلك يهون عليه ألمه.

* أن ينظم الصائم أوقاته تنظيمًا جيدًا، ويقلل من ساعات سهره حتى يأخذ الجسم كفايته من النوم والراحة، فقد جعل الله تعالى النهار للسعي على الرزق وكسب القوت، وجعل الليل للراحة والسكون.

* أن يتجنب الصائم الكسل والخمول ويؤدي عمله بجد ونشاط، لأن الكسل والخمول يؤديان إلى قلة المجهود البدني للجسم، ويترتب عليهما قلة الغذاء الذي يصل إلى المخ الأمر الذي يصيب الرأس بالصداع.

انظر: مجلة سيدتي عدد شهر رمضان

٢- الإمساك:

يعد الإمساك من الأمراض المشهورة خلال فترة الصوم، والتي تسبب ألمًا شديدًا في البطن، وينتج في الغالب بسبب قلة تناول السوائل بعد الإفطار، أو عدم تناول أطعمة تشتمل على ألياف، وفي بعض الأحيان يكون بسبب الاضطرابات العصبية والقلق النفسي.

ولتفادي الإصابة بالإمساك يجب على الصائم الإكثار من تناول السوائل بشكل عام، كما ينصح بتناول أطعمة تشتمل على ألياف كالخس، والجرجير، والبقوليات وسائر الأطعمة الغنية بالألياف، كما يوصى بالابتعاد عن مصادر القلق والتوتر النفسي.

٣- عسر الهضم والغازات:

كثيرًا ما يتعرض الصائمون لعسر الهضم وحدوث انتفاخات بالبطن وغازات، تنشأ هذه الأعراض في الغالب بسبب نوعية الأطعمة التي يتناولها الصائم في إفطاره وسحوره، ولتجنب الإصابة بهذه الأمراض يجب الابتعاد عن تناول الأطعمة والمشروبات التي تسبب الانتفاخات والغازات، أو التقليل منها، كالبصل، والفجل، والمقليات بشكل عام، والأطعمة الدسمة، والدهون، والمشروبات الغازية.

٤- انخفاض السكر في الدم:

قد يحدث انخفاض في نسبة السكر في الدم لدى الصائم غير المصاب بمرض السكر، وهذا الانخفاض يحدث نتيجة تناول كميات كثيرة من السكريات أو النشويات غير المعقدة عند السحور، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة إفراز هرمون الأنسولين للتعامل مع هذه السكريات ما يؤدي إلى قلة نسبة السكر في الدم.

٥- الإعياء وانخفاض ضغط الدم:

قد يشعر الصائم بالإعياء أو ارتفاع في ضغط الدم، وخاصة في الساعات الأخيرة من النهار، وينشأ هذا غالبًا بسبب المجهود البدني الزائد في أول النهار، أو عدم تناول وجبة السحور، أو قلة نسبة الأملاح في الجسم.

ولتفادي الإصابة بهذه الأعراض يجب المداومة على تناول وجبة السحور، وأن تشتمل وجبتي الإفطار والسحور على بعض الأملاح، مع عدم الإكثار منها، كما ينصح بتناول كميات مناسبة من السوائل، والابتعاد عن الأماكن الحارة أثناء الصيام، والاقتصاد في المجهود البدني في أول النهار.

٦- التهابات وقرحة المعدة:

تؤدي زيادة إفرازات المعدة في شهر رمضان، وتناول أطعمة حريفة تحتوي على الشطة والبهارات أو الفلفل الحار إلى الإصابة بالتهابات في جدار المعدة والمريء، مما يؤدي إلى حدوث القرحة، وحدوث ألم شديد فيهما، وعدم استقرار الطعام في المعدة، ويترتب

على ذلك الكثير من المشكلات الصيحة، والأضرار البدنية.

ولتجنب الإصابة بهذه الأمراض ينصح الابتعاد عن تناول الأطعمة الحريفة، وتقليل كمية المخللات والأملاح، والمشروبات الغازية، كما ينصح بالحركة والنشاط بعد تناول الإفطار، وعدم النوم، كما ينصح بعدم الإفراط في تناول الطعام بعد الإفطار مباشرة حتى تستعيد المعدة نشاطها الطبيعي.

كيف تحافظ على صحتك؟

كيف تحافظ على صحتك في شهر الصوم؟

الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى، وهي هبة من الله تعالى يهبها لمن شاء من عباده، وهي من خير النعم التي أنعم اله بها علينا وأجلها؛ لذا يجب على كل امرئ منا شكرها والمحافظة عليها.

وحتى يحافظ الصائم على صحته وعافيته وينعم بها في شهر الصوم وغيره من الشهور، يجب عليه الالتزام بالمنهج الإسلامي الذي ارتضاه الله تعالى ورسوله ﷺ له، وأن يقتدي بسنة الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله، ففي ذلك النجاة، والخير كله، لذا فعلى الصائم العمل بالأمور التالية:

* تعجيل الفطور، وتأخير السحور، عملاً بقول الرسول ﷺ: «**عجلوا الفطور، وأخروا السحور**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

وقوله ﷺ: «**لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطور وأخروا السحور**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* المداومة على تناول السحور وعدم الإهمال فيه لقوله ﷺ: «**تسحروا فإن في السحور بركة**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* الاقتصاد في تناول الطعام والشراب وعدم الإسراف، عملاً بقول الله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**﴾ [الأعراف: ٣١]، وقول رسوله ﷺ: «**ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه، فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* الإفطار على التمر والماء إن أمكن، ثم القيام لصلاة المغرب، واستكمال تناول الطعام بعد الصلاة.

* إزالة أسباب المرض والبعد عن الأشياء التي تؤدي إليه.

* التداوي وأخذ العلاجات المناسبة، واستشارة أهل الاختصاص من الأطباء، لقول رسول الله ﷺ: «**تداووا عباد الله فإن الله لم يجعل داء إلا جعل له دواء**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* عدم النوم أثناء ساعات النهار، وعدم السهر الكثير ليلاً.

* المحافظة على أداء الفروض والسنن في ميعادها.

* الاهتمام بالنظافة الشخصية، والمداومة على استعمال السواك، لقول الرسول ﷺ: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* البعد عن مصادر القلق والتوتر، والتزام السلوك الإسلامي في الأقوال والأفعال، والمحافظة على الهدوء النفسي والاسترخاء العصبي

بالبعد عن مثيرات الغضب.

* الإكثار من تناول السوائل بشكل عام كالماء والعصائر، والفواكه، والخضروات، والأطعمة المفيدة.

* الابتعاد عن تناول الأطعمة الحريفة، والحارة، والمثلجة، والدسمة، والدهون، والمشروبات الغازية.

* الإقلاع التام عن المنبهات، والمنشطات، والمكيفات، كالتدخين، والقهوة، والشاي.

هذه بعض الأمور التي تسهم بشكل فعال في المحافظة على صحة البدن خلال شهر رمضان وأثناء فترة الصوم.

كيف تحافظ على صحتك قبل وبعد رمضان؟

عندما يصوم المرء رمضان، ويدرك المعنى الحقيقي للصوم، ويجني ثمراته الروحية والنفسية والصحية، يؤلمه كثيرًا انقضاء هذا الشهر الكريم، ويشعر بأنه مر عليه سريعًا، ويتمنى لو أن شهور السنة كلها رمضان، وخاصة من كان يعاني من مشاكل صحية أو نفسية ساعده الصوم في إيجاد حل لها، وحتى يستمر للصوم تأثيره على الفرد بعد انتهاء مدة الصيام حتى يعود من جديد، وخاصة التأثيرات الصحية، يجب على المرء أن ينتبه جيدًا للأمور التالية:

* أن يدرك أن رب رمضان هو رب سائر الشهور، ويستشعر عظمته وقدرته في قلبه، ومن ثم يكون في مراقبة دائمة لله تعالى في سره وعلانيته.

* أن يداوم على أداء السلوكيات والعادات الحميدة التي اكتسبها خلال شهر الصوم، كقيام الليل، وتنظيم الوقت، وحسن الخلق، وعدم الإسراف في الطعام والشراب، وغير ذلك من الأمور.

* أن يستشير طبيبه المعالج قبل بدء الصوم، إذا كان مريضًا بمرض ما، ويخشى على نفسه أن تسوء حالته، أو تتدهور صحته إذا صام.

* أن يحافظ على صيام النافلة الذي سنه الرسول ﷺ، كصيام ست من شوال، وعشر ذي الحجة، وثلاثة أيام من كل شهر، والاثنين والخميس من كل أسبوع، ففي ذلك تعويد له على الصيام، وتفاديًا من الأضرار والأمراض التي قد تحدث بسبب الصوم في شهر الصيام.

أهمية اتباع الهدي النبوي في المحافظة على الصحة

أمر الله عز وجل عباده بطاعته وطاعة رسوله ﷺ واقتداء به، فقال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال أيضًا: ﴿**يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٧١].

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

ويقول الرسول ﷺ: «**إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي**». وقال في حديث آخر: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضا عليها بالنواجذ**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

ومن الأمور المهمة التي تساعد في الحفاظ على صحة البدن وعافيته أثناء فترة الصوم وبعده، الالتزام بالهدي النبوي الشريف، واتباع سنته ﷺ، في الطعام والشراب وسائر الأعمال، فلا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع، عملاً بقوله ﷺ: «**بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

والاهتمام بالنظافة والسواك والمداومة عليهما عملاً بقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾، وقول رسوله ﷺ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

والإفطار على التمر والماء لما فيهما من قيمة غذائية عالية، وسعرات حرارية كبيرة تعوض الجسم بسرعة عما فقده أثناء فترة الصوم، كما يمتازان بسهولة الهضم وسرعة الامتصاص، إقتداء بسنة خير البرية ومعلم البشرية محمد ﷺ القولية والفعلية المتواترة عنه، حيث ثبت أنه كان يفطر على التمر والماء فقال: «**إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإنه بركة، فإن لم يجد فالماء فإنه طهور**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

وتعجيل الفطور وتأخير السحور لقوله ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور**»، والمداومة على تناول وجبة السحور لقوله ﷺ: «**تسحروا فإن في السحور بركة**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

الإفطار على مرحلتين، وذلك بأداء صلاة المغرب بعد تناول التمر والماء، حيث تنشط المعدة وتبدأ في إفراز عصاراها الهاضمة، كما يزول الإحساس بالجوع والعطش، فيستطيع المرء بعد ذلك تناول طعامه ومضغه وهضمه جيدًا والاستمتاع به، ولا تحدث له أضرار ضحية، كتلك التي تحدث لمن يملأ معدته بالطعام والشراب مرة واحدة بعد سماع الأذان مباشرة، فتكون النتيجة حدوث اضطرابات معوية، وعسر في الهضم، وإمساك، وكسل وخمول.

وأداء الصلوات المفروضة في أوقاها مع الجماعة، والمداومة على أداء صلاة التراويح بعد الإفطار من العوامل المهمة التي تنشط البدن وتبعد عنه شبح الخمول والكسل، وتحرك الدورة الدموية، وتساعد على هضم الطعام.

(انظر: موقع صيد الفوائد بتاريخ ١٤٢٦/٩/٢٥هـ)

الطعام الصحي في رمضان

الطعام الصحي في رمضان:

ليس بالضرورة أن تشتمل مائدة الإفطار والسحور على كل ما إلا ثمنه، وطاب طعمه من المأكولات والمشروبات، فليس الإفطار أو السحور محاولة للانتقام من الحرمان من الطعام والشراب أثناء الصيام، وليس الإسراف من مقاصد هذه الشرعية الغراء، ولا تلك الفريضة التي تعلمنا ترشيد الاستهلاك والكف عن البذخ، فقيمة الطعام ليست في غلو سعره وطيب طعمه بقدر ما تكون فيما يشتمل عليه من قيمة غذائية وعناصر مفيدة.

وربة الأسرة الحكيمة هي التي تحسن اختيار طعام أسرتها خلال شهر الصوم، ولا تكلف ميزانية الأسرة ضغطًا كبيرًا، و ترهق كاهل رب الأسرة بكثرة الطلبات، وزيادة النفقات.

فكثير من الأسر تفهم نمط التغذية خلال هذا الشهر الكريم فهمًا خاطئًا، فتكون النتيجة زيادة نفقات الطعام والشراب خلال هذا الشهر بشكل كبير، قد يتجاوز في كثير من الأحيان ما ينفق خلال عدة شهور، وتخرج منه الأبدان الصحيحة وقد أصابها المرض، والأجسام الرشيقة الخفيفة بدينة متثاقلة، ويخرج الصوم عن معناه الحقيقي ولا تتحقق الفائدة المرجوة منه.

والطعام الصحي خلال هذا الشهر الكريم يجب أن تتوفر فيه شروط لا يمكن الاستغناء عنها، وأهم هذه الشروط ما يلي:

* لا يرهق ميزانية الأسرة، أو يؤدي إلى الإسراف حتى لا يخرج الصوم عن معناه وغايته الحقيقية.

* أن يشتمل على العناصر الغذائية الضرورية للجسم، كالفيتامينات بأنواعها، والأملاح المعدنية، والبروتينات.

* أن يكون سهل الهضم سريع الامتصاص، لا يتعب المعدة كثيرًا، ولا يؤثر على نشاطها.

* أن تقل فيه نسبة الدهون، لتجنب ما تسببه من أضرار بالغة على الوظائف الحيوية للجسم.

* ألا يسبب تناوله أضرارًا صحية للجسم، كتلك المأكولات التي تسبب الغازات أو عسر الهضم، أو التهاب وقرحة المعدة، أو تؤدي إلى الإصابة بالسمنة.

تداووا عباد الله

طرق استعمال الأدوية أثناء الصوم:

يقول الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ [المائدة: ٦]، ويقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويقول رسول الله ﷺ: «**تداووا عباد الله فإن الله لم يجعل داء إلا جعل له دواء**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

وعملاً بهذه النصوص الشريفة، يجب علينا الأخذ بأسباب الصحة والعافية، حتى يقوى البدن ولا يكسل عن العبادة، وأداء الطاعات، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ.

والأدوية التي تعالج بها الأمراض خلال شهر الصوم كثيرة ومتنوعة، ولكن هذه الأدوية تنقسم إلى نوعين: نوع يفطر الصائم معه، وهو كل ما دخل الجوف عن طريق الفم أو الأوردة كالمحاليل المغذية، والأقراص المهدئة، ونحو ذلك وكان له صفة التغذية، ونوع آخر لا يفطر الصائم معه، كتلك العلاجات التي لا تصل إلى الجوف مباشرة مثل: المراهم والكريمات، وثمة نوع ثالث مختلف فيه كقطرات العين والأنف والأذن.

وفيما يلي نبذة مختصرة عن استعمال هذه الأدوية أثناء الصيام:

١- قطرات العين:

ذهب الأحناف والشافعية إلى أن قطرة العين لا تفطر، حتى لو وجد الصائم طعمها في حلقه، بينما ذهب المالكية والحنابلة إلى أن المكتحل نهارًا إذا وجد طعم الكحل في حلقه أفطر وفسد صومه.

٢- قطرات الأنف:

قطرات الأنف ليست من باب الطعام والشراب، ولا يقصد منها التغذية ولا التقوية، ومع ذلك ينطبق عليها ما ينطبق على قطرة العين، ويجب على الصائم أن يحتاط ألا يصل منها شيء إلى جوفه.

٣- قطرات الأذن:

إذا كانت طبلة الأذن سليمة، فلا حرج من استعمالها في نهار الصوم، أما إذا كانت الطلبة مثقوبة وأدى استعمال القطرة إلى وصول شيء منها إلى الجوف، فيجب الاحتياط في استعمالها.

٤- بخاخ الربو:

يعد بخاخ الربو من الأمور الضرورية للمصاب بهذا المرض، حيث يحتوي على بعض المواد الكيماوية التي تعمل على توسيع شعيرات الرئة، والقصبة الهوائية، ويستنشق الهواء الصادر منه عن طريق الفم أو الأنف، وقد يصل جزء ضئيل منه إلى الجوف عن طريق البلعوم، وقد أباحه بعض الفقهاء المعاصرين، ولكن مجمع الفقه الإسلامي لم يصل فيه إلى قرار نهائي.

٥- الحقن العضلية:

هي حقن تؤخذ تحت الجلد، كاللقاحات، والمضادات الحيوية،

ومهدئات الألم ونحو ذلك، وقد اتفق الفقهاء على أن هذا النوع من الحقن لا يفسد الصوم لأنه لم يدخل شيء منها إلى الجوف مباشرة، وليس لها صفة التغذية.

٦- الحقن الوريدية:

هناك نوعان من الحقن الوريدية، نوع مغذ كالمحاليل المغذية، ونوع غير مغذ، وإنما يؤخذ للتداوي فقط، فالنوع الأول: اتفق الفقهاء على أنه يفطر، لأنه يقوم مقام الطعام والشراب، وتتحقق فيه صفة التغذية، وإن لم يصل إلى المعدة مباشرة. وأما النوع الثاني: فقد أجازه بعض الفقهاء نظرًا للحاجة إليه في دفع الضرر وحفظ النفس.

٧- الأدهان والمراهم:

يحتاج كثير من الناس إلى استعمال الأدهان والمراهم إما للعلاج، وإما للزينة، وجميعها يمتص عن طريق الجلد، ومن ثم لا يرى الفقهاء حرجًا في استعمالها.

ومن الأمور التي أجاز مجمع الفقه الإسلامي استعمالها، ولا تعتبر من المفطرات، وأصدر قرارات بشأنها في دورته العاشرة المنعقدة بجدة خلال الفترة من ٢٣ – ٢٨ صفر عام ١٤١٨هـ، ما يلي:

* القطرات بأنواعها المختلفة (قطرة العين وقطرة الأنف، وقطرة الأذن، وبخاخ الأنف، وغسول الأذن ما لم يصل منها شيء إلى الجوف، واجتنب بلع ما نفد منها إلى الفم.

* الأقراص العلاجية التي توضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية، إذا اجتنب بلع ما نفد منها إلى الحلق.

* ما يدخل المهبل من تحاميل (لبوس) أو غسول، أو منظار مهبلي، أو إصبع للفحص الطبي.

* ما يدخل الرحم للفحص الطبي أو العلاج، كالمنظار أو اللولب ونحو ذلك.

* ما يدخل الإحليل، أي: مجري البول الظاهر للذكر أو الأنثى من قسطرة، أو منظار، أو مادة ظليلة للأشعة، أو دواء، أو محلول لغسل المثانة.

* حفر السن، وقلع الضرس، وتنظيف الأسنان، واستعمال السواك والفرشاة، إذا اجتنب ابتلاع ما نفد إلى الحلق منها.

* المضمضة والغرغرة، وبخاخ العلاج الموضعي للفم، إذا اجتنب ابتلاع ما نفد إلى الحلق.

* الحقن العلاجية العضلية والوريدية ما عدا الحقن المغذية كالمحاليل التي تقوم مقام الغذاء.

* استنشاق الغازات العلاجية كالأكسجين وغيره.

* غازات التخدير (البنج) ما لم يعط المريض محاليل مغذية.

* ما يمتص عن طريق الجلد كالمراهم والدهانات، والملاصقات العلاجية.

* إدخال القسطرة (أنبوب دقيق) إلى القلب وغيره من

الأعضاء.

* إدخال منظار من خلال جدار البطن لفحص الأحشاء الداخلية أو إجراء عمليات جراحية.

* أخذ عينات من الكبد أو غيرها من الأعضاء ما لم يصحب ذلك تناول محاليل مغذية.

* إدخال منظار إلى المعدة بقصد الفحص الطبي أو العلاج ما لم يصحبه أخذ محاليل مغذية.

* دخول أي أداة أو مواد علاجية إلى الدماغ أو النخاع الشوكي.

* القيء غير العمد.

(انظر موقع صيد الفوائد بتاريخ ١٤٢٦/٩/٢٥هـ)

دليل المريض الطبي والفقهي

ما يباح الفطر معه من الأمراض وما لا يباح:

ذكر الدكتور حسان شمس باشا في كتابه (الدليل الطبي والفقهي للمريض في شهر الصيام) كثيرًا من الأمور المهمة التي تتعلق بالأمراض وكيف يتعامل الصائمون معها، آثرنا نقل بعض المقتطفات منها لأهميتها وعموم النفع بها، نقلاً عن موقع صيد الفوائد بتاريخ ٢٥/٩/١٤٢٦هـ، حيث ذكرها ملخصًا، وسمحنا لأنفسنا بالتصرف في اللفظ في كثير من الأحيان.

يقول الدكتور حسان: «مع إطلالة كل رمضان يتساءل كثير من المرض فيما إذا كانوا يستطيعون الصوم أم لا، وفيما إذا كان صيام رمضان يزيد مرضهم سوءا أو يفاقم من أعراضهم أم لا؟

أسئلة كثيرة تتردد على بال المرضى وأقربائهم، والبعض يقع فريسة الأوهام، أو يفتيه جاهل بالطب، فيصوم أو يفطر دون الرجوع إلى طبيب مسلم متخصص يقوم حالته ويعطيه النصيحة والإرشاد.

وكثير من المرضى يريد الصوم، وهو لا يقوى عليه، أو قد يكون في صيامه عبء كبير على مرضه، أو يسبب تزايدًا في أعراضه وسوءًا في حالته الصحية.

ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى وضع كتاب شامل يبين موقف الطب من الصيام في العديد من الأمراض التي يصاب بها

الإنسان، وينبغي التنويه إلى أن هذه الإرشادات ما هي إلا وصايا عامة قائمة على التجربة، ولا يمكن أن تنطبق بحال من الأحوال على جميع المرضى، فالمسؤول الأول عن تقييم الحالة هو الطبيب المعالج لها، فهو أدرى بحال المريض وأعلم بأمره من غيره».

١- أمراض الجهاز الهضمي:

يعتبر شهر رمضان من الشهور التي يرتاح فيها الجهاز الهضمي بعد طول عناء، ولكن للأسف الشديد يتخم كثير منا نفسه عند الإفطار بشتى أنواع الطعام والشراب، فيحول سعادة المعدة والأمعاء إلى تخمة وعناء، والأمراض التي تصيب الجهاز الهضمي على النحو التالي:

أ- قرحة المعدة والإثنى عشر:

يشكو المصاب بقرحة المعدة الحادة أو قرحة الإثنى عشر بآلام في المعدة عند الجوع، ويزول هذا الألم بتناول الطعام؛ لذا يوصى بالفطر المريض المصاب بالحالات الآتية:

* القرحة الحادة: وذلك حين يشكو المريض من أعراض القرحة، كالألم عند الجوع، أو ألم يوقظه من نومه.

* في حالة حدوث انتكاسة حادة في القرحة المزمنة: وينطبق في تلك الحالة ما ينطبق على القرحة الحادة.

* إذا استمرت أعراض القرحة رغم تناول الطعام والدواء بانتظام.

* عند حدوث مضاعفات القرحة، كالنزيف الهضمي، أو عدم التئام القرحة رغم استمرار العلاج الدوائي.

ب- عسر الهضم:

عسر الهضم من الكلمات الشائعة التي تشتمل على عدد من الأعراض التي تعقب تناول الطعام، وتشمل الألم الطبي وغازات البطن، والتجشؤ، والغثيان، والإحساس بعدم الارتياح في أعلى البطن، وخاصة عقب تناول وجبة كبيرة، أو بعد تناول بسرعة، أو بعد تناول طعام غني بالدسم أو البهارات.

وكثيرًا ما تتحسن أعراض هؤلاء المرضى بصيام شهر رمضان، شريطة ألا تكون لديهم قرحة حادة في المعدة أو الإثنى عشر، أو التهاب في المريء أو بسبب عضوي آخر، وبشرط تجنب الإفراط في تناول الطعام عند الإفطار أو السحور.

ج- فتق المعدة أو الحجاب الحاجز:

يحدث فتق المعدة بشكل خاص عند الأشخاص البدينين، ويكثر عند النساء في أواسط العمر، ومعظم المصابين بفتق المعدة لا يشكون من أية أعراض، ولكن قد يشكو البعض منهم من حرقة وحموضة في المعدة وخاصة عند امتلائها بالطعام أو الانحناء إلى الأمام أو الاستلقاء، حيث يعود جزء من محتويات المعدة إلى المريء.

وينبغي على البدينين أن يسعوا جاهدين لإنقاص وزنهم، فهو خير علاج لحالتهم، وينصح المريض بتناول وجبات صغيرة عند الإفطار والسحور، مع تناول الأدوية بانتظام، وتخفيف الدسم،

والتوقف عند التدخين، وترك فترة أربع ساعات بين وجبة الطعام والنوم.

وفي حالة حدوث مشقة على المريض بالصوم وازدياد الأعراض سوءًا فينصح المريض في هذه الحالة بالإفطار.

د- الإسهال:

ينصح المريض المصاب بالإسهال بالإفطار وعدم الصوم، خاصة إذا كان الإسهال شديدًا، وذلك لأن الجسم يفقد كميات كبيرة من السوائل، و يكون في حالة تمكنه من تعويضه إذا استمر على صومه، الأمر الذي يمكن أن يترتب عليه ضررًا على بعض وظائف الجسم الحيوية وخاصة وظيفة الكلى، فإذا صام المصاب بالإسهال يمكن أن يكون عرضة للإصابة بالجفاف، وهبوط ضغط الدم، والفشل الكلوي.

هـــ- أمراض الكبد:

ينصح الصائمون المصابون بأمراض الكبد المتقدمة كتشمع الكبد وأرام الكبد بالإفطار، كما ينصح بالإفطار أيضًا المصابون بالتهاب الكبد الفيروسي الحاد، أو الاستسقاء في البطن.

و- عمليات قطع المعدة:

هناك بعض المرضى الذين أجريت لهم عملية قطع أو استئصال جزء من المعدة بسبب قرحة المعدة مثلاً، وهؤلاء المرضى يحتاجون إلى تناول وجبات صغيرة من الطعام وبطريقة منتظمة، وقد لا

يستطيعون الصيام.

٢- أمراض القلب في شهر رمضان:

لا شك أن الصيام له فائدة عظيمة لكثير من حالات مرضى القلب، ولكن هناك حالات مرضية معينة قد لا يستطيع المريض معها الصيام، منها:

أ- ارتفاع ضغط الدم:

يفيد الصيام في علاج ارتفاع ضغط الدم، حيث أن إنقاص الوزن الزائد الذي يرافق الصوم يعمل على خفض ضغط الدم بصورة ملحوظة، كما أن الرياضة البدنية من صلاة التراويح وقيام الليل والتهجد كلها تساعد في خفض ضغط الدم المرتفع.

وإذا كان ضغط الدم مسيطرًا عليه بالدواء أمكن للمريض الصيام شريطة أن يتناول أدويته بانتظام، فهناك حاليًا أدوية لعلاج ارتفاع ضغط الدم تعطى مرة واحدة أو مرتان في اليوم الواحد.

ب- فشل القلب (قصور القلب):

فشل القلب نوعان: فشل القلب الأيسر، وفشل القلب الأيمن، ويشكو المريض عادة من ضيق في التنفس عند القيام بالجهد البدني، وقد يحدث ضيق النفس أثناء فترات الراحة، وينصح المصاب بفشل القلب الحاد بعدم الصيام، لأنه يحتاج لتناول مدرات بولية وأدوية أخرى مقوية لعضلة القلب وكثيرًا ما يحتاج إلى علاج في المستشفى.

وإذا تحسنت حالة المريض الصحية واستقرت حالته، وكان

مقدار ما يتناوله من مدرات البول صغيرًا أمكنه الصوم، بعد استشارة الطبيب المسلم المعالج.

ج- الذبحة الصدرية:

تنجم الذبحة الصدرية عادة نتيجة ضيق في الشرايين التاجية المغذية للقلب، وإذا كانت حالة المريض مستقرة بتناول العلاج، ولا يشكو من ألم صدري أمكنه الصوم بعد مراجعة الطبيب للتأكد من إمكانية تغيير مواعيد تعاطيه الدواء.

أما مرضى الذبحة الصدرية غير المستقرة أو الذين يحتاجون لتناول حبوب النتروجلسرين تحت اللسان أثناء النهار فلا ينصحون بالصوم، وينبغي عليهم مراجعة الطبيب لتحديد خطة العلاج.

د- جلطة القلب (احتشاء العضلة القلبية):

تنجم جلطة القلب عن انسداد في أحد شرايين القلب التاجية، وهذا يؤدي إلى موت خلايا المنطقة المصابة من القلب، ولا ينصح مرضى الجلطة الحديثة، وخاصة في الأسابيع الستة الأولى بعد الجلطة بالصيام، أما إذا تماثل المريض للشفاء، وعاد إلى حياته الطبيعية، فيمكنه عندئذ الصوم بشرط أن يتناول الأدوية بانتظام.

هـ- أمراض صمامات القلب:

تنشأ أمراض صمامات القلب عادة بسبب إصابة هذه الصمامات بالحمى الرئوية (الحمى الروماتيزمية) في فترة الطفولة، فيحدث ضيق في الصمام نتيجة حدوث تليف في وريقات الصمام.

وإذا كانت حالة المريض مستقرة، ولا يشكو من أعراض تذكر أمكنه الصوم، أما إذا كانت حالته غير مستقرة ويشكو من ضيق في النفس، ويحتاج إلى تناول المدرات البولية فينصح بعدم الصوم، وهناك مجموعة أخرى من مرضى القلب ينصحون بعدم الصوم منهم:

* المرضى المصابون بفشل القلب (قصور القلب) غير المستقر.

* مرض الذبحة الصدرية غير المستقرة، أو غير المستجيبة للعلاج.

* مرضى الجلطة القلبية الحديثة.

* المرضى المصابون بحالات القصور الشديد في صمامات القلب.

* المرضى المصابون بالحمى الرئوية (الروماتيزمية) النشطة.

* المرضى المصابون بالاضطرابات الخطيرة في نظم القلب.

* المرضى الذين أجريت لهم عمليات جراحية حديث في القلب.

٣- أمراض الكلى في شهر رمضان:

تقوم الكليتان بوظائف عديدة منها تنقية الدم من الفضلات الآزوتية، ومراقبة توازن الماء والشوارد في الدم، والحفاظ على توازن مستوى قلوي حامضي ثابت في الجسم، وإذا كانت الكليتان سليمتين فالصوم لهما راحة وعافية، أما عندما تصبح الكلى مريضة

فلا تستطيع القيام بوظيفتها بالكفاءة المطلوبة في الحفاظ على تركيز البول والتخلص من المواد السامة ونحو ذلك.

ويصبح الصوم عبئًا على المريض المصاب بالفشل الكلوي، وخصوصًا في الأماكن الحارة، مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة البول (حمض البوليك) والكرياتين في الدم، لذا ينبغي على أي مريض بمرض كلوي استشارة طبيبه المعالج قبل بدء الصوم، إذ أن نقص كمية الماء بالجسم أثناء الصوم يمكن أن يؤدي بمريض الكلى إلى الإصابة بالفشل الكلوي. ومن الأمراض الكلوية التي ينصح المصاب بها بعدم الصوم ما يلي:

أ- الحالات الحادة من أمراض الكلى:

قد يحتاج المريض بمرض كلوي حاد إلى دخول المستشفى وتلقى العلاج اللازم، وفي هذه الحالة لا ينصح المريض بالصوم، ومن هذه الحالات: التهاب الحويضة الحاد، والتهاب الكلية الحاد، والتهاب المثانة الحاد، والقولونج الكلوي.

ب- الحصوات الكلوية:

إذا لم يكن لدى المرء حصوات كلوية فلا داعي للقلق من صيام رمضان، أما إذا كان ممن لديهم حصوات كلوية، وحالته تزداد سوءًا بالجفاف ونقص كمية السوائل بالجسم، لذا ينصح هؤلاء الأشخاص بعدم الصوم وخاصة في أيام الحر الشديد، كما ينبغي عليهم مراجعة الطبيب المختص لتقييم حالتهم.

وعمومًا ينصح مرضى الحصوات الكلوية بتناول كميات وفيرة

من السوائل عند الإفطار وبعده عند السحور؛ لتفادي الأضرار الصحية التي تنجم عن نقص كمية السوائل في الجسم.

ج- التهاب الحويصة الكلوية:

قد تؤدي الإصابة بهذه الالتهابات بعد فترة من الزمن إلى حدوث الفشل الكلوي، ولهذا يستحسن عدم الصوم، وينبغي استشارة الطبيب المعالج في ذلك.

د- التهاب الكلى المزمن:

قد تصاب الكلى بخلل في وظائفها، ويؤدي ذلك إلى حدوث التناظر الكلوي، وفيه يصاب المريض بانتفاخ في الساقين، ونقص في ألبومين الدم، وظهور كميات كبيرة من البروتين في البول.

وينصح المصابون بهذه الحالة بعدم الصوم، خاصة إذا كانت الحالة مصحوبة بالتناظر الكلوي، وارتفاع ضغط الدم، والفشل الكلوي.

هـ- الفشل الكلوي المزمن:

تمر بعض أمراض الكلى بمراحل عدة قد تؤدي في النهاية إلى حدوث الفشل الكلوي المزمن، وذلك عندما يخرب قسم كبير من أنسجة الكليتين ويتعطل عن العمل، وعندئذ يشكو المريض من الإعياء، والفواق، وكثرة البول، والتبول الليلي، والعطش.

وفي هذه الحالة يرتفع مستوى البولة الدموية (حمض البوليك)، والكرياتنين، البوتاسيوم في الدم، وينصح المريض في هذه الحالة بعدم

الصوم، أما إذا كان المريض يتلقى الغسيل الكلوي فإنه يستطيع الصوم في اليوم الذي لا يجري فيه الغسيل، ويفطر في اليوم الذي يجري فيه الغسيل، كما ينبغي عليه استشارة الطبيب المختص في ذلك.

٤- مريض السكر في شهر رمضان:

يقسم مرض السكر إلى قسمين: قسم يمكن الصوم معه، وقسم لا يمكن الصوم معه وهما على النحو التالي:

القسم الأول: مريض السكر الذي يستطيع الصوم، ومنه المصابون بالحالات التالية:

أ- مريض السكر الكهلي (سكر النضوج) الذي يعالج بالحمية فقط.

ب- مريض السكر الكهلي الذي يعالج بالحمية الغذائية والأقراص الخافضة لسكر الدم، وهذه الفئة على صورتين:

الصورة الأولى: المريض الذي يتناول حبة واحدة يوميًا: يستطيع الصيام عادة، ولكن عليه ألا يؤخر الفطر فيفطر بعد أذان المغرب مباشرة على تمر وكأس من ماء، ثم يتناول وجبته الرئيسية بعد صلاة المغرب.

الصورة الثانية: المريض الذي يتناول حبتين يوميًا: يستطيع الصوم عادة، على أن يتناول حبة واحدة قبل الإفطار ونصف حبة قبل السحور بدلاً من الحبة الكاملة التي كان يتناولها قبل شهر رمضان، وكذلك الحال مع من يتناول أكثر من حبتين يوميًا فعليه

أن يقلل جرعة ما قبل السحور إلى النصف بعد مراجعة الطبيب المختص.

القسم الثاني: مريض السكر الذي لا يستطيع الصوم، ومنه الحالات المرضية التالية:

* مريض السكر الشبابي (المريض الذي يصاب بالسكر دون الثلاثين من العمر).

* مريض السكر الذي يحقن بكمية كبيرة من الأنسولين (أكثر من ٤٠ وحدة يومًا) أو الذي يتعاطى الأنسولين مرتين يوميًا.

* المريض المصاب بالسكر غير المستقر.

* المريضة الحامل المصابة بالسكر.

* المريض المسن المصاب بالسكر لسنوات طويلة، ويعاني من مضاعفات مرض السكر المتقدمة.

* المريض المصاب بارتفاع في السكر قبل شهر رمضان بأيام.

ومن الأمور المهمة التي يجب أن يتنبه إليها مرضى السكر جيدًا ما يلي:

* يجب على مريض السكر الذي يصاب بنوبات السكر أو ارتفاع شديد في سكر الدم أن يقطع صيامه فورًا، لأنه يحتاج إلى علاج فوري.

* ينبغي تقسيم الوجبات خلال أيام الصوم إلى ثلاثة أجزاء متساوية، الأولى عند الإفطار، والثانية بعد صلاة التراويح، والثالثة

عند السحور.

* يفضل تأخير السحور قدر الإمكان.

* الحذر كل الحذر من الإفراط في تناول الطعام، وخاصة تلك الأنواع التي تشتمل على نسبة عالية من السكريات، أو السوائل المحلاة. وعلى كل حال فإن الصيام أو عدمه هو ما يقرره الطبيب المعالج دون غيره لأنه يكون أدرى بحالة مريضه.

٥- مريض الصدر في شهر رمضان:

تأتي أمراض الصدر في أغلب أحوالها فجأة في شكل التهابات في القصبات الهوائية، أو التهاب في الرئة، وأهم الأمراض التي تصيب الصدر ما يلي:

أ- التهاب القصبات الحاد:

إذا كانت حالة التهاب القصبات الحاد بسيطة، فإن المريض يمكنه الصوم ويتناول علاجاته ما بين الإفطار والسحور، أما إذا كانت تحتاج إلى تناول مضادات حيوية تعطى كل ٦ – ٨ ساعات، أو كانت الحالة شديدة فينصح المريض عندئذ بالإفطار حتى يتم له الشفاء بإذن الله تعالى، ويقضي ما فاته بعد رمضان.

ب- التهاب القصبات المزمن:

وفيه يشكو المريض من سعال مترافق ببلغم يوميًا ولمدة ثلاثة أشهر متتابعة، وتصل في بعض الأحيان إلى سنتين متتابعتين، فإذا كانت حالة المريض مستقرة استطاع الصوم دون مشقة تذكر، أما

إذا كانت حالته من النوع الحاد الذي يحتاج إلى تناول مضادات حيوية، أو موسعات للقصبة الهوائية، أو البخاخات المحتوية على مواد موسعة للقصبات، فالطبيب المختص هو من يقرر إذا كانت حالته تسمح بالصوم أم لا.

ج- الربو القصبي:

قد تكون نوبات الربو خفيفة لا تحتاج إلى تناول أدوية عن طريق الفم، كما يمكن إعطاء المريض الأقراص طويلة التأثير عند الإفطار أو السحور، وكثير من مرضى الربو يحتاج إلى تناول بختين فأكثر من بخاخ الربو عند الإحساس بضيق الصدر، ويعود المريض بعدها إلى حالته الطبيعية، وممارساته اليومية بشكل طبيعي، ولكن يجب عليه عند حدوث الأزمة مرة أخرى أن يتناول البخاخ فورًا، وقد أفتى بعض المحدثين بأن تناول البخاخ لا يفطر، إلا أن مجمع الفقه الإسلامي لم يصدر بشأنه قرارًا.

وفي الحالات الحرجة التي تستلزم دخول المريض إلى المستشفى لتلقي العلاجات اللازمة يجب أن يقطع المريض الصوم، لأن الصوم يقلل من سيولة الإفرازات الصدرية بشكل واضح نتيجة نقص الماء في الجسم، مما يصعب إخراج هذه الإفرازات من الجسم.

د- السل (التدرن الرئوي):

يستطيع المريض المصاب بالسل الصيام إذا كانت حالته العامة جيدة، و لم يحدث له مضاعفات بشرط أن يتناول دواءه بانتظام، وتعطى المريض أدوية السل عادة مرة واحدة أو مرتين في اليوم، أما

إذا كانت الحالة من النوع الحاد فيستحسن عدم الصوم حتى تستقر حالة المريض.

٦- أمراض الغدد في رمضان:

الغدد الصماء هي مجموعة من الغدد التي تنتشر في جميع أجزاء الجسم وتقوم بإفراز الهرمونات المختلفة التي تنظم العمليات الحيوية داخل الجسم، وأشهر هذه الغدد: الغدة النخامية، والغدة الدرقية، والغدة الكظرية، والغدد جار الدرقية، وغدد المبيضان، وغدد الخصيتان، وغدة البنكرياس، وهذه الغدد على جميع أنواعها يمكن أن يصيبها المرض مما يؤدي إلى القصور في أداء وظائفها الحيوية.

- أمراض الغدة الدرقية:

أ- فرط نشاط الغدة الدرقية: وتنجم عن إفراز كميات زائدة من هرمون الثيروكسين، ويشكو المريض عادة من تضخم في الغدة الدرقية في أسفل الرقبة، ونقص في الوزن، ورجفة، وخفقان، وإذا كانت حالة المريض مستقرة أمكنه الصوم على أن يتناول الأدوية الخاصة به بانتظام.

ب- قصور الغدة الدرقية: وينتج هذا المرض بسبب قلة إفرازات الغدة الدرقية، ونقص النشاط الفكري والعصبي، ويعطى المريض هرمون الثيروكسين مرة واحدة للعلاج يوميًا، وبالتالي يمكن للمريض في هذه الحالة الصوم دون أن تتأثر حالته.

ج- أورام الغدة الدرقية: لا يؤثر الصوم على حالة المصاب بأورام في الغدة الدرقية، التي غالبًا ما يكون علاجها بالتدخل

الجراحي.

د- التهابات الغدة الدرقية الحادة: وتسبب الإصابة بها ألمًا شديدًا، وربما تحدث حمى، الأمر الذي يجعل المريض غير قادر على الصوم شأنه في ذلك شأن الأمراض الحادة، وأما الالتهابات المزمنة فلا تتعارض مع الصوم في أغلب الأحوال.

- أمراض الغدة الكظرية:

الكظران غدتان تقعان فوق الكليتين، وتفرزان عدة هرمونات منها الكورتيزول، والألدوسترون، والهرمونات التناسلية، وأمراضها غير شائعة غالبًا ومن أهمها:

أ- مرض كوشينغ: وفيه يحدث وهن بالجسم، وارتفاع في ضغط الدم، وبدانة مركزية تتجنب الأطراف وتدور في الوجه كما هو الحال مع مرض السكر، ولا ينصح المريض بالصوم في هذه الحالة.

ب- مرض أديسون: ويحدث فيه قصور في إفراز الكورتيزول نتيجة تلف في الغدة الكظرية، ويحدث انخفاض في ضغط الدم، ووهن شديد، وتغير في لون البشرة وتصبح مائلة للسواد ...، وينبغي للمريض في هذه الحالة عدم الصوم، خصوصًا أنه قد يحدث له انخفاض في سكر الدم.

ج- الورم القتامي: وهو مرض نادر الحدوث، ولكنه يسبب ارتفاعًا متأرجحًا في ضغط الدم، ونوبات تعرق، وخفقان ووهن عام، ولا ينصح المريض بالصوم في هذه الحالة، كما ينصح بضرورة

التدخل الجراحي لاستئصال الورم.

- أمراض الغدة النخامية:

أمراض الغدة النخامية من الأمراض نادرة الحدوث أيضًا، ومن أهمها: تضخم نهايات الغدة النخامية، وقصور الغدة النخامية، وينصح المريض بهذه الحالات بعدم الصوم.

٧- الأمراض العصبية والنفسية في رمضان:

أ- مرض الصرع:

يمكن لمرض الصرع الصوم بشرط أن يتناول الأدوية المضادة للاختلاج بانتظام، والطبيب المسلم هو الذي يحدد حالة مريض الصرع ويبين له قدرته على الصوم من عدمها، حيث قد يؤدي عدم تناول المريض لأدويته بانتظام إلى حدوث آثارًا سلبية وزيادة عدد نوبات الصرع.

ونظرًا لاختلاف أنواع الصرع وأعراضه، فلكل مريض حالته التي يكون لها نوع خاص من المعاملة على النحو التالي:

- إذا كان المريض يتعاطى العلاج مرة واحدة في اليوم فإنه يمكنه الصوم على أن يأخذ علاجه في فترة الليل أو بعد الإفطار.

- إذا كان المريض يحتاج إلى تناول الغذاء كل ١٢ ساعة فإنه أيضًا يمكنه الصوم على أن يتناول العلاج بعد الإفطار وقبل السحور.

- إذا كانت حالة المريض تستلزم تناوله العلاج ثلاث مرات

فأكثر في اليوم الواحد وأثناء النهار فإنه ينصح بالفطر حتى لا تسوء حالته، إلا إذا توافرت له علاجات بطيئة الامتصاص طويلة المفعول.

(برنامج مستشفى قوى الأمن)

ب- مرض الشلل الرعاش:

ما قلناه في الصرع ينطبق تمامًا في حالة الإصابة بالشلل الرعاش.

(برنامج مستشفى قوى الأمن)

ج- مرض الاكتئاب:

يستطيع مريض الاكتئاب الصيام بشرط أن يتناول الأدوية المضادة للاكتئاب بانتظام، كما أن الحالة النفسية والروحية للصائم تساعده كثيرًا في العلاج من هذه الحالة.

د- مرض الفصام:

لا ينصح مريض الفصام بالصوم، لأن التوقف عن استعمال أدوية الفصام قد يؤدي إلى حدوث نوبات من العنف والضلالات الخاطئة والهلاوس، أو يتطور الأمر بالاعتداء على الآخرين.

٨- المرأة الحامل في رمضان:

أوضحت الدراسات العلمية الحديثة أن الصيام يؤدي إلى حدوث تغيرات فسيولوجية وكيميائية عند المرأة الحامل والمرضع، ولكن هذه التغيرات لا تؤثر بشكل مباشر على صحة المرأة أو على الجنين، خاصة إذا كانت المرأة قوية البدن، لا تشكو من أية أمراض.

ومع ذلك لا يمكن تعميم هذا القول على كل الحالات، فإذا شعرت الحامل أو المرضع بصداع شديد، أو زغللة في العينين، أو هبوط وإجهاد عام، أو عدم القدرة على القيام بأي نشاط فإن ذلك يعني حدوث انخفاض واضح في سكر الدم، أو أن هناك أمرًا غير طبيعي، وفي هذه الحالة يجب استشارة الطبيب.

وهناك مجموعة من الحالات المرضية التي تبيح للمرأة الحامل الفطر في رمضان وهي:

* انخفاض ضغط الدم الانقباضي، حيث قد يتسبب ذلك في حدوث الإغماء، وعدم القدرة على التركيز.

* القيء المصاحب للحمل، وخاصة خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل.

* التسمم الحملي، حيث يحدث ارتفاع في ضغط الدم، ويظهر الزلال في البول، وتحدث وزمة في الأطراف.

* حدوث انخفاض في سكر الدم.

* وجود مرض عضوي، يحتاج إلى تناول علاجات تفطر، وينصح الطبيب المعالج له بعدم الصوم.

وعلى كل حال فإن الفحص الطبي الدقيق هو الذي يقرر حالة المرأة الحامل وحالة الجنين، ويقرر إذا ما كانت المرأة تستطيع الصوم دون ضرر على صحتها أو صحة الجنين أم لا.

٩- المرأة المرضع في رمضان:

يمكن للمرأة المرضع صيام رمضان، شريطة أن يكون هناك تعويض كمي ونوعي في الطعام والشراب بعد الإفطار لتعويض النقص أثناء فترة الصوم، وألا يكون هناك تأثير مباشر على صحتها وصحة الطفل الرضيع، أما إذا كان هناك ضرر متيقن الحدوث كأن يؤدي الصوم إلى حدوث أعراض مرضية تؤثر على صحة الأم، أو تقل كميات اللبن التي يتغذى عليها الرضيع فيباح لها الفطر.

(انظر موقع صيد الفوائد بتاريخ ١٤٢٦/٩/٢٥هـ)

نصائح عامة للحفاظ على الصحة

نصائح عامة للحفاظ على الصحة:

تأمل أيها القارئ متعك الله بالصحة والعافية هذه النصائح واجعلها دائمًا نصب عينيك، واجتهد في العمل بها:

* قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٤].

* قال الله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**﴾ [الأعراف: ٣١].

* قال الله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

* قال الله تعالى: ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ**﴾.

قال رسول الله ﷺ: «**ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه، فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* قال رسول الله ﷺ: «**إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة، فإن لم يجد فالماء فإنه طهور**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* قال رسول الله ﷺ: «**تسحروا فإن في السحور بركة**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* قال رسول الله ﷺ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* قال رسول الله ﷺ: «**تداووا عباد الله فإن الله لم يجعل داء إلا جعل له دواء**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه**»، وفي رواية «**فرائضه**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* قال رسول الله ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* قال رسول الله ﷺ: «**لا تغضب**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* قال رسوله الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به**

فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

قال رسول الله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* قال رسول الله ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس مني**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

* قال رسول الله ﷺ: «**إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي**».

(موسوعة الحديث النبوي الشريف)

الخاتمة

رأينا فيما سبق أن الصوم وقاية للإنسان من كثير من الأمراض، ووجدنا أن له العديد من التأثيرات المهمة على صحة الإنسان تشمل جميع أجهزة جسمه، كما رأينا أن الإسلام دين يسر وسماحة أباح الفطر لمن لا يطيق الصوم وأمر بالتداوي وأخذ العلاج المناسب لما يصيبه من أمراض.

كذلك وجدنا أن الصوم ربما يحدث بعض الأعراض المرضية الطارئة التي سريعًا ما تزول أعراضها، والتي ينتج أكثرها بسبب تغير نمط الغذاء وأوقاته عند الصائم، ومع ذلك عرضنا بعض هذه الأمراض وعرضنا بعض طرق العلاج لهذه الأمراض وكيفية التغلب عليها بإذن الله تعالى.

كذلك عرضنا كثيرًا من الأمراض التي قد تصيب الإنسان في شهر الصوم، أو قبله، ورأينا كيفية التداوي أثناء الصيام والأمراض التي يمكن للمريض الصوم معها والأمراض التي لا ينصح الصوم معها من خلال عرض لدليل طبي وفقهي اقتبسنا أغلب مادته من أحد أساتذة الطب الحديث المسلمين هو الدكتور حسان شمس باشا.

وفي نهاية الكتاب قدمنا نصائح صحية مهمة للصائمين لا ينبغي إغفالها بحال من الأحوال لمن أراد أن يحيا حياة صحية سليمة، وهي عبارة عن تذكير ببعض القواعد الإسلامية الضرورية لحياة المسلم حياة صحية مباركة مأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة.

وفي نهاية القول لا يسعنا إلا القول أن هذا العمل المتواضع ما هو إلا محاولة يسيرة وجهد قليل في مجال إحياء السنة النبوية المباركة على صاحبها أفضل صلاة وسلام، وبيان أن التشريع الإسلامي قد كفل لأتباعه الخير والنجاة في الدنيا والآخرة وحفظ لهم صحتهم وعافيتهم بما شرعه من أصول وسنه من القواعد التي جاء العلم الحديث بما يؤكد صدقها جميعًا.

والله وحده نسأل أن يكون فيما كتبنا فائدة لإخواننا المسلمين في كل مكان ومحفزًا لهم على المسارعة في إعادة النظر في مواقفهم الحياتية والتمسك بشريعة الإسلام وهدي خير الأنام محمد عليه أفضل صلاة وسلام.

كما نسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصًا لوجه الكريم وأن يعفو عما فيه من خطأ أو زلل إنه غفور رحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأكرم وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

الناشر

مراجع الكتاب

- القرآن الكريم.
- موسوعة الحديث النبوي الشريف.
- برنامج مستشفى قوى الأمن.
- مجلة التغذية والصحة العدد ٤٦ رمضان ١٤٢٦هـ.
- موقع المسلم الإلكتروني بتاريخ ١٧/١٠/١٤٢٦هـ.
- موقع إسلام أون لاين بتاريخ ١/٧/٢٠٠٤م.
- موقع الوسط الإلكتروني بتاريخ ٨/٩/١٤٢٦هـ.
- موقع لك الإلكتروني بتاريخ ١٤/١٢/١٤٢١هـ.
- موقع اليوم الإلكتروني ٣٢/٩/١٤٢٥هـ.
- موقع جريدة الرياض اليومية بتاريخ ١٨/٩/١٤٢٦هـ.
- موقع الشفا أون لاين الإلكتروني بتاريخ ١٨/٩/١٤٢٦هـ.
- موقع جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩/٩/١٤٢٦هـ.
- موقع منتديات حروف متناثرة بتاريخ ٥/١٠/١٤٢٦هـ
- موقع ملتقيات الدانة للحوار بتاريخ ١٦/١٠/١٤٢٦هـ.
- موقع النبراس الإلكتروني بتاريخ ٢٢/٧/١٤٢٦هـ.
- موقع منتديات النبراس بتاريخ ٢٢/٧/١٤٢٦هـ.

- موقع صيد الفوائد بتاريخ ١٤٢٦/٩/٢٥هـ.

- موقع الساحة الطبية بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٢٣م.

- موقع المسلمة الإلكتروني بتاريخ ١٤٢١/١٢/١٨هـ.

- موقع هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بتاريخ ١٤٢٦/١٢/١٨هـ.

- موقع مفكرة الإسلام بتاريخ ١٢٦/٩/١٥هـ.

- موقع نداء الإيمان بتاريخ ١٤٢٦/٣/١٩هـ.

- موقع الجزيرة الإلكتروني بتاريخ ١٤٢٦/٩/٩هـ.

- مجلة سيدتي القاهرية من ص: (١٢٦-١٢٩) عدد شهر رمضان ١٤٢٦هـ.

- مجلة المملكة عدد (خريف عام ٢٠٠٥م).

الفهرس

رمضان
حكم وفوائد
سنن وآداب

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن للصيام حكمًا جليلة، وفوائد عظيمة، وسننًا وآدابًا كثيرة، إذا عرفها المسلم وتأدب بها، فاز بإكمال هذا الركن العظيم من أركان الإسلام، وحصل له فوائد الصيام وفضائله التي وردت في الكتاب والسنة، وسوف نذكر في هذه الورقات ما تيسر من حكم وفوائد وآداب وسنن الصيام، وذلك على سبيل الإجمال.

أولاً: حكم وفوائد الصيام:

١- **الصوم عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه** بترك محبوباته المجبول على محبتها من طعام وشراب ونكاح؛ لينال بذلك رضا ربه والفوز بدار كرامته، فيتبين بذلك إيثاره لمحبوبات ربه على محبوبات نفسه، وللدار الآخرة على الدنيا. [فصول في الصيام والتراويح والزكاة لابن عثيمين].

٢- **وفي الصيام ممارسة ضبط النفس**، والسيطرة عليها، والتحكم فيها، والأخذ بزمامها إلى ما فيه خيرها وسعادتها وفلاحها في العاجل والآجل، حتى يصبر المرء نفسه على فعل الطاعات وترك الشهوات. [تذكرة الصوام للقصير].

٣- **ومن حكم الصيام:** أنه سبب للتقوى، إذا قام الصائم بواجب صيامه. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ**

الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فالصائم مأمور بتقوى الله – عز وجل – وهي امتثال أمره، واجتناب نهيه، وذلك هو المقصود الأعظم بالصيام، وليس المقصود تعذيب الصائم بترك الأكل والشراب والنكاح، قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

٤- **من حكم الصيام:** أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بالغنى، حيث إن الله تعالى قد يسر له الحصول على ما يشتهي من طعام وشراب ونكاح، مما أباح الله شرعًا، ويسره له قدرًا، فيشكر ربه على هذه النعمة، ويذكر أخاه الفقير الذي لا يتيسر له الحصول على ذلك، فيجود عليه بالصدقة والإحسان.

٥- **ومن حكم الصيام:** ما يحصل من الفوائد الصحية الناتجة عن تقليل الطعام وإراحة الجهاز الهضمي فترة معينة، وترسب بعض الفضلات والرطوبات الضارة بالجسم وغير ذلك. [فصول في الصيام والتراويح والزكاة لابن عثيمين].

٦- **ومن فوائد الصيام:** أنه يعود الإنسان الصبر والتحمل والجلد، لأنه يحمله على ترك مألوفاته، ومفارقة شهواته عن طواعية واختيار، وهو ما يعطي قوة للعاصي الذي ألف المعاصي على تركها والابتعاد عنها.

٧- **ومن فوائد الصيام:** أنه يسهل على الصائم فعل الطاعات،

وذلك ظاهرة من تسابق الصائمين في فعل الطاعات التي ربما كانوا يتكاسلون عنها، وتثقل عليهم في غير وقت الصيام.

٨- **ومن فوائد الصيام:** أنه يرقق القلب ويلينه لذكر الله عز وجل، ويقطع عنه الشواغل.

٩- **ومن فوائد الصيام:** أنه ربما يحدث في قلب العبد محبة للطاعات، وبغضًا للمعاصي بصفة مستمرة، فيكون منطلقًا إلي تصحيح مفاهيم الإنسان وسلوكه في الحياة. [إتحاف أهل الإيمان للفوزان].

١٠- **ومن فوائد الصيام:** أنه منهج رائع للتغيير، وطريق واضح للجندية، وهو يقوي الإرادة، وينشئ الأخلاق الرفيعة، ويحقق الاطمئنان النفسي، وهو مظهر عظيم من مظاهر وحدة الأمة الإسلامية. [الصيام أحكام وآداب للطيار].

١١- **ومن فوائد الصيام:** أنه يخفف حدة الشهوة. وقد جعل النبي ﷺ الصوم للشباب وجاء، أي مخففًا من حدة الشهوة، كما في قوله ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**» [متفق عليه]. [الصيام آداب وأحكام لابن جبرين].

١٢- **ومن فوائد الصيام:** اعتياد النظام ودقة المواعيد، مما يعالج فوضى الكثيرين لو عقلوا. [٧٠ مسألة في الصيام للمنجد].

ثانيًا: آداب [١] ومسنونات الصيام:

١- **المبادرة بالفطر عند تحقق الغروب:** لحديث سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**» [متفق عليه].

وعن مالك بن عامر قال : «دخلت أنا ومسروق على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقلت: يا أم المؤمنين! رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ أحدهما يعجل الإفطار، ويعجل الصلاة، والآخر يؤخر الإفطار، ويؤخر الصلاة. قالت: أيهما الذي يعجل الإفطار ويعجل الصلاة؟ قال: قلنا: عبد الله بن مسعود. قالت كذا كان يصنع رسول الله ﷺ» [رواه مسلم].

٢- **الفطر على رطب أو تمر أو ماء:** فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يفطر قبل أن يصلى على رطبات، فإن لمن تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء» [رواه الترمذي وصححه الألباني].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وكان يحض على الفطر بالتمر، فإن لم يجد فعلى الماء، هذا من كمال شفقته على أمته ونصحهم، فإن إعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خلو المعدة أدعى إلى قبوله، وانتفاع القوى به، ولا سيما القوة الباصرة، فإنها تقوى به. وأما الماء فإن الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس، فإذا رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده، ولهذا كان الأولى بالظمآن الجائع أن يبدأ قبل

(١) من الآداب ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، فتنبه لذلك.

الأكل بشرب قليل من الماء ثم يأكل بعده». [زاد المعاد].

٣- **الدعاء عند الإفطار**: اعلم أخي الصائم أن لك دعوة مستجابة عند فطرك، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ «**إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد**» [رواه ابن ماجه والحاكم وصححه البوصيري].

فلتكن لك – أخي – دعوة صادقة عند فطرك في كل يوم من رمضان. واحرص على دعاء الإفطار الوارد عن رسول الله ﷺ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا أفطر قال: «**ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله**» [رواه أبو داود وحسنه الدارقطني].

٤- **تأخير السحور والحرص عليه**: فعن أبي هريرة وابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**تسحروا فإن في السحور بركة**» [متفق عليه].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر**» [رواه مسلم].

وروى أنس رضي الله عنه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: «تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى الصلاة. قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية» [متفق عليه].

فاحرص يا أخي على أكلة السحور، ففيها مخالفة لأهل الكتاب، وفيها بركة وموافقة لسنة النبي ﷺ، قال ﷺ: «**السحور**

أكلة بركة، فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله عز وجل وملائكته يصلون على المتسحرين» [رواه أحمد].

٥- **كف اللسان والجوارح عن المحارم:** ومن آداب الصيام: الاعتناء بكف اللسان عما لا خير فيه من الكلام، كالكذب والنميمة والغيبة والمشاتمة، وكل كلام قبيح، وكذا كف نفسه وبدنه عن سائر الشهوات والمحرمات، وهذا هو سر الصوم ومقصوده الأعظم، الذي به تحصل التقوى، ويقوى على التحفظ من الشيطان وأعوانه بإحكام أساس التقوى. قال ﷺ: «**الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم**» [متفق عليه].

وقال ﷺ «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

قال المتولي: يجب على الصائم أن يصوم بعينه، فلا ينظر إلى ما لا يحل، وبسمعه، فلا يسمع ما لا يحل، وبلسانه فلا ينطق بفحش ولا شتم، ولا يغتاب، وهذه الأشياء وإن حرمت مطلقًا، ففي رمضان أشد تحريمًا.

٦- **تفطير الصائمين:** إن الإسلام دين البر والإحسان والمواساة، ولهذا فقد حث النبي ﷺ على تفطير الصائمين، فقال عليه الصلاة والسلام: «**من فطر صائمًا فله مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**» [رواه أحمد والترمذي وصححه].

وقال بعض السلف: لأن أدعو عشرة من أصحابي فأطعمهم

طعامًا يشتهونه أحب إلى من أن أعتق عشرة من ولد إسماعيل.

وكان كثير من السلف يؤثر غيره بفطوره، وربما بات طاويًا.

وكان ابن عمر لا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين.

٧- **كثرة الصدقة والجود:** فقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة فيدارسه القرآن، «فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة» [متفق عليه].

وأخرجه أحمد بزيادة في آخره: «لا يسأل عن شيء إلا أعطاه».

* **ولم يكن جوده ﷺ خاصًا بنوع من أنواع الجود،** بل لم يزل منذ نشأ مجبولاً على بذل أنواع الجود من العلم والمال وغيرهما، حتى بذل نفسه لله في إظهار دينه وهداية عباده، وإيصال ما أمكنه من غايات النفع إليهم؛ من وعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل كلهم وأثقالهم.

قال الشافعي رحمه الله: أحب للرجل الزيادة بالجود في رمضان اقتداء برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثيرين منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم.

* **وفي مضاعفة جودة ﷺ في رمضان فوائد منها:**

أ- شرف الزمان ومضاعفة أجر الأعمال الصالحة في رمضان.

ب- إعانة الصائمين والقائمين والمتعبدين على طاعتهم،

فيكتب له مثل أجورهم.

حـ- أن رمضان شهر يجود الله تعالى فيه على عباده بالرحمة والمغفرة، والعتق من النار، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، فمن جاد على عباد الله فيه جاد الله عليه بالعطاء الجزيل.

د- أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة.

هـ- والجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها.

و- والصيام لا يسلم غالبًا من اقتران خلل أو نقص به، والصدقة تجبر نقصه وخلله.

ز- والصائم يدع شهوته وطعامه وشرابه لله تعالى، فإذا أعان مع ذلك الصائمين وأمدهم بما يتقوون به على العبادة، كان بمنزلة من ترك شهوته لله وآثر بها، وهذا شأن المتقين وبعاد الله الصالحين. ومن ثم قال بعض السلف: إنما شرع الصيام ليذوق الغني طعم الجوع، فلا ينسى الجائع.

٨- **كثرة تلاوة القرآن:** يسن الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان؛ لأنه شهر القرآن كما قال سبحانه: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾** [البقرة: ١٨٥].

* وكان جبريل عليه السلام يدارس النبي ﷺ القرآن كل يوم في رمضان.

* وكان السلف يقدمون تلاوة القرآن في رمضان على كل عبادة.

* وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يختم القرآن في كل يوم في رمضان.

* وكان بعض السلف يختم كل ثلاث، وبعضهم كل سبع، وبعضهم كل عشر.

* وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام.

٩- **قيام الليل**: يسن قيام الليل جماعة في رمضان، وهي صلاة التراويح، ووقتها من بعد العشاء إلى طلوع الفجر، وقد رغب النبي ﷺ في قيام رمضان حيث قال: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

فينبغي على الناس أن يحرصوا على إقامة صلاة التراويح ولا يضيعوها بالذهاب من مسجد إلى مسجد، فإن من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة، وإن نام بعد ذلك على فراشه.

ولا بأس بحضور النساء صلاة التراويح إذا أمنت الفتنة، بشرط أن يخرجن محتشمات غير متبرجات بزينة ولا متطيبات.

١٠- **الاعتكاف**: فقد كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يومًا. ويحتسب اشتغال المعتكف بذكر الله من صلاة وقراءة قرآن وذكر، واجتناب ما لا يعنيه، وله أن يتحدث مع من يأتيه ما لم يكثر؛ لأن

المراد من الاعتكاف هو التفرغ لطاعة الله والبعد عن شؤون الدنيا من بيع وشراء وتجارة وغيرها.

١١- **تحري ليلة القدر**: فقد حث النبي ﷺ على تحري ليلة القدر فقال ﷺ: «**تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**» [متفق عليه].

وكان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان تحريا لليلة القدر، ورغب ﷺ في قيامها فقال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه]. وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء والاستغفار والتوبة إلى تعالى، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» [رواه الترمذي وقال حسن صحيح].

١٢- **العمرة في رمضان**: ومما يتأكد استحبابه في رمضان العمرة فيه لقول النبي ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة – أو قال–: حجة معي**» [رواه البخاري].

* **أخي الحبيب**: كان السلف يجتهدون في إتمام العمل وتكميله وإتقانه، ثم يهتمون بقوله من رده، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا**﴾، أي من الأعمال الصالحة ﴿**وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وكذلك قال على رضي الله عنه: كونوا لقبول العمل أشد

اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧].

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا أعمالنا الصالحة، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

رمضان شهر الانتصارات

إعداد

عبد الكريم بن عبد المجيد الدرويش

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار طيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد: فمن خصائص شهر رمضان التي لا تعد أنه شهر الانتصارات [١] بشكليها المادي والمعنوي؛ ففيه الانتصار على

---

(١) وممن نقلت عنهم في هذا الموضوع د/ محمد خليل هراس، الهدي النبوي، العدد ٩، المجلد ٢٩، رمضان ١٣٨٤هـ، خصائص رمضان، الصفحات ١٨-٢٠.

- الشيخ/ صفوت الشوادفي، مجلة التوحيد، السنة ٢٧، العدد ٩، رمضان ١٤١٩هـ، =

الأعداء من الكفرة والمشركين، وفيه انتصار الروح على الجسد، والعقل على الهوى، والإرادة الحرة على شهوات النفس ونزغات الشيطان.

والحديث عن الانتصارات التي حدثت في هذا الشهر الكريم لا يتسع المقام لتفصيله؛ لأن أي حدث منها يحتاج إلى مجلدات من السرد والبحث واستجلاء الدروس والعبر، وما سأعرض له الآن — بإذن الله — سيكون حديثًا موجزًا جدًا عن بعض هذه الأحداث.

وأرجو منك — أيها القارئ الكريم — أن ترجع إلى كتب السير لتقرأ وتقف على ما كان عليه سلفك الصالح في رمضان، وما كافأهم الله به من انتصارات، في ذات الشهر.

ولا شك أنك إن فعلت سيتحقق لك — بإذن الله — انتفاع عظيم يكفيك أن تكون موصول الصلة، ولو لوقت يسير بأولئك الرجال الذين صدقوا الله فصدقهم!

وعليك — أخي القارئ — أن تقارن ما تقرأه عن ماضيك على حاضرك، فسيتضح لك أين الخلل!

إن أكثر المعارك الفاصلة في حياة الدعوة الإسلامية إنما وقعت في هذا الشهر:

في السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة كانت غزوة بدر الكبرى التي سماها الله فرقانًا، وجعلها آية على

= شهر رمضان أحداث وتاريخ، الصفحات ٨-١٠ — بتصرف.

تأييده لنبيه وللمؤمنين، وذلك عندما أخذ المؤمنون بأسباب النصر: من صدق الإيمان، وحسن التوكل على الله، واليقين في وعده والإخلاص، وسلامة القلب، وإعداد العدة والصبر عند اللقاء، فكان لهم التأييد من الله – عز وجل.

وقد نزلت فيها الملائكة من السماء تثبيتًا لقلوب المؤمنين وتبشيرهم بالنصر، ومن ذا الذي يقوى على مواجهة الملائكة!!

وقيل: أنها قاتلت معهم بناء على قول الله – تعالى – مخاطبًا الملائكة، والمؤمنين: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ [الأنفال: ١٢].

ثم إن نزول الملائكة للقتال مع المسلمين إنما هو مجرد تطمين لقلوبهم واستجابة حية لشدة استغاثتهم اقتضاها أنهم يخوضون أول تجربة قتال في سبيل الله لأناس يبلغون ثلاثة أضعافهم في العدة والعدد.

وإلا فإن النصر من عند الله وحده، وليس للملائكة أي تأثير ذاتي في ذلك.

ومن أجل بيان هذه الحقيقة قال الله تعالى معللاً نزول الملائكة: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: ١٠][1].

(١) الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، ص١٧٤، الطبعة الرابعة، دار السلام للطباعة، القاهرة.

وأيًا ما كان فقد كانت غزوة بدر أول غزوة، وأعظم غـــزوة، علت فيها كلمة الإسلام، وتجلت أنواره، ولهذا غفر الله لكل مـــن شهدها من الصحابة، وقال لهم في الحديث الصحيح: «**اعملوا مـــا شئتم فقد غفرت لكم**»[(١)].

ولما أراد عمر رضي الله عنه أن يقتل حاطب بن أبي بلتعة حين كتب كتابًا إلى قريش يخبرهم فيه أن رسول الله ﷺ قال له: «**أنـــه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[(٢)].

بعض الدروس من غزوة بدر [(٣)]:

أن المسلمين في بدر كانوا قليلي العدد ناقصي العتاد، وكـــان أعداؤهم كثيري العدد والعدة، ولكنهم حاربوا طاعة لنبـــيهم ﷺ، واستماتوا في الدفاع عن عقيدتهم، وقد وصفهم الله في القرآن بأنهم كانوا (أذلةً) والإنسان لا يشعر بالذل إلا في حالة العجز الذاتي؛ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّـــهَ لَعَلَّكُـــمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [آل عمران: ١٢٣].

أن المسلمين لم يكونوا يتوقعون النصر يوم بدر إلا إذا جاءهم من طريق الإعجاز، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**إِذْ تَسْـــتَغِيثُونَ**

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٨٩٠).
(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٨٩٠).
(٣) فضيلة الأستاذ/ عفيف عبد الفتاح طبارة، مع الأنبياء في القرآن، ص٤٤٧ — ٤٥٠، بتصرف، دار العلم للملايين، بيروت.

رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

ومنها: أنهم انتصروا على أعدائهم نصرًا كبيرًا وهم يعتقدون أنه عطاء من الله لم ينالوه بقوتهم فقط؛ لقوله تعالى: **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [الأنفال: ١٧].

وإذا كان الأمر كذلك فالنصر لا يكون إلا من الله؛ كما قال سبحانه: **﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: ١٠].

ولا يؤتي الله النصر إلا لمن أخلص له وحده.

أن المسلمين لما خرجوا للاستيلاء على قافلة قريش يوم بدر لم يستعدوا للأمر الاستعداد العظيم؛ لأنهم سيقتلون جماعة من الحراس، وهي لا تقتضي أكثر من الهجوم عليها بالأسلحة الخفيفة للاستيلاء على القافلة، أما الالتحام مع جيش فيستدعي تعبئة أشد وعددًا وعدة.

وقد أمر النبي المسلمين أن يقاتلوا جيش قريش الذي أرسلته لحماية القافلة بناء على وعد الله بالنصر، قال تعالى: **﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾** [الأنفال: ٧].

فلما أفلتت إحدى الطائفتين وهي (القافلة) لا بد أن يصدق وعد الله في الأخرى وهي (جيش قريش) فدعا النبي ﷺ إلى مقاتلة جيش قريش؛ وقد أدى ذلك إلى موقف من التردد عند بعض أصحابه رضي الله عنهم أدركه النبي ﷺ وعمل على ملافاته.

يجوز للإمام أن يستعين في الجهاد وغيره بالعيون والمراقبين، ببثهم بين الأعداء ليكتشف المسلمون خططهم وأحوالهم، وليتبينوا ما هم عليه من قوة في العدة والعدد.

ويجوز اتخاذ مختلف الوسائل لذلك؛ بشرط ألا تنطوي الوسيلة على الإضرار بمصلحة هي أهم من الاطلاع على حال العدو، وربما استلزمت الوسيلة تكتمًا أو نوعًا من المخادعة أو التحايل، وكل ذلك مشروع وحسن من حيث إنه واسطة لمصلحة المسلمين وحفظهم.

وقد جاء في كتب السيرة أن النبي ﷺ لما نزل قريبًا من بدر ركب هو ورجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله النبي ﷺ عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: «لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال ﷺ: «**إذا أخبرتنا أخبرناك**»، فقال: أذاك بذاك؟، قال: «نعم». فأخبره الشيخ بما يعلم من أمر المشركين، وبما قد سمع من أمر النبي وأصحابه؛ حتى إذا فرغ من كلامه قال: ممن أنتما؟ فقال النبي ﷺ: «**نحن من ماء**»،

ثم انصرف عنه، فأخذ الشيخ يقول: ما مـــن مـــاء؟ أمـــن مـــاء العراق؟!»[١].

فلو لم يكن النبي ﷺ واثقًا كل الثقة من صدق ما ينزل عليه من الوحي لما أقدم على الزج بجيشه في هذه الحرب التي لا تبشر بالنصر للأسباب الآتية:

أولاً: تفوق جيش قريش في العدد حيث كان على نسبة ثلاثة على واحد؛ وهذا يعتبر في عرف رجال الحرب تفوقًـــا ســـاحقًا، وخصوصًا في ذلك الزمن حيث كانت القتال بالنبـــال والســـيوف والحراب، فقد كان عدد المسلمين ٣١٥ وعدد المشـــركين ٩٥٠ مقاتلاً.

ثانيًا: تفوق العدو في الأسلحة، وهي العوامـــل الفاصـــلة في الحروب؛ فقد كان معهم مائتا فرس، وكان مع المسلمين فرســـان فقط.

فالقائد الماهر الذي يدفع بجيشه إلى الحرب موقنًـــا بالنصـــر، ويقول له كما قال النبي ﷺ لجنوده قبل معركة بدر: «**أبشروا والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**»[٢].

(١) الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، ص١٦١، الطبعة الرابعة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.
والخبر في سيرة ابن هشام (٢/٢٥٨).
(٢) رواه ابن إسحاق، وله شواهد من وجوه كثيرة: البخاري (٣٩٥٢)، (٤٦٠٩)، وأحمد (١/٣٩٠، ٤٢٨)، والحاكم (٣/٣٤٩) من حديث ابن مسعود.
ومسلم (١٧٧٩) من حديث أنس.

ثم يتحقق قوله وينتصر المسلمون على قريش انتصارًا ساحقًا، إن هذا لا يمكن تعليله إلا بأنه رسول الله حقًا أيده الله بالنصر.

في شهر رمضان من السنة الخامسة من الهجرة كان الاستعداد لغزوة الخندق أو «الأحزاب» التي انتصر فيها المسلمون بفضل الله ورحمته بغير قتال ولا معركة سوى مبارزات ومناوشات محدودة **﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾** [الأحزاب: ٢٥].

وفي شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة تحطمت بعد فتح مكة رموز الشرك، وتهاوت الأصنام التي عبدها الناس من دون الله دهورًا طويلة، فقد بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد لهدم إله المشركين الأكبر «العزى»!! فهدمها، وبعث عمروًا بن العاص فهدم «اللات»، وبعث سعدًا بن زيد الأشهلي فهدم «مناة».

وكان ذلك إعلانًا صريحًا بأن القلوب يجب عليها أن تتعلق بالله، ولا تلتفت إلى أحد سواه من الأحياء أو الأموات أو الأصنام أو الأضرحة، وهذا هو التوحيد الذي جاء به رسول الله ﷺ.

في الحادي والعشرين من رمضان في السنة الثامنة من الهجرة كان الفتح الأكبر: فتح مكة، وكان هذا الفتح ثمرة جهاد طويل بالسيف واللسان لسنوات طويلة، قد تحلى فيها المؤمنون الصادقون بالصبر واليقين.

وكان فتح مكة – كذلك – هو اليوم الذي استخزى فيه الشرك وذل، وألقى السلاح، وأسلس القياد بعد طول تمرد وعناد،

ودخل رسول الله ﷺ مكة دخولاً لم يدخله أحد قبله، وقد طأطأ رأسه تواضعًا لربه حتى كادت ذقنه تمس رحله [(١)].

ودخل المسجد الحرام الذي بناه أبواه إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام، فحطم ما كان يعلوه ويحيط به من الأوثان والأصنام، وأخذ يطعنها بقضيب في يده فتخر صريعة على وجهها، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ [الإسراء: ٨١][(٢)].

فها هو النبي ﷺ خرج من وطنه مكة مستخفيًا في بطون الشعاب والأودية، مهاجرًا إلى يثرب، وقد سبقه من قبله ولحقه من بعده أصحابه القلة المستضعفون يتسللون مهاجرين، وقد تركوا المال والأهل والأرض من أجل أن يبقى لهم الدين؟

ها هم أولاء قد رجعوا إلى الوطن والأهل والمال، وقد كثروا بعد قلة، وتقووا بعد ضعف، واستقبلهم أولئك الذين أخروجهم بالأمس خاشعين أذلاء خاضعين، ودخل أهل مكة في دين الله أفواجًا، وأقبل بلال الحبشي وهو الذي طالما عذب في رمضاء مكة على أيدي المشركين، فصعد الكعبة ينادي بأعلى صوته نداء الحق: الله أكبر ... الله أكبر.

---

(١) الحاكم في المستدرك (٤٧/٣)، (٣١٧/٤)، والبيهقي في الدلائل (٦٨/٥)، وأبو يعلى في مسنده (٣٣٩٣).
وانظر مجمع الزوائد (١٦٩/٦).
(٢) البخاري (٤٧٢٠)، ومسلم (١٧٨١).

ذلك الصوت الذي كان يهمس يومًا ما تحت أهوال التعذيب: أحد، أحد، ها هو اليوم يجلجل فوق كعبة الله تعالى قائلاً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والكل خاشع منصت خاضع، ألا إنها لحقيقة واحدة لا ثاني لها: هي الإسلام؛ فما أحمق الإنسان وما أجهله، حينما يكافح ويناضل أو يجاهد في غير سبيل الإسلام، إنما يكافح حينئذ عن وهم لا حقيقة له ولا طائل [1].

من أعظم دروس الفتح:

العقيدة [2]: كان جيش الفتح مؤلفًا من المهاجرين والأنصار ومسلمي أكثر القبائل العربية المعروفة في حينه، ولا يوجد بينهم غير العقيدة الواحدة التي يضحي الجميع من أجلها وتشيع بينهم الانسجام الفكري الذي يجعل التعاون الوثيق بينهم سائدًا.

لقد كانت انتصارات المسلمين الأولين انتصارات عقيدة بلا مراء، وكان النصر من أول ثمرات هذه العقيدة على النطاق الجماعي؛ وأما على النطاق الفردي فقد رأينا كيف طوت أم حبيبة زوج النبي ﷺ فراش النبي ﷺ عن أبيها أبي سفيان، وقد جاءها من سفر قاصد بعد غياب طويل؛ ذلك لأنها رغبت به عن مشرك نجس، ولو كان هذا المشرك أباها الحبيب.

---

(١) الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، ص٢٦٩-٢٧٠، الطبعة الرابعة، دار السلام للطباعة القاهرة.

(٢) اللواء الركن/ محمود شيت خطاب، مجلة الأمة، العدد ١٢، أكتوبر ١٩٨١، مقال بعنوان: فتح مكة وعبرته لحاضر المسلمين ومستقبلهم.

وعندما جاء أبو سفيان مع العباس ليواجه النبي ﷺ رآه عمر بن الخطاب، فغادر خيمته واشتد نحو خيمة النبي ﷺ، فلما وصل إليها قال: «يا رسول الله! دعني أضرب عنقه». قال العباس: «يا رسول الله: إني قد أجرته»، فلما أكثر عمر قال العباس: «مهلاً يا عمر! ما تصنع هذا إلا أنه من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي ما قلت هذه المقالة»، فقال عمر: «مهلاً يا عباس! فو الله إن إسلامك يوم أسلمت كان أحب لي من إسلام الخطاب لو أسلم».

لقد كان عمر يمثل عقيدة المسلمين الأولين، بينما كان العباس حديث عهد بإسلام.

وكيف نعلل إقدام المهاجرين على المشاركة في غزوة الفتح التي لم يكن من المستبعد أن تصطرع فيها قوات المسلمين وقوات قريش؟! إن عقيدة المسلمين لا تخضع للمصالح الشخصية؛ بل هي رهن المصالح العامة وحدها، وقد انتصر المسلمون بالعقيدة الراسخة، وهي اليوم غائبة عنهم فذلوا وهزموا، ولينتصروا على أعدائهم؛ فقد غاب عنهم النصر منذ غاب عنهم الإسلام.

السلم [(١)]: حرص النبي ﷺ في خروجه لفتح مكة على نياته السلمية ليؤلف بذلك قلوب المشركين، ويجعلها تقبل على الإسلام، وقد عهد ﷺ إلى قادته حينما أمرهم أن يدخلوا مكة، ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، وبقي النبي ﷺ مصرًا على نياته السلمية بعد الفتح أيضًا؛

---

(١) اللواء الركن/ محمود شيت خطاب، مجلة الأمة، العدد ١٢، أكتوبر ١٩٨١، مقال بعنوان: فتح مكة وعبرته لحاضر المسلمين ومستقبلهم.

فقد أصدر العفو العام عن قريش قائلاً: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(١).

كما حرص النبي ﷺ على السلم الجماعي، حرص كذلك على السلم الفردي؛ فمنع القتل حتى لفرد واحد من المشركين، مهما تكن الأسباب والأعذار.

بل إن النبي ﷺ لم يقتل رجلاً من المشركين أراد اغتياله شخصيًا وهو يطوف في البيت، بل تلطف معه، فقد اقترب فضال بن عمير يريد أن يجد له فرصة ليقتله، فنظر إليه النبي ﷺ نظرة عرف بها طويته فاستدعاه وسأله: «**ماذا كنت تحدث به نفسك؟**» قال: «لا شيء! كنت أذكر الله»، فضحك النبي ﷺ وتلطف معه ووضع يده على صدره، فانصرف الرجل وهو يقول: «ما رفع يده عن صدري، حتى ما خلق الله شيئًا أحب إلي منه»(٢).

ورأى علي بن أبي طالب رضي الله عنه مفتاح الكعبة بيد النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله اجعل لنا الحجابة مع السقاية»، فقال ﷺ: «**أين عثمان بن طلحة؟**» فلما جاء عثمان قال له: «**يا ابن طلحة هاك مفتاحك، اليوم يوم بر ووفاء**»(٣).

وقد رأى المسلمون النبي ﷺ يتواضع لله، حتى رأوه يوم ذاك ورأسه قد انحنى على رحله، وبدا عليه التواضع الجم، حتى كادت

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٨٦/٥، ٨٧).
(٢) سيرة ابن هشام (٥٢/٤) عمن يثق به، مرسلاً.
(٣) عبد الرزاق (٩٠٨٣)، والطبراني في الكبير (٨٣٩٥) مرسلاً.
انظر: مجمع الزوائد (١٧٧/٦).

لحيته تمس واسطة راحلته خشوعًا، وترقرقت في عينيــه الــدموع تواضعًا لله وشكرًا.

تلك هي سمات الخلق الإسلامي الرفيــع في الســلم والوفــاء والتواضع، ولكنه سلم الأقوياء لا سلم الضعفاء، ووفاء القادرين لا وفاء العاجزين، وتواضع العزة لا تواضع الذلة.

إن سلم الأقوياء القادرين هو السلام الذي يأمر به الإسلام، أما سلم الضعفاء العاجزين فهو الاستسلام الذي ينهى عنه الإســلام؛ ذلك ما ينبغي أن نتعلمه من فتح مكة، لحاضر المسلمين ومستقبلهم؛ لحاضر أفضل ومستقبل أحسن، وهي عبرة لمن يعتبر.

وفي شهر رمضان أقبلت الوفود على رســول الله ﷺ تعلــن إسلامها من قبائل شتى وبلاد متفرقة بعد أن أيقنت أن هذا الــدين هو الحق من عند الله العزيز الحكيم، وهكذا دخل الناس في دين الله أفواجًا.

وفي شهر رمضان المبارك حدثت انتصارات عظيمة غــير مــا ذكرناه لا يتسع المقام لبسطها، ولعل من أبرز هذه الانتصــارات: الانتصارات الرائعة التي أحرزها المجاهد صلاح الدين الأيوبي علــى الصليبين، وأدركه شهر رمضان منتصرًا وهــو صــائم في ســنة ٥٨٤هـــ، فأشار عليه رجاله أن يرتاح في شهر الصــوم، فخــاف على نفسه من انقضاء الأجل قبل إكمال النصر!! فواصل زحفــه حتى استولى على قلعة صفد الحصينة في منتصف رمضان من نفس العام.

وهناك وقائع أخرى كثيرة وعاها التاريخ، وكان لها أكبر الأثر في عزة الإسلام وعلو كلمته وقعت في ذلك الشهر العظيم؛ أذكر منها تلك الموقعة التي كانت بين المسلمين والتتار، والتي سميت بوقعة (مرج الصفر) أو (شقحب)، وفيها انتصر المسلمون على التتار انتصارًا ساحقًا، واتبعوا فلولهم المنهزمة يقتلون ويأسرون.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ممن شهد هذه الغزوة، وأبلى فيها بلاء عظيمًا، ووقف فيها وقفة طويلة رافعًا يديه إلى السماء يدعو الله ويستغيث، ثم حارب هو وأخوه شرف، وقد أمر الجند بالفطر في هذه المعركة لكي يقووا على لقاء عدوهم كما أمر النبي ﷺ أصحابه صبيحة بدر أن يفطروا وجعل ذلك عزمة عليهم.

وفي العصر الحديث حاربنا اليهود في العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ فكان انتصارنا بقدر إقبالنا على الله، وكانت هزيمتنا بقدر إعراضنا عن الله!! ولأننا خلطنا أعمالنا السيئة بأعمالنا الصالحة، وجمعنا في حياتنا بين الطاعة والمعصية، فقد جمع الله لنا بين حلاوة النصر، ومرارة الهزيمة: ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ [آل عمران: ١٨٢].

أحداث أخرى حدثت في شهر رمضان [١]

ونوجز منها:

تبدأ هذه الأحداث منذ آثر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب العزلة، وحبب إليه الخَلاءُ؛ ففي رمضان قبل الهجرة بثلاثة عشر عامًا كان الرسول عليه صلوات الله وسلامه يجاور على عادته في رمضان ففجأه الحق وهو في غار «حراء»[٢] [٣].

في شهر رمضان بعد هجرة النبي بسبعة أشهر كانت سرية سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه إلى ساحل البحر للجهاد في سبيل الله [٤].

في السنة الثانية للهجرة، وفي شهر رمضان المبارك عقد رسول الله ﷺ أخطر مؤتمر للشورى عرفه تاريخ المسلمين؛ فعندما علم الرسول ﷺ وأصحابه أن أبا سفيان بن حرب قد خرج من مكة إلى الشام في تجارة كبيرة، بادر النبي صلوات الله وسلامه عليه في مائتي مُقاتل من أصحابه لاعتراض القافلة، ولكن أبا سفيان تمكن من

(١) المرجعان اللاحقان تم النقل منهما بإيجاز وتصرف، ومن أراد الاستزادة فليراجعهما.

(٢) غار حراء: مغارة في جبل حراء بمكة.

(٣) د. عبد الرحمن رأفت الباشا، حدث في رمضان، دار الأدب الإسلامي، قبرص، القاهرة.

(٤) د/ أحمد الشرباصي – الأستاذ بجامعة الأزهر، حدث في رمضان، ص٤٨، طبعة دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة.

النجاة وتابع طريقه إلى الشام [١].

في هذا الشهر الكريم المبارك طُويت أكبر راية من رايات الجاهلية السود ... وهوى أضخم صنم من أصنام الشرك في جزيرة العرب؛ ففي السابع عشر من رمضان، سنة اثنتين للهجرة لقي أبو جهل مصرعه على أيدي المسلمين في «بدر»، وغيبت رمال «القَلِيبِ»[٢] في جوفها السحيق أكبر طاغية عرفته جزيرة العرب [٣].

في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة فرضت زكاة الفطر قبل عيد الفطر بيومين.

في شهر رمضان من السنة الرابعة للهجرة تزوج رسول الله ﷺ بأم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث التي كانت تلقب بأم المساكين، رضي الله عنها [٤].

في شهر رمضان من السنة السادسة للهجرة، أصيب الناس بقحط، فاستسقى لهم رسول الله ﷺ فسقاهم الله تبارك وتعالى [٥].

وفي الرابع والعشرين من رمضان سنة ثمان للهجرة بعث عليه الصلاة والسلام، سعدًا بن زيد الأشهلي إلى إحدى الأصنام وكان

(١) د. عبد الرحمن رأفت الباشا، حدث في رمضان.
(٢) القليب: بئر بجوار بدر ألقي فيه بجثث المشركين.
(٣) د. عبد الرحمن رأفت الباشا، حدث في رمضان.
(٤) د/ أحمد الشرباصي – الأستاذ بجامعة الأزهر، حدث في رمضان.
(٥) المصدر السابق نفسه.

يُدعى «مَنَاةَ» فهدمها [١].

في رمضان سنة ثمان للهجرة، وفي الخامس والعشرين من الشهر المعظم على الأرجح أمر الرسول الكريم ﷺ بهدم أكبر صنم كان يُعْبَدُ من دون الله في جزيرة العرب؛ كان الصنم الذي هوى يسمى «العُزَّى» ... واليد التي حطمته يد سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه [٢].

وفي رمضان سنة تسع للهجرة، وفدت «ثَقِيفٌ» صاحبة صنم «اللات» على الرسول ﷺ تعرض إسلامها عليه، بعد إباء عنيد ونفور جامع دام عشرين عامًا، وتاريخ الدعوة الإسلامية يروي لثقيف وإسلامها قصة قاتمة البداية مشرقة النهاية؛ فقد سألوا الرسول ﷺ أن يترك لهم «اللات» ثلاث سنين لا يهدمها!! فأبى الرسول ﷺ ذلك، فما برحوا يسألونه سنة ويأبى عليهم ذلك؛ حتى سألوا شهرًا واحدًا، فأبى عليهم أن يدعها شيئًا مسمى، وأصر على هدمها، فسألوه ألا يهدموها بأيديهم ...

فقال عليه الصلاة والسلام: «**أما كسر أصناكم بأيديكم فسنعفيكم منه**»[٣]، ثم أرسل عليه الصلاة والسلام معهم أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما لهدم «اللاتِ»، وقد كان بفضل من الله.

---

(١) د. عبد الرحمن رأفت الباشا، حدث في رمضان.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) ابن هشام في السيرة (١٨١/٤) بسند منقطع.

فهنيئًا للمسلمين برمضان ... هنيئًا لهم أيامه الغُرِّ ...

ففيها استُخْزَتِ[١] الأوثان ... وفيها اجتُثَّتِ[٢] الأصنام...[٣].

في سنة مائتين وثلاث وعشرين للهجرة، وفي شهر رمضان المبارك ... اقتحم المعتصم بن الرشيد حصون «عَمُّورِيَّةَ» في مائة وخمسين ألفًا من جنوده، وفتح المدينة التي عزت على الفاتحين منذ عهد «الإسكندر المقدوني» إلى يومه.

فكانت وقعة عمورية غرة في جبين الدهر، ودرة في تاريخ الإسلام، وتاجًا زان مفرق المعتصم[٤].

في شهر رمضان سنة أربعمائة واثنتين وتسعين للهجرة رَوَّعَ العالَمَ الإسلاميَّ من أقصاه إلى أقصاه احتلالُ الصليبيين لأولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى رسول الله ﷺ؛ فكان يومًا حزينًا من أيام المسلمين لا تذهب الأيام بمرارته، ولا تمحو الأحداث الجسام ذكراه.

وبعد نيف وتسعين عامًا والمسجد الأقصى أسير في أيدي الصليبيين جاء القائد المسلم صلاح الدين، الذي أمضى ربع قرن من حياته لم يظله سقف إلا قليلاً، وإنما كان مسكنه الدائم إما صهوة جواد، وإما خيمة تضرب له في العراء.

---

(١) استخزت: أصابها الخزي والهوان.

(٢) اجتثت: اقتلعت من جذورها.

(٣) د/ عبد الرحمن رأفت الباشا، حدث في رمضان.

(٤) د/ عبد الرحمن رأفت الباشا، حدث في رمضان.

القائد الذي تحلى بصفات البطولة، فلم تفارقه في حالي صحته ومرضه، ويومي نصره وهزيمته، وأمري عسره ويسره.

بهذه الصفات قاد صلاح الدين جند المسلمين من نصر إلى نصر، وجاء الفتح من الله جل وعلا على يده وأنزل الصليب الأكبر الذي كان منصوبًا على قبة الصخرة، ومحيت التصاوير التي كانت منقوشة على جدران المساجد، وأزيلت النواقيس من فوق مناراته، وانطلقت من فوق المنائر أصوات الأذان، وامتزجت أصوات المؤذنين بتلاوة القرآن.

وإذ تمر تلك الأحداث نضرع لله أن يكرم المسلمين بيوم آخر كيوم الفتح يمحون فيه العار، ويزيلون الشنار، ويستردون القدس المسلوب، ويستنقذون الحرم المغضوب من أحفاد القردة والخنازير أعداء الإنسانية؛ وبذلك تقر عين الفاتح الأول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتَبَر روح القائد الثاني صلاح الدين رحمه الله [١].

في صباح الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين وست مائة كان يومًا مشهودًا من أيام الإسلام التي لا تنسى، أعز الله فيه دينه ودحر الطغاة والكافرين في «عين جالوت» الواقعة بين بيسان ونابلس.

التقى جيش المسلمين بقيادة القائد المظفر «قطز» وجيش التتار العرمرم الذي خرج من أطراف الصين وهب على البشرية هبوب الأعاصير فاجتاح الممالك، وأزال الدول، وأباد الجيوش، وأهلك

(١) د/ عبد الرحمن رأفت الباشا، حدث في رمضان.

الحرث والنسل؛ فقد استطاع في فترة وجيــزة أن يســتولي علــى الصين، وكوريا، وأن يجتاح من جهة أخرى بلغاريــا، وروســيا، والمجر، وبولونيا.

وأن يخضع من جهة ثالثة تركستان، وسمرقند، وبخارى، ثم ابتلع فوق ذلك الري — طهران حاليًا، وهمذان، وبلاد الجبــل، والتــهم سجستان، وكرمان، وغزنة وما جاورها من بلاد الهند، حتى لم يبق على ظهر الأرض شعب إلا كان يرتجف فؤاده خوفًا منه، وينتظــر أن يحين حينه على يديه.

وهؤلاء الأوغاد أنزلوا ببلاد المسلمين من الدمار ما لم ينزلــوه ببلاد سواها، وأحلوها بها من الهول ما اقشعرت له جلود المؤرخين، وارتجفت لكتابته أقلامهم.

وعند بدء النزال أخذت سهام التتار تنصــب علــى رؤوس المسلمين انصبابًا فتمزق صفوفهم، وتفــرق جمــوعهم، وتشــل حركتهم.

ولما اشتد على المسلمين الكرب أمرهم السلطان القائد بالهجوم على عدو الله وعدوهم فتصافحت السيوف مع السيوف، واستحر القتل بين الفريقين واستبسل كل منهما غاية الاستبسال.

ولما رأى الملك المظفر شدة بأس عدوه، ووفرة عدده، وكثــرة عدته خلع خوذته عن رأسه، وألقى بها على الأرض، وردد بصوته الأجش قولته المشهورة: وَاإِسْلامَاهُ ... وَاإِسْلامَاهُ.

فألهب قلوب جنوده بنار الإيمان، وأضرم أفئــدتهم بالحميــة

للإسلام، فانقضوا على عدوهم انقضاض الشهب، وما زالوا يناضلونه حتى خلخلوا صفوفه المتراصة، وأوغلوا في جموعه المحتشدة، فألقى الله الوهن في نفوس التتار، وقذف في قلوبهم الرعب، وما هي إلا ساعة حتى بدأ العدو يتأخر، ثم طفق يتقهقر، ثم ولى الدبر، فركب المسلمون ظهورهم، وأعملوا السيوف في رقابهم ومزقوهم شر ممزق؛ فلقد كان يوم (عين جالوت) أول يوم يُغلب فيه الغالبون، يُقهر فيه القاهرون، ثم لم تقم للتتار قائمة بعد ذلك.

وكان المملوك «سيف الدين قطز» أول رجل أذل «هولاكو» الجبار [(١)].

في رمضان سنة ست مائة وست وستين وفي اليوم الرابع عشر منه، شهد تاريخ الإسلام يومًا من أعظم أيامه وفتحًا من أجل فتوحه، أعز الله فيه المسلمين بعد هوان، وأعلى فيه رايات الإسلام، ورفع أعلام القرآن، وكان صاحب هذا الفتح العظيم بطلاً من أبطال المسلمين وقائدًا من قوادهم الغر الميامين.

بطل ظل على مدى سبعة عشر عامًا يُشَرِّقُ في أرض المسلمين وَيُغَرِّبُ، يُنازلُ التتار الوثنيين، ويقارع الصليبيين الباغين؛ فما فل له سيف، ولا لانت له قناة ولا انكسر في موقعة، حتى ألقى الله مهابته ورعبه في قلوب أعدائه وأعداء الله، هذا البطل هو الملك الظاهر بيبرس.

---

(١) د/ عبد الرحمن رأفت الباشا، حدث في رمضان.

أما يومه الباقي على وجه الدهر فهو يوم فتح «أنطاكيـــة»[١]، واستنقاذها من أيدي الصليبيين [٢].

وأحداث رمضان كثيرة لا تحصى، ولكنا أتينا بنماذج للتذكرة ولا أظنها تغيب عن بال المسلم، وخلاصة هذه الأحداث هي:

كون الإسلام وما يزال وسيظل إن شـــاء الله عـــدة النصـــر للمسلمين، وسبيل العزة للمؤمنين.

وصدق الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ولو ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله».

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) أنطاكية مدينة في تركيا بناها سلقوس سنة ٣٠٠ ق.م عاصمة له، وأصبحت ثالث مدن الإمبراطورية الرومانية.

(٢) د/ عبد الرحمن رأفت الباشا، حدث في رمضان.

الفهرس

❊ ❊ ❊

رمضان شهر القرآن

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، أما بعد:

نزل القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك كما قال سبحانه: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [القدر: ١-٣].

وتلاوة القرآن في شهر رمضان، والاستماع إليه، ومدارسته وتدبر أحكامه من أعظم القربات التي يتقرب بها الصالحون إلى الله تعالى في هذا الشهر.

ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن...» الحديث.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: ودل الحديث أيضًا على استحباب دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان.

وفي حديث فاطمة رضي الله عنها، عن أبيها ﷺ، أنه أخبرها:

«أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه في عام وفاته مرتين» [متفق عليه].

وفي حديث ابن عباس: «أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلاً» [متفق عليه]. فدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر.

كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾ [المزمل: ٦].

وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أُنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ [القدر: ١]. وقوله: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾ [الدخان: ٣].

وقد كان النبي ﷺ يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره. وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان، قال: «فقرأ بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، لا يمر بآية تخويف إلا وقف وسأل، قال: فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فآذنه بالصلاة» [رواه أحمد].

وكان عمر قد أمر أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يقوما بالناس في شهر رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام. وما كانوا ينصرفون إلا عند

الفجر. وفي رواية: أنهم كانوا يربطون الحبال بين السواري، ثم يتعلقون بها!!

وروي أن عمر جمع ثلاثة قراء، فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ بالناس ثلاثين، وأوسطهم بخمس وعشرين، وأبطأهم بعشرين.

ثم كان في زمن التابعين يقرؤون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات، فإن قرأ بها في اثنتي عشرة ركعة رأوا أنه قد خفف!

قال ابن منصور: سئل إسحاق بن راهويه: كم يقرأ في قيام شهر رمضان؟ فلم يرخص في دون عشر آيات. فقيل له: إنهم لا يرضون. فقال: لا رضوا، فلا تؤمهم إذا لم يرضوا بعشر آيات من البقرة. ثم إذا صرت إلى الآيات الخفاف، فبقدر عشر آيات من البقرة، يعني في كل ركعة. وكذلك كره مالك أن يقرأ دون عشر آيات.

وسئل الإمام أحمد عما روي عن عمر كما تقدم ذكره في السريع القراءة والبطيء. فقال: في هذا مشقة على الناس، ولا سيما في هذه الليالي القصار، وإنما الأمر على ما يحتمله الناس.

وقال أحمد لبعض أصحابه، وكان يصلي بهم في رمضان: هؤلاء قوم ضعفى، اقرأ خمسًا، ستًا، سبعًا، قال: فقرأت، فختمت ليلة سبع وعشرين.

وقد روي عن الحسن: أن الذي أمره عمر أن يصلي بالناس كان يقرأ خمس آيات، ست آيات.

وكلام الإمام أحمد يدل على أنه يراعى في القراءة حال المأمومين، فلا يشق عليهم. وقاله أيضًا غيره من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم.

وقد روي عن أبي ذر أن النبي ﷺ قام بهم ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل، وليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، فقالوا له: لو نفلتنا بقية ليلتنا؟ فقال: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له بقية ليلته» [أخرجه أهل السنن وحسنه الترمذي].

وهذا يدل على أن قيام ثلث الليل ونصفه يكتب به قيام ليلة لكن مع الإمام.

وكان الإمام أحمد يأخذ بهذا الحديث ويصلي مع الإمام حتى ينصرف، ولا ينصرف حتى ينصرف الإمام.

وقال بعض السلف: من قام نصف الليل فقد قام الليل.

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ قال: «**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين**» يعني أنه يكتب له قنطار من الأجر.

وعن ابن مسعود قال: من قرأ في ليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب له قنطار.

اجتهاد السلف

ومن أراد أن يزيد في القراءة ويطيل، وكان يصلي لنفسه فليطول ما شاء، كما قاله النبي ﷺ، وكذلك من صلى بجماعة يرضون بصلاته.

وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع منهم قتادة، وبعضهم في كل عشر، منهم أبو رجاء العطاردي.

وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها.

كان الأسود يقرأ القرآن في رمضان في كل ليلتين.

وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث.

وكان قتادة يختم في كل سبع دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة.

وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة، يقرؤها في غير الصلاة!! وعن أبي حنيفة نحوه.

وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان.

وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام.

وقال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من

قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن.

وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت.

وقال سفيان: كان زبيد الياميّ إذا حضر رمضان أحضر المصاحف، وجمع إليه أصحابه.

وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة، كشهر رمضان، خصوصًا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة؛ كمكة شرّفها الله لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن؛ اغتنامًا للزمان والمكان، وهذا قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره.

أنواع المجاهدة في رمضان

واعلم أن المؤمن يجتمع له في رمضان جهادان لنفسه؛ جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين، ووفى بحقوقهما، وصبر عليهما، وفي أجره بغير حساب.

قال كعب: ينادي يوم القيامة مناد: إن كل حارث يعطى بحرثه ويزاد، غير أهل القرآن والصيام، يعطون أجورهم بغير حساب،

ويشفعان له أيضًا عند الله عز وجل، كما في المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان**»(١).

فالصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها، سواء كان تحريمها يختص بالصيام، كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها. أو لا يختص به، كشهوة فضول الكلام المحرم، والنظر المحرم، والسماع المحرم، والكسب المحرم. فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها، فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة، ويقول: يا رب! منعته شهواته، فشفعني فيه، فهذا لمن حفظ صيامه، ومنعه من شهواته.

فأما من ضيع صيامه، و لم يمنعه مما حرمه الله عليه، فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه، ويقول له: ضيعك الله، كما ضيعتني، كما ورد مثل ذلك في الصلاة.

قال بعض السلف: إذا احتضر المؤمن يقال للملك: شم رأسه. قال: أجد في رأسه القرآن. فيقال: شم قلبه. فيقول: أجد في قلبه الصيام. فيقال: شم قدميه. فيقول: أجد في قدميه القيام. فيقال: حفظ نفسه، حفظه الله عز وجل.

وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل، فإن من قرأ القرآن وقام به، فقد قام بحقه فيشفع له.

(١) قال الألباني: حسن صحيح.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون.

وقال محمد بن كعب: كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه؛ يشير إلى سهره وطول تهجده.

وقال وهيب بن الورد: قيل لرجل: ألا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطرن نومي.

وصحب رجل رجلاً شهرين فلم يره نائمًا، فقال: ما لي لا أراك نائمًا؟ قال: إن عجائب القرآن أطرن نومي، ما أخرج من أعجوبة إلا وقعت في أخرى.

وقال أحمد بن أبي الحواري: إني لأقرأ القرآن، وانظر فيه آية آية، فيحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا، وهم يتلون كلام الله؟ أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه، وتلذذوا به، واستحلوا المناجاة به، لذهب عنهم النوم فحرًا بما قد رزقوا.

وأنشد ذو النون:

منع القرآن بوعده ووعيده　　مقل العيون بليلها لا تهجع

فهموا عن الملك العظيم　　فهمًا تذل له الرقاب

أهل الغفلة

فأما من كان معه القرآن، فنام عنه بالليل، و لم يعمل به بالنهار، فإنه ينتصب القرآن خصمًا له، يطالبه بحقوقه التي ضيعها. وخرج الإمام أحمد من حديث سمرة، أن النبي ﷺ «**رأى في منامه رجلاً مستلقيًا على قفاه، ورجل قائم بيده فهر**[1] **أو صخرة، فيشدخ به رأسه، فيتدهده** [2] **الحجر، فإذا ذهب ليأخذه، عاد رأسه كما كان، فيصنع به مثل ذلك، فسأل عنه، فقيل له: هذا رجل آتاه الله القرآن، فنام عنه بالليل، ولم يعمل به بالنهار، فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة**» وقد خرجه البخاري بغير هذا اللفظ.

موعظة

يا من ضيع عمره في غير الطاعة! يا من فرط في شهره، بل في دهره وأضاعه! يا من بضاعته التسويف والتفريط، وبئست البضاعة، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة؟!

ويل لمن شفعاؤه خصـــماؤه   والصور في يوم القيامـــة

رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، وقائم حظه من قيامه السهر.

---

(١) الفهر: الحجر ملء الكف.

(٢) يتدهده: يتدحرج.

كل قيام لا ينهى عن الفحشاء والمنكر، لا يزيد صاحبه إلا بعدًا.

وكل صيام لا يصان عن قول الزور والعمل به، لا يورث صاحبه إلا مقتًا وردًا.

يا قوم! أين آثار الصيام؟ أين أنوار القيام؟

هذا – عباد الله – شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وفي بقيته للعابدين مستمتع. وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع. وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعًا يتصدع. ومع هذا فلا قلب يخشع!! ولا عين تدمع!! ولا صيام يصان عن الحرام فينفع!! ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع!!

قلوب خلت من التقوى فهي خراب بلقع (١). وتراكمت عليها ظلمة الذنوب، فهي لا تبصر ولا تسمع ... كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة ... وكم يتوالى علينا شهر رمضان، وحالنا فيه كحال أهل الشقوة ... لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة ... ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة.

أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة ... وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلْوة ... وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار ... أفما لنا فيهم أسوة؟!

---

(١) البلقع: الخالي من كل شيء.

كم بيننا وبين حال أهل الصفا أبعد مما بين الصفا والمروة ... كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال ... فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ... وحسبنا الله.

رمضان
طريقنا إلى الجنة

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي فرض على عباده صيام رمضان، والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، أما بعد:

*أخي المسلم، هنيئا لك ما خصك الله به من نعمة إدراك شهر رمضان؛ لتصوم نهاره، وتقوم ليله، وتقرأ كتابه، وتتفرغ لعبادته.

*فكم من الناس حرموا تلك النعمة!

*كم من الناس صاموا معنا رمضان الغائب، وهم اليوم موتى في قبورهم!

*وكم من الناس لم يستطيعوا صيام رمضان لمرض نزل بهم، أو عجز أصابهم، أو شيخوخة أضعفتهم، أو هرم أذهب عقولهم!

*فالحمد الله – أخي الكريم – على هذه النعمة، واغتنم فرصة هذا الشهر في طاعة الله وعبادته، ولا تضيع أيامه القلية وساعاته اليسيرة فيما لا يعود عليك بالفائدة والأجر والثواب من الله تعالى. قال ﷺ: «**من أدرك رمضان، ولم يغفر له باعده الله في النار**» [مسلم].

فضائل الصيام

١-رتب الله تعالى على الصيام عظيم الأجر والمغفرة؛ قال تعالى: ﴿**وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ**﴾ إلى قوله: ﴿**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٢-وقال ﷺ: «**ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك وجهه عن النار سبعين خريفاً**» [متفق عليه].

٣-ولما سأل أبو أمامة رسول الله ﷺ عن عمل يدخله الجنة قال له: «**عليك بالصوم، فإنه لا مثل له**» [صحيح، رواه النسائي].

٤-وقال ﷺ: قال الله تعالى: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام؛ فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة** – أي: وقاية – **وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**» [متفق عليه].

٥-وأخبر ﷺ: «**أن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة**» [حسن رواه أحمد والحاكم].

٦-وأخبر ﷺ: «**أن في الجنة بابا اسمه الريان، لا يدخل منه إلا الصائمون**» [متفق عليه].

فضل شهر رمضان وصيامه

١-من فضائل شهر رمضان أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن، كتاب الله الخالد، وحجته البالغة، ونوره المبين.

٢-فيه تصفد الشياطين، وتغلق أبواب النيران، وتفتح أبواب الجنان؛ قال ﷺ: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النيران، وصفدت الشياطين**»[متفق عليه] ومعنى صفدت: حبست.

٣-فيه ليلة القدر، والعبادة فيها خير من عبادة ألف شهر. قال تعالى: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [القدر:٣].

٤-بصيامه يحصل الغفران كما قال ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » [متفق عليه].

٥-بقيامه يحصل الغفران كذلك. قال النبي ﷺ: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

٦-وأخبر ﷺ «**أن العمرة فيه تعدل حجة**» [رواه البخاري].

٧-وأخبر ﷺ «**أن لله فيه عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة حتى ينقضي رمضان**» [صحيح رواه أحمد].

٨-وأخبر ﷺ «**أن للصائم عند فطره دعوة لا ترد**» [رواه ابن ماجة، وصححه البوصيري].

متى يجب الصيام؟

*سئل فضيلة الشيخ ابن جبرين: كنت أصوم وأفطر من سن١٦ سنة إلى سن ١٨سنة ثم التزمت بعد ذلك بالصيام التام، فهل عليَّ شيء من ذلك؟

*فأجاب: متى أتم الإنسان ١٥ عاما وجبت عليه التكاليف، فإن هذه السن علامة البلوغ، فهذا الذي تساهل بالصوم، وقد حكم ببلوغه قد ترك واجباً، فعليه قضاء ما ترك أو أفطر فيه من أيام الرمضانات التي مرت، ولا يعذر بجهله بحكمة الصيام، فعليه قضاء الأيام التي تركها أو لم يتم الصيام فيها مع الكفارة عن كل يوم إطعام مسكين، فإن كان جاهلاً بعددها، فعليه الاحتياط، حتى يتيقن أنه قضى ما وجب في ذمته، والله أعلم. [فتاوى الصيام].

بم نستقبل شهر رمضان؟

أولاً: بالمبادرة إلى التوبة الصادقة المستوفية لشروطها وكثرة الاستغفار.

ثانيا: بتعلم ما لا بد منه من فقه الصيام.

ثالثا: عقد العزم الصادق والهمة العالية على تعمير رمضان بالأعمال الصالحة.

رابعا: استحضار أن رمضان ما هو إلا أيام معدودات سرعان ما ينقضي.

خامساً: الاجتهاد في حفظ الأذكار والأدعية المطلقة منها والموظفة خصوصاً المتعلقة برمضان.

صوم رمضان حُكْمُهُ وَحِكَمُهُ

***أولاً: حُكمه:**

*الصيام: هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

*وهو فريضة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، فن أنكر فرضيته فهو مرتد كافر يستتاب، فإن تاب وأقر بفرضيته، وإلا قتل كافراً.

*وصوم رمضان فرض على كل مسلم بالغ عاقل قادر على الصوم.

*ويجب صيام رمضان برؤية هلاله أو بإكمال شعبان ثلاثين يوماً، ويكتفي في إثبات الشهر برؤية عدل واحد.

*قال ابن القيم: وكان من هديه ﷺ إلا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة أو بشهادة شاهد واحد، كما صام بشهادة ابن عمر، وصام مرة بشهادة أعرابي واعتمد على خبرهما... فإن لم يكن رؤية، ولا شهادة، أكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً، ولم يكن يصوم يوم الإغمام، ولا أمر به، بل أمر أن تكمل عدة شعبان ثلاثين إذا غم. [زاد المعاد].

لا يجوز اعتماد الحساب في إثبات الأهلة

*سئل سماحة الشيخ ابن باز: في بعض بلاد المسلمين يعمد الناس إلى الصيام دون اعتماد على رؤية الهلال، وإنما يكتفون بالتقاويم، فما حكم ذلك؟

*فأجاب: قد أمر النبي ﷺ المسلمين أن يصوموا لرؤية الهلال ويفطروا لرؤيته، فإن غم عليهم أكملوا العدة ثلاثين. [متفق عليه].. وقال ﷺ: «**لا تصوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة، ولا تفطروا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة**» والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وكلها تدل على وجوب العمل بالرؤية أو إكمال العدة عند عدم الرؤية، كما تدل على أنه لا يجوز اعتماد الحساب في ذلك، وهو الحق الذي لا ريب فيه. [فتاوى الصيام].

***ثانيا: حكم الصيام وفوائده:**

١-الصوم طريق التقوى قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[البقرة:١٨٣].

٢-وهو سبب للتخلص من كل أنواع الباطل؛ قال ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[رواه البخاري].

٣-ومن فوائده أنه يضعف الشهوة، ويعود على الصبر، ويقوي الإرادة، ولذلك أمر النبي ﷺ من لم يستطع الزواج من الشباب بالصيام.

٤-ومن فوائده تعويد الأمة على النظام والاتحاد وحب العدل والمساواة، والإيثار والبذل والعطاء ومواساة الفقراء والمساكين وأهل الفاقة.

٥-ومن فوائده الصحية أنه يطهر الأمعاء، ويصلح المعدة، وينظف البدن من الفضلات التي قد تسبب الضرر مع الوقت.

٦-ومن فوائده أنه يفرغ القلب، ويشغله بما يجلب له السعادة والفلاح من الذكر والعبادة وتلاوة القرآن.

٧-ومن فوائده أنه يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان، فتسكن النفس ويهدأ البال وتزول الوساوس، ويتفرغ الإنسان لطاعة ربه.

هدية ﷺ في رمضان

*قال الإمام ابن القيم: (وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، ويكثر فيه من الصدقة والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والاعتكاف، وكان يخص رمضان بما لا يخص غيره به من الشهور) [زاد المعاد].

ما ينبغي للصائم وما يجب عليه

*سئل الشيخ ابن عثيمين: ماذا ينبغي للصائم، وماذا يجب عليه؟

***فأجاب**: ينبغي للصائم أن يكثر من الطاعات، ويجتنب جميع المحرمات، فيصلي الصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة، ويترك الكذب والغيبة والغش، والمعاملات الربوية، وكل قول أو فعل محرم، قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

[فتاوى الصيام]

آداب الصيام وسننه

منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، فمن ذلك:

١-الحرص على السحور وتأخيره إلى آخر جزء من الليل ما لم يخش طلوع الفجر. قال النبي ﷺ: «**تسحروا؛ فإن في السحور بركة**» [رواه البخاري].

٢-تعجل الفطر إذا تحقق غروب الشمس؛ لقوله ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**» [رواه البخاري].

٣-البعد عن الرفث والفحش واللغو وقول الزور وجميع المحرمات لقول النبي ﷺ: «...**فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني أمرؤ صائم**» [رواه البخاري].

٤-أن يفطر على رطبات، فإن لم يجد فتمرات، فإن عدمه، فعلى ماء.

٦-عدم الإكثار من الطعام، والاكتفاء بما يقيم البدن.

٧-كثر الصدقة وإطعام الطعام، فإن النبي ﷺ كان في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة.

٨-تلاوة القرآن ومدارسته، فقد كان جبريل يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان.

٩-صلاة التراويح مع المسلمين في المساجد وإتمامها كاملة مع الإمام.

١٠-زيادة العبادة في العشر الأواخر من رمضان، وتحري ليلة القدر في الوتر منها.

١١-الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان.

النوم طوال ساعات النهار

*سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين: ما حكم النوم طوال ساعات نهار رمضان، وإذا كان يستيقظ لأداء الفرض ثم ينام فما الحكم؟

*فأجاب: هذا السؤال تضمن حالين:

الحال الأولى: رجل ينام طوال النهار، ولا يستيقظ، ولا شك أن هذا جان على نفسه، وعاص لله عز وجل بتركه الصلاة في أوقاتها، فعليه أن يتوب إلى الله عز وجل، وأن يقوم، ويؤدي الصلاة

في أوقاتها حسب ما أمر به.

أما الثانية: وهي حال من يقوم ويصلي الصلاة المفروضة في وقتها ومع الجماعة، فهذا ليس بإثم، لكنه فوت على نفسه خيرا كثيراً، لأنه ينبغي للصائم أن يشتغل بالصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن حتى يجمع في صيامه عبادات شتى. [فتاوى الصيام].

يصوم وهو تارك للصلاة.

*سئل سماحة الشيخ ابن باز: ما حكم من يصوم، وهو تارك للصلاة؟

*فأجاب: الصحيح أن تارك الصلاة عمداً يكفر بذلك كفرا أكبر، وبذلك لا يصح صومه، ولا بقية عباداته حتى يتوب إلى الله سبحانه، لقول الله عز وجل: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[الأنعام:٨٨] وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث. [مجموع فتاوى ابن باز].

حكم من أفطر رمضان بدون عذر

*سئل سماحة الشيخ ابن باز: ما حكم من أفطر رمضان بدون عذر، وهو غير منكر لوجوبه؟

*فأجاب: من أفطر في رمضان عمداً لغير عذر شرعي، فقد أتى كبيرة من الكبائر، ولا يكفر بذلك في أصح أقوال العلماء، وعليه التوبة إلى الله سبحانه مع القضاء، والأدلة الكثيرة تدل على أن ترك

الصيام ليس كفراً أكبر إذا لم يجحد الوجوب، وإنما أفطر تساهلا وكسلاً، وعليه إطعام مسكين عن كل يوم إذا تأخر القضاء إلى رمضان آخر من غير عذر شرعي.

[مجموع فتاوى ابن باز]

يصوم ويصلي في رمضان فقط

*سئلت اللجنة الدائمة: ما حكم من يصوم ويصلي في رمضان فقط، ويترك الصلاة بمجرد انتهاء شهر رمضان؟

*فأجابت: الصلاة ركن من أركان الإسلام، وهي آكد الأركان بعد الشهادتين،، وهي من فروض الأعيان، ومن تركها جاحداً لوجوبها، أو تركها تهاوناً وكسلاً فقد كفر. أما الذين يصومون رمضان، ويصلون في رمضان فقط، فهذا مخادعة لله، فبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان، فلا يصح لهم صيام مع تركهم الصلاة في غير رمضان. [فتاوى إسلامية].

حكم صيام من أكل وقت الأذان

*سئل سماحة الشيخ ابن باز: ما الحكم الشرعي للصيام فيمن سمع أذان الفجر، واستمر في الأكل والشرب؟

*فأجاب: الواجب على المؤمن أن يمسك عن المفطرات من الأكل والشرب وغيرهما إذا تبين له طلوع الفجر، وكان الصوم فريضة كرمضان وصوم النذور والكفارات، لقول الله عز وجل:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[البقرة:١٨٧]، فإذا سمع الأذان، وعلم أنه يؤذن على الفجر وجب عليه الإمساك، فإن كان المؤذن يؤذن قبل طلوع الفجر لم يجب عليه الإمساك، وجاز له الأكل والشرب، حتى يتبين له الفجر، فإن كان لا يعلم حال المؤذن هل أذن قبل الفجر أو بعده، فإن الأولى والأحوط له أن يمسك إذا سمع الأذان، ولا يضره لو شرب أو أكل شيئا حين الأذان، لأنه لم يعلم بطلوع الفجر [فتاوى إسلامية].

أمور تهم الصائم

بلع الصائم للعاب

*سئل سماحة الشيخ ابن باز: ما حكم بلع الصائم للعاب؟

*فأجاب: اللعاب لا يضر الصوم؛ لأنه من الريق، فإذا بلع، فلا بأس، وإذا بصق فلا بأس. أما البلغم الغليظ، فيجب على الرجل والمرأة إخراجه وعدم ابتلاعه. [فتاوى الصيام].

السواك في رمضان

*سئل الشيخ ابن عثيمين: عمن يتحرز من استعمال السواك في نهار رمضان؟

*فأجاب: التحرز من السواك في نهار رمضان أو في غيره من الأيام التي يكون الإنسان فيها صائما لا وجه له ؛ لأن السواك سنة

في الصيام وفي غيره، وليس مفسداً للصوم، إلا إذا كان له طعم وأثر في ريقك، فإنك لا تبتلع طعمه، وكذلك لو خرج بالتسوك دم من اللثة، فإنك لا تبتلعه، وإذا تحرزت في هذا، فإنه لا يؤثر في الصيام شيئاً. [فتاوى إسلامية].

الاحتلام- الدم - القيء

*سئل سماحة الشيخ ابن باز: كنت صائما، ونمت في المسجد، وبعدما صليت وجدت أني محتلم، فهل يبطل ذلك صيامي؟ ومرة أخرى أصابني حجر في راسي وسال منه الدم، فهل أفطر بسبب الدم؟ وهل القيء يفسد الصوم؟

*فأجاب: الاحتلام لا يفسد الصوم؛ لأنه ليس باختيار العبد، ولكن عليه غسل الجنابة إذا خرج منه مني. والحجر الذي أصاب رأسك حتى أسال الدم لا يبطل صومك، وهذا القيء الذي خرج منك بغير اختيارك لا يبطل صومك؛ لقول النبي ﷺ: «**من ذرعه القيء، فلا قضاء عليه، ومن استقاء، فعليه القضاء**» [رواه أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح].

*وسئل سماحته، هل خروج المذي لأي سبب كان يفطر الصائم أم لا؟

*فأجاب: لا يفطر الصائم بخروجه منه في أصح قولي العلماء. [مجموع فتاوى ابن باز].

الطيب

*وسئل الشيخ ابن عثيمين: ما حكم استعمال الصائم للروائح العطرية في نهار رمضان.

*فأجاب: لا بأس أن يستعملها في نهار رمضان، وأن يستنشقها إلا البخور لا يستنشقه ؛ لأن له جرماً يصل إلى المعدة، وهو الدخان. [فتاوى الصيام].

معجون الأسنان والقطرة

*سئل سماحة الشيخ ابن باز: ما حكم استعمال معجون الأسنان، وقطرة الأذن والأنف والعين للصائم؟

*فأجاب: تنظيف الأسنان بالمعجون لا يفطر به الصائم كالسواك، وعليه التحرز من ذهاب شيء منه إلى جوفه، فإن غلبه شيء من ذلك بدون قصد، فلا قضاء عليه، وهكذا قطرة العين والأذن في أصح قولي العلماء، فإن وجد طعم القطور في حلقة، فالقضاء أحوط، ولا يجب ؛ لأنهما ليسا منفذين للطعام والشراب، أما القطرة في الأنف، فلا يجوز، لأن الأنف منفذ.

دخول الماء إلى الحلق دون قصد

*سئل الشيخ ابن عثيمين: إذا تمضمض الصائم أو استنشق، فدخل إلى حلقه ماء دون قصد، هل يفسد صومه؟

*فأجاب: إذا تمضمض الصائم أو استنشق فدخل الماء إلى جوفه لم يفطر، لأنه لم يتعمد ذلك لقوله تعالى ك ﴿**وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾[الأحزاب:٥] [فتاوى الصيام].

***ومما أجازه العلماء أيضا في نهار رمضان:**

١-بخاخ الفم المستخدم لعلاج مرض الربو.

٢-الكحل غير أن استعماله في الليل أفضل في حق الصائم.

٣-الإبر التي ليست للتغذية سواء كانت في الوريد أو العضل، وكذلك أخذ الدم اليسير للتحليل.

٤-أخذ الحقنة الشرجية للحاجة لعدم مشابهتها للأكل والشرب.

٥-تذوق الطعام للحاجة بأن يجعله على طرف لسانه؛ ليعرف حلاوته وملوحته، ولكن لا يبتلع منه شيئا.

٦-ومما لا يفسد الصوم: الأكل والشرب ناسياً، لكن إذا تذكر فعليه أن يكف ويخرج ما في فمه.

٧-تقبل الزوجة ممن يملك نفسه، فإذا لم يملك نفسه ونزل منه المني عن شهوة بطل صومه سواء حصل عن مباشرة أو قبله أو تكرار نظر أو غير ذلك من الأسباب التي تثير الشهوة كالاستمناء ونحوه.

من هدي النبي ﷺ في الصيام

*قال الإمام ابن القيم: كان ﷺ يفطر قبل أن يصلي، وكان من هديه إسقاط القضاء عمن أكل أو شرب ناسياً، وصح عنه أنه كان يستاك، وهو صائم، وكان يتمضمض ويستنشق، وهو صائم، ومنع الصائم من المبالغة في الاستنشاق، ولا يصح أنه احتجم، وهو صائم. [زاد الميعاد].

أمر الصبي بالصيام

*سئل سماحة الشيخ ابن باز: هل يؤمر الصبي المميز بالصيام؟ وهل يجزئ عنه لو بلغ في أثناء الصيام؟

*فأجاب: الصبيان والفتيات إذا بلغوا سبعا فأكثر يؤمرون بالصيام؛ ليعتادوه، وعلى أولياء أمورهم أن يأمروهم بذلك، كما يأمرونهم بالصلاة، فإذا بلغوا الحلم وجب عليهم الصوم، وإذا بلغوا في أثناء النهار أجزأهم ذلك اليوم، فلو فرض أن الصبي أكمل الخامسة عشرة عند الزوال، وهو صائم ذلك اليوم أجزأه ذلك، وكان أول النهار نفلا وآخره فريضة إذا لم يكن بلغ قبل ذلك بإنبات الشعر الخشن حول الفرج، وهو المسمى العانة، أو بإنزال المني عن شهوة، وهكذا الفتاة الحكم فيها سواء، إلا أن الفتاة تزيد أمرا رابعا يحصل به البلوغ، وهو الحيض. [مجموع فتاوى ابن باز].

مفسدات الصوم

*قال الشيخ ابن عثيمين: مفسدات الصوم سبعة:

***أحدها**: الجماع، فمتى جامع الصائم فسد صومه، ثم إن كان في نهار رمضان والصوم واجب عليه لزمته الكفارة المغلظة لفحش فعله، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

***الثاني**: إنزال المني بمباشرة، أو تقبيل، أو ضم، أو نحوها.

***الثالث**: الأكل والشرب سواء كان عن طريق الفم أو الأنف.

***الرابع**: ما كان بمعنى الأكل والشرب مثل الإبر المغذية.

***الخامس**: إخراج الدم بالحجامة أو الفصد.

***السادس**: التقيؤ عمداً.

***السابع**: خروج دم الحيض أو النفاس. [فصوم في الصيام والتراويح باختصار].

***وزاد بعض العلماء**: الردة عن الإسلام، وهي تحبط جميع الأعمال، ومنها الصيام.

من يباح لهم الفطر في رمضان

*يباح الفطر في رمضان لهؤلاء:

١-المريض الذي يتضرر به.

٢-المسافر الذي له القصر، فالفطر لهما أفضل، وعليهما القضاء، وإن صاما أجزأهما، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾[البقرة:١٨٤].

٣-الحائض والنفساء: تفطران وتقضيان وإن صامتا لم يجزئهما.

٤-الحامل والمرضع: إذا خافتا على ولديهما أفطرتا، وعليهما القضاء، وأطعمتا عن كل يوم مسكيناً، وإن صامتا أجزأهما، وإن خافتا على نفسيهما أفطرتا، وعليهما القضاء فقط.

٥-العجز عن الصوم: لكبر أو مرض لا يرجى شفاؤه، فإنه يفطر، ويطعم عن كل يوم مسكينا. [رسالة رمضان باختصار].

*وقد الحق الفقهاء مجموعة من أصحاب الأعذار منهم:

١-الهرم الذي بلغ الهذيان، وسقط تمييزه، فلا يجب عليه الصيام، ولا الإطعام عنه؛ لسقوط التكليف عنه بزواله تمييزه.

٢-من احتاج للفطر لدفع ضرورة غيره كإنقاذ مسلم من غرق أو حريق أو هدم أو نحوه بحيث لا يتم إنقاذه إلا بفطره.

٣-من غلبه الجوع والعطش حتى خيف عليه الهلاك.

٤-من أكره على الفطر إكراها ملجئا، فهذا يفطر، وعليه القضاء، ولا شيء عليه إذا كان من أكرهه قادراً على إنزال الضرر به لو لم يمتثل. [الصيام أحكام وآداب باختصار].

حكم صيام من لا يرجى برؤه

*سؤال: ما حكم مريض السل الذي يشق عليه الصوم في رمضان علما بأنه لا يرجى برؤه؟

*جواب: إذا كان هذا المريض لا يقوى على صيام رمضان، وكان لا يرجى برؤه سقط عنه الصيام، ووجب عليه أن يطعم عن كل يوم أفطره مسكيناً، يعطيه نصف صاع من بر أو تمر أو أرز ونحو ذلك مما اعتاد أهله أن يأكلوا من الطعام مع القدرة على ذلك، كالشيخ الكبير، والعجوز الكبيرة اللذين يشق عليهما الصوم. [اللجنة الدائمة – فتاوى إسلامية].

حكم إفطار العامل

*سؤال: سمعت خطيبا أجاز الفطر للعامل الذي أجهده العمل، فهل هذا صحيح؟

*جواب: لا يجوز للمكلف أن يفطر في نهار رمضان لمجرد كونه عاملاً، لكن إن لحق به مشقة عظيمة اضطرته إلى الإفطار أثناء النهار، فإنه يفطر بما يدفع المشقة، ثم يمسك إلى الغروب، ويفطر مع الناس، ثم يقضي ذلك اليوم الذي أفطره، [اللجنة الدائمة – فتاوى إسلامية].

المرأة إذا طهرت بعد الفجر مباشرة

*سؤال: إذا طهرت المرأة بعد الفجر مباشرة، هل تمسك

وتصوم هذا اليوم ويحتسب لها، أم يجب عليها قضاء ذلك اليوم؟

***جواب**: إذا انقطع الدم منها وقت طلوع الفجر أو قبله بقليل صح صومها وأجزأ عن الفرض، ولو لم تغتسل إلا بعد أن أصبح الصبح، أما إذا لم ينقطع إلا بعد أن تبين الصبح، فإنها تمسك ذلك اليوم، ولا يجزئها، بل تقضيه بعد رمضان، والله أعلم. [ابن جبرين- فتاوى إسلامية].

تناول حبوب منع الحيض في رمضان

***سؤال**: ما حكم تناول النساء لحبوب منع الحيض لمنع الدورة الشهرية؟

***جواب**: الذي أراه في هذه المسألة ألا تفعله المرأة، وتبقى على ما قدره الله عز وجل وكتبه على بنات آدم، فإن هذه الدورة الشهرية لله تعالى حكمة في إيجادها، فإذا أتاها الحيض تمسك عن الصوم والصلاة، وإذا طهرت تستأنف الصيام والصلاة، وإذا انتهى رمضان تقضي ما فاتها من الصوم.

[ابن عثيمين – فتاوى إسلامية].

حكم تأخير قضاء رمضان

***سؤال**: هل يجوز تأجيل صيام قضاء رمضان إلى فصل الشتاء؟

***جواب**: يجب قضاء صيام رمضان على الفور بعد التمكن وزوال العذر، ولا يجوز تأخيره بدون سبب مخافة العوائق من مرض

أو سفر أو موت، ولكن لو أخره فصامه في الشتاء وفي الأيام القصيرة أجزأه ذلك، وأسقط عنه القضاء.

[ابن جبرين – فتاوى الصيام]

صلاة التراويح

*قال الشيخ ابن عثيمين: التراويح: قيام الليل جماعة في رمضان، ووقتها بعد العشاء إلى طلوع الفجر، وقد رغب النبي ﷺ في قيام رمضان، حيث قال: «**من قام رمضان إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

*والسنة في التراويح أن يقتصر على إحدى عشرة ركعة، يسلم من كل ركعتين، لأنه عائشة رضي الله عنها سئلت: كيف كانت صلاة النبي ﷺ في رمضان ؟ فقالت: «**ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشر ركعة**»[متفق عليه].

*وإن زاد على إحدى عشرة ركعة، فلا حرج؛ لأن النبي ﷺ سئل عن قيام الله فقال: «**مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى** » [متفق عليه]. لكن المحافظة على العدد الذي جاءت به السنة مع التأني والتطويل الذي لا يشق على الناس أفضل وأكمل.

*وكثير من الأئمة لا يتأنى في صلاة التراويح، وهذا خطأ منهم، فإن الإمام لا يصلي لنفسه فقط، وإنما يصلي لنفسه ولغيره.

*وينبغي للناس أن يحرصوا على إقامة هذه التراويح. وألا

يضيعوها بالذهاب من مسجد إلى مسجد، فإن من قام مع الإمام حتى ينصرف كتبت له قيام ليلة، وإن نام بعدُ على فراشه.

*ولا بأس بحضور النساء صلاة التراويح إذا أمنت الفتنة، بشرط أن يخرجن محتشمات غير متبرجات بزينة، ولا متطيبات.

[فصول في الصيام والتراويح والزكاة].

فتاوى في التراويح والسحور

حكم صلاة التراويح:

*سئل فضيلة الشيخ ابن جبرين: هل صلاة التراويح سنة فقط أم سنة مؤكدة؟

*فأجاب: هي سنة مؤكدة، حث النبي ﷺ عليها بقوله: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

حكم القراءة من المصحف في التراويح

*سئل سماحة الشيخ ابن باز: ما حكم القراءة من المصحف في صلاة التراويح؟

*فأجاب: لا حرج في القراءة من المصحف في قيام رمضان لما في ذلك من إسماع المأمومين جميع القرآن، ولأن الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة قد دلت على شرعية قراءة القرآن في الصلاة، وهي تعم قراءته من المصحف، وعن ظهر قلب.

[مجموع فتاوى ابن باز].

دعاء القنوت

*وسئل سماحة الشيخ ابن باز عن حكم دعاء القنوت في الوتر من ليالي رمضان، وهل يجوز تركه؟

*فأجاب: القنوت سنة في الوتر إذا تركه في بعض الأحيان، فلا بأس.

التنقل بين المساجد

*وسئل سماحته عن حكم التنقل بين المساجد كل ليلة طلبا لحسن الصوت؟

*فأجاب: لا أعلم في هذا بأساً، وإن كنت أميل إلى أنه يلزم المسجد الذي يطمئن قلبه فيه، ويخشع فيه، لأنه قد يذهب إلى مسجد آخر لا يحصل له فيه ما حصل في الأول من الخشوع والطمأنينة.[مجموع فتاوى ابن باز].

الأفضل متابعة الإمام حتى ينصرف

*وسئل سماحته عمن يصلي مع الإمام عشر ركعات فقط، وينصرف؟

*فأجاب: السنة الإتمام مع الإمام، ولو صلى ثلاثاً وعشرين؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب الله له قيام ليلته**» وفي اللفظ الآخر: «**بقية ليلته**». والثلاث والعشرون

فعلها عمر ﷺ والصحابة، فليس فيها نقص، وليس فيها إخلال، بل هي من سنن الخلفاء الراشدين.

[مجموع فتاوى ابن باز].

*سئل سماحة الشيخ ابن باز: إنسان نام قبل السحور في رمضان وهو على نية السحور حتى الصباح، فهل صيامه صحيح؟

*فأجاب: صيامه صحيح؛ لأن السحور ليس شرطاً في صحة الصيام، وإنما هو مستحب، لقول لنبي ﷺ: «**تسحروا، فإن في السحور بركة**» [متفق عليه] [مجموع فتاوى ابن باز].

*وسئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين: ما المقصود ببركة السحور الواردة في الحديث؟

*فأجاب: بركة السحور المراد بها البركة الشرعية والبركة البدنية، أما البركة الشرعية، فمنها امتثال أمر الرسول ﷺ والاقتداء به، وأما البركة البدنية، فمنها تغذية البدن وتقويته على الصوم. [فتاوى الصيام].

اغتنم الفرصة

***أخي المسلم:**

*للعمرة في رمضان ثواب عظيم، فقد قال النبي ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**، أو قال: **حجة معي**» [رواه البخاري].

*واعلم – أخي الحبيب – أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وأن الصلاة في المسجد النبي بألف صلاة، فاغتنم هذه

الأجور، وحصل هذه الأرباح، وشمر عن ساعد الجد عسى أن تكون من الفائزين.

*سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين: هل يعتبر ختم القرآن في رمضان للصائم أمراً واجباً؟

*فأجاب: ختم القرآن في رمضان للصائم ليس بأمر واجب، ولكن ينبغي للإنسان في رمضان أن يكثر من قراءة القرآن، كما كان ذلك سنة رسول الله ﷺ فقد كان عليه الصلاة والسلام يدارسه جبريل القرآن كل رمضان. [ابن عثيمين].

*سئل فضيلة الشيخ ابن جبرين: هل يكون قيام الليل في شهر رمضان المبارك فقط أم في جميع أيام السنة؟ ومن أي ساعة يبدأ وإلى أي ساعة ينتهي؟ وهل يكون القيام صلاة فقط أم صلاة وقراءة القرآن الكريم؟

*فأجاب: قيام الليل بالصلاة والتهجد سنة وفضيلة حافظ عليه النبي ﷺ وصحابته كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ**﴾ [المزمل: ٢٠].

وليس خاصاً بشهر رمضان، ووقته ما بين العشاء والفجر، لكن الصلاة آخر الليل أفضل، وإن صلى وسطه، فله أجر، والأولى أن يكون عقب النوم أو في النصف الأخير من الليل، والله أعلم. [ابن جبرين].

العشر الأواخر

*في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول

الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله) [لفظ البخاري] وفي رواية لمسلم عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره).

*قال الحافظ ابن رجب: كان النبي ﷺ يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر منها:

١-إحياء الليل، فيحتمل أن المراد إحياء الليل كله.

٢-ومنها أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيرها من الليالي.

٣-ومنها أن النبي ﷺ كان يشد المئزر، والصحيح أن المراد اعتزاله للنساء.

٤-ومنها الاعتكاف. [لطائف المعارف باختصار].

الاعتكاف

*في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله.

*وكان النبي ﷺ يعتكف في هذه العشر التي تطلب فيها ليلة القدر قطعا لأشغاله، وتفريغا لباله، وتخليا لمناجاة ربه وذكره ودعائه، وكان يحتجر حصيراً يتخلى فيها عن الناس، فلا يخالطهم، ولا يشتغل بهم، وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية، وإنما يكون في المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات، فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهي عنها. فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة

الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه.

يـــا رجـــال الليـــل جـــدوا
رب داع لا يـــــــــــــرد
مــــا يقـــــوم الليـــــل إلا
مـــن لـــه عـــزم وجـــد

[لطائف المعارف – باختصار]

حكم الاعتكاف وشروطه

*سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين هل الاعتكاف في شهر رمضان سنة مؤكدة، وما شروطه؟

*فأجاب: الاعتكاف في رمضان سنة، فعله النبي ﷺ في حياته، واعتكف أزواجه من بعده، وحكى أهل العلم إجماع العلماء على أنه مسنون. ولكن الاعتكاف ينبغي أن يكون على الوجه الذي من أجله شرع، وهو أن يلزم الإنسان مسجداً لطاعة الله سبحانه وتعالى، بحيث يتفرغ من أعمال الدنيا إلى طاعة الله، بعيداً عن شئون دنياه، ويقوم بأنواع الطاعة من صلاة وذكر وغير ذلك، وكان رسول الله ﷺ يعتكف ترقباً لليلة القدر.

*والمعتكف يبعد عن أعمال الدنيا، فلا يبيع، ولا يشتري، ولا يخرج من المسجد، ولا يتبع جنازة، ولا يعود مريضا، ولكن إذا زاره أحد من أهله وتحدث عنده، فذلك لا بأس به، فقد ورد عن

النبي ﷺ أنه زارته صفية، وهو معتكف فتحدثت عنده. [فتاوى إسلامية].

ليلة القدر

*قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾[القدر]. فأخبر سبحانه أن العبادة فيها وإحياءها بالطاعة والصلاة والقراءة والذكر والدعاء يعدل عبادة ألف شهر ليس في شهر منها ليلة القدر، والألف شهر: ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر. وقال النبي ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**» [متفق عليه] أي: في الليالي الفردية.

*وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء والاستغفار والتوبة إلى الله تعالى، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني**» [الترمذي وقال:حسن صحيح].

*قال ابن رجب: وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر؛ لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملا صالحاً، ولا حالاً ولا مقالاً،

فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنبين المقصرين.

إن كان رضاكم في سـهري
فسـلام الله علـى وسـني

طبقات الصائمين

*قال ابن رجب: الصائمون على طبقتين:

إحداهما: من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى، يرجو عنده عوض ذلك في الجنة، فهذا قد تاجر مع الله وعامله، والله تعالى لا يضيع من أحسن عملاً.

الطبقة الثانية: من يصوم في الدنيا عما سوى الله، فيحفظ الرأس، وما حوى، ويحفظ البطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى، ويريد الآخرة، فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته.

*فيا معشر التائبين، صوموا اليوم عن شهوات الهوى، لتدركوا عيد الفطر يوم اللقاء، لا يطولن عليكم الأمد باستبطاء الأجل، فإن معظم نهار الصيام قد ذهب، وعيد اللقاء قد اقترب.

رمضان شهر القرآن

*لشهر رمضان خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ**﴾ [البقرة:١٨٥] وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما

يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة.

فدل هذا الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان. [لطائف المعارف].

رمضان شهر الجود

*دل الحديث السابق على أن النبي ﷺ كان يضاعف جودة في رمضان، وذلك لما يلي:

١-شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه.

٢-إعانة للصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم.

٣-الجزاء من جنس العمل، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل.

٤-الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، وهو أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها، وخصوصاً إن ضم إلى ذلك قيام الليل.

٥-أن الصدقة تجبر ما في صيام العبد من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طُهْرة للصائم من اللغو والرفث.

رمضان والمرأة

*هذه بعض الوصايا همس بها إلى الأخت المسلمة في رمضان؛ لتكون من الفائزات في شهر القرآن:

*احرصي على أداء الصلوات في وقتها، وداومي على أذكار الصلاة وأذكار الصباح والمساء، واعلمي أنك لو جلست تذكرين الله بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس ثم صليت ركعتين، فإن لذلك أجرا عظيما كأجر حجة وعمرة تامة، كما ورد في الحديث.

*لا تفرطي في السنن الراتبة، وهي اثنتا عشرة ركعة، ركعتان قبل الفجر، وأربع ركعات قبل الظهر، وركعتان بعده، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، قال ﷺ: «**ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة، إلا بنى الله تعالى له بيتا في الجنة**» [رواه مسلم].

*رمضان فرصة عظيمة فاغتنميها، فكم من أناس صاموا معنا في الأعوام السابقة، ولكنهم الآن تحت التراب أو منعهم العجز أو المرض عن الصيام، فبادري بالأعمال الصالحة، واعلمي أن دخول رمضان عليك وأنت في صحة وعافية نعمة عظيمة تستحق الشكر لله تعالى.

*رمضان شهر القرآن، فعليك أن تحرصي على قراءة القرآن فيه، ولتجعلي لنفسك كل يوم جزءاً على الأقل، ولتحرصي على سماعه، وأنت تؤدين أعمال المنزل.

*رمضان شهر الغفران، لله تعالى عتقاء من النار في كل يوم وليلة من أيامه ولياليه كما جاء في الحديث الصحيح، فاحرصي على أن تكوني من عتقائه ومن المرحومين.

*رمضان شهر حافظ اللسان عن الكلام المحرم كالسب والشتم والغيبة والنميمة، واعلمي أن هذا الكلام ينقص من أجر الصائم، وعليك أن تعرضي عن الجاهلين، وتكوني كما قال النبي ﷺ: «...**فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم، إني صائم**».

*رمضان شهر الصدقة، فاحرصي على التصدق مما مَنَّ الله به عليك، وكوني كما كان النبي ﷺ في رمضان، حيث كان أجود الناس بل أجود من الريح المرسلة.

*رمضان شهر الدعاء، فيه تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، ويندحر الشيطان، وينادي مناد: يا باغي الخير، أقبل، ويا باغي الشر، أدبر، فاحرصي – أختي – على كثرة الدعاء فيه.

*رمضان شهر القيام، فاحرصي عليه، وإن أردت الصلاة في المسجد، فعليك الالتزام بآداب الخروج من ستر وعدم تطيب، واحذري أن تؤذي المصلين بأطفالك.

*رمضان فرصه لتزكية النفس وتطهيرها، وتعويدها على الطاعة، واعلمي أن رب رمضان هو رب سائر الشهور والأيام، فلا تكوني طائعة في رمضان، عاصية في غيره، عابدة لله فيه، لاهية في باقي الشهور.

*احرصي على تنظيم وقتك، فلا تضيعيه كله في النوم

والكسل، أو بالجلوس أمام التلفاز لمشاهدة المسلسلات أو الأفلام.

*ليلة القدر خير من ألف شهر، فاحرصي على تحري وقتها، ولتكن لك أسوة في أم المؤمنين عائشة التي كانت حريصة على ليلة القدر وما تقول فيها، حيث سألت النبي ﷺ عما تقوله فيها، فقال لها: «**قولي: اللهم، إنك عفو تحب العفو، فاعف عني**»[رواه الترمذي والنسائي].

*زكاة الفطر طهرة للصائم، وطعمة للجائع والفقير، فاحرصي على أدائها قبل صلاة العيد.

*اسألي الله تعالى أن يتقبل منا ومنك الصيام والقيام وصالح الأعمال، واحذري أن تكوني من الخاسرات في شهر الغفران، فكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا التعب.

*المعصية في رمضان عظيمة كما أن الطاعة أجرها عظيم، فاحذري من عصيان الله في رمضان وفي غيرها.

*إذا جاءك دم الحيض في رمضان فلا تحزني، واعلمي أن هذا أمر مكتوب على بنات آدم، فاحتسبي الأجر عند الله تؤجري.

*إذا مر رمضان وانتهت أيامه المباركة، فادعي الله تعالى أن يعيده عليك مرات ومرات.

وداعاً رمضان!

*إخواني:

*كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من رده، وهؤلاء الذين ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[المؤمنون:٦٠].

*قال علي بن أبي طالب ﷺ: كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل.

*وقال بعض السلف الصالح: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان، ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم.

*وعن الحسن قال: إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر المبطلون!

*وكان علي ﷺ ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: يا ليت شعري، من هذا المقبول فنهنيه؟ ومن هذا المحروم فنعزيه؟!

*فيا من أعتقه مولاه من النار، إياك أن تعود بعد أن صرت حراً إلى رق الأوزار.. أيبعدك مولاك عن النار وأنت تتقرب منها؟ وينقذك وأنت توقع نفسك فيها؟

*عباد الله، إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل، ولم يبق منه إلا القليل، فمن منكم أحسن فيه فعليه التمام، ومن كان فرط

فليختمه بالحسنى، فالعمل بالختام، فاغتنموا منه ما بقي من الليالي اليسيرة والأيام، واستودعوه عملاً صالحاً يشهد لكم به عند الملك العلام، وودعوه عند فراقه بأزكى تحية وسلام.

زكاة الفطر

*قال الشيخ ابن عثيمين: زكاة الفطر فريضة، فرضها رسول الله ﷺ عند الفطر من رمضان. قال عبد الله بن عمر: (فرض رسول الله ﷺ الفطر من رمضان على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين) [متفق عليه].

*وهي صاع من طعام مما يقتاته الآدميون.. فلا تجزئ من الدراهم والفرش واللباس وأقوات البهائم والأمتعة وغيرها ؛ لأن ذلك خلاف ما أقر به النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**» أي: مردود عليه. ومقدار الصاع كيلوان وأربعون غراماً من البر الجيد.

*ويجب إخراج الفطرة قبل صلاة العيد، والأفضل إخراجها يوم العيد قبل الصلاة، وتجزئ قبله بيوم أو يومين فقط، ولا تجزئ بعد العيد لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ «**فرض زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة، فهي صدقة من الصدقات**» [رواه أبو داود وابن ماجة] ولكن لو لم يعلم بالعيد إلا بعد الصلاة، أو كان وقت إخراجها في بر أو بلد

ليس فيه مستحق أجزأ إخراجها بعد الصلاة عند تمكنه من إخراجها. [فصول في الصيام والتراويح والزكاة]

العيد لمن؟

* أخي المسلم..

* العيد هو موسم الفرح والسرور، وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا إنما هي بمولاهم إذا فازوا بإكمال طاعته، وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته، كما قال سبحانه: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٥٨].

*قال بعض السلف: ما فرح أحد بغير الله إلا بغفلته عن الله، فالغافل يفرح بلهوه وهواه، والعاقل يفرح بمولاه.

*ليس العيد لمن لبس الجديد، إنما العيد لمن طاعاته تزيد.

*ليس العيد لمن تجمل باللباس والمركوب، إنما العيد لمن غفرت له الذنوب.

فاللهم، اغفر لنا ذنوبنا، وتقبل صيامنا وقيامنا، واختم بالصالحات أعمالنا، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

المصادر

١-زاد المعاد، لابن القيم.
٢-لطائف المعارف، لابن رجب.
٣-مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز.
٤-فتاوى إسلامية جمع محمد المسند.
٥-رسالة رمضان، للشيخ عبد الله الجار الله.
٦-الصيام آداب وأحكام، للشيخ عبد الله الجبرين.
٧-فصول في الصيام والتراويح والزكاة، للشيخ ابن عثيمين.
٨-الصيام أحكام وآداب، للدكتور عبد الله الطيار.
٩-بين يدي رمضان، للشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل.
١٠-صيام رمضان، للشيخ محمد بن جميل زينو.
١١- ٧٠ مسألة في الصيام، للشيخ محمد المنجد.

رمضان غيّرني

كتبه

عادل عبد العزيز المحلاوي

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله أن بلغك الله رمضان، واصطفاك بهذا العطاء، فكم حرم منه من أناس، ومنع منه من خلق، وارهم الموت تحت الثرى، وأصبحوا خبرا بعد عين وأثرا بعد ذات، يا من بلغت رمضان، وصرت من أهل الصيام والقيام، إن نعمة بلوغ الشهر لا يقدر قدرها إلا من عرف فضله، ورأى مزاياه العظام المنوه بذكره، ويكفيك من ذلك قول الباري في بيان مكانته وشرفه ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

لقد كانت بركة هذا الشهر عظيمة على كثير من المسلمين، فقد كان سببا لكثير منهم في الازدياد من الخيرات، ومنطلقا لجم غفير منهم في الإكثار من القربات، وسببا للتغير والتحول من المعصية إلى الطاعة، ومن الفساد إلى الصلاح.

رمضان غيرني

أريدك تحمل هذا الشعار في رمضان هذا العام، لأنك ستسعد بخيراته عليك، يوم ترى نفسك وقد أصبحت من أهل الصلاح، ومن مرتادي المساجد وأماكن الفلاح، فيمتلئ قلبك فرحاً ورضا عن مولاك، إذ وفقك لهذا، واصطفاك لهذا الخير، كيف لا تفرح وقد أصبحت من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين. وأعيذك أن

تكون ممن يندم في آخره، يوم ضيع هذه الفرصة، وفرط في هذا الموسم.

ولقد رأيت – يا رعاك الله – خلقا ممن بقي في قلوبهم بقية حياة، فندموا في ختامه في ساعة لا ينفع فيها الندم، ولم تفد فيها الحسرات.

لماذا (غيرني رمضان)؟

لقد غيرني رمضان؛ لأنه شهر نزول الرحمات والبركات فالرحمة تشمل الناس كلهم فكيف لا تشملني!

ونفحات المغفرة تحيط بالعباد جلهم فكيف لا تحيط بي، لقد أيقنت أني محروم إن لم تدركني تلك الرحمة، وعلمت أني سابقي في شقاء إن لم أتعرض لتلك النفحات.

جاء في سنن الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان، ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة»**.

أف للذنوب ما أثقلها على أصحابها، وما أشد وطئها على من عجز أن يتخلص منها:

رأيت الذنوب تميت القلوب
وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب
وخير لنفسك عصيانها

لقد أيقنت أنه آن لي أن أجدد التوبة هذه الأيام، وأعمل لإصلاح شأني وعلاقتي مع ربي، ومراجعة حالي مع سائر الطاعات، إن هذا الشهر الكريم فرصة للتزود من القربات لكثرة العاملين، وللأجواء الإيمانية المشجعة للعمل الصالح، فلذا عزمت على أن يكون رمضان بداية الانطلاقة للجد في الطاعات والتزود منها لداري الحقيقية ومصيري الأبدي؟

(رمضان غيرني) نعم

فأصبحت من المصلين، والمؤدين لها في جماعة المسجد بعد أن كنت هاجراً لها.

كم كانت رحمة الله بي يوم أمهلني حين كنت تاركاً لها مفرطاً في أدائها ليأتي رمضان ويبلغني الله برحمته هذا الشهر، فأحافظ عليها وأكون من أهلها، كيف وهي عمود الإسلام، وأعظم أركانه بعد الشهادتين.

لقد كان رمضان فاتحة خير لي مع هذا الفرض العظيم، وكانت الصور التي أراها أعظم حافز لي، فهاهي المساجد ممتلئة بالمصلين كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، كم هي المناظر الجملية بهؤلاء الركع السجود.

لقد كانت الصلاة ثقيلة عليّ لا أحافظ على فروضها كل يوم، وكنت كثير النوم عن صلاة الفجر والعصر مع ما جاء من التحذير في تركها مع الجماعة، حتى همّ النبي عليه الصلاة والسلام بتحريق بيوت المتخلفين عنها، فقد جاء في صحيح مسلم رحمه الله من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرّق عليهم بيوتهم بالنار**».

لقد بلغني من شدة حرص النبي عليه الصلاة والسلام على أمته في أن يشهدوها أنه كان يقول في كثير من الأحيان في صلاة الفجر: «**أشاهد فلان**»؟ قالوا: لا، قال: «**أشاهد فلان؟**» قالوا: لا. قال: «**إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيها لأتيتموهما ولو حبواً على الركب**» [صحيح الترغيب برقم ٤١٩ حسن لغيره].

فانظر – يا من هو حاله كحالي – كيف نعرض أنفسنا للعقوبة بترك هذه الفريضة، إن فريضة الصلاة كرامة من الله للمؤمنين، فبها تكفر الذنوب، وبسببها ترفع الدرجات، وهي السبب الأعظم لرضا الله عن عبده، وأعظم معين له في هذه الحياة، ألم يقل الله في كتابه ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾ [البقرة:٤٥].

ومن فضل الله على العباد أيضا في هذه العبادة أن شرع لها نوافلًا، فجعل منها صلاة لليل – وهي أعظمها – وصلاة للنهار، وأوصي عليه الصلاة والسلام أمته بالإكثار من نافلتها وجعلها أفضل الأعمال فقال: «**استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن من أفضل أعمالكم الصلاة** » صحيح ابن ماجه.

وشرع لنا صلاة التراويح في رمضان التي هي سبب عظيم لتكفير الذنوب والخطايا فقال: «**من قام رمضان، إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه**» صحيح البخاري.

فلما علمت بهذا الفضل، وأيقنت بهذه الكرامة، عزمت على أن لا أفوت شيئا منها، وأجعلها أهم واجب في حياتي.

لقد وجدت اللذة التي كنت مفتقدها في حياتي، وظللت أبحث عنها هنا وهناك وجدتها في الانطراح بين يدي الله ساجداً باكياً معترفا بذنبي، فكانت أجمل ليالي عمري، وألذ ساعات حياتي، فهل لك أن تلحق بركب المصلين؟

(رمضان غيرني)

مع كتـــــاب ربي

هذا القرآن الذي طالما هجرته، وكثيراً ما ابتعدت عنه أياماً وأسابيع حتى كأنني المعني بشكوى رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآَنَ مَهْجُورًا**﴾[الفرقان: ٣٠].

حتى حل بساحتي هذا الشهر العظيم الذي هو شهر القرآن، وفيه نزل، وكان رسول الله ﷺ يدارس فيه جبريل عليه السلام ويعرضه عليه ليثبت في فؤاده، ويستقر في قلبه، فعزمت على أن يكون لي شأن مع القرآن العظيم، فتوجهت بكليتي له فأصبح جليسي في صبحي ومسائي، ومؤنسي في حلي وترحالي، فوجدت انشراحاً في

صدري ما كنت أعهده، وراحة في نفسي كم كنت محروماً منها!

لقد وجدته كتاب عظة وعظات، يتنقل بقارئه في حدائق غناء، وضياء لامعة، وتوجيهات كريمة، ومواعظ بليغة.

كم فيه من تعريف بالرب الكريم ﷻ وبديع صنعه.

قال تعالى قال: ﴿**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾[طه:٤٩-٥٠].

تأملت أول الآيات من سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿**المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الرعد: ١-٤] فإذا هي آيات عظيمة تبين عظمة الصانع سبحانه، وعجيب مخلوقاته، هذه السماوات والأرضين دالة على إتقانه للمخلوقات، وهذه الثمار اليانعة تسقي بماء واحد فتخرج زرعا مختلفا ألوانها وأكلها، آيات لكل عاقل، وعبرة لكل متفكر، فعززت الإيمان في قلبي، وأحيت عندي سبيل التفكر.

ثم تأملت في المثلات التي حلت في الأمم السابقة فإذا أنواع لا تحصى من العذاب، وصورا لمصارع أقوام قد ضلوا سبيل الرشاد وانحرفوا عن صراط أهل الهدى والسداد، تأملت قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾ [الفجر: ٦-١٤].

فأحدثت في نفسي خوفا من الله، وتأملت في شدة بطشه بمن عصاه وخالف أمره وأيقنت أن الله غير غافل عني، وتأملت بعد ذا في فضله علي، فكم يمهلني وأنا واقع في معصية، فما أحلم الله عني، وما أعظم رحمته بالعاصين أمثالي.

ومما قرأت في هذا الكتاب أن الله يبشر المؤمنين بثواب أعمالهم الصالحة، وأن لهم من الخيرات ما لا يخطر لهم على بال، فإذا هم ينالون نعيم الجسد والروح والقلب، يقول سبحانه: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [الدخان: ٥١-٥٧].

ثم نظرت في وعيد الله لمن عصاه، فإذا هم يتقلبون في أنواع من العذاب المؤلم الذي لا يطاق تأملت في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ**

عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧].

فعزمت على أن أعمل لأنجو من هذا، وأفوز بذاك.

لقد علمت من حديث رسول الله ﷺ الأجر العظيم في تلاوة القرآن العظيم فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**» [أخرجه الترمذي وصححه الألباني].

فإذا عدد حروفه ٣٢٣٦٧١ وتساوي في ميزان البشر أكثر من ثلاثة ملايين حسنة في الختمة الواحدة، ولكني على يقين أن فضل الله أعظم، وعطاءه أجل.

لقد بلغني فيما بلغني من أخبار الأخيار في عصرنا أنهم يختمون مرات كثيرة في هذا الشهر حتى وصل بعضهم إلى اثنتي عشر مرة، فعدت باللوم على نفسي كيف يكون هذا حالي مع كتاب ربي، وكم من الحسنات جمعتها من تلاوته؟

يا حسرتاه إذا قدمت يوم القيامة وإذا بمن حولي قد فازوا بعظيم الحسنات من كثرة الختمات، ووقفت أنا حسيراً كسيراً، فعزمت على الإكثار من تلاوته والنظر فيه عسى أن تشملني هذه الآيات: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا**

رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

فأفوز بذاك العطاء العظيم.

(رمضان غيرني)

في عـــلاقـــتي بالنـــاس

لقد كانت معاملتي للناس غليظة، وسلوكي معهم فظ، لا أتحمل منهم كلمة، ولا أقبل منهم نقداً، أشك في كل تصرف يتصرفونه معي، وأظنهم يريدون من ورائه التنقيص من قدري ومكانتي، حتى حل بساحتي رمضان، وأدركت هذه الأيام الفاضلة، فكان للطاعات أثر كبير علي، فها هي النفس قد هذبت، والأخلاق قد استقامت. لقد وجهتني الآيات إلى إحسان الظن بالناس بقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات:١٢].

وأرشدتني إلى القول الحسن: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

ومعاملتهم بالمعروف، والعفو عنهم ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠].

والإحسان إليهم ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

فألزمت نفسي إحسان الظن بالناس، والتأدب معهم بجميل الخطاب، لقد علمت فيما علمت أن أقرب الناس مجلساً من رسول

الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**» [السلسلة الصحيحة – الصفحة أو الرقم: ٧٥١].

فقلت لنفسي كيف تفوتين هذا الخير بانتصارك لنفسك واتباعك لنزغات الشيطان، ألم تقرئي في كتاب الله: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[فصلت: ٣٤].

فألزمت نفسي التخلق بكل خلق يدعوا له القرآن العظيم، كم كان لرمضان في طاعاته الجليلة من صيام وصلاة وذكر وتلاوة أثر في تهذيب أخلاقي، وتحسين سلوكي.

أن من أظهر الأدلة على انتفاع المرء بالطاعة، ظهور آثارها على أخلاقه وسلوكه ومعاملاته، بل إن المقصد الأعظم لها هو هذا الهدف الأسمى ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣].

(رمضان غيرني)

فــي سلـــــــوكي

لقد كنت أظن أن الحياة متع وشهوات يعبئ منها المرء كيف شاء بدون حسيب ولا رقيب، وأن له أن يتمتع بلذائذها حتى وإن كانت فيما لا يرضي الله، أو كان فيه التعدي على الآخرين، فإذا بروحانية رمضان تحل بي، وخيرات هذا الشهر ترشدني من غفلتي، وتوقظني من سهوتي، وتقول لي رويدك إنك تسير في طريق مظلم،

ونفق موحش، إن هذا الدرب الذي تسير فيه قد سار قبلك فيه فئام فندموا، ولهث فيه أقوام فخابوا وخسروا.

نادتني بقية الخير في النفس وقالت إن فيك خيراً عظيماً به تكون من الصالحين، ولقد رأيت أناس كانوا مثلي في سهوة وغفلة، فصاروا من رواد المساجد، وأحلاس مواطن العبادة، بل أصبح بعضهم دليلاً لغيره في العودة إلى مولاه فقلت لنفسي: ولما لا أكون أنا مثلهم؟

لقد تحرك في قلبي وازع الإيمان فذكرني بعظيم الفوز برضا رب العالمين، ولقد جاءك شهر كريم، حاملاً في طياته الخيرات، فأحسن وفادته بخير ما بحضرتك، كيف وهو شهر أيامه قليلة ﴿**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤].

اختارها الله لفريضة الصيام، واختار لياليه لنزول أعظم بيان ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

فأيقنت أنه زمان غير بقية الأزمنة، ووقت ليس كبقية الأوقات، وعلمت أنه وقت تضاعف فيه الحسنات فضلا من الله ونعمة فعزمت على استغلال كل لحظة، وملء كل ساعة فيه بطاعة تقربني من ربي، وقلت في نفسي لعلي لا ألقاه بعد عامي هذا، وتذكرت وأنا أكتب هذه الكلمات أختا عزيزة كانت من أعظم الناس حرصا على الخير خطفها الموت قل دخول شهر رمضان بأيام، وغيرها الكثير ؛ فأيقنت بقرب الموت من كل واحد منا، وجلست أؤنب نفسي حتى متى التسويف، وإلى متى تستمرين في هذا التفريط ؟

(رمضان غيرني)

في حفـــظ جوارحي

لقد بلغني حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام جنة فلا يرفث، ولا يجهل، إن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين، والذي نفسي محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها**» [حديث صحيح، رواه البخاري في الجامع الصحيح].

فعلمت أن كثيرا من تعبي ونصبي وجوعي وعطشي هذه الأيام سيذهب سدى إن لم أحافظ على جوارحي، وأحيطها برعايتي، لقد قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٦] فعرفت أني مسئول عن هذه الجوارح، فأعددت للسؤال جواباً، وللجواب صوابا.

بل تعلمت أعظم من ذلك وهو: أن هذه الجوارح التي أطلب الملاذ لها ستشهد علي في كل خطيئة ارتكبتها، وكل جرم جنته يداي؛ لقد قرأت قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ**

سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ١٩-٢٣].

فإذا الأمر جلل، والحساب عسير والإحاطة لا يغادرها أحد، فعقدت العزم، وأجمعت النية على أن أكون ناصحاً لنفسي، بحفظ هذه الجوارح، ومراقبة الله فيها، وعدم ترك العنان لها تسرح وتمرح كيف شاءت، لأني بذا سأكون رحيماً بها فمن ذا يطيق عذاب الله وسخطه؟

(رمضان غيرني)

في معرفة شريف الأوقات

لقد كنت مفرطاً في أوقات شريفة، وأزمنة جليلة، عظمها ربي ﷻ وأثنى علي أهلها، لم أعرف فضلها إلا بعد بلوغي رمضان مع أنها معظمة في كل شهر، وهي أوقات مدح الله المغتنمين لها، وجعل الأعطيات لأهلها أعظم العطايا، والإفضال عليهم واسع، ومن أجلها – وقت السحر –، مدح الله أهله مدحاً كريماً في أعظم بيان فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥-١٨].

ووصف الجنة بأحسن وصف وأكمله، وبين جليل أعمال أهلها، فإذا من أبرز خصالهم، اغتنام هذا الوقت الفاضل، وعدم

التفريط في ذاك الزمن الشريف. قال تعالى: ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**﴾ [آل عمران:١٥-١٧].

فعلمت يقينا أن هذه الأوقات إن لم تغتنم فسيفوتني خير عظيم، فعقدت العزم على اغتنامها واستغلالها.

لقد بلغني أن رسول الله ﷺ قلما كان ينام هذا الوقت، بل كان فيه بين الصلاة والاستغفار والدعاء.

وتابعه في هذا الفضل الأخيار من هذه الأمة — سير السلف...

أما المؤمنون فكنت أراهم خاصة في الحرمين الشريفين، قد رفعوا أيديهم سائلين ربهم، مستغفرين مولاهم، في هذا الوقت فعدت باللائمة على نفسي، وكيف أضيع مثل هذه الأوقات، وهل أنا في غني عن عطاء ربي وفضل مولاي؟

أم أني بريء من الذنوب والخطايا؟

لقد وعد الله السائلين أشرف أنواع الوعود وأوفاها فقال ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

فعقدت العزم على استغلاله وطرح حاجتي في جناب ربي الذي وعد، وهو أوفى من صدق.

(رمضان عرفني)

بقـــــدر نفســـــي

كم يغتر المرء بحاله وما هو عليه في ساعته، ويظن أنه مادام يعيش في بلاد الإسلام فقد بلغ كل شيء، وأنه ليس بحاجة لمزيد من الطاعات والقربات، وأنه يكفيه ركيعات يركعها، أو يقرأ القرآن وقت فراغه، أو يذكر الله متعجبا من منظر يراه، أو يصل رحمه في المناسبات فقط، وأما الصدقة فهي آخر شيء يفكر فيه ؛ لأن ما معه من مال إنما قد صرفه على شراء كل أمر متعلق بدنياه، ولكن بدخول هذا الشهر الكريم، رأيت مناظراً كريمة، وصوراً ناصعة للأخيار من هذه الأمة فعدت على نفسي باللوم، وأنبتها أشد التأنيب على تفريطها في جنب الله، وكيف مضى هذا العمر وفات وأنا أسير للغفلات، كيف لو قدمت على ربي وأنا خاليا من الكثير من الحسنات لقد تذكرت وأنا أرى الناس يدلفون على بيوت الرحمن، وقد حبستني الذنوب والمعاصي، رأيتهم وقد حبسوا أنفسهم جلوساً في بيوت الله وقد أمسك كل واحد منهم كتاب الله تعالى يتلوه.

رأيت المتصدقين يسابقون إلى الصدقة فهذا يبحث عن فقير ويصل إلى بيته، وذاك قد قام على سفرة للصائمين يخدم هذا ويدعوا ذاك، وثالث قد نذر وقته كله لخدمة المسلمين فعدت باللوم على نفسي، وأيقنت أنني في حاجة لمعونة ربي أن يعينني على مثل تلكم

الطاعات وقلت:

أنـــا الفقـــير إلى رب البريـــاتِ
أنـــا المسكين في مجمـــوع حـــالاتي
أنا الظلـــوم لنفســـي وهـــي ظـــالمتي
والخـــير إن يأتنـــا مـــن عنـــده يـــأتي
لا أســـتطيع لنفســـي جلـــب منفعـــة
ولا عن الـــنفس لي دفـــع المضـــرات
ولـــيس لي دونـــه مـــولي يـــدبرني
ولا شـــفيع إذا حاطـــت خطيئـــاتي
إلا بـــإذن مـــن الـــرحمن خالقنـــا
إلى الشفيع كما قـــد جـــاء بالآيـــاتِ

أخي الكريم .. أختي الكريمة ..

رمضان هبة الرحمن، وهبة الديان، فاغتنمه بخير ما بحضرتك، فيوشك والله أن تنقضي أيامه وترحل لياليه، بل ربما تقرأ هذه الورقات في آخره، فاستغله بما يرضي ربك عنك، فغدا نوسد أنا وأنت قبورنا، ونتمنى هناك أن لو تكون لنا عودة للدنيا لنتزود منه بصالح العمل ولكن هيهات هيهات ذهبت الدنيا، وقد كانت الفرصة متاحة ولك فها نحن نعيش في الأمنية فهل نغتم هذا الموسم، ونعمل لنفسنا صالحاً.

وفقك الله لهداه، وجعل عملك في رضاه، وصلى الله وبارك على نبيه ومصطفاه، والحمد لله رب العالمين.

رمضان فرصة للشباب

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان موسمًا للأجور والأرباح، والصلاة والسلام على نبي الهدى والفلاح. وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم السرور والأفراح.

أما بعد:

* حديثي إليك – أخي الشاب – حديث أخ لأخيه، ومحب لحبيبه، وصديق مشفق ناصح لصديقة، يريد له الخير، ويرجو له الفوز والفلاح. فأرعني سمعك، وافتح لكلماتي قلبك، ولا تنظر إلى عيب الناصح بل انظر فيما يدعوك إليه، فإن كان خيرًا قبلته، وإن كان غير ذلك فلست عليك بوكيل.

* أخي الحبيب، ماذا أعددت لنفسك في شهر رمضان؟ ذلك الشهر العظيم الذي تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتسلسل الشياطين، وفيه يعتق الله عباده الصالحين من النار.

* هل عزمت فيه على التوبة؟ وهل قررت العودة والأوبة؟ وهو نويت التخلص من جميع المعاصي والمنكرات، وفتح صفحة جديدة مع رب الأرض السموات؟ وهل خططت لبرنامجك التعبدي اليومي في هذا الشهر؟ وبماذا ستستقبل أيامه ولياليه؟

أسئلة لابد من الإجابة عليها بكل صدق أمانة، ومصارحة للنفس في ذلك حتى لا يدخل الشهر ويخرج بلا عبادة ولا طاعة، وتضيع أيامه وساعاته هباء منثورًا.

ابدأ بالتوبة

* أخي الشاب! لست أتهمك بنصيحتي إياك أن تبدأ بالتوبة، فالتوبة هي بداية الطريق ونهايته، وهي المنزلة التي يفتقر إليها السائرون إلى الله في جميع مراحل سفرهم وهجرتهم إليه سبحانه.

* فليست التوبة – إذن – من منازل العصاة والمخلطين فحسب كما يظن كثير من الناس، فقد قال النبي ﷺ - وهو سيد الطائعين وإمام العابدين: «**يا أيها الناس! توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة**» [رواه مسلم].

* ولما أمر الله عباده بالتوبة ناداهم باسم الإيمان فقال سبحانه: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١]، ونحن جميعًا ذوو ذنوب وأخطأ ومخالفات، فمن منا لا يخطئ؟ ومن منا لا يذنب؟ ومن منا لا يعصي؟

* والله سبحانه غفار الذنوب، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويفرح بتوبة التائبين وندم العصاة والمذنبين، ولذلك فقد جعل سبحانه للتوبة بابًا من قبل المغرب عرضه أربعون سنة، لا يغلقه حتى تطلع الشمس من مغربها، كما قال الصادق المصدوق. [رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح].

* والتوبة – أخي الشاب – أمر سهل ميسور، ليس فيه مشقة، ولا معاناة عمل، فهي امتناع وندم وعزم؛ على عدم العودة إليها في المستقبل.

أهمية الوقت

* أخي الشاب! إذا ندمت على ما فات، وتركت المخالفات والذنوب في المستقبل، توجب عليك بعد ذلك الاهتمام بعمرك، وإصلاح وقتك الحاضر الذي بين ما مضى وما يستقبل، فإنك إن أضعته أضعت سعادتك ونجاتك، وإن حفظته بما ذكر نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم.

* **قال الإمام ابن الجوزي:** رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعًا عجيبًا، إن طال الليل فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه سمر. وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطرف النهار على نهر دجلة أو في الأسواق!! فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد والتأهب للرحيل.. فالله في مواسم العمل، والبدار البدار قبل الفوات.

* وقال أيضًا: ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل، وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات، فنقل عن عامر بن عبد قيس أن رجلاً قال له: كلمني، فقال له: أمسك الشمس!!

* ودخلوا على بعض السلف عند موته وهو يصلي، فعاتبوه

على ذلك فقال: الآن تطوى صحيفتي!!

* فإذا علم الإنسان – وإن بالغ في الجد – أن الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته.

صور من اجتهاد السلف

* هذه – أخي الشاب – نماذج مضيئة وصور مشرقة تشير إلى اجتهاد سلفنا الكرام في عبادة الله تعالى وطاعته، لعلك إن نظرت فيها أورثك ذلك علو الهمة والإقبال على العبادة:

١- صلى النبي ﷺ حتى تفطرت قدماه، فراجعوه فقي ذلك فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» [متفق عليه].

٢- وكان أبو بكر رضي الله عنه كثير البكاء وبخاصة في الصلاة وعند قراءة القرآن.

٣- وكان في خد عمر رضي الله عنه خطان أسودان من كثرة البكاء.

٤- وكان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن في ركعة.

٥- وكان على رضي الله عنه يبكي في محرابه حتى تخضل لحيته بالدموع، وكان يقول: يا دنيا غري غيري، قد طلقتك ثلاثًا لا رجعة فيها!

٦- وكان قتادة يختم القرآن في كل سبع دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر في كل ليلة.

٧- وكان سفيان الثوري يبكي الدم من الخوف!

٨- وكان سعيد بن المسيب ملازمًا للمسجد، فلم تفته صلاة في جماعة أربعين سنة!!

رمضان فرصة للشباب

* أخي الشاب!

* إن تُجّار الدنيا لا يألون جهدًا، ولا يدخرون وسعًا في اغتنام أي فرصة، وسلوك أي سبيل يدر عليهم الربح الكثير، والمكسب الوفير، فلماذا لا تتاجر أنت مع الله؟ فتسابق إلى الطاعات والأعمال الصالحات، لتفوز بالربح الوفير والثواب الجزيل منه سبحانه وتعالى.

* ورمضان – أخي الشاب – من أعظم الفرص التي يجب أن يشمر لها المشمرون، ويعد لها عدتها المتقون، ولا يغفل عن اقتناصها المتيقظون، فهو شهر مغفرة الذنوب، والفوز بالجنة، والعتق من النيران، لمن سلم قلبه، واستقامت جوارحه، ولم يضيع وقته فيما يضر أو فيما لا يفيد.

* وإليك – أخي الشاب – بعض الأمور التي تعينك على اغتنام أوقات هذا الشهر وإعمارها بالأعمال الصالحات.

١- الصيام عبادة وليس عادة:

* قال النبي ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه]، ومعنى قوله: «**إيمانًا**» أي: إيمانًا بالله وبما أعده من الثواب للصائمين. ومعنى قوله: «**احتسابًا**»: أي: طلبًا لثواب الله، لم يحمله على ذلك رياء ولا سمعة، ولا طلب مال ولا جاه.

٢- رمضان نعمة يجب شكرها:

* تأمل – أخي الشاب – في الذين أدركهم الموت قبل دخول شهر رمضان، فقد انقطعت أعمالهم، وطويت صحائفهم، فلا يستطيعون اكتساب حسنة واحدة، ولا فعل معروف وإن كان يسيرًا.

* أما أنت – أخي الشاب – فقد مد الله في عمرك حتى أدركت هذا الشهر العظيم، وهيأك لا كتساب هذا الثواب وتلك الأجور. وهذه – والله – نعمة كبرى ينبغي شكرها، والثناء على الله تعالى بإسدائها.

٣- النوم والسهر:

* أخي الحبيب، إذا قضيت نهار رمضان في النوم، وليله في السهر واللعب، حرمت أجر الصيام والقيام، وخرجت من الشهر صفر اليدين، فهي – والله – أيام معدودة، وليال مشهودة، ما تهل علينا إلا وقد آذنت بانصرام، فاجتهد فيها – رحمك الله – بالطاعة والعبادة تفز باللذة والنعيم غدًا. وإياك أن يدركك الشهر وأنت في غفلة، فقد قال النبي ﷺ: «**رغم أنف رجل دخل عليه رمضان، ثم انسلخ قبل أن يغفر له**» [رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني].

٤- تلاوة القرآن:

* رمضان شهر القرآن، وقد كان السلف إذا دخل رمضان يجتهدون في قراءة القرآن ويقدمونها على كل عبادة، حتى روي عن

بعضهم أنه كان يختم القرآن كل ليلة، فاجتهد رحمك الله في تلاوة القرآن في هذا الشهر، واقرأه بترسل وترتيل وتدبر وخشوع، والتزام بأحكام التلاوة ما استطعت.

٥- قيام الليل:

* قيام الليل سنة مؤكدة في غير رمضان، وهو أِشد تأكيدًا في رمضان، وهو صلاة التراويح التي يصليها الناس في المساجد، فينبغي الحرص عليها وإتمامها كاملة مع الإمام، فقد قال النبي ﷺ: «**من قام مع إمامه حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**» [رواه أهل السنن وقال الترمذي: حسن صحيح].

٦- الصدقة:

* الصدقة في رمضان لها مزية وفضيلة عن غيره من الشهور، وقد كان النبي ﷺ إذا دخل رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة، فاحرص على التصدق في هذا الشهر والجود بما عندك.

٧- تفطير الصائمين:

* واحرص كذلك على تفطير الصائمين، وإطعام الفقراء والمساكين، فقد قال: ﷺ: «**من فطر صائمًا كان له مثل أجره**» [رواه أحمد والترمذي وصححه].

٨- لزوم المساجد:

* خير بقاع الأرض المساجد، فاحرص على صلاة الجماعة في المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ولا تدع شيئًا من النوافل،

فإنها تسد خلل الفرائض، وتوجب محبة الله تعالى؛ قال تعالى في الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه) [رواه البخاري].

٩- العمرة في رمضان:

* للعمرة في رمضان فضل كبير، فقد قال النبي ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة – أو قال حجة معي**» [رواه البخاري].

١٠- العشرة الأواخر:

* احرص – أخي الشاب – على أن يكون اجتهادك في العشر الأواخر أكثر من اجتهادك فيما قبلها، فقد كان النبي ﷺ إذا دخل العشر أيقظ أهله، وأحيا ليله، وجد وشد المئزر. [متفق عليه].

١١- ليلة القدر:

* تحر ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، وبخاصة في ليالي الوتر منها، فأحي هذه الليالي بالعبادة من صلاة وقيام وقراءة قرآن وذكر ودعاء وغير ذلك من الطاعات، فإن ثواب العبادة في هذه الليلة أفضل من ثواب العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

١٢- غض البصر:

غض البصر عبادة قل العمل بها، فلم لا تحيي هذه الفريضة العظيمة.

١٣- الذكر:

* كن ذاكرًا لله على كل حال، فقد فاز الذاكرون بخيري الدنيا والآخرة.

١٤- الدعاء:

* الدعاء هو العبادة، وهو دليل على افتقار العبد إلي ربه وضرورته إليه في كل حال، وقد سماه الله تعالى عبادة في قوله: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠]. فأين أنت — أخي الشاب — من عبادة الدعاء؟

١٥- الاعتكاف:

* وهو لزوم المسجد والانفراد لطاعة الله، فلا تضيع أيام اعتكافك وساعاته في اللغو والكلام في سفاسف الأمور، فيكون الذي لم يعتكف أفضل منك!!

١٦- الطعام والشراب:

* إياك وكثرة الطعام أو الشراب فإنهما تؤدي إلى التراخي والفتور والتكاسل عن العبادة.

١٧- منكرات يجب اجتنابها:

* إقلاعك عن التدخين في نهار رمضان دليل على قوة عزيمتك، فلم لا تمتنع عنه بالكلية في الليل والنهار؟!

* إياك وسماع الغناء، فإنه يفسد القلب، وينبت فيه الرعونة وقلة الغيرة.

* اجعل من شهر رمضان فرصة للتخلص من أسر مشاهدة المسلسلات والأفلام والمسابقات والبرامج التافهة.

* إياك وكثرة المزاح والضحك، فإنهما يورثان قسوة القلب والغفلة عن ذكر الله.

* لا تصاحب الأشرار الفارغين، فإنك إن صاحبتهم كنت مثلهم.

* شر بقاع الأرض الأسواق، فإياك والتواجد فيها لغير حاجة.

* الخلوة والاختلاط بالنساء الأجنبيات من أكبر أسبا الشرور والفساد والعقوبات العامة؛ فاحذر من ذلك.

*إياك ومنكرات اللسان، فإنها تضعف ثواب الصيام جدًا قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

****

رمضان وذكريات النصر

إعداد

خالد أبو صالح

غفر الله له ولوالديه والمسلمين

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلا شك أن شرف الزمان يعتبر من عوامل النصر على الأعداء، فإذا انضاف إلى شرف الزمان بقية عوامل النصر وأسبابه: كالتوكل على الله، والثقة به، والعمل بطاعته واجتناب معصيته، والإخلاص له، وإعداد العدة وحسن التخطيط، والدقة في اختيار القادة، مع كثرة ذكر الله ودعائه واستغفاره لم يكد يتخلف النصر أبدًا.

وشهر رمضان من أعظم أزمنة العام، فهو شهر تتنزل فيه الرحمات، وترتفع البلايا والنقمات، وتجاب فيه الدعوات، ومن هنا كانت انتصارات المسلمين في هذا الشهر على مدى العصور مشهورة، وعادة الله في تثبيتهم ونصرهم وخذلان عدوهم معهودة.

وقد رأينا أن نذكر أنفسنا وإخواننا بأهم تلك الانتصارات، تذكيرًا بتاريخ هذه الأمة المجيد، ورفعًا للروح المعنوية لدى الكثيرين ممن أصابهم اليأس والوهن، وإعلامًا بأن رمضان هو شهر عمل وجهاد وتضحية، وليس شهر كسل وبطالة ونوم، والله نسأل أن يعيد لهذه الأمة مجدها وعزها وسؤددها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

غزوة بدر

يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة.

وفيها خرج رسول الله ﷺ ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً؛ ليعترض عيرًا عظيمة لقريش، وهي راجعة من الشام، فلما علمت قريش بذلك جمعت الجموع، وكانت عدهم ألف رجل، فعلم الرسول ﷺ بهم، فقصد إليهم بمن معه على قلتهم، فالتقى الفريقان ببدر، وكان يومًا من أشد الأيام هولا، وأيد الله المسلمين بالملائكة تقاتل معهم، فلم تكن إلا ساعة حتى دارت الدائرة على قريش، فانهزموا تاركين في ساحة الحرب سبعين قتيلا وسبعين جريحًا، وغنم المسلمون غنائم عظيمة، وكان هذا اليوم هو يوم الفرقان الذي أعز الله به الإسلام وأذل الكفر وأهله.

وقد قتل من صناديد قريش أكابرهم، منهم: أبو جهل بن هشام، وحنظلة بن أبي سفيان، ورجع المسلمون إلى المدينة فرحين مسرورين بهذا النصر العظيم الذي امتن الله عليهم، فقال: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فتح مكة

٢٠ رمضان من السنة الثامنة للهجرة

نقضت قريش شرطًا من شروط صلح الحديبية؛ لأنهم أعانوا

قبيلة بكر التي دخلت في عهدهم على قبيلة خزاعة التي دخلت في عهد رسول الله ﷺ.

وندمت قريش على ما فعلت، فأرسلت أبا سفيان إلى المدينة ليوثق عهد الصلح ويزيد في مدته، ولكنه لم يفلح في ذلك فرجع بخفي حنين.

وتجهز الرسول ﷺ للسفر، وسار بمن معه قاصدًا مكة، وأرسل خالد بن الوليد بمن معه ليدخل مكة من أعلاها. وأمره ألا يقاتل إلا من قاتله، ودخل الرسول ﷺ مكة من أسفلها. وتصدى لخالد رضي الله عنه رجال من قريش فقاتلهم وهزمهم.

ثم أمن الرسول ﷺ أهل مكة، ونادي مناد بأمر الرسول ﷺ: «**من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن**».

دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل. جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد. ثم أمر بالآلهة المزعومة فأخرجت من البيت وبذلك طهر الله الكعبة البيت الحرام من هذه المعبودات الباطلة، واستبدل بها عبادة الله تعالى وحده، ثم دخل الكعبة وكبر في نواحيها، ثم صلى عند مقام إبراهيم، وشرب من ماء زمزم.

ثم توجه إلي قريش قائلاً: «**ما ترون أني فاعل بكم؟**» قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم. فقال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»، وأخذ الناس يبايعون رسول الله ﷺ على الإسلام.

معركة البويب ضد الفرس

في رمضان سنة ١٣هـ

بعد هزيمة المسلمين من الفرس في موقعة الجسر في شعبان سنة ١٢هـ، وجرح قائد جيش المسلمين أبي عبيد الثقفي، ومقتل نائبه سليط بن قيس الأنصاري، أصبح المثنى ابن حارثة قائد جيش المسلمين، وأحس أن من واجبه أن يثأر لهؤلاء الشهداء الذين سقطوا في موقعة الجسر، واستعدادًا لذلك تراجع بجنوده ليستعد في مكان صحراوي بعيد عن متناول الفرس، وأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب مددًا، فأرسل الله المدد بقيادة جرير البجلي، وتصاف الجيشان، فكان للفرس ثلاث فرق، مع كل فرقة فيل، ووقف المثنى على الرايات يحثهم ويأمرهم بالثبات، وكان المثنى كلما رأى خللاً في إحدى فرق الجيش أرسل إليها لتتماسك وتثبت.

كان نهر الفرات يمتد حاجزًا بين الجيشين، فصرخ مهران قائد الفرس في جيش المسلمين: أن اعبروا النهر لنلتقي، وهنا تذكر المثنى ما حدث يوم الجسر إذا استجاب القائد أبو عبيدة لمثل هذا النداء وعبر بجنوده فتلقاهم الفرس بالسهام، وفرقوا جموعهم وحدثت الهزيمة، ولذلك فقد طلب منهم المثنى أن يعبروا هم أولاً.

وبدأ جيش الفرس بالعبور، فاستقبلتهم سهام المسلمين، فأوقعوا منهم الكثير، ومن وصل منهم إلى الجانب الآخر أخذته سيوف المسلمين ورماحهم.

وعلى الرغم من ازدياد عدد قتلى الفرس إلا أن كثرتهم حالت دون هزيمتهم، فأيقن المثنى أنه لا سبيل إلى هزيمة هؤلاء إلا بالقضاء على رأسهم وقائدهم مهران، فقصده المثنى وضربه ضربة قوية، ثم حمل عليه غلام من بني تغلب فقتله واستولى على فرسه، وعند ذلك تزلزل جيش الفرس واضطربت صفوفهم، وكثر فيهم القتل حتى قدر عدد قتلاهم بمائة ألف أو يزيد، وانتهت معركة البويب بالنصر المبين للمسلمين، وسيطر المسلمون بذلك على العراق كله، ولم يعد للفرس مقاومة تذكر.

قال ابن كثير: (لقد ذلت بهذه المعركة رقاب الفرس، وهي بالعراق نظير اليرموك بالشام).

فتح جزيرة رودس

في رمضان سنة ٣٥هـ

كان حلم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه هو إسقاط عاصمة الدولة البيزنطية (القسطنطينية)، ومن أجل ذلك أنشأ أسطولاً ضخمًا يشتمل على مئات السفن الثقيلة والخفيفة المجهزة بالأسلحة التي كانت معروفة آنذاك كالمنجنيق وغيره، وبهذا الأسطول الضخم نافس معاوية رضي الله عنه البيزنطيين سيادتهم القديمة على البحر المتوسط.

أراد معاوية رضي الله عنه تحجيم حركة الأسطول البيزنطي، فاتجهت عينه إلى الاستيلاء على الجزر الواقعة شرقي البحر الأبيض

المتوسط، فاستولى على جزيرة (قبرص)، وفي رمضان سنة ٥٣ استولى المسلمون على جزيرة (رودس) وهي جزيرة ذات أهمية استراتيجيه كبيرة، حيث كان الروم يغيرون منها على سفن المسلمين ومدهم الساحلية.

وأثر معاوية رضي الله عنه أن يحيط المسلمين في (رودس) بالجو الإسلامي، ويعلي راية الإسلام بين أهاليها، فأنزل بها أسرًا إسلامية، وأرسل إليها مجاهد بن جبر معلمًا ومفتيًا، وبذلك أصبحت رودس قاعدة هامة للبحرية الإسلامية في البحر المتوسط.

معركة شريش

في ٢٨ رمضان سنة ٩٢هـ

امتازت الدولة الأموية بالقادة الأفذاذ، أمثال: عقبة بن نافع، وموسى بن نصير، وطريف بن مالك، وطارق بن زياد، وغيرهم، وبينما عقبة بن نافع قد استطاع أن يطّر الرومان من الشمال الأفريقي كله حتى وصلت جيوش المسلمين إلى المحيط الأطلسي، فقد اتجه نظر موسى بن نصير إلى أفريقيا وإلى أوربا، وأراد أن يفتح الأندلس، فأرسل سرية استكشافية بقيادة طريف بن مالك، ثم أرسل مولاه طارق بن زياد على رأس جيش قوامة سبعة آلاف مقاتل، ثم أمده بخمسة آلاف آخرين، وكان جيش قوامة سبعة آلاف مقاتل، ثم أمده بخمسة آلاف آخرين، وكان جيش الأسبان قوامه سبعين ألف مقاتل، وقيل مائة ألف بقيادة (لذريق)، والتقى الجمعان في وادي لكة وذلك في رمضان سنة ٩٢هـ.

خطب طارق بن زياد في جنده. بعد أن رأوا كثرة عدوهم وتفوقه عليهم في العدد والعتاد قائلا: (أيها الناس! أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم - والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم - في هذه الجزيرة - أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرًا، ذهبت ريحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم، بمناجزة هذا الطاغية.. واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه، وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم (**لذريق**) فقاتله إن شاء الله...).

ثم دارت رحى المعركة وأبلى المسلمون بلاءً حسنًا، وحملوا على العدو حملات شتتت جموعهم ومزقت نظامهم، وأنجز طارق ما وعد، فإنه هجم على (**لذريق**) فضربه بسيفه فقتله، وانفرط بذلك عقد جيش الأسبان وحلت الهزيمة بهم، وكان انتصار المسلمين في وادي لكة بداية لفتح الكثير من مدن أسبانيا، ففتح طارق بعد ذلك غرناطة، وقرطبة، وطليطلة، ثم جاء موسى بن نصير بنفسه فأجهز على بقية مدن أسبانيا.

فتح عمورية

في رمضان سنة ٢٢٣هـ

سبب الفتح أن ملك الروم (تيوفيل بن ميخائيل) أوقع بأهل (ملطية) وما والاها من المسلمين - ملحمة عظيمة، قتل فيها خلقًا كثيرًا من المسلمين، فقطع آذانهم وأنوفهم، وسمل أعينهم قبحه الله، وكان من جملة من أسر ألف امرأة مسلمة، قالت إحداهن: وامعتصماه!

فلما سمع بذلك المعتصم، انزعج لذلك جدًا، وصرخ في قصره بالنفير، ثم نهض من فوره، وأمر بتعبئة الجيوش، واستدعى القاضي والشهود، فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع ثلثه صدقة، وثلثه لولده، وثلثه لمواليه. ثم استدعى الجيوش بين يديه وتجهز جهازًا لم يجهزه قبله أحد من الخلفاء، وأخذ معه من آلات الحرب والأحمال والجمال والقرب والدواب والنفط والخيل والبغال شيئًا لم يسمع بمثله، وسار إلى عمورية في جحافل أمثال الجبال، فأنكى فيهم نكاية عظيمة لم يسمع بمثلها لخليفة، وقتل منهم ثلاثين ألفا، وسبى مثلهم، وكان فتحًا عظيمًا جعل الإمام أحمد بن حنبل يعفو عن المعتصم بسببه، وكان قد امتحنه في مسألة خلق القرآن، فنسأل الله تعالى أن يعفو عنه.

رب وامعتصماه انطلقت   ملء أفواه الصبايا اليتم
صادفت أسماعهم لكنها   لم تصادف نخوة المعتصم

معركة الزلاقة

في رمضان سنة ٤٧٩

عرف الأندلس ما يسمى بملوك الطوائف، وكان معظمهم يتصف بصفات الأثرة والغدر وحب الدنيا والانغماس في الشهوات- حتى وصل بهم الأمر إلى دفع الجزية للنصارى واستعدائهم على إخوانهم المسلمين.

وسبب هذه المعركة أن المعتمد بن عباد كان يرسل الجزية السنوية إلى قائد جيش الأسبان الأذفونش، فرفض هذا القائد تسلمها في إحدى السنوات حتى يسلم ابن عباد معها عددًا من الحصون والقلاع حول قرطبة، وأرسل رسوله بذلك ومعه خمسمائة جندي، فاعتبر ابن عباد ذلك تدخلاً عسكريًا، وغضب وصفع رسول الاذفونش، وثار جنود المسلمين على جنود الأذفونش فقتلوهم.

علم الأذفونش بذلك فجمع الجيوش وقرر فتح قرطبة.

استنجد المعتمد بن عباد ملك المغرب يوسف بن تاشفين فهب إلى نجدة إخوانه بالأندلس.

وشن الأذفونش هجومه يوم الجمعة وكان جيشه يفوق جيش المعتمد عددًا وعتادًا، ولكن جيش المعتمد صبروا حتى يأتيهم المدد.

وعندما بدأ الضعف يدب في صفوف جيش المعتمد إذ جاء

المدد فخرج يوسف بن تاشفين في جيشه خلف الأعداء، ودخل خيامهم وقتل من فيها، فدب الرعب في قلوب الإفرنج وأيقنوا بالهلاك، فأخذت سيوف المسلمين تحصدهم حتى امتلأت الأرض بسبب كثرة الدماء، ولذلك سميت (معركة الزلاقة)، ولم ينج من العدو إلا قائدهم الذي هرب مع ثلاثمائة من جنده.

معركة حارم

في رمضان سنة ٥٥٩هـ

علم نور الدين رغبة الفرنج في احتلال مصر، فأراد أن يشغلهم عن ذلك، ففتح جبهة شمال بلاد الشام، وقصد حصن حارم ليكون ميدانًا للمعركة، ففرض عليهم بذلك المكان والزمان الذي يراه، وهذا من براعة التخطيط الاستراتيجي.

وأرسل إلى طلب المدد من كل مكان، وكان الإفرنج قد جمعوا لهذه المعركة كل إمكاناتهم، حتى أن ملوكهم حضروا بأنفسهم، وبدأت المعركة قرب حارم، وكان النصر حليف المسلمين، حتى أن جيش الفرنج أراد الانسحاب فلم يستطع، وكانوا بين قتيل وجريح وأسير، ووقع في الأسر صاحب أنطاكية وطرابلس ومقدم الروم وغيرهم من القادة، وفتحت حارم وأمنت مصر، وقضي على أكثر من عشرة آلاف من جيش الصليبيين.

معركة عين جالوت

في ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ

زحف هولاكو إلي بغداد عاصمة الخلافة العباسية، فدمرها، وقتل من أهلها ما يقارب المليون، وقتل الخليفة نفسه، وأحرق ونهب وفعل الأفاعيل، ثم زحف إلى الشام فاحتل مدنها مدينة مدينة، وأعمل السيف بأهلها وعقب احتلال دمشق احتلوا نابلس، وغزة دون أدنى مقاومة، فأصبحوا بذلك بالقرب من حدود مصر.

أرسل هولاكو إلى (قطز) سلطان مصر رسالة تهديد ووعيد، يأمرهم فيها بالهرب وتعرك البلاد والعباد.

ورأى قطز ومساعده بيبرس أن خير وسيلة للنصر هي الهجوم، فزحف بيبرس واقتحم غزة وقضى على حاميتها، وتبعه قطز بجيشه، والتقى الفريقان في (عين جالوت) بين بيسان ونابلس، وذلك في ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ، وقاتل المسلمون قتال الأبطال، وألقى قطز خوذته على الأرض استعدادًا للموت، وصرخ (واإسلاماه)، فالتهبت مشاعر جيش المسلمين، وسقط الجيش المغولي كله ما بين قتيل وأسير وجريح، وقتل كتبغا قائد جيش المغول نفسه، وانتشر خبر النصر في كل مكان وعم الفرح العالم الإسلامي كله.

فتح بلغراد

في ٢٥ رمضان سنة ٩٢٧هـ

أرسل السلطان (سليمان) سفيرًا إلى ملك المجر (لويس الثاني) يطلب منه دفع الجزية، فما كان من ملك المجر إلا أن أمر بإعدام السفير، فأمر السلطان سليمان بتجهيز الجيوش، وجمع كل ما تتطلبه من الذخائر والمؤن، وسار هو بنفسه في مقدمة الجيش، وحاصر بلغراد، وضيق عليها الخناق، ودافع المجريون عن مدينتهم دفاعًا مجيدًا، غير أن جند المسلمين تمكنوا من اقتحامها في ٢٥ رمضان سنة ٩٢٧هـ، وأخلى الجنود المجريون قلعتها، ودخلها السلطان، وصلى الجمعة في إحدى كنائسها، وصارت هذه المدينة أكبر مساعد للجيش الإسلامي على فتح ما وراء الدانوب من الأقاليم والبلدان [١].

---

(١) **مصـــادر الرســـالة:**

١- «معارك إسلامية خالدة» محمد منير الجنباز.

٢- «شهر رمضان وانتصارات المسلمين فيه»، للدكتور/ أحمد شلبي.

٣- «أطيب الكلام في ذكر خلفاء وملوك الإسلام»، للدكتور/ سيد العفاني.

٤- «حدث في رمضان»، للدكتور/ عبد الرحمن رأفت الباشا.

رمضانيات

أحكام . فضائل . آداب

د/ أحمد المزيد د/ عادل الشدي

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فهذه حقيبة (الأسرة الرمضانية) قد اجتهدنا في اختيار موضوعاتها وترتيبها وإخراجها بصورة متميزة، بحيث تكون مختصرة، ومشوقة وشاملة لكثير من الجوانب العلمية والعملية التي تحتاجها الأسرة في هذا الشهر الفضيل، فنسأل الله أن ينفع بهذا العمل كل من شارك فيه، والحمد لله رب العالمين.

تعريف الصيام

الصيام لغة: الإمساك. لقوله تعالى: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا**﴾ [مريم: ٢٦] أي: إمساكا وصمتاً.

وشرعا: التعبد لله تعالى بالإمساك عن المفطرات يوما كاملاً من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس بشرط النية.

أقسام الصيام

١–الصيام المفروض: وهو صوم رمضان أداء وقضاء، وصوم الكفارات، والصوم المنذور.

٢–الصيام المسنون: كصوم الاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، وصوم عاشوراء، وست من شوال، ويوم عرفة لغير الحاج.

٣-الصوم المكروه: مثل: إفراد يوم الجمعة بالصيام، وإفراد يوم السبت، وصوم الدهر.

٤-الصوم المحرم: مثل: صيام يومي العيدين: يوم الفطر ويوم الأضحى، وصيام أيام التشريق الثلاثة، وصيام المرأة نفلا بغير إذن زوجها.

في صوم شهر رمضان

صوم شهر رمضان ركن من أركان الإسلام، وفرض من فروض الله، معلوم من الدين بالضرورة، يدل عليه الكتاب والسنة والإجماع.

فأما الكتاب: فلقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[البقرة:١٨٣] إلى قوله: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ [البقرة: ١٨٥] ومعنى ﴿**كُتِبَ**﴾: فرض.

-وقوله: ﴿**فَلْيَصُمْهُ**﴾الأمر للوجوب.

-**وأما السنة:** فقد قال النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس...**»وذكر منها: «**صوم رمضان**» [متفق عليه] والأحاديث في ذلك كثيرة.

-وأجمع المسلمون على وجوب صوم رمضان، فمن أنكر وجوب صومه كفر.

متى فرض صيام رمضان؟

فرض صيام شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وصام رسول الله ﷺ تسع رمضانات.

ثبوت دخول الشهر

يثبت دخول شهر رمضان بأحد أمرين:

الأول: برؤية هلاله.

الثاني: إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً.

ويدل على هذين الأمرين حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له**» [متفق عليه].

يقال: غم الهلال: إذا غطاه شيء من غيم أو غيره، فلم يظهر، والمعنى: قدروا عدة الشهر حتى تكملوا ثلاثين يوماً.

فوائد متنوعة

فائدة ١:

يحرم – على القول الراجح – صوم يوم الشك، وهو يوم الثلاثين من شعبان إذا حال دون رؤية الهلال غيم أو قتر لقول عمار رضي الله عنه: (من صام يوم الشك، فقد عصى أبا القاسم) [رواه أهل السنن موصولاً والبخاري معلقا].

فائدة ٢:

يحرم صيام آخر يوم أو يومين من شعبان، إلا أن يوافق يوما كان من عادته صيامه، كالاثنين والخميس مثلاً، فيجور صيامه لقوله ﷺ: «**لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه، فليصم ذلك اليوم**»[متفق عليه].

فائدة ٣:

يكتفي في إثبات الشهر برؤية عدل واحد، أما خروج الشهر، فلا يثبت إلا برؤية اثنين من العدول.

وقت الصوم

يبتدئ الصوم من طلوع الفجر الثاني، وينتهي بغروب الشمس، فإذا طلع الفجر الصحيح وجب على المسلم الإمساك حالا سواء سمع المؤذن أم لا.

وإذا كان يعلم أن المؤذن يؤذن عند طلوع الفجر، وجب عليه الإمساك حال سماع الأذان.

وجوب تبييت النية

النية شرط في صحة صيام الفريضة، فيجب أن يعزم الإنسان على الصوم بقلبه في أي جزء من أجزاء الليل، ولو قبل الفجر بلحظة. وذلك لقول النبي ﷺ: «**من لم يبيِّت الصيام من الليل، فلا صيام له**» [رواه النسائي].

بم نستقبل رمضان؟

١-بالمبادرة إلى التوبة الصادقة، وكثرة الاستغفار والذكر وتلاوة القرآن.

٢-بتعلم ما لا بد منه من فقه الصيام.

٣-بعقد العزم الصادق على عمارة أوقات رمضان بالأعمال الصالحة.

٤-باستحضار سرعة انقضاء رمضان وحسرة المفرط وسعادة المجد.

٥-بالتخلص من المنكرات الموجودة في البيت.

٦-بشكر الله عز وجل على نعمته في إدراك هذا الشهر العظيم.

هدي النبي ﷺ في رمضان

قال الإمام ابن القيم: (وكان من هديه ﷺ في رمضان الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، ويكثر فيه من الصدقة والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والاعتكاف، وكان يخص رمضان بما لا يخص غيره به من الشهور) [زاد المعاد].

ما ينبغي للصائم، وما يجب عليه

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ماذا ينبغي للصائم، وماذا يجب عليه؟

فأجاب: ينبغي للصائم أن يكثر من الطاعات، ويجتنب جميع المحرمات، فيصلي الصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة، ويترك الكذب والغيبة والغش، والمعاملات الربوية، وكل قول أو فعل محرم، قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور، والعمل به، والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري] (فتاوى الصيام).

مما يعين الصائم على الطاعات

١-تقوى الله تعالى ومخافته.

٢-الإكثار من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن.

٣-تجنب أصدقاء السوء.

٤-ملازمة المساجد والمحافظة على صلاة الجماعة.

٥-تجنب مشاهدة ما يثير الشهوات، ويقسي القلوب.

٦-عدم السهو.

٧-حفظ اللسان من الغيبة والنميمة والكذب والسخرية.

٨-معرفة قيمة الزمن.

٩-استشعار عظمة الشهر وفضائله.

١٠-مطالعة سير السلف وأهل الاجتهاد والتشمير.

١١-محاسبة النفس.

١٢-تجديد التوبة.

من فضائل رمضان

لشهر رمضان فضائل وخصائص كثيرة منها:

١-إنه الشهر الذي نزل فيه القرآن، وهذا من أعظم فضائل رمضان.

٢-فيه تفتح أبواب الجنة.

٣-وتغلق أبواب النار.

٤-وتصفد الشياطين أي: تقيد وتسلسل، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين**» [متفق عليه].

٥-فيه ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾[سورة القدر].

وقال ﷺ: «**أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم**» [رواه النسائي].

٧-حصول المغفرة لمن صامه إيماناً واحتساباً.

٨-حصول المغفرة لمن قامه إيمانا واحتساباً.

٩-حصول المغفرة لمن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا.

ويدل لما سبق حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » [متفق عليه].

وقال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

-وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»[متفق عليه].

١٠-العمرة فيه تعدل حجة مع النبي ﷺ لقوله ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة** – أو قال – **حجة معي**» [أخرجه مسلم].

١١-كثرة العتقاء من النار في رمضان: لحديث أبي أمامة، عن النبي ﷺ: «**لله عند كل فطر عتقاء**» [رواه أحمد، وقال الألباني: حسن صحيح].

وحديث: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صفدت الشياطين، ومردة الجن،...وينادي مناد: يا باغي الخير، أقبل، ويا باغي الشر، أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة** »[رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

١٢-لكل مسلم في كل يوم من رمضان دعوة مستجابة لقوله

ﷺ «**إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة** – يعني في رمضان – **وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة**» [رواه البزار، وقال الألباني: صحيح لغيره].

١٣-إنه غنيمة للمؤمن: فقد قال النبي ﷺ: «**ما أتى على المسلمين شهر خير لهم من رمضان، ولا أتى على المنافقين شهر شر لهم من رمضان، وذلك لما يعد المؤمنون فيه من القوة للعبادة، وما يعد فيه المنافقون من غفلات الناس وعوراتهم، وهو غنم للمؤمن، ونقمة للفاجر**» [رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر].

في فضائل الصيام مطلقاً.

وهذه الفضائل ثابتة لشهر رمضان بطريق الأولى، لأن صيام شهر رمضان أفضل الصيام.

١-أجر الصيام بغير حساب.

٢-الصيام وقاية من مساوئ الأخلاق.

٣-يفرح الصائم بصيامه عند فطره، وعند لقاء ربه.

٤-خلوف فم الصائم أطيب من ريح المسك، ويدل لما سبق حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.**

للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه »[متفق عليه].

ويدل على أن أجر الصيام بغير حساب رواية لمسلم بلفظ: «**كل عمل ابن آدم يضاعف؛ الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي** ».

٥-للصائمين باب في الجنة لا يدخل منه غيره: لقوله ﷺ: «**إن في الجنة بابا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد**»[متفق عليه].

٦-الصيام يشفع لصاحبه مع القرآن يوم القيامة: لقول النبي ﷺ: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: أي رب، منعته النوم بالليل، فشفعني فيه. قال: فيشفعان**»[رواه أحمد، وصححه الألباني].

٧-والصيام وقاية من النار: لقول النبي ﷺ: «**الصيام جنة، وحصن حصين من النار**»[رواه أحمد بسند حسن، كما قال المنذري].

٨-والصيام باب عظيم من أبوب الخير: لقوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**ألا أدلك على أبواب الخير**» قال: بلى يا رسول الله. قال: «**الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء**

النار» [رواه الترمذي].

٩-والصوم لا مثل له في العبادات: فقد قال النبي ﷺ لأبي أمامة: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له**» [رواه ابن حبان، وصححه الألباني].

١٠-وكلما أكثر المرء من الصيام كلما باعد الله بينه وبين النار.. لقوله ﷺ: «**ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً**»[متفق عليه].

من حكم وفوائد الصيام

١-ترك المحبوبات طاعة لله عز وجل، لينال بذلك رضا ربه، والفوز بدار كرامته.

٢-ممارسة ضبط النفس والسيطرة عليها، وتعويد الإنسان الصبر والتحمل والجلد.

٣-سبب للتقوى كما في آية البقرة السابقة.

٤-سبب لحسن الخلق لقوله ﷺ: «**وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يفسق، ولا يرفث، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم**»[متفق عليه].

٥-معرفة الإنسان قدر نعمة الله عليه في ماله وطعامه وشرابه وزوجته.

٦-تفريغ الإنسان للطاعات والعبادات والذكر.

٧-ترقيق القلوب وتهيئتها لأسباب سعادتها وفلاحها.

٨-تخفيف حدة الشهوة.

٩-تطهير الأمعاء وإصلاح المعدة وتنقية البدن من الفضلات والسموم.

١٠-تعويد المسلم النظام ودقة المواعيد.

١١-مظهر عظيم من مظاهر وحدة المسلمين والتزام الأمة بثوابت دينها.

١٢-مشاركة الأغنياء الفقراء جوعهم وعطشهم وفي هذا حث لهم على بذل المعروف والإنفاق.

شروط الصيام

شروط وجوب – شروط صحة

أولا: شروط وجوب الصيام:

١-يجب الصيام على كل مسلم عاقل بالغ قادر على الصوم، مقيم غير مسافر، خال من الموانع.

٢-الكافر لا يصوم، ولا يقبل منه الصيام.

٣-الصغير الذي لم يبلغ لا يجب عليه الصوم.

٤-المجنون لا يجب عليه الصوم، ولا الإطعام عنه.

٥-العاجز عن الصوم لسبب دائم يفطر، ويطعم عن كل يوم مسكيناً.

٦-المريض مرضا طارئاً ينتظر برؤه، يفطر إن شق عليه الصوم، ويقضي بعد برئه.

٧-الحامل والمرضع إذا شق عليهما الصوم من أجل الحمل أو الإرضاع، أو خافتا على ولديهما تفطران، وتقضيان الصوم.

٨-المضطر للفطر لإنقاذ معصوم من غرق أو حريق يفطر لينقذه ويقضي.

٩-المسافر إن شاء صام، وإن شاء أفطر، وقضى ما أفطره.

١٠-الحائض والنفساء تفطران وتقضيان، ولا يجوز صيامهما.

ثانيا: شروط صحة الصوم:

١-الإسلام.

٢-العقل.

٣-التمييز.

٤-انقطاع دم الحيض والنفاس.

٥-النية.

آداب ومسنونات الصيام

١-المبادرة بالفطر عند تحقق الغروب: لقوله ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**» [متفق عليه].

٢-الفطر على رطب أو تمر أو ماء، فقد كان ﷺ (يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات، حسا حسوات من ماء) [الترمذي، وصححه الألباني].

٣-الدعاء عند الإفطار: لقوله ﷺ: «**إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد**» [ابن ماجة].

-وكان ﷺ إذا أفطر قال: «**ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله**» [أبو داود، وحسنه الدار قطني].

٤-تأخير السحور والحرص عليه: لقوله ﷺ: «**تسحروا؛ فإن في السحور بركة**» وروى أنس عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما قال: (تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة. قال أنس: كم كان

بين الأذان والسحور؟ قال زيد: قدر خمسين آية) [متفق عليه].

٥-كف اللسان والجوارح عن المحارم، لقوله ﷺ: «**الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يجهل، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم**» [متفق عليه].

وقوله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

٦-تفطير الصائمين: لقوله ﷺ: «**من فطر صائما، فله مثل أجرهن غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**» [الترمذي، وصححه].

٧-الجود وكثرة الصدقة، فقد كان النبي ﷺ في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة [متفق عليه].

وزاد أحمد: كان لا يسأل عن شيء إلا أعطاه.

٨-كثرة تلاوة القرآن ومدارسته: لفعل النبي ﷺ ذلك في رمضان.

٩-قيام الليل: لقوله ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

١٠-والسنة أن يصلي الصلاة كاملة مع الإمام لقوله ﷺ: «**من قام مع إمامه حتى ينصرف، كتب له قيام ليلة**» [أبو داود والترمذي].

١١-ولا بأس بحضور النساء صلاة التراويح في المساجد،

بشرط التزام الأدب والحياء والحشمة، غير متبرجات، ولا متعطرات.

١٢-تحري ليلة القدر وإحياؤها بالعبادة: لقوله ﷺ: «**تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**»[متفق عليه].

وقوله ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

وقيامها إنما هو إحياؤها بالصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء والاستغفار والتوبة.

فائدة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» [أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح].

قال ابن رجب: وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحاً، ولا حالاً، ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو، كحال المذنبين المقصرين.

١٣-الاعتكاف: فقد كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان [متفق عليه].

١٤-ازدياد الاجتهاد في العشر الأواخر: لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان الرسول ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره،

وأحيا ليله، وأيقظ أهله) [لفظ البخاري] وفي رواية لمسلم عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره).

مفسدات الصيام

أولاً: الجماع في نهار رمضان:

-يبطل الصيام، ويستمر صائما بقية يومه.

-عليه قضاء اليوم الذي جامع فيه.

-عليه كفارة مغلظة؛ وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع، فإطعام ستين مسكيناً، لكل مسكين نصف صاع من بر أو غيره من طعام أهل البلد.

-عليه الندم والتوبة والاستغفار.

ثانياً: الأكل والشرب متعمداً:

-يفسد الصوم ويستمر بقية يومه صائماً.

-عليه قضاء ذلك اليوم الذي أفطر فيه.

-عليه الندم والتوبة والاستغفار.

ثالثاً: إنزال المني يقظة:

باستمناء أو مباشرة أو تقبيل أو ضم، وعليه ما على من أكل أو شرب متعمداً.

رابعاً: حقن الإبر المغذية التي يستغني بها عن الأكل والشرب.

خامسا:حقن الدم.

سادسا: خروج دم الحيض أو النفاس.

سابعا: إخراج الدم من الصائم بحجامة أو فصد، أو سحب للتبرع أو لإسعاف مريض ونحو ذلك، لقوله ﷺ «**أفطر الحاجم والمحجوم**» [رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني].

فائدة:

أما خروج الدم بنفسه كالرعاف، أو خروجه بقلع سن ونحوه، فلا يفطر، لأنه ليس حجامة، ولا بمعنى الحجامة.

ثامنا: التقيؤ عمداً، لقوله ﷺ «**من ذرعه القيء، وهو صائم، فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقض**» [رواه أهل السنن، وصححه الألباني].

أشياء لا تفسد الصيام

١–اللعاب لأنه من الريق، أما البلغم الغليظ، فيجب إخراجه.

٢–السواك سنة في الصيام وغيره.

٣–خروج المذي لأي سبب لا يفسد الصوم.

٤–استعمال الطيب.

٥–استعمال معجون الأسنان مع التحرز من وصول شيء إلى المعدة.

٦-استعمال قطرة العين والأذن.

٧-استعمال بخاخ الفم المخصص لعلاج الربو.

٨-استعمال الكحل، وإن أخره إلى الليل فهو أفضل.

٩-استعمال الحناء لا يضر الصيام.

١٠-أخذ الدم اليسير للتحليل لا يضر الصيام.

١١-أخذ الحقنة الشرجية للحاجة.

١٢-تذوق الطعام للحاجة، بأن تجعله على طرف لسانها؛ لتعرف حلاوته وملوحته مع الاحتراز من بلع شيء منه.

١٤-تأخير غسل الجنابة أو غسل الحيض والنفاس إلى طلوع الفجر.

١٥-التبرد بالماء في نهار رمضان لكسر شدة الحر.

١٦-البنج لا يفطر الصائم ما لم يعط المريض محاليل غذائية.

١٧-ما يدخل المهبل من تحاميل (لبوس) أو مرهم أو غسول أو منظار مهبلي أو أصبع للفحص الطبي لا يفطر الصائمة.

١٨-حفر السن وقلع الضرس والغرغرة كل ذلك لا يؤثر على الصيام.

من مكروهات الصيام

١-المبالغة في المضمضة والاستنشاق عند الوضوء.

٢-جمع الريق وابتلاعه أما بلع الريق بغير جمع، فلا يكره، وأما بلع النخامة، فلا يجوز في الصيام.

٣-ذوق الطعام لغير حاجة.

٤-الصوم في السفر مع وجود المشقة.

٥-صيام المريض مع المشقة.

٦-صيام المريض مع المشقة.

٧-ترك الصائم بقية طعام بين أسنانه.

٨-إعلان أصحاب الأعذار الفطر، مع إمكانية الإسرار به.

كيف يصوم هؤلاء؟

الصغير:

-لا يجب الصيام على الصغير حتى يبلغ.

-يحصل بلوغ الذكر بواحد من ثلاثة:

١-إنزال المني باحتلام أو غيره.

٢-نبات شعر العانة.

٣-بلوغ تمام خمس عشرة سنة.

٤-الحيض للإناث.

-الصغير المميز يأمره وليه بالصوم تمريناً له على الطاعة.

المجنون:

-لا يجب عليه الصوم، ولا يصح منه.

إذا أفاق المجنون أثناء رمضان لزمه الإمساك بقية يومه، ولا يلزمه القضاء.

الهرم:

-إذا بلغ الهرم الهذيان، وسقط تمييزه، فلا يجب عليه الصيام، ولا الإطعام، لسقوط التكليف عند بزوال تمييزه.

-إذا كان يميز أحياناً، ويهذي أحياناً، وجب عليه الصوم في حال تمييزه دون حال هذيانه، وكذلك الصلاة.

العاجز:

-إذا كان عجزاً مستمراً لا يرجى زواله كالكبير والمريض مرضاً لا يرجى برؤه، فلا يجب عليه الصيام؛ لأنه لا يستطيع.

-يجب عليه أن يطعم بدل الصيام عن كل يوم مسكيناً.

المسافر:

-إذا قصد بسفره التحيُّل على الفطر، وجب عليه الصيام.

-إذا لم يقصد التحيُّل فهو مخير بين الصيام والفطر.

-الأفضل للمسافر فعل الأسهل عليه من الصيام والفطر، فإذا تساويا، فالصوم أفضل.

المريض الذي يرجى برؤه له ثلاث حالات:

أحدها: ألا يشق عليه الصوم، ولا يضره، فيجب عليه الصوم.

الثانية: أن يشق عليه الصوم، ولا يضره، فيفطر، ويكره له الصيام.

الثالثة: أن يضره الصوم، فيجب عليه الفطر، ولا يجوز له الصوم، ولا يجوز له الفطر.

-إذا حدث له المرض في أثناء رمضان، وهو صائم، وشق عليه إتمامه، جاز له الفطر، لوجود المبيح له.

-إذا برئ في نهار رمضان، وهو مفطر، لم يصح أن يصوم ذلك اليوم، لأنه كان مفطرا في أول النهار.

-على المريض أن يقضي ما عليه بعد شفائه.

الحائض والنفساء:

-يحرم على الحائض والنفساء الصيام، ولا يصح منهما.

-إذا طهرت الحائض والنفساء في أثناء نهار رمضان، لم يصح صومهما بقية اليوم.

-إذا طهرت الحائض والنفساء في الليل في رمضان، ولو قبل الفجر بلحظة، وجب عليهما الصوم، لأنهما من أهل الصيام.

-يجب على الحائض والنفساء القضاء بعدد الأيام التي فاتتهما.

المرضع والحامل:

-إذا كانت المرأة مرضعا أو حاملاً، فإن خافت على نفسها أو على الولد من الصوم، فإنها تفطر.

-على الحامل والمرضع القضاء بعدد الأيام التي أفطرتا، حين يتيسر لهما ذلك.

فوائد متنوعة

كل من جاز له الفطر بسبب مما تقدم، فإنه لا ينكر عليه إعلان فطره، إذا كان سببه ظاهراً، كالمريض والكبير الذي لا يستطيع الصوم.

- أما إذا كان سبب فطره خفيا كالحائض، فإنه يفطر سراً، ولا يعلن فطره، لئلا يتهم في دينه.

- كل من لزمه القضاء من الأقسام السابقة، فإنه يقضي بعدد الأيام التي أفطرها.

- الأولى المبادرة بالقضاء من حين زوال العذر، لأنه أسبق إلى الخير، وأسرع في إبراء الذمة.

- لا يجوز تأخير القضاء إلى رمضان الثاني بدون عذر.

- إذا استمر العذر المبيح للفطر حتى مات، فلا شيء عليه.

- إذا تمكن من القضاء، وفرط فيه حتى مات، صام عنه وليه.

- ويجوز أن يصوم عنه جماعة بعدد الأيام التي عليه في يوم واحد.

وليه هو وارثه أو قريبه.

من أخطائنا في رمضان

١- الإسراف في أنواع المطاعم والمشارب.

٢- النوم الكثير نهاراً والسهر ليلاً.

٣- تضييع الأوقات الشريفة في الأمور التافهة كمتابعة الفوازير والمسلسلات.

٤- تأخير الإفطار وتعجيل السحور والسنة عكس ذلك.

٥- سوء خلق بعض الصائمين وسرعة غضبهم.

٦- جهل كثير من الناس بفضائل رمضان وأحكام صيامه.

٧- عدم تبييت النية للصيام في الليل، ولو قبل الفجر بلحظة.

٨- ترك صلاة التراويح أو التهاون بها.

٩- اجتهاد بعض الناس في أول رمضان ثم تكاسلهم شيئاً فشيئاً.

١٠- ذهاب كثير من النساء إلى صلاة التراويح في كامل زينتهن وهن متعطرات.

١١- كثرة خروج النساء إلى الأسواق في رمضان دون حاجة.

١٢- اختلاط النساء بالرجال عند خروجهن من المسجد بعد صلاة التراويح.

١٣- بعض النساء تطهر قبل الفجر، ولا تتمكن من الغسل لضيق الوقت، فتترك الصيام بحجة أن الصبح أدركها، وهي لم تغتسل، وهذا خطأ، والواجب عليها أن تصوم، ولو لم تغتسل، وهذا خطأ، والواجب عليها أن تصوم، ولو لم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر.

رمضانيات مسلمة

تأليف

عمر بن سعود العيد

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار العاصمة

مقدمة

الحمد لله القائل: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾... والصلاة والسلام على أشرف خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن المتأمل لحال المسلمين اليوم في تعاملهم مع أيام رمضان ولياليه لتملكه الدهشة ويغلبه الحزن؛ حيث يشاهد ويسمع ما لا يرضي الله سبحانه من ترك فرض... أو فعل محرم، أو تفريط في فرص الخير وتضييع لها؛ حتى تغيرت المفاهيم الإسلامية عند بعض المسلمين، وجهل بعضهم الآخر أشياء من واجباته نحو نفسه وأهله في رمضان.

ولما كان هذا الموضوع يحتاج في طرحه وعلاجه إلي وقفات طويلة آثرت أن أكتب رسالة في جانب من هذا الموضوع موجهة للأخت المسلمة لعدة اعتبارات منها:

* أنها نصف المجتمع.
* وأنها المدرسة الأولى.
* وأنها القادرة على إصلاح بعض الخلل بحكم عاطفتها ومكانتها بين الزوج والأب والابن والأخت.

ورغبة في الإصلاح والنصح جمعت هذه الرسالة المختصرة؛ لعل الله يجعل فيها النفع ويطرح فيها البركة.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المؤلف

* * * *

أختي المسلمة: أهنئك بقدوم شهر رمضان المبارك، شهر الصيام والقيام، وتلاوة القرآن، شهر العتق من النار، شهر الصدقات والإحسان، شهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتضاعف فيه الحسنات، وتقال فيه العثرات، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام، فصامه المصطفى ﷺ وأمر الناس بصيامه، وأخبر أن «من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». وسن رسول الله ﷺ قيامه فقال: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».

ومع إطلالة هذا الشهر الكريم فإنا نتواصى نحن وإياكن على البر والتقوى، ومن هذا التواصي التنبيه على بعض الملاحظات التي تقع فيها بعض الأخوات، إما جهلاً أو خطأ منهن، ومن المعلوم أن الله لا يقبل من العبادات والأعمال إلا ما كان على شرعه، وبينه رسول الله، ﷺ.

وهذه ملحوظات عامة؛ منها ما هو فقهي، ومنها غير فقهي، وهي كالتالي:

١- إضاعة الأخت المسلمة كثيرًا من وقتها في إعداد الأطعمة التي لا حاجة إليها من سد جوعة الصائم، وإنما للتنويع في الوجبات، فيرى – مثلاً – وجبة الإفطار يقدم فيها عشرات الأصناف والسحور قريبًا من ذلك!

أختي المسلمة: إن أوقات رمضان فاضلة، فيجب أن تستغل بفضائل الأعمال من قراءة، وذكر، وغير ذلك.

٢- كثرة النوم؛ فبعض الأخوات – هداهن الله – تسهر طول الليل وتنام من بعد صلاة الفجر إلى صلاة الظهر، ثم تصلي وتنام إلى العصر، وبعد العصر تشد مئزرها في المطبخ، فشهر الصيام شهر

التنافس في الطاعات، كما قال المصطفى ﷺ: «**فـأروا الله مـن أنفسكم خيرًا**»؛ وهذا يكون بكثرة قـراءة القـرآن والركـوع والسجود لا كثرة النوم.

٣- سوء خلق بعض الأخوات بسبب الصوم، فتراها سـريعة السب والشتم، وربما دعت على من كان سببًا في ذلك، وهذا من الخطأ والجهل. أما علمت أيتها الأخت المسلمة أن النبي ﷺ قال في حق الصائم: «فإن سابه أحد أو شاتمة فليقل إني صائم»، أما علمت أيتها الأخت المسلمة أن الصيام من أسباب الاستجابة، فلا تـدعي على أحد من أبنائك، ولا من إخوانك وأخواتك؛ بـل ينبغـي أن ندعو لهم بدل الدعاء عليهم.

٤- تأخير الصلاة عن وقتها بسبب النوم، فلا تصلي الظهر إلا مع العصر، ولا تصلي العصر إلا مع المغرب، وهذا خطـأ كـبير، وتفريط عظيم، فهذه يخشى على صيامها ألا يقبل بسبب ذلك.

وقد قال جمع من العلماء في قوله – تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾**: هم الذين يؤخرونها عن وقتها.

٥- بعض الأخوات – هداهن الله – يقضـين أوقـاتهن في رمضان سواء في الليل أو النهار بالنظر إلي ما حرم الله علـيهن، أو سماع المزمار والطرب، فتراها تتابع المسلسلات أو أشرطة الفيـديو التي لا يعرض فيها إلا ما يغضب الله، أو تقرأ مجلات ليس فيها إلا صور ماجنة، أو أخبار ساقطين وساقطات من الممثلين والممـثلات وأشباههم.

أختي المسلمة، إن عمرك وسمعك وبصرك ستسألين عنه يـوم القيامة، كما قال ربك – سبحانه: **﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ**

﴿أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾. فما يكون جوابك بين يدي الله يوم القيامة؟ كما قال ﷺ: «**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع**» ومنها: «**وعن عمره فيما أفناه**».

أختاه: إن كان لديك فراغ من الوقت فاسمعي أشرطة الخير، من: قرآن، أو محاضرات، أو فتاوى، وغيرها؛ لتكون في ميزانك، واشتري مجلات إسلامية تقرئين فيها الآية، والحديث، والقصة الإسلامية، وما ينفعك دنيا وآخرة، بدلاً من مجلات لا تجمعين من قراءتها والنظر إليها إلا الوزر والإثم.

٦- النبي ﷺ قد سن لنا أورادًا تقال في الصباح والمساء، فكم من الأخوات ينسينها بحجة عمل البيت أو نزول ضيف.

فنقول: أختاه احرصي عليها؛ لما لها من الحفظ لك من شياطين الجن والإنس، وتكونين في حصن رباني من كل سوء، ويحصل لك الأجر والثواب المرتب عليها.

٧- عدم المحافظة على السنن الرواتب؛ فتكتفي الأخت المسلمة بالفرائض وحدها وكم يحصل فيها من التقصير والسهو، فهذه الصلاة بحاجة إلى ما يكملها؛ فإن النبي ﷺ قد وعد من حافظ عليها ببيت في الجنة، لا نصب فيه ولا وصب، عمل يسير وثواب جزيل، وهذه السنن هي اثنتا عشرة ركعة: أربع قبل الظهر، واثنان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر، كما ثبت عن النبي ﷺ من حديث أم المؤمنين أم حبيبه بنت أبي سفيان – رضي الله عنها – قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة». رواه مسلم.

٨- عدم الحرص على قيام الليل في رمضان أو غيره، فلقد كان نبيك ﷺ لا يدع قيام الليل في السفر ولا الحضر، وفي رمضان يتأكد؛ سواء في البيت – وهو أفضل – أو في المسجد.

وكذا كانت أمهات المؤمنين يحافظن على قيام الليل وهن قدوة لك، روت عائشة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ يصلي صلاته بالليل وهي معترضة بين يديه، فإذا بقي الوتر أيقظها فأوترت، وفي رواية: فإذا بقي الوتر قال: «قومي فأوتري يا عائشة» رواه مسلم.

وصلاة الوتر يمكن للأخت أن تصليها بعد العشاء أو قبل أن تنام، وهو أفضل، أو آخر الليل وهو الأكمل والأعظم أجرًا؛ حيث ينزل الرب – سبحانه وتعالى – فيقول: «**هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأجيبه؟**» فتعرضي لنفحات ربك واسأليه؛ فإنه لن يردك خائبة.

صلي من الليل ما شئت؛ ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا أو تسعًا أو إحدى عشرة ركعة – وهو الأكمل – لمحافظة النبي ﷺ عليها، قالت عائشة – رضي الله عنها: «ما كان يزيد ﷺ في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة». رواه البخاري ومسلم.

٩- خروج النساء للأسواق متبرجات في ليالي رمضان، ويكثر ذلك في العشر الأواخر، وهذا من الجهل والخطأ؛ فقد كان النبي ﷺ إذا دخلت العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها.

إن ليالي رمضان ليالي اجتهاد في العبادات وتكثيف في طاعة الله، لا ليالي مرح وسهر وسمر وضياع للأوقات وتبرج وسفور في الأسواق والأماكن العامة.

فيجب على الأخت المسلمة ألا تخرج للأسواق إلا على قدر الحاجة، ولا تضيع وقتها فيما لا ينفعها في الدنيا ولا في الآخرة، وأن تخرج متسترة غير متعطرة، ولا متجملة.

١٠- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إطار منزلها وأقاربها؛ فما من أخت إلا وتجد على أولادها أو إخوانها أو أخواتها، وربما والديها أو بعض قريباتها أو أقربائها من المحارم شيء من التقصير؛ إما في ترك واجب، أو فعل محرم، فيجب عليها أن تنصحهم بأسلوب طيب، وتذكرهم بالله وبأثر المعاصي على الفرد في الدنيا والآخرة، وأن رمضان هو شهر الرجوع إلى الله والتوبة النصوح؛ خوفًا عليهم ألا يقبل صيامهم.

وأساليب النصح كثيرة: إما عن طريق إهداء شريط أو كتيب، أو نصح مباشر، أو كتابة رسالة لهم؛ من قلب صادق ناصح، ولتحف هذه النصيحة بالدعوات الصادقة من القلب في ظلمة الليل؛ بأن يفتح الله على قلوبهم لقبول النصح؛ فإن الله حيي كريم، يستحي أن يرد يدي عبده صفرًا.

١١- عدم تكثيف الطاعة في العشر الأواخر؛ فقد كان من هدي نبينا ﷺ في هذه العشر أنه يجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها، كما رواه مسلم.

ويدل على فضلها أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله فيها للصلاة والذكر، حرصًا على اغتنام الأجر، لأنها فرصة العمر، وغنيمة لمن

وفقه الله – عز وجل – فما هي إلا ليالي معدودة ثم تنتهي، ربما يدرك فيها العبد المسلم نفحة من نفحات المولى فتكون سببًا لسعادته في الدنيا والآخرة.

ومن الأعمال الصالحة في هذه العشر إحياء الليل كاملاً في طاعة الله، لا في الزمر والطرب، كحال بعض الناس هداهم الله.

ثبت في الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخلت العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله».

وفي هذه العشر ليلة القدر التي من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

ليلة واحدة تكون سببًا لمغفرة الذنوب والسيئات، ويصبح العبد كيوم ولدته أمه – الله أكبر – ما أكرم الرب، وما أجزل عطاءه؛ فهل من متعرض لهذه النفحات، وراغب فيما عنده؟

١٢- تفريط بعض الأخوات في أداء الصلاة؛ فتراها تنقر الصلاة نقر الغراب، ولا تحرص على أدائها كما أداها نبيها ﷺ وهو القائل: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**».

فيجب عليها أن تطمئن في ركوعها وسجودها، وأن لا تكثر الحركة في صلاتها، وأن تستشعر بأنها واقفة بين يدي ربها وخالقها سبحانه وتعالى.

١٣- أختي المسلمة احرصي على أن يكون لسانك دائمًا رطبًا بذكر الله، وإن جاءك العذر من حيض أو نفاس؛ فإن منعت من الصيام بسبب العذر فإنك في عبادة؛ فصومك عبادة، وتركك للصيام فيه استجابة لأمر الله فهو عبادة، فلا تغفلي عن ذكر الله

تعالى والأعمال الصالحة الأخرى؛ فالتسبيح والتهليل والاستغفار والإنفاق في سبيل الله والأدعية الصالحة كلها عبادات يمكنك أن تؤديها فاحرصي عليها؛ لأن العبادات في رمضان ثوابها أعظم من غيرها.

كم من الأخوات إذا جاءها الحيض أو النفاس في رمضان تركت الكثير من الأعمال الصالحة؛ ظنًا منها أنها مثل الصيام!

١٤- أختي المسلمة؛ إنك راعية ومسؤولة عن رعيتك، ومن هذه المسؤولية تفقيهك لأمك وأختك وابنتك في دينها؛ فكم من الأخوات يسألن أنهن تركن الصيام سنة أو سنتين بعد خروج الدم منها وظهور علامة البلوغ والتكليف، فتلزم هذه الأخت بصيام ما تركت من الأيام؛ سواء كان المتروك شهرًا أو شهرين أو أكثر، والسبب في ذلك هو تفريط الأخوات والأمهات في هذه المسؤولية؛ فالدين لا حياء فيه، فإذا علمت الأم أن ابنتها قد قربت من سن البلوغ علمتها علاماته، ومنها الحيض، وأخبرتها ما يجب عليها بعد ذلك من وجوب الصلاة والصيام والحجاب، وأنها إن خالفت فإنها آثمة مستحقة لعقوبة الله تعالى.

* ملحوظة: إن البنت قد تحيض وعمرها تسع سنوات، فإذا حاضت وجب عليها الصيام، وليس من شرط بلوغها أن تبلغ خمس عشرة سنة.

١٥- جهل بعض الأخوات الحكمة من الصيام، وأنه تربية على تحمل الجوع والعطش، وشعور بحال إخواننا الفقراء والمساكين الذين لا يجدون الطعام طيلة عامهم، وتطهير للنفوس، وتهذيب لها من الأخلاق الرديئة، كالأشر والبطر والبخل، وكان من أسباب

هذا الجهل أن ظن البعض أنه شهر التفنن في المآكل والمشارب، ولذا تشتري بعض الأخوات عند إقبال هذا الشهر كتبًا في أنواع الطبخ، فكم يقدم على مائدة الإفطار من الأنواع؟! وكم تضيع الأخت من وقتها في هذا الشهر الفاضل الكريم في إعداد الإفطار والسحور؟!

لذا فإني أنصحك أن تستغلي زمانه بفعل الخير وعمل الصالح، وذلك بالصوم وقراءة القرآن والذكر في نهاره، وأن تغتنمي ليله بالقيام.

١٦- اعتقاد بعض النساء أنه لا يصح صومها إذا طهرت من الحيض أو النفاس إلا بعد أن تغتسل.

فكم من الأخوات إذا طلع عليها الفجر وهي لم تغتسل لم تصم ذلك اليوم، وهذا خطأ؛ بل الواجب عليها أن تنوي الصوم وإن لم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر، وصومها صحيح.

١٧- إفطار المرأة بمجرد الإحساس بخروج دم الحيض وإن لم تره!! وهذا ليس بصحيح.

فإن المرأة إذا أحست بانتقال الدم ولم يبرز إلا بعد الغروب فصومها صحيح إن شاء الله.

١٨- تحرج بعض النساء من تذوق الطعام، وكذا من استعمال الطيب أو البخور؛ لاعتقادها أنه يفسد صومها.

والصحيح أن ذوق المرأة للطعام أو الشراب إذا احتاجت إليه إن لم تبلعه، وكذا البخور إن لم تستنشقه- لا يؤثر على صومها.

١٩- ظن بعض النساء أن خروج الدم من جرح أو رعاف أو قلع سن أو غيره- أنه يفطر الصائمة، وهذا ليس بصحيح؛ لأن العلماء قد نصوا على أن الدماء التي تفطر الصائمة بها إذا خرجت

منها هي: دم الحيض، أو النفاس، أو الحجامة، ويقاس عليها خروج الدم بالتبرع؛ أما ما عداها من الدماء فلا تفطر بها الصائمة؛ سواء كانت قليلة أو كثيرة.

٢٠- تهاون بعض الزوجات في نهار رمضان؛ بتمكين زوجها من مجامعتها! وهذا أمر محرم عليها وعليه.

فالواجب عليها أن لا تمكنه من نفسها مهما حاول، وأن تنصحه وتخوفه بالله، وأن لا تطيعه؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٢١- إن للهاتف دورًا سلبيًا لدى بعض الأخوات؛ إذ تقضي الأخت الصائمة وقتًا طويلاً في مكالماتها؛ لا لأجل تهنئة أخواتها بدخول الشهر، وإنما للسؤال عن أنواع الأكلات، وما أعدُّوا لهذا الشهر من الأطعمة، وما يقضون ليلهم فيه، فتراها تتصل على جارتها وأخرى على أخواتها، وهكذا!!

* * * *

ملاحظات في المسجد

ويلاحظ على بعض الأخوات في رمضان حين يأتين إلى المسجد عدة ملحوظات منها:

١- خروج بعض النساء إلى المسجد وهن متعطرات؛ وهذا فيه مخالفة لما أمر به النبي ﷺ، ويحدث بسببه فتنة للرجال؛ قال ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية**». رواه أحمد والترمذي.

٢- خروج بعض النساء إلى المسجد وهن متبرجات قد كشفن عن بعض أجسادهن من الأيدي والأذرع، أو أبدين بعض مفاتنهن؛ بلبس الثوب الضيق أو وجود فتحة في أسفل ثوبها تبدي ساقيها أو لبس العباءة القصيرة أو كشف وجهها.

والمسلمة مأمورة بالتستر والحجاب الكامل لجميع جسدها؛ لأنها إذا لم تلتزم بذلك فقد عصت الله ورسوله، وحصل بسبب ذلك فتنة عظيمة، وشر كبير؛ من لفت أنظار الرجال وجرأتهم عليها؛ إلى غير ذلك.

٣- اصطحاب الأطفال معهن إلى المسجد؛ مما يؤدي إلى إزعاج المصلين؛ حيث يجتمع عدد كبير من الأطفال فيلعبون في المسجد ويزعجون المصلين بأصواتهم، ولا يرعون حرمة المسجد؛ مما يؤدي إلى التشويش على المصلين وانشغالهم عن عبادتهم.

كما يلاحظ على بعض الأخوات أنها ربما أتت برضيعها وتركته على الأرض، وانشغلت بصلاتها وطفلها يبكي بكاء شديدًا

ربما أثر عليه وأزعج المصلين؛ فنقول لهذه الأخت: لو صليت في منزلك لكان خيرًا لك.

٤- جلوس بعض الأخوات بين الركعات يتحدثن في أمور الدنيا، حتى إذا قرب الركوع قامت فركعت، وهذا خطأ؛ حيث لم تدرك مع الإمام تكبيرة الإحرام، ولم تقرأ الفاتحة، وانشغلت بغير عذر شرعي، وسبب ذلك جهلها بدين ربها.

٥- يلاحظ على صفوف النساء عدم إتمامها، وعدم التراص فيها؛ بل قد يوجد فرجات في الصف؛ فالأولى إتمام الصف الأول فالأول إذا عزل النساء عن الرجال، وأن تلصق الأخت منكبها بمنكب أختها، وكعبها بكعب أختها، ومتى وجدت صفا مقطوعًا وصلته، أو أمرت بوصله، وكذا إذا وجدت صفا أعوج أقامته وسوته، فإن صفوف النساء كصفوف الرجال إذا صلوا جماعة؛ لعموم الأدلة.

٦- حضور بعض النساء مع السائق، وربما جلست في الكرسي الأمامي بحجة أنه سائق، وهذا خطأ، وفيه مخالفة شرعية وخلوة بهذا الأجنبي؛ فهي تريد أن تحصل على مستحب وترتكب بسببه محذورًا شرعيًا وأمرًا خطيرًا.

فالأولى أن يأتي معها محرم لها أو يأتي بها أحد محارمها، وإلا جلست في دارها كما قال النبي ﷺ: «**وبيوتهن خير لهن**».

٧- بعد انقضاء الصلاة تجلس بعض الأخوات – هداهن الله – يتحدثن بالقيل والقال، وربما جر الكلام إلى مُحرَّمٍ من الحديث في أعراض الناس والغيبة والنميمة؛ بل قد ترتفع الأصوات حتى يسمع الرجال حديثهن، وهذا من الخطأ.

فالأولى للأخت المسلمة إذا انتهت من صـــلاتها أن تنصـــرف مباشرة إلى منزلها أو إلى سيارتها، ولا تتأخر إلا من عـــذر، كمـــا كانت نساء الصحابة رضي الله عنهن.

وإذا خرجت فلا تختلط بالرجال؛ بل تكون بعيدة عنهم.

* * * *

وصايا عامة في هذا الشهر وغيره، موجزة ومختصرة

١- أن تجعل كل أخت مسلمة لها جزءًا يوميًا، تقرأ فيه القرآن، لكي تختم القرآن في شهر رمضان ولو مرة واحدة على الأقل، وكلما ازدادت من القرآن، فهو خير لها، فلقد كان سلفنا يختمون القرآن كل أسبوع، ومنهم كل ثلاثة، وربما بعضهم في أيام رمضان كل يوم؛ لعلمهم بفضيلة الزمان والأجور العظام.

وإن لم تكن الأخت تستطيع القراءة فيمكنها أن تستمع للقرآن في أغلب وقتها، وإن سمعت القرآن من أوله إلى آخره فهذا فيه خير كثير؛ إذ تشغل وقتها بما ينفعها لتحصل لها رحمات من الله؛ فالله – تعالى – يقول: **﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآَنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**.

٢- أختي المسلمة كوني مربية وموجهة لأولادك ومحببة لهم الطاعات؛ حتى ينشؤوا على حب الله ورسوله ﷺ وحب العبادات؛ فمتى كان طفلك أو طفلتك يطيقون الصيام أو يرغبون فيه وهم في سن صغيرة فشجعيهم ورغبيهم، ولا تثبطيهم؛ كحال بعض الأمهات – هداهن الله – يرين ألا صيام حتى يبلغوا سن التكليف؛ هذا خلاف نهج النبوة؛ فلقد كان أسلافك من الصحابيات – رضي الله عنهن – يصومن صبيانهن وهم صغار، ويبكون من شدة الجوع، ولا يعطونهم الطعام؛ بل يشغلونهم باللعب المباحة لا المحرمة، حتى غروب الشمس؛ أين أنت منهن؟!

٣- أختي المسلمة علمي إخوانك وأطفالك دعـاء الطعـام، ودعاء الإفطار، والنوم، وأذكار الصباح والمساء؛ فإنهم إذا اعتـادوا على ذلك بسببك يكون في ميزان حسناتك، فمن دعا إلى هـدى كان له مثل أجر فاعله من غير أن ينقص من أجره شيء.

٤- مري أبناءك وبناتك وإخوانك وأخواتك بالصلاة لسبع، وتابعيهم في ذلك متابعة دقيقة، وحببيهم للصلاة ورغبيهم في الأجر والثواب؛ فإن الطفل إذا اعتاد عليها وهو صغير؛ سهلت عليه وهو كبير، ومتى علمت بأنه لم يصل فرضًا فأعلمي والده أو أخاه حتى ينصحه ويوجهه؛ لأن ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- أختي المسلمة: عودي لسانك على الكلام الحسن، والقول الجميل، ولا تكوني سبابة شتامة؛ فإن أبناءك وإخوانك وأخواتـك يقتدون بك؛ فمن أحسن إليك فادعي له بكل خير، ومـن أسـاء إليك فادعي له بالهداية والصلاح.

وإياك وأعراض الناس والكلام فيها؛ فإنها من أعظم أسـباب دخولك النار، كما أخبر بذلك المصطفي ﷺ، وفي رمضان يتأكـد ذلك؛ قال المصطفي ﷺ لمعاذ بن جبل: «**ثكلتك أمك يـا معـاذ، وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم**».

وقال ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**».

٦- أختاه: ليكن لسانك رطبًا من ذكر الله؛ فإنه بمحافظتـك على الأوراد والأذكار سواء كانت صباحية أو مسائية أو عند النوم أو الاستيقاظ، وكذا عند الأكل وبعده، وغير ذلك من الأذكـار؛ فإنه يحصل لك أجر عظيم، وترتبطين بالله ارتباطًا قويًا، ومثل الذي

يذكر الله والذي لا يذكره كمثل الحي والميت، فكوني من الأحياء في أبدانهم وقلوبهم، ولا تكوني من الغافلين المعرضين عن ذكر ربهم!

٧- احرصي – أختي المسلمة – على إنشاء مكتبة إسلامية صوتية ومقروءة؛ فإن وجود هذه المكتبة له أثر كبير في تنمية ثقافتك، وملء لفراغك بما ينفع في الدنيا والآخرة، ووجود المكتبة في المنزل يسهل على أهل البيت استخدامها، ويتم عن طريقها توعيتهم وتوجيههم لكل خير؛ فلا يسمعون إلا خيرًا من قرآن أو دروس أو محاضرات، ولا يقرؤون إلا خيرًا؛ ما بين كتيب أو مرجع يستنيرون به ويتفقهون في أمور دينهم.

٨- عودي يدك على الإنفاق في سبيل الله وطرق الخير؛ سواء في مشروعات خيرية أو مؤسسات تربوية أو على الفقراء وأصحاب الحاجات، أو كفالة أيتام، ولو أن تتصدقي بشيء من حليك كما كان سلفك من الصحابيات – رضي الله عنهن وأرضاهن ؛ فكانت إحداهن تلقي بقرطها، وأخرى بقلادتها، لتجد ذخرها هناك في الآخرة في جنة عرضها السماوات والأرض.

٩- الأخت المسلمة ليست سلبية في مواقفها أو اجتماعاتها ببنات جنسها، سواء في زواج، أو عيد، أو زيارات؛ فهي إما أن تقوم بإلقاء كلمة توجيهية، أو توزيع كتيب، أو شريط إسلامي، أو نصائح، فالمسلمة إيجابية مؤثرة في كل مكان توجد فيه.

١٠- لا تغتري بموضات الغرب وشعاراتهم؛ سواء في الملابس أو الشعر أو العادات؛ فإن المرأة المسلمة لها دين يميزها، وملتزمة بشرع لا يجوز لها أن تخالفه وتعرض عنه، لكن كم هن من فتيات الإسلام اللاتي تأثرن بشعارات الغرب يمنة ويسرة، وسرن وراءهم

إلى الهاوية، فإذا رأيت لباس بعض المسلمات لم تفرقي بينهن وبين الكافرات.

أختاه ليكن لك أسوة في زوجات النبي ﷺ وفي الصحابيات؛ فهمُّهن دينهن وتربية أولادهن على الاستقامة، لا همُّهن موضة فستان تلبسه في عرس أو قصة شعر تحاكي بها نساء الغرب.

١١- قومي بزيارة جيرانك ومناصحتهم، واحرصي أن تحملي معك حقيبة الإيمان المحتوية على أدوات تجميل القلوب وإصلاحها، من كتيبات صغيرة مشتملة على موضوعات شتى، وأشرطة إيمانية فيها دواء للقلوب وعلاج لها؛ فكم من البيوت لا تصلها أدوية القلوب، وكم من البيوت لم يقوموا بزيارة لمحلات بيع هذه الأدوية، فكوني واسطة خير لنشرها وتوزيعها.

* * * *

برنامج للأخت المسلمة في رمضان

يلاحظ في أيام رمضان على بعض المسلمين والمسلمات أنه تمضي عليهم أيام الصيام وهم في تفريط وتقصير واشتغال فيما لا يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة، وعدم تنافس في الخيرات، وارتكاب للمحرمات من السماع للزمر والطرب، أو النظر إلى ما حرم الله عليهن، ومن أجل ذلك أحببت أن أضع للأخت المسلمة برنامجًا يوميًا تقضي فيه وقتها فيما ينفعها، ويرقي درجاهًا في الجنة؛ يبتدئ من السحَر إلى السحر، اجتهدت فيه ما استطعت؛ فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي المقصرة والشيطان.

*** قبل الفجر:**

يسن للمسلمة أن تتسحر؛ لأمر النبي ﷺ بذلك؛ كما في حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه: «**تسحروا فإن في السحور بركة**» متفق عليه.

ويحصل السحور بما تيسر من الطعام؛ ولو على تمر؛ لحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «**نعم سحور المؤمن التمر**» رواه أبو داود بسند حسن.

فإن لم تجد التمر شربت قليلاً من الماء؛ لتحصل لها بركة السحور.

والسنة للمسلمة تأخير السحور، ما لم تخش طلوع الفجر؛ لما ثبت في ذلك من الأحاديث الصحيحة.

منها حديث أنس عن زيد بن ثابت قال: «تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة، قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية» متفق عليه.

وكان أصحاب النبي ﷺ يؤخرون السحور؛ كما روى عمرو بن ميمون قال: «كان أصحاب محمد ﷺ أعجل الناس إفطارًا وأبطأهم سحورًا». رواه البيهقي بسند صحيح.

ولعل الحكمة من تأخير السحور هي:

١- أن السحور يراد به التقوى على الصيام، فكان تأخيره أنفع للصائم.

٢- أن الصائم لو تسحر قبل طلوع الفجر بوقت طويل ربما نام عن صلاة الفجر.

*** أذان الفجر:**

الواجب على المسلمة إذا تحققت من طلوع الفجر أن تمسك عن الأكل والشرب، وإذا سمعت المؤذن؛ فمن السنة أن تردد معه ألفاظ الأذان، ثم تدعو بما ورد: «اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد». لتحصل على شفاعة النبي ﷺ، ثم تصلي راتبة الفجر، تقرأ في الركعة الأولى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾** وفي الثانية: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**، وسنة الفجر ينبغي المحافظة عليها؛ فلقد كان المصطفي ﷺ لا يدعها سفرًا ولا حضرًا.

روى البخاري ومسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر».

وبعد سنة الفجر تصلي صلاة الفجر، والسنة أن تقرأ سورة طويلة من المفصّل – إن تيسر ذلك – وإلا فممَّا تيسر معها من القرآن.

وبعد الانصراف من صلاة الفجر تحرص على الأوراد والأذكار التي تقال عقب الصلوات من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، ويمكن للأخت المسلمة الاطلاع عليها في كتيب: «صحيح الكلم الطيب» أو غيره من كتب الأذكار المخرجة، وبعدها تقرأ أوراد الصباح؛ لتكون في حرز من الشيطان، وحصن حصين من الشرور.

والسنة للمسلم والمسلمة أن يمكث في مصلاه إلى طلوع الشمس، وارتفاعها قيد رمح؛ يذكر الله – تعالى – ثم يصلي ركعتين؛ ليكتب له أجر حجة وعمرة تامة تامة؛ لما روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة: «أن النبي ﷺ كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسنًا».

ولحديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة**»، قال رسول الله ﷺ: «**تامة تامة**». رواه الترمذي.

وتشتغل في جلوسها بقراءة القرآن، حفظًا إن كانت حافظة، أو بمراجعة الحفظ، وإلا قرأت من المصحف ما تيسر لها، وإن لم

تكن تعرف القراءة فيمكنها أن تستمع إليها من قارئ أو من شريط أو تشتغل بشيء من الأذكار؛ ومن ذلك أن تقول: «لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كـــل شـــيء قدير» مائة مرة. وبعدها تقول: «سبحان الله وبحمده» مائة مـــرة؛ ليحصل لها ما وعد النبي ﷺ كما في الصحيحين من حـــديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قـــال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علـــى كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشـــر رقـــاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان في يومه ذلك، حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**». وقال: «**مـــن قـــال: ســـبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبـــد البحر**».

وقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»؛ لأنها كنز من كنوز الجنة؛ فقد أوصى النبي ﷺ أبا موسى الأشعري؛ حيث قال له: «**ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟!**»، قلت: بلى يا رسول الله. قال: «**قل لا حول ولا قوة إلا بالله**».

وإن خير ما يقضى به وقت المسلم والمسلمة بأحب الكلام إلى الله؛ وهو ما ثبت في مسلم من حديث سمرة بن جندب – رضـــي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله تعـــالى أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلـــه إلا الله، والله أكـــبر، لا يضرك بأيهن بدأت**».

إلى غير ذلك من الأذكار والأدعية والأوراد.

وبعد طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح تصلي الصائمة ركعتين أو ما شاءت من الركعات، ثم تأخذ قسطًا من الراحة والنوم، ولا تنسى الأذكار الواردة عند النوم؛ من قراءة آية الكرسي، وقولها: «باسمك اللهم أحيا وأموت».

وقراءة المعوذات، والنفث في اليدين، ومسح الجسد بيديها؛ كما ثبت في الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ «كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه، وقرأ بالمعوذات، ومسح بهما جسده».

وقولها: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا، وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي» وغيرها كثير.

واحرصي أن تعلمي أولادك هذه الأذكار عند نومهم؛ لأن ذلك من التربية لهم، والدعوة إلى الله، وفيها حفظ لهم وحرز الشيطان، وتعويد لهم على طاعة الله.

*** صلاة الظهر:**

أختي المسلمة: إن لم تكوني مرتبطة بدوام أو دراسة، فاستيقظي قبل الظهر، ولو بزمن يسير لتصلي سنة الضحى؛ فإن النبي ﷺ أوصى بها عددًا من الصحابة – رضي الله عنهم – وليس لها عدد معين.

فإذا أذن الظهر فاستمعي له، وقولي مثل ما يقول المؤذن، وادعي بما ورد بعد الأذان.

ثم صلي سنة الظهر القبلية- وهي أربع ركعات- ثم صلي صلاة الظهر، وبعدها صلي ركعتين؛ وإن شئت أربع ركعات، وهو أفضل.

لا تنسي الأوراد عقب الصلوات، وأن تقرئي ما تيسر من القرآن.

*** أختاه:**

احرصي على إيقاظ أولادك وإخوانك لأداء الصلاة، سواء الظهر، أو العصر، أو غيرهما، فإن هذا من التعاون على البر والتقوى.

*** بيوت الصائمات:**

إن رمضان شهر القرآن؛ فالله أنزل فيه كتابه، قال تعالى: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾**، وأمر المسلم بقراءته، ورغب أن يجعل لبيته قسطًا من قراءة القرآن.

فينبغي للصائمة أن تجعل لها حزبًا يوميًا من كتاب الله، تقرؤه في أثناء نهارها وليلها وأوقات فراغها؛ فلا أقل من أن تختم القرآن في شهر، كما أمر النبي ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – وإن قرأته في نصف شهر أو أسبوع أو ثلاثة أيام فهو أفضل؛ فقد كان عبد الله بن عمرو وتميم الداري – رضي الله عنهما – يختمان كل ثلاثة أيام، وكان سلفنا منهم من يختم كل سبع، ومنهم من يختم كل ثلاث، وبين لنا ﷺ أن البيت الذي يقرأ فيه القرآن لا يقربه الشيطان، ولقراءتك للقرآن تأثير على الأطفال والصغار؛ إذ يسمعون آيات الله تتلى عليهم، وقراءة القرآن سبب لنزول رحمة الله عليكم.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان**».

وإن من نعمة الله علينا في هذا العصر وجود إذاعة القرآن، وأشرطة القرآن، والمحاضرات المتوافرة في كل مكان، فيمكن للأخت المسلمة أن تسمع آيات الله طيلة وقتها، وتسمع كل خير عن طريق هذه الأجهزة.

وكم من الأخوات لا يستطعن القراءة من المصحف، وعوضها الله بسماع هذه الأشرطة الطيبة، فتزداد أجرًا وثوابًا بسبب سماعها، وبهذه الوسيلة يصبح البيت يدوي فيه القرآن دوي النحل، بدلاً من أن يدوي فيه الزمر والطرب...

فقد كانت بيوت الصحابة مليئة بذكر الله – تعالى – فلنحرص على أن نكون مثلهم.

*** صلاة العصر:**

إذا أذن العصر فرددي مع المؤذن كما يقول، وصلي أربع ركعات قبل الفريضة؛ لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**رحم الله امرءًا صلى قبل العصر أربعًا**». رواه أبو داود والترمذي بسند حسن، ثم صلي الفريضة، ولا تنسي الأذكار عقب الصلاة، وبعدها تنطلق الأخت إلى إعداد ما تحتاجه الأسرة من الطعام دون مبالغة ولا إسراف. واحتسبي [1] في إعدادك للطعام، وأنك تقومين على

(١) أي: اجعلي نيتك في إعداد الطعام أنه من أجل خدمة الصائمين.

خدمة صائمين؛ فلك أجر عظيم بهذا العمل، ويمكن إشغال سمعك بما ينفع من سماع لإذاعة القرآن أو شريط إسلامي.

*** فرحة الصائمة:**

وقبيل المغرب تنتظر الصائمة المؤذن؛ حيث امتنعت عن الأكل والشرب طيلة يومها، استجابة لربها، وعليك أختي المسلمة أن تستغلي هذا الوقت بالدعاء؛ فإنه وقت إجابة كما ورد.

فإذا أذن المؤذن استحب لها تعجيل الفطر، كما روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور**»، ولا تغفلي عن البسملة قبل الأكل، وأفطري على تمر – إن تيسر – ثم رددي مع المؤذن ما يقول، واسألي الله الوسيلة والفضيلة لنبيك محمد ﷺ.

*** ملاحظة:**

يلاحظ على كثير من البيوت قبل الإفطار أنهم يضعون موائد كبيرة ومتنوعة الأصناف، مما يؤدي إلى التأخر عن صلاة المغرب، أو فوات تكبيرة الإحرام، أو بعض الركعات، أو فوات الصلاة بالكلية، وهذا لا ينبغي في غير رمضان، فكيف في رمضان؟!

أختي المسلمة: كوني عونًا لأهل بيتك في طاعة الله؛ فقدمي لهم طعامًا يسد جوعهم، واتركي الباقي بعد صلاة المغرب؛ لأن ترك الصلاة مع الجماعة معصية، وخطر عظيم.

كما أذكرك أن لا تنسي الأذكار بعد الإفطار بعد أن أذهب الله عنك الظمأ، وابتلت العروق، ومن هذه الأذكار ما رواه عبد

الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا أفطر: «**ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى**». رواه أبو داود والنسائي بسند حسن. وقوله: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وجعلنا مسلمين**».

بعد الإفطار أدي صلاة المغرب في أول وقتها، والأوراد التي بعدها، وأذكار المساء.

ثم صلي راتبة المغرب، وما بين المغرب والعشاء يكمل الصائم أو الصائمة وجبة الإفطار، وما بقي يمكن شغله مع الأهل بفائدة؛ إما بدرس القرآن، أو بقصة صحابي أو سرد غزوة من غزوات النبي ﷺ؛ قال علي بن الحسين – رضي الله عنه: كانوا يعلموننا المغازي والسير، كما يعلموننا السورة من القرآن.

فإذا أذن للعشاء فاستمعي للأذان ورددي معه وقولي ما ورد، ثم أدي صلاة العشاء وسنتها التي بعدها.

*** صلاة التراويح:**

أختي المسلمة: إن مما تميز به رمضان صلاة التراويح؛ إذ ورد في فضلها أحاديث كثيرة، منها ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»؛ أي إيمانًا بالله، وما أعده من الثواب للقائمين، واحتسابًا؛ أي طلبًا لثواب الله، لم يحمله على أدائها رياء ولا سمعة، ولا غير ذلك.

والسنة للمرأة أن تصليها في منزلها، وهو أفضل؛ لحديث النبي ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن**».

وعددها إحدى عشرة ركعة، تسلم من كل اثنتين، والسنة إطالة القراءة فيها، لا العجلة ونقرها كنقر الغراب، وللمرأة أن

تصلي التراويح في المسجد، وإذا صلت في المسجد فليكن مع إمـــام حسن الصوت؛ ليؤثر القرآن على قلبها وجوارحها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. وقال: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾.

ولا تنصرف من الصلاة حتى ينصرف الإمام من آخر ركعة؛ ليكتب لها قيام ليلة كاملة، فإذا سلم الإمام من وتـــره وســـلمت قالت: سبحان الملك القدوس، ثلاث مرات.

* **تنبيه:**

إذا خرجت المرأة للصلاة في المسجد فلا يجوز لها أن تخـــرج متزينة أو متبرجة أو متعطرة؛ لما في ذلك من المفاسد؛ فإن بيوت الله مواطن عبادة لا صالات فرح وتجمل.

* **بعد التراويح إلى السحر:**

كثير من الصائمين والصائمات يسهرون الليل كله، إمـــا في مباح، أو محرم، مما يضطرهم إلى نوم غالب النهار، فيضيعون عليهم كثيرًا من أعمال الخير!!

فمنهم من يسهر ليله على المعاصي والآثام؛ إمـــا بزيـــارات يتخللها كلام في أعراض الناس من غيبة أو ســـخرية أو نميمـــة أو غيرها، وإما في جلوس عند أجهزة اللهو أو الطـــرب، أو متابعـــة الأفلام الماجنة، أو قراءة لمجلات ساقطة هابطة لا خير فيها في الدنيا ولا في الآخرة، أو خروج للأسواق من غير حاجة ماسة وتضـــييع للأوقات.

فنقول لهؤلاء: أين أنتم من سيرة السلف ولياليهم — رضي الله عنهم؛ إذ يقضون غالب أوقاهم في طاعة الله، ويناموون جزءًا منه، ليقووا على فعل الخيرات، والمنافسة في الطاعات.

إن نبي الله ﷺ قال للأمة مرغبًا لها في شغل أوقاها في كل خير: «**فأروا الله من أنفسكم خيرًا**».

ونقول لهؤلاء: اتقوا الله في رمضان، ولا تضيعوا أوقاته فيما لا ينفع، وفيما لا يكون سببًا لمغفرة ذنوبكم، فاجتنبوا المعاصي والآثام صغيرها وكبيرها.

*** أعمال يمكن للمسلمة أن تشغل وقتها في رمضان:**

١- زيارة أقاربها، وصلة أرحامها، وتكون مشتملة على النصح والتوجيه، وإهداء الأشرطة المناسبة لهم؛ من قرآن ومحاضرات وكتيبات صغيرة. قال رسول الله ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**». رواه البخاري ومسلم.

وقال رسول الله ﷺ: «**من سره أن يبسط الله له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه**». رواه البخاري ومسلم.

٢- زيارة الجيران؛ لا لتضييع الوقت، وإنما امتثالاً لحديث النبي ﷺ: «**لا يزال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**». وهذه الزيارة يكون فيها شيء من الإهداء والتعاون على البر والتقوى والتناصح.

٣- محاولة حفظ شيء من القرآن، ولو قليلاً، لتكوني من خير هذه الأمة، قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**». أو حفظ بعض أحاديث النبي ﷺ.

٤- التعاون بين الأخوات لوضع درس علمي بينهن في بعض ليالي رمضان؛ لتحفهن الملائكة، وتغشاهن الرحمة، وتنزل عليهن السكينة، ويذكرهن الله فيمن عنده.

٥- حضور المحاضرات والدروس المقامة في بعض المساجد – إن تيسر ذلك – لتتفقه في دينها؛ لأنهم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

٦- سماع بعض الأشرطة، ومحاولة تلخيصها، والاستفادة منها؛ وأعني بها أِشرطة الدروس لا المحاضرات.

٧- وضع برنامج لها لقراءة بعض الكتب، وبحث بعض المسائل العلمية، وإن كان الأفضل إشغال وقتها بتلاوة القرآن أو حفظه.

٨- إذا كانت الأخت تحسن قراءة القرآن، فينبغي لها أن تجعل لها حلقة لتدريس القرآن الكريم، لأهل بيتها أو جيرانها، لما في ذلك من الثواب العظيم.

٩- الجلوس مع أولادها أو إخوانها لتربيتهم على حب الله رسوله ﷺ، وحب الطاعات، وعلى الأخلاق الفاضلة، والآداب الإسلامية؛ إما بتحفيظهم لبعض الآيات أو بعض الأدعية والأذكار، أو قص بعض القصص الإسلامية.

فكم من أخوات تظن أن التربية للأولاد والأخوات في إعداد الطعام وتنظيف الملابس وغيرها، وتنسى تربية القلب والروح؛ وهذا من الجهل بالتربية الحقيقية.

وأخيرًا أختي المسلمة هذه بعض التوجيهات والملاحظات العاجلة وهي قد لا تخفى عليك ولكنها تبصره وذكرى لكل مؤمنة محبة لله ولرسوله ﷺ.

فحاولي أختي المسلمة أن تطهري صومك بالأعمال الصالحة قدر استطاعتك، واستعيني بالله؛ فإنه هو الرحمن المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوه إلا بالله العظيم.

فهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * * *

الفهـــــرس

* * * *

رمضانيات

إعداد

القسم العلمي بدار طويق

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار طويق للنشر والتوزيع

مقدمة

إن الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد.

ففي صحيح مسلم عن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» ثلاثًا: قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» والنصح لعامة المسلمين ترك معاداتهم وإرشادهم وحب الصالحين منهم والدعاء لجميعهم وإرادة الخير لكافتهم.

ولما كان الأمر كذلك قمنا بجمع هذه الموضوعات من أجل النصيحة لإخواننا المسلمين، وقيامنا بما نستطيع من واجب الدعوة إلى الله تعالى، وقد تضمن هذا الكتاب كثيرًا من الوصايا والنصائح التي تهم المسلم الصائم في كثير من أمور الصيام والعبادة وصيانة الجوارح عما يغضب الله تعالى.

والله نسأل أن يتقبل منا ومنكم الصيام وصالح الأعمال، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الناشر

٣٠ نصيحة في الشهر الكريم

خير الزاد ليوم القيامة أن يتوب المرء من خطاياه، وأن يعتزم فعل الخير، ويقدم على ربه بقلب سليم، ويستفيد من صيام هذا الشهر وقيامه، رغبة في ثواب الله، وخوفًا من عقابه.

فشهر رمضان هو شهر الخير والإقبال على الله سبحانه وتعالى، كان الرسول ﷺ إذا دخل رجب دعا الله أني يبلغه شهر رمضان، فيقول: «**اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا رمضان**». وذلك حبًا وكرامة لرمضان، وينبغي على المسلم – كل مسلم – في هذا الشهر المبارك أن يكون له برنامج عمل، يحاول بما يستطيع أن ينهل منه، ويفوز بعظيم ثوابه.

وها نحن نستعرض معًا نقاط هذا البرنامج بشكل موجز:

التوبة النصوح هي أساس البرنامج وأول بنوده، ومن شروطها الإقلاع عن الذنب، والندم عليه والعزم على عدم العودة له، والعمل الصالح مع الإيمان، ورد الحقوق المادية والمعنوية إلى أصحابها.

حفظ السمع والبصر واللسان عن المحرمات في نهار رمضان ولياليه.

المحافظة على السنن والنوافل.

المحافظة على صلاة الجماعة للفروض الخمسة في المسجد.

الحرص على شهود الأذان، وتكبيرة الإحرام مع الإمام،

والوقوف في الصفوف الأولى.

المحافظة على صلاة التراويح، وكذلك صلاة الشفع والوتر.

المحافظة على قيام الليل.

قراءة جزء من القرآن – على الأقل – يوميًا.

حفظ بعض آيات القرآن يوميًا.

حفظ حديث شريف أو أكثر يوميًا.

صلة الرحم، ومشاركة المسلمين أحوالهم.

ذكر الله وتسبيحه في كل وقت، مع المحافظة على أذكار الصباح والمساء.

التبرع بإفطار صائم أو أكثر كل يوم، ولو بشق تمرة.

تقديم صدقة لمسكين أو محتاج كل يوم، ولو بأقل القليل.

المحافظة على صلاة الضحى.

صلاة ركعتين بعد كل وضوء.

حضور دروس العلم.

تعلم باب في الفقه كل يوم.

قراءة مختصرة في السيرة النبوية والعقيدة.

محاولة إصلاح ذات البيت.

الدعاء عند الإفطار بجوامع الكلم.

الكرم والبذل والسخاء ومساعدة الآخرين.

الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نصرة المسلمين المجاهدين في كل مكان.

تعجيل الفطور وتأخير السحور.

بر الوالدين والأقربين، الأحياء منهم والموتى.

اعتكاف العشر الأواخر من الشهر.

أداء العمرة، فعمرة رمضان تعدل حجة مع الرسول ﷺ.

المحافظة على أداء صلاة العيد مع المسلمين.

صيام الست من شوال.

منتديات فارس نت

نصائح رمضانية

بمناسبة قرب شهر رمضان المبارك إليكم هذه النصائح:

احرص على أن يكون هذا الشهر المبارك نقطة محاسبة وتقويم لأعمالك ومراجعة وتصحيح لحياتك.

احرص على المحافظة على صلاة التراويح جماعة، فقد قال ﷺ: «**من صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**».

احذر من الإسراف في المال وغيره، فالإسراف محرم، ويقلل من حظك في الصدقات التي تؤجر عليها.

اعقد العزم على الاستمرار بعد رمضان على ما اعتدت عليه فيه.

اعتبر بمضي الزمان، وتتابع الأحوال على انقضاء العمر.

إن هذا الشهر هو شهر عبادة وعمل، وليس نوم وكسل.

عود لسانك على دوام الذكر، ولا تكن من الذين لا يذكرون الله إلا قليلاً.

عند شعورك بالجوع تذكر أنك ضعيف، ولا تستغني عن الطعام وغيره من نعم الله.

انتهز فرصة هذا الشهر للامتناع الدائم عن تعاطي ما لا ينفعك بل يضرك.

اعلم أن العمل أمانة، فحاسب نفسك هل أديته كما ينبغي؟!

سارع إلى طلب العفو ممن ظلمته قبل أن يأخذ من حسناتك.

احرص على أن تفطر صائمًا، فيصير لك مثل أجره.

اعلم أن الله أكرم الأكرمين وأرحم الأرحمين، ويقبل التوبة من التائبتين، وهو سبحانه شديد العقاب يمهل، ولا يهمل.

إذا فعلت معصية وسترك الله سبحانه وتعالى، فاعلم أنه إنذار لك لتتوب، فسارع التوبة واعقد العزم على عدم العودة لتلك المعصية.

اعلم أن الله سبحانه وتعالى أباح لنا الترويح عن النفس بغير الحرام، ولكن التمادي وجعل الوقت كله ترويحًا يفوت فرصة الاستزادة من الخير.

احرص على الاستزادة من معرفة تفسير القرآن — وأحاديث الرسول ﷺ - والسيرة العطرة — وعلوم الدين؛ فطلب العلم عبادة.

ابتعد عن جلساء السوء، واحرص على مصاحبة الأخيار الصالحين.

إن الاعتياد على التبكير إلى المساجد يدل على عظيم الشوق والأنس بالعبادة ومناجاة الخالق.

احرص على توجيه من تحت إدارتك إلى ما ينفعهم في دينهم، فإنهم يقبلون منك أكثر من غيرك.

لا تكثر من أصناف الطعام في وجبة الإفطار، فهذا يشغل أهل البيت عن الاستفادة من نهار رمضان في قراءة القرآن وغيره من العبادات.

قلل من الذهاب إلى الأسواق في ليالي رمضان، وخصوصًا في آخر الشهر؛ لئلا تضيع عليك الأوقات الثمينة.

اعلم أن هذا الشهر المبارك ضيف راحل، فأحسن ضيافته، فما أسرع ما تذكره إذا ولى.

احرص على قيام الليالي العشر الأواخر، فهي ليالي فاضلة، وفيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

اعلم أن يوم العيد يوم شكر للرب، فلا تجعله يوم انطلاق مما حبست عنه نفسك في هذا الشهر.

تذكر وأنت فرح مسرور بيوم العيد إخوانك اليتامى والثكالى والمعدمين، واعلم أن من فضلك عليهم قادر على أن يبدل هذا الحال، فسارع إلى شكر النعم ومواساتهم.

احذر من الفطر دون عذر؛ فإن من أفطر يومًا من رمضان لم يقضه صوم الدهر كله، ولو صامه.

اجعل لنفسك نصيبًا، ولو يسيرًا من الاعتكاف.

أحسن الجهر بالتكبير ليلة العيد ويومه إلى أداء الصلاة.

اجعل لنفسك نصيبًا من صوم التطوع، ولا يكن عهدك

بالصيام في رمضان فقط.

حاسب نفسك في جميع أمورك ومنها: المحافظة على الصلاة جماعة – الزكاة – صلة الأرحام – بر الوالدين – تفقد الجيران – الصفح عمن بينك وبينه شحناء – عدم الإسراف – تربية من تحت يديك – الاهتمام بأمور إخوانك المسلمين – عدم صرف شيء مما وليت عليه لفائدة نفسك – استجابتك وفرحتك بالنصح – الحذر من الرياء – حبك لأخيك ما تحب لنفسك – سعيك بالإصلاح – عدم غيبة إخوانك – تلاوة القرآن وتدبر معانيه – الخشوع عند سماعه.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الوصايا العشر لاستغلال شهر الصبر

لكي تتحمس لاستغلال رمضان في الطاعات اتبع التعليمات التالية:

الإخلاص لله في الصيام: الإخلاص لله تعالى هو روح الطاعات، ومفتاح لقبول الباقيات الصالحات، وسبب لمعونة وتوفيق رب الكائنات، وعلى قدر النية والإخلاص والصدق مع الله وفي إرادة الخير تكون معونة الله لعبده المؤمن، قال ابن القيم - رحمه الله -: (وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقه سبحانه وتعالى وإعانته ...) وقد أمرنا الله جل جلاله بإخلاص العمل له وحده دون سواه فقال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ الآية [البينة: ٥]. فإذا علم الصائم أن الإخلاص في الصيام سبب لمعونة الله وتوفيقه هذا مما يحفز المؤمن لاستغلال رمضان في طاعة الرحمن سبحانه وتعالى (صيام + إخلاص لله) = حماس وتحفيز.

معرفة أن النبي ﷺ كان يبشر أصحابه بمقدم هذا الشهر الكريم: وخصلة أخرى تدعوك للتحمس لاستغلال رمضان في طاعة الرحمن ألا وهي معرفة أن الرسول ﷺ كان يبشر أصحابه فيقول: «**جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه** ...» الحديث. وهذا يدل على عظم استغلال رمضان في

الطاعة والعبادة، لذا بشر به الرسول ﷺ الصحابة الكرام، ليستعدوا لاغتنامه.

استشعار الثواب العظيم الذي أعده الله للصائمين ومن ذلك:

أ- أن أجر الصائم عظيم لا يعلمه إلا الله عز وجل: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به**».

ب- من صام يومًا في سبيل الله باعد الله عنه النار سبعين خريفًا، فكيف بمن صام الشهر كاملاً؟!

ج- الصيام يشفع للعبد يوم القيامة حتى يدخل الجنة.

د- في الجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون.

هـ- صيام رمضان يغفر جميع ما تقدم من الذنوب.

و- في رمضان تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النيران.

ز- يستجاب دعاء الصائم في رمضان.

أخي هلا أدركت الثواب العظيم الذي أعده الله للصائمين، فما عليك إلا أن تشمر عن ساعد الجد، وتعمل بهمة ونشاط لتكون أحد الفائزين بتلك الجوائز العظيمة.

معرفة أن من هدي الرسول ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، وكان مما يخص رمضان أن تعلم أن رسولك العظيم ﷺ كان يكثر من أنواع العبادات من صلاة، وذكر ودعاء وصدقة،

وكان يخص هذا الشهر من العبادة بما لا يخص غيره من الشهور الأخرى، فهل لك في رسول الله قدوة وأسوة؟ والله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] فتكثر من أنواع الطاعات في هذا الشهر.

إدراك المسلم البركة في هذا الشهر الكريم، ومن ملامح هذه البركة حتى تزيدك حماسًا:

أ- البركة في المشاعر الإيمانية: ترى المؤمن في هذا الشهر قوي الإيمان، حي القلب، دائم التفكر، سريع التذكر، إن هذا أمر محسوس لا نزاع فيه، إنه بعض عطاء الله للصائم.

ب- البركة في القوة الجسدية: فأنت أخي الصائم رغم ترك الطعام والشراب، كأنما ازدادت قوتك، وعظم تحملك على احتمال الشدائد، ومن ناحية أخرى يبارك الله لك في قوتك، فتؤدي الصلوات المفروضة، ورواتبها المسنونة، وبقية العبادات رغم الجوع والعطش.

ج- البركة في الأوقات: تأمل ما يحصل من بركة الوقت، بحيث تعمل في اليوم والليلة من الأعمال ما يضيق عنه الأسبوع كله في غير رمضان.

فاغتنم بركة رمضان، وأضف إليها بركة القرآن، واحرص على أن يكون ذلك عونًا لك على طاعة الرحمن، ولزوم الاستقامة

في كل زمان ومكان.

وهذا مما يزيدك تحمسًا وتحفزًا على استغلال بركة هذا الشهر.

ومما يعين على التحمل لاستغلال هذا الشهر الفضيل في الطاعة.

استحضار خصائص شهر رمضان:

أخي الحبيب خص الله شهر رمضان عن غيره من الشهور بكثير من الخصائص والفضائل منها:

خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

تستغفر الملائكة للصائمين حتى يفطروا.

يزين الله في كل يوم جنته، ويقول: «**يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى، ثم يصيروا إليك**».

تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار.

فيه ليلة القدر هي خير من ألف شهر من حرم خيرها، فقد حرم الخير كله.

يغفر للصائمين في آخر ليلة من رمضان.

لله عتقاء من النار في آخر ليلة من رمضان.

استشعار أن الله تعالى اختص الصوم لنفسه من بين سائر الأعمال، ومزية عظيمة يحصل عليها مستغل رمضان في الخير، تجعل المرء لا يفرط في رمضان ألا وهي أن الله تعالى اختص قدر الثواب

والجزاء للصائم لنفسه من بين سائر الأعمال، كما في الحديث قال ﷺ: قال الله عز وجل: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به**...» إن هذا الاختصاص مما يزيد المؤمن حماسًا لاستغلال هذا الفضل العظيم.

معرفة مدى اجتهاد الصحابة الكرام والسلف الصالح في الطاعة في هذا الشهر الكريم، لقد أدرك الصحابة الأبرار فضل شهر رمضان عند الله تعالى، فاجتهدوا في العبادة، فكانوا يحيون لياليه بالقيام وتلاوة القرآن، وكان يتعاهدون فيه الفقراء والمساكين بالصدقة والإحسان؟ وإطعام الطعام وتفطير الصوام، وكانوا يجاهدون فيه أنفسهم بطاعة الله، ويجاهدون أعداء الله في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله.

معرفة أن الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة، وخصلة أخرى تزيدك تعلقًا بالصيام وحرصًا عليه هي أن الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة عند الله تعالى، ويكون سببًا لدفع العذاب عنه، فنعم القرين، قرين يشفع لك في أحلك المواقف وأصعبها. قال ﷺ: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب، منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان**» (رواه أحمد في المسند).

معرفة أن رمضان شهر القرآن، وأنه شهر الصبر، وأن صيامه وقيامه سبب لمغرفة الذنوب، وأن الصيام علاج لكثير من المشكلات الاجتماعية، والنفسية، والجنسية، والصحية.

فمعرفة كل هذه الخصال الدنيوية والأخروية للصائم مما يحفز على استغلاله والمحافظة عليه.

هذه بعض الحوافز التي تعين المؤمن على استغلال مواسم الطاعات، وشهر الرحمات والبركات، فإياك والتفريط في المواسم، فتندم حيث لا ينفع الندم، قال تعالى: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا**﴾ [الإسراء: ٢١].

نسأل الله أن يتقبل منا الصيام والقيام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عشر نصائح ليكون عامك كله رمضان

منذ أيام كنا نستقبل الشهر الكريم، ونستعد له، ونتهيأ لاستقبال نفحات الرحمن لنا.. وها نحن نودعه، وقد انتهى الشهر، ولكن مع نهايته يجب أن تكون هناك وقفة مع نفسك، ولا تكن من عباد رمضان، ولكن اجعل عامك كله رمضان.

ومع انقضاء هذا الشهر العظيم يتبادر إلى الذهن ماذا بعد رمضان.. فنحن جميعًا في حاجة إلى أن يستمر حالنا هذا طوال العام على نفس النهج الذي كنا عليه في رمضان، وهذا يتطلب منا عدة أمور، منها:

الهمة العالية والإرادة القوية التي نستطيع بها مواصلة السير إلى الله دون توقف أو تردد، بل نرقى، ونتقدم، وننتقل بين مدارج السالكين.

تحديد الأهداف التي نسعى لتحقيقها خلال عام، من تنمية لجوانب القوة، ومعالجة لجوانب الضعف، ولنجعل من شهر رمضان في كل عام وقفة للمراجعة والتقويم والانطلاقة والارتقاء، وصاحب الدعوة لا بد أن يكون له هدف واضح يسعى لتحقيقه، وينطلق من قوله تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: ٧٧] وأهدافنا طموحة ومشروعة، وتسعى إلى الجنة، كما يقول عمر بن العزيز:

(إن لي نفسًا تواقة، ما تاقت إلى شيء حتى بلغته).

المواظبة على الأوراد وفضائل الأعمال التي حرصنا عليها خلال هذا الشهر الكريم، ومنها:

الخشوع في الصلاة «**ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها**»، والخشوع هو قيام القلبي بين يدي الله بالخضوع والذل، وهو أول ما يرفع من القلوب والأرض، ويقول ابن الجوزي: (إما أن تصلي صلاة تليق بمعبودك، وإما أن تتخذ معبودًا يليق بصلاتك).

البر بالوالدين وصلة الأرحام، والتواصل الاجتماعي والإنساني مع كل الدوائر المحيطة من الأهل والأقارب والجيران والزملاء.

التبكير إلى المسجد والحرص على المكث فيه، فالمسجد له أثر كبير في تربية النفس وزيادة الإيمان، فقط ظل سعيد بن المسيب ثلاثين عامًا لا يؤذن المؤذن إلا وهو في المسجد.

المداومة على الذكر والدعاء والمناجاة في الأوقات المستحبة، وخاصة في وقت السحر، عندما يمضي الليل والناس نيام، والذكر المقصود هو أن يكون في طاعة الله على كل حال وفي كل وقت، لأن الذكر هو الموجب دائمًا لمحبة الله سبحانه «**إني مع عبدي ما ذكرني، وتحركت بي شفتاه**».

المحافظة على قيام الليل فهو شرف المؤمن، ويقول سفيان الثوري: (إذا جاء الليل فرحت وإذا جاء النهار حزنت).

الحرص على صيام النافلة حتى نستمر على عهدنا برمضان.

ولا تنسى صيام **٦** أيام من شوال، فعن أبي أيوب الأنصاري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر**» صحيح مسلم.

وختامًا، اللهم، تقبل منا ما كان من صيام وقيام وركوع وسجود ودعاء وذكر وقراءة للقرآن، وأعد علينا رمضان أعوامًا عديدة وأزمنة مديدية.. واجعلنا من الذين أعتقتهم من النيران في شهر رمضان.. اللهم اجعلنا من العتقاء.. اللهم، اجعلنا من العتقاء.. اللهم آمين.

١١ نصيحة طبية للصائمين

١١ نصيحة للصائمين:

ثمة نصائح، من الواجب على الصائم الالتزام بها خلال شهر رمضان لتحقيق الغاية القصوى من الصيام، ولتفادي بعض التغييرات التي تطرأ على الجسم بسبب تقليص عدد الوجبات هذه النصائح هي على الشكل التالي:

الإكثار من شرب الماء.

تناول كمية من الخضر والفاكهة خلال الوجبات.

الابتعاد عن المشروبات الغنية بالكافيين؛ لأنه مدر للبول والمشروبات الغازية، ويجب البدء بتخفيف تناول هذه المشروبات قبل أسبوع من بدء الصيام كي لا يحدث التخفيف المفاجئ ردات فعل تنعكس تغيرًا في المزاج أو تعصبيًا أو ألمًا في الرأس.

التخفيف من تناول النيكوتين والتدخين قبل أسابيع من بدء الصوم؛ لأن التدخين يؤثر على عملية الاستقلاب والإنزيمات المختلفة في الجسم، كما أنه يخفف فعالية الفيتامينات داخل الجسم.

تفادي السكر الذي يكون مصدره المشروبات والحلويات.

تنظيف الأسنان قبل النوم وبعد السحور لتخفيف عوارض تسوس الأسنان.

الابتعاد عن المأكولات الغنية بالبهارات.

الابتعاد عن المقالي والزيوت الكثيرة في الطعام.

ممارسة الرياضة الخفيفة يوميًا كالمشي وركوب الدراجة الهوائية أو السباحة، فذلك ضروري لعملية الهضم بعد الإفطار، كما أن الرياضة ضرورية لكبح الشهية إلى الطعام إذ أن الدماغ يفرز مواد كيميائية أو هورمونات لضبط الشهية، لذلك يجب ممارسة الرياضة لمدة تتراوح بين عشرين إلى ثلاثين دقيقة، والرياضة ضرورية لتسهيل الدورة الدموية في الجسم ولزيادة رشاقة العضلات وللحماية من الأمراض.

يجب تفادي زيادة الوزن خلال فترة الصوم، خصوصًا لأولئك الذين هم على استعداد لذلك، والحل يكون بتوازن الوجبات والاعتدال خلال فترة الصوم.

يجب تفادي خسارة الوزن عند الذين يعانون من ضعف زائد.

كتاب: صحتك بصحتك د/ نزار دندش

نصائح للصائمين عند الإفطار والسحور

هذه بعض النصائح لكم عند الإفطار والسحور لتجنب المتاعب، ولصيام بعيد عن المشاكل:

التعجيل بالإفطار، وذلك لفوائد طبية وآثار صحية ونفسية مهمة للصائمين.

الإفطار على رطبات أو بضع تمرات أو ماء.

الإفطار على مرحلتين كما كان يفعل رسول الله ﷺ وجاء في السنة المطهرة أنه كان يعجل فطوره، ويعجل صلاة المغرب، حيث كان يقدمها على إكمال الأكل.

شرب قليل من الماء على فترات والاحتراس من تناول الكنافة والقطايف والحلويات في السحور؛ لأنها تسبب العطش طول النهار.

تناول السلطات التي تحتوي على الخضروات الطازجة مع وجبة الإفطار مع تجنب التوابل والشطة والبهارات والمخللات، وتجنب المقالي والمسبكات، وتجنب الإفراط في الطعام وإتخام المعدة بشتى الأصناف، وتجنب النوم بعد الإفطار.

الاعتدال في تناول الشاي والقهوة، وإذا كنت مصابًا بارتفاع ضغط الدم، فاحترس من شرب العرقسوس.

عدم إهمال وجبة السحور، ففيه بركة، ومن السنة تأخيره حتى يظل مستوى السكر في الدم مناسبًا، وكافيًا للطاقة والحركة

أثناء النهار.

تجنب الأطعمة المحفوظة والأغذية المملحة لتجنب الإحساس بالعطش.

تناول الأطعمة ذات الألياف النباتية الموجودة في السلطات والفواكه والخضروات والبقول مع أداء الأنشطة الحركية، وتناول السوائل بين الإفطار والسحور لتجنب الإمساك.

منتدى الكلمة الطيبة

خمس فوائد للصيام

خمس فوائد للصيام:

سيدتي.. اعلمي أن الصوم صحة، ولا يفرض الله أمرًا إلا وكان له فائدة عظيمة للبشرية، ويقول رسول الله ﷺ: «**صوموا تصحوا**» ومن هذه الفوائد:

أسرار الإفطار على التمر: يحتوي التمر على كميات كبيرة من المعادن والفيتامينات التي يحتاجها الصائم، وكذلك يحتوي على الألياف التي تقي من الإمساك، وتعطي إحساسًا بالامتلاء؛ فلا يكثر الصائم من تناول أنواع الأطعمة الدسمة.

رمضان فرصة للتخلص من مشاكل الهضم، وذلك بتجنب الإكثار من الأطعمة المقلية والدهنية والحريفات والبهارات، وكذلك تجنب الإكثار من المشروبات الغازية كالكولا وأمثالها واستبدالها بالماء أو العصير أو اللبن الرائب.

السحور بركة: ومن السنة تأخير السحور إلى ما قبل الفجر، وتعجيل الإفطار للحفاظ على الصحة والنشاط.

المحافظة على صلاة التراويح، يضيع الإحساس بالتخمة وعسر الهضم.

لتعش رمضان طوال العام

من الحماس الشديد.. إلى الفتور.. من الاجتهاد إلى العبادة على حرف.. هذا هو حال كثيرين بعد رمضان.. حيث يكثفون طاعتهم في هذا الشهر الكريم صلاة وقراءة للقرآن وصدقة وصلة أرحام.. وبعد انتهائه يعود كل شيء لما كان عليه.. فيصلون وهم كسالى.. ويهجرون القرآن، وتشح النفوس، وتتقطع الأرحام، ويصبح رمضان بنفحاته الرائعة مجرد ذكرى.

كيف يكون رمضان اثنى عشر شهرًا لا شهرًا واحدًا، وكيف يظل منحنى الطاعة فيه وفي بقية الشهور بعده في قمته؟

الصلاة: كما أمر الله تعالى، وكما أرادها، فالرجال يصلون في المساجد، والنساء يصلين في أول الوقت، مهما كانت الالتزامات، مع الالتزام بالنوافل، وفي رمضان تكون العبادات سهلة نتيجة رقة قلب المؤمن، فيجب أن يكون رمضان فرصة لتدريب النفس على السنن القبلية والبعدية، وصلاة الضحى، وصلاة الحاجة، وصلاة الاستخارة، أما صلاة التراويح التي نستطيع أن نصليها كل يوم ثماني ركعات، فلتكن بداية لصلاتنا قيام الليل طوال العام.

تدريب النفس على الخشوع في الصلاة، وتفهم معانيها حتى نتلذذ بالصلاة، وننتظرها، ومن لا يستطيع الوصول لهذه المعاني الطيبة في رمضان، فلن يستطيع في غيره.

القرآن والحرص على ختم قراءته بأقصى طاقة ممكنة، فقد كان الإمام أبو حنيفة يختم القرآن ٦٠ مرة في شهر رمضان، ورغم أن القرآن يجب قراءته بتدبر، فيمكن في رمضان قراءته من أجل الحسنات، فالحسنة بعشر أمثالها، وكل حرف حسنة، فأنت في رمضان في سباق مع الزمن.

القيام: وهو عبادة نحرص عليها في رمضان، ويجب أن نعاهد الله ثم أنفسنا على أن نكمل القيام بعد رمضان.

الإنفاق: النفس مجبولة على حب المال، فإذا أنفقته في سبيل الله، فهذا يعني أن حبك لله يفوق حبك للمال، ولنجعل الصدقة يومية في رمضان قلت أو كثرت، حتى نعتاد الإنفاق باستمرار بعد رمضان.

صلة الرحم: من الأمور المهمة في رمضان، وأقول للمرأة لا ترفضي الولائم، لتتفرغي للعبادة، ولكن لا تتكلفي في هذه الولائم، وابتعدي عن الأمور التي ليست من الشرع كالإسراف في الطعام، والتفاخر والتباهي، فالنبي ﷺ حثنا على إفطار الصائم ولو على تمرة، والاجتماع على الطعام قد يكون خيرًا من عبادة أربعين يومًا، كما يقول سيدنا علي بن أبي طالب؛ لأنه يرقق القلوب، ويشيع البساطة بين الناس، ويا حبذا لو دعونا إلى بيوتنا من كانت بيننا وبينهم مشكلات وشحناء لإصلاح ذات البين، فالله تعالى يغفر للناس في كل اثنين وخميس، إلا اثنين بينهما شحناء، فينظرهما حتى يصطلحا، فلننبذ خلافاتنا، ونصل من قطعنا لله تعالى.

أمسك عليك لسانك: وعود لسانك على قول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبعد عن الغيبة والحرمات والكف عن الصوت العالي مع الزوج والأولاد والجيران ﴿**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾، وليكن اللسان رطبًا بذكر الله.

احذر التلفاز: فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، فرمضان وقته ثمين وغال، ولا وقت لنضيعه، كما أن التلفزيون مليء بالعري والسفور، ونحن في غنى عن ذلك.

الاهتمام بالدعوة إلى الله: ذلك أن القلوب في رمضان تكون مستعدة للهداية والبعد عن المعاصي.

الاعتكاف: ويمكن للمرأة أن تعتكف في البيت، ويعتكف الرجال في المساجد، كسنة عن الرسول ﷺ مع الإقلال عن الطعام في العشر الأواخر حتى لا تقضي المرأة وقتها في المطبخ، ومن يجتهد بنية صادقة سيرزقه الله ليلة القدر، فهي هدية من الله عز وجل للمتقين.

التوبة إلى الله عز وجل: وغسل النفس من ذنوبها وأدرانها خلال هذا الشهر، والعزم على عدم العودة إلى الذنوب والندم على ما فات، ورد المظالم لأصحابها.

جدول الحسنات:

يمكن تحويل هذه النصائح إلى خطة علمية من خلال جدول يومي، يحدد فيه الصائم كل يوم مدى التزامه الطاعات الواردة فيه

على أن يظل لونًا غامقًا أو أسود في الخانات التي لم يفعلها، فإن كانت مساحة السواد أقل في نهاية رمضان فهذه بشرى بياض صفحته يوم القيامة إن شاء الله، وندعو الله ألا يجد مسلم في جدوله المساحات السوداء أكثر، والعياذ بالله.

د/ راغب السرجاني

١١ وسيلة لمقاومة الجوع الرمضاني

عزيزتي.. التفكير في الطعام والشراب وعدم القدرة على مقاومة الجوع دليل على عدم وجود ما يشغل فراغك، ويعينك على ملء وقتك في رمضان.. لهذا نقدم لك هذه الأفكار التي قد تعينك على مقاومة الرغبة في تناول الطعام، وتشعرك بحلاوة الصيام.

صيام رمضان مرتين:

لحظة من فضلك.. فالأمر ليس مزحة.. كل ما عليك هو أن تفكري كل يوم في شخص تدعينه لتناول طعام الإفطار عندكم أو إرسال الطعام لبعض الصائمين في الجوار حتى تنالي الأجر الذي قال عنه الرسول ﷺ: «**من فطر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**».

البحث والتحري والعمل بالدعاية:

أشغلي ذهنك دائمًا بالبحث عن الوسيلة التي يمكنك من خلالها حث الآخرين على الإنفاق، وذلك باستغلال التجمعات الرمضانية العائلية في جميع بعض ما يتيسر من نقود والبحث عن طريقة لإيصالها إلى مستحقيها في كل مكان.

إعادة برمجة:

وذلك بترك العادات السيئة وشغل نفسك بمحاولة إكسابها عادات جيدة تتمنين أن تكون لديك.

ترميم معلوماتك الدينية:

فلا شك أن أيام الشهر الفضيل فرصة لحضور التجمعات التي تعقدها بعض الفتيات والنساء من أجل تدارس العلم.. يا لها من بديل رائع للالتقاء مع الصديقات من أجل تبادل الأخبار أو التجول في الأسواق كل واحدة ماذا أعددت للإفطار، فهذا الحديث سيزيد من إحساسك بالرغبة في تناول الطعام.

إعلان المقاطعة:

ولكن في هذه المرة ليس تجاه بعض البضائع والمنتجات، بل مقاطعة مقننة لوسائل الإعلام إنها تجربة طريفة لتخيل حياتك، بلا تليفزيون أو قنوات فضائية.. لا شك أن ذلك سيتيح لك الكثير من الوقت لعمل أشياء أكثر متعة.

استغلال ساعات قبل الإفطار:

فالوقت القليل الذي يسبق أذان المغرب من أكثر الأوقات التي قد تشعرين فيها بالجوع فما رأيك في محاربة هذا الجوع بالذكر.. فأنت بذلك ستذكرين الثواب الكبير الذي أعده الله للصائمين، كما أنك ستكونين ضمن الثلاثة الذين يستجيب الله لدعائهم، وهم الصائم والمظلوم والمسافر.

مساعدة الوالدين:

لا شك أن جلوسك دون شيء يشغلك هكذا يزيد من إحساسك بالملل، ويجعلك تفكرين في أشياء سيئة مثل الإفطار،

ولكن مساعدتك لوالدتك في إعداد الطعام أو الذهاب للسوق بدلاً عنها أو العناية بالنباتات في المنزل أو أي عمل آخر اعتادت والدتك القيام به مثل تدريس إخوتك الصغار أو العناية بهم سيجعلك تنالين ثواب البر، كما أن دعاء والدتك لك في هذا الوقت مستجاب لصيامها، فلا تضيعي هذه الفرصة.

أداء ثلاثين عمرة:

لا تندهشي هكذا.. فيمكنك أداء عمرة في كل يوم من أيام رمضان، كل ما عليك هو عدم إضاعة الوقت ما بين صلاة الفجر وشروق الشمس في النوم، بل استغليه في الدعاء وقراءة القرآن والتسبيح.. ثم أدركي ركعتين بعد شروق الشمس لتحصلي بذلك على ثواب عمرة تامة.

الحج مع النبي ﷺ:

وذلك باستغلال بضعة أيام في الشهر الفضيل لأداء مناسك العمرة في رمضان، فالعمرة في رمضان كالحج مع النبي ﷺ.

تنظيم حلقات:

لا شك أنك ترغبين في حفظ بعض آيات القرآن.. وكذلك صديقاتك أو قريباتك أو جاراتك.. فما رأيك أن تتفقي معهن على الالتقاء معًا من أجل الحفظ، وأن تسمع كل واحدة منكن للأخرى، فهذا سيشجعك، وما أجمل أن تدعين بعض الطفلات للانضمام إليكن، فتحفظهن بعض قصار السور، وتسمعين لهن،

وتمنحين للمتميزات منهن بعض الجوائز.

دعوة للفهم:

كثيرًا ما نختم القرآن الكريم.. ولكن تمر علينا بعض الآيات دون أن نحاول أن نفهم معناها أو الهدف منها.. فما رأيك أن تجعلي تلاوتك في هذا العام مختلفة بفهم كل ما غمض عليك من آيات القرآن الكريم؟

مفكرة الإسلام

ست نصائح للتغلب على العطش في رمضان

إن ارتفاع درجة الحرارة في بعض أيام رمضان يؤدي إلى العطش، ويلعب نوع الغذاء الذي يتناوله الصائم دورًا كبيرًا في تحمل العطش أثناء ساعات الصيام، ولكي تتغلب على الإحساس بالعطش يمكن اتباع النصائح التالية:

* تجنب تناول الأكلات والأغذية المحتوية على نسبة كبيرة من البهارات والتوابل بخاصة عند وجبة السحور؛ لأنها تحتاج إلى شرب كميات كبيرة من الماء بعد تناولها.

* حاول أن تشرب كميات قليلة من الماء في فترات متقطعة من الليل.

* تناول الخضروات والفواكه الطازجة في الليل، وعند السحور فإن هذه الأغذية تحتوي على كميات من الماء والألياف التي تمكث فترة طويلة في الأمعاء مما يقلل من الإحساس بالجوع والعطش.

* تجنب وضع الملح الكثير على السلطة والأفضل وضع الليمون عليها، والذي يجعل الطعم مثيلاً للملح في تعديل الطعم.

وابتعد عن تناول الأكلات والأغذية المالحة مثل السمك المالح

والطرشي والتي تدخل تحت اسم المخللات، فإن هذه الأغذية تزيد من حاجة الجسم إلى الماء.

يعتقد بعض الأشخاص أن شرب كميات كبيرة من الماء عند السحور يحميهم من الشعور بالعطش أثناء الصيام، وهذا اعتقاد خاطئ؛ لأن معظم هذه المياه زائدة عن حاجة الجسم، لذا تقوم الكلية بفرزها بعد ساعات قليلة من تناولها. إن الإكثار من السوائل في رمضان مثل: أنواع العصير المختلفة، والمياه الغازية، يؤثر بشدة على المعدة وتقليل كفاءة الهضم وحدوث بعض الاضطرابات الهضمية، ويعمد بعض الأفراد إلى شرب الماء المثلج بخاصة عند بداية الإفطار، وهذا لا يروي العطش بل يؤدي إلى انقباض الشعيرات الدموية، وبالتالي ضعف الهضم، ويجب أن تكون درجة الماء معتدلة أو متوسطة البرودة، وأن يشربها الفرد متأنيًا، وليس دفعة واحدة، ودفع الطعام بالماء أثناء الأكل طريقة خاطئة؛ لأنها لا تعطي فرصة للهضم، وأكثر عمليات الهضم هو مضغ الطعام للحصول على هضم جيد.

ننصح أيضًا بعدم شرب العصائر المحتوية على مواد مصنعة وملونة اصطناعيًا والتي تحتوي على كميات كبيرة من السكر، وقد ثبت عند أطباء التغذية أنها تسبب أضرارًا صحية وحساسية لدى الأطفال، وينصح باستبدال العصائر الطازجة والفواكه بها.

المفلس في رمضان

مظاهر الإفلاس في رمضان:

الإفلاس بسبب المعاصي: يتأكد على الصائم اجتناب كل ما يحرم من قول أو فعل، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» متفق عليه.

إذا سبك أحد أو شاتمك، فترفع عن المشاتمة، ويشرع لك أن تقول: إني صائم أو إني امرؤ صائم، وإذا دعت الحاجة لتكرار ذلك فقلها مرتين أو ثلاثًا سواء كان الصوم فرضًا أو نفلاً.

الغيبة والنميمة، ونحوها من آفات اللسان المؤدية للإفلاس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟** قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: **إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**». مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تدرون من المسلم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من**

سلم المسلمون من لسانه ويده»، قال: «**أتدرون من المؤمن؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم، والمهاجر من هجر السوء، فاجتنبه**» [لأخرجه الإمام أحمد في مسنده].

الإفلاس بسبب التفريط، ومن ذلك:

- النوم أثناء نهار رمضان.

- إضاعة الأوقات باللهو المضيع للواجبات.

- السهر على القنوات الفضائية الماجنة الهادمة للأخلاق.

- ضياع الأوقات في الأسواق لشراء حاجيات البيت والعيد.

- عدم التعرض لنفحات هذه الشهر، واستغلاله بالعبادة والطاعة.

اسأل الله لي ولكم الصلاح والسداد والتقوى، وأن يتقبل صيامنا وقيامنا بإذنه تعالى.

من أخطاء

الصائمين والقائمين

إن شهر رمضان المبارك موسم عبادات متنوعة من صيام وقيام وتلاوة قرآن وصدقة وإحسان وذكر ودعاء واستغفار وسؤال الجنة والنجاة من النار. فالموفق من حفظ أقواته في ليله ونهاره وشغلها فيما يسعده ويقربه إلى ربه على الوجه المشروع بلا زيادة، ولا نقصان، ومن المعلوم لدى كل مسلم أنه يشترط لقبول العمل الإخلاص لله المعبود والمتابعة للرسول ﷺ.

لذا يتعين على المسلم أن يتعلم أحكام الصيام: على من يجب، وشروط وجوبه وشروط صحته، ومن يباح له الفطر في رمضان، ومن لا يباح له، وما هي آداب الصائم، وما الذي يستحب له. وما هي الأشياء التي تفسد الصيام ويفطر بها الصائم، وما هي أحكام القيام؟

وكثير من الناس مقصر في معرفة هذه الأحكام، لذا تراهم يقعون في أخطاء كثيرة منها:

عدم معرفة أحكام الصيام وعدم السؤال عنها، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» متفق عليه.

استقبال هذا الشهر الكريم باللهو واللعب بدلاً من ذكر الله وشكره، فكثير من الناس بلغهم هذا الشهر العظيم، وبدلاً من أن يستقبلوه بالتوبة الصادقة والإنابة إلى الله ومحاسبة النفس في كل صغيرة وكبيرة قبل أن تحاسب وتجزى على ما عملت من خير وشر.

يلاحظ أن بعض الناس إذا جاء رمضان تابوا وصلوا وصاموا، فإذا انقضى عادوا إلى ترك الصلاة وفعل المعاصي. فهؤلاء بئس القوم؛ لأنهم لا يعرفون الله إلا في رمضان. ألم يعلموا أن رب الشهور واحد، وأن المعاصي حرام في كل وقت، وأن الله مطلع عليهم في كل زمان ومكان، فليتوبوا إلى الله تعالى توبة نصوحًا بترك المعاصي والندم على ما كان منها والعزم على عدم العودة إليها في المستقبل حتى تقبل توبتهم وتغفر ذنوبهم وتمحى سيئاتهم.

اعتقاد البعض من الناس أن شهر رمضان فرصة للنوم والكسل في النهار والسهر في الليل، وفي الغالب يكون هذا السهر على ما يغضب الله عز وجل من اللهو واللعب والغفلة والقيل والقال والغيبة والنميمة، وهذا فيه خطر عظيم وخسارة جسيمة عليهم. وهذه الأيام المعدودات شاهدة للطائعين بطاعاتهم وشهادة على العاصين والغافلين بمعاصيهم وغفلاتهم.

يلاحظ أن بعض الناس يستاء من دخول شهر رمضان، ويفرح بخروجه؛ لأنهم يرون فيه حرمانا لهم من ممارسة شهواتهم، فيصومون مجاراة للناس وتقليدًا وتبعية لهم، ويفضلون عليه غيره من الشهور مع أنه شهر بركة ومغفرة ورحمة وعتق من النار للمسلم

الذي يؤدي الواجبات، ويترك المحرمات، ويمتثل للأوامر، ويترك النواهي.

إن بعض الناس يسهرون في ليالي رمضان غالبًا فيما لا تحمد عقباه من الملاهي والملاعب والتجول في الشوارع والجلوس على الأرصفة، ثم يتسحرون بعد نصف الليل، وينامون عن أداء صلاة الفجر في وقتها مع الجماعة، وفي ذلك عدة مخالفات.

أ- السهر فيما لا يجدي، وقد كان النبي ﷺ يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها إلا في خير وفي الحديث الذي رواه أحمد «**لا سمر إلا لمصل أو مسافر**» ورمز السيوطي لحسنه.

ب- ضياع أوقاتهم الثمينة في رمضان بدون أن يستفيدوا منها شيئًا، وسوف يتحسر الإنسان على كل وقت يمر به لا يذكر الله فيه.

ج- تقديم السحور قبل وقته المشروع آخر الليل قبيل طلوع الفجر.

د- المصيبة العظمى النوم عن أداء صلاة الفجر في وقتها مع الجماعة التي تعدل قيام الليل أو نصفه، كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة، فكأنما صلى الليل كله**» وبذلك يتصفون بصفات المنافقين الذين لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى،

ويؤخرونها عن أوقاتها، ويتخلفون عن جماعتها، ويحرمون أنفسهم الفضل العظيم والثواب الجسيم المترتب عليها.

التحرز من المفطرات الحسية؛ كالأكل والشرب والجماع، وعدم التحرز من المفطرات المعنوية كالغيبة والنميمة والكذب واللعن والسباب وإطلاق النظر إلى النساء في الشوارع والمحلات التجارية، فيجب على كل مسلم أن يهتم بصيامه، وأن يبتعد عن هذه المحرمات والمفطرات، فرب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب، قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» رواه البخاري.

ترك صلاة التراويح التي وعد من قامها إيمانًا واحتسابًا بمغفرة ما مضى من ذنوبه، وفي تركها استهانة بهذا الثواب العظيم والأجر الجسيم، فالكثير من المسلمين لا يؤديها وربما صلى قليلاً منها، ثم انصرف، وحجته في ذلك أنها سنة.

ونقول: نعم، هي سنة مؤكدة صلاها رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون والتابعون لهم بإحسان، وهي تقرب العبد إلى ربه. ومن أسباب مغفرة الله لعبده ومحبته له. وتركها يعتبر من الحرمان العظيم نعوذ بالله من ذلك، وربما وافق المصلي ليلة القدر، ففاز بعظيم المغفرة والأجر، والسنن شرعت لجبر نقص الفرائض، وهي من أسباب محبة الله لعبده، وإجابة دعائه، ومن أسباب تكفير السيئات ومضاعفة الحسنات ورفع الدرجات.

ولا ينبغي للرجل أن يتخلف عن صلاة التراويح؛ لينال ثوابها وأجرها، ولا ينصرف منها حتى ينتهي الإمام منها، ومن الوتر ليحصل له أجر قيام الليل كله، لقوله ﷺ: «**من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**» رواه أهل السنن بسند صحيح.

يلاحظ أن بعض الناس قد يصوم، ولا يصلي في رمضان، فمثل هذا لا يفيده صوم، ولا صدقة؛ لأن الصلاة عماد الدين الإسلامي الذي يقوم عليه.

اللجوء إلى السفر إلى الخارج في رمضان بدون حاجة وضرورة بل من أجل التحاليل على الفطر. بحجة أنه مسافر ومثل هذا السفر لا يجوز، ولا يحل أن يفطر فيه، والله لا تخفى عليه حيل المحتالين، وغالب من يفعل ذلك متعاطي المسكرات والمخدرات عافانا الله والمسلمين منها.

الفطر على بعض المحرمات لوصفها كالمسكرات والمخدرات، ومنها شرب الدخان والشيشة (النارجيلة) أو لكسبها كالمال المكتسب من حرام: كالرشوة وشهادة الزور والكذب والأيمان الكاذبة والمعاملات الربوية يأكل الحرام أو يشربه لا يقبل منه عمل ولا يستجاب له دعاء. إن تصدق منه لم تقبل صدقته، وإن حج منه لم يقبل حجه.

يلاحظ على بعض الأئمة في صلاة التراويح أنهم يسرعون فيه سرعة تخل بالمقصود من الصلاة؛ يسرعون في التلاوة للقرآن الكريم،

والمطلوب فيها الترتيل، ولا يطمئنون في ركوعها ولا سجودها. ولا يطمئنون في القيام بعد الركوع والجلوس بين السجدتين. وقد قال رسول الله ﷺ للذي لم يطمئن في صلاته: «**ارجع فصل، فإنك لم تصل**» متفق عليه. وأسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، فلا يتم ركوعها، ولا سجودها، ولا القراءة فيها، والصلاة مكيال فمن وفى وفي له، ومن طفف فويل للمطففين

تطويل دعاء القنوت والإتيان فيه بأدعية غير مأثورة مما يسبب السآمة والملل لدى المأمومين، والوارد أن النبي ﷺ قال في دعاء قنوت الوتر كلمات يسيرة، وهي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر «**اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت. وبارك لي فيما أعطيت. وقني شر ما قضيت؛ فإنك تقضي، ولا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت**» قال الترمذي: حديث حسن، ولا يعرف عن النبي ﷺ في القنوت شيء أحسن من هذا.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في آخر وتر «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أخصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» رواه أحمد وأهل السنن. والناس يقولون هذا الدعاء في أثناء قنوت الوتر، ثم يأتون بأدعية طويلة ومملة. وقد كان النبي ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك.

كما في الحديث الذي رواه أبو داود والحاكم وصححه. فينبغي الاقتصار في دعاء القنوت على الأدعية المأثورة الجامعة لخير الدنيا والآخرة، وهي موجودة في كتب الأذكار؛ اقتداء بالنبي ﷺ، ولئلا يشق على المأمومين.

السنة أن يقال بعد السلام من الوتر: (سبحان الملك القدوس) ثلاث مرات للحديث الذي رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح، والناس لا يقولونها، وعلى أئمة المساجد تذكير الناس بها.

يلاحظ على كثير من المأمومين في صلاة التراويح وغيرها من الصلوات مسابقة الإمام في الركوع والسجود والقيام والقعود والخفض والرفع خداعًا من الشيطان واستخفافًا منهم بالصلاة. وفي حالات المأموم مع إمامه في صلاة الجماعة أربع حالات؛ واحدة منها مشروعة، وثلاثة ممنوعة، وهي المسابقة والمخالفة والموافقة.

والمشروع في حق المأموم هو المتابعة بأن يأتي بأفعال الصلاة بعد إمامه مباشرة فلا يسبقه بها، ولا يوافقه، ولا يتخلف عنه، والمسابقة مبطلة للصلاة لقوله ﷺ «**أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار**» أو «**يجعل صورته صورة حمار**» متفق عليه. وذلك لإساءته في صلاته؛ لأنه لا صلاة له. ولو كانت صلاة لرجا له الثواب، ولم يخف عليه العقاب أن يحول الله رأسه رأس حمار.

يلاحظ على بعض المأمومين أنهم يحملون المصاحف في قيام

رمضان، ويتابعون بها قراءة الإمام، وهذا العمل غير مشروع، ولا مأثور عن السلف، ولا ينبغي إلا لمن يرد على الإمام إذا غلط، والمأموم مأمور بالاستماع، والإنصات لقراءة الإمام لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

قال الإمام أحمد: أجمع الناس على أن هذه الآية في الصلاة. وقد نبه على هذه المسألة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين في التنبيهات على المخالفات في الصلاة، وقال: إن هذا العمل يشغل المصلي عن الخشوع والتدبر، ويعتبر عبثًا.

إن بعض أئمة المساجد يرفع صوته بدعاء القنوت أكثر من اللازم، ولا ينبغي رفع الصوت إلا بقدر ما يسمع المأموم، وقد قال تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ ولما رفع الصحابة رضي الله عنهم أصواتهم بالتكبير نهاهم النبي ﷺ عن ذلك وقال: «**أربعوا على أنفسكم؛ إنكم لا تدعون أصمًا، ولا غائبًا**» رواه البخاري ومسلم.

يلاحظ على كثير من الأئمة في الصلوات التي يشرع تطويل القراءة فيها كقيام رمضان وصلاة الكسوف أنهم يخففون الركوع والسجود والقيام بعد الركوع والجلوس بين السجدتين والمشروع أن تكون الصلاة متناسبة اقتداء بالنبي ﷺ فقد كان مقدار ركوعه وسجوده قريبًا من قيامه، وكان إذا رفع رأسه من الركوع مكث قائمًا حتى يقول القائل: قد نسي، وإذا رفع رأسه من السجود

مكث جالسًا حتى يقول القائل: قد نسي.

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: رمقت الصلاة مع النبي ﷺ فوجدت قيامه فركعته فقيامه بعد الركوع فسجدته فجلوسه بين السجدتين قريبًا من السواء، وفي رواية: ما خلا القيام والقعود قريبًا من السواء. والمراد: أنه إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود وما بينهما، وإذا خفف القيام خفف الركع والسجود وما بينهما.

وينصح أئمة المساجد أن يقرؤوا صفة صلاة رسول الله ﷺ في زاد المعاد، وفي كتاب الصلاة لابن القيم رحمه الله؛ فقد أجاد في وصفها وأفاد رحمه الله وغفر لنا، وله ولوالدينا ولجميع المسلمين.

كثير من الناس يقضي الأيام الأخيرة في رمضان في الأسواق طلبًا لشراء حاجيات العيد مما يضيع عليه أفضل ليالي الشهر.

كثير من الناس يتهاون في دفع زكاة الفطر، وربما يؤخرها عن وقتها، وقد لا يتحرى دفعها لمن يستحقها.

أربعون سببًا للخسارة في رمضان

لهذه الأسباب قد تخسر في رمضان:

بالأمس القريب ذرفت عيون الصالحين دموع الحزن على فراق رمضان. وها هي اليوم تستقبله بدموع الفرح، نسأل الله عز وجل أن نكون من أهل رمضان، وممن امتن الله عليهم بقيامه وصيامه، وأن يوفقنا للخير والصلاح والفلاح فيه.

رمضان في قلبي هماهم نشوة من قبل رؤيـــة وجهــك
وعلى فمي طعم أحس بـــه من طعـــم تلـــك الجنـــة
قالوا بأنك قادم فتــــهللت بالبشر أوجهنا وبـــالخيلاء

كل هذا الشوق، وكل هذا الحنين، ومع ذلك فهناك من يخسر رمضان، ويخسر فضله وأجره والعياذ بالله، وربما لم يشعر ذلك الخاسر بلذة الصيام والقيام، ولا يعرف من رمضان إلا الجوع والعطش، فأي حرمان بعد هذا الحرمان؟! نعوذ بالله من الخسران.
لماذا إذًا تخسر رمضان؟!

سؤال يحتاج إلى إجابة، أليس الله يقول: ﴿**فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ لكي أذكرك وأحذرك من أمور ربما كانت سببًا لخسارة رمضان دون أن تشعر، فإياك إياك أن تخسر رمضان. ويعلم الله ما أردت إلا الإصلاح فلعل هذه الوقفات تكون لبنة أولى لكل من سمع هذا الموضوع ليعيد بناء نفسه في هذا

الشهر، فحرام أن يمن الله علينا بهذا الفضل، وهو إدراك رمضان، فتكفر هذه النعمة بالإسراف والتبذير في لياليه. وأسباب خسارته كبيرة، فمنها ما يخص الرجال، ومنها ما يخص النساء، وربما اشتركا في بعض الأسباب.. وهنا وقفة مع بعض الأرباح في رمضان يبشرك بها الحبيب محمد ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»، «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» استغفار الملائكة للصائمين حتى يفطر، شهر العتق من النيران، رمضان إلى رمضان مكفر لما بينهما، فلماذا يخسر البعض كل هذه الأرباح؟!

وما هي أسباب خسارتنا لرمضان؟

أولاً: عشرون سببًا أخاطب بها المرأة، وربما شارك الرجل في بعضها.

الغفلة عن النية وعدم احتساب الأجر، وأنك تركت الطعام والشراب، وابتعدت عن الشهوات لله وحده «**إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به**» كما في حديث أبي هريرة، وهو متفق عليه.

إهمال الصلوات الخمس وتأخيرها عن وقتها وأداؤها بكسل وخمول.

السهر، فهو من أعظم أسباب خسارة رمضان، فأكثر النساء يسهرن مع الأخوات على أحاديث القيل والقال، وربما حتى وقت السحر خمس ساعات أو أكثر على شيء غير مفيد.

كثرة الخمول والنوم والكسل، ولو نامت الليل لساعات لجلست بعد الفجر في مصلاها تذكر الله، ولأصبحت نهارها طيبة النفس نشيطة.

ضياع الوقت في التفنن في المأكولات، والمرأة مشكورة مأجورة على تفطيرها الصائمين، ولكن يمكن اختصار الوقت في مطبخها.

سماع الغناء المحرم، فالأذن تصوم أيضًا، وكيف تتلذذ بسماع القرآن، وهي تسمع قرآن الشيطان، ومنبت النفاق، ورقية الزنى.

مشاهدة التلفاز والمسلسلات وسهر ليالي رمضان عليها.

قراءة المجلات والروايات والجرائد وما شابهها، وكان السلف يتركون طلب الحديث والعلم في رمضان.

التسويف، وقد قطع هذا المرض أعمارنا في أفضل الشهور حتى ليلة القدر لم تسلم من التسويف.. فمثلاً تريد المرأة أن تقرأ القرآن بعد الفجر، لكنها متعبة من السهر، وبعد الظهر، ولكنها مرهقة، وبعد العصر، ولكنها مشغولة في المطبخ، وربما في الليل، ولكنها مع القريبات والجلسات ملتزمة.

الخروج للأسواق، وفيه فتن عظيمة، وقد تضيع فيه الحسنات التي جمعتها المرأة في رمضان.

التبرج والسفور، فالعباءة ناعمة مزركشة، والنقاب واسع، والعينان كحيلتان والروائح زكية، فما رأيك في قبول صومها؟!

الهاتف.. إذ تقضي بعض الأخوات أوقاتًا طويلة في استخدامها للهاتف في أحاديث تافهة.

الغيبة والقيام والقال، فاحذري اللسان لا يفسد صيامك أخية.. فهل صامت من أكلت لحوم الناس وأعراضهم؟

إهمال العمل الوظيفي بحجة التعب.

إهمال تربية الأولاد، فالليل سهر ولعب، والنهار نوم وتضييع للصلاة.

سوء خلق بعض الأخوات؛ فتراها سريعة الغضب والسب والشتم، فضيعت صيامها، وحرمت أجرها.

الطمع والجشع وعدم الإنفاق في رمضان وللصدقة في رمضان خصائص منها شرف الزمان، إعانة الصائمين على طاعاتهم، الجمع بين الصيام والصدقة موجبة للجنة.

صلاة التراويح، فلا تعجبي أن تكون صلاة التراويح سببًا في خسارة رمضان ألخصها في أسباب منها:

خروج بعض النساء وهن متبرجات.

خروجهن وهن متعطرات.

الخلوة بالسائق الأجنبي الذي جاء بها إلى المسجد.

اصطحابها الرضع والأطفال مما يشوش على المصلين.

الجلوس بين الركعات للتحدث في أمور الدنيا، حتى إذا قرب

الركوع قامت وركعت.

صفوف النساء وعدم إتمامها والتراص فيها.

اختلاط الرجال بالنساء عند الخروج.

الحيض والنفاس، ولا شك أن المرأة تؤجر عليها، فلا تغفلي عن ذكر الله والصدقة والقيام على الصائمين وخدمتهم.

الإعجاب بالنفس، وأنها أفضل من غيرها وأحسن.

ثانيًا: أما الأسباب الخاصة بالرجل فهي:

عدم أداء الصلاة مع الجماعة والتساهل فيها «**رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش**».

الرياضة فإذا كان لا بد، فلتكن الرياضة ساعة أو ساعتين، ثم تنظم المسابقة في تلاوة القرآن وحفظه.

الاستراحات والجلسات والملاحق أصبحت للأسف من أسباب خسارة رمضان.

التسكع في الشوارع والأسواق، وإيذاء الناس، والجلوس على الأرصفة.

المعاكسات سواء في الأسواق أو الهواتف.

جلساء السوء وأصحاب الهمم الدنيئة.

الدخان والشيشة، وهي من الأشياء المحرمة التي استمرأها

الناس.

أكل الحرام، ومنه الربى والغش والسرقة.

التزييف والخداع والنجش والحلف الكاذب.

الانسياق واللهثان وراء التجارة، وكسب المال إلى حد التفريط في الواجبات.

الإهمال في العمل الوظيفي، والتأخر عنه والخروج قبل وقته.

التهاون ببعض الذنوب، والتعود عليها كحلق اللحية، وإسبال الثوب، وهو المسكين لا يعدها ذنبًا، وهي محسوبة عليه.

آفات اللسان؛ كالسباب والشتائم والغيبة وبذاءة اللسان والكذب ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾.

التساهل وعدم الجدية، ويتضح هذا في كثرة الضحك والتعليق، وربما السخرية والاستهزاء.

الظلم فمهما كان لك أعمال صالحة، ومهما عملت في رمضان، فما دمت ظالمًا أخذت منك هذه الحسنات على قدر مظلمتك.

التفريط في النوافل عامة (صدقات – قراءة القرآن – العمرة – السواك – وركعتي الضحى – وقيام الليل والتراويح - وتفطير صائم).

الغفلة عن الغنيمة الباردة (الذكر – الدعاء – الاستغفار) فقد

حرم منه كثير من المسلمين.

التقصير في حق الوالدين والزوجة والأولاد، وعدم القيام بحقهم، ومن أهم الأسباب التي يخسر بها المسلم رمضان:

الجهل أو التجاهل بفضائل رمضان وعظمته.

الغفلة عن الموت ونسيانه.

هذه بعض أسباب خسارة رمضان، ولعلكم تتساءلون: ما هو العلاج؟ فأقول: انظروا إلى كل سبب من الأسباب السابقة، ولتحاول الابتعاد عنه، وإذا أردنا أن نعلم عظيم خسارتنا لرمضان، فلنجب عن هذه الأسئلة بصراحة تامة.

هل تقرأ القرآن بكثرة، وهل تختمه بكثرة على الأقل مرة واحدة؟

هل تحرص على أداء الصلوات في وقتها بطمأنينة وخشوع، ومع جماعة من المسلمين؟

هل تحافظ على السنن والرواتب القبلية والبعدية؟

هل تستحضرين النية في إعداد للطعام لأهلك، وتحتسبين الأجر من الله؟

هل تصدقت وأطعمت الطعام؟ فإذا قلت: نعم.. فبكم؟ وهل يقارب ما يصرف على الزينة؟!

هل تحرص على أداء صلاة التراويح بآدابها. وأنت هل

تحرصين على صلاة التراويح في المسجد أو البيت؟!

كم ساعة تنامون في رمضان؟

كم شريط نافع سمعته في رمضان؟

كم ساعة تسهر وتسهرين، وعلى أي شيء؟!

كم عدد تلك الدقائق التي تقضينها في التسبيح والتهليل والتحميد؟

هل وقفنا في مكان خال، وفي ظلمة ليل، ورفعنا أكف الضراعة بالدعاء؟

هل تستغلين الحلقات بالمناصحة والتفقه والدعوة إلى الله؟

هل تجتهدين في طاعة زوجك ورعاية أولادك خلال هذا الشهر؟

هل طهرنا بيوتنا من المنكرات، وهل طهرنا أموالنا من الربى والحرام؟

فاصدق مع نفسك ما دام في العمر فسحة قبل أن تندم حين لا ينفع الندم.

عليك بما يفيدك في الميعاد — وما تنجو به يوم التناد
فما لك ليس ينفع فيك — ولا زجر كأنك من جماد
ستندم إن رحلت بغير زاد — وتشقى إذ يناديك المنادي
فلا تفرح بمال تقتنيه — فإنك في معكوس المراد

وتب بما جنيت وأنت حي ... وكن متنبه من ذا الرقـــاد
يسرك أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد؟!

هذه أربعون سببًا لخسارة رمضان جمعته، تنبيهًا للغافل، وإعانة للذاكر، وتعليمًا للجاهل، واحذر هذه الأسباب فكن من الفائزين في رمضان، جعلنا الله وإياك من الفائزين في رمضان وجنبنا الخسائر.

المراجع

كتاب صحتك بصحنك، د. نزار دندش

منتديات فارس نت.

منتدى الكلمة الطيبة.

مفكرة الإسلام.

الفهرس

شهر الجود

تأليف

علي بن عبد الله عجيم

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أفاض علينا من جوده في عالم وجوده، وصلاة وسلاما على المبعوث رحمة لعباده، وعلى آله وصحبه ومن قارب وسدد، وبعد:

حدث أحد أعيان مكة فقال:

دخلت بستانا من بساتين المدينة، فوجدت رجلا حبشيا يجلس إلى جدار البستان، وفي يده رغيف من الخبز، وأمامه كلب مُقْع...

فكان كلما اقتطع من الرغيف لقمة وضعها بفمه، اقتطع أخرى، ودفع بها إلى الكلب، فدنوت منه، وقلت: أهذا الكلب كلبك؟ قال: لا. قلت: فَلِمَ تطعمه، وما معك غير هذا الرغيف؟!

قال: لأننا أمرنا ألا نأكل وذو عين ينظر إلا إذا أطعمناه مما نأكل.

فقلت: أحر أم مولى؟ فقال: بل مولى لآل فلان.

فقلت: وهذا البستان؟ فقال: إنه لهم، وأنا أعمل فيه. فمضيت إلى سيده فشريته منه، وشريت البستان أيضا...

ثم عدت إليه، فإذا هو يعمل في شجرة، فقلت له: لقد اشتريتك من سيدك وأعتقتك لوجه الله، واشتريت منه هذا البستان، ووهبته لك، ابتغاء لمرضاته عز وجل.

فما زاد على أن قال: الحمد لله الذي أعتق رقبتي، والشكر له

على أن وفقك لهذا الخير، أما البستان فأشهد أنني تصدقت به على فقراء المدينة.

فقلت: على الرغم من حاجتك؟

فقال: هداك الله..

لقد أنعم الله عليَّ، أفلا أكون عبدا شكورا؟

وإذا كانـــــت النفـــــوس كبـــــارا
تعبـــــت في مرادهـــــا الأجســـــام

نحن – معشر المسلمين – أمة تربت على منهج محمد، فلا غرابة أن يمتلئ تاريخنا بهذه الصفات المشرقة التي تدعو كل فرد أن يتأملها، ويستنبط ما فيها من معان إنسانية؛ ليجد سعادة لقلبه، وراحة لنفسه، ونشاطا لذهنه.

هي صفات كثر نبيلة، ومنها: صفة الجود، فالله سبحانه (جواد ماجد...).

صاحب هذه الصفة ذو إنسانية تسمو على الجسمانيات والشهوات، صاحبها يعيش في جو من الصفاء والنقاء، قليل الأعداء حسن السمعة والثناء.

وحينما يأتي رمضان، ومعه النور والطهر والحب والوئام تسمو هذه الصفة بكل معنى من معانيها لسان حالها يقول:

جئـــت بعـــد الغيـــاب يـــا رمضـــان
وفـــؤادي كمـــا تـــرى ولهـــان

ولا غرابة أن يتألق الجود وأهله. وابن عباس — رضي الله عنهما – يقول: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة).

والريح المرسلة: ريح الرحمن التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام الذي يكون سببا لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة.

تعــود بســط الكــف حــتى لــو أنــه
ثناهـــا لقـــبض لم تجبـــه أناملـــه
ولــو لم يكــن في كفــه غــير روحــه
لجـــاد بهـــا فليتـــق الله ســـائله
هــو البحــر مــن أي النــواحي أتيتــه
فلجتـــه المعـــروف والجـــود ســـاحله

قال الحسن البصري رحمه الله: (بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود).

يبعث ابن الزبير – رضي الله عنهما – إلى أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بمائة ألف فقسمتها على الناس، فلما أمست قالت: هاتي يا جارية فطوري.

فقالت: يا أم المؤمنين، أما استطعت أن تشتري لنا لحما بدرهم.

قالت: لا تعنفيني، لو أذكرتيني لفعلت.

والجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم...

اشتهى بعض الصالحين طعاما - وكان صائما - فوُضِعَ بين يديه عند فطوره، فسمع قائلا يقول: (مَن يقرض المليّ الوفيّ الغنيّ؟).

فقال: عبده المعدوم من الحسنات، فقام وأخذ الصحفة، فخرج بها إليه، وبات طاويا. وهكذا أهل الإيمان والجود يحق فيهم قول الله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر: ٩].

قال الشعبي — رحمه الله: (من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته، فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه).

قال ابن القيم — رحمه الله تعالى - في معنى قوله تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [البقرة: ٢٤٥].

:صور سبحانه الآية بألطف أنواع الخطاب، وهو الاستفهام المتضمن معنى الطلب، وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر. والمعنى: هل أحد يبذل القرض الحسن فيجازي عليه أضعافا مضاعفة.

قال علي — رضي الله عنه: (إذا أقبلت عليك الدنيا، فأنفق منها، فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك، فأنفق، فإنها لا تبقى. وأنشد يقول:

لا تبخلن بدنيا، وهي مقبلة
فليس ينقصها التبذير والسرف

وإن تولت فأحرى أن تجود بها
فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

ومما يروى عن ابن قدامة: (أنه اجتمع جماعة من الفقراء في موضع لهم وبين أيديهم أرغفة معدودة لا تكفيهم، فكسروا الرغفان، وأطفئوا السراج، وجلسوا للأكل، فلما رفع الطعام إذا هو بحالة لم يأكل أحد منهم شيئا إيثار لأصحابه).

كان الشافعي يقول:

يا لهف قلبي على مال أجود به
على المقلين من أهل المروءات
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني
ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

وكم هو مؤسف ما يُلحظ في الأسواق عند اقتراب رمضان من استقباله بأصناف الأطعمة وغرائب الأغذية، والناس يجيئون، ويذهبون يحملون من تلك الأصناف أشكالا وألوانا، همهم زاد يشفي الغليل، لم يخطر على بالهم (أن معدة عمر يكفيها لقيمات). صبوا ميزانياتهم صبا، فقصرت أيديهم عن الجود والصدقة، ولو قدموا شيئا لآخرتهم لكان خيرا، وأحسن نفعا.

وفي المقابل نرى إخوة لنا في الدين والعقيدة يتجرعون الهم أصنافا، الأرض فراشهم والسماء لحافهم، ومن جاد عليهم بقديم ملابسه كانت ملابس عيدهم، أو فضلة فطوره أو عشائه كانت قوت أسرهم أياما، لسان الحال يقول:

يموت المسلمون ولا نبالي — ونهتف بالمكارم والخصال
وننسى إخوة في الله ذرت — بهم كف الزمان على الرمال
تمزقهم نيوب الجوع حتى — يكاد الشيخ يعثر بالعيال
يشدون البطون على خواء — ويقسمون أرغفة الخيال
وتضربهم رياح الموت هوجا — وفي أحداقهم ترف الليالي
وقاموا في العراء بلا غطاء — وساروا في العراء بلا نعال
كأن البيد تلفظهم فتجري — بهم بيد إلى بيد خوال
يسيل لعابهم لهفا وتذوي — عيونهم على جمر السؤال
وليس جراحهم في الجسم لكن — جراح النفس أقتل للرجال

وما أجمل أن نستشعر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [المنافقون: ١٠].

وفي الحديث الصحيح: «**ما نقصت صدقة من مال...**».

قال ابن أبي الجعد: (إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء...).

فالبدارَ البدارَ قبل أن يحين الأوان، وساعتها تندم ولات حين مندم.

واعلم – رعاك الله – أن الجود أنواع متعددة، وأشكال مختلفة، وكل يجود بما استطاع.

قال ابن القيم رحمه الله: والجود عشر مراتب:

إحداهما: الجود بالنفس، وهو أعلى المراتب كما قال الشاعر:

يجـــود بـــالنفس إن ضـــن البخيـــل بهـــا
والجـــود بـــالنفس أقصـــى غايـــة الجـــود

وقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس بنفسه. عن أنس – رضي الله عنه – قال: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، قال: وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتا، قال: فتلقاهم النبي ﷺ على فرس لأبي طلحة عُري، وهو متقلد سيفه، فقال: «**لم تراعوا، لم تراعوا**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**وجدته بحرا –يعني الفرس–**».

ونحن في شهر القرآن، تأمل في تلك النماذج المشرقة التي جادت بنفسها في سبيل الدفاع عن الحق، تأمل في حال الأنبياء مع قومهم، تأمل مؤمن آل ياسين، وكيف كوفئ؟ ﴿**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ** ...﴾ جاد بنفسه، فانتقل من عالم الفناء إلى عالم البقاء.

ولتعلم أيها المسلم أن الجود بالنفس لا يكون إلا من رجل امتلأ قلبه إيمانا وشجاعة. قال ابن حزم – رحمه الله – في هذا المعنى – أي الشجاعة: هي بذل النفس للذود عن الدين أو الحريم أو عن الجار المضطهد أو عن المستجير المظلوم، وعمن هضم ظلما في المال والعرض وسائر سبل الحق، سواء قل من يعارض أو كثر.

الثانية: الجود بالرياسة، وهو ثاني مراتب الجود. فيحمل الجواد جوده على امتهان رياسته، والجود بها والإيثار في قضاء حاجات المتلمس.

المصطفى عليه الصلاة والسلام صاحب الشمائل الكريمة، والفضائل العظيمة (كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيده عليه الصلاة والسلام، فتنطلق به حيث شاءت) كما روى ذلك خادمه أنس رضي الله عنه.

ولأن شهر الصوم تفتح فيه أبواب الرحمات، فيجود الخالق سبحانه على عباده بالرحمات، وفي ذلك وقفة لأهل الجاه والمنصب، فلو تأمل نعمة الله عليه، وسعى في مصالح العباد بعيدا عن الضرر والضرار؛ لكان الله معه في حاجته، ألم تقرأ أو تسمع قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «**لا يزال الله في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه**».

الثالثة: الجود براحته ورفاهيته، وإجمام نفسه. فيجود بها تعبا، وكذا في مصلحة غيره، ومن هذا جود الإنسان بنومه ولذته لمسامره، كما قيل:

متيم بالندى لو قال سائله:
هب لي جميع كرى عينك لم ينم

ولقد وصف الله سبحانه شهر الصوم بقوله: ﴿**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**﴾، إنها لحظة من الزمن تحتاج إلى جهد متواصل لا مجال فيها للمسامرات غير النافعة، فمن استطاع أن يحقق انتصارا لنفسه في هذه اللحظة في هذه الأيام المعدودات فسوف يحقق انتصارا على لحظات عمره، فما هذه الدنيا سوى لحظات عابرة كما قال الشاعر:

نســـــير إلى الآجــــال في كــــل لحظـــة
وأيامنـــــا تطـــــوى وهـــــو مراحـــــل

أخي: جد براحتك ورفاهيتك، فإن لحظات رمضان أنفاس لن تعود.

عن عبد الله بن شقيق رضي الله عنه قال: (قلت لعائشة — رضي الله عنها: هل كان النبي ﷺ يصلي وهو قاعد؟ قالت: نعم، بعدما حطمه الناس).

هكذا كان ﷺ: (بذل للناس كل راحته، وأوقف نفسه لله تعالى في مصلحة عباده).

الرابعة: الجود بالعلم وبذله، وهو من أعلى مراتب الجود، والجود به أفضل من الجود بالمال؛ لأن العلم أشرف من المال.

والناس في الجود به على مراتب متفاوتة، وقد اقتضت حكمة الله وتقديره النافذ ألا ينفع به بخيلا أبدا...

ومن الجود بالعلم: أن السائل إذا سألك مسألة استقصيت له جوابها جوابا شافيا، لا يكون جوابك له بقدر ما تدفع به الضرورة، كما كان بعضهم يكتب في جواب الفتيا: (نعم) أو (لا) مقتصرا عليها...

والآيات الدالة على أهمية الجود بالعلم مستفيضة، ومنها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

قال الشاعر:

ولم أجــد الإنســان إلا ابــن ســعيه
فمن كــان أسـعى كــان بالمجــد أجــدرا
وبالهمــة العليـاء ترقــى إلى العــلا
فمــن كــان أعــلا همــة كــان أظهــرا
ولم يتـــأخر مــــن أراد تقـــدما
ولم يتقــــدم مــــن أراد تـــأخرا

إذن فلكل شيء سبب في تقدمه أو تأخره، فجُد بما معك من علم، ولو آية فذاك زكاته، وسبب نمائه، وفي الشهر يضاعف الأجر.

الخامسة: الجود بالنفع والجاه، كالشفاعة والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه، وذلك زكاة الجاه المطالب بها العبد؛ كما أن التعليم، وبذل العلم زكاته.

يأتي المصطفى ﷺ في بداية رسالته إلى خديجة – رضي الله عنها – خائفا فتهدئ من روعه ثم تقول: (كلا والله، ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق...

هكذا كان ﷺ، أجود الخلق بجاهه، يعطي من نفسه، كما يعطي من ماله، إنها (النفس الاجتماعية الكبرى، من أين تدبرتها رأيتها على الإنسانية، كالشمس في الأفق الأعلى تنبسط، وتضحى).

وقد قال زهير:

ومـــن يـــك ذا فضـــل فيبخـــل بفضـــله
علـــى قومـــه يســـتغن عنـــه ويـــذمم

السادسة: الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه، كما قال ﷺ: «**يُصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين اثنين: صدقة، وبعين الرجل على دابته، فيحمله عليها، أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها الرجل إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة**».

لم يكن ﷺ في معزل عن أصحابه؛ فكما أنار بصائرهم بنور الإسلام، فقد ضحى ببدنه، فعن البراء – رضي الله عنه – قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب، وقد وارى بياض بطنه، وهو يقول:

لـــولا أنـــت مـــا اهتـــدينا ولا تصـــدقنا ولا صـــلينا
فـــأنزل الســـكينة علينـــا وثبت الأقـــدام إن لاقينـــا
إن الأولى قد بغـــوا علينـــا إذا أرادوا فتنـــــة أبينـــــا

وللجود بالبدن في حياته ﷺ أوفر الحظ والنصيب، يحتمي به

أصحابه في المعارك يشاركهم في بناء المسجد، وحفر الخندق، يخدم أهله، ويقري ضيفه، ولنا فيه أسوة حسنة، فمن قصرت نفقته وقل ماله، فليجد ببدنه.

السابعة: الجود بالعرض، كجود أبي ضمضم من الصحابة – رضي الله عنهم – كان إذا أصبح قال: (اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي، فمن شتمني أو قذفني فهو في حل. فقال النبي ﷺ: «**من يستطع منكم أن يكون كأبي ضمضم؟**».

وفي هذا الجود من سلامة الصدر، وراحة القلب، والتخلص من معاداة الخلق ما فيه.

وقيل في ذلك:

ولكن إذا ما جل خطب، فسامحت به النفس يوما كان للكره أذهبا، وأجمل بكل صائم أن يتأمل قول أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – في وصفها للمصطفى ﷺ إذ قالت: «لم يكن فاحشا، ولا متفحشا، ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح».

الثامن: الجود بالصبر، والاحتمال، والإغضاء، وهذه مرتبة شريفة من مراتبه، وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال، وأعز له، وأنصر، وأملك لنفسه، وأشرف لها، ولا يقدر عليها إلا النفوس الكبار...

قال الله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ**

فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، فذكر المقامات الثلاثة في هذه الآية: مقام العدل وأذن فيه، ومقام الفضل وندب إليه، ومقام الظلم وحرمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: (وقد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعا، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: **﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾** [البقرة: ٤٥].

ورمضان يجود علينا بدورة لتطوير مهارة الصبر، فحري بكل مسلم أن يشارك بفاعليه، ففي ذلك نفع كبير وأجر عظيم.

وتذكر قول الشاعر:

الصبر مثل اسمه مر مذاقته
لكن عواقبه أحلى من العسل

التاسع: الجود بالخلق والبشر والبسطة والاحتمال والعفو، وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وهو أثقل ما يوضع في الميزان، قال النبي ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط إليه**».

وفي هذا الجود من المنافع والمسار وأنواع المصالح ما فيه، والعبد لا يمكنه أن يسع الناس بماله، ويمكنه أن يسعهم بخلقه واحتماله.

وكما قيل:

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

قال الماوردي – رحمه الله: (إذا أحسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب).

فجُد على الناس في شهر الجود وفي كل شهر، بطلاقة الوجه وبذل المعروف، وكف الأذى.

العاشرة: الجود بتركه ما في أيدي الناس عليهم، فلا يلتفت إليه ولا يستشرف بقلبه ولا يتعرض له بحاله ولا لسانه، وهذا الذي قال عبد الله بن المبارك: (إنه أفضل من سخاء النفس بالبذل).

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استغنوا عن الناس ما قل من السؤال، فهو خير**».

قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال: «**ومني**».

ولذا تجد صاحب هذا الخلق مستريح النفس، مطمئن البال، ذو عقل راجح ونفس عظيمة.

أخي المسلم: اعلم أن لكل شيء محفزات وعوائق، ومن عوائق الجود وعقباته البخل، وقد كان من هديه ﷺ قوله: «**اللهم، إني أعوذ به من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر**». وعنه ﷺ حاثا أمته على الإنفاق قوله: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينــزلان، فيقول أحدهما: اللهم، أعطِ منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم، أعط ممسكا تلفا**».

ومن معوقات الجود: الإسراف، إذ يجعل الفرد عالة على غيره عاجزا عن القيام بمهامه، وقد أرشدنا ﷺ بقوله: «**كلوا، وتصدقوا، والبسوا في غير إسراف، ولا مخيلة**».

قال ابن القيم – رحمه الله – في تفسير قول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا...**﴾ أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم، فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم، فيقصرون في حقهم، فلا يكفونهم، بل عدلا خيارا وخيرا الأمور أوسطها، لا هذا، ولا هذا.

ومن المعوقات: اتباع الهوى:

وآفة العقل الهوى فمن علا
على هواه عقله فقد نجا

قال قتادة رحمه الله: (إن الرجل إذا كان كلما هوى شيئا ركبه، وكلما اشتهى شيئا أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع، ولا تقوى، فقد اتخذ إلهه هواه).

والحديث عن العوائق يطول، فماذا عسى أن يُقال عن ضعف الإيمان، والشح، والجبن، والكبر، وضعف الهمة، والوهن، والتشاؤم؟ كلها عوائق في طريق الجود، فسددوا وقاربوا، ولن تحصوا.

وختاماً: احرص أيها المسلم أن تتعرض لنفحات الرحمن في شهر رمضان، واضرب لك في كل صنف من أصناف الجود بأسهم، جعل الله قواسم الخير مربحا ومغنما، وصلى الله وسلم، وبارك على نبينا محمد.

شهر الصيام والقيام

إعداد

منصور الراشد

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد:

حياة المسلم كلها فرصة يجب أن يستغلها في طاعة الله ومرضاته؛ لأن العمل الصالح ليس له موسم محدد، ولا مناسبة معينة.. إن أوامر الشرع جاءت عامة في كل زمان ومكان .. وإن بين أيدينا مواسم عديدة، وفرص للعمل كثيرة.. الصلوات الخمس فرصة .. الصيام فرصة .. الزكاة فرصة .. حج البيت فرصة .. جاء رجل من الأزد إلى رسول الله ﷺ فدخل المسجد، وهو لا يعرف رسول الله ﷺ، فسأل: أين ابن عبد المطلب؟ فقيل له: ذلك الرجل المرتفق – أي المتكئ – فدخل المسجد وعرفه .. ثم سأل: يا ابن عبد المطلب، إني سائلك فمشدد عليك بالمسألة، فلا تجد علي .. فقال له رسول الله ﷺ: «**سل ما بدا لك**»، فقال: من الذي رفع السماء؟ من الذي نصب الجبال؟ من الذي بسط الأرض؟ كل ذلك ورسوله الله ﷺ يقول: «**الله**»، فقال: يا ابن عبد المطلب، فأسألك بالذي رفع السماء ونصب الجبال وبسط الأرض: آلله أسألك إلينا نبيا؟ فجلس رسول الله ﷺ وكان مرتفقا فقال: «**اللهم نعم**»، فقال: أسألك بالذي رفع السماء ونصب الجبال وبسط الأرض: آلله أمرك أن تأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة؟ فقال: «**اللهم نعم**»، فقال الرجل: فأسألك بالذي رفع السماء ونصب الجبال وبسط الأرض: آلله أمرك أن تأخذ من أغنيائنا فتردها على فقرائنا؟ فقال: «**اللهم نعم**». فقال: أسألك بالذي رفع السماء ونصب الجبال وبسط الأرض: آلله أمرك أن تأمرنا أن نصوم شهر رمضان؟

فقال: «**اللهم نعم**»، فقال: أسألك بالذي رفع السماء ونصب الجبال وبسط الأرض: آلله أمرك أن تأمرنا أن نحج بيته من استطاع منا، فقال: «**اللهم نعم**»، قال الرجل المرفق: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لا أزيد على ما سمعت منك ولا أنقص)، فلما خرج قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أفلح إن صدق**» إن صدق في صلاته وصيامه وزكاته وحجه.. صادقا موقنا.. بنية لله وعمل خالص .. وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال ك «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي على الأرض، فلينظر إلى هذا**».

إنها فرصة فاهتبلها كما قال الأول:

إذا هبـــــت رياحـــــك فاغتنمهـــــا

فـــــإن لكـــــل خافقـــــة ســـــكون

ها هي رياح فرصة رمضان قد لاحت لك.. صيام النهار وقيام الليل. تقبل الله منا ومنك، وأزلفنا إلى باب الريان باب الصائمين.

حقا إن رمضان فرصة، من ضيعها، فهو على خطر عظيم.. صعد رسول الله ﷺ المنبر يوما فقال: «**آمين. آمين. آمين**» قيل: يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر قلت: آمين آمين آمين. قال: «**إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان، ولم يغفر له، فدخل النار فأبعده الله. قل: آمين، فقلت: آمين. ومن أدرك أبويه أو أحدهما، فلم يبرهما، فمات، فدخل النار، فأبعده الله. قل: آمين. فقلت: آمين. ومن ذكرت عنده، فلم يصل عليك، فمات، فدخل النار، فأبعده الله. قل: آمين. فقلت: آمين**».

من لم يتب في رمضان، فمتى يتوب؟ ومن لم يعد إلى الله في رمضان، فمتى يعود؟

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجـــب
حتى عصى ربـــه في شـــهر شـــعبان
لقد أظلك شـــهر الصـــوم بعـــدهما
فلا تصـــيره أيضـــاً شـــهر عصـــيان
واتلُ القرآن، وســـبح فيـــه مجتهـــداً
فإنـــــه شـــــهر تســـــبيح وقـــــرآن
فاحمل على جسد ترجو النجـــاة لـــه
فســـوف تضـــرم أجســـاد بـــنيران
كم كنت تعرف ممن صـــام في ســـلف
من بـــين أهـــل وجـــيران وإخـــوان
أفناهم المـــوت واســـتبقاك بعـــدهم
حيا فما أقرب القاصي مـــن الـــداني
ومعجـــب بثيـــاب العيـــد يقطعهـــا
فأصبحت في غـــد أثـــواب أكفـــان

رمضان يربي في أصحابه الخشية .. الخشية من الله تعالى، ورجاء ما عنده .. ولقد قيل عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه لما شرب ماء مبردا بكى واشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك ؟ قال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل: ﴿**وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ**﴾ [سبا:٥٤] فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً،

شهوتهم الماء. وقد قال الله: ﴿**أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**﴾، فبكى، واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه.

ولقد دخل رسول الله ﷺ على شاب، وهو في الموت فقال له: «**كيف تجدك؟**» فقال: والله، يا رسول الله، إني لأرجو الله، وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف**».

وبكى الحسن، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني في النار، ولا يبالي.

وقال سعد بن الأخرم: كنت أمشي مع ابن مسعود، فمر بالحدادين، وقد أخرجوا حديداً من النار، فقام ينظر إليه، ويبكي.

إنهم يربون في داخلهم الخشية خوفا ورجاء، قال ابن القيم رحمه الله: (وأكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف وغلب الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد، والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه) فأبشروا أمل من رب كريم وجواد رحيم .. تعرض لنفحاته، وسارع إليه بالخيرات تجد كريما عظيماً، خصوصا في وقت السحر، حيث هدأت الأصوات، ونامت العيون، وتقلب النوام على فراشهم.. هب حينئذ المؤمنون من وثير فراشهم وسررهم ليكابدوا الليل والتعب.. ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾كما قال عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد**» والقيام

مع رمضان فرصة، وله فيه مزية «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

قلـــت لليـــل: هـــل بجوفـــك ســـر
عـــــامر بالحـــــديث والأســـــرار
قـــال: لم ألـــق في حيـــاتي حـــديثاً
كحـــديث الأحبـــاب في الأســـحار

ولقد تفنن الأصحاب الكرام والسلف الفاضل في هذه النافلة، فمنهم من أمضى الليل راكعا، ومنهم من قطعه ساجدا، ومنهم من أذهبه قائما أو تاليا أو ذاكرا أو شاكرا.

عباد ليـــل إذا جـــن الظـــلام بهـــم
كم عابـــد دمعـــه في الخـــد أجـــراه

ولقد جاءت حفصة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ تسأله عن أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنه فقال: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يأخذ من الليل**».

فكان ابن عمر قائما حتى ليلة موته رضي الله عنه.

إن آخر الليل هو وقت نزول الرحمن جل جلاله إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلاله، فيجيب دعوة الداعي، ويعطي السائل، ويغفر ذنب المذنب التائب «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني، فأستجيب له، من يسألني، فأعطيه، من يستغفرني، فأغفر له**» ما أرحم الله وأكرمه.

هذا في سائر العام، فما بالك برمضان شهر النفحات والهبات.. ولله من العطايا في رمضان ما ليس في دونه. كانت امرأة حبيب توقظه بالليل، وتقول: ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا.

يـــا راقـــد الليـــــل كـــم ترقـــد
قم يــا حبــيبي قــد دنــا الموعــد
وخــــذ مــــن الليــــل وأوقاتـــه
وردا إذا مـــــا هجـــــع الرقـــــد
مـــن نـــام حـــتى يتقضَّــى ليلُـــه
لم يبلـــــغ المنـــــزل أو يجهــــــد
قـــل لأولي الألبـــاب أهـــل التقـــى
قنطـــرة العـــرض لكـــم موعـــد

الليل فرصة «**إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» نحن نسيء كثيراً .. والزلل منا أكبر .. ورحمة الله أعظم.. وفي السحر تتجلى هذه الرحمة من العظيم الرحمن سبحانه.

سبحان مـــن يعفـــو ونهفـــو دائمـــاً
ولا يزال مهمـــا هفـــا العبـــد عفـــا
يعطـــي الـــذي يخطـــئ ولا يمنعـــه
جلالـــه عـــن العطـــا لـــذي الخطـــا

ألا، فإنه حري بنا أن نستغل رمضان في النجاة بقلوبنا وحياتنا؛ لنكون على منهج الله، كما قال الحسن البصري رحمه الله: (يا ابن آدم، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك، فتخسرهما جميعا، إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم، وإذا رأيتهم في الشر، فلا تغبطهم فيه، الثواء هنا قليل، والبقاء هناك طول. طَأِ الأرض بقدمك؛ فإنها عن قليل قبرك).

إن الذي يخرج من رمضان، و لم يتلذذ بصيامه وقيامه، فأين هو من نفحات رمضان ؟! إن الصيام والقيام دليل الحب الخالص لله تعالى: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[السجدة:١٦]، ولقد روى عطاء بن أبي رباح عندما سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أعجب ما رأت من رسول الله ﷺ فقالت: «وأي شأنه لم يكن عجباً، إنه أتاني ليلة، فدخل معي لحافي، ثم قال: «**ذريني أتعبد لربي**» فقام فتوضأ، ثم قام يصلي، فبكى حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع، فبكى، ثم اعتدل، فبكى، ثم سجد، فبكى، ثم رفع رأسه، فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقالت: يا رسول الله، وما يبكيك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال «**أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ولم لا أفعل، وقد أنزل الله عليَّ هذه الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾**».

فهنيئا لمن أحب الله ورسوله ﷺ حبا خالصا رائده الاتباع، وسائقه التزود ليوم صبحه ويوم القيامة.. اللهم، صلاحا وفلاحا على طريق محمد ﷺ وأصحابه الكرام. والله، أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

شهر القرآن

إعداد

أحمد محمد العمران

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

في فضل تلاوة القرآن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد أمر الله تعالى بتلاوة كتابه الكريم، وبين سبحانه أن هذا هو دأب عباده الصالحين، فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

وحث رسول الله ﷺ كذلك على تلاوة كتاب الله مبينا فضلها، فقال: «**من قرأ حرفا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الم﴾ حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**» [رواه الترمذي].

وقوله ﷺ: «**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»[رواه مسلم].

وقوله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران**» [متفق عليه].

وقوله ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**» [رواه أبو داود والترمذي].

فقراءة القرآن رابحة لا تبور على مدى الأيام والشهور في جميع الدهور.

***

حديث القرآن عن القرآن

ويحدثنا القرآن الكريم عن القرآن في كثير من الآيات منها:

١-قال الله تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ**﴾ [المائدة:١٥-١٦].

٢-قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس:٥٧].

٣-قوله تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ [هود:١].

٤-قوله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل:٨٩].

٥-قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء:٩].

٦-قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

٧-قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨].

٨-قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

٩-قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

١٠-قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الزمر:٢٣].

١١-قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

١٢-قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

١٣-قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ

إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٠].

١٤-قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر:٢١].

١٥-قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس:٦٩-٧٠].

١٦-قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢١-٢٢].

١٧-قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا * قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٦-١٠٩].

***

آداب تلاوة القرآن

في الفصل السابق رأينا أوصاف عظيمة ذكرها الله تعالى عن القرآن تدل على عظمة هذا القرآن.

فلذلك يجب تعظيم هذا القرآن، ومن تعظيمه التأدب عند تلاوة بالآداب التالية:

١-إخلاص النية: لأن تلاوة القرآن من العبادات العظيمة، قال

تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾ [البينة:٥].

٢- قراءة القرآن على طهارة: لأنه من تعظيم كلام الله.

٣- الاستعاذة من الشيطان عند بدأ القراءة: قال تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [النحل:٩٨].

٤- قراءة القرآن في الأماكن النظيفة، والبعد عن الأماكن المستقذرة حسيا ومعنويا.

٥- قراءة القرآن بقلب حاضر خاشع: فيتدبر ما يقرأ من القرآن ويستحضر بأن الله يخاطبه في هذا القرآن؛ لأن القرآن كلام الله.

٦- ترتيل القرآن وتحسين الصوت به: قال تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ [المزمل:٤] أما تحسين الصوت؛ فلحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما أذن الله لشيء** - أي: ما استمع لشيء - **كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**» متفق عليه، وكذلك حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحدا أحسن صوتاً أو قراءة منه ﷺ.

***

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾

إن رمضان شهر القرآن الذي أنزل فيه، لذلك نجد في رمضان حلاوة لتلاوة القرآن وطعم خاص.

الناس في رمضان يتلون كتاب الله بهمة عالية، فتسمع لهم دوي كدوي النحل؛ حتى ذلك الهاجر للقرآن طوال العام نراه مقبلا على كتاب ربه، سبحان الله .. ما الذي تغير في الكون؟ أتراه ما علم بفضل تلاوة القرآن إلا هذه الأيام؟ لا .. إنه يعلم قبل ذلك، ولكن جاءه رمضان فزلزل حاله، وحرك فؤاده، فذكره القرآن وبأيام تنزيله المباركة. قال تعالى: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾** [البقرة:١٨٥].

وقد كان رسول الله ﷺ تزيد عنايته بالقرآن الكريم في هذا الشهر، وكان ﷺ يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام في كل رمضان، بحيث يتم مراجعة ما أنزل في الفترة السابقة التي بينه وبين رمضان الذي قبله، فيقرأ محمد ﷺ، وجبريل عليه السلام يستمع إليه، كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة)

فيستفاد من هذا الحديث:

١-أنه يستحب للمؤمن أن يدارس القرآن على من يفيده

وينفعه؛ لأن الرسول ﷺ دارس جبريل عليه السلام للاستفادة ؛ لأن جبريل يأتي من عند الله جل وعلا وهو السفير بين الله والرسل، فجبرائيل عليه السلام لا بد أن يفيد النبي ﷺ بأمور من جهة الله عز وجل، ومن إقامة حروف القرآن، ومن فهم معانيه التي أرادها الله، فإذا دارس الإنسان من يعينه على فهم القرآن، ومن يعينه على إقامة ألفاظه، فهذا هو المطلوب.

٢-أن المدارسة في الليل أفضل من النهار؛ لأن هذه المدارسة كانت في الليل، ومعلوم أن الليل أقرب إلى اجتماع القلب وحضوره من النهار.

٣-شرعية المدارسة، وأنه من العمل الصالح، ولو في غير رمضان.

٤-يمكن أن يفهم من ذلك أن قراءة القرآن كاملة من الإمام على الجماعة في رمضان نوع من المدارسة(١).

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الإمام ابن باز (١٥/٣٢٤-٢٢٦).

حال السلف مع القرآن في رمضان

كان سلفنا الصالح إذا صاموا جلسوا في المساجد يتلون كتاب الله، وقالوا: نحفظ صيامنا، ولا نغتاب أحداً.

وكانوا يخصصون جل وقتهم في رمضان لقراءة القرآن، وكان الزهري يقول: إذا دخل رمضان فإنما هو قراءة القرآن، وإطعام الطعام.

وكان الإمام مالك إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث، وأقبل على قراءة القرآن الكريم من المصحف.

ونقل على جماعة من السلف أنهم كانوا يختمون القرآن في كل ثلاث، فإذا دخل رمضان ختموه في كل ليلتين، فإذا دخلت العشر الأواخر ختموه في كل ليلة.

رضي الله عن سلفنا الصالح عرفوا قيمة الوقت وفضل تلاوة وتدبر كتاب الله، فلم يشغلهم عنه شاغل.

ملاحظة:

ولا يظن ظانٌّ أن ختم القرآن مقصود لذاته، فتراه وتسمعه يهُذُّ القرآن هذّ الشعر، همه الوصول إلى آخر السورة حتى يختم القرآن، بدون تدبر؛ ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ [ص:٢٩]، وبدون خشوع وترتيل؛ ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ [المزمل:٤].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (لا تنثروه نثر الرمل، ولا تهذوه هَذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكون هم أحدهم آخر السورة).

ويقول الحسن – رحمه الله – (يا ابن آدم، كيف يرق قلبك، وإنما همك في آخر السورة).

فقراءة سورة من القرآن بتدبر وتفكر خير للمسلم من قراءة القرآن كاملا، بلا تدبر، ولا وعياً لمعانيه.

الخاتمة

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾

قد عرفنا حال السلف – في رمضان – مع كتاب الله، فهم يقرؤونه في الليل والنهار سرا وعلانية. أما حال الخلف – إلا من رحم الله – فنوم بالنهار، ولهو بالليل.

وفي الآونة الأخيرة تسلط أهل الشر والباطل - من بني جلدتنا - في بث سمومهم وعفونتهم في هذا الشهر الكريم خاصة، وقد زينوا هذا الباطل للناس بشتى الطرق حتى جعلوهم يتسمرون أمام الشاشات لساعات طويلة. وهذا والله، من البلاء والابتلاء للمسلمين، فهل يطيعون ربهم الذي جعل لهم شهر رمضان موسما للغفران ودخول الجنان؟ أم هل ينقادون خلف أهل الشهوات الذين يريدون لهم الميل عن منهج الله، وعن طاعته؟ **﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾** [النساء:٢٧].

عبادات النبي
- صلى الله عليه وسلم -
في رمضان

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فإن شهر رمضان شهر عبادة وطاعة وتقربٍ إلى الله تبارك وتعالى بأنواع القربات والأعمال الصالحات، وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره به من الشهور، وكان ﷺ يرغب أصحابه في العبادة والطاعة، والإقبال على الله تعالى في هذا الشهر فيقول: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد كل ليلة، يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة**» (متفق عليه).

ومن عبادات النبي ﷺ في رمضان:

أولاً: صيام رمضان:

قال تعالى: ﴿**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

وقال النبي ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» (متفق عليه).

وقال ﷺ: «**أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله**

عليكم صيامه» (رواه النسائي وصححه الألباني لغيره).

وحذر النبي ﷺ من ترك اغتنام فضائل هذا الشهر، والانسلاخ منه دون مغفرة للذنوب ورفع للدرجات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: «**آمين، آمين، آمين**» قيل: يا رسول الله ! إنك صعدت المنبر فقلت: « **آمين، آمين، آمين** ».

قال: «**إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان، فلم يغفر له، فدخل النار، فأبعده الله، قل**: آمين، **فقلت: آمين** » (رواه ابن خزيمة وابن حبان وقال الألباني حسن صحيح).

فعلى كل مسلم أن يحذر من إضاعة أوقات هذا الشهر فيما يسخط الله عز وجل، أو في المباحات التي لا يؤجر عليها، فإن المسيء إذا رأى المحسنين يوم القيامة، ندم على إساءته، وتمنى أن لو كان أحسن مثلهم، ولكن هيهات أن ينفع الندم، أو يجدي البكاء والحسرة والألم.

وقد أخبر النبي ﷺ أن من الناس من يصوم على سبيل العادة، فلا يكون للصيام أثر في تعديل سلوكه، ولا في تهذيب منطقة، فلا يعرف من معاني الصيام شيئاً سوى الامتناع عن الطعام والشراب فترة من الزمن، فهذا من قال فيه ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» (رواه البخاري).

وقال ﷺ: «**رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش**» (رواه أحمد وابن ماجة وصححه السيوطي) والمعنى أنه ليس له أجر

الصائمين؛ لأنه هتك حرمة الصيام بأنواع المعاصي والمنكرات، ولذلك قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الطعام والشراب. وقد بين النبي ﷺ أن الصيام الحق وقاية من كل فعل ذميم وخلق مرذول، فقال عليه الصلاة والسلام: «**الصيام جنة، فإذا كان يوم صيام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم، أني صائم** » (متفق عليه) فهذا هو الصيام المطلوب الذي يصل بصاحبه إلى نيل المرغوب: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة:١٨٣].

ثانيا: قيام رمضان:

قيام رمضان هو صلاة الليل في رمضان، وقد كان النبي ﷺ يقوم طوال العام، امتثالا لقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [المزمل ١، ٢] وقد امتدح الله تعالى القائمين لصلاة الليل فقال: ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٤]، وقال: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [السجدة: ١٦] وقال النبي ﷺ: «**أفضل بالصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**» (رواه مسلم).

وقد ثبت أنه ﷺ كان يخص قيام رمضان بمزيد من الاهتمام، ومن ذلك أنه ﷺ رغب في قيام رمضان، وأخبر أنه سبب في المغفرة مثل صيام رمضان، فقال عليه الصلاة والسلام: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» (متفق عليه).

وقيام رمضان هو قيامه بالتهجد بالصلاة ذات الخشوع والخضوع تقرباً إلى الله تعالى في هذه الليالي الشريفة.

قال الشيخ ابن عثيمين: ومعنى قوله ﷺ: «**إيمانا**» أي بالله وبما أعده من الثواب للقائمين.

ومعنى قوله: «**احتسابا**» أي طلبا لثواب الله، لم يحمله على ذلك رياء، ولا سمعة، ولا طلب مال ولا جاه.

وقيام رمضان شامل للصلاة في أول الليل وآخره، وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان، فينبغي الحرص عليها، والاعتناء بها، واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليال معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها. وإنما سميت تراويح؛ لأن الناس كانوا يطيلونها جدا، فكلما صلوا أربع ركعات استراحوا قليلاً.

وكان النبي ﷺ أول من سن الجماعة في صلاة التراويح في المسجد، ثم تركها خوفا من أن تفرض على أمته. ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها« **أن النبي ﷺ صلى في المسجد ذات ليلة، وصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة، وكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم. وكان ذلك في رمضان**» [(١)].

---

(١) مجالس شهر رمضان ص (١٨).

فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، ثم إن عمر بن الخطاب ﷺ جمع الناس في المسجد على إمام واحد في صلاة التراويح، فأحيا هذه السنة، بعد زوال العلة التي من أجلها خاف النبي ﷺ أن تفرض على أمته، فقد انقطع الوحي بوفاة النبي ﷺ وقد أجمع المسلمون من أهل السنة على مشروعية ما فعله عمر ﷺ، لم يشذ عنهم إلا أهل البدع.

ومما يدل على المشروعية أيضا ما رواه أبو الدرداء أنه ﷺ قام بهم ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل، وليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، فقالوا: لو ثقلتنا – أي زدتنا بقية ليلتنا – فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف، كتب له بقية ليلته**» (رواه أهل السنن وحسنه الترمذي).

وفيه دليل على أن قيام بعض الليل من الإمام يكتب به قيام كل الليل، وإن كان ذلك البعض دون الثلث، كما دل عليه قوله: «**إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف**» لكن ظاهر قوله: «**حتى ينصرف**» أنه لابد من قيامه معه إلى انصرافه، فلو انصرف قبله لم يكتب له ذلك.

وعن الإمام أحمد أنه كان يأخذ بهذا الحديث، ويصلي مع الإمام [1].

وعلى هذا فما يفعله بعض الناس من انصرافهم بعد ركعتين أو أربع أو ست، يحرمهم من إدراك ثواب قيام ليلة كاملة. وانظر إلى

---

(١) إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام ص (١٩٣).

الصحابة كيف صلى بهم النبي ﷺ إلى نصف الليل، ومع ذلك طلبوا منه أن يزيدهم، وهذا يدل على قوة إيمانهم وشدة اجتهادهم في طاعة الله. وإذا نظرت اليوم إلى أحوال كثير من الأئمة، تجد أنهم يصلون صلاة التراويح كاملة في نصف ساعة أو أقل أو أكثر، ومع ذلك فإن الناس لا يصبرون على إتمامها كاملة مع الإمام، وهذا دليل على الانشغال بالدنيا، وتمكن حبها من النفوس، وطول الأمل والزهادة في أعمال الآخرة.

ثالثا: مدارسة القرآن:

ومن عبادات النبي ﷺ في رمضان: مدارسة القرآن، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة**» (متفق عليه).

قال الإمام ابن رجب: (ودل الحديث أيضا على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له.

وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان. وفي حديث فاطمة رضي الله عنها عن أبيها ﷺ أنه أخبرها: أن جبريل كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه في عام وفاته مرتين.

وفي هذا الحديث أن المدارسة بين النبي ﷺ وبين جبريل كانت ليلاً، وهذا يدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً ؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل. ويجتمع فيه الهم، ويتواطأ فيه لقلب واللسان على التدبر كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾ [المزمل:٦].

وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة:١٨٥]

ولتلاوة القرآن آداب منها:

١-إخلاص النية لله تعالى فيها.

٢-أن يقرأ بقلب حاضر، يتدبر ما يقرأ ويتفهم معانيه.

٣-أن يقرأ على طهارة؛لأن هذا من تعظيم كلام الله تعالى.

٤-ألا يقرأ القرآن في الأماكن المستقذرة أو في مجمع لا ينصت فيه لقراءته؛ لأن قراءته في مثل ذلك إهانة له.

٥-أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند إرادة القراءة، ولا يقرأ البسملة إلا في أول السورة.

٦-أن يحسن صوته بالقرآن.

٧-أن يرتل القرآن ترتيلاً، ويطبق أحكام التلاوة.

٨-أن يسجد إذا مر بآية سجدة وهو على وضوء في أي وقت كان من ليل أو نهار، فيقول: سبحان ربي الأعلى، ويدعو ثم يرفع

من السجود بدون تكبير ولا سلام[(١)].

رابعا: الذكر والدعاء:

لقد كان النبي ﷺ يذكر ربه في كل وقت وعلى كل حال، وكان أكثر ذكرا لله تعالى في رمضان، ومن الأذكار النبوية الرمضانية، أنه ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «**الله أكبر، الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربنا وربك الله**» (رواه الدارمي).

وكان النبي ﷺ إذا أفطر قال: «**ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله**» (رواه أبو داود والنسائي).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله! إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح). وقال النووي: يستحب أن يكثر في الاعتكاف من تلاوة القرآن وغيره من الأذكار.

أما الدعاء فقد قال ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، دعوة المظلوم**» (رواه الترمذي وحسنه).

خامسا: كثرة الجود والإنفاق:

ففي حديث ابن عباس السابق أن النبي ﷺ كان أجود ما يكون في رمضان، وكان فيه أجود بالخير من الريح المرسلة. (متفق عليه).

---

(١) مجالس شهر رمضان ص (٦١-٦٣) باختصار.

فالنبي ﷺ هو أجود بني آدم على الإطلاق، كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة، وكان جوده ﷺ بجميع أنواع الجود، من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه ، وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم.

وفي الصحيحين عن أنس قال: «**كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس وأجود الناس**».

وفي صحيح مسلم عن أنس قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه، فجاء رجل، فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ».

وكان جوده ﷺ يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضا، فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة، وكان على ذلك من قبل البعثة(1).

ومن الجود في رمضان: تفطير الصائمين لقول النبي ﷺ: «**من فطر صائماً فله مثل أجره**» (رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني)، ومن خصائص جود النبي ﷺ أنه كان كله لله وفي ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال إما لفقير أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه، وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل

(1) لطائف المعارف ص (226-229) باختصار.

كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع [١].

سادسا:الاعتمار في رمضان:

ومع أن النبي ﷺ لم يعتمر في رمضان، إلا أنه رغب في أداء العمرة في رمضان، فقال عليه الصلاة والسلام: «**عمرة في رمضان تعدل حجة – أو قال – حجة معي**» (متفق عليه)، وهذا يدل على مضاعفة ثواب العمل الصالح في رمضان، فمن حرم فضل الله تعالى ورحمته ومغفرته الواسعة في هذا الشهر فهو المحروم حقيقة.

سابعاً: الاعتكاف:

والاعتكاف سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده**» (متفق عليه).

وفي لفظ: «**كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما**» (رواه البخاري).

ثامنا: زيادة الاجتهاد في العشر الأواخر:

فعن عائشة رضي الله عنها «**أن النبي ﷺ كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره**» (رواه مسلم).

---

(١) المصدر السابق (٢٢٩).

وقالت: «**كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله**» (متفق عليه).

وهذا شامل للاجتهاد في جميع أنواع العبادة من صلاة وقرآن وذكر وصدقة وغيرها. فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتباع هذا النبي والفوز بشفاعته يوم القيامة.

***

عليك بالصوم

فإنه لا مثل له

إعداد

القسم العلمي بدار ابن خزيمة

مصدر هذه المادة :

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

عليك بالصوم

أخي الكريم: «**عليك بالصوم فإنه لا مثل له**».. هكذا وصاك النبي ﷺ.. فأرشدك إلى هذه العبادة في عبارة وجيزة تحمل في وجازتها أسرارًا عظيمة لغنائم جليلة فضيلة قل من يكسبها!

ولو تأملت أخي في أسرار تلك الغنائم.. لوقفت متحسرًا على يوم فاتك لم تصمه.. ولدعتك نفسك التواقة إلى الخير إلى الحرص على كل صوم مستحب.

فهذا شهر رمضان لا يخفى عليك أجره وثوابه.. وهو من العظمة والكثرة في منتهى النهايات.. قال رسول الله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

وصوم رمضان ركن من أركان الإسلام.. أوجبه الله على كل مسلم.. وليس هنا عنه نتكلم.

وإنما الحديث هنا عن الصيام المستحب وما له من فضل وثواب عند الله.. فالصوم في سبيل الله.. جُنة من النار.. وقاية منها كما قال ﷺ: «**الصوم جنة يستجن بها العبد من النار**».

[صحيح الجامع: ٣٨٦٧]

والصوم شافع لك يوم القيامة.. يوم لا ينفع مال ولا بنـــون إلا من أتى الله بقلب سليم.. في الحديث قال رسول الله ﷺ: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قال: فيشفعان**» [صحيح الترغيب برقم: ٩٨٤].

وإذا كانت الحسنة بعشر أمثالها.. فإن الصوم قـــد أخفـــى الله ثوابه.. وفي ذلك من الإشارة إلى عظم ثوابه ما لا يخفـــى.. ففـــي الحديث القدسي قال الله تعالى: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم. إني صائم**» [صحيح الترغيب: ١٠٨١].

قال ابن رجب رحمه الله في شرح هذا الحديث: (يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة ، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام ، فإنه لا ينحصر تضـــعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله عز وجل أضعافًا كثيرة بغير حصر عدد).

فإن الصيام من الصبر، وقد قال الـــه تعـــالى: ﴿**إِنَّمَـــا يُـــوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾، ولهذا ورد عن النبي ﷺ أنه سمى رمضان شهر الصبر، وقال ﷺ: «**الصوم نصف الصبر**».

والصبر على ثلاثة أنواع: صبر على الطاعة.. وصبر على محارم الله.. وصبر على الأقدار المؤلمة.

وتجتمع الثلاثة في الصوم، فإن فيه صبرًا على طاعة الله، وصبرًا

عما حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبرًا على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن، وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه، كما قال الله تعالى في المجاهدين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [لطائف المعارف لابن رجب ص: ١٦٨].

وقال القرطبي رحمه الله: (إن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسب لصفة من صفات الحق، كأنه يقول: إن الصائم يتقرب إليّ بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي).

فتأمل أخي في ثواب هذه العبادة.. فهي وقاية من النار. وشافعة يوم المعاد.. ولا يعلم عظم ثوابها إلا رب العباد..

فضل الصيام

وفي فضل الصيام وردت أحادث كثيرة كلها تبين فضائل الصوم العظيمة والتي ما اطلع عليها مؤمن موقن بأخبارها إلا شمر لنيلها.. وسارع لاكتسابها.. وإليك أخي بيان تلك الثمرات:

١- **دخول الجنة**: فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد**».

[رواه البخاري ومسلم]

٢- **النجاة من النار**: وفيه وردت أحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ: «**من صام يومًا في سبيل الله بعدت منه النار مسيرة مائة عام**». [رواه الطبراني/ وانظر صحيح الترغيب ١/٤١٤]

وقال ﷺ: «**من صام يومًا في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفًا**».

[انظر صحيح الجامع برقم: ٦٣٣٤]

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقد تقدم أن الصيام جنة يستجن بها العباد من النار.

٣- **أن الصوم شعار الأبرار**: ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار، يقومون الليل، ويصومون النهار، ليسوا بأثمة ولا فجار**».

[انظر: صحيح اجامع برقم: ٣٠٩٧]

٤- **أن دعوة الصائم لا ترد**: قال ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر**» [رواه البيهقي، وانظر: صحيح الجامع: (٣٠٣٠)].

٥- **تكفير السيئات**:قال رسول الله ﷺ: «**فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام، والصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» [رواه البخاري].

أخي الكريم: فهذه بعض الفضائل العظام لنافلة الصيام: فوز بالجنة.. ونجاة من النار.. واستجابة للدعوة.. وتكفير للخطايا..

وغيرها كثير لا يعلم قدره إلا الله.. فأين من يثخن بطنه طول حياته.. ممن يشتري بجوعة ساعات هذه الكرائم الخالدة..

هذا وفضائل الصيام لا تف عند حد غنائمه الأخروية.. بل له فضائل جليلة تعود على الصائم خيرًا في الدنيا. فمنها:

الأول: صحة الأبدان لقوله ﷺ: «**ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه**»، يقول ابن القيم في زاد المعاد: (وله – أي: الصيام – تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها).

الثاني: سلامة الأذهان وتصحيح أفكارها، فإن الحرارة الغريزية يثيرها الجوع والعطش ، فيقوى إدراكها لفهم المعاني ، ويكثر تدبرها لما في الأعمال الصالحة من معان.

الثالث: نهضة القوة الحافظة وتقليل نسيانها ، فإن كثرة الأكل تكثر الرطوبة في الجسد وتوجب البلادة في الطبع.

الرابع: خفة حركة الأعضاء للطاعات، فإن الشبع يرخي الجسد ، ويقتضي التثاقل عن العبادة والإبطاء عن الإجابة إليها.

الخامس: خذلان أعوان الشيطان، ونصر أجناد الرحمن.

السادس: رقة القلب وغزارة الدمع.

السابع: إجابة الدعوة وذلك من علامة اللطف والاعتناء.

الثامن: فرحه عند لقاء ربه بصومه.

التاسع: فرحه عند فطره، وليس المراد بأكله وشربه، وإنما المراد فرحة بتوفير أجره عند تمام صومه وسلامته عن قاطع يقطعه عليه.

العاشر: صيانة جوارحه عن استرسالها في المخالفات.

الحادي عشر: المباهاة به يوم القيامة.

الثاني عشر: اختصاصه بالدخول إلى الجنة من باب الريـــان [مدارك المرام ص٧٨-٨١].

الصوم أكبر عون على العبادة

أخي المسلم: اعلم أن الشهوة هي أكبر ما يعوق المســـلم عـــن تحقيق العبودية لله كما يحب.. فهي تغري النفوس بالمعصية.. وهي تدفعها إلى المخالفات.. ولذلك فإن إضعافها وكسرها يعد أكـــبر عون للمسلم على عبادة الله.

ومن هنا تعلم قيمة الصوم.. فهو من أعظم ما تكبح به الشهوة وتقهر.. وتزكو النفوس وتطهر.. قال رسول الله ﷺ: «**يا معشـــر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصـــر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**».

[انظر: صحيح الجامع: ٧٩٧٥]

قال ابن القيم رحمه الله: (لما كان المقصود من الصيام حـــبس النفس عن الشهوات، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها وقبول ما تزكو مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ مـــن حـــدتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المســـاكين، وتضـــييق مجـــاري

الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب...).

الصوم المبرور

أخي.. إن الصوم المبرور الذي يثمر تلك الفضائل الجليلة.. ليس هو مجرد جوع وعطش من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.. وإنما هو الصوم بمعناه العام.. صوم البطن والفرج عن الطعام والشهوة.. وصوم الجوارح عن المعاصي والمخالفات.. وصوم القلب عن إرادة غير الله.

قال رسول الله ﷺ: «**رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر**».

[رواه ابن ماجه]

قال جابر: (إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء).

وقال ابن الجوزي: (الصوم ثلاثة: صوم الروح وهو قصر الأمل، وصوم العقل وهو مخالفة الهوى، وصوم الجوارح وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع).

وقال علي زين العابدين: (حق الصوم أن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك، ليسترك به من النار، وهكذا جاء في الحديث: «**الصوم جنة من النار**»).

الأيام المستحب صومها

وإليك أخي الأيام التي استحب الله لك صومها.. وجعلها مواسم خير.. يظفر بها السابقون إلى الخير.. المتنافسين في الفضل.. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.

١- صيام شهر محرم: لقوله ﷺ: «**أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم**» [رواه مسلم].

شهر الحرام مبارك ميمون والصوم فيه مضاعف مسنون
وثواب: صائمه لوجه إلهه في الخلد عند مليكه مخزون

٢- صوم شعبان: لقول عائشة رضي الله عنها: «**كان أحب الشهور إليه ﷺ أن يصومه شعبان، ثم يصله برمضان**».

[رواه النسائي]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما صام النبي ﷺ شهرًا كاملاً قط غير رمضان، ويصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان».

[رواه البخاري ومسلم]

٣- صيام ستة أيام من شوال: لقوله ﷺ: «**من صام رمضان**

ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر» [رواه مسلم].

٤- صوم عشر ذي الحجة: ففي الحديث: «**ما العمل في أيام أفضل منه في عشر ذي الحجة، ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء**».

[رواه مسلم]

وكان ابن سيرين وقتادة يقولان: (صوم كل يوم من العشر يعدل سنة).

٥- صيام يوم عرفة: قال رسول الله ﷺ: «**صوم يوم عرفة كفارة السنة الماضية والسنة المستقبلة**».

وقال ﷺ: «**صوم يوم عرفة يكفر سنتين، ماضية ومستقبلة، وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية**» [رواه مسلم].

٦- صيام يوم عاشوراء: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما رأيت النبي ﷺ يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء، وهذا الشهر يعني شهر رمضان» [رواه البخاري].

٧- صوم أيام البيض: وهي ثلاثة عشر وأربع عشر وخمس عشرة من كل شهر، لقوله ﷺ: «**إن كنت صائمًا فصم أيام الغر**». [رواه ابن حبان].

وقال ﷺ: «**إذا صمت من الشهر ثلاثًا فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة**» [رواه الترمذي].

٨- صوم الاثنين والخميس: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان

أكثر ما يصوم الاثنين والخميس. فقيل له؟ فقال: **الأعمال تعـرض كل اثنين وخميس، فيغفر الله لكل مسلم إلا المتهاجرين فيقـول: أخروهما**» [رواه أحمد].

وعن عائشة رضي الله عنها: «إن النبي ﷺ كان يتحرى صـيام الإثنين والخميس» [رواه أبو داود].

٩- صوم يوم وإفطار يوم: فقد قال رسول الله ﷺ: «**أفضـل الصيام صيام أخي داود، كان يصوم يوما ويفطر يومًا ولا يفر إذا لاقى**» [رواه النسائي].

فهذه أخي جملة من الأيام المستحب صيامها.. قد يظهر لـك فضلها.. واتضحت لك ثمارها.. فشـمر عـن سـاعد الجـد في اغتنامها.. فأنت في الدنيا دار العمل والسـباق.. تحـر الإثـنين والخميس.. والأيام البيض.. فإن صيامهن يذهب وحر الصـدر.. ويضاعف الله به الثواب والأجر.. واغتنم مواسم الخير كصيام الأيام العشر.. فإنها أفضل أيام الدنيا.. يضاعف الله فيها الأعمال.. ويجزل فيها الثواب.. لمن تعبد فيها وأناب..

وإليك بعض أخبار السلف.. الذين فقهـوا أسـرار الصـيام فكابدوا شهواتهم.. ورفعوا عند الله درجاتهم.

فعن أيوب قال: (كان محمد بن سيرين يصوم يومًـا ويفطـر يومًا). وقال ابن عون: (كان محمد بن سيرين أشد الناس إزرًا على نفسه).

وعن هشام بن عروة أن أباه كان يسرد الصوم.

وعنه أيضًا أن أباه عروة بن الزبير كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر، ومات وهو صائم.

وروى حماد عن إبراهيم: كان الأسود يصوم حتى سود لسانه من الحر.

وعن عبد الله بن بشر أن علقمة والأسود بن يزيد حجّا، وكان الأسود صاحب عبادة، وصام يومًا فكان الناس بالهجير وقد تربد وجهه، فأتاه علقمة فضرب على فخذه فقال: ألا تتق الله يا أبا عمرو في هذا الجسد؟ علام تعذب هذا الجسد؟ فقال الأسود: يا أبا شبل: الجد الجد.

أخي.. فهذا غيض من فيض.. وإلا فمن اطلع على سيرة السلف وصيامهم تملكه العجب.. وأخذته الدهشة.. وعلم ما عليه الخلف من الغبن في غنائم الصيام العظيمة.

أخي.. عليك بالصوم فإنه لا مثل له.. يكفر به ذنب.. ويستر به عيب.. ويورث به الجنة.. ويباعد به وجهك عن النار.. ويكسوك به مهابة الطاعة.. وحلاوة الحسنة.

ساعات الشبع فائتة.. ولحظات الشهوة منقضية.. وأكثر الناس شبعًا في الدنيا أكثرهم جوعًا في الآخرة.

ولجوعة توجب النجاة والجنة.. خير من لقمة تورث القساوة والتخمة.

أين الذين ملؤوا البطون.. وتلذذوا بأنواع الطعام مما يشتهون..

أليسوا في حفرة هم أحوج فيها إلى الحسنات.. وأفقر فيها إلى الدرجات.. فالبدار البدار.. إلى غنائم المواسم في هذه الدار.. فما جاع الصائم.. إلا كما يجوع الطاعم.. يد أن جوعة الصائم له.. وجوعة الطاعم لنفسه.. مع أن فرحة الصائم بفطره فرحتان.. وليس للطاعم إلا فرحة واحدة.. فتأمل.

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

فتاوى في صلاة التراويح

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

فتاوى في صلاة التراويح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد ..

فهذه جملة من أقوال وفتاوى العلماء من أحكام وآداب صلاة التراويح، نسأل الله أن ينفع بها، وأن يجزي علماءنا خير الجزاء.

ما هي التراويح؟

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله: التراويح: قيام الليل جماعة في رمضان، ووقتها من بعد العشاء إلى طلوع الفجر. وقد رغب النبي ﷺ في قيام رمضان، حيث قال: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه**» (متفق عليه).

[فصول في الصيام والتراويح]

الحكمة في تسمية رمضان بالتراويح

قال الشيخ ابن جبرين: قال ابن محمود في كتاب الصيام: وسميت تراويح من أجل أنهم كانوا يستريحون بعد كل أربع ركعات؛ لكونهم يعتمدون على العصي من طول القيام، ولا ينصرفون إلا في فروع الفجر.

[من فتاوى أئمة الإسلام: ص٤، ٥]

وذكر مثل ذلك الشيخ صالح الفوزان.

[إتحاف أهل الإيمان بدروس رمضان: ص٤٨]

الفرق بين التراويح والقيام

قال الشيخ ابن باز – رحمه الله: الصلاة في رمضان كلها تسمى قيامًا، كما قال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه**». فإذا قام ما تيسر منه مع الإمام سمي قيامًا، ولكن في العشر الأخيرة يستحب الإطالة، لأنه يشرع إحياؤها بالصلاة والقراءة والدعاء، لأن الرسول ﷺ كان يحيي الليل كله في العشر الأخيرة، ولذا يشرع الإطالة فيها كما أطال النبي ﷺ.

[الجواب الصحيح: ص٢٣]

حكم صلاة التراويح

قال الشيخ الفوزان: صلاة التراويح سنة مؤكدة، لا ينبغي للمسلم تركها.

وقال الشيخ ابن جبرين: هي سنة مؤكدة حث النبي ﷺ عليها.

[من فتاوى أئمة الإسلام: ص٥٠٢]

حكم صلاة التراويح جماعة

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله: وكان النبي ﷺ أول من سن الجماعة في صلاة التراويح في المسجد، ثم تركها خوفًا من أن تفرض على أمته.

ونقل الشيخ ابن جبرين عن ابن قدامة قوله: والمختار عند أبي

عبد الله – أحمد بن حنبل – فعلها في الجماعة. قال في رواية يوسف بن موسى: الجماعة في التراويح أفضل. قال أحمد: كان جابر وعلي وعبد الله يصلونها في جماعة.

[من فتاوى أئمة الإسلام: ص٥٠٨]

ولا ينبغي للرجل أن يتخلف عن صلاة التراويح، لينال ثوابها وأجرها، ولا ينصرف حتى ينتهي الإمام منها ومن الوتر؛ ليحصل له أجر قيام الليل كله. [مجالس شهر رمضان: ص١٨، ١٩].

عدد ركعات التراويح

قال الشيخ ابن باز – رحمه الله: فقد ثبت عن النبي ﷺ ما يدل على التوسعة في صلاة الليل، وعدم تحديد ركعات معينة، ومن ذلك قوله ﷺ: «**صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح، صلي ركعة واحدة، توتر له ما قد صلى**» (متفق عليه).

وفي قول عائشة رضي الله عنها: ما كان يزيد في رمضان، ولا غيره عن إحدى عشرة ركعة. ما يدل على أن الأفضل في صلاة الليل في رمضان، وفي غيره إحدى عشرة ركعة، يسلم من كل اثنتين ويوتر بواحدة.

وثبت عن عمر رضي الله عنه هذا وهذا، ثبت عنه رضي الله عنه أنه أمر من عين من الصحابة أن يصلي إحدى عشرة. وثبت عنهم أنهم صلوا بأمره ثلاثًا وعشرين، وهذا يدل على التوسعة في ذلك، وأن الأمر عند الصحابة واسع، كما دل عليه قوله عليه

الصلاة والسلام: «**صلاة الليل مثنى مثنى**» ولكن الأفضل من حيث فعله ﷺ إحدى عشرة أو ثلاث عشرة، وسبق ما يدل على أن إحدى عشر أفضل. [الجواب الصحيح: ص٣-٧].

وقال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله: والسنة أن يقتصر على إحدى عشرة ركعة، يسلم من كل ركعتين.. وإذا زاد على إحدى عشرة ركعة، فلا حرج.. لكن المحافظة على العدد الذي جاءت به السنة مع التأني والتطويل الذي لا يشق على الناس أفضل وأكمل.

[فصول: ص١٨]

حضور النساء صلاة التراويح

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله: ويجوز للنساء حضور التراويح في المساجد إذا أمنت الفتنة منهن وبهن، لقول النبي ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»، ولأن هذا من عمل السلف الصالح رضي الله عنهم. لكن يجب أن تأتي متسترة متحجبة غير متبرجة، ولا متطيبة، ولا رافعة صوتًا، ولا مبدية زينة لقوله تعالى: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾.

[مجالس شهر رمضان: ص١٩]

سؤال: إذا خرجت المرأة لصلاة التراويح في المسجد، وزوجها غير راض عنها فيقول لها: صلي في البيت آجر لك. ما صحة هذا الكلام بارك الله فيكم؟

أجاب الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله: نقول أولاً للزوج:لا

تمنع امرأتك من الخروج إلى المسجد، فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك فقال: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»، ونقول للزوجة: إذا منعك الزوج، فأطيعيه، لأنه قد لا يمنعك إلا لمصلحة، أو خوف فتنة، وهو كما قال من أن صلاتك في البيت أفضل من صلاتك في المسجد، لقول النبي ﷺ: «**وبيوتهن خير لهن**».

حكم التنقل بين المساجد

قال الشيخ ابن باز – رحمه الله: لا أعلم في هذا بأسًا، وإن كنت أميل إلى أن يلزم المسجد الذي يطمئن قلبه فيه. ولكن لو انتقل إلى إمام آخر لا نعلم فيه بأسًا إذا كان قصده الخير، وليس قصده شيئًا آخر من رياء أو غيره.

[الجواب الصحيح: ص١٣، ١٤]

وقال الشيخ ابن جبرين رحمه الله: من المشاهد أن القلب يخشع، ويخضع عند سماع القرآن من القارئ الذي يتقن القراءة، ويتغنى بالقرآن، ويجيد التلاوة، ويكون حسن الصوت، يظهر من قراءته أنه يخاف الله تعالى.

فإذا وجد الإنسان الخشوع وحضور القلب خلف الإمام الذي يكون كذلك، فله أن يصلي خلفه، وله أن يأتي إليه من مكان بعيد أو قريب؛ ليحصل له الاستفادة.

معنى التغني بالقرآن

قال الشيخ ابن جبرين رحمه الله: التغني هو تحسين الصوت بالقرآن، والترنم به، وهو مستحب لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» (رواه مسلم).

وروى مسلم عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو رأيتني وأنا استمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**».

وروي عنه أنه قال: «**لو علمت أنك تستمع إلي لحبرته لك تحبيرًا**». والتحبير: تحسين الصوت وتحزينه، لكن التكلف والتشدد في النطق بالحروف والمبالغة في المد والإظهار والإفصاح الزائد عند القدرة المعتادة لا يجوز، فإن قراءة النبي ﷺ ليس فيها تكلف.

[من فتاوى أئمة الإسلام: ص٥١٣]

حكم حمل الإمام للمصحف

قال الشيخ ابن باز – رحمه الله: لا بأس بهذا على الراجح، وفيه خلاف بين أهل العلم، لكن الصحيح أنه لا حرج أن يقرأ من المصحف إذا كان لم يحفظ أو كان حفظه ضعيفًا، وقراءته من المصحف أنفع للناس، وأنفع له، فلا بأس بذلك.

[الجواب الصحيح: ص٢٥]

حكم حمل المأموم للمصحف

قال الشيخ ابن باز – رحمه الله: لا أعلم في هذا أصلاً، والأظهر أن يخشع ويطمئن، ولا يأخذ مصحفًا، بل يضع يمينه على شماله كما هي السنة. [الجواب الصحيح: ص٢٦].

الهدي الصحيح في صلاة التراويح

سؤال: هل للإمام في صلاة التراويح أن يسرد الركعات بسلام واحد؟ وما هو الهدي الصحيح في ذلك؟ وما تقولون فيمن يصلي الشفع والوتر كصلاة المغرب؟

أجاب الشيخ ابن جبرين رحمه الله: السنة في صلاة التراويح، وفي صلاة التهجد أن يسلم من كل ركعتين، لقول النبي ﷺ: «**صلاة الليل مثنى مثنى**» وسواء صلاة أول الليل، أو آخره لظاهر الحديث.

وأما قول عائشة: (يصلي أربعًا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا) فليس المراد أنه يسرد الأربع أو الثلاث بسلام واحد، وإنما أرادت وصف الأربع الأول بالطول الزائد، وأن الأربع الثانية دونها في الطول، مع تسليمه من كل ركعتين كما ذكر ابن عباس في صلاته مع النبي ﷺ لما بات عنده أنه صلى ركعتين ثم ركعتين.

لكن قد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يوتر

بخمس لا يجلس إلا في آخرها، وبسبع يسردهن، وبتسع يتشهد بعد الثامنة، ولا يسلم ثم يصلي التاسعة، ولعل ذلك كان في آخر حياته، و لم يكن يداوم عليه.

وقد أجاز العلماء أن يصلي الوتر خمسًا بسلام، وسبعًا بسلام، وأجاز بعضهم الثلاث سردًا، وكره كثير من العلماء أن يصليها بتشهدين كالمغرب، ولكن ذلك جائز مع الكراهة. والله أعلم.

[من فتاوى أئمة الإسلام: ص٥٢٠]

حكم التقليد

سؤال: بعض أئمة المساجد في صلاة التراويح يقلدون غيرهم، وذلك لتحسين أصواتهم بالقرآن. فهل هذا عمل مشروع وجائز؟

أجاب الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله: تحسين الصوت بالقرآن أمر مشروع أمر به النبي ﷺ، واستمع النبي ﷺ ذات ليلة إلى قراءة أبي موسى الأشعري، وأعجبته قراءته، حتى قال له: «**لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**» (رواه مسلم).

وعلى هذا، فإذا قلد إمام المسجد شخصًا حسن الصوت والقراءة من أجل أن يحسن صوته وقراءته لكتاب الله عز وجل، فإن هذا أمر مشروع لذاته، ومشروع لغيره أيضًا، لأن فيه تنشيطًا للمصلين خلفه، وسببًا لحضور قلوبهم واستماعهم وإنصاتهم للقراءة، وفضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. [فتاوى علماء البلد الحرام: ص١٩٥].

ظاهرة ارتفاع الأصوات بالبكاء

قال الشيخ ابن باز – رحمه الله،: لقد نصحت كثيرًا من اتصل بي بالحذر من هذا الشيء، وأنه لا ينبغي، لأن هذا يؤذي الناس، ويشق عليهم، ويشوش على المصلين وعلى القارئ. فالذي ينبغي للمؤمن أن يحرص على ألا يسمع صوته بالبكاء، وليحذر من الرياء. ومعلوم أن بعض الناس ليس ذلك باختياره، بل يغلب عليه بغير قصد، وهذا معفو عنه إذا كان بغير اختياره.

[الجواب الصحيح: ص٢٨]

حكم ترديد الإمام لبعض الآيات

قال الشيخ ابن باز – رحمه الله: لا أعلم في ذلك بأسًا لقصد حث الناس على التدبر والخشوع والاستفادة. لكن إذا كان يرى أن ترديده لذلك قد يزعجهم، ويحصل به أصوات مزعجة من البكاء، فترك ذلك أولى حتى لا يحصل تشويش، أما إذا كان ترديد ذلك لا يترتب عليه إلا خشوع وتدبر وإقبال على الصلاة، فهذا كله خير.

[الجواب الصحيح: ص١٩، ٢٠]

حكم المداومة

على قراءة سور معينة في الوتر

سؤال: هل يلزم في قراءة الوتر أن يداوم على القراءة بسور: «الأعلى» و«الكافرون» و«الإخلاص» أم له غير ذلك؟ وما السنة الواردة في ذلك؟

أجاب الشيخ ابن جبرين - رحمه الله - بقوله: قال أبي بن كعب رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ يوتر بـــ«سبح اسم ربك الأعلى» و«قل يا أيها الكافرون» و«قل هو الله أحد») (رواه أحمد وأبو داود والنسائي).

وروى أبو داود والترمذي نحوه عن عائشة وفيه: كل سورة في ركعة، وفي الأخيرة: «قل هو الله أحد» والمعوذتان. لكن أنكر أحمد وابن معين زيادة المعوذتين. والظاهر أنه يكثر من قراءتهما، ولا يداوم عليها، فينبغي قراءة غيرها أحيانًا، حتى لا تعتقد العامة وجوب القراءة بها.

وقد ذهب مالك إلى أنه يقرأ في الوتر - أي الركعة الأخيرة - «قل هو الله أحد» والمعوذتين. وقال في الشفع: لم يبلغني فيه شيء معلوم، نقل ذلك ابن قدامة في «المغني» ولو كانت قراءة الأعلى والكافرون متبعة لما خفيت على مالك، وهو إمام دار الهجرة، فدل على أنها تقرأ أحيانًا لا دائمًا.

[من فتاوى أئمة الإسلام: ص٥٢٦، ٥٢٧]

حكم إطالة الدعاء في التراويح

سؤال: بعض أئمة المساجد في رمضان يطيلون في الدعاء، وبعضهم يقصر، فما هو الصحيح؟

أجاب الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – بقوله: الصحيح ألا يكون غلو، ولا تقصير، فالإطالة التي تشق على الناس منهي عنها، فإن النبي ﷺ لما بلغه أن معاذ بن جبل أطال الصلاة في قومه غضب عليه، وقال: «**أفتان أنت يا معاذ؟**» (متفق عليه). فالذي ينبغي أن يقتصر على الكلمات الواردة أو يزيد.

ولا شك في أن الإطالة شاقة على الناس، وترهقهم، ولا سيما الضعفاء منهم. ومن الناس من يكون وراءه أعمال، ولا يحب أن ينصرف قبل الإمام. فنصيحتي لإخواني الأئمة أن يكونوا بين بين. كذلك ينبغي أن يترك الدعاء أحيانًا، حتى لا يظن العامة أن الدعاء واجب. [فتاوى علماء البلد الحرام. ص١٩٤].

حكم دعاء ختم القرآن

قال الشيخ ابن باز – رحمه الله: لم يزل السلف يختمون القرآن ويقرءون دعاء الختمة في صلاة رمضان، ولا نعلم في هذا نزاعًا بينهم، فالأقرب في مثل هذا أنه يقرأ، لكن لا يطول على الناس، ويتحرى الدعوات المفيدة والجامعة.

[الجواب الصحيح: ص٤٣].

حكم السفر

إلى مكة والمدينة لحضور الختمة

قال الشيخ ابن باز – رحمه الله: السفر إلى مكة أو المدينة قربة وطاعة، للعمرة أو للصلاة في المسجد الحرام، أو للصلاة في المسجد النبوي، في رمضان وفي غيره بإجماع المسلمين، ولا حرج في هذا؛ لأن حضور الختمة ضمن الصلاة في الحرمين، وقد يكون معه عمرة، فهو خير يجر إلى خير. [الجواب الصحيح: ص٥١].

نصيحة للأمة

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله: وأما ما يفعل بعض الناس من الإسراع المفرط، فإنه خلاف المشروع، فإن أدى إلى الإخلال بواجب أو ركن كان مبطلاً للصلاة.

وكثير من الأئمة لا يتأنى في صلاة التراويح وهذا خطأ منهم، فإن الإمام لا يصلي لنفسه فقط، وإنما يصلي لنفسه ولغيره، فهو كالولي يجب عليه فعل الأصلح، وقد ذكر أهل العلم أنه يكره للإمام أن يسرع سرعة تمنع المأمومين فعل ما يجب.

[فصول في الصيام والتراويح والزكاة: ص١٨].

فتاوى نسائية رمضانية

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خص شهر رمضان بفضائل جليلة، والصلاة والسلام على صاحب لواء الحمد والوسيلة، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، أما بعد..

فهذه مجموعة منتقاة من فتاوى أهل العلم في الصيام وأحكامه وآدابه، ركزنا فيها على ما يخص المرأة، وما تحتاج إلى معرفته من أحكام، نسأل الله تعالى أن تكون عوناً لها على إتمام صيامها على الوجه الذي يرضاه، إنه خير مسؤول، وهو حسبنا، ونعم الوكيل.

وجوب الصيام

سؤال: متى يجب على الفتاة الصيام؟

الجواب: يجب الصيام على الفتاة متى بلغت سن التكليف، ويحصل البلوغ بتمام خمس عشرة سنة، أو بإنبات الشعر الخشن حول الفرج أو بإنزال المني المعروف بالحيض أو الحمل، فمتى حصل بعض هذه الأشياء لزمها الصيام، ولو كانت بنت عشر سنين، فإن الكثير من الإناث قد تحيض في العاشرة أو الحادية عشر من عمرها، فيتساهل أهلها ويظنونها صغيرة، فلا يلزمونها بالصيام، وهذا خطأ؛ فإن الفتاة إذا حاضت، فقد بلغت مبلغ النساء، وجرى عليها قلم التكليف. والله أعلم. [الشيخ ابن جبرين].

النية في الصيام

سؤال : ما المقصود بهذا الحديث: «لا صيام لمن لم يبيت النية»، وكيف يكون تبييت النية؟

الجواب: النية هي عزم القلب على فعل الصيام، وذلك ملازم لكل مسلم يعلم أن شهر رمضان قد فرض الله صيامه، فيكفي من تبييت النية معرفته بهذه الفرضية والتزامه لذلك، ويكفي أيضا تحديث نفسه بأنه سوف يصوم غداً إذا لم يكن عذر، ويكفي أيضا تناوله لطعام السحور بهذه النية، ولا حاجة إلى أن يتلفظ بالنية للصوم أو لغيره من العبادات، فالنية محلها القلب، واستصحاب حكمها واجب في جميع النهار بأن لا ينوي الإفطار، ولا إبطال الصيام. [الشيخ ابن جبرين].

ما ينبغي للصائم، وما يجب عليه

سؤال: ماذا ينبغي للصائم، وماذا يجب عليه؟

الجواب: ينبغي للصائم أن يكثر من الطاعات، ويجتنب جميع المنهيات. ويجب عليه المحافظة على الواجبات. والبعد عن المحرمات. فيصلي الصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة[1]. ويترك الكذب والغيبة والغش والمعاملات الربوية وكل قول أو فعل محرم، قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة**

(١) هذا خاص بالرجال.

في أن يدع طعامه وشرابه» [رواه البخاري] [الشيخ ابن عثيمين].

حكم من أفطر رمضان بدون عذر

سؤال: ما حكم من أفطر رمضان بدون عذر، وهو غير منكر لوجوبه؟

الجواب: من أفطر في رمضان عمداً لغير عذر شرعي، فقد أتى كبيرة من الكبائر، ولا يكفر بذلك في أصح أقوال العلماء، وعليه التوبة إلى الله سبحانه مع القضاء، والأدلة الكثيرة تدل على أن ترك الصيام ليس كفرا أكبر إذا لم يجحد الوجوب، وإنما أفطر تساهلا وكسلاً، وعليه إطعام مسكين عن كل يوم إذا تأخر القضاء إلى رمضان آخر من غير عذر شرعي. [الشيخ ابن باز].

حكم من أفطر يوما من رمضان ثم تاب

سؤال: ما حكم من أكل يوما في رمضان عمدا ثم تاب إلى الله، هل تقبل توبته؟

الجواب: نعم تقبل توبته؛ لقوله سبحانه : ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ [طه:٨٢] وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسنة. [اللجنة الدائمة].

يصوم وهو تارك للصلاة

سؤال: ما حكم من يصوم، وهو تارك للصلاة؟

الجواب: الصحيح أن تارك الصلاة عمداً يكفر بذلك كفراً أكبر، وبذلك لا يصح صومه، ولا بقية عباداته حتى يتوب إلى الله سبحانه، لقول الله عز وجل: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام:٨٨] وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث. [الشيخ ابن باز].

حكم من يصوم، ويصلي في رمضان فقط

سؤال: إذا كان الإنسان حريصا على صيام رمضان والصلاة في رمضان فقط، ولكنه يتخلى عن الصلاة بمجرد انتهاء رمضان، فهل له صيام؟

الجواب: الصلاة ركن من أركان الإسلام، وهي آكد الأركان بعد الشهادتين، وهي من فروض الأعيان، ومن تركها جاحدا لوجوبها أو تركها تهاونا وكسلا فقد كفر، أما الذين يصومون رمضان، ويصلون في رمضان فقط، فهذا مخادعة لله، فبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان، فلا يصح لهم صيام مع تركهم الصلاة في غير رمضان [اللجنة الدائمة].

المريض الذي يشق عليه الصيام

سؤال: أنا امرأة مريضة، وقد أفطرت بعض الأيام في رمضان الماضي، ولم أستطع قضاءها لمرضي، فما هي كفارة ذلك؟

كذلك فإنني لم أستطع صيام رمضان هذا العام، فما هي كفارة ذلك أيضا؟ وجزاكم الله خيرا.

الجواب: المريض الذي يشق عليه الصيام يشرع له الإفطار، ومتى شفاه الله قضى ما عليه؛ لقول الله سبحانه : ﴿**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾[البقرة:١٨٥] وليس عليك أيتها السائلة حرج في الإفطار في هذا الشهر ما دام المرض باقياً؛ لأن الإفطار رخصة من الله للمريض والمسافر، والله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته، وليس عليك كفارة، ولكن متى عافاك الله، فعليك القضاء، شفاك الله من كل سوء، وكفر عنا وعنك السيئات. [الشيخ ابن باز].

الحامل والمرضع إذا أفطرتا في رمضان

سؤال: ماذا على الحامل أو المرضع إذا أفطرتا في رمضان، وماذا يكفي إطعامه من الأرز؟

الجواب: لا يحل للحامل أو المرضع أن تفطر في نهار رمضان، إلا للعذر، فإن أفطرتا للعذر وجب عليها قضاء الصوم؛ لقوله تعالى في المريض: ﴿**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ**

أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وإن كان عذرهما الخوف على المولود، فعليهما مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم. من البر أو الأرز أو التمر أو غيرها من قوت الآدميين. وقال بعض العلماء: ليس عليهما سوى القضاء على كل حال؛ لأنه ليس في إيجاب الإطعام دليل من الكتاب والسنة، والأصل براءة الذمة حتى يقوم الدليل على شغلها، وهذا مذهب أبي حنيفة، وهو قوي. [الشيخ ابن عثيمين].

الحائض والصوم

سؤال: إذا طهرت الحائض أو النفساء قبل الفجر، ولم تغتسل إلا بعد الفجر، هل يصح صومها أم لا؟

الجواب: نعم.. يصح صوم المرأة الحائض إذا طهرت قبل الفجر، ولم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر.. وكذلك النفساء ؛ لأنها حينئذ من أهل الصوم، وهي شبيهة بمن عليه جنابة إذا طلع الفجر عليه، وهو جنب فإن صومه يصح لقوله تعالى: **﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾**[البقرة:١٨٧] فإذا أذن الله تعالى بالجماع إلى أن يتبين الفجر لزم من ذلك أن لا يكون الاغتسال إلا بعد طلوع الفجر؛ ولحديث عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان يصبح جنبا من جماع أهله، وهو صائم) أي: أنه ﷺ لا يغتسل عن الجنابة إلا بعد طلوع الصبح. [الشيخ ابن عثيمين].

إذا طهرت المرأة بعد الفجر تمسك، وتقضي

سؤال : إذا طهرت المرأة بعد الفجر مباشرة، هل تمسك وتصوم هذا اليوم، ويعتبر يوما لها، أم يجب عليها قضاء ذلك اليوم؟

الجواب: إذا انقطع الدم منها وقت طلوع الفجر أو قبله بقليل صح صومها، وأجزأ عن الفرض، ولو لم تغتسل إلا بعد أن أصبح الصبح، أما إذا لم ينقطع إلا بعد أن تبين الصبح، فإنها تمسك ذلك اليوم، ولا يجزئها بل تقضيه بعد رمضان، والله أعلم .[الشيخ ابن جبرين].

النفساء والصوم

سؤال : هل يجب على النفساء أن تصوم، وتصلي إذا طهرت قبل الأربعين؟

الجواب: نعم.. متى طهرت النفساء قبل الأربعين، فإنه يجب عليها أن تصوم إذا كان ذلك في رمضان، ويجب عليها أن تصلي، ويجوز لزوجها أن يجامعها، لأنها طاهر ليس فيها ما يمنع الصوم، ولا ما يمنع وجوب الصلاة وإباحة الجماع. [الشيخ ابن عثيمين].

سؤالك إذا طهرت النفساء خلال أسبوع ثم صامت مع المسلمين في رمضان أياماً معدودة، ثم عاد إليها الدم، هل تفطر في هذه الحالة، وهل يلزمها قضاء الأيام التي صامتها والتي أفطرتها؟

الجواب: إذا طهرت النفساء في الأربعين، فصامت أياما ثم عاد إليها الدم في الأربعين، فإن وصومها صحيح، وعليها أن تدع الصلاة والصيام في الأيام التي عاد فيها الدم – لأنه نفاس – حتى تطهر، أو تكمل الأربعين، ومتى أكملت الأربعين وجب عليها الغسل، وإن لم ترَ الطهر؛ لأن الأربعين هي نهاية النفاس في أصح قولي العلماء، وعليها بعد ذلك أن تتوضأ لوقت كل صلاة حتى ينقطع عنها الدم، كما أمر النبي ﷺ بذلك المستحاضة، ولزوجها أن يستمتع بها بعد الأربعين، وإن لم تر الطهر، لأن الدم والحال ما ذكر دم فاسد لا يمنع الصلاة، ولا الصوم، ولا يمنع الزوج من استمتاعه بزوجته، لكن إن وافق الدم بعد الأربعين عادتها في الحيض، فإنها تدع الصلاة والصوم، وتعتبره حيضا، والله ولي التوفيق. [الشيخ ابن باز].

حكم تأخير غسل الجنابة إلى طلوع الفجر

سؤال: هل يجوز تأخير غسل الجنابة إلى طلوع الفجر، وهل يجوز للنساء تأخير غسل الحيض أو النفاس إلى طلوع الفجر؟

الجواب: إذا رأت المرأة الطهر قبل الفجر، فإنه يلزمها الصوم، ولا مانع من تأخيرها الغسل إلى بعد طلوع الفجر، ولكن ليس لها تأخيرها إلى طلوع الشمس بل يجب عليها أن تغتسل، وتصلي قبل طلوع الشمس. وهكذا الجنب ليس له تأخير الغسل إلى ما بعد طلوع الشمس بل يجب عليه أن يغتسل، ويصلي الفجر قبل طلوع الشمس، ويجب على الرجل المبادرة بذلك حتى يدرك صلاة الفجر مع الجماعة. [الشيخ ابن باز].

حكم نزول نقط الدم

سؤال: إذا نزل من المرأة في نهار رمضان نقط دم بسيط، واستمر معها هذا الدم طول شهر رمضان، وهي تصوم.. فهل صومها صحيح؟

الجواب: نعم، صومها صحيح، وأما هذه النفط، فليس بشيء؛ لأنها من العروق، وقد أثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إن هذه النقط التي تكون كرعاف الأنف ليست بحيض.. هكذا يذكر عنه رضي الله عنه. [الشيخ ابن عثيمين].

حكم قراءة القرآن للحائض والنفساء

سؤال: ما حكم قراءة الحائض والنفساء للقرآن نظراً، وحفظاً في حالة الضرورة، كأن تكون طالبة أو معلمة؟

الجواب: لا حرج على المرأة الحائض أو النفساء في قراءة القرآن إذا كان لحاجة كالمرأة المعلمة أو الدارسة التي تقرأ وردها في ليل أو نهار، وأما القراءة أعني قراءة القرآن لطلب الأجر وثواب التلاوة، فالأفضل ألا تفعل؛ لأن كثيرا من أهل العلم أو أكثرهم يرون أن الحائض لا يحل لها قراءة القرآن. [الشيخ ابن عثيمين].

حكم أخذ حبوب منع الدورة

سؤال: تعمد بعض النساء أخذ حبوب في رمضان لمنع الدورة الشهرية — الحيض- والرغبة في ذلك، حتى لا تقضي فيما بعد، **فهل هذا جائز، وهل في ذلك قيود حتى تعمل بها هؤلاء النساء؟**

الجواب: الذي أراه في هذه المسألة ألا تفعله المرأة، وتبقى على ما قدره الله عز وجل وكتبه على بنات آدم، فإن هذه الدورة الشهرية لله تعالى حكمة في إيجادها هذه الحكمة تناسب طبيعة المرأة، فإذا منعت هذه العادة، فإنه لا شك يحدث منها رد فعل ضار على جسم المرأة، وقد قال النبي ﷺ : «**لا ضرر ولا ضرار**» هذا بقطع النظر عما تسببه هذه الحبوب من أضرار على الرحم كما ذكر ذلك الأطباء، فالذي أرى في هذه المسألة أن النساء لا يستعملن هذه الحبوب، والحمد لله على قدره، وعلى حكمته، إذا أتاها الحيض تمسك عن الصوم والصلاة، وإذا طهرت تستأنف الصيام والصلاة، وإذا انتهى رمضان تقضي ما فاتها من الصوم. [الشيخ ابن عثيمين].

صوم القضاء

سؤال: هل يجوز صيام ستة أيام من شوال قبل صيام قضاء رمضان؟ وهل يجوز صيام يوم الاثنين من شهر شوال بنية قضاء رمضان، وبنية الحصول على أجر صيام يوم الاثنين؟

الجواب: صيام ستة أيام من شوال لا يحصل ثوابها إلا إذا كان الإنسان قد استكمل صيام شهر رمضان.. فمن عليه قضاء من رمضان، فإنه لا يصوم ستة أيام من شوال إلا بعد قضاء رمضان؛ لأن النبي ﷺ يقول : «**من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال...**».

وعلى هذا، نقول لمن عليه قضاء: صم القضاء أولا ثم صم ستة أيام من شوال.. وإذا اتفق أن يكون صيام هذه الأيام الستة في يوم الاثنين أو الخميس، فإنه يحصل على أجر الاثنين بنية أجر الأيام الستة، وبنية أجر يوم الاثنين أو الخميس؛ لقوله ﷺ : «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**». [الشيخ ابن عثيمين].

يلزمك القضاء، ولو متفرقة

سؤال : أنا فتاة أبلغ من العمر (١٧) سنة، وسؤالي أنه في العامين الأولين من صيامي لم أصم الأيام التي أفطرتها في رمضان، فماذا أفعل؟

الجواب : يلزمك المبادرة إلى قضاء تلك الأيام، ولو متفرقة، ولا بد مع القضاء من كفارة، وهي إطعام مسكين عن كل يوم، وذلك بسبب تأخير القضاء أكثر من عام، كما يرى ذلك جمهور العلماء. [الشيخ ابن جبرين].

من سحب منه دم، وهو صائم

سؤال : ما حكم من سحب منه دم، وهو صائم في رمضان، وذلك بغرض التحليل من يده اليمنى، ومقداره (برواز) متوسط؟

الجواب: مثل هذا التحليل لا يفسد الصوم بل يعفى عنه؛ لأنه مما تدعو الحاجة إليه، وليس من جنس المفطرات المعلومة من الشرع المطهر. [الشيخ ابن باز].

استعمال الصائم للروائح العطرية

سؤال: ما حكم استعمال الصائم للروائح العطرية في نهار رمضان؟

الجواب: لا بأس أن يستعملها في نهار رمضان، وأن يستنشقها، إلا البخور لا يستنشقه؛ لأن له جرماً يصل إلى المعدة، وهو الدخان. [الشيخ ابن عثيمين].

القيء غير المتعمد لا يفسد الصوم

سؤال: هل القيء يفسد الصوم؟

الجواب: كثيرا ما يعرض للصائم أمور لم يتعمدها من جراح أو رعاف أو قيء أو ذهاب الماء أو البنزين إلى حلقة بغير اختياره، فكل هذه الأمور لا تفسد الصوم؛ لقول النبي ﷺ : «**من ذرعه القيء، فلا قضاء عليه، ومن استقاء، فعليه القضاء**» [الشيخ ابن

باز].

معجون الأسنان والقطرة

سؤال : ما حكم استعمال معجون الأسنان وقطرة الأذن والأنف والعين للصائم؟

الجواب: تنظيف الأسنان بالمعجون لا يفطر به الصائم كالسواك، وعليه التحرز من ذهاب شيء منه إلى جوفه، فإن غلبه شيء من ذلك بدون قصد، فلا قضاء عليه، وهكذا قطرة العين والأذن في أصح قولي العلماء، فإن وجد طعم القطور في حلقة، فالقضاء أحوط، ولا يجب؛ لأنهما ليسا منفذين للطعام والشراب، أما القطرة في الأنف، فلا تجوز، لأن الأنف منفذ. [الشيخ ابن باز].

الحناء للصائم

سؤال: هل يجوز وضع الحناء للشعر أثناء الصوم؟ لأني سمعت بأن الحناء تفطر الصيام؟

الجواب: هذا لا صحة له، فإن وضع الحناء أثناء الصيام لا يفطر، ولا يؤثر على الصائم شيئا؛ كالكحل وكقطرة الأذن وكالقطرة في العين؛ فإن ذلك كله لا يضر الصائم، ولا يفطره. [الشيخ ابن عثيمين].

تذوق الصائم للطعام

سؤال: هل يجوز لطاهي الطعام أن يتذوق طعامه؛ ليتأكد من صلاحيته، وهو صائم؟

الجواب: لا بأس بتذوق الطعام للحاجة بأن يجعله على طرف لسانه؛ ليعرف حلاوته وملوحته وضدها، ولكن لا يبتلع منه شيئا، بل يمجه أو يخرجه من فيه، ولا يفسد بذلك صومه إن شاء الله تعالى. [الشيخ ابن جبرين].

إذا جامع الصائم زوجته، وهي مكرهة

سؤال : إذا جامع الرجل زوجته في نهار الصوم، وقد أجبر لزوجة على ذلك علما بأنهما لا يستطيعان الإعتاق، ولا الصوم لانشغالهما بطلب المعيشة، فهل يكفي الإطعام، وما مقداره ونوعه؟

الجواب: إذا أجبر الرجل زوجته على الجماع، وهما صائمان، فصوم المرأة صحيح وليس عليها كفارة.

وأما الرجل، فعليه الكفارة للجماع الذي حصل منه إن كان ذلك في نهار رمضان، وهي عتق رقبة، فإذا لم يجد، فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع، فإطعام ستين مسكيناً؛ لحديث أبي هريرة الثابت في الصحيحين: وعليه القضاء. [الشيخ ابن عثيمين].

الأكل .. نسياناً

سؤال: ما حكم من أكل أو شرب ناسياً، وهل يجب على من رآه يأكل، ويشرب ناسيا أن يذكره بصيامه؟

الجواب: من أكل أو شرب ناسيا، وهو صائم، فإن صيامه صحيح، لكن إذا تذكر يجب عليه أن يقلع حتى إذا كانت اللقمة أو الشربة في فمه، فإنه يجب عليه أن يلفظها، ودليل تمام صومه قول النبي ﷺ فيما ثبت عنه من حديث أبي هريرة: «**من نسى، وهو صائم فأكل أو شرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله، وسقاه**» ولأن النسيان لا يؤاخذ به المرء في فعل محظور لقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾[البقرة:٢٨٦] فقال الله تعالى: «**قد فعلت**».

أما من رآه، فإنه يجب عليه أن يذكره؛ لأن هذا من تغيير المنكر، وقد قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**» ولا ريب أن أكل الصائم وشربه حال صيامه من المنكر، ولكنه يعفي عنه حال النسيان؛ لعدم المؤاخذة، أما من رآه، فإنه لا عذر له في ترك الإنكار عليه. [الشيخ ابن عثيمين].

حكم صيام من أكل وقت الأذان

سؤال: ما الحكم الشرعي للصيام فيمن سمع أذان الفجر، واستمر في الأكل والشرب؟

الجواب: الواجب على المؤمن أن يمسك عن المفطرات من الأكل والشرب وغيرهما إن تبين له طلوع الفجر، وكان الصوم فريضة كرمضان وكصوم النذر والكفارات؛ لقوله عز وجل: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ**

الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[البقرة:١٨٧].

فإذا سمع الأذان وعلم أنه يؤذن على الفجر، وجب عليه الإمساك، فإن كان المؤذن يؤذن قبل طلوع الفجر، لم يجب عليه الإمساك، وجاز له الأكل والشرب حتى يتبين له الفجر، فإن كان لا يعلم حال المؤذن هل أذن قبل الفجر أو بعد الفجر، فإن الأولى والأحوط له أن يمسك إذا سمع الأذان، ولا يضره لو شرب أو أكل شيئاً حين الأذان؛ لأنه لم يعلم بطلوع الفجر.

ومعلوم أن من كان داخل المدن التي فيها الأنوار الكهربائية لا يستطيع أن يعلم طلوع الفجر بعينه وقت طلوع الفجر، ولكن عليه أن يحتاج بالعمل بالأذان والتقويمات التي تحدد طلوع الفجر بالساعة والدقيقة عملا بقول النبي ﷺ : «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**» وقوله ﷺ : «**من اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه**» والله ولي التوفيق. [الشيخ ابن باز].

الإسراف في مائدة الإفطار

سؤال : الإفراط في إعداد الأطعمة للإفطار، هل يقلل من ثواب الصوم؟

الجواب: لا يقلل من ثواب الصيام والفعل المحرم بعد انتهاء الصوم لا يقلل من ثوابه، ولكن ذلك يدخل في قوله تعالى: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**[الأعراف:٣١] فالإسراف نفسه محظور، والاقتصاد نصف المعيشة، وإذا كان لديهم

فضل، فليتصدقوا به، فإنه أفضل. [الشيخ ابن عثيمين].

حكم القراءة من المصحف في صلاة التراويح

سؤال : هل تجوز القراءة من المصحف في صلاة التراويح وصلاة الكسوف أولا؟ أفيدونا أفادكم الله؟

الجواب: لا حرج من القراءة في المصحف في قيام رمضان، لما في ذلك من إسماع المأمومين جميع القرآن، ولأن الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة قد دلت على شريعة قراءة القرآن في الصلاة، وهي تعم قراءته من المصحف، وعن ظهر قلب، وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها أمرت مولاها ذكوان أن يؤمها في قيام رمضان، وكان يقرأ من المصحف، ذكره البخاري رحمه الله في صحيحه معلقاً مجزوماً به. [الشيخ ابن باز].

خير صفوف النساء

سؤال: إذا كان هناك حائل ساتر بين الرجال والنساء في المسجد، فهل ينطبق قول الرسول ﷺ : «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»، أم يزول ذلك، ويبقى خير صفوف النساء أولها. أفيدونا أفادكم الله؟

الجواب: يظهر أن السبب في كون خير صفوف النساء آخرها هو بعده عن الرجال، فإن المرأة كلما كانت أبعد عنهم كان ذلك

أصين لها، وأحفظ لعرضها، وأبعد لها عن الميل إلى الفاحشة، لكن إذا كان مصلى النساء بعيداً عن الرجال، ومفصولا بحاجز من جدار أو سترة منيعة، وإنما يعتمدون في متابعة الإمام على المكبر، فإن الراجح فضل الصف الأول؛ لتقدمه، وقربه من القبلة، ونحو ذلك. [الشيخ ابن جبرين].

الأفضل في صلاة المرأة

سؤال: أيهما أفضل للمرأة: أن تصلي في ليالي رمضان في بيتها، أم في المسجد، وخصوصا إذا كان فيه مواعظ وتذكير، وما توجيهك للنساء اللاتي يصلين في المساجد؟

الجواب : الأفضل أن تصلي في بيتها؛ لعموم قول النبي ﷺ : «**وبيوتهن خير لهن**»، ولأن خروج النساء لا يسلم من فتنة في كثير من الأحيان، فكون المرأة تبقى في بيتها خير لها من أن تخرج للصلاة في المسجد، والمواعظ والحديث يمكن أن تحصل عليها بواسطة الشريط.. وتوجيهي للاتي يصلين في المسجد أن يخرجن من بيوتهن غير متبرجات بزينة، ولا متطيبات. [الشيخ ابن عثيمين].

فضائل رمضان

تأليف

الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا

القرشي البغدادي

(٢٠٨ - ٢٨١هـ)

حققه وخرج أحاديثه

عبد الله بن حمد المنصور

دار السلف للنشر والتوزيع

فضائل رمضان

تأليف

الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا
القرشي البغدادي
(٢٠٨ - ٢٨١هـ)

حققه وخرج أحاديثه

عبد الله بن حمد المنصور

دار السلف للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

الناشر
دار السلف للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف ٤٢٥٨٥٥٤ - ص.ب ٥٢٣٦٥ - الرمز البريدي ١١٥٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه رسالة جديدة من رسائل الحافظ ابن أبي الدنيا ــ رحمه الله ــ الكثيرة، والتي لا زال المخطوط منها أكثر من المطبوع، قمت بالتعليق عليها بما تيسر، بعد الحصول على مصورة لمجموع فيه عدد من الرسائل للمصنف ــ رحمه الله ــ حصلت عليها عن طريق بعض الإخوان ــ جزاهم الله خيراً ــ وعلمت فيما بعد أن الأصل محفوظ في تركيا، إستانبول في لاللي برقم (٣٦٦٤).

وأسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، إنه ولي ذلك، والقادر عليه، كما لا يفوتني أن أشكر جميع من ساعدني في العمل في هذا الكتاب، كما أنبه على من يجد خطأً أو خللاً، أن يبادرني بالنصيحة، والله من وراء القصد.

وكتبه

عبد الله بن حمد المنصور

ترجمة المصنف[1]

عبد الله بن محمد بن عُبَيْد بن سُفيان بن قيس القرشي، مولاهم البغدادي، المؤدِّب، صاحب التصانيف السائرة، من موالي بني أمية.

ولد سنة ثمانٍ ومئتين.

وسمع من: علي بن الجعد، وخالد بن خداش، وعبد الله بن خيران، صاحب المسعودي، وطبقتهم.

وقد جمع شيخنا أبو الحجاج الحافظ أسماء شيوخه على المعجم، وهم خلق كثير.

ويروي عن خلقٍ كثيرٍ لا يعرفون، وعن طائفة من المتأخرين، كيحيى بن أبي طالب، وأبي قلابة الرَّقَاشي، وأبي حاتم الرازي، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، وعباس الدوري لأنه كان قليل الرحلة، فيتعذر عليه رواية الشيء، فيكتبه نازلاً وكيفَ اتفق.

---

(١) هذه الترجمة مختصرة من «سير أعلام النبلاء» للذهبي ــ رحمه الله ــ (١٣/ ٣٩٧)، ومن تهذيب الكمال للمزي ــ رحمه الله ــ وهي موجزة، لكثرة من ترجم للمصنف ــ رحمه الله ــ .

وتصانيفه كثيرة جداً، فيها مخبآت وعجائب.

وقد روى عنه ابن ماجه في «تفسيره».

وقال ابن أبـي حاتم: كتبت عنه مع أبـي، وقال أبـي: هو صدوق.

وقال الخطيب: كان يؤدب غير واحد من أولاد الخلفاء.

وقال غيره: كان ابن أبـي الدنيا إذا جالس أحداً، إن شاء أضحكه، وإن شاء أبكاه في آنٍ واحدٍ، لتوسعه في العلم والأخبار.

قال أحمد بن كامل: كان ابن أبـي الدنيا مؤدب المعتضد.

وقال المزي في تهذيب الكمال (١٦/ ٧٧):

قال أبو القاسم الأزهري: بلغني عن القاضي أبـي الحسين بن أبـي عمر محمد بن يوسف قال: بكرت إلى إسماعيل بن إسحاق القاضي، يوم مات ابن أبـي الدنيا، فقلت له: أعزَّ الله القاضي.

فقال: رحم الله أبا بكر، مات معه علم كثير، يا غلام امضِ إلى يوسف حتى يصلي عليه، فحضر يوسف بن يعقوب فصلى عليه في الشونيزية ودفن فيها.

قال أبو الحسين ابن المنادي، وعبد الباقي بن قانع، وأحمد بن كامل القاضي: مات سنة إحدى وثمانين[١].

❑ ❑ ❑

(١) يعني: ومائتين.

توثيق نسبة الكتاب إلى المصنف

هذا الكتاب لا شك عندي في صحة نسبته إلى ابن أبـي الدنيا ــ رحمه الله ــ لعدة أسباب:

١ ــ الإسناد المتصل إلى المصنف، كما على الصفحة الأولى من الكتاب.

٢ ــ نقل عنه ابن رجب ــ رحمه الله ــ في كتابه لطائف المعارف (ط. دار ابن كثير) في عدد من المواضع منها في الصفحات (٢٧٩ ــ ٣٤٠)، ونقل عنه الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» كما في (١٠/ ٢٨١).

٣ ــ مذكور في عداد مؤلفات ابن أبـي الدنيا، كما عند الذهبي في «سير أعلام النبلاء» وغيره.

❑ ❑ ❑

كتاب فضائل شهر رمضان

تأليف الشيخ الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي.

رواية الشيخ أبي حفص عمر بن الحسن[1] عنه.

رواية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المقرىء[2] عنه.

رواية السيد الشريف أبي الحسين محمد بن علي بن المهتدي بالله[3] عنه.

---

(١) القاضي المحدث، أبو حفص عمر بن الحسن بن نصر بن طرخان الحلبي، قاضي دمشق، قال الدارقطني: ثقة صدوق، انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥٤)، تاريخ بغداد (١١/ ٢٢١).

(٢) أبو إسحاق الطبري إبراهيم بن أحمد المقرىء، الفقيه، المالكي، المعدل أحد الرؤساء والعلماء ببغداد، كانت داره مجمع أهل القرآن والحديث، وكان ثقة، انظر شذرات الذهب (٣/ ١٤٢)، تاريخ بغداد (٦/ ١٩).

(٣) الإمام العالم الخطيب، المحدث الحجة، مسند العراق، أبو الحسين، محمد بن علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الصمد بن محمد بن المهتدي بالله أمير المؤمنين، ولد في ذي القعدة سنة سبعين وثلاث مئة.

وسمع الدارقطني وعمر بن شاهين، فكان آخر من حدث عنهما، وحدث عنه =

رواية الشيخ أبـي بكر محمد بن علي الفرضي المقرىء المعروف بالمِزْرفي[1]. والشيخ الإمام أبـي الكرم المبارك بن الشهرزوري[2] كليهما عنه، المزرفي سماعاً والشهرزوري إذناً.

رواية القاضي الإمام أبـي سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبـي عصرون[3]، والصالح الزاهد المعمر أبـي الحسن بن أبـي عبد الله بن

= الخطيب، والحميدي وخلق كثير، قال الخطيب: كان ثقة نبيلاً، وتوفي في أول ذي الحجة سنة خمسٍ وستين وأربع مئة، انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٤١)، شذرات الذهب (٣/ ٣٢٤).

(١) الإمام، شيخ القراء، أبو بكر محمد بن الحسين بن علي البغدادي، ولد سنة تسعٍ وثلاثين وأربع مئة.
روى عنه ابن عساكر، وابن أبـي عصرون، وأبو موسى المديني، وابن الجوزي وكان ثقة متقناً، وتوفي سنة سبعٍ وعشرين وخمس مئة، انظر سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٣١)، شذرات الذهب (٤/ ٨١).

(٢) الإمام المقرىء المجود الأوحد، شيخ القراء، أبو الكرم، المبارك بن الحسن بن أحمد بن علي بن فتحان الشهرزوري البغدادي، ولد في ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وأربع مئة، وقال السمعاني: شيخ صالح دَيِّن خيِّر، قيِّم بكتاب الله عارف باختلاف الروايات والقراءات، حسن السيرة، جيد الأخذ على الطلاب، عالي الروايات، مات في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة خمسين وخمس مئة، انظر سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٨٩).

(٣) الشيخ الإمام العلامة، الفقيه البارع، المقرىء الأوحد، عالم أهل الشام أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله ابن المطهر بن علي بن أبـي عصرون، ولد سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة، وتوفي في حادي عشر رمضان سنة خمسٍ وثمانين وخمس مئة، انظر سير أعلام النبلاء (٢١/ ١٢٥).

أبـي الحسن بن المُقَيَّر[1] ابن أبـي عصرون عن المزرفي سماعاً وابن المقير عن الشهرزوري إذناً.

❑ ❑ ❑

(١) الشيخ المسند الصالح رحلة الوقت أبو الحسن علي بن أبـي عبد الله الحسين بن علي بن منصور ابن المقير البغدادي الأزجي المقرىءُ الحنبلي النجار نزيل مصر، ولد ليلة الفطر سنة خمس وأربعين وخمس مئة، وتوفي في نصف ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وست مئة، انظر سير أعلام النبلاء (٢٣/١١٩)، وشذرات الذهب (٥/٢٢٣).

وصف مخطوط الكتاب

كما سبق أن ذكرت، حصلت على مجموع يحتوي على عدد من الرسائل لابن أبـي الدنيا، وكان من ضمن هذه الرسائل «فضائل شهر رمضان» وهي تقع في (٨) ورقات بالسماعات، وفي الصفحة الواحدة (٢٧) سطر تقريباً، وفي السطر الواحد ما يقارب (١٧) كلمة.

والنسخة خطها جيد جداً، وهذا ما شجعني للعمل على إبرازها كمطبوع، مع أني بحثت عن نسخة أخرى للكتاب، فلم أتمكن من العثور على شيء.

❑ ❑ ❑

نماذج من المخطوط

الصفحة الأولى

كتاب فضائل شهر رمضان

تأليف الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي رحمه الله

رواية أبي حفص عمر بن الحسن عنه

رواية أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المقرئ عنه

رواية الشريف أبي الحسن محمد بن علي بن المهتدي بالله عنه

رواية أبي بكر محمد بن علي الفرضي المقرئ المعروف بالمزرفي

وأبي الإمام أبي الكرم المبارك بن الشهرزوري كليهما عنه المزرفي سماعا

والشهرزوري إذنا

رواية القاضي الإمام أبي سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون

والصالح الزاهد المعمر أبي الحسن بن أبي عبد الله بن أبي الحسن بن الفقير [illegible]

عصرون عن المزرفي سماعا وابن الفقير عن الشهرزوري إذنا

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

أخبرنا الشيخ الإمام الفقيه الأصيل عز الدين أبو عبد الرحيم عبد الرحمن بن عبد المنعم
ابن الخضر بن شبل الحارثي قراءة عليه وأنا أسمع في يوم عاشوراء عام أربع عشر وستمائة
بأرض السهم من بيت لهيا ظاهر غوطة دمشق قيل له أخبرك القاضي الإمام محيي الدين
أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون قراءة عليه وأنت تسمع في العشر الأخير من شهر رمضان
سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة فأقر به قال أنا أبو بكر محمد بن علي الفرضي المقرئ عرف بابن المزرفي
ح وأخبرنا الشيخ الصالح الزاهد المعمر أبو الحسن علي بن أبي عبد الله الحسين بن المقير بقراءتي
عليه في أواخر سنة أربع وثلاثين وستمائة بجامع دمشق قلت له أخبركم الشيخ أبو الكرم المبارك
بن الشهرزوري إجازة ح وأنا القاضي الشريف أبو الحسين محمد بن علي
ابن المهتدي قال المزرفي قراءة عليه وأنا أسمع وقال الشهرزوري إجازة قالا أنا أبو إسحاق إبراهيم
ابن أحمد بن محمد الطبري ح وعمر بن الحسن قالا أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي ثنا عبد الله
ابن عمر الجشمي ثنا زائدة بن أبي الرقاد قال حدثني زياد النميري عن أنس بن مالك قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان
وبلغنا رمضان ○ ح ٢ حدثنا خلف بن هشام ثنا عبد الله بن وهب
قال أخبرني عمرو بن الحارث عن عبد الملك بن عبد الملك حدثه عن مصعب بن أبي ذئب عن القاسم
ابن محمد بن أبي بكر عن أبيه أو عن عمه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله
تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لكل بشر ما خلا مشرك
أو إنسان في قلبه شحناء ○ ح ٣ حدثنا [illegible] قال الوليد
ابن مسلم عن عبد الله بن لهيعة قال حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن خالد بن معدان عن
كثير بن مرة قال أدركنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثون عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حديثا أن الله تبارك وتعالى يغفر في ليلة النصف من شعبان
لعدد الشعر [illegible] إلا لمشرك أو مشاحن ○ ح ٤ حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن قال أنا ابن
المبارك قال أنا الحجاج بن أرطاة عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إذا كان ليلة النصف من شعبان يغفر الله من الذنوب أكثر من عدد شعر
غنم كلب ○ ح ٥ حدثنا إبراهيم قال أنا ابن المبارك قال أنا الحجاج
عن مكحول عن كثير بن مرة قال في ليلة النصف [illegible] الذنوب إلا لمشرك أو مشاحن
قال عبد الرحمن [illegible] المشاحن قال الذي [illegible] صاحب بدعة فارق عليها أمته

الصفحة الأخيرة

المصحف ○ حدثنا عبيد الله بن عمر الجشمي قال نا حكيم بن خزام
ابو سمير وكان من العابدين قال نا علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب
عن سلمان الفارسي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فطر صائما في رمضان
من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها وصافحه جبريل
عليه السلام ليلة القدر ومن صافحه جبريل يرق قلبه وتكثر دموعه
فقال رجل يا رسول الله ارايت ان لم يكن ذاك عنده قال فقبضة من طعام
قال ارايت ان لم يكن ذاك عنده قال فلقمة خبز قال ارايت ان
لم يكن ذاك عنده قال فمذقة من لبن قال ارايت ان لم يكن ذاك عنده قال
فشربة من ماء ○

في السحور

حدثنا خلد بن خداش قال نا ابو عوانة عن قتادة وعبد العزيز بن صهيب عن انس
ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسحروا فان في السحور بركة ○
حدثنا سعيد بن سليمان عن حفص بن غياث عن اشعث عن ابي هبيرة عن
شيبان قال دخلت المسجد فاستاذنت وتسحرت فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتسحر فقال هلم ابا يحيى الى الغدا قلت اني اريد الصوم قال ولكن مؤذننا في
بصره سي واذن قبل ان يطلع الفجر ○
حدثنا عبد الله بن سيف عن يحيى بن محمد الجاري قال حدثني عبد الرحمن ابن زيد
ابن اسلم عن ابيه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم غذاء المؤمن
السحور ان الله وملائكته يصلون على المتسحرين ○
حدثنا علي بن الجعد قال اخبرني يحيى ابن اسحاق عن عمران القصير عن ابي سعيد
الاسكندراني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السحور بركة و
بركة السحور يتسحر ولو انه يتسحر ولو على جرعة من
ما صلوات الله على المتسحرين ○ حدثنا علي بن الجعد قال اخبرنا
اسمعيل بن عياش قال حدثني زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال استعينوا بقائلة النهار
على قيام الليل واستعينوا باكلة السحر على الصيام ○
آخره والحمد لله رب العالمين علقه لنفسه بعد سماعه احمد بن عبد الله المسلمي
... الازدي عن ... وانا ابو ... لم ... على ... والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

السماعات (١)



قرأت جميع فضائل شهر رمضان لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى على كاتبه و مالكه الشيخ الإمام العالم الحافظ
المتقن المرضي الثقة مجد الدين أبي العباس محمد بن عبد الله بن المسلم بن حاتم بن ... بن الوزان الشافعي أثابه الله الجنة
بحق سماعه فيه فسمعه السادة الفضلاء الشيخ الفاضل المقرئ أبو علي الحسن بن أبي محمد ...
ونجم الدين أبو سليمان داود ... ورفيقه الشيخ أبو ... أحمد بن ...
... إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ... محمد بن يوسف بن عبد الله ... عبد العزيز
وولده أبو الفتح محمد وزين الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن النجار القرطبي وولده يوسف وأخوه شهاب الدين
أحمد وزين الدين يحيى ابنا الفقيه ... أبي بكر بن يحيى ... بن عمر المالكي وأبو ...
الشيخ مجد الدين أبي العباس محمد المسمع المذكور وأمين الدين أبو العباس أحمد بن ...
الهاروني وفخر الدين سليمان بن عبد الله ... الزيلعي وشهاب الدين أبو العباس أحمد بن ...
الخطيب الحنبلي وشرف الدين ... بن ... الياس الشافعي وتاج الدين أبو بكر بن محمد بن ...
وتقي الدين رمضان بن محمد بن ... الدمياطي وصفي الدين أبو بكر بن ... المقرئ ...
النابلسي وولده أيوب سمع جميعه بمجلس الإجازة الأول منه وصح ذلك في يوم الأربعاء ... شهر
رمضان سنة أربع وستين وستمائة بزاوية ...
القارئ خادم السنة المحمدية عبيد الله ... محمد بن يوسف الغسّاني ...
وغفر له ولوالديه والمسلمين أجمعين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد ...

قرأت جميع هذا الجزء وهو ... على الشيخ الفقيه العدل القاضي تاج
الدين أبي عبد الله ... العالم ... أبي ... عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد
بن ... أبي عصرون ... الله الجنة بحق سماعه فيه فسمع صاحبه الإمام الأجل المحدث
المجتهد الفاضل علاء الدين أبو الحسن علي بن سالم بن سلمان العبادي الحنفي وجمال الدين عبد الله
بن ... الصالحي ... جعفر بن أحمد المعري ومحمد بن أيوب بن عبد الله ...
وصح وثبت ... شهر رمضان المعظم سنة سبع وستين وستمائة ... جميع
وكتب عبد الرحمن بن ... بن محمد ... القيسي ... وعفا الله عنه وغفر له ...
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ...

صحيح ذلك ... جميع ما ... على شرطه
أهله وكتب ... المطهر بن أبي عصرون
العافل ...

عملي في الكتاب

١ ــ كان الاهتمام الكبير عندي إخراج النص سليماً، ولذلك كان نسخ المخطوط أولاً، ثم مقابلة المنسوخ بالمخطوط مقابلة دقيقة استدركت فيها ما وقع من خطأ أثناء النسخ.

٢ ــ قمت بدراسة أسانيد المصنف والحكم عليها بما يليق بحالها حسب القواعد المتبعة في ذلك والتي وضع أسسها علماؤنا الأوائل، وتطلب ذلك مني تراجم رجال السند كل رجل على حدة، موضحاً منزلته من حيث الجرح والتعديل، ومراعياً في ذلك اتصال الأسانيد من انقطاعها، وغير ذلك من القواعد الحديثية المعروفة للمشتغلين بهذا العلم الشريف.

٣ ــ خرَّجت الأحاديث الواردة في الكتاب، وأيضاً أغلب الآثار التي ذكرها المصنف من دواوين السنة من صحاح وسنن ومسانيد وغير ذلك.

٤ ــ إعداد الكتاب من حيث ترقيم نصوصه ووضع علامات الترقيم والتفصيل لما في ذلك من أثر في تقريب مادة الكتاب.

٥ ــ صنعت الفهارس التالية:

(أ) فهرس للآيات الكريمة.

(ب) فهرس للأحاديث والآثار.

(ج) فهرس الأعلام.

(د) فهرس الكنى.

(هـ) فهرس الأبناء.

(و) فهرس الشيوخ.

وأخيراً، أسأل الله الكريم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله بقبول حسن، وأن يغفر لي ولمن ساعدني ولمن دعا لي وللقارىء الكريم، آمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

• • •

فضائل رمضان

تأليف

الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا
القرشي البغدادي
(٢٠٨ - ٢٨١هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

أخبرنا الشيخ الأمين الثقة الأصيل عز الدين أبو عبد الرحيم عبد الرحمن بن عبد المنعم بن الحصر بن شبل الحارثي قراءةً عليه وأنا أسمع في يوم عاشوراء عام أربع وثلاثين وستمائة ببستان السمع بأرض السهم من بيت لِهْيَا[1] من كورة غوطة دمشق، قيل له أخبركم القاضي الإمام مفتي الفرق أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبـي عصرون قراءةً عليه وأنت تسمع[2] في العشر الأواخر من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة فأقرَّ به، قال أنا أبو بكر محمد بن علي الفرضي المقرىء عُرِفَ بالمزرفي.

ح وأخبرنا الشيخ الصالح الزاهد المعمر أبـي الحسن علي بن أبـي عبد الله بن أبـي الحسن المقير بقراءتي عليه في أوائل سنة أربع وثلاثين وستمائة بجامع دمشق قلت له أخبركم الشيخ أبو الكرم المبارك بن الشهرزوري إجارةً قالا: أنا القاضي الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن المهتدي قال المزرفي قراءةً عليه وأنا أسمع، وقال الشهرزوري إجازةً، قال أنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري قثنا عمر بن الحسن قال نا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي:

---

(١) قرية مشهورة بغوطة دمشق. معجم البلدان (١/ ٥٢٢).

(٢) سقطت من الأصل وكتبت على الهامش.

[١] قثنا عبيد الله بن عمر الجشمي[١]، قثنا زائدة بن أبي الرُّقاد[٢] قال: حدثني زياد النميري[٣]، عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل رجب قال:

«اللهمَّ بَارِكْ لنا في رَجَبَ وشَعْبَان وبَلِّغْنَا رمَضان».

---

(١) عبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريري، أبو سعيد البصري، نزيل بغداد، ثقة ثبت، من العاشرة.

(٢) زائدة بن أبي الرقاد، منكر الحديث، قاله البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٤٣٣).

(٣) زياد بن عبد الله النميري، البصري، ضعيف، من الخامسة.

[١] إسناده ضعيف جداً تفرد به زائدة بن أبي الرُّقاد، قال عنه البخاري في التاريخ الكبير: منكر الحديث، وزياد النميري: ضعيف.

والحديث أخرجه من هذا الوجه أحمد (٢٣٤٦)، والبزار (٩٦١ ــ كشف)، والطبراني في الدعاء (٩١١)، وفي الأوسط (١/ ٢٣٤ ــ ب)، وقال بعده: لا يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلاّ بهذا الإسناد. تفرد به زائدة بن أبي الرقاد.

وأخرجه كذلك ابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٦٩)، والبيهقي في فضائل الأوقات (١٤) وعنده زيادة، وكان يقول: «ليلة الجمعة ليلة غراء، ويوم الجمعة يوم أزهر»، وحكمها حكم الأصل.

والحديث ضعفه ابن رجب في لطائف المعارف (ص ٢٣٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٦٥)، وابن حجر في تبيين العجب بما ورد في فضل رجب. والله أعلم.

[٢] حدثنا خالد بن خداش[١]، قثنا عبد الله بن وهب[٢] قال: أنا عمرو بن الحارث[٣] عن عبد الملك بن عبد الملك[٤]، حدثه عن مصعب بن أبي ذئب[٥]، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر[٦] عن أبيه[٧]، أو عن عمه[٨]، عن جده، عن النبي ﷺ قال:

«إنَّ الله تعالى يَنْزِل ليلةَ النصفِ من شعبان إلى سماء الدُّنيا فَيَغْفِرُ لكل بشر، ما خَلا مُشْرِكاً أو إنسانٌ في قَلبهِ شحناء».

---

(١) خالد بن خداش، أبو الهيثم المهلبي مولاهم، البصري، صدوق، يخطىء، من العاشرة، مات سنة أربع وعشرين.

(٢) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، ثقة حافظ عابد، من التاسعة.

(٣) عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري، مولاهم، المصري، ثقة فقيه حافظ، من السابعة.

(٤) عبد الملك بن عبد الملك، قال عنه البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٤٢٤): فيه نظر، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٣٦): «منكر الحديث جداً، يروي ما لا يتابع عليه، فالأولى في أمره ترك ما انفرد به من الأخبار».

(٥) مصعب بن أبي ذئب لم يذكر ابن أبي حاتم فيه جرحاً ولا تعديلاً (٨/ ٣٠٦)، وذكره ابن حبان في الثقات (٧/ ٤٧٨).

(٦) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، التيمي، ثقة، أحد الفقهاء بالمدينة، من كبار الثالثة.

(٧) محمد بن أبي بكر الصديق، أبو القاسم، له رؤية.

(٨) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، شقيق عائشة، تأخر إسلامه إلى قبيل الفتح.

[٢] حديث صحيح، وإسناده ضعيف جداً فيه عبد الملك بن عبد الملك، وقد تقدم بيان أمره والحديث أخرجه البزار في مسنده (٨٠)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٥٠٩)، والمروزي في مسند أبي بكر (١٠٤)، واللالكائي (٧٥٠)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٣٠٩) كلهم من طريق عبد الملك بهذا

السند، وقال ابن عدي: «حديث منكر بهذا الإسناد»، قلت وللحديث شواهد كثيرة يصح بها:

فقد أخرجه من حديث معاذ بن جبل ابن أبـي عاصم في السنة (٥١٢)، والطبراني في الكبير (٢٠/١٠٨)، وابن حبان (٥٦٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (٥/١٩١).

وأخرجه من حديث أبـي موسى الأشعري، ابن ماجه (١٣٩٠)، وابن أبـي عاصم (٥١٠)، واللالكائي (٧٦٣).

وأخرجه من حديث أبـي هريرة البزار (٢٠٤٦ ــ كشف).

وأخرجه من حديث أبـي ثعلبة الخشني، ابن أبـي عاصم (٥١١)، واللالكائي (٧٦٠).

وأخرجه من حديث عوف بن مالك، البزار (٢٠٤٨ ــ كشف).

وأخرجه من حديث عبد الله بن عمرو، أحمد في مسنده (٦٦٥٣).

وأخرجه من حديث عائشة، الترمذي (٧٣٩)، وابن ماجه (١٣٨٩)، وأحمد (٢٦٠٧٧)، واللالكائي (٧٦٤).

وقال الألباني في الصحيحة (١١٤٤): «وجملة القول أن الحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب، والصحة تثبت بأقل منها عدداً، ما دامت سالمة من الضعف الشديد، كما هو الشأن في هذا الحديث». اهـ. والله أعلم.

[٣] حدثنا هارون بن عمر القرشي[1]، قال: نا الوليد بن مسلم[2] عن عبد الله بن لهيعة[3] قال: حدثني إسحاق بن عبد الله[4] عن مكحول[5]، عن خالد بن معدان[6]، عن كثير بن مرة[7] قال: أدركت أصحاب رسول الله ﷺ يحدثون عن رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه، أن الله عز وجل يغفر في ليلة النصف من شعبان لكل عبد، إلاَّ لمشرك أو مشاحن.

---

(١) له ترجمة في الجرح والتعديل (٩/ ٩٣)، قال ابن أبي حاتم: «سألت أبي عنه فقال: شيخ دمشقي أدركته، كان يرى رأي أبي حنيفة، وعلى العمد لم نكتب عنه، محله الصدق».

(٢) الوليد بن مسلم القرشي مولاهم، أبو العباس الدمشقي، ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية، من الثامنة.

(٣) عبد الله بن لَهِيعَة بن عقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري، صدوق من السابعة، خلط بعد احتراق كتبه.

(٤) إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة الأموي مولاهم، المدني، متروك من الرابعة.

(٥) مكحول الشامي، أبو عبد الله، ثقة فقيه، كثير الإرسال، مشهور من الخامسة.

(٦) خالد بن معدان الكلاعي الحمصي، أبو عبد الله، ثقة عابد، يرسل كثيراً من الثالثة.

(٧) كثير بن مرة الحضرمي، ثقة، من الثانية، وهم من عدّة في الصحابة.

[٣] إسناده ضعيف جداً، الوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية وقد عنعن، وابن لهيعة فيه ضعف، وإسحاق بن عبد الله متروك، ولكن الحديث صحيح كما سبق في نص [٢]. والله أعلم.

[٤] حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن[١] قال: ثنا ابن المبارك[٢] قال: أنا الحجاج بن أرطاة[٣] عن يحيى بن أبـي كثير[٤]، عن عروة[٥]، عن عائشة، عن النبـي ﷺ قال: ذكر النصف من شعبان فقال: «يغفر الله فيه الذنوب أكثر من عدد شعر غنم كلب».

---

(١) لم أهتد إلى معرفته، ولعله إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي.

(٢) عبد الله بن المبارك المروزي، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير، من الثامنة.

(٣) حجاج بن أرطاة، القاضي، أحد الفقهاء، صدوق كثير الخطأ والتدليس، من السابعة.

(٤) يحيى بن أبـي كثير الطائي، مولاهم، أبو نصر اليمامي، ثقة ثبت، لكنه يدلس ويرسل، من الخامسة.

(٥) عروة بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله المدني، ثقة فقيه مشهور، من الثالثة.

[٤] الحجاج بن أرطاة مدلس وقد عنعن، وهو لم يسمع من يحيى بن أبـي كثير، ويحيى لم يسمع من عروة، كما قاله البخاري ونقله عنه الترمذي بعد إخراجه للحديث برقم (٧٣٩)، وأخرجه كذلك ابن ماجه (١٣٨٩)، وأحمد (٢٦٠٧٧)، واللالكائي (٧٦٤).

ولكن الحديث صحيح كما سبق في نص [٢]. والله أعلم.

[٥] حدثنا إبراهيم قال: نا ابن المبارك، قال: أنا الحجاج عن مكحول، عن كثير بن مرة قال: يغفر الله فيه من الذنوب إلَّا لمشرك أو مشاحن.

قال عبد الله[(١)]: سمعت الأوزاعي[(٢)] يفسر[(*)] المشاحن فقال: كل صاحب بدعة فارق عليها أمته.

---

(١) هو ابن المبارك، كما عند الدارقطني في كتاب النزول [٨٣].

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو، الفقيه ثقة جليل، من السابعة.

(*) في الأصل غير واضحة، والمثبت كما في كتاب النزول للدارقطني [٨٣].

[٥] موقوف على كثير بن مرة، وإسناده ضعيف لعنعنة الحجاج وهو مدلس، وقد سبق مرفوعاً في رقم [٣]، وهو صحيح كما سبق.

وأخرج هذا الأثر الدارقطني في النزول [٨٣]. والله أعلم.

[٦] حدثني محمد بن الحسين بن سوار[١]، قال: ثنا ليث بن سعد[٢] عن عُقيل[٣]، عن ابن شهاب[٤]، عن عثمان بن أبي المغيرة بن الأخنس[٥] أن رسول الله ﷺ قال: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى».

---

(١) لم أتمكن من معرفته.

(٢) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، من السابعة.

(٣) عُقيل بن خالد عَقيل الأيلي، أبو خالد الأموي مولاهم، ثقة ثبت من السادسة.

(٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، الزهري، أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة.

(٥) أظنه ــ والله أعلم ــ عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس الثقفي الأخنسي حجازي، صدوق له أوهام، من السادسة.

[٦] حديث مرسل، كما قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٢٤ ــ ط. المنار)، وكما قال ابن رجب في لطائف المعارف (ص ٢٥٦).

وأخرجه ابن جرير (١٣/ ١٠٩)، والبيهقي في الشعب (٣٨٣٩) ولكنه موقوفٌ عنده على عثمان، والبغوي في تفسيره (٧/ ٢٢٨).

وعزاه في كنز العمال (٤٢٧٨٠) إلى ابن زنجويه والديلمي عن عثمان بن محمد، يعني ابن أبي المغيرة. والله أعلم.

وزاد في نسبته صاحب إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٨١) إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً. والله أعلم.

[٧] حدثنا علي بن الجعد[١] قال: أنا أبو مغيرة[٢] عن محمد بن سوقة[٣]، عن عكرمة[٤] في قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[٥]. قال: ليلة النصف من شعبان يدبر أمر السنة، وتنسخ الأموات من الأحياء، ويكتب الحاج فلا ينقص منهم ولا يزيد فيهم أحد.

---

(١) علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي، ثقة ثبت، رمي بالتشيع، من صغار التاسعة.

(٢) النضر بن إسماعيل بن حازم البجلي، أبو المغيرة الكوفي، القاص ليس بالقوي، من صغار الثامنة.

(٣) محمد بن سوقة، بضم المهملة، الغَنَوي، أبو بكر الكوفي العابد ثقة فرضيّ، من الخامسة.

(٤) عكرمة أبو عبد الله، مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة، من الثالثة.

(٥) سورة الدخان: الآية ٤.

[٧] أخرجه ابن جرير (١٣/ ١٠٩)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٨٥٥)، وزاد نسبته في الدر المنثور إلى ابن المنذر وابن أبـي حاتم. والله أعلم.

[٨] حدثنا عبد الله بن خيران[(١)] قال: ثنا المسعودي[(٢)] عن مهاجر أبي الحسن[(٣)]، عن عطاء بن يسار[(٤)] قال: لم يكن رسول الله ﷺ في شهر أكثر صياماً منه في شعبان، وذلك لأنه تنسخ فيه آجال من يموت إلى العام المقبل.

---

(١) عبد الله بن خيران البغدادي، قال الخطيب: اعتبرت كثيراً من حديثه فوجدته مستقيماً يدل على ثقته، وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه، ثم ساق له ثلاثة أحاديث محفوظة المتن، لكنه خولف في سندها، وهو أكبر شيخ لقيه ابن أبي الدنيا. الميزان (٢/ ٤١٥).

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود، الكوفي، المسعودي، صدوق اختلط قبل موته، وضابطه: أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط، من السابعة.

(٣) مهاجراً أبو الحسن التيمي مولاهم، الكوفي، الصائغ، ثقة، من الرابعة.

(٤) عطاء بن يسار الهلالي، أبو محمد المدني، مولى ميمونة، ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة، من صغار الثانية.

[٨] أخرجه ابن أبي شيبة (٩٧٦٤)، وأخرج أبو يعلى (٤٩١١) نحوه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، أحب الشهور إليك أن تصومه شعبان، قال: «إن الله يكتب على كل نفس ميتة تلك السنة، فأحب أن يأتيني أجلي وأنا صائم». والله أعلم.

[٩] أخبرنا ابن إدريس[١] عن أبي الحسن الحسيني[٢]، عن محمد العرزمي[٣]، عن محمد بن علي[٤] رفعه قال: «من صلى ليلة النصف من رمضان، وليلة النصف من شعبان مائة ركعة يقرأ فيها بقل هو الله أحد ألف مرة، لم يمت حتى يبشر بالجنة».

❑ ❑ ❑

(١) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي أحد الحفاظ، من الحادية عشرة.

(٢) لم أعرف من هو.

(٣) محمد بن عبيد الله العرزمي، الفزاري، أبو عبد الرحمن الكوفي، متروك، من السادسة.

(٤) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر ثقة فاضل، من الرابعة.

[٩] إسناده مقطوع ضعيف جداً، محمد العرزمي متروك، وقال ابن القيم في المنار المنيف في أحاديث صلاة ليلة النصف من شعبان: «لا يصح منها شيء».
وساق ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٢٧) طرقها، ثم قال: «هذا حديث لا نشك أنه موضوع». والله أعلم.

ذكر شهر رمضان وفضله

[١٠] حدثني محمد بن سليمان لوين الأسدي[١] قال: ثنا أبو إسماعيل القناد[٢] عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة[٣]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام[٤] رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه».

---

(١) محمد بن سليمان بن حبيب الأسدي، لقبه لوين، ثقة من العاشرة.

(٢) إبراهيم بن عبد الملك البصري، أبو إسماعيل القَنَّاد، صدوق في حفظه شيء، من السابعة.

(٣) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، المدني، ثقة مكثر من الثالثة.

(٤) هكذا بالأصل الخطي، وعند جميع من أخرج الحديث «صام».

[١٠] إسناده حسن، والحديث صحيح، أبو إسماعيل القناد صدوق في حفظه شيء.

والحديث أخرجه أحمد (١٠١٢٣) والطيالسي (٢٣٦٠)، والبخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) وغيرهم، من طريق يحيى عن أبي سلمة به، والله أعلم.

[١١] حدثنا محمد بن سليمان، قثنا ابن المبارك عن يحيـى بن أيوب[١]، عن عبد الله بن قارط[٢]، قال لوين: الناس يقولون قريط عن عطاء بن يسار، عن أبـي سعيد الخدري، عن النبـي ﷺ قال: «من صام رمضان وعرف حدوده، وحفظ ما ينبغي له أن يحفظ، كفَّر ما قبله».

---

(١) يحيـى بن أيوب الغافقي، أبو العباس المصري، صدوق ربما أخطأ، من السابعة.

(٢) عبد الله بن قارط، أو قريط، مجهول، كما قال الحسيني في الإكمال.

[١١] إسناده ضعيف، لجهالة عبد الله بن قارط.

والحديث أخرجه من هذا الوجه أحمد (١١٥٢٤)، وأبو يعلى في مسنده (١٠٥٨)، وابـن حبـان فـي صحيحـه (٣٤٣٣)، وأبـو نعيـم فـي الحليـة (٨/ ١٨٠)، وقال: غريب لم يروه عن عطاء إلاَّ عبد الله بن قرط، تفرد به عنه يحيـى بن أيوب.

وأخرجه كذلك البيهقي في الشعب (٣٦٢٣) وفي فضائل الأوقات (٥٣).

والله أعلم.

[١٢] حدثنا أبو خيثمة[(١)]، قال ثنا سفيان بن عيينة[(٢)]، عن الزهري، عن أبـي سلمة، عن أبـي هريرة قال: من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

---

(١) زهير بن حرب بن شداد، أبو خيثمة النسائي، نزيل بغداد، ثقة ثبت، روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث من العاشرة.

(٢) سفيان بن عيينة بن أبـي عمران: ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلاَّ أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس لكن عن الثقات من رؤوس الطبقة الثامنة.

[١٢] إسناده صحيح، ولكن المحفوظ رفعه إلى النبـي ﷺ كما عند البخاري (٢٠١٤)، والحميـدي (٩٥٠)، والنسـائـي (٢٢٠١)، وأحمـد (٧٢٨٤)، وأبو داود (١٣٧٢)، وابن خزيمة (١٨٩٤) وغيرهم، فيحتمل ــ والله أعلم ــ أنه سقط من الناسخ رفعه إلى النبـي ﷺ.

[١٣] حدثنا خلف بن هشام(١)، قال: ثنا حماد بن زيد(٢)، عن أيوب(٣)، عن أبي قلابة(٤)، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وهو يبشِّر أصحابه: «قد جاءكم شهر مبارك، رمضان، افترض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم، ويغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حرم».

---

(١) خلف بن هشام بن ثعلب، البزار، المقريء البغدادي ثقة له اختيار في القراءات، من العاشرة.

(٢) حماد بن زيد بن درهم الأزدي، الجهضمي، أبو إسماعيل البصري، ثقة ثبت فقيه، من كبار الثامنة.

(٣) أيوب بن أبي تميمة: كيسان السختياني، أبو بكر البصري، ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد، من الخامسة.

(٤) عبد الله بن زيد بن عمرو، أو عامر، الجرمي، أبو قلابة البصري، ثقة فاضل كثير الإرسال، قال العجلي: فيه نصب يسير، من الثالثة.

[١٣] رجاله ثقات، لكنه منقطع بين أبي قلابة وأبي هريرة، قال الذهبي في الكاشف في ترجمة أبي قلابة: «حديثه عن عمر وأبي هريرة وعائشة ومعاوية وسمرة ــ في سنن النسائي وتلك مراسيل».

وانظر جامع التحصيل، للعلائي في ترجمة أبي قلابة.

وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٩٨): «ولم يسمع منه فيما أعلم».

وقال الألباني في تمام المنة (ص ٣٩٥): «لكنه صحيح لغيره، فإن قضية فتح أبواب الجنة وغلق أبواب النيران وغل الشياطين ثابتة في الصحيحين من

حديث أبـي هريرة أيضاً. . . وباقيه عند ابن ماجه من حديث أنس بسند حسن، وقد حسنه المنذري». اهـ.

وقد أخرج الحديث من هذا الوجه ابن أبـي شيبة في المصنف (٨٨٦٧)، وأحمد (٧١٥١)، والنسائي (٢١٠٥)، والبيهقي في فضائل الأوقات (٣٤)، وفي الشعب (٣٦٠٠). والله أعلم.

[١٤] حدثنا(*) محمد بن يزيد(١)... ثنا سفيان، قثنا محمد بن فضيل(٢)، قثنا يحيى بن سعيد(٣)، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

(*) هذا الحديث والذي بعده، كتبا على هامش النسخة وبعدهما كلمة (صح) للدلالة على أنهما من أصل الكتاب، وكتبا بخط الناسخ نفسه. والله أعلم.

(١) في الأصل غير واضحة، وشيوخ ابن أبي الدنيا، الذين اسمهم محمد بن يزيد كثير، فلم أتمكن من تحديده.

(٢) محمد بن فضيل بن غزوان، الضبي مولاهم، أبو عبد الرحمن الكوفي صدوق عارف، رمي بالتشيع من التاسعة.

(٣) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني، أبو سعيد القاضي، ثقة ثبت، من الخامسة.

[١٤] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨٨٧٥)، وأحمد (٧١٧٣)، والبخاري في صحيحه (٣٨)، والنسائي (٢٢٠٣)، وابن ماجه (١٦٤١)، وابن حبان في صحيحه (٣٤٣٢)، من طرق عن محمد بن فضيل بهذا الإسناد.

[١٥] ثنا عبد الرحمن بن صالح[١]، قثنا معتمر بن سليمان التيمي[٢]، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبـي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال وهو يبشر أصحابه: «قد جاءكم رمضان، شهر مبارك افترض الله عز وجل عليكم صيامه (تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق)[*] فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم».

---

(١) عبد الرحمن بن صالح الأزدي العتكي، الكوفي، نزيل بغداد، صدوق يتشيع، من العاشرة

(٢) معتمر بن سليمان التيمي، أبو محمد البصري، ثقة، من كبار التاسعة.

(*) غير واضح في الأصل واستدركته من مصادر التخريج.

[١٥] سبق دراسة هذا الحديث في النص [١٣].

[١٦] حدثني محمد بن إسماعيل بن أبـي سمينة البصري[١] قال: ثنا مكي بن إبراهيم[٢]، قال: ثنا كثير بن زيد[٣]، عن عمرو بن تميم[٤]، عن أبيه[٥]، عن أبـي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي يُحْلَفُ به، لقد أظلكم شهر ما أظل المسلمين شهر قط خير لهم منه، ولا أتى على المنافقين شهر قط أضر عليهم منه، إنَّ الله عز وجل ليكتب نوافله، وأجره قبل أن يدخله، إن المؤمن ليعد فيه القوة للعبادة، وإن المنافق ليعد فيه الغفلات فهو غنم للمؤمن ووزر على المنافق، أو كلمة نحوها».

---

(١) محمد بن إسماعيل بن أبـي سمينة البصري، ثقة من العاشرة.

(٢) مكي بن إبرهيم بن بشير التميمي البلخي، أبو السكن. ثقة ثبت من التاسعة.

(٣) كثير بن زيد الأسلمي، أبو محمد المدني، صدوق، يخطىء، من السابعة.

(٤) عمرو بن تميم، عن أبيه، عن أبـي هريرة في فضل رمضان، وعنه كثير بن زيد. قال البخاري: في حديثه نظر.
هكذا في الميزان (٣/ ٢٤٩).

(٥) تميم المازني: مجهول. قاله الحسيني في الإكمال.

[١٦] إسناده ضعيف، والحديث أخرجه ابن أبـي شيبة في مصنفه (٨٨٧٦)، وأحمد (٨٨٧٩)، وابن خزيمة (١٨٨٤)، وابن شاهين في فضائل رمضان (٢٤) و (٢٥)، والبيهقي في فضائل الأوقات (٥٤) كلهم من طريق كثير عن عمرو به.

[١٧] حدثنا أبو نصر التمار[١]، قال ثنا القاسم بن الفضل الحُدَّاني[٢]، عن النضر يعني ابن شيبان[٣]، قال: قلت لأبـي سلمة، يعني ابن عبد الرحمن، حدثني بشيء سمعته من أبيك[٤] يحدثه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله فرض عليكم صيام شهر رمضان، وسنَّ لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه».

(١) عبد الملك بن عبد العزيز القشيري، النسائي، ثقة عابد، من صغار التاسعة.

(٢) القاسم بن الفضل بن معدان الحداني، أبو المغيرة البصري ثقة، من السابعة.

(٣) النضر بن شيبان الحداني، لين الحديث، من السادسة.

(٤) يعني عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ.

[١٧] إسناده ضعيف، ومعناه صحيح.

أما ضعف إسناده، فلأن النضر بن شيبان ضعيف.

قال عنه يحيـى بن معين: «ليس حديثه بشيء».

وقال البخاري في حديثه هذا عن أبـي سلمة عن أبيه: «لم يصح».

وقال النسائي: «هذا خطأ والصواب أبو سلمة عن أبـي هريرة».

قاله بعد إخراجه للحديث (٢٢٠٧)، وأخرجه كذلك ابن ماجه (١٣٢٨)، وأحمد (١٦٦٠)، وابن خزيمة (٢٢٠١)، وابن شاهين في فضائل رمضان (٢٨)، والبيهقي فضائل الأوقات (٤٢)، والمزي في تهذيب الكمال في ترجمة النضر بن شيبان، كلهم من هذا الوجه.

وأما عن صحة معناه، فقد قال ابن خزيمة بعد إيراده للحديث:

«أما خبر من صامه وقامه إلى آخر الخبر، فمشهور من حديث أبـي سلمة، عن أبـي هريرة، ثابت لا شك ولا ارتياب في ثبوته أول الكلام، وأما الذي يكره ذكره النضر بن شيبان، عن أبـي سلمة، عن أبيه، فهذه اللفظة معناها

صحيح من كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ لا بهذا الإسناد، فإني خائف أن يكون هذا الإسناد وهماً، أخاف «أن يكون أبو سلمة لم يسمع من أبيه شيئاً. وهذا الخبر لم يروه عن أبي سلمة أحد أعلمه غير النضر بن شيبان».

[١٨] حدثنا الحسين بن الحسن[١] قثنا يزيد بن هارون[٢]، قال: أنا (هشام بن أبـي)[*] هشام[٣] عن محمد بن محمد بن الأسود[٤] عن أبـي سلمة عن أبـي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمس خصال، لم تعطها أمة قبلها، خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، وتصفد فيه مردة الشياطين، ولا يخلصوا فيه إلى ما كانوا يخلصوا في غيره، ويزين الله كل يوم جنته ويقول: يوشك عبادي الصائمون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيرون إليك، ويغفر لهم في آخر ليلة، قيل يا رسول الله: هي ليلة القدر، قال: لا، ولكن العامل يوفى أجره إذا قضى عمله».

---

(١) لعله الحسين بن حريث بن الحسن المروزي، ثقة من العاشرة، فإن ابن أبـي الدنيا معدود في الرواة عنه ــ والله أعلم ــ.

(٢) يزيد بن هارون السلمي مولاهم، أبو خالد الواسطي، ثقة متقن عابد، من التاسعة.

(*) ما بين القوسين كتب على الهامش.

(٣) هشام بن زياد بن أبـي يزيد، وهو هشام بن أبـي هشام أبو المقدام، ويقال له أيضاً هشام بن أبـي الوليد المدني متروك، من السادسة.

(٤) محمد بن محمد بن الأسود الزهري، مستور، من السادسة.

[١٨] إسناده ضعيف جداً، فيه هشام بن أبـي هشام متروك، والحديث أخرجه أحمد (٧٩٢٢)، ومحمد بن نصر (مختصره للمقريزي ــ ٤٨) في قيام رمضان، والبزار (٩٦٣ ــ كشف)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ١٤٢)، وابن شاهين في فضائل رمضان (٢٧)، والأصبهاني في الترغيب (١٧٥٧)، والبيهقي في فضائل الأوقات (٣٥)، كلهم من طريق هشام عن محمد بن محمد بن الأسود به.

[١٩] حـدثنا النضر بـن طاهر البصري[١]، قـال: ثنـا سـلام بـن سليـم[٢]، وليس بأبـي الأحوص عن فطر بن خليفة[٣]، عن عامر بن واثلة[٤]، قال: أبـو بكـر الصـديـق، قـال رسـول الله ﷺ: «إن الله تبـارك وتعـالى بنى جنـاناً كلها من ياقوت أحمر أساسها وأعاليها شبكت بالذهب، عليها ستور السندس، والإستبرق، وكل جنة طولها مائة عام (وعرضها مائة عام)[*] في كل جنة مائة ألف قصر، في كل قصر قبة بيضاء سماؤها زبرجد أخضر[**]، الأنهار تطرد في حيطانها والأشجار دانية عليها، يقول: هذه الجنة صاحبها ينعم فلا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه[***]، ولا يفنى شبابه[***]، قـال رسـول الله ﷺ: تلـك جنـان بنيـت لمـن صـام شهـر رمضـان يهبهـا الله لأهلها يوم الفطر».

---

(١) النضر بن طاهر، قال ابن عدي (٧/ ٢٧): «ضعيف جداً، يسرق الحديث».
وقال ابن أبـي عاصم (كما في ميزان الاعتدال (٤/ ٢٥٩)): «سمعت منه، ثم وقفت منه على كذب.

(٢) سلام بن سليم أو سلم، أبو سليمان، ويقال له: الطويل المدائني، متروك، من السابعة.

(٣) فطر بن خليفة المخزومي مولاهم، أبو بكر الحنَّاط صدوق، رمي بالتشيع، من الخامسة.

(٤) عامر بن واثلة الليثي، رأى النبـي ﷺ، آخر من مات من الصحابة، قاله مسلم وغيره.

(*) استدرك في الهامش.

(**) في الأصل (الأخضر) والمثبت في كنز العمال (٢٤٢٦٦).

(***) في الأصل (ثيابك) و (شبابك) والتصويب من الكنز.

[١٩] إسناده موضوع، فيه شيخ المصنف وفيه سلام بن سليم متروك.
والحديث عزاه صاحب كنز العمال (٢٤٢٦٦) إلى المصنف، وزاهر بن طاهر في تحفة عيد الفطر، وابن عساكر في أماليه.

[٢٠] حدثنا عبد الرحمن بن واقد[١] قثنا ضمرة بن ربيعة[٢] ثنا بشر بن إسحاق[٣] عن جابر بن يزيد[٤] عن أبـي جعفر قال: كان النبـي ﷺ إذا استهل هلال شهر رمضان أقبل على الناس بوجهه، ثم قال: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والعافية المجللة، ورفع الأسقام والعون على الصيام والصلاة وتلاوة القرآن، اللهم سلمنا لرمضان وسلمه لنا، وتسلمه منا حتى يخرج رمضان وقد غفرت لنا ورحمتنا وعفوت عنا، ثم يقبل على الناس بوجهه فيقول: أيها الناس، إن هذا شهر رمضان، غلت فيه الشياطين، وغلقت فيه أبواب جهنم، وفتحت فيه أبواب الجنان، ونادى منادٍ كل ليلة، هل من سائل فيعطى، هل من مستغفر فأغفر له، اللهم أعط كل منفق خلفاً وعجل لكل ممسك تلفاً، حتى إذا كان يوم الفطر نادى منادٍ من السماء، اليوم يوم الجائزة، فاغدوا فبادروا خذوا جوائزكم».

قال أبو جعفر: جوائز لا تشبه جوائز الأمراء.

---

(١) عبد الرحمن بن واقد البغدادي، أبو مسلم الواقدي، صدوق يغلط، من العاشرة.

(٢) ضمرة بن ربيعة الفلسطيني، صدوق يهم قليلاً، من التاسعة.

(٣) لم أجد له ترجمة، ومن شيوخ ضمرة بن ربيعة نصر بن إسحاق، كما في تهذيب الكمال للمزي، وانظر الحديث الآتي.

(٤) جابر بن يزيد بن رفاعة العجلي، صدوق، من السابعة.

[٢٠] بشر بن إسحاق لم أجد له ترجمة، والحديث مرسل.

والحديث عزاه في كنز العمال (٢٤٢٨٨) إلى ابن عساكر وحده.

كما عزاه في (٢٤٢٩١) إلى الديلمي من حديث علي رضي الله عنه مختصراً إلى قوله (عفوت عنا).

والحديث لبعض أجزاءه شواهد، منها ما أخرجه ابن حبان وغيره من حديث ابن عمر، قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهلَّه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام»، وهو حديث حسن، لكثرة شواهده.

والفقرة الثانية عند الطبراني في الدعاء (٩١٢) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا هؤلاء الكلمات إذا جاء رمضان أن يقول أحدنا: «اللهم سلمني من رمضان (كذا في كتاب الدعاء، ولعل الصواب سلمني لرمضان ــ والله أعلم) وسلم رمضان لي وتسلمه مني متقبلاً» وسنده حسن.

والفقرة الثالثة هي ما سبق في الحديث [١٣] من فتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار وغل الشياطين.

[٢١] حدثني عبد الرحمن بن واقد قال: ثنا ضمرة بن ربيعة عن نصر بن إسحاق[1] عن جابر عن أبـي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى عليه شهر رمضان صحيحاً مسلماً صام نهاره، وصلى ورداً من ليله، وغضَّ بصره وحفظ فرجه ولسانه ويده، وحافظ على صلاته مجموعة، وبكر إلى جمعه، فقد صام الشهر واستكمل الأجر، وأدرك ليلة القدر، وفاز بجائزة الرب».

قال أبو جعفر: جائزة لا تشبه جوائز الأمراء.

---

(١) هكذا بالأصل، وتقدم في نص [٢٠] أنه بشر بن إسحاق، ولعل الصواب هو ما هنا لذكر نصر في عداد شيوخ ضمرة كما في تهذيب الكمال.

[٢١] ذكره ابن رجب في لطائف المعارف (ص ٣٤٠) ثم قال: «مرسل» وعزاه إلى المصنف.

[٢٢] حدثنا محمد بن أبـي سمينة قال: ثنا عبد الله بن رجاء[١] قال: ثنا جرير بن أيوب[٢] عن الشعبـي[٣] عن نافع بن بردة[٤] عن ابن مسعود أنه سمع النبـي ﷺ يقول وقد أهل شهر رمضان: «لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها، فقال رجل من خزاعة: ثنا[*] فقال: إن الجنة تزين لرمضان من رأس الحول إلى (رأس)[**] الحول، فإذا كان أول يوم من شهر رمضان هبت ريح من تحت العرش، فصفقت ورق الجنة، فينظرن الحور العين إلى ذلك، فيقلن: رب اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجاً تقر أعيننا بهم، وتقر أعينهم بنا، قال: فما من عبد يصوم رمضان إلاَّ زُوِّجَ زوجة من الحور العين في خيمة من درة مجوفة، كما نعت الله عز وجل: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى وتعطى سبعون لوناً من الطيب ليس منها لون على ريح الآخر، لكل واحدة منهن سرير من ياقوتة حمراء موشح بالدر، على كل سرير سبعون فراشاً بطائنها من استبرق، وفوق السبعين[***] فراشاً سبعون أريكة لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها وسبعون ألف وصيف، مع كل وصيف صحفة من ذهب، فيها لون من طعام تجد لآخر لقمة فيه لذة لا تجد لأوله، ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من باقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح ياقوت أحمر، هذا لكل يوم صامه من رمضان سوى ما عمل من الحسنات».

---

(١) عبد الله بن رجاء المكي، أبو عمران البصري، نزيل مكة، ثقة تغير حفظه قليلاً، من صغار الثامنة.

(٢) جرير بن أيوب البجلي مشهور بالضعف، قال يحيـى: ليس بشيء، وقال أبو نعيم: كان يضع الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث. انظر ميزان الاعتدال (١/ ٣٩١).

(٣) عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو، ثقة مشهور، فقيه فاضل، من الثالثة.
(٤) لم أجد له ترجمة.
(*) هذا اختصار لكلمة حدثنا.
(**) كتبت على الهامش.
(***)في الأصل (السبعون).

[٢٢] إسناده ضعيف جداً، وحكم عليه بعضهم بالوضع، فيه جرير بن أيوب.
والحديث أخرجه أبو يعلى (٥٢٧٣) بمثل إسناد المصنف، وأخرجه ابن خزيمة (١٨٨٦)، والبيهقي في فضائل الأوقات (٤٦)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٧٦٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٨٨).
وقال ابن حجر في المطالب العالية (١/ ٢٧٣): «تفرد به جرير بن أيوب، وهو ضعيف جداً، ... وابن مسعود ليس هو الهذلي المشهور، وإنما هو آخر غفاري».
وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٩٦٧) ومن طريقه ابن الأثير في أسد الغابة (٦/ ٢٨٧) من غير طريق جرير البجلي ولكن فيها الهياج بن بسطام ضعيف كما في التقريب.

[٢٣] حدثنا علي بن جعفر الأحمر[١]، قثنا إسحاق بن منصور[٢] عن الحسن بن صالح[٣]، عن أبـي بشر عبد الله بن بشر[٤]، عن الزهري قال: تسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره.

---

(١) علي بن جعفر بن زياد الأحمر التميمي، أبو الحسن، قال ابن أبـي حاتم (٦/١٧٨): «كان ثقة صدوقاً».

(٢) إسحاق بن منصور السلولي مولاهم، أبو عبد الرحمن، صدوق تكلم فيه للتشيع، من التاسعة.

(٣) الحسن بن صالح بن صالح، ثقة فقيه عابد رمي بالتشيع، من السابعة.

(٤) عبد الله بن بشر الرقي القاضي، اختلف فيه قول ابن معين وابن حبان، وقال أبو زرعة والنسائي: لا بأس به، وحكى البزار أنه ضعيف في الزهري خاصة، من السابعة.

[٢٣] إسناده منقطع، عبد الله بن بشر لا يثبت له سماع من الزهري، كما قال أبو حاتم في المراسيل (١٠٠)، وانظر جامع التحصيل (٢٠٧)، وأخرجه كذلك الأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٧٦٠)، ويروى مثله عن إبراهيم النخعي عند الأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٧٨١).

[٢٤] حدثني أبو جعفر الأدمي[(١)]، قال: ثنا أبو اليمان[(٢)] عن أبـي بكر بن أبـي مريم[(٣)] عن ضمرة بن حبيب[(٤)] وراشد بن سعد[(٥)] أن النبـي ﷺ قال: «انبسطوا في النفقة في شهر رمضان، فإن النفقة فيه كالنفقة في سبيل الله».

---

(١) محمد بن يزيد الأَدَمي، أبو جعفر، الخراز، البغدادي، ثقة عابد، من صغار العاشرة، والأَدَمي بفتح الهمزة والدال نسبة إلى الأدم.

(٢) الحكم بن نافع البَهْراني، أبو اليمان الحمصي، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، من العاشرة.

(٣) أبو بكر بن عبد الله بن أبـي مريم الغساني الشامي، وقد ينسب إلى جده، قيل اسمه بكير، وقيل عبد السلام، ضعيف، وكان قد سُرِق بيته فاختلط، من السابعة.

(٤) ضمرة بن حبيب بن صهيب الزُّبيدي، أبو عتبة الحمصي، ثقة من الرابعة.

(٥) راشد بن سعد المَقْرَئي، الحمصي، ثقة كثير الإرسال من الثالثة.

[٢٤] إسناده ضعيف، وعزاه في كنز العمال (٢٣٦٧٢) إلى المصنف وحده، وقال عنه: مرسل.

[٢٥] حدثني الحسن بن الصباح[(١)]، قثنا إسحاق بن حكيم[(٢)]، عن عبد الله بن المبارك، عن أبي بكر بن أبي مريم قال: سمعت مشيختنا يقولون إذا حضر شهر رمضان، قد حضر مطهر، ويقولون: انبسطوا بالنفقة فيه، فإنها تضاعف كالنفقة في سبيل الله عز وجل، ويقولون التسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره.

---

(١) الحسن بن الصباح البزار، أبو علي الواسطي، نزيل بغداد صدوق يهم، وكان عابداً فاضلاً، من العاشرة.

(٢) إسحاق بن حكيم، مجهول الحال، من العاشرة.

[٢٥] إسحاق بن حكيم مجهول الحال كما في التقريب، ويعني ابن حجر بذلك من روى عنه أكثر من واحد ولم يوثق، ولم أجد من أخرج قول أبي بكر بن أبي مريم هذا، على ضعف أبي بكر أيضاً.

[٢٦] حدثنا محمد بن أبـي شيبة[١]، قثنا عبد الله بن رجاء المكي، قال: ثنا جرير بن أيوب، قال: ثنا الشعبـي، عن قيس بن خالد الجهني[٢]، قال: إن كل يوم يصومه العبد في رمضان، يجيء يوم القيامة في غمامة من نور، في تلك الغمامة قصر من درّ له سبعون ألف باب من ياقوتة حمراء.

---

(١) محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي مولاهم، الكوفي، القاضي والد أبـي بكر بن أبـي شيبة، ثقة من التاسعة.

(٢) لم أتبين من هو، ولكن أخرج الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٦٥)، من طريق جرير بن أيوب عن الشعبـي، عن قيس بن زيد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوماً تطوعاً غرست له شجرة في الجنة... الحديث»، وليس فيه شيء من كلام قيس أعلاه.

[٢٦] جرير بن أيوب، سبق الكلام على حاله في تخريج النص [٢٢].

[٢٧] حدثنا الحسن بن الصباح، قال: ثنا شاذان[١]، عن حماد بن سلمة[٢] قال: كان ثابت البناني[٣]، وحميد الطويل[٤] رحمهما الله يتطيبان ويغتسلان لأربع وعشرين وثلاث وعشرين من شهر رمضان، ويحبان أن يطيب المسجد بنضوح.

---

(١) الأسود بن عامر الشامي، نزيل بغداد، يكنى أبا عبد الرحمن ويلقب شاذان، ثقة، من التاسعة.

(٢) حماد بن سلمة بن دينار البصري، أبو سلمة، ثقة عابد أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بأخرة، من كبار الثامنة.

(٣) ثابت بن أسلم البُنَاني، أبو محمد البصري، ثقة عابد، من الرابعة.

(٤) حميد بن أبـي حميد الطويل، أبو عبيدة البصري، ثقة مدلس من الخامسة.

[٢٧] هـذا إسناد صحيح إلى ثابت وحميد ـ رحمهما الله ـ وقد ورد عند الأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٨٠١) من طريق عبيد الله بن عائشة قال: قال حماد بن سلمة: «كان ثابت وحميد يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان، ويطيبون المسجد بالنضوح والدخنة في الليلة التي يرجى فيها».

[٢٨] حدثنا عبد الرحمن بن صالح، قثنا محمد بن فضيل، قال: ثنا العلاء بن المسيب(١)، عن أبيه وخيثمة، قالا(*): كان يقال: من صام رمضان ثم مات من عامه ذلك دخل الجنة.

---

(١) العلاء بن المسيب بن رافع الكاهلي، ويقال: التغلبي الكوفي، ثقة ربما وهم، من السادسة.

(*) في الأصل (قال).

[٢٨] إسناد هذا الأثر حسن للكلام الذي في شيخ المصنف. والمسيب هو ابن رافع الأسدي، الكاهلي، أبو العلاء الكوفي ثقة من الرابعة.

قال يحيى بن معين: «لم يسمع من أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ، إلاَّ من البراء بن عازب، وأبي إياس عامر بن عبدة»، انظر تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٨٦).

وخيثمة هو ابن عبد الرحمن بن أبي سبدة. روى عن عدد من الصحابة، كما في ترجمته من تهذيب الكمال (٨/ ٣٧٠).

وسيأتي هذا الأثر من طريق شيخ ثانٍ للمصنف هو محمد بن يزيد العجلي.

[٢٩] حدثني أبـي رحمه الله قال: أنا علي بن شقيق[١]، عن الحسين بن واقد[٢]، عن مروان المفقع[٣]، قال كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله».

---

(١) علي بن الحسن بن شقيق، أبو عبد الرحمن المروزي، ثقة حافظ، من كبار العاشرة.

(٢) الحسين بن واقد المروزي. أبو عبد الله القاضي، ثقة له أوهام من السابعة.

(٣) مروان بن سالم المفقع، مصري، مقبول، من الرابعة.

[٢٩] محمد بن عبيد، والد ابن أبـي الدنيا، قال عنه الخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٣٧٠): «روى عنه ابنه أبو بكر ــ يعني ابن أبـي الدينار ــ أحاديث مستقيمة».

قلت: ليس هذا منها والله أعلم، فقد أرسل الحديث، بينما رواه أصحاب علي بن الحسن بن شقيق موصولاً عن الحسين بن واقد، ثنا مروان المفقع، قال: رأيت ابن عمر يقبض على لحيته، ويقطع ما زاد على الكف، قال: وكان رسول الله ﷺ يقول: إذا أفطر... وذكر الحديث.

كما عند أبـي داود (٢٣٥٧)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٩٩)، وعنه ابن السني (٤٧٨)، والدارقطني (٢/ ١٨٥)، والحاكم (١/ ٤٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٣٩)، والبغوي في شرح السنة (١٧٤٠)، وقال الدارقطني: «تفرد به الحسين بن واقد، وإسناده حسن».

[٣٠] حدثني محمد بن الحارث الخرَّاز[1] قال: ثنا سنان[2] بن حاتم، قثنا جعفر بن سليمان[3]، قثنا حُبَاب القطعي[4]، عن أبـي إسحاق الهمداني[5]، قال: خرج علي بن أبـي طالب عليه السلام في أول ليلة من شهر رمضان والقناديل تزهر وكتاب الله يتلا في المساجد، فقال: نوَّر الله لك يا عمر بن الخطاب في قبرك كما نورت مساجد الله بالقرآن.

---

(١) له ترجمة في تاريخ بغداد للخطيب (٢/ ٢٩٢) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) هكذا بالأصل، والصواب إن شاء الله أنه سيار بن حاتم العنزي، أبو سلمة البصري، صدوق له أوهام، من كبار التاسعة.

(٣) جعفر بن سليمان الضبعي، أبو سليمان البصري، صدوق زاهد لكنه كان يتشيع، من الثامنة.

(٤) قال في تعجيل المنفعة (١٧٠): «حباب القطعي عن أبـي إسحاق الهمداني...، وعنه جعفر بن سليمان الضبعي، لا يعرف».

(٥) عمرو بن عبد الله بن عبيد الحمداني، أبو إسحاق السبيعي، ثقة مكثر عابد، من الثالثة، اختلط بأخرة.

[٣٠] في إسناده حباب القطعي لا يعرف. وأخرج هذا الأثر، الأصبهاني في الترغيب (١٧٩٢)، وكذلك أخرجه محمد بن نصر في «قيام رمضان» كما في مختصره للمقريزي (ص ٣٧).

[٣١] حدثنا إسحاق بن إسماعيل[(١)]، قال: ثنا سفيان عن هلال الوزان[(٢)]، قثنا عبد الله بن عُكيم[(٣)]، قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إذا دخل شهر رمضان «ألا إن هذا كتب الله عليكم صيامه ولم يكتب عليكم قيامه فمن قام منكم، فإنها من نوافل الخير التي قال الله عز وجل، ومن لا، فلينم على فراشه وليتق أحدكم أن يقول أصوم إن صام فلان وأقوم إن قام فلان، من صام أو قام فليجعل ذلك لله، ثم رفع يده فقال: ألا، لا يتقدم الشهر منكم أحد، ألا، لا تصوموا حتى تروه، ثم صوموا حتى تروه، فإن أغمي عليكم فأتموا العدة ثلاثين وأقِلُّوا اللغو في مساجد الله، وليعَلم أحدكم أنه في صلاة ما انتظر الصلاة ألا، ولا تفطروا حتى تروا الليل يغسق على الظِراب[(٤)].

---

(١) إسحاق بن إسماعيل الطالقاني، أبو يعقوب نزيل بغداد، يعرف باليتيم، ثقة تُكُلِّم في سماعه من جرير وحده، من العاشرة.

(٢) هلال بن أبي حميد الجهني مولاهم، أبو الجهم، واختلف في اسم أبيه، وكنيته، الصيرفي الوزان، الكوفي، ثقة، من السادسة.

(٣) عبد الله بن عُكيم، بالتصغير، الجهني، أبو معبد الكوفي، مخضرم من الثانية، وقد سمع كتاب النبي ﷺ إلى جهينة، مات في إمرة الحجاج.

(٤) الظِّراب: الجبال الصغار. النهاية (٣/ ١٥٦).

[٣١] إسناده صحيح إلى عمر رضي الله عنه وأخرجه عبد الرزاق (٧٧٤٨)، وابن أبي شيبة (٨٨٧٣)، والبيهقي في فضائل الأوقات (٦٠).

[٣٢] حدثنا هارون بن عمر القرشي، قثنا أنس ابن عياض[١]، قال حدثني بكير بن مسمار[٢]، عن خراش الكعبي[*]، قال: التقى أبو هريرة وكعب الأحبار، فقال أبو هريرة: يا كعب، كيف تجد هذا الشهر في كتاب الله عز وجل، يعني رمضان، فقال كعب: لا أخبرك، حتى تخبرني ما قال فيه رسول الله ﷺ: فقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «لا يقوم أحد رمضان ويصومه إيماناً واحتساباً إلاَّ غفر له»، فقال كعب: والذي نفسي بيده إنه في كتاب الله عز وجل حطة.

---

(١) أنس بن عياض بن ضمرة، أو عبد الرحمن الليثي، أبو حمزة المديني، ثقة، من الثامنة.

(٢) بكير بن مسمار الزهري، المديني، أبو محمد، أخو مهاجر، صدوق من الرابعة.

(*) هكذا بالأصل، ولعله سقط (عبد الله) قبل (خراش الكعبي)، كما سيأتي في النص [٣٤]، فإن كان كذلك فعبد الله هذا ضعيف كما في التقريب.

[٣٢] الأثر أخرجه البخاري في تاريخه الكبير (١/ ٣٨١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦١٦)، وسيأتي برقم [٣٤] فأنظره هناك.

[٣٣] حدثنا خالد بن مرداس[١]، قال: ثنا أيوب بن جابر[٢]، عن أبي إسحاق، عن هبيرة[٣]، عن ابن مسعود قال: سيد الشهور شهر رمضان وسيد الأيام يوم الجمعة.

---

(١) خالد بن مرادس، قال الخطيب عنه: «كان ثقة»، انظر تاريخ بغداد (٨/ ٣٠٧).

(٢) أيوب بن جابر هو الحنفي اليمامي، ضعيف.

(٣) هبيرة بن يريم، الشبامي، ويقال الخارقي، لا بأس به وقد عيب بالتشيع.

[٣٣] إسناد هذا الأثر ضعيف، لضعف أيوب بن جابر وتابعه شعبة بن الحجاج عند البيهقي في الشعب (٣٦٣٨)، وتابعه كذلك أبو الأحوص، سلام بن سليم، كما عند ابن أبي شيبة في المصنف (٥٥٠٩)، ولكن بقيت عنعنة أبي إسحاق السبيعي، فهو مذكور في المدلسين.

وقد روي الجزء الأول منه مرفوعاً إلى النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (٣/ ١٤٠)، وقال الهيثمي: فيه يزيد بن عبد الملك. اهـ.

ويزيد هذا ضعيف كما في التقريب. وكذلك أخرجه البيهقي في الشعب (٣٦٣٧)، وقال: في إسناده ضعف.

[٣٤] حدثني علي بن الجعد قال أخبرني يزيد بن عياض ابن جعدبة[١] قال ثنا بكير بن مسمار، عن عبد الله بن خراش[٢]، عن أبـي هريرة قال: قال كعب رحمهما الله، ألا تحدثني بما سمعت من رسول الله ﷺ في هذا الشهر، يعني رمضان، قال أبو هريرة: وتخبرني كيف تجده في كتاب الله عز وجل، قال كعب: يا أبا هريرة أخبرني أنت، قال أبو هريرة رحمه الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصومه أحد ويقومه إيماناً واحتساباً، إلاَّ غفر الله له»، فقال كعب رحمه الله، صدق الله، إنه في كتاب الله عز وجل لحطة.

---

(١) يزيد بن عياض بن جُعْدُبَة، الليثي، أبو الحكم المدني، نزيل البصرة، وقد ينسب لجده، كذبه مالك وغيره.

(٢) عبد الله بن خراش بن حوشب الشيباني، أبو جعفر الكوفي ضعيف، وأطلق عليه ابن عمار الكذب.

[٣٤] إسناده ضعيف، لضعف عبد الله بن خراش، وتابعه إسحاق بن أبـي إسحاق كما عند البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٨١١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦١٦)، وإسحاق ترجم له البخاري في تاريخه، وابن أبـي حاتم (٢/ ٢١٣)، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ٢٣).

[٣٥] حدثنا محمد بن يزيد العجلي[(١)]، قثنا ابن فضيل، قال: ثنا العلاء بن المسيب عن أبيه، وخيثمة، قالا: كان يقال: من صام رمضان ثم مات من عامه ذلك دخل الجنة.

---

(١) محمد بن يزيد العجلي أبو هشام الرفاعي الكوفي قاضي المدائن، ليس بالقوي، وذكره ابن عدي، في شيوخ البخاري، وجزم الخطيب بأن البخاري روى عنه، لكن قد قال البخاري؛ رأيتهم مجمعين على ضعفه.
وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/٦٨): «قال أحمد العجلي: لا بأس به... وروى أبو حاتم، عن ابن نمير، قال: أضعفنا طلباً وأكثرنا غرائب.
قال البرقاني: أبو هشام ثقة، أمرني الدارقطني أن أخرج حديثه في الصحيح».
وقد رقم له الذهبي بـ[صح]، وفي لسان الميزان (١/٩) نقلاً عن الذهبي: «إذا كتبت صح أول الاسم فهو إشارة إلى أن العمل على توثيق ذلك الرجل». والله أعلم.

[٣٥] تقدم الكلام عليه في نص [٢٨].

[٣٦] حدثنا أبـو سعيد المدني[١]، قال: ثنا إسحاق بن محمـد الفروي[٢]، قـال: حـدثنا يزيـد بـن عبد الملك[٣]، عـن سعيـد بـن أبـي سعيـد[٤]، عـن أبـي هريرة قـال: إن رسول الله ﷺ قال: «شهر رمضان يُكفِّر ما بين يديه إلى شهر رمضان المقبل».

---

(١) أبو سعيد المدني، عبد الله بن شبيب، أخباري علّامة لكنه واهٍ، قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. الميزان (٢/ ٤٣٨).

(٢) إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن أبـي فروة الفروي المدني الأموي مولاهم، صدوق، كف فساء حفظه من العاشرة.

(٣) يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل بن الحارث الهاشمي النوفلي، ضعيف من السادسة.

(٤) سعيد بن أبـي سعيد، كيسان المَقْبُري، أبو سعيد المدني، ثقة من الثالثة، تغير قبل موته بأربع سنين وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة.

[٣٦] عزاه في كنز العمال إلى المصنف، ولم أجد من أخرجه غير المصنف وفي إسناده كما ترى شيخ المصنف ذاهب الحديث، وكذلك يزيد بن عبد الملك، ضعيف. وأخرج مسلم (١/ ٢٠٩) من حديث أبـي هريرة، قوله ﷺ: «ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهما، إذا اجتنبت الكبائر».

[٣٧] حدثنا الحسن بن علي[1]، قثنا هشام بن عمار[2]. قال ثنا سلام بن سوار[3]، قثنا مسلمة بن الصلت[4]، عن الزهري، عن أبـي سلمة، عن أبـي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أول شهر رمضان رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار».

---

(١) الحسن بن علي بن محمد الهذلي، أبو علي الخلال الحلواني، نزيل مكة، ثقة حافظ له تصانيف، من الحادية عشرة.

(٢) هشام بن عمار بن نضير السُّلمي، الدمشقي الخطيب، صدوق مقرىء كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح، من كبار العاشرة.

(٣) سلام بن سليمان بن سوار المدائني، ابن أخي شَبَابة، نزيل دمشق، وقد ينسب إلى جده، ضعيف من صغار التاسعة.

(٤) مسلمة بن الصلت الشيباني، قال أبو حاتم عنه: «متروك الحديث» الجرح والتعديل (٨/ ٢٦٩).

[٣٧] إسناده ضعيف وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣١١)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ١٤٩) وغيرهم من طريق سلام بن سوار عن مسلمة به.

ويروى من حديث سلمان رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ آخر يوم من شعبان، وذكر الحديث وفيه: «وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار».

أخرجه ابن خزيمة (٣/ ١٩١) وقال: إن صح الخبر، يشير رحمه الله إلى ضعف علي بن زيد بن جدعان الذي في السند ــ والله أعلم ــ وسيأتي عند المصنف برقم [٤١].

[٣٨] حدثنا محمد بن بكار[(١)]، قال: ثنا ابن أبي الزناد[(٢)]، عن عمرو بن أبي عمرو[(٣)]، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «رب قائم حظه من قيامه السهر، ورب صائم حظه من صيامه العطش».

---

(١) محمد بن بكار الرَّيَّان الهاشمي مولاهم، أبو عبد الله البغدادي الرُّصافي، ثقة من العاشرة.

(٢) عبد الرحمن بن أبي الزناد: عبد الله بن ذكوان، المدني، مولى قريش، صدوق تغير حفظه لما قَدِم بغداد وكان فقيهاً، من السابعة، ولي خراج المدينة فحُمِد.

(٣) عمرو بن أبي عمرو: ميسرة، مولى المطلب، المدني، أبو عثمان ثقة ربما وهم من الخامسة.

[٣٨] حديث صحيح، من حديث أبي هريرة، وابن عمر، أما حديث أبي هريرة فأخرجه أحمد (٢/ ٢٧٣)، وابن ماجه (١٦٩٠)، وابن خزيمة (١٩٩٧)، وابن حبان (٣٤٨١)، والقضاعي (١٤٢٦)، وأخرجه من حديث ابن عمر الطبراني في الكبير (١٣٤١٣)، والقضاعي (١٤٢٤)، وقال في المجمع (٣/ ٢٠٢): ورجاله موثقون، وقال المنذري في الترغيب: إسناده لا بأس به.

[٣٩] حدثنا أبو خيثمة قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد[١]، عن الأعرج[٢]، عن أبي هريرة رواية، قال: «إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله، فليقل إني صائم إني صائم».

---

(١) عبد الله بن ذكوان القرشي، أبو عبد الرحمن المدني المعروف بأبي الزناد، ثقة فقيه، من الخامسة.

(٢) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني، مولى ربيعة بن الحارث، ثقة ثبت عالم، من الثالثة.

[٣٩] إسناده صحيح، وأخرجه أحمد (٧٣٤٤)، والحميدي (١٠١٤)، والبخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١) وغيرهم.

[٤٠] حدثني القاسم بن هاشم[١]، قثنا يحيى بن نصر بن حاجب القرشي[٢]، قال: ثنا هلال بن خباب[٣]، قال سمعت ابن الحنفية[٤]، يقول: ليصم سمعك وبصرك ولسانك وبدنك، فلا تجعل يوم فطرك مثل يوم صومك، وأتق أذى الخادم.

---

(١) القاسم بن هاشم السمسار، صدوق. تاريخ بغداد (١٢/ ٤٢٩).

(٢) يحيى بن نصر بن حاجب القرشي، قال أبو زرعة: ليس بشيء. وأما ابن عدي فروى له أحاديث حسنة، وقال: أرجو أنه لا بأس به، وقال مهنا: سألت أحمد بن حنبل عنه، فقال: كان جهمياً يقول قول أبي جهم. وقال أبو حاتم: يلينه عندي قدم رجاله. الميزان (٤/٤١١).

(٣) هلال بن خباب، العبدي مولاهم، أبو العلاء البصري، نزيل المدائن، صدوق تغير بأخرة، من الخامسة.

(٤) محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، أبو القاسم بن الحنفية، المدني، ثقة عالم. من الثانية.

[٤٠] لم أجد من أخرجه من هذا الوجه،، ويروى نحوه عن جابر رضي الله عنه وفيه انقطاع، أنظر ابن أبي شيبة (٨٨٨٠)، والبيهقي في فضائل الأوقات (٦٢).

[٤١] حدثني حمزة بن العباس[١]، قال أنا علي بن حجر[٢]، قال أنا يوسف بن زياد[٣] عن همام بن يحيـى الملجمي[٤]، عن علي بن زيد[٥]، عن سعيد بن المسيب[٦]، عن سلمان رحمه الله، قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، قالوا يا رسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، قال رسول الله ﷺ: يعطي الله تعالى هذا الثواب من فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة من ماء، ومن أشبع صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة وهو شهر أوَّله رحمة وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار. ومن خفف فيه عن مملوكه غفر الله له وأعتقه من النار استكثروا فيه من أربع خصال، خصلتان ترضون بهما ربكم تعالى وخصلتان لا غنى بكم عنهما فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلاَّ الله وتستغفرونه وأما التي لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار».

❑ ❑ ❑

---

(١) حمزة بن العباس بن حازم، أبو علي المروزي، وثقه الخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ١٧٩).

(٢) علي بن حجر بن إياس السعدي المروزي، نزيل بغداد، ثم مرو، ثقة حافظ، من صغار التاسعة.

(٣) يوسف بن زياد البصري، قال البخاري: منكر الحديث، انظر الميزان (٤/ ٤٦٥).

(٤) همام بن يحيى بن دينار العوذي، أبو عبد الله أو أبو بكر البصري، ثقة ربما وهم، من السابعة.

(٥) علي بن زيد بن جدعان، ضعيف من الرابعة.

(٦) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، من كبار الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل.

[٤١] إسناده ضعيف وأخرجه ابن خزيمة (٣/ ١٩١)، وضعفه بقوله: (إن صح الخبر)، والبيهقي في فضائل الأوقات (٣٧)، وفي شعب الإيمان (٣٦٠٨)، والأصبهاني في الترغيب (١٧٥٣) وغيرهم.

القيام في شهر رمضان

[٤٢] حدثنا شجاع بن مخلد[١] قال: ثنا هشيم[٢]، قال: أنا داود يعني ابن أبـي هند[٣]، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي[٤]، عن جبير بن نفير الحضرمي[٥]، عن أبـي ذر رحمه الله قال: شهدنا مع النبـي ﷺ رمضان، فلم يقم بنا في شيء من الشهر حتى كان ليلةٌ سابعةٌ بقيت قال: فقام بنا إلى نحوٍ من ثلث الليل، قال: ثم لم يقم ليلةَ سادسةَ بقيت، فلما كان ليلةَ خامسةَ بقيت قام إلى نحو من شطر الليل، قال: فقلت يا رسول الله، لو نفلتنا قيام هذه الليلة، فقال: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلته». قال: ثم لم يقم بنا ليلةَ رابعةَ بقيت، فلما كانت ليلةٌ ثالثةٌ بقيت قام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قلت: وما الفلاح قال: السحور، قال: وأيقظ أهله وبناته ونساءه.

---

(١) شجاع بن مخلد الفلاس، أبو الفضل البغوي، نزيل بغداد صدوق، من العاشرة.

(٢) هُشيم بن بشير، ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي، من السابعة.

(٣) داود بن أبـي هند القشيري مولاهم، أبو بكر أو أبو محمد البصري، ثقة متقن.

(٤) الوليد بن عبد الرحمن الجُرَشي، ثقة من الرابعة.

(٥) جبير الحضرمي الحمصي، ثقة جليل، من الثانية، مخضرم، ولأبيه صحبة.

[٤٢] إسناده حسن، والحديث صحيح، أخرجه الترمذي (٨٠٦)، وقال: حسن صحيح، والنسائي (١٦٠٤)، وأبو داود (١٣٧٥)، وابن ماجه (١٣٢٧) وغيرهم.

[٤٣] حدثنا أحمد بن إبراهيم[١] قال: ثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب[٢]، عن أبـي عبد الرحمن[٣]، عن علي كرم الله وجهه أنه كان يؤمهم في شهر رمضان.

---

(١) لابن أبـي الدنيا شيخان بهذا الاسم، الموصلي، أبو علي وهو صدوق، والثاني الدورقي النُّكْرِي، ثقة حافظ ولم أتبين من هو المقصود منهما في هذا الأثر.

(٢) عطاء بن السائب، أبو محمد، ويقال: أبو السائب، صدوق اختلط، من الخامسة.

(٣) عبد الله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الرحمن السلمي، الكوفي المقرىء، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، ثقة ثبت، من الثانية.

[٤٣] أخرجه ابن أبـي شيبة (٧٧٠١)، وابن فضيل ممن روى عن عطاء بعد اختلاطه، انظر الكواكب النيرات وشرح علل الترمذي لابن رجب.

[٤٤] حدثنا داود بن عمرو الضبـي[١]، قثنا علي بن هاشم[٢]، عن جرير[٣]، عن أبـي الأشعث الجدلي[٤] قال: غزوت على عهد علي عليه السلام ثلاثة غزوات، ولقد صليت معه بالليل في رمضان تطوعاً، وكان إذا فرغ القارىء، خرج فأوتر بثلاث.

---

(١) داود بن عمرو بن زهير بن عمرو بن جميل الضبـي، أبو سليمان البغدادي ثقة من العاشرة.

(٢) علي بن هاشم بن البريد، الكوفي، صدوق، يتشيع، من صغار الثامنة.

(٣) لعله جرير بن حازم، والله أعلم.

(٤) لم أتبين من هو.

[٤٤] لم أجد من أخرجه، ولكن إيتار علي رضي الله عنه بثلاث، أخرجه ابن أبـي شيبة (٦٨٢٥)، ومن طريقه ابن المنذر في الأوسط (٥/ ١٨١).

[٤٥] حدثنا محمد بن يزيد قال: سمعت أبا بكر بن عياش[١] قال: قال رجل لعطاء بن السائب: أقام بهم علي عليه السلام في شهر رمضان، فقال: يأخذ بكلام الصبيان، والله لقد قام بهم.

(١) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي، الكوفي المقريء الحناط مشهور بكنيته، والأصح أنها اسمه، ثقة عابد، إلَّا أنه لما كبر ساء حفظه، وكتابه صحيح من السابعة.

[٤٥] أخرج ابن أبـي شيبة نحوه، فقال: حدثنا أبو بكر بن عياش قال: سألت عطاءً: هل كان علي يصلي بهم في رمضان قال: كان خيار أصحاب على زاذان وأبو البختري وغيرهم يدعون أهليهم ويؤمون في المسجد في رمضان.

[٤٦] حدثنا محمد بن يزيد قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا عطاء بن السائب، عن أبيه[1] أن علياً عليه السلام قام بهم في شهر رمضان.

---

(١) السائب بن مالك، والد عطاء، ثقة من الثانية.

[٤٦] عطاء بن السائب اختلط، وابن فضيل ممن روى عنه بعد الاختلاط.

[٤٧] حدثنا خلف بن هشام، قال: ثنا أبو الأحوص[١]، عن عبد الأعلى[٢] عن أبـي عبد الرحمن السلمي قال: كان[٣] يؤمنا في رمضان فيقرأ بنا عشر آيات.

---

(١) سلام بن سليم، ثقة متقن صاحب حديث من السابعة.

(٢) عبد الأعلى بن عامر الثعلبـي، الكوفي، صدوق يهم من السادسة.

(٣) يعني علياً رضي الله عنه، والله أعلم.

[٤٧] سنده إلى أبـي عبد الرحمن السلمي، حسن، للكلام الذي في عبد الأعلى بن عامر.

[٤٨] حدثنا شجاع بن مخلد، قال: ثنا هشيم، قال: أنا يونس بن عبيد[١]، عن الحسن[٢] أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أبـي بن كعب، فكان يصلي بهم عشرين ليلة من الشهر، ولا يقنت بهم إلاَّ في النصف الثاني فإذا كانت العشر الأواخر، تخلف يصلي في بيته فكانوا يقولون: أبق أبـي.

---

(١) يونس بن عبيد بن دينار العبدي، أبو عبيد البصري، ثقة ثبت فاضل ورع، من الخامسة.

(٢) الحسن بن أبـي الحسن البصري، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس.

[٤٨] إسناده إلى الحسن، حسن، للكلام الذي في شيخ المصنف، ولكن الحسن لم يدرك عمراً رضي الله عنه، قاله التركماني في الجوهر النقي.

وأخرجه من هذا الوجه أبو داود (١٤٢٩) بمثل إسناد المصنف وابن أبـي شيبة في مصنفه (٦٩٣٥)، حدثنا محمد بن بشر قال: حدثنا سعيد عن قتادة، عن الحسن، وأخرجه كذلك ابن المنذر في الأوسط (٥/٢٠٦)، حدثنا موسى (يعني ابن هارون) قال: ثنا أبو بكر (يعني ابن أبـي شيبة) وساق إسناد ابن أبـي شيبة، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/٤٩٨).

وقضية جمع عمر رضي الله عنه الناس على أبـيّ بن كعب عند البخاري (٢٠١٠) وغيره.

[٤٩] حدثنا شجاع بن مخلد، قال: ثنا هشيم، قال: أنبا عبد الملك[١]، عن عطاء بن أبـي رباح[٢] قال: كانوا يصلون في شهر رمضان عشرين ركعة، والوتر ثلاثاً.

---

(١) عبد الملك بن أبـي سليمان، ميسرة العرزمي، صدوق له أوهام، من الخامسة.

(٢) عطاء بن أبـي رباح، ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال، من الثالثة.

[٤٩] إسناده إلى عطاء بن أبـي رباح، حسن، وأخرجه من هذا الوجه ابن أبـي شيبة (٧٦٨٨).

[٥٠] حدثنا شجاع، ثنا هشيم، أنبا يونس، قال: شهدت الناس قبل وقعة ابن الأشعث[١] وهم في شهر رمضان، فكان يؤمهم عبد الرحمن بن أبي بكر صاحب رسول الله ﷺ وسعيد بن أبي الحسن ومروان العبدي، فكانوا يصلون بهم عشرين ركعة ولا يقنتون إلاَّ في النصف الثاني وكانوا يختمون القرآن مرتين.

---

(١) التي قاتل فيها الحجاج، وقتل فيها كثير من القراء، انظر البداية والنهاية (٩/ ٤٢).

[٥٠] إسناده إلى يونس بن عبيد حسن للكلام الذي في شيخ المصنف.

[٥١] حدثنا عبد الرحمن بن واقد قال: ثنا ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب[١] قال: كان أيوب السختياني يؤم أهل مسجده في شهر رمضان، وكان يصلي في كل ركعة بثلاثين آية ويقوم فيما بين الترويحتين لنفسه بثلاثين آية، يقول لهم: الصلاة، الصلاة، وكان إذا أوتر دعى بدعاء القرآن، ويؤمن من خلفه، وهم سكوت، وكان من آخر ما يقول، يصلي على النبي ﷺ، ويقول: اللهم استعملنا بسنته وأوزعنا بهديه واجعلنا للمتقين إماماً قال ثم يخر.

قال: وإذا كان ليلة الفطر اغتسل وغسل ثوبيه للإحرام الذي أحرم فيهما [...][*]، فكان إذا فرغ من الصلاة دعى بدعوات، قال: فالتقى حميد ويونس بن عبيد وأيوب، قال حميد الطويل ليونس: أما علمت أن أيوب قد صار يقص فتبسموا[٢].

---

(١) عبد الله بن شوذب الخراساني، أبو عبد الرحمن، سكن البصرة، ثم الشام، صدوق عابد، من السابعة.

(*) لم أتمكن من قراءته، وهو موضع كلمة واحدة.

(٢) وذلك لأنه ــ رحمه الله ــ كان يقول: ما أفسد على الناس حديثهم إلاَّ القصاص.

[٥١] إسناده حسن وأخرجه مختصراً البيهقي في الشعب (٣٢٧٥).

[٥٢] حدثنا حجاج بن يوسف(١)، قال: ثنا عارم(٢)، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب قال: سمعت الحجاج بن يوسف حين دخل شهر رمضان يقول: ما أعلم أحدكم يقول الليلة ليلة القدر، فإذا جاءت ليلة أخرى قال: الليلة ليلة القدر.

---

(١) حجاج بن يوسف بن حجاج الثقفي البغدادي، المعروف بابن الشاعر ثقة حافظ، من الحادية عشرة.

(٢) محمد بن الفضل السدوسي، أبو النعمان البصري لقبه عارم، ثقة ثبت تغير في آخر عمره، من صغار التاسعة.

[٥٢] إسناده صحيح، لأن رواية حجاج بن يوسف عن عارم كانت قبل اختلاطه، ولذلك أخرج مسلم منها في صحيحه، وانظر الكواكب النيرات لابن الكيال (ص ٧٦)، وأخرجه المروزي في قيام رمضان (ص ٣٠) من مختصره للمقريزي، وعنده (ما على أحدكم) فانقلب المعنى، والله أعلم.

[٥٣] حدثنا شجاع بن مخلد قال: ثنا هشيم، قال منصور[١]: أنبا الحسن[٢] قال: كانوا يصلون عشرين ركعة، فإذا كانت العشر الأواخر زاد ترويحة شفعين.

---

(١) منصور بن زاذان الواسطي، أبو المغيرة الثقفي، ثقة ثبت عابد، من السادسة.

(٢) هو البصري.

[٥٣] هشيم مدلس، ولم يصرح بالتحديث، ولم أجد من أخرج هذا الأثر، والله أعلم.

[٥٤] حدثنا شجاع، قثنا هشيم، قال: أنبا زكريا بن أبـي مريم الخزاعي(١) قال: سمعت أبا أمامة الباهلي صاحب رسول الله ﷺ يقول أحدثتم قيام شهر رمضـان ولم يكتب عليكم إنما كتب عليكم الصيام فـدومـوا علـى القيـام إذا فعلتموه، ولا تتركوه، فإن ناساً من بني إسرائيل ابتدعوا بدعة لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فلم يرعوها حق رعايتها فعاقبهم الله بتركها قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر الآية.

---

(١) زكريا بن أبـي مريم قال في الميزان (٢/ ٧٤): «شيخ حدث عنه هُشيم. قال النسائي: ليس بالقوي، وقال عبد الرحمن بن مهدي: ذكرناه لشعبة فصاح صيحة».
قلت: فسر هذه الصيحة من شعبة ابن أبـي حاتم فقال: «صيحة شعبة أنه لم يرض زكريا».
انظر الجرح والتعديل (٣/ ٥٩٢) وذكره ابن حبان في كتاب الثقات (٤/ ٢٦٣).

[٥٤] أخرجه سعيد بن منصور في سننه كما في المصابيح في صلاة التراويح وسنده: حدثنا هشيم، ثنا زكريا بن أبـي مريم وساقه بنحوه. وأخرجه المروزي في قيام رمضان (ص ٣٧ ـ مختصره للمقرزي).

[٥٥] حدثنا هاشم بن الوليد(١). قال: ثنا أبو بكر بن عياش قال: أخبرني الربيع بن سحيم(٢)، عن زيد بن وهب(٣) قال: كان عمر يروحنا في رمضان(*) ما يذهب رجل إلى سلع من المسجد.

---

(١) وثقه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٦٦).

(٢) الربيع بن سحيم ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٣/٢٧٦)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٤٦٢)، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات (٨/ ٢٣٨) وقال: «يروي المقاطيع».

(٣) زيد بن وهب الجهني، أبو سليمان الكوفي، مخضرم، ثقة جليل لم يصب من قال في حديثه خلل.

(*) هكذا بالأصل ولعله سقطت كلمة (قَدْرَ) كما في السنن الكبرىٰ للبيهقي.

[٥٥] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٩٧) وقال بعده: «كذا قال ولعله أراد من يصلي بهم التراويح بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه». والله أعلم.

[٥٦] حدثنا شجاع قال: ثنا هشيم، قال: أنبا مغيرة[(١)] عن إبراهيم[(٢)] قال: كان المتهجدون يصلون في شهر رمضان في ناحية المسجد يصلون لأنفسهم، ولا يأتمون بإمام.

---

(١) المغيرة بن مِقْسَم، الضبي مولاهم، أبو هشام الكوفي، الأعمى ثقة متقن إلاَّ أنه كان يدلس ولا سيما عن إبراهيم، من السادسة.

(٢) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي الفقيه، ثقة إلاَّ أنه يرسل كثيراً، من الخامسة.

[٥٦] إسناده ضعيف، لأن المغيرة يدلس، وقد عنعن هاهنا وأخرجه ابن أبي شيبة (٧٧٢٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٥١) من هذا الوجه.

وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأعمش عن إبراهيم نحوه ولكن الأعمش كذلك يدلس كما في التقريب.

ولكن قال الذهبي في الميزان عن الأعمش (٢/ ٢٢٤): «وهو يدلس، وربما دلس عن ضعيف، ولا يدرى به، فمتى قال حدثنا فلا كلام، ومتى قال: «عن» تطرق إليه احتمال التدليس إلاَّ في شيوخ له أكثر عنهم: كإبراهيم (قلت يعني النخعي كما في هذا الأثر) وابن أبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال». والله أعلم.

[٥٧] حدثنا شجاع، قثنا هشيم قال: أنبا يونس بن عبيد عن ابن سيرين[١] أن عائشة كانت تأمر غلاماً لها فيصلي في رمضان، يقرأ في المصحف.

---

(١) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر ابن أبـي عمرة البصري، ثقة ثبت، عابد كبير القدر كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة.

[٥٧] ابن سيرين لم يسمع من عائشة شيئاً، كما قال ابن حاتم ولكن الأثر صحيح من غير هذا الوجه، كما أخرجه مالك (١/١١٦) من طريق هشام بن عروة عن أبيه، أن ذكوان، أبا عمرو (وكان عبداً لعائشة زوج النبـي ﷺ، فأعتقته، عن دبر منها) كان يقوم يقرأ لها في رمضان.

وأخرجه كذلك البيهقي في الكبرى (٣/ ٨٨)، وفي فضائل الأوقات (١٣٠).

وأخرج ابن أبـي شيبة، حدثنا وكيع قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبـي بكر بن أبـي مليكة أن عائشة أعتقت غلاماً لها عن دبر فكان يؤمها في رمضان في المصحف وهذا أيضاً سند صحيح، فقد تابع ابن أبـي مليكة عروة بن الزبير كما سبق.

وأخرج ابن أبـي شيبة حدثنا ابن علية عن أيوب، قال: سمعت القاسم يقول كان يؤم عائشة عبد يقرأ في المصحف.

[٥٨] حدثنا عبيد الله بن عمر الجشمي، قال: ثنا حكيم بن حزام(*) أبو سمير(١) وكان من العابدين، قال: ثنا علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب، عن سلمان الفارسي قال رسول الله ﷺ: «من فطَّر صائماً في رمضان من كسب حلال، صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها وصافحه جبريل عليه السلام ليلة القدر، ومن صافحه جبريل يرق قلبه وتكثر دموعه».

فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن لم يكن ذاك عنده قال: «بقبضة من طعام». قال: أفرأيت إن لم يكن ذاك عنده قال: «ففلقة خبز». قال: أفرأيت إن لم يكن ذاك عنده قال: «فمذقة من لبن». قال: أفرأيت إن لم يكن ذاك عنده. قال: «فشربة من ماء».

(*) في الأصل واضحة، وفي ترجمته في الميزان «خذام»، وفي المجروحين لابن حبان «خدام».

(١) حكيم بن حزام، قال في الميزان (١/ ٥٨٥): «عن ابن جدعان قال أبو حاتم: متروك الحديث. وقال البخاري: منكر الحديث، يرى القدر. وقال القواريري: لقيته وكان من عباد الله الصالحين».

[٥٨] إسناده ضعيف جداً، إن لم يكن موضوعاً. في سنده حكيم بن حزام متروك الحديث، وعلي بن زيد، ضعيف، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٢٢١)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٢٤٧)، وضعفه بقوله: «هذا لا أصل له، وعلي بن زيد لا شيء في الحديث».

وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٩٢)، والبيهقي في فضائل الأوقات (٧٢)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٧٦٣).

فـي السحـور

[٥٩] حدثنا خالد بن خداش قال: قال: ثنا أبو عوانة(١) عن قتادة(٢) وعبد العزيز بن صهيب(٣) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة».

(١) وضاح اليشكري الواسطي البزاز، أبو عوانة، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، من السابعة.

(٢) قتادة بن دِعَامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري ثقة ثبت، يقال ولد أكْمه، وهو رأس الطبقة الرابعة.

(٣) عبد العزيز بن صهيب البناني، البصري، ثقة، من الرابعة.

[٥٩] إسناده حسن للكلام الذي في شيخ المصنف، والحديث صحيح، فقد أخرجه البخاري (١٩٢٣) من طريق عبد العزيز بن صهيب، وأخرجه مسلم (١٠٩٥) من طرق عن قتادة وعبد العزيز بن صهيب وأخرجه البزار (٩٧٦/ كشف) من طريق محمد بن ثابت عن أبيه عن أنس.

[٦٠] حدثنا سعيد بن سليمان[١]، عن حفص بن غياث[٢]، عن أشعث[٣]، عن أبـي هبيرة[٤]، عن جده شيبان[٥] قال: دخلت المسجد فاستئذنت وتنحنحت، فإذا رسول الله ﷺ يتسحر، فقال: «هلم أبا يحيى الغداء» قلت: إني أريد الصوم قال: «وأنا أريد الصوم لكن مؤذنونا[*] في بصره شيء، فأذن قبل أن يطلع الفجر».

---

(١) سعيد بن سليمان الواسطي، نزيل بغداد، البزاز، لقبه سعدويه، ثقة حافظ، من كبار العاشرة.

(٢) حفص بن غِياث بن طلق بن معاوية النخعي، أبو عمر الكوفي القاضي، ثقة فقيه تغير حفظه قليلاً في الآخر، من الثامنة.

(٣) أشعث بن سوار الكندي، النجار، الأفرق، الأثرم، صاحب التوابيت، قاضي الأهواز، ضعيف، من السادسة.

(٤) يحيى بن عباد بن شيبان الأنصاري، أبو هبيرة الكوفي، ثقة من الرابعة.

(٥) شيبان بن مالك الأنصاري. السلمي.

(*) هكذا بالأصل والصواب «مؤذننا».

[٦٠] إسناده ضعيف، لضعف أشعث بن سوار.

وأخرجه أبو يعلى كما في المطالب العالية المسندة:

«حدثنا داود بن رشيد، ثنا حفص هو ابن غياث عن أشعث بن سوار (في الأصل عن سوار وهو خطأ من الناسخ، وجاء على الصواب في نسخة خطية ثانية)، عن أبـي هبيرة عن جده شيبان» فذكر الحديث.

وأخرجه الطبراني في الكبير رقم (٧٢٢٨) (٧/ ٣١١) من طريق قيس بن الربيع عن أشعث به.

وقال في المجمع (٣/ ١٥٣): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه كلام». اهـ. وطريق الطبراني التي

رجعت إليها، ليس فيها قيس المذكور، بل هي من طريق حفص بن غياث.

قال في الأوسط (١ ــ لوحة ٢٨٩): «حدثنا أبو زرعة قال: نا أبو نعيم قال: نا حفص بن غياث عن أشعث بن سوار عن أبـي هبيرة يحيـى بن عباد عن جده شيبان قال. . .»، فذكر الحديث وقال بعده: «لم يرو هذا الحديث عن أشعث إلاَّ حفص» ا. هـ.

وطريق الطبراني في الكبير خلاف ذلك، ولكن تبقى علّة الحديث في أشعث بن سوار فهو ضعيف.

وزاد نسبته ابن حجر في الإصابة (٢/ ١٦٠) إلى: «الحسن بن سفيان وابن السكن وابن شاهين وابن أبـي خيثمة».

[٦١] حدثنا عبد الله بن شبيب، قثنا يحيى بن محمد الحارثي[١]، قال: حدثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٢] عن أبيه[٣]، عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «نعم غداء المؤمن السحور، إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين».

---

(١) لم أعرفه إلاَّ أن يكون يحيى بن محمد بن عبد الله بن مهران الجاريُّ، فتصحفت إلى الحارثي، لأن الجاري من كبار العاشرة ويروي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فإن كان هو فهو صدوق يخطىء ـ والله أعلم ـ.

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم، ضعيف، من الثامنة.

(٣) زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر رضي الله عنه، أبو عبد الله وأبو أسامة، المدني، ثقة عالم وكان يرسل، من الثالثة.

[٦١] إسناده ضعيف، وأخرجه بمثل لفظ المؤلف عن ابن عمر، أبو محمد الجوهري، في أماليه كما في كنز العمال (٢٣٩٨٤)، وصحت الجملة الأخيرة منه بالشواهد عن ابن عمر، فأخرج الطبراني في الأوسط (مجمع البحرين ـ ١٥٠٦)، وابن حبان (٣٤٦٧) من طريق إدريس بن يحيى، عن عبد الله بن عياش، عن عبد الله بن سليمان الطويل، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين».

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد (١١٠٨٦).

[٦٢] حدثنا علي بن الجعد قال: أخبرني بحر السقاء[١]، عن عمران القصير[٢]، عن أبي سعيد الإسكندراني[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «الجماعة بركة، والثريد بركة، والسحور بركة، تسحروا فإنه يزيد في القوة، تسحروا ولو على جرع من ماء، صلوات الله على المتسحرين».

---

(١) بحر بن كَنِيز السقاء، أبو الفضل البصري، ضعيف من السابعة.

(٢) عمران بن مسلم المنقري، أبو بكر القصير، البصري، صدوق ربما وهم، من السادسة.

(٣) أبو سعيد الإسكندراني وقيل: الإسكندري، كما في أسد الغابة (٦/ ١٤٠) قال ابن الأثير: أورده يحيى بن منده، وقال: قال الدارقطني: لا أراه صحابياً.

وقد أورده أبو نعيم فيمن روى حديث السحور من الصحابة، وروى بإسناده عن داود بن المحبر، عن بحر بن كنيز السقاء، عن عمران القصير، عن أبي سعيد الإسكندري قال: قال رسول الله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة»، أخرجه أبو موسى اهـ.

[٦٢] إسناده ضعيف، لضعف بحر السقاء، وأخرجه الحارث كما في المطالب العالية المسندة: «حدثنا داود بن المحبر، ثنا بحر بن كنيز السقاء. . . وساقه».

وأخرج الطبراني (٦١٢٧)، والبيهقي في الشعب (٧٥٢٠)، عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البركة في ثلاثة: في الجماعة والثريد والسحور».

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٥١): «فيه أبو عبد الله البصري، قال الذهبي: لا يعرف، وبقية رجاله ثقات».

وقال المنذري في الترغيب (٢/ ١٣٧): «لا يدري من هو».

وجملة: «تسحروا ولو على جرع من ماء» لها شاهد عند ابن حبان (٣٤٧٦) من حديث عبد الله بن عمرو، وعند أحمد (١١٠٨٦) من حديث أبي سعيد الخدري.

وجملة «صلوات الله على المتسحرين» سبق الكلام عليها في النص [٦١].

[٦٣] حدثنا علي بن الجعد قال: أخبرنا إسماعيل بن عياش[١]، قال: حدثني زمعة بن صالح[٢]، عن سلمة بن وهرام[٣]، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «استعينوا بقائلة النهار على قيام الليل، واستعينوا بأكلة السحر على الصيام».

---

(١) إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي، أبو عتبة الحمصي، صدوق في روايته عن أهل بلده، مخلط في غيرهم، من الثامنة.

(٢) زمعة بن صالح الجَنَدي اليماني، نزيل مكة، أبو وهب ضعيف، وحديثه عند مسلم مقرون، من السادسة.

(٣) سلمة بن وهرام اليماني، صدوق، من السادسة.

[٦٣] إسناده ضعيف، لضعف زمعة بن صالح، وأخرجه ابن ماجه (١٦٩٣)، ومحمد بن نصر في قيام الليل (٩٤ ـ مختصره)، وابن خزيمة (٢٩٣٩)، والطبراني في الكبير (١١٦٢٥) (١١/ ٢٤٥)، والحاكم في مستدركه (١/ ٤٢٥)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٧٩٦)، وضعفه ابن خزيمة بقوله: «إن جاز الاحتجاج بخبر زمعة بن صالح، فإن في القلب منه لسوء حفظه».

وقال البوصيري في الزوائد «هذا إسناد فيه زمعة بن صالح وهو ضعيف». اهـ. والله أعلم وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

آخره والحمد لله رب العالمين، علقه لنفسه بعد سماعه أحمد بن عبد الله بن المسلم بن حماد بن ميسرة الأزدي غفر الله له ولأبويه ولمن استغفر لهم أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

❑ ❑ ❑

الفهـــارس

(١) فهرس الآيات القرآنية .
(٢) فهرس الأحاديث والآثار .
(٣) فهـرس الأعـلام .
(٤) فهـرس الكنـى .
(٥) فهـرس الأبنـاء .
(٦) فهـرس الشيـوخ .

(١)

فهرس الآيات القرآنية

❏ ❏ ❏

(٢)

فهرس الأحاديث والآثار

[ي]

❑ ❑ ❑

(٣)

فهرس الأعلام

[ب]

[ت]

[ث]

[ج]

[ح]

[خ]

[د]

[ش]

[ض]

[ع]

❑ ❑ ❑

(٤)

فهـرس الكنـى[١]

❑ ❑ ❑

(٥)

فهـرس الأبنـاء

❑ ❑ ❑

(٦)

فهـرس الشيـوخ

فضائل رمضان

تأليف

الإمام الحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني
ابن عبد الواحد المقدسي

(٥٤١ - ٦٠٠ هـ)

تحقيق

أبي عبد الله عمار بن سعيد تمالت الجزائري

دار ابن حزم للنشر والتوزيع
ص - ب ٢٢٥٦٦ - الرياض ١١٤١٦ - الهاتف والفاكس ٤٦٢١٥٤٢

فضائل رمضان

تأليف

الإمام الحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن
عبد الواحد المقدسي
(٥٤١ ــ ٦٠٠ هـ)

تحقيق

أبي عبد الله عمار بن سعيد تمالت الجزائري

ح مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع ١٤٢٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

تمالت: عمار سعيد

فضائل رمضان / عمار سعيد تمالت، عبد الغني المقدسي. الرياض

١١٨ ص : ١٧×٢٤ سم

ردمك: x ـ ٤٢ ـ ٧٩٥ ـ ٩٩٩٠

١ ـ فضائل رمضان ٢ ـ الصوم ٣ ـ شهر رمضان

أ ـ المقدسي: عبد الغني (م.مشارك) ـ العنوان

ديوي٢٥٢,٣ ٢٠/١٢٣٠

رقم الايداع: ٢٠/١٢٣٠

ردمك: x - ٤٢ - ٧٩٥ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ ١٩٩٩م

الناشر

دار ابن حزم للنشر والتوزيع

ص.ب: ٢٢٥٦٦ - الرياض : ١١٤١٦

هاتف: ٤٦٢١٥٤٢ فاكس: ٤٦٢١٥٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المحقّق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ با لله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده ا لله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ ا لله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن ا لله عزّ وجلّ اختار لهذه الأمة مواسمَ مباركة، يكثر فيها الخير، ويعظم فيها أجرُ الطاعة، ومن تلكم المواسم الفاضلة: شهر رمضان المعظّم، وهو خير الشهور وأفضلها على الإطلاق، فلم يرد في غيره من الشهور ما ثبت فيه من الفضائل.

وقد أبان النبي ﷺ عن فضائل هذا الشهر أعظمَ بيان وأكملَه، ووردت أحاديثه عليه الصلاة والسلام فيه مبثوثةً في كتب السنة من صحاح ومسانيد وجوامع، وأفردها بعض الأئمة بالتأليف؛ ليسهلَ على الناس الوصول إليها، فتتهيّأ نفوسهم لاستقبال هذا الضيف الجليل، ويجتهدوا في نَيْل ما كُتِب لهم فيه من الأجر الجزيل.

وممّن ألّف في فضائل رمضان من الأئمّة(١):

١ ـ أبو عبد الرحمن سلَمَة بن شَبيب، النسائي النيسابوري نزيلُ مكة، الحافظ الجوّال، توفي في شهر رمضان سنة بضع وأربعين ومائتين.

٢ ـ أبو بكر عبد ا لله بن محمد بن عبيد، القرشي البغدادي، المعروف بابن أبي الدنيا، صاحب التصانيف، توفي سنة (٢٨١هـ)(٢).

---

(١) انظر: "المعجم المفهرس" (ص٦٧-٧٩) للحافظ ابن حجر.

(٢) وكتابه "فضائل رمضان" مطبوع بتحقيق: عبد ا لله بن حمد المنصور، نشر دار السلف

٣ ـ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب، الطبراني، الحافظ المصنف، توفي سنة (٣٦٠هـ)(١).

٤ ـ أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان، البغدادي، المعروف بابن شاهين، الحافظ المصنف، توفي سنة (٣٨٥هـ)(٢).

٥ ـ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتّاني، محدّث دمشق، توفي سنة (٤٦٦هـ).

٦ ـ أبو محمد الحسن بن علي بن محمد، الجَوْهري، الحافظ المسنِد، توفي سنة (٤٥٤هـ)، أملى مجلسا في فضائل شهر رمضان(٣).

٧ ـ أبو بكر محمد بن الحسين بن فَنْجويه الثقفي، أملى مجلسا في فضل رمضان سنة (٤٧٨هـ)(٤).

٨ ـ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، الدمشقي، المعروف بابن عساكر، الحافظ المؤرّخ، توفي سنة (٥٧١هـ)، من أماليه: مجلس في فضل شهر رمضان(٥).

بالرياض، عام (١٤١٥هـ).

(١) تذكرة الحفاظ (٣/٩١٤).

(٢) وكتابه "فضائل شهر رمضان" مطبوع ضمن مجموعة من مصنفاته حقّقها بدر بن عبد الله البدر ونشرتها دار ابن الأثير بالكويت سنة (١٤١٥هـ).

(٣) يوجد مخطوطا ضمن المجموع (٧٩) من مجاميع العمرية، في ١٣ورقة (١٣٠-١٤٢)ق، معه مجلس في فضائل نصف شعبان.

(٤) يوجد مخطوطا ضمن المجموع (٨٥) من مجاميع المكتبة العمرية الملحقة بالظاهرية، في ٦ ورقات (١٤٢-١٤٧)ق.

(٥) يوجد مخطوطا ضمن المجموع (٨١) من مجاميع العمرية، في ٥ورقات (١٣٠-١٣٤)ق.

ثم تلا هؤلاء الحافظ الكبير أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، المتوفى سنة (٦٠٠هـ)، فجمع من مرويّاته ومسموعاته جزءاً في فضائل هذا الشهر المبارك.

ولما وقفتُ على هذا الجزء الجمان، حداني شوقٌ كبيرٌ إلى خدمته وإخراجه للناس كما وضعه المصنف، أو كما أراد أن يكون عليه؛ لأنه - رحمه الله - كتب مسوّدته وهي التي وصلت إلينا، وتوجد نسخة ثانية كأنها متفرّعة عن مبيّضة المصنف، وسيأتي وصف النسختين.

وبين يدي تحقيقي نصّ الجزء وضعتُ دراسةً مشتملةً على هذه المقدّمة، ثم على:

- ترجمة وجيزة للمصنف.
- توثيق نسبة الجزء إلى المصنف ووصف نسختيه الخطيّتين.
- السماعات المدوّنة على النسختين.
- منهجي في تحقيق الجزء.

والله أسألُ أن يجزي الحافظ عبد الغني خيرَ ما جزى العلماء العاملين، وأن يجعل خدمتي لمؤلّفه هذا من خالص العمل الذي يرضيه.

وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه:

أبو عبد الله عمار بن سعيد تمالت الجزائري

المدينة النبوية ١٩ / شوال / ١٤١٩هـ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[سورة البقرة / الآية: ١٨٣]

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾

[سورة البقرة / الآية: ١٨٥]

ترجمة وجيزة للمصنف[1]

هو الإمام الحافظ تقيُّ الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور، الجَمّاعيلي المقدسي، الدمشقي الصالحي.

وُلد بقرية جَمّاعيل بنابُلْس سنة (٥٤١هـ) على الصحيح، وقضى بها طفولته إلى حين هجرته برفقة قومه إلى دمشق سنة (٥٥١هـ)[2].

ثم نشأ في دمشق نشأةً علميّةً، وسمع الحديث في صغره.

وفي سنة (٥٦١هـ) كانت أول رحلة له في طلب العلم، حيث رحل برفقة ابن خالته الموفّق ابن قدامة إلى بغداد، فأدركا هناك خمسين ليلة من حياة الحافظ الفقيه عبد القادر بن عبد الله الجيلي (ت٥٦١هـ) ونالا من علمه وكرمه شيئا طيّبا، وأخذا عن غيره من مشايخ بغداد، ومكثا فيها أربع سنين.

ثم رجع الحافظ مع ابن خالته الموفّق إلى دمشق سنة (٥٦٥هـ) وكان الحافظ قد بلغ (٢٤) سنة.

وفي السنة التالية (٥٦٦هـ) رحل الحافظ إلى الإسكندريّة من بلاد مصر، ولقي فيها الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي (ت٥٧٦هـ)، ولازمه ملازمة شديدة، وسمع منه، وكتب عنه الشيء الكثير، حتى قيل: إنه كتب عنه نحو ألف جزء.

---

(١) أشهر مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٣-٤٧١)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/٥-٣٤)، وقد توسّعتُ في ترجمته في مقدمة تحقيقي لكتابه "تحريم القتل وتعظيمه".

(٢) خبر هجرتهم في "القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحيّة" (١/٦٥-٧٦).

وهكذا أخذ الحافظ عبد الغني يتنقّل بين الأمصار ويحصّل العلم ويسمع الحديث، ثم يرجع إلى دمشق ويبلّغ حديث النبي ﷺ .

ومن البلدان التي رحل إليها بعد بغداد ومصر: الجزيرة، وأصبهان، وهمذان، والموصل.

وكان من نتاج تلك الرحلات كثرة شيوخ الحافظ، وتعدّد مسموعاته ومَرْوِيّاته، بحيث كانت هي المورد المعين الذي يخرج منه مصنّفاته، ومن أشهر شيوخه:

- أبو طاهر السِّلَفي المتوفى سنة (٥٧٦هـ).
- أبو بكر عبد الله بن محمد بن النَّقّور البغدادي المتوفى سنة (٥٦٥هـ).
- أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفي البغدادي المتوفى سنة (٥٧٥هـ).
- أبو موسى محمد بن أبي بكر المَديني الأصبهاني المتوفى سنة (٥٨١هـ).
- أبو الفتح محمد بن عبد الباقي البغدادي المعروف بابن البَطّي المتوفى سنة (٥٦٤هـ).

وكان للحافظ عبد الغني دَورٌ بارزٌ في انتشار علم الحديث بدمشق، وذلك بفضل تلك المجالس المباركة التي كان يعقدها بجامع دمشق، وبذلك تعدّد تلاميذه والآخذون عنه.

قال الحافظ إبراهيم بن محمد المصري (ت٦٠١هـ): ما رأيتُ الحديث في الشام كلّه إلاّ ببركة الحافظ؛ فإني كل مَن سألتُه يقول: أول ما سمعتُ

على الحافظ عبد الغني، وهو الذي حرّضني - يعني: على الرحلة -.

ومن أشهر تلامذة الحافظ عبد الغني:

- أبو بكر أحمد بن عبد الدائم المقدسي المتوفى سنة (٦٦٨هـ).

- أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرُّهاوي المتوفى سنة (٦١٢هـ).

- أبو الحجّاج يوسف بن خليل الدمشقي المتوفى سنة (٦٤٨هـ).

- أبو الوفاء فضائل بن علي المصري المتوفى سنة (٦٣٤هـ).

- أبناؤه: أبو الفتح محمد المتوفى سنة (٦١٣هـ)، وأبو موسى عبد الله المتوفى سنة (٦٢٩هـ)، وأبو سليمان عبد الرحمن المتوفى سنة (٦٤٣هـ).

كان الحافظ عبد الغني سلفيَّ العقيدة والمنهج، مجانباً لأهل الأهواء والبدع، وكان يُشهِر عقيدتَه في مجالسه، ويبلّغ أحاديث الصفات، حتى حصل له بسبب ذلك أذى كبير من شانئيه من الأشاعرة.

وكانت له رحمه الله مكانة علمية راقية بين علماء عصره، وشهد له بهذه المكانة شيوخُه وأقرانُه وتلاميذُه من بعده.

قال شيخه الحافظ أبو موسى المديني: قلّ مَن قدم علينا من الأصحاب يفهم هذا الشأن كفهم الشيخ ضياء الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي.

وقال تاج الدين أبو اليُمن زيد بن الحسن الكندي (ت٦١٣هـ): لم يكن بعد الدارقطني مثل الحافظ عبد الغني.

وقال يوسف بن خليل الدمشقي: كان ثقةً، ثبتاً، ديّناً، مأموناً، حسن التصنيف ... إلخ.

وقال عماد الدين بن كثير: كان أوحد زمانه في علم الحديث والحفظ[١].

وقال الحافظ الذهبي: إليه انتهى حفظ الحديث متناً وإسناداً ومعرفةً بفنونه، مع الورع، والعبادة، والتمسّك بالأثر[٢].

إلى جانب ذلك، كان الحافظ عبد الغني متحلّياً بالأخلاق الحسنة والطباع الجميلة، وكان سخياً، جواداً، كريماً، واسعَ الصدر، متمسّكاً بأدب السلف.

وكان أمّاراً بالمعروف، نهّاءً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، وقد وضع الله له هيبةً في النفوس.

ولم تخلُ حياة الحافظ من مِحَنٍ وبلايا وإيذاء في سبيل الله عز وجل، خاصّة من طرف أعدائه من الأشاعرة والمتعصّبين، فكان أول ذلك في أصبهان حين قدمها لطلب الحديث، حيث وقعت له فتنة مع الأشاعرة[٣]، وثانيها في المَوْصِل بسبب متعصّبة الحنفيّة[٤]، وآخرها وأعظمها محنتُه في دمشق مع الأشاعرة، بحيث كانت سبب هجرته إلى مصر وموته بها، بل حتى في مصر كان يكيد له الأشاعرةُ ويحرّضون السلطانَ عليه[٥].

وكانت وفاة الحافظ عبد الغني في أواخر ربيع الأول من سنة (٦٠٠هـ)، عن (٥٩) سنة.

---

(١) البداية والنهاية (٣٨/١٣).

(٢) العبر (٣١٣/٤).

(٣) انظر: السير (٤٥٨/٢١-٤٥٩).

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر تفصيل ذلك في السير (٤٥٩/٢١-٤٦٣).

وترك مصنّفات بديعةً دالّةً على سَعَة حفظه وجلالة علمه، من أشرفها كتابه الكبير: **الكمال في أسماء الرجال** في جمع رجال الكتب الستة، فهو النواة الأولى لهذه الفكرة؛ حيث تتابع بعده التصنيف في هذا المجال.

ومن مصنفات الحافظ المطبوعة:

- **عمدة الأحكام من كلام خير الأنام.**
- **الاقتصاد في الاعتقاد.**
- **مختصر سيرة النبي ﷺ وأصحابه العشرة.**
- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**
- **ذكر النار.**
- **التوحيد لله عزّ وجلّ.**
- **الترغيب في الدعاء والحثّ عليه.**

وقد بقي بعض مصنفاته في خزائن المخطوطات بحاجة إلى عناية وتحقيق، من ذلك:

- **الكمال في أسماء الرجال.**
- **المصباح في عيون الصحاح**، وهو مستخرجٌ على الصحيحين، وقد بقيت أجزاء منه، أسأل الله أن ييسّر لي خدمته وإخراجه إلى النور.
- **من أحاديث الأنبياء عليهم السلام.**
- **كتاب العلم من "نهاية المراد من كلام خير العباد".**

عن كعب الأحبار رحمه الله قال: « إن الله تعالى اختار من الشهور شهر رمضان ، واختار من البلاد مكّة ، واختار من الأيام يوم الجمعة ، واختار من الليالي ليلة القدر ، واختار الساعات فخير الساعات للصلوات ، فالمؤمن بين حسنتين ، فحسنة قضاها ، وحسنة ينتظرها ».

[حلية الأولياء (١٥/٦)]

توثيق نسبة الكتاب إلى المصنف ووصف نسختيه الخطّيّتين

لا يكاد أحدٌ يشك في نسبة كتاب **فضائل رمضان** إلى الحافظ عبد الغني المقدسي بعد توفّر الدلالات الآتية:

١ ـ تصريحه بذلك على طرّة نسخته التي بخطّه.

٢ ـ أنّ الشيوخَ الذين يروي عنهم هم شيوخه الذين يروي عنهم في سائر مصنفاته.

٣ ـ تصريح السماعات التي دُوِّنت على النسختين بنسبة الجزء إليه، وسيأتي نقلُها.

٤ ـ نسبة بعض العلماء هذا الكتاب إلى الحافظ عبد الغني[1].

وكان اعتمادي في تحقيق نص الكتاب على نسختين خطّيّتين:

النسخة الأولى: هي النسخة التي كتبها المصنف بخط يده، وهي محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن المجموع (٧١) من مجاميع المكتبة العُمَريّة الملحقة بالدار، وهي أول رسالة في المجموع، وبعدها عدد من الأجزاء المهمّة[2]، وبعضها مطبوع.

عدد الأوراق: ١٩ورقة (١ ـ ١٧)ق والورقتان (٨٥ ـ ٨٦)ق.

عدد الأسطر: ١٣سطراً في الغالب.

---

(١) نسبه إليه: الذهبي في "السير" (٢١/٤٤٧)، وابن رجب في "ذيل طبقات الحنابلة" (٢/١٨)، ويوسف بن عبد الهادي في "فهرس الكتب" (رقم:١٤١٧ و ١٤٤٤).

(٢) فهرس مجاميع العمرية (ص٣٦١) إعداد ياسين السوّاس.

وهذه النسخة هي مسودة المصنف؛ فقد كتب كثيرا من الأحاديث على الحواشي وعلّم عليها بكلمة (زيادة)، فلعلّه كتب نسخةً أولى ثم زاد عليها تلك الزيادات، و السماعات المدوّنة عليها تدلّ على ذلك[1].

وأرى على نسختي المصوّرة آثار طمسٍ على أطراف الأوراق أدّت إلى عدم ظهور بعض الكلمات، ولعلّ ذلك من الرطوبة التي أصابت أصل المخطوط كما يذكر مفهرسُه.

النسخة الثانية: تقع ضمن المجموع (٥٥) من مجاميع العُمَريّة، وهي خامسة رسالة في المجموع الذي يضم عددا من الأجزاء القيّمة[2].

عدد أوراقها: ١٠ورقات (٤٧ ـ ٥٦)ق.

عدد الأسطر: ٢٤سطرا.

كُتِبت بخط نسخ يميل إلى التعليق، كتبها يوسف بن يعقوب بن الخطيب،وتأريخ كتابتها في القرن الثامن على التقدير وبالتحديد قبل سنة (٧٨٩هـ)؛ دليل ذلك السماعُ الذي نقله الناسخ على طرّة النسخة أسفلَ العنوان، وأولُه: (نقلتُ من خطّ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن شيخنا الشيخ عبد الله بن المُحِب كثّر الله فوائدَه ......)، فقوله: (كثّر الله فوائدَه) عبارةٌ تدل على حياة المنقولِ عنه محمدِ بن عبد الله بنِ المحب، وكانت وفاتُه سنة (٧٨٩هـ)، ويُؤخذ من النص أن الناسخ من تلامذة الحافظ محب الدين عبد الله بن أحمد المقدسي (ت٧٣٧هـ).

---

(١) ففي أحدها أن الجزء سُمع على المصنف سنة (٥٦٨هـ)، ثم سُمع عليه مع الزيادات سنة (٥٨٣هـ).

(٢) فهرس بجاميع العمرية (ص٢٧٤-٢٧٥).

وهذه النسخة مقابلة ومصحّحة، وهي ناقصة من الآخر، وكأن الناسخ لم يكمل كتابتها.

وبإجراء مقارنة بين النسختين يظهر اختلافهما من ثلاث جهات:

أوّلا: أن النسخة الثانية قد رُتِّبت الأحاديث فيها ترتيبا مناسبا، بخلاف نسخة المصنف فليست كذلك؛ لأن المصنف كان يزيد الأحاديث في بعض الأماكن دون الإشارة إلى ترتيبها، إلاّ بعض الأحاديث التي كان يرتبُها بوضع علامة اللَّحَق.

ثانيا: أن المصنف في نسخته كان يكتب أسماء بعض رجال إسناد ـ كأسماء شيوخه ومن فوقهم من الحُفّاظ المشهورين ـ مختصرةً، أملاً منه أن يكتبها كاملةً حين تبييض النسخة، وذلك في الأحاديث الزائدة بالخصوص وهذا بخلاف النسخة الثانية.

ثالثا: أن عنوان الجزء قد اختلف بين النسختين، ففي نسخة المصنف جاء العنوان: « **جزء فيه أحاديث من فضل شهر رمضان** »، وفي النسخة الثانية: « **فضائل رمضان** »، وقد اخترتُ هذا العنوان الثاني؛ لأن النسخة من رواية الحافظ أحمد بن عبد الدائم عن المصنف، وابن عبد الدائم من آخر السامعين للجزء كما هو مدوّن في السماع الثاني الذي بخط المصنف المؤرَّخ سنة (٥٨٧هـ)، وبهذا العنوان ورد ذكر الكتاب في "السير" و"ذيل طبقات الحنابلة".

قالوا عن الحافظ عبد الغنيّ المقدسيّ :

((لم يكن بعد الدّارقطني مثل الحافظ عبد الغنيّ)) .

[تاجُ الدِّين الكندي كما في سير أعلام النّبلاء ٢١/٤٤٩]

((الإمامُ ، العالِمُ ، الحافظُ الكبيرُ ، الصّادقُ القُدوةُ ، العابدُ الأثريُّ المتّبِعُ ، عالِمُ الحُفّاظ)) .

[الحافظ الذّهبي : المصدر السّابق ٢١/٤٤٣ـ ٤٤٤]

((كان أوحدَ زمانه في علم الحديث والحفظ)) .

[الحافظُ ابن كثيرٍ : البداية والنّهاية ١٣/٣٨]

السماعات المدوّنة على النسختين

أولا: السماعات المدوّنة على نسخة المصنف.

وجدتُ في نسخة المصنف سماعين بخطه وسماعين بغير خطه.

أما اللذان بخطه فهما مكتوبان على الصفحة (ق١٧/ب)، ونصّهما:

١ ـ « سمعه من لفظي: الفقهاءُ: أبو محمد عامر بن سالم الهلالي، وأبو البقاء محمود بن همّام بن محمود الأنصاري، ومسعود بن محمود بن صالح الجيلي، وأبو إسحاق إبراهيم بن سليمان بن سعيد القَيْسي، وعبد الجليل ابن أبي أحمد بن عبد الرحمن الجيلي، وأبو العباس أحمد بن أبي بكر بن غزّال الواسطي، وأبو عبد الله الحسن بن علي بن عقيل التَّغْلَبي.

كتبه عبد الغني بن عبد الواحد، وذلك يومَ الجمعة ثامن وعشرين ذي القعدة من سنة ست وثمانين وخمسمائة.

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، وحسبنا الله ونعم الوكيل ».

٢ ـ « سمع من لفظي هذا الكتاب جميعه: محمد بن غنّام بن علي الجَدَلي، وبدران بن شبل بن طرخان[1]، وأحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسيّان، وأبو بكر بن محمود بن عيسى، وعبد السيّد بن بيان بن ذوع، وإبراهيم بن فارس بن زهرة الآجُرّي، في يوم الأحد التاسع عشر من جمادى الآخرة من سنة سبع وثمانين وخمسمائة.

كتبه عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي.

---

(١) له ترجمة في "التكملة لوفيات النقلة" (٣/٦١٤).

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليما، وحسبنا الله ونعم الوكيل)).

وأما السماعان اللذان كُتبا بغير خط المصنف فهما على الصفحة (ق١٦/ب)، ونصهما:

١ - ((سمع جميعَ هذا الجزء، وهو "فضل شهر رمضان" على مؤلفِه الإمامِ الحافظِ أبي محمد عبدِ الغني بنِ عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي - أيّده الله -، بقراءة الإمام السيّد العالم أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي من أول الخامسة(١) إلى آخره: ولَدُه أبو حفص عمر، والأشياخُ الأئمّةُ: الإمامُ العالمُ الموفّقُ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، وأخوه أبو القاسم عبيد الله، وأبو عبد الله محمد وعمر ابنا أبي بكر بن عبد الله بن سعد المقدسيّان، وولدُ عمر أبو بكر عبد الله، والفقيه أبو محمد طرخان بن أبي الحسن بن عبد الله الدمشقي، وولدُه أبو عبد الله محمد، وأبو أحمد عبد الواحد بن عبد الرحمن المقدسي، وابنُ أخيه أبو إسحاق إبراهيم بن سعد بن عبد الله، وأبو الفتح نصرُ الله ابن علي بن عبد الوهاب الدمشقي، وأبو حصين عبد الله بن أحمد بن عبد الله العورفيني، وأبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن أبي عطّاف، وأبو الحسن علي بن يوسف بن مقدام المقدسي، وإبراهيم بن موسى بن يونس البيري، وسالم بن يوسف بن علي الزُّرَعي، وأبو طالب خِضْر بن نحرير الصحراوي، وأبو عبد الله محمد بن محمود بن عبد الله الرقّي،

(١) أي: الورقة الخامسة من الجزء، وقد سُجّل ذلك على حاشيتها: (من ههنا قرأ الإمام محمد رحمه).

وإبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور وقرأ من أول الخامسة وكمل السماعُ له، وذلك في الثاني والعشرين من شهر رمضان من شهور سنة ثمان وستين وخمسمائة، بظاهر مدينة دمشق، على نهر يزيد، وصحّ ذلك وثبت، رب اختم بخير)).

٢ ـ ((سمع جميعَ هذا الجزء مع الزيادات فيه على مؤلفِه الإمامِ العالمِ الأوحدِ الحافظِ جمالِ الحفّاظ تقيِّ الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد ابن علي بن سرور المقدسي ـ أمتع الله المسلمين بدوامه ـ : شيخُنا العالمُ الأوحدُ الفقيهُ شمسُ الدين أبو الفتح نصرُ الله بن عبد العزيز بن صالح بن عبدوس الحرّاني، وولدُه أبو العزّ عبد العزيز، وشيخُنا الإمامُ العالمُ الأوحدُ السعيدُ موفّقُ الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، وأخوه الفقيهُ الزاهدُ أبو عمر محمد بن أحمد، والفقيهُ الإمامُ العالمُ بهاءُ الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، والفقيهُ أبو عبد الله عمر بن أبي بكر بن عبد الله بن سعد المقدسيّون، وجماعةٌ آخرون، وكاتبُ الأسماء عبد القادر بن عبد القاهر بن عبد المنعم بن أبي الفهم الحرّاني عفى الله عنه، وذلك عاشر شهر رمضان من سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، بحلقة الحنابلة من جامع دمشق عَمَرَه الله)).

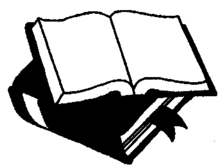
ثانيا: السماع المدوّن على النسخة الثانية.

كُتب على صفحة العنوان منها، وكأنه منقولٌ من أصل هذه النسخة المنقولِ منه، ونصه:

((نقلتُ من خط شمس الدين أبي عبد الله محمد بن شيخنا الشيخ عبد الله بن المحبّ ـ كثّر الله فوائدَه ـ ما صورتُه:

قرأتُ هذا الجزء على أمة العزيز زينب بنت إسماعيل بن إبراهيم بن الخبّاز، بسماعها من أحمد بن عبد الدائم، بسماعه من جامعه الحافظ عبد الغني، فسمعه: نجمُ الدين أبو بكر بن أحمد بن عبد الله بن عبد الغني اللديني، وعزُّ الدين محمد بن عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن البعلبكي، يومَ السبت رابع عشري رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة، بقصر اللبّاد، كتبه محمد بن عبد الله بن أحمد بن المحبّ عبد الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، والحمد لله وحده.

نقله كما شاهده يوسف بن يعقوب بن الخطيب، حامداً لله ومصلّياً على محمد وآله ومسلّماً ».



منهجي في تحقيق نص الكتاب

سرتُ في تحقيق نص الكتاب على المنهج التالي:

١ ـ نسختُ الجزءَ من نسخة المصنف، وقابلتُ المنسوخَ عليها ثم على النسخة الثانية.

٢ ـ رتّبتُ الأحاديث كما وردت في النسخة الثانية، وكذا أثبتُّ أسماء شيوخ المصنف ومن فوقهم كما هي في هذه النسخة، وذلك إذا ما وردت مختصرةً في نسخة المصنف.

٣ ـ عند وجود فروق بين النسختين أُثبتُ ما في نسخة المصنف وأُشيرُ إلى ذلك أحيانا، فإن زلّ قلمُ المصنف ورأيتُ ما في النسخة الثانية صواباً جعلتُه بين معقوفتين [ ].

٤ ـ رقّمتُ الأحاديث ترقيماً تسلسلياً.

٥ ـ خرّجتُ الأحاديث تخريجاً مختصراً، ملتزماً في الغالب بإخراج الحديث من طريق المصنف بعد الرجوع إلى الكتب التي يروي من طريق أصحابها، مخطوطاتٍ كانت أم مطبوعاتٍ؛ إلاّ ما لم أقف عليه، وذلك حرصاً مني على توثيق النص ما أمكن.

٦ ـ عرّفتُ ببعض الأعلام عند الحاجة إلى ذلك، فسمّيتُ المكنّين، ونسبتُ المهملين، وأشرتُ إلى المشهورين.

٧ ـ وضعتُ في آخر الجزء فهارس علميّة، وهي:

فهرس الأحاديث و الآثار.

فهرس مسانيد الصحابة.

فهرس شيوخ المصنف.

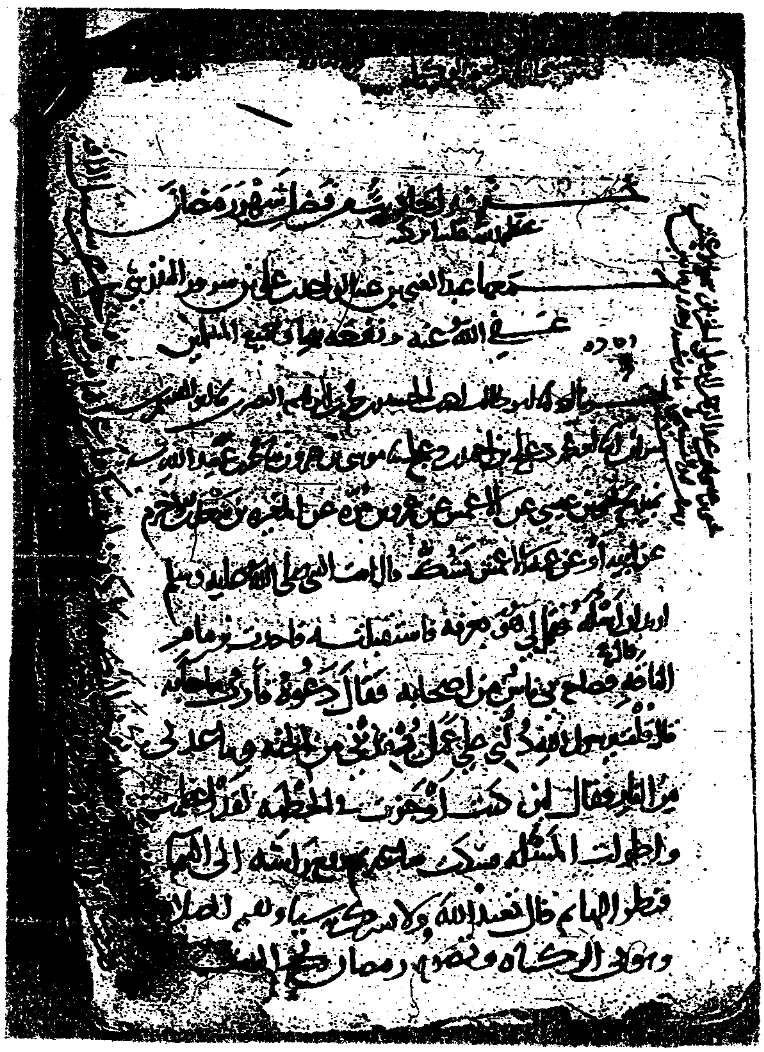
الفهرس العام.

الهدى في الكتاب والسنّة

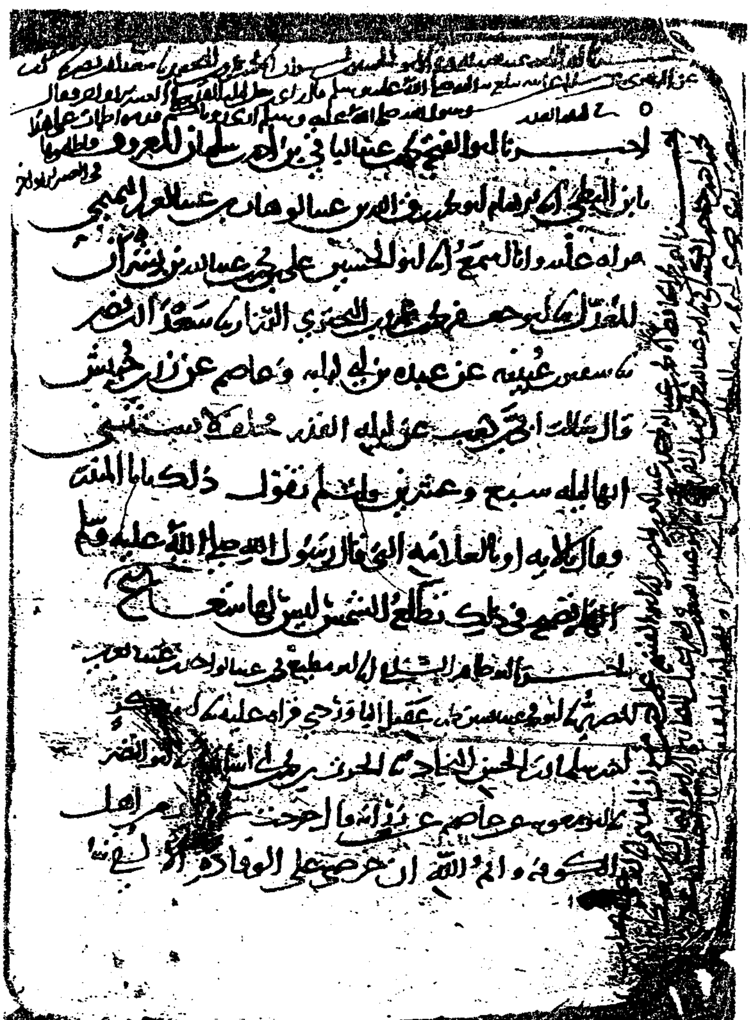
((الزم - رحمك الله ما ذكرتهُ لك من كتاب ربِّك العزيز، وكلام نبيّك الكريم، ولا تحد عنه، ولا تبغ الهُدى في غيره، ولا تغترّ بزخارف المبطلين، وآراء المتكلّفين، فإنّ الرُّشدَ والهُـدى والفوزَ والرّضا فيما جاء من عند الله ورسوله، لا فيما أحدثهُ المُحْدِثُون، وأتى به المتنطّعُون، من آرائهم المضمحلّة، ونتائج عقولهم الفاسدة، وارض بكتاب الله وسنّة رسوله بدلاً قول كلِّ قائلٍ، وزخرفٍ وباطلٍ)).

[الحافظ عبد الغني : عقيدته ص ١٠١]

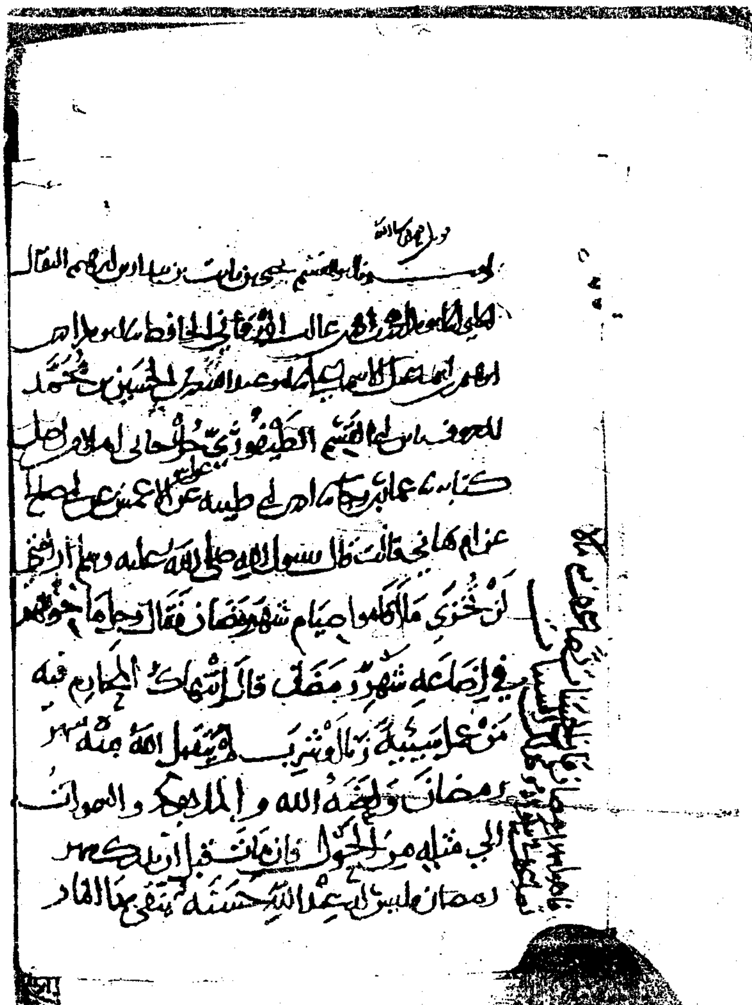
نماذجُ مصوّرةٍ من نسختَيْ الكتاب



صفحةُ العنوان من نسخةِ المصنِّف

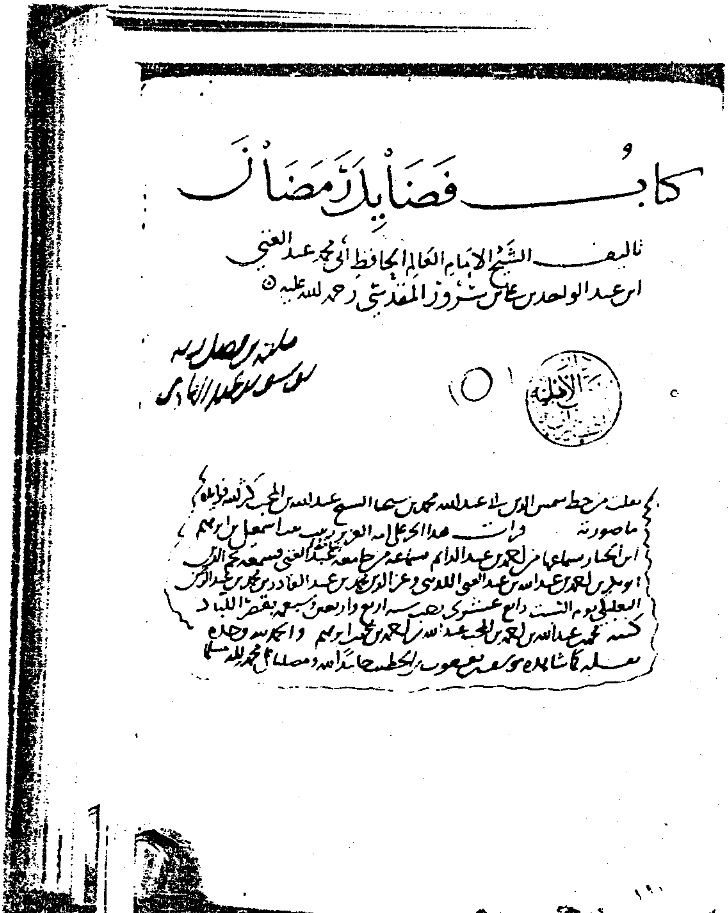

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان المعروف
بابن البطي أنا أبو الفضل أحمد بن الحسن بن عبد الوهاب بن عبد الله التميمي
قراءة عليه وأنا أسمع أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران
المعدل أنا أبو جعفر محمد بن عمرو البختري الرزاز نا سعدان بن نصر
نا سفيان بن عيينة عن عبدة بن أبي لبابة وعاصم عن زر بن حبيش
قال سألت أبي بن كعب عن ليلة القدر فحلف لا يستثني
إنها ليلة سبع وعشرين قلت بم تقول ذلك يا أبا المنذر
قال بالآية أو بالعلامة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنها تصبح من ذلك تطلع الشمس ليس لها شعاع

إحدى صفحات نسخة المصنّف

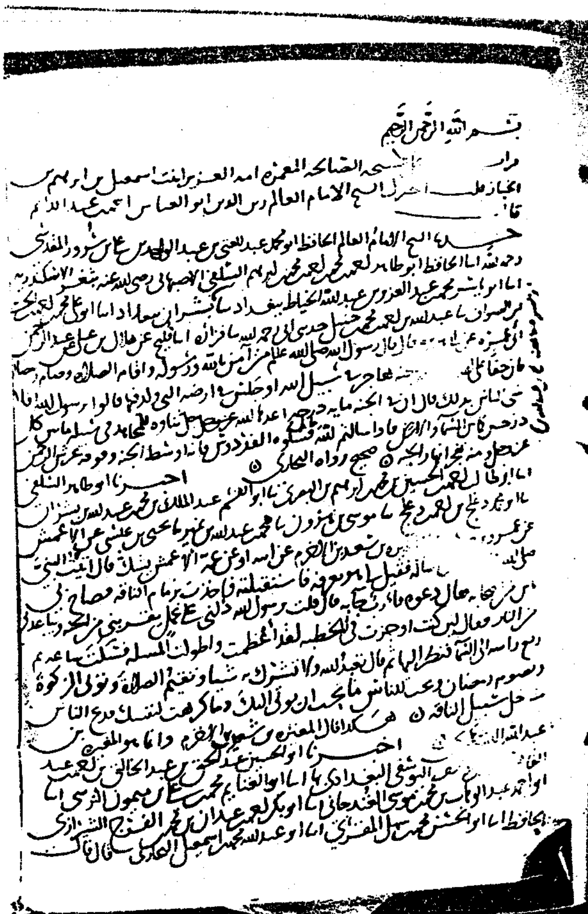


أخبرنا الشيخ أبو القاسم يحيى بن ثابت بن بندار بن إبراهيم البقال
[illegible]
[illegible] الإسماعيلي [illegible] الحسين بن محمد
[illegible] أبو القاسم الطيفوري [illegible]
[illegible] طيبة عن الأعمش عن أبي صالح
عن أم هانئ قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمتي
لن تخزى ما أقاموا صيام شهر رمضان فقال رجل ما خزيهم
في إضاعة شهر رمضان قال انتهاك المحارم فيه
من عمل سيئة أو زنى أو شرب خمرا لم يتقبل الله منه
رمضان ولعنه الله والملائكة والسموات
إلى مثله من الحول فإن مات قبل أن يدرك شهر
رمضان فليس له عند الله حسنة يتقي بها النار

آخرُ صفحةٍ من نسخةِ المصنِّف


كتاب فضايل رمضان
تاليف الشيخ الإمام العالم الحافظ أبي محمد عبد الغني
ابن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي رحمه الله عليه

صفحة العنوان من النسخة الثانية



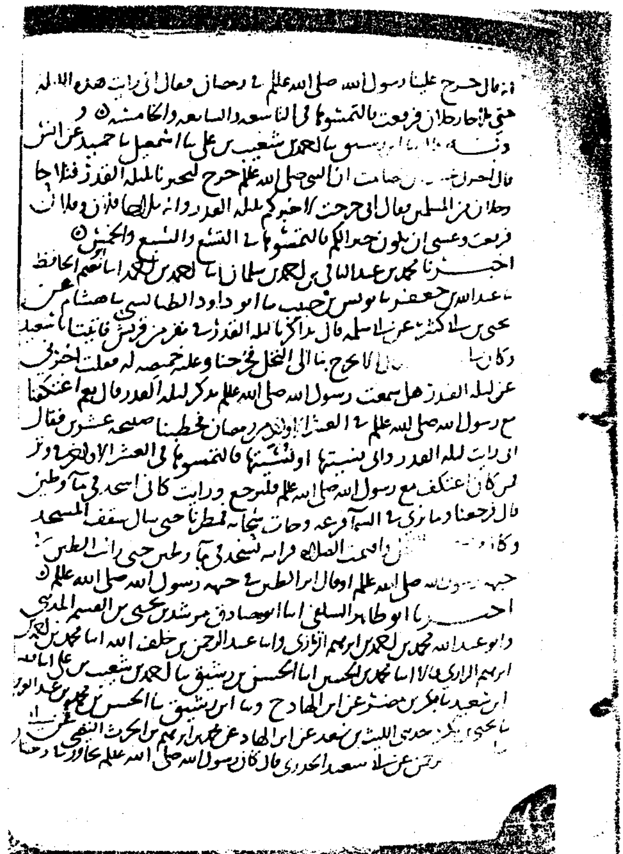
بسم الله الرحمن الرحيم

قرأ [illegible] على الشيخة الصالحة المعمرة أمة العزيز ابنت إسمعيل بن إبرهيم بن
الحاجز [illegible] أخبرنا الشيخ الإمام العالم زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم
قال [illegible]
حدثنا الشيخ الإمام العالم الحافظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي
رحمه الله أنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبرهيم السلفي الأصبهاني رضي الله عنه بثغر الإسكندرية
أنا أبو بشر محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الخياط ببغداد نا [illegible] أنا أبو علي محمد بن أحمد
بن الصواف نا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل حدثني أبي رحمه الله نا [illegible] أنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن
بن أبي عمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان
كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا
نبشر الناس بذلك قال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله ما بين كل
درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن
ومنه تفجر أنهار الجنة . صحيح رواه البخاري .

أخبرنا أبو طاهر السلفي
أنا أبو [illegible] الحسين بن محمد بن إبرهيم بن [illegible] البصري أنا أبو القسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران
أنا أبو محمد دعلج بن أحمد [illegible] نا موسى بن هارون نا محمد بن عبد الله بن نمير نا يحيى بن يعلى عن الأعمش
عن عمرو [illegible] عن المغيرة بن سعد بن الأخرم عن أبيه أو عن عمه الأعمش يشك قال أتيت النبي
صلى الله عليه وسلم [illegible] فقيل لي هو [illegible] فاستقبلته فأخذت بزمام الناقة فصاح بي
من [illegible] فقال دعوه فأرب ما جاء به قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني
من النار فقال لئن كنت أوجزت في الخطبة لقد أعظمت وأطولت المسألة فقلت [illegible]
ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها ثم قال تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة
وتصوم رمضان وتأتي للناس ما تحب أن يؤتى إليك وما كرهت لنفسك فدع الناس
منه خل سبيل الناقة .
هكذا قال المغيرة بن سعد بن الأخرم وإنما هو المغيرة بن
عبد الله اليشكري [illegible]

أخبرنا أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد
القادر [illegible] بن يوسف البغدادي بها أنا أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي أنا
أبو أحمد عبد الوهاب بن محمد بن موسى الغندجاني أنا أبو بكر أحمد بن عبدان بن محمد بن الفرج الشيرازي
الحافظ أنا أبو الحسن محمد بن سهل المقرئ أنا أبو عبد الله محمد بن إسمعيل البخاري قال [illegible]

بداية الكتاب في النسخة الثانية


قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقال إني رأيت هذه الليلة
حتى تلاحى رجلان فرفعت فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة ○ و
... أنا أبو ... نا أحمد بن شعيب بن علي نا إسمعيل نا حميد عن أنس
قال أخبرني ... بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى
رجلان من المسلمين فقال إني خرجت لأخبركم بليلة القدر وإنه تلاحى فلان وفلان
فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التسع والسبع والخمس ○
أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان أنا أحمد بن أحمد أنا أبو نعيم الحافظ
نا عبد الله بن جعفر نا يونس بن حبيب نا أبو داود الطيالسي نا هشام عن
يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال تذاكرنا ليلة القدر في نفر من قريش فأتيت أبا سعيد
وكان لي ... لا تخرج بنا إلى النخل فخرجنا وعليه خميصة له فقلت أخبرني
عن ليلة القدر هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ليلة القدر قال نعم اعتكفنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشر الأوسط من رمضان فخطبنا صبيحة عشرين فقال
إني رأيت ليلة القدر وإني نسيتها أو أنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر في وتر
من كان اعتكف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرجع ورأيت كأني أسجد في ماء وطين
قال فرجعنا وما نرى في السماء قزعة وجاءت سحابة فمطرنا حتى سال سقف المسجد
وكان ... وأقيمت الصلاة فرأيته يسجد في ماء وطين حتى رأيت الطين
في جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال أثر الطين في جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم ○
أخبرنا أبو طاهر السلفي أنا أبو صادق مرشد بن يحيى بن القسم المديني
وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي وأنا عبد الرحمن بن خلف الله أنا محمد بن أحمد بن
إبراهيم الرازي قالا أنا محمد بن الحسين أنا الحسن بن رشيق نا أحمد بن شعيب بن علي أنا ...
بن سعيد نا بكر بن مضر عن ابن الهاد ح ونا ابن رشيق نا الحسن بن محمد بن عبد العزيز
نا يحيى بن بكير حدثني الليث بن سعد عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي
سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في العشر التي في وسط الشهر

آخر الكتاب في النسخة الثانية

النصّ المحقّق

جزءٌ فيه:

أحاديثُ مِنْ فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ

- عظّم اللهُ علينا بركتَه -

جَمَعَها:

عبدُ الغنيّ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ عليّ بنِ سُرورٍ المقدسيُّ

- عفا اللهُ عنه، ونفعَه بها وجميعَ المسلمين -

بسم الله الرحمن الرحيم

قرأتُ على الشيخةِ الصالحةِ المعمّرةِ أمةِ العزيز[١] ابنةِ إسماعيل بن إبراهيم بن الخبّاز، قلت: أخبرك الشيخُ الإمامُ العالمُ زَينُ الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم[٢]، قال: حدثنا الشيخُ الإمامُ العالمُ الحافظُ أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ـ رحمه الله ـ[٣]:

---

(١) اسمها زينب، توفيت سنة (٧٤٩هـ)، لها ترجمة في: الدرر الكامنة (١١٨/٢ ـ ١١٩).

(٢) المقدسي، المتوفى سنة (٦٦٨هـ)، له ترجمة في: ذيل طبقات الحنابلة (٢٧٨/٢ ـ ٢٨٠).

(٣) الإسناد إلى المصنف من النسخة الثانية.

١/ أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم السِّلَفِيُّ الأصبهانيُّ ﷺ بثَغْر الإسكندرية، أبنا أبو ياسر محمد ابن عبد العزيز بن عبد الله الخيّاط ببغداد، أبنا أبو علي محمد ابن أحمد بن الحسن بن الصَّوّاف، ثنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، حدثني أبي ـ رحمه الله ـ، ثنا فَزَارةُ[1]، أبنا فُلَيْحٌ، عن هلال بن علي، عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرَة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **« من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاةَ، وصام رمضان، فإنّ حقّاً على الله أن يدخله الجنةَ، هاجرَ في سبيل الله أو جلس في أرضه التي وِلِدَ فيها »**، قالوا: يا رسولَ الله، أفلا نُنَبِّىءُ الناسَ بذلك؟ قال: **« إنّ في الجنة مائةَ درجة أعدّها الله جلّ ثناؤه للمجاهد في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله تعالى فسلوه الفردوسَ؛ فإنه أوسطُ الجنة، وفوقه عرشُ الرحمن عزّ وجلّ، ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنة »**[2].

صحيح، رواه البخاري[3].

---

(١) ابنُ عمر ـــ وفي "المسند": ابن عمرو ـــ، أبو الفضل، قال الحسيني: « فيه نظر »، وقال أبو زرعة العراقي: « لا أعرفه ». "الإكمال" (٢/رقم: ٧٠٤)، و"ذيل الكاشف" (رقم: ١٢٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣٣٩)، عن فَزارَة، به.
وإسناده صحيح؛ إلاّ أن فيه وهماً من قِبَل فُلَيْح كما سيأتي.

(٣) في الجهاد (رقم: ٢٧٩٠)، عن يحيى بن صالح الوُحاظي، وفي التوحيد (رقم: ٧٤٢٣)، عن إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن فُلَيْح، كلاهما عن فُلَيْح، عن هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، فذكره.

٢/ أخبرنا أبو طاهر السِّلَفي، أبنا أبو طالب أحمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم البصري، ثنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله ابن بِشْران، أبنا أبو محمد دَعْلَج بن أحمد بن دَعْلَج، ثنا موسى بن هارون[١]، ثنا محمد بن عبد الله بن نُمَير، ثنا يحيى بن عيسى[٢]، عن الأعمش، عن عَمْرو بن مُرَّة، عن المغيرة بن سعد بن الأَخْرم، عن أبيه، أو عن عمِّه ـ الأعمش يشكّ ـ قال: أَتَيْتُ النبي ﷺ أريدُ أن أَسْأَلَه، فقيل لي: هو بعرفة، فاستقبلْتُه فأخذتُ بزمام الناقة، قال: فصاح بي ناسٌ من أصحابه، فقال: « **دعوه، فأربٌ[٣] ما جاء به** »، قال: قلت: يا رسول الله، دُلّني على عَمَلٍ يقرّبني من الجنة ويباعدني من النار، فقال:

وأخرجه كذلك أحمد (٢/٣٣٥)، وابن حبّان (الإحسان: ٥/رقم: ١٧٤٧)، من طريق أبي عامر العَقَدي، عن فُلَيْح، به كما عند البخاري.

وهذا الإسناد هو الصواب، ووهم فُلَيْح في الإسناد الأول في ذكره عبدَ الرحمن بنَ أبي عَمْرَة، والصواب: عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، وقد أوضح ذلك الحافظُ ابنُ حجر في "فتح الباري" (٦/١٥)، وذكر أن مما يؤكّد ذلك أن فُلَيْحاً كان يشكّ في ذكره عبدَ الرحمن بنَ أبي عَمْرَة، وأنه رجع إلى صواب الرواية وهو: عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، هكذا رواه الإمام أحمد (٢/٣٣٥)، والبيهقي (٩/١٥٨ ـ ١٥٩).

(١) هو: الحمّال، أبو عمران البزّاز.

(٢) كتب المصنفُ على حاشية نسخته: « يحيى بن عيسى هو: ابنُ عبد الرحمن الرملي الخزّاز، سمع الأعمش، مات سنة إحدى ومائتين ». قلت: وهو من رجال "التقريب"، وفيه وفي أصوله: (الجرّار) بجيم ومهملتين، فا لله أعلم.

(٣) وردت: (أَرِبٌ) بوزن كَتِف، أي: حاذق كامل، ووردت: (أَرِبَ) بوزن عَلِمَ، أي: أُصيبت آرابُه وسقطت، ووردت: (أَرَب) بوزن جمل، أي: حاجةٌ له. النهاية (١/٣٥).

« **لئِن كنتُ أَوْجَزْتُ في الخُطبة، لقد أَعْظَمْتَ وأطْولتَ المسألةَ** »، فسكت ساعة، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم قال: « **تعبُدُ ا الله ولاتشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت، وتحبُّ للناس ما تحبُّ أن يؤتى إليك، وما كرهتَ لنفسك فدَعِ الناسَ منه، خلِّ عن سبيل الناقة** »(١).

هكذا قال: (المغيرة بن سعد بن الأَخْرم)، وإنما هو: المغيرةُ بنُ عبد ا الله اليَشْكُري.

٣/ أخبرنا أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف اليوسُفي البغدادي بها، أبنا أبو الغنائم محمد بن علي بن مَيْمون النَّرْسي، أبنا أبو أحمد عبد الوهاب بن محمد بن موسى الغُنْدَجاني، أبنا أبو بكر أحمد بن عَبْدان بن محمد بن الفرَج الشيرازي الحافظ، أبنا أبو الحسن محمد بن سَهْل الفَسَوي المقرىء، أبنا أبو عبد ا الله محمد بن إسماعيل البخاري، قال: قال أبو اليَمان: أبنا شُعَيْب، عن عبد ا الله

---

(١) أخرجه أبو القاسم بن بِشْران في "الأمالي" (رقم: ٦٩١)، عن دَعْلَج، به.
والمغيرة بن سعد مقبول كما في "التقريب"، و لم أجد له متابع عن أبيه.
وأخرجه أبو نعيم في "فضائل الصحابة" (١٢٧٤/٣) من طريق الحسن بن سفيان، عن محمد بن عبد ا الله بن نمير، به.
وأخرجه عبد ا الله بن أحمد في "زيادات المسند" (٧٦/٤ ـ ٧٧)، وأبو نعيم كذلك (١٢٧٤/٣) من طريق عيسى بن يونس، عن الأعمش، به.
قال ابن الأثير في "أسد الغابة" (١٨٣/٢): « رواه عمرو بن علي، عن عبد ا الله بن داود، عن الأعمش، فقال: عن عمه، و لم يشك، ذكره أبو أحمد العسكري ».

ابن أبي حسين[1]، ثنا عيسى بن طلحة، عن عَمْرو بن مـرّة الجهـني، قـال: جاء رسـولَ ا لله ﷺ رجـلٌ مـن قُضاعَـة، فقـال: شـهدتُ أن لاإلـه إلاّ ا لله وأنّك رسولُ ا لله، وصليتُ الصلـواتِ الخمـس، وصمـتُ الشـهرَ، وقمـتُ رمضان، وآتيتُ الزكاة، قال: فقال له: ((**مـن مـات على هـذا كـان مـن الصّدّيقين والشهداء**))[2].

٤/ أخبرنا أبو بكر عبـد ا لله بـن محمـد بـن أحمـد بـن النّقّـور الـبزّاز البغدادي بها، أبنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بن يوسف، أبنا أبو علـي الحسن بن علي بن المُذْهِـب التميمـي، أبنـا أبـو بكـر أحمـد بـن جعفـر بـن حَمْدان بن مالك القَطيعي، ثنـا عبـد ا لله بـن أحمـد بـن محمـد بـن حنبـل، حدثني أبي، ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن سالم بـن الجَعْـد، عـن يزيد بن بِشْر، عن ابن بشر، عن ابن عمر قال: ((**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لاإله إلا ا لله، وإقـام الصـلاة، وإيتـاء الزكـاة، وحـجّ البيـت، وصوم رمضان**))، قال: فقال له رجل: والجهاد في سـبيل ا لله عـزّ وجـلّ؟ فقال: ((**الجهاد حسن، هكذا حدّثنا رسول ا لله ﷺ**))[3].

---

(١) هو: عبد ا لله بن عبد الرحمن بن أبي حسين النّوْفَلي.

(٢) أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" (٣٠٨/٦) كما أورده المصنف.

وإسناده صحيح.

وأخرجه البزّار (كشف الأستار: ١/رقـم: ٢٥)، وابـن أبـي عـاصم في "الآحـاد والمثـاني" (٢٣/٥)، والفسوي في "المعرفة و التاريخ" (٣٣٣/١) من طرق، عن أبي اليَمان، به.

(٣) أخرجه أحمد (٢٦/٢)، عن وكيع، به.

وإسناده منقطع بين سالم بن أبي الجَعْد ويزيد بن بِشْر، وبينهما: عطيّة العـامري مـولى بـني

٥/ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن حمزة بن أبي حميد القرشي الدمشقي بها، أبنا أبو الحسن علي بن المُسَلَّم السلمي، أبنا عبد العزيز بن أحمد التميمي، أبنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي نَصْر، أبنا جعفر بن محمد بن عَدَبَّس الكندي، ثنا أبو زَيْد عبد الرحيم بن أحمد الحَوْطي، ثنا أبو الهيثم، ثنا أبو مَعْشَر[١]، عن سعيد المَقْبُري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((**نِعْمَ الشهرُ شهرُ رمضان، تُفتَح فيه أبوابُ الجنة، وتُغَلَّقُ فيه أبواب النار، وتُصَفَّدُ فيه الشياطين، ويُغْفَرُ فيه إلاّ لِمَنْ أبى**))، قالوا: ومن يأبى يا رسولَ الله؟ قال: ((**الذي لايستغفر**))[٢].

٦/ أخبرنا عبد الله بن محمد بن أحمد، أبنا عبد القادر بن محمد، أبنا الحسن بن علي، أبنا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله،حدثني أبي، ثنا عفّان، ثنا حمّاد بن سلمة، أبنا محمد بن عَمْرو[٣]، عن أبي هريرة، أنّ رسول الله ﷺ قال، وثابت، عن الحسن، عن النبي ﷺ : ((**من صام رمضان إيماناً**

عامر، بيّن ذلك البخاري في "التاريخ" (٣٢٢/٨) وابنُ أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٣٨٣/٦ - ٣٨٤).

وأخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٣٠/٦٥ - ١٣١) من طريقين، عن منصور، به، وأعلّه بالانقطاع المذكور.

والحديث من دون ذكر الجهاد عند البخاري (رقم: ٨)، ومسلم (رقم: ١٦).

(١) هو: السندي المدني، اسمه: نَجيح بن عبد الرحمن.

(٢) إسناده ضعيف؛ لضعف أبي مَعْشَر المدني كما في "التقريب".

وأخرجه الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" (٣١٨/٥)، وابن شاهين في "فضائل رمضان" (رقم: ١٤) كلاهما من طريق محمد بن بكّار الريّان، عن أبي معشر، به.

(٣) ابن علقمة بن وقّاص اللّيْثي.

واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر »[١].

٧/ أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفي، أبنا أبو الخطّاب نَصْر بنُ أحمد بن عبد الله بن البَطِر القارىء ببغداد، أبنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن رَزْقَوَيه البزّاز، ثنا أحمد بن سَلْمان الفقيه النَّجَّاد، ثنا محمد بنُ إسماعيل السُّلَمي[٢]، ثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَيْن، ثنا نَصْر بن علي الجَهْضمي، حدثني النضر بن شَيْبان أنه لقيَ أبا سلمة بنَ عبد الرحمن بن عوف فقال: حَدِّثني أفضلَ شيء سمعتَه يُذْكَر في رمضان، فقال أبو سلمة: حدَّثني عبدُ الرحمن بنُ عوف ﷺ أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان، ففضّله على الأشهر بما فضّله الله عزّ وجلّ به، وقال: « **إن شهر رمضان فرضَ الله صيامَه على المسلمين، وسننتُ قيامَه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرجَ من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه** »[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٨٥)، عن عفّان، به.
وهو بإسناده الأول حسن، والإسناد الثاني من مرسل الحسن.
وجملة (وما تأخّر) شذّ بها حمّاد بن سلمة؛ فقد خالفه جماعةٌ فرووا الحديث دون ذكرها.
أخرجه الترمذي (٣/٦٧/رقم: ٦٨٣)، وابن ماجة (رقم: ١٣٢٦)، وابن حِبّان (الإحسان: ٨/رقم: ٣٦٨٢)، وأحمد أيضا (٢/٥٠٣) من طرق، عن محمد بن عمرو، به دون ذكر (وما تأخر).
والحديث عند البخاري (رقم: ١٩٠١)، ومسلم (رقم: ٧٦٠) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة دون تلك الجملة.

(٢) أبو إسماعيل الترمذي.

(٣) إسناده ضعيف؛ لأجل النضر بن شيبان، فإنه ليّن الحديث كما في "التقريب"، وفيه علّة ثانية وهي الانقطاع؛ فقد جزم جماعةٌ من الأئمة أن أبا سلمة لم يسمع من أبيه
-

٨/ أخبرنا أحمد، أبنا نَصْر بن أحمد، أبنا محمد، ثنا أحمد بن سَلْمان، ثنا يحيى بن أبي طالب، أبنا عبد الوهاب بن عطاء، أبنا سعيد الجُرَيري، عن يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير قال: لَقِيَني رجلٌ بذات عِرْق(١)، فحدّثني عن أبي هريرة قال: « **أَوْضَعُ ما يصيب صاحبُ شهر رمضان إذا أحسن صيامَه وقيامَه: أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه** »(٢).

٩/ أخبرنا أحمد، أبنا نَصْر، أبنا محمد، ثنا أحمد بن سَلْمان الفقيه، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شَيْبَة العَبْسي، ثنا أبو بلال الأَشْعَري، ثنا الحسن بن عبد الله الكِنْدي، عن ابن أيوب البَجَلي(٣)، عن عامر الشَّعْبي، عن نافع بن بُرْدَة، عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ ودخل شهر رمضان ـ، فقال: « **لو يعلم الناس ماهم في شهر رمضان، لتمنّت أمّتي أن تكون السنةُ كلُّها شهر رمضان** »، ثم ذكر الحديث(٤).

عبد الرحمن ابن عوف، ذكر ذلك الحافظ بن حجر في "التهذيب" (٤/٥٣٢).

والحديث غلط في إسناده النضرُ بنُ شيبان، وقد رواه جماعةٌ من الثقات عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وهو الصواب.

وأخرجه النسائي (رقم: ٢٢٠٧)، عن إسحاق بن إبراهيم، عن الفضل بن دكين، به، وقال عقبه: « هذا خطأ، والصواب: أبو سلمة، عن أبي هريرة ».

وأخرجه ابن ماجه (رقم: ١٣٢٨) من طريقين، عن الجهضمي، به.

(١) مُهَلُّ أهل العراق، وهو الحد الفاصل بين نجد وتِهامة. معجم البلدان (٤/١٠٧).

(٢) إسناده ضعيف؛ لجهالة الراوي عن أبي هريرة.

(٣) اسمه: جرير بن أيوب البجلي.

(٤) إسناده ضعيف جدا؛ فإن ابنَ أيوب البجلي مشهور بالضعف كما في "الميزان"(١/٣٩١).

والحديث بطوله أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٣/رقم: ١٨٨٦)، وأبو يعلى

١٠/ أخبرنا أحمد، أبنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن العلاّف ببغداد، أبنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر الحمّامي المقرىء، أبنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن مهران القَرْميسيني بالمَوْصل، ثنا أبو محمد عبد الله بن الحسن بن نعمان القزّاز إملاءً، ثنا أبو كُرَيب، ثنا أبو بكر بن عيّاش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « **إذا كان شهرُ رمضان صُفِّدتِ الشياطين ومَرَدَةُ الجنّ، وغُلِّقت أبوابُ النار فلم يُفتَح منها باب، وفُتِّحَت أبوابُ الجنّة ولم يُغلَق منها باب، وينادي منادٍ: يا باغي الخير أَقْبِل، ويا باغي الشرّ أَقْصِر، و لله عُتَقَاء من النار في كل ليلة** »(١).

في "مسنده" (٩/رقم: ٥٢٧٣)، وابن أبي الدنيا في "فضائل رمضان" (رقم: ٢٢)، وقِوام السنة في "الترغيب والترهيب" (٢/رقم: ١٧٦٥) من طريق عبد الله بن رجاء، عن جرير، به.

وقد أشار ابن خزيمة لضعفه بقوله: (إن صحّ الخبر).

وقال الحافظ ابن حجر في "المطالب العالية" (٣/٢٢٤): « تفرّد به جرير بن أيوب، وهو ضعيف جدا ».

وسيورده المصنف بطوله برقم (٢٣).

(١) أخرجه الترمذي (رقم: ٦٨٢)، وابن ماجة (رقم: ١٦٤٢)، وابن خزيمة (٣/رقم: ١٨٨٣)، كلهم عن أبي كريب محمد بن العلاء، عن أبي بكر بن عيّاش، به.

قال العلاّمة الألباني في "تعليقه على ابن خزيمة": « إسناده حسن؛ للخلاف في أبي بكر ابن عيّاش من قِبَل حفظه ».

وقال الحافظ ابن حجر في أبي بكر بن عياش: « ثقة عابد، إلا أنه لما كبر ساء حفظه، وكتابه صحيح ».

١١/ أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال الدقّاق، أبنا أبو الحسين عاصم بن الحسن بن عاصم، أبنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مَهْدي، أبنا أبو عبد الله محمد بن مَخْلَد العطّار الدوري، ثنا طاهر بن خالد بن نِزار الأيْلي، ثنا أبو علي أحمد بن إبراهيم، ثنا زكريا - يعني: ابنَ نافع -، ثنا عبّاد - يعني: الخوّاص -، عن ابن عَوْن، عن أبي قِلابة، أن النبي ﷺ قال: « **قد جاءكم شهرُ رمضان، افترض الله عليكم صيامَه، تُفْتَح فيه أبواب السماء، وتُغَلُّ فيه الشياطين، وتُغْلَقُ فيه أبوابُ الجحيم، فيه ليلةٌ خيرٌ مِنْ ألف شهر** »[١].

١٢/ أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن أحمد بن مَحْبوب المُسْدي بالحَريم الطاهر[٢] مِنْ غربي بغداد، أبنا الشريف أبو العِزّ محمد بن المختار ابن المؤيّد بالله، أبنا أبو علي الحسن بن علي بن المُذْهِب التميمي، ثنا عمر ابن أحمد بن عثمان[٣]، ثنا أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الحرّاني

---

(١) إسناده مرسل، والحديث صحيح تشهد له أحاديث كثيرة بعضها في هذا الجزء المبارك.

وأخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٤/رقم: ٧٣٨٣)، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قِلابة.

وخالف جمعٌ من الرواة معمراً، فرووه عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

هكذا أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢/رقم: ٨٨٦٧) عن معتمر بن سليمان، وأحمد (٢/٢٣٠) عن إسماعيل بن عُلَيَّة، والنسائي (رقم: ٢١٠٥) عن عبد الوارث بن سعيد، وأحمد أيضا (٢/٣٨٥) عن حمّاد بن زيد، أربعتهم عن أيوب، به.

(٢) يقع أعلى مدينة بغداد في الجانب الغربي. معجم البلدان (٢/٢٥١).

(٣) هو: الحافظ أبو حفص بن شاهين.

بالرَّقَّة، ثنا محمد بن عبيد الله القَرْدُوَاني، حدثني أبي[١]،عن سابق البَرْبَري عن أبان[٢]، عن سعيد بن جُبَير، عن عبد الله بن عمر،قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: « **إنّ أبواب الجنان تُفْتح في أول ليلة من رمضان إلى آخر ليلة منه فلا يُغْلَقُ منها باب، وتُغلق أبواب جهنم من أول ليلة من رمضان إلى آخر ليلة منه فلا يُفتح منها باب، وتُغَلُّ فيه مَرَدَة الشياطين لِحَقِّ رمضان وحرمته، ويبعث الله مناديا ينادي في السماء الدنيا كلَّ ليلة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، يا باغي الخير هلمّ، مَن داعٍ يُستجاب له؟ مَن سائلٌ يُعطى سؤلَه؟ مَن يستغفر يُغفر له؟ مَن تائبٌ يُتَب عليه؟ و لله تعالى عُتَقاء عند وقت فطر كل ليلة من شهر رمضان، عباد وإماء** »[٣].

١٣/ أخبرنا أحمد بن محمد، أبنا نصر بن أحمد بن البَطِر، أبنا أبو الحسن بن رَزْقَويه، ثنا أحمد بن سلْمان الفقيه، ثنا يحيى بن جعفر بن أبي طالب قراءةً عليه، أبنا عبد الوهّاب بن عطاء، ثنا سعيد بن أبي عَروبَة، عن قتادة قال: « ذُكِر لنا أن ليالي رمضان ونهارَها تُفتح فيها أبواب السماء، فينادي كلَّ ليلة منادٍ من أول الليل: هل مِن داعٍ فيُستجاب له؟ هل مِن

---

(١) عبيد الله بن يزيد القَردُواني.

(٢) ابن أبي عياش.

(٣) أخرجه أبو حفص بن شاهين في "فضائل رمضان" (رقم: ١٢)، عن محمد بن سعيد الحراني، به.

وإسناده ضعيف جدا؛ أبان بن أبي عياش متروك كما في "التقريب"، وعبيد الله بن يزيد القردواني مجهول.

سائلٍ فيُعطى سُؤلَه؟ هل مِن مستغفرٍ فيُغفر له؟ وكان يُقال: مَن لم يُغفر له في رمضان فلن يُغفر له »[١].

١٤/ أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال الدقّاق ببغداد، أبنا أبو الفضل عبد الله بن علي بن زِكْري، أبنا أبو الحسين علي بن محمد ابن عبد الله بن بِشْران، أبنا محمد بن عمرو بن البَخْتَري، ثنا أحمد بن الوليد الفحّام، ثنا أبو أحمد الزُّبَيري، ثنا كثير بن زيد، عن عمرو بن تميم، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **أظلّكم شهرُكم هذا، بمَحْلوف رسول الله ما مرّ على المسلمين شهرٌ خيرٌ لهم [منه]، ولا يأتي على المنافقين شهرٌ شرٌّ لهم منه، بمَحْلوف رسول الله إن الله يكتب أجرَه وثوابَه مَن قبل أن يدخل، وذلك أن المؤمن يعدّ فيه النفقةَ للقوة في العبادة، ويعدّ المنافقُ فيه اغتيابَ المؤمنين واتباعَ عوراتهم، فهو غُنْمٌ للمؤمن ومعصيةٌ للفاجر - يعني: شهر رمضان -** »[٢].

---

(١) إسناده إلى قتادة حسن، رجاله ثقات غير عبد الوهّاب بن عطاء فهو صدوق كما في "التقريب".

ويشهد لبعضه الحديث السابق برقم (١٢).

(٢) إسناده ضعيف، علّته عمرو بن تميم المازني قال فيه البخاري - كما في "الميزان" (٣/٢٤٩) - : « في حديثه نظر ». وأبوه تميم مجهول كما في "الإكمال" (رقم: ٨٩).

وأخرجه البيهقي (٤/٣٠٤) من طريق أحمد بن الوليد الفحّام ويحيى بن جعفر بن الزبرقان، كلاهما عن أبي أحمد الزبيري.

وأخرجه في "الشعب" (٣/٣٠٤/رقم: ٣٦٠٧)، عن ابن بِشْران، به.

وأخرجه الإمام أحمد (٢/٥٢٤)، عن أبي أحمد الزبيري.

وأخرجه هو (٢/٥٢٤)، وابن خزيمة (٣/رقم: ١٨٨٤)، والطبراني في "الأوسط" (رقم: ٩٠٠٨)، وابن شاهين في "فضائل رمضان" (رقم: ٢٥) من طرق، عن كثير بن زيد.

١٥/ أخبرنا ابنُ النَّقُّور، أبنا ابنُ يوسف، أبنا ابنُ المُذْهِب، أبنا ابنُ مالك، ثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر، عن الزهري، عن أبي أُنَيْس، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا دخل شهرُ رمضان فُتحت أبوابُ الرحمة، وأُغلقت أبواب جهنم، وسُلْسِلت الشياطين**))(١).

ابنُ أبي أُنَيْس اسمُه: نافع.

١٦/ أخبرنا أحمد بن محمد، أبنا أبو مطيع محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز المصري بأَصْبهان، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المعدّل، ثنا عبد الله بن جعفر بن فارس، ثنا أبو مسعود الرازي، ثنا إسماعيل بن يزيد القطّان، ثنا إبراهيم بن الأَشْعَث، ثنا حفص بن غِياث، عن كثير بن زَيْد، عن عَمْرو بن تميم، عن أبيه، أنه سمع أبا هريرة يقول: كان رسول الله ﷺ يقول إذا دنا رمضان: ((**قد أظلّكم شهرُ رمضان فاغتنموه، فبِمَحْلوف رسول الله ما دخل على المسلمين شهرٌ قط خيرٌ منه، ولادخل على المنافقين شهرٌ قط شرٌّ منه، بمَحْلوف رسول الله إن**

(١) أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٤/١٧٦)، وعنه الإمام أحمد (٢/٢٨١).

وأخرجه كذلك عبد بن حميد (٣/٢٠٤)، عن عبد الرزاق.

وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه البخاري (رقم: ١٨٩٩)، ومسلم (رقم: ١٠٧٩) من طرق، عن الزهري.

ورواه مالك في "الموطأ" (رقم: ٥٩)، عن عمه أبي سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة موقوفا.

وصوّب المرفوعَ الدارقطنيُّ في "الأحاديث التي خولف فيها مالك" (ص١٥٣).

ا لله عزّ وجلّ يكتب للمؤمن أجرَه ونوافله مِنْ قبل أن يدخلـه، ويكتـب للمنافق شقاءَه ووِزْرَه مِنْ قبل أن يدخله، وذلك أن المؤمن يعدُّ فيه القوّةَ على العبادة والكفَّ عن الأذى والانبساطَ في النفقـة، ويعـدُّ فيـه المنـافقُ اتبـاعَ غفـلاتِ المؤمنـين واتبـاعَ عوراتهـم والتفـرُّغَ لأذى المسـلمين، وهوغُنْمٌ للمؤمن، ونِقْمَةٌ للفاجر))[1].

١٧/ أخبرنا أبو بكر بـن النَّقُّـور، أبنـا أبـو طـالب بـن يوسـف، أبنـا الحسن بن علي، أبنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبـد ا لله بـن أحمـد بـن حنبـل، حدثني أبي ـ رحمه ا لله ـ، ثنا إسماعيل بن إبراهيـم، ثنـا أيـوب[2]، عـن أبـي قِلابة، عن أبي هريرة قال: لما حَضَـرَ رمضـان قـال رسـول ا لله ﷺ: ((**قـد جاءكم شهرُ رمضان، شهرٌ مبارك، افترض ا لله عليكم صيامَه، تُفْتَحُ فيه أبوابُ الجنة، وتُغْلَقُ فيه أبوابُ الجحيم، وتُغَـلُّ فيـه الشـياطين، فيـه ليلـةٌ خيرٌ من ألف شهر، مَنْ حُرِمَ خيرَها فقد حُرِم))[3].**

١٨/ أخبرنا أحمد بن محمد، أبنا نَصْر بن أحمد بن البَطِـر، أبنـا محمـد ابن أحمد بن رَزْقَويه، ثنا أحمد بن سَلْمان الفقيه، ثنا الحارث بـن محمـد بـن

(١) إسناده ضعيف، وقد سبق من طريق آخر برقم (١٤).

(٢) هو: ابن أبي تميمة السختياني.

(٣) أخرجه أحمد (٢/٢٣٠ و ٤٢٥)، عن إسماعيل ـ هو: ابن عُلَيَّة ـ، به.

وأخرجه هو (٢/٣٨٥)، والنسائي (رقم: ٢١٠٥)، كلاهما من طريق حمّاد، عن أيوب.

قال الألباني في "صحيح سنن النسائي" (٢/٤٥٦): ((صحيح)).

وأخرجه عبد الرزاق (٤/رقم: ٧٣٨٣)، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قِلابة مرسلاً.

قال الدارقطني في "العلل" (١١/٢١٨): ((والصحيح: عن أبي قلابة، عن أبي هريرة)).

أبي أسامة التميمي، ثنا يزيد بن هارون، أبنا هشام بن أبي هشام، عن محمد بن محمد بن الأَسْوَد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « **أُعْطِيَتْ أمتي خمسَ خصال في شهر رمضان لم تُعْطَهُن أمةٌ قبلهم: خُلوف فم الصائم أَطْيَبُ عند الله من ريح المِسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويُزَيِّنُ الله كلَّ يوم جنَّته ثم يقول: يوشك عبادي الصالحون أن يُلقُوا عنهم المُؤْنَةَ والأذى ويصيروا إليكِ، وتُصَفَّدُ فيه مَرَدَةُ الشياطين فلا يَخْلُصون فيه إلى ما كانوا ـ يعني: يَخْلُصون ـ إليه في غيره، ويُغْفَرُ لهم في آخر ليلة** »، قيل: يا رسول الله، هي ليلة القدر؟ قال: « **لا، ولكنّ العامل يُوَفَّى أجرَه إذا قضى عملَه** »(١).

١٩/ أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ، أبنا نَصْر بن أحمد بن البَطِر القارىء، أبنا محمد بن أحمد بن رَزْقَويه، ثنا أحمد بن سَلْمان الفقيه، ثنا

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في "مسنده" (بغية الباحث: ١/رقم: ٣١٩)، عن يزيد بن هارون، به.

وسنده ضعيف كما قال البوصيري في "مختصر إتحاف الخِيَرَة" (٢٣٩/٤)؛ فإن هشام بن أبي هشام زيادٍ قال فيه الحافظ في "التقريب": « متروك »، وبه أعلّه الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٤٠/٣)، وكذا ضعّفه الحافظ ابن حجر في "المطالب العالية" (٢٢٥/٣).

و الحديث أخرجه أحمد (٢٩٢/٢)، عن يزيد بن هارون، به.

وأخرجه البزار (كشف الأستار: ٤٥٨/١)، عن إسحاق بن جبريل البغدادي، عن يزيد.

وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٧/رقم: ٣٣٣٠) من طريق الحسن بن مكرم، عن يزيد.

وله شاهد ضعيف أخرجه البيهقي في "الشعب" (٧/رقم: ٣٣٣١) من حديث جابر، وفي إسناده زيد بن الحواري العَمّي، وهو ضعيف كما في "التقريب".

يعقوب بن يوسف المُطَّوِّعي، ثنا علي بن جعفر(١)، ثنا إسحاق بن منصور(٢)، عن الحسن بن صالح، عن أبي بِشْر(٣)، عن الزهري، قال: « **تسبيحةُ ليلةٍ في شهر رمضان أفضلُ من ألف تسبيحةٍ في غيره** »(٤).

٢٠/ أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النَّقُّور البزّاز ببغداد، أبنا أبو بكر أحمد بن المُظَفَّر بن الحسين بن سَوْسَن التمّار، أبنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الله الحُرْفي، ثنا أحمد بن سَلْمان الفقيه، ثنا هلال بن العلاء، ثنا أبي، ثنا هُشَيْم(٥)، أبنا العوّام بن حَوْشَب، أبنا عبد الله بن السائب(٦)، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **الصلاةُ المكتوبةُ إلى الصلاةِ المكتوبةِ التي بعدها كفّارة لما بينهما، والجمعةُ إلى الجمعةِ والشهرُ إلى الشهرِ** - يعني: شهرَ رمضان - **كفّارة لما بينهما** »، ثم قال بعد ذلك: « **إلاّ مِنْ ثلاث** »، فعرفتُ بعدُ أنّ ذلك لأَمْرٍ

---

(١) ابن زياد الأحمر، أبو الحسن التميمي الكوفي، وثّقه أبو حاتم الرازي كما في "الجرح والتعديل" (٦/١٧٨).

(٢) هو السَّلولي.

(٣) اختُلف في اسمه، وقال الحافظ: « مجهول ».

(٤) إسناده ضعيف؛ لجهالة أبي بشر، قال فيه الذهبي: « لا يُعرف، تفرّد عنه الحسن بن صالح ابن حيّ ». "الميزان" (٤/٤٩٥).
وأخرجه ابن أبي الدنيا في "فضائل رمضان" (رقم: ٢٣)، عن علي بن جعفر، به.
وأخرجه قِوام السنة في "الترغيب والترهيب" (٢/رقم: ١٧٦٠) من طريق يحيى بن آدم، عن الحسن بن صالح، به.

(٥) ابن بشير.

(٦) هو: أبو السائب الأنصاري المدني، مولى بني زهرة.

حَدَثَ، قال: « **إلا من الإشراك با لله عزّ وجلّ، ونَكْث الصفقة، وترك السُّنَّة** »، قال: « **أما نَكْثُ الصفقة: تبايعُ رجلاً بيمينك، ثم تخالف إليه فتقاتله بيمينك، وأما ترك السُّنَّة: فالخروج من الجماعة** »[1].

أخرجه الإمام أبو عبد ا لله أحمد بن حنبل في **المسند**[2]، عن هُشَيْم، بإسناده مثله.

٢١/ أخبرنا أبو عبد ا لله محمد بن حمزة بن أبي جميل القرشي الدمشقي بها، أبنا علي بن المُسَلَّم السُّلَمي، أبنا عبد العزيز بن أحمد

---

(١) أخرجه أبو القاسم الحُرْفي في "الأمالي" (ق٢٢٥/ب ـ ضمن مجموع)، عن أحمد بن سلمان، به.
وإسناده حسن، لكن قد خولف هُشَيم كما سيأتي.

(٢) (٢٢٩/٢).
وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٤/رقم: ٣٦٢٠)، والحاكم (٢٥٩/٤) من طريقين، عن العوّام بن حَوْشَب، به.
وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح الإسناد، و لم يخرّجاه »، ووافقه الذهبي.
وقد خولف هُشَيْم.
فأخرجه أحمد (٥٠٦/٢)، عن يزيد بن هارون، عن العوّام بن حوشب، حدثني عبد ا لله ابن السائب، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة.
وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة الراوي عن أبي هريرة.
قال الدارقطني في "العلل" (٤٧/١١): « وقول يزيد أشبه بالصواب ».
لكن أخرجه الحاكم (١١٩/١ ـ ١٢٠) من طريق سعيد بن مسعود، عن يزيد بن هارون، به دون ذكر الرجل المبهم، وقال عقبه: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم؛ فقد احتجّ بعبد ا لله بن السائب الأنصاري، ولا أعرف له علّة »، ووافقه على هذا الذهبي.

التميمي، أبنا أبو الحسن علي بن الحسن الحافظ، أبنا أبو علي الحسن بن سعيد الحِمْصي، أبنا الفضل بن المُهاجر المقدسي، ثنا عبد الله بن أحمد بن خالد الأُمَوي، ثنا هشام بن عمار، ثنا سلاّم بن سوّار(١)، ثنا مَسْلَمَة بن الصَّلْت، عن الزهري، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ رَحْمَةٌ، ووَسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ** »(٢).

٢٢/ أخبرنا محمد بن حمزة القرشي، أبنا أبو الحسن علي بن المُسَلَّم السُّلَمي، أبنا عبد العزيز بن أحمد الصوفي، أبنا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن هو: الصابوني النيسابوري، أبنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حَمْدان بن مالك، ثنا إسحاق ابن الحسن الحربي ومحمد بن يوسف القرشي، قالا: ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا عمرو بن حمزة القَيْسي أبو أَسِيد، ثنا خَلَف أبو الربيع(٣)، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ لما حضره رمضان قال: « **سبحان الله،**

---

(١) هو: سلاّم بن سليمان بن سوّار المدائني، ابن أخي شبّابة بن سوّار.

(٢) إسناده ضعيف جدا؛ سلاّم بن سوّار ضعيف كما في "التقريب"، ومسلمة بن الصلت قال فيه أبو حاتم الرازي: « متروك الحديث ». "الجرح والتعديل" (٨/٢٦٩).

والحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في "فضائل رمضان" (رقم: ٣٧)، والعقيلي في "الضعفاء" (٢/١٦٢)، وابن عدي في "الكامل" (٣/١١٥٧)، والشجري في "الأمالي" (١/٢٦٤) من طرق، عن هشام بن عمار، به.

وقال العقيلي: « لاأصل له من حديث الزهري ».

وأورده الألباني في "الضعيفة" (رقم: ١٥٦٩)، وقال: « منكر ».

(٣) العدوي، اسمه: خلف بن مهران.

ماذا تستقبلون، وماذا يُسْتَقْبَلُ بكم؟ »، قالها ثلاثاً، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، وحيٌ أُنْزل، أو عدوٌّ حضر؟ فقال: « **لا، ولكنّ الله عزّ وجلّ يغفر في أول ليلة من شهر رمضان لكل أهل هذه القبلة** » قال: وفي ناحية القوم رجل يهزّ رأسه قال: بَخٍ بَخٍ، فقال له النبي ﷺ : « **كأنّك ضاق صدرُك مما سمعت** »، قال: لا والله يا رسول الله، ولكن ذكرتُ المنافقين، فقال النبي ﷺ : « **إن المنافقَ كافرٌ، وليس لكافرٍ في ذا شيءٌ** »[1].

٢٣/ أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ، أبنا أبو ياسر محمد بن عبد العزيز، ثنا أبو القاسم بن بِشْران، أبنا أحمد بن جعفر ابن حَمْدان بن مالك، ثنا محمد بن يونس، ثنا عبد الله بن رجاء الغُداني، أبنا جرير بن أيوب البَجَلي، عن الشَّعْبي، عن نافع بن بُرْدَة، عن

---

(١) إسناده ضعيف؛ لأجل عمرو بن حمزة، قال البخاري: « لا يُتابع على حديثه »، وسكت عنه ابن أبي حاتم. "التاريخ الكبير" (٦/٣٢٥) و"الجرح والتعديل" (٦/٢٢٨).
والحديث أخرجه أبو القاسم الحُرْفي في "الأمالي" (ق٢٢٤/أ)، وابن فنجويه في "مجلس من أماليه" (ق١٤٥/أ - ضمن مجموع)، كلاهما من طريق مسلم بن إبراهيم، به.
وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (رقم: ٤٩٣٥)، وابن خزيمة في "صحيحه" (٣/رقم: ١٨٨٥)، والبيهقي في "الشعب" (٤/رقم: ٣٦٢١) من طرق، عن عمرو بن حمزة، به.
قال الطبراني: « لا يُروى هذا الحديث عن أنس بن مالك إلاّ بهذا الإسناد، تفرّد به عمرو ابن حمزة ».
وأشار ابن خزيمة لضعفه قائلاً: « إن صحّ الخبر ».
وأورده الألباني في "الضعيفة" (رقم: ٢٩٨)، وقال: « وجملة القول أن الخبر عندي منكر».

ابن مسعود[١]، أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: ((**إذا أهلَّ شهر رمضان هبَّت ريح من تحت العرش، فصفّقت ورق الجنان، فيَنظر الحورُ العينُ إلى ذلك فيقولون: أيْ رب، اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجاً تَقَرُّ أعينُهم بنا وتَقَرُّ أعيننا بهم، قال: فما من عبد صام رمضان إلا زوّجه زوجةً من الحور العين مما نعَت ا لله عزّ وجلّ فقال: ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾[٢]، لكل امرأة منهن سبعون ألف وَصيف وسبعون ألف وَصيفة لحاجاتها، ولكل امرأة منهن ألف وَصيف بيد كل وصيف صَحْفة من ذهب فيها لَوْن من طعام يجد لآخر لُقمة كما يجد لأوّلها، يُعطَى زوجُها مثل ذلك، على سريرٍ من ياقوت،عليه إكليلٌ من ياقوت، في يديه سِواران، فهذا لكل يوم صامه من رمضان، سوى ما عمل من الحسنات**))[٣].

---

(١) هو: الغِفاري، قيل: اسمه عبد ا لله، وقيل: عروة.

(٢) الآية (٧٢) من سورة الرحمن.

(٣) أخرجه أبو القاسم بن بِشْران في "الأمالي" (رقم: ٩١٧) هكذا.

وإسناده ضعيف جداً؛ آفته جرير بن أيوب، فإنه مشهور بالضعف كما في "الميزان" (١/٣٩١).

وأخرجه ابن الجوزي في "الموضوعات" (٢/رقم: ١١١٩) من طريق أبي الحسن علي بن إبراهيم بن المقريء، عن أحمد بن جعفر، به.

وأخرجه أبو يعلى في "مسنده" (٥/رقم: ٥٢٥١)، عن محمد بن يحيى بن أبي سمينة، عن عبد ا لله بن رجاء، به.

وأخرجه ابن خزيمة (٣/رقم: ١٨٨٦) من طريقين، عن جرير، به، وأشار لضعفه حيث قال: ((إن صح الخبر؛ فإن في القلب من جرير بن أيوب البجلي)).

٢٤/ أخبرنا محمد بن حمزة القرشي، أبنا علي بن المُسَلَّم، أبنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد، أبنا أبو القاسم عمرو بن طِراد بن عمرو ابن حاتم بن سَفَر الأَسَدي، أبنا القاضي أبو بكر يوسف بن القاسم المَيَانِجي. قال عبد العزيز: وأبنا إسماعيل بن عبد الرحمن، أبنا محمد ابن الفضل، قالا: أبنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبنا علي بن حُجْر ـ قال إسماعيل: السَّعْدي ـ ثنا يوسف بن زياد، ثنا همّام بن يحيى، عن علي بن زيد[١]، عن سعيد بن المسيّب، عن سَلْمان قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان، فقال: « **أيّها الناس، قد أظلّكم شهرٌ عظيم، شهرٌ مبارك، شهرٌ فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامَه فريضةً وقيامَ ليله تطوّعاً** ـ قال المَيَانِجي: « **من تصرّف فيه بخصلة من الخير** »، وقال إسماعيل: « **من تقرّب فيه بخصلة من الخير** » ـ **كان كمن أدّى فريضةً، ومن أدّى فريضةً كان كمن أدّى سبعين فريضةً فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبرُ ثوابُه الجنة، وشهرُ المواساة، وشهرٌ يُزادُ فيه** ـ وقال إسماعيل: « **في** »، ثم اتفقا ـ **رزقُ المؤمن، من فطّر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه وعتقَ رقبته من النار، وكان له مثلُ أجره من غير أن ينقص من أجره شيء** ـ زاد إسماعيل: « **ليس كلنا يجد ما يفطّر الصائم** »، ثم اتفقا ـ، **ويعطي الله عزّ وجلّ هذا الثوابَ من فطّر صائماً على تمرةٍ أو شَرْبَةِ ماءٍ** ـ قال إسماعيل: « **أو مَذْقَة[٢] لبن** »، ثم اتفقا ـ، **وهوشهرٌ أوله**

---

(١) هو: ابن جدعان.

(٢) المَذْقَة: الشربة من اللبن الممذوق أي المخلوط بالماء. النهاية في غريب الحديث (٤/٣١١).

رحمة، وأوسطُه مغفرة، وآخره عتقٌ من النار ››، انتهى حديث الميانجي، وزاد إسماعيل: « **واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين تُرضون بها ربَّكم، وخصلتين لا غنى بكم عنها، فأما الخصلتان اللّتان تُرضون بهما ربَّكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللّتان لا غِنى بكم عنهما، فتسألون الله عزّ وجلّ الجنة، وتعوذون به من النار، ومَنْ أَشْبع فيه صائماً سقاه الله من حَوْضي شَرْبةً لا يظمأ حتى يدخل الجنة** ››(١).

٢٥/ أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ،، أبنا أبو الخطّاب نَصْر ابن أحمد بن البَطِر، أبنا محمد بن أحمد بن رَزْقَويه، ثنا عثمان بن أحمد الدقّاق، ثنا أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بن سُنَيْن الخُتّلي، ثنا أبو عَمْرو العلاء بن عَمْرو الخراساني المعروف بالسُّنّي سنة ست وعشرين ومائتين، ثنا عبد الله بن الحَكَم البَجَلي ـ قال أبو عَمْرو: فشككت في شيء من هذا الحديث، فكتبتُه من الحسن بن يزيد، وكنت سمعتُهُ أنا والحسن من عبد الله ابن الحَكَم ـ، ثنا القاسم بن الحَكَم العُرَني، عن الضحّاك، عن ابن عبّاس، أنه سمع النبي ﷺ يقول: « **إنّ الجنّة لتُنَجَّد وتُزَيَّن من الحَوْل إلى الحَوْل**

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٣/رقم: ١٨٨٧)، عن علي بن حجر، به.

وإسناده ضعيف؛ لضعف علي بن زيد بن جدعان، ويوسف بن زياد قال فيه البخاري وأبو حاتم الرازي: « منكر الحديث ››، وقال الدارقطني: « هو مشهور بالأباطيل ››. التاريخ الكبير (٨/٣٨٨) والجرح والتعديل (٩/٢٢٢) والميزان (٤/٤٦٥).

وأخرجه ابن شاهين في "فضائل شهر رمضان" (رقم: ١٦)، والبيهقي في "الشعب" (٣/رقم: ٣٦٠٨)، وقوام السنة في "الترغيب والترهيب" (٢/رقم: ١٧٥٣) من طرق، عن علي بن حجر، به نحوه.

لدخول شهر رمضان، فإذا كانت أولُ ليلةٍ من شهر رمضان هبَّتْ ريحٌ من تحت العرش يقال لها المُثيرة، فتصطفق ورقُ أشجار الجنان وحِلَقُ المصاريع، فيُسمع لذلك طنينٌ لم يَسْمع السامعون أحسنَ منه، فيُشرف الحور العين حتى يقفن على شجر الجنان، فينادين: هل من خاطب إلى الله فيزوّجَه؟ ثم يَقُلْن: يا رضوان ما هذه الليلة؟ فيجيبُهُن بالتلبية، ثم يقول: يا خيراتٍ حسانٍ هذه أولُ ليلة من شهر رمضان، فتُفتح فيها أبوابُ الجنان للصائمين من أمّة محمدﷺ، ويقول الله عزّ وجلّ: يا رضوان افتحْ أبواب الجنان، يا مالك أغلقْ أبواب الجحيم عن الصائمين من أمّة محمد ﷺ، يا جبريل اهْبِطْ إلى الأرض فصفِّدْ مردةَ الشياطين وغُلَّهُم في الأغلال، ثم اقذِفْ بهم في لُجَج البحار حتى لا يفسدوا على أمّة حبيبي، ـ قال: ـ ثم يقول الله عزّ وجلّ في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات: هل من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ من يُقْرِضُ المَلِيَّ غَيْرَ المُعْدَم، الوَفِيَّ غيرَالظلوم؟ ـ قال: ـ و لله عزّ وجلّ في كل ليلة من شهر رمضان ألف ألف عتيق من النار، فإذا كان في ليلة الجمعة ـ أو يوم الجمعة ـ أَعْتَقَ في كل ساعة منها ألف ألف عتيق من النار، كلهم قد استَوْجَب العذابَ، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان، أعتق الله في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره، فإذا كانت ليلةُ القدر أمر الله تبارك وتعالى جبريل عليه السلام، فيهبط في كبكبةٍ من الملائكة، ومعه لواء أخضر، فيركّز اللواء على ظهر الكعبة وله ستمائة جناح، منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر فينشرهما تلك الليلة، فيجاوزان المشرق والمغرب ـ قال: ـ ويبثُّ جبريل عليه السلام الملائكة في هذه الأمة،

فيسلّمون على كل قائم وقاعد ومصلٍّ وذاكر، فيصافحونهم ويُؤَمّنون على دعائهم، حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر نادى جبريل عليه السلام: يا معشر الملائكة الرحيلَ الرحيلَ، فيقولون: يا جبريل، ما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة محمد ﷺ ؟ فيقول: إن الله عزّ وجلّ نظر إليهم في هذه الليلة فعفى عنهم وغفر لهم إلا أربعة ـ فقال رسول الله ﷺ: ـ وهؤلاء الأربعة: رجلٌ مُدْمِن خمرٍ، وعاقٌّ لوالديه، وقاطعُ رحم، ومشاحنٌ ـ فقيل: يا رسول الله، وما المشاحن؟ ـ قال: هو الصارم[1]، فإذا كانت ليلة الفطر سميت ليلة الجائزة، فإذا كان غداةُ الفطر يبعث الله تبارك وتعالى الملائكةَ في كل بلد، فيهبطون إلى الأرض، فيقومون على أفواه السكك، فينادون بصوت يسمعه جميعُ من خلق الله إلا الجنّ والإنس، فيقولون: يا أمّة محمد، اخرجوا إلى ربٍّ كريم يغفر العظيم، فإذا برزوا في مصلاّهم، يقول الله عزّ وجلّ: يا ملائكتي، ما جزاء الأجير إذا عمل عملَه؟ فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا، جزاؤه أن توفّيه أجره، فيقول الله عزّ وجلّ: أُشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثوابَهم من صيامهم شهرَ رمضان وقيامهم رضائي ومغفرتي، فيقول الله عزّ وجلّ: سلوني، فوَعزّتي وجلالي لاتسألوني اليوم شيئاً في جَمْعِكم هذا لآخرتكم إلاّ أَعْطَيْتكموه، ولا لدنياكم[2] إلاّ نظرت لكم، وعزّتي لأسترنّ عليكم عَثَراتكم ما راقبتموني، وعزّتي لا أُخْزيكم ولا أَفْضَحكم بين أصحاب الحدود ـ أو: الخدود، شكّ أبو عمرو ـ، انصرفوا

---

(١) أي: القاطع.

(٢) كتب المصنف: (لدنيا)، والمثبت من النسخة الثانية.

مغفوراً لكم، قد أَرْضَيْتُموني ورضيتُ عنكم، ـ قال: ـ فتفرح الملائكة ويستبشرون بما يعطي الله عزّ وجلّ هذه الأمّة إذا أفطروا »(١).

٢٦/ أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد، أبنا أبو الحسن علي بن أحمد ابن عمر الحَمّامي المقريء، ثنا أبو بكر محمد بن السريّ القَنْطَري وأبو الحسن محمد جعفر الخُوارزمي وأحمد بن محمد الواسطي ـ واللفظ لمحمد بن السريّ ـ، قالوا: ثنا الحسن بن عرفة، ثنا عبد الله بن الحَكَم(٢)البَجَلي، ثنا القاسم بن الحَكَم العُرَني، عن الضحّاك بن مُزاحِم، عن ابن عباس، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **إن الجنة لتُزَيّن وتُنَجّد من الحَوْل إلى الحَوْل لدخول شهر رمضان، فإذا كان أول ليلة من شهر رمضان هبّت ريحٌ من تحت العرش يقال لها المثيرة، فتصفّق أوراق أشجار الجنان وحِلَق مصاريع أبواب الجنان، فيُسمع لذلك طنينٌ لم يسمع السامعون أحسن منه، وتزيّن الحور العين حتى يقفن على شُرُف الجنة، فينادين: هل من**

---

(١) إسناده ضعيف؛ فإن الضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس كما في "جامع التحصيل في أحكام المراسيل" (ص١٩٩ ـ ٢٠٠)، وبين القاسم بن الحكم العُرَني والضحاك بن مزاحم انقطاعٌ أيضا، فإن بين وفاتيهما (١٠٨سنة).

وأخرجه ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (٢/٤٣ ـ ٤٥) من طريقين، عن نصر بن أحمد.

وأخرجه قوام السنة في "الترغيب والترهيب" (٢/رقم: ١٧٦٨) من طريق الحِنّائي، عن عثمان الدقّاق، به.

وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٣/رقم: ٣٦٩٥) من طريق يعقوب بن يوسف القزويني، عن القاسم بن الحكم العُرَني، عن هشام بن الوليد.

(٢) كتب المصنف: (عبد الله بن الحسن)، ولعله سَبْقُ قَلَم منه رحمه الله، وكذا هو في النسخة الثانية.

خاطب إلى ا لله فيزوّجه؟ ثم يقلن: يا رضوان! ما هذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية: يا خيراتٍ حسانٍ هذه أول ليلة من شهر رمضان، وتُفتح فيها أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ، يا جبريل اهبط إلى الأرض فصفّد مردةَ الشياطين وغُلّهم في الأغلال، ثم اقذِفْ بهم في لُجَج البحار حتى لا يفسدوا على أمّة حبيبي صيامَهم، ـ قال: ـ ثم يقول ا لله عزّ وجلّ في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات: هل من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ من يُقْرِضُ المَلِيَّ غَيْرَ المُعْدَم، الوَفِيَّ غيرَالظلوم؟ ـ قال: ـ و لله عزّ وجلّ في كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار، وإذا كانت ليلة الجمعة ـ أو يوم الجمعة ـ أَعْتَقَ ا لله في كل ساعة منها ألف عتيق من النار كلهم قد استَوْجَب العذابَ، فإذا كان في آخر يوم من شهر رمضان، أُعتِق في ذلك اليوم بعدد من أُعتِق من أول الشهر إلى آخره، فإذا كانت ليلةُ القدر أمر ا لله عز وجل جبريل، فيهبط في كبكبةٍ من الملائكة إلى الأرض ومعه لواء أخضر، فيركّز اللواء على ظهر الكعبة وله ستمائة جناح، منها جناحان لا ينشرهما إلا في كل ليلة قدر فينشرهما في تلك الليلة، فيجاوزان المشرق والمغرب، ويبثُّ جبريل عليه السلام الملائكة في هذه الليلة، فيسلّمون على كل قائم وقاعد ومصلٍّ وذاكر لله عز وجل، فيصافحونهم ويُؤَمّنون على دعائهم حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر نادى جبريل عليه السلام: يا معشر الملائكة الرحيلَ الرحيلَ، فتقول الملائكة: يا جبريل، ما صنع ا لله في حوائج المؤمنين من أمة محمد ﷺ ؟ فيقول: إن ا لله عزّ وجلّ نظر إليهم في هذه الليلة فعفى عنهم وغفر لهم إلا أربعة ـ قالوا: يا رسول ا لله من

هؤلاء الأربعة؟ قال: - رجلٌ مُدْمِن خمرٍ،وعاقٌّ لوالديه، وقاطعُ رحم، ومشاحنٌ - قالوا: هو الصارم - فإذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة، فإذا كانت غداةُ الفطر بعث الله الملائكةَ فيهبطون في كل بلاد الأرض، ويقومون على أفواه السكك، فينادون بصوت يسمعه جميعُ من خلق الله عز وجل إلا الجنّ والإنس، فيقولون: يا أمّة محمد، اخرجوا إلى ربٍّ كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا في مصلّاهم، يقول الله عزّ وجلّ للملائكة: يا ملائكتي! ما جزاء الأجير إذا عمل عملَه؟ - قال: - فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا جزاؤه أن يوفى أجره، - قال: - فيقول الله عزّ وجلّ: فإني أُشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم رمضان رضائي ومغفرتي، - قال: - يقول الله عزّ وجلّ: يا عبادي سلوني، فوعزّتي لاتسألوني اليوم شيئاً في جَمْعِكم هذا لأخراكم إلاّ أَعْطَيْتكم، ولا لدنياكم إلاّ نظرت لكم، وعزّتي لأسترنّ عليكم ما راقبتموني، وعزّتي لأَفْضَحنّكم بين أصحاب الذنوب، انصرفوا مغفوراً لكم، فقد أَرْضَيْتُموني ورضيتُ عنكم، - قال: - فتفرح الملائكة ويستبشرون بما يعطي الله عزّ وجلّ هذه الأمّة إذا أفطروا من شهر رمضان »[1].

٢٧/ أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد، أبنا علي بن محمد العلاّف، أبنا علي بن أحمد بن عمر الحَمّامي، ثنا بكّار، ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن

---

(١) إسناده كسابقه.

وأخرجه ابن أبي الصقر الأنباري في "مشيخته" (رقم: ٦٧) من طرق، عن الحسن بن عرفة.

عن أبي سَرِيحة(١) الغِفاري أنه سمع النبي ﷺ يقول: « **قد أهلّ شهر رمضان، لو يعلم العباد ما [لهم] في شهر رمضان لتمنّى العباد أن يكون شهر رمضان سنةً** »، فقال رجلٌ من خزاعة: يا نبيّ الله حدِّثنا، فقال رسول الله ﷺ : « **إن الجنة لتُزيّن لشهر رمضان من رأس الحَوْل إلى الحَوْل، حتى إذا كان أول ليلة منه هبّت ريحٌ من تحت العرش، فصفّقت ورق الجنة، فنظر الحور العين إلى ذلك فقلن: يا رب اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجاً تقرّ أعيننا بهم وتقرّ أعينهم بنا، فما من عبد صام شهر رمضان إلاّ زوّجه الله زوجةً من الحور العين، في خيمة من درّة مجوّفة مما نعت الله عز وجل به الحور العين المقصورات في الخيام، على كل امرأة منهن سبعون حلّة ليس منها حلّة على لون الأخرى، وتُعطى سبعين لونا من الطيب ليس يشبه الأول، كل امرأة منهن على سرير من ياقوت موشّحة بالدر، على سبعين فراشا بطائنها من إستبرق، وفوق السبعين فراشاً سبعون أريكة، ولكلّ امرأة منهن سبعون ألف وصيف يخدمها، وسبعون ألف وصيف لزوجها، مع كل وصيف صَحْفَة من ذهب، فيه لون من الطعام يجد لآخره من اللذة مثل ما يجد لأوله، ويُعطى زوجها مثل ذلك، على سرير من ياقوتة حمراء، عليه سواران من ذهب مرصّع بالياقوت الأحمر، هذا لكل من صام رمضان، سوى ما عمل من الحسنات** »(٢).

---

(١) تحرّف في "اللآلِيء المصنوعة" إلى (أبي شريك).

(٢) أخرجه ابن أبي الصقر الأنباري في "مشيخته" (رقم: ٥٦)، عن أبي بكر محمد بن أحمد ابن عبد الملك، عن الحمّامي، به.

وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٢/رقم: ٩٦٧)، عن محمد بن يعقوب بن سورة،

٢٨/ أخبرنا أبو طاهر السِّلَفي، أبنا أبو الخطّاب بن البَطِر، أبنا أبو الحسن بن رَزْقَويه، ثنا أحمد بن سلمان الفقيه، ثنا محمد بن إسماعيل السُّلَمي، ثنا عبد الله بن رجاء، أبنا جرير ــ يعني: ابن أيوب ــ، حدثني الشَّعْبي، عن قيسٍ الجُهَني[1] قال: « **إنّ كل يوم يصومه العبد من رمضان يجيءُ يوم القيامة في غَمَامة من نور، في تلك الغمامة قصرٌ من دُرٍّ له سبعون ألف باب، كل باب ياقوتة حمراء** »[2].

٢٩/ أخبرنا أبو المعالي أحمد بن عبد الغني بن حنيفة الباجِسْرَائي ببغداد، أبنا أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد الباقِلاّني، أبنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن الحسين بن إسماعيل المَحَامِلي، أبنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، ثنا معاذ بن المُثَنَّى، ثنا القَعْنَبي، ثنا سَلَمَة بن وَرْدان قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالك يقول: ارْتقى رسول الله ﷺ على المِنْبَر

عن محمد بن بكّار، به؛ إلاّ أنه سمى راوي الحديث (أبو مسعود الغفاري).

والحديث سواء أكان من مسند أبي سريحة أم أبي مسعود، فهو ضعيف جدا؛ لأجل هيّاج ابن بسطام، قال الإمام أحمد: « متروك الحديث »، وقال مثله أبو داود، وقال الحافظ في "التقريب": « ضعيف ».

وحكم الشوكاني عليه بالوضع في "الفوائد المجموعة" (ص٨٨).

(١) لعله: قيس بن زيد الجهني.

(٢) إسناده ضعيف جدا، آفته جرير بن أيوب، تقدّم في الحديث (رقم: ٢٣).

وأخرجه ابن أبي الصقر في "مشيخته" (رقم: ٣٠) من طريق أبي بكر الشافعي، عن النجّاد.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في "فضائل رمضان" (رقم: ٢٦)، عن محمد بن أبي شيبة، عن عبد الله بن رجاء، به، وسمى رواي الحديث: قيس بن خالد الجهني.

درجةً فقال: « آمين »، ثم ارْتَقَى الثانية فقال: « آمين »، ثم ارْتَقَى الثالثة فقال: « آمين »، ثم استوى فجلس، فقال أصحابه: على ما أمَّنْتَ يا رسول الله؟ قال: « **إن جبريل أتاني فقال: رَغِمَ أَنْفُ امرىء ذُكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك، فقلتُ: آمين، ورَغِمَ أنفُ امرىء أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخل الجنة، فقلت: آمين، ورغمَ أنفُ امرىء أدرك رمضان ولم يُغْفَر له، فقلت: آمين** »(١).

٣٠/ أخبرنا عبد الله بن محمد بن أحمد بن النَّقُّور أبو بكر البزّاز، أبنا أحمد بن المُظَفَّر بن سَوْسَن التمّار، أبنا أبو القاسم الحُرْفي، حدثني سليمان ابن داود بن سليمان الرفّاء، حدثني أبو محمد عبد الله بن جعفر الأَرْجانيُّ العدْل في منزله بالبصرة في سِكَّةِ الموالي، ثنا محمد بن مَسْلَمة، عن موسى الطويل، عن أنس بن مالك قال: رقى رسول الله ﷺ المنبر، فرقى المرقاة

(١) إسناده ضعيف؛ علته سلمة بن وردان، فإنه ضعيف كما في "التقريب".
وأخرجه أبو بكر الشافعي في "الغيلانيات" (١/رقم: ١٨١)، عن زهير بن أبي زهير، عن القعنبي، به مختصرا.
وأخرجه ابن شاهين في "فضائل شهر رمضان" (رقم: ٨) من ثلاث طرق منها طريق معاذ ابن المثنى، عن القعنبي.
وأخرجه البزار (كشف الأستار: ٤/رقم: ٣١٦٨)، وإسماعيل القاضي في "فضل الصلاة على النبي ﷺ" (رقم: ١٥)، وابن أبي شيبة في "المسند" (المطالب العالية: ٨/رقم: ٣٦٥٣)، وابن شاهين في "فضل شهر رمضان" (رقم: ٧) من طرق، عن سلمة بن وردان، به.
والحديث يصحّ بشواهده الكثيرة التي أتى عليها الباحث جاسم الدوسري في "الروض البسّام بترتيب وتخريج فوائد تمّام" (٤/٩ - ١٤).

الأولى فقال: « **آمين** »، ثـم رقـى الثانيـة وقـال: « **آمـين** »، ورقـى الثالثـة وقال: « **آمين** »، ثم نزل، فقلنا يا رسول الله، إنـك رقيتَ المنبر فَقُلْتَ: آمين ثلاثاً، فقال: « **نعم، رقيتُ أولَ مرقاة فأتـاني جـبريل عليـه السـلام فقال: يا محمد، من ذُكِرْتَ عنده فلم يصلّ عليـك أبعـده الله وأسـحقه، قل آمين، فقلت:** آمين، **ثـم رقيـت الثانيـة فأتـاني جـبريل عليـه السـلام فقال: يا محمد، مَنْ أدرك شهر رمضان فلم يُغْفَرْ له أبعده الله وأسـحقه، قل آمين، فقلتُ:** آمين، **ثـم رقيـتُ الثالثـة فأتـاني جـبريل عليـه السـلام فقال: مَنْ أدرك أبويه أو أحدهما فلـم يدخـل الجنـة** ـ أو قـال: لم يغفـر له، قال سليمان: الشك مني ـ **أبعـده الله وأسـحقه، قـل:** آمـين، **فقلـت:** **آمين** »[1].

٣١/ أخبرنا الحـافظ أبـو طـاهر السِّلَفي، أبنـا أبـو مُطيـع محمـد بـن عبد الواحـد بـن عبـد العزيـز المصري، ثنـا أبـو بكـر محمـد بـن أحمـد بـن عبد الرحمن الذَّكْواني المعدّل، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر[2]، ثنا القاسم

(١) أخرجه أبو القاسم الحُرْفي في "الأمالي" (ق٢٢٦/أ)، عن سليمان الرفّاء، به.
وإسناده ضعيف جدا؛ موسى الطويل اسمه: موسى بن عبد الله، قـال ابـن حبـان: « روى عن أنس أشياء موضوعة »، وقال ابن عدي: « روى عن أنـس مناكـير، وهـو مجهـول ». الميزان (٤/٢٠٩ - ٢١٠).
وأخرجه تمّام الرازي في "الفوائد" (الروض البسّـام: ٤/رقـم: ١٢٤٣)، عـن خيثمـة، عـن محمد بن مسلمة، به.
وقـال الحـافظ السـخاوي في "القـول البديـع في الصـلاة علـى النبي الشـفيع" (ص١٤٢): « وسنده ضعيف جدا ».
لكن يصحّ الحديث في الجملة لشواهده.

(٢) هو: أبو الشيخ الأصبهاني.

ابن فُورَك، ثنا عبد الله بن أبي زياد[(١)]، ثنا سيَّار بن حاتم، ثنا موسى بن سعيد[(٢)]، ثنا هلال أبو جَبَلَة، عن أبي عبد السلام، عن أبيه، عن كعب. قال سيّار: وثنا جعفر، عن عبد الجليل، عن أبي عبد السلام، عن كعب قال: « **إنّ الله قال: يا موسى بن عمران، إني أفرضتُ الصيام على عبادي، وهو شهر رمضان، يا موسى بن عمران، إنه مَن وافى يوم القيامة وفي صحيفته عشر رمضان فهو من المُخْبتين، ومن وافى بعشرين رمضان فهو من الأبرار، ومَنْ وافى بثلاثين رمضان فهو من أفضل الشهداء عندي، يا موسى بن عمران، إني أمرت حَمَلَةَ عرشي أن يمسكوا عن العبادة إذا دخل شهر رمضان، وأنْ كلّما دعا صائمو رمضان أن يقولوا: آمين، فإني آليتُ على نفسي أن لا أرُدَّ دعوةَ صائمي شهر رمضان، يا موسى إني أُلْهِمُ في شهر رمضان السموات والأرض والجبال والشجر والدواب أن يستغفروا لصائمي رمضان** »، وذكر الحديث[(٣)].

٣٢/ أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ، أبنا أبو مُطيع المصري، أبنا أبو العلاء شذرة بن محمد بن أحمد المديني بالمدينة، أبنا جدّي أبو عبد الله أحمد ابن محمد بن شذرة، ثنا محمد بن الحسن بن المهذّب، ثنا أحمد ـ هو: ابن

(١) هو: عبد الله بن الحكم بن أبي زياد القَطَواني.

(٢) هو: الراسِبي.

(٣) أخرجه أبو مطيع المصري في "الأمالي" (١/ق٢٧/أ ـ ضمن مجموع)، عن الذكواني، به.
وأخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (٦/١٦ ـ ١٨)، عن أبي الشيخ الأصبهاني، به.
وهو في "العظمة" (٥/رقم: ١١٨٣) بالإسناد الثاني مختصرا.

الفرات ـ، ثنا عبد الله بن رجاء، ثنا عِمْران القطّان[١]، عن قتادة، عن أبي المليح، عن واثِلَة بن الأسْقَع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**نزلت صُحُفَ إبراهيم أولَ ليلة خلت من رمضان، وأُنزِلت التوراة لسِتٍّ مضَيْن من رمضان، وأُنْزل الإنجيلُ لثلاث عشرة خلت من رمضان، والقرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**))[٢].

٣٣/ أخبرنا عبد الله بن محمد بن أحمد بن النَّقُّور، أبنا أبو بكر بن سَوْسَن، أبنا أبو القاسم الحُرفي، ثنا حبيب بن الحسن القزّاز، ثنا أبو بكر عمر بن حفص السَّدوسي، ثنا أبو بلال الأشعري، ثنا قَيْسُ بن الربيع، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي المُطَوِّس، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ((**مَنْ أفطر يوماً في رمضان لم يَقْضِ عنه صيامُ الدهرِ، وإن صامه**))[٣].

---

(١) عمران بن داوَر، أبو العوّام البصري.

(٢) إسناده حسن، رجاله ثقات؛ غير عمران القطّان و عبد الله بن رجاء فهما صدوقان كما في "التقريب".

وأخرجه ابن جرير في "التفسير" (٣/٤٤٦)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (١/٣١٠)، وابن نصر في "قيام رمضان" (مختصره: ص٢٥٠)، والطبراني في "الكبير" (٢٢/رقم: ١٨٥)، والبيهقي في "السنن" (٩/١٨٨)، والواحدي في "التفسير الوسيط" (١/٢٨٠)، وقوام السنة في "الترغيب والترهيب" (٢/رقم: ١٨١٨) من طرق، عن عبد الله بن رجاء، به.

وتوبع عبد الله بن رجاء، فأخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٤/١٠٧)، عن أبي سعيد مولى بني هاشم، عن عمران القطّان، به.

وأورده الألباني في "الصحيحة" (رقم: ١٥٧٥)، وقال: ((وهذا إسناد حسن)).

(٣) أخرجه أبو القاسم الحُرفي في "الأمالي" (ق٢٢٤/ب)، عن حبيب بن الحسن القزّاز، به.

وأبو المُطَوِّس اسمه: يزيد بن المطوّس، قال الحافظ: « ليّن الحديث »، وقال في أبيه: «مجهول».
أما الأول فقد وثّقه ابن معين في رواية ابن أبي خيثمة عنه كما في "الجرح والتعديل" (١٦٨/٥) و"العلل" (٢٧٣/٨) للدارقطني، فبقي الحديث معلولاً بجهالة المُطَوّس.
وقد وقع اختلاف كبير على حبيب بن أبي ثابت في إسناد هذا الحديث، فتابع الثوريُّ - في رواية جماعة عنه - قيسَ بنَ الربيع على الإسناد الذي ساقه المصنّفُ هنا، ورواه جماعة آخرون - منهم يحيى بن سعيد القطّان وأبو نعيم الفضل بن دكين وعبد الرحمن بن مهدي - عن الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عِمارة بن عُمير، عن أبي المطوّس، عن أبيه، عن أبي هريرة.
أخرجه أبو داود (٢/رقم: ٢٣٩٧)، وأحمد (٤٧٠/٢) من طريق ابن مهدي و القطّان وأبي نعيم، عن الثوري.
قال الحافظ الناقد أبو الحسن الدارقطني: « وأضبطهم للإسناد يحيى القطّان ومن تابعه عن الثوري ».
لكن قد روي الحديث من طريق هؤلاء، عن الثوري بالإسناد الأول.
أخرجه الترمذي (٣/رقم: ٧٢٣)، والنسائي في "الكبرى" (٢/رقم: ٣٢٧٩) من طريق يحيى القطّان وابن مهدي، وهو أيضا (٢/رقم: ٣٢٧٨)، وإسحاق بن راهويه في "المسند" (١/رقم: ٢٧٤) من طريق أبي نعيم، ثلاثتهم عن الثوري، عن حبيب، عن أبي المطوّس، عن أبيه، عن أبي هريرة، وفي بعض طرقه تصريح حبيب بالتحديث عن أبي المطوّس.
فكأن حبيباً سمعه مرة من عمارة، ومرة أخرى من أبي المطوّس مباشرة، والذي يدل على هذا رواية شعبة.
أخرجها ابن خزيمة (٣/رقم: ١٩٨٨) من طريق أبي داود الطيالسي، عن شعبة بهذا الإسناد مثله - أي بذكر عمارة -، وزاد: قال شعبة: قال حبيب: فلقيت أبا المطوّس فحدّثني به.
ولذلك - والله أعلم - لما سُئل أبو حاتم الرازي عن الاختلاف بين شعبة والثوري في ذكر عمارة وعدم ذكره قال: « جميعا صحيحين، أحدهما قصّر والآخر جوّد ». العلل (٢٣١/١) لابن أبي حاتم.

٣٤/ أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ، أبنا أبو بكر أحمد بن محمد بن زَنْجَويه الزَّنْجاني، ثنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن محمد الفلاَّكي، ثنا أبو بكر أحمد بن علي الهمداني، ثنا عبد الرحمن بن حمدان، ثنا إسحاق بن مهران الرازي، ثنا إسحاق بن سليمان، ثنا معاوية بن يحيى[١]، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « **شهرُ رمضان شهرُ الرحمة، تُفْتَحُ فيه أبوابُ الرحمة، وتُغلَقُ فيه أبوابُ جهنَّم** »[٢].

٣٥/ أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفي، أبنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن الحارث الأَخْرَم، أبنا أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الحسين الخَرْجاني، أبنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم العسّال الحافظ، ثنا أبو علي الحسن بن نصر بن منصور الطوسي، ثنا محمد بن الحسن النسوي، ثنا عيسى الأصمّ، عن إبراهيم بن طَهْمَان، عن أبي إسحاق الهمداني[٣]، عن هُبَيْرَة بن يَريم، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : « **سيّدُ الشهور شهر رمضان، وسيّدُ الأيام يومُ الجمعة** »[٤].

---

(١) هو: الصدفي.

(٢) إسناده ضعيف؛ لضعف معاوية بن يحيى الصدفي كما في "التقريب".

(٣) هو: السبيعي.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في "فضائل رمضان" (رقم: ٣٣) من طريق أيوب بن جابر، عن أبي إسحاق، عن هبيرة، به.
وأخرجه ابن أبي شيبة (٢/رقم: ٥٥٠٩)، والطبراني (٩/رقم: ٩٠٠٠)، والبيهقي في "الشعب" (٤/رقم: ٣٦٣٨) من طرق، عن أبي إسحاق، به موقوفا على ابن مسعود.
وعلى كلٍّ فالحديث معلول بعنعنة أبي إسحاق السبيعي؛ فهو مدلّس كما في "طبقات المدلسين" (رقم: ٩١).

٣٦/ أخبرنا أبو طاهر السِّلَفي، أبنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد الزَّنجاني، ثنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن محمد الفَلاّكي، أبنا أبو بكر أحمد بن محمد بن علي النسوي، ثنا أبو سهل أحمد بن إبراهيم بن عَبْدَك القَزْويني، ثنا محمد بن سهل، ثنا صَهيب بن محمد، ثنا ذو النون بن محمد، ثنا موسى بن سعيد الراسِبي، عن هلال بن عبد الرحمن الحنفي، عن علي ابن زيد بن جُدْعان، عن سعيد بن المسيّب، عن سلمان الفارسي قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: « **من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ومن صام يوماً من رمضان فكأنّما صام ألف شهر ليس فيه رمضان** »، وقال رسول الله ﷺ :« **أحبّ المسلمين إليّ مَنْ فَطَّر صائمي رمضان، فإن جبريل يصافحه ليلة القدر ويسلّم عليه** »[(١)].

٣٧/ أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سَلْمان، أبنا أبو الفضل حمد بن أحمد بن الحسن الأصبهاني، أبنا أبو نُعَيم أحمد بن عبد الله الحافظ، ثنا عبد الله بن جعفر، ثنا أبو بِشْر يونس بن حبيب، ثنا أبو داود[(٢)]، ثنا أبو محمد المَلِيكي، عن عمرو، عن أبيه، عن جدّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **للصائم عند إفطاره دعوةٌ مستجابة** »، فكان عبدُ الله بن عَمرو إذا أفطر دعا أهلَه وولدَه ودعا[(٣)].

---

(١) إسناده ضعيف، علته علي بن زيد بن جدعان، وقد مرّ برقم (٢٤) من طريق همّام بن يحيى، عن علي بن زيد.

(٢) هو: الطيالسي.

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في "مسنده" (ص٢٩٩/رقم: ٢٢٦٢)، عن أبي محمد المليكي. وأخرجه ابن ماجه (رقم: ١٧٥٣)، والحاكم (٤٢٢/١) من طريق عبد الله بن أبي مُلَيكة، عن عبد الله بن عمرو بنحوه.

٣٨/ أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سَلْمان بن البَطِّي، أبنا الإمام أبو محمد رِزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي، أبنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بِشْران، ثنا ابنُ البَخْتَري، ثنا أحمد بن مُلاعب، ثنا إسماعيل بن عبد الله[1]، ثنا محمد ابن سَلَمة البَحْراني، عن أبي واصل عبد الحميد بن واصل العُتْبي،عن سعيد الجُرَيْري، عن النَّهدي[2]، عن عائشة قالت ـ وحضر رمضان ـ : يا رسول الله قد حضر رمضان، فما أقول؟ قال: « **قولي: اللّهمّ إنّك عَفُوٌّ تحبُّ العفوَ، فاعفُ عنّي** »[3].

وقال البوصيري في "مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة" (٢/٣٨): « هذا إسناده صحيح، رجاله ثقات ...».

وله شاهد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا تُرَدّ دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم** ... ».

أخرجه الترمذي (٥/رقم: ٣٥٩٨)، وابن ماجة (رقم: ١٧٥٢) من طريق أبي مُدِلّة، عن أبي هريرة، وقال الترمذي: « هذا حديث حسن »، وأبو مُدِلّة قال فيه الحافظ: « مقبول ».

(١) هو: ابن أبي أُوَيس.

(٢) هو: أبوعثمان عبد الرحمن بن ملّ.

(٣) أخرجه الدارقطني في "الغرائب والأفراد" (أطرافه: ٥/رقم: ٦٣٥٤)، وقال: « تفرّد به أبو واصل عبد الحميد بن واصل، عن الجُرَيري، عن أبي عثمان النهدي، وقال: عنه، وعن الجريري، عن عبد الله بن بريدة، لم يروه عن أبي واصل غير محمد بن سلمة ».

ورواه عبد الله بن بريدة، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمتُ ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: « **قولي** ... » فذكرت مثله.

أخرجه الترمذي (٥/رقم: ٣٥١٣)، وابن ماجه (رقم: ٣٨٥٠)، وأحمد (٦ /١٧١و١٨٢و١٨٣) كلهم من طريق كَهْمَس بن الحسن، عن ابن بريدة.

وقال الترمذي: « هذا حديث حسن صحيح ».

٣٩/ أخبرنا أبو القاسم يحيى بن ثابت بن بُنْدار بـن إبراهيـم البَقّـال، أبنا أبي، أبنا أبو بكر محمد بن عمر بن بُكَيْر المقرىء، أبنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن سَلْم الخُتَّلي، ثنا أبو العباس أحمد بن علـي بـن مسـلم الأَبَّـار، ثنـا سفيان بن وكيع، قال: سمعتُ أبي يقول: « كان يُسْتَحَبُّ ثلاثُ مَآباتٍ في السنة: عند رجوع حجّ، وعنـد رجـوعٍ مـن غـزوٍ، أو عنـد انقضـاءِ شـهر رمضان »[١].

٤٠/ أخبرنا أبو طاهر السِّلَفي، أبنا أبو بكر أحمد بن محمد الزَّنْجاني، ثنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن محمد الفلاّكي، أبنا أبـو الحسـين محمـد ابن المُظَفَّر الحافظ، ثنا حامد بن محمد بن شعيب، ثنا أبو هشام الرِّفاعي[٢]، ثنا ابنُ فُضَيل[٣]، ثنا العلاء بن المسيّب، عن أبيه وخَيْثَمة قالا: « كان يقال: من صام رمضان ثم مات مِنْ عامه ذلك دخل الجنة »[٤].

٤١/ أخبرنا أحمد، أبنا أحمد، أبنا الفلاّكي، أبنا أبو الحسين محمد بـن هارون الثقفي، أبنا إبراهيم بن الحسين الهمذاني، أبنا أبو محمد عبد الله بـن

---

(١) إسناده ضعيف، سفيان بن وكيع قال فيه الحافظ: « كان صدوقا؛ إلاّ أنـه ابتُلي بورّاقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنُصِح فلم يقبل فسـقط حديثـه »، وقـال ابـن أبـي حـاتم: « كتب عنه أبي وأبو زرعة وتركا الرواية عنه »، ونقل عن أبيـه قولَـه: « ليّـن ». الجـرح والتعديل (٤/رقم: ٩٩١).

(٢) اسمه: محمد بن يزيد بن محمد بن كثير العجلي.

(٣) هو: محمد بن فضيل بن غزوان.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في "فضائل رمضان" (رقم: ٢٨و٣٥) من طريقين، عـن محمـد بـن فضيل، به.

وفيه أبو هشام الرفاعي محمد بن يزيد، قال في "التقريب": « ليس بالقوي ».

عبد الوهاب الخوارزمي، ثنا عِمْران بن موسى، ثنا علي بن عثمان، عن القاسم بن بَهْرام، عن عطاء بن أبي رَباح، عن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله ﷺ : « **اتّقوا المآثم في شهر رمضان، فإن الحسنةَ تُضاعفُ فيه مالا تُضاعفُ في غيره، وكذلك السيّئات** »[(١)].

٤٢/ أخبرنا أبو القاسم يحيى بن ثابت بن بُنْدار بن إبراهيم البقّال، أبنا أبي، أبنا أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي البَرْقاني الحافظ، ثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي، ثنا أبو عبد الله محمد ابن الحسين بن محمد المعروف بابن أبي القاسم الطَّيْفوري جُرجاني إملاءً مِنْ أصل كتابه، ثنا عمّار بن رجاء، ثنا أحمد بن أبي طَيْبَة، عن أبيه، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أمّ هانيء قالت: قال رسول الله ﷺ : « **إنّ أمّتي لن تُخزى ما أقاموا صيام شهر رمضان** »، فقال رجل: ما خِزْيُهم في إضاعة شهر رمضان؟ قال: « **انتهاك المحارم فيه، مَن عمل سيئةً زنى أو شَرِبَ لم يتقبّل الله منه شهر رمضان، ولعنه الله والملائكة والسموات إلى مثله من الحَوْل، فإن مات قبل أن يدرك شهرَ رمضان، فليس لِه عند الله حسنةٌ يتقي بها النار، فاتقوا شهر رمضان، فإن الحسنات تُضاعف فيه ما لا تُضاعف في سواه، وكذلك السيئات** »[(٢)].

---

(١) إسناده ضعيف، القاسم بن بهرام من الضعفاء كما في "التقريب" (ترجمة القاسم بن أبي أيوب الأسدي)، وفي "الميزان" (٣/٣٦٩): « له عجائب »، وفيه: « وهّاه ابن حبّان وغيره ».

(٢) إسناده ضعيف؛ فإن أبا طيبة ـ واسمه: عيسى بن سليمان الدارمي الجرجاني ـ ضعّفه ابن معين كما في "الميزان" (٣/٣١٢).

٤٣/ أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال الدقّاق، أبنا أبو الفضل عبد الله بن علي بن زِكْري الدقّاق، أبنا أبو الحسين علي بن محمد ابن عبد الله بن بِشْران، أبنا أبو جعفر محمد بن عَمرو بن البَخْتَري، ثنا عبد الله بن رَوْح، ثنا شبّابة[1]، ثنا المُغيرة بن مسلم، عن محمد بن عَمرو، عن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه** »[2].

٤٤/ أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ، أبنا أبو البقاء المُعَمَّر بن محمد بن علي بن الحبَّال بالكوفة، أبنا أبو القاسم زيد بن جعفر بن محمد العَلَوِي، أبنا أبو جعفر محمد بن علي بن دُحَيْم الشَّيْباني، ثنا أبو عَمرو أحمد بن حازم بن أبي غَرْزَة الغِفاري، أبنا ضِرار ويحيى، قالا: ثنا عبد العزيز بن محمد، عن صَفْوان بن سُلَيم، عن عُمر بن ثابت، عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ صام رمضانَ وأَتْبَعَهُ بِستٍّ من شوّال، فكأنَّما صام الدهر** »[3].

وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (رقم: ٤٨٢٥)، عن عبد الملك بن محمد بن عديّ أبي نعيم الجرجاني، عن عمار بن رجاء، به.

(١) ابنُ سوّار.

(٢) إسناده حسن.

والحديث بهذا اللفظ أخرجه مسلم (رقم: ٧٥٩) عن عبد الرزاق، عن مَعمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يرغّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول، فذكره، وسبق بلفظ: « من قام .... » برقم (٦).

(٣) إسناده صحيح.

وأخرجه أبو داود (٢/رقم: ٢٤٣٣)، والنسائي في "الكبرى" (٢/ رقم: ٢٨٦٣)، وابن حبان (الإحسان: ٥/رقم: ٣٦٢٦) من طرق، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، به.

في السَّحور

٤٥/ أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال الدقّاق، أبنا أبو الحسين عاصم بن الحسن، أبنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله ابن مهدي الفارسي، أبنا أبو عبد الله محمد بن مَخْلَد العطّار، ثنا طاهر بن خالد بن نِزار الأَيْلي، حدّثني أبي، أخبرني إبراهيم بن طَهْمان، حدّثني عبد العزيز بن رُفَيْع، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « **تَسَحَّروا، فإن في السَّحور بركة** »[1].

٤٦/ أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ، أبنا أبو مُطيع المصري، أبنا أبو سعيد النقّاش الحافظ، أبنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المُزَكّي النيسابوري بمكة، ثنا محمد بن المُسيّب بن إسحاق الأَرْغِياني، ثنا أبو ثوبان مَزْداد بن جَميل، ثنا أَسَد بن عيسى المعروف برُفْعَيْن[2]، ثنا

وأخرجه مسلم (رقم: ١١٦٤)، وغيره، من طريق سعد بن سعيد بن قيس، عن عمر بن ثابت، به.

وللحافظ العَلائي رسالة بعنوان "رفع الإشكال عن صيام ستة أيام من شوال" توسّع فيها في تخريج هذا الحديث قاصدا التعقّبَ على الحافظ أبي الخطّاب بن دحية في تضعيفه إياه، فلتراجع.

(١) أخرجه أبو عوانة في "صحيحه" (٢/رقم: ٢٧٥٠)، عن طاهر بن خالد بن نزار، به.

وأخرجه البخاري (رقم: ١٩٢٣) ومسلم (رقم: ١٠٩٥) من حديث عبد العزيز بن صهيب.

(٢) كذا بخط المصنف، وانظر: "كشف النقاب عن الأسماء والألقاب" (١/رقم: ٦٥٥) والتعليق عليه.

أرطاة بن المُنْذِر، عن داود بن أبي هِند، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **إنّ الله جعل البَرَكَةَ في السَّحور والكيل** »(١).

٤٧/ أخبرنا أحمد، أبنا أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحَدَّاد، أبنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الذّكْواني، ثنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ثنا الدَّبَري، عن عبد الرزاق، عن عمر بن راشد، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي حازم مولى

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في "موضح أوهام الجمع والتفريق" (٤٦٢/١) من طريق أبي العباس أحمد بن محمد الأنماطي، عن الأرْغِياني، به.
ولم أقف على ترجمة أبي ثوبان، ولا على كلامٍ في رُفْعَين جرحاً أو تعديلاً.
وأخرجه الطبراني في "مسند الشاميين" (١/رقم: ٧٢٤)، ومن طريقه الخطيبُ في "الموضح" (٤٦٢/١)، عن محمد بن هارون الأنصاري، عن مَزْداد، به.
وأخرجه الخطيب كذلك (٤٦٣/١) من طريق مكحول البيروتي، عن مزداد، بلفظ: « **البركة في ثلاث: في الجماعة، والثريد، والسحور** ».
والحديث حسن في الشواهد، فمن شواهده:
١ ـ حديث: « **إنها بركة أعطاكم الله إياها، فلا تدعوه** ».
أخرجه أحمد (٣٧٠/٥)، والنسائي (٤/رقم: ٢١٦١)، عن عبد الله بن الحارث، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يتسحّر فقال، فذكره.
٢ ـ حديث سلمان ﷺ مرفوعا: « **البركة في ثلاثة: الجماعة، والثريد، والسحور** ».
أخرجه الطبراني في "الكبير" (٦/رقم: ٦١٢٧).
قال الهيثمي في "المجمع" (١٥٤/٣): « وفيه أبو عبد الله البصري، قال الذهبي: لا يُعرف، وبقية رجاله ثقات ».

الأنصار،[عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ][(١)]: « **إنّ جزءاً من سبعين جزءاً من أجزاء النُّبوّة: تأخيرُ السُّحور، وتبكيرُ الفِطر، وإشارةُ الرجل بإصبعه في الصلاة** »[(٢)].

٤٨/ أخبرنا أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف، أبنا عمّي أبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد، أبنا أبو علي الحسن بن علي بن المُذْهِب، أبنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي رحمه الله، ثنا وكيع، ثنا موسى بن علي بن رَباح، عن أبيه، عن أبي قَيْس مولى عَمرو بن العاص،[عن عمرو] قال: قال رسول الله ﷺ : « **فَصْلُ ما بين صيامكم وصيام أهل الكتاب أَكْلَةُ السَّحَر** »[(٣)].

٤٩/ أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفي، أبنا أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحدّاد، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الذّكْواني إملاءً يوم الجمعة في شهر رمضان من سنة ثمان عشرة وأربعمائة، ثنا عبد الله بن جعفر، ثنا أحمد بن عصام، ثنا مُؤَمَّل[(٤)]، ثنا سفيان، ثنا

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من قلم المصنف، وقد استدركتُه من "مصنف عبد الرزاق"؛ إذ الرواية من طريقه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/رقم: ٣٢٤٦ و ٤/رقم: رقم: ٧٦١٠)، عن معمر بن راشد، به. وإسناده ضعيف؛ لأجل ضعف عمر بن راشد كما في "التقريب".

(٣) أخرجه أحمد (٤/٢٠٢)، عن وكيع، به.

وأخرجه مسلم (رقم: ١٠٩٦) من طريق ليث، عن موسى بن علي، به بلفظ: « **فَصْلُ ما بين صيامنا ...** ».

(٤) ابن إسماعيل البصري.

أبو حازم، عن سَهْل بن سَعْد، قال: « **أَمَرَنا رسول الله ﷺ أن نُعَجِّل الإفطارَ** »(١).

٥٠/ أخبرنا أحمد بن محمد السِّلَفي، أبنا أحمد بن محمد بن أحمد، أبنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، ثنا الطبري، ثنا الدَّبَري، عن عبد الرزاق، عن الثوري، عن أبي حازم، عن سَهْل بن سَعْد قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا يزال الناسُ بخيرٍ ما عَجَّلوا الفِطْرَ** »(٢).

٥١/ أخبرنا عبد الله بن محمد بن أحمد بن النَّقُّور، أبنا عبد القادر بن محمد، أبنا الحسن بن علي، أبنا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا الوليد(٣)، ثنا الأَوْزاعي، حدّثني قُرَّة(٤)، عن الزُّهري، عن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « **يقول الله عزّ وجلّ: إنّ أَحَبَّ عبادي إليّ أَعْجَلُهم فِطْراً** »(٥).

---

(١) إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، وأحمد بن عصام هو: ابن عبد المجيد الأنصاري، وثّقه ابن أبي حاتم كما في "الجرح والتعديل" (٦٦/١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (٤/رقم: ٧٥٩٢)، عن الثوري، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٦/رقم: ٥٩٦٢).

وهو عند البخاري (رقم: ١٩٥٧) ومسلم (رقم: ١٠٩٨) من طريقين آخرين، عن أبي حازم.

(٣) هو: ابن مسلم.

(٤) هو: ابن عبد الرحمن حَيْوئيل.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢/٢٣٧ - ٢٣٨)، عن الوليد، به.

وأخرجه الترمذي (٣/رقم: ٧٠٠)، عن إسحاق بن موسى الأنصاري، عن الوليد.

وأخرجه كذلك (٣/رقم: ٧٠١) من طريق أبي عاصم الضحّاك بن مخلد وأبي المغيرة عبد القدوس بن الحجّاج، كلاهما عن الأوزاعي، به.

وقال الترمذي: « هذا حديث حسن غريب ».

في ليلة القَدْر

٥٢/ أخبرنا أحمد بن محمد السِّلَفي، أبنا أبو عبد الله الثَّقفي، أبنا أبو الحسين بن بِشْران، أبنا محمد بن عَمْرو بن البَخْتَري، ثنا سَعْدان بن نَصْر، ثنا سفيان بن عُيَيْنة، عن الزُّهري، عن سالم(١)، عن أبيه يبلغ به النبي ﷺ قال: رأى رجلٌ ليلةَ القَدر في العشر الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: « **أرى رؤياكم قد تواطئت على هذا، فاطلبوها في العشر الأواخر** »(٢).

٥٣/ أخبرنا أبو طاهر السِّلَفي بالإِسْكَنْدَرِيَّة، أبنا أبو صادِق مُرْشِد ابن يحيى بن القاسم المَقْدِسي وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي.

(ح) وأبنا أبو القاسم عبد الرحمن بن خَلَف الله بن عطيّة الإِسْكَنْدَراني المُؤَدِّب بها، أبنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، قالا: أبنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن محمد النيسابوري المعروف بابن الطَّفَّال، أبنا أبو محمد الحسن بن رَشيق العَسْكري، ثنا أحمد بن شعيب بن علي(٣)، أبنا قُتَيْبة بن سعيد، ثنا اللَّيْث بن سعد.(ح) قال ابنُ رَشيق: وثنا أحمد بن

(١) ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه البيهقي في "سننه" (٣٠٨/٤)، عن أبي الحسين بن بِشْران، به.

وأخرجه أبو عوانة في "صحيحه" (٢/ق٢١٣/أ ــ نسخة كوبرلي)، عن يونس بن عبد الأعلى وسعدان بن نصر، عن سفيان بن عيينة، به.

وأخرجه مسلم (٨٢٣/٢)، عن زهير بن حرب، عن سفيان بنحوه.

(٣) هو: أبو عبد الرحمن النسائي.

محمد بن عبد العزيـز القُرشـي، ثنـا يحيـى بـن بكـير، ثنـا مـالك بـن أنـس. (ح) وثنا المُفَضَّل بن محمد بن إبراهيم الهمداني، ثنـا أبـو خَيْثَمَـة محمـد بـن يوسف، ثنا أبو قُرَّة موسى بن طارق، قال: ذكـر موسـى بـن عقبـة، قـالوا جميعاً:عـن نـافع، قـال: سمعـت عبـد الله بـن عمـر قـال: أُرِيَ رجـالٌ مـن أصحـاب رسـول الله ﷺ في المنام أنَّ ليلـةَ القَـدْر في السبع الأواخر مـن رمضان، فقام رسول الله ﷺ فقال: « **أَرى رُؤْيـاكم قـد تَواطَئَـتْ أنَّهـا في السبع الأواخر، فمن كان مُتَحَرِّيها فَلْيَتَحَرَّها في السبع الأواخر** »[1].

اللَّفظ فيهم متقارب.

٥٤/ أخبرنا أبو طاهر السِّلَفي، أبنـا أبـو عبـد الله الثَّقَفـي، أبنـا أبـو القاسم الحُرْفي، ثنا حمزة بن محمـد بـن العبـاس، ثنـا محمـد بـن غـالـب، ثنـا موسى ابن مسعود، ثنا عِكْرِمة، عن أبي زَميل، عن مالك بن مَرْثَد[2]، عـن أبيه، قال: قلتُ لأبي ذرّ: سألتَ رسول الله ﷺ عن ليلة القَـدر؟ قـال: أنـا كنتُ أسأل عنها ـ يعني: أشدَّ الناس مسألةً عنها ـ فقلـتُ: يـا رسـول الله، أَخْبِرْني عن ليلة القَدْر، في رمضان أو في غيره؟ فقـال: « **لا، بـل في شـهر رمضان** »، فقلتُ: يا نبيَّ الله، أتكون مع الأنبياء مـا كـانوا، فإذا قُبِضَـت الأنبياء ورُفِعوا رُفِعَتْ معهم؟ أو هي إلى يوم القيامة؟ قال:« **لا، بل هي إلى يوم القيامـة** » قـال: قلـتُ: فـأَخْبِرْني في أيِّ شـهر رمضـان هـي؟ قـال:

---

(١) أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" (٢/رقم: ٣٣٩٨)، عن قتيبة، به.
وأخرجه مالك في "الموطأ" ـ رواية يحيى بن بكير ـ (ق٦٠أ)، عن نافع، به.
وإسناده صحيح.

(٢) هو: ابن عبد الله الزِّمّاني.

« **التَمِسوها في العشـر الأواخـر والعشـر الأُوَل** »، وحـدَّثَ نبيُّ الله ﷺ وحدَّثَ، فاهْتَبَلْتُ[١] غَفْلَتَهُ فقلتُ: يا نبيَّ الله، أخـبرني في أيِّ عشـرٍ هـي؟ قال: « **الْتَمِسوها في العشر الأواخر، ولا تسألْني عن شيء بعدها** »، ثـمّ حدّث وحدَّث، فاهْتَبَلْتُ غَفْلَتَه فقلتُ: أقسمتُ عليك يا رسول الله بحقّـي عليك لَتُحَدِّثَنّي في أيّ العشر هي؟ فغضِب علـيَّ رسـول الله ﷺ غضبـاً مـا غضبه عليَّ من قبل ولا بَعْد، ثم قال: « **الْتَمِسوها في السبع الأواخر، ولا تسألْني عن شيء بعدها** »[٢].

محفوظٌ من حديث أبي زَميل سِماك بن الوليد، عن مالك بـن مَرْثَـد، لا يُعرَفُ إلاّ من هذا الوجه.

٥٥/ أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ، أبنا محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز المصري، أبنا أبو القاسم علي بن أحمد بن مِهْـران المديـني، أبنـا أبـو علي إسماعيل بن محمد بن أحمد بن حاجب الكُشَاني، ثنا أبو عبد الله محمد ابن يوسف الفَرَبْري، ثنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخـاري، أبنـا أبـو اليَمان، أبنا شعيب، ثنا أبو الزِّناد، عن الأَعْرج، عن أبي هريـرة قـال: قـال رسول الله ﷺ : « **مَنْ يَقُم ليلةَ القَدر إيماناً واحْتِساباً غُفِرَ له ما تقدَّم مِن ذنبه** »[٣].

---

(١) أي: اغتنمتُ. النهاية (٥/٢٣٩ ـ ٢٤٠).

(٢) أخرجه البيهقي (٤/٣٠٧)، عن أبي القاسم الحرفي، به.
وفي إسناده مرثد بن عبد الله الزمّاني، قال فيه الحافظ: « مقبول »، وقد تفرّد به.
وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٢/رقم: ٣٤٢٧) من طريق يحيى، عن عكرمة، به.

(٣) أخرجه البخاري (رقم: ٣٥)، عن أبي اليمان، به.
وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٢/رقم: ٣٤١٢)، عن محمد بن علي بن ميمون، عن أبي اليمان، ولفظه: « **من يقوم ليلة القدر ...** ».

٥٦/ أخبرنا أحمد بن محمد السِّلَفي، أبنا أحمد بن محمد الزَّنْجاني، ثنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن محمد الفَلاَّكي، ثنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي، ثنا محمد بن يوسف الكُدَيْمي، ثنا محمد بن بلال، ثنا عِمران القَطَّان، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: لما دخل رمضان قال رسول الله ﷺ : « **إنَّ هذا الشهرَ قد دخل عليكم، وهو شهرُ الله المبارك، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، مَن حُرِمَها فقد حُرِمَ الخيرَ كلَّه، ولا يُحْرَمُ خيرَها إلاّ كلُّ محروم** »(١).

٥٧/ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن حمزة بن محمد القرشي، أبنا علي ابن المُسَلَّم السُّلَمي، أبنا عبد العزيز بن أحمد التميمي، أبنا أبو الحسن علي ابن إبراهيم بن نصرويه السمرقندي، أبنا أبو بكر محمد بن أحمد بن مَتّ الإِشْتيخَني، أبنا محمد بن يوسف الربعي، ثنا أبو الحسن علي بن خَشْرَم، ثنا الحجَّاج(٢)، عن حمّاد بن سَلَمة، عن حُمَيْد الطويل، عن الحسن قال: قال غلامٌ لعثمان بن أبي العاص: « يا سيّدي، إنّ في هذا الشهر ـ يعني: شهرَ رمضان ـ ليلةً يَعْذُبُ فيها البحرُ، قال: فإذا كان ذلك فآذِنّي، قال: فآذنه، فإذا هي ليلةُ سبعَ عشرةَ مِن شهرِ رمضان ليلةُ الفرقان »(٣).

---

(١) إسناده صحيح، رجاله ثقات غير عمران بن داوَر القطّان ومحمد بن بلال البصري، فكل منهما صدوق كما في "التقريب".

وأخرجه ابن ماجه (١/رقم: ١٦٤٤) من طريق عبّاد بن الوليد، عن محمد بن بلال.

(٢) هو: ابن المنهال.

(٣) إسناده إلى الحسن صحيح، لكن بينه وبين عثمان بن أبي العاص الغلام المجهول.

٥٨/ أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ، أبنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن فورجة الصوفي، أبنا أبو القاسم علي بن أحمد بن مِهْران الصَّحَّاف المديني، أبنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن أحمد بن حاجب الكُشَاني، ثنا محمد بن يوسف الفَرَبْري، ثنا محمد بن إسماعيل البخاري، ثنا موسى ابن إسماعيل، ثنا وُهَيْب، ثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس ﷺ، أن النبي ﷺ قال: « **التمسوها في العشر الأواخر من رمضان** ـ يعني: ليلة القدر ـ، **في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى** »[١].

٥٩/ أخبرنا السِّلَفي، أبنا أبو الفَتح محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن الحارث الأَخْرَم، أبنا أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الحسين الخَرْجاني، ثنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم العَسّال الحافظ، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن مَيْمون الأَسَدي، ثنا محمد بن سليمان[٢]، ثنا حُدَيج[٣]، عن أبي إسحاق[٤]، عن أبي حذيفة[٥]، عن علي قال: خرج رسولُ الله ﷺ حين بزَغَ القمرُ كأنّه فَلْقُ[٦] جَفْنَةٍ قال: « **الليلةُ ليلةُ القَدر** »[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم: ٢٠٢١)، وأبو داود (٢/رقم: ١٣٨١)، كلاهما عن موسى بن إسماعيل، به.

(٢) هو: أبو جعفر الأسدي، الملقّب (لُوَيْن).

(٣) هو: ابن معاوية.

(٤) هو: السَّبيعي.

(٥) هو: الأَرْحَبي، اسمه: سلمة بن صهيب.

(٦) أي: شِقٌّ. النهاية (٣/٤٧١).

(٧) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في "ذكر أخبار أصبهان" (١/١٩١)، عن إبراهيم بن ميمون.

٦٠/ أخبرنا أبو طاهر السِّلَفي، أبنا أبو صادق مُرشِد بن يحيى بن القاسم المديني وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي.

وأبنا أبو القاسم عبد الرحمن بن خلف الله بن عطية المؤذِّن الإسكندراني بها، أبنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، قالا: أبنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن محمد النيسابوري، ثنا أبو محمد الحسن ابن رَشيق، قال: ثنا محمد بن رُزَيْق بن جامع، ثنا أبو مصعب الزهري.(ح) وثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز، ثنا يحيى بن بكير، قالا: ثنا مالك ابن أنس، عن حُمَيْد الطويل عن أنس بن مالك أنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في رمضان فقال: « **إني رأيتُ هذه الليلة حتى تلاحى رجلان فرُفِعت، فالْتَمِسوها في التاسعة والسابعة والخامسة** »[(١)].

وأخرجه عبد الله بن أحمد في "زيادات المسند" (١٠١/١)، عن محمد بن سليمان لُوَين.

وهو عند لُوَيْن في "جزء من حديثه" (رقم: ٣٥)، عن حُدَيْج، به.

وأخرجه أبو يعلى في "مسنده" (١/رقم: ٥٢١)، عن محمد بن بكّار، عن حُدَيْج، به بلفظ: « رأيتُ القمر ليلة القدر كأنه شقّ جفنة ».

وإسناد الحديث هكذا ضعيف، أخطأ فيه حُدَيْج، فإنه صدوقٌ يخطيءُ كما في "التقريب"، وقد خالفه شعبةُ، فرواه عن محمد بن جعفر غُندَر، عن أبي إسحاق، أنه سمع أبا حذيفة يحدّث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: « **نظرتُ إلى القمر ليلة القدر فرأيتُه كأنه فلقُ جفنة** ».

هكذا أخرجه الإمام أحمد (٣٦٩/٥)، والنسائي في "الكبرى" (٢/رقم: ٣٤١١).

قال الدارقطني في "العلل": « وهو المحفوظ ».

(١) أخرجه مالك في "الموطأ" ـ رواية أبي مصعب (١/رقم: ٨٨٥)، ورواية يحيى بن بكير (ق٦٠أ) ـ، عن حميد، به، وهو عنده في رواية يحيى الليثي (٣٢٠/١) بلفظ: « **إني أُريتُ هذه الليلة ...** ».

٦١/ وبه،[قال]: ثنا ابنُ رَشيق، ثنا أحمد بن شعيب بن علي[١]، أبنا (علي بن حُجْر)[٢]، ثنا إسماعيل[٣]، ثنا حُمَيْد، عن أنس، قال: أخبرني عُبَادَة بن الصامت: أن النبي ﷺ خرج لِيُخبرَنا بليلة القَدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: « **إني خرجتُ لأخبرَكم بليلة القَدر، وإنّه تلاحى فلان وفلان فرُفِعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالْتَمِسوها في التسع والسبع والخمس** »[٤].

٦٢/ أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سَلْمان، أبنا أحمد بن أحمد، أبنا أبو نُعَيم الحافظ، ثنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود ـ هو: الطيالسي ـ، ثنا هشام[٥]، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سَلَمة قال: تذاكرنا ليلةَ القَدر في نفرٍ من قريش، فأتيتُ أبا سعيد ـ وكان

وقد خولف مالك بن أنس في إسناده، فرواه جماعةٌ من أصحاب حميد، عن أنس، عن عُبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ، ومنهم: إسماعيل بن جعفر المدني، وسيذكر المصنف روايتَه في الحديث التالي.

قال الحافظ الدارقطني في "الأحاديث التي خولف فيها مالك" (رقم: ٦٦): « وهو الصواب، ومالك قصّر به لم يذكر عُبادة ».

(١) هو: النسائي.

(٢) ما بين القوسين سقط من النسخة الثانية.

(٣) ابن جعفر المدني.

(٤) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٢/رقم: ٣٣٩٤)، عن علي بن حُجر.

وهو في "نسخة إسماعيل بن جعفر ـ رواية علي بن حُجر ـ " (رقم: ٧٤).

والحديث عند البخاري (رقم: ٤٩)، عن قتيبة بن سعيد، عن إسماعيل بن جعفر، به.

(٥) ابن عبد الله الدستَوائي.

لي صديقاً ـ، فقال: ألا تخرج بنا إلى النَّخْل؟ فخرجنا وعليه خَميصة له، فقلتُ: أخبِرْني عن ليلة القَدر، هل سمعتَ رسول الله ﷺ يذكرُ ليلةَ القَدر؟ قال: نَعَم، اعتكفنا مع رسول الله ﷺ في العشر الأواخر من رمضان، فخَطَبَنا صبيحةَ عشرين فقال: « **إنّي رأيتُ ليلةَ القَدر، وإنّي نَسيتُها** ـ أو: **نُسِّيتُها** ـ **فالْتَمِسوها في العشر الأواخر في وِتْرٍ، فمن كان اعتكف مع رسول الله ﷺ فلْيَرجع، ورأيتُ كأنّي أسجد في ماء وطين** »، قال: فرجعنا وما نرى في السماء قَزَعَة[١]، وجاءت سحابةٌ فمُطِرنا حتى سال سَقْفُ المسجد ـ وكان من جريد النَّخْل ـ، وأُقيمت الصلاة، فرأيتُه يسجدُ في ماءٍ وطين، حتى رأيتُ الطين في جبهةِ رسول الله ﷺ ـ أو قال: أثَرَ الطين في جبهة رسول الله ﷺ ـ[٢].

٦٣/ أخبرنا أبو طاهر السِّلَفي، أبنا أبو صادق مُرشِد بن يحيى بن القاسم المديني وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي.

وأبنا عبدُ الرحمن بن خَلَف الله، أبنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، قالا: أبنا محمد بن الحسين، أبنا الحسن بن رَشيق، ثنا أحمد بن شعيب بن علي[٣]، أبنا قُتَيْبة بن سعيد، ثنا بَكْر بن مُضَر، عن ابن الهاد[٤]. (ح) وثنا ابنُ رَشيق، ثنا الحسن بن محمد بن عبد العزيز، ثنا يحيى ابن

(١) أي: قطعة من الغَيْم. النهاية (٤/٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في "مسنده" (ص٢٩١/رقم: ٢١٨٧)، عن هشام، به.
وأخرجه البخاري (رقم: ٨١٣ و٢٠١٦)، ومسلم (٢/٨٢٦) من طريقين، عن هشام.

(٣) هو: النسائي.

(٤) يزيد بن عبد الله بن الهاد.

بُكَير، حدثني اللَّيثُ بن سعد، عن ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمي، عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن، عن أبي سعيد الخُدري قال: كان رسول الله ﷺ يُجاوِرُ في رمضان العشرَ التي في وسط الشهر، فإذا كان حينَ يمسي من عشرين ليلة تمضي ويستقبل إحدى وعشرين، رجع إلى مَسْكنه ورجع مَنْ كان جاوَرَ معه، ثم إنه أقام في شهرٍ جاور فيه تلك الليلة التي كان يرجع فيها، فَخَطَبَ الناسَ، ثم أمرهم بما شاء الله، ثم قال: « **إني كنتُ أُجاور هذا العشر، ثم قد بدا لي أن أُجاور هذا العشر الأواخر، فمن كان اعتكف معي فلْيَلْبَثْ في مُعتكَفه، وقد رأيتُ هذه الليلةَ ثم أُنسيتُها، فابْتَغوها في العشر الأواخر، وابتغوها في كل وِتْرٍ، وقد رأيتُني في صبيحتها أسجد في طين وماء** »، قال أبو سعيد: فاستهلّت[1] السماء في تلك الليلة فأَمْطَرَتْ، فوَكفَ[2] المسجدُ في مصلّى رسول الله ﷺ ليلةَ إحدى وعشرين، فبصَرْتُ عيني نَظَرَتْ إليه ﷺ انْصَرَفَ مِن صلاة الصبح ووجهُه مُبْتَلٌّ طيناً وماءً، ووضع إصبعَه على عينيه ويده على جبهته[3].

لفظُ الحديث للحسن بن محمد المديني.

---

(١) أي: ارتفع صوتُ وَقْعِها. لسان العرب (هلل).

(٢) أي: تقاطر. النهاية (٥/٢٢٠).

(٣) أخرجه النسائي (٣/رقم: ١٣٥٥) وفي "الكبرى" (٢/رقم: ٣٣٤٢)، ومسلم (رقم: ١١٦٧)، عن قتيبة بن سعيد، ثنا بكر بن مضر، عن ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، به.

وأخرجه البخاري (رقم: ٢٠١٨)، ومسلم (٢/٨٢٥) من طرق أخرى، عن يزيد ابن الهاد.

٦٤/ أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سَلْمان المعروف بابن البَطّي، أبنا الإمام أبو محمد رِزْقُ الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التّميمي قراءةً عليه وأنا أسمع، أبنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بِشْران المُعدّل، ثنا أبو جعفر محمد بن عَمْرو بن البَخْتَري الرزّاز، ثنا سَعْدان بن نَصْر، ثنا سفيان بن عُيَيْنة، عن عَبْدَة بن أبي لُبابة وعاصم[1]، عن زِرّ بن حُبَيْش قال: سألتُ أبيَّ بنَ كعب عن ليلة القَدر، فحلف لا يستثني أنّها ليلةُ سبع وعشرين، قلتُ: بِمَ تقول ذلك يا أبا المنذر؟ فقال: بالآية أو بالعلامة التي قال رسول الله ﷺ: « **إنها تصبح في ذلك تطلعُ الشمس ليس لها شعاع** »[2].

(١) هو: ابن أبي النجود

(٢) أخرجه البيهقي في "سننه" (٣١٢/٤)، عن ابن بِشْران، به.

وإسناده حسن، سعدان بن نصر قال فيه أبو حاتم ـ كما في "الجرح والتعديل" (٢٩١/٤) ـ : « صدوق »، وبقيّة رجاله ثقات؛ غير عاصم بن أبي النجود، وهو مقرون بثقة.

وأخرجه أبو عوانة في "صحيحه" (٢/ق٢١٤/ب)، عن سعدان بن نصر، به.

وقد توبع سعدان بن نصر بنحو حديثه.

فأخرجه مسلم (رقم: ٧٦٢)، عن محمد بن حاتم بن ميمون وم بن يحيى بن أبي عمر، والترمذي (٥/رقم: ٣٣٥١)، عن ابن أبي عمر، والنسائي في "الكبرى" (٢/رقم: ٣٤٠٦ و ٣٤٠٧)، عن يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقي، وأبو عوانة كذلك (٢/ق٢١٤/ب)، عن شعيب بن عمرو، أربعتهم عن سفيان بن عيينة، به.

كما قد توبع سفيان عليه.

فأخرجه مسلم (٢/رقم: ٧٦٢) من طريقي الأوزاعي وشعبة، عن عبدة، وأخرجه أحمد (١٣٠/٥ ـ ١)، وأبو داود (٢/رقم: ١٣٧٨) من طريق حمّاد بن زيد، والترمذي (٣/رقم: ٧٩٣) من طريق أبي بكر بن عيّاش، كلاهما عن عاصم.

٦٥/ أخبرنا أبو طاهر السِّلَفي، أبنا أبو مُطيع محمد بن عبد الواحد ابن عبد العزيز المصري، ثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عَقيل الباوَرْدي قراءةً عليه، ثنا أبو بكر أحمد بن سَلْمان بن الحسن النجّاد، ثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة، ثنا أبو النَّضر(١)، ثنا أبو معاوية(٢)، عن عاصم، عن زِرّ، أنه قال: خرجت في نفرٍ من أهل الكوفة، وَايْـمُ الله إنْ حَرَّضَني على الوِفادة إلاّ لُقِيُّ أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، قال: فلما قدمتُ المدينةَ لقيتُ أُبَيَّ بنَ كعب وعبدَ الرحمن بنَ عَوْف، فكانا جَلِيسَيَّ وصاحِبَيَّ، فقال لي أُبَيُّ بنُ كعب: ما تريد أن تَدَعَ من القرآن آيةً إلاّ سألتني عنها!؟ قال: وكانت في أُبَيٍّ شَراسَةٌ(٣)، فقلت: أبا المُنْذر، يرحمك الله، أخبرني عن ليلة القَدر، فإن ابنَ مسعود قال: « مَنْ يقم الحَوْلَ يُصِبها »، قال: يرحمُ اللهُ أبا عبد الرحمن، فوالله لقد علم أنّها في رمضان، ولكنّه عَمّى عن الناس لِكَيلا يتّكلوا عليه، والذي أنزل الكتاب على محمد إنها لفي رمضان، وإنها ليلةُ سبع وعشرين، فقلت: أنّى علمتَ ذلك يا أبا المنذر؟ قال: بالآية التي أنبأنا رسول الله ﷺ، فقلتُ لزِرّ: ما الآيةُ يا أبا مريم؟ قال: « **تطلع الشمسُ حتى تطلعَ لا شعاع لها كأنّها طَسْتٌ حتى ترتفع** »، قال زِرّ: فرَمَقْتُها مِراراً لا شعاع لها حتى ترتفع(٤).

---

(١) اسمه: هاشم بن القاسم البغدادي.

(٢) اسمه: محمد بن خازم الضرير.

(٣) أي: نفورٌ. النهاية (٢/٤٥٩).

(٤) إسناده حسن كسابقه، رجاله كلهم ثقات؛ غير عاصم بن أبي النجود فهو صدوق.

وأخرجه الإمام أحمد (٥/١٣١) من طريق حمّاد بن شعيب، عن عاصم، به نحوه، وفي آخره: وكان عاصمٌ ليلتئذٍ من السَّحَر لا يطعم طعاماً، حتى إذا صلى الفجر صعد على الصَّوْمَعَة فنظر إلى الشمس حين تطلع لا شعاع لها حتى تبيضّ وترتفع.

٦٦/ أخبرنا ابنُ النَّقُّور، أبنا ابنُ يوسف، أبنا ابنُ المُذْهِب، أبنا ابنُ مالك، ثنا عبد الله، حدّثني أبي، ثنا عبد الرزاق، ثنا مَعْمَر، عن الزُّهري، عن عُرْوَة، عن عائشة. وعن ابن المُسَيِّب، عن أبي هريرة: **أنّ رسول الله ﷺ كان يعتكف العشرَ الأواخرَ من رمضان حتى قبضه الله عزّ وجلّ**(١).

۞۞۞

وحمّاد بن شعيب التميمي الحِمّاني ضعّفه ابن معين والنسائي وغيرهما، وقال البخاري: « فيه نظر ». الميزان (١/٥٩٦)، لكنّه مُتابَعٌ برواية أبي معاوية التي أوردها المصنف هنا.

وأخرجه أحمد كذلك (٥/١٣٢) من طريق أبي بكر بن عيّاش، عن عاصم، وفيه اختصار.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/٢٨١)، عن عبد الرزاق، به،وهو في "مصنفه" (٤/رقم: ٧٦٨٢).

وأخرجه الترمذي (٣/رقم: ٧٩٠)، والنسائي في "الكبرى" (٢/رقم: ٣٣٣٥) من طريق عبد الرزاق.

ورواه ابن جريج عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب وعروة، عن عائشة.

أخرجه النسائي في "الكبرى" (٢/رقم: ٣٣٣٦) من طريق حجّاج، عن ابن جريج.

الفهارس

دعِ البكاءَ على الأطلال والدار

واذكر لمن بان من خِلٍّ ومن جار

وأذرِ الدموعَ نحيباً وابكِ من أسفٍ

على فراق ليالٍ ذات أنوار

على ليالٍ لشهر الصوم ما جُعلت

إلّا لتمحيصِ آثامٍ وأوزارِ

يا لائمي في البكاءِ زدني به كَلَفاً

واسمعْ غريبةَ أحاديثي وأخباري

ما كان أحسنَنا والشملُ مجتمعٌ

منّا المصلّي ومنّا القانتُ القاري

[موارد الظمآن لدروس الزمان (١/٤٦٠-٤٦١)]

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس مسانيد الصحابة

فهرس شيوخ المصنف[1]

(١) مع الإحالة إلى رقم الحديث.

الفهرس العام

تمت

فضائل شهر الصوم

إعداد
أحمد العمران

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله القائل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾، والصلاة والسلام على من قال: «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**»، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـــــد:

فالصيام عبادة عظيمة، تتقرب بها المسلمة إلى الله، وذلك بترك شهوات النفس من شراب وطعام ونكاح وغيره، وهو من العبادات الجليلة التي تُقدم فيها المسلمة رضا مولاها على طلب شهوتها وهواها.

ولِشرف الصيام ومكانته عند الله، اختصه - سبحانه، وتعالى - لنفسه من بين سائر العبادات. قال ﷺ: «**يقول الله – عز وجل: كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام، فإنه لي: وأنا أجزي به...**» [متفق عليه].

وبين يديك - أختي المسلمة - هذا الكتاب المرسوم بـــ"فضائل شهر الصوم" علَّ الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

والحمد لله رب العالمين.

من فضائل الصيام

١- الصوم ومغفرة الذنوب:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

وهذا بشرط أن تُجتنب الكبائر من الذنوب؛ فالكبائر لا يكفرها إلا التوبة؛ لقول الرسول ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان؛ مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» [رواه مسلم].

٢- الصوم جُنة من النار، ووقاية من الشهوات:

عن جابر – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «**الصوم جنة، يُستجنُّ بها العبد من النار**» [رواه الطبراني]، وقال رسول الله ﷺ: «**من صام يوما في سبيل الله؛ باعد الله وجهه من النار سبعين خريفا**» [متفق عليه].

كل هذا الفضل العظيم يُدرك بصيام يوم واحد، فكيف بمن صامت شهر رمضان، وصامت الأيام الفاضلة في سائر العام؟!.

وكذلك الصيام حماية ووقاية من الوقوع في الشهوات؛ لذلك أرشد المصطفى ﷺ – وهو الناصح الشفيق- الشباب العاجز عن الزواج بالصيام، فقال ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة، فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء**» [متفق عليه].

٣- الصوم والشفاعة:

قال رسول الله ﷺ: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه. قال: فيشفعان**» [رواه الإمام أحمد].

٤- أدرك الباب:

عن سهل بن سعد – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة بابا يُقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يُقال: أين الصائمون يوم القيامة؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق، فلم يدخل منه أحد**» [متفق عليه].

فاحرصي أختي المسلمة بأن تكوني من القائمات لذاك الباب، وذلك بالمحافظة على الصيام الفرض، وصيام النوافل المستحبة.

٥- فرحة الصائمات:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «**للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه**» [متفق عليه].

فرحة عند فطرها: وذلك بعد أن مَنَّ الله عليها بإكمال الصيام، وإباحة ما كان عليها مُحرَّما من الأكل والشرب وغيره.

فرحة عند لقاء ربها: وذلك إذا وجدت ثواب الصيام مُدخرا لها عند ربها. قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا**﴾ [آل عمران: ٣٠].

٦– الصائمة وريح المسك:

قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده؛ لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**» [متفق عليه].

إن تلك الرائحة المستقذرة الكريهة عند الناس – وهي بسبب خُلُوّ المعدة من الطعام – محبوبة إلى رب الجنة والناس – سبحانه وتعالى – ولا يمنع من السواك للصائمة بعد الزوال، فهو أمر مستحب على القول الراجح.

فضل صلاة التراويح

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه**». ومعنى قوله: «**إيمانا**» أي: (إيمان بالله، وبما أعده من الأجر والثواب)، وقوله: «**احتسابا**» أي: (طلب ذلك الأجر والثواب من الله تعالى، أي: لا رياء ولا سمعة).

فصلاة التراويح في رمضان سُنَّة مؤكدة، حث عليها، ورغَّب فيها الرسول المصطفى ﷺ.

ملاحظات عند ذهاب النساء إلى المساجد

سيلاحظ على بعض الأخوات في رمضان حين يأتين إلى المساجد عدة ملحوظات منها:

١– خروج بعض النساء إلى المسجد وهن متعطرات، وهذا فيه

مخالفة لما أمر به النبي ﷺ، ويحدث بسببه فتنة للرجال، قال ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها، فهي زانية**» [رواه أحمد والترمذي].

٢- إظهار بعض مفاتنهن؛ بلبس الثوب الضيق أو وجود فتحة في أسفل ثوبها تبدو ساقيها أو لبس العباءة القصيرة أو كشف وجهها.

والمسلمة مأمورة بالتستر والحجاب الكامل لجميع جسدها؛ لأنها إذا لم تلتزم بذلك فقد عصت الله ورسوله، وحصل بسبب ذلك فتنة عظيمة، وشر كبير، من لفت أنظار الرجال، وجرأتهم عليها إلى غير ذلك.

٣- اصطحاب الأطفال معهن إلى المسجد، مما يؤدي إلى إزعاج المصلين، حيث يجتمع عدد كبير من الأطفال، فيلعبون في المسجد، ويزعجون المصلين بأصواتهم، ولا يراعون حرمة المسجد، مما يؤدي إلى التشويش على المصلين، وانشغالهم عن عبادتهم.

كما يلاحظ على بعض الأخوات أنها ربما أتت برضيعها، وتركته على الأرض، وانشغلت بصلاتها، وطفلها يبكي بكاء شديدا، ربما أثر عليه، وأزعج المصلين، فنقول لهذه الأخت: لو صليت في منـــزلك لكان خيرا لك.

٤- جلوس بعض الأخوات بين الركعات يتحدثن في أمور الدنيا، حتى إذا قرب الركوع قامت فركعت، وهذا خطأ، حيث لم تدرك مع الإمام تكبيرة الإحرام، ولم تقرأ الفاتحة، وانشغلت بغير

عذر شرعي، وسبب ذلك جهلها بدين ربها.

٥- يلاحظ على صفوف النساء عدم إتمامها، وعدم التراص فيها، بل قد يوجد فرجات في الصف الأول. فالأَوْلى إتمام الصف الأول فالأول، إذا عزل النساء عن الرجال، وأن تلصق الأخت منكبها بمنكب أختها، وكعبها بكعب أختها، ومتى وجدت صفا أعوج أقامته وسوته، فإن صفوف النساء كصفوف الرجال، إذا صلوا جماعة؛ لعموم الأدلة.

٦- حضور بعض النساء مع السائق، وربما جلست في الكرسي الأمامي بحجة أنه سائق، وهذا خطأ، وفيه مخالفة شرعية، وخلوة بهذا الأجنبي، فهي تريد أن تحصل على مستحب، وترتكب بسببه محذورا شرعيا، وأمرا خطيرا.

فالأولى أن يأتي معها محرم لها أو يأتي بها أحد محارمها، وإلا جلست في دارها كما قال النبي ﷺ: «**وبيوتهن خير لهن**».

٧- بعد انقضاء الصلاة تجلس بعض الأخوات — هداهن الله - يتحدثن بالقيل والقال، وربما جر الكلام إلى محرم من الحديث في أعراض الناس، والغيبة والنميمة، بل قد ترتفع الأصوات حتى يسمع الرجال حديثهن، وهذا من الخطأ.

فالأولى للأخت المسلمة إذا انتهت من صلاتها، أن تنصرف مباشرة إلى منـــزلها أو إلى سيارتها، ولا تتأخر إلا من عذر، كما كانت نساء الصحابة رضي الله عنهن.

وإذا خرجت، فلا تختلط بالرجال، بل تكون بعيدة عنهم[1].

---

(1) "توجيهات للأخت الصائمة"، للشيخ عمر العيد.

فضل قراءة القرآن في رمضان

إن قراءة القرآن الكريم هي التجارة الرابحة – مع الله تعالى – التي لا خسارة فيها؛ لقول الرسول ﷺ: «**من قرأ حرفا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الم﴾ حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**» [صحيح رواه الترمذي]، وقوله ﷺ: «**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه**» [رواه مسلم]، وقوله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة...**» [متفق عليه].

لذلك يُقال لصاحب القرآن يوم القيامة: «**اقرأ، وارتق، ورتل، كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منـزلتك عند آخر آية تقرؤها**» [رواه الترمذي].

ويتأكد هذا الفضل العظيم لتلاوة القرآن في شهر رمضان؛ لأنه شهر القرآن. قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقد كان رمضان مخصصا لتدارس القرآن بين جبريل – عليه السلام – ومحمد ﷺ، في كل سنة، كما في الصحيحين عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة) [متفق عليه].

وفي العام الذي توفي فيه رسول الله ﷺ عارضه جبريل – عليه السلام – القرآن مرتين.

قال الزهري – رحمه الله: (إذا دخل رمضان، فإنما هو قراءة القرآن، وإطعام الطعام). وكان الإمام مالك – رحمه الله – إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث، وأقبل على قراءة القرآن الكريم من المصحف.

ملاحظة:

إن بعض الناس يظنون أن ختم القرآن مقصود لذاته، فيهُذُّ الواحد منهم القرآن هَذَّ الشعر، بدون تدبره، ولا خشوع، ولا ترقيق للقلب، ولا وقوف عند المعاني، بل همُّه الوصول إلى آخر السورة، أو آخر الجزء، أو آخر المصحف.

ولا شك أن القرآن ليس لهذا أُنزل؛ فإن الله – تعالى – يقول في هذا الكتاب الكريم نفسه: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾، ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾.

فمن الخطأ أن يحمل أحدنا الحماسُ إذا سمع الآثار عن السلف التي تفيد أنهم يختمون القرآن كل يومين مرة، أو كل يوم مرة، فيقول: لا بد أن أقتدي بهم، ويمضي بهذا القرآن هذا، غير متمعن، ولا متدبر، ولا مراع لأحكام التجويد أو مخارج الحروف الصحيحة.

إن كون العبد يقرأ بعضا من القرآن، جزءا، أو حزبا، أو سورة – بتدبر وتفكر – خير من أن يختم القرآن كاملا بدون أن يعي شيئا منه[1].

(1) "دروس رمضان ووقفات للصائمين"، للشيخ سلمان العودة.

فضل العمرة في رمضان

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ لما رجع من حجة الوداع، قال لامرأة من الأنصار اسمها أم سنان: «**ما منعك أن تحجي معنا؟**» قالت: أبو فلان – زوجها – له ناضحان، حج على أحدهما، والآخر نسقي عليه. فقال لها النبي ﷺ: «**فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة**» أو قال: «**حجة معي**» [رواه البخاري ومسلم].

وهو – والله – فوز عظيم أن تكوني كمن حج مع الرسول ﷺ، كما هو المفهوم من ظاهر الحديث.

مخالفات في العمرة للنساء

١– اعتقاد بعض الناس أنه لا بد من صلاة مخصوصة للإحرام.

٢– اعتقاد بعض النساء بأن ثوب الإحرام لا بد له من لون خاص كالأخضر أو الأسود. وإنما تُحْرِم في ثيابها العادية.

٣– ترك بعض النساء الإحرام عند المرور بالميقات إذا كانت حائضا ظنا منها أن الإحرام يُشترط له الطهارة.

٤– مزاحمة النساء للرجال في الطواف خاصة عند تقبيل الحجر الأسود.

٥– تقبيل الركن اليماني، والمشروع استلامه فقط.

٦– تخصيص دعاء معين لكل شوط.

٧- الاعتقاد بوجوب الطهارة للسعي.

٨- ترك الدعاء عند بداية كل شوط للسعي.

٩- رفع اليدين والإشارة بهما عند التكبير لكل شوط في السعي بدل الدعاء.

١٠- إسراع بعض النساء في السعي عند العلمين الأخضرين.

١١- التطوع بالسعي قياسا بالطواف على الكعبة.

تنبيه مهم:

إن بعض المعتمرين يهملون أهليهم الذين استرعاهم الله إياهم، فقد يُسافر الأب والأم إلى مكة للعمرة، ويتركان أولادهما — من أجل الدراسة – في بلدهم، فيقضي الولدان نصف رمضان أو أكثر في مكة، والأولاد طوال هذه المدة بدون رقيب، وقد يكونون من الصغار الذين لا يُدركون، أو من المراهقين الذي يخشى أن ينـــزلقوا في مزالق كبيرة — ذكور أو إناثا – بسبب استفزاز شياطين الجن والإنس لهم. وكفى بالمرء إثما أن يُضيع من يعول!

وقد يحدث الخطأ بصورة أخرى، وهي أن كثيرا من الناس يسافرون بأهليهم إلى مكة، ثم يعتكف الأب في الحرم، أو يقضي غالب وقته فيه، ويغفل تماما عن مراقبة أبنائه وبناته، تاركا لهم الحبل على الغارب؛ فينتج عن ذلك من المساوئ ما يندى له الجبين. ومن مظاهر ذلك: ما رأيناه ورآه غيرنا في أطهر بقعة من التبرج، وتضييع الحشمة لدى بعض البنات، خاصة أن منهن بنات لأسر محافظة.

حقا إن اصطحاب الأبناء إلى البلد الحرام أمر طيب، فيه تربية لهم، وتمكين لهم من إدراك فضيلة الزمان والمكان، ومضاعفة الحسنات، فإذا كان الأب رجلا حازما يستطيع أن يحافظ على رعيته، فحبذا ذاك، وأما إن كان عاجزا عن رعايتهم ومراقبتهم، وضبط تصرفاهم، فليبق في بيته؛ طلبا للسلامة من الفساد والضرر البالغ، الذي قد يلحق برعيته؛ فيرجع بوزرهم بدلا من الرجوع بالثواب المضاعف[1].

فضل العشر الأواخر من رمضان

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله) [رواه البخاري].

وعنها رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره) [رواه مسلم].

فالعشر الأواخر لها مزية خاصة عن باقي الليالي، وقد كان نبينا محمد ﷺ يُعظم هذه الليالي المباركة، ويقوم بأعمال وعبادات لا يقوم بها في غيرها.

فحري بالمؤمنة أن تستغل هذه الليالي الطيبة المباركة بالطاعات لرب الأرض والسماوات، وذلك بكثرة الصلاة، وقراءة القرآن، وذكر الله سبحانه وتعالى.

---

(١) "دروس رمضان ووقفات للصائمين"، للشيخ سلمان العودة.

ويكفي هذه الليالي المباركة أن فيها ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، ليلة عظيمة حظيت بها أمة محمد ﷺ من دون الأُمم السابقة.

والمحرومة من فاتتها هذه العشر، وهي في غفلة عنها سواء بالتسكُّع في الأسواق أو العكوف على الفضائيات، أو مجالس الغيبة والنميمة، ولربما لا تدركها – هذه المسكينة – في الأعوام المقبلة لموت أو غيره.

فضل ليلة القدر

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ [سورة القدر].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه...**» [متفق عليه].

هذه الليلة الشريفة التي شمر لها القائمون، ومن أجلها اعتكف الصائمون، ليلة هي خير من ألف شهر، فُضلت بها أمة محمد ﷺ من دون الأمم، ففي موطأ الإمام مالك بسند مرسل: (أن رسول الله، ﷺ، أُرِيَ أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته، ألا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر.

فالفائزة من فازت بتلك الليلة، وحصلت على عظيم الثواب والأجر، وغُفر لها ما تقدمن من الذنب.

فهذه الليلة المباركة: أرجى ما تكون في العشر الأواخر، وهي في الأوتار منها آكد، لما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**التمسوها في العشر الأواخر، في الوتر**». وهي أرجى ما تكون في ليلة سبع وعشرين، وهو قول أكثر الصحابة – رضوان الله عليهم – وجمهور العلماء، فقد كان أُبي بن كعب – رضي الله عنه – يحلف بالله أنها ليلة سبع وعشرين.

فضل الصدقة في رمضان

عن عدي بن حاتم أن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه. فاتقوا النار، ولو بشق تمرة**» [متفق عليه].

ففضل الصدقة عظيم عند الله، فهي دليل صِدق الإيمان "والصدقة برهان"، كما أنها تُطفئ غضب الرحمن سبحانه وتعالى. وفي شهر الصوم ينبغي أن تُضاعف الصدقات؛ اقتداء برسول الله ﷺ، الذي كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، كما في حديث ابن عباس.

فائدة:

إنما كان جوده ﷺ في رمضان خاصة مُضاعفا، لأسباب ثلاثة:

١- لمناسبة رمضان، فإنه شهر تُضاعف فيه الحسنات، وتُرفع الدرجات، فيتقرب العباد إلى مولاهم بكثرة الأعمال الصالحات.

٢- لكثرة قراءته ﷺ للقرآن في رمضان، والقرآن فيه آيات كثيرة تحث على الإنفاق في سبيل الله، والتقلل من الدنيا، والزهد فيها، والإقبال على الآخرة، فيكون في ذلك تحريك لقلب القارئ نحو الإنفاق في سبيل الله تعالى.

وحري بكل من يقرأ القرآن يُكثر من الصدقة في سبيل الله.

٣- لأنه ﷺ كان يلقى جبريل – كما تقدم – في كل ليلة من رمضان، ولقاؤه إياه هو من مجالسة الصالحين، ومجالسة الصالحين تزيد في الإيمان، وتحث الإنسان على الطاعات، كان النبي ﷺ يُكثر من الصدقة في رمضان. [دروس رمضان ووقفات للصائمين].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتاب

فضائل شهر رمضان

تصنيف

الإمام الحافظ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين

٢٩٧ - ٣٨٥هـ

تحقيق

سمير بن أمين الزهيري

مكتبة المنار
للنشر والتوزيع

كتاب

فضائل شهر رمضان

تصنيف

الإمام الحافظ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين

٢٩٧ - ٣٨٥هـ

تحقيق

سمير بن أمين الزهيري

مكتبة المنار

للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مكتبة المنار
للطباعة والنشر والتوزيع

الأردن ـ الزرقاء ـ شارع الفاروق ص.ب ٨٤٢
هاتف ٩٨٣٦٥٩ - ٩٩٥٦٥٠ تلكس ٤١٤٢٠ ـ تجارة جو

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللَّهِ من شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالِنا، من يهدِه اللَّهُ فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هَادي له.

﴿يا أَيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ حقَّ تُقاتِهِ ولا تموتُنَّ إلا وأنتُم مُسلِمون﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكم الذي خَلَقكُم من نفسٍ واحدةٍ وخَلَق منها زَوْجَها وبثَّ مِنهما رِجَالاً كثيراً ونِساءً واتَّقُوا اللَّهَ الذي تساءَلُون به والأرحامَ إنَّ اللَّهَ كان عَليكم رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قولاً سَدِيداً. يُصلحْ لكم أعمالَكُم ويغفر لكم ذُنوبَكم ومن يُطِعِ اللَّه ورسولَه فقد فازَ فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعدُ: فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النارِ.

وبعد: فهذا أحد الكتب التي وفّقني الله عز وجل لإخراجها

وهو ثاني كتاب من مصنفات ابن شاهين[1] ـ سائلاً الله عز وجل أن يجعله خالصاً لوجههِ الكريم، وأن يتقبله مني قبولاً جميلاً.

ويحمل هذا الكتاب مَوضوعاً مُحبباً للنفس، وهو «فضائل شهر رمضان» إذ لله عز وجل نِعَمٌ، ونعم كثيرة أنعمها على المسلمين في هذا الشهر المبارك.

ففي هذا الشهر المُبارك: تفتح أبوابُ الجنة لا يُغلق منها بابٌ، وتغلق أبوابُ النارِ لا يفتح منها بابٌ، وإنما ذلك لكثرةِ الطَّاعات في هذا الشهر، ولقلة المعاصي فيه، وتصفد فيه الشياطين، فلا يَخلصُونَ إلى ما يخلصونَ إليه في غيرهِ.

وغير ذلك من الفضائِل الكثير والكثير، وقد أحسنَ المصنفُ ـ رحمه الله ـ بإفراد هذا الموضوع برسالةٍ؛ لتكون حافِزاً لكلِّ مسلمٍ على الاستزادة من فعل الخيرات، والإكثار من الطاعات، وترك المعاصي والآثام.

وفي هذا الشهر ليلةٌ خيرٌ من ألف شهرٍ، وذلك فضلٌ من الله عز وجل، فمن قامَ هذه الليلة إيماناً واحتساباً غُفر له ماتقدَّم من ذنبه.

وفي هذا الشهر الذي يتكرر كلَّ عامٍ؛ فرصة عظيمة لمن أَدرَكَهُ وقام بحقّه، وحفظ حُرماته، في أن ينال من ثواب الله عز وجل

(١) الكتاب الأول هو: «ناسخ الحديث ومنسوخه» وهو من نشر مكتبة المنار.

الأضعاف الكثيرة، والفضل في ذلك كُله لربِّ العالمين، فهو سُبحانه الذي شَرَعَ لنا من الأعمالِ الصالحة والعبادات، ما يكون سَبباً في نـوال الثواب، ومحـو الذنـوب، فللّه الفضل والمنـة، وإليه تـرجع الأمور[1].

(١) تنبيه: لم أتعرض هنا لترجمة المصنف لأني قمت بذلك في كتاب «ناسخ الحديث ومنسوخه».

ابنُ الأنْماطي(*):

تقيّ الدين أبو الطَّاهر إسماعيل بنُ عبدالله بن عبدالمحسن بن أبي بكر بن هبة الله الأنصاري. المِصري الشافعي ابن الأنماطي.

وُلد في ذي القعدة سنة سبعين وخمس مئة.

سمع القاضي محمد بن عبدالرحمن الحَضْرمي، وهبة الله بن علي البوصيري، وشجاع بن محمد المدلجي، والقاسم بن عساكر، وعدّة.

حدث عنه: البِرْزَالي، والمُنذري، والقوصي، والصدر البكري، وغيرهم.

قال عنه الذهبي: الشيخ، العالم، الحافظ، المجوّد، البارع، مُفيد الشام، وكتبَ العالي والنازل بخطِّه الأنيق الرَّشيق، وحصَّل الأصول، وبالغَ في الطلب، وله مجاميعُ مُفيدة، وآثار كثيرة، وضبط الأشياء، وكان أشعرياً.

وأثنى عليه غير واحد من أهل العلم.

وقال الضياء: بات في عافيةٍ، فأصبحَ لا يقدر على الكلام أياماً، ثم مات في رجب سنة تسع عشرة وست مئة.

(*) انظر «سير أعلام النبلاء» ٢٢/١٧٣ - ١٧٤.

زيد بنُ الحسن بن زيد بن الحسن الكِنْدي(*):

هو الشيخ، الإمام، العلامة المُفتي، شيخ الحنفية، وشيخ العربية، وشيخ القراءات، ومسند الشام، تاج الدين أبو اليُمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حِمير الكِنْدي البغدادي المقرىء النحوي اللغوي الحنفي.

حفظ القرآن وهو صغيرٌ، وقرأ بالروايات العشر وله عشرة أعوام، وهذا شيء لم يتهيأ لأحدٍ قبله، وبرع في القراءات.

وأخذ النحو عن أبي السعادات ابن الشجري، وسِبط الخياط، وابن الخشاب.

وأخذ اللغة عن أبي منصور ابن الجَوالِيقي.

وكان حنبلياً، ثم تحوّل إلى المذهبِ الحنفي، وبرع في الفقه وفي النحو، وأفتى، ودرّس، وصنّف، وله نظم ونثر، وكان ثقة.

حَدَّث عنه كبار الحفاظ: كالحافظ عبدالغني، والشيخ الموفق، وابن نُقطة، والضياء، والبِرْزَالي، والمُنذري، وابن العماد وغيرهم.

ولد في شعبان سنة عشرين وخمس مئة، وتوفي ـ رحمه الله ـ يوم الاثنين سادس شوال سنة ثلاث عشرة وست مئة.

(*) انظر السير ٢٢/ ٣٤ـ ٤١.

سِبْط الخياط: أبو محمد عبدالله بن علي بن أحمد المقرىء[*]:

ولد سنة أربع وستين في شعبان.

وسمع من: أبي الحسين بن النقور، ومحمد بن محمد العكبري، وطائفة.

وحَدّث عنه: ابنُ عساكر، والسمعاني، وابن الجوزي، وأبو اليُمن الكِنْدي، وخلق.

قال عنه الذهبي: الشيخ، الإمام، العلامة، مقرىء العراق، شيخ النحاة.

وقال السمعاني: كان مُتواضعاً متورِّداً، حسن القراءة في المحراب خُصوصاً ليالي رمضان، وقد نخرج عليه خلق...

وقال ابن الجوزي: لم أسمع قارئاً قط أطيب صوتاً منه، ولا أحسن أداءً على كبر سنه، وكان لطيف الأخلاق، ظاهر الكياسة والظَّرافة، حسن المُعاشرة للعوام والخواص.

توفي - رحمه الله - في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمس مئة، ودفن بباب حرب.

(*) انظر «سير اعلام النبلاء» ٢٠/ ١٣٠ - ١٣٣.

سِبْط الخيّاط: أبو عبدالله الحسين بن علي بن أحمد بن عبدالله البغدادي(*)، وكان أَسَنَّ من أخيه.

وُلدَ سنة ثمان وخمسين وأربع مئة.

حَدَّث عن: أبي الحسين بن النَّقُّور، وأبي منصور العكبري، وعبدالصمد بن المأمون، وغيرهم.

حدث عنه: ابنُ عساكر، والسَّمْعاني، وابن الجوزي، وأبو اليُمن الكِنْدي، وطائفة.

قال عنه الذهبي: الشيخ، الإمام، المسند، المقرىء، الصالح، بقيَّة السَّلف.

وقال السمعاني: صالحٌ، حسن الإقراء ديِّن، يأكل من كدِّ يده.

وقال ابن الجوزي: قرأت عليه القرآن.

توفي - رحمه الله - في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وخمس مئة.

(*) انظر «سير أعلام النبلاء» ٢٠/١٢٩ - ١٣٠.

ابنُ النَّقُّور(*).

الشيخ، الجليل، الصدوق، مسند العراق، أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله النَّقُّور، البغدادي، البزاز.

ولد في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة.

روى عن: علي بن عمر الحربي، وعبيدالله بن حَبَابة، ومحمد بن عبدالله الدقاق، أبي طاهر المخلِّص، وعيسى بن الوزير، وغيرهم.

روى عنه: الخطيب، والحميدي، وعبدالله بن محمد البيضاوي، والحسين سِبْط الخياط، وغيرهم.

قال عنه الخطيب: كان صدوقاً.

وقال ابن خيرون: ثقة.

وقال الذهبي: «وتفرد بأجزاء عالية كنسخة هدبة بن خالد، ونسخة كامل بن طلحة، ونسخة طالوت، ونسخة مصعب الزُّبيـري، ونسخة عمر بن زُرارة. وكان صحيحَ السماع، متحرِّياً في الرواية».

(*) انظر «سير أعلام النبلاء» ١٨/٣٧٢ - ٣٧٤.

أبو القاسم عبيد الله بن عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن شاهين(*):

الشيخ، الصادق، الواعظ، المُعَمِّر، ولد سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة.

روى عن أبيه الحافظ، وأبي بحر البَرْ بَهاري، وأبي بكر القَطِيعي، وحُسَيْنك، ومحمد بن المظفر.

وروى عنه: الخطيب، وقال: «كتبت عنه وكان صدوقاً»، وجعفر بن أحمد، وأبو علي محمد بن محمد بن المهدي.

وسمع الذهبي من طريق كتاب «سجود القرآن» للحربي.

ومات ـ رحمه الله ـ في يوم الخميس رابع شهر ربيع الأول من سنة أربعين وأربع مئة، ودفن في الغد في مقبرة باب حرب.

(*) انظر «سير أعلام النبلاء» ١٧/٦٠١.

وصف الأصل المعتمد:

هذا الجزء هو من محفوظات الظاهرية بدمشق، ويقع تحت رقم م ٢٠ (١٩٥ آ ـ ٢٠٣) وهو يتكون من تسع ورقات بما في ذلك ورقة الغلاف والسماعات التي بآخر الجزء.

وهي نسخة صحيحة قرأها كثير من أهل العلم، وعليها سماعات كثيرة لهؤلاء الأعلام كالمزي، وعليها خط يوسف عبدالهادي، ويظهر ذلك في الورقة الأولى.

وهذه النسخة كانت وقفاً على المدرسة الحنبلية بدمشق.

وجاء العنوان فيها هكذا:

كتاب

فضائل شهر رمضان، وما جاء فيه من الأحكام والعلم، وفضل صوامه، والتغليظ على من أفطر فيه متعمداً، من غير عذر

والكتاب من رواية أبي القاسم عبيدالله بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن شاهين، وهو ولد المصنف ـ رحمهما الله ـ.

وأول باب في الكتاب عنوانه: «باب في فضل شهر رمضان، وما جعل الله عز وجل فيه من البركة والرحمة والمغفرة لمن شهده، وصامه، وفضله على الشهور».

وينتهي بـ: «باب ما ذكر من فضل صيام رمضان بمكة».
وذكر تحته حديثاً واحداً. وجاء بعده:
آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين.

علقه لنفسه ابن الأنماطي باليد بظاهر
دمشق، ولله الحمد.

وتقع الرسالة في (٤) أبواب.
وكتبت هذه الرسالة في القرن السادس الهجري.

وناسخها هو أحد الحفاظ: وهو إسماعيل بن عبدالله بن الأنماطي وقد ترجمتُ له أثناء تراجم سند النسخة.

عمَلي في الكتاب:

١ ـ حرصتُ على إخراج النص صحيحاً غير محرف كما أراده مؤلفه ـ رحمه الله.

٢ ـ ضبطت النص بالشكل الذي يسهل على القارىء.

٣ ـ خرجت الأحاديث، وأَبَنْتُ درجةِ كُلّ حديثٍ، لئلا يقع أحدٌ في العمل بما لم يصح عن النبيِّ ﷺ.

٤ ـ كتبت هذه المقدمة مراعياً فيها الإيجاز.

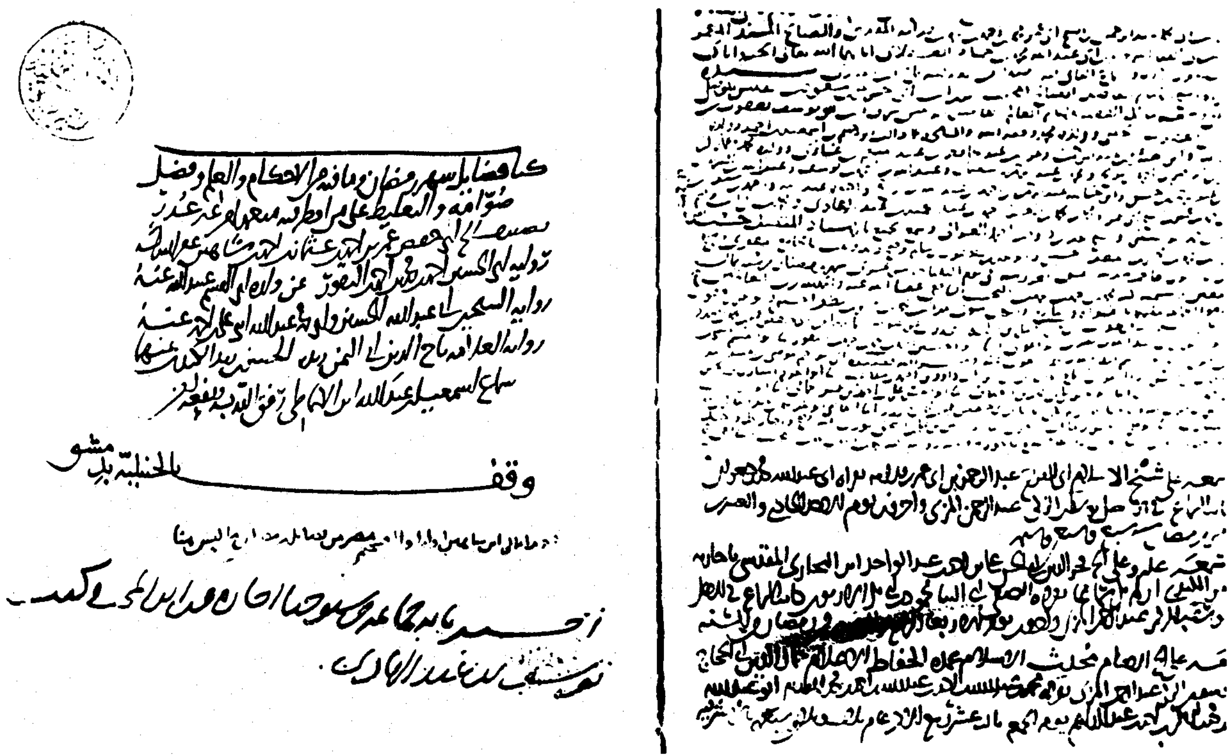
وأخيراً أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفّقت في عَمَلي هذا، إنه نعم المولى ونِعم النصير، وأن يوفقني وإياكم للعمل بكتابه سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ، وأن يوفقنا للعملِ الصّالح في كل أيامنا، وخاصة في شهر رمضان لما فيه من مزيد الفضل على غيره كما تجده في هذه الرسالة اللطيفة.

ولا يَفوتني أن أتقدم بالشُّكر، كل الشكر ـ بعد شكر الله عز وجل ـ إلى الأستاذ الكريم، والأخ الفاضل/إبراهيمساير مدير مكتبة المنار، لما رأينا من حرصه على نشر آثار سلفنا الصالح، فقد يسر لي الحصول على هذه النسخة، وبادر بنشرها جزاه الله خيراً.

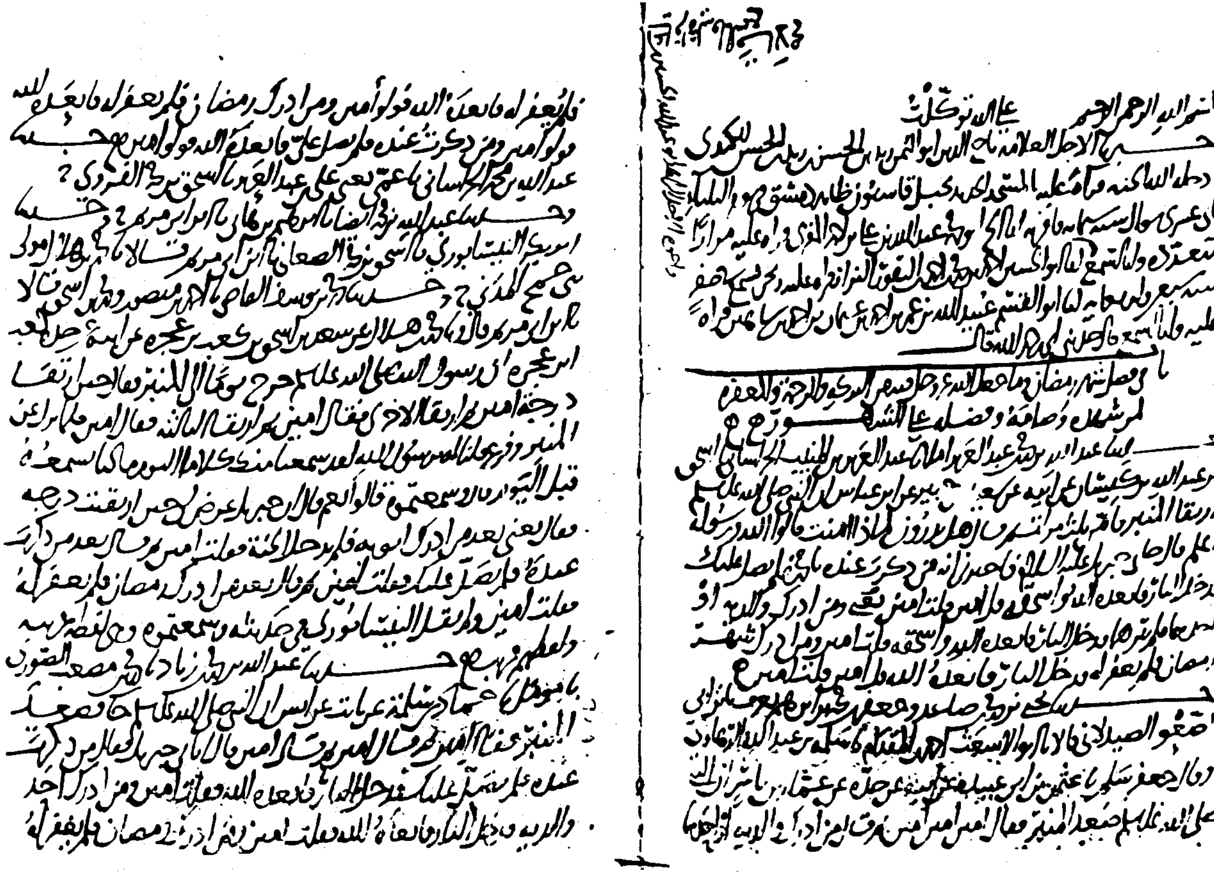
وسبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك

عمان في:
٢٩ من ربيع الأول ١٤٠٨ هـ
٢٠/١١/١٩٨٧ م

وكتب ذلك
سمير بن أمين الزهيري
أبو الفداء

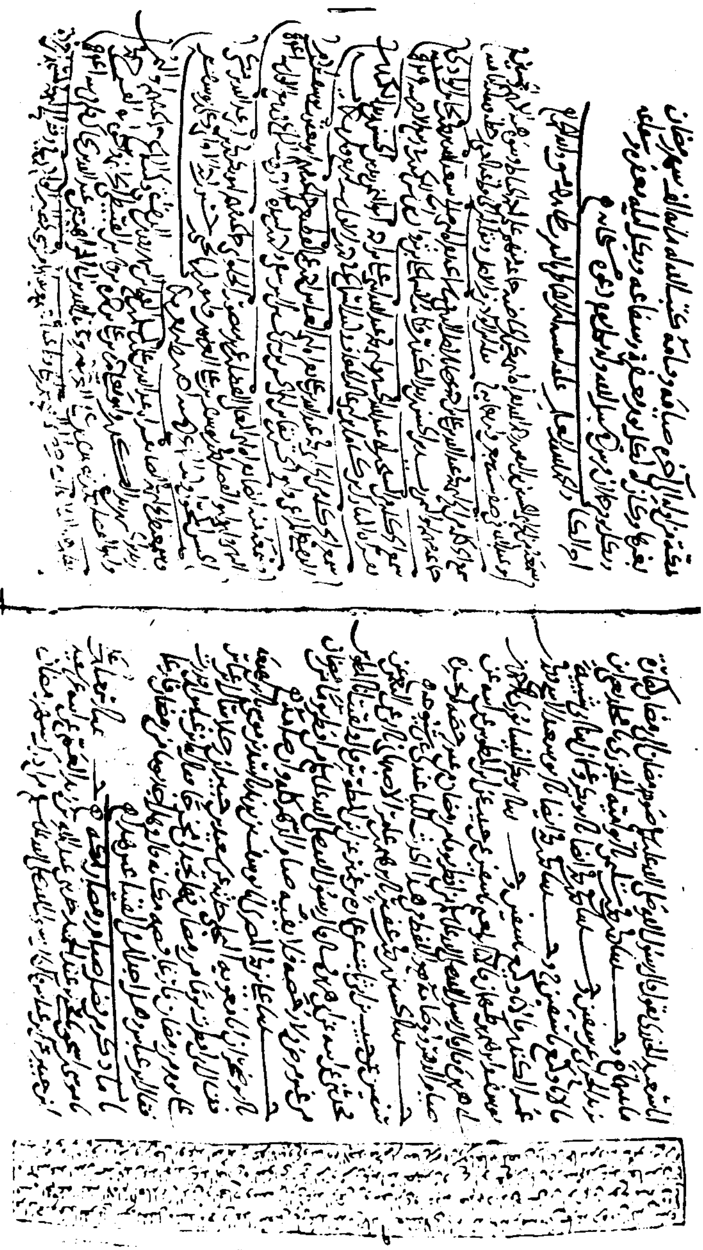


صورة عن الغلاف ويظهر فيها بعض السماعات.


بسم الله الرحمن الرحيم وعلى الله توكلت

أخبرنا الشيخ الأجل العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندي

الورقة الأولى.



آخر ورقة من الكتاب وعليها بعض السماعات.

كتـــاب

فضائل شهر رمضان وما فيه من الأحكام والعلم، وفضلِ صوامه، والتغليظ على من أفطر فيه متعمداً من غير عذر[1]

تصنيــف

الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان
بن أحمد بن شاهين
غفر الله له

(١) ما كتب على الغلاف هو اختصار لهذا العنوان، ولقد جاء عنوان الكتاب بهذا التمام على غلاف النسخة الخطية، لكن لجأنا إلى اختصاره لأسباب فنية.

رواية أبي الحسين أحمد بن محمد بن أحمد النَّقُّور عن ولده أبي القاسم عبيدالله عنه.

رواية الشيخان أبي عبدالله الحسين وأبي محمد عبدالله بني علي بن أحمد عنه.

رواية العلامة تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي عنهما سماع إسماعيل بن عبدالله بن الأنماطي ـ رفق الله به ونفعه آمين ـ.

بسم الله الرحمن الرحيم
على الله توكّلت

أخبرنا الأجلُّ، العلامةُ، تاج الدين أبو اليُمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكِنْديّ ـ أدخله اللَّهُ الجنَّةَ ـ، قراءةً عليه بالمسجد الجديد بجبل قَاسيون ظاهر دمشق في يوم الثلاثاء ثاني عشرى شوال سنة ستمائة، فأقرّ به.

أخبرنا الشيخُ أبو محمد عبدالله بن علي بن أحمد المُقرىء قراءةً عليه مِراراً مُتعدِّدة وأنا أسمعُ.

وأخوه الأجلُّ الزَّاهد أبو عبدالله الحُسين بن علي قراءةً عليه وأنا أسمع، قالا:

أخبرنا أبو الحُسين أحمد بنُ محمد بن أحمد النَّقُّور البزاز قراءةً عليه، ونحنُ نسمع في صفر سنة سبعٍ وأربعمائة.

أخبرنا أبو القاسم عُبيد الله بن عُمر بن أحمد بن عُثمان بن أحمد بن شَاهين قراءةً عليه وأنا أسمعُ قال:

حَدَّثني أبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ قال:

١ - بـــاب

في فَضل شَهر رمضانَ، وما جَعلَ اللَّهُ عز وجل فيهِ مِن البركةِ، والرَّحمةِ، والمَغْفرةِ، لِمَنْ شهدَهُ ـ وصامَه، وفضله على الشُّهورِ

١ ـ حدثنا عبدالله بنُ محمد بن عبدالعزيز إملاءً، حَدَّثنا عبدالعزيز بنُ المُنيب الخَرْاساني، حدثنا إسحاق بنُ عبدالله بن كَيْسان، عن أبيه، عن سعيد بنِ جُبير.

عن ابنِ عباس؛ أنَّ النبيّ ﷺ ارْتَقى المنبرَ، فأَمّن ثلاثَ مرّاتٍ، ثم قال: «هَلْ تَدْرونَ لماذا أَمّنتُ؟» قالوا: اللَّه ورسولُه أعلم. قال: «جَاءَني جبريلُ عليه السَّلام، فأخبرني أنه مَن ذُكرت عنده يا محمد، فلم يُصلِّ عليكَ فدخلَ النَّارَ، فأبعدَهُ اللَّهُ وأَسْحَقَهُ[1]، قُل: آمِين.

قلتُ: آمِين.

ومَنْ أَدْرَكَ وَالدِيه أو أَحدهما فلم يبرّهما، فدخلَ النَّارَ، فأبعدَهُ اللَّهُ وأَسْحقه.

قلتُ: آمين.

---

(١) أي: أبعده، والمكان السحيق: البعيد، ومنه قوله ﷺ، فأقول: «سحقاً سحقاً». أي: بعداً بعداً.

ومَنْ أَدْرَكَ شهر رمضانَ، فلم يُغفر له، فدخلَ النَّارَ، فأَبْعدَهُ اللّه.

قُل: آمين.

قلتُ: آمين»[1].

٢ ـ حدثنا يحيى بنُ محمد بن صاعدٍ، وجعفر بنُ محمد بن إبراهيم ـ يعرف بابن أبي الصّعْو ـ الصَّيدلانيّ قالا: حدثنا أبو الأشعث أحمد بنُ المِقْدام، حدثنا سلمة بنُ عبدالله الرهاوي ـ وقال جعفر: سلم ـ حدثنا ابنُ أبي عبيدة، عن أبيه، عن جدّه.

عن عمّار بنِ ياسر؛ أن النبيَّ ﷺ صَعِدَ المنبرَ فقال: «آمِين. آمِين. آمِين». ثم قال: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيه، أو أحدِهما فلم يُغفر له، فأبعدَهُ اللَّهُ، قُولوا: آمِين، ومَنْ أَدْرَكَ رمضانَ، فلم يُغفرْ له، فأبعدَهُ اللَّهُ،

---

(١) في إسناده لين؛ إسحاق بن عبدالله بن كيسان، نقل الذهبي في «ميزانه» تليين الحاكم له، ووالده كان يخطىء، لكن هذا الحديث صحيح بما يأتي من شواهد.

وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/١٦٥ «رواه الطبراني، وفيه إسحاق بن عبدالله بن كيسان وفيه ضعف».

قلت: ولم أجده في «الكبير» من هذا الطريق.

وإنما رواه الطبراني في «الكبير» ١١/٨٢/١١١١٥ مِن طريق يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن ابن عباس به.

ويزيد بن أبي زياد، قال عنه الحافظ: «ضعيف، كبر فتغير، صار يتلقن، وكان شيعياً» ومن هذا الوجه أورده الهيثمي أيضاً، وبهذه العلة أعله.

قُولوا: آمين، ومَن ذُكرتُ عِنده، فلم يصلِّ عليّ فأبعدَهُ الله، قولوا: آمِين»[1].

٣ ـ حدثنا عبدالله بنُ محمد الخُراسانيُّ، حدثنا عَمّي ـ يعني: عليّ بن عبدالعزيز ـ، حدثنا إسحاق بنُ محمد الفَرويُّ (ح).

وحدثنا عبدالله بنُ محمدٍ أيضاً، حدثنا إبراهيم بنُ هانىء، حدثنا ابنُ أبي مريم (ح).

وحدثنا أبو بكر النَّيسابُوريّ، حدثنا إسحاق بنُ محمد الصَغاني، حدثنا ابنُ أبي مريم قالا: حدثنا محمد بنُ هلال مولى بني جمح المدني (ح).

وحدثنا محمد بنُ يُوسف القاضي، حدثنا أحمد بنُ مَنصور ومحمد بن إسحاق قالا: حدثنا ابنُ أبي مَريم قال: وحدثنا مجمد بنُ هلال، عن سعد بنِ إسحاق بن كعب بن عجرة، عن أبيه.

عن جدّه كعب بنِ عجرة؛ أن رسولَ الله ﷺ خَرَجَ يوماً إلى المنبر، فقال حين ارتقى درجةً: «آمِين». ثم ارْتَقى الأُخْرى، فقال: «آمِين». ثم ارْتقى الثَّالِثَةَ، فقال: «آمِين». فلما نَزَلَ عن المنبر وفرغَ.

---

(١) إسناده ضعيف؛ في إسناده مجاهيل.
ورواه البزار (٣١٦٤) حدثنا أحمد بن المقدام بهذا الإسناد.
وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/١٦٤: «فيه من لم أعرفهم».

قُلنا له: يا رسولَ الله! لقد سَمِعنا منك كلاماً اليومَ ما كُنَّا نسمعه قبلَ اليوم.

قال: «وَسَمِعْتُموه؟».

قالوا: نَعَم.

قال: «إنَّ جِبريل عرضَ لي حين ارتقيتُ درجةً فقال - يعني - بَعُدَ مَن أدْركَ أبويهِ، فلم يدخلِ الجنَّةَ.

فقلتُ: آمِين.

ثم قال: بَعُدَ مَن ذكرتَ عِنده فلم يُصلِّ عليك.

فقلتُ: آمِين.

ثم قال: بَعُدَ مَنْ أدْرَكَ رمضانَ، فلمْ يُغفرْ لَهُ.

فقلتُ: آمِين»[1].

ولم يَقُل النيسابوريُّ في حديثه: «وَسَمِعْتُموه؟» وهي لفظةٌ غريبة، ولفظهم قريب.

---

(١) حديث صحيح كماتقدم، وهذا إسناده ضعيف؛ إسحاق بن كعب بن عجرة: مجهول.

ورواه الحاكم ٤/١٥٣ - ١٥٤، والجهضمي في «فضل الصلاة» (١٩)، والطبراني في «الكبير» ١٩/١٤٣ - ١٤٤/٣١٤ و ٣١٥ من طريق إسحاق بن كعب بهذا الإسناد.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي: «رجاله ثقات».

قلت: كذا قالوا: وإسحاق مجهول.

٤ ـ حدثنا عبدالله بنُ محمد بن زياد، حدثنا محمد بنُ مصعب الصوري، حدثنا مُؤمّل، حدثنا حمّاد بنُ سَلمة، عن ثابتٍ.

عن أنسٍ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ جاءَ فَصَعِدَ المنبرَ، فقال: «آمِين». ثم قال: «آمِين». ثم قال: «آمِين». قال: «أَتَاني جبريلُ فقال: مَن ذُكِرتَ عنده فلم يُصلِّ عليك، فدخلَ النَّارَ، فأبعدَهُ اللَّهُ، فقلتُ: آمِين، ومَنْ أَدْركَ أحدَ والدَيهِ، فدخلَ النَّارَ، فأَبْعدَهُ اللَّهُ، فقلتُ: آمِين. ومَنْ أَدْرك رمضانَ فلم يُغفر له فأبعدَه الله، فقلتُ: آمِين»(1).

٥ ـ حدثنا عليّ بنُ محمد المِصْري، حدثنا يحيى بنُ عُثمان السهمي، حَدَّثني عُبيد بنُ صدقة أبو سعيد النصيبي، حدثنا مُعاوية بنُ يزيد الكِنْديّ أبو القاسم قال: حَدَّثني أبو نافع المَديني، عن ابنِ شهابٍ الزُّهريّ قال:

قال أنس بنُ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ: قال رسولُ الله ﷺ يوماً على المنبر: «مَنْ أَدْركَ شهرَ رمضانَ، ثم ماتَ لَمْ يُغفرْ لَهُ، فإلى النار، فقلتُ: أَبْعده اللَّهُ قال: ثُم قال: مَنْ أَدْرَكَ أحدَ والديهِ، فماتَ ولم يبرّهما فإلى النّارِ. قال: قلتُ: أَبْعدَهُ اللَّهُ قال: ومَنْ ذُكرتُ عِنده فلم يُصلِّ عليّ فماتَ، فإلى النَّارِ. فقال: أبعدَهُ اللَّهُ. فلما نزلَ؛ قامَ إليه أبو

---

(1) حديث صحيح بشواهده وطرقه، وفي هذا الإسناد: مؤمل بن إسماعيل وهو سيء الحفظ.

ذرٍّ فقال له: سَمِعناكَ على المنبر، تقولُ: آمِين. فَمِمّ ذلك يا رسولَ الله؟ قال: جبريلُ أتاني»[1].

٦ - حدثنا أحمد بنُ سَلْمان، حدثنا الحسن بنُ عليّ، حَدَّثني إبراهيم بنُ محمد بن يُوسف، حدثنا مُوسى بنُ إسماعيل، حدثنا عمارة، وحمّاد بن سَلمة، عن ثابتٍ.

عن أنسٍ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ صَعِدَ المنبرَ فقال: «آمين. آمِين». فلما نزلَ.

قِيل: يا رسولَ الله! قلتَ اليومَ شَيئاً لم تَقله. قلتَ: «آمِين. آمِين».

قال: «أتاني جبريلُ عليه السَّلام، فقال: يا محمد! مَنْ أَدْرَكَ رمضانَ، فلم يُغفر له؛ فأَبْعده اللَّه.

فقلتُ: آمِين»[2].

---

(١) إسناده ضعيف، وانظر ما قبله وما بعده.

(٢) وقع هذا الإسناد كما ترى وفيه «موسى بن إسماعيل» وهو المنقري، فإن كان هذا محفوظاً غير محرف عن مؤمل بن إسماعيل كما سبق؛ فهذا إسناد صحيح، وإن كان محرفاً عن مؤمل بن إسماعيل؛ فهذا إسناد ضعيف. والحديث صحيح على أي الاحتمالين.

ومن الصعب أن أقطع بشيء من هذا، فكلاهما - موسى ومؤمل - يشتركان في الشيوخ والتلاميذ، وهما من طبقة واحدة، ونسختنا الخطية جيدة وصحيحة، قرأها كثير من أهل العلم، وليس بوسعي ألا أن أحكم على الإسناد الذي بين يدي، وإن كان هذا لا يمنع من الإشارة إلى ما حدثتني به نفسي. والله أعلم.

٧ ـ حدثنا عبدالله بنُ محمد بن زياد النَّيسابوري، حدثنا حاجب بن سليمان، حدثنا ابنُ أبي فديك، حدثنا سلمة بنُ وَرْدَان.

عن أنس بنِ مالكٍ قال: رَقى رسولُ الله ﷺ المنبرَ، فارتقى درجةً، ثم قال: «آمين». ثُمَّ ارْتَقى درجةً أُخْرى، ثم قال: «آمِين». ثم ارتقى درجةً أُخْرى، ثم قال: «آمِين». ثم اسْتَوى، فجلسَ.

فقال أصحابُه: على ما أَمّنتَ يا رسولَ الله.

قال: «أتاني جِبريلُ، فقال لي: رَغِم أنفُ رجُلٍ ذكرتَ عِند، فلم يُصلِّ عليك. قال: فقلتُ: آمِين. ثم قال: رَغِمَ أَنْفُ[1] رجلٍ أَدْرَكَ أبويه أو أحدهما، فلم يدخلِ الجنَّة. فقلتُ: آمين. قال: رَغِمَ أنف رجلٍ أَدْرَكَ رمضانَ فلم يُغفرْ لَهُ. فقلتُ: آمِين»[2].

٨ـ حدثنا عبدالله بنُ زياد، حدثنا محمد بن عبدالملك (ح)

---

(١) قال ابن الأثير: «يقال: رَغِم يَرْغَم، وَرَغَم يَرْغَم رَغْما وَرِغْما ورُغْما، وأَرْغم الله أنفه: أي ألصقه بالرَّغام وهو التراب، هذا هو الأصل، ثم استعمل في الذُّل والعَجْز عن الانتصاف، والانقياد على كُرْه».

(٢) إسناده ضعيف؛ لضعف سلمة بن وردان.

ورواه البزار (٣١٦٨)، والجهضمي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (١٥) من طريق سلمة به.

وقال البزار: وسلمة «صالح»، وله أحاديث يستوحش منها، ولا نعلم روى أحاديث بهذه الألفاظ غيره.

قلت: ولكن الحديث صحيح بشواهده السابقة واللاحقة.

وحدثنا أحمد بن سَلْمان، حدثنا إبراهيم بنُ عبدالله، ومعاذ بن المُثنى قالوا: حدثنا عبدالله بنُ مَسْلمة بن قَعْنب (ح).

وحدثنا أحمد أيضاً، حدثنا عبدالملك بن محمد، حدثنا أبو نُعيمٍ والقَعْنبيُّ قالا: حدثنا سَلمة بنُ وَرْدَان قال:

سمعتُ أنس بنَ مالكٍ يقولُ: ارتَقَى[1] رسولُ الله ﷺ على درجةِ المنبر، فقال: «آمِين». فقال أصحابُه: على ما أَمّنتَ يا رسولَ الله؟.

قال: «أتاني جِبريلُ، فقال: رَغِمَ أَنْفُ امرىءٍ أَدْركَ رمضانَ، فَلَمْ يُغفرْ له. فقلتُ: آمين». لفظ أحمد[2].

٩ ـ حدثنا محمد بنُ مَرْزوق، حَدَّثني موسى بنُ إسماعيل، حدثنا أبو يحيى صَاحِب الطعام، عن محمد بنِ المُنكدر.

عن جابر بنِ عبدالله؛ أن النبيَّ ﷺ لما بَنى المنبرَ؛ جَعل له ثلاثَ عتبات، فلما صَعِدَ العتبةَ الأُولى؛ صَعِدَ جبريلُ قُدّامَه، فقال النبيُّ ﷺ: «آمِين». فلمّا صَعِدَ الثانيةَ؛ قال: «آمِين». حتى إذا صَعِدَ الثَّالِثَةَ؛ قال: «آمِين».

---

(١) أي: صَعِدَ.

(٢) حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف، وهو مكرر ما قبله.
ومما يشهد لذلك أيضاً؛ حديث أبي هريرة وله طرق صحيحه، وعبدالله بن الحارث بن جزء، وجابر بن سمرة، وابن مسعود.

فقال المسلِمُونَ: يا نبيّ الله! رَأَيْناكَ تقولُ: «آمِين. آمِين»، ولا نرى أحداً؟!.

قال: «جبريل عليه السَّلام صَعِدَ قُدّامي العتبةَ الأُولى.

قال: يا محمد!.

قلتُ: لبيّك وسَعْديك.

قال: مَنْ أَدْركَ أبويهِ، أو أحدهما، فماتَ، فدخلَ النَّارَ، فأبعدَهُ اللَّهُ. قُلْ: آمِين.

فقلتُ: آمين. فلما صَعِدَ الثانيةَ.

قال: يا محمد!.

قلتُ: لبيّك وسَعْديك.

قال: ومَنْ أَدْرَكَ رمضانَ فصامَ نهارَه، وقامَ لَيْلَه، فماتَ ولم يُغفرْ له، فدخلَ النّار، فأبعدَهُ الله. قُلْ: آمين.

قلتُ: آمين. فلما صعدَ العتبةَ الثَّالِثة.

قال: يا محمد! مَنْ ذُكِرتَ عنده، فلم يُصلّ عليك ويُسلِّم عليك فمات، فدخلَ النَّارَ، فأبعدَهُ الله. قُل: آمين.

فقلتُ: آمِين»[1]. ﷺ.

---

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف، وهو مكرر ما قبله.
ومما يشهد لذلك أيضاً؛ حديث أبي هريرة وله طرق صحيحة، وعبدالله بن الحارث بن جزء، وجابر بن سمرة، وابن مسعود.

١٠ ـ حدثنا عبدالله بنُ محمدٍ، حدثنا شَيبان بن فَرّوخ، حدثنا حمّاد بنُ سَلمة، أخبرنا أبَان، عن أبي الصِّديق.

عن أبي سعيدٍ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ لله عزّ وجل في كُلِّ يومٍ من رمضانَ عُتقاء مِن النَّارِ، ولكُلِّ مُسلمٍ ومُسلمةٍ دَعْوةٌ مُستجابةٌ»[١].

١١ ـ حَدَّثنا يُوسف بن يعقوب بن إسحاق بن بُهْلُول، حدثنا جدّي إسحاق بنُ بُهْلُول، حدثنا أبي ـ يعني: بُهْلُول بن حسّان ـ، عن محمد بنِ يُونس بن خَبّاب، عن يُونس بنِ خَبّاب، عن سعيد بن جُبَير.

عن ابنِ عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانَ أوّل ليلة مِن

---

(١) إسناده ضعيف جداً، أبان: هو ابن أبي عياش، وهو متروك الحديث.

ورواه البزار (٩٦٠)، ونسبه الهيثمي في «المجمع» ١٠/١٤٩ للطبراني في «الأوسط»، لكن لفظ الطبراني ليس فيه «من رمضان» على ما نقل الهيثمي.

لكن الحديث صح بلفظ آخر، وإنما كان المعنى واحد، والله أعلم.

رواه أحمد ٢/٢٥٤: حدثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد ـ هو شك: يعني الأعمش ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عتقاء في كل يوم وليلة، لكل عبد منهم دعوة مستجابة».

وفي الباب عن جابر:

رواه البزار (٣١٤٢) من طريق أبي إسحاق الفزاري، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله في كل يوم وليلة عتقاء من النار في شهر رمضان، وإن لكل مسلم دعوة يدعو بها، فيستجاب له». وهذا سند صحيح.

ورواه ابن ماجة مختصراً (١٦٤٣) بلفظ: «إن لله عند كل فطر عتقاء، وذلك في كل ليلة».

رمضانَ؛ فتحت أبوابُ الجِنان كلُّها، لا يُغلق منها بابٌ واحدُ: الشهر كلّه، وغُلِّقت أبوابُ النيران، فلم يُفتح منها بابٌ واحدُ، الشهر كلّه، وغُلّت عُتاة الشياطين. ونـادى منادٍ في السَّمـاءِ الدنيـا كُلّ ليلةٍ إلى انفجار الصُّبح: يا باغي الخيـر هلمّ، ويا بـاغي الشّرانتـه، هل من مُستغفرٍ فيُغفر لَهُ، هل مِن تائبٍ فَيُتاب عليه، هل من سائِلٍ فيُعطى سُؤْله، هل من داعٍ فيُستجاب له، ولِلّهِ عز وجل عند وقتِ فِطْرِ كُل ليلةٍ، عُتقاء يُعْتَقُون من النّارِ»[1].

١٢ ـ حدثنا محمد بنُ سعيد بن عبدالرحمن الحراني بالرّقة، حدثنا محمد بنُ عُبيدالله القُرْدُوانيُّ[2] قال: حَدَّثني أبي، عن سَابق ـ يعني: البَرْبريّ ـ، عن أَبان، عن سعيد بنِ جُبير.

---

(١) إسناده ضعيف جداً، يونس بن خباب: مترك، وقداتهم. ولكن للحديث شاهداً من حديث أبي هريرة.

رواه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وابن خزيمة (١٨٨٣) من طريق أبي بكـر بن عيـاش، عن الأعمش، عن أبي صـالـح، عن أبي هـريـرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا كانت أول ليلة من رمضان، صفدت الشياطين ومـردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، ونادى منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة».

قلت: وهذا سند حسن.

وشاهد آخر عن ابن عباس في «تاريخ بغداد» ١/ ٢٨٤.

(٢) بضم القـاف والدال، بينهمـا راء ساكنـة، وتحرف في الأصـل إلى: «القردوسي».

عن عبدالله بنِ عُمر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ أبوابَ الجِنان تُفْتَح في أوّل ليلةٍ من رمضانَ إلى آخرِ ليلةٍ منه، فلا يُطبق منها بابٌ، وتُغْلَقُ أبوابُ جَهنّم من أوّل رمضانَ إلى آخرِ ليلةٍ منه، فلا يُفتح منها بابٌ، وتُغَلُّ فيه مردةُ الشَّياطين لحقّ رمضان وحُرمته، ويبعثُ اللَّهُ عز وجل مُنادِياً يُنادي في السَّماء الدُّنيا كُلَّ لَيْلةٍ من غُروبِ الشمس إلى طُلوعِ الفجر: يا بَاغي الخير! هَلُمّ مِن داعٍ يُستجابُ له، من سائلٍ يُعط سُؤْله، من مستغفرٍ يُغفر لَهُ، من تائبٍ يُتب عليه، ولِلّه عزّ وجلّ عُتقاء عند وقتِ فِطْرِ كُلِّ ليلةٍ مِن رمضانَ؛ عِباداً، وإماءً[1].

١٣ ـ حدثنا محمد بنُ إبراهيم بن نَيروز الأَنْماطي، حدثنا جعفر بنُ محمد ـ يعني: ابن الفُضيل ـ، حدثنا الوليد بنُ الوليد الحِمْصيُّ، حدثنا ابنُ ثَوْبان[2]، عن عمرو بنِ دينار.

عن ابنِ عُمر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الجنَّةَ تُزخرف في شهرِ رمضانَ، من رأسِ الحَوْلِ إلى الحَوْلِ المُقبل، فإذا كانَ أوّل يومٍ من شهرِ رمضان؛ هَبّت ريحٌ من تحت العرش، فشققت ورقَ الجنَّةِ عن

(١) إسناده ضعيف، محمد بن عبيدالله: فيه لين، ووالده عبيدالله بن يزيد القردواني: مجهول. وللتمييز بين سابق البربري وغيره؛ راجع «لسان الميزان».

(٢) في الأصل: «أبو ثوبان» وهو تحريف، إنما هو ابن ثوبان: وهو محمد بن ثابت بن ثوبان.

الحُورِ العين، فقلنَ: يا رب! اجعلْ لنا من أَزْواجنا ما تقرُّ أعينُنا بهم، وتقرُّ أعيُنهم بِنا»(١).

١٤ ـ حدثنا عبدالله بنُ محمدٍ، حدثنا محمد بنُ بكّار، حدثنا أبو معشر، عن سعيدٍ ـ يعني: المقبري ـ.

عن أبي هُريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «نِعْمَ الشهر؛ شهر رمضان تُفتح فيه أبوابُ الجِنان، وتُغْلَقُ فيه أبوابُ النَّارِ، وتُصَعّدُ فيه الشَّياطينُ، ويُغفر فيه إلا لِمَنْ يَأْبى».

قالوا: ومَنْ يأبى يا أبا هُريرة؟! فقال: الذي يأبى أن يستغفرَ اللَّهَ عز وجل(٢).

١٥ ـ حدثنا خَيْثمة بنُ سُليمان بن حَيْدَرة القُرشيُّ بأَطْرابُلس، حدثنا أحمد بنُ الفرج الحِمصيُّ، حدثنا يحيى بنُ سعيد القَطَّان، حدثنا سلام بن سليم، عن عليّ بن زيد بن جُدعان، عن سعيد بنِ المُسيّب.

عن سَلْمان الفارسيّ؛ قال رسولُ الله ﷺ: «قَدْ أظلكّم شهرُ رمضانَ، فصيامه فَريضة، وقِيامه تطوّع، فمن أَدّى في شهرِ رمضانَ

---

(١) إسناده ضعيف جداً، الوليد بن الوليد: «متروك» كما قال الدارقطني.

(٢) إسناده ضعيف، رجاله كلهم ثقات، عدا أبي معشر: وهو نجيح بن عبدالرحمن، فإنه ضعيف، وكان قد اختلط.

ورواه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٥/٣١٨ من طريق محمد بن بكار.

فريضةً، فكأنّما أدّى سَبعين فريضةً في غيرِ رمضانَ، ومَنْ تطوّع فيه بتطوعٍ ، فكأنّما تطوّع بسبعين في غيرِ رمضانَ، ومَنْ صامَ يوماً من شهرِ رمضان، كان خيراً له من ألفِ شهرٍ، ليس فيها لَيْلة القَدْر، ومنِ قامَ ليلةَ القدرِ، كان خيراً له من ألفِ شهرٍ، ومن صامَ شهرَ رمضان إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تَقَدَّم مِن ذَنْبه، وما تأَخّر إلى مِثلِهِ مِن الحَوْلِ».

قلتُ: يا رسولَ الله! وما الإيمانُ؟ قال: «الإيمانُ فريضة، والاحتساب بما أصابَهُ: بلوى، أو نَصب، أو جَزَع، أو ظُلم، أو فترة، أو كلال».

وقال رسولُ الله ﷺ «إنَّ خيرَ المسلمين وأحبّهم إلى اللّه عز وجل مَنْ قَدرَ أن يُفطّر صَائِماً، فإن جبريلَ يُسلِّم عليه، ويصافحه معَ الملائكة»[1].

١٦ ـ حدثنا إسماعيل بنُ محمد بن أبي كثير الفَارسيُّ، أنبأنا عليّ بنُ حجر ـ قراءةً عليه ـ عن يُوسف بن زياد، عن همّام بنِ يحيى، عن عليّ بن زيدٍ، عن سعيد بنِ المُسيّب.

عن سَلْمان قال: خَطَبنا رسولُ الله ﷺ في آخرِ يومٍ من شعبان، فقال: «أَيُّها النَّاسُ! قد أظلكّم شهرٌ عَظِيمٌ، شهرٌ مبارَكٌ، شَهْرٌ فيه ليلة

(١) إسناده ضعيف؛ علي بن زيد بن جدعان: ضعيف، وإن كان في الإسناد غيره من الضعفاء، لكن مدار الحديث على ابن جدعان كما قال الحافظ، وانظر ما بعده.

خيرٌ من ألفِ شهرٍ، جعلَ اللَّهُ صيامَه فريضةً، وقيام ليلهِ تطوّعاً، من تقرّب فيه بخصلَةٍ من الخيرِ؛ كان كَمَن أدّى فريضةً فِيما سِواه، ومَنْ أدّى فريضةً كان كَمَنْ أدّى سَبعين فريضةً فِيما سِواهُ، وهو شهرُ الصّبْر، والصَّبرُ ثوابهُ الجنّة، وشهرُ المُواساة، وشهر يُزاد في رزقِ المؤمن فيه، من فطَّر صَائماً كان مغفرة لذُنُوبه وعتق رقبته مِن النَّارِ، وكان له مثل أجرهِ من غيرِ أن يُنتقص مِن أجره شيءٌ».

قُلنا: يا رسولَ الله! وليس كُلّنا يجدُ ما يفطّر الصائم.

قال رسولُ الله ﷺ: «يُعطي اللَّهُ عز وجل هذا الثوابَ من فطّر صائماً على مذقة لبنٍ، أو تَمْرةٍ، أو شربة من ماءٍ، ومن أشبعَ صائماً سَقاهُ الله عز وجل من حَوْضي شربةً لا يظمأُ بعدها حتى يدخلَ الجنَّةَ، وهو شهرٌ أوّلُه رحمة، وأوْسطه مَغفرة، وآخره عِتقٌ من النَّارِ، من خَفّف عن مملوكِهِ غَفَرَ اللَّهُ له، وَأَعْتقه من النَّار، واستكثِروا فيه من أربع خِصال: خصلتين ترضون بهما ربّكم عز وجل، وخصلتين لا غِنى بكم عنهما.

فأما الخصلتان اللّتان ترضون بهما ربكم عز وجل: شَهادة أَن لا إله إلّا الله وتَسْتَغْفِرُونه.

وأما اللّتانِ لا غنى بكم عنهما: فتَسْأَلُون اللَّهَ الجنّة، وتَعوذُون به مِن النَّارِ»(١).

---

(١) إسناده ضعيف؛ لضعف علي بن زيد بن جدعان، وهو مكرر ما قبله.
ورواه ابن خزيمة (١٨٨٧) ثنا علي بن حجر بهذا الإسناد.
وقال ـ أي ابن خزيمة ـ: «إن صح الخبر».

١٧ ـ حدثنا نصر بنُ القاسم بن نصر الفَرَائِضي، حدثنا محمد بنُ إبراهيم بن فُرْثة(١) الخوارزميُّ ـ سنة أربعين ومائتين ـ حَدّثنا أبو سعيد عبدالرحمن بن عبدالله مولى بَني هاشم، عن جَرير بن أَيّوب البجلي، حدثنا الشَّعبيُّ.

عن عُروة بن مسعود الغفاري؛ أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَا مِن رجُلٍ يصومُ شهر رمضانَ إلا زُوِّج زوجةً من الحُورِ العِين في خَيْمةٍ من دُرّةٍ مجوّفة، مما نَعتَ اللَّهُ عز وجل. على كُلِّ امرأةٍ منهن سَبْعونَ حلّة، ليس منها حلّة على اللّون الآخر، تُعطي سبعين لَوْناً من الطِّيب، ليس فيها لونٌ على الآخرِ، لكُلِّ امرأةٍ منهن سبعين سَريراً من ياقوتة حمراء موشحة بالدُّر، على كُلِّ سرير سبعون فِراشاً من استبرق، وفوقَ السبعين فِراشاً سبعون أُريكة، لكُلِّ امرأة مِنهن سَبعون ألف وَصِيفة لحاجتها، وسبعون ألف وصيف مع كُلِّ وصيفٍ صحفة من ذَهبٍ، فيها لون من طعامٍ، يجدُ لآخر لُقمة منها لذّةً لا يجد لأوّلها، ويُعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوتة حَمْراء عليه سوارَانِ من ذهبٍ، موشّح بياقوت أحمر، هذا لكُلِّ يومٍ صامَه من شهر رمضانَ، سوى ما عَمِلَ فيه من الحَسنات»(٢).

---

(١) بضم الفاء، وسكون الراء، في آخرها نون.

(٢) حديث موضوع.

ورواه ابن خزيمة (١٨٨٦)، وابن الجوزي في «الموضوعات» ٢/١٨٨ ـ ١٨٩، والطبراني في «الكبير» ٢٢/٣٨٨ ـ ٣٨٩/٩٦٧ من طريق جرير بهذا الإسناد.

وقال ابن خزيمة: «إن صح الخبر، فإن في القلب من جرير بن أيوب». =

١٨ ـ حدثنا إبراهيم بنُ حمّاد بن إسحاق، حدثنا عمر بنُ شَبَّة، حدثنا عامر بن مدرك الحارثي، حدثنا جَرير بن أيّوب، عن الشَّعبيِّ.

عن نافع بن مسعود الغفاري؛ أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، وقد هلّ شهرُ رمضان: «لَوْ يعلمُ العبادُ ما في رمضانَ؛ لتمنّت أُمّتي أن تكونَ السّنة كلّها».

فقال رجلٌ من خُزاعة: يا رسولَ الله! حَدِّثنا.

فقال: «إنَّ الجنّةَ تزين لرمضانَ، من رأسِ الحَوْل إلى الحولِ، إذا كان أوّل يومٍ من رمضانَ؛ هبّت ريحٌ من تحت العرش، فصفقت[1] ورقَ الجنّة، فنظر الحوُر العيـن إلى ذلك، فقُلن: يا ربِّ! اجعلْ مِن عِبادك في هذا الشهر أزْواجاً تقَر أعيننا بهم، وأعينُهم بِنا».

قال: «فما مِن عبدٍ يصومُ رمضانَ إلاَّ زُوّج زوجةً من الحور العين في خيمةٍ من دُرٍّ مجوفة، مما نعتَ اللَّهُ عز وجل ﴿حُورٌ مَقْصوراتٌ في الخِيَامِ﴾، على كُلِّ امرأةٍ منهن سبعون حلّة، ليس منها حُلّة على لونِ الأخرى، وتُعطى سبعين لَوْناً من الطِّيب، ليس منها لـونٌ على ريح الآخر، لكُلّ امرأةٍ منهن سبَعين سَريراً من ياقوتة حمراء موشّحة بالدُّر، على كُلِّ سرير منها سبعون فِراشاً من سُندسٍ بَطَائِنها من استبرق،

= وقال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، والمتهم به جرير بن أيـوب. قال يحيى: ليس بشيء، وقـال الفضل بن دكين: كـان يضع الحديث، وقال النسائي والدارقطني: متروك».

(١) أي حركت.

وفوقَ السبعين فراشاً سبعون أريكـة، لكلِّ امـرأةٍ منهن سبعون ألف وَصِيفة، وسبعون ألف وصيفٍ، مع كُلِّ وصيفة صحفة من ذهبٍ، فيها لون يجد لآخر لقمةٍ لذةً لا يجدها للأولى، ويُعطى زوجُها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر، عليها سوارَان من ذهبٍ، موشَّح بياقوت أحمـر، هذا لكُـلِّ يومٍ صـامَـه من رمضـانَ، سـوى مـا عَمِـلَ مِن الحسنات»[1].

١٩ - حـدثنا أحمـد بنُ محمـد بن إسمـاعيـل الأدمي، حـدثنـا الفضـل بنُ سهل الأعـرج، حدثنـا عبدالـوهـاب بنُ عـطاء، حـدثنـا الهيثم بنُ الحواريّ، عن زيد العَمّي، عن أبي نَضْرة أنه قال:

سمعتُ جابر بنَ عبدالله يقولُ: قال النبيُّ ﷺ: «أُعطيت أُمتي في رمضانَ خمساً لم يُعطهّن نبيّ قبلي.

أما واحدة: فـإذا كانَ أوّل ليلة نـظرَ اللَّهُ عز وجـل إليهم، ومن نظرَ الله عز وجل إليه لم يُعذّبه أبداً.

وأما الثانية: فإن خَلوف أَفْواههم حين يمسونَ أطيب عند الله عز وجل من ريح المسكِ.

وأما الثالثة: فإن الملائكةَ تستغفر لهم في كُلّ يومٍ وليلةٍ.

والرابعة: فإنّ الله عز وجل يأمر جنّتَهُ فيقول تَزَيّني واستعِدّي لِعبادي.

والخامسة: فإذا كانَ آخر ليلةٍ غَفَرَ لهم»[2].

---

(١) موضوع، وهو مكرر ما قبله. (٢) إسناده ضعيف.

٢٠ ـ حدثنا عليّ بنُ محمد بن أحمد بن يزيد الرياحيُّ، حدثنا أبي، حدثنا أبي، خَلف بنُ خليفة، عن عُبيد الله بن عبدالله بن أبي مليكة، عن الأعمش، عن أبي صالحٍ.

عن أبي هُريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أُمّتي لن تُخزى أبداً ما أقَاموا شهرَ رمضانَ».

فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسولَ الله! ما خزيهم من إضاعةِ شهرِ رمضان؟.

قال: «انتهاكُ المحارم فيه، فمن عَمِلَ سُوءاً، أَوْ زَنَا، أو شَرِبَ خَمْراً، لم يَقْبلِ اللَّهُ منه شهرَ رمضان، ولعنه الربُّ وملائكةُ السّماء إلى مِثلها من الحَوْلِ، فإن ماتَ قَبْل أن يُدرك شهرَ رمضان فليبشر بالنَّار، فأَقِيموا شهرَ رمضان؛ فإنَّ الحسنات تُضاعف فيه ما لا يُضاعف فيما سِواه، وكذلك السّيئات»[1].

---

(١) إسناده ضعيف، خلف بن خليفة اختلط، وعبيدالله بن عبد الله بن أبي مليكة: لم أجده، وباقي رجاله ثقات، وشيخ المصنف ووالده وجده كلهم ثقات من رجال «تاريخ بغداد»، فعلي مترجم في ١٢/٧٦ ـ ٧٧، ووالده في ١/٣٧٢، وجده في ٥/٢٢٧ ـ ٢٢٨.

وللحديث طريق آخر:

رواه الطبراني في «الصغير» (٦٩٧)،وابن عدي في «الكامل» ٥/١٨٩٦ من طريق عيسى بن سليمان أبي طيبة، عن الأعمش، عن أبي صالح مولى أم هانىء، عن أم هانىء قالت: قال رسول الله ﷺ: . . . =

٢١ - حدثنا أحمد بنُ محمد بن يزيد الزَّعْفرانيُّ، حدثنا إسماعيل بنُ أبي الحارث، حدثنا يحيى بنُ أبي بكير، حدثنا إبراهيم بنُ طَهْمان، حَدَّثني أيّوب، عن أبي قِلابة.

عن أبي هُريرة أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رَمضانُ شهرٌ مباركٌ، افترضَ اللَّهُ عليكم صِيامَهُ، تُفتحُ فيه أبوابُ الجنة، وتُغلق فيه أبوابُ الجَحيم، وتُغَلُّ فيه الشَّياطينُ، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، مَنْ حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ»(١).

٢٢ - حدثنا عبدالله بنُ محمد بن يحيى، وأبو الأَزْهر، وأحمد بنُ منصور قالوا: حدثنا عبدُالرّزّاق، أخبرنا مَعْمر، عن الزُّهريِّ، عن ابنِ أبي أُنيس، عن أبيهِ.

= قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً، أبو طيبة ضعفه ابن معين، وأبو صالح مولى أم هانىء: هو باذام وهو ضعيف مدلس.

وقال ابن عدي: «وهذا عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أم هانىء، لا يرويه عن الأعمش غير أبي طيبة، وقد قيل في هذا الحديث: عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة من طريق مظلم أيضاً».

(١) رجاله ثقات، إلا أنه قد أعل بالانقطاع بين أبي قلابة، وبين أبي هريرة، فقد قيل: لم يسمع منه، ولكن هذا شاهد جيد، إذا الحديث له ما يقويه، وانظر ما بعده.

ورواه أحمد ٢/٤٢٥ حدثنا إسماعيل بهذا الإسناد.

ورواه النسائي ٤/١٢٩ أيضاً.

ورواه عبدالرزاق (٧٣٨٣) أخبرنا معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة: أن النبي ﷺ قال: . . . فذكره مرسلاً.

وانظر رقم (٢٦).

عن أبي هُريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا دخلَ شهرُ رمضان؛ فُتِحتْ أبوابُ الرَّحمةِ، وَغُلِّقتْ أبوابُ جَهنّم، وسُلْسِلت الشَّياطينُ»(١).

قال أبو بكرٍ(٢): «قول عبدالرزّاق «ابن أبي أُنيس» أراد تَصْغِيره، إنما هو «ابن أبي أَنسٍ».

٢٣ - حدثنا عبدالله بنُ محمدٍ، حدثنا محمد بنُ يحيى، حدثنا نُعيم بنُ حمّاد، حدثنا ابنُ المُبارك، حدثنا مَعْمر، ويُونس، عن الزُّهريِّ، حَدَّثني ابنُ أبي أنس، أن أَباه حَدَّثه أنه سَمِعَ.

أبا هُريرة يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ «إِذَا دَخَلَ رمضانُ» - وقال يونُس: «إِذَا كانَ رمضانُ» - فُتِحت أبوابُ الرَّحمةِ، وغُلِّقت أبوابُ جَهنّم، وسُلْسِلتِ الشَّياطينُ»(٣).

---

(١) إسناد صحيح، ابن أبي أنس: هو نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، وقوله في الإسناد: «ابن أبي أنيس» خطأ كما نُبِّه على ذلك في نهاية الحديث.

وهو في «المصنف» (٧٣٨٤).

(٢) هو الإمام الحافظ: أحمد بن منصور.

(٣) رجاله ثقات، إلا أن نعيم بن حماد فيه كلام، ولكن ذلك لا يضر لموافقته الثقات.

ورواه البخاري (١٨٩٨) و(١٨٩٩) و(٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩)، والنسائي ٤/١٢٦ - ١٢٨، وابن خزيمة (١٨٨٢)، والبغوي (١٧٠٣) و(١٧٠٤) وغيرهم من طريق ابن أبي أنس به.

٢٤ ـ حدثنا يحيى بنُ محمد بن صاعدٍ، حدثنا الحسين بنُ الحسن المَرْوزي، أخبرنا بِشر بن السّري، حدثنا عبدالله بنُ المُبارك، عن كثير ـ يعني: ابن زيدٍ ـ، عن عَمرو بن تميم.

عن أبي هُريرة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: . . .

ولم يذكر في الإسناد: «عن أبيه»(١).

٢٥ ـ وحَدَّثنا أحمدِ بنُ سَلْمان الفقيه، حدثنا محمد بنُ إسماعيل السّلميُّ، حدثنا نُعيم بنُ حمّادٍ، حدثنا [ابن](٢) المبارك، حدثنا كثير بنُ زيدٍ، حدثنا عَمرو بنُ تميم، عن أبيه؛ أنه سَمِعَ.

أبا هُريرة يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ: «أَظَلَّكُم شَهْرُكم هذا؛ بمحلوفِ رسُولِ الله ﷺ، ما مرّ بالمُسلِمين شهرٌ خيرٌ لهم منه، وما مرّ بالمُنافِقين شَهْرٌ شَرٌ منه، إنه ليُكتب جره ونوافِلُه قبل أن يَدخل، ويكتب إصره وشقاؤه قبل أن يَدخل، ذلك أن المُؤْمن يعدُّ القوة بالعبادةِ لمن النفقةِ، ويعدُّ المنافقُ اتباع غَفلة المؤمنينَ، واتباع عَوراتهم، وهو غَنِيمة للمُؤْمن، يغنْمه للَّهُ عز وجل أجرَهُ»(٣).

لفظ حديث نعيم بن حمّاد، وهما متقاربان.

---

(١) إسناده ضعيف، وانظر ما بعده.

(٢) زيادة لا بد منها، وقد سقطت من الأصل.

(٣) إسناده ضعيف، عمرو بن تميم قال عنه البخاري: «في حديثه نظر»، وأبوه مجهول.

٢٦ - حدثنا أحمد بنُ المفلس، حدثنا محمد بنُ منصور الطُّوسيّ.

وحَدَّثنا عبدالله بنُ محمد بن زيادٍ، حدثنا العباس بنُ محمدٍ، ومحمد بنُ إبراهيم بن مسلم.

وحَدَّثنا محمد بنُ يوسف، حَدَّثنا العباس بنُ محمدٍ قالا[١]: حدثنا روح بنُ عُبادة، حدثنا شُعبة قال: سمعتُ عطاء بنَ السَّائب قال:

سمعتُ عَرْفجة السّلمي: رجل من أصحابِ عبدالله قال: كُنَّا في بيتِ عُتبة بن فرقد - قال شُعبة: فحدثتني امرأةُ عتبة: أَنَّه قد غزا مع النبيِّ ﷺ في رمضانَ - فأرادَ أَنْ يُحدِّث حَدِيثاً، فرأى رجلٌ من أصحابِ النبيِّ ﷺ؛ كأَنَّه أولى بالحديث منه، فسكت، فقال ذلك الرجلُ: لسمعتُ رسولَ الله ﷺ ذَكَرَ رمضانَ فقال: «تُفتح ا، أبوابُ الجنَّةِ، وتُغْلَقُ فيه أبوابُ الجَحيم، ويُصَفَّدُ فيه كُلُّ شيطا، مَرِيـ.، ويُنادي منادٍ من السَّماءِ كُلَّ ليلةٍ: يا طالبَ الخيرِ! هَلُمَّ، يا طالبَ الشَّرِ! أَمْسك»[٢].

= ورواه أحمد ٢/٣٧٤ و ٥٢٤، وابن خزيمة (١٨٨٤) من طريق كثير بن زيد بهذا الإسناد.

(١) كذا الأصل، والصواب: قالوا، وضمير الجمع يعود إلى محمد بن منصور الطوسي، ومحمد بن إبراهيم بن مسلم، والعباس بن محمد. والله أعلم.

(٢) إسناده جيد، ورواية شعبة عن عطاء بن السائب قبل الاختلاط، وعرفجة: هو ابن عبدالله، ذكره ابن حبان في «الثقات»، ووثقه العجلي. =

٢٧ ـ حدثنا محمد بنُ يُوسف بن يعقوب القاضي، حدثنا أحمد بنُ منصور.

وحَدَّثنا أحمد بنُ سَلْمان، حدثنا الحارث بنُ أسامة قالا: حدثنا يزيد بنُ هَارون، أخبرنا هِشام بنُ أبي عبدالله[1]، عن محمد بنِ محمد بن الأسود، عن أبي سَلمة.

عن أبي هُريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعْطِيتْ أُمَّتي في رمضان خَمْسَ خِصَالٍ، لم تُعْطَها أمةٌ قَبلهم، خُلُوفُ فَمِ الصَّائِم أَطْيبُ عند الله من ريح المسك، وتستغفرُ لهم الملائكةُ حتى يفطروا ـ أو حين يفطروا ـ ويُصَفَّدُ فيه مردةُ الشَّياطين، فلا يَخلُصون فيه إلى ما كانوا يَخْلُصُون في غيرِهِ، ويُزَيِّنُ الله عز وجل في كُلِّ يومٍ جنته، ثم يقولُ: يُوشك عِبادي الصَّالحون أن يُلْقُوا عنهم المَؤُونة والأَذى، ويَصيروا إليكِ، ويغفرُ لهم في آخرِ ليلةٍ».

= ورواه أحمد ٤/٣١١ ـ ٣١٢، والنسائي ٤/١٣٠ من طريق شعبة به. وتابع شعبة عبيدة بن حميد.

رواه أحمد ٤/٣١٢.

وتابعهما إسماعيل بن علية.

رواه أحمد ٥/٤١١.

وتابعهم سفيان: وهو ابن عيينة، لكنه جعله من مسند عتبة بن فرقد.

رواه عبدالرزاق (٧٣٨٦)، والنسائي ٤/١٢٩ ـ ١٣٠.

وقال النسائي: «هذا خطأ».

(١) كذا بالأصل وهو تحريف، والصواب: هشام بن أبي هشام أو ابن زياد.

قيل: يا رسول الله! أَهي ليلةُ القدرِ؟.

قال: «لا، ولكنَّ العاملَ إِنَّما يُوَفَّى أجرَه إذا قَضى عَمَلَهُ»[1].

(١) إسناده ضعيف جداً، هشام بن زياد أبو المقدام «متروك»، ومحمد بن محمد بن الأسود «مجهول».

ورواه أحمد (٧٩٠٤) حدثنا يزيد، أخبرنا هشام بن أبي هشام به.

٢ ـ بــاب
ما ذُكر مِن فَضْلِ مَنْ صامَ رمضانَ وقامَهُ إِيماناً واحتِسَاباً

٢٨ ـ حَدَّثنا عبدالله بنُ محمدٍ إملاءً، حدثنا أبو نَصْر التّمّار، حَدَّثنا القاسم بنُ الفَضْل الحُدّانيّ، عن النَضْر قال: قلتُ لأبي سَلمة: حَدِّثني بشيءٍ سمعته من أبيك يُحدّث به عن رسُولِ الله ﷺ، قال:

حَدَّثني أبي في شهر رمضانَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ عزّ وجل فَرَضَ عَلَيْكُم صيامَ شَهر رمضانَ، وسَننتُ لكم قِيامَهُ، فمن صَامَهُ، وقَامَهُ إيماناً وَاحْتِسَاباً؛ خَرجَ مِن الذُّنوبِ كَيومِ وَلَدتْهُ أُمُّهُ»[1].

---

(١) رواه النسائي ١٥٨/٤، وابن ماجة (١٣٢٨) وابن خزيمة (٢٢٠١)، وأبو يعلى (٨٦٣) و(٨٦٤) و(٨٦٥) من طريق النضر: وهو ابن شيبان بهذا الإسناد.

وهذا الحديث بهذا الإسناد ضعيف؛ لكن معناه صحيح.

فأما عن ضعف الحديث بهذا الإسناد؛ فسببه النضر بن شيبان فهو ضعيف، وقد قال ابن معين: «ليس حديثه بشيء».

وقال البخاري عن حديثه: «لم يصح، وحديث الزهري وغيره عن أبي سلمة عن أبي هريرة أصح». =

. . . .

= وقال النسائي: «هذا خطأ، والصواب: حديث أبي سلمة، عن أبي هريرة».
وأعله الدارقطني في «الأفراد» بحديث أبي سلمة، عن أبي هريرة أيضاً.
قلت: وله علة أخرى، وهي: الانقطاع بين أبي سلمة وبين أبيه عبدالرحمن بن عوف، جزم بذلك جماعة من الأئمة.
وقد قال ابن خزيمة.
«أما خبر: «من صامه وقامه... إلى آخر الخبر» فمشهور من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة، ثابت لا شك ولا ارتياب في ثبوته أول الكلام، وأما الذي يكره ذكره: النضر بن شيبان، عن أبي سلمة، عن أبيه.
فهذه اللفظة معناها صحيح من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ لا بهذا الإسناد. فإني خائف أن يكون هذا الإسناد وهماً، أخاف أن يكون أبو سلمة لم يسمع من أبيه شيئاً، وهذا الخبر لم يروه عن أبي سلمة أحد أعلمه غير النضر بن شيبان».

٣ ـ بـــاب

ما رُوي عن النبيِّ ﷺ؛ أن رمضانَ إلى رمضانَ كفّارة لما بينهما ما اجتنبَ الكبائر، وحَفِظَ حُدُوده

٢٩ ـ حدثنا عبدالله بنُ محمد بن عبدالعزيز، ومحمد بن هَارون الحَضْرميُّ، قالا: حدثنا سُليمان بن عمر بن خـالد الأقـطع، حدثنـا عبدالله بنُ المُبارك، عن يحيى بن أيّوب قال: أخبـرني عبدالله[١] بن قريط؛ أن عطاء بن يسار[٢]، أخبره أنه سَمِعَ.

أبا سعيدٍ الخُدري يقولُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن صَامَ رَمضانَ، يَعْرِفُ حُـدُودَهُ، ويحفظُ ما يَنْبغي أن يحفظَ منـه؛ كَفَّر مَـا قَبْلَهُ». لفظ عبدالله بن محمد[٣].

---

(١) تحرف في الأصل إلى: عبيدالله.

(٢) تحرف في الأصل إلى: السائب، وكتب في الهامش: صوابه يسار.

(٣) إسنــاده ضـعيـف؛ عـبـدالله بـن قـريط، بـيض لـه ابـن أبـي حـاتم (٢/٢/١٤٠)، وقال الحسيني في «الإكمـال»: «مجهول»، ولم يـرو عنه سوى يحيى بن أيوب، وذكره ابن حبان في «الثقات». =

٣٠ ـ حدثنـا يحيى بنُ محمد بن صاعدٍ، حدثنا لُوَيْن: محمد بنُ سليمان، حدثنـا ابنُ المبارك، عن يحي بنِ أيـوب، عن عبدالله بنِ قارظٍ ـ كذا قال ـ عن عطاء بنِ يسار.

عن أبي سَعيدٍ الخُدري، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رمضانَ، فعرفَ حُدودَهُ، وحَفِظَ ما ينبغي له أن يُتحفَّظ؛ كانَ كفَّارة لَهُ»[1].

٣١ ـ حدثنا محمد بنُ إسماعيل، حدثنا ابنُ أبي مريم، حـدثنا يحيى بنُ أيوب قال: حُدِّثتُ عن عبدالله بنِ قرط، عن عطاء بن يسار.

عن أبي سعيدٍ الخدري؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «رَمضانُ إلى رَمضانَ كَفَّارةٌ لما بَينهما»[2].

= ورواه الخـطيب في «التاريـخ» ٣٩٢/٨ من طريق محمـد بن هارون بهـذا الإسناد.

ورواه أحمد ٥٥/٣، وأبو يعلى (١٠٥٨)، وابن حبـان (٨٧٩)، والبيهقي ٣٠٤/٤، وأبو نعيم في «الحلية» ١٨٠/٨ من طرق عن عبدالله بن المبارك بهذا الإسناد.

وقال أبو نعيم: «غريب لم يروه عن عطاء إلا عبدالله بن قـرط، تفرد عنـه يحيى بن أيوب».

(١) مكرر ما قبله.

(٢) إسناده ضعيف كسابقه، وفي هذا السند علة أخرى وهي: الانقطاع بين يحيى بن أيوب وبين عبدالله بن قرط.

لكن هذا المتن صحيح، ويشهد له حديث أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول:

٣٢ ـ حدثنا عبدالله بنُ سُليمان، حدثنا الرَّبيع بنُ سُليمان، حدثنا عبـدالله بنُ وهبٍ، عن يحيى بنِ أيوب، عن عبـدالله بن قـريط؛ أن عطاء بن يسار أخبره أنه سَمِعَ.

أبا سعيدٍ الخُدْريَّ يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ: «صَوْمُ رمضان إلى رمضانَ كفَّارةٌ ما بينهما»[1].

٣٣ ـ وحـدثنا محمـد بنُ محمد بنِ سُليمـان، حدثنـا أبـو أُميّـة الجزري، حدثنا مخلد ـ يعني: ابن يزيد الحراني ـ، عن سُفيان.

وحدثنا محمد بنُ محمدٍ أيضاً، حدثنا أبو بكر وعثمان ابنـا أبي شيَبة قالا: حدثنا وكيع، حدثنا سُفيان (ح).

وحـدثنا محمـد بنُ محمدٍ أيضـاً، حـدثنـا أبـو سَعيـد الأشـجّ، ومحمد بنُ عمر الكِندي قالا: حدثنا وكيعٌ، حدثنا سُفيان.

وحدثنا أبو بكر النيَّسابوريّ، حدثنا أحمد بنُ يوسف، وابراهيم بن طَهْمان قالا: حدثنا أبو نُعيم، حدثنـا سُفيان، عن حبيبٍ، عن ابن المطوّس، عن أبيه.

= «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضانُ إلى رمضانَ، مكَفِّراتٌ ما بينهن، إذا اجتنب الكبائر».

رواه مسلم (٢٢٣) (١٦).

(١) مكرر ما قبله.

عن أبي هُريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَفْطَرَ يوماً مِن رمضانَ مِن غَيْرِ رُخصةٍ؛ لم يَجْزه صِيامُ الدَّهر، وَلَوْ صَامَهُ».

واللفظ في هذا الحديث للبَاغَنْدي عن شيوخه[1].

---

(١) حديث ضعيف، وله علل:

الأولى: مطوس «مجهول».

الثانية: أبو المطوس أو ابن المطوس: قيل اسمه: عبدالله، وقيل: يزيد، وهو وإن وثقه ابن معين كما في «الجرح والتعديل» ٦٨/٢/٢، فلم يعرفه أحمد ولا عرف حديثه، ولم يعرف له البخاري غير هذا الحديث.

وقال ابن حبان في «المجروحين»: «يروي عن أبيه ما لم يتابع عليه، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد».

ولما لم يكن سوى هذا الحديث، فقد تعقب الحافظُ ابنَ حبان فقال: «إذا لم يكن له إلا هذا الحديث؛ فلا معنى لهذا الكلام».

الثالثة: قول البخاري ـ رحمه الله ـ في «التاريخ»:

«تفرد أبو المطوس بهذا الحديث، ولا أدري سمع أبوه من أبي هريرة أم لا».

فعقب على ذلك الحافظ في «الفتح» ١٦١/٤ أن ذلك «يختص بطريقة البخاري في اشتراط اللقاء».

الرابعة: الاضطراب، فقد اختلف في إسناد هذا الحديث اختلافاً كثيراً.

فرواه الترمذي (٧٢٣)، وابن ماجه (١٦٧٢)، والدارمي ١٠/٢، والنسائي في «الكبرى» كما في التحفة ٣٧٣/١٠، وأحمد ٤٤٢/٢، وابن حبان في «المجروحين» ١٥٧/٣، والبغوي (١٧٥٣) من طريق سفيان الثوري بإسناد المصنف به.

وقال الترمذي: «حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وسمعت محمداً يقول: أبو المطوس اسمه: يزيد بن المطوس، ولا أعرف له غير هذا الحديث».

وتابعه على ذلك شعبة. =

٣٤ ـ حدثنا الحُسين بنُ محمد بن عفير، حدثنا إبراهيم بنُ عامرٍ الأصبهانيُّ، حدثنا أبي، عن النُّعمان، عن سُفيانٍ، عن حبيب بنِ أبي ثابتٍ، عن عمارة بن عمير، عن ابنِ المطوّس ـ قال: ولقيتُ أنا المطوّس فحدثني ـ عن أبيه.

عن أبي هُريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَفْطرَ يوماً مِن رمضانَ من غيرِ مَرضٍ، ولا رُخْصةٍ؛ فلا يَفيه صيامُ الدَّهر كُلِّه وإن صَامَهُ»(١).

= رواه أبو داود (٢٣٩٦) من طريقه عن حبيب به.

ورُوي من طريق سفيان وشعبة أيضاً بزيادة راوٍ في السند.

فرواه ابن شاهين كما في الرواية التالية، وأبو داود (٢٣٩٧)، وأحمد ٢/٤٧٠ من طريق سفيان بمثل إسناد ابن شاهين الآتي.

وتابعه على ذلك شعبة أيضاً.

رواه النسائي في «الكبرى»، والدارمي ٢/١٠ ـ ١١، وأحمد ٢/٣٨٦ و٤٥٨.

واختلف في إسناده على أنحاء أكثر من هذا كما في «تحفة الأشراف» ١٠/٣٧٢ ـ ٣٧٤.

وعلقه البخاري (٤/١٦٠/سلفية) بصيغة التمريض.

ووقع للحافظ وهم إذ قال: صححه ابن خزيمة من طريق سفيان الثوري وشعبة.

قلت: رواية شعبة فقط عند ابن خزيمة (١٩٨٧)، ولم يصححها، بل أوردها بعد أن قال: «باب التغليظ في إفطار يوم من رمضان متعمداً من غير رخصة، إن صح الخبر، فإني لا أعرف ابن المطوس ولا أباه. . .».

(١) حديث ضعيف، وهو مكرر ما قبله.

٣٥ ـ حدثنا عليُّ بنُ محمدٍ المَصْريّ، أخبرنا يُوسف بنُ يزيد، حدثنا أسد بنُ موسى، حدثنا ابنُ لَهِيعة، حدثنا أبو صَخْرٍ؛ أن أبا مُعاوية البجليّ حدّثه.

عن سعيد بنِ جُبير؛ أن رجُلاً سألَ ابنَ عبّاسٍ فقال: إني أَفْطرتُ يوماً مِن رمضانَ، فهل تجدُ لي مَخْرجاً؟.

فقال له ابنُ عباس: إن قدرتَ على يومٍ من رمضانَ فارغاً فَصُمْه مكانه!.

قال: وهل أَجِدُ يوماً مِن رمضانَ فَارِغاً؟!.

فقال ابنُ عباس: وهل أجدُ لك في الفُتيا غير هذا؟![1].

(١) إسناده ضعيف.

٤ ـ بـــاب
ما ذُكر مِن فضلِ صيام رمضان بمكّـــة

٣٦ ـ حدثنا إسماعيل بنُ عليّ، حدثنا موسى بنُ إسحاق، حدثنا يحيى بنُ عبدالحميد، حَدَّثني عبدالله بن زيد العَمّي، عن أبيه، عن سعيد بنِ جُبيرٍ.

عن ابنِ عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أَدْرَكَ شهرَ رمضانَ بمكّة من أَوّله إلى آخِره، صِيامه، وقِيامه؛ كتبَ اللَّهُ له مئةَ ألفِ شَهْرِ رمضانَ بغيرها، وكانَ له بِكُلِّ يومٍ مغفرةً، وشفاعةً، وبكُلِّ ليلةٍ مغفرةً وشَفاعةً، وبكُلِّ يومٍ حُمْلاَنَ فَرَسٍ في سَبيلِ اللَّهِ، وله بكُلِّ يومٍ دعوةً مُستجابةً»[١].

---

(١) في هذا الإسناد خطأ؛ في اسم عبدالله بن زيد العمي، إذ لم أجد لزيد العمي ابناً بهذا الاسم، وصوابه: عبدالرحيم بن زيد، كما رواه ابن ماجة، وهو الذي يروي عنه الحماني في «تهذيب الكمال».

وهذا إسناد ضعيف جداً، إن لم يكن موضوعاً، وله علل: .

أ ـ يحيى بن عبدالحميد الحماني، متهم بسرقة الحديث.

آخرُ الكِتاب
والحمدُلله رب العالمين

= ب ـ عبدالرحيم بن زيد العمي، كذبه ابن معين، وتركه غير واحدٍ.
جـ ـ زيد بن الحواري العمي، ضعيف.
ورواه ابن ماجة (٣١١٧) حدثنا محمد بن أبي عمر، حدثنا عبدالرحيم بن زيد العمي، عن أبيه بهذا الإسناد.

فهرس

أسماء الرواة وأرقام رواياتهم

فهـرس الموضوعـات

الصفحة

فضل

العشر الأواخر

من رمضان

إعداد

القسم العلمي بدار ابن خزيمة

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخي المسلم: هذه أيام شهرك تتقلص، ولياليه الشريفة تنقضي، وقد أوشك على الرحيل وتأهَّب للتوديع، هذه الأيام التي مضت وتلك الليالي التي انقضت هي شاهدة بما عملت، وحافظة لما أودعت، هي لأعمالك خزائن محصنة، ومستودعات محفوظة وستكون في انتظارك يوم القيامة فهي شاهدة لك أو عليك ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران آية ٣٠].

فيا أخي زيِّنها بصالح الأعمال وجميل الأقوال والأفعال، ولا تشينها بطالح الأعمال وقبيح الأقوال والأفعال.

يناديك ربك الجليل فيقول: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفيكم إيَّاها فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه**» [رواه مسلم].

فيا عبد الله: هذا شهر رمضان قد زاد على النصف، فمن منَّا حاسب نفسه، من منَّا عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبني له فيها غرفًا من فوقها غرف. ألا إن شهرك قد أخذ في النقصان فاجتهد في العمل، فكل شهر عسى أن يكون منه خلف، وأما شهر رمضان فمن أين لك منه خلف؟!

تـــنقَّص الشـــهر وا -لهفـــاه وانهـــدما
واخـــتص بـــالفوز بالجنـــات مـــن خـــدما
وأصـــبح الغافـــل المســـكين منكســـرا
مثلي فيـــا ويحـــه يـــا عظـــم مـــا حرمـــا
من فاته الـــزرع في وقـــت البـــذار فمـــا
تـــــراه يحصـــــد إلا الهـــــمَّ والنـــــدما
طـــوبى لمـــن كانـــت التقـــوى بضـــاعته
في شـــــهره وبحبـــــل الله معتصـــــما

هذا هو الشهر، وهذه هي نهايته، كم مـــن مســـتقبل لـــه لم يستكمله؟! وكم من مؤمل بالعود إليه لم يدركه، هلاَّ تأملت الأجل ومسيره، وهلاَّ تبينت خداع الأمل وغروره.

أخي المسلم: كنا بالأمس القريب نستقبل رمضان ونحـــن في غبطة وسرور، وفي لحظة وغفلة من أمرنا انسلخ الشهر وشـــرع في الرحيل وهكذا العمر، سينقضي وينتهي الأجل فياليت شعري ماذا قدمنا لهذا اليوم؟!

أيها الأخ المبارك: إن كان في النفس زاجر، وإن كان في القلـــب واعظ فقد بقيت في أيام هذا الشهر بقية وأي بقية، إنها العشر الأخيرة من أيام هذا الشهر الكريم التي كان يحتفي بها النبي ﷺ أيما احتفاء.

ففي الليالي العشرين التي كانت قبلها، كان النبي ﷺ يخلطهـــا بصلاة ونوم، فإذا دخلت العشر الأواخر شمَّر وجدَّ وشـــدَّ المئـــزر، هجر فراشه وأيقظ أهله.

أخرج الإمام أحمد في المسند من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر – يعني الأخير – شمَّر وشدَّ المئزر».

أخي الكريم: ربما يكون هذا الشهر آخر شهر يصومه بعضنا، ولا يدري من السابق فينا من اللاحق، فالله في مضاعفة المثابرة والاجتهاد في زمن مبارك أدركنا وأدركناه، ونحن في وافر الصحة والعافية، فالحذر من التفريط في مثل هذه التجارة الرابحة التي من حُرمها فقد حُرم خيرًا كثيرًا، ولن يضمن إدراك تلك الصفقة مرة أخرى.

فيا عجبا من حال أقوام تمر عليهم تلك الليالي الفاضلة وهم في غفلة عنها، لا يقيمون لها وزنا، ولا يقدرون لها ثمنًا، وهذا والله هو المغبون الذي فرط في خير كثير، وكان بإمكانه أن ينال أكثر منه، لو فطن لنفسه، ولكن المحروم من حُرم خير هذا الشهر.

أخي الطيب المبارك: أترضى يا مسكين أن تُكتب أسماء من حولك في صحف الملائكة من المقبولين، وتبقى أنت وحيدًا فريدًا محرومًا من غنيمة عظيمة فرطت في ثوابها وفضلها، وكانت منك قاب قوسين أو أدنى؟

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدًا
ندمت على التفريط في زمن البذر

فشمِّر يا عبد الله عن ساعد الجدِّ، وجاهد نفسك على طاعة الله تعالى، وأطرها على فعل الخيرات وترك المنكرات والملهيات والبعد عن الشهوات والملذات:

تفنى اللذاذة ممن ذاق صفوها
من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها
لا خير في لذة بعدها النار

فالله الله في نفسك، فلا توردها الموارد، ولا تعرضها للهلكة وأنت شاهد وليكن لك في رسول الله ﷺ أُسوة حسنة في تلك الليالي العشر.

ففي الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله، وأيقظ أهله»(متفق عليه واللفظ للبخاري).

وعند مسلم عنها أيضا قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر مالا يجتهد في غيره» وكان ﷺ يطرق الباب على فاطمة وعلي رضي الله عنهما قائلاً «**ألا تصليان**..» رواه البخاري وأحمد. وكان ﷺ يتجه إلى حجرات نساءه آمرًا فيقول: «**أيقظوا صواحب الحجر فربَّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة**» أخرجه البخاري في صحيحه ومالك في موطئه.

وكان ﷺ لم يترك أحدًا من أهل بيته صغيرًا كان أو كبيرًا يطيق الصلاة إلا وأيقظه، فعند الطبراني من حديث علي رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان وكل صغير وكبير يطيق الصلاة».

وعند الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «لم يكن

النبي ﷺ إذا بقى من رمضان عشرة أيام يدع أحدًا من أهله يُطيق القيام إلاَّ أقامه»، وهو ﷺ في ذلك متمثلاً قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

فهذا هو حال النبي ﷺ: إذا أقبلت العشر الأواخر، اجتهد في العبادة فأحيا الليل بالقيام واعتزل النساء وأيقظ أهل بيته للصلاة وهو من هو؟! هو الذي غفر له ما تقدم وما تأخر، فكيف بمن تلوث بالمعاصي والذنوب؟!

أخي: هلا أحييت ليلك بالقيام ونهارك بتلاوة القرآن؟ أخي: هل أيقظت أهلك وأولادك للقيام في ليالي رمضان؟ وقد قال ﷺ: **«رحم الله رجلاً قام من الليل، فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»**.

[رواه أبو داود، ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

أخي: كان هذا هو حال المصطفى ﷺ مع علو منزلته وعظيم قدره، وكذلك كان سلفنا الصالح، فلقد كان السلف الصالح من أسرع الناس امتثالاً واتباعًا للنبي ﷺ. ففي الموطأ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة وهو يقول لهم: «**الصلاة الصلاة**» ويقرأ قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: «أحب إليَّ إذا دخل العشر الأواخر، أن يتهجد بالليل، ويجتهد فيه، وينهض أهله وولـــده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك».

وكانت امرأة حبيب أبي محمد الفارس – كان مجاب الدعوة – رحمهما الله تعالى – تقول له بالليل: «قم يا حبيب، قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد ســـارت قدامنا ونحن قد بقينا:

يا نائمًا بالليل كـــم ترقـــد ... قم يا أخي قد دنـــا الموعـــد
وخذ من الليـــل وأوقاتـــه ... وردًا إذا ما هجـــع الرقـــد
من نام حتى يـــنقض ليلـــه ... لم يبلـــغ المنـــزل أو يجهـــد
قل لذوي الألبـــاب أهـــل ... التقى قنطرة العـــرض لكـــم

فيا صاحب الذنب العظيم، والإثم الكبير، فالغنيمة الغنيمـــة في هذه الأيام الكريمة، فمن يعتق فيها من النار فقـــد فـــاز بالجـــائزة العظيمة، والمنحة الجسيمة.

أخي المسلم: اعلم – رحمني الله وإياك– أن ألأعمال بـــالخواتيم فمن أصلح فيما بقى غفر له ما قد مضى، ومن أساء فيما بقى أخذ فيما بقى وما مضى.

فها هي العشر الأواخر فرصة لتصلح ما قد قصرت به في العشرين الأول، فهذه العشر فيها ليلة هي خير من ألف شهر، وفيهـــا يُســـن الاعتكاف، والإكثار من الدعاء والذكر وطول القيام، والتهجـــد في جوف الليل وتلاوة القرآن والأُنس بمناجاة الملك سبحانه.

فقم يا أخي ودع عنك التــواني والكســل
فقــد فــاز مــن كــان بــالله متصــل

قم يا أخي إلى الله بقلب خاشع، وانتظم في سلك الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فما تراهم إلا بين ساجد وراكع.

تــيقظ بســاعات مــن الليــل يــا فــتى
لعلــك تحظــى بالجنــان وحورهــا
فتــنعم في دار يــدوم نعيمهــا
محمــد فيهــا والخليــل بــدورها

قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

وقال ﷺ: «**أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل**».

[رواه مسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه]

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليلة الأخيرة فيقول: من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**» وفي مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله إلى**

السماء الدنيا ثم تفتح أبواب السماء حتى يطلع الفجر»، وقال ﷺ لأبي ذر: «**يا أبا ذر تصدَّق في يوم شديد حره ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور**» وقال ﷺ: «**من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار**».

قيل للحسن البصري رحمه الله ما بال المجتهدين أحسن الناس وجوهًا! قال: «لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره».

وقال كعب الأحبار: «إن الملائكة ينظرون من السماء الدنيا إلى الذين يصلون بالليل في بيوتهم كما تنظرون إلى النجوم في السماء».

فيا أخي الكريم: إن جوف الليل لحاف الخائفين ولذة المتعبدين وأنس الطائعين، ومناجاة المحبين، وخلوة العارفين، ومطية السالكين، وقرة عين المحسنين، فجنوبهم عن المضاجع واجفة، وقلوبهم من خشية الله خائفة، ونفوسهم لرحمة الله طامعة، وألسنهم بالاستغفار والدعاء لاهجة، سكبوا العبرات، وتعالت منهم الآهات والآنَّات، وكلما تذكروا الذنوب والزلات ارتفعت منهم الصيحات ورفعوا أيديهم وقالوا: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ**﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فكان الجواب من رب الأرباب ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**﴾ [آل عمران: ١٩٥].

* كان عبد العزيز بن أبي داود يأتي فراشه بالليل فيمدُّ يده عليه ويقول: «إنك لين وفراش الجنة ألين منك، فيترك فراشه ويصلي الليل كله».

* قال الفضيل بن عياض رحمه الله: إذا لم تقدر على صيام النهار وقيام الليل فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك، وقال الحسن البصري: «إن الرجل ليحرم قيام الليل بالذنب يصيبه».

أخي: يا من سرت في قوافل التائبين، وتركت سبيل المذنبين، يا من تلذذت بنعيم المناجاة، وأسكبت العبرات وتعالت منك الآهات والأنات اعلم رحمني الله وإياك أن في تلك الليالي الحسان، ليلة أمرها عظيم، والخير فيها جزيل عميم وكفى وصفها في القرآن الكريم ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

فيها تقسم الآجال والأعمار ويعرف الفائز من الخسران، فكن يا أخي من الفائزين بإحياء ليلها إيمانًا واحتسابًا تفوز بالأجر ويغفر لك الذنب فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» متفق عليه.

وليلة القدر هي آكدة في العشر الأواخر؛ ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان**» وفي رواية البخاري «**في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**» والأحاديث في ذلك كثيرة ومن فضل هذه الليلة أنها خير من ألف شهر فيا سعادة المجتهدين فيها، وفيها تنزل الملائكة ومعهم الروح الأمين جبريل والملائكة لا تنزل إلا بالخير والمغفرة فيا سعادة المذنبين التائبين، وهذه الليلة سلمت من كل شر وذلك مصداقًا لقوله ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] فيا سعادة العابدين المحسنين.

فيا أخي الكريم: إذا أدركت هذه الليلة فأكثر فيها الدعاء والتضرع إلى رب السماء فهو القائل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت يا رسول الله: أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟! قال: «**قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» [رواه الترمذي].

يا رجال الليل جِدُّوا | رب داع لا يُرد
ما يقوم الليل إلا | من له عزم وجد

ويستحب في الليالي التي يرجى فيها ليلة القدر الاغتسال والتطيب ولبس الثياب الحسن، فقد روى عن عائشة وعلي وحذيفة بن اليمان أنه ﷺ، «كان يغتسل بين العشائين كل ليلة» يعني في العشر الأواخر، وقد ورد ذلك عن بعض الصحابة والتابعين ﷺ جميعًا كانوا يفعلون ذلك.

أخي الكريم: وكان من هدي النبي ﷺ في تلك الليالي العشر الاعتكاف والانقطاع عن شواغل الحياة، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن النبي ﷺ كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان حتى توفَّاه الله تعالى». وإنما كان يعتكف النبي ﷺ في العشر الأواخر التي يطلب فيها ليلة القدر، قطعًا لأشغاله، وتفريغًا لباله، وتخلياً لمناجاة ربه، وذكره ودعائه، وكان يحتجر حصيرًا يتخلى فيها من الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم، وهذا أكمل الهدى.

فمعنى الاعتكاف وحقيقته، قطع العلائق عن الخلائق للتفرغ لعبادة الله.

والاعتكاف من السنن المهجورة التي قلَّ العمل بها وغفل عنها كثير من الناس. قال الإمام الزهري رحمه الله تعالى: «عجبا للمسلمين! تركوا الاعتكاف، مع أن النبي ﷺ ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله عز وجل». فبادر أخي المسلم إلى إحياء هذه السنة العظيمة، وحث الناس عليها والترغيب فيها، وابدأ بنفسك فإن الدنيا مراحل قليلة وأيام يسيرة، فتخلص من عوائق الدنيا وزخرفها، واتجه بقلبك وجوارحك إلى الله عز وجل في ذل وخضوع وانكسار ودموع لتلحق بركب المقبولين الفائزين.

أخي المسلم: الاعتكاف يكون في كل مسجد تُقام فيه الجماعة، وإن تخلل أيام اعتكافك جمعة يستحب لك أن تعتكف في مسجد جمعة، فإن اعتكفت في مسجد جماعة خرجت إلى الجمعة ثم ترجع إلى اعتكافك.

* واحرص على أن يكون اعتكافك في مسجد بعيد عن كثرة الناس، واختر مسجدًا لا تعرف فيه أحد، فإن هذا أحرى للإخلاص وأفرغ لقلبك وذهنك من محادثة الناس وكثرة مجالستهم والاختلاط بهم.

* والاعتكاف مسنون في أي وقت، فللمسلم أن يبتدئ الاعتكاف متى شاء وينهيه متى شاء، إلا أن ألأفضل الاعتكاف في رمضان وخاصة في العشر الأواخر منه، فإذا صلى فجر يوم الحادي

والعشرين من رمضان دخل المعتكف ومكث في المسجد حتى خروجه إلى صلاة العيد وهذا وقت انتهائه المستحب.

* واعلم بأنه يجوز للمعتكف أن يخرج من معتكفه لقضاء حاجاته الضرورية من قضاء الحاجة أو الإتيان بالطعام أو للتداوي إن أصابك المرض وأنت معتكف، وأن يخرج رأسه من المسجد ليغتسل ويُسرح فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «وإن كان رسول الله ﷺ ليدخل علي رأسه وهو معتكف في المسجد وأما في حجرتي فأرجِّله» وفي رواية: «فأغسله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان إذا كان معتكفًا» [روى أصله البخاري ومسلم وأحمد وابن أبي شيبة]، «وكذلك يجوز للمعتكف أن يتخذ خيمة صغيرة في مؤخرة المسجد يعتكف فيها ويضع فيها فراشه وذلك لما ورد أن عائشة رضي الله عنها كانت تضرب للنبي ﷺ خباء إذا اعتكف وكان ذلك بأمر منه ﷺ» [الحديث عنه مسلم]، كما يجوز للمعتكف أن يتحدث بكلام مباح مع أهله أو غيرهم لمصلحة، وذلك لما ورد عن صفية أم المؤمنين قالت: «كان النبي ﷺ معتكفًا فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت لأنقلب (أي انصرف إلى بيتي) فقام النبي ﷺ معي...» [متفق عليه].

فيا أخي: هذه فرصة عظيمة وساعات قليلة، ليستفيد المسلم من هذا الاعتكاف والانقطاع والبعد عن الناس، ليتفرغ لطاعة الله في مسجد من مساجده طلبًا لفضله واتقاء لسخطه وعقابه وإدراكًا لليلة القدر، من قبل أن تطوى الصحف وترفع الأقلام وتنصب الموازين ففريق في الجنة وفريق في السعير.

أخي الكريم: لا تنسى أن هذا الشهر هو شهر القرآن فليكن لك نصيبًا وافرًا من تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، فلا تكن عنه من الغافلين.

وأعلم يا أخي أن الصيام والقرآن يشفعان لك يوم القيامة كما صح ذلك في الحديث فيا من ضيع عمره في غير طاعة، يا من فرَّط في شهره وأضاعه يا من بضاعته التسويف والتفريط، بئست البضاعة، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة؟!

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه والصور في يوم القيامة ينفخ

اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين، وآمنا من الفزع الأكبر يوم الدين، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واغفر لنا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

قصص ومواقف رمضانية

كتبها

خالد أبو صالح

مصدر هذه المادة :

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فهذه قصص طريفة، ومواقف ذات عبر، وكلمات نافعة، ولآلئ منثورة، انتقيتها من بطون الكتب والأسفار، وجعلت الرابط بينها هو التعلق بشهر رمضان المبارك، فنسأل الله أن ينفع بها، وأن يرزقنا من عبرها وعظاتها.

قصص ومواقف رمضانية

مصابيح رمضان:

أمر المأمون أحمد بن يوسف أن يكتب في الآفاق بتعليق المصابيح في المساجد في شهر رمضان. قال: فأخذت القرطاس لأكتب، فاستعجم علي، ففكرت طويلاً، ثم غشيتني نعسة، فقيل لي: اكتب: فإن في كثرة المصابيح إضاءة للمتهجدين، وأنسًا للسابلة، ونفيًا لمكامن الريب، وتنزيها لبيوت الله عن وحشة الظلم. [نثر الدر]

إيثار في رمضان:

كان الواقدي شيخًا سمحًا، وأظله شهر رمضان، ولم تكن عنده نفقة، فاستشار امرأته بمن ينزل خلته من إخوانه؟ فقالت: بفلان الهاشمي.

فأتاه، فذكر له خلته، فأخرج له صرة فيها ثلاثمائة دينار، فقال: والله، ما أملك غيرها. فأخذها الواقدي، فساعة دخل منزل جاءه بعض إخوانه، وشكا إليه خلته، فدفع إليه الصرة بختمها، وعاد صاحب الصرة إلى منزله. فجاءه الهاشمي فشكا خلته، فناوله الصرة، فعرفها الهاشمي، فقال له: من أين لك هذه؟ فحدثه بقصته، فقال: قم بنا إلى الواقدي، فأتوه. فقال له الهاشمي: حدثني عنك، وعن إخراج الصرة، فحدثه الحديث على وجهه، فقال الهاشمي: فأحق ما يعمل في هذه الصرة أن نقتسمها، ونجعل فيها نصيبًا للمرأة التي وقع اختيارها عليه، ففعلوا. [نثر الدر للآبي].

أشعب يفر من إمامة المساجين:

كان زياد بن عبد الله الحارثي (خال أبي العباس أمير المؤمنين) واليًا لأبي العباس على مكة، فحضر أشعب مائدته في أناس من أهل مكة، وكانت لزياد بن عبد الله الحارثي صحفة يخص بها، فيها مضيرة من لحم جدي، فأتى بها، فأمر الغلام أن يضعها بين يدي أشعب، وهو لا يدري أنها المضيرة، فأكلها أشعب، يعني أتى على ما فيها، فاستبطأ زياد بن عبد الله المضيرة، فقال: يا غلام، الصحفة التي كنت تأتيني بها، قال: قد أتيت بها — أصلحك الله – فأمرتني أن أضعها بين يدي أبي العلاء، قال: هنأ الله أبا العلاء، وبارك له، فلما رفعت المائدة، قال: يا أبا العلاء — وذلك في استقبال شهر رمضان — قد حضر هذا الشهر المبارك، وقد رققت لأهل السجن لما هم فيه من الضر، ثم لانضمام الصوم عليهم، وقد رأيت أن أصيرك إليهم، فتلهيهم بالنهار، وتصلي بهم الليل، وكان أشعب حافظًا لكتاب

الله، فقال: أو غير ذلك – أصلح الله الأمير – قال: وما هو؟ قال: أعطي الله عهدًا ألا آكل مضيرة جدي أبدًا. فخجل زياد، وتغافل عنه. [الجليس الصالح].

الأحنف والصبر على الطاعة:

قيل للأحنف في شهر رمضان: إنك شيخ كبير، وإن الصوم يهدك، فقال: إن الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله. [الكشكول للعاملي].

من الحــر أفــر:

ويروى عن الأصمعي أنه قال: هجم علي شهر رمضان، وأنا بمكة، فخرجت إلى الطائف لأصوم بها هربًا من حر مكة، فلقيني أعرابي، فقلت له: أين تريد؟ فقال: أريد هذا البلد المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه. فقلت له: أما تخاف الحر؟ فقال: من الحر أفر.

وهذا الكلام نظير كلام الربيع بن خثيم، فإن رجلاً قال له — وقد صلى ليلة حتى أصبح: أتعبت نفسك، فقال: راحتها أطلب. [الكامل في اللغة والأدب]

جزاء من كره رمضان:

تراءى المأمون بهلال شهر رمضان، وأخوه أبو عيسى معه، فقال أبو عيسى:

دهاني شهر الصوم لا كــان مــن شــهر

ولا صمت شــهرًا بعــده آخــر الــدهر

فلـــو كـــان يعـــديني الإمـــام بقـــدرة
على الشهر لاستعديت جهدي على الشـــهر

فناله بعقب هذا القول صرع، فكان يصرع في اليوم مرات، إلى أن مات، و لم يبلغ شهرًا مثله. [التذكرة الحمدونية]

فقه أبي حنيفة:

أتى رجل أبا حنيفة بالمدينة، فقال له: قد وصفوك لي، وأريدك أن تخلصني من يمين عجلت فيها، وقد استفتيت ابن شبرمة، وابن أبي ليلى، وعطاء، وغيرهم، فلم يخرجوني من مسألتي بحال. قال: وما هي؟ قال له: إني حلفت أن أطأ امرأتي في شهر رمضان بالنهار، فقال له أبو حنيفة: فإذا أخرجتك عن يمينك تعاود؟ قال: لا. قال: اذهب، فاعمل على أن تسافر بامرأتك ثلاثة أيام. فإذا جاوزت أبيات المدينة، فافطر، وتفطر زوجتك، وطأ، ولا تعاود ما كان منك، واقض أيام فطرك بعد انقضاء سفرك. قال: فقبل رأسه، ودعا له، وانصرف. [التذكرة الحمدونية]

طفيلي ومائدة رمضان:

حكي عن طفيل كان يحضر على طبق عميد الدولة أبي منصور بن جهير في شهر رمضان ويضحك، فأمر له بشيء، وحجبه عن الطبق، ترفعًا عن الهزل، فتأخر أيامًا ثم حضر، فلما رآه قال: ما موجب الحضور بعدما أمرناك به؟ قال: إذا لم يستحضرني مولانا، و لم أحضر أنا صارت وحشة، فضحك منه واستمر حضوره.

ذكاء إياس في ترائي الهلال:

وتبصروا هلال شهر رمضان، وهم جماعة، وفيهم أنس بن مالك، وقد قارب المائة، فقال: قد رأيته. فقال إياس: أشر إلى موضعه. فجعل يشير، ولا يرونه. ونظر إياس إلى أنس، فإذا شعرة من حاجبه بيضاء قد انثنت، فصارت على عينه، فمسحها إياس وسواها، ثم قال: يا أبا حمزة أرنا موضع الهلال. فنظر، فنظر، فقال: ما أرى شيئًا. [نثر الدر]

عبد الملك بن مروان ورمضان:

قال عبد الملك: ولدت في شهر رمضان، وفطمت في شهر رمضان، وختمت القرآن في شهر رمضان، وأتتني الخلافة في شهر رمضان، وأخاف أن أموت في شهر رمضان. فلما دخل شوال وأمن بها مات. [التذكرة الحمدونية]

موعظة الحسن الرمضانية:

ومر الحسن بقوم يضحكون في شهر رمضان، فقال: يا قوم، إن الله جعل رمضان مضمارًا لخلقه، يتسابقون فيه إلى رحمته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب من الضاحك اللاهي في اليوم الذي فاز فيه السابقون، وخاب فيه المتخلفون؟ أما والله، لو كشف الغطاء لشغل محسنًا إحسانه، ومسيئًا إساءته.

ونظر عبد الله إلى رجل يضحك مستغرقًا، فقال له: أتضحك، ولعل أكفانك قد أخذت من (عند) القصار.

وقال الشاعر:

وكم مــن فــتى يمســي ويصــبح آمنًــا
وقد نسجت أكفانــه، وهــو لا يــدري

المهتدي يتشبه بعمر بن عبد العزيز:

قال أبو العباس هاشم بن القاسم: كنت بحضرة المهتدي عشية من العشايا، فلما كادت الشمس تغرب وثبت لأنصرف، وذلك في شهر رمضان، فقال: اجلس، فجلست، ثم إن الشمس غابت، وأذن المؤذن لصلاة المغرب وأقام، فتقدم المهتدي فصلى بنا، ثم ركع وركعنا، ودعا بالطعام، فأحضر طبق خلاف، وعليه رغف من الخبز النقي، وفيه آنية في بعضها ملح، وفي بعضها خل، وفي بعضها زيت، فدعاني إلى الأكل فابتدأت آكل مقدارًا، أنه سيؤتي بطعام له نيقة، وفيه سعة، فنظر إلي وقال لي: ألم تك صائمًا؟ قلت: بلى، قال: أفلست عازمًا على صوم غدٍ، فقلت: كيف لا، وهو شهر رمضان، فقال: فكل، واستوف غذاءك، فليس هاهنا من الطعام غير ما ترى، فعجبت من قوله، ثم قلت: والله، لأخاطبنه في هذا المعنى، فقلت: ولم يا أمير المؤمنين؟ وقد أوسع الله نعمته، وبسط رزقه، وكثير الخير من فضله، فقال: إن الأمر لعلى ما وصفت والحمد لله، ولكنني فكرت في أنه كان في بني أمية عمر بن عبد العزيز، وكان من التقلل والتقشف على ما بلغك، فغرت على بني هاشم أن لا يكون في خلفائهم مثله، فأخذت نفسي بما رأيت.

قال القاضي: ولم تزل المنافسة في أعمال البر وأبواب الخير، في

أثر المتقين وسبيل الصالحين، وقد وفق الله المهتدي رضوان الله عليه من هذا، لما يرجى له المثوبة منه، والزلفى لديه، وفقنا الله وإياكم لطاعته، وحسن عبادته. [الجليس الصالح].

الأعمش وليلة الشك:

أتت ليلة الشك من رمضان، فكثر الناس على الأعمش يسألونه عن الصوم، فضجر، ثم بعث إلى بيته في رمانة فشقها ووضعها بين يديه، فكان إذ نظر إلى رجل قد أقبل يريد أن يسأله تناول حبة فأكلها، فكفى الرجل السؤال، ونفسه الرد. [العقد الفريد لابن قتيبة]

أعرابي يسأل في رمضان:

وقف أعرابي في شهر رمضان على قوم، فقال: يا قوم، لقد ختمت هذه الفريضة على أفواهنا من صبح أمس، ومعي بنتان لي، والله، ما علمتهما تحلتا بحلال، فهل رجل كريم يرحم اليوم ذلنا، ويرد حشاشتنا، منعه الله أن يقوم مقامنا، فإنه مقام ذل وعار وصغار. فافترق القوم، ولم يعطوه شيئًا، فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعًا، ثم قال: أشد – والله – علي من سوء حالي وفاقتي توهمي فيكم المواساة، انتعلوا الطريق لا صحبكم الله. [العقد الفريد لابن قتيبة]

إنهم يكرهون رمضان:

وجد يهودي مسلمًا يأكل شويًا في شهر رمضان، فأخذ يأكل معه، فقال له المسلم: يا هذا، إن ذبيحتنا لا تحل على اليهود، فقال:

أنا في اليهود مثلك في المسلمين. [الكشكول لبهاء الدين العاملي]

قيل لبعض الأعراب: قد جاء شهر رمضان، فقال: والله، لأبددن شمله بالأسفار. [التذكرة الحمدونية]

كتب بعض المجان إلى صديق له: أما بعد، فقد أظلنا هذا العدو، يعني شهر رمضان. فكتب إليه الجواب: ليكن أهون عليك من شوال [التذكرة الحمدونية]

أسلم ولم يطق الصيام:

قال أبو العيناء: كان بالري مجوسي موسر، فأسلم، وحضر شهر رمضان، فلم يطق الصوم، فنزل إلى سرداب له وقعد يأكل. فسمع ابنه حسًا من السرداب، فطلع فيه، وقال: من هذا؟ فقال الشيخ: أبوك الشقي، يأكل خبز نفسه، ويفزع من الناس. [التذكرة الحمدونية]

مزبد وصيام يوم عرفة:

قيل لمزبد: صوم يوم عرفة يعادل صوم سنة. فصام إلى الظهر ثم أفطر، وقال: يكفيني صوم نصف سنة، فيه شهر رمضان [التذكرة الحمدونية]

لا تصوم إلا ويدك مغلولة:

جاء رجل إلى عالم يستفتيه، فقال: أفطرت يومًا من شهر رمضان سهوًا، فما علي؟ قال: تصوم يومًا مكانه. قال: فصمت يومًا مكانه وأتيت أهلي وقد عملوا حيسًا، فسبقتني يدي إليه فأكلت منه. قال: تقضي يومًا آخر، قال: لقد قضيت يومًا مكانه

وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة، فسبقتني يدي إليها فأكلت منها، فما ترى؟ قال: أرى أن لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك. [التذكرة الحمدونية]

ومن أعداء رمضان: الأخطل، الشاعر: غياث بن غوث بن الصلت التغلبي، وهو القائل:

ولسـت بصـائم رمضـان عمـري
ولسـت بآكـل لحـم الأضـاحي

الحور العين لنشوان الحميري:

ومنهم شبيل بن ورقاء من زيد بن كليب بن يربوع، وكان شاعرًا مذكورًا جاهليًا، فأدرك الإسلام، وأسلم إسلام سوء، وكان لا يصوم شهر رمضان، فقالت له بنته، ألا تصوم؟ فقال:

تـأمرني بالصـوم لا در درهـا
وفي القـبر صـوم لا أبـاك طويـل

[الشعر والشعراء لابن قتيبة]

عمر رضي الله عنه يجلد سكران:

ولما أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكران في رمضان، قال له: لليدين وللفم، أولداننا صيام، وأنت مفطر؟ وضربه مائة سوط. [العقد الفريد لابن قتيبة]

أبو الحسن يعاقب النجاشي:

كان النجاشي الحارثي (واسمه قيس بن عمرو بن مالك، من بني

الحرث بن كعب)، فاسقًا رقيق الإسلام، خرج في شهر رمضان على فرس له بالكوفة يريد الكناسة، فمر بأبي سمال الأسدي، فوقف عليه، فقال، هل لك في رؤوس حملان، في كرش في تنور، من أول الليل إلى آخره، قد أينعت وتهرأت؟ فقال: له ويحك! أفي شهر رمضان تقول هذا؟ قال: ما شهر رمضان وشوال إلا واحدًا. قال: (فما تسقيني عليها؟ قال: شرابًا كالورس، يطيب النفس، ويجري في العرق، ويكثر الطرق، ويشد العظام، ويسهل للفدم الكلام)، فثنى رجله فنزل، فأكلا وشربا، فلما أخذ فيهما الشراب تفاخرا، فعلت أصواتهما، فسمع ذلك جار لهما، فأما أبو سمال، فشق الخص ونفذ إلى جيرانه فهرب، فأخذ النجاشي فأتى به علي بن أبي طالب، فقال له: ويحك، ولداننا صيام، وأنت مفطر؟ فضربه ثمانين سوطًا، وزاده عشرين سوطًا، فقال له: ما هذه العلاوة يا أبا الحسن؟ فقال: هذه لجرأتك على الله في شهر رمضان، ثم وقفه للناس ليروه في تبان. [الشعر والشعراء لابن قتيبة]

وجاء الفرج في رمضان:

قال بعض الرواة: كنا في جنازة، وحضرها معنا الشيخ أبو بكر الضرير. وبين يدي الجنازة صبيان يبكون، ويقولون: من لنا بعدك يا أبة، فلما سمعهم أبو بكر يقولون ذلك، قال: الذي كان لأبي بكر الضرير. فسألته عن سبب ذلك. فقال: كان أبي من فقراء المسلمين، وكان يبيع الخزف. وكانت لي أخت أسن مني، وكنت قد أتي علي في بصري. فانتبهت ليلة، فسمعت أبي يقول لأمي: أنا شيخ كبير، وأنت أيضًا قد كبرت وضعفت. وقد قرب منا ما بعد. ثم أنشد:

وإن أمــرًا قــد ســار خمســين حجــة
إلى منـــــهل مــــن ورده لقريــــب

وهذه الصبية تعيش بصحة جسمها، وتخدم الناس. وهذا الصبي ضرير، قطعة لحم. ليت شعري! ما يكون منه؟ ثم بكيا وداما على ذلك وقتًا طويلاً من الليل. فأحزنا قلبي. فأصبحت ومضيت إلى المكتب، على عادتي. فما لبثت إلا يسيرًا إذ جاء غلام للخليفة، فقال للمعلم: السيدة تسلم عليك، وتقول لك: قد أقبل شهر رمضان، وأريد منك صبيًا دون البلوغ، حسن القراءة، طيب الصوت، يصلي بنا التراويح. فقال: عندي من هذه صفته، وهو مكفوف البصر، ثم أمرني بالقيام معه. فأخذ الرسول بيدي، وسرنا حتى وصلنا الدار. فاستأذن علي. فأذنت السيدة لي بالدخول، فدخلت وسلمت. واستفتحت وقرأت، فبكت واسترسلت في القراءة، فزاد بكاؤها. وقالت: ما سمعت قط مثل هذه التلاوة، فرق قلبي، فبكيت. فسألتني عن سبب ذلك، فأخبرتها بما سمعت من أبي. فقالت: يا بني، يكون ذلك من لم يكن في حساب أبيك.

ثم أمرت لي بألف دينار. فقالت: هذه يتجر بها أبوك، ويجهز أختك. وقد أمرت لك بإجراء ثلاثين دينارًا في كل شهر، إدرارًا. وأمرت لي بكسوة، وبغلة مسرجة ملجمة، وسرج محلي. فهو سبب قولي جوابًا للصبيان عندما قالوا: من لنا بعدك يا أبة. [نكث الهميان في نكت العميان]

فطور علي بن أبي طالب:

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما دخل شهر رمضان كان يفطر ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبد الله بن جعفر، لا يزيد على لقمتين أو ثلاث، فقيل له، فقال: إنما هي أيام قلائل، يأتي أمر الله، وأنا خميص، فقتل من ليلته. [نهاية الأرب في فنون الأدب]

كي نستفيد من رمضان
دروس للبيت والمسجد

تأليف

فهد بن سليمان القاضي

راجعها د/ بكر بن عبد الله أبو زيد

مصدر هذه المادة :

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وبعد: فهذه بعض المسائل المتعلقة بالصيام وبشهر رمضان، وهي – في أغلبها – عبارة عن ملحوظات وتنبيهات تطرح بين حين وآخر، وتذكير بأعمال فاضلة، وكان عملي جمعها وصياغتها.

وإني لأشكر كل من ساهم في هذه الرسالة المختصرة، سواء كان بكتابة أو مراجعة أو تصحيح أو اقتراح أو غير ذلك. وأخص من أولئك فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد الله راجع الرسالة وأفاد بتوجيهاته، وكذلك فضيلة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك الذي راجع مواضع منها. فجزى الله الجميع خيراً، ولا حرمهم أجر ما عملوا وذخره.

الاستعداد للأعمال الصالحة:

اقتضت حكمة الله جل وعلا أن يجعل هذه الدنيا مزرعة للآخرة وميدانا للتنافس. وكان من فضل الرب سبحانه وكرمه أنه يجزي على القليل بالكثير، ويضاعف الحسنة، ويجعل لعباده مواسم تعظم فيها تلك المضاعفة، ويزيد للعامل فيها الثواب.

ومن أعظم هذه المواسم وأجلها شهر رمضان، قال الله عز

وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ﴾ [البقرة:١٨٥]؛ لذا كان حريا بالمسلم أن يحسن الاستعداد لهذا القادم الكريم، لئلا يفوته الخير العظيم، أو لئلا ينشغل بمفضول عن فاضل، أو بفاضل عما هو أفضل منه – وقد كان سلف هذه الأمة يحرصون من الأعمال على أفضلها وأعظمها أجراً، وأحبها إلى الله، متأسين في ذلك برسول الله ﷺ.

أحوال الناس في استقبال رمضان:

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ صدق الله، فإنه فيما يتعلق بمواسم الخير – وبخاصة شهر رمضان واستقباله واستعداد الناس له – نرى التباين، حسب درجة العبد من الإيمان والصبر واليقين، ومنزلته من اليقظة واغتنام ساعات العمر. وبقدر الإخلال بشيء من ذلك تبتعد مواسم الخير ومتاجر الآخرة عن حصول المقاصد الشرعية منها. فرمضان وليلة الجمعة ويومها – مثلا – يجعلها أهل الغفلة مواسم عبث ولهو.

فشهر رمضان من الناس من يستقبله بالضجر – نسأل الله العافية – على ما سيفقده من الأكل متى ما أراد والشرب متى ما أراد، ومنهم من يستقبله بالسفر والهرب عن بلاد المسلمين، ومنهم من يستقبله بالإكثار من أطعمة يخص بها رمضان، ومنهم من يستقبله بالفرح والاستبشار وحمد الله أن بلغه رمضان، وعقد العزم على أن يعمره بما يزيد حسناته ويقربه إلى ربه. وهؤلاء هم صلة السلف، حيث يؤثر عنهم أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، وثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

سبب استثقال بعض النفوس للأعمال الصالحة.

إن المؤمن ذا القلب السليم يقبل على أعمال الخير بقلب منشرح ونفس مستبشرة ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس:٥٨]، ويستقبل المواسم الفاضلة حامدا الله على سعة فضله وعلى أن مد له في العمر حتى أدركها؛ لكن قد يحدث خلاف ذلك الفرح والاستبشار من بعض الناس. فما سببه؟

لعل من أسبابه:

١-تعلق القلب بشهوة أو شبهة، فتعلق النفس بشهوة ما يثقل عليها غالبا العبادة المرتبطة بها. كالتعلق بشهوة المال يثقل عليها عبادة الزكاة والصدقات، والتعلق بشهوة الطعام والشراب يثقل عبادة الصيام، والتعلق بالأهل والأولاد يثقل عبادة الجهاد، وهكذا.

فمحبة الأعمال الصالحة والاستبشار بها فرع عن محبة الله ومرتبط به، قال الله عز وجل: ﴿**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ [التوبة:١٢٤].

واستثقال الأعمال الصالحة والإعراض عنها أثر عن ضعف الإيمان وضعف محبة القلب لله. وإن شئت مصداقاً لهذا؛ فقارن قول النبي ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»، وقوله: «**أرحنا بها يا بلال**»، بقول من يقول بلسان حاله أو مقاله: أرحنا منها.

هذا من آثار تعلق القلب بالشهوات، ومثل هذا؛ بل أخطر منه

أثر الشبهات.

٢–وهناك سبب آخر قد يوجد في بعض الناس، وهو أن يكون أحدهم قد حمل نفسه أكثر من طاقتها، وألزمها فوق ما تستطيع من الأعمال الصالحة، فينتج عن هذا: إما أن ينقطع عن ذلك العمل الصالح كلية فيتركه. أو أن يستبدل به عملاً مبتدعاً يكون أخف على النفس، أو أن يستمر على ما كان يفعله، لكن بغير إقبال نفس ولا انشراح صدر ولا محبة لهذا العمل الذي كلف نفسه به؛ لذا كان من أهم أسباب الاستقامة: لزوم هدي النبي ﷺ

وثمة تنبيه مهم وهو أن الذي يحمد من الاستبشار بالطاعات والفرح بها إنما هو ما كان أثراً عن محبة العبد لربه، لا ما كان بسبب أن للنفس حظاً من تلك العبادة.

مثال ذلك: من يحب مجالس الخير ويفرح بها. تلك المجالس التي قال فيها النبي ﷺ: «**قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ**»[(١)] ونحو هذا من الأحاديث، فمن كان يحب تلك المجالس ويحب أهلها؛ لأنها محبوبة إلى سبحانه فهذا هو المفلح الذي تنفعه محبته. أما من يحبها لما يجد فيها من أنس وتسلية، أو لمحبته أهلها حبا عاطفيا أو مزاجيا مجرداً، أو لما يجد فيها من أكل أو شرب أو نحو هذه المقاصد فشتان ما بينه وبين الأول.

---

(١) صححه النووي في رياض الصالحين (باب فضل الحب في الله والحث عليه) الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٢٠٧).

لكن لا ينبغي أن يكون مخالطة شيء من حظوظ النفس للعبادة داعيا لترك تلك العبادة بحجة الخوف من عدم قبولها.

فهذا مزلق يحذر منه. وإنما الصواب أن تستكثر من العمل الصالح، وتجاهد نفسك في تكميل الإخلاص لله فيه.

بم يستقبل الشهر؟

بالسرور والاستبشار، وبنفس صافية تستقبل ما يرد عليها من غذاء الروح بالأعمال الصالحة، فليبادر إلى:

١-التوبة الصادقة، حيث إن الذنوب سبب حرمان العبد من خيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [الشورى:٣٠]، ولا مصيبة أعظم من الحرمان من الأعمال الصالحة. ولهذا – والله أعلم – شرع في كثير من الأعمال الصالحة استفتاحها بالاستغفار كدخول المسجد، وكالدخول في الصلاة: «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب...**»، وكخطبة الحاجة – في استفتاح خطبة الجمعة والعيدين وعقد النكاح وغيرها: (إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره..). كما شرع – أيضا – ختمها بالاستغفار إظهارا للافتقار، وأن العبد مهما عمل فهو لا يزال في تقصير.

٢-عقد العزم الصادق على اغتنامه وعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة، فمن صدق الله صدقه وأعانه على الطاعة ويسر له سبل الخير، قال الله عز وجل: ﴿**فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ**﴾ [محمد: ٢١].

٣-دعاء الله بالعون على الطاعة، فالله يقول: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر:٦٠] مثل أن يكرر هذا الدعاء: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. ويؤثر عن السلف أنهم كانوا يقولون إذا حضر رمضان: اللهم قد أظلنا شهر رمضان وحضر، فسلمه لنا وسلمنا له وارزقنا صيامه وقيامه، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد، وأعذنا فيه من الفتن [(١)].

٤-الاستكثار من الأعمال الصالحة عموماً، حتى تتهيأ النفس وتستعد، ومن ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ولعل هذا — والله أعلم — من حكم إكثار النبي ﷺ الصوم في شعبان. ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان».

---

(١) ذكره الشيخ عبد العزيز السلمان في كتاب (المناهل الحسان في دروس رمضان)ص١٠.

مسائل وتنبيهات

المسألة الأولى: تحقيق التعبد وتكميله:

لابد من تحقيق التعبد في الصيام وغيره من العبادات، وإلا أصبح عادة رتيبة، فليس للمرء من عمله إلا ما نوى، كما قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»، فابحث عما يحقق تعبدك ويكمله بشروط التعبد كلها (المحبة والخوف والرجاء) من تلاوة القرآن بالتدبر، وتذكر فضل ما تعمل أو تترك، والتواصي بالحق وغير ذلك.

وللعمل مع النية أحوال:

*فالعبادة المباحة إذا قارنتها النية الحسنة أصبحت عبادة.

*والعبادة إذا خلت من النية أصبحت عادة.

*أما إذا خلت من النية الصالحة وحل محلها النية الفاسدة كقصد مراءاة المخلوقين ونحو ذلك أثم صاحبها، وخرجت عن حد العبادة في الباطن. والله أعلم.

وعلى أي الأحوال فليكن نظر المسلم هنا إلى ما يتحقق منه التعبد لله أكثر.

فإن رأى أن اعتماره أول الشهر أو وسطه أكمل في تعبده وأكثر؛ لإقباله على العبادة وأدعى لانشراح صدره إليها من أن يأتي أواخر الشهر فيجد عنتا عند دخول المسجد الحرام، وعند الخروج منه وعند الطواف، وعند إرادته ما لا بد له منه من اشتراء طعام أو

قضاء حاجة أو نحو ذلك. فهذا لعل الأصلح له أن يعتمر أوائل الشهر.

أما من كان الاعتمار آخر الشهر أنفع له، كأن يكون سببا في ابتعاده عما اعتاده في بلده من الشواغل عن العبادة، أو أن يكون سببا في نشاطه في الطاعة إذا رأى كثرة الناس وإقبالهم على الطاعات ما بين طائف وتال وراكع وساجد، بحيث إنه لو كان في بلده لغلبه الكسل و لم ينشط على ما ينشط عليه هناك، فهذا لعل الأصلح له أن يكون اعتماره ومكثه ما يمكث في العشر الأواخر. والله تعالى أعلم.

ومما يدخل هنا أن بعض الناس تراه مصرا على أن يؤدي عمرته ليلة سبع وعشرين، أو على الأقل أن يطوف تلك الليلة مهما كان الزحام، وكأن العبادة أمر يؤدي فحسب.

بل ينبغي أن يحرص المسلم من العبادات على ما هو أحب إلى الله وأرضاها له سبحانه، فالعمل المفضول قد يصبح فاضلا لأسباب واعتبارات، منها: أن العبد حقق تعبده لله بذلك العمل أكثر من غيره من الأعمال.

ولنذكر أن الشيطان يسعى في إيقاع العبد في مصايده. وأول غاياته أن يوقعه في الكفر والشرك، فإن لم يستطع ذلك نقله من السنة إلى البدعة، فإن لم يستطع ذلك سعى في إيقاعه في الكبائر، وإلا ففي الصغائر فإن لم يستطع ذلك كله وكان من الأتقياء شغله بالمباحات عن المستحبات، ثم قال — رحمه الله باختصار:

(فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة وكان حافظا لوقته شحيحا به، نقله إلى المرتبة السادسة: وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، ليفوته ثواب العمل الفاضل، فيأمره بفعل الخير المفضول، ويحسنه له إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه، وقلّ من يتنبه لهذا من الناس، فإنه إذا رأى فيه داعيا قويا ومحركا إلى نوع من الطاعة لا يكاد يقول: إن هذا الداعي من الشيطان. وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور قوي من الله يقذفه في قلب العبد، يكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ، وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله، وأحبها إليه، وأرضاها له، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة لله ولرسوله ﷺ ولكتابه ولعبادة المؤمنين، خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف هذا إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ) انتهى كلامه رحمه الله (١).

المسألة الثانية في قوله ﷺ «إيمانا واحتساباً».

قوله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» انظر كيف تكرر قوله ﷺ في الجمل الثلاث: «**إيمانا واحتسابا**»، وجعل قيدا لحصول ذلك الثواب العظيم: هو مغفرة ما تقدم من ذنبه.

---

(١) التفسير القيم ص٦١٣، ٦١٤ باختصار، وانظر مدارج السالكين له أيضا رحمه الله ٢٢٢/١-٢٢٦.

ومعنى قوله: «**إيماناً واحتساباً**»: قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

ولنتفطن أن العبد إذا أدى العبادة إيمانا واحتسابا كانت سببا عظيما في زيادة إيمانه؛ فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وإذا زاد إيمانه ازداد طاعة، وهكذا يتلازم الأمران، ويترقى في مدارج الكمال. ولهذا ترى من صام رمضان أو قامه إيماناً واحتسابا كلما تقدم الشهر ازداد نشاطا وطاعة، حتى إذا قربت نهاية الشهر وحضرت المواسم الثمينة، وإذا هو على أنشط ما يكون من العمل. أما من قصر في استصحاب الإيمان والاحتساب في صيامه رمضان وقيامه، فإنه يبدأ أول الشهر بحماس، ثم يقل نشاطه، ويتناقص حماسه كلما تقدم الشهر.

المسألة الثالثة: نداء لأئمة المساجد ودعاة الخير:

حيث إن هذا الشهر العظيم تصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون في غيره، فضلا من الله ومنة على عباده، ولذا فترى الناس أحرص على الخير، وأبعد عن الشر منهم فيما سواه. من أجل هذا حري بالداعين إلى الله أن يستفيدوا من هذا الظرف ويغتنموا هذه الفرصة في تعليم الناس ما جهلوا، وتذكيرهم ما نسوا.

وأشكال ذلك متعددة، فمنها: اختيار الدروس المناسبة لقراءتها على الجماعة في المساجد في الأوقات المناسبة كالوقت بعد صلاة العصر، وقبل صلاة العشاء، أو غيرها مما يناسب ومما قد يختلف من ناس إلى ناس، ومنها: مساعدة إمام المسجد في تلك الدروس المشار

إليها، أو تحملها عنه، فبعض الأئمة قد لا يتوفر لديه الوقت لاختيار ما يناسب الناس، وبعضهم قد يشق عليه الجمع بين القراءة في الصلاة والتحديث على الجماعة ... إلى غير ذلك من الأعذار، فليبادر طلبة العلم إلى اغتنام هذه الفرص وليعلموا أن عليهم واجبات فليؤدوها، وأمانات فليقوموا بها.

ومنها: إفادة الأهل والأقارب، وفي الحديث عنه ﷺ قال: «**خيركم خيركم لأهله**»(١).

وإنه لمن الغفلة أن يهتم المرء بالناس بإرشادهم ودعوتهم، وينسى أقرب الناس إليه وأحقهم ببره، وأعجب من هذا من يكون اهتمامه بغيره على حساب نفسه.

المسألة الرابعة: تقديم الفرض على النفل:

في الحديث القدسي أن الله تعالى قال: «وما تقربي إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه»(٢) ويدخل في هذه المسألة الحرص على فريضة العشاء أكثر من صلاة التراويح: في تبكيره، وطمأنينته فيها، وتدبره القراءة فيها، وغير ذلك دون تقصير أو نقص من شأن صلاة التراويح.

كما يدخل في هذه المسألة: تدبر الفاتحة — في الفرض والنفل — والاهتمام بها أكثر مما سواها، إذ هي ركن وما سواها من القراءة مستحب.

(١) حديث صحيح رواه الترمذي وابن ماجة.
(٢) رواه البخاري .

المسألة الخامسة: في الوتر والقنوت:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد» [(١)]، وبعض الأئمة يواصل قراءته في الركعتين اللتين قبل الوتر بما كان يقرأ به أول صلاته، فأحيانا لا يشعر بعض المصلين إلا وهو في الوتر.

أي أن المصلي دخل في صلاته بغير نية الوتر، والنافلة المعينة لابد لها من نية تعينها بخلاف التنفل المطلق فيكفي فيه مجرد نية الصلاة، فلعل الأولى هنا – بعد عن التلبيس على المصلي في صلاته – أن يقرأ ولو بــ (قل يا أيها الكافرون) في الركعة الأخيرة قبل الوتر حتى يعلم المأموم أن تلك التي تليها هي الوتر. ومثل هذا أن بعض الأئمة يوتر أحيانا بثلاث (يعني بسلام واحد)، وعادته أن يوتر بواحدة فيدخل المصلي في صلاته هذه على أنها شفع، ثم لا يدري إلا والإمام قد صلاها وترا بسلام واحد.

فهنا لعل الأولى أن يشعر الإمام المأمومين أنه سيوتر بثلاث. والله أعلم.

أما فيما يتعلق بالقنوت في الوتر فهنا تنبيهات:

١–بعض الأئمة يطيل في الدعاء طولاً قد يشق على المصلين أو على بعضهم، ومن العجب أنك قد ترى من الأئمة من يسرع في قراءته ويهذها هذا، فإذا ما دعا تأني كرر الدعاء وأطال فيه.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

فلأن يعتدل في الدعاء وينصرف المصلي راغبا في المزيد من الدعاء، خير من أن يؤدي ببعض المصلين إلى شيء من السأم والملل، إلا أن يتحرى مناسبة، كليلة يرجو أن تكون هي ليلة القدر، أو ساعة رقت فيها القلوب، ونحو ذلك. والله أعلم.

٢-يحسن بالداعي أن يدعو بالمأثور، فهذا:

(أ) أقرب إلى السنة وأقرب إلى الاتباع.

(ب) أجمع للخير وأدفع للشر، فإن النبي ﷺ قد أوتي جوامع الدعاء.

(ج) أسلم من أن يزل لسانه إلى معنى لم يكن يقصده، أو أن يدعو بما يظنه خيرا وهو ليس كذلك.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ **هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟** قال: نعم كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فجعله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه، أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسن وقنا عذاب النار. قال: فدعا الله له فشفاه**»(١).

(د) كما أن الأدعية المأثورة أكثر تحقيقاً للعبودية مما سواها. حتى ولو كان الناس يتأثرون بتلك الأدعية المنشأة أكثر من تأثرهم

---

(١) رواه أحمد ومسلم والبخاري في الأدب المفرد والترمذي والنسائي.

بالأدعية الواردة، وعن عبد الله بن مغفل أنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: يا بني سل الله الجنة وعذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور**»(١).

المسألة السادسة: في اغتنام ساعات ثمينة يكثر التفريط فيها:

هناك ثلاث ساعات ثمينة يكثر التفريط فيها: وهي أول ساعة من النهار (بعد صلاة الفجر)، وآخر ساعة من النهار، ووقت السحر. أما أول ساعة من النهار فتفوت غالبا بالنوم، وأما آخر ساعة من النهار فبالانشغال بإعداد الإفطار والتهيؤ له، وساعة السحر تفوت أحياناً بطول الانشغال بالسحور.

هذه أوقات فاضلة. قال ابن رجب رحمه الله في (المحجة في سير الدلجة) في سحر قول النبي ﷺ: «**استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**»: يعني أن هذه الأوقات الثلاثة تكون أوقات السير إلى الله بالطاعات، وهي آخر الليل وأول النهار وآخره، وقد ذكر الله هذه الأوقات في قوله تعالى: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى**﴾ [طه: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ**

(١) أورده ابن كثير رحمه الله في تفسيره عن الإمام احمد وأبي داود وابن ماجة، ثم قال بعد أن ساق أسانيدهم: (وهو إسناد حسن لا باس به والله أعلم).اهـ. (ج٢٢٣:٢) سورة الأعراف.

السُّجُودِ﴾ [ق:٣٩-٤٠].

وذكر الله تعالى الذكر في طرفي النهار في مواضع كثيرة من كتابه، كقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا*وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾** [الأحزاب:٤١-٤٢]، وقال تعالى: **﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** [الإنعام: ٥٢]، وقال تعالى في ذكر زكريا عليه السلام: **﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** [مريم: ١١]. وقال تعالى: **﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾** [غافر: ٥٥].

فهذه الأوقات الثلاثة منها وقتان — وهما أول النهار وآخره — يجتمع في كل من هذين الوقتين عمل واجب وعمل تطوع. فأما العمل الواجب فهو صلاة الصبح وصلاة العصر، وهما أفضل الصلوات الخمس، وهما البردان اللذان من حافظ عليهما دخل الجنة، وأما عمل التطوع فهو ذكر الله بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس، وقد وردت في فضله نصوص كثيرة، وكذلك وردت النصوص الكثيرة في أذكار الصباح والمساء، وفي فضل من ذكر الله حين يصبح وحين يمسي.

(وكان السلف لآخر النهار اشد تعظيما من أوله، وأيضا فيوم الجمعة آخره أفضل من أوله؛ لما يرجى في آخره من ساعة الإجابة، ويم عرفة آخره أفضل من أوله لأنه وقت الوقوف، وكذلك آخر الليل أفضل من أوله. كذا قال السلف واستدلوا بحديث النزول الإلهي)[1] انتهى.

---

(١) المحجة في سير الدلجة ص٥٩-٦٤.

القارئ الحسن الصوت

إن الصوت الحسن مما يعين على التدبر، وقد قال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «**لو رأيتني وأنا أستمع إلى قراءتك البارحة. لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود**»[١] وقد أورد ابن كثير رحمه الله في فضائل القرآن عن ابن ماجه بسند قال – أي ابن كثير – إنه جيد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: أبطأت على رسول الله ذات ليلة بعد العشاء ثم جئت، فقال: أين كنت؟ قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم اسمع مثل قراءته وصوته من أحد. قالت: فقام فقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إلى فقال: «**هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا**». وقال ابن كثيرا أيضاً. وروى أبو عبيد – وساق إسناده – عن أبي سلمة قال: كان عمر رضي الله عنه إذا رأى أبا موسى رضي الله عنه قال؛ ذكرنا ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده [٢] لكن هنا أمور ينتبه لها:

أحدها: ألا يكون المقصد: الصوت ذاته؛ بل يجب أن يكون حسن الصوت معينا ومساعدا على التدبر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ [ص:٢٩].

ولعل مما تستطيع أن تميز به بين كون استلذاذك بصوت القارئ

---

(١) رواه مسلم وروى البخاري قوله (لقد أوتيت) الحديث..

(٢) كتاب فضائل القرآن لابن كثير رحمه الله وقد وضعه في آخر التفسير وجعله متمما له (٤-٦١٢).

أو هو بما يقرؤه من كلام الله: ألا يرتبط الإقبال والتدبر بحسن الصوت، بحيث إذا لم يحصل لم يكن إقبال ولا تدبر لما يتلى. والواجب استماع القرآن وتدبره، لكن حسن الصوت يزيد من ذلك التدبر ويساعد عليه.

وهناك أمر آخر مهم، وهو أنه كما يحرص على الحسن الصوت فكذلك فليحرص على من يرجى فيه التقوى والصلاح أكثر من غيره، ومن هو أبعد عن التكلف؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**» [متفق عليه]. قال ابن كثير رحمه الله: (معناه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها. وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم، وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك...، والأذن: الاستماع) انتهى كلامه رحمه الله [١].

ومما يجدر التنبيه عليه هنا ما يقع من بعض الناس من رفع أصواتهم بالبكاء والنحيب. فهذا خلاف المأثور عن النبي ﷺ وعن سلف الأمة. فعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء»[٢].

وروى أبو نعيم في الحلية عن محمد بن واسع قال: إن كان

---

(١) المصدر السابق (٤: ٦١٠).

(٢) أخرجه الخمسة غلا ابن ماجه وصححه ابن حبان.

الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم به. وروي عنه أيضا قال: لقد أدركت رجالا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالا يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي إلى جنبه. وروى أبو نعيم أيضا عن عاصم بن أبي النجود قال: كان أبو وائل إذا صلى في بيته ينشج نشيجا ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله. وذكر ابن كثير في تفسير قوله عز وجل: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف: ٥٥] عن عبد الله بن المبارك عن فضالة عن الحسن قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور [١] وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾[٢].

وليعلم أن الخشوع حقيقته: الخضوع والتذلل، وليس من لازمه البكاء. ثم إن الخشوع المحمود الممدوح صاحبه هو ما نتج من تأثر القلب، بمعنى ما يرى أو يسمع تأثراً يدفعه إلى الإنابة إلى الله ومحبته وخوفه ورجائه، أما الرقة أو الخشوع الناشئ من التأثر بشكل ما

(١) الزور: الضيف.

(٢) تفسير ابن كثير، سورة الأعراف الآية: (٥٥)، (٢: ٢٢٢).

يرى أو ما يسمع من حسن صوت أو صورة أو التأثر بحالة خوف أو حزن أو فرح والوقوف عند هذه الحد فشتان ما بينه وبين الأول، فإن تضمن شيئا مما في الأول من محبة الله وخوفه ورجائه كان محموداً بحسب ذلك، وإن لم يتضمن شيئا من ذلك فهو أمر طبيعي لا يحمد عليه ولا يذم.

الأمر الثاني: عدم الإكثار والمبالغة في التنقل بين المساجد بحجة البحث عن القارئ الأنسب فهذا الإكثار والمبالغة — له أضراره: من تضييع الأوقات والانصراف عن تدبر ما يسمع بتذوق الأصوات والمقارنة بين هذا وذاك.

فإن قيل: أيهما أفضل: من يصلي في مسجده القريب، أو من يبحث ويتحرى ولو بعد المسجد ؟ قيل: –والله أعلم — في كل من هاتين الحالتين فوائد أما فوائد الاقتصار على المسجد القريب فمنها: كسب الوقت، والتبكير إلى الصلاة، والتقدم في الصف، وأبعد عن التعرض للإخلال بالسكينة والوقار في المشي إلى المسجد. إلى غير ذلك من الفوائد. أما فوائد تحرى الصلاة مع إمام بعينه لحسن قراءته فمنها أن ذلك أدعى لحصول الخشوع وتدبر القراءة. أما تحديد أي الأمرين أفضل فقد قال النبي ﷺ: «**احرص على ما ينفعك**»(١) فيحرص كل امرئ على ما يراه أصلح لقلبه وأنفع له في صلاته، على ألا يسبب الحرص على منفعة تفويت ما هو أعلى منها أو

(١) رواه مسلم.

حصول مفسدة [1] لكن الحالة المرفوضة أن يصبح المرء إمعة ينساق مع آراء الناس ورغباتهم، فإذا رآهم استحسنوا شيئا استحسنه، وإذا رآهم انصرفوا عن شيء انصرف معهم، دون إعمال فكر وطلب دليل، لا ينبغي هذا، بل ينبغي أن تفكر بعقلك لا بعقل غيرك، وأن تنظر ما ينفعك أنت. فإن كان لابد من البحث عن قارئ فلا يطل

(١) قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله في جزء (مرويات دعاء ختم القرآن) [الموقظة الرابعة: في النهي عن تتبع المساجد طلبا لحسن صوت الإمام في القراءة ، قال محمد بن بحر – كما في (بدائع الفوائد ١١/٤) رأيت أبا بعد الله في شهر رمضان وقد جاء فضل بن زياد القطان فصلى بابي عبد الله التراويح ، وكان حسن القراءة فاجتمع المشايخ وبعض الجيران حتى امتلأ المسجد ، فخرج أبو عبد الله فصعد درجة المسجد فنظر إلى الجمع ، فقال : ما هذا ؟ تدعون مساجدكم وتجيئون إلى غيرها! فصلى بهم ليالي ثم صرفه كراهية لما فيه ، يعني من إخلاء المساجد ، وعلى جار المسجد أن يصلي في مسجده) أهـ. وفي مبحث (سد الذرائع) من إعلام الموقعين (١٦٠/٢) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (الوجه الخمسون: أنه نهى الرجل أن يتخطى المسجد الذي يليه إلى غيره ، كما رواه بقية عن المجاشع بن عمرو عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ : «**ليصل أحدكم في المسجد الذي يليه ولا يتخطاه إلى غيره**» وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى هجر المسجد الذي يليه وإيحاش صدر الإمام . وإن كان الإمام لا يتم الصلاة أو يرمي ببدعة أو يعلن بفجور فلا باس بتخطيه إلى غيره) أهـ. وعنه في (الهدية العلائية ص٢٨٤ للبرهاني) والحديث المذكور رواه الطبراني في (الأوسط) كما في الجامع الصغير، و (كنز العمال ٦٥٩/٧) و (مجمع الزوائد) للهيثمي وقال : (رجاله موثقون إلا شيخ الطبراني : محمد بن أحمد بن نصر المروزي ، لم أر من ترجمه) أهـ. وعزاه في (صحيح الجامع) إلى الطبراني في (الكبير) وتمام العقيلي. وما نبهت على هذا إلا لأنه أخذ يمثل في زماننا هذا ظاهرة لها صفة التكاثر، والفضائل لا تدرك بارتكاب النواهي مع أنه (فتنة للمتبوع) والله تعالى أعلم انتهى ص ٨٠، ٨١. .

هذا البحث؛ بل ابحث قليلا ثم حدد مسجدا تستقر عليه وتواظب معه ما أمكنك. وإن طال بحثك و لم تجد ما يناسبك، ومن تخشع معه فاتهم نفسك وأصلح قلبك، فمنه يحصل التلقي، والقرآن هو القرآن لم يتغير، إنما الذي يتغير هو القلب المتلقي له.

الأمر الثالث: ألا يتسبب الحرص على قارئ معين في تفويت ما هو أهم، مثل أن يكون سببا في الإخلاص بالمشي إلى الصلاة بسكينة ووقار، أو يترتب عليه فوات شيء من الصلاة كتكبيرة الإحرام، أو الركعة الأولى، ونحو ذلك.

الأمر الرابع: الاحتراز من المفاضلة بين القراء مفاضلة تتمن تنقص أحدهم أو اغتيابه.

تنبيهات للمرأة

التنبيه الأول: بعض النساء يكن على حالة حسنة في رمضان من الاجتهاد في الطاعة، فإذا ما أتتها عادتها فترت وكسلت وتركت ما كانت عليه من نشاط.

ولا شك أن هذا حرمان لنفسها من الخير، فأبواب الخير ولله الحمد كثيرة، فإذا لم تستطع الصلاة والصيام فأمامها أبواب من الطاعات.

أمامها الدعاء قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»(١)، وقال: «**إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً خائبتين**» (٢)، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**» فقال رجل من القوم: إذا نكثر(٣) قال: «**الله أكثر**»(٤).

وأمامها التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير. ففي الحديث عنه ﷺ: «**ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر**

---

(١) رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه.

(٣) أي من الدعاء.

(٤) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وانظر صحيح الجامع الحديث رقم (٥٥١٣).

الله»[١]، وقال رسول الله ﷺ «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»**[٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملان أو تملأ ما بين السماوات والأرض**» الحديث [٣] وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة**»؟ فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف.

حسنة؟ قال: «**يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة**»[٤].

وانظروا أيضا هذا الفضل العظيم: قال رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**» وقال: «**من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر**»[٥].

---

(١) قال في [صحيح الجامع ب٥: ١٤٩] صحيح وعزاه إلى الإمام أحمد.
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم .
(٥) متفق عليه.

وكذلك الصلاة على النبي ﷺ. فقد قال ﷺ: «**من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً**»[١] فهل يريد المسلم شيئا فوق هذا الفضل: إذا صليت على النبي ﷺ صلاة واحدة أثنى الله عليك بها عند الملائكة عشر مرات، اللهم لك الحمد، ولا تحرمنا اللهم خير ما عندك بشر ما عندنا.

وأيضا السلام عليه ﷺ: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وكذلك الاستغفار، قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة**»[٢].

وكذلك الصدقة، قال رسول الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب – فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه [٣] حتى تكون مثل الجبل**»[٤]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**» قالت امرأة منهن: ما لنا أكثر أهل النار؟ قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**» الحديث [٥].

فالحمد لله على ما يسر من الطاعات وما أجزل من الأجر والثواب.

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم .
(٣) الفلو هو : المهر.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه مسلم .

وأيضا فمن أبواب الخير الواسعة: قيامها على خدمة الصائمين في بيتها، كما في الحديث عنه ﷺ: «**ذهب المفطرون اليوم بالأجر**»(١) كل هذا غير ما تحتسبه من أن يكتب لها مثل ما كانت تعمل أيام طهرها، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً**»(٢).

٢-التنبيه الآخر: للمرأة أن تصلي في المسجد، وصلاتها في بيتها خير لها. وقد عقد الحافظ عبد المؤمن ابن خلف الدمياطي رحمه الله (٦١٣-٧٠٥) في كتابه: «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» فصلا بعنوان: «ثواب صلاة المرأة في بيتها» ننقله مختصرا. قال رحمه الله: (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن**» رواه أبو داود. وعنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**المرأة عورة، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان** (٣)، **وإنها لا تكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها**» رواه الطبراني بإسناد جيد. وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها** (٤) **وصلاتها في مخدعها** (٥) **أفضل من**

(١) رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والنسائي.
(٢) رواه الإمام أحمد والبخاري.
(٣) تطلع إليها.
(٤) هي ما يحتجر في المنزل خارج البيت وقرب الباب، ولعله يشبه ما يسمى عند الناس اليوم (بالملحق).
(٥) قال الحافظ الدمياطي : هو لخزانة تكون داخل البيت . أهـ قلت: الأشبه بذلك غرفتها الخاصة بها.

صلاتها في بيتها » رواه أبو داود وابن خزيمة. والمراد أن المرأة كلما استترت وبعد منظرها عن أعين الناس كان أفضل لصلاتها، وقد صرح ابن خزيمة وجماعة من العلماء بأن صلاتها في دارها أفضل من صلاتها في المسجد، وإن كان مسجد مكة أو المدينة أو بيت المقدس، والإطلاقات في الأحاديث المتقدمة تدل على ذلك، وقد صرح النبي ﷺ بذلك في حديث أم حميد الآتي. فالرجل كلما بعد ممشاه وكثرت خطاه زاد أجره وعظمت حسناته، والمرأة كلما بعد ممشاها قل أجرها ونقصت حسناتها. وعن أم حميد — امرأة أبي حميد الساعدي، رضي الله عنهما — أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك. قال: «**قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي**». قال: فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل. رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان. قلت – الدمياطي – كان النساء في عهد رسول الله ﷺ إذا خرجن من بيوتهن إلى الصلاة يخرجن متبذلات متلفعات بالأكسية لا يعرفن من الغلس، وكان إذا سلم النبي ﷺ يقال للرجال: مكانكم حتى ينصرف النساء، ومع هذا قال رسول الله ﷺ: إن صلاتهن في بيوتهن خير لهن. فما ظنك بمن تخرج متزينة متبخرة متبهرجة لابسة أحسن ثيابها !؟ وقد قالت عائشة رضي الله عنها: لو علم النبي ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن الخروج إلى المسجد هذا قولها في حق

الصحابيات ونساء الصدر الأول. فما ظنك لو رأت نساء زماننا هذا؟!)[١] انتهى. هذا كلامه رحمه الله وهو في القرن السابع.

وهنا مسألتان:

المسألة الأولى: ما ذكره الحافظ الدمياطي من تفضيل صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد الحرام وغيره يستوي فيه صلاة الفرض والنفل، ومن كانت مقيمة في مكة ومن أتت بقصد الحج والعمرة أياماً محددة. والله أعلم.

المسألة الثانية: أن المرأة إذا خشيت أن تكسل إذا صلت في بيتها وكانت صلاتها في المسجد أنشط لها وأمنت الفتنة، أو كان هناك خير – كسماع علم أو وعظ ونحو ذلك – لا تناله إلا بذهابها إلى المسجد وأمنت الفتنة، فالصلاة في المسجد أفضل – والله أعلم.

---

(١) ص٨٥–٨٨.

تنبيهات حول العمرة

في الحديث عنه ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**»[(١)] فلينتبه لأمور منها:

١-أن يحرص المعتمر على حفظ وقته وكسبه وإمضائه في المسجد الحرام – ما أمكن – فإن كان هناك خروج منه لتدارس علم – مثلا – فليقتصر هذا الخروج وهذه الدروس على قدر الحاجة. إذ المدارسة ممكنة في أي وقت، والمكث في المسجد الحرام لا يتيسر كل الوقت.

٢-ليحفظ الوقت كله، وخاصة ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، وما بين القيام الأول والقيام الآخر، وليحذر من تضييعه بالتحدث ومالا ينفع أو الانشغال بالتجول في الأسواق ونحوه مما لا حاجة إليه.

٣-كف اللسان عن اللغو والغيبة وعن الانشغال بما لا يعني من القول والفعل، كالمفاضلة بين الأئمة في قراءاهم ونحو ذلك.

٤-حفظ ليالي العشر وعدم تشتيتها بالأسفار. إذ بعض المعتمرين قد يفوته من العشر ليلتان في السفر، إحداهما في المسير والأخرى في أعقاب هذا المسير حيث يكون مجهدا من آثار سفره، ثم تفوته ليلتان أخرتان عند رجوعه من سفره.

---

(١) رواه البخاري.

٥-الموازنة بين أداء العمرة ليالي العشر وبين أدائها أول الشهر (سبق ذكر ذلك ص١٢).

٦-كما سبق التنبيه على عمارة المقيم في المسجد الحرام ليالي العشر بما يكون أنفع له وأكثر أجرا وأحب إلى الله وأرضى له سبحانه، وعدم الإصرار على لون معين من الطاعات.

٧-ليتحاش المعتمر في تردده إلى المسجد الحرام المرور بالأسواق التي يكثر فيها النساء، وفي الحديث عن النبي: «**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وابغض البلاد إلى الله أسواقها**»[1]، ومعروف حال الأسواق في رمضان خاصة وللأسف.

---

(١) رواه مسلم.

أعمال صالحة تتأكد في رمضان

قبل الشروع في ذكر بعض الأعمال الصالحة التي تتأكد في رمضان تلاحظ أموراً:

أحدهما: الإدراك الحقيقي لقيمة هذا الموسم وفضله وأنه إن مضى فلا تضمن انك ستدرك غيره، وأنه فرصة قصيرة، وصدق الله: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾، فما أسرع ما بين أن يقول الناس: هلّ رمضان. ثم أن يقولوا: انتهى رمضان، ولا يكفي الشعور المبهم المجمل بأن رمضان. موسم فاضل فحسب.

الثاني: أن الأعمال تتفاضل، فمنها الفاضل، ومنها المفضول. ومنها المحبوب إلى الله، ومنها الأكثر حبا إليه سبحانه، فليحرص المسلم على أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وأعظمها أجراً.

ومن الأعمال المتأكدة في شهر رمضان:

١-تلاوة القرآن: شهر رمضان شهر القرآن، فمن أفضل ما تعمر به الأوقات الاهتمام بالقرآن؛ حفظا وتلاوة وتدبرا وعملا. وهكذا كان سلف الأمة. وقد ذكر ابن رجب رحمه الله في كتاب (لطائف المعارف) نبذة مفيدة في خصوصية القرآن في رمضان، وعن حال السلف مع القرآن في رمضان نذكر بعضها منها. قال رحمه الله: (في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون: في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن؛ وكان جبريل يلقاه كل

ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة».. ودل الحديث أيضا على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان.

وفي حديث فاطمة رضي الله عنها عن أبيها ﷺ أنه أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن [١] كل عام مرة وأنه عارضه في عام وفاته مرتين. وفي حديث ابن عباس السابق — أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلا — دلالة على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلا، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، ويجتمع فيه الهم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾ [المزمل:٦] وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾[٢] [البقرة: ١٨٥] ثم تحدث عن أحوال السلف في التلاوة فقال:

(وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، منهم قتادة، وبعضهم في كل عشر؛ منهم أبو رجاء العطاردي. وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها. وكان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في

(١) معنى معارضة القرآن : أن يعرض كل من القارئين قراءته على الآخر ، فيقرا أحدهما والآخر يستمع ، ثم يقرأ الأخر كذلك .
(٢) لطائف المعارف ص ١٧٢ ، ص١٧٩.

رمضان، وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث. وكان قتادة يختم في كل سبع دائما، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة، وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرأها في غير الصلاة، وعن أبي حنيفة نحوه. وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام. قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف. قال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن، وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت. وقال سفيان: كان زبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه ».

«وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما الأوقات المفضلة كشهر رمضان — خصوصا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر — أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناما للزمان والمكان. وهو قول احمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره» (١).

٢-الصدقة: للصدقة مزية وخصوصية في رمضان، فينبغي

---

(١) لطائف المعارف ص٣١٥-٣١٩ط دار ابن كثير.

المبادرة إليها والحرص عليها، وعدم إهمالها أو التقصير في أبوابها، أو النظر إليها وكأنها مقصورة على سن معين أو مستوى مالي معين.

ولها أشكال كثيرة منها: إطعام الطعام، وتفطير الصائمين، وقد كان السلف يحرصون كثيرا على إطعام الطعام. سواء كان إشباع جائع أو تفطير صائم أو إطعام أخ صالح، فلا يشترط في المطعم الفقر. وكانوا يفضلونه – أي إطعام الطعام – ويقدمونه على عبادات كثيرة. حتى إنه يرون عن علي رضي الله عنه أنه قال: لأن أجمع أناسا من إخواني على صاع من طعام أحب إلى من أن أدخل سوقكم هذا فأبتاع نسمه فاعتقها. وروي عن غيره نحو هذا. وقد ذكر ابن رجب رحمه الله نبذة قيمة في هذا الموضوع في شرح (حديث اختصام الملأ الأعلى)(١) وتلك العبادة – إطعام الطعام – ينشأ عنها عبادات كثيرة: من شكر نعمة الله في المال والطعام، ومن التودد والتحبب إلى إخوانك الذين أطعمتهم فيكون هذا سببا في دخول الجنة. وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا**»(٢) كما ينشأ عنها مجالستهم، وفي الحديث القدسي: «**وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ**» الحديث (٣). كما ينشأ عنها معونتهم على الطاعات التي تقووا عليها بطعامك، وغيرها من أبواب الخير.

---

(١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصار الملأ الأعلى ص ٧٣-٨٠.

(٢) رواه مسلم .

(٣) قال النووي رحمه الله : حديث صحيح رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح (رياض الصالحين –باب فضل الحب في الله) وقد سبق.

كما ذكر ابن رجب أيضا رحمه الله في (لطائف المعارف) في تعليقه على حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي سبق ذكره (حديث مدارسة جبريل للنبي ﷺ القرآن في رمضان وتضاعف جوده ﷺ في رمضان) بعض فوائد الصدقة في رمضان ننقلها بشيء من الاختصار والتصرف، قال –رحمه الله– (وفي تضاعف جوده ﷺ في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة منها:

١–شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه.

٢–إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أن «**من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا**»(١) وفي حديث زيد بن خالد عن النبي ﷺ «**من فطر صائما فله مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا**»(٢).

٣–ومن فوائد تضاعف جود النبي ﷺ في رمضان أنه شهر يجود الله على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لا سيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، كما قال ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»(٣)، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنس العمل.

٤–أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة. كما في

---

(١) متفق عليه .

(٢) خرجه الإمام أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٩١).

(٣) حسنه الألباني (صحيح الجامع – ٢٣٧٧).

حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»(١).

وهذه الخصال كلها تكون في رمضان فيجتمع فيه للمؤمن الصيام والقيام والصدقة وطيب الكلام، فإنه ينهي فيه الصائم عن اللغو والرفث.

٥-أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها، وخصوصا إن ضم إلى ذلك قيام الليل [وأورد المؤلف عدة أحاديث في ذلك].

٦-أن الصيام لابد أن يقع في خلل أو نقص. والصدقة تجبر ذلك النقص والخلل) انتهى ملخصاً (٢).

٧-جلوس الإنسان في صلاة حتى تطلع الشمس: ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان إذا صلى الغداة (٣) جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس. وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة**»(٤).

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن حبان والبيهقي في شعب الإيمان . وحسنه الألباني (صحيح الجامع ٢١١٩)..

(٢) لطائف المعارف (ص٣١٠-٣١٣).

(٣) أي الفجر.

(٤) قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله : (لا بأس به، له طرق جيدة) وصححه العلامة الألباني حفظه الله . انظر إن شئت (الترغيب والترهيب) تخريج الألباني حفظه الله (١٦٤/١ و١٦٥) والصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة لمصطفى بن العدوي ص ٨٦، ٨٧..

هذا الفضل على مدى العام، فما الظن برمضان؟! لا شك أن فضل هذا يتأكد. لكن المكث في المسجد تلك الساعة قد يثقل على النفس حين يرى المرء المصلين ينصرفون واحدا تلو الآخر. لكن ينبغي للحازم أن ينظر – في أمور الدين – إلى من هو فوقه ومن هو أنشط منه، لا العكس.

وثمة سبب آخر قد يحول دون الاستفادة من تلك الساعة الثمينة، وهو مواصلة السهر، أو عدم النوم في الليل فترة كافية.

وهذا لا ينبغي، لأنه ولو كان انشغالا في طاعة فإنه يفوت – غالبا – ما هو أفضل منه لما يلي:

(أ) أنه خلاف سنة النبي ﷺ المستنبطة من قول عائشة –رضي الله عنها– «**كان –أي رسول الله ﷺ – إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله**» فيفهم منه – والله أعلم – أن إحياء الليل مختص بليالي العشر.

(ب) مما يحرص عليه المسلم التبكير بالنوم. وكراهة السمر بعد العشاء ثابتة في الصحيحين، فعن أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

قال النووي رحمه الله في رياض الصالحين.

(باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة؛ والمراد به الحديث الذي يكون مباحا في غير هذا الوقت وفعله وتركه سواء؛ وأما الحديث مع الضيف ومع طالب حاجة ونحوها فلا كراهة فيه، بل هو مستحب، وكذا الحديث لعذر وعارض لا كراهية فيه. وقد

تظاهرت الأحاديث الصحيحة على كل ما ذكرته) ثم ساق بعضاً منها.

وما ذكره رحمه الله لا يعارض ما سبق ذكره من كراهة الحديث بعد العشاء، إذ هو الأصل. لكن تبقى تلك الأحوال التي ذكرها ونحوها استثناءات.

فلا ينبغي أن يجعل الاستثناء هو الأصل، ويجعل الأصل هو العارض الطارئ، والذي يحدث منا غالبا أننا نرخص لأنفسنا التمادي في السهر، متوسعين بتلك الأعذار. والسنة بين الغالي والجافي. فما ينبغي للمسلم أن يترخص الترخص الجافي، ولا يتشدد التشدد الغالي.

والمسلم يحرص على كمال الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ ليكون في القمة من الطائفة المنصورة التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك**» رواه مسلم. فلا يغب عن بالنا أنه كما أن الصحابة رضي الله عنهم يتفاوتون في درجة الصحبة وفي سبقهم ومنازلهم، فكذلك تلك الطائفة المنصورة فمنهم السابق بالخيرات ومنهم المقصد ومنهم الظالم لنفسه، وذلك بحسب تمسكهم بسنة إمامهم ﷺ والدفاع عنها والدعوة إليها.

(جـــ) طول السهر بالليل يفوت كثيراً من النشاط بالنهار. فيحرم الساهر من طاعات كثيرة، كالتبكير للصلوات والاستكثار من النوافل كصلاة الضحى وغيرها. فيفوته الجمع بين تلك

العبادات مع عبادة الصيام.

اغتنام آخر ساعة من النهار، وآخر ساعات الليل. وقد تقدم الحديث عنها، وفيه قول ابن رجب رحمه الله: (كان السلف لآخر النهار أشد تعظيما من أوله).

من الأعمال الصالحة التي يتأكد استحبابها في رمضان: التبكير إلى الجمعة. ويوم الجمعة له مزية وفضل وشرف على سائر أيام الأسبوع، والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار، قال الله عز وجل: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ**﴾ [القصص:٦٨]، فاقتضت حكمته وعلمه تفضيل بعض البشر على بعض، فأفضلهم الأنبياء، وفضل بعض البقاع على بعض، وفضل بعض الأزمنة على بعض، فرمضان أفضل شهور العام ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع. قال ابن القيم رحمه الله: (وكان هديه ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره) انتهى [١].

قد ورد في السنة أحاديث كثيرة في بيان فضل هذا اليوم وذكر خصائصه، فمنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**»[٢].

وعن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه مرفوعا: «**خير يوم طلعت**

(١) زاد المعاد: ٣٧٥.
(٢) رواه مسلم.

عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه ثيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حيث تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه»(١).

وعن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: «**فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه**» وأشار بيده يقللها(٢).

وقد رجح جمع من أهل العلم أنها آخر ساعة من يوم الجمعة. قال ابن القيم رحمه الله: (وكان سعيد بن جبير إذا صلى العصر لم يكلم أحدا حتى تغرب الشمس)(٣).

ومن الأعمال التي يتأكد استحبابها في هذا اليوم:

أولاً: التكبير للجمعة، وقد ورد في ذلك أحاديث عن النبي ﷺ، ومنها:

١-عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من**

---

(١) قال في صحيح الجامع: حديث صحيح رواه الإمام مالك والإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان والحاكم.

(٢) متفق عليه .

(٣) زاد المعاد: ١ : ٣٩٤ وقد ذكر رحمه الله كلاما مفيدا في خصائص يوم الجمعة فليراجعه من شاء من ص ٢٦-ص٤٤٠.

اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»(١).

٢- عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ؛ كان له بكل خطوة عمل سنة، أجر صيامها وقيامها**»(٢)، وفي رواية «**وذلك على الله يسير**».

٣- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقعد الملائكة على أبواب المساجد فيكتبون الأول والثاني حتى إذا خرج الإمام رفعت الصحف**» (٣) رواه أحمد بإسناد جيد والطبراني. وفي رواية لهما: قال قلت: يا أبا أمامة ليس لمن جاء بعد خروج الإمام جمعة؟ قال: بلى، ولكن ليس ممن يكتب في الصحف(٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) قال الدمياطي في المتجر الرابح : (رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه ، والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد) انتهى ص١٥٥. وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في شرح المنتقي : (الحديث له أسانيد جيدة).

(٣) قال في صحيح الجامع : حسن .

(٤) المتجر الرابح (١٥٧).

٤-عن علقمة قال: خرجت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يوم الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه، فقال: رابع أربعة، وما رابع أربعة من الله ببعيد، إني سمعت رسول الله يقول: «**إن الناس يجلسون يوم القيامة من الله عز وجل على قدر رواحهم إلى الجمعات الأول ثم الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع**»وما رابع أربعة ببعيد [(١)].

قال الشافعي رحمه الله: (من شأن الناس التهجير إلى الجمعة، والصلاة إلى خروج الإمام)[(٢)].

قال رحمه الله: (ولو بكر إليها بعد الفجر وقبل طلوع الشمس كان حسنا)[(٣)].

قال الحافظ عبد المؤمن الدمياطي رحمه الله المتوفى عام (٧٠٥): (قال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله: (كان يرى في القرن الأولى في السحر وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد، حتى اندرس ذلك)، وقيل: أول بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع يوم الجمعة). انتهى [(٤)]

وقال ابن القيم رحمه الله: (الثالثة والعشرون — من خواص يوم

---

(١) قال في المتجر الرابح: رواه ابن ماجه بإسناد جيد.
(٢) انظر زاد المعاد (١:٣٨٠) ونيل الأوطار: (٣:٣١٢).
(٣) زاد المعاد: (١٠:٤٠٠).
(٤) المتجر الرابح (١٥٩-١٦٠).

الجعة — أنه اليوم الذي يستحب أن يتفرغ فيه للعبادة. وله على سائر الأيام مزية بأنواع من العبادات، واجبة ومستحبة، فالله سبحانه جعل لأهل كل ملة يوما يتفرغون فيه للعبادة ويتخلون فيه عن أشغال الدنيا. فيوم الجمعة يوم عبادة، وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور، ولهذا من صح له يوم جمعته وسلم، وسلم له سائر أسبوعه)انتهى [(١)].

وقد روى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يطيل الصلاة قبل الجمعة، ويصلي بعدها ركعتين يحدث إن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك [(٢)].

أيها المسلم هذا بعض ما ورد في فضل هذا اليوم الشريف وفضل التبكير إلى الجمعة، وهذا هدي السلف الصالح في اغتنام ذلك الفضل وجدهم فيه، ولكن العبد قد يحرم فضل الله وثوابه بسبب ذنوبه فيتباطأ عن الطاعة أو يستقلها، بل قد يقلب مواسم الخير والعبادة إلى مواسم عبث ولهو. والله تعالى يقول: ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ**﴾ [الشرح:٧]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيرها: (أي إذا تفرغت من أشغالك ولم يبق في قلبك ما يعوقه فاجتهد في العبادة والدعاء. ولا تكن ممن إذا فرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره فتكون من الخاسرين) انتهى[(٣)].

---

(١) زاد المعاد بتصرف يسير ١:٣٩٨.

(٢) قال الشوكاني رحمه الله : (قال العراقي: إسناد صحيح) ثم قال: الحاصل أن الصلاة قبل الجمعة مرغب فيها . انتهى (نيل الأوطار، ٣١٣/٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٦٤٦/٧.

الاعتكاف:

وهو من الأعمال الصالحة التي تتأكد في رمضان، ومن السنن التي كان النبي ﷺ يواظب عليها في هذا الشهر.

فليحرص المسلم على أن يكون له نصيب من ذلك، وإنه ليسير على من يسره الله عليه. إذ ما الصعوبة في المكث في المسجد والانشغال بالطاعات من تلاوة وصلاة وذكر ودعاء وغيرها، فإن احتاج للراحة ارتاح، وإذا احتاج للطعام فإن لم يكون له من يأتيه بطعامه خرج ليأكل ثم عاد. فلا صعوبة فيه. لكن ما قد يتصوره البعض من أنه شاق جدا وعسير فهو بحمد الله غير صحيح، أو مبالغ فيه.

فخذ أيها الصائم نصيبك من الاعتكاف، لعلك تكتب من المقبولين، ولتكن من المقتدين بسنة النبي ﷺ المحيين لها.

العمرة:

ففي الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**» رواه البخاري. ونورد هنا بعض الأحاديث المتعلقة بالعمرة وهي مستخلصة من صحيح الجامع الصغير وزيادته معزوة كما عزاها الكتاب، وقد بوبتها إكمالاً للنفع.

فضل العمرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»(١).

(١) رواه مالك وأحمد والبخاري ومسلم .

وعنه رضي الله عنه النبي ﷺ قال: «**وفد الله ثلاثة: الغازي والحاج والمعتمر**»[١] وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الحجاج والعمّار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم**» [٢].

فضل التلبية:

عن السائب بن خلاد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي ومن معي أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما أهل مهل قط، ولا كبر مكبر قط إلا بشر بالجنة**»[٤].

فضل الطواف بالبيت:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من طاف بهذا البيت أسبوعا [٥] فأحصاه كان كعتق رقبة لا يضع قدما ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة، وكتب له بها حسنة**»[٦].

وعنه أيضا رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من طاف بهذا البيت سبعا وصلى ركعتين كان كعتق رقبة**»[٧].

---

(١) حديث صحيح رواه النسائي وابن حبان والحاكم (٦٩٨٩).
(٢) حديث حسن رواه البزار (٣١٦٨).
(٣) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة والبيهقي وابن حبان والحاكم وهو صحيح (٦٢).
(٤) رواه الطبراني في الأوسط وهو حسن (٥٤٤٥).
(٥) أي سبعة أشواط.
(٦) حديث صحيح رواه الترمذي والنسائي والحاكم (٦٢٥٦).
(٧) حديث صحيح رواه ابن حاجة (٦٢٥٥).

فضل استلام الحجر:

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**والله ليبعثنه يوم القيامة – يعني الحجر – له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق**»[١].

فضل الشرب من ماء زمزم:

عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ماء زمزم لما شرب له**»[٢].

حكم التتابع في صيام الست من شوال:

روى الإمام مسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال كان كصوم الدهر**».

ولأهل العلم أقوال في كيفية صيامها؛ فمنهم من استحب صيامها من أول الشهر متتابعة. وهو قول الشافعي وابن المبارك؛ ومنهم من قال لا فرق بين أن يتابعها أو يفرقها من الشهر كله، وهما سواء. وهو قول وكيع وأحمد [٣].

ولا يخفي أن قول الشافعي وابن المبارك أظهر في الدليل، وذلك:

---

(١) حديث صحيح رواه الترمذي (٦٩٧٥)..

(٢) رواه ابن أبي شيبة والإمام أحمد وابن ماجة والبيهقي في السنن، وهو صحيح (٥٣٧٨).

(٣) انظر لطائف المعارف لابن رجب رحمه الله انظر الكتاب ص ٣٩٠.

أولاً- أنه أقرب إلى تحقيق كمال الاتباع في قوله صلى الله عليه وسلم: «**وأتبعه ستاً من شوال**».

ثانياً: أنه الأصل في الطاعات استحباب المبادرة بها وفعلها في أول وقتها، إلا ما دل الدليل على استحباب تأخيره، كتأخير العشاء عن أول وقتها، والظهر عند اشتداد الحر، وصلاة الليل لمن وثق من نفسه القيام آخره. والله أعلم.

قال في الروض المربع: (ويستحب تتابعها — أي أيام الست — وكونها عقب العيد، لما فيه من المسارعة إلى الخير)[(١)]. انتهى.

ومع ذلك فمن أخرها أو فرقها في الشهر فعل السنة وحصلت له هذه الفضيلة المذكورة في قوله ﷺ: «**كان كصوم الدهر**». قال النووي رحمه الله: (قال أصحابنا: والأفضل أن تصام الست متوالية عقب يوم الفطر، فإن فرقها أو أخرها عن أوائل الشهر إلى أواخره حصلت فضيلة المتابعة؛ لأن يصدق أنه أتبعه ستاً من شوال)[(٢)] انتهى.

---

(١) انظر : (١:١٢٩) ط. السلفية.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٨:٦).

بشرى

يقول الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٢٣]، ويقول: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة:٢٥]. ويقول النبي ﷺ: «**وبشروا ولا تنفروا**» رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم.

وإني أبشرك يا أخي المسلم بأن ربك غفور، يقبل العمل اليسير ويجزي الجزاء الجزيل، ويغفر الذنب العظيم، وأنه أرحم بك وبجميع عباده من الأم بولدها.

وأبشر أنه قد أعد جنة عرضها السماوات والأرض قد فتحت أبوابها – في هذا الشهر – واطردت أنهارها، وتزينت حورها واكتمل نعيمها، أعدت للمتقين. نسأل الله أن نكون وإياك ووالدينا منهم وجميع المسلمين. فاثبت على ما قد عرفت من الخير والهدى، وأحب الله من قلبك، تجد التوفيق في الدنيا، وتسهيل الطاعة عليك، بل تحبيبها إلى قلبك، وتجد الرحمة الواسعة في الآخرة، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض.

هذا والله أعلم وصلي الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

الفهرس

لآلئ رمضانية

إعداد

القسم العلمي بدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد: فهذه لآلئ رمضانية، ودرر إيمانية، نثرناها بين يدي رمضان، ليجتهد العاقل في التقاطها، وليصبر المشتاق في متابعتها وامتلاكها.

اللؤلؤة الأولى:

التهنئة بقدوم رمضان

يستحب أن يهنئ المسلمون بعضهم بعضًا بقدوم شهر الرحمة والمغفرة، فقد كان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه بقدوم هذا الشهر، فيقول ﷺ: «**قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، يفتح فيه أبواب الجنة، ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرِم**» [رواه أحمد والنسائي].

اللؤلؤة الثانية:

رمضان شهر الفضائل

ومن فضائله أنه:

١- **شهر أنزل فيه القرآن:** كما قال سبحانه: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

٢- **فيه تفتح أبواب الجنان:** وتغلق أبواب النيران، وتصفد الشياطين. قال ﷺ: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين**» [متفق عليه].

٣- **فيه ليلة خير من ألف شهر:** قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ [القدر: ١-٥].

٤- **حصول المغفرة لمن صام نهاره وقام ليله إيمانًا واحتسابًا:** لقوله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

٥- **كثرة العتقاء فيه من النار:** لقوله ﷺ: «**... ولله عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة**» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

٦- **أن الدعاء فيه مستجاب:** لقول النبي ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر**» [رواه البزار، وصححه الألباني].

٧- **أن أجر الصائم يضاعف أضعافًا كثيرة لا يعلمها إلا الله:** فقد قال ﷺ: «**كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به**» [متفق عليه].

٨- **أنه شهر الرحمة:** لقوله ﷺ: «**إذا جاء رمضان، فتحت أبواب الرحمة** ...» [رواه مسلم].

٩- **العمرة فيه تعدل حجة:** لقوله ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**» [متفق عليه].

١٠- **قيام ليلة القدر سبب في مغفرة الذنوب:** لقوله ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

اللؤلؤة الثالثة:

كيف نستقبل رمضان؟

نستقبل رمضان:

١- بحمد الله تعالى وشكره على أن بلغنا هذا الشهر.

٢- باستحضار فضائل هذا الشهر الكريم، والاغتباط بمقدمه.

٣- بالتوبة النصوح من جميع الذنوب والمعاصي.

٤- بعقد العزم على اغتنام أيامه ولياليه فيما يرضي الله عز وجل.

٥- بالخروج من المظالم، ورد الحقوق إلى أصحابها.

٦- بالمحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، وتأديتها بخشوع وطمأنينة.

٧- بالإكثار من تلاوة القرآن الكريم مع الفهم والتدبر.

٨- بالإكثار من ذكر الله تعالى ودعائه واستغفاره، والمحافظة على الأذكار المطلقة والمقيدة.

٩- بالحرص على النوافل بعد إتيان الفرائض.

١٠- بالإكثار من الصدقة، والإنفاق في وجوه البر.

١١- بالمسابقة إلى تفطير الصائمين.

١٢- بالحرص على قيام رمضان، وتحري ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان.

١٣- بحفظ اللسان عن فضول الكلام والبصر عن فضول النظر، والجوارح عن الوقوع في الحرام.

١٤- بالمكث في المصلى بعد صلاة الفجر، وذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس وترتفع قيد رمح، ثم صلاة ركعتين، وبذلك يكون له كأجر حجة وعمرة تامة، تامة، تامة.

١٥- بالحرص على أداء عمرة في رمضان.

١٦- بالحرص على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، وزيادة الاجتهاد فيها.

١٧- بالاقتصاد في الطعام والشراب والنوم.

١٨- بالمسارعة إلى كل خير بما يناسب الحال والمقام.

اللؤلؤة الرابعة:

الصوم المقبول

قال ابن القيم: «والصائم: هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب، والفحش، وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا، وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك.

كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته، وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم، هذا هو الصوم المشروع، لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب؛ ففي الحديث الصحيح: «**من لم يدع قول الزور، والعمل به، والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**»، وفي الحديث: «**رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش**».

فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشرب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه، وتفسد ثمرته، فتصيره بمنزلة من لم يصم» [الوابل الصيب].

اللؤلؤة الخامسة:

حديث عظيم في نعمة العمر

وإدراك رمضان

عن طلحة بن عبيد الله أن رجلين من بَلِيٍّ قدما على رسول الله ﷺ، وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر. فغزا المجتهد منهما، فاستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة، ثم توفي. قال طلحة: فرأيت في المنام، بينا أنا عند باب الجنة، إذا أنا بهما، فخرج خارج من الجنة، فأذن للذي توفي الآخر منهما، ثم خرج فأذن للذي استشهد، ثم رجع إلي فقال: ارجع فإنك لم يأن لك بعد. فأصبح طلحة يحدث الناس، فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، وحدثوه الحديث، فقال: «**من أي ذلك تعجبون؟**»، فقالوا: يا رسول الله! هذا كان أشد الرجلين اجتهادًا، ثم استشهد، ودخل هذا الآخر الجنة قبله. فقال رسول الله ﷺ: «**أليس قد مكث هذا بعده سنة؟**» قالوا: بلى، قال: «**وأدرك رمضان فصام، وصلى كذا وكذا من سجدة في السنة؟**» قالوا: بلى، قال رسول الله ﷺ: «**فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض**» [رواه ابن ماجة وصححه الألباني].

موعظة

إخواني!!

أين من كان معكم في رمضان الماضي؟ أما أفنته آفات المنون القواضي!

أين من كان يتردد إلى المساجد في الظلم، سافر عن داره منذ زمن و لم.

أين الذي ارتفعت أصواهم بالأدعية؟ خرجت تلك الجواهر من تلك الأوعية.

أخي!!

شمــــر عســـى أن ينفــع التشـــميرُ
وانظـــر بفكـــرك مـــا إليـــه تصـــيرُ
طولـــت آمـــالاً تكنفهـــا الهـــوى
ونســيت أن العمـــر منـــك قصـــير
قـــد أفصـــحت دنيـــاك عـــن غـــدراها
وأتـــى مشـــيبك والمشـــيب نـــذير
دار لهـــوت بزهوهـــا متمتعًـــا
ترجـــو المقـــام ها وأنـــت تسـير
لا يشـــغلنك عاجـــل عـــن آجـــل
أبـــدًا فملـــتمس الحقـــير حقـــير

اللؤلؤة السادسة:

رمضان والقرآن

لشهر رمضان خصوصية بالقرآن، حيث نزل فيه: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥]، ولذلك كانت تلاوة القرآن في شهر رمضان والاستماع إليه ومدارسته وتدبر أحكامه من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه في هذا الشهر الفضيل.

وكان جبريل عليه السلام يلقى النبي ﷺ في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن.

ومن هنا كان السلف رحمهم الله يتفرغون للقرآن في هذا الشهر، وربما تركوا بعض العبادة من أجل اغتنام هذا الشهر في تلاوة القرآن ومدارسته.

قال ابن عبد الحكم: «كان مالك إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف».

وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: «فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام».

ومن آداب تلاوة القرآن:

١- أن تخلص لله تعالى عند قراءتك.

٢- أن تستحضر في نفسك مناجاة الله تعالى بالقرآن.

٣- أن تستشعر عظمة الله تعالى في كل آية تقرؤها.

٤- أن تستحضر الخشوع والتدبر والخضوع عند القراءة.

٥- أن تكون متوضئًا نظيف البدن والثياب.

٦- أن يكون المكان الذي تقرأ فيه القرآن طاهرًا نظيفًا.

٧- أن تكون مستقبلاً القبلة عند القراءة.

٨- أن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتداء القراءة.

٩- أن تحسن صوتك بالقراءة، وأن تقرأ بتؤدة وسكينة.

١٠- أن تلتزم بأحكام تلاوة القرآن الكريم ما استطعت، وأن تقرأ بالترتيل.

١١- أن تجتنب ما يخل بالقراءة كالضحك، واللغط، والعبث.

اللؤلؤة السابعة:

العشر الأواخر

للعشر الأواخر من رمضان مزيد فضل على ما سبقها من أيام وليالٍ، وقد كان السلف يعظمون ثلاثة أعشار من العام: العشر الأول من محرم، والعشر الأواخر من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة.

ومن خصائص هذه العشر:

أن النبي ﷺ كان يجتهد في العبادة فيها أكثر من غيرها، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره.

وفي الصحيحين عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله».

وفي المسند عنها قالت: «كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر شمر، وشد المئزر».

ومن خصائص هذه العشر أن فيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فمن أحسن العبادة في هذه العشر أدرك فضيلة ليلة القدر.

ومن خصائص هذه العشر أن النبي ﷺ كان يعتكف فيها في المسجد.

والاعتكاف: لزوم المسجد لطاعة الله، والانقطاع لعبادته والتفرغ من شواغل الحياة.

فيستحب للمعتكف أن يشتغل بذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة والدعاء والمناجاة ومدارسة العلم.

ويستحب له أن يجعل له مكانًا في المسجد ينقطع فيه عن الناس، ويتفرغ للعبادة، وإن جعل له خباءً أو مكانًا مستورًا يدخل فيه، فحسن.

السلف والعشر الأواخر

قال سفيان الثوري: «أحب إليَّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل، ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك».

إضاءة

قال ابن القيم: «ومن علامات صحة القلب: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم من اهتمامه بالعمل: فيحرص على الإخلاص فيه، والنصيحة، والمتابعة، والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه، وتقصيره في حق الله، فهذه ستة مشاهد، لا يشهدها إلا القلب الحي السليم» [إغاثة اللهفان].

لطائف وفوائد رمضانية

كتبها

خالد أبو صالح

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فهذه لطائف رمضانية، ومواعظ إيمانية، وفوائد فقهية، انتقيناها من كتب الإمامين (ابن القيم، وابن الجوزي)، نسأل الله أن ينفع بها، وأن يجعلنا من الذين يحفظون حرمة الشهر، ويفوزون فيه بجزيل الثواب والأجر.

قدسية الصيام:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الصيام إحرام، وذاك لأن الصائم يجتنب ما يثلم صومه» [غريب الحديث لابن الجوزي]

لطف الله تعالى بعباده:

قال بعض العلماء: إن الله تعالى قال في المكروهات: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾، على لفظ من لم يسم فاعله، وإن كان قد علم أنه هو الكاتب. فلما جاء إلى ما يوجب الراحة قال: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [صيد الخاطر لابن الجوزي]

فائدة في سبب النهي عن استقبال رمضان بالصيام:

قال ابن القيم: «نهى ﷺ عن استقبال رمضان بيوم أو يومين، لئلا يتخذ ذريعة إلى الزيادة في الصوم الواجب، كما فعل أهل الكتاب» [إغاثة اللهفان لابن القيم]

هدي النبي ﷺ في ثبوت الشهر:

قال ابن القيم: «وكان من هديه أن لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة، أو بشهادة شاهد واحد، كما صام بشهادة ابن عمر، وصام مرة بشهادة أعرابي، واعتمد على خبرهما، ولم يكلفهما لفظ الشهادة. فإن ذلك إخبار، فقد اكتفى في رمضان بخبر الواحد، وإن كان شهادة، فلم يكلف الشاهد لفظ الشهادة، فإن لم تكن رؤية، ولا شهادة، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا.

وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحاب، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا، ثم صامه. ولم يكن يصوم يوم الإغماء، ولا أمر به، بل أمر بأن تكمل عدة شعبان ثلاثين إذا غُم، وكان يفعل كذلك، فهذا فعله، وهذا أمره، ولا يناقض هذا قوله: «**فإن غم عليكم فاقدروا له**»، فإن القدر: هو الحساب المقدر، والمراد به الإكمال كما قال: ﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ**﴾ والمراد بالإكمال، إكمال عدة الشهر الذي غم» [زاد المعاد لابن القيم]

وجوب النية في صيام رمضان:

نقل عبد الله بن الإمام أحمد قال: سألت أبي عمن صام رمضان وهو ينوي بها تطوعًا. قال: لا يفعل هذا إنسان من أهل الإسلام، لا يجزئه حتى ينوي، لو أن رجلاً قام فصلى أربع ركعات لا ينوي بها صلاة فريضة أكان يجزئه؟ ثم قال: لا تجزئه صلاة فريضة حتى ينويها. [بدائع الفوائد لابن القيم]

معنى تبييت النية:

قال ابن الجوزي: وقوله ﷺ: «**لا صيام لمن لم يبيت الصيام**»، أي لم ينوه من الليل، فيقطع من الوقت الذي لا صوم فيه. [غريب الحديث لابن الجوزي]

معنى إيمانًا واحتسابًا:

قوله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا**»، أي: مؤمنًا بثواب الله، فيقع في حسابه حصول الأجر. [غريب الحديث لابن الجوزي]

الصيام دليل على الإيمان:

وفي الامتناع عن المشتهى دليل على الإيمان بوجود الناهي، كصبر العطشان في رمضان عن الماء. فإنه دليل على الإيمان بوجود من أمر بالصوم. [صيد الخاطر لابن الجوزي]

فيمن يصوم رمضان على سبيل العادة:

فإن بعض الناس لو ضرب بالسياط ما أفطر في رمضان، عادة قد استمرت، ويأخذ أعراض الناس وأموالهم عادة غالبة!!

فكم قد رأيت هذا الشيخ يصلي ويحافظ على الصلاة، ثم لما خاف فوت غرضه ترك الشرع جانبًا. [صيد الخاطر لابن الجوزي]

حفظ القوة من المقاصد الشرعية:

فإنه سبحانه أمر المسافر والمريض أن يفطرا في رمضان، ويقضي المسافر إذا قدم، والمريض إذا برئ، حفظًا لقوتهما عليهما، فإن

الصوم يزيد المريض ضعفًا، والمسافر يحتاج إلى توفير قوته عليه، لمشقة السفر، والصوم يضعفها. [إغاثة اللهفان لابن القيم]

أسباب الفطر:

قال ابن القيم: أسباب الفطر أربعة: السفر، والمرض، والحيض، والخوف على هلاك من يخشى عليه بصوم، كالمرضع، والحامل، إذا خافتا على ولديهما، ومثله مسألة الغريق. [بدائع الفوائد لابن القيم]

حكم الفطر للتقوي على الجهاد:

قال ابن القيم: وأجاز شيخنا ابن تيمية الفطر للتقوي على الجهاد وفعله، وأفتى به لما نازل العدو دمشق في رمضان، فأنكر عليه بعض المتفيقهين، وقال: ليس سفرًا طويلاً، فقال الشيخ: هذا فطر للتقوي على جهاد العدو، وهو أولى من الفطر للسفر يومين سفرًا مباحًا أو معصية، والمسلمون إذا قاتلوا عدوهم وهم صيام لم يمكنهم النكاية فيهم، وربما أضعفهم الصوم عن القتال، فاستباح العدو بيضة الإسلام، وهل يشك فقيه أن الفطر ههنا أولى من فطر السفر، وقد أمرهم النبي في غزوة الفتح بالإفطار ليتقووا على عدوهم، فعلل ذلك للقوة على العدو لا للسفر، والله أعلم.

قلت: إذا جاز فطر الحامل والمرضع لخوفهما على ولديهما، وفطر من يخلص الغريق، ففطر المقاتلين أولى بالجواز، ومن جعل هذا من المصالح المرسلة فقد غلط، بل هذا أمر من باب قياس الأولى، ومن باب دلالة النص وإيمائه. [بدائع الفوائد لابن القيم]

أين أرباب الصيام:

يا سوق الأكل! أين أرباب الصيام؟ يا فرش النوم! أين حراس الظلام؟ درست والله المعالم، ووقعت الخيام. قف بنا على الأطلال نخصها بالسلام. يا من كان له قلب فانقلب. قيام السحر يستوحش لك، صيام النهار يسأل عنك، ليالي الوصال تعاتبك.

أيـــن أيامـــك والـــدهر ربيـــع
والنـــوى معزولـــة والقـــرب والْ

[المدهش لابن الجوزي]

من فقه الإمام أحمد:

قال محمد بن بحر: رأيت أبا عبد الله في شهر رمضان، وقد جاء فضل بن زياد القطان، فصلى أبو عبد الله التراويح، وكان حسن القراءة، فاجتمع المشايخ وبعض الجيران، حتى امتلأ المسجد، فخرج أبو عبد الله، فصعد درجة المسجد، فنظر إلى الجمع، فقال: ما هذا؟ تدعون مساجدكم وتجيئون إلى غيرها؟! فصلى بهم ليالي ثم صرفه كراهية لما فيه، يعني من إخلاء المساجد، وعلى جار المسجد أن يصلي في مسجده. [بدائع الفوائد لابن القيم]

عبادة النبي ﷺ في رمضان:

قال ابن القيم: وكان من هديه في شهر رمضان، الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل عليه السلام يُدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه من الصدقة

والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والاعتكاف.

وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره به من الشهور، حتى إنه كان ليواصل فيه أحيانًا ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون له إنك تواصل، فيقول: «**لست كهيئتكم، إني أبيت** (وفي رواية: إني أظل) **عند ربي يطعمني ويسقيني**». [زاد المعاد لابن القيم]

اجتهاد الصحابة في رمضان:

كان زيد بن أرقم يحيي ليلة سبع عشرة من رمضان، فيصبح وكأن السخد على وجهه، السخد الماء الذي يكون مع الولد، أخبره أنه أصبح مورمًا متهيجًا منتفخًا لمعالجته السهر. [غريب الحديث لابن الجوزي]

قُبح المعصية في رمضان:

تتفاوت درجات الزنا بحسب الزمان والمكان والأحوال، وبحسب الفاعل، فالزنا في رمضان ليلاً أو نهارًا أعظم إثمًا منه في غيره، وكذلك في البقاع الشريفة المفضلة هو أعظم إثمًا منه فيما سواها. [إغاثة اللهفان لابن القيم]

قبح الغيبة:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «لئن آتي إلى كوز ماء فأشربه في رمضان أحب إلي من أن اغتاب مسلمًا».

تغليظ العقوبة على منتهك حرمة الشهر:

نقل حنبل عن الإمام أحمد فيمن شرب خمرًا في نهار رمضان، أو أتى شيئًا نحو هذا، أقيم عليه الحد وغلظ عليه مثل الذي قتل في الحرم ودية وثلث. [بدائع الفوائد لابن القيم]

عقوبة الشرب في رمضان:

إذا شرب في رمضان زيد الحد عشرين تعزيرًا كما فعله علي بالنجاشي، نص عليه. وقال أبو بكر: يجلد خمسين، أربعين للشرب، وعشرة لرمضان. [بدائع الفوائد لابن القيم]

من الحيل المذمومة:

الاحتيال على إسقاط ما هو واجب في الحال، كالاحتيال على إسقاط الإنفاق الواجب عليه، وأداء الدين الواجب بأن يملك ماله لزوجته، أو ولده، فيصير معسرًا فلا يجب عليه الإنفاق والأداء، وكمن يدخل عليه رمضان ولا يريد صومه، فيسافر ولا غرض له سوى الفطر ونحو ذلك. [إغاثة اللهفان لابن القيم]

الطواف أفضل للمكيين من العمرة:

قال ابن القيم: وكان يدور بيني وبين المكيين كلام في الاعتمار من مكة في رمضان وغيره، فأقول لهم: كثرة الطواف أفضل منها، فيذكرون قوله ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**»، فقلت لهم: في أثناء ذلك: محال أن يكون مراد صاحب الشرع العمرة التي يخرج إليها من مكة إلى أدنى الحل، وأنها تعدل حجة، ثم لا يفعلها هو مدة

مقامه بمكة أصلاً، لا قبل الفتح ولا بعده، ولا أحد من أصحابه، مع أنهم كانوا أحرص الأمة على الخير، وأعلمهم بمراد الرسول، وأقدرهم على العمل به.

ثم مع ذلك يرغبون عن هذا العمل اليسير والأجر العظيم، يقدر أن يحج أحدهم في رمضان ثلاثين حجة أو أكثر ثم لا يأتي منها بحجة واحدة، وتختصون أنتم عنهم بهذا الفضل والثواب، حتى يحصل لأحدكم ستون حجة أو أكثر، هذا ما لا يظنه من له مسكة عقل.

وإنما خرج كلام النبي ﷺ على العمرة المعتادة التي فعلها، هو وأصحابه، وهي التي أنشؤوا السفر لها من أوطانهم، وبها أمر أم معقل، وقال لها: «عمرة في رمضان تعدل حجة»، ولم يقل لأهل مكة اخرجوا إلى أدنى الحل، فأكثروا من الاعتمار، فإن عمرة في رمضان تعدل حجة، ولا فهم هذا أحد منهم. وبالله التوفيق. [حاشية ابن القيم على سنن أبي داود]

فيمن ترك الوتر عمدًا:

قال أحمد رضي الله عنه في الرجل يترك الوتر متعمدًا: هذا رجل سوء، يترك سنة سنها رسول الله ﷺ، هذا ساقط العدالة، إذا ترك الوتر متعمدًا. [بدائع الفوائد لابن القيم]

مقارنة بين العشر الأواخر من رمضان وعشر ذي الحجة:

قال ابن القيم: سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان، أيهما أفضل؟ فقال: أيام

عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة، وإذا تأمل الفاضل اللبيب هذا الجواب، وجده شافيًا كافيًا، فإنه ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة، وفيهما يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم التروية. وأما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الإحياء التي كان رسول الله ﷺ يحييها كلها، وفيها ليلة خير من ألف شهر، فمن أجاب بغير هذا التفصيل لم يمكنه أن يدلي بحجة صحيحة.

التفضيل بين ليلة القدر وليلة الإسراء:

وسئل عن ليلة القدر وليلة الإسراء بالنبي، أيهما أفضل؟ فأجاب بأن ليلة الإسراء أفضل في حق النبي، وليلة القدر أفضل بالنسبة إلى الأمة، فحظ النبي الذي اختص به ليلة المعراج، منها أكمل من حظه من ليلة القدر، وحظ الأمة من ليلة القدر أكمل من حظهم من ليلة المعراج . [بدائع الفوائد لابن القيم]

مقاصد الاعتكاف:

قال ابن القيم: شرع الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطوات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه وما يُقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه

بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم.

ولما كان هذا المقصود إنما يتم مع الصوم، شُرِع الاعتكاف في أفضل أيام الصوم، وهو العشر الأخير من رمضان، ولم ينقل عن النبي ﷺ أنه اعتكف مفطرًا قط، بل قد قالت عائشة رضي الله عنها: «لا اعتكاف إلا بصوم». [زاد المعاد لابن القيم]

الإمام أحمد ليلة العيد:

قال الفضيل بن زياد: شهدت أحمد ليلة الفطر، وقد اختلف الناس في الهلال، فصلى المكتوبة، وركع أربع ركعات، وجلس يستخبر خبر الهلال، فبعث رسولاً، فقال: اذهب نحو أبي إسحاق، فاستخبر خبر الهلال. فلم يزل جالسًا ونحن معه حتى رجع الرسول، فقال: قد رئي الهلال. فانتقل أحمد، ثم قام فدخل منزله. [بدائع الفوائد لابن القيم]

أين المشمـــــرون؟

نظر علي بن الحسين عليه السلام إلى الناس يضحكون في يوم فطر، فقال: إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه إلى مرضاته، فسبق أقوام ففازوا، وقصر آخرون فخابوا، فالعجب من الضحك اللاهي في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخيب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لشُغل محسن بإحسانه، ومسيء بإساءته عن تجديد ثوب وترجيل شعر.

[التذكرة الحمدونية]

للصائمات فقط

إعداد

أبو إبراهيم حمد بن إبراهيم الحريقي

مصدر هذه المادة :

قسم النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أختي المسلمة .. أختي الصائمة..

السلام عليك ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**بلغوا عني، ولو آية**»[٢].

فمن هذا المنطلق وغيره جمعت هذه الفوائد التي تخص النساء وخاصة في شهر رمضان المبارك الذي استعدت له كثير من النساء بالطعام والشراب، وكيفية العمل فيه، ولم تفكر بالتزود من الطاعات والتقرب إلى رب البريات، والله جل وعلا يقول: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾. فلذلك أحببت إفادة أختي المسلمة عبر هذه الورقات، وهي كما يلي:

الناس في استقبالهم لرمضان.

وقت المسلم وتنظيمه.

رسالة إلى المرأة المسلمة بمناسبة رمضان.

---

(١) متفق عليه وهو في صحيح الجامع/٧٥٨٣.

(٢) البخاري وهو في صحيح الجامع/٢٨٣٧.

توجيهات للصائمات.

من مخالفات النساء في رمضان.

تنبيهات للأخت الصائمة.

وأخيرًا، فتاوى تهم الصائمة.

هذا، وأسأله سبحانه أن يفقهنا وجميع المسلمين في أحكام دينه، وأن يجعلنا من عباده المتقين، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، مقربًا لمرضاته، نافعًا لعباده.

وما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله من ذلك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

حمد بن إبراهيم الحريقي

الرس في ١٤١٢/٧/١هـ

ص.ب: (٥٥٣)

استقبال رمضان

الناس في استقبالهم لرمضان على صنفين:

الصنف الأول: الذين يفرحون بهذا الشهر، ويسرون لقدومه، وذلك لأسباب:

١- أنهم عودوا أنفسهم على الصيام، ووطنوها على تحمله، ولهذا جاء في السنة النبوية استحباب صيام الاثنين والخميس والأيام البيض، ويوم عرفة لغير الحاج ويوم عاشوراء مع يوم قبله أو يوم بعده وصيام شعبان، وغير ذلك من أنواع الصيام المستحب الذي شرعه النبي ﷺ لأمته ليعتادوا الصوم، ويتزودوا من التقوى.

وأثر ذلك واضح في الواقع؛ فإنك تجدين الذي يصوم النفل – الأيام البيض على الأقل – لا يستثقل صيام رمضان بل هو عنده أمر طبيعي، لا كلفة فيه، ولا عناء، وأما الذي لا يصوم شيئًا من النافلة، فإن رمضان يكون عليه ثقيلاً شاقًا.

ولقد كان السلف مثالاً رائعًا في الحرص على النوافل. وروي عنهم في ذلك قصص عجيبة، من ذلك أن قومًا من السلف باعوا جارية لهم لأحد الناس، فلما أقبل رمضان أخذ سيدها الجديد يتهيأ بألوان المطعومات والمشروبات لاستقبال رمضان كما يصنع كثير من الناس اليوم، فلما رأت الجارية ذلك منهم قالت: لماذا تصنعون ذلك؟ قالوا: لاستقبال شهر رمضان. فقالت: وأنتم لا تصومون إلا في رمضان؟ والله، لقد جئت من عند قوم السنة عندهم كأنها كلها

رمضان، لا حاجة لي فيكم، ردوني إليهم. ورجعت إلى سيدها الأول.

ويروى أن الحسن بن صالح، وهو من الزهاد العباد الورعين الأتقياء كان يقوم الليل هو وأخوه وأمه أثلاثًا، فلما ماتت أمه تناصف هو وأخوه الليل، فيقوم نصفه، ويقوم أخوه النصف الآخر، فلما مات أخوه صار يقوم الليل كله.

وكان لدى الحسن بن صالح هذا جارية فاشتراها منه بعضهم، فلما انتصف الليل عند سيدها الجديد قامت تصيح في الدار: الصلاة الصلاة، فقاموا فزعين، وسألوها: هل طلع الفجر؟ فقالت: وأنتم لا تصلون إلا المكتوبة؟

فلما أصبحت رجعت إلى الحسن بن صالح، وقالت له: لقد بعتني إلى قوم سوء لا يصلون إلا الفريضة، ولا يصومون إلا الفريضة، فردني فردها.

٢- أنهم يعلمون أن الامتناع من اللذات في هذه الدنيا سبب لنيلها في الآخرة، فإن امتناع الصائم عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات في نهار رمضان طاعة لله عز وجل يكون سببًا في حصوله على ألوان الملذات الخالدة في الجنة، فلقوة يقين المتقين بذلك يفرحون بقدوم هذا الشهر الكريم.

وعلى النقيض من ذلك حال المنغمسين في الملذات المحرمة في هذه الدنيا، فإن انغماسهم فيها يكون سببًا في حرمانهم منها يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «**من شرب الخمر في الدنيا لم شربها في**

الآخرة إلا أن يتوب»(١) وإنما يحرم من شربها يوم القيامة — وإن دخل الجنة — عقابًا له على تمتعه بخمر الدنيا، وهي محرمة عليه.

وفي حديث آخر: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»**(٢).

٣- أنهم يدركون أن هذا الشهر من أعظم مواسم الطاعات والتنافس في القربات، ويعلمون أن الله عز وجل يجري فيه من الأجور ما لا يجري في غيره من الشهور، فلا غرو أن يفرحوا بقدومه فرح المشتاق بقدوم حبيبه الغائب أو أعظم من ذلك.

هذا هو الصنف الأول من الناس في استقبال شهر رمضان.

الصنف الثاني: الذين يستقبلون هذا الشهر، ويستعظمون مشقته فإذا نزل بهم، فهو كالضيف الثقيل يعدون ساعاته وأيامه ولياليه منتظرين رحيله بفارغ الصبر، يفرحون بكل يوم يمضي منه حتى إذا قرب العيد فرحوا بدنو خروج هذا الشهر.

وهؤلاء إنما استثقلوا هذا الشهر الكريم، وتطلعوا إلى انقضائه لأسباب:

١- لأنهم اعتادوا على التوسع في الملذات والشهوات من المآكل والمشارب والمناكح وغيرها، فضلاً عن مقارفتهم للذات المحرمة، فوجدوا في هذا الشهر مانعًا وقيدًا يحبسهم عن شهواتهم،

(١) البخاري ومسلم وصحيح الجامع/٦٣١٠.
(٢) البخاري ومسلم وصحيح الجامع/٦٥٢٥

ويحول بينهم وبين ملاذهم، فاستثقلوه.

٢- لأنهم قوم عظم تقصيرهم في الطاعات، حتى أن منهم من قد يفرط في الفرائض والواجبات كالصلاة مثلاً فإذا جاء هذا الشهر التزموا ببعض الطاعات؛ فترى مثلاً بعض المفرطين المقصرين الناكفين يترددون في هذا الشهر على المساجد، ويشهدون الجمع والجماعات، ويواظبون على الصيام والصلاة كل يوم، فبسبب هذا الالتزام لم يألفوه، ولم يتوطنوا عليه استعظموا حمل هذا الشهر.

ومما يناسب إيراده هنا ما ذكره ابن رجب وغيره من أن ولدًا لهارون الرشيد كان غلامًا سفيهًا، فلما أقبل رمضان ضاق به ذرعًا، وأخذ ينشد:

دعاني شهر الصوم لا كان ولا صمت شهرًا بعده آخر
فلو كان يعديني الأنام بقوة على الشهر لاستعديت قومي

فأصيب بمرض الصرع، فكان يصرع في اليوم عدة مرات، وما زال كذلك حتى مات قبل أن يصوم رمضان الآخر.

وهكذا حال الذين يستثقلون رمضان؛ لأنهم سيفارقون ما ألفوا من الشهوات، ويلتزمون ببعض العبادات، هذا مع ضعف يقينهم بما أعده الله تبارك وتعالى للمؤمنين، وعدم استحضارهم لفضل هذا الشهر، وما فيه من الأجور العظيمة، فلا عجب ألا يجدوا من اللذة والفرح والسرور بهذا الضيف الكريم ما يجده الصادقون المؤمنون[(١)].

---

(١) من كتاب دروس في رمضان للشيخ سلمان العودة حفظه الله.

وقت المسلمة وتنظيمه [١]

أختي المسلمة.

لا شك أنك مسئولة عن عمرك الذي تعيشين؛ هل قضيته في الخير وطاعة الله أم في الشر وطاعة الشيطان والعياذ بالله يقول الرسول ﷺ: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟**»[٢] فمن هذا كان لزامًا على الجميع الحفاظ على الوقت، وكذلك المرأة فإنه هناك عدة أمور يمكن أن تستغل بها وقتها منها:

أولاً: تلاوة كتاب الله تعالى:

ينبغي أن يكون لك أختي المسلمة ورد يومي لقراءة القرآن الكريم، فهو خير معين على استثمار لوقتك وفي تلاوته الأجر العظيم، ففي كل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها.

كما بين ذلك الرسول ﷺ في الحديث الصحيح[٣] وكان السلف الصالح يداومون على تلاوة القرآن، ويختمونه في الشهر عدة

---

(١) انصح أختي المسلمة بقراءة كتاب الوقت عمار أو دمار للمطوع وسماع شريط الشيخ/ سلمان العودة بعنوان: كيف تقضي المرأة المسلمة وقتها.

(٢) صحيح الجامع/٧٢٩٩، وحسنه الألباني.

(٣) «**من قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**». صحيح الجامع/٦٤٦٩.

مرات، فنحن إذا كثرت مشاغلنا أختي المسلمة، فلا نجعلها تحول دون ختمه في الشهر، ولو مرة واحدة ولضمان المداومة على ذلك ابدئي من أول الشهر بحيث يكون رقم الجزء موافقًا لتاريخ اليوم، فأول يوم من الشهر تقرئين فيه الجزء الأول والثاني الجزء الثاني واليوم العاشر الجزء العاشر.. وهكذا.

ثانيًا: قراءة كتب أهل العلم النافعة:

إن قراءتك لها تزيد حصيلتك العلمية والثقافية، فابدئي بقراءة الكتب الإسلامية التي بها تتفقهين في دين الله، وتعبدين الله على بصيرة وعلم، وبقراءتك هذه تطلعين على وضع المرأة في الجاهلية، وهي ما قبل الإسلام. وجاهلية القرن العشرين ومكانها في الدين الإسلامي، وكذلك لتتعرفي على الشبهات التي تثار ضدك من قبل أعداء الإسلام[(١)]، ولا تنسي أختي المسلمة أن تقرئي ما يهمك من أحكام شهر رمضان المبارك، لكي تعبدي الله على علم، واسألي عما أشكل عليك من أحكامه [(٢)].

ثالثًا: ذكر الله:

اجعلي من الأمور التي تقضين بها وقتك ذكر الله، فهو أمر يسير على النفس تستطيعين أداءه، وأنت تقومين بأعمال البيت، وتعلمين

(١) اقرئي إن شئت كتاب "يا فتاة الإسلام"، للشيخ صالح البليهي رحمه الله، وكتاب "عودة الحجاب"، للشيخ محمد إسماعيل، وكتاب "المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم"، للدكتور عمر الأشقر، وغير ذلك من الكتب النافعة.

(٢) هناك رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة هي بعنوان: "فتاوى الصيام"، للشيخ ابن باز، وابن عثيمين، وابن جبرين، فاحرصي على قراءتها.

فضل ذكر الله، ومدح الله للذاكرين كما قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وعندما قال أحد الأعراب للرسول ﷺ، إن شرائع الإسلام كثرت علي، فأوصني قال ﷺ: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**»[١]. فقراءة القرآن ذكر لله، والتسبيح والتهليل والتكبير ذكر، والدعاء ذكر، وفي أداء الذكر شكر لله تعالى، والله مدح الشاكرين[٢].

رابعًا: تربية الأولاد:

إن على الأم مسئولية عظيمة ومهمة جسيمة في تربية أبنائها التربية الإسلامية الصحيحة، وتنشئتهم النشأة القويمة على المنهج الرباني الرشيد، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.. والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها**». الحديث [٣]. فالأبناء يتربون، ويترعرعون في أحضان الأم، وهي ألصق بهم من الأب الذي تقع عليه مسئوليات تجعل جل وقته خارج البيت، فأرضعيهم مع اللبن الخلق الفاضل والمعاملة الحسنة والكلمات الطيبة، وكوني لأولادك قدوة صالحة، كنساء السلف رحمهم الله جميعًا [٤].

---

(١) صحيح الجامع/٧٧٠٠، وصححه الألباني.

(٢) إن ابتغيتِ الاستزادة، فارجعي إلى "الوابل الصيب" لابن القيم، و"الأذكار" للنووي، و"صحيح الكلم الطيب" للألباني.

(٣) متفق عليه، وهو في صحيح الجامع/٤٥٦٩.

(٤) هناك كتب في التربية جيدة مثل: "تربية الأولاد" لـــ: عبد الله ناصح علوان، =

خامسًا: صلة الأرحام:

صلتهم واجبة عليك أختي المسلمة لقول الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: ١] ولحديث الرسول ﷺ أنه قال: خلق الله عز وجل الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم فقال: «**مه، قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك قالت: بلى يا رب قال: فذلك لك**»(١). ثم قال أبو هريرة: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٢٢]. واستغلي هذه الزيارة بإسداء الهدية المفيدة كشريط مفيد أو كتاب توقظين به الغافلات من أقاربك، وتعاملينهم بالكلمة الطيبة، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**الدال على الخير كفاعله**»(٢).

ولا تنسي زيارة أخواتك في الله وجيرانك الطيبين (٣).

سادسًا: بر الوالدين ومساعدة الوالدة على عمل البيت:

أنت تعلمين أن الله قرن طاعته بطاعة الوالدين، فقال سبحانه: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [النساء: ٣٦]. فيدل هذا على عظم شأن الوالدين، فتجب طاعتهما في كل =

وكتاب "الأولاد" لمحمد المقبل، وغيرهما.

(١) البخاري/٧٥٠٢ ومسلم/٢٥٤٤.

(٢) صحيح الجامع/٣٣٩٩، وصححه الألباني.

(٣) هناك رسالة جيدة عن صلة الرحم لإبراهيم بن محمد، وكذلك للشيخ عبد الله الجار الله، وغيرهما.

شيء إلا في المعصية، والأحاديث التي وردت في الترغيب بطاعة الأبوين كثيرة، أذكر منها: قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «**رغم أنف ثم رغم أف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر: أحدهما أو كلاهما، فلم يدخل الجنة**»(١). فلا بد للتفرغ لطاعة الوالدين وأنبه البنات وخاصة الطالبات أهمن في أيام الدراسة تصرف جل وقتها للمذاكرة، ويكون ذلك على حسب عمل البيت، فتلقي أعباء المنزل على أمها المسكينة التي أفنت شباها في خدمتها وخدمة إخوانها وأخواتها، أهذا هو البر، كلا والله، فاتقي الله يا أمة الله، ودعي أمك تستريح بقية عمرها، وتتفرغ لطاعة رها، وخصصي وقتًا للدراسة، ووقتًا لعمل المنزل، لكي تفوزي برضا الله، ورضا الوالدين(٢).

سابعًا: سماع الأشرطة الإسلامية النافعة:

إن الشريط الإسلامي - ولله الحمد - عم بنفعه الجميع، وأصبح متداولا على جميع طبقات المجتمع، والشريط سَهَّل نشر العلم، ويسره، فالمرأة الفطنة العارفة المستغلة لوقتها بما يعود عليها بالنفع تستمع الشريط الإسلامي، وهي في المطبخ تعد الطعام، ولا يمنع ذلك فلتحرصي أختي المسلمة على سماعه، وأنت تقومين بأي عمل من أعمال المنزل، فقيامك بهذا العمل سوف تجنين ثمار هذا العمل، وتستفيدين منه دنيا وآخره وأرشدي غيرك للاستماع لبعض

(١) مسلم وصحيح الجامع/٣٥١١.

(٢) اطلعي على كتاب "بر الوالدين" للأستاذ عبد الرؤوف الحناوي، فإنه جيد، وكذلك كتاب "بر الوالدين" لنظام سكجها.

الأشرطة المفيدة. [اطلعي على رسالة مصابيح مضيئة في طريق المرأة المسلمة ج١، ٢ الناشر].

ثامنًا: الدعوة إلى الله:

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣]. ويقول تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]. فالدعوة إلى الله منهج الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، فلا تبخلي على نفسك بالأجر العظيم من الله، يقول الرسول ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»(١). فخصصي أختي المسلمة جزءًا، ولو بسيطًا من وقتك لنشر الخير والدعوة إلى الله، فالكلمة الطيبة دعوة، وحسن الأخلاق دعوة، والأمر بالمعروف دعوة، والنهي عن المنكر دعوة، إلى غير ذلك.

---

(١) مسلم وصحيح الجامع/٦٢٣٤.

رسالة إلى المرأة المسلمة بمناسبة رمضان

أختي المسلمة، سلام الله عليك ورحمته وبركاته.

أثنى الله عز وجل على المسلمات المؤمنات الصابرات الخاشعات، ووصفهن بأهن حافظات للغيب بما حفظ الله، ولما ذكر الله عز وجل أوصاف الصالحين، قال سبحانه: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وبمناسبة هذا الشهر، أزف إليك يا فتاة الإسلام، ويا أمة الله، التهنئة بهذا الشهر سائلاً الله لي ولك المغفرة والتوبة النصوح، وتقبلي منا بهذه المناسبة باقة من النصائح أطلعت عشر زهرات:

الأولى: المرأة المسلمة تؤمن بالله عز وجل ربًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، وبالإسلام دينًا، وتظهر آثار الإيمان عليها قولاً وعملاً واعتقادًا، فهي تحاذر غضب الله، وتخشى أليم عقابه، ومغبة مخالفة أمره.

الثانية: المرأة المسلمة تحافظ على الصلوات الخمس بوضوئها وخشوعها في وقتها، فلا يشغلها عن الصلاة شاغل، ولا يلهيها عن العبادة ملهٍ، فتظهر عليها آثار الصلاة، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي الحرز العظيم من المعاصي.

الثالثة: المرأة المسلمة تحافظ على الحجاب، وتتشرف بالتقيد به، فهي لا تخرج إلا متحجبة، تطلب ستر الله، وتشكره على أن أكرمها بهذا الحجاب وصانها، وأراد تزكيتها قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا**

النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

الرابعة: المرأة المسلمة تحرص على طاعة زوجها [١]، فتلين معه وترحمه وتدعوه إلى الخير وتناصحه وتقوم براحته، ولا ترفع صوتها عليه، ولا تغلظ له في الخطاب.

وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها دخلت الجنة**»[٢].

الخامسة: المرأة المسلمة تربي أطفالها على طاعة الله تعالى، ترضعهم العقيدة الصحيحة، وتغرس في قلوبهم حب الله عز وجل وحب رسوله ﷺ، وتجنبهم المعاصي ورذائل الأخلاق قال سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [التحريم: ٦].

السادسة: المرأة المسلمة لا تخلو بأجنبي، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**ما خلت امرأة برجل إلا كان الشيطان ثالثهما**»[٣]. وهي لا تسافر بلا محرم، ولا تجوب الأسواق والمجامع العامة إلا لضرورة، وهي متحجبة محتشمة متسترة.

---

(١) هناك كتيب جيد للشيخ إبراهيم المحمود بعنوان كيف تكسبين زوجك حبذا لو قريء.

(٢) أحمد والطبراني وهو في صحيح الجامع/٦٦١.

(٣) أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح.

السابعة: المرأة المسلمة لا تتشبه بالرجال فيما اختصوا به، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**»(١). حديث صحيح. ولا تتشبه بالكافرات فيما انفردن به من أزياء وموضات وهيئات (٢).

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(٣). حديث صحيح.

الثامنة: أن المرأة المسلمة داعية إلى الله عز وجل في صفوف النساء بالكلمة الطيبة بزيارة جارتها بالاتصال بأخواتها بالهاتف، بالكتيب الإسلامي، بالشريط الإسلامي، وهي تعمل بما تقول، وتحرص أن تنقذ نفسها وأخواتها من عذاب الله تعالى صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**»(٤).

التاسعة: المرأة المسلمة تحفظ قلبها من الشبهات والشهوات، وعينها من الحرام، وأذنيها من الغناء والخنا والفجور، وجوارحها جميعًا من المخالفات، وتعلم أن هذا هو التقوى، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**استحيوا من الله حق الحياء، ومن استحيا من الله حق الحياء حفظ الرأس وما وعى، والبطن وما**

---

(١) أبو داود والترمذي وابن ماجة، وهو في صحيح الجامع/٥١٠٠.

(٢) أنصح أختي في الله بقراءة كتاب "النساء والموضة والأزياء" لخالد الشايع، فهو كتاب طيب.

(٣) أبو داود، وهو في صحيح الجامع/٦١٤٩.

(٤) البخاري ومسلم.

حوى، ومن تذكر البلى ترك زينة الحياة الدنيا»[١].

العاشرة: المرأة المسلمة تحفظ وقتها من الضياع، وأيامها ولياليها من التمزق؛ فلا تكون مغتابة نمامة سبابة لاهية ساهية قال سبحانه: ﴿**وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ [الأنعام: ٧٠]. وقال تعالى عن قوم ضيعوا أعمارهم أنهم يقولون: ﴿**يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا**﴾ [الأنعام: ٣١].

اللهم اهد فتاة الإسلام لما تحبه وترضاه، واعمر قلبها بالإيمان[٢].

---

(١) الترمذي وأحمد وهو في صحيح الجامع/٩٣٥.

(٢) من كتاب ثلاثون درسًا للصائمين للشيخ عائض القرني حفظه الله.

توجيهات للصائمات

١- رمضان فرصة للتوبة الصادقة [(١)]

التوبة شعور وجداني بالندم على ما وقع، وتوجه إلى الله فيما بقي، وكف عن الذنب، وعمل صالح يحقق التوبة بالفعل، كما يحققها الكف بالترك.

فالتوبة هي الرجوع من معصية الله إلى طاعته؛ لأنه سبحانه هو المعبود حقًا.

والتوبة واجبة على الفور، لا يجوز تأخيرها، ولا التسويف بها؛ لأن الله أمر بها ورسوله فقال تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١].

وعن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله، واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة**»[(٢)].

فمن أراد الرجوع إلى الطريق المستقيم، فلا عليه إلا أن يبادر بالتوبة، ويقلع عن الذنوب من قبل أن يأتي يوم يحال فيه بينه وبينها، فيتحسر على ما فرط، ويضيق ذرعًا بما وصل إليه من واقع مرير، ويندم ولات ساعة مندم.

---

(١) التوبة إلى الله، بقلم الدكتور صالح بن غانم السدلان.
(٢) مسلم، وهو في صحيح الجامع/٧٨٨١.

فليشمر المسلم عن ساعد الجد، ويتب إلى الله بلسانه، ويعزم بقلبه محققًا مدلول التوبة بالإيمان والعمل الصالح على الله أن يقبل عثرته، ويقبل أوبته ويغفر ذنبه، فيأخذ طريقه على هدى من الإيمان والعمل الصالح، وينظمه الله في سلك عباده المهتدين.

٢- الصيام ليس مدعاة للكسل

إن الصيام فريضة من فرائض الإسلام وشهر الصوم فرصة للتقرب إلى الله بالطاعة، وذلك لشرف الزمان ألا وهو رمضان، ولا ينبغي لنا أن نجعل هذا الشهر شهر كسل وخمول، ولتعلمي أختي المسلمة أن هذا الشهر كانت فيه غزوة بدر الكبرى، وكانت فيه فتح مكة وحطين وعين جالوت، فهو شهر الانتصارات، ويتذكر المسلمون في رمضان هذه الغزوات الحافلة بالنصر والانتصار على الأعداء، أما في زماننا هذا.

فالأم تنام إلى قبيل الظهر.

والبنت كسولة في المدرسة.

والموظفة تنام في عملها.

وأقول هل هذا الشهر شهر النوم أم شهر النشاط والطاعة والتسابق إلى الخيرات؟

٣- سهر بالليل ونوم بالنهار

من الصائمات من تنام النهار كله، ولا تشعر بلذة الصيام أبدًا،

ولا تشعر بالحكمة من مشروعيته، فإن من حكم الصيام أن يحس الصائم، ويشعر بأخيه الفقير كيف يتألم من الجوع، ويتذكر نعمة الطعام والشراب طيلة أيام العام، ثم يمتنع عنه هذه الأيام المحدودة، ومن الحكم اختيار إرادة الصائم، حيث يمتنع عن الطعام والشراب، ولا يعلم بذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى، وذلك استجابة لله ولرسوله ﷺ.

فمن نام النهار كله أو أغلبه فاتته هذه الحكم وغيرها، مع أنها أمر مخالف للفطرة، حيث فطر الله الخلق على أن النهار معاش والليل سكن، والله جل جلاله يقول: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**﴾ [النبأ: ١٠، ١١]. فما بالنا عكسنا سنة الله، وجعلنا الليل تجوالاً وتنقلاً في الأسواق، وفي النهار نوم حتى حلول وقت الإفطار؟

٤- الإسراف في طعام الإفطار

كثير من الناس يمدون موائد كبيرة في هذا الشهر، وقد اشتملت على أصناف المآكل والمشارب، ويكلفون أنفسهم أحيانًا ما لا يطيقون بأنواع اللحوم والخضار والفاكهة والحلويات والعصيرات والمتبلات، وأغلب هذا يفيض عن حاجتهم ويرمى، وهذا حرام.

لم يطلب رمضان منا ذلك.

فبعض النساء تعطي زوجها ورقة طولها ذراع وعرضها كذلك، ليحضر ما فيها من السوق، وهذا يستنزف المال في غير موضعه بلا

طائل، ولا فائدة.

وأغلبها ترف لا فائدة منه، وإسراف لا خير فيه، ومنهي عنه بل هو مذموم في الشرع، كما سماه الله بأنه تبذير قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٦]. وكذلك نهى الله عن الإسراف، فقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

فعلينا الاعتدال والتوسط في ذلك؛ لا تقتير منهي عنه، ولا إسراف وتبذير محرم أيضًا.

فالأسرة عليها أن تقتصد، وتضع كل شيء في محله ومكانه مع أن بعض المسلمين يقاسون الفقر والحاجة الشديدة، ولا يجدون ما يفطرون عليه، ونحن لا نعبأ بهم، فالأولى بنا أن نرسل لهم أو نتبرع من هذا الطعام لهم بما تجود به أنفسنا، فهم أخوة لنا، وفرض علينا مساعدتهم.

٥- أكل الطعام بعد أذان الفجر

بعض الأخوة يتناولون الطعام بعد الأذان، ويبقون على المائدة حتى ينتهي آخر مؤذن، ولا ينبغي للصائم أن يختار آخر مؤذن يؤذن، ويقول أمسك على أذانه لأنه ربما يكون هذا الأذان بعد دخول الوقت بزمن كثير.

فالإمساك عن الطعام يبدأ من بداية سماع الصائم للآذان إذا كان المؤذن أمينًا عالمًا بالوقت لما في ذلك من الاحتياط للعبادة.

ولقد[١]سئل سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز عن سؤال: **ما هو حكم الشرع فيمن سمع أذان الفجر، واستمر في الأكل والشراب؟**

فأجاب سماحته قائلاً: الواجب على المؤمن أن يمسك عن المفطرات من الأكل والشرب وغيرهما إذا تبين له طلوع الفجر، وكان الصوم فريضة كرمضان وكصوم النذر والكفارات لقوله تعالى عز وجل: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾** [البقرة: ١٨٧].

فإذا سمع الأذان، وعلم أنه يؤذن على الفجر وجب عليه الإمساك، فإن كان المؤذن يؤذن قبل طلوع الفجر أو بعد الفجر فإن الأولى والأحوط أن يمسك إذا سمع الأذان، ولا يضره لو شرب أو أكل شيئًا حين الأذان؛ لأنه لم يعلم بطلوع الفجر.

ومعلوم أن من كان داخل المدن التي فيها الأنوار الكهربائية، ولا يستطيع أن يعلم طلوع الفجر بعينه وقت طلوع الفجر، ولكن عليه أن يحتاط بالعمل بالأذان والتقويمات التي تحدد طلوع الفجر بالساعة والدقيقة عملاً بقوله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[٢]. وقوله ﷺ: «**من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه**

(١) الدعوة (١٠٤١) سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.
(٢) النسائي، وهو في صحيح الجامع/٣٣٧٧.

وعرضه»[١]. والله ولي التوفيق.

وسؤال [٢] آخر وجه لسماحته جاء فيه: قال تعالى: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾** [البقرة: ١٨٧].

ما حكم من أكمل سحوره وشرب ماء وقت الأذان أو بعد الأذان للفجر بربع ساعة؟

فأجاب سماحته قائلاً: إذا كان المذكور في السؤال يعلم أن ذلك قبل تبين الصبح فلا قضاء عليه، وإن علم أنه بعد تبين الصبح فعليه القضاء.

أما إن كان لا يعلم هل كان أكله وشربه بعد تبين الصبح أو قبله، فلا قضاء عليه؛ لأن الأصل بقاء الليل، ولكن ينبغي للمؤمن الاحتياط لصيامه وأن يمسك عن المفطرات إذا سمع الأذان إلا إذا كان قبل الصبح.

٦- عدم الانشغال بفوازير رمضان

بعض الصائمات هداهن الله تقضي جل وقتها بمتابعة بما يمسى بالفوازير (فوازير رمضان)، وتنسى تلاوة القرآن وذكر الله جل وعلا فوازير في التلفزيون وفي الراديو، وبعضها يصاحبها طرب وموسيقى وسماع مثل ذلك يكون محرمًا، وأيضًا فوازير في الصحف

(١) البخاري ومسلم.
(٢) الدعوة (٧٥٣) سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

والمجلات فإذا قضت المرأة المسلمة وقتها بمتابعة مثل هذه الأمور متى تنصرف وتقضي وقتًا لها في العبادة والطاعة.

قال أحد الصالحين: العمر قصير فلا تقصره بالغفلة. يقول الشاعر:

دقات قلب المرء قائلة لــــه إن الحياة دقـــائق وثـــوان
فادفع لنفسك قبل موتـــك فالذكر للإنسان عمر ثان

فعليك أختي الصائمة الانتباه لهذه الأوقات التي تضيع بلا فائدة، وأن نشغلها بذكر الله وطاعته واستغلال مثل هذا الشهر الكريم.

٧- اصطحاب الأطفال الصغار للمسجد

بعض الصائمات التي تحضر إلى الصلاة في المسجد تصطحب أطفالها، وقد يكونون دون سن التمييز، والأخرى كذلك، فيجتمع الأولاد، ويلعبون ويصبح المسجد مكانًا للركض واللعب والمرح ويشغلون المصلين والمصليات. فيجب على الآباء والأمهات تربية أبنائهم التربية الصحيحة، وتعويدهم على احترام المسجد، وعدم اللعب فيه، ومعاقبتهم إذا صدر منهم ذلك، ولتحذر الأم من دعوة قد يدعو بها أحد المصلين أو المصليات دعوة على أولادها يستجيب الله لها، أما من كانت معها طفل رضيع، فلتحمله معها في الصلاة، وإذا سجدت لتضعه ولتحرص على عدم بكاءه وتشويشه على من في المسجد.

٨- الأم تفقه بناهّا

على الأم المربية الواعية والتي تعي مسئوليتها أن تفقه بناهّا بأمور البلوغ والتكليف، ومنها الحيض؛ فإذا حاضت البنت عرفتها أمها بأن الصيام أيام الحيض لوجود العذر الشرعي غير صحيح.

وإذا ما انتهى رمضان وجب عليها قضاء الأيام التي أفطرهّا، ويكون هذا بمنتهى الصراحة بين الأم وبناهّا. ولا حرج في ذلك؛ لأن الله لا يستحي من الحق.

ومن المصائب أن تترك البنت الصيام سنوات بعد رؤية الحيض بحجة أنها لم تبلغ سن الخامسة عشرة أو الإشفاق عليها؛ لأن سنها عشر سنوات، وهذا كله من الجهل والخطأ؛ فيجب على البنت متى رأت الحيض أن تخبر أمها بذلك، وتعلمها الأم بما يجب عليها من الحجاب والصيام والصلاة، وتلتزم بذلك، وإن تركت الصيام وجب عليها التوبة مع القضاء للأيام التي أفطرهّا.

٩- الخلوة مع السائق

إن من الظواهر الخطيرة والفتن العظيمة التي ظهر خطرها، وعظم ضررها ما ابتلي به بعض الناس في هذا الزمن من استقدام السائقين الأجانب لهذه البلاد لغرض الخدمة في البيوت وقيادة السيارات وغيرها. وهذا أدى إلى خلوة المرأة مع السائق، وهذا لا ينبغي، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يخطب

يقول: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**. فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا قال: **انطلق، فحج مع امرأتك**»(١).

ومما يلاحظ في رمضان أن بعض النساء هداهن الله يحضرن إلى المسجد مع السائق لأداء صلاة التراويح مع جماعة المسلمين ابتغاء الأجر من الله تعالى.

وربما ركبت إحداهن في مقدمة السيارة مع السائق، وهذا له مخاطره العظمى.

نطالب المرأة أن تصلي في بيتها إذا لم يكن لديها محرم يأتي بها إلى المسجد. وإن صلاة المرأة في بيتها خير لها من أن تخرج مع السائق لأداة الصلاة في المسجد.

١٠- أحاديث النساء في المسجد

بعض الأخوات لا يطيب لهن التحدث إلا داخل المسجد، وبين ركعات التراويح يتحدثن عن أنواع الطبخات وعددها، وعن الألبسة التي اشترينها، وعن أولادهن، وغير ذلك، فيحدثن تشويشًا على المصلين والمصليات، وهذا يتنافى مع الواجب الذي يمليه عليهن رمضان.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

هن جئن لصلاة التراويح ولإراحة النفس من هموم اليوم ومشكلات البيت، أم حضرن للتحدث في أحوالهن.

احذرن أخواتي الفاضلات من هذا العمل؛ لأنه يتنافى مع آداب المسجد وآداب رمضان، ومع روح العبادة.

١١- استعداد النساء لصلاة التراويح

بعض النساء اللواتي يحضرن صلاة التراويح تأتي إلى المسجد، وقد تعطرت وتجملت، وكأنها تزف إلى يوم عرسها، وهذا فعل حرام، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها، فهي زانية**»[(١)].

فهي ما جاءت إلا لتعبد الله، وتطلب العفو منه والمغفرة، فعلى الأخت الصائمة أن تأتي إلى المسجد غير متبرجة بزينة كما كن كذلك نساء الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

١٢- خروج النساء بعد صلاة التراويح

بعض الأخوات اللاتي جئن إلى صلاة التراويح لا ينتظرن حتى خروج الرجال من المسجد، فتراهن يسرعن بالخروج مع الرجال مما يؤدي إلى الاختلاط والزحام عند أبواب المسجد، فترى المرأة تتقدم بين الرجال لتبحث عن محرمها الذي جاء بها.

---

(١) الترمذي، وهو في صحيح الجامع/٢٧١، وحسنه الألباني.

فينبغي للنساء أن يكن بعيدات عن الرجال، حتى لا يعرضن أنفسهن للفتنة، وأن تتأخر المرأة داخل المسجد حتى خروج الرجال[(١)].

١٣- خروج النساء إلى الأسواق

في العشر الأواخر من رمضان تمتلئ الأسواق بأفواج النساء، وتكتظ الساحات العامة في الأسواق الرئيسية وسط زحام شديد تكتظ بالسيارات لتملأ بالأشياء غير الضرورية من الملابس وغيرها.

والنساء قد انخدعن بالموضات والموديلات، فتخشى النسوة أن يخرج نوع من القماش في شهر رمضان، ولا تستطيع شراءه أو يخرج موديل أو موضة معينة، ولم يأخذن بها.

فهذا إسراف لا مبرر له، وتبذير بلا تعقل، وبلا تفكر بالإضافة إلى ما حدث من اختلاط لا مبرر له في الأسواق ومحلات الاستهلاك وسط أضواء الفتنة، حيث السفور والاحتكاك المباشر بين الجنسين.

فآخر الشهر هو لشد المئزر لطاعة الله تعالى؛ لأن الأجر إنما يأخذه صاحبه عند نهاية عمله.

فينبغي للأخت المسلمة أن تحرص في آخر الشهر على طاعة الله وقراءة القرآن، لا على الأسواق. والله المستعان.

---

(١) من السُنة استعجال النساء بالخروج قبل الرجال «الناشر».

وأخيرًا، أختي المسلمة

اعلمي أن خروجك لصلاة التراويح يجب أن يكون ابتغاء لمرضاة الله، فاحرصي أن تكون صلاتك صحيحة خالية من الأخطاء.

وإليك بعض الأخطاء الشائعة التي قد تنقص من أجر صلاتك، والتي نسأل الله العلي القدير أن يعيننا وإياك على تصحيحها.

لا تنسي عند دخول المسجد أن تقولي دعاء الدخول إلى المسجد: «**بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم، اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك**». وعند الخروج: «**بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم، اغفر لي ذنوبي اللهم، إني أسألك من فضلك**».

من المؤسف حقًا أن نرى كثيرًا من النساء لا يلتزمن بتسوية الصفوف ورسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: «**لتسون الصفوف، أو ليخالفن الله بين وجوهكم**». وأيضًا قال عليه الصلاة والسلام: «**أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل ولا تذروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله**».

ومن المؤسف أيضًا أن بعض النساء ينفردن عن الصف تقف المرأة وحدها، ولا صلاة لمنفرد خلف الصف إلا أن يكون الصف تمامًا.

أختي في الله، من المعلوم أن متابعة الإمام واجبة، فما بالنا نرى بعض الأخوات هدانا الله وإياهن لا يلزمن بذلك فمثلاً:

- تطيل المرأة في سجودها مع أن الإمام شرع بقراءة الفاتحة من الركعة الثانية.

أيضًا البعض منهن يطلن الجلوس بين الركعتين مع العلم بأنهن قادرات على القيام.

أيضًا البعض منهن يسلمن مع الإمام مع أن الواجب أن تنتظر حتى ينتهي الإمام من التسليمتين.

اعلمي أختي المسلمة، أنه لا ينبغي أن تضعي الأحذية أمام المصليات أو أمامك، ولكن ضعيها في الأماكن المخصصة لها أو عند المدخل، فلا تكون أمام المصليات.

خروج بعض النساء مستعطرات مع أن الرسول ﷺ قال: «**وليخرجن تفلات**، أي: غير متطيبات وقال: **إذا خرجت إحداكن للمسجد، فلا تمس طيبًا**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**أيما امرأة أصابت بخورًا، فلا تشهد معنا صلاة العشاء**».

جميعًا يعلم أن خير صفوف النساء آخرها، ولكن هذا إذا لم يكن بينهن وبين الرجال حائل، ولكن اعلمي أن خير صفوف النساء أولها إذا كان بينهن وبين الرجال حاجز كشراع أو قماش أو غيره.

من مخالفات النساء في رمضان [(١)]

١- الخروج لصلاة التراويح بدون إذن الزوج

بعض النساء يخرجن لصلاة التراويح بدون إذن أزواجهن، بل أن بعضهن يعلمن أن الزوج لا يرضى بهذا، ومع ذلك يخرجن بحجة أن ذلك الخروج إلى أمر خير، ولا حرج فيه، ولمثل هؤلاء النسوة يقال: اتقين الله تعالى، ولا تخلطن عملاً صالحًا بآخر سيئًا، فإن استئذان المرأة لزوجها حق من حقوق الزوج.

وقد سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين حفظه الله تعالى عن مثل هذه الحالة، وهذا نص السؤال: **إذا خرجت المرأة لصلاة التراويح في المسجد، وزوجها غير راض عنها، يقول لها: صلي في البيت آجر لك. ما صحة هذا بارك الله فيكم؟**

فأجاب حفظه الله تعالى بقوله:

(نقول أولاً للزوج: لا تمنع امرأتك من الخروج إلى المسجد، فإن النبي ﷺ نهاك عن ذلك فقال: «**ولا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»[(٢)].

ونقول للزوجة: إذا منعك الزوج فأطيعيه؛ لأنه قد لا يمنعك إلا لمصلحة أو خوف الفتنة، وهو كما قال من أن صلاتك في البيت

---

(١) من كتاب مخالفات النساء للشيخ عبد العزيز السدحان حفظه الله.

(٢) أخرجه مسلم، وهو في صحيح الجامع/٧٤٥٧.

أفضل من صلاتك في المسجد لقول النبي ﷺ: «**وبيوتهن خير لهن**»).

٢- منع صيام البنت الصغيرة

ومن المخالفات المتعلقة بالصيام أيضًا: ما يفعله بعض الناس من الإنكار على بناهم إذا أردن الصيام بحجه أهمن صغيرات، وليس المحذور هنا إنما المحذور أن تكون الفتاة ممن بلغت سن المحيض، فتريد الصيام؛ لأنها مكلفة فيمنعها أهلها من ذلك بحجة أنها صغيرة دون سؤالها عن مجيء الحيض.

ونسوق هنا فتوى للشيخ ابن جبرين رحمه الله تعالى عندما سئل عن وقت وجوب الصيام على الفتاة.

قال رحمه الله تعالى: يجب الصيام على الفتاة متى بلغت سن التكليف، ويحصل البلوغ بتمام خمس عشرة، أو بإنبات الشعر الخشن حول الفرج، أو بإنزال المني المعروف، أو الحيض، أو الحمل، فمتى حصل بعض هذه الأشياء لزمها الصيام، ولو كانت بنت عشر سنين، فإن الكثير من الإناث قد تحيض في العاشرة أو الحادية عشرة من عمرها، فيتساهل أهلها، ويظنونها صغيرة، فلا يلزمونها بالصيام، وهذا خطأ؛ فإن الفتاة إذا حاضت فقد بلغت مبلغ النساء، وجرى عليها قلم التكليف. والله أعلم [١].

---

(١) فتاوى الصيام للشيخ ابن جبرين والشيخ ابن عثيمين/ ص٤-٩.

٣- الحرج في وضع الحناء أثناء الصوم

ومن المخالفات التي يعتقدها بعض النساء التحرج من وضع الحناء في أثناء الصوم سئل الشيخ ابن عثيمين حفظه الله تعالى عن جواز وضع الحناء على الشعر في أثناء الصيام، وهل يفطر الصائم؟

فأجاب حفظه الله تعالى بقوله:

(هذا لا صحة له، فإن وضع الحناء أثناء الصيام لا يفطر، ولا يؤثر على الصائم شيئًا كالكحل وقطرة الأذن وكالقطرة في العين؛ فإن ذلك كله لا يضر الصائم، ولا يفطره)[١].

٤- الحرج من تذوق الطعام

تتحرج بعض النساء خاصة من تذوق الطعام خشية إفساد الصوم، ولا داعي لهذا الحرج إذا لم يبتلع من الطعام شيئًا.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (لا بأس أن يتطعم القدر أو الشيء). ذكره البخاري في باب اغتسال الصائم. قال ابن حجر: ومناسبته للترجمة من طريق الفحوى[٢]؛ لأنه إذا لم يناف الصوم

---

(١) فتاوى نور على الدرب/ص٤٦.

(٢) مبحث الفحوى في الأصول في المنطق والمفهوم والمراد إذا كان المفهوم من الكلام أولى من منطوقه سمي ذلك فحوى الخطاب كدلالة قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ**﴾ على تحريم ضرب الوالدين من باب أولى. أما إذا كان مفهوم الكلام مساويًا لمنطوقه سمي ذلك ظن الخطاب كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا**﴾ فإحراقها أو العبث بها مساويًا للأكل.

إدخال الطعام في الفم وتطعمه وتقريبه من الازدراد[١] لم ينافه إيصاله الماء إلى بشرة الجسد من باب الأولى[٢].

وسئل فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله تعالى: **هل يجوز لطاهي الطعام أن يتذوق طعامه ليتأكد من صلاحيته، وهو صائم؟**

فأجاب رحمه الله تعالى بما نصه:

لا بأس، يتذوق الطعام للحاجة بأن يجعله على طرف لسانه ليعرف حلاوته وملوحته وضدها، ولكن لا يبتلع منه شيئًا بل يمجه أو يخرجه من فيه، ولا يفسد بذلك صومه إن شاء الله تعالى[٣].

٥- عدم إتمام النساء لصلاة الفرض

ومما يتعلق بالصلاة أن بعضهن إذا دخلت مع الإمام، وقد فاتها من الصلاة ركعة أو ركعتان فإنها تسلم مع الإمام، ولا تقضي ما فاتها، وهذا غالبًا ما يكون في رمضان إذا جاءت لصلاة التراويح، والصواب في ذلك أن تتم ما فاتها مع الإمام، لقول النبي ﷺ: «**وما أدركت فصلوا، وما فاتكم فأتموا**». وفي رواية: «**فاقضوا**» وهذا عام في الرجال والنساء، فعلى المرأة إذا دخلت، وقد فاتها ركعة من الصلاة أو أكثر أن تنتظر، حتى يتم الإمام سلامه ثم تقضي ما فاتها،

---

(١) الازدر: الابتلاع في القاموس المحيط ٣٠٨/١ زرد اللقمة كسمع بلعها كازدرادها.
(٢) فتح الباري ١٥٣/٤-١٥٤.
(٣) فتاوى الصيام ص/١٦.

وبهذا تتم لها صلاتها.

٦- طهر النفساء قبل تمام الأربعين وامتناعها عن الصلاة والصوم

ومما يتعلق بالطهارة أيضًا: أن بعضهن في وقت النفاس قد تطهر قبل تمام أربعين يومًا، ومع ذلك تمتنع عن الصلاة والصيام حتى يتم لها أربعين يومًا، وهذا خطأ منهن، بل متى ما انقطع الدم عن المرأة في أيام النفاس، ولو قبل تمام الأربعين، فإنها تغتسل ثم تؤدي الصلاة والصيام إن كانت في وقت صيام. قال الإمام الترمذي رحمه الله تعالى: (وقد أجمع أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعون من بعدهم على أن النساء تدع الصلاة أربعين يومًا إلا أن ترى الطهر قبل ذلك، فإنها تغتسل وتصلي، فإذا رأت الدم بعد الأربعين، فإن أكثر أهل العلم قالوا: لا تدع الصلاة بعد الأربعين، وهو قول أكثر الفقهاء، وبه يقول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي(١) وأحمد وإسحاق(٢)).

وسئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله

---

(١) المعروف في مذهب الإمام الشافعي والذي ينقله أصحابه أنه ستون يومًا. قال المزني في (المختصر) ص١١: قال الشافعي: وأكثر النفاس ستون يومًا، وقال النووي في المجموع ٢/٥٣٩ بعد نقل كلام الترمذي: (وهذا عجيب، والمعروف في المذهب ما سبق يعني ستين يومًا. انتهى من رسالة كشف الالتباس عن أحكام النفاس/ ص٣٠-٣١).

(٢) سنن الترمذي ١/٢٥٨.

تعالى بما نصه:

هل يجوز للمرأة النفساء أن تصوم وتصلي وتحج قبل أربعين يومًا إذا طهرت؟

فأجاب حفظه الله تعالى بقوله: نعم، يجوز لها أن تصوم وتحج وتعتمر، ويحل لزوجها وطؤها في الأربعين إذا طهرت، فلو طهرت لعشرين يومًا اغتسلت وصلت وصامت وحلت لزوجها.

وما يروى عن عثمان بن أبي العاص أنه كره ذلك؛ فهو محمول على كراهة التنزيه، وهو اجتهاد منه رحمه الله ورضي عنه، ولا دليل عليه[(١)].

والصواب أنه لا حرج في ذلك إذا طهرت قبل الأربعين يومًا، فإن طهرها صحيح، فإن عاد عليها الدم في الأربعين، فالصحيح أنها تعتبره نفاسًا في مدة الأربعين، ولكن صومها في حال الطهارة وصلاتها وحجها كله صحيح، لا يعاد شيء من ذلك ما دام وقع في الطهارة[(٢)].

وقاله فضيلة الشيخ ابن جبرين مجيبًا عن سؤال حول هذا الموضوع: (متى ما طهرت النفساء، وظهر منها ما تعرفه علامة على الطهر، وهو القصة البيضاء أو النقاء الكامل، فإنها تصوم وتصلي،

---

(١) أثر عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، أخرجه الدارقطني، وفيه علتان: ضعف أحد رواته، والانقطاع بين الحسن وعثمان. انظر تفصيل ذلك في (كشف الالتباس عن أحكام النفاس) تأليف: عبد الله بن يوسف/ ص١٢-١٥.

(٢) كتاب الدعوة/ ص٤٣-٤٤.

ولو بعد الولادة بيوم أو أسبوع، فإنه لا حد لأقل النفاس فمن النساء من لا ترى الدم بعد الولادة أصلاً، وليس بلوغ الأربعين شرطًا).

والخلاصة أن النفساء إذا انقطع عنها الدم قبل الأربعين، فإنها تصلي وتصوم وتحل لزوجها، فإن عاد الدم إليها في الأربعين، فإن الصحيح أنه نفاس وتمتنع عن الصيام والصلاة والجماع، فإن تجاوز الدم الأربعين، فعلى القول الصحيح أنه دم استحاضة لا حكم له إلا إذا وافق أيام حيضها، فهو حيض.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (وأما ما كان بعد الأربعين، فإن كان في أيام قد كانت تعرفه من أيام حيضها، فهو حيض، وإن لم يكن تعرفه في أيام من أيامها التي كانت تحيضها، فهي استحاضة، فهذه تصلي وتصوم فيه، ولا تعيد الصوم)[1].

٧- من طهرت قبل الفجر، ولم تغتسل

ومما يتعلق بالصوم أيضًا أن بعض النساء إذا طهرت من عادتها قبيل الفجر، ولم تتمكن من الغسل لضيق الوقت، فإنها تمتنع عن الصيام بحجة أن الصبح أدركها، وهي لم تغتسل من عادتها.

وقد سئل فضيلة الشيخ ابن جبرين رحمه الله تعالى: عن المرأة إذا طهرت بعد الفجر مباشرة، هل تمسك وتصوم هذا اليوم، ويعتبر يومًا لها، أم يجب عليها قضاء ذلك اليوم، فأجاب رحمه الله تعالى

(١) انظر كشف الالتباس/ص٣٤.

بقوله:

إذا انقطع الدم منها وقت طلوع الفجر أو قبله بقليل صح صومها، وأجزأ عن الفرض، ولو لم تغتسل إلا بعد أصبح الصبح(١).

وقال فضيلة الشيخ ابن عثيمين حفظه الله تعالى: (وإذا طهرت في الليل في رمضان، ولو قبل الفجر بلحظة وجب عليها الصوم؛ لأنها من أهل الصيام، وليس فيها ما يمنعه، فوجب عليها الصيام، ويصح صومها حينئذ، وإن لم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر كالجنب إذا صام و لم يغتسل إلا بعد طلوع الفجر، فإنه يصح صومه لقوله عائشة رضي الله تعالى عنها:

كان النبي ﷺ يصبح جنبًا من جماع غير احتلام ثم يصوم في رمضان. [متفق عليه]. والنفساء كالحائض في جميع ما تقدم)(٢).

٨- صيام من استمر معها الدم بعد أيام عادتها

ومما يتعلق بالنساء أيضًا: أن بعض النساء إذا استمر الدم معها بعد أيام عادتها فإنهن يغتسلن ويعملن كما تعمل الطاهرات، وهذا لا يجوز؛ فإذ استمر الدم مع المرأة فإنها تبقى منقطعة عن الصيام والصلاة وما يتبع ذلك من أحكام الحائض، حتى تطهر بانقطاع دمها:

ونسوق هنا فتوى لفضيلة الشيخ ابن عثيمين قالت السائلة:

(١) فتاوى الصيام للشيخ ابن جبرين والشيخ ابن عثيمين ص/١٧.
(٢) مجالس شهر رمضان ص/٣٦.

سؤال: إذا كانت المرأة عادتها الشهرية ثمانية أيام أو سبعة أيام ثم استمرت معها مرة أو مرتين أكثر من ذلك فما الحكم؟

فأجاب حفظه الله تعالى بما نصه:

إذا كانت عادة هذه المرأة ستة أيام أو سبعة ثم طالت هذه المدة، وصارت ثمانية أو تسعة أو عشرة أو أحد عشر يومًا فإنها تبقى لا تصلي حتى تطهر، وذلك لأن النبي ﷺ لم يحد حدًا معينًا من الحيض، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى**﴾ فمتى كان هذا الدم باقيًا بأن المرأة على حالها حتى تطهر وتغتسل ثم تصلي، فإذا جاءها في الشهر الثاني ناقصًا عن ذلك فإنها تغتسل إذا طهرت، وإن لم يكن على المدة السابقة، والمهم أن المرأة متى كان الحيض معها موجودًا فإنها لا تصلي، سواء كان الحيض موافقًا للعادة السابقة أو زائدًا عنها أو ناقصًا، وإذا طهرت تصلي[1].

---

(١) فتاوى المرأة ص/٢٣.

تنبيهات للأخت الصائمة

التنبيه الأول: بعض النساء يكن على حالة حسنة في رمضان من الاجتهاد في الطاعة، فإذا ما أتتها عادتها فترت وكسلت وتركت ما كانت عليه من نشاط.

ولا شك أن هذا حرمان لنفسها من الخير، فأبواب الخير - ولله الحمد – كثيرة، فإذا لم تستطع الصلاة والصيام فأمامها أبواب من الطاعات.

أمامها الدعاء قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»(١).

وقال: «**إن ربكم حي كريم يستحي أن يبسط العبد يديه إليه، فيردهما صفرًا**»(٢) وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت، فلم يستجب لي**»(٣). وأمامها التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، ففي الحديث عنه ﷺ: «**ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله**»(٤) وقال رسول الله ﷺ: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله**

---

(١) أحمد وأبو داود والترمذي، وهو في صحيح الجامع/٣٤٠٧.
(٢) أبو داود وابن ماجة، وهو في صحيح الجامع/٢٠٧٠.
(٣) الترمذي، وهو في صحيح الجامع/٥٦٣٧.
(٤) أحمد، وهو في صحيح الجامع/٥٦٤٤.

ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»[(١)] وقال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأن أو تملأ ما بين السماوات والأرض»**[(٢)].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة** فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: **يسبح الله مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة»**[(٣)].

وانظر أيضًا هذا الفضل العظيم: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك، حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»**[(٤)]. وقال: «**من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر»**[(٥)].

---

(١) مسلم.
(٢) مسلم، وهو في صحيح الجامع/٣٩٥٧.
(٣) مسلم، وهو في صحيح الجامع/٢٦٦٥.
(٤) متفق عليه وهو في صحيح الجامع/٦٤٣٧.
(٥) مسلم وهو في صحيح الجامع/٦٤٣١.

وكذلك الصلاة على النبي ﷺ فقد قال ﷺ: «**من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرًا**»(١).

فهل يريد المسلم شيئًا فوق هذا الفضل؛ إذا صليت على النبي ﷺ صلاة واحدة أثنى الله عليك بها عند الملائكة عشر مرات، اللهم، لك الحمد، ولا تحرمنا. اللهم، خير ما عندك بشر ما عندنا.

وأيضًا السلام عليه ﷺ: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وكذلك الاستغفار قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة**»(٢).

وكذلك الصدقة قال رسول الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوه(٣) حتى تكون مثل الجبل**»(٤). وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**. قالت امرأة منهن: ما لنا أكثر أهل النار؟ قال: **تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**». الحديث(٥).

---

(١) مسلم وهو في صحيح الجامع/٦٣٥٨.
(٢) مسلم وهو في صحيح الجامع/٧٨٨١.
(٣) الفلو هو: المهر وهو صغير الحصان.
(٤) متفق عليه وهو في صحيح الجامع/٦١٥٢.
(٥) مسلم وهو في صحيح الجامع/٧٩٨٠.

فالحمد لله على ما يسر الطاعات، وأجزل عليه الأجر والثواب.

وأيضًا فمن أبواب الخير الواسعة: قيامها على خدمة الصائمين في بيتها كما في الحديث عنه ﷺ: «**ذهب المفطرون اليوم بالأجر**»(١) كل هذا غير ما تحتسبه من أن يكتب لها مثل ما كانت تعمل أيام طهرها، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا**»(٢).

٢- التنبيه الآخر: للمرأة أن تصلي في المسجد وصلاتها في بيتها خير لها، وقد عقد الحافظ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله (٦١٣-٧٠٥) في كتابه: (المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح) فصلاً بعنوان: (ثواب صلاة المرأة في بيتها ننقله مختصرًا) قال رحمه الله: (عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن**»(٣). وعنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**المرأة عورة، وأنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان**(٤)**، وإنها لا تكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها**»(٥) وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**صلاة**

(١) متفق عليه وهو في صحيح الجامع/٣٤٣٦.

(٢) البخاري وهو في صحيح الجامع/٧٩٩.

(٣) أبو داود وهو في صحيح الجامع/٧٤٥٨.

(٤) تطلع إليها.

(٥) الطبراني بإسناد جيد وإلى لفظ الشيطان رواه الترمذي وهو في صحيح الجامع/٦٦٩٠.

المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها(١)**، وصلاتها في مخدعها** (٢) **أفضل من صلاتها في بيتها**»(٣) والمراد أن المرأة كلما استترت وبعد منظرها عن أعين الناس كان أفضل لصلاتها، وقد صرح ابن خزيمة وجماعة من العلماء بأن صلاتها في المسجد وإن كان مسجد مكة أو المدينة أو بيت المقدس والإطلاقات في الأحاديث المتقدمة تدل على ذلك. وقد صرح النبي ﷺ بذلك في حديث أم حميد الآتي، فالرجل كلما بعد ممشاه وكثرة خطاه زاد أجره وعظمت حسناته، والمرأة كلما بعد ممشاها قل أجرها ونقصت حسناتها.

وعن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهما أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني أحب الصلاة معك. قال: «**قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي**. قال: فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل»(٤).

قال – الدمياطي – كان النساء في عهد رسول الله ﷺ إذا خرجن من بيوتهن إلى الصلاة يخرجن متبذلات متلفعات بالأكسية،

---

(١) كأن المقصود بها الفناء المحيط بالبيت (داخل سور المنزل) والله أعلم.
(٢) قال الحافظ الدمياطي: هو الخزانة تكون داخل البيت اهـ. أي غرفتها الخاصة بها.
(٣) أبو داود وهو في صحيح الجامع/٣٨٣٣.
(٤) أحمد وابن خزيمة وابن حبان.

لا يعرفن من الغسل، وكان إذا سلم النبي ﷺ يقال للرجال: مكانكم حتى ينصرف النساء، ومع هذا قال رسول الله ﷺ: إن صلاتهن في بيوتهن خير لهم، فما ظنك بمن تخرج متزينة متبهرجة لابسة أحسن ثيابها، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: لو علم النبي ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن الخروج إلى المسجد، هذا قولها في حق الصحابيات ونساء الصدر الأول، فما ظنك لو رأت نساء زماننا هذا)[١] انتهى هذا كلامه رحمه الله، وهو في القرن السابع.

وهنا مسألتان:

إحداهما: أن المرأة إذا خشيت أن تكسل إذا صلت في بيتها، وكانت صلاتها في المسجد أنشط لها، وأمنت الفتنة، أو كان هناك خير كسماع علم أو وعظ ونحو ذلك لا تناله إلا بذهابها إلى المسجد وأمنت الفتنة فالصلاة في المسجد أفضل. والله أعلم[٢].

المسألة الأخرى:

ما ذكره وغيره الحافظ الدمياطي من تفضيل صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد الحرام وغيره يستوي في صلاة الفرض والنفل، ومن كانت مقيمة في مكة، ومن أتت بقصد الحج والعمرة أيامًا محددة. والله أعلم[٣].

---

(١) ص٨٥-٨٨.

(٢) المتابعة لأحاديث النبي ﷺ أولى. «الناشر».

(٣) من كتاب (كي نستفيد من رمضان) للأخ/ فهد السليمان بارك الله فيه.

فتاوى تهم الصائمة

سؤال: ما حكم تأخير قضاء الصوم إلى ما بعد رمضان القادم؟

الجواب: من أفطر في رمضان لسفر أو مرض أو نحو ذلك، فعليه أن يقضي قبل رمضان القادم، وما بين الرمضانين محل سعة من ربنا عز وجل، فإن أخره إلى ما بعد رمضان القادم فإنه يجب عليه القضاء، ويلزمه مع القضاء إطعام مسكين عن كل يوم، حيث أفتى به جماعة من أصحاب النبي ﷺ والإطعام نصف صاع من قوت البلد، وهو كيلو ونصف الكيلو تقريبًا من تمر أو أرز أو غير ذلك، أما إن قضى قبل رمضان القادم، فلا إطعام عليه. [الشيخ ابن باز].

سؤال: إنني لم أقض الأيام التي يفوتني صيامها من شهر رمضان بسبب العادة الشهرية، وأنا لا أستطيع إحصاءها، فماذا علي أن أفعل؟

الجواب: عليك أن تتحري - أيتها الأخت في الله - وأن تصومي ما غلب على ظنك أنك تركت صيامه، وتسألين الله العون والتوفيق ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ اجتهدي وتحري واحتاطي لنفسك حتى تصومي ما غلب على الظن أنك تركتيه، وعليك التوبة إلى الله، والله ولي التوفيق. [الشيخ ابن باز].

سؤال: منذ عشر سنوات تقريبًا كان بلوغي من خلال أمارات البلوغ المعروفة غير أني في السنة الأولى من بلوغي أدركت رمضان،

ولم أصمه دون عذر مادي، وإنما جهلاً مني بوجوبه آنذاك، **فهل يلزمني الآن قضاؤه؟ وهل يلزمني زيادة على القضاء كفارة؟**

الجواب: يلزمك القضاء لذلك الشهر الذي لم تصوميه مع التوبة والاستغفار، وعليك مع ذلك إطعام مسكين لكل يوم مقداره نصف صاع من قوت البلد من التمر أو الأرز أو غيرهما إذا كنت تستطيعين، أما إن كنت فقيرة لا تستطيعين، فلا شيء عليك سوى الصيام. [الشيخ ابن باز].

سؤال: إذا طهرت النفساء قبل الأربعين، هل تصوم وتصلي أم لا؟ وإذا جاءها الحيض بعد ذلك هل تفطر؟ وإذا طهرت مرة ثانية، هل تصوم وتصلي أم لا؟

الجواب: إذا طهرت النفساء قبل تمام الأربعين وجب عليها الغسل والصلاة وصوم رمضان، وحلت لزوجها، فإن عاد عليها الدم في الأربعين وجب عليها ترك الصلاة وترك الصوم، وحرمت على زوجها في أصح قولي العلماء، وصارت في حكم النفساء حتى تطهر أو تكمل الأربعين، فإذا طهرت قبل الأربعين أو على رأس الأربعين اغتسلت وصلت وصامت، وحلت لزوجها، وإن استمرت معها الدم بعد الأربعين فهو دم فساد لا تدع من أجله الصلاة ولا الصوم، بل أن تصلي، وأن تصوم في رمضان، وتحل لزوجها كالمستحاضة، وعليها أن تستنجي، وتتحفظ بما يخفف عنها الدم من القطن أو نحوه، وتتوضأ لوقت كل صلاة؛ لأن النبي ﷺ أمر المستحاضة بذلك إلا إذا جاءتها الدورة الشهرية أعني الحيض، فإنها

تترك الصلاة والصوم وتحرم على زوجها حتى تطهر من حيضها، وبالله التوفيق. [الشيخ ابن باز].

سؤال: هل يجوز تأخير غسل الجنابة إلى طلوع الفجر، وهل يجوز للنساء تأخير غسل الحيض أو النفاس إلى طلوع الفجر؟

الجواب: إذا رأت المرأة الطهر قبل الفجر فإنه يلزمها الصوم، ولا مانع من تأخير الغسل إلى بعد طلوع الفجر، ولكن ليس لها تأخيره إلى طلوع الشمس، بل يجب عليها أن تغتسل وتصلي قبل طلوع الشمس، وهكذا الجنب ليس له تأخير الغسل إلى ما بعد طلوع الشمس، بل يجب عليه أن يغتسل ويصلي الفجر قبل طلوع الشمس، ويجب على الرجل المبادرة بذلك حتى يدرك صلاة الفجر مع الجماعة. [الشيخ ابن باز].

سؤال: إذا طهرت النفساء خلال أسبوع ثم صامت مع المسلمين في رمضان أيامًا معدودة ثم عاد إليها الدم، **هل تفطر في هذه الحالة، وهل يلزمها قضاء الأيام التي صامتها، والتي أفطرتها؟**

الجواب: إذا طهرت النفساء في الأربعين فصامت أيامًا ثم عاد إليها الدم في الأربعين، فإن صومها صحيح، وعليها أن تدع الصلاة والصيام في الأيام التي عاد فيها الدم؛ لأنه نفاس حتى تطهر أو تكمل الأربعين، ومتى أكملت الأربعين وجب عليها الغسل، وإن لم تر الطهر؛ لأن الأربعين هي نهاية النفاس في أصح قولي العلماء، وعليها بعد ذلك أن تتوضأ لوقت كل صلاة حتى ينقطع عنها الدم كما أمر النبي ﷺ بذلك المستحاضة، ولزوجها أن يستمتع بها بعد الأربعين،

وإن لم تر الطهر؛ لأن الدم - والحال ما ذكر - دم فساد لا يمنع الصلاة ولا الصوم ولا يمنع الزوج من استمتاعه بزوجته، لكن إذا وافق الدم بعد الأربعين عادتها في الحيض، فإنها تدع الصلاة والصوم، وتعتبره حيضًا، والله ولي التوفيق. [الشيخ ابن باز].

سؤال: ماذا على الحامل أو المرضع فإذا أفطرتا في رمضان، وماذا يكفي إطعامه من الأرز؟

الجواب: لا يحل للحامل أو المرضع أن تفطر في نهار رمضان إلا للعذر، فإن أفطرتا للعذر وجب عليهما قضاء الصوم، لقوله تعالى في المريض: ﴿**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ وهما بمعنى المريض، وإن كان عذرهما الخوف على المولود، فعليهما مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم من البر أو الأرز أو التمر أو غيرهما من قوت الآدميين، وقال بعض العلماء: ليس عليهما سوى القضاء على كل حال؛ لأنه ليس في إيجاب الإطعام دليل من الكتاب والسنة، والأصل براءة الذمة حتى يقوم الدليل على شغلها، وهذا مذهب أبي حنيفة، وهو قوي. [الشيخ ابن عثيمين]

سؤال: امرأة وضعت في رمضان، ولم تقض بعد رمضان لخوفها على رضيعها ثم حملت وأنجبت في رمضان القادم، هل يجوز لها أن توزع نقودًا بدل الصوم؟

الجواب: الواجب على هذه المرأة أن تصوم بدل الأيام التي أفطرتها، ولو بعد رمضان الثاني؛ لأنها إنما تركت القضاء بين الأول والثاني للعذر، ولا أدري هل يشق عليها أن تقضي في زمن الشتاء

يومًا بعد يوم، وإن كانت ترضع فإن الله يقويها، ولا يؤثر ذلك عليها، ولا على لبنها، فلتحرص ما استطاعت على أن تقضي رمضان الذي مضى قبل أن يأتي رمضان الثاني، فإن لم يحصل لها فلا حرج عليها أن تؤخره إلى رمضان الثاني. [الشيخ ابن عثيمين]

سؤال: هل يجوز وضع الحناء للشعر أثناء الصيام والصلاة، لأني سمعت بأن الحناء تفطر الصيام؟

الجواب: هذا لا صحة له؛ فإن وضع الحناء أثناء الصيام لا يفطر، ولا يؤثر على الصائم شيئًا كالكحل وكقطرة الأذن وكالقطرة في العين، فإن ذلك كله لا يضره ولا يفطره، وأما الحناء أثناء الصلاة، فلا أدري كيف يكون هذا السؤال إذ أن المرأة التي تصلي لا يمكن أن تتحنا، ولعلها تريد أن الحناء، هل يمنع صحة الوضوء إذا تحنت المرأة، والجواب: أن ذلك لا يمنع صحة الوضوء، لأن الحناء ليس له جرم يمنع وصول الماء، وإنما هو لون فقط، والذي يؤثر على الوضوء هو ما كان له جسم يمنع وصول الماء، فإنه لا بد من إزالته حتى يصح الوضوء. [الشيخ ابن عثيمين]

سؤال: تعمد بعض النساء أخذ حبوب في رمضان لمنع الدورة الشهرية – الحيض – والرغبة في ذلك حتى لا تقضي فيما بعد، **فهل هذا جائز، وهل في ذلك قيود حتى تعمل بها هؤلاء النساء؟**

الجواب: الذي أراه في هذه المسألة ألا تفعله المرأة، وتبقى على ما قدره الله عز وجل وكتبه على بنات آدم، فإن هذه الدورة الشهرية لله تعالى حكمة في إيجادها، هذه الحكمة تناسب طبيعة

المرأة، فإذا منعت هذه العادة، فإنه لا شك يحدث منها رد فعل ضار على جسم المرأة، وقد قال النبي ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**». هذا بقطع النظر عما تسببه هذه الحبوب من أضرار على الرحم كما ذكر ذلك الأطباء، فالذي أرى في هذه المسألة أن النساء لا يستعملن هذه الحبوب، والحمد لله على قدره وعلى حكمته إذا أتاها الحيض تمسك عن الصوم والصلاة، وإذا طهرت تستأنف الصيام والصلاة، وإذا انتهى رمضان تقضي ما فاتها من الصوم. [الشيخ ابن عثيمين]

سؤال: أنا فتاة أبلغ من العمر (٢٥) عامًا، ولكن منذ صغري إلى أن بلغ عمري (٢١) سنة، وأنا لم أصم ولم أصل تكاسلاً، ووالدي ينصحانني، ولكن لم أبال، فما الذي يجب علي أن أفعله علمًا أن الله هداني، وأنا الآن أصوم ونادمة على ما سبق؟

الجواب: التوبة تهدم ما قبلها، فعليك بالندم والعزم والصدق على العبادة والإكثار من النوافل من صلاة في الليل والنهار وصوم تطوع وذكر وقراءة ودعاء، والله **يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات**. **[الشيخ ابن جبرين]**

سؤال: عادتي الشهرية تتراوح ما بين سبعة إلى ثمانية أيام، وفي بعض الأحيان في اليوم السابق لا أرى دمًا، ولا أرى الطهر، فما الحكم من حيث الصلاة والصيام والجماع؟

الجواب: لا تعجلي حتى تري القصة البيضاء التي يعرفها

النساء، وهي علامة الطهر، فتوقف الدم ليس هو الطهر، وإنما ذلك برؤية علامة الطهر وانقضاء المدة المعتادة. [الشيخ ابن جبرين].

سؤال: ما حكم خروج الصفار أثناء النفاس وطوال الأربعين يومًا، هل أصلي وأصوم؟

الجواب: ما يخرج من المرأة بعد الولادة حكمه كدم النفاس، سواء كان دمًا عاديًا أو صفرة أو كدرة، لأنه في وقت العادة حتى تتم الأربعين، فما بعدها إن كان دمًا عاديًا، ولم يتخلله انقطاع فهو دم نفاس، وإلا فهو دم استحاضة أو نحوه. [الشيخ ابن جبرين].

سؤال: هل يجوز لي أن أقرأ في كتب دينية ككتب التفسير وغيرها، وأنا على جنابة أو في وقت العادة الشهرية؟

الجواب: يجوز قراءة الجنب والحائض في كتب التفسير وكتب الفقه والأدب الديني والحديث والتوحيد ونحوها وإنما منع من قراءة القرآن على وجه التلاوة لا على وجه الدعاء أو الاستدلال، ونحو ذلك. [الشيخ ابن جبرين]

سؤال: ما حكم الدم الذي يخرج في غير أيام الدورة الشهرية، فأنا عادتي في كل شهر من الدورة هي ٩ أيام، ولكن في بعض الأشهر يأتي خارج أيام الدورة، ولكن بنسبة أقل جدًا، وتستمر معي هذه الحالة لمدة يوم أو يومين، فهل تجب علي الصلاة والصيام أثناء ذلك أم القضاء؟

الجواب: هذا الدم الزائد عن العادة هو دم عرق لا يحسب من العادة، فالمرأة التي تعرف عادتها تبقى زمن العادة لا تصلي ولا

تصوم ولا تمس المصحف، ولا يأتيها زوجها في الفرج، فإذا طهرت وانقضت أيام عادتها واغتسلت فهي في حكم الطاهرات، ولو رأت شيئًا من دم أو صفرة أو كدرة فذلك استحاضة لا تردها على الصلاة ونحوها. [الشيخ ابن جبرين]

سؤال: عندما كنت صغيرة في سن الثالثة عشرة صمت رمضان، وأفطرت أربعة أيام بسبب الحيض، ولم أخبر أحدًا بذلك للحياء والآن وقد مضى على تلك الحادثة ٨ سنوات فماذا أفعل؟

الجواب: لقد أخطأت بترك القضاء طوال هذه المدة، فإن هذا شيء كتبه الله على بنات آدم، ولا حياء في الدين، فعليك المبادرة بقضاء تلك الأيام الأربعة ثم عليك مع القضاء كفارة، وهي إطعام مسكين عن كل يوم، وذلك نحو صاعين من قوت البلد الغالب لمسكين أو مساكين. [الشيخ ابن جبرين]

سؤال: امرأة أفطرت شهر رمضان عام ١٣٨٢هـ لعذر حقيقي، هو إرضاع طفلها وكبر الطفل، وصار اليوم عمره ٢٤ سنة، ولم تقض ذلك الشهر، وهذا والله العظيم بسبب الجهل لا تهاونًا وقصد التعمد أرجو إفادتنا؟

الجواب: يجب عليها المبادرة إلى قضاء ذلك الشهر في أقرب وقت فتصومه، ولو متفرقًا بقدر الأيام التي صامها المسلمون ذلك العام، وعليها مع الصيام صدقة، وهي إطعام مسكين عن كل يوم كفارة عن التأخير، فإن من أخر القضاء حتى أدركه رمضان آخر

لزمه مع القضاء كفارة، فيكفي عن الشهر كله كيس من الأرز خمسة وأربعين كيلو جرامًا، وكان الواجب عليها البحث والسؤال عن أمر دينها، فإن هذه المسألة مشتهرة ومعروفة بين أفراد الناس، وهي أن من أفطر لعذر لزمه القضاء فورًا، ولم يجز له التأخير لغير عذر. [الشيخ ابن جبرين]

سؤال: أنا فتاة أبلغ من العمر ١٧ سنة، وسؤالي أنه في العامين الأولين من صيامي لم أصم الأيام التي أفطرتها في رمضان، فماذا أفعل؟

الجواب: يلزمك المبادرة إلى قضاء تلك الأيام، ولو متفرقة ولا بد مع القضاء من كفارة، وهي إطعام مسكين عن كل يوم، وذلك بسبب تأخير القضاء أكثر من عام كما يرى ذلك جمهور العلماء. [الشيخ ابن جبرين]

سؤال: امرأة جاءها دم أثناء الحمل قبل نفاسها بخمسة أيام في شهر رمضان هل يكون دم حيض أو نفاس وما يجب عليها؟

الجواب: إذا كان الأمر كما ذكر من رؤيتها الدم، وهي حامل قبل الولادة بخمسة أيام، فإن لم تر علامة على قرب الوضع كالمخاض، وهو الطلق فليس بدم حيض، ولا نفاس بل دم فساد على الصحيح، وعلى ذلك لا تترك العبادات، بل تصوم وتصلي وإن كان مع هذا الدم أمارة من أمارات قرب وضع الحمل من الطلق ونحوه، فهو دم نفاس تدع من أجله الصلاة والصوم ثم إذا طهرت منه بعد الولادة قضت الصوم دون الصلاة. [اللجنة الدائمة]

سؤال: هناك امرأة أصيبت بمرض نفساني حرارة واضطراب أعصاب وغير ذلك على أثر ذلك تركت الصوم مدة أربع سنوات تقريبًا فهل في مثل هذه الحالة تقضي الصوم أولاً، وماذا يكون حكمها؟

الجواب: إذا كانت تركت الصوم لعدم قدرها عليه وجب عليها قضاء ما أفطرته من رمضان في السنوات الأربع عند قدرها على ذلك قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾. وإن كان مرضها وعجزها عن الصوم لا يرجى زواله حسب تقرير الأطباء أطعمت عن كل يوم أفطرته مسكينًا نصف صاع من بر أو تمر أو أرز أو نحو ذلك مما يأكله أهلها في بيوهم كالشيخ الكبير والعجوز اللذين يجهدهما الصوم، ويشق عليهما مشقة شديدة، وليس عليها قضاء. [اللجنة الدائمة]

سؤال: الحامل أو المرضع إذا خافت على نفسها أو على الولد في شهر رمضان وأفطرت، فماذا عليها هل تفطر وتطعم وتقضي، أو تفطر ولا تطعم أو تفطر وتطعم ولا تقضي، ما الصواب من هذه الثلاثة؟

الجواب: إن خافت الحامل على نفسها أو على جنينها من صوم رمضان أفطرت وعليها القضاء فقط شأنها في ذلك شأن الذي لا يقوى على الصوم أو يخشى منه على نفسه مضره قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. وكذلك المرضع إذا خافت على نفسها إن أرضعت ولدها في رمضان، أو خافت على ولدها إن صامت ولم ترضعه أفطرت، وعليها القضاء فقط. وبالله التوفيق.

سؤال: فتاة بلغ عمرها اثني عشر أو ثلاثة عشر عامًا ومر عليها شهر رمضان المبارك ولم تصمه، **فهل عليها شيء أو على أهلها، وهل تصوم، وإذا ما صامت، فهل عليها شيء؟**

الجواب: المرأة تكون مكلفة بشروط الإسلام والعقل والبلوغ، ويحصل البلوغ بالحيض أو الاحتلام أو نبات شعر خشن حول القبل أو بلوغ خمسة عشر عامًا، فهذه الفتاة إذا كانت قد توافرت فيها شروط التكليف، فالصيام واجب عليها، ويجب عليها قضاء ما تركته من الصيام في وقت تكليفها، وإذا اختل شرط من الشروط فليست مكلفة، ولا شيء عليها. [اللجنة الدائمة]

سؤال: هل للمرأة إذا حاضت أن تفطر في رمضان وتصوم أيامًا مكان الأيام التي أفطرتها؟

الجواب: لا يصح صوم الحائض، ولا يجوز لها فعله فإذا حاضت أفطرت وصامت أيامًا مكان الأيام التي أفطرتها بعد طهرها. [اللجنة الدائمة]

فهرس كتاب للصائمات فقط

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

ليلة القدر
خير من ألف شهر

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

ليلة القدر خير من ألف شهر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فمن فضائل شهر رمضان، وجوائزه العظام: تضمنه لليلة القدر، وهي ليلة شريفة القدر، ضاعف الله فيها ثواب العمل الصالح لهذه الأمة مضـــاعفة كثيرة.

قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ [القدر: ١-٥].

شرح السورة

قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ**﴾ أي: القرآن، لأن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ. قاله ابن عباس وغيره.

قوله: ﴿**فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾، قال ابن الجوزي: وفي تسميتها بليلة القدر خمسة أقوال:

أحدها: أنها ليلة العظمة. يقال: لفلان قدر.

قال الزهري. ويشهد له: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ [الزمر: ٦٧].

والثاني: أنه الضيق. أي: هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون. قاله الخليل بن أحمد، ويشهد له: ﴿**وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ**﴾ [الطلاق: ٧].

والثالث: أن القدر الحكم، كأن الأشياء تقدر فيها، قاله ابن قتيبة.

والرابع: أن من لم يكن له قدر صار بمراعاتها ذا قدر. قاله أبو بكر الوراق.

والخامس: لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، وينزل فيها رحمة ذات قدر، وملائكة ذوو قدر، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله [(١)].

وذكر تعالى أن هذه الليلة ليلة مباركة تقدر فيها الآجال والأرزاق وحوادث العام، وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الدخان: ٣-٦].

قال الشيخ ابن عثيمين — رحمه الله: وصفها الله سبحانه بأنها مباركة؛ لكثرة خيرها وبركتها وفضلها.

ومن بركتها: أن هذا القرآن أنزل فيها.

ووصفها سبحانه بأنه يفرق فيها كل أمر حكيم، يعني يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة ما هو كائن من أمر الله سبحانه في

---

(١) التبصرة: (٢/٩٨، ٩٩).

تلك السنة من الأرزاق والآجال، والخير والشر، وغير ذلك من كل أمر حكيم من أوامر الله المحكمة المتقنة، التي ليس فيها خلل، ولا نقص، ولا سفه، ولا باطل(١).

وليلة القدر من شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

ثم قال تعالى معظمًا لشأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**﴾؛ فهذا على سبيل التعظيم لها، والتشويق إلى خبرها.

ثم قال: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾.

قال مجاهد: قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر من هذا الزمان، وصيامها ليس فيها ليلة القدر، وهذا قول قتادة والشافعي، واختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج.

وقال عمرو بن قيس الملائي: عمل فيها خير من عمل ألف شهر.

قال ابن كثير: وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير، وهو الصواب لا ما عداه.

قوله تعالى: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾.

---

(١) مجالس شهر رمضان: (ص١٠٤).

قال أبو هريرة: الملائكة ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى.

وهذا يدل على كثرة الرحمة والبركة في هذه الليلة، فإن الملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له.

أما ﴿**وَالرُّوحُ**﴾ فقيل: المراد به هاهنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام.

وقيل: هم ضرب من الملائكة.

قوله ﴿**مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾: قال ابن قتيبة: أي: بكل أمر.

قال المفسرون: ينزلون بكل أمر قضاه الله تعالى في تلك السنة إلى قابل.

قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ هِيَ**﴾ وفي معنى السلام قولان:

أحدهما: أنه لا يحدث فيها داء، ولا يرسل فيها شيطان؛ قاله مجاهد.

والثاني: أن معنى السلام الخير والبركة؛ قاله ابن قتيبة.

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله: يعني أن ليلة القدر ليلة سلام للمؤمنين من كل مخوف؛ لكثرة من يعتق فيها من النار، ويسلم من عذابها.

قوله: ﴿**حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ يعني: أن ليلة القدر تنتهي بطلوع

الفجر لانتهاء عمل الليل به.

فضائل ليلة القدر

اتضح من خلال شرح السورة ما تتضمنه هذه الليلة من فضائل، وهي:

١- إنزال القرآن فيها، وهو المعجزة الخالدة للنبي ﷺ، الذي أنزله الله تعالى هداية للعالمين، وحجة على المعاندين.

٢- أنها ليلة كثيرة البركة والرحمة كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾.

٣- إن هذه الليلة تقدر فيها الآجال والأرزاق وحوادث العام.

٤- أن العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر.

٥- أن الملائكة تتنزل فيها، وهم لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة والعتق من النار.

٦- أنها سلام من الآفات والعقوبات.

٧- أن من قامها غفر له ما تقدم من ذنبه، كما قال النبي ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» (متفق عليه).

تحديد ليلة القدر

قال جمهور العلماء: هي في العشر الأواخر من رمضان،

واختلفوا في أي ليالي العشر أرجى على أقوال كثيرة أشهرها:

١- أنها ليلة إحدى وعشرون، وإليه ذهب الشافعي رحمه الله.

٢- أنها ليلة ثلاث وعشرون، وهو قول كثير من الصحابة والتابعين.

٣- أنها ليلة خمس وعشرون.

٤- أنها ليلة سبع وعشرون.

٥- أنها ليلة تسع وعشرون.

٦- أنها آخر ليلة من رمضان.

٧- أنها تنتقل في ليالي العشر الأواخر، وهو قول أبي قلابة وغيره.

القول الأسلم

وأسلم الأقوال هو القول الأخير، وهو أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان؛ وأنها تنتقل في ليالي العشر، فمن قام ليالي العشر كلها، وأحياها بالعبادة أصاب ليلة القدر يقينًا.

قال ابن كثير: (وروى عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر. وهذا نص عليه مالك والثوري وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وأبو ثور، والمزني، وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم، وهو محكي عن الشافعي، نقله القاضي عنه، وهو الأشبه. والله أعلم»[(١)].

---

(١) تفسير ابن كثير.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: (أرجح الأقوال أنها في الوتر من العشر الأخير، وأنها تنتقل)[١].

ونظرًا لاختلاف المطالع والبلدان في تحديد بداية الصوم، فإنها تطلب في الأشفاع من العشر الأواخر كما تطلب في الأوتار، لأن الليلة قد تكون وترًا في بلد، وتكون شفعًا في بلد آخر.

وكذلك الوتر له اعتباران: اعتبار بما مضى، واعتبار بما بقي، فإذا كان الشهر تامًا، فالأوتار باعتبار ما بقي هي ليالي الشفع.

وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: (ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان، هكذا صح عن النبي ﷺ، وتكون في الوتر منها.

لكن الوتر يكون باعتبار الماضي، فتطلب ليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين.

ويكون باعتبار ما بقي، كما قال النبي ﷺ: «**لتاسعة تبقى، لسابعة تبقى، ولخامسة تبقى، لثالثة تبقى**».

فعلى هذا إذا كان الشهر ثلاثين، يكون ذلك ليالي الأشفاع، وتكون الاثنين وعشرين تاسعة تبقى، وليلة أربع وعشرين سابعة تبقى، وهكذا فسره أبو سعيد الخدري في الحديث الصحيح.. وإن كان الشهر تسعًا وعشرين كان التاريخ بالباقي كالتاريخ بالماضي.

---

(١) فتح الباري: (٣١٣/٤).

وإذا كان الأمر هكذا، فينبغي أن يتحراها المؤمن في العشر الأواخر جميعه)[١].

بل هو خير لكم

روى البخاري عن عبادة بن الصامت قال: خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال ﷺ: «**خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيرًا لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة**».

قال ابن كثير: «**فتلاحى فلان وفلان فرفعت**» فيه استئناس لما يقال: إن المماراة تقطع الفائدة، والعلم النافع كما جاء في الحديث: «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**» (رواه أحمد، وحسنه العراقي).

وقوله: «**فرفعت**» أي: رفع علم تعيينها لكم، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود، لأنه قد قال بعد هذا: «**فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة**».

وقوله: «**وعسى أن يكون خيرًا لكم**» يعني: عدم تعيينها لكم، فإنها إذا كانت مبهمة، اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها، فكان أكثر للعبادة، بخلاف ما إذا علموا عينها، فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط، وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (٢٥/٢٨٤، ٢٨٥).

العبادة جميع الشهر في ابتغائها، ويكون الاجتهاد في العشر الأخير أكثر[(١)].

وقال ابن الجوزي: (والحكمة في إخفائها: أن يتحقق اجتهاد الطالب، كما أخفيت ساعة الليل، وساعة الجمعة، وقد كان النبي ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره، كان يسهر ليله، ويحمل كله، فيشد مئزره، ويقوم الليل كله)[(٢)].

كيفية أحيائها

قال ابن رجب: (وأما العمل في ليلة القدر، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» (متفق عليه)

وقيامها: إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة.

وقد أمر عائشة بالدعاء فيها أيضًا..

وقد كان النبي ﷺ يتهجد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتلة، لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها. والله أعلم.

وقد قال الشعبي في ليلة القدر: ليلها كنهارها.

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) التبصرة: (٢/١٠٤).

وقال الشافعي في القديم: (استحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها، وهذا يقتضي استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشر الأواخر ليله ونهاره. والله أعلم)[(١)].

وقال ابن الجوزي: (وقد كان السلف يتأهبون لها؛ فكان لتميم الداري حلة بألف درهم يلبسها في الليلة التي يرجى أنها ليلة القدر، وكان ثابت وحميد يغتسلان، ويتطيبان، ويلبسان أحسن ثيابهما، ويطيبان مساجدها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر.

وخير الهدي هدي محمد ﷺ فقد كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان تحريًا لليلة القدر.

وقالت عائشة: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا ليله، وأيقظ أهله، وشد المئزر) (متفق عليه).

وشد المئزر: كناية عن اعتزاله النساء، واجتهاده في العبادة.

وقالت رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره) (رواه مسلم).

إخواني، والله، ما يغلو في طلبها عشر، لا والله، ولا شهر، لا والله، ولا دهر، فاجتهدوا في الطلب، فرب مجتهد أصاب.

قال ﷺ: «**إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم**» (رواه ابن ماجة، وحسنه المنذري).

---

(١) لطائف المعارف: (ص٢٧٧، ٢٧٨).

الدعاء في ليلة القدر

قال ابن كثير: (والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات، وفي شهر رمضان أكثر، وفي العشر الأخيرة منه، ثم في أوتاره أكثر، والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»).

لما رواه الإمام أحمد أن عائشة قالت: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر فبم أدعو؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني**»[١] (رواه أحمد وأهل السنن، وقال الترمذي: حسن صحيح).

وقال ابن رجب: (وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحًا، ولا حالاً، ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر).

قال يحيى بن معاذ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو.

---

(١) تفسير ابن كثير.

شعر:

يـــا رب، عبـــدك قـــد أتـــاك
وقـــد أســـاء، وقـــد هفـــا
يكفيــــه منــــك حيـــاؤه
مـــن ســـوء مـــا قـــد أســـلفا
حمـــل الـــذنوب علـــى الـــذنو
ب الموبقـــــات وأســــــرفا
وقـــد اســـتجار بـــذيل عفـــــ
ـــوك مـــن عقابـــك ملحفـــا
رب، اعـــف عنـــه، وعافـــه
فلأنـــت أولى مـــن عفـــا[1]

(١) لطائف المعارف: (ص٢٨٠، ٢٨١).

ما يهم المرأة في رمضان

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فهذه رسالة مختصرة فيما يهم المرأة المسلمة في شهر رمضان من أحكام الصيام وآدابه وسننه وحكم الصيام وفوائده، وما يجب أن تتحلى به المرأة المسلمة من أخلاق في هذا الشهر الفضيل. نسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن تكون خالصة لوجهه الكريم.

أولاً: معنى الصيام

الصيام: هو التعبد لله تعالى بترك المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

ثانيًا: حكم صيام رمضان

صيام رمضان فريضة ثابتة، بالكتاب والسنة والإجماع، وهو ركن من أركان الإسلام الخمسة، فمن أنكر فرضيته، فهو مرتد كافر، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافرًا.

ثالثًا: على من يجب الصيام

١- يجب الصيام على كل مسلم عاقل، بالغ، قادر على الصوم، مقيم غير مسافر، خالٍ من الموانع.

٢- الكافر لا يصوم، ولا يجب عليه قضاء الصوم إذا أسلم.

٣- الصغير الذي لم يبلغ لا يجب عليه الصوم.

٤- المجنون لا يجب عليه الصوم، ولا الإطعام عنه.

٥- العاجز عن الصوم لسبب دائم يفطر، ويطعم عن كل يوم مسكينًا.

٦- المريض مرضًا طارئًا ينتظر برؤه يفطر إن شق عليه الصوم، ويقضي بعد بُرئه.

٧- الحامل والمرضع إذا شق عليهما الصوم من أجل الحمل أو الإرضاع، أو خافتًا على ولديهما، تفطران، وتقضيان الصوم.

٨- المضطر للفطر لإنقاذ معصوم من غرق أو حريق، يفطر لينقذه، ويقضي.

٩- المسافر إن شاء صام، وإن شاء أفطر، وقضى ما أفطره.

١٠- الحائض والنفساء تفطران، وتقضيان، ولا يجوز صيامهما.

رابعًا: متى فرض صيام رمضان؟

فرض صيام شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وصام رسول الله ﷺ تسع رمضانات.

خامسًا: كيف يثبت دخول شهر رمضان؟

يثبت دخول شهر رمضان بأحد أمرين:

الأول: برؤية الهلال.

الثاني: إكمال عدة شعبان ثلاثين يومًا.

ويدل على هذين الأمرين حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له**» [متفق عليه].

يقال: غم الهلال إذا غطاه شيء من غيم أو غيره فلم يظهر. والمعنى: قدروا عدة الشهر حتى تكملوه ثلاثين يومًا.

سادسًا: وجوب تبييت النية

يجب تبييت النية في صوم الفريضة قبل طلوع الفجر، فالنية شرط في صحة صيام الفريضة، وبها تتميز العبادات عن العادات. قال النبي ﷺ: «**من لم يجمع الصيام قبل الفجر، فلا صيام له**» [صحيح سنن أبي داود].

وقال ﷺ: «**من لم يبيت الصيام من الليل، فلا صيام له**» [صحيح سنن النسائي].

ومعنى يجمع: أي يعزم، فتجب النية، وتصح في أي جزء من أجزاء الليل، ولو قبل الفجر بلحظة.

والنية في جميع العبادات محلها القلب، ولا يجوز التلفظ بها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: كل من علم أن غدًا رمضان، وهو يريد صومه فقد نوى، وهو فعل عامة المسلمين.

سابعًا: وقت الصوم

يبتدئ الصوم من طلوع الفجر الثاني، وينتهي بغروب الشمس. فإذا طلع الفجر الصحيح وجب على الصائمة الإمساك حالاً، سواء أسمعت المؤذن أم لا. وإذا كانت تعلم أن المؤذن يؤذن عند طلوع الفجر وجب عليها الإمساك حال سماعها أذانه. وعلى المسلمة أن تجتهد في معرفة الوقت الصحيح لبداية الصوم ونهايته حتى لا تقع في الحرج.

ثامنًا: مفسدات الصوم

قال الشيخ ابن عثيمين: لا يفطر الصائم إذا تناول شيئًا من المفطرات ناسيًا أو جاهلاً أو مكرهًا، فإذا نسي الصائم فأكل أو شرب لم يفسد صومه لأنه ناسٍ.

ولو أكل أو شرب يعتقد أن الشمس قد غربت، أو أن الفجر لم يطلع، لم يفسد صومه، لأنه جاهل.

ولو تمضمض فدخل الماء إلى حلقه بدون قصد، لم يفسد صومه، لأنه غير متعمد.

ولو احتلم في نومه لم يفسد صومه؛ لأنه غير مختار [نبذ في

الصيام].

أما مفسدات الصيام، فهي ثمانية

أولاً: الجماع: فمتى جامع الصائم في نهار رمضان بطل صومه، وعليه الاستمرار في الصيام بقية يومه، وعليه التوبة إلى الله والاستغفار والندم على ما فعل. وعليه قضاء ذلك اليوم الذي جامع فيه، وعليه مع القضاء كفارة مغلظة، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فإطعام ستين مسكينًا، لكل مسكين نصف صاع من طعام أهل البلد.

وعلى المسلمة العاقلة الحذر مما يوقعها في هذا الإثم العظيم، وأن تتجنب خطوات الشيطان، حتى لا تقع فيما حرم الله عليها.

ثانيًا: الأكل والشرب متعمدًا: سواء أكان عن طريق الفم أو عن طريق الأنف، وعلى من أكلت عمدًا أن تمسك بقية يومها، وعليها التوبة والاستغفار والندم، ثم يلزمها بعد ذلك قضاء ذلك اليوم الذي أفطرت فيه.

ثالثًا: إنزال المني يقظة: باستمناء أو مباشرة، أو تقبيل أو ضم ونحو ذلك، وعليها ما على من أكل أو شرب متعمدًا.

رابعًا: حقن الإبر المغذية: التي يستغنى بها عن الطعام، لأنها بمعنى الأكل والشرب، أما الإبر التي لا تغذي فإنها لا تفطر.

خامسًا: حقن الدم: مثل أن يحصل للصائمة نزيف، فتحقن بحقن الدم تعويضًا عما فقدته.

سادسًا: خروج دم الحيض والنفاس: فالحائض والنفساء يحرم عليها الصيام مدة الحيض والنفاس، ولو صامتا لا يصح صومهما.

سابعًا: إخراج الدم من الصائمة بحجامة أو فصد أو سحب للتبرع به، أو لإسعاف مريض ونحو ذلك، لقول النبي ﷺ: «**أفطر الحاجم والمحجوم**» [رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وصححه الألباني].

فأما خروج الدم بنفسه كالرعاف، أو خروجه بقلع سن ونحوه، فلا يفطر، لأنه ليس حجامة، ولا بمعنى الحجامة.

ثامنًا: التقيؤ عمدًا: فأما إذا غلبها القيء، وخرج منها بغير اختيارها، فإنه لا يفسد صومها، لقول النبي ﷺ: «**من ذرعه القيء، وهو صائم، فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقض**» [رواه أهل السنن وحسنه الترمذي، وصححه الألباني].

تاسعًا: ما يباح للصائمة، ولا يضر صومها

١- اللعاب: لأنه من الريق، أما البلغم الغليظ، فيجب إخراجه.

٢- السواك: سنة في الصيام وغيره.

٣- خروج المذي لأي سبب لا يفسد الصوم.

٤- استعمال الطيب أما البخور، فإنه لا يجوز استنشاقه؛ لأنه له جرمًا يصل إلى المعدة وهو الدخان.

٥- استعمال معجون الأسنان: مع التحرز من وصول شيء إلى

المعدة.

٦- استعمال قطرة العين والأذن.

٧- استعمال بخاخ الفم المستعمل في علاج الربو.

٨- استعمال الكحل غير أن استعماله في الليل أفضل للصائم.

٩- استعمال المرأة للحناء لا يضر صيامها.

١٠- أخذ الدم اليسير للتحليل لا يؤثر على الصيام.

١١- أخذ الحقنة الشرجية للحاجة لا يؤثر على الصيام.

١٢- تذوق الطعام للحاجة بأن تجعله على طرف لسانها لتعرف حلاوته وملوحته، مع الاحتراز من بلع شيء منه.

١٣- تقبيل الزوج لزوجته لا يضر صيامها، فإذا أنزل أحدهما بطل صومه.

١٤- تأخير غسل الجنابة أو غسل الحيض والنفاس إلى طلوع الفجر.

١٥- التبرد بالماء في نهار رمضان لكسر شدة الحر.

عاشرًا: حكم الصيام وفوائده

١- الصوم عبادة يتبين بها إيثار العبد لمحبوبات ربه على محبوبات نفسه، لينال بذلك رضا ربه والفوز بكرامته.

٢- في الصوم ممارسة لضبط النفس والسيطرة عليها للوصول

إلى تزكيتها وتطهيرها.

٣- ومن حكم الصيام أنه سبب للتقوى إذا قام الصائم بواجب صيامه، وهذا هو المقصود الأعظم بالصيام.

٤- ومن حكم الصيام أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بالغنى، فيشكر ربه على نعمه، ويتذكر إخوانه الفقراء فيواسيهم.

٥- ومن حكم الصيام: ما يحصل به من الفوائد الصحية الناتجة عن تقليل الطعام، وإراحة الجهاز الهضمي فترة معينة.

٦- ومن فوائد الصيام: أنه يعود الإنسان الصبر والتحمل والجَلَد.

٧- ومن فوائد الصيام: أنه يسهل على الطائع فعل الطاعات.

٨- ومن فوائد الصيام: أنه يرقق القلب ويلينه ويقطع عنه الشواغل.

٩- ومن فوائد الصيام: أنه ربما أحدث في قلب العبد محبة الطاعات وبغض المعاصي على الدوام.

١٠- ومن فوائد الصيام: أنه منهج رائع للتغيير، وتقوية الإرادة، وإنشاء الأخلاق الرفيعة، وتحقيق الاطمئنان النفسي، وهو مظهر عظيم من مظاهر وحدة الأمة الإسلامية.

١١- ومن فوائد الصيام: أنه يخفف حدة الشهوة ويضعفها.

١٢- ومن فوائد الصيام: اعتياد النظام ودقة المواعيد والحرص على الأوقات.

حادي عشر: آداب ومسنونات الصيام

١- المبادرة بالفطر عند تحقيق الغروب: لقوله ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**» [متفق عليه].

٢- الفطر على رطب أو تمر أو ماء: فقد كان ﷺ يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء. [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

٣- الدعاء عند الإفطار: لقوله ﷺ: «**إن للصائم عند فطره دعوة ما تردّ**» [رواه ابن ماجة، وصححه البوصيري].

وكان ﷺ إذا أفطر قال: «**ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله**» [رواه أبو داود، وحسنه الدارقطني].

٤- تأخير السحور والحرص عليه: لقوله ﷺ: «**تسحروا، فإن في السحور بركة**». وروى أنس عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما قال: (تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى الصلاة. قال أنس: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال زيد: قدر خمسين آية» [متفق عليه].

٥- كف اللسان والجوارح عن المحارم: لقوله ﷺ: «**الصيام جُنّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل: إني صائم**» [متفق عليه].

وقوله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

٦- تفطير الصائمين: لقوله ﷺ: «**من فطر صائمًا، فله مثل**

أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء» [رواه الترمذي، وصححه].

٧- الجود وكثرة الصدقة: فقد كان ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة. [متفق عليه].

٨- كثرة تلاوة القرآن: فرمضان شهر القرآن، وقد كان جبريل يدارس النبي ﷺ القرآن كل يوم في رمضان، وكان السلف يقدمون تلاوة القرآن في رمضان على كل عبادة. وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام.

٩- قيام الليل: فقد رغب النبي ﷺ في قيام رمضان، فقال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

ولا بأس بحضور النساء صلاة التراويح بشرط أن يخرجن محتشمات غير متبرجات بزينة، ولا متعطرات، ولا يزاحمن الرجال في الطريق عند الخروج من المسجد.

١٠- تحري ليلة القدر وإحياؤها بالعبادة: فقد حث النبي ﷺ على تحري ليلة القدر فقال ﷺ: «**تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه]. وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد والصلاة

وقراءة القرآن والذكر والدعاء والاستغفار والتوبة إلى الله تعالى، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

١١- الاعتكاف: فقد كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان. [متفق عليه]. ويجوز للمرأة الاعتكاف إذا أمنت الفتنة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: اعتكفت مع رسول الله ﷺ امرأة من أزواجه مستحاضة، فكانت ترى الحمرة والصفرة، فربما وضعنا الطست تحتها وهي تصلي. [رواه البخاري].

ويجب أن يكون هناك مكان خاص بالنساء المعتكفات بحيث لا يطلع عليهن أحد من الرجال. ويجب أيضًا أن يأذن ولي المرأة من زوج وغيره، كما يجب أن لا يكون في اعتكافها ضرر يصيبها أو يصيب أولادها وزوجها ومن يلزمها العناية بهم.

١٢- العمرة في رمضان: ويدل على استحبابها قول النبي ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة** أو قال: **حجة معي**» [رواه البخاري].

ثاني عشر

الوسائل التي تعين الصائمة على الطاعات

١- مخافة الله سبحانه وتعالى واعتقاد أنه مطلع على جميع

أقوالها وأفعالها وسرائرها.

٢- الإكثار من ذكر الله تعالى، وتعلم الأذكار المطلقة والمقيدة.

٣- تجنب الصوارف التي تقسي القلب وتصرفه عما خلق لأجله.

٤- تجنب صديقات السوء.

٥- بقاء المرأة في بيتها وعدم خروجها إلا لضرورة.

٦- عدم السهر، لأن النوم ليلاً يعين على القيام مبكرًا من آخر الليل، ويخفف النوم بالنهار.

٧- حفظ اللسان من الغيبة والنميمة والكذب والبهتان.

٨- معرفة قيمة الزمن واستغلال الوقت فيما يفيد والبدء بالأهم فالمهم.

٩- استشعار عظمة الشهر وكثرة فضائله.

١٠- تجديد التوبة، وعدم الوقوع في اليأس بسبب الذنوب والمعاصي.

نسأل الله العلي القدير أن يوفق جميع المسلمين والمسلمات إلى ما يحب ويرضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مشاريع الأسرة
٣٠ مشروعاً نافعاً
للفرد والأسرة والمجتمع
في رمضان

د/ عادل الشدي د/ أحمد المزيد

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فقد قال بعض السلف: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان، ويدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم. وهذا يدل على عظيم اهتمام السلف بهذا الشهر، وتفكرهم فيما يقدمون فيه من طاعات وأعمال بر.

إن الأسرة المسلمة مدعوة اليوم إلى جلسة عاجلة للتشاور فيما بينها حول ما يمكن أن تقدمه من مشاريع الإحسان في رمضان، وقد رأينا أن نقدم للأسرة نماذج من تلك المشاريع الخيرية التي تعود بالنفع على الأسرة وعلى الناس، لتختار الأسرة ما يناسبها من تلك المشاريع، ومن ذلك:

المشروع الأول: إصلاح ذات البين:

لا يمكن للأسرة أن تنجز أي مشروع جماعي دون أن يكون هناك وئام وتآلف بين أفرادها، وهذا يتطلب التسامح والتغافر وإزالة أسباب الخلاف، والفرقة بين أفراد الأسرة، لتستقبل الأسرة هذا الشهر بقلوب يملؤها الحب والمودة والرحمة، قال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ [الأنفال: ١].

وقال النبي ﷺ: «**أفضل الصدقة: إصلاح ذات البين**»، [الطبراني والبزار وصححه الألباني].

وقال ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى. قال: «**إصلاح ذات البين، فإن فساد البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**».

ومضة:

جرى بين الحسن بن عليّ وأخيه الحسين – رضي الله عنهم أجمعين – كلام حتى تهاجرا، فلما أتى على الحسن ثلاثة أيام من هجر أخيه، أقبل إلى الحسين، وهو جالس، فأكبَّ على رأسه فقبَّله، فلما جلس الحسن، قال له الحسين: إن الذي منعني من ابتدائك والقيام إليك، أنك أحقّ بالفضل مني، فكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به.

المشروع الثاني: تعزيز الأخلاق الإسلامية:

ينبغي على أفراد الأسرة أن ينفقوا على تطبيق الأخلاق الإسلامية فيما بينهم، وفيما بينهم وبين الناس، وأن يكون هذا ديدنهم طوال الشهر، وأن يستمروا على ذلك بعد رمضان؛ لأن هذا هو روح الإسلام، والمقصد الأسنى من بعثة النبي ﷺ؛ لقوله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» [أحمد والحاكم، وصححه الألباني].

وهو أيضا المقصد الأسنى لصيام رمضان وغيره؛ لقول النبي ﷺ: «**ليس الصيام عن الطعام والشراب، وإنما من اللغو والرفث**» [رواه ابن حبان].

وقال النبي ﷺ: «**الصيام جُنّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم،**

فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم» [متفق عليه].

إن الصيام لا بد أن يزكي الأنفس، ويطهرها من الشح والأثرة والكبر والعجب وسائر الدناءات. وإذا كان الصيام لا يردع عن غيبة أو نميمة أو كذب أو حسد أو بغضاء أو سخرية أو استهزاء فما فائدته؟ وما تأثيره على صاحبه؟ قال ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والبغي، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

المشروع الثالث: تحقيق المغفرة:

رمضان فرصة لمغفرة الذنوب والخطايا، وينبغي على الأسرة أن يكون من أهم أهدافها في رمضان ألا ينسلخ هذا الشهر إلا وقد غفرت ذنوب جميع أفرادها، فقد قال النبي ﷺ: «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك رمضان، فلم يغفر له**» [مسلم].

ومن أسباب المغفرة في رمضان:

١- صيام رمضان: لقوله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

٢- قيام رمضان: لقوله ﷺ: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

٣- قيام ليلة القدر: لقوله ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

ومما ينبغي التنبيه عليه في ذلك:

١- أن الصائم والقائم لا ينال الأجر والمغفرة إلا إذا كان صيامه ناتجا عن إيمانه بالله عز وجل، وكان مخلصا لله فيه، محتسبا الأجر عند ربه.

٢- لا بد من صيام كامل الشهر على الوجه المطلوب.

٣- لا بد من قيام كامل الشهر، وأن يصلي الصلاة كاملة، ولا ينصرف حتى ينصرف الإمام.

٤- لا بد من الاجتهاد في ليالي العشر الأواخر من رمضان كلها، حتى يضمن إدراك ليلة القدر.

المشروع الرابع: التخطيط لحجة مع النبي ﷺ:

وذلك بأداء العمرة في رمضان على الوجه المشروع، فقد قال النبي ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة** -أو قال- **حجة معي**» [متفق عليه].

المشروع الخامس: الفوز بأجر عبادة ألف شهر:

من أعظم فضائل رمضان اشتماله على ليلة القدر التي باركها الله، وشرفها على غيرها من الليالي، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [القدر: ١-٣]، وقد أمر النبي ﷺ بتحري هذه الليلة في العشر الأواخر من رمضان، فينبغي على من أراد إدراك فضيلة هذه الليلة أن يجتهد في جميع ليالي العشر، حتى يضمن إدراك هذا الأجر الكبير والثواب الجزيل.

ومما يعين على إدراك فضيلة ليلة القدر اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، والتفرغ في هذه الأيام والليالي للعبادة والذكر والصلاة وتلاوة القرآن، فقد كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله [متفق عليه].

المشروع السادس: الفوز بالعتق من النار:

على الأسرة أن يكون في تخطيطها لشهر رمضان عتق جميع أفرادها من النار، وذلك بإحسان الصيام والقيام، وحفظ الجوارح عن المعاصي والآثام، والمبالغة في حسن معاملة الأنام؛ لقول النبي ﷺ: «**إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة**» [البزار وصححه الألباني].

وينبغي تعاطي الأسباب التي ورد أن صاحبها يُعتق من النار، ومن ذلك:

١- الذبّ عن عرض المسلم؛ لقول النبي ﷺ: «**من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة، كان حقا على الله أن يعتقه من النار**» [أحمد وصححه الألباني].

٢- وقوله ﷺ: «**من كان سهلاً هيناً ليناً، حرَّمه الله على النار**» [الحاكم وصححه الألباني].

المشروع السابع: ضاعف رصيدك بالقرآن:

على الأسرة أن يكون ضمن مشاريعها الرمضانية تلاوة القرآن وختمه في رمضان عدة مرات، فرمضان شهر القرآن، وكان النبي ﷺ يدارس جبريل القرآن في رمضان، وليس عسيرا على من فرّغ

نفسه لطاعة الله في هذا الشهر أن تكون له ختمة كل ثلاث أو كل خمس، أو كل أسبوع، وهذا يضاعف الرصيد من الحسنات؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**من قرأ حرفا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الم﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**» [الترمذي].

المشروع الثامن: الصدقة الرمضانية:

على الأسرة أن تعوّد أفرادها على البذل والعطاء والإنفاق، وبخاصة في هذا الشهر الفضيل، (فقد كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة) [متفق عليه].

وعلى المسلم أن يبذل جهده في البحث عن أولئك المستحقين الأخفياء الأتقياء الذين لا يسألون الناس، فهؤلاء أحق ممن نراهم يسألون في الطرقات والمساجد والأسواق.

كما أنه من المفيد أن يعوّد الرجل أفراد أسرته على العطاء، وأن يدفعهم إلى ذلك، ويذكرهم بفضائل الصدقة، وبذل المعروف.

المشروع التاسع: تفطير الصائمين:

من المشاهد الجميلة التي نراها: تلك الموائد الرمضانية المنتشرة في كل مكان بقصد تفطير الصائمين من الفقراء، والمشغولين الذين لا وقت لديهم لتجهيز فطورهم، فعلى الأسرة أن تشارك في هذا الخير؛ إما بالمال، وإما بالطعام، وهذا أفضل، والنبيُّ ﷺ يقول: «**من**

فطّر صائما كان له مثل أجره» [أحمد والترمذي وصححه الألباني].

ومن الصور الرائعة التي نراها هذا الشباب الطيب الذي يقف عند إشارات المرور وقت المغرب لتفطير الصائمين الذين أدركهم وقت الإفطار، وهم في سياراتهم، فجزاهم الله خير الجزاء.

المشروع العاشر: المساهمة في نشر العلم:

فقد قال النبي ﷺ: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما نشره، وولدا تركه، ومصحفا ورّثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته**» [البيهقي وحسنه الألباني].

فإذا كان عالما نشر العلم بنفسه عن طريق التعليم والتدريس وإفادة الطلبة، وإن لم يكن عالما ساهم في نشر العلم عن طريق توزيع الكتب والأشرطة والنشرات النافعة. أو عن طريق حث الناس على حضور مجالس أهل العلم، وعمل جدول بمواعيد تلك الدروس، وتوزيعه على الناس.

المشروع الحادي عشر: كفاية طالب العلم:

وهذا أيضا من الإسهام في نشر العلم، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان أخَوَان على عهد النبيّ ﷺ فكان أحدهما يأتي النبيَّ ﷺ – لحضور حديثه ومجلسه – والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إن هذا أخي لا يعينني بشيء، فقال

ﷺ: «**لعلك تُرزق به**» [صحيح سنن الترمذي].

المشروع الثاني عشر: سقي الماء:

الماء شريان الحياة، وقد يكون الماء شحيحا في بعض المناطق، فيكون سقي الماء وتوفيره للناس بعد الإفطار من أعظم الصدقات؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**أفضل الصدقة سقي الماء**» [أحمد وأبو داود وحسنه الألباني].

المشروع الثالث عشر: قضاء دين المدين أو التيسير عليه:

الدين همٌّ بالليل وغم بالنهار؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا، أو تقضي عنه دينا، أو تطعمه خبزا**» [ابن أبي الدنيا وحسنه الألباني].

وقال النبي ﷺ: «**من نَفَّس عن غريمه، أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة**» [أحمد والدارمي].

وقال رسول الله ﷺ: «**من سرّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه**» [مسلم].

وقال ﷺ: «**كان رجلٌ يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا، فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه**» [مسلم].

المشروع الرابع عشر: قضاء حوائج الناس:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل: سرور**

تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل» [ابن أبي الدنيا وحسنه الألباني].

وقال ﷺ: «**من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه**» [مسلم].

المشروع الخامس عشر: نظافة الحي:

في شهر رمضان يكثر الناس من إلقاء أكياس القمامة في الشوارع، فتأتي القطط فتفتحها، وتبعثر ما فيها، فيتأذى بذلك المارة، وقد ينتج عن ذلك الروائح الكريهة التي تؤذي الناس، وهذا مظهر يخالف تعاليم الإسلام التي أرشدت إلى تنظيف الطرقات وإماطة الأذى عنها، ولو أن كل أسرة حرصت على وضع النفايات في أماكنها المخصصة لما حدث مثل هذا الأذى، وقد قال النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» [متفق عليه]، فانظر كيف ربط النبي ﷺ بين هذا المظهر الحضاري وبين الإيمان،

مما يدل على عظمة هذا الدين واهتمامه بكافة شئون الحياة.

وقال ﷺ: «**بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخَّره، فشكر الله له، فغفر له**» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «**أمط الأذى عن الطريق، فإنه لك صدقة**» [البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني].

المشروع السادس عشر: زرع وغرس الأشجار المثمرة:

لقول النبي ﷺ: «**ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان، إلا كان له به صدقة**» [متفق عليه].

المشروع السابق عشر: كفالة اليتيم:

لقول النبي ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى. [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «**من ضم يتيما بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغني عنه، وجبت له الجنة**» [أبو يعلى وصححه الألباني].

المشروع الثامن عشر: كفاية الأرملة والمسكين:

لقول النبي ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار، ويقوم الليل**» [البخاري].

المشروع التاسع عشر: تعليم الناس ما يستغنون به عن المسألة:

وهذا أفضل من إعطائه صدقة ثم تركه يتكفف الناس، فعن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان**

بالله، والجهاد في سبيله»، قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: «**أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمنا**»، قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «**تعين صانعا، أو تصنع لأخرق**»، قال: قلت: أرأيت ضعفت عن بعض العمل؟ قال ﷺ: «**تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك**» [مسلم].

المشروع العشرون: تعزيز العلاقة مع الجيران:

قد تكون العلاقة بين الجيران سيئة أو فاترة، فيكون رمضان فرصة لعودة الدفء إلى هذه العلاقة، فحق الجار عظيم، قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**» [البخاري].

وقال ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**» [صحيح الترمذي].

وقال ﷺ لأبي ذر: «**يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك**» [مسلم].

المشروع الحادي والعشرون: الكلمة الطيبة:

قال تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال النبي ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم يكن فبكلمة طيبة**» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «**إن في الجنة غرفا ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**» [صحيح الترمذي].

المشروع الثاني والعشرون: مساعدة الضعفاء:

وهذا باب عظيم من أبواب الأجر، فعن أنس رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في السفر، فمنا الصائم، ومنا المفطر. قال: فنـــزلنا منـــزلا في يوم حار، أكثرنا ظلا صاحب الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصوّام، وقام المفطرون وضربوا الأبنية، وسقوا الركاب، قال رسول الله ﷺ: «**ذهب المفطرون اليوم بالأجر**» [متفق عليه].

المشروع الثالث والعشرون: إغاثة الملهوف:

والملهوف هو ذو الحاجة الملحة التي لا يمكن تأخيرها، فإغاثة مثل هذا، وتفريج كربته لها أجر عظيم، قال ﷺ: «**على كل مسلم صدقة، فإن لم يجد فيعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق، فإن لم يستطع، فيعين ذا الحاجة الملهوف، فإن لم يفعل، فيأمل بالخير، فإن لم يفعل، فيمسك عن الشر، فإن له صدقة**» [متفق عليه].

المشروع الرابع والعشرون: التفضل على الناس في السفر:

فعن أبي سعيد قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله ﷺ: «**من كان له فضل ظهر فليعُد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل زاد فليعُد به على من لا زاد له**» [مسلم].

وكان رسول الله ﷺ بتخلف في المسير، فيُزجي[١] الضعيف، ويُردف، ويدعو لهم. [صحيح أبي داود].

---

(١) يزجي الضعيف: يسوقه حتى يلحق بالركب.

المشروع الرابع والعشرون: إحياء السنن النبوية:

لقول النبي ﷺ: «**من أحيا سنة من سنتي، فعمل بها الناس، كان له مثل أجر من عمل بها، لا ينقص من أجرهم شيئا، ومن ابتدع بدعة، فعمل بها، كان عليه أوزار من عملها، لا ينقص من أوزار من عمل بها شيئا**» [صحيح ابن ماجة].

المشروع الخامس والعشرون: حفر الآبار:

لقوله ﷺ: «**من حفر بئر ماء، لم يشرب منه كبد حرّي من جن، ولا إنس، ولا طائر، إلا آجره الله يوم القيامة، ومن بنى مسجدا كمفحص قطاة أو أصغر، بنى الله له بيتا في الجنة**» [رواه ابن خزيمة].

المشروع السادس والعشرون: إعانة ذوي الاحتياجات الخاصة:

عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**على كل نفس في كل يوم طلعت في الشمس صدقة منه على نفسه**»، قلت: يا رسول الله، من أين أتصدق، وليس لنا مال؟ قال: «**لأن من أبواب الصدقة: التكبير، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، وأستغفر الله، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعزل الشوكة عن طريق الناس، والعَظْمة، والحَجَر، وتهدي الأعمى، وتُسمع الأصم والأبكم حتى يفقه، وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها، وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف، كل ذلك من أبواب الصدقة**

منك على نفسك» [أحمد].

المشروع السابع والعشرون: مواساة المرضى وأصحاب البلاء:

كان النبي ﷺ إذا دخل على مريض قال له: «**لا بأس، طهور إن شاء الله تعالى**» [البخاري].

وقال: «**ما من مسلم يعود مسلما، فيقول سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا شفي، إلا أن يكون قد حضر أجله**» [صحيح أبي داود].

وقال ﷺ: «**كن مع صاحب البلاء تواضعا لربك وإيمانا**» [الطحاوي، وهو في السلسلة الصحيحة].

المشروع الثامن والعشرون: المشاركة في حملة تنظيف المساجد:

وأهم ما تطهر منه المساجد: الشرك والبدع ثم ما لا يليق بالمساجد من الأذى، فعن أنس أن النبي ﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد، فغضب حتى احمر وجهه، فجاءت امرأة من الأنصار فحكتها، وجعلت مكانها خلوقا، فقال ﷺ: «**ما أحسن هذا؟**» [صحيح أبي داود].

وقال ﷺ: «**عُرضت عليَّ أعمال أمتي : حسنها وسيئها، فوجدت من محاسن أعمالها: الأذى يماط عن الطريق، ووجدت من مساوئ أعمالها: النخاعة تكون في المسجد لا تدفن**» [مسلم].

المشروع التاسع والعشرون: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

وهذا من أعظم مشاريع الإحسان في رمضان وغيره، قال تعالى: ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان: ١٧].

وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكرا، فلغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» [مسلم].

وعلى المسلم أن يستخدم الرفق في أمره ونهيه، فقد قال الله عز وجل لموسى وهارون: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه، فلا يستجاب لكم**» [صحيح الترمذي].

المشروع الثلاثون: أداء العمرة عن الغير:

كالوالد والوالدة والقريب والصاحب، لحديث أبي رزين العقيلي أنه أتى النبي ﷺ فقال: إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة، ولا الظعن. فقال ﷺ: «**حج عن أبيك واعتمر**» [أبو داود والنسائي والترمذي]، فيجوز أداء العمرة عن الغير لم يعتمر سواء كان ميتا أو عاجزا لا يستطيع، والأولى أن يكون ذلك في سفرة مستقلة غير السفرة التي اعتمر فيها الإنسان عن نفسه.

مشاعر رمضانية

تأليف

د/ حسن بن محمد آل شريم

دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على الحبيب محمد صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم.

رمضان فرصة سانحة، ونعمة تامة.. ميدان للتنافس والتسابق وعامل للتهذيب.. يروض النفوس المؤمنة على الفضيلة، ويرتفع بها عن الرذيلة.. تجانب القبيح، وتكتسب الهدى والرشاد.. سمت فيه الأرواح، فتعلقت بالحق ودعت إليه قولا وسلوكا..

رمضان مناسبة كريمة تهفو إليه النفوس، وتهنأ به الأرواح.. تكثر فيه دواعي الخير.. تتفتح فيه الجنات، وتنــزل الرحمات، وترتفع الدرجات، وتغفر الزلات..

رمضان تهجد وتراويح.. ذكر وتسبيح.. تلاوات وصلوات.. جود وصدقات.. أذكار ودعوات..

إذا لم يكــن في الســمع مــني تصــاون
وفي بصري غضــن وفي منطقــي صــمت
فحظي إذن من صــومي الجــوع والظمــأ
فإن قلت إني صمت يومــا فمــا صــمت

في رمضان تتربى الأمة على الجد وعفة اللسان.. تتربى على سلامة الصدر، ونقاء القلب.. على الحب والتآخي تتوحد جهودهم، وتنعقد آمالهم.. يتخلون عن تتبع السقطات، وتلمس

العثرات، والحكم على النيات.. سائدهم عند سماع ما لا يحمد من قول وفعل أن يقول أحدهم: "إني صائم"، صائم عن التعدي بسمع أو بصر أو لسان.. صائم القلب عن الحقد والحسد.. صائم اليد عن البطش أو التعدي.. صائم الرجل عن السير إلى مواطن الشبهات أو الشهوات.. صائم النظر عن التلصص إلى الأعراض.

في رمضان يجوع الصائم، وهو قادر على الطعام.. ويعاني العطش، وهو قادر على الشراب.. ولا رقيب عليه إلا الله.. يدع طعامه وشرابه وشهوته لله.. الألسنة تصوم عن الرفث والصخب، والآذان تعرض عن السماع المحرم.. والأعين محفوظة عن النظر المحظور.. والقلوب مخطومة عن الخطيئة.. في النهار عمل وإتقان.. وفي الليل تهجد وقرآن، صحة للأجساد، وتهذيب للنفوس، وضبط للإرادة، وإيقاظ للرحمة، وتدريب على الصبر، واتجاه نحو الرضا والتسليم..

من صامه صادقا، وصلى ورده، وقام بما افترض عليه ربه فيه، فقد وُفق من حافظ على الصلوات الخمس فيه جماعة، فأعطاها قلبه وجوارحه، فقد فاز.

من أخذ الطهر والعفة والاستقامة من خلق رمضان فقد ربح.

من عرف كتاب الله فيه فجعله أنيسه وسميره وعاشق بين حناياه، فقد هدي وكفي ووقي... هل بعد هذا من حلاوة؟ فما أجل رمضان وألذ أوقاته.

من الحي الذي لا يموت؟ من المتفرد بتصريف الشهور والأعوام

والمتوحد بتدبير الليالي والأيام؟

إنه الله، فتبارك الله.. ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾.

إن الليالي والأيام تطوى، والشهور والأعوام تنصرم، وإذا بلغ الكتاب أجله، فلا يستأخرون ساعة، ولا يستقدمون.. وإن من يعش، فإنه يرى حلوا ومرا، فلا الحلو دائم ولا المر جاثم، والليل والنهار متعاقبان، ولا تكون من بعد زوالها أحاديث، ولا يبقى للإنسان إلا ما حمله زادا للآخرة..

يشب الصغير، ويهرم الكبير، وينظر المرء ما قدمت يداه، وكل يجري إلى أجل مسمى.. فماذا قدمت لما تستقبل من عمل فيما بعد رمضان؟

رمضان موسم البر والإحسان، حيث تتدفق أيدي المؤمنين بالعطايا، وتود نفوسهم بالسخاء، فتتآلف قلوب الأغنياء والفقراء، ويضمحل البغض والخصام، وتسطع أنوار الفضيلة ومحاسن الأخلاق، وتتلاشي الرذيلة ومساوئ الأخلاق.. فإذا بالشفاء تستعذب الكلمة الطيبة والبسمة الصادقة.. وإذا القلوب تهفو إلى مواقع المعروف، وتنداح إلى العمل الصالح.. وإذا النفوس تأنس بالخير والبر والإحسان.. وإذا بالجوارح تسعى في سبيل الطاعة.. يراقب الصائم كل كلمة يقولها أو نظرة ينظرها أو تصرف يتصرفه أو فكرة تخامره أو خفقة يخفقها.. وكل شعور أو إحساس في أعماقه.. يراقب كل ذلك؟ هل هو على طريق محمد؟ هل للصيام في لسانه أدب، وفي أعماقه توجيه؟

من لذائذ رمضان وحلاوته القرب من القرآن الكريم.. يفتح مغاليق القلوب، فيبدد عنها الظلام، ويقلب واقعها ظهرا لبطن.. فيصبح التالي له، والعامل به إنسانا آخر، كأنما هو خُلق من جديد.. فلا الوجه هو الوجه، لقد ازداد بهاء ونورا.. ولا القلب هو القلب، لقد ازداد شفاء.. ولا الروح هي الروح، لقد أشرقت حبا وتحنانا.. أما سمعتموهم وهم يقولون لكل من جاء من عند رسول الله ﷺ: (لقد جاء بغير الوجه الذي ذهب به) فما تغير حقيقة الوجه، وإنما إشراقته.. وما تغير القلب، وإنما بهاؤه.. وما تغيرت الروح، وإنما روحها..

إنه حقا حياة: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾ [الشورى: ٥٢].

فما أجمل أيام الحياة بالقرآن الكريم! وما ألذ أوقات رمضان مع الكتاب العظيم! تحت رايته تكونت خير أمة أخرجت للناس.. ولا عودة لها في منـــزلة الخيرية إلا بهذا النهج.. وعلى مائدته تربى الجيل الأولى حيث انطلق يقرأ القرآن بلسانه تلذذا.. وبقلبه تخشعا وتدبرا.. وبمشاعره تأثيرا.. وبقلبه اهتداء.. وبجوارحه تطبيقا.. فكان حالهم مع القرآن: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: ٢]، فكان الواحد منهم يعيش مع هذا الكتاب العظيم عيشة الحلاوة والطمأنينة، كلما مر بآيات الجنة بكى شوقا..

فحـــي علـــى جنـــات عـــدن فإنهـــا
منازلنـــــا الأولى، وفيهـــــا المخـــــيم

وكلما مر بآيات النار شهق شهقة، وبكى دمعة، وكأن زفير جهنم في أذنيه.. عندما يمر باستغفار استغفر.. ويمر بسؤال سأل.. فاللذة في لسانه وقلبه وروحه وحياته.. فهل أحسنا بهذا مع القرآن في رمضان.. وللقرآن مع رمضان قصة.. ومن أبجدياتها بناء الروح، وسعادة الحياة.

في ظل رمضان تتضح بواعث الألفة والمحبة والترابط بين قلوب المؤمنين وأرواحهم.. في صلاتهم.. في صيامهم.. في سائر دروب عبادتهم لله تعالى.. يذكرهم بالمعاني الإنسانية الرفيعة التي نادى بها الإسلام، ودعا إلى تطبيقها في واقع حياتهم، معنى الحب الخالص والأخوة المتينة التي أفاضها الله عليهم نعمة جُلي.. ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [آل عمران: ١٠٣].. إنه ينعش حياة المؤمن؛ ليترفع عن لوثات الشر والفساد، فيسمو بشهواته ورغباته إلى مستوى الحياة الطاهرة النظيفة العفيفة، فلا تنطلق رغباته، ولا ميوله إلا فيما يحب الله، ويرضى، فيكون مصدر خير في مجتمعه، ونبع طهر في سلوكه، وصاحب همة في فكره.. إلى الله يسعى.. ومن فضله يستمد سيره في دروب الحياة.. للرحمة معنى، وللعطف مبنى.. يجد سلواه ولذة فؤاده في دمعة يكفكفها، وكأنها دمعته، وحاجة لمسلم يقضيها، وكأنها حاجته، وابتسامة على شفاة مؤمن يرسمها، وكأنها على وجهه.. ومن لذته برمضان يرى أن حق كل مسلم في ماله عظيم،

وفي سلوكه كبير ليبني من رمضان لأمة رمضان تماسكا يدفع، وبناء يرفع..

من ذاق حلاوة رمضان.. غضت عينه عن المحارم، فكان الله معه ببصره.. وكف لسانه عن المآثم من غيبة ونميمة وزور وبهتان، فكان الله معه.. من عف سمعه عن سماع المنكرات، والتطاول في أعراض المسلمين كان الله معه بسمعه.. ومن كان الله معه في جميع أحواله لم يقبل جوفه حرام.. ولم تسع قدماه إلى معصية.. ولم تبطش يداه بالظلم أو تمس حراما.. ويستقيم عقله على الحق.. ويستنير قلبه بأنوار الهدى.. فهنيئا لمن اتقى، وآمن: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس: ٦٢] لذة فؤاد وحلاوة قلب.. ومن كان الله معه، فماذا يضره؟

في رمضان شعور عظيم متبادل، فالفقير يشعر بحرص الغني على قضاء حوائجه والعناية بشئونه، وتلمس حاجاته.. وشعور الغني بمدى واجبه تجاه إخوانه المؤمنين، فيجود، ويعطي، وهو على شعور: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ [سبأ: ٣٩].

رمضان حلو جميل يقوم فيه المحسنون في هدءات الأسحار، وسكنات الليل حي يرق الأفق، وتزهو النجوم، ويصفو الكون، ويتجلى الله على الوجود يعرض كنوز فضله على الناس، ويفتح لهم باب رحمته «**ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من سائل فأعطيه**» فيسأل الطالب، ويعطيه، ويستغفر المذنب، ويتوب عليه، وتتصل القلوب بالله، فتحس بلذة لا تعدل لذاذات الدنيا كلها ذرة واحدة

منها.. ثم وهم في لذتهم تلك إذا بالفجر يقترب، فيأكلون شيئا يقيم أودهم لصيام يومهم، فيشعرون ببركة السحر والسحور.. ثم يسمعون صوت المؤذن يمشي في جنبات الفضاء مشي الشفاء في الأجسام ينادي (الصلاة خير من النوم)، فيقومون إلى الصلاة جماعة متذكرين أن الصلاة راحة وحلاوة «**أرحنا بالصلاة يا بلال**» فتعذب الألسنة بالقرآن، ويسري الإيمان في الجنان، وتنـــزل الرحمة في كل مكان. فهل هناك لذة فوق هذه اللذة، فما أجملك يا رمضان، وأحلاك!.

يا من ذقت حلاوة رمضان.. هل تذكرت أنه في رمضان ينيب الناس؟ فيؤمون بيوت الله متعبدين أو متعلمين، ولكتاب ربهم تالين تسمع لمجلسهم دوي كدوي النحل، ولصدورهم أزيز كأزيز المرجل من الخشوع والتأثر، هل تذكرت أنه في هذا الشهر تتحقق معاني رمضان، فتكون المساواة بين الناس كل الناس، فلا يجوع واحد، ويتخم آخر.. إنهم كلهم في الجوع والشبع سواء، فيحس الغني بألم الجوع، فيعرف للفقير حقه حين يقول: (أنا جائع)، ويعرف للمريض حقه حين يقول: (لا أجد لهذا الطعم لذة) تذكره حينئذ، واعلم أنه ليس الذي يطيب الطعام غلاء ثمنه، ولا جودة صنعه، ولكنه الجوع الذي يشتهيه، والصحة التي تهضمه، فاحمد الله على ما أولاك من نعم.. هل تذكرت يا من ذقت حلاوة رمضان أن الإيمان يهون كل عسير، فيكون بإذن الله يسيرا.. وأن به تدفع بإذن الله المرارات حتى كأنها حلاوة ما بعدها حلاوة، وهذا الذي استغربه الأنصار لما سمعوا قصة بلال رضي الله عنه، فقالوا: (يا بلال، كيف

صبرت على العذاب في مكة؟) فقال ويا لجمال ما قال.. لقد قال كلاما يهون به المصاب ويُعزى به المكروب، لقد قال: (لقد خلطت مرارة العذاب بحلاوة الإيمان، فغلبت حلاوة الإيمان مرارةَ العذاب، فهان عليَّ ما ألقاه). إذا فكل الذي يلقاه فيها محبب.. فهل خرجنا من رمضان، ومعنا حلاوة الاستمرار على التهجد ومحبة المداومة على طريق الحق، يقول ابن القيم رحمه الله: (في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه).

جاءت سكرة الموت أحد الصالحين، واشتد عليه مرضه، فلما سمع المؤذن بكى بكاء شديدا؛ لأنه قلبه معلقا بالمساجد. فقال له أحد أبنائه: مالك، وقد عذرك الله! قال: يصلي الناس في المسجد، وأنا أصلي في البيت. احملوني إلى المسجد. فلما صلى مع الناس، وقضيت الصلاة وجدوه قد قبضه الله، وهو ساجد. فأنعم بها من خاتمة.

يا من ذقت لذة رمضان.. أيام مضت صمنا نهارها وقمنا ليلها.. تقربنا فيها إلى الله بأنواع القربات؛ طمعا في ثوابه، وخوفا من عقابه.. ثم انتهت تلكم الأيام وكأنها طيف خيال.. مرحلة من العمر لن تعود، و لم يبق إلا ما أودعناه فيها من عمل صالح.. وكل يوم مضى يدني من الأجل..

تمـــر بنـــا الأيـــام تتـــرى وإنمـــا
نســـاق إلى الآجـــال والعـــين تنظـــر
فلا عائـــد ذاك الشـــاب الـــذي مضـــى
ولا زائـــــل ذات المشـــــيب المكـــــدر

قال الحسن البصري رحمه الله: (إن الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته لمرضاته، فسبق قوم، ففازوا، وتخلف آخرون، فخابوا.. فالعجب من اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر المبطلون). ولقد حكى عن علي رضي الله عنه أنه كان يقوم في آخر ليلة من رمضان، ويقول: (يا ليت شعري من هذا المقبول فنهينه، ومن هذا المحروم فنعزيه).

ليـــت شـــعري مـــن فيـــه يقبـــل منـــا
فهنيئـــــا ويـــــا خيبـــــة المـــــردود
مـــن تـــولى عنـــه بغـــير قبـــول
أرغـــــم الله أنفـــــه بخـــــزي شـــــديد

ولقد قال العقلاء: كل ما لا يثمر من الأشجار في أوان الثمار، فإنه يقطع ثم يوقد في النار، ومن فرط في الزرع وقت البدار لم يحصد يوم الحصاد إلا الندم والخسارة.

ترحل شهر الصـــبر وا لهفـــاه وانصـــرما
واختص بـــالفوز في الجنـــات مـــن خـــدما
وأصـــبح الغافـــل المســـكين منكســـرا
تـــراه يحصـــــد إلا الهـــــم والنـــــدما

يا من ذقت اللذة والحلاوة[1] في رمضان، هل تقبل غيرها بعد أن أراك الله إياها.. وفقك لها جودا بجود وإحسانا بإحسان.

وفقنا الله في رمضان للصيام والقيام والجود والإحسان على ما يحبه الله ويرضاه.

قد قلته مجتهدا وليس يخلو من غلط
من الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(1) لذة الطاعة.

مع الصائمات

إعداد
سعاد الغامدي

مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مقلب الأعوام عام بعد عام، والشهور بعد الشهور، والأيام بعد الأيام ﴿**يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [النور: ٤٤]، والصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراج المنير، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد:

فقد أطل علينا شهر عظيم، أوله رحمه، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، شهر القرآن والصيام، شهر الجهاد والنصر، شهر مضاعفة الحسنات، والتوبة والغفران، هو سيد الشهور، فمرحبا به وأهلا.

أختي الصائمة: في هذه الرسالة وقفات ونصائح، تقبلها من محبة لك، في هذا الشهر الكريم، علَّ الله أن يتقبل منا ومنكِ الصيام، إنه جواد كريم.

مع الصائمة

أولا: احمدي الله – أختي الصائمة – على هذه النعمة العظيمة، وهي إدراك شهر رمضان، فشمري عن ساعد العزم، واعقدي على التوبة من الآن، وأري الله من نفسكِ خيرا في هذا الشهر الكريم، فلعلكِ لا تدركينه في عامك المقبل.

كم كنت تعرف ممن صام من سلف
من بين أهل وجيران وإخوان
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم
حيا فما أقرب القاصي من الداني

ثانيا: لا تكثري من شراء الأطعمة والمأكولات – عند بداية هذا الشهر – كما هو حال كثير من الناس، فشهر رمضان، شهر الصيام، ليس شهر الأكل والشرب، واعلمي أنه جُعِلَ هناك وجبتان فقط في هذا الشهر الكريم، هما وجبتي السحور والإفطار؛ للتخفيف على العبد؛ حتى يستطيع أن يقوم بحقوق الله في هذا الشهر من صيام وتلاوة للقرآن.

وتذكري أن من فوائد الجوع الآتي: صفاء القلب ورقته، كسر الشهوة في النفس، صحة البدن، التفرغ للعبادة، تذكر حال الفقراء والمساكين، شُكر النعمة.

ثالثا: احذري كثرة النوم، وتفويت الصلاة عن وقتها، فبعض النساء تسهر الليل كله، وتنام بعد صلاة الفجر، فقد لا تصلي

الظهر إلا مع العصر، ولا تصلي العصر إلا مع المغرب، وهذا تفريط عظيم، أما من تصلي ثم ترجع، فتنام، فهذه فوتت على نفسها خيرا عظيما، فشهر رمضان شهر التنافس في الطاعات، لا التنافس في كثرة النوم.

رابعا: اغتنمي هذه الأيام، واجعلي هذا الشهر شاهدا لكِ عند الله يوم يُبعثر ما في القبور، ويُحَصَّل ما في الصدور، وأري الله من نفسكِ خيرا، واسألي الله القبول؛ فإنه علامة على التقوى، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧].

خامسا: لا تجعلي يوم صومكِ ويوم فطركِ سواء، فإذا صمتِ، فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والغيبة والنميمة، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك.

سادسا: لا تكوني سيئة الخُلُق بسبب الصوم، فبعض الأخوات تراها سريعة الغضب والسِباب والشتم، وربما دعت على أولادها، والصوم من أسباب استجابة الدعاء، فيجب الدعاء لهم بدل الدعاء عليهم.

سابعا: عوِّدي أبناءك على صيام هذا الشهر العظيم، واجعلي بينهم مسابقة لقراءة جزء من القرآن الكريم مع حفظ وجه واحد من جائزة قيِّمة لمن يصوم أكثر أيام من غيره.

ثامنا: اجعلي نيِّتكِ خالصة لوجه الله — الكريم – وأنتِ تقومين بإعداد الإفطار، واحتسبي عند الله تعالى أجر تفطير الصائم، وإن كان زوجك وأبناءك وأفراد عائلتك، فإن العمل بالنِّية؛ لقول

الرسول ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»، وقوله: «**من فطَّر صائما كان له مثل أجره...**».

تاسعا: اجعلي لكِ رفيقا دائما، وأنتِ في داخل المطبخ للطهي، وإعداد الطعام، ألا وهو: جهاز المذياع، حتى تنتهي من إعداد الإفطار، وأنصتي بجميع جوارحك لِما يُقال فيه من الخير العظيم في إذاعة القرآن الكريم.

فهذه الإذاعة المباركة تقدم العلم النافع، وتنتقل بكِ من روضة إلى روضة، ما بين تلاوة وحديث وفتوى — من عالِم - ونصائح وفوائد، يقول سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: (أنصح جميع المسلمين باستماع برامج إذاعة القرآن الكريم؛ لأن فيها نفعا وخيرا كثيرا...).

عاشرا: احذري — أختي الصائمة - من العكوف على القنوات الفضائية التي يزيد شرها في هذا الشهر الكريم، والتي تبث الأفلام والمسلسلات الهابطة والفوازير الماجنة، حيث تذهب بروحانية الصيام، قال تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال الرسول ﷺ: «**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع**» منها: «**وعن عمره فيم أفناه**».

الحادي عشر: حاولي جاهدة الانتهاء من إعداد الإفطار قُبيل الأذان بربع ساعة، واجعليها لقراءة القرآن والدعاء والاستغفار، فإن للصائم في هذا الوقت دعوة لا تُرد.

ولا تنسي أولادك وأهل بيتك وجميع المسلمين من صالح دعائك.

الثاني عشر: عجِّلي بالإفطار بعد غروب الشمس مباشرة؛ لحديث سهل بن سعد – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر وأخروا السحور**» [رواه البخاري ومسلم]، ولا تغفلي عن البسملة قبل الأكل، وافطري على تمر إن تيسَّر ذلك، ثم ردِدي مع المؤذن ما يقول، واسألي الله الوسيلة والفضيلة لنبيك محمد ﷺ.

الثالث عشر: لا تُكثري من الأكل؛ لأنه يُثقل البدن، ويدعو إلى التكاسل عن العبادة وصلاة التراويح وقيام الليل.

الرابع عشر: بادري إلى مصلاك بعد سماع أذان العشاء، فصلي الفريضة، وما كتب الله لك من صلاة التراويح.

الخامس عشر: جاهدي نفسك في هذا الشهر، واجعلي لكِ ساعة من الليل لصلاة التهجد والقيام في وقت هجع فيه الأبناء، وهدأ المنـــزل من الضوضاء.

ولا بأس بأن تُمسكي بالمصحف للقراءة منه، وناجي رب البريات، وخالق الأرض والسماوات، وانطرحي بين يديه، واسأليه العفو والصفح ومغفرة الذنوب، والثبات على الحق حتى تلقينه، فرُبَّ دعوة صادفت بابا من السماء مفتوحا نال صاحبها سعادة الدارين.

السادس عشر: اجتنبي – أختي الصائمة – التطيُّب من طيب

تظهر رائحته، إذا كنتِ ممن يذهب إلى المسجد لأداء صلاة التراويح، وكذلك الحذر من عدم التستُّر في اللباس؛ لأن بعض النساء – هداهن الله – يخرجن إلى صلاة التراويح، وهن متبرجات متعطرات، قد أبدين بعض مفاتنهن.

والمرأة المسلمة مأمورة بالتستر والحجاب الكامل، فما بالك بمن خرجت للصلاة في هذا الشهر الكريم.

السابع عشر: في العشر الأواخر من رمضان ليلة هي خير من ألف شهر، ألا وهي: ليلة القدر، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ [سورة القدر]، وهي في الأوتار كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ، أي في ليلة (٢١-٢٣-٢٥-٢٧-٢٩).

ومن الأعمال الصالحة في هذه العشر: إحياء الليل كاملا في طاعة الله، لا في الزمر والطرب، كحال بعض الناس هداهم الله.

ثبت في الصحيحين، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا دخلت العشر شد مئزره وأحيا ليله، وأيقظ أهله).

وفي هذه العشر ليلة القدر التي من قامها إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه.

ليلة واحدة تكون سببا لمغفرة الذنوب والسيئات، ويصبح العبد كيوم ولدته أمه – الله أكبر – ما أكرم الرب، وما أجزل عطاءه.

فهل من متعرض لهذه النفحات، وراغب فيما عنده؟

الثامن عشر: احذري من التشبه بالنساء — هداهن الله - اللاتي يُضيعن هذه الليالي العظيمة في الأسواق، لشراء ملابس العيد أو حلوى العيد، وهذا من الجهل والخطأ.

إن ليالي رمضان ليالي اجتهاد في العبادات، وتكثيف في طاعة الله، لا ليالي مرج وسهر وسمر وضياع للأوقات وتبرج وسفور في الأسواق والأماكن العامة.

فيجب على الأخت المسلمة ألا تخرج للأسواق إلا على قدر الحاجة، ولا تضيع وقتها فيما لا ينفعها في الدنيا، ولا في الآخرة، وأن تخرج مستترة غير متعطرة، ولا متجملة. احرصي أيتها الأخت أن تنهي متطلبات ومستلزمات العيد قبل دخول رمضان، فليس من اللائق أن تخرجي من أحب البقاع إلى الله، وهي المساجد إلى أبغض البقاع إلى الله، وهي الأسواق، فإذا لم تتمكني من ذلك، فلا تدخل عليك العشر الأخيرة إلا وقد أنهيتِ المتطلبات، فالعشر الأخيرة فرصة للانقطاع عن الدنيا، والإقبال على الله.

التاسع عشر: لا تتكاسلي إذا جاءك العذر الشرعي، فأنتِ منهية عن الصيام والصلاة فقط، أما الأعمال الأخرى (فلستِ منهية عنها)، من دعاء وذكر الله، وتسبيح وتهليل واستغفار.

ملحوظة: قد تحيض البنت وعمرها تسع سنوات، فيجب عليها الصيام عند ذلك، ولا ينتظر إلى أن تبلغ خمس عشرة سنة من عمرها.

العشرون: إياكِ من النكوص والعودة إلى المعاصي التي كنت عليها قبل رمضان، فلا تكوني مثل التي ﴿**نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا**﴾ [النحل: ٩٢]، وتذكري ما كنت تعملينه من صيام وصلاة وتلاوة قرآن وإخبات إلى الله، تذكري روحانيات رمضان، وكيف كنتِ تعيشين في سعادة وطمأنينة وعيشة هنيئة، فكيف تُريدين العودة إلى حياة الشقاء والضنك، وصدق الله إذ قال: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه: ١٢٤].

واعلمي — أختي الصائمة – أنكِ قد تتخطفك يد المنون، وأنت قد خنتِ العهد مع الله، بعد أن أعلنتِ التوبة إليه، وبكيتِ بين يديه، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور.

الحادي والعشرون: عليكِ بالقضاء بعد رمضان حتى تدركي صيام ستة أيام من شوال؛ لقول النبي ﷺ: «**من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر**» [البخاري ومسلم].

أخيرا: أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا وإياكِ ممن تقبل الله منه الصيام والقيام، وأن يجعلنا من عتقائه من النار، وأن لا يجعل هذا العام آخر عهدنا برمضان، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

معينات التعبد في رمضان

كتبه

عادل عبد العزيز المحلاوي

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله المنان، كريم الفضل، واسع الإحسان، أما بعد:

فكم هي عطايا الرحمن علينا، وكم هي هبات الملك الديَّان لدينا، كم نغدوا ونروح في فضله، وكم يغمرنا بنعمه، ويسبل علينا ستره.

إلهي لك الحمد الــذي أنــت أهلــه
على نعم ما كنــت قــط لهــا أهــلاً
متى ازددت تقصيرا تــزدني تفضــلاً
كأنني على التقصير أستوجب الفضلا

يا الله أحقًّا إننا ننعم بفضل الله علينا ببلوغ شهر رمضان، أهكذا تسرع بنا سفينة الأيام تمخر في عباب أعمارنا حتى تسلمنا إلى الدار الآخرة، وصدق الله ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ** ...﴾ [يونس:٤٥].

إنها الحقيقة الغائبة عن الأذهان، وإن شئت قلت : إنه التغافل عنها ؛ لأننا كلنا على يقين منها.

اعلم أيها المؤمن، واعلمي أيتها المؤمنة .. أن الله يحب أهل طاعته، ويفرح بإقبالهم عليه، ويجعل أسماءهم عالية في الملكوت إذا كانوا من أهل خشيته وخواص عباده الصالحين.

جاء في صحيح مسلم أن سهيل بن أبي صالح قال: كنا بعرفة فمر عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم فقام الناس ينظرون إليه فقلت لأبي : يا أبي إني أرى الله يحب عمر بن عبد العزيز قال: وما ذاك. قلت: لما له من الحب في قلوب الناس، فقال: بأبيك أنت سمعت أبا هريرة يتحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأحبه ، قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**...».

فهل سمت نفسك لبلوغ هذا الفضل، وتحركت همتك لتفوز بهذا العطاء، إنها الجنة (دار المتقين) إنه الفضل المعجل في الدنيا (محبة المؤمنين) وكن على يقين أنه لا وصول لتلك الكرامة إلا بالعمل الصالح الدؤوب، وشهر رمضان فرصة عظيمة للازدياد من الأعمال الصالحة وبين يديك خطوات تبلغك بإذن الله تلك المنازل، وتوصلك تلكم الدرجات، ومن ذلك:

أولاً: تذكر فضل الزمان

من عرف رمضان بفضله، وأيقن بموسم الغفران وعلو منزلته، علت همته لاغتنامه، وسمت نفسه لمبادرة ساعاته، ولم يفرط بلحظة من لحظاته ليقينه بأنه إن فاتته هذه الأيام فلن تعوضها كنوز الدنيا بأسرها؛ وصدق الله: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾ [النساء:٧٧]، وإن انتهى ولم يغتنمه عاش الحسرات في آخره ، كم تحسر أكثرنا عند نهاية رمضان كل عام

مضى، لعدم اغتنامه وفواته عليه، فهل سيكون الحال مثله هذا العام؟!

إن رمضان موسماً تضاعف فيه الحسنات، وتكفر فيه الذنوب والخطيئات، أيامه سبيلك إلى الجنان، وصيامه يقربك من الرحمن، يسمو بنفسك، ويطهرها من درن الذنوب والمعاصي، ليلة خير ليل فيه تنزل أعظم كتاب، قامه رسول الله ﷺ وحث أمته على قيامه، وبشرهم أن قيامه وصيامه يكفر الذنوب والسيئات، فيه ليلة العبادة فيها تعدل عبادة أكثر من ألف شهر، الصدقة فيه ثوابها يضاعف، والعمرة فيه كحجة مع نبيك، والدعاء فيه مسموع، وعطاء الرب للعباد عليهم ممنوح، من مات بعد صيامه يرجى له حسن الختام.

فهل سمت همتك للعمل الصالح فيه؟

ثانياً: مجاهدة النفس

كن على يقين أن لا وصول إلى منازل الأبرار، والتنعم في الجنة دار الأطهار إلا بمجاهدة النفس وقسرها على الحق قسراً وذلك أن بين العامل وبين الوصول إليها مركب المكاره، جاء في الحديث: «**حفت الجنة بالمكاره**...» [رواه مسلم].

لقد وعد الله أهل المجاهدة بالهداية إلى سبيل الخير، والإعانة على مراضيه، فقال سبحانه – وهو أصدق القائلين، وأعظم الموفين :- ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت:٦٩].

واعلم أن النفس حصان شرود، تحب الراحة، وتؤثر الدعة، فلابد من مجاهدها وإلا أضرت بصاحبها، وارجع بذاكرتك إلى الوراء إلى أناس خرجوا من الدنيا وهم على حال التفريط!

ألم يكونوا يعلموا بفضل الطاعة، وعلوا درجة العابدين؟ بلى وربي. ولكنهم لم يجاهدوا أنفسهم على طاعة الرحمن، وإلزامها سلوك سبيل الرشاد.

أما من فقهوا حقيقة الدنيا والآخرة فتأمل في حالهم، وانظر كيف كان جهادهم لأنفسهم وتربيتهم لها.

كان زياد بن أبي زياد – مولى ابن عياش – يخاصم نفسه في المسجد يقول: أين تريدين؟ أين تذهبين؟ أتخرجين إلى أحسن من هذا المسجد؟ انظري إلى ما فيه، تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان؟ ثم يقسر نفسه على الجلوس في المسجد للعبادة:

يا خاطب الحـــور الحســـان وطالبـــاً
لوصــــــالهن بجنــــــة الحيـــــــوانِ
أسرع وحث الســـير جهـــدك إنمـــا
مســــراك هــــذا ســــاعة لزمــــان
هي جنـــة طابـــت وطـــاب نعيمهـــا
فنعيمهـــــا بــــاقٍ ولــــيس بفــــانِ

ثالثا: البيئة الصالحة

وهي المحضن المعين، والعامل القوي الذي يأخذ بيد كل طالب

للعمل الصالح، ويدفع كل مجتهد راغب، وكم من آية تحث رسول الله ﷺ - وهو المؤيد بالوحي من السماء — بلزوم صحبة أهل الخير، والجلوس معهم، قال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

فإذا كان هذا الأمر لنبينا عليه الصلاة والسلام فما الظن فيمن هو دونه؟

وإذا كان في ذلك الزمان فما هو الحال في هذه الأزمنة؟

وتأمل في أثر الصحبة لحال المعتكفين الجادين، وكيف تساعدهم تلك البيئة على العمل الصالح، فلابد لك من صحبة طيبة تعينك على اغتنام هذه الأيام، وكن جادا في هذا ولا تغتر بحولك وقوتك، فالمرء كما قيل: ضعيف بنفسه قوي بإخوانه.

ابحث عنهم وستجدهم، وانظر في قصص من سبق من السلف الجادين في عبادة الله، وتأثر بعضهم ببعض.

عن علقمة بن قيس قال: (بت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليلة فنام أول الليل ثم قام يصلي، فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيه يرتل ولا يراجع، يسمع من حوله ولا يرجع صوته، حتى لم يبق من الغلس إلا كما بين أذان المغرب إلى الانصراف منها ثم أوتر) فتأمل في حال ابن مسعود وتلذذه بالقراءة، وكيف أثرها في نفس طالبه — علقمة.

يقول أحد معاصري محمد بن واسع: كنت إذا رأيت من نفسي ضعفا عن العبادة ذهبت إلى محمد بن واسع فنظرت إلى وجهه فازددت نشاطاً على العبادة أسبوعاً.

فالزم غرز الصالحين، واشدد يديك على المتقين، فنعم المعينين هم على الطاعة، وأكرم بهم من أصحاب.

رابعاً: معرفة قدر الثواب

من لاحت له أوصاف الجنة العالية، وعاش مع أوصافها في آيات الكتاب المبين، وسنة خير المرسلين، وهي تصف دار الكرامة والحبور، وما فيها من خيرات متناهية الأوصاف، ما بين منازل أنيقة في وسط أنهار سارحة تجري من تحتها من غير أخاديد، وغرف قد زينت، وعرائس قد كملت، وأنواع من طيبات المآكل والمشارب، في جوار رب كريم، تاقت روحه وطمعت نفسه لنيل تلك المنازل.

تأمل في سورة الدهر والدخان، وخاتمة عم والرحمن، وانظر إلى تلك الكرامات التي أعدها الله لأوليائه.

إن حياة لحظة واحدة في جنات النعيم تعدل حياة المرء في الدنيا مئات السنين، فكيف بمن يعيش في تلك الدار أبد الآباد في خيرات متزايدة، وعطايا متناهية؟

فشمر عن ساعد الجد، وانفض عنك غبار الكسل، ودع عنك التواني، فإن العيش قدامي.

خامساً: قصر الأمل

قصر الأمر هو: توقع قرب الرحيل، وحلول الأجل في أي لحظة.

ومتى ما استقر في النفس هذا الأمر كان له أعظم الأثر في حملها على الطاعة، وجعلها تبادر الساعات واللحظات في العمل الصالح فإنه لم يهلك الناس ويجعلهم يفرطون في الطاعات سواء في المواسم المباركة أو غيرها إلا طول الأمل، فلو قيل لأحدنا: هذا آخر رمضان لك في الحياة، فكيف سيكون حاله ونشاطه؟

مع أننا كلنا على يقين أنه سيكون هذا آخر رمضان لبعضنا (أطال الله في أعمارنا على طاعته).

كم نعرف ممن صام وقام معنا في العام الماضي، والأعوام الماضية، فأصبحوا تحت أطباق الثرى محبوسين، وبأعمالهم مجزيين.

ولذا جاء الأمر في المبادرة والمسابقة للعمل الصالح فقال الله ﷻ: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحديد: ٢١].

قال ابن المبارك: ركبت مع محمد بن النضر في سفينة، فقلت: بأي شيء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت له: ما تقول في الصوم في السفر؟ فقال: إنما هي المبادرة يا بن أخي.

فجاءني والله بفُتْيا غير فُتْيا إبراهيم والشعبي.

بـــادر إلى التوبـــة الخلصـــاء مجتهـــدا
والموت ويحك لم يمـــدد إليـــك يـــداً
وارقبْ من الله وعـــدا لـــيس يخلفـــه
لابـــد لله مـــن إنجـــاز مـــا وعـــدا

قال ذو النون: الكيس من بادر بعمله، وسوف بأمله، واستعد لأجله.

فهكذا كلما قصر العبد أمله سارع إلى العمل الصالح خصوصاً في الزمان الفاضل كرمضان وغيره.

سادساً: صدق الدعاء

صدق الأول يوم قال:

إذا لم يكـــن مـــن الله عونـــاً للفـــتى
فـــأول مـــا يجـــني عليـــه اجتـــهاده

فمهما بلغت من حفظ النصوص، ومعرفة الثواب، وعظيم الأجر، فلن تقدر على العمل، والتقرب إلى الله تعالى، واغتنام هذه المواسم وغيرها إلا بمعونة الرحيم الرحمن، فانطرح بين يديه، واصدق في الرغبة إليه، فهو خير معين، وأجود معطي.

وكن على يقين أنه إن فتح لك هذا الباب فقد أراد بك الخير.

جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**من فُتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة...**» [هداية الرواة، وهو حسن كما قال ابن حجر في المقدمة].

ومن كان صادقاً تخير الأوقات الفاضلة التي هي أقرب للإجابة قيل يا رسول الله ﷺ أي الدعاء أسمع قال: «**جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات**» [رواه الترمذي وهو حديث حسن].

فاللهم وفقنا في هذا الشهر لهداك، واجعل عملنا في رضاك، اللهم اجعلنا ووالدينا وأهلينا من عتقائك من النار اللهم آمين.

الفهرس

من أحكام صيام رمضان

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه نبذة مختصرة عن أحكام صيام رمضان: انتقيتها من كتب ورسائل علمائنا الكرام لتكون تذكرة للصائمين، وعونًا لهم على إيقاع عبادتهم على الوجه المشروع.

أولاً: معنى الصيام

الصيام: هو التعبد لله تعالى، بترك المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

ثانيًا: صيام رمضان

صيام رمضان فريضة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، فمن أنكر فرضيته فهو مرتد كافر، يستتاب، فإن رجع وإلا قتل كافرًا.

* فأما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤].

* وأما السنة: فقوله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، و إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**» [متفق عليه].

* وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على وجوب صوم رمضان،

وعلى أنه أحد أركان الإسلام العظيمة، وأن من أفطر يومًا منه بغير عذر، فقد ارتكب معصية وكبيرة من أكبر الكبائر.

ثالثًا: على من يجب الصيام

١- يجب الصيام على كل مسلم عاقل بالغ قادر على الصوم، مقيم غير مسافر، خال من الموانع.

٢- الكافر لا يصوم، ولا يجب عليه قضاء الصوم إذا أسلم.

٣- الصغير الذي لم يبلغ لا يجب عليه الصوم، لكن يؤمر به ليعتاده.

٤- المجنون لا يجب عليه الصوم ولا الإطعام عنه وإن كان كبيرًا، ومثله المعتوه الذي لا تمييز له.

٥- العاجز عن الصوم لسب دائم كالكبير والمريض مرضًا يرجى برؤه، يطعم عن كل يوم مسكينًا.

٦-المريض مرضًا طارئًا، ينتظر برؤه يفطر إن شق عليه الصوم ويقضي بعد برئه.

٧- الحامل والمرضع: إذا شق عليهما الصوم من أجل الحمل أو الإرضاع، أو خافتا على ولديهما، تفطران وتقضيان الصوم، إذا سهل عليهما وزال الخوف.

٨- المضطر للفطر لإنقاذ معصوم من غرق أو حريق، يفطر لينقذه ويقضي.

٩- المسافر: إن شاء صام وإن شاء أفطر وقضى ما أفطره سواء كان سفره طارئًا كسفر العمرة أم دائمًا كأصحاب سيارات الأجرة. [نبذ في الصيام للشيخ ابن عثيمين].

١٠- الحائض والنفساء: تفطران وتقضيان، وإن صامتا لم يجزئهما.

رابعًا: متى فرض صيام رمضان؟

فرض صيام شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة. وصام رسول الله ﷺ تسع رمضانات.

والصيام فريضة على جميع الأمم وإن اختلفت كيفيته ووقته. كما قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣]. قال سعيد بن جبير: كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة، كما كان في ابتداء الإسلام.

خامسًا: كيف يثبت دخول شهر رمضان؟

يثبت دخول شهر رمضان بأحد أمرين:

* **الأول**: رؤية الهلال.

* **الثاني**: إكمال عدة شعبان ثلاثين يومًا.

ويدل على هذين الأمرين حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال : «**إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه**

فأفطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له» [متفق عليه].

يقال: غم الهلال إذا غطاه شيء من غيم أو غيره فلم يظهر.

والمعنى: قدروا عدة شهر شعبان حتى تكملوه ثلاثين يومًا.

قال ابن القيم رحمه الله: «وكان من هديه ﷺ، ألا يدخل في صوم رمضان، إلا برؤية محققة، أو بشهادة شاهد واحد، كما صام بشهادة ابن عمر، وصام مرة بشهادة أعرابي، واعتمد على خبرهما... فإن لم يكن رؤية ولا شهادة، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا، ولم يكن يصوم يوم الإغماء ولا أمر به، بل أمر أن تكمل عدة شعبان ثلاثين إذا غمّ». [زاد المعاد].

اعتماد الحساب في إثبات الأهلة

* سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: في بعض بلاد المسلمين يعمد الناس إلى الصيام دون اعتماد على رؤية الهلال، وإنما يكتفون بالتقاويم المأخوذة من الحساب الفلكي فما حكم ذلك؟

* فأجاب سماحته: قد أمر النبي ﷺ المسلمين أن يصوموا لرؤية الهلال ويفطروا لرؤيته، فإن غم عليهم أكملوا العدة ثلاثين. وقال ﷺ: «**لا تصوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة، ولا تفطروا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة**»، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وكلها تدل على وجوب العمل بالرؤية أو إكمال العدة عند عدم الرؤية، كما تدل على أنه لا يجوز اعتماد الحساب في ذلك، وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع أهل العلم على ذلك،

وهو الحق الذي لا ريب فيه [فتاوى الصيام].

سادسًا: وجوب تبييت النية

* يجب تبييت النية في صوم الفريضة قبل طلوع الفجر، فالنية شرط في صحة صيام الفريضة، وبها تتميز العبادات عن العادات. قال النبي ﷺ: «**من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له**» [صحيح أبي داود].

وقال ﷺ: «**من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له**» [صحيح النسائي].

ومعنى يجمع: أي يعزم. فتجب النية وتصح في أي جزء من أجزاء الليل، ولو قبل الفجر بلحظات.

والنية في جميع العبادات محلها القلب، ولا يجوز التلفظ بها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كل من علم أن غدًا من رمضان، وهو يريد صومه، فقد نوى وهو فعل عامة المسلمين.

سابعًا: وقت الصوم

حدد الله تعالى بداية الصوم ونهايته من كل يوم فقال سبحانه: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ [البقرة: ١٨٧]. فالصوم يبتدئ من طلوع الفجر الثاني، وينتهي بغروب الشمس، فإذا طلع الفجر – وهو البياض المعترض المنتشر في الأفق من جهة

المشرق – وجب على الصائم الإمساك حالاً، سواء سمع المؤذن أم لا. وإذا كان يعلم أن المؤذن يؤذن عند طلوع الفجر وجب عليه الإمساك حال سماعه أذانه.

وأما إذا كان المؤذن يؤذن قبل الفجر، فلا يجب الإمساك عن الأكل والشرب. وإن كان لا يعلم حال المؤذن، أو اختلف المؤذنون، ولا يستطيع أن يتبين الفجر بنفسه – كما في المدن غالبًا بسبب الإنارة والمباني – فإن عليه أن يحتاط بالعمل بالتقويمات المطبوعة المبنية على الحسابات والتقديرات ما لم يتبين خطؤها.

وأما الاحتياط بالإمساك قبل الفجر بوقت كعشر دقائق ونحوها، فهو بدعة من البدع. [(٧٠) مسألة في الصيام].

ثامنًا: مفسدات الصوم

* قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لا يفطر الصائم إذا تناول شيئًا من المفطرات ناسيًا، أو جاهلاً، أو مكرهًا؛ لقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقوله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

* فإذا نسي الصائم فأكل أو شرب لم يفسد صومه لأنه ناس.

* ولو أكل أو شرب يعتقد أن الشمس قد غربت أو أن الفجر لم يطلع لم يفسد صومه؛ لأنه جاه.

* ولو تمضمض فدخل الماء إلى حلقه بدون قصد لم يفسد صومه؛ لأنه غير متعمد.

* ولو احتلم في نومه لم يفسد صومه؛ لأنه غير مختار. [نبذ في الصيام].

أما مفسدات الصيام فهي ثمانية

* **أولاً**: الجماع: فمتى جامع الصائم في نهار رمضان بطل صومه، وعليه الاستمرار في الصيام بقية يومه، وعليه التوبة إلى الله والاستغفار والندم على ما فعل، وعليه قضاء كفارة مغلظة، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يجد فإطعام ستين مسكينًا، لكل مسكين نصف صاع من بر أو غيره من طعام أهل البلد.

وعلى المسلم العاقل أن يحذر مما يوقعه في هذا الإثم، وأن يتجنب خطوات الشيطان حتى لا يقع فيما حرم الله عليه.

* **ثانيًا**: الأكل والشرب متعمدًا: سواء كان عن طريق الفم، أو عن طريق الأنف، فمن أكل أو شرب متعمدًا فسد صومه، سواء كان الطعام والشراب مفيدًا أم ضارًا كالدخان والشيشة، وعليه أيضًا أن يمسك بقية يومه، وعليه التوبة والاستغفار والندم، ثم يلزمه بعد ذلك قضاء ذلك اليوم الذي أفطر فيه.

* **ثالثًا**: إنزال المني يقظة باستمناء أو مباشرة أو تقبيل أو ضم ونحو ذلك، وعليه ما على من أكل أو شرب متعمدًا.

* **رابعًا**: حقن الإبر المغذية التي يستغني بها عن الطعام؛ لأنها بمعنى الأكل والشرب، فأما الإبر التي لا تغذي، فإنه لا تفطر، سواء استعملها في العضلات أم في الوريد، وسواء وجد طعمها ي حلقه أم لم يجده.

* **خامسًا**: حقن الدم، مثل أن يحصل للصائم نزيف، فيحقن بحقن الدم تعويضًا عما فقده.

* **سادسًا**: خروج دم الحيض والنفاس: فالحائض والنفساء يحرم عليهما الصيام مدة الحيض والنفاس. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثبت بالسنة وإجماع المسلمين أن الحيض ينافي الصوم، فلا يحل [الصوم] مع الحيض والنفاس، ومن فعله منهن حاله لم يصح منه».

* **سابعًا**: إخراج الدمن الصائم بحجامة أو فد، أو سحب للتبرع به، أو لإسعاف مريض ونحو ذلك؛ لقول النبي ﷺ: «**أفطر الحاجم والمحجوم**» [رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني].

فأما خروج الدم بنفسه كالرعاف، أو خروجه بقلع سن ونحوه فلا يفطر؛ لأنه ليس حجامة، ولا بمعنى الحجامة.

* **ثامنًا**: التقيؤ عمدًا. وهو استخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم متعمدًا. أما إذا غلبه القيء، وخرج منه بغير اختياره فإنه لا يفسد صومه لقول النبي ﷺ: «**من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقض**» [رواه أهل السنن وحسنه الترمذي وصححه الألباني].

تاسعًا: ما يباح للصائم ولا يضر صومه

١- **اللعاب** لا يضر الصوم؛ لأنه من الريق، فإذا بلع فلا بأس، أما البلغم الغليظ فيجب إخراجه وعدم بلعه.

٢- **السواك** سنة في الصيام وغيره، وليس مفسدًا للصوم، ولكن إذا خرج بالتسوك دم من اللثة فالواجب التحرز منه وعدم بلعه.

٣- **خروج المذي** لأي سبب كان لا يفسد الصوم.

٤- **يجوز استعمال الطيب في نهار رمضان، أن البخور فإنه لا يجوز استنشاقه**؛ لأن له جرمًا يصل إلى المعدة وهو الدخان.

٥- **يجوز للصائم استعمال معجون الأسنان** مع التحرز من وصول شيء إلى حلقه.

٦- **يجوز استعمال قطرة العين والأذن** في أصح قولي العلماء، فإن وجد طعم القطور في حلقه فالقضاء أحوط ولا يجب، لأنهما ليسا منفذين للطعام والشراب، أما قطرة الأنف فلا تجوز لأن الأنف منفذ.

٧- **يجوز استعمال بخاخ الفم** المستخدم في علاج الربو.

٨- **يجوز استعمال الكحل**، غير أن استعماله في الليل أفضل في حق الصائم، وكذلك استعمال المرأة للحناء لا يضر صيامها.

٩- **أخذ الدم اليسير** للتحليل لا يؤثر على الصيام.

١٠- **أخذ الحقنة الشرجية** للحاجة لا يؤثر على الصيام.

١١- **تذوق الطعام للحاجة**، بأن يجعله على طرف لسانه، ليعرف حلاوته وملوحته، ولكن لا يبتلع منه شيئًا.

١٢- **تقبيل الزوجة** ممن يملك نفسه لا يضر الصيام، فإذا أنزل بطل صومه.

* * *

من أخطاء الناس في رمضان

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

ها هي الدنيا تستعد لاستقبال شهر كريم حبيب إلى نفوس المؤمنين.

ها هما الليل والنهار يتسابقان إيذانًا بمقدم هذا الشهر العظيم.

ها هي قلوب المؤمنين يملأها الفرح والسرور باستقبال هذا الموسم الجليل من مواسم الطاعة والرحمة والعتق من النيران.

إنه شهر رمضان ... شهى الهدى والفرقان ... شهر الذكر والتراويح ... شهر الشكر والتسابيح ... شهر الصدقة والصيام ... شهر الإيثار والمواساة.

فأهلاً ومرحبًا بك يا شهر رمضان ... وفقنا الله لصيام نهارك وقيام ليلك أعوامًا عديدة، وأزمنة مديدة.

أخي المسلم

هناك أناس يقصرون مع هذا الشهر العظيم، ولا يقدرونه حق قدره ... فتقع منهم الأخطاء والمخالفات والمنكرات ... وقد يدرون بذلك وقد لا يدرون.

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وسوف ننبه في هذه الوريقات على بعض الأخطاء والمخالفات التي تقع من كثير من الناس حتى يعلموها ويحذروا منها ويقتربوا إلى الله تعالى بتركها، فمن ذلك:

١- جهل كثير من الناس بفضائل رمضان، فيستقبلونه كغيره من الشهور، مع أن الله عز وجل فضله بفضائل عظيمة، ومن ذلك قوله ﷺ: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين**» [رواه مسلم].

ومن ذلك أن فيه ليلة القدر، وقد قال تعالى: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [القدر: ٣]. أي أن العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر.

فالواجب على الناس أن يغتنموا هذا الشهر، ويستغلوا أيامه ولياليه في التقرب إلى الله عز وجل؛ لينالوا الأجر العظيم والثواب الجليل ومغفرة الذنوب، والعتق من النيران.

٢- وهناك صنف آخر يضيق صدره إذا علم بقدوم رمضان، ومعظم هؤلاء من المدخنين، الذين وقعوا في أسر السجائر والشيشة والتبغ بشتى أنواعه.

يكرهون رمضان لأنه يحرمهم من التدخين بالنهار، ولو كانوا من أهل الحزم لجعلوا من رمضان فرصة للتخلص من هذا الوباء الخطير والسموم الفتاكة.

فيا أخي المدخن! إذا كان باستطاعتك أن تترك التدخين نصف يوم كامل، فلماذا لا تتركه اليوم كله؟! أين إرادتك؟ أين قوتك؟

أين عزيمتك؟

أتعرف أن أحد السلف قال: لو أعلم أن شرب الماء يقدح في عدالتي ما شربته. فكيف بك أنت تشرب هذا الدخان مع خبثه ونتانته، واتفاق العلماء على تحريمه... أليس هذا من العجب؟!

٣- ومن أخطاء كثير من الناس في رمضان: الكسل الشديد وكثرة النوم، ولا سيما في نهار رمضان، ومنهم من لا يستيقظ من نومه إلا قبيل المغرب لتناول الإفطار؟ أين الصيام إذن؟ وأين الصلوات المكتوبات؟ وأين ذكر الله وتلاوة القرآن؟

٤- ومن الأخطاء في رمضان: كثرة السهر إلى ساعات متأخرة من الليل لغير حاجة ولا عمل، وكان من هدي النبي ﷺ عدم السهر بعد العشاء.

وتعظم البلية حين يسهر بعض هؤلاء على ما يُغضب الله عز وجل من لعب الورق والزهر والمعاكسات الهاتفية، أو في الأسواق، أو في متابعة القنوات الفضائية وغير الفضائية التي تبث العري والخلاعة والمجون، ويزداد سعارها وخلاعتها خاصة في هذا الشهر الفضيل، فأي صوم لهؤلاء الذين قضوا نهارهم في النوم، وأفطروا على مشاهدة الأجساد العارية؟!

٥- ومن الأخطاء تضييع الأوقات في متابعة الفوازير وحل الألغاز والأحاجي، والمشاركة في المسابقات الضارة.

٦- ومن الأخطاء كثرة الأكل في رمضان حتى أصبح رمضان عند كثير من الناس شهر الطعام والشراب والموائد، لا شهر الصيام

والقيام والفوائد، وقد أجريت إحصائية في أحد الدول فوجدوا أن كميات الأطعمة والمشروبات التي تستهلك في رمضان أكثر منها بكثير في أي شهر آخر. فهل هذا هو رمضان؟ وهل هذا هو الصيام؟ وهل هذا هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه؟

يقول النبي ﷺ: «**ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**» [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني].

٧- ومن الأخطاء في رمضان: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للمسلمين، فبعض الناس يرى الأخطاء والمنكرات ولا يحرك لها ساكنًا، ومنهم من يقدر أن هذا الرجل الذي يسب أو يلعن أو يؤذي غيره لن يستجيب للنصح فيترك نصحه اعتمادًا على التقدير الخاطئ الذي ليس عليه أي دليل، والله تعالى يقول في شأن أعتى البشر: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]. ويقول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة** – ثلاثًا – قالوا: لمن؟ قال: **لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**» [رواه مسلم].

٨- ومن الأخطاء في رمضان: ترك كثير من الناس العمل، وانصرافهم إلى أكل أموال الناس بالباطل، فهذا يتسول في المساجد، وهذا في الشوارع، وهذا يمد يده للتجار، وللناس في ذلك حيل كثيرة أكثرها كذب وتضليل وتزوير، ليحصلوا على أموال

الصدقات والزكوات التي توزع بكثرة في هذا الشهر.

٩- ومن الأخطاء في رمضان: ما يفعله بعض الناس من السفر خارج البلاد سواء في أول الشهر أو في وسطه، ليعصوا الله في هذه البلاد بحرية، ولو علم هؤلاء مصلحتهم لما فعلوا ذلك ولظلوا في بلادهم يصومون ويصلون ويغتنمون أيام وليالي هذا الشهر الكريم.

١٠- ومن الأخطاء في رمضان: اجتهاد بعض الناس في أول رمضان، ويظل هذا الاجتهاد ينقص شيئًا فشيئًا حتى يكاد ينعدم في آخر رمضان، وهذا خلاف هدي النبي ﷺ، فقد كان النبي ﷺ يكثر من أنواع العبادات في جميع رمضان، وكان في العشر الأواخر أشد اجتهادًا من العشر الأوائل والعشر الأوسط.

قال الحافظ ابن رجب: كان النبي ﷺ يخص العشر الأواخر في رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر منها:

١- إحياء الليل، فيحتمل أن المراد إحياء الليل كله.

٢- ومنها أنه كان يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر الأخير دون غيرها من الليالي.

٣- ومنها أن النبي ﷺ كان يشد المئزر، والصحيح أن المراد: اعتزاله النساء.

٤- ومنها: الاعتكاف. [لطائف المعارف باختصار].

فيا أخي الحبيب!

اجتهادك في أول رمضان دليل خير وبرهان صدق، فحافظ

على هذا الاجتهاد، واصبر على طاعة الله، صبر المريض على مرارة الدواء، وسوف تتذوق حلاوتها فيما بعد.

قال بعض السلف: لو علم الملوك ما نحن عليه من اللذة والنعيم بطاعة الله، لجالدونا على ذلك بالسيوف.

١١- ومن أخطاء بعض الناس في رمضان: الغيبة، والنميمة، والكذب، والزور، والفري في أعراض المسلمين، يقطعون بذلك ساعات صومهم كما زعموا، وهذا يضعف ثواب الصيام جدًا، قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

وبعض الناس يتناولون أعراض المسلمين ويؤذونهم على سبيل الضحك والتنكيت، والنبي ﷺ يقول: «**ويل للذي يحدث فيكذب، ليضحك به القوم، ويل له، ويل له**» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه الألباني].

١٢- ومن الأخطاء في رمضان: سماع الأغاني والألحان، وهذا وإن كان محرمًا في غير رمضان، فتحريمه في رمضان أشد، لشرف الزمان وكثرة فضائل رمضان، فرمضان هو شهر القرآن لا شهر الألحان، فعلى العاقل أن يجعل من هذا الشهر بداية حقيقية لميلاد جديد، في ظل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدي السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ولا يعتمد على رخص بعض العلماء وأخطائهم، فإن من تتبع رخصة كل عالم، اجتمع في الشر كله.

لمحـــــــــة

قال ابن رجب: «واعلم أن سماع الأغاني يضاد سماع القرآن من كل جهة، فإن القرآن كلام الله ووحيه ونوره، الذي أحيا الله به القلوب الميتة، وأخرج العباد به من الظلمات إلى النور. والأغاني وآلاتها مزامير الشيطان، فإن الشيطان قرآنه الشعر، ومؤذنه المزمار، ومصائده النساء، كذا قال قتادة وغيره من السلف» [نزهة الأسماع ص٩٩].

١٣- ومن الأخطاء في رمضان: ما يفعله كثير من الشباب بعد صلاة العشاء من التفحيط بسيارهم، فيؤذون المسلمين، ويعرضون أرواح الناس للخطر، ويعرضون أنفسهم وسياراتهم للتلف. وأقبح من ذلك أنهم يقومون بهذه الأفعال أثناء صلاة التراويح، فيشوشون على المصلين، ويخرجونهم عن الخشوع المطلوب، وقد يقلق بعض الناس على سياراتهم التي ربما يصدمها بعض هؤلاء المتهورين، فتتشتت أذهانهم بين الصلاة وبين ما يحدث في الخارج.

وبعض الشباب والصبيان لا يحلو لهم اللعب بالألعاب النارية والمفرقعات إلا عند صلاة التراويح، فيؤذون المصلين أشد الأذى، ويخشى عليهم من دعوة مستجابة من راكع أو ساجد.

ونقف هنا متسائلين:

أي أولياء أمور هؤلاء؟ أين الآباء والأمهات وكبار الإخوان؟ كيف يذهبون إلى المسجد ويتركون هؤلاء فريسة لأصدقاء السوء؟

أليس هناك من توجيه حول احترام المسجد والصلاة والمصلين؟

ولماذا لا يتعود هؤلاء على صلاة القيام وربما جاوز أحدهم الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من عمره؟

١٤- ومن الأخطاء في رمضان: عدم تبييت النية للصيام في الليل ولو قبل الفجر بلحظة، والنية محلها القلب، والتلفظ بها بدعة. بل يكفي أن ينوي ذلك بقلبه.

١٥- ومن الأخطاء في رمضان: إفطار بعض الطلاب يومًا أو يومين أو أكثر بحجة الاختبارات أو المذاكرة، لأن التركيز لا يكون مع الصيام، وهذا خطأ عظيم وجهل بأحكام الصيام، فالاختبارات والمذاكرة ليست من الأسباب المبيحة للفطر بحال.

١٦- ومن الأخطاء في رمضان: سرعة غضب بعض الناس، وانفلات أعصابهم في نهار رمضان، وإذا نوقش في ذلك احتج بالصيام، وهذه حجة باطلة؛ لأن الصيام يؤدي إلى التقوى كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣]، والتقوى تنافي سرعة الغضب والتعدي على الآخرين، فالواجب أن يتحلى الإنسان بأخلاق الصيام من الصبر والحلم والرحمة والمروءة وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

١٧- ومن الأخطاء في رمضان: إهمال بعض الصلوات كصلاة الظهر، فلا يصليها لكونه نائمًا، وكذلك صلاة المغرب التي يتخلف عنها بعض الناس لانشغاله بالطعام والشراب، وكذلك صلاة الفجر

التي ينام عنها كثير من الناس.

١٨- ومن الأخطاء في رمضان: تضييع الليالي الأخيرة من رمضان، والانشغال فيها بالإعداد للعيد، وشراء الملابس الجديدة والتردد على الخياطين ومحلات الأحذية وغيرها، والواجب هو الإكثار من العبادة في هذه الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر.

١٩- ومن الأخطاء في رمضان: تعمد بعض الناس السفر دون حاجة؛ ليتمكن من الفطر في رمضان، وبخاصة في أيام الصيف والحر، ثم يقوم بقضاء تلك الأيام في أيام الشتاء وقصر النهار، وهذه الحيلة إن خفيت على الناس فإنها لا تخفى على الله، وسوف يحاسب هؤلاء على نياتهم.

٢٠- ومن الأخطاء في رمضان: إقامة الزيارات العائلية المختلطة، فيختلط الشاب بابنة عمه أو ابنة خاله، وقد يخلو بها في بعض الأماكن ولا يسلمان حينئذ من حيل الشيطان ومكائده ووسوسته.

٢١- ومن الأخطاء في رمضان: ترك صلاة التراويح والانشغال عنها بمشاهدة المسلسلات والفوازير وغيرها من البرامج، والنبي ﷺ يقول: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

٢٢- ومن الأخطاء في رمضان: إلقاء الأطعمة الزائدة في صناديق القمامة، وكان الأولى بهؤلاء أن يقتصدوا في صنع الطعام ولا يسرفوا بإعداد ما يزيد عن حاجتهم. ثم إن هناك جهات

تستقبل فائض الولائم، فعليهم أن يكونوا على صلة بهذه الجمعيات لتسليمهم ما فاض عن حاجتهم من الأطعمة، حتى لا يقعوا في الاستهانة بنعمة الله واحتقارها.

نسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا وأخطاءنا في هذا الشهر العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

من أخطاء النساء في رمضان

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أختي المسلمة .. هل تعرفين ماذا يحدث في أول ليلة من شهر رمضان؟

إذا كنت لا تعرفين ذلك، فاقرئي ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي منادٍ: يا باغي الخير، أقبل، ويا باغي الشر، أقصر. ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة**» [رواه الترمذي وابن ماجة وحسنه الألباني].

ولفضل هذا الشهر وجلاله كان النبي ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان، ويذكرهم ببركات هذا الموسم العظيم، ليعدوا له عدته من العبادة والطاعة والاستقامة على أمر الله تعالى، قال النبي ﷺ لأصحابه في أول ليلة من رمضان: «**أتاكم شهر رمضان شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغلل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خيرة من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حُرِم**» [رواه النسائي والبيهقي وحسنه الألباني].

فماذا أعددت أخيتي لهذا الشهر الكريم؟

إن مخالفات النساء في رمضان كثيرة ومتنوعة، منها ما يتعلق بالصيام، ومنها ما يتعلق بالقيام، ومنها مخالفات عامة تقع منهن في رمضان وفي غيره، والواجب على المرأة المسلمة أن تترك المعاصي والمخالفات في رمضان وفي غيره، ولذلك فقد أحببنا أن نذكِّر أخواتنا ببعض المخالفات التي تقع كثيرًا من النساء في رمضان، حتى تحذرها، وتتركها، وتتوب إلى الله تعالى منها، ومن ذلك:

١- استقبال بعض النساء لرمضان كغيره من الشهور؛ فلا نية صالحة، ولا عزيمة على الطاعة، ولا توبة صادقة، مع أن النبي ﷺ قال: «**ما أتى على المسلمين شهر خير لهم من رمضان، ولا أتى على المنافقين شهر شر لهم من رمضان، وذلك لما يعد المؤمنون فيه من القوة للعبادة، وما يعد فيه المنافقون من غفلات الناس وعوراتهم، هو غنم للمؤمن، ونقمة للفاجر**» [رواه أحمد والبيهقي، وصححه العلامة أحمد شاكر].

٢- ومن مخالفات النساء في رمضان: جعل رمضان شهرًا للطعام والشراب والتفنن في الموائد وملء البطون، فتقضي المرأة معظم نهارها في المطبخ، وتتفنن كل يوم في إعداد صنف جديد من الطعام، وقد تستعين على ذلك ببعض الكتب المؤلفة في فنون الطهي.

ولا تنتهي من صنع هذه الأطعمة وإعداد المشروبات إلا قبيل المغرب بدقائق، وهكذا يضيع اليوم دون ذكر أو عبادة أو قراءة

قرآن أو تعلم ما لا بد منه من أحكام الصيام. والعجيب أن هذه الأطعمة التي بذلت فيها المرأة أغلى وقتها لا يؤكل منها إلا اليسير، ثم تلقى بعد ذلك في أكياس النفايات، يقول النبي ﷺ: «**ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**» [رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وصححه الألباني].

وللتخلص من هذا الخطأ يمكن عمل الآتي:

أ- الاقتصاد في صنع الطعام والشراب، وعدم إعداد كميات كبيرة من الأطعمة.

ب- الاكتفاء بصنف أو صنفين من الطعام.

ج- عدم إعداد الأطعمة المعقدة التي تحتاج إلى وقت كبير.

د- تعاون نساء البيت فيما بينهن، فتعمل واحدة، وتتفرغ الأخرى أو الأخريات للعبادة والذكر وتلاوة القرآن.

٣- ومن مخالفات النساء في رمضان: كثرة الزيارات فيما بينهن، فتضيع بذلك أوقات كثيرة كان يمكن أن تستثمر في التقرب إلى الله عز وجل بصالح الأعمال، ولنفترض أن الزيارة استغرقت ساعة واحد، فهذه الساعة كان يمكن أن تقرأ فيها المرأة جزئين كاملين من القرآن، أي أنها يمكن أن تختم القرآن مرتين في شهر رمضان باستغلال هذه الساعة وحدها، فكيف إذا كانت الزيارة تمتد لساعات طويلة؟

٤- ومن مخالفات النساء في رمضان: استغلال الهاتف في الغيبة والنميمة والتفكه بتناول أعراض المسلمين والمسلمات، فهؤلاء النسوة أنعم الله عليهن بمن يخدمهن ويكفيهن مؤونة الطبخ والغسل والتنظيف، فبدلاً من أن يشكرن الله عز وجل، وينصرفن إلى العبادة والطاعة في هذا الشهر، فإنهن يضيعن أوقاتهن في القيل والقال والغيبة والنميمة والكذب والبهتان، وإذا نوقشت إحداهن قالت: (نوسع صدورنا). ويا لجرأة هذه المرأة، أما سمعت قول النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

أما سمعت قول النبي ﷺ: «... **فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤٌ صائم**» [متفق عليه].

فعلى هؤلاء أن يتقين الله عز وجل، ويكففن عن تناول لحوم المسلمين وأعراضهم، وإلا كان لهن حظ من قوله ﷺ: «**رب صائم، حظه من صيامه الجوع والعطش**» [رواه أحمد وابن ماجة بسند صحيح].

٥- ومن مخالفات النساء في رمضان: الجهل بأحكام الصيام، فتصوم المرأة كما يصوم غيرها، على سبيل العادة، فلا تعرف واجبات الصيام، ولا سننه، ولا آدابه، ولا مفسداته، وهذه بلا شك يمكن أن تقع في كثير من الأخطاء، وهي لا تدري.

٦- ومن مخالفات النساء في رمضان: الانشغال بالمسابقات

والفوازير والمسلسلات وغيرها من البرامج التافهة، فتقضي المرأة معظم ساعات الليل في مشاهدة ذلك، وكان الأولى بها أن تحيي ليلها بعبادة الله وذكره وشكره وتلاوة كتابه.

٧- ومن مخالفات النساء في رمضان: ذهاب المرأة وحدها مع السائق الأجنبي إلى الأسواق، وقد تكون غير متسترة سترًا كاملاً، فترتكب بذلك كثيرًا من المحرمات، منها خلوتها بالسائق، وقد أفتى أهل العلم بتحريم ذلك، ومنها عدم تسترها وكشفها عن بعض زينتها التي أمر الله بسترها. ومنها فتنة غيرها ووقوعه في النظر المحرم إليها. ومنها تسببها في إساءة الظن بها، ولو كانت عفيفة، لا تقصد شرًا.

٨- ومن مخالفات النساء في رمضان: كثرة ذهابهن إلى الأسواق وتجوالهن فيها لغير حاجة، وكثير من النساء يذهبن إلى السوق بمفردهن، وتحصل الخلوة بينهن وبين البائعين داخل محلاتهم، ويحدث بذلك شر عظيم: من الكلمات المتبادلة بين المرأة والبائع، والنظرات، وقد يتطور ذلك إلى اللمس والاحتكاك وغير ذلك من الشرور والمفاسد. فعلى المرأة الشريفة العفيفة أن تتجنب مواطن الريبة، وأن تبتعد عن أماكن الاختلاط ونظرات العابثين، وأن تلتزم بلباس الحشمة والحياء حتى لا يطمع فيها طامع أو يتطلع إليها فاسد.

٩- ومن مخالفات النساء في رمضان: ذهاب بعض النساء إلى المسجد لقضاء صلاة العشاء والتراويح في كامل زينتهن، وتعطرهن

وتبرجهن، والنبي ﷺ يقول: «**أيما امرأة تطيبت، ثم خرجت إلى المسجد، لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل**» [رواه البيهقي وصححه الألباني]. وقال ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت ثم خرجت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها، فهي زانية، وكل عين زانية**» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه الألباني].

فاتقي الله يا أختي المسلمة، ولا تعرضي نفسك لهذا الذم، واعلمي أن ما عند الله عز وجل من الرحمة والمغفرة والعتق من النار لا ينال بمعصيته، وإنما ينال بطاعته، والتقيد بما جاء في كتابه، وبما جاء في سنة نبيه ﷺ.

١٠- ومن مخالفات النساء في رمضان: اختلاطهن بالرجال عند الخروج من المسجد بعد صلاة التراويح، والواجب عليهن أن يبادرن بالخروج قبل الرجال، ولا يمشين إلا في حافات الطرق وجوانبها، فإن ذلك أولى بهن، وأستر لهن. قال النبي ﷺ للنساء لما رآهن مختلطات بالرجال: «**استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق**»[رواه أبو داود وحسنه الألباني].

١١- ومن مخالفات النساء في رمضان: ما يحدث في الحرم المكي من مزاحمة النساء للرجال في الطواف، ومزاحمتهن على تقبيل الحجر الأسود، والواجب على المرأة أن تتخير الأوقات المناسبة لتطوف فيها، ولا يجوز لها مزاحمة الرجال بكل حال.

١٢- ومما يحدث أيضًا في الحرم المكي، وبخاصة في أوقات الزحام، ألا يكون هناك مكان للنساء داخل المسد، فتأتي النساء

وتصف بجانب الرجال، فيحدث تقارب أو تلاصق بين صفوف الرجال وصفوف النساء، وهذا خطأ عظيم، والواجب أن تصلي المرأة في الأماكن المخصصة للنساء، ولو كانت في الساحات الخارجية، وإذا كان الزحام شديدًا، فلتصلِّ في بيتها، فإن النبي ﷺ قال: «**لا تمنعوا إماءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن**» [رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني].

١٣- ومن مخالفات النساء في رمضان: فتور بعض النساء عن العبادة والذكر إذا حاضت أو نفست، مع أن الحائض يمكنها أن تقرأ القرآن وتستمع إليه دون أن تمسه، ويمكنها كذلك أن تؤدي كثيرًا من الطاعات حال حيضها، كالمداومة على الذكر والدعاء، وقراءة الكتب المفيدة، والاستماع إلى برامج إذاعة القرآن الكريم، وغير ذلك من الأمور النافعة.

١٤- ومن مخالفات النساء في رمضان: تضييع ليالي العشر الأخيرة من رمضان في التجهيز لاستقبال العيد، وذلك بالتجول في الأسواق لشراء الملابس الجديدة أو بالتردد على الخياطين والمشاغل النسائية. وهذا خلاف هدي النبي ﷺ، فقد كان ﷺ يجتهد في العشر الأواخر، ما لا يجتهد في غيرها، وكان يخصها بعبادات لم يفعلها في العشرين السابقة عليها، وذلك لأن الأعمال بالخواتيم، ولأن ليلة القدر ترجى في العشر الأواخر، وفي ليالي الوتر منها بالأخص. قالت عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله) [متفق عليه].

وفي رواية عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره).

فاحرصي أختاه على هذه الليالي المباركة، واجعليها خالصة لله تعالى، واعمريها بالصلاة والصيام والقيام والذكر والدعاء وتلاوة القرآن والصدقة. أما ملابس العيد، فاشتريها قبل رمضان، أو في الأيام الأولى منه، بارك الله لك في عمرك وعملك.

١٥- ومن مخالفات النساء في رمضان: السهر الطويل إلى الفجر، أو إلى الساعات الأولى من الصباح، ثم النوم بعد ذلك إلى الظهر أو العصر، والنوم صباحًا يجهد الجسم ويتعبه، ويجعل الإنسان كسولاً فاترًا، وكان النبي ﷺ يكره السمر والحديث بعد العشاء.

فإذا كانت المرأة تسهر على المحرمات كسماع الأغاني، ومتابعة القنوات، التي تبث العُري والخلاعة، وتهيج الشهوات والغرائز، كان السهر في ذلك محرمًا أشد التحريم.

١٦- ومن مخالفات النساء في رمضان، تشجيع الأبناء على الفطر في رمضان، مع أنهم يطيقون الصيام، وهذا خلاف هدي السلف الصالح، فقد كانت الصحابيات رضي الله عنهن يعودن صبيانهن على الصيام منذ صغرهن، حتى يألفوه عند الكبر. قالت الربيع بنت معوذ رضي الله عنها: (كنا نصوّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العُهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار) [متفق عليه].

قال ابن حجر: (وفي الحديث حجة على مشروعية تمرين

الصبيان على الصيام؛ لأن من كان في مثل السن الذي ذكر في هذا الحديث، فهو غير مكلف، إنما صنع لهم ذلك للتربية) [فتح الباري].

فأين من ذلك من تنهى أبناءها عن الصيام، وترغمهم على الفطر، وتجلب لهم الطعام والشراب، مع أن بعضهم يوشك على سن البلوغ والتكليف.

من معاني وأحكام آيات الصيام
مختصر من تفسير ابن كثير

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير آيات الصيام[(١)]: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤].

فضل الصيام وأحواله

يقول تعالى مخاطبًا للمؤمنين من هذه الأمة، وآمرًا لهم بالصيام، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع، بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، وذكر أنه كما أوجبه عليهم، فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيه أسوة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك، كما قال تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾ [المائدة: ٤٨]، ولهذا قال ههنا

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٢٧٩-٢٩٥) مختصرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لأن الصوم فيه تزكية للبدن، وتضييق لمسالك الشيطان، ولهذا ثبت في الصحيحين «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء**».

ثم بين مقدار الصوم، وأنه ليس في كل يوم، لئلا يشق على النفوس، فتضعف عن حمله وأدائه بل في أيام معدودات، وقد كان هذا في ابتداء الإسلام؛ يصومون من كل شهر ثلاثة أيام، ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان كما سيأتي بيانه.

ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام فقال: **﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾** أي المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر، لما في ذلك من المشقة عليهما، بل يفطران، ويقضيان بعد ذلك من أيام أخر، وأما الصحيح المقيم الذي يطيق الصيام، فقد كان مخيرًا بين الصيام وبين الإطعام، إن شاء صام، وإن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينًا، فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير، وإن صام فهو أفضل من الإطعام، ولهذا قال تعالى: **﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**.

ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ﴾** فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح، ورخص

فيه للمريض والمسافر، وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام.

فحاصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

وأما الشيخ الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام، فله أن يفطر، ولا قضاء عليه، لأنه ليست له حال يصير إليها يتمكن فيها من القضاء، ولكن هل يجب عليه إذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكينًا إذا كان ذا جدة؟ فيه قولان للعلماء: أحدهما: لا يجب عليه إطعام؛ لأنه ضعيف عنه لسنه، فلم يجب عليه فدية كالصبي؛ لأن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وهو أحد قولي الشافعي. والثاني: وهو الصحيح، وعليه أكثر العلماء، أنه يجب عليه فدية عن كل يوم، كما فسره ابن عباس وغيره من السلف على قراءة من قرأ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي: يتجشمونه.

ومما يلتحق بهذا المعنى الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما، ففيهما خلاف كثير بين العلماء، فمنهم من قال: يفطران ويفديان ويقضيان، وقيل: يفديان فقط، ولا قضاء، وقيل: يجب القضاء بلا فدية، وقيل: يفطران، ولا فدية، ولا قضاء.

وجوب صيام شهر رمضان

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا

يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه، نزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ وقال: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾ ثم نزل بعده مفرقًا بحسب الوقائع على رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿**هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾ هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقه واتبعه ﴿**وَبَيِّنَاتٍ**﴾ أي: ودلائل وحجج بينة واضحة جلية لمن فهمها وتدبرها، دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المخالف للغي، ومفرقًا بين الحق والباطل والحلال والحرام.

وقوله: ﴿**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ هذا إيجاب حتم على من شهد استهلال الشهر – أي كان مقيمًا في البلد حين دخل شهر رمضان، وهو صحيح في بدنه – أن يصوم لا محالة، ونسخت هذه الآية الإباحة المتقدمة لمن كان صحيحًا مقيمًا أن يفطر، ويفدي بإطعام مسكين عن كل يوم كما تقدم بيانه.

ولما حتم الصيام أعاد ذكر الرخصة للمريض وللمسافر في الإفطار بشرط القضاء، فقال: ﴿**وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ معناه: ومن كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه أو يؤذيه، أو كان على سفر، أي في حال سفر، فله أن

يفطر، فإذا أفطر، فعليه عدة ما أفطره في السفر من الأيام، ولهذا قال: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ**﴾ أي: إنما رخص لكم في الفطر في حال المرض والسفر مع تحتمه في حق المقيم الصحيح، تيسيرًا عليكم، ورحمة بكم، وإنما أمركم بالقضاء لتكملوا العدة.

الترغيب في ذكر الله والتكبير

وقوله: ﴿**وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ**﴾ أي: ولتذكروا الله عند انقضاء عبادتكم، كما قال: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقال: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ**﴾ [ق: ٣٩-٤٠]، ولهذا جاءت السنة باستحباب التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلوات المكتوبات، وقال ابن عباس: ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ إلا بالتكبير، ولهذا أخذ كثير من العلماء مشروعية التكبير في عيد الفطر من هذه الآية: ﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقوله: ﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ أي: إذا قمتم بما أمركم الله من طاعته بأداء فرائضه، وترك محارمه، وحفظ حدوده، فلعلكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك.

الترغيب في الدعاء

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

روى عبد الرزاق عن الحسن قال: سأل أصحاب رسول الله ﷺ أين ربنا؟ فأنزل الله عز وجل **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾**.

وروى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فجعلنا لا نصعد شرفًا، ولا نعلو شرفًا، ولا نهبط واديًا، إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا، فقال: «**يا أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا بصيرًا، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، يا عبد الله بن قيس، ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله**» أخرجاه في الصحيحين، وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني**»، وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني، وتحركت بي شفتاه**». قلت: وهذا كقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾** [النحل: ١٢٨]، وقوله لموسى وهارون عليهما السلام: **﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾** [طه: ٤٦] والمراد من

هذا أنه تعالى لا يخيب دعاء داع، ولا يشغله عنه شيء، بل هو سميع الدعاء، ففيه ترغيب في الدعاء، وأنه لا يضيع لديه تعالى، كما روى الإمام أحمد عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالى ليستحي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيرًا فيردهما خائبتين**».

وروى الإمام أحمد أيضًا عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**» قالوا: إذًا نكثر؟ قال: «**الله أكثر**».

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل**» قيل: يا رسول الله، وما الاستعجال؟ قال: «**يقول قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء**».

وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام، إرشادٌ إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر، كما رواه الإمام أبو داود الطيالسي، عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة**» فكان عبد الله بن عمرو إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا.

وفي مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول: بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين**».

رفع الحرج عن الأمة في ليالي رمضان

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

هذه رخصة من الله تعالى للمسلمين، ورفع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة، فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة، والرفث هنا هو الجماع.

وقوله **﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾** قال ابن عباس: يعني هن سكن لكم، وأنتم سكن لهن، وقال الربيع بن أنس: هن لحاف لكم، وأنتم لحاف لهن، وحاصله: أن الرجل والمرأة كل منهما

يخالط الآخر، ويماسه ويضاجعه، فناسب أن يرخص لهم في المجامعة في ليل رمضان لئلا يشق ذلك عليهم، ويحرجوا.

وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس، قال: كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا العشاء، حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة، ثم إن أناسًا من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء، منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿**عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**﴾ يعني بالرفث: مجامعة النساء ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ**﴾ يعني: تجامعون النساء، وتأكلون، وتشربون بعد العشاء ﴿**فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ**﴾ يعني: جامعوهن ﴿**وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ يعني: الولد ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ فكان ذلك عفوًا من الله ورحمة.

وقوله: ﴿**وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ يعني: الولد.

وقيل: الجماع، وقيل: ليلة القدر، وقيل: ابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم، يقول: ما أحل الله لكم، واختار ابن جرير أن الآية أعم من هذا كله.

قوله: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ أباح تعالى

الأكل والشرب مع ما تقدم من إباحة الجماع في أي الليل شاء الصائم إلى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل، وعبر عن ذلك بالخيط الأبيض من الخيط الأسود، ورفع اللبس بقوله ﴿**مِنَ الْفَجْرِ**﴾.

الحث على السحور

وفي إباحته تعالى جواز الأكل إلى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور؛ لأنه من باب الرخصة والأخذ بها محبوب، ولهذا وردت السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ بالحث على السحور؛ ففي الصحيحين عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسحروا فإن في السحور بركة**»، وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحَر**».

وقد ورد في الترغيب في السحور أحاديث كثيرة، حتى ولو بجرعة ماء تشبهًا بالآكلين، ويستحب تأخيره إلى قريب انفجار الفجر، كما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك، عن زيد بن ثابت قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة، قال أنس: قلت لزيد: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية.

وروى الإمام أحمد: عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار، وأخروا السحور**» وقد ورد في أحاديث كثيرة أن رسول الله ﷺ سماه الغذاء المبارك.

مسألة: ومن جَعْلِه تعالى الفجرَ غاية لإباحة الجماع والطعام والشراب لمن أراد الصيام يُستدل على أنه من أصبح جنبًا، فليغتسل، وليتم صومه، ولا حرج عليه، وهذا مذهب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء سلفًا وخلفًا، لما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أنهما قالتا: كان رسول الله ﷺ يصبح جنبًا من جماع غير احتلام ثم يغتسل ويصوم.

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ يقتضي الإفطار عند غروب الشمس حكمًا شرعيًا، كما جاء في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أقبل الليل من ههنا، وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم**» وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**» أخرجاه.

النهي عن الوصال

ولهذا ورد في الأحاديث الصحيحة النهي عن الوصال، وهو أن يصل يومًا بيوم، ولا يأكل بينهما شيئًا، روى الإمام أحمد: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تواصلوا**» قالوا: يا رسول الله، إنك تواصل، قال: «**فإني لست مثلكم؛ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**» قال: فلم ينتهوا عن الوصال، فواصل بهم النبي ﷺ يومين وليلتين ثم رأوا الهلال، قال: «**لو تأخر الهلال لزدتكم**» كالمنكل لهم، وأخرجاه في الصحيحين.

وأما من أحب أن يمسك بعد غروب الشمس إلى وقت السحر

فله ذلك، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تواصلوا فأيكم أراد يواصل، فليواصل إلى السحر**» أخرجاه في الصحيحين أيضًا.

الاعتكاف وأحكامه

قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هذا في الرجل يعتكف في المسجد في رمضان أو في غير رمضان، فحرم الله عليه أن ينكح النساء ليلاً أو نهارًا حتى يقضي اعتكافه.

وقال الضحاك: كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد جامع إن شاء، فقال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**﴾ أي: لا تقربوهن ما دمتم عاكفين في المسجد، ولا في غيره.

وهذا هو الأمر المتفق عليه عند العلماء أن المعتكف يحرم عليه النساء ما دام معتكفًا في مسجده، ولو ذهب إلى منزله لحاجة لا بد له منها، فلا يحل له أن يمكث فيه إلا بمقدار ما يفرغ من حاجته تلك من قضاء الغائط أو الأكل، وليس له أن يقبل امرأته، ولا أن يضمها إليه، ولا يشتغل بشيء سوى اعتكافه، ولا يعود المريض، لكن يسأل عنه، وهو مار في طريقه.

وفي ذكره تعالى الاعتكاف بعد الصيام إرشاد وتنبيه على الاعتكاف في الصيام أو في آخر شهر الصيام، كما ثبت في السنة عن رسول الله ﷺ أنه كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان

حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده، أخرجاه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

ثم المراد بالمباشرة: إنما هو الجماع، ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحو ذلك، فأما معاطاة الشيء ونحوه، فلا بأس به، فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يدني إلي رأسه فأرجله، وأنا حائض، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان، قالت عائشة: ولقد كان المريض يكون في البيت، فما أسأل عنه إلا وأنا مارة، وقوله: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ**﴾ أي: هذا الذي بيناه وفرضناه وحددناه من الصيام وأحكامه، وما أبحنا فيه وما حرمنا، وذكر غاياته ورخصه وعزائمه حدود الله، أي: شرعها الله وبينها بنفسه ﴿**فَلَا تَقْرَبُوهَا**﴾ أي: لا تجاوزوها، وتعتدوها.

﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ**﴾ أي: كما بين الصيام وأحكامه وشرائعه وتفاصيله، كذلك يبين سائر الأحكام على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ ﴿**لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ أي: يعرفون كيف يهتدون، وكيف يطيعون، كما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحديد: ٩].

مواعظ النساء في رمضان

إعداد

مريم السالم

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أختي المسلمة، هذه كلمات وجيزات، ونداءات صادقات، ودعوات غاليات، أوجهها إليك، وإلى نفسي المقصرة قبلك. سائلة المولى العلي القدير أن ينفعنا جميعًا بها، وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

أختي الكريمة، أقبل علينا شهر الصيام.. شهر الخير والبركة.. شهر المغفرة والتوبة والعتق من النيران.. وها نحن نعيش أيامه الكريمة ونتعرض فيه لنفحات الله.. فماذا أرينا الله من أنفسنا.. كيف استقبلناه، وماذا عملنا فيه، وكيف سنودعه؟

أختي الكريمة، إن هذا الشهر المبارك نعمة عظيمة من الله.. إنه منحة ربانية بل فرصة ذهبية لا تقدر بالأثمان، ولا تعوض في بقية الشهور والأيام، فهو شهر التوبة والأوبة والمغفرة والرحمة.. شهر أنزل الله فيه القرآن أعظم كتاب لهداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

شهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتصفد فيه مردة الشياطين، تغفر فيه الخطايا والسيئات، وتضاعف فيه

الحسنات، وترفع الدرجات، وينادي المنادي: يا باغي الخير، أقبل، ويا باغي الشر، أدبر، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها، فقد حُرم الخير كله، تستغفر الملائكة فيه للصائمين حتى يفطروا، ولله فيه عُتقاء من النار، وذلك كل ليلة من لياليه الشريفة، فأين أنتِ يا مسلمة؟!

أين أنتِ يا من قيدت نفسك بالذنوب والمعاصي طوال العام.

يا من فعلت كل ما اشتهيت

يا من تركت لنفسك العنان، ففعلت كل ما يحلو لك، لم تراعي الرقيب، و لم تحسبي حسابًا للحسيب، و لم تقدمي زادًا ليوم الوعيد.

يا من تعيش في الظلمات، والقلب قد ران عليه الران، والروح تبحث عن الراحة والسكون.

يا من تسير بلا زاد، و لم تعد ليوم المعاد.

يا من تجاهر ربها بالمعاصي والآثام.

أذنك تسمع للغناء الحرام، عيناك تنظر للحرام، لسانك يلوك في أعراض الناس بالغيبة.. فلانة بخيلة، وفلانة قصيرة، وهذه فيها، وتلك ليس عندها.

أين أنت من رحمة الله ومغفرته في هذا الشهر الكريم.

عودي إلى الله

الآن، وقبل فوات الأوان

وأين أنت يا من فرطت بأهم أركان هذا الدين العظيم.. أنت يا من لم تعرفي الله، ولم تعرفي الصلاة والصيام إلا في رمضان، فإذا خرج رمضان تركت ذلك كله، وكأنك لا تعلمين أن رب رمضان هو رب سائر الشهور والأعوام.. وكأنك لا تدرين أن الموت ليس له ميعاد محدد، وإذا جاء فقد انتهى كل شيء.. وأقبلت على أمر عظيم قبر وظلمة وديدان.. منكرٌ ونكير الملكان.. بعث وحساب، وأهوال وعذاب.

وأين أنت يا من ضيعت الحجاب، ولبست أجمل الحلي والثياب، وخرجت ليراك الشيبة والشباب.

حجابك في انحدار.. ينقص باستمرار.. نخشى عليك من النار.. ومن غضبة الجبار.

وأين أنت يا من تعصين الزوج، وتفرطين في حقوقه، وأنت تعلمين أن دخول الجنة لا يكون إلا بعد رضاه عنك.

وأين أنت يا من ضيعت حقوق الأبناء؛ فحرصت على طعامهم وشرابهم، وما يقوي أبدانهم، ولكنك نسيت أو تناسيت ما يغذي أرواحهم.. لم تعلميهم الصلاة، ولم تدربيهم على الصيام، ولم تحفظيهم القرآن.. ورضيت بأن تشارك الخادمة وأجهزة الإعلام في

تلك المهام الجسام.

يا من تشتكي الفقر، وقلة ذات اليد، وقلة البركة.

يا من تشتكي كثرة الفواجع، والمصائب، والبلايا.

يا من تبكي من قسوة الزوج، وكثرة المشاكل، وعقوق الأبناء، وقطيعة الأرحام.. لقد آن الأوان، وجاءتك الفرصة.

لقد أظلك شهر الصيام، جاءك — والله – شهر الصبر.. شهر الفرج.. شهر الرحمة والرضوان.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب
حتى عصى ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما
فلا تصيره أيضًا شهر عصيان
واتل القرآن، وسبح فيه مجتهدًا
فإنه شهر تسبيح وقرآن
كم كنت تعرف ممن صام في سلف
من بين أهل وجيران وإخوان
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم
وحيًدا فما أقرب القاصي من الداني

أختاه،

جاء الوقت الذي تعودين فيه إلى خالقك.. جاء الوقت الذي تعود به النفس إلى الراحة والسكون، إلى الطمأنينة والأمان.. إلى

المحبة والرضا.. إلى الخير والبركة.. إلى السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

آن الأوان يا أختاه للتوبة والرجعة والأوبة.

عودي إلى الله.. وحرري نفسك من الذل للهوى والشيطان.. توبي إلى الله توبة صادقة، واجعلي حياتك كلها تسير على ما يحب الله، فلا تعصي الله بسماع حرام، ولا بكلام حرام، ولا بنظر حرام، ولا بلباس حرام، ولا بمال حرام؛ فإن جسدك الضعيف على النار لا يقوى..

جددي العهد مع الله على التوبة الصادقة في جميع الأوقات من جميع الذنوب والسيئات..

استغلي عمرك، واستفيدي من وقتك، واعملي لآخرتك، فهي الدار الحقيقية وهي الدار الباقية.. خلود فلا موت، فإما نعيم بلا شقاء، أو شقاء بلا نعيم، وإما راحة بلا عذاب، أو عذاب بلا راحة... فانظري حماك الله أيهما تختارين.

أقبلي على الله، وتقربي منه؛ فأنت محتاجة إليه، تذللي له، وادعيه بالليل والنهار بالسر والجهار، فهو قريب منك يسمع نداءك، ويجيب دعاءك: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠] ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾ [النمل: ٦٢].

من لك سواه.. من يجبر كسرك.. ويفرج كربك..؟!

من يغنيك.. من يكفيك.. من يهديك؟!

من يعطيك إذا حرمك الناس؟!

من يعزك إذا أذلك الناس؟!

من يغفر ذنبك؟! من يستر عيبك؟!

تقربي منه شبرًا.. يتقرب منك ذراعًا.

اطلبي منه العون وسوف يعينك.

اطلبي منه الهداية والتوفيق، وسوف يوفقك لطاعته، ويهديك سبيله، ويجنبك شر نفسك وشر الشيطان.

تقربي منه، وسوف ينصرك، ويأخذ بحقك ممن ظلمك: ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ**﴾ [محمد: ٧].

تقربي منه، وسوف يغنيك، ويبارك لك في مالك: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

تقربي منه، وسوف ترين السعادة والهناءة: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧].

تقربي منه، وأطيعه يحنّن عليك الزوج والأبناء والأهل والأقرباء.

تقربي منه يفرج كربك، ويزل همك وغمك، ويسهل أمورك: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿**فَإِنَّ مَعَ**

الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

تقربي إليه، وادعيه بصدق وإخلاص ويقين، وسوف يشفي أمراضك، ويداوي أسقامك، ويقوي بدنك: ﴿**وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠].

أختي المسلمة،

خاطبي نفسك، وعاتبيها، وقولي لها:

إلى متى يا نفس، إلى متى الغفلة؟

إلى متى يا نفس التفريط والتقصير؟

إلى متى يا نفس العبث واللهو والضياع؟

إلى متى يا نفس تضييع الأوقات؟ والعمر محسوب، والأجل محدود.. وملك الموت واقف ينتظر.

ألا يخفيك الموت وسكرته.. والقبر ظلمته

ويوم القيامة وأهواله.. والنار وشدائدها ..؟

ها أنت ترين كل يوم ملك الموت يتخطف أحبابنا وإخواننا من بيننا، ونحن لا نستطيع رده.. وسيأتي اليوم الذي يقبض أرواحنا، فماذا قدمنا؟ وماذا عملنا؟

التوبة.. التوبة.. يا أختاه.

والمسارعة بالأعمال الصالحة.. فوالله، لن ينفعنا قريب، ولا صديق حبيب في ذلك اليوم العصيب.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

يوم تحتاجين إلى حسنة واحدة، فتذهبين إلى أحب الناس إليك.. إلى من حملته في بطنك.. إلى من جعلت بطنك له وعاء.. وثديك له سقاء.. إلى من سهرت لأجله الليالي الطوال.. إلى من جعت لتطعميه، وتعبت لتريحيه. فتقولين: يا بُني، أعطني حسنة واحدة فقط لأنجو بها من النار، فيقول: إليك عني نفسي نفسي، لا أملك لك من الله شيئًا، فتنظرين أيمن منك فلا تجدين إلا ما قدمت، وتنتظرين أيسر منك فلا ترين إلا ما قدمت، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ابدئي الآن.. اليوم بل هذه الساعة، اعقدي العزم على التوبة الصادقة، وعلى الاستمرار عليها حتى بعد رمضان، وعلى المداومة على الأعمال الصالحة في كل الأوقات.

الآن قبل فوات الأوان.. وما أدراك فقد يأتي رمضان الآخر، وأنت لست بهذا المقام؛ بل قد لا تبلغي نهاية رمضان هذا العام: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

أختي المسلمة..

إذا لم تغفر لك ذنوبك في رمضان، ولم يعتقك الله فيه من النيران؛ فمتى يكون لك ذلك؟! وإذا لم يكن لك ذلك، فأنت إذًا

من الخاسرين، وأنت من الظالمين، وستكونين في الآخرة من النادمين.

أختي، لا بد لك من محاسبة نفسك ومراجعتها، ولا بد أن تبحثي عن مواطن الضعف فتعالجيها، وعن قسوة القلب، فترققينه، وعن الغفلة، فتفيقين منها، وعن النفس الأمارة بالسوء فتجاهدينها: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [النمل: ٦٩].

أختي الكريمة، إن شهر رمضان هو شهر واحد فقط من اثني عشر شهرًا في السنة الكاملة.. شهر واحد فقط تتنزل فيه الرحمات، وترفع الدرجات، وتغفر الخطايا والسيئات، وتفتح فيه أبواب الجنات، فما بيننا وبين الجنة إلا هذا الشهر، فهل نضيعه بعد ذلك في المطابخ، وفي الجلوس أمام الشاشات، وتقليب القنوات؟!

شهر رمضان ينبغي أن يكون موسم تنافس في الطاعات، لا في المأكولات والمشروبات.

هذه ختمت القرآن مرة، وهذه مرتين، وأخرى موفقة تختمه كل أسبوع. هذه كل يوم تصلي التراويح إحدى عشرة ركعة، وتلك عشرين ركعة، هذه كل يوم تفطر الصائمين، وتلك تتصدق كل يوم.. هذه حفظت سورة البقرة في شهر رمضان.. وثانية حفظت آل عمران.

هكذا ينبغي أن يكون رمضان شهر تنافس، وتسابق في الطاعات، وتربية النفوس على الخيرات.. لا كما هو حالنا اليوم تنافس وتسابق، ولكنه في أنواع الأطعمة والمأكولات، وضياع

الوقت أمام القنوات.

رمضان ليس شهرًا للأكل والنوم والسهر، كما يفعل البعض؛ بل شهر عبادة وجهاد وعمل.

أختي الكريمة، اجعلي نصب عينيك دومًا أنه شهر واحد فقط، وأن كل يوم يمضي منه، فلن يعود، وما أسرع انقضاءه! فما أن يدخل حتى ينتصف، وما أن ينتصف حتى ينتهي، وإذا انتهى فقد لا يعود إليك مرة أخرى.. فكم من أناس صاموا معنا رمضان الماضي، وهم الآن تحت التراب، ولو سألناهم ماذا يتمنون لتمنوا عودة يوم واحد فقط من رمضان؛ بل حتى ساعات منه، وأنت اليوم في هذه الساعات، فهل تدركين ذلك؟!

إني أرجو لي ولك ذلك.

وأسأل الله العلي القدير أن يوفقنا جميعًا لتوبة نصوح يرضى بها عنا، ويزكي بها أعمالنا، ويطهر قلوبنا، ويعصمنا بها من الفتن.

اللهم، اغفر لنا في شهر الغفران، وتب علينا في زمن التوبة.

اللهم، اهدنا واهد أبناءنا وأزواجنا وذرياتنا.

اللهم، اقبلنا في هذا الشهر الكريم، ووفقنا فيه لكل عمل صالح ترضى به عنا.

اللهم، عدنا إليك تائبين آيبين معترفين بالخطايا والآثام، فاغفر لنا يا رب الأنام، يا ربنا، ورب كل شيء، من لنا سواك إن رددنا فمن يقبلنا، وإن أبعدتنا فمن يقربنا، نحن عبادك الضعفاء الفقراء إلى

رحمتك ومغفرتك، تب علينا يا رب، إنك أنت التواب الرحيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نداء رمضان
يا باغي الخير أقبل

إعداد
القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أختي المسلمة، إن أبواب الأجر في الإسلام كثيرة، وإن أسباب اكتساب الحسنات متعددة، وفي شهر رمضان تتضاعف أجور الأعمال الصالحة، فضلاً من الله عز وجل على عباده، وينادي مناد في أول ليلة من رمضان فيقول: «**يا باغي الخير، أقبل، ويا باغي الشر، أقصر**» [رواه الترمذي والنسائي، وحسنه الألباني].

ومن هنا قال النبي ﷺ: «**رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

ومن أبواب الأجر التي يمكن اغتنامها في رمضان:

١- الصوم:

قال النبي ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين**» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «**كل عمل ابن آدم له: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله: إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به**» [متفق عليه].

٢- القيام:

قال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «**من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**» [رواه أهل السنن، وحسنه الترمذي].

والمرأة لها أن تصلي التراويح في المسجد، لقول النبي ﷺ: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن**» [رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني].

قال الشيخ ابن عثيمين: ولا بأس بحضور النساء صلاة التراويح إذا أمنت الفتنة، بشرط أن يخرجن محتشمات، غير متبرجات بزينة، ولا متطيبات.

٣- تلاوة القرآن:

قال ﷺ: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان**» [رواه أحمد والطبراني، وصححه الألبان].

٤- كثرة الصدقة:

(فقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود

بالخير من الريح المرسلة) [متفق عليه].

٥- تفطير الصائمين:

قال النبي ﷺ: «**من فطر صائمًا، كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**» [أخرجه أحمد والنسائي والترمذي، وصححه الألباني].

٦- الدعاء عند الإفطار:

قال ﷺ: «**إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة** - يعني في رمضان - **وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة**» [رواه البزار، وقال الألباني: صحيح لغيره].

وقال ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر**» [رواه البيهقي، وصححه الألباني].

٧- الاعتكاف:

كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله [متفق عليه].

في لفظ: (كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يومًا) [رواه البخاري].

ويجوز للمرأة الاعتكاف إذا أذن لها زوجها، ويسن استتارها بخباء في مكان بعيد عن الرجال.

٨- تحري ليلة القدر:

قال الله تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾** [سورة القدر].

وقال النبي ﷺ: «**تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**» [متفق عليه].

وقال النبي ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [متفق عليه].

٩- العمرة في رمضان:

قال النبي ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة** أو قال: **حجة معي**» [متفق عليه].

١٠- الاجتهاد في العشر الأواخر:

فقد كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله. [متفق عليه].

١١- السحور:

عن عبد الله بن الحارث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يتسحر فقال: «**إنها بركة أعطاكم الله إياها، فلا تدعوه**» [رواه أحمد والنسائي بسند صحيح].

وقال النبي ﷺ: «**السحور أكله بركة، فلا تدعوه، ولو أن**

يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين» [رواه أحمد، وحسنه الألباني].

١٢- تعجيل الفطر:

قال النبي ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**» [رواه البخاري].

١٣- التسامح والإعراض عن الجاهلين:

قال النبي ﷺ: «... **وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم**» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» [رواه البخاري].

هذه – أختاه – بعض أبواب الأجر المطلقة في رمضان، وفي غيره، فهي كثيرة جدًا منها:

١٤- الوضوء:

قال النبي ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**» [رواه مسلم].

١٥- الترديد خلف المؤذن:

قال النبي ﷺ: «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا**

علي، فإنه من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام دينًا غفر له ذنبه**» [رواه مسلم].

١٦- المحافظة على الصلوات الخمس:

قال النبي ﷺ: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**» [رواه ابن ماجة، وصححه الألباني].

وقال ﷺ: «**من صلى البردين دخل الجنة**» [متفق عليه].

والبردان: الصبح والعصر.

١٧- المحافظة على السنن الرواتب:

قال النبي ﷺ: «**ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة، إلا بني الله له بيتًا في الجنة**» [رواه مسلم].

١٨- ذكر الله تعالى:

قال النبي ﷺ: «**سبق المفردون**». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسه، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم**» [متفق عليه].

١٩- صلاة الضحى:

قال النبي ﷺ: «**يصبح على كل سُلاَمي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك كله ركعتان يركعهما في الضحى**» [رواه مسلم].

٢٠- ذكر الله عقب الفرائض:

قال النبي ﷺ: «**من سبح دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غفرت له خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر**» [رواه مسلم].

٢١- لزوم الاستغفار:

قال النبي ﷺ: «**يا معشر النساء، تصدقن، وأكثرن من**

الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**من استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة**» [رواه الطبراني وحسنه الألباني].

٢٢- التوبة إلى الله:

قال النبي ﷺ: «**إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**» [رواه مسلم].

٢٣- كفالة اليتيم:

قال النبي ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بأصبعيه: السبابة والوسطى، وفرج بينهما**» [متفق عليه].

٢٤- البراءة من الكبر والغلول والدين:

قال النبي ﷺ: «**من مات وهو بريء من الكبر والغلول والدين دخل الجنة**» [رواه الترمذي وصححه الألباني].

٢٥- حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب:

قال النبي ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، فيحمده عليها، أو يشرب الشربة، فيحمده عليها**» [رواه مسلم].

٢٦- قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة:

قال النبي ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**» [رواه النسائي، وصححه ابن حجر].

٢٧- قراءة سورة تبارك:

قال رسول الله ﷺ: «**سورة من القرآن، ما هي إلا ثلاثون آية، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة، وهي تبارك**» [رواه الطبراني، وحسنه الألباني].

٢٨- التجاوز عن المعسر:

عن النبي ﷺ: «**أن رجلاً مات فدخل الجنة، فقيل له: ما كنت تعمل؟ قال: كنت أبايع الناس، فكنت أنظر المعسر، وأتجاوز في السكة أو في النقد، فغفر له**» [رواه مسلم]. والمعنى: أنه كان يتسامح في الحقوق، ولا يشدد.

وقال ﷺ: «**من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة**» [رواه مسلم].

٢٩- صدق الحديث:

قال ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة**» [متفق عليه].

٣٠- الإصلاح بين الناس:

قال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **إصلاح ذات البين**» [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

٣١- تواضع المرأة لزوجها:

قال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودود،**

الولود، العؤود، التي إذا ظلمت قالت: هذه يدي في يدك، لا أذوق غمضًا حتى ترضى» [رواه الدارقطني، وحسنه الألباني].

٣٢- صلة الرحم:

قال النبي ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**» [متفق عليه]

٣٣- الالتزام بخلق الحياء:

قال النبي ﷺ: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار**» [رواه أحمد والترمذي، وقال الألباني: حسن صحيح].

٣٤- إفشاء السلام:

قال النبي ﷺ: «**أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، وادخل الجنة بسلام**» [رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني].

٣٥- إدخال السرور على المسلم:

قال النبي ﷺ: «**أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تطعمه خبزًا**» [رواه البيهقي، وحسنه الألباني].

٣٦- بر الوالدين:

قال النبي ﷺ: «**أفضل الأعمال الصلاة لوقتها، وبر الوالدين**» [رواه مسلم].

٣٧- البكاء من خشية الله:

قال النبي ﷺ: «**حرم الله على عينين أن تنالهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من أهل الكفر**» [رواه الحاكم والبيهقي، وحسنه الألباني].

٣٨- قراءة سورة الكهف يوم الجمعة:

قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق**» [رواه البيهقي، وصححه الألباني].

٣٩- قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات:

قال النبي ﷺ: «**من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة**» [رواه أحمد وصححه الألباني].

٤٠- السماحة واللين:

قال النبي ﷺ: «**من كان سهلاً هينًا لينًا، حرمه الله على النار**» [رواه الحاكم، وصححه الألباني].

٤١- الطواف بالبيت العتيق:

قال النبي ﷺ: «**من طاف بالبيت سبعًا، وصلى ركعتين كان كعتق رقبة**» [رواه البيهقي، وصححه الألباني].

٤٢- القراءة في المصحف:

قال النبي ﷺ: «**من سره أن يحب الله ورسوله، فليقرأ في**

المصحف» [رواه البيهقي، وحسنه الألباني].

٤٣- الرد عن عرض المسلم:

قال النبي ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

٤٤- الترغيب في القرض:

قال النبي ﷺ: «**من أقرض ورقًا مرتين كان كعدل صدقة مرة**» [رواه البيهقي، وصححه الألباني].

نفحات رمضانية

بقلم

إبراهيم بن عبد العزيز الجهني

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

قسم النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه رسالة قصيرة جمعتها على شكل لقاءات يسيرة لأذكر نفسي وإخواني بشيء مما كان يفعله المصطفى ﷺ في هذا الشهر الكريم، وهو جهد مقل، التزمت فيها الاختصار لتسهل قراءتها واقتناؤها والاستفادة منها، فيقرؤها الإمام في المسجد، ويقتنيها العابر في الطريق، وتستفيد منها الأسرة في المنزل.

وهي مساهمة يسيرة في الدعوة إلى الله جلا وعلا، أسأله تعالى أن يجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وصائبة على النهج السليم، نهج المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها القارئ الكريم:

ما أجمل لقاء الحبيب بحبيبه، ولقاء الأفئدة بمن تحن إليه، ومن لقائهم لقاء الصالحين بمواسم تزداد فيها الأجور، فتحن قلوبهم إلى رب غفور، وتسافر أفئدتهم طمعًا بفضل ربهم لتحصل النجاة يوم النشور، وها نحن نستقبل ضيفًا عزيزًا، نستقبل أجل مواسم

الرحمات، وأعظم ليالي الأجور الوافرات، ولنحلق في رُبى نهج القائد الأول ﷺ لننظر كيف كان هديه في استقبال هذا الضيف العزيز، ولنتعرف على شيء مما كان يفعله في هذا الشهر الفضيل، فإلى مدرسة العزة، ومشكاة النبوة في لقاءات أخوية، مع خير البرية محمد ﷺ.

اللقاء الأول: تهنئته ﷺ للصحابة بقدوم شهر رمضان:

روى الإمام أحمد والنسائي وصححه الألباني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «**قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم**»، قال بعض العلماء: (هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضًا بشهر رمضان).اهـ

إنه استقبال ما أجله من استقبال، وترحيب ما أجله من ترحيب؛ فيه ترغيب وترهيب، فقد جاء رمضان تحريكًا لنفوس أهل الإيمان أصحاب الأنفس العلية المتجردة للواحد الديان، فيعلمنا الرسول ﷺ عند استقبال هذا الضيف العزيز، أنه تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتغل الشياطين، وفيه ليلة خير من ألف شهر، فهذا نداء الخير.

فيا أهل الإيمان، الحقوا بالركب، وأحسنوا البداية، لتصلح النهاية، نافسوا الأخيار، اقتدوا بهدي سيد الأبرار في استقباله لهذا الشهر الكريم، فقد تنزلت الرحمات، وتوالت القسمات، وتقاربت الخطوات، وقلت الخطيئات، فاستبقوا الخيرات، قبل أن تخرجوا

الزفرات، عندها لا تنفع الآهات، فهيهات هيهات.

أهلاً بشهرنا، أهلاً بضيفنا، أهلاً بمضمار سباق المتقين، ومجال تنافس الصالحين، صلاة وصيامًا وصدقة وقيام اجتماع والتئام، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

أخي المبارك، كم من إنسان لن يدرك هذا الموسم العظيم، وكم شخص لم يدرك هذا المشهد الكريم، توسدوا الثرى، والتحفوا التراب، وغادروا الأحباب، وانتهت صحائف أعمالهم بلا لقاء مع هذا الحبيب، أما أنت، فما زلت في وقت العمل، لم تنته المُهَل، ولم ينقض الأجل، تملأ صندوق أعمالك بما يرضي الله، وتتزود لتنجو يوم العرض والحساب، ونشر الكتاب، وتكسب صديقًا لك عند حلول رمسك، فأحسن الوثاق، فالطريق شاق، وسوف تعلم ذلك أخي الحبيب إذا التفت الساق بالساق، ووضعت في لحدك وأحكم عليك الخناق.

تزود قرينا مــن فعالــك إنمــا قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
فإن كنت مشغولاً بشيء فــلا بغير الذي يرضى به الله تشــغل
فلن يصحب الإنسان بعد مماته إلى قبره إلا الذي كان يعمــل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهلــه يقيم قليلاً عنــدهم ثم يرحــل

فاستفتح شهرك واستقبله بالحمد والمنة لله، فقل: الحمد لله على بلوغ موسم الأخيار، واقتد بالصحابة الأبرار والتابعين الأطهار، فهذا علي بن الفضل يروي لنا قصة السلف من الهمم العظيمة رجاء بلوغ الشهر الفضيل فيقول رحمه الله: (كان السلف يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان... ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم).

يقول عبد العزيز بن مروان: (كان المسلمون يقولون عند حضور شهر رمضان: اللهم، قد أظلنا شهر رمضان وحضر، فسلمه لنا وسلمنا له، وارزقنا الجد والاجتهاد والنشاط وأعذنا فيه من الفتن) فأهلاً بشهرنا، شهر تضاعف فيه الأجور، شهر البركات، وإقالة العثرات، شهر عتق الموبقات، فحي على الفلاح لتدخل إلى أبواب الرحمة بسلام آمنًا مطمئنًا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [البقرة: ١٨٥].

اللقاء الثاني: اجتهاده ﷺ في رمضان:

كان رسولنا ﷺ ذا اجتهاد عظيم في العبادة، لأنه عرف عظمة المعبود جل في علاه، فهو أخشى الناس لربه، وأعرف الناس بالله، عرف رسولنا ﷺ شرف هذا الزمان، وعظيم الأجر، فكان أجود ما يكون في رمضان، فلك أن تتذكر أيها القارئ الكريم، أن رسولنا ﷺ كان يصدر هذا العمل العظيم، في هذا الشهر الكريم بالإيمان الصادق، والاحتساب التام، لذي الجلال والإكرام، فتنبه على أهمية انطلاق بقوله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم له من ذنبه**».

وهو كذلك عليه السلام يصدر شرط الإيمان والاحتساب حال القيام لرب الأرباب، فيقول ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا**

غفر له ما تقدم من ذنبه». فشهرنا هذا هو شهر الجود والغفران، كما كان يفعل ولد عدنان ﷺ في مزية من مزاياه العظيمة، ليخبر عن مضمار آخر، من طرق السباق الصادق في هذا الشهر العظيم، فيرتب على عمل قليل، فعل عظيم وجليل، فتجد أخي القارئ من رحمة الله جل وعلا أن المرء يصلي مع إمامه دقائق معدودة وأوقات محدودة، ثم يذهب بين أهله وولده، يقضي شغلاً، يزور صديقًا، ينهي أمرًا، وقد كتب له أنه في صلاة، أتدري ما هي؟ إنها صلاة التراويح، إن قمتها مع إمامك حتى ينصرف كتب لك قيام ليلة كاملة، يخبر بذلك الرسول ﷺ بقوله: «**من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**».

ومن طرق الجود والإحسان، والخير والغفران، في شهر رمضان، هو الإحسان إلى عباد الواحد الديان، فكن معي في صور قليلة، ووقفة يسيرة حول الإحسان إلى إخوانك المسلمين: فتجد أن الصدقة عمل جليل، إلا أنها في رمضان من أفضل ما تكون، ففي الترمذي من حديث أنس مرفوعًا: «**أفضل الصدقة صدقة رمضان**». تفطر صائمًا، ولك مثل أجره، مع تمام أجره لا ينقص منه شيء. قال الصادق المصدوق كما في حديث زيد بن خالد عن النبي ﷺ: «**من فطر صائمًا فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء**».

فيا أخي الفاضل، ادفع صدقة، واقض حاجة محتاج، وفطر صائمًا، وأصلح بين اثنين، واجتهد في عمل الصالحات، نافس بفعل الطاعات، اقترب من النفحات، اجتهد فأنت في شهر البركات، ولا

تغفل عن إتمام الواجبات.

وتأمل هذا الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، وأجود الناس، وكان جوده ﷺ يجمع أنواع الجود: من بذل العلم والمال، وبذل النفس لله تعالى في إظهار دينه، وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق: من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم.

ولم يزل ﷺ على هذه الخصال منذ نشأ، ثم تزايدت فيه هذه الخصال بعد البعثة وتضاعفت أضعافًا كثيرة» اهـ.

ولك أن تتأمل أن هذا الجود عام في كل وقت، ويزداد في هذا الشهر العظيم؛ لأنه كان ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

أخي القارئ الكريم، إن مما يناقض ما مضى من الجود العظيم ما يقع فيه كثير من المسلمين، حول الفهم العكسي، والتصرف الخاطئ.

أولاً: الفهم العكسي:

ظن طائفة من الناس أن شهر رمضان شهر الكسل والتراجع، وشهر النصب الفاجع، وما علموا أنه شهر الجد والمثابرة، والعمل والمساندة. فتنظر إلى عمل السلف الصالح، فتجده يتضاعف في رمضان.

أخي الفاضل، تذكر أن رسولنا ﷺ قاد المعارك العظيمة في رمضان. فلك أن تتذكر أن المعركة العظمى والكبرى التي أظهر الله فيها الحق كانت في رمضان، إنها معركة بدر الكبرى، اسمع إلى هذه المهمات التي قام بها الرسول ﷺ ثم النتائج جميعها في رمضان.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣، ١٢٤].

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥، ٦].

إنها معركة بدر الكبرى، فرق الله فيها بين الحق والباطل، إذًا، فرمضان شهر الجد والاجتهاد، والعمل الجاد، والخزائن الوفيرة للازدياد، للنجاة يوم التناد.

شدوا المآزر قد أتى رمضـــان يحلو القيام ويصدح القـــرآن
في دفتيه عظيم عفـــو غـــامر يعطي الثواب ويغدق الغفران

ثانيًا: التصرف الخاطئ:

أخي الفاضل، إن صام بطنك عن الطعام والشراب، وفرجك عن الأنس والجماع، فهذا مطلب من مطالب الصوم، إلا أن كثيرًا من الناس يتصرف تصرف الحمقى، فصام بطنه وفرجه، ولم تصم عينه وأذنه، ولم يصم لسانه وقلبه.

إذا علمت أن الصيام لغة: الإمساك. فصيام البطن والفرج

إمساك بوقت محدود، أما صيام العين والأذن واللسان والقلب لا ينتهي إلا بانتهاء الأجل.

ينبه على هذا رسولنا ﷺ بقوله: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» (رواه البخاري).

وفي موضع آخر قال ﷺ: «**ليس الصيام من الطعام والشراب، إنما الصيام من اللغو والرفث**» قال أبو موسى المزيني: على شرط مسلم.

يقول جابر رضي الله عنه: (إذا صمت فليصم سمعك وبصرك، ولسانك عن الكذب والغيبة، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ... ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء».اهـــ.

أخي الفاضل، إنك لا بد أن يصوم لسانك عن قول الإثم والكذب والغيبة والنميمة واللغو. وتصوم عينك عن النظر فيما حرم الله، كالنظر إلى النساء الأجنبيات وإلى المسلسلات الماجنات.

ولتصم أذنك عن سماع الغيبة والنميمة والغناء والمجون، ولا تفطر إلا في يوم أن يؤذن الأخذ من كل ما يشتهون فتسمع النداء العظيم: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ [الحاقة: ٢٤].

وهكذا أخي الفاضل احذر أن ينطبق عليك قول الرسول ﷺ «**رب صائم، حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم، حظه**

من قيامه السهر».

يقول بعضهم:

إذا لم يكـــن في الســـمع مـــني تصـــاون
وفي بصـــري غـــض وفي منطقـــي صـــمت
فحظي إذًا مـــن صـــومي الجـــوع والظمـــا
فإن قلت: إني صمت يـــومي فمـــا صـــمت

فاتبع الرسول ﷺ في هذا الجود العظيم، واحذر أن تأتي بنقيض فعاله ﷺ، فتكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا.

اللقاء الثالث: النبي ﷺ مع القرآن في رمضان:

تأمل أخي الفاضل أن من مناقب هذا الشهر الفضيل أن القرآن كله له مع رمضان صفة أخرى، فأول صفة يذكرها الله لهذا الشهر نزول القرآن فيه، فاقرأ معي – رعاك الله:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

يقول ابن كثير رحمه الله: (يمدح الله شهر الصيام من بين الشهور، فإنه اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك فقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل

فيه على الأنبياء). اهـــ.

وقال جل وعلا: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**﴾ [الدخان: ٣].

وهذه الليلة في هذا الشهر العظيم، ولك أخي الكريم أن تعلم أن هذا القرآن على ما هو عليه من الفضل العظيم، والخير العميم، فقد امتدح الله أهله بقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

ورسولنا ﷺ كان يأمر بقراءته في كل وقت، كما في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**».

أيها الأخ القارئ:

هذا يسير من كثير عن هذا القرآن، ولكن كيف كان النبي ﷺ مع القرآن في هذا الشهر العظيم، وكيف كان سلف هذه الأمة بعد رسولهم ﷺ؟

ثبت أن جبريل عليه السلام كان ينزل إلى النبي ﷺ فيدارسه القرآن، ولما كان في السنة التي توفي فيها دارسه القرآن مرتين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: المدارسة بين النبي ﷺ وجبريل كانت ليلاً.اهـــ.

فتبين أن رسولنا ﷺ وجبريل عليه السلام كان لهما في رمضان وقفة مع القرآن.

ولنتحول معًا لننظر كيف حال السلف مع هذا القرآن، فهذا عثمان رضي الله عنه يختم القرآن في كل يوم مرة، وبعض السلف يختم في قيام رمضان كل ثلاث، وبعضهم كل سبع. أما الشافعي رحمه الله فكان له في رمضان ستون ختمة.

وكان الزهري إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، ويقبل على تلاوة القرآن في المصحف.

وهذا سفيان الثوري: إذا دخل رمضان ترك جميع أنواع العبادة، وأقبل على قراءة القرآن.

أخي الفاضل، هذا عمل كوكبة من العلماء، يقودهم صاحب الدعوة والإباء ﷺ، فهل من لاحق بالركب، هل من داخل في هذا التنافس العظيم، إن هذا القرآن شفاء للقلوب والأبدان، يغني عن الأصحاب والخلان، اجعله ربيعك وجليسك وأنيسك، استأنس به عند وحشتك، تقرب به إلى الله عند غفلتك وفطنتك، لازم هذا القرآن، فبذلك تنجو من الفتن، وتقتدي بسيد الأنبياء والرسل ﷺ.

يقول ذو النون المصري في شعر له:

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها لا تهجع
فهموا عن الملك الجليل كلامه فهما تذل له الرقاب، وتخضع

اللقاء الرابع: رمضان والنفحات الإلهية في الأخبار النبوية:

أولاً: إن شهر رمضان جمع الخير كله والفضل كله، فقد جمع الله فيه لعباده الرحمة، والمغفرة، والعتق من النار، وفيه ليلة خير من ألف شهر، فأين أولوا العقول والنهى.

قال ﷺ في فضل هذا الشهر العظيم:

«**وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار**».

فيقدم الله لعباده رحمته عند أول هذا الشهر، وتتنزل عليهم من الله الرحمات، فيوفق من شاء إلى طاعته برحمته وفضله، ثم يأتي أوسطه فيغفر لهم، ويتجاوز عنهم، إن ربي غفور رحيم.

فله الحمد والشكر والثناء، وهو أهل له، له المدح والعبادة، وإليه الملجأ والمفزع، وهو الغفور الرحيم.

أما آخر شهرنا هذا ففيه وقائع وأنباء، ووقفات وأصداء، فآخره عتق من النار، واعلم في هذا الشهر الفضيل عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة، لما روى الترمذي والبيهقي وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد كل ليلة: يا باغي الخير، أقبل، ويا باغي الشر، أقصر ... ولله عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة**».

ثانيًا: أخي القارئ ما أعظم ما مضى من النفحات الرحمانية، والكرامات الإلهية، إلا أنها كقطرة من بحر بالنسبة لما أعد الله لتجار هذا الموسم الرابح، وهذا اللقاء الناجح، أفلا تعلم أن أجرك من الله لهذا الصوم لا يعلمه سواه سبحانه، فاسمع إلى هذا الحديث الذي يبين فضل ذلك:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشرة أمثالها ... إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، قال الله تعالى: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**». متفق عليه.

قال سفيان بن عيينة: (إن ثواب الصيام لا يأخذه الغرماء في المظالم، بل يدخره الله عنده للصائم، حتى يدخله الجنة).

ثالثًا: وإن من النفحات العظيمة لك أخي في هذا الموسم دعوة لا ترد فيها فامدد كفيك، وارفع حاجتك، واسأل مولاك، أنزل الحوائج ببابه، واحذر أن تطرد من جنابه، وتذكر أنه لا حول لنا ولا قوة إلا به.

لك دعوة أخي الصائم لا ترد فيها، لا تنس سؤال الله من فضله في الدارين، واحذر أن تعتدي في دعائك، فتصير من أهل الحين.

أخي الصائم، لك دعوة لا ترد، لا تنس أمتك المثلومة، والأفواج المظلومة، والحقوق المهضومة، ارفع دعوة، علّ الله يتقبلها

منك، فتنصر الأمة بسببك.

أخي الصائم، لا تنس في هذه الدعوة العظيمة، زميلك المتوفى، وأخًا لك محتاجًا، وآخر مهمومًا، ليكون لك مثلهم بتأمين الملائكة لك.

إن هذه الدعوة المجابة دليلها من وجهين:

أ- عام: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٦] وغيرها من الآيات ومواطن الإجابة عمومًا، كثلث الليل الآخر، وبين الأذان والإقامة، وآخر ساعة من يوم الجمعة على أصح أقوال أهل العلم، وعند صعود الخطيب المنبر، وفي السجود وهكذا.

ب- خاص: عند فطرك، كما ورد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد**» فأسأل الله لي ولك من فضله العظيم.

رابعًا: من النفحات الإلهية في هذا الشهر العظيم ليلة عظيمة، يؤجر العامل فيها بأجر العامل ألف شهر (ثلاث وثمانين سنة وبضعة أشهر)، إنه شرف هذه الليلة العظيمة.

أنزل الله سورة كاملة باسمها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ**

وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥].

من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» متفق عليه.

إنها ليلة ذات فضل عظيم، هي أحرى بأن يسمع فيها الخطاب، ويرد الجواب، ويفتح الباب، وتعتق الرقاب.

ولك أن تعلم أخي القارئ: أنها ليست مبهمة في قرن كامل، ولا في شهر كامل، ولا في سنة كاملة، ولو كان كذلك لحق شرفها، ولكنها بين عشر ليال فقط، وقد بين ﷺ أن أحرى هذه العشر أوتارها فما أرحم المعبود بالعبد، وما أرأف الخالق بالمخلوق.

إنها عشر ليال فقط: فيها - قطعًا وجزمًا - هذه الليلة المباركة، إنها العشر الأواخر من رمضان، التي لا يحرم خيرها إلا من أراد الله له الحرمان، وابتلي بالخذلان.

كان رسول الله ﷺ يتحرى هذه الليلة في شهر كامل، فقد تحراها في العشر الأوائل، ثم الأواسط، ثم العشر الأواخر، وأمرنا بأن نتحراها في العشر الأواخر من رمضان، كما روى الشيخان قوله ﷺ: «**تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان**».

وهي في الأوتار أقرب من الأشفاع، لقوله ﷺ: «**تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**». رواه البخاري.

بل أخي القارئ.. هي في السبع الأواخر أشد قربًا لحديث ابن عمر رضي الله عنهما (أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال النبي ﷺ: «**أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر**» متفق عليه.

وأقرب أوتار السبع البواقي في ليلة سبع وعشرين لحديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: (والله، إني لأعلم أي ليلة هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة سبع وعشرين) رواه مسلم.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: (لا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام، بل تنتقل فتكون في عام ليلة سبع وعشرين مثلاً، وفي عام ليلة خمس وعشرين تبعًا لمشيئة الله وحكمته). (مجالس شهر رمضان ص١١٠).

واستدل رحمه الله بقوله ﷺ:«**التمسوها في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى** ...» رواه البخاري. اهـ.

قال ابن حجر رحمه الله: (أرجح الأقوال أنها وتر من العشر الأخيرة، وأنها تنتقل) اهـ.

أخي المبارك، أيا كانت هذه الليلة إلا أنها في العشر الأخيرة، فهل استحوذ الشيطان علينا حتى لا نستطيع الاجتهاد الجاد في هذه العشر، أم أن الران قد أحكم على قلوبنا حتى لا نعرف الربح من الخسارة، فسابق أخي في طريق الهدى، ونافس في مضمار الخير.

يقول أحدهم:

لليلـــة القـــدر عنـــد الله تفضـــيل
وفي فضـــائلها قـــد جـــاء تنزيـــل

فجـــد فيهـــا بخـــير تنـــال بـــه
أجـــرًا فللخـــير عنـــد الـــرب تفصـــيل

واحرص علـى فعـل أعمـال تسـر بهـا
يـــوم المعـــاد، ولا يغـــررك تأميـــل

فكـم رأينـا صـحيح الجسـم ذا أمـل
في ليلـــة القـــدر لم يبلغـــه تنويـــل

فتـب إلى الله واحـذر مـن عقوبتـه
عـــن كـــل مـــا فيـــه تـــوبيخ وتنكيـــل

ولا تغرنـــك الـــدنيا وزخرفهـــا
فكـــل شـــيء ســـوى التقـــوى أباطيـــل

النساء مع رمضان:

إن كل ما يجري للرجال من فضل في العمل في هذا الشهر، هو كذلك للمرأة، فالخطاب شامل لكلا الجنسين، وقد خصهن الله بنوع من الخطاب بقوله: ﴿**وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ**﴾ وإن المرأة لها دور عظيم لا يغفل، ومن غفل دور المرأة في المجتمع عمومًا، وفي رمضان خصوصًا فقد جار في حكمه وقسمته، إلا أنني أذكرك أختي الفاضلة بأمر عظيم ربما تغفلين عنه وتجهلينه، ألا وهو أنك حينما تقضين هذه الساعات الطوال ما بين خدمة الزوج والأولاد والطهي

والإيقاد، والتجهيز والإعداد تقومين بدور عظيم، ومن هذا المنطلق، لا ندعوك إلى ترك واجباتك المنزلية بحجة العبادة الجادة، كلا، ولا ندعوك أيضًا بحجة شرف الزمان بالتقصير الواضح المخل، كلا، ولكننا ندعوك إلى أمر عظيم، يجمع لك بين العمل الصالح وبين إتمام أمورك على أكمل وجه، أمر يسمو بك إلى العَليَا، أتدرين ما هو؟ إنه الاحتساب في كل ما تبذلين لله جل جلاله، فتعملين لا تعملين إلا لله، وتقدمين لا تقدمين إلا لله، فتحسنين النية الصالحة في الإحسان للزوج والأولاد، لا سيما في هذا الشهر الذي تضاعف فيه الحسنات.

وإنني أود أن انتقل معك أختي الفاضلة إلى نموذج من النماذج الرائعة، والصور الوضاءة، لامرأة من نساء المسلمين، إنها أسماء بنت يزيد بن عبد الأشهل، أتت النبي ﷺ لتستفسر عن أمر حار في نفسها، وهو أن الرجال يحضرون مجلسه، ويجاهدون معه، وينفقون في سبيل الله، وأما النساء ففي بيوتهن يخدمن الرجال ويقمن بأعمالهن. فماذا قال لها المصطفى ﷺ؟ قال: «**أخبري من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها يعدل ذلك كله**».

فدلت هذه القصة الرائعة على أن أعمال المرأة لها دور عظيم في تنمية الأجر، ومضاعفة الحسنات إذا أصلحت نيتها لله جل وعلا. واعلمي أن هناك أعمالاً سهلة المنال لك كالذكر، فأوصيك بأن تلازمي الذكر فهو سهل على من سهله الله عليه، فتسبحين وأنت تعملين، وتكبرين وأنت تشرفين، ولعظيم شرفه ذكره سبحانه بقوله: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً**

وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فالزمي الذكر خصوصًا في هذه الأيام الفاضلة.

واحذري أختي الفاضلة أن يمضي شهرك، وهو جزء من عمرك، بين الذهاب والمجيء من سوق لآخر، ومن مناسبة لأخرى، والأسوأ من هذا إن جمعت مع الخروج والولوج طيبًا وعطرًا، ولباسًا كاشفًا، وشكلاً عاريًا، فضللت وأضللت.

واحرصي أختي الفاضلة حال خروجك، ولو لطاعة وقربة كصلاة التراويح – أن تكوني بحال المرأة المسلمة، لا المستسلمة لما يمليه العدو، من زي فاضح وتبرج واضح، واعلمي أن شهرك هو شهر العبادة والاجتهاد.

وإليك أختي الفاضلة فيمن هن قدوة بعد نبي الأمة ﷺ وذلك من الصحابيات ومن حذا حذوهن، لأن النساء فيهن العابدات، والعالمات والصالحات، فهن لسن من كوكب آخر، أو مخلوقات غريبة، كلا، ويدل على ذلك نماذج من العابدات، فتأملي معي أيتها الأخت الفاضلة:

يقول الهيثم بن جماز: (كانت لي امرأة لا تنام بالليل – أي تصلي طوال الليل – وكنت لا أصبر على السهر، فكنت إذا انغمست في النوم ترش علي من الماء، وأنا في أثقل ما أكون من النوم، وتنبهني برجلها، وتقول لي: أما تستحي من الله! إلى كم هذا الغطيط؟ قال الهيثم: فوالله، إن كنت لأستحي مما تصنع. أي: من اجتهادها في العبادة وكسله). (صفة الصفوة لابن الجوزي ج٤).

وانظري أختي الفاضلة إلى هذه العبادة، قال أبو عبد الله البراثي: كانت زوجتي جوهرة توقظني من الليل، وتقول لي: يا أبا عبد الله، قد سارت القافلة. قال: ورأت في منامها خيامًا مضروبة، فقالت لمن هذه الخيام؟ فقيل لها: للمجتهدين بالقرآن. فكانت بعد ذلك لا تنام. (صفوة الصفوة لابن الجوزي ٢/٥٢١).

أختي الفاضلة: هاتان صورتان مشرقتان، وغيرهما كثير، فهل لك أن تقربي من القوم، فتنهلي من حيث نهلوا.

فهذا هو مضمار المنافسة، قد دخل الصالحون في طوره، وبدأ الأبطال في عده، فلمَ تراجعت إلى الوراء؟!

ألست ستحضرين الحساب؟ وستأخذين الكتاب؟ وستقفين في المحشر عارية بلا ثياب؟ وستسألين ويوجه لك العتاب؟ بلى، والله، فادخلي المضمار ونافسي، ولا تقولي سوف وليت، فما أغنت أحدًا من حي، ولا ميت، وتمثلي قول أحدهم:

قم في ظلام الليل وارفع شكاية
إلى الملك الأعلى، وقلبك خاشع
وقل: يا رؤوفًا بالعباد ومحسنًا
ببابك عبد من عبادك خاضع
فكن راحمًا فقري وذلي وحالتي
فعفوك مأمول وفضلك واسع
ووفر نصيبي من عطاياك سيدي
فما زلت تعطي من لبابك قارع

أغث يا عظـــيم الطـــول عبـــدًا محـــاذرًا
يرجـــــوك في الغفـــــران، بـــــالعفو طـــــامع

أخي الفاضل .. أختي الفاضلة:

أحسنوا العمل قبل انتهاء الأجل، والله سنرحل عن الدنيا بلا مال، ولا ولد، ولا أهل، وسينتهي المطاف على عجل، أين أحبابنا، وأصحابنا، وإخواننا، انتهت أيامهم فرحلوا، والله، لنرحلن كما رحلوا، انتهت أعمارهم فانتقلوا، فوالله، لننتقلن كما انتقلوا.

ندموا على التفريط فسنندم.

تجرعوا كأس الموت فسنتجرع.

ذاقوا وحشة القبور فسنتبع.

توقفت عجلة أعمالهم فسنتوقف.

أخي القارئ .. أختي القارئة:

كأني وإياكم بلبن من طين تسقط لبنة من اليمين، وأخرى من الشمال، فلا نعلم متى سنسقط، فأعدوا للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا، واستغلوا اللحظات قبل إخراج الزفرات، والندم والآهات، وأكرموا أنفسكم بإحسان ضيافتها في شهركم: فيا ليت شعري من سيتم شهره ويقبل، ومن ستخطفه المنايا ويرحل، ومن سيتم ويرد فيخذل.

(اللهم، إنا نسألك القبول والسداد والهدى والرشاد، والاستعداد ليوم المعاد، اللهم، بلغنا شهرنا وتقبله منا، واغفر لنا

وتجاوز عنا، واختم بالصالحات أعمالنا، أنت مولانا، فنعم المولى، ونعم النصير».

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بقلم الفقير لعفو ربه القدير:

إبراهيم بن عبد العزيز الجهني

إمام وخطيب جامع الشيخ ابن باز

الرياض – حي الغدير

ص. ب١٢٣٩

الرمز البريدي: ١١٣٤٣

نيل المرام من أحكام الصيام على طريقة السؤال والجواب

بقلم

أحمد بن عبد العزيز الحمدان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن من نعم الله سبحانه وتعالى على أهل الإسلام: أن مَنَّ عليهم بمواسم يكثرون فيها من أداء العبادات، ويتوبون إلى رب الأرض والسموات.

ومن أعظم هذه المواسم: شهر رمضان المبارك، الشهر الذي أُنزل فيه القرآن، الشهر الذي تُفَتَّحُ فيه أبوب الجنان وتُغَلَّقُ فيه أبواب النيران، وتُصَفَّد فيه الشياطين ومردة الجان، ويُنادي فيه: يا باغي الخير أقبلْ ويا باغي الشر أقصرْ ويعتق الله فيه رقاب كثير من خلقه من النار.

في هذا الشهر العظيم يقبل المسلمون على الله عز وجل بالصلاة والزكاة، والصيام والصدقة، وتلاوة القرآن والمحافظة على أداء الصلوات في الجماعات، والإكثار من فعل الطاعات، والكف عن كثير من المحرمات، وتجد فيهم من حب فعل الخير الكثير، ومن حسن الخلق، ولين الجانب وخفض جناح بعضهم لبعض ما لا تجده في غيره من الشهور.

كل هذا الإقبال على مختلف أنواع العبادات يجعلهم في حاجة ماسة إلى معرفة طرق أدائها وما يحل فعله وما يحرم فيها، فيكثرون

من طرح الأسئلة على المشايخ وطلبة العلم.

وقد كانت سهام مثل هذه الأسئلة تصوب نحو طويلب العلم، كاتب هذه السطور منذ ثمان سنوات تقريبًا في رمضان، وقبله وبعده فكان يُعد خطبتي الجمعة السابقة لشهر رمضان من كل سنة في أحكام الصيام.

وقد طُلب مني أكثر من مرة نشر هذه الأحكام، حتى تعم فائدتها، فكنت أُحْجمُ إلى أن رأيت إقبال للمسلمين على كتب الجيب الصغيرة، التي يحوي بعضها علمًا طيبًا صيغ بعبارات سهلة ميسورة وبترتيب قريب المنال، لا إطالة فيه ولا إملال، فَوَجَدَتْ فكرةُ نشر هذه الأحكام في كتيب كهذه قبولا عندي قبل سنتين خاصة وأن كثيرًا من المسلمين بحاجة ماسة إلى تقريب أحكام الشرع إليهم ليطبقوها.

فاستعنت بالله، واستخرته في إخراج ما تجمع لدي من أحكام يكثر السؤال عنها، وكتبتها كما أُلقيتْ علي بطريقة السؤال والجواب، إلا أني صغتها صياغة سهل في ظني وأضفت إليها بعض ما أراه مهمًا.

وقد استخرجت هذه الأحكام ونسبتها إلى من قال بها، وما اختُلف فيه منها وما أُجْمعَ عليه من كتب فقه الخلاف المعتمدة[1] التي

(1) الإقناع لابن المنذر (١/١٠٨-١١٠، ١٨٠-١٨٤، ١٩٠-٢٠١) والإجماع له (٥٢-٥٤) والمبسوط للسرخسي (٢/٣٧، ٤٢)(٣/٥٤، ١٤٦) والإفصاح لابن هبيرة (١/١٦٨-١٧٣، ٢٢٠-٢٢٣) (٢٣٢-٢٦١) وبداية المجتهد لابن رشد =

قرأت فيها كتب: العيدين، وزكاة الفطر، والصيام، والاعتكاف حيث أن أحكام هذه العبادات هي التي يكثر السؤال عنها في هذا الشهر.

وقد حرصت على تخريج الأحاديث والآثار التي أذكرها في هذه الرسالة، حتى يكون القارئ على علم بالدليل وصحته، واستعنت في معرفة صحتها بما قاله أئمة الحديث عنها، وبكتب التخريج المعتمدة [1] وما ذكرت في هذه الرسالة من أحكام راجعت فيها أهل العلم، حتى أكون على ثقة بما أذكره فيه، وحرصت في الغالب على عز وكل حكم إلى من تبناه من الأئمة، حتى يكون القارئ على دراية بما هو مجمع عليه، وما هو مختلف فيه.

هذا واسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ينفعني وإياك أخي المسلم بما في هذه الرسالة وأن يوفقنا للعمل بكل خير، وأن يجنبنا أسباب سخطه، وأن يستر عيوبنا، ويرحمنا رحمة من عنده وأن يغفر لنا، ولوالدينا ولمشايخنا ولكل من له حق علينا، ولجميع المسلمين تحريرًا في ١٤١٠/٩/١٥ هـ

وكتب

أحمد بن عبد العزيز الحمدان

=

(١٥٧/١-١٦١، ٢٠٣-٢٣٢) والمغني لابن قدامة (٢٢٣/٢-٢٥٩، ٦٤٥-٦٩٩) (٢/٣-١٥٨) والمجموع للنووي (٢/٥-٤٢) (١٠٣/٦-١٤٤) (٢٤٧-٥٤٢) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٨/٢٥-٧٨، ٩٨-٣٣٢) والبناية شرح الهداية للعيني (٨٤٩/٢-٨٧٩) (٢٣٠/٣-٤٢٤).

(1) تحفة الطالب لابن كثير، وتحفة المحتاج لابن الملقن، ونصب الراية للزيلعي، والتلخيص الحبير والدراية تخريج الهداية كلاهما لابن حجر.

تعريف الصوم

س: ما معنى الصيام في اللغة وفي الشرع؟

ج: الصيام في اللغة: الإمساك عن الشيء، والترك له، وقيل للصائم، صائم، لإمساكه عن المطعم والمشرب والمنكح، وقيل للصامت، صائم لإمساكه عن الكلام، وقيل للفرس: صائم لإمساكه عن العلف مع قيام.

والصيام في الشرع: إمساك بنية عن أشياء مخصوصة (من أكل وشرب وجماع وغيرها) من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، من شخص مخصوص (وهو المسلم البالغ، العاقل، القادر المقيم، غير الحائض والنفساء، فلا يتحتم الصوم مع قيام العذر، بل يجب القضاء مع زواله، كما سيأتي إن شاء الله).

الفجر الأول والثاني

س: ذَكَرْتَ في التعريف (الفجر الثاني) فهل هناك فجر أول، وما الفرق بينهما؟

ج: نعم الفجر فجران، فجر أول: ويسمى الكاذب، ويعرف هذا الفجر ببياضه الدقيق العمودي من جهة المشرق، كأنه ذنب السرحان وهو الذئب وهذا الفجر لا يتعلق به حكم شرعي، إذ هو جزء من الليل، فلا يدخل به وقت الصلاة ولا يحرم الأكل والشرب لمن أراد الصوم.

أما الفجر الثاني: ويسمى الصادق، ويعرف ببياضه المستطير المنتشر في الأفق، وهذا الفجر هو الفاصل بين الليل والنهار، و بياضه هو المراد بقوله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ [البقرة: ١٨٧] فإذا طلع الفجر الثاني دخل وقت صلاة الفجر، ووجب على الصائم الإمساك. قال رسول الله ﷺ: «**الفجر فجران، فجر يطلعه بليل، يحل فيه الطعام والشراب، ولا يحل فيه الصلاة**[١] **وفجر يحل فيه الصلاة ويحرم فيه الطعام والشراب، وهو الذي ينتشر على رءوس الجبال** »[٢] .

أصل اسم شهر رمضان

س: لماذا سمي شهر الصيام بشهر رمضان؟

ج: قيل: لما نقل العرب أسماء الشهور عن اللغة القديمة (لغة ثمود) سموها بالأزمنة التي هي فيها، فوافق رمضان أيام رَمَض الحر و شدته فسمي: رمضان.

---

(١) أي لا يدخل به وقت الصلاة.

(٢) رواه ابن خزيمة (١٨٤/١) والدارقطني (٢١٠/٣) والبيهقي (٣٧٧/١، ٤٥٧) والحاكم (١٩١/١) وقال: صحيح على شرط الشيخين في عدالة الرواة، ولم يخرجاه، و وافقه الذهبي وصححه السيوطي وله شاهد من حديث جابر وثوبان رضي الله عنهما.

بعض فضائل شهر رمضان

س: هلا ذكرت لنا بعض فضائل شهر رمضان؟

ج: نعم، شهر رمضان شهر مبارك، فهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقد كان نزول القرآن في ليلة مباركة عظيمة، قال تعالى: ﴿**حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**﴾ [الدخان: ١-٥].

هذه الليلة هي ليلة القدر، التي قال عنها تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ [القدر].

وهاك بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ قال: «**كل عمل ابن آدم له يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف**» قال الله تعالى: «إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به[1] يدع شهوته

---

(1) قال أبو عبيد: إنما خص الله تبارك وتعالى الصوم بأنه له، وهو يجزي به، وإن كانت أعمال البر كلها له، وهو يجزي بها لأن الصوم ليس يظهر من ابن آدم بلسان ولا فعل فتكتبه الحفظة، إنما هو نية في القلب، وإمساك عن حركة المطعم والمشرب، يقول الله تعالى: فأنا أتولى جزاءه على ما أحب من التضعيف، وليس =

وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، لَخُلُوف فيه(١) أطيب عند الله من ريح المسك. وفي رواية: «**الصوم جُنَّة** (٢) **فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث** (٣) **ولا يسخب** (٤) **فإن سابه أحد، أو قاتله فليقل: إني صائم**»(٥) .

وقال ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»(٦) .

وقال ﷺ: «**الصيام والقرآن: يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه**» قال: «**فيشفعان**»(٧) .

على كتاب كتب له، وقال ابن رجب الحنبلي: إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافًا كثيرة بغير عدد فإن الصيام من الصبر، وقد قال الله تعالى: { **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** } ولهذا ورد عن النبي ص أنه سمى شهر رمضان: شهر الصبر.

(١) أي رائحة فمه المتغيرة.

(٢) أي وقاية تقي صاحبها مما يؤديه، والمراد أنه يقي صاحبه بدعوته إلى الطاعة والكف عن المعصية.

(٣) الرفث: الكلام القبيح الفاحش.

(٤) السخب: الصياح.

(٥) رواه البخاري (١١٨/٤) ومسلم (٣١/٨).

(٦) رواه مسلم (١١٧/٣).

(٧) رواه الإمام أحمد (١٧٤/٢) والبيهقي في الشعب (٥٥٩/٤) والطبراني وقال الهيثمي (١٨١/٣) رجال الطبراني رجال الصحيح، وحسن إسناد أحمد في (٣٨١/١٠) والحاكم (٥٥٤/١) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه السيوطي.

وقال ﷺ: «**إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين**»(١) .

وقال ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا (٢) واحتسابًا (٣) غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٤) .

وقال ﷺ: «**إن في الجنة بابًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد**»(٥).

وقال أبو أمامة رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله مرني بأمر آخذه عنك قال: «**عليك بالصوم فإنه لا مثل له**» فكان أبو أمامة لا يُلْقَى إلا صائمًا هو وامرأته وخادمه، فإذا رُئي في داره دخان بالنهار قيل: اعتراهم ضيف، نزل بهم نازل (٦).

---

(١) رواه البخاري (١١٢/٤) ومسلم (١٨٧/٧).

(٢) إيمانًا : معتقدًا فرضيته من عند الله.

(٣) احتسابًا: طلبًا للثواب من عند الله وحده، طيبة بذلك نفسه، غير مستثقل للصوم، ولا مستطيل لأيامه.

(٤) رواه البخاري (١١٥/٤) ومسلم (٤٠/٦).

(٥) رواه البخاري (١١١/٤) ومسلم (٣٢/٨).

(٦) رواه الإمام أحمد (٢٤٩/٥) والنسائي (١٦٥/٤) وابن خزيمة (١٩٤/٣) وابن حبان (١٨٠/٥) والبيهقي (٣٠١/٤) وقال الحافظ في الفتح إسناده صحيح.

شروط وجوب الصوم

س: ما الشروط التي يجب أن تتوفر في الإنسان حتى يفرض عليه الصوم؟

ج: ١- أن يكون مسلمًا: لأن الكافر لا تقبل منه عبادة ما دام متلبسًا بالكفر.

٢- أن يكون بالغًا: وكذلك كل عبادة لا تفرض على المسلم حتى يبلغ.

٣- أن يكون عاقلاً: لأن فاقد العقل ليس مناطًا للتكليف، ودليل هذا الشرط والشرط الذي قبله قوله ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل**»[1] .

٤- أن يكون قادرًا: لأن الله لا يكلف عباده ما لا يطيقون قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٥- أن يكون مقيمًا: فالمسافر يجوز له الفطر إلا أنه يقضي بعد ذلك قال تعالى: ﴿**وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

(1) رواه الإمام أحمد (١٠٠/٦) وأبو داود (٧٢/٢) والنسائي (١٥٦/٦) وابن ماجه (٦٥٨/١) والدارمي (١٧١/١) وابن حبان (١٧٨) والبيهقي (٨٤/٦) والحاكم (٥٩/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وصححه السيوطي.

٦- الخلو من الموانع: من حيض ونفاس، فلا يجوز للحائض والنفساء الصوم، إلا أهما تقضيان إذا زال عذرهما.

ما يقال عند رؤية الهلال

س: ماذا يقول من رأي الهلال؟

ج: يشرع للمسلم أن يقول عند رؤية الهلال كما كان يقول رسول الله ﷺ: «**اللهم أهله علينا باليمن**[١] **والإيمان، والسلامة والإسلام**[٢] **ربي وربك الله**»[٣].

بدء الصوم في بلد وإكماله في آخر

س: إذا بدأت صومي في السعودية، ثم سافرت إلى الخارج أثناء الشهر، ووجدت المسلمين في البلد التي سافرت إليها قد صاموا في غير اليوم الذي صام الناس فيه في السعودية، ثم أفطروا في غير اليوم، الذي أفطر الناس فيه في السعودية، فكيف أفعل؟

ج: عليك أن تفطر مع من أدرك عيد الفطر وأنت في بلدهم،

(١) اليمن: البركة.

(٢) عبر بالإيمان والإسلام دلالة على أن هاتين النعمتين شاملتان للنعم، محتويتان على المنافع بأسرها.

(٣) عن طلحة رضي الله عنه: رواه الإمام أحمد (١/ ١٦٢) وعبد بن حميد المنتخب (٦٥) والدارمي (٢/٤) وأبو يعلي (٢/٢٥) والحاكم (٤/٢٨٥) والترمذي (٩/٤١٣) وقال: حسن غريب، وصححه السيوطي، وللحديث شواهد كثيرة مرسلة وموصولة يقوي بعضها بعضًا عن علي وعبادة ورافع وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم.

إذا كان مجموع الأيام من أول صومك إلى آخر تسعة وعشرين يومًا أو أكثر، حتى لو زاد عن ثلاثين يومًا لقوله ﷺ: «**الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون**»[(١)] أي: يجب عليك أن تصوم، وتفطر وتضحي مع المسلمين الذين أدركك الصوم، أو الفطر، أو الأضحى في بلدهم، إلا إذا كان مجموع الأيام من بداية صومك إلى آخره أقل من تسعة وعشرين يومًا فإنك لا تفطر مع الناس، بل تكمل الصيام حتى تصوم تسعة وعشرين يومًا، ثم تفطر وحدك، لأن الشهر القمري لا ينقص بأي حال عن تسعة وعشرين يومًا قال ﷺ: «**الشهر يكون تسعة وعشرين ويكون ثلاثين**»[(٢)].

حكم النية في الصوم

س: ما حكم النية في الصوم، وما صفتها وما وقتها؟

ج: النية شرط لكل عبادة، والله عز وجل لا يقبل عبادة بدون نية خالصة له سبحانه قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة: ٥] وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٢/٣) وقال غريب حسن وعبد الرزاق (١٥٦/٤) ورواه أبو داود ومختصر (٤٤١/٦) وابن ماجه (٥٣١/١).
(٢) رواه النسائي (١٣٩/٤) وهو في الصحيحين بمعناه.
(٣) رواه البخاري (٩/١) ومسلم (٥٣/١٣).

والصوم عبادة من العبادات المحضة، لذلك لا بد له من نية.

والنية: عزم القلب على فعل الشيء، فمتى قصد الإنسان شيئًا فقد نواه، لذلك كان مكان النية القلب، والنية المطلوبة من المسلم في الصوم، معرفة أن غدًا من رمضان، وأنه إن شاء الله صائم، هذه هي النية المطلوبة، أما ما يفعله بعض الناس من التلفظ بقولهم: اللهم إني نويت أن أصوم غدًا فرضي من يوم كذا، من رمضان.. إلخ فهذا لا أصل له.

أما وقت النية: فمن أول الليل إلى طلوع الفجر الثاني، فمتى نوى الصيام في أي جزء من أجزاء الليل صحت نيته، قال ﷺ: «**من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له**»[1] وقال ﷺ: «**من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له**»[2].

عدم العلم بدخول الشهر

س: إذا تأخر الإعلان عن دخول شهر رمضان ولم أعلم به إلا بعد طلوع الفجر فما الحكم؟

(١) عن حفصة رضي الله عنها: رواه الإمامان مالك (١/٢٨٨) وأحمد (٦/٢٨٧) وأبو داود (٧/١٢٢) والترمذي (٣/٤٢٦) والنسائي (٤/١٩٦) وابن ماجه (١/٥٤٢) وابن أبي شيبة (٣/٣٢) والدارمي (٢/٧) وابن خزيمة (٣/٢١٢) والطحاوي (٢/٥٤) والدارقطني (٢/١٧٢) والبيهقي (٤/٢٠٢) وصححه الدارقطني والخطابي والبيهقي والنووي وحسنه السيوطي وقال ابن كثير: إسناده حسن جيد.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها: رواه الدارقطني (٢/١٧٢) وقال: رواته كلهم ثقات، وأقره البيهقي (٤/٢٠٣) وحسنه السيوطي.

ج: إذا لم تعلم بدخول شهر رمضان إلا بعد طلوع الفجر الثاني فعليك أن تمسك بمجرد أن تعلم به عن جميع المفطرات، لأن المسلم البالغ العاقل القادر الخالي من الموانع لا يجوز له أن يتناول مفطرًا في نهار رمضان، إلا أن صوم هذا اليوم لا يجزئ عن صيام أول يوم من رمضان لأنك لم تبيت النية من الليل، وقد قال ﷺ: «**من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له**»[١] فعليك أن تقضي يومًا مكانه[٢].

إبطال النية

س: رجل صائم وفي أثناء النهار نوى الإفطار، وقبل أن يأكل عاد إلى نفسه فأنبها وكف عن الأكل، وأكمل صومه، فهل صومه صحيح، وما يلزمه إن لم يكن صحيحًا؟

ج: ذكرنا قبل سؤال: أن النية شرط من شروط الصيام وأن إفساد هذا الشرط يفسد الصيام، واستصحاب حكم النية واجب في جميع أجزاء النهار واستصحاب حكم النية بأن لا ينوي الإفطار فمتى نوى الإفطار أفسد النية، ومن أفسد نيته أفسد صومه، سواء تناول مفطرًا أم لا، لذلك فإن هذا الرجل قد أفسد صومه، وعليه أن يتوب إلى الله عز وجل، ثم يقضي يومًا مكان هذا اليوم الذي أفسده.

---

(١) مضى قريبًا.
(٢) وهو قول عامة الفقهاء، ذكره ابن عبد البر وابن قدامة.

صوم الصبيان

س: متى يؤمر الصبي بالصوم، هل يُترك حتى يبلغ أم يُجبر عليه وهو صغير؟

ج: لا شك أن واجب الآباء نحو الأبناء عظيم نسأل الله تعالى أن يعينهم عليه، وهذا الواجب أمانة من الأمانات التي تحملها الإنسان، وسيسأله الله عنها، فمن قام بها على الوجه الذي يرضي الله فاز، ومن فرط فيها خسر في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ**﴾ [النساء: ١١]، وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦] لذلك كان على المسلم أن يحرص على تربية أبنائه تربية صحيحة، مطبقًا فيها أوامر الله ورسوله في كل شيء، ومن ذلك إلزامهم وتدريبهم على أداء العبادات، متى أطاقوا أداءها.

والصيام عبادة من العبادات التي تحتاج إلى صبر ومجاهدة، لذلك فإنه ينبغي تربية الأبناء على أدائها، حتى تسهل عليهم إذا كبروا.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على صوم أبنائهم الصغار، وأقرهم على ذلك رسول الله ﷺ فعن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: فكنا بعد ذلك نصومه، ونصوّم صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد، فنجعل لهم اللعبة من العهن(١)

(١) الصوف، وقيل: المصبوغ منه.

فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياها، حتى يكون عند الإفطار، وفي رواية: فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة نلهيهم، حتى يتموا صومهم [١].

فمن كان له ابن دون البلوغ مطيق للصوم فعليه أن يلزمه به حتى يتعوده، وإن لم يكن واجبًا عليه بعد، لأن رسول الله ﷺ أمرنا أن نلزمهم بأداءِ العبادة متى عقلوها، وأطاقوا فعلها فعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[٢] فهذا أمر لنا بأن نلزمهم بالصلاة، بل ونضربهم عليها قبل البلوغ، حتى يتعودوا أداءها فلا تثقل عليهم إذا بلغوا، وكذلك الصوم.

أما أن نترك الصغير لا نأمره بصلاة ولا صيام حتى يبلغ ويشتد عوده على عدم أداء العبادات، ثم نأمره بها وهو كبير؟ لا شك أنه حينئذ لن يستجيب لنا، ولن يلق بالا لحديثنا، ونكون حينئذ كمن يريد أن يجني من الشوك العنب.

أما ما يظنه بعض الآباء هداهم الله أن عدم إلزام الصبي بالعبادة من باب الشفقة والرحمة فهو خطأ، لأن من كان شفيقًا رحيمًا بابنه حقًا فعليه أن يبعده عن طريق النار، ويلزمه الأخذ بطريق الجنة، وإن كان في ذلك نوع من القسوة عليه في الظاهر لكنه سيحمد عاقبتها،

---

(١) رواه البخاري (٢٠٠/٤) ومسلم (١٣/٨).
(٢) رواه الإمام أحمد (١٨٠/٢) وأبو داود (١٦٢/٢) والدارقطني (٢٣٠/١) والحاكم (١٩٧/١) والبيهقي (٢٢٩/٢) والبغوي (٤٠٦/٢) وصححه السيوطي.

وفي الصباح يحمد القوم السري.

لذلك أوصي الآباء بالحرص على تحبيب أداء العبادات إلى أبنائهم وإلزامهم بها متى أطاقوها، عن طريق الترغيب تارة، والترهيب أخرى والله الموفق.

أَفْطَرَتْ بعد البلوغ جاهلة

س: فتاة حاضت وهي في الحادية عشرة من عمرها، إلا أن أهلها تساهلوا في أمرها، وظنوها صغيرة فلم يلزموها بالصيام، حتى بلغت الخامسة عشرة، وهي الآن تريد معرفة حكم ما أفطرته من السنوات الأربع.

ج: هذا من تفريط أهلها هداهم الله وغفر لهم، وهذا الخطأ مبني على الخطأ في السؤال السابق، وهو التفريط في حق الأبناء في تربيتهم على أداء العبادات.

وما دام أنها قد حاضت وهي في الحادية عشرة، فهذا يعني أنها قد بلغت في تلك السنة، فالحيض إحدى علامات البلوغ [١] وجرى عليها القلم، ووجب عليها القيام بجميع فرائض الإسلام، من صلاة، وصيام، وحج، والسنوات الأربع التي أفطرتها بعد بلوغها يلزمها أن تقضيها.

---

(١) ومنها في الذكر: الاحتلام والإنزال والقدرة على الإحبال ، وفي الأنثى: الحيض، والاحتلام، ورؤية الماء، وإمكان حبلها وهناك علامات ثانوية، منها: إنبات شعر العانة الغليظ وشعر الإبطين فيهما، وفي الفتى: إنبات شعر العارضين والشارب، وفي الفتاة: بروز الثديين، وإذا لم يظهر شيء من هذه العلامات حكم بالبلوغ إذا بلغ الفتى أو الفتاة الخامسة عشرة.

أسلم في شهر رمضان

س: إذا أسلم كافر في شهر رمضان فهل يلزمه صوم الشهر أم لا؟

ج: إذا أسلم الكافر في شهر رمضان وجب عليه صوم ما يستقبله من أيام الشهر، من اليوم الذي أسلم فيه إلى آخر الشهر[١] أما الأيام التي مضت قبل إسلامه من الشهر نفسه، فلا يجب عليه قضاؤها [٢]، لأن الأيام التي سبقت إسلامه كانت في حال كفره، مثلها كمثل ما سبق من رمضانات، وإذا كان إسلامه بالنهار وجب عليه أن يمسك بقية اليوم ويقضيه بعد رمضان، لأنه أدرك بإسلامه جزء من العبادة فلزمته، كما لو أدرك جزء من وقت الصلاة.

حكم الحائض والنفساء

س: ماذا يجب على المرأة إذا حاضت أو نفست في شهر رمضان؟

ج: المرأة إذا حاضت أو نفست في شهر رمضان لم يجز لها أن تصوم، ولو صامت ما قُبل صومُها لذلك يجب عليها أن تفطر، ولا فدية عليها لكن يلزمها أن تقضي ما أفطرته من أيام [٣] قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كنا يصيبنا ذلك، أي الحيض فنؤمر

---

(١) إجماعًا ذكره ابن قدامة.
(٢) وهو قول جمهور العلماء ومنهم: الأئمة الأربعة.
(٣) إجماعًا ذكره ابن جرير وابن المنذر وابن رشد والنووي وابن تيمية والعيني.

بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة [1].

الطهر قبل الفجر أو بعده

س: إذا طهرت المرأة من حيضها قبل الفجر الثاني بوقت قصير، ولم تتمكن من الاغتسال إلا بعد طلوع الفجر، فهل تصوم ذلك اليوم أم تقضيه؟

ج: ما دام أن حيضها قد انقطع قبل الفجر الثاني فإن الصوم واجب عليها، وإن لم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر الثاني، وصومها صحيح، ولا قضاء عليها [2].

أما إذا لم ينقطع حيضها إلا بعد طلوع الفجر الثاني فإن صومها في ذلك اليوم لا يصح، ولو نزل عليها دم الحيض وهي صائمة في أي وقت من أوقات النهار ولو قبل الغروب بلحظة بطل صومها ووجب عليها القضاء.

دواء منع العادة

س: ما حكم تعاطي المرأة دواء تمنع به نزول العادة حتى تكمل صوم شهر رمضان؟

ج: لا بأس بتعاطي المرأة هذا الدواء بشرط أن يكون تعاطيه بالليل، وأن يكون باستشارة طبيب مسلم ثقة، حتى لا يضرها هذا

---

(١) رواه البخاري (٤٢٠/١) ومسلم (٢٨/٤).

(٢) إجماعًا. ذكره النووي.

الدواء، وإن كان الأولى عدم تعاطيه، لأنه قد ثبت بالتجربة، وبأقوال الأطباء أنفسهم أن كثيرًا من هذه الأدوية لا تخلو من أضرار جانبية، قد تؤثر على المرأة عاجلاً أو آجلاً.

هل تحيض الحامل

س: امرأة حامل، وفي يوم من أيام رمضان نزل عليها دم، واستمر أيامًا ثم انقطع فماذا تفعل؟

ج: الحامل لا تحيض، ولعل هذا الدم دم فساد، لا يؤثر على صومها وصلاتها، لذلك فإن عليها أن تغسل موضع الدم بعد دخول وقت كل صلاة ثم تتحفظ وتصلي، وصومها صحيح إن شاء الله، ولا شيء عليها.

الحامل والمرضع

س: هل يجوز للحامل أن تفطر إذا خافت على نفسها، أو على جنينها؟

ج: يجوز للحامل أن تفطر إذا خافت على نفسها، ولا إطعام عليها، إلا أنه يلزمها أن تقضي ما أفطرته[1] .

وإذا خافت على جنينها فقط جاز لها أن تفطر، وعليها أن تطعم مسكينًا عن كل يوم، وتقضي ما أفطرته.

---

(1) قال ابن قدامة: لا نعلم فيه بين أهل العلم اختلافًا.

والمرضع كالحامل في الحكم.

والمرضع والحامل كالمسافر في وجوب القضاء، ولا يعرف في الشريعة إسقاط القضاء عن المستطيع، والحامل والمرضع من المستطيعين بعد زوال عذرهما، فهما في الحكم كالمسافر يقضيان بعد زوال العذر، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحبلى والمرضع**»(١).

مقدار الفدية

س: ذكرت في السؤال السابق الفدية، فما مقدارها؟ وهل يجوز دفعها نقدًا؟

ج: الفدية: طعام يدفع إلى المساكين، ومقدارها: مد من بر، والمد: ملء كفي رجل معتدل الكفين، وإذا كانت غير بر فإن الواجب منها حينئذ مدين اثنين.

أما كيف توزع: فالأفضل أن يعطي كل مسكين ما يستحقه من طعام (٢) ولا بأس أن يصنع طعامًا بقدر ما يستحقه كل واحد منهم، ثم يغديهم أو يعشيهم بالقدر الواجب، وقد أطعم أنس بن مالك رضي الله عنه بعد ما كبر عامًا أو عامين، كل يوم مسكينًا

(١) رواه الإمام أحمد (٣٤٧/٤) (٢٩/٥) وأبو داود (٤٥/٧) والترمذي (٤٠١/٣) والنسائي (١٩٠/٤) وابن ماجه (٥٣٣/١) وعبد الرزاق (٢١٧/٤) وعبد بن حميد (١٦٠) وابن خزيمة (٢٦٧/٣) والبيهقي (١٥٤/٣) (٢٣١/٤) والحديث صححه ابن خزيمة وحسنه الترمذي وأقره المنذري وسكت عنه أبو داود.

(٢) وغالب طعام أهل هذه البلاد الأرز.

خبزًا ولحمًا [١].

أما دفع النقود بدل الإطعام فلا يجزئ بل لا بد من الإطعام، لأن الله عز وجل أمر بالإطعام فقال: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤] فجعل الله الإطعام معادلاً للصيام، فتعين أن يكون بدلا منه.

إعطاء ستة مساكين ما يستحقه عشرة

س: إذا كان على مسلم فدية إطعام عشرة مساكين، بسبب مرضه، أو سنه، أو كون المرأة حاملا أو مرضعًا خافت على جنينها فوجد ستة مساكين، وأعطاهم ما يستحقه العشرة، فهل يجزؤه ذلك أم لا بد من إطعام عشرة مساكين؟

ج: من كان عليه طعام عشرة مساكين فالواجب عليه أن يطعم عشرة، فإن وجد ستة أعطاهم طعام ستة مساكين، وبحث عن أربعة آخرين يعطيهم الباقي، ولا يجوز له أن يدفع طعام العشرة إلى ستة.

نفساء طهرت قبل تمام الأربعين

س: امرأة وضعت قبل رمضان بأيام، وطهرت من نفاسها بعد عشرة أيام من دخول رمضان، فهل يلزمها أن تكمل أربعين يومًا، أم تغتسل وتصوم؟

ج: ليس لأقل النفاس وقت، فقد ينقطع الدم بعد الولادة

(١) رواه البخاري تعليقًا (١٧٩/٨) وصله عبد الرزاق (٢٢٠/٤).

مباشرة، وقد ينقطع بعدها بيوم أو عشرة أو أكثر، فعلى المرأة أن تغتسل إذا انقطع الدم، وتصلي وتصوم، لكن لو زاد الدم أكثر من أربعين يومًا فعليها أن تنظر هل هو وقت حيضها أم لا؟ فإن كان وقتها حيضها انتظرت حتى تطهر من الحيض، وإن لم يكن وقت حيضها فإنه دم فساد عليها أن تغتسل منه بعد الأربعين. وتتحفظ وتصلي وتصوم، وإن كان الدم ينزل قال الترمذي: أجمع أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم على أن النفساء تدع الصلاة أربعين يومًا إلا أن ترى الطهر قبل ذلك فتغتسل وتصلي.

حكم كبير السن

س: رجل كبير في السن، لا يستطيع الصوم لسنه، كيف يفعل؟

ج: الشيخ الكبير إذا كان الصوم يجهده ويشق عليه مشقة شديدة جاز له أن يفطر [(١)] ويلزمه أن يطعم عن كل يوم يفطره مسكينًا [(٢)] قال الله تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة[(٣)].

---

(١) إجماعًا، ذكره ابن المنذر وابن رشد والنووي.
(٢) وهو قول الجمهور الأحناف والحنابلة والشافعية في أصح القولين.
(٣) رواه البخاري (٨/١٨٠).

المرض المزمن

س: رجل مريض مرضًا مزمنًا، وقد قرر الأطباء أنهم لا يعرفون له دواء، وهو لا يستطيع الصوم بسبب هذا المرض فكيف يفعل؟

ج: المريض مرضًا لا يجرى برؤه له أن يفطر، ويطعم مسكينًا عن كل يوم يفطره قال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج: ٧٨].

المرض الطارئ

س: شخص أصيب بمرض، ودخل عليه شهر رمضان وهو لا يستطيع الصوم فأفطر، فما الواجب عليه: هل يقضي ما أفطره من رمضان بعد أن يشفى أم تلزمه الفدية؟

ج: المريض إذا كان مرضه مرضًا طارئ يرجى برؤه يزول بعد مدة من الزمن، ودخل عليه رمضان وهو لا يستطيع الصوم فله أن يفطر ولا فدية عليه إلا أنه ينتظر حتى يشفيه الله، ثم يقضي الأيام التي أفطرها من رمضان لقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٤].

المرض المبيح للفطر

س: ما المرض المبيح للفطر في رمضان؟

ج: هو المرض الشديد، الذي يزيد بالصوم، أو يخشى تباطؤ

برئه بسببه، أما المرض الخفيف من ألم ضرس، وصداع، وسعال ونحوها من أمراض فلا يجوز الفطر بسببها.

المصاب بالربو

س: امرأة مصابة بالربو، وتستعمل البخاخ فهل صومها صحيح؟

ج: ذكر بعض الأطباء أن (البخاخ) هذا: غاز مضغوط كالأكسجين المضغوط، وأنه عندما يدخل الفم يدخل غازًا كالهواء مندفعًا بقوة نحو الشعب الهوائية في الصدر فيوسعها لتنتهي الأزمة، فإذا كان ما ذكروه صحيحًا فـ (البخاخ) ليس بطعام، ولا في معناه، بل ولا يصل إلى المناطق التي يصل إليها الطعام، لذلك فإنه لا باس باستخدامه للصائم إن شاء الله تعالى.

مات قبل القضاء

س: رجل مرض ولم يستطع الصوم فأفطر في رمضان إلا أنه مات قبل أن يتمكن من القضاء، فهل يلزمه شيء؟

ج: إن كان مرضه الذي أصيب به مرض يرجى برؤه فلا يلزمه شيء، لأنه لم يفرط، ووافاه أجله قبل أن يتمكن من قضاء الصوم قال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦]، وقال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦] لكن إن كان مرضه قد قرر الأطباء أنه لا يرجى برؤه، وأنه وإن عاش فلن يستطيع القضاء فهذا حكمه حكم الشيخ الهرم، عليه أن يطعم عن

كل يوم يفطره مسكينًا، أو يفعل ذلك وليه إن مات قبل أن يتمكن من الإطعام .

المريض إذا فرط في القضاء حتى مات

س: رجل مرض ولم يستطع الصوم فأفطر في رمضان ثم شفي من مرضه، إلا أنه فرط في قضاء الصوم الذي عليه حتى مات فما الحكم؟

ج: على وليه أن يطعم عنه عن كل يوم أفطره مسكينًا.

المريض إذا لم يفرط وأدركه رمضان آخر

س: ما حكم من أفطر أيامًا من رمضان بسبب مرضه، ولم يستطع القضاء حتى أدركه رمضان آخر؟

ج: من أفطر في رمضان لعذر من مرض أو سفر، أو حيض أو نفاس، أو حمل أو إرضاع ولم يتمكن من القضاء حتى أدركه رمضان آخر لعذر مشروع فيه الفطر، فإنه يصوم شهر رمضان الذي أدركه، ثم يقضي ما أفطره، ولا فدية عليه(١) .

المريض إذا فرط وأدركه رمضان آخر

س: ما حكم من أفطر أيامًا من رمضان بسبب مرضه، ولم يقض ما عليه من صوم تكاسلا وتهاونا حتى أدركه رمضان آخر؟

---

(١) عند عامة أهل العلم.

ج: من أفطر في رمضان لعذر من مرض أو سفر، أو حيض أو نفاس، أو حمل أو إرضاع ولم يقض تكاسلا وتهاونًا حتى أدركه رمضان آخر فهو مسيء، وعليه أن يتوب إلى الله عز وجل. ويقضي ما أ فطره ويكفر عن فعله هذا إطعام مسكين عن كل يوم أفطره.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: يصوم الذي أدركه أي رمضان الذي أدركه ثم يصوم الذي أفطر فيه، ويطعم مكان كل يوم مسكينًا(١) وكذلك قال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم(٢).

صاحب النذر يموت

س: مسلم نذر أن يصوم شهرًا لله عز وجل، إلا أنه مات قبل أن يتمكن من الوفاء بنذره، فهل على وليه شيء؟

ج: من مات وعليه نذر صوم فعلى وليه أن يصوم عنه، فقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت، وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها؟ قال: «**أرأيت لو كان على أمك دين فقضيتيه أكان يؤدي ذلك عنها؟**» قالت: نعم، قال: «**فصومي عن أمك**»(٣).

---

(١)

(٢) رواه الدارقطني (٢/١٩٦، ١٩٧) وقال: إسناده صحيح، وانظر مصنف عبد الرزاق (٤/٢٣٤).

(٣) وهو قول الجمهور، ومنهم: الإمام مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله. رواه مسلم (٨/٢٤).

متى يقضي وكيف؟

س: إذا كان على شخص قضاء أيام من رمضان أفطرها، فمتى يقضيها، وهل يلزمه أن يصومها متتابعة، أم يجوز له أن يفرقها؟

ج: إذا كان على شخص قضاء أيام من رمضان أفطرها فإنه يجوز له أن يقضيها في أي شهر من شهور السنة، من شوال إلى شعبان، إلا أنه لا يصوم يومي عيد الفطر والأضحى، ولا يصوم أيام التشريق [(١)] لأنها أيام أكل وشرب، إلا أنه يستحب له أن يبادر بقضائها، لأن ذلك أسرع في إبراء الذمة ويمكنه من صيام الأيام المستحب صومها إن شاء ذلك، إلا إذا كان الصوم يشق عليه بعد رمضان مباشرة، أو لديه ما يشغله فيؤخر إلى شعبان كما كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تفعل، فقد كانت تشغل عن الصوم برسول الله ﷺ فلا تستطيع القضاء إلا في شعبان، لأن رسول الله ﷺ يصومه، قالت: كان يكون علي الصوم من رمضان، فما استطيع أن أقضي إلا في شعبان، وذلك لمكان رسول الله ﷺ[(٢)] .

أما كيفية القضاء: فالأفضل أن يقضي ما عليه من صوم متتابعًا، تشبيهًا له بالأداء، لكن ذلك ليس بواجب، بل لو صامه متفرقًا جاز، قال تعالى: ﴿**فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥] فالأيام هنا

---

(١) وهو قول عامة أهل العلم.
(٢) رواه البخاري (٤/٤٨٩) ومسلم (٨/٢١).

مطلقة، غير مقيدة بالتتابع[١] وقد سئل رسول الله ﷺ عن تقطيع قضاء رمضان فقال: «**ذلك إليك أرأيت لو كان على أحدكم دين فقضى الدرهم والدرهمين، ألم يكن قضاء؟ فالله أحق أن يعفو ويغفر**»[٢].

قضاء أيام يجهل عددها

س: كيف يقضي من أفطر أيامًا من رمضان لا يعلم عددها؟

ج: عليه أن يحتاط، ويصوم حتى يتيقن أنه قد صام كل الأيام التي في ذمته.

الأكل والشرب عامدًا

س: ما حكم من أكل أو شرب متعمدًا في نهار رمضان، وهل عليه كفارة؟

ج: من أكل أو شرب متعمدًا في نهار رمضان من غير عذر فقد أتى إثمًا عظيمًا، وهتك حرمة شهر كريم، وتعدى حدود الله، وهدم ركنًا من أركان الإسلام، قال ﷺ: «**بني الإسلام على خمس**»، وعد منها: «**صوم رمضان**»[٣] ومن أفطر رمضان عامدًا فقد هدم

---

(١) وهو قول جماهير العلماء من السلف والخلف، ومنهم الأئمة الأربعة.

(٢) رواه الدارقطني (١٩٤/٢) وقال إسناده حسن إلا أنه مرسل. وقال ابن القيم: إسناده حسن وفي الباب أحاديث أخر يقوي بعضها بعضًا انظر صنفي عبد الرزاق (٢٤٣/٤) وابن أبي شيبة (٣٢/١) والبيهقي (٢٥٨/٤).

(٣) رواه البخاري (٤٩/١) ومسلم (١٧٦/١).

هذا الركن العظيم، واستحق العذاب الأليم، الذي قال عنه ﷺ: «**بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلا وعرًا، فقالا: اصعد، فقلت: إني لا أطيقه، فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار. ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دمًا، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم**» الحديث [1] أي يأكلون قبل أن يحل لهم الفطر.

لكن من تاب تاب الله عليه، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال ﷺ: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[2]، فعلى المسلم الذي وقع منه تفريط في جنب الله عز وجل، وأفطر أيامًا من رمضان أن يتوب إلى الله عز وجل، وأن يقضي الأيام التي أفطرها فيصوم عن كل يوم أفطره يومًا مكانه[3] وليس عليه كفارة.

---

(١) رواه ابن خزيمة (٢٣٧/٢) وابن حبان (٢٨٦/٩) والحاكم (٤٣٠/١) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والبيهقي (٢١٦/٤).

(٢) رواه مسلم (٧٦/١٧).

(٣) قال ابن قدامة والنووي: هو قول عامة الفقهاء.

أكل ما لا يتغذى به

س: ما حكم أكل ما لا يتغذى به كالطين، والورق، ونحوهما؟

ج: أكل ما يتغذى به مفطر [١] وكذلك أكل ما لا يتغذى به مفطر [٢].

الأكل والشرب ناسيًا

س: ما الحكم فيمن أكل أو شرب ناسيًا؟

ج: من أكل أو شرب ناسيًا في نهار رمضان فلا شيء عليه [٣] إلا أنه يجب عليه الامتناع عن ذلك متى تذكر، وعلى من يراه أن يذكره، لأن في تذكيره أمر له بالمعروف، ونهي له عن المنكر، قال ﷺ: «**إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه**»[٤].

أفطر قبل الغروب

س: ما حكم من أكل أو شرب في نهار رمضان ظانًا أن الشمس قد غربت، ثم تبين أنها لم تغرب؟

---

(١) بالكتاب والسنة والإجماع، قاله ابن قدامة والنووي.
(٢) قال ابن قدامة والنووي: هو قول عامة أهل العلم من السلف والخلف.
(٣) وهو قول الجمهور: الأحناف: الشافعية والحنابلة.
(٤) رواه البخاري (٤/١٥٥) ومسلم (٨/٣٥).

ج: من أفطر ظانًا أن الشمس قد غربت، ثم تبين له أنها لم تغرب وجب عليه الإمساك حتى تغرب الشمس، وعليه أن يقضي يومًا مكانه [١] لأنه أكل مختارًا ذاكرًا للصوم، كما لو أكل يوم الشك، ثم تبين أن ذلك اليوم من رمضان، فالقضاء واجب عليه بالاتفاق، فكذلك هذا، قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أفطرنا على عهد رسول الله ﷺ يوم غيم، ثم طلعت الشمس قيل لهشام راوي الحديث: فأمروا بالقضاء؟ قال: بد من القضاء [٢] وكذلك روى خالد بن أسلم، وحنظلة، وبشر بن قيس: أنه حدث مثل ذلك في زمن عمر رضي الله عنه، فقال: من كان أفطر فليصم يومًا مكانه[٣] وقد ذكر البيهقي: أن الروايات قد تظاهرت عن عمر رضي الله عنه في القضاء.

أما حديث: (عفي لأمتي الخطأ) فمعناه: رفع الإثم عنهم، لا إعفاؤهم من القضاء، لأن هذا الحديث وما في معناه عام، خص منه غرامات المتلفات، وانتقاض الوضوء بخروج الحدث سهوًا والصلاة بالحدث ناسيًا، وأشباه ذلك، ولأنه يمكنه أن يمتنع عن المفطرات حتى يتثبت فلم يعذر.

---

(١) وهو قول الجمهور: الأئمة الأربعة وغيرهم.

(٢) رواه البخاري (١٩٩/٤) ومعنى: بد من القضاء: استفهام إنكاري محذوف الأداة أي لا بد من القضاء.

(٣) رواه عبد الرزاق (١٧٨/٤) والبيهقي (٤١٧/٤).

أفطر شاكًا في طلوع الفجر

س: ما حكم من أكل أو شرب في رمضان شاكا في طلوع الفجر الثاني، ولم يتبين له هل كان أكله قبل أو بعد طلوع الفجر؟

ج: إذا لم يتبين له فلا قضاء عليه [(١)] لقوله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾ [البقرة: ١٨٧] فالأصل بقاء زمن الليل، وزمن الشك منه، ما لم يعلم يقين زواله، بخلاف غروب الشمس فإن الأصل بقاء النهار فبني عليه.

أكل أو شرب ثم تبين أن الفجر طلع

س: ما حكم من أكل أو شرب ظانًا أن الفجر لم يطلع، ثم تبين له أنه أكل بعد طلوع الفجر؟

ج: من تناول مفطرًا، من أكل أو شرب أو غيرهما، ثم تبين له أنه قد تناول المفطر بعد طلوع الفجر وجب عليه الإمساك، وقضاء يوم مكانه [(٢)] لأنه تناول مفطرًا وهو ذاكر للصوم فأفطر كما لو أكل يوم الشك، ثم تبين أنه من رمضان، ولأنه جهل بوقت الصيام

---

(١) وهو قول الجمهور: الأحناف والشافعية والحنابلة.

(٢) قال ابن قدامة والنووي وابن تيمية: هذا قول أكثر أهل العلم من الفقهاء وغيرهم، ومنهم الأئمة الأربعة.

فلم يعذر به، كالجهل بأول رمضان فعن ابن مسعود رضي الله عنه في رجل أكل ظانًا أن الفجر لم يطلع، ثم تبين طلوعه قال: من أكل من أول النهار فليأكل من آخره، وقال أبو سعيد رضي الله عنه: إن كان شهر رمضان صامه، وقضى يومًا مكانه، وإن كان من غير شهر رمضان فليأكل من آخره فقد أكل من أوله [١].

الإبر المغذية

س: ما حكم تعاطي الإبر المغذية في نهار رمضان؟

ج: تعاطي الإبر المغذية مفطر في نهار رمضان، لأنها بمعنى الأكل والشرب، حيث يستغني بها الصائم عنهما.

الإبر غير المغذية

س: ما حكم تعاطي الإبر غير المغذية في نهار رمضان؟

ج: ما دام أن هذه الإبر لا تصل إلى جوفه ولا يستغني بها عن الأكل والشرب فإنها لا تفطره.

تذوق الطعام

س: إذا احتاج الطاهي إلى تذوق الطعام لمعرفة طعمه، فهل يؤثر ذلك على صومه؟

ج: تذوق الطعام للطاهي الصائم، أو من يريد شراءه لا بأس

(١) روى الأثرين البيهقي (٤/٢١٦).

به، إلا أنه يحذر إدخاله إلى حلقه، إنما يتذوقه بطرف لسانه، ثم يمجه قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا بأس أن يتطعم القدر والشيء[١] وقال: لا بأس أن يذوق الخل، أو الشيء ما لم يدخل حلقه، وهو صائم [٢] قال الحسن: ثم يمجه [٣] إلا أنه إن تجنب ذلك كان أحوط [٤].

حكم المضمضة والاستنشاق

س: ما حكم المضمضة والاستنشاق للصائم؟

ج: لا بأس بالمضمضة والاستنشاق للصائم [٥] إلا أنه يحذر المبالغة فيهما خشية أن يدخل الماء إلى حلقه، قال ﷺ: «**بالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**»[٦] هذا في حق المتوضئ والاستنشاق جزء من غسل الوجه المفروض، فكيف بمن يبالغ في

---

(١) رواه البخاري تعليقًا (١٥٣/٤) وانظر تغليق التعليق (١٥١/٣).
(٢) رواهما ابن أبي شيبة (٤٧/٣).
(٣) رواهما ابن أبي شيبة (٤٧/٣)
(٤) نص عليه الإمام أحمد. ومال إليه ابن تيمية.
(٥) إجماعًا ذكره ابن قدامة.
(٦) رواه الإمام أحمد (٣٣/٤) وأبو داود (٢٣٦/١) والترمذي (٤٩٩/٣) والنسائي (٦٦/١) وابن ماجه (١٤٢/١) وعبد الرزاق (٢٦/١) والطيالسي (٥٢/١) وابن أبي شيبة (١٠١/٣) وابن الجارود (٣٧) وابن خزيمة (٢٣٦/٢) وابن حبان (٢٠٨/٢) والحاكم (١٤٧/١) والبيهقي (٢٦١/٤) والبغوي (٤١٧/١) وسكت عنه أبو داود والمنذري، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وقال الحاكم صحيح، ووافقه الذهبي، وصححه ابن القطان، وابن قدامة والنووي وابن حجر، والسيوطي والبغوي.

غير الوضوء؟ لذلك فإن من عصى أمر رسول الله ﷺ وبالغ في الاستنشاق حتى دخل الماء حلقه أفطر، ووجب عليه القضاء [١] .

بلغ الريق

س: ما حكم بلع الريق للصائم؟

ج: بلع الريق لا يفطر [٢] أما النخامة : وهي ما يتجمع في الخيشوم وتخرج على شكل سائل مخثر قد يكون أصفر فحكمها يختلف عن الريق، لأنها تجمعت من خارج الجسم ويمكن الاحتراز منها، فإذا جذبها الصائم من خيشومه إلى فمه، ثم بلعها أفطر [٣] لأنه تعمد بلع ما ليس مكانه الفم، مع تمكنه من الاحتراز منه.

الذباب والغبار

س: إذا دخل حلق الصائم غبار فهل يفطره؟

ج: إذا دخل حلق الصائم غبار، أو ذباب، أو غبار دقيق فإنه لا يؤثر على صومه، لأنه دخل بدون قصد منه، وهو لا يستطيع الاحتراز منه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في الرجل يدخل حلقه الذباب قال: لا يفطر [٤] .

---

(١) وهو قول الجمهور: الأحناف والمالكية والشافعية وظاهر مذهب الحنابلة.
(٢) إجماعًا ذكره ابن المنذر والنووي.
(٣) وهو قول الشافعية والحنابلة.
(٤) رواه ابن أبي شيبة (١٠٧/٣) وهو إجماع العلماء ذكره ابن قدامة وابن حجر عن ابن المنير.

الاغتسال للتبرد

س: ما حكم الاغتسال للتبرد أو التنظف في نهار رمضان للصائم؟

ج: لا بأس في ذلك، سواء كان الاغتسال أول النهار أو آخره[١] لما روى بعض أصحاب رسول الله ص قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ بالعرج [٢] يصب الماء على رأسه وهو صائم، من العطش، أو من الحر [٣].

السباحة للصائم

س: ما حكم السباحة للصائم؟

ج: على الصائم أن يجتنب كل ما يمكن أن يعرض صومه للفساد، ومن ذلك السباحة فإن السابح لا يأمن من دخول الماء عن طريق أنفه، أو أذنه أو فمه إلى حلقه، وقد نهى رسول الله ﷺ عن المبالغة في أمر مشروع وهو المضمضة والاستنشاق خشية دخول الماء إلى الحلق، فكيف بالسباحة؟ لذلك فإن كل من سبح ودخل شيء من الماء حلقه من أي منفذ فقد فسد صومه [٤].

---

(١) وهو قول الجمهور: المالكية والشافعية والحنابلة.

(٢) العرج: واد من نواحي الطائف.

(٣) رواه الإمامان مالك (١/٢٩٤) وأحمد (٣/٤٧٥) وعبد الرزاق (٤/٢٠٦) وابن أبي شيبة (٣/٤١) وأبو داود (٦/٤٩٢) والبيهقي (٤/٢٦٣) وسكت عنه أبو داود والمنذري وصححه النووي وابن حجر.

(٤) عند الجمهور ومنهم: الحنفية والمالكية والشافعية وظاهر مذهب الحنابلة.

السواك للصائم

س: ما حكم استعمال السواك في نهار رمضان؟

ج: السواك سنة في رمضان وفي غيره، لقوله ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**»[١] والصلوات تكون أول النهار وآخره ورسوله الله ﷺ لم يخص الصائم من غيره، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: يستاك أول النهار وآخره[٢].

القبلة للصائم

س: رجل قَبَّل امرأته وهو صائم، هل يؤثر ذلك على صومه؟

ج: إذا قَبَّلَ الرجل امرأته وهو صائم فإن ذلك لا يؤثر على صومه ما دام أنه لم يُنزل [٣] لما روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقبل ويباشر [٤] وهو صائم وكان أملككم لإربه [٥]، وقولها رضي الله عنها: وكان أملككم لإربه، فيه إشارة إلى أن إباحة القبلة والمباشرة خاصة بمن كان مالكًا لنفسه، أما من لا يأمن الإنزال أو الوقوع في الجماع فذلك حرام عليه.

---

(١) رواه البخاري (٢/٣٧٤) ومسلم (٣/١٤٣).
(٢) رواه البخاري تعليقًا جازمًا به (٤/١٥٣).
(٣) إجماعًا ذكره ابن قدامة.
(٤) المباشرة: مس البشرة البشرة.
(٥) رواه البخاري (٤/١٤٩) ومسلم (٧/٢١٦).

قَبَّلَ فأنزل

س: رجل قبل امرأته وهو صائم فنزل منه مني، فما حكمه؟

ج: إذا قبل الرجل، أو ضم، أو كرر النظر، أو استمنى فأمنى فسد صومه، وعليه أن يتوب إلى الله عز وجل، ويتم صومه يومه الذي أفسده، ويقضي يومًا مكانه (١).

قبَّل فأمذى

س: رجل قبَّل امرأته وهو صائم فنزل منه مذي، فما حكمه؟

ج: المذي، سائل لزج شفاف، يخرج من الرجل عند اشتداد الشهوة، وهو غير المني، فالمني سائل أبيض متخثر، له رائحة كرائحة الطلح، وخروج المني بشهوة مفسد للصوم، أما المذي فمختلف فيه، فعند الإمامين: أحمد ومالك رحمهما الله يفسد صومه، وعليه القضاء وعند الإمامين الشافعي وأبي حنيفة لا يفسد صومه، إلا أنه قد أساء، والأحوط أن يقضي من خرج منه مذي خروجًا من الخلف القوي، ولأن الصوم ترك للشهوات، ومن خرج منه مذي لم يترك الشهوات، حيث أنه لا يخرج إلا عند اشتداد الشهوة.

---

(١) من أنزل المني باستمناء أو قبلة، أو ضم أو بأي طريقة كانت فسد صومه إجماعًا.

الاستمناء

س: ما حكم الاستمناء في نهار رمضان؟

ج: من استمنى باستعمال العادة السرية أو غيرها ونزل منه مني فسد صومه، وعليه أن يتوب إلى الله عز وجل ويمضي في صوم اليوم الذي أفسده، ويقضي يومًا مكانه [1].

الجماع

س: رجل جامع زوجته في نهار رمضان، فماذا عليه وعليها؟

ج: من جامع وهو صائم في نهار رمضان فأنزل أو لم ينزل فقد ارتكب إثمًا عظيمًا وهتك حرمة شهر كريم؛ لذلك فإن فعله هذا يترتب عليه أمور أربعة:

١- **التوبة الصادقة إلى الله تعالى**: والعزم عدم العود إلى فعل هذا المنكر القبيح، الذي عبر عنه ذلك الرجل الذي فعله، وجاء إلى رسول الله ﷺ تائبًا بقوله: هلكت يا رسول الله فقال له رسول الله ﷺ: «**وما أهلكك**» قال: وقعت على أهلي في نهار رمضان، فأقره النبي ﷺ على قوله هلكت، والهلاك يعبر به عند الوقوع في العصيان[2] لذلك أمره رسول

(١) إجماعا.ذكره والذي قبله الماوردي وان قدامة والنووي.

(٢)وفي رواية قال: احترقت، احترقت، رواها البخاري (١٦١/٤) ومسلم (٢٢٨/٧) وفي رواية: جاء رجل وهو ينتف شعره، ويدق صدره، ويقول: هلك الأبعد، وفي رواية: بلطم وجهه، وفي رواية: يدعو ويله، وفي رواية: ويحثي على رأسه التراب انظر فتح الباري (١٦٤/٤).

الله ﷺ قائلا: «**استغفر الله**»[١] .

٢- يتم صوم يومه الذي جامع فيه: وإن كان بجماعة قد أفسد صومه.

٣- يقضي يومًا بدل هذا اليوم: لقوله ﷺ للرجل الذي فعل ذلك: «**وصم يومًا مكانه**»[٢] ولأنه أفسد صوم يوم من رمضان فلزمه قضاؤه، كما لو أفسده بأكل أو شرب، أو أفسد صومه الواجب بالجماع فلزمه قضاؤه كغير رمضان [٣] .

٤- عليه الكفارة: وهي كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذا جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت. قال: «**مالك**» قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله ﷺ: «**هل تجد رقبة تعتقها؟**» قال: لا، قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**» قال: لا، قال: «**فهل تجد إطعام ستين مسكينًا**» قال: لا، قال: فمكث رسول الله ﷺ فبينا نحن على ذلك، أتي رسول الله ﷺ بعَرَق فيها تمر والعَرَقُ المكتل قال: «**أين السائل؟**» فقال: أنا قال: «**خذ هذا فتصدق به**» فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها يريد

---

(١) رواه أبو داود (٢٣/٧) وابن خزيمة (٢٢٤/٣) وابن حبان (٢١٤/٥) وسكت عنه أبو داود والمنذري وصححه ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني (١٩٠/٢) وقال: هذا إسناد صحيح.

(٢) رواه أبو داود (٢٦/٧) وعبد الرزاق (١٩٦/٤) وابن خزيمة (٢٢٤/٣) والدارقطني (١٩٠/٢) والبيهقي (٢٢٦/٤) وقال النووي: إسنادها جيد. وصححه الحافظ في الفتح.

(٣) وهو قول الجمهور ومنهم أبو حنيفة ومالك وأحمد والشافعي في أظهر أقواله.

الحرتين أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: «**أطعمه أهلك**»[١].

فالكفارة هنا على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد لفقره أو لعدم وجود الرقبة انتقل إلى **المرتبة الثانية وهي:** صوم شهرين متتابعين، لا يفطر فيهما، فإن أفطر فيهما يومًا أو أكثر بدون عذر شرعي وجب عليه أن يستأنف الصوم (أي يبتدئ الصوم من أوله) ؛لأن رسول الله قال: «**شهرين متتابعين**»، وإن أفطر فيهما يومًا أو أكثر لعذر شرعي كمرض، أو سفر لم يقصد به التحايل فإنه يبني على ما صام، فلو صام مثلاً شهرًا ثم أفطر ثلاثة أيام لمرضه فإنه يصوم ما بقي عليه بعد شفائه وهو شهر، حتى يكمل الشهرين، فإذا كان من عليه الكفارة عاجزًا عن الصوم لمرض لا يرجى برؤه، أو لأنه شيخ هرم يشق عليه الصوم انتقل إلى **المرتبة الثالثة وهي:** إطعام ستين مسكينًا وذلك لأن الشهرين ستون يومًا، ومن عجز عن الصوم لمرض لا يرجى برؤه أو لكبر سن أطعم عن كل يوم يفطره مسكينًا، وكذلك هنا يطعم العاجز عن صوم الكفارة مسكينًا بدل كل يوم، فإن عجز عن الإطعام سقط عنه الكفارة، وهذا من لطف الله بعباده أن أسقط عنهم ما يعجزون عن أدائه فله الحمد والمنة سبحانه.

أما المرأة فعليها، إن كان الجماع برضاها مثل ما على الرجل[٢]

---

(١)رواه البخاري ٤/١٦٣ومسلم ٧/٢٤٤.

(٢) وهو قول الجمهور ومنهم: الحنفية والشافعية والحنابلة.

وإن كانت مكرهة فلا شيء عليها، غير أنها تقضي ذلك اليوم الذي جامعها زوجها فيه[(١)] .

جامع أكثر من مرة

س: رجل جامع زوجته أكثر من مرة في نهار رمضان فهل عليه كفارة واحدة أم أكثر؟

ج: إن جامع الرجل في يوم واحد أكثر من مرة قبل أن يكفر فعليه كفارة واحدة، إلا أنه آثم في كل مرة، أما إن كان الجماع في أيام مختلفة فعليه أن يكفر كفارة عن كل يوم جامع فيه [(٢)] فيكون مجموع الكفارات عدد الأيام التي جامع فيها، فلو جامع ثلاث مرات في رمضان يكون عليه ثلاث كفارات، لأن كل يوم عبادة منفردة، فإذا وجبت الكفارة بإفساده لم تتداخل كرمضانين وحجتين.

الاحتلام

س: رجل نام فاحتلم في نهار رمضان، فهل يفسد صومه؟

ج: من احتلم في نهار رمضان لم يفسد صومه [(٣)] لأنه فعل حصل بدون علمه واختياره قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاث،**

---

(١) وهو قول الجمهور ومنهم: المالكية والشافعية والحنابلة.
(٢) وهو قول الجمهور ومنهم: المالكية والشافعية والحنابلة.
(٣) إجماعًا ذكره الطحاوي وابن حبيرة والماوردي والنووي وابن تيمية.

عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل»[١] .

أصبح جنبًا

س: رجل جامع أهله بالليل، ونام قبل أن يغتسل ولم ينبه من نومه إلا بعد طلوع الفجر الثاني، فكيف يفعل؟

ج: من أصبح جنبًا من جماع وقع بالليل فصومه إن صام صحيح[٢]، وكل ما عليه أن يغتسل ويصلي الفجر، قالت أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يصبح جنبًا من جماع غير احتلام، ثم يصوم رمضان[٣].

متى يجوز للمسافر الفطر

س: هل يجوز للصائم أن يفطر إذا كان مسافرًا بالسيارة أو الطائرة، أم لا بد من كون السفر على الأقدام أو الدواب حتى يفطر، وهل يشترط أن تكون هناك مشقة في السفر، وهل يقضي وما هو الأفضل في حقه؟

ج: يجوز للمسافر سفرًا تقصر فيه الصلاة أن يفطر [٤] سواء

(١) مضى تخريجه .
(٢) إجماعًا: ذكره ابن هبيرة والماوردي والنووي وابن دقيق العهد. وقال ابن قدامة هو قول عامة أهل العلم.
(٣) رواه البخاري (١٤٣/٤) ومسلم (٢٢٠/٧).
(٤) السفر الذي تقصر فيه الصلاة ما زاد على (٨٥) كيلو متر.

كان مسافرًا على الأقدام، أو على الدواب، أو السيارات أو الطائرات أو السفن فمتى وجد السفر جاز الفطر، سواء وجد مشقة أم لم يجد، لأن الله تعالى علق الفطر على مطلق السفر، فقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥] فإذا زال سفره وانقضى رمضان قضي ما عليه من صيام، وليس عليه إطعام (١) .

أما الأفضلية فهي مختلفة من شخص إلى آخر، ومن سفر إلى سفر، ومن وقت إلى وقت، فقد يكون الصوم أفضل، وقد يستوي الحالان، وقد يكون الفطر أفضل، وقد يجب الفطر، وهذه الحالات وهي:

الحالة الأولى: الصوم في السفر أفضل:

وذلك في حق من لا يجد مشقة في سفره (٢) كمن يسافر عبر وسائل المواصلات الحديثة المريحة والصوم أفضل لأمور منها.

١- لأنه أسرع في إبراء الذمة: وعدم تحمل دين الصوم.

٢- والصوم أفضل: لأن فيه اقتداء برسول الله ﷺ: فقد كان ﷺ لا يفطر في سفر إلا لحاجة شديدة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، في يوم حار، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وعبد الله بن رواحة (٣) ورسول الله ﷺ لا

(١) إجماعًا ذكره ابن قدامة والنووي وابن تيمية.
(٢) عند الجمهور ومنهم: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة في وجه.
(٣) رواه البخاري (١٨٢/٤) ومسلم (٢٢٣/٧).

يفعل إلا الأفضل.

٣- والصوم أفضل: لأن كثيرًا من الناس يجدون في الصوم في رمضان مع الناس سهولة:

قد لا يجدونها في أيام الفطر، حيث يكون الناس مفطرون وهم صائمون، والمسلم مطلوب منه أن يأخذ بالأسهل، وما ليس عليه فيه حرج ما لم يكن إثمًا وهذا أمر ملاحظ من كثير من الناس، حيث يفطر الواحد منهم، ثم يشق عليه القضاء، ويتكاسل عنه حتى يدركه رمضان آخر فيقع في إثم التأخير.

الحالة الثانية: يستوي فيها الصوم والفطر: وذلك في حق من يجد بعض المشقة، لكنه قوي جلد لا تؤثر فيه، ولا تمنعه من فعل النوافل، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن حمزة الأسلمي رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: أأصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام فقال: «**إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر**»(١) وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم (٢) وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه مثله، وزاد يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون أن من وجد ضعفًا فأفطر فإن ذلك حسن (٣) وكذلك قال جابر وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم (٤).

(١) رواه البخاري (١٧٩/٤) ومسلم (٢٣٦/٧).
(٢) رواه البخاري (١٨٦/٤) ومسلم (٢٣٥/٧).
(٣) رواه مسلم (٢٤٣/٧).
(٤) رواه البخاري (١٨٦/٤) ومسلم (٢٣٢/٧، ٢٣٥) .

الحالة الثالثة: يكون الفطر فيها أفضل في حق من وجد مشقة تتعبه أو تمنعه من فعل بعض الطاعات [١] فعن أنس رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فصام بعض وأفطر بعض فتحزم المفطرون وعملوا وضعف الصائمون عن بعض العمل، فقال رسول الله ﷺ: «**ذهب المفطرون اليوم بالأجر**»[٢] .

الحالة الرابعة: يكون الفطر فيها واجبًا: في حق من وجد مشقة تؤذيه، أو تمنعه من فعل شيء من المفروضات، أو أغمي عليه بسببه فعن جابر رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زحامًا، ورجلا قد ظُلل عليه، فقال «**ما هذا**» فقالوا: صائم فقال: «**ليس من البر الصوم في السفر**»[٣] وعنه رضي الله عنه في حق من شق عليهم الصوم، وأمرهم رسول الله ﷺ أن يفطروا فلم يفطروا، قال رسول الله ﷺ: «**أولئك العصاة، أولئك العصاة**»[٤] .

الإقامة بعد السفر

س: مسافر أقام ببلد ثلاثة أيام، هل يحق له أن يفطر فيها، أم لا بد من الصوم؟

ج: المسافر إذا نوى الإقامة ببلد أقل من أربعة أيام فإنه يجوز له الفطر[٥] .

---

(١) اتفق الفقهاء على أن الأفضل في حقه الفطر.
(٢) رواه البخاري (٦/٨٤) ومسلم (٧/٢٣٦).
(٣) رواه البخاري (٤/١٨٣) ومسلم (٧/٢٣٣).
(٤) رواه مسلم (٧/٢٣٢).
(٥) إجماعًا ذكره ابن رشد وابن قدامة والنووي.

التردد في الإقامة

س: مسافر دخل بلدًا غير بلدة لقضاء حاجة له إلا أنه لا يعلم متى تنتهي حاجته، وكل يوم يظن أنه يقضيها ولا يتم له ذلك فهل يجوز له الفطر؟

ج: المسافر إذا دخل بلدًا غير بلده لقضاء حاجة له، أو في جهاد عدو، أو حبسه سلطان، أو مرض ولا يعلم هل تقضي حاجته في يوم أو أكثر فإنه يجوز له الفطر حتى تقضى حاجته، ولو مكث أشهرًا [(١)] فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقام النبي ﷺ تسعة عشر يقصر [(٢)] يعني عام الفتح، وهو ﷺ لا يدري كم يمكث في مكة، فقصر حتى خرج منها، وهذا يدل على أن المتردد الذي لا يعلم كم تكون مدة إقامته له الترخص برخص السفر من قصر الصلاة والفطر.

سفر المعصية

س: إذا سافر إنسان لفعل المعاصي، فهل يحق له الترخص برخص السفر، من فطر في رمضان وقصر للصلاة الرباعية؟

ج: من سافر سفر معصية فليس له الترخص برخص السفر [(٣)]؛

---

(١) وهو قول الجمهور: الحنفية والمالكية والحنابلة والشافعية في قول.

(٢) رواه البخاري (٢/٥٦١).

(٣) وهو مذهب جماهير العلماء من الصحابة والتابعين، وبه قال مالك والشافعي وأحمد.

لأن الله عز وجل خفف عن المسافر غير الباغي، وغير العادي[1]، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] ففي هذه الآية لم يبح الله عز وجل للباغي والعادي أكل الميتة إذا اضطرا إليها، لأنهما خرجا للمعصية، فإذا حرم الله عليهما أكل الميتة عند الضرورة فكيف يبيح لهما الترخص برخص السفر؟ ثم إن إباحة الفطر في رمضان للخارج في معصية إعانة له على معصيته، وتقوية لجسده وشيطانه عليها، لذلك لا يجوز لمن خرج مسافرًا سفر معصية أن يفطر في رمضان، ولا يجوز له أن يقصر الصلاة الرباعية.

الحجامة

س: ما حكم الحجامة للصائم؟

ج: الحجامة من المفطرات التي يفطر بها الحاجم والمحجوم لقوله ﷺ: «**أفطر الحاجم والمحجوم**»[2].

---

(١) قال مجاهد وسعيد بن جبير في تفسير الباغي والعادي: قاطعًا للسبيل أو مفارقًا للأئمة أو خارجًا في معصية الله، انظر تفسير ابن كثير (١/٢٤٩).

(٢) حديث صحيح متواتر ، رواه عن رسول الله ص ثمانية عشر صحابيًا هم: ثوبان وشداد ورافع وجابر، وعائشة وعلي وأبو موسى، وأبو هريرة، وأسامة، وابن عباس، ومعقل وسمرة، وأنس وبلال، وابن عمر، وسعد ، وأبو زيد الأنصاري، وابن مسعود رضي الله عنهم، وقد صحح الحديث أئمة الحديث وجباله الأوزاعي وابن مهدي، وإسحاق، وابن المديني وابن حنبل وأبو زرعة والبخاري والترمذي وعثمان بن سعيد وإبراهيم الحربي، وابن المنذر، وابن خزيمة وابن حبان والعقيلي، وأبو الوليد النيسابوري، والحاكم، وابن قدامة والنووي، وابن تيمية وابن القيم،

تحليل الدم

س: ما حكم تحليل الدم للصائم؟

ج: أخذ الدم من الوريد أو غيره للتحليل، الصحيح أنه لا يفطر الصائم، لكن إن كان الدم المأخوذ كثيرًا فالأولى تأجيله إلى الليل، فإن فعله بالنهار فالأحوط القضاء، تشبيهًا له بالحجامة (١) .

الكحل

س: ما حكم الاكتحال للصائم؟

ج: الكحل أنواع، فهناك أنواع حادة أو مطيبة قد تصل إلى الحلق، فإذا اكتحل الصائم بها، ثم وجد طعمها في حلقه، أو علم وصولها إلى جوفه أفطر (٢) أما إذا كان الكحل من النوع البارد و لم يصل إلى جوفه أو حلقه فلا يفطر، واجتناب ذلك أفضل، حتى لا يعرض الصائم صومه إلى الفساد.

= وابن مفلح وابن عبد الهاجي والسيوطي رحمهم الله تعالى، والإفطار بالحجامة مذهب الإمام أحمد وإسحق وابن المنذر وابن خزيمة، وقول عطاء وابن مهدي، وكان الحسن ومسروق وابن سيرين لا يرون للصائم أن يحتجم وكان جماعة من الصحابة يحتجمون ليلا في الصوم منهم: ابن عمر وابن عباس وأبو موسى وأنس.

(١) فتاوى وتنبيهات ونصائح لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٣٨٩).

(٢) وهو قول المالكية والحنابلة.

السعوط

س: ما حكم استعمال السعوط في الأنف؟

ج: **السعوط** مفطر فيجب على الصائم الابتعاد عنه [١].

الحقنة

س: ما حكم استعمال الحقنة الشرجية والتحميلة؟

ج: لا يجوز استعمال الحقنة الشرجية والتحميلة، سواء كانت في القُبل أو الدبر فإن ذلك كله مفطر [٢]؛ لأن الدبر منفذ إلى الجوف، وكذلك قبل المرأة، أما الرجل فلو استعمل قطرة أو نحوها في إحليله [٣] فإنه لا يفطر، لأنه ليس بمنفذ إلى الجوف [٤].

الجرح والدمل

س: إذا جُرح الصائم وسال منه دم، فهل يؤثر ذلك على صومه؟

ج: من جرح وهو صائم، أو عصر دملاً أو قلع ضرسًا أو نزف

(١) وهو قول الجمهور، منهم: الشافعية والحنابلة، وقال الإمامان أبو حنيفة ومالك: يفطر إن وصل حلقه، والسعوط لا يؤمن من وصوله إلى الحلق.
(٢) وهو قول الجمهور، منهم أهل المذاهب الأربعة وذكر النووي: أنه قول عامة أهل العلم.
(٣) أي ذكره.
(٤) وهو قول الجمهور، منهم: الأحناف والمالكية والحنابلة.

دم من أنفه أو من أي مكان من جسده فلا شيء عليه وصومه صحيح.

القيء

س: صائم في نهار رمضان أحس بغثيان وحموضة فأدخل أصبعه في فمه حتى قاء (يعني استفرغ ما في بطنه) فهل يلزمه شيء؟

ج: من قاء متعمدًا بأن أدخل أصبعه في حلقه، أو عصر معدته، أو عمل أي عمل يقصد به إخراج ما في معدته من أكل، وهو ما يسمى بالاستفراغ فقد فسد صومه، وعليه القضاء، أما من ذرعه القيء أي خرج منه من غير اختياره وقصده فلا شيء عليه لقوله ﷺ: «**من ذرعه القيء فليس عليه قضاء ومن استقاء عامدًا فليقض**»[1] .

([1]) رواه الإمام أحمد (٤٩٨/٢) وأبو داود (٦/٧) والترمذي (٤٠٩/٣) وابن ماجه (٥٣٦/١) والدارمي (١٤/٢) وابن الجارود (١٤٠) والطحاوي (٩٧/٢) وابن خزيمة (٢٢٦/٣) وابن حبان (٢١٢/٥) والدارقطني (١٨٤/٢) والحاكم (٤٢٧/١) والبيهقي (٢١٩/٤) والبغوي (٢٩٣/٦) والحديث صححه ابن خزيمة وابن حبان، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي حسن غريب وفي الباب عن أبي الدرداء وثوبان وفضالة بن عبيد، وقال الدارقطني: رواته ثقات كلهم، وسكت عنه أبو داود والمنذري وحسنه النووي والسيوطي.

الردة عياذًا بالله

س: ما حكم الصائم إذا نطق بكلمة الكفر في نهار رمضان؟

ج: أجمع أهل العلم [1] على أن من ارتد عن الإسلام عياذًا بالله في أثناء الصوم أنه يفسد صومه، وعليه القضاء إذا عاد إلى الإسلام في أثناء اليوم أو بعد انقضائه سواء كانت ردته باعتقاده ما يكفر به، أو شكه فيما يكفر به بالشك فيه، أو بالنطق بكلمة الكفر مستهزئًا أو غير مستهزئ، قال الله تعالى: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾** [التوبة: ٦٥، ٦٦] وذلك أن الردة عياذًا بالله تحبط كل عمل صالح، والصوم مما تحبطه الردة.

وإني ناصح لك أخي المسلم لا تستهن بهذا الأمر، واحذر الوقوع فيه، من حيث تعلم أو لا تعلم، سواء كانت صائمًا أو غير صائم، احذر الكفر وأهله، الذين يقعون فيه، ولا يبالون من سب الدين والملة، أو تأليف ما يسمونه بـــ (النكت) التي فيها جرح أو استهزاء بالله سبحانه وتعالى، أو رسوله ﷺ أو دين الإسلام، أو أهل الدين لدينهم أو فيها مدح للكفر وأهله، سواء كان قائلها جادًا أو مازحا حيث أنه لا فرق بين الجاد والهازل في الكفر، فهذا أمر جد خطير، ومصيبة حلت بين صفوف المسلمين، نسأل الله لنا ولهم السلامة.

---

(١) ذكر ذلك ابن قدامة.

وأنصحك أخي المسلم، لا ترض بقول هؤلاء المستهزئين؛ فإن الراضي بالكفر ومن صدر منه الكفر سواء، واحذر الجلوس معهم، واحذر الاستماع إلى أقوالهم، وأنكر عليهم، فقد قال تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾ [النساء: ١٤٠] والله الموفق.

صوم من لا يصلي

س: رجل يصوم رمضان ولا يصلي، ويقول: إن رمضان إلى رمضان يكفر ما بينهما من الذنوب، فهل قوله هذا صحيح، وإذا كان غير صحيح فما حكم صوم من لا يصلي؟

ج: أمر الصلاة عظيم، عظيم جدًا، أعظم مما يتصوره هذا المتكلم، ولو علمه لما قال ما قال، فالصلاة عمود الدين، فهي من الدين بمنزلة العمود في البيت، لا يقوم البيت إلا به، فإذا سقط العمود سقط البيت، كذلك الصلاة إذا تركها العبد سقط دينه قال ﷺ: «**رأس الأمر الإسلام، و عموده الصلاة**»[1].

---

(1) رواه الإمام أحمد (٥/٢٣١) والترمذي (٧/٣٦٢) وابن ماجه (٢/١٣١٤) والطيالسي (٥٦٠) وعبد الرزاق (١١/١٩٤) وابن أبي شيبة (١١/٧) وعبد بن حميد (٦٨) وابن حبان (١/٢١٨) والحاكم (٢/٤١٣) والبيهقي (٩/٦٥) وفي الشعب (٦/٩٦) وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وصححه ابن حبان وابن القيم.

والصلاة أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة:

فإن صلحت حاسبه الله على بقية أعماله، وإن لم تصلح قذف به في النار قال ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح له سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله**»[١].

والصلاة آخر ديننا: فإذا ذهب آخر الدين لم يبق منه شيء، قال ﷺ: «**لتنقضن عري الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن الصلاة**»[٢].

وتارك الصلاة قد برئت منه ذمة الله تعالى: قال ﷺ: «**من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله**»[٣].

وتارك الصلاة لا حظ له في الإسلام: قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة[٤].

---

(١) رواه ابن نصر في الصلاة (٢١١/١) والطبراني في الأوسط (مجمع الزوائد (٢٩٢/١)).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٥١/٥) وابن نصر في الصلاة (٤١٥/١) وابن حبان (٢٥٣/٨) والحاكم (٩٢/٤) وصححاه وقال الذهبي والهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٣٨/٥) وله شاهد في المسند (٤٢١/٦) وقال الهيثمي (٢٩٥/١) رجاله رجال الصحيح، وقال المنذري (٣٨١/١) رواه الطبراني في الأوسط، ولا بأس بإسناده في المتابعات.

(٤) رواه الإمام مالك (٤٠/١) والبيهقي (٣٥٦/١) والدارقطني (٥٢/٢).

وتارك الصلاة كافر خارج عن الملة: قال ﷺ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»(١) وقال ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»(٢).

وليس لتارك الصلاة دواء إلا السيف أو أن يصلي (٣): قال تعالى: ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ**﴾ [التوبة: ٥] فأمر سبحانه وتعالى بقتلهم حتى يتوبوا ويقيموا الصلاة، فإن لم يقيموها قتلهم المسلمون.

والصلاة هي العاصمة لدماء المسلمين: فمن تركها أهدر دمه قال ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»(٤) وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يستأذن رسول الله

---

(١) رواه مسلم (٧٠/٢).

(٢) رواه الإمام أحمد (٣٤٦/٥) والترمذي (٢٦٩/٧) والنسائي (٥٤/١) وابن ماجه (٣٤٢/١) وابن نصر في الصلاة (٨٧٧/٢) وابن حبان (٨/٣) والدارقطني (٥٢/٢) والحاكم (٧/١) والبيهقي (٣٦٦/٣) وفي الشعب (٨٤/٦) والحديث قال عنه الترمذي: حسن صحيح وصححه ابن حبان وقال الحاكم: صحيح لا تعرف له علة بوجه من الوجوه ووافقه الذهبي، وقال ابن القيم: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) وهو مذهب الجماهير من السلف والخلف ومنهم: الثوري والأوزاعي وابن المبارك وحماد بن زيد ووكيع ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق وغيرهم.

(٤) رواه البخاري (٧٥/١) ومسلم (٢٠٦/١).

ﷺ في قتل رجل ممن يستحقون القتل فينهاه رسول الله ﷺ قائلا: «**لا، لعله أن يكون يصلي**»[(١)] فجعل العاصم لدمه الصلاة.

وتارك الصلاة يحشر مع رءوس الكفر: فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: ذكر رسول الله ﷺ الصلاة يومًا فقال: «.. **من لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان وأبي بن خلف**»[(٢)] .

وتارك الصلاة مصيره أن يسلك في سقر: قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**﴾ [المدثر: ٣٨-٤٣].

وتارك الصلاة، أو مؤخرها عن وقتها توعده الله بويل، قال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾.

وتارك الصلاة توعده الله بغي: قال تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم: ٥٩] قال ابن مسعود رضي الله عنه: غي: نهر في جهنم، خبيث الطعم، بعيد القَعْر، وقال أبو أمامة رضي الله عنه: هو في أسفل جهنم، يسيل فيه صديد أهل جهنم [(٣)] .

(١) رواه البخاري (٦٧/٨) ومسلم (١٦٣/٧).
(٢) رواه الإمام أحمد (١٦٩/٢) وقال المنذري (٣٨٦/١) إسناده جيد وقال الهيثمي (٢٩٢/١) رجال أحمد ثقات، وعبد بن حميد (١٣٩) والدارمي (٣٠١/٢) وابن نصر في الصلاة (١٣٤/١) وابن حبان (١٤/٣) وصححه.
(٣) عزاه في الدر المنثور (٢٧٨/٤) إلى ابن جرير وابن مردويه والبيهقي في البعث.

ولو كان تارك الصلاة من الموحدين المسلمين لما أدخله الله قعر جهنم، لأن عصاة المسلمين إذا دخلوا النار أعاذنا الله منها كانوا في الطبقة العليا [(١)] فلما كان مصير تارك الصلاة قعرها علمنا أنه ليس من المسلمين.

قال الإمام إسحاق بن راهويه: صح عن رسول الله ﷺ: أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم، من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا: أن تارك الصلاة عمدًا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر.

ولا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدًا من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس، وأخذ الأموال، ومن إثم الزنى والسرقة وشرب الخمر، وأنه معرض لعقوبة الله وسخطه، وخزيه في الدنيا والآخرة [(٢)].

هذا أخي الكريم حكم من تهاون وتكاسل عن أداء الصلاة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد ذكرت لك في أول الرسالة أن الإسلام شرط من شروط قبول الصيام، وأن الكافر لا تقبل منه العبادة، لذلك فإن صوم من لا يصلي غير مقبول، حتى يعود إلى الإسلام مرة أخرى ويلتزم أداء الصلاة كما قال تعالى عن تاركي الصلاة ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا**﴾ [مريم: ٦٠] فمن تاب من ترك الصلاة، وآمن

---

(١) إجماعًا ذكره الصنعاني.
(٢) ما بين القوسين من كتاب الصلاة لابن القيم (١٦).

بالله بعد كفره، وعمل صالحًا فله الجنة.

أما قوله: إن رمضان إلى رمضان يكفر الذنوب، ومن أجل ذلك هو لا يصلي فنقول: هذا فهم منكوس ومغالطة واضحة، لا تخفى على عاقل، لأن آخر الحديث يرد على فهمه هذا الغريب، حيث قال ﷺ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهما إذا اجتنب الكبائر**»[1] وتارك الصلاة لم يجتنب الكبائر، بل وقع في أعظمها وهي: الكفر بالله بترك الصلاة.

فعلى المسلم الحذر من هذه المغالطات، التي يروج لها بعض منكوسي الفهم هدانا الله وإياهم والله المستعان.

محظورات الإحرام للصائم

س: هل صحيح أن على الصائم اجتناب كل ما يجتنبه المحرم، من قص الشعر، والأظافر، والطيب والصيد؟

ج: هذه من محظورات الإحرام وليست من محظورات الصيام، فالصائم إذا قص شعره، أو أظافره، أو تطيب، أو صاد صيدا خارج الحرم، كل ذلك لا حرج عليه فيه، ما دام أنه ليس بمحرم، إلا البخور فإن الأحوط اجتناب استنشاقه لأن الدخان جرم يخشى دخوله جوف الصائم، لكن لو بخر ملابسه، فلا بأس إن شاء الله.

---

(١) رواه مسلم (٣/١١٧).

استعمال الحناء

س: هل يجوز للمرأة الصائمة وضع الحناء على رأسها؟

ج: نعم يجوز لها أن تضع الحناء على رأسها وعلى يديها ورجليها كذلك.

دهن الشعر

س: ما حكم استعمال دهن الشعر (الكريم) للصائم؟

ج: يجوز أن يستعمل الصائم دهن الشعر والجلد (الكريم) لأن مسام الجلد ليست منفذا من منافذ الجسم إلى الجوف.

الفرشاة والمعجون

س: ما حكم استعمال الفرشاة والمعجون في نهار رمضان، مع العلم أن الفرشاة قد تسبب خرج بعض الدم من اللثة؟

ج: لا بأس باستعمال الفرشاة في نهار رمضان فهي كالمسواك، وإن سال شيء من الدم فإنه لا يؤثر في الصوم، أما المعجون فإن له رائحة نافذة وطعمًا حادًا وهو مما يختلط بالريق، وحينئذ لا يؤمن ابتلاعه، فالأولى والأحوط للمسلم أن يبتعد عنه كما يبتعد عن كل ما قد يعرض صومه للفساد وقد قال ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[1] وفي

---

(١) عن الحسن رضي الله عنه: رواه الإمام أحمد (١/٢٠٠) والترمذي (٧/٢٢١) والنسائي (٨/٣٢٧) والطيالسي (١١٧٨) وعبد الرزاق (٣/١١٧) والدارمي (٢/٢٤٥) والطبراني (٣/٧٥) وابن حبان (٢/٥٢) والحاكم (٢/١٣) والبغوي =

السواك والفرشاة بدون معجون الأسنان كفاية إن شاء الله.

المعاصي في رمضان

س: صائم لا يترك بعض المعاصي كالغيبة والنميمة والكذب، فهل يفطر بذلك؟

ج: المعاصي، وخاصة الغيبة والنميمة والكذب من الذنوب القبيحة التي يجب على المسلم اجتنابها في كل مكان وزمان إلا أن قبحها يزداد في رمضان، قال ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[1] والزور: الكذب، والمراد أن الصوم المختلط بالجهل والكذب مردود على صاحبه نسأل الله السلامة؛ لأنه ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل المقصود ما يتبعه من ذكر الشهوات، وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك لم ينظر الله إليه نظر القبول، وقد ذهب جماعة من السلف إلى إبطال صوم مثل هذا الرجل الذي لا يترك المعاصي، منهم: عمر وعلي وأبو ذر وأبو هريرة وأنس، وجابر رضي الله عنهم، ومن التابعين: مجاهد وميمون وحفصة، وقال إبراهيم النخعي: كانوا يقولون: الكذب يفطر الصائم، لذلك قال الإمام أحمد: كانوا أي السلف إذا صاموا قعدوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا[2] وذلك لشدة احتياطهم، وإلا =

(١٧/٨) والحديث صححه الترمذي وابن حبان والحاكم والذهبي والسيوطي ورواه غير الحسن وابصة وابن عمر وأنس وواثلة رضي الله عنهم.

(1) رواه البخاري (١١٦/٤).

(2) المغني مع الشرح (١١٢/٣).

فهم رحمهم الله من أشد الناس ابتعادًا من الكذب والغيبة والنميمة في رمضان وفي غيره.

فعلى المسلم الحذر كل الحذر، فإن الأمر جد خطير وليحرص على حفظ لسانه عن كل ما قد يعرض صومه للفساد [١].

من تعرض للشتم

س: إذا تعدى شخص على آخر فشتمه فكيف يتصرف وهو صائم؟

ج: ليكن من عباد الرحمن الذين قال عنهم سبحانه ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٣] فالجاهلون: السفهاء، وسلامًا: أي لا يجهلون على أهل الجهل [٢] وعن النعمان بن مقرن رضي الله عنه قال: قال رسول الله- وَسَبَّ رجل رجلا عنده فجعل الرجل المسبوب يقول عليك السلام، فقال ﷺ: «**أما إن ملكًا بينكما، يذب عنك، كلما يشتمك هذا قال له**: بل أنت، **وأنت أحق به، وإذا قال له: عليك السلام قال: لا، بل لك أنت أحق به**»[٣] .

فإذا شتم أحدًا صائمًا فليقل الصائم: إني صائم كما علمنا

---

(١) وإن كان مذهب الجمهور عدم فساد صوم العاصي.

(٢) انظر الدر المنثور (٦/٢٧١).

(٣) رواه الإمام أحمد (٥/٤٤٥) وقال الهيثمي (٨/٧٥) رجاله رجال الصحيح غير أبي خالد الوالي وهو ثقة.

رسول الله ﷺ بقوله: «**الصيام جُنة**[١] **فلا يرفث**[٢] **ولا يجهل**[٣] **وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم، إني صائم**»[٤].

حكم السحور

س: نام ولم يتمكن من تناول السحور، فهل عليه شيء؟

ج: ليس على من ترك السحور إثم لأن السحور مستحب وليس بواجب[٥].

وقد حث رسول الله ﷺ أمته على السحور، وأرشدهم إلى فضله، فقال: «**تسحروا فإن في السحور بركة**»[٦]، وقال ﷺ: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر**»[٧]، وقال ﷺ: «**السحور أكله بركة، فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله عز وجل وملائكته يصلون على المتسحرين**»[٨]، وقال العرباض بن سارية رضي الله عنه: دعاني رسول الله ﷺ إلى السحور فقال: «**هلم إلى الغداء المبارك**»[٩]،

---

(١) أي وقاية.
(٢) الرفث: الكلام القبيح الفاحش.
(٣) الجهل: الصياح والسفه.
(٤) رواه البخاري (١٠٣/٤) ومسلم (٢٨/٨).
(٥) إجماعا ذكره ابن المنذر وابن رشد وابن قدامة والنووي.
(٦) رواه البخاري (١٣٩/٤) ومسلم (٢٠٦/٧).
(٧) رواه مسلم (٢٠٧/٧).
(٨) رواه الإمام أحمد (١٢/٣) وقال المنذري: إسناده قوي وصححه السيوطي.
(٩) رواه الإمام أحمد (١٢٦/٤) وأبو داود (٤٧٠/٦) والنسائي (١٤٥/٤) وابن أبي

ودخل رجل على رسول الله ﷺ وهو يتسحر فقال له: «**إنها بركة، أعطاكم الله إياها، فلا تدعوه**»[١].

وقت السحور

س: متى يكون وقت السحور؟

ج: وقت السحور ما بين نصف الليل وطلوع الفجر الثاني، والأفضل تأخيره إلى قبيل طلوع الفجر، اقتداء برسول الله ﷺ ولأن المقصود من السحور التقوي على الصوم، وكلما كان السحور قريبًا إلى الفجر كان أعون على الصوم، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة. قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية [٢] ، وقال سهل بن سعد رضي الله عنه: كنت أتسحر في أهلي، ثم تكون سرعتي أن أدرك السجود مع رسول الله ﷺ [٣].

شيبة (٣/٩) وابن خزيمة (٣/٢١٤) وابن حبان (٥/١٩٤) والبيهقي (٤/٢٣٦) والحديث سكت عنه أبو داود والمنذري، وصححه ابن خزيمة وابن حبان.

(١) رواه النسائي (٤/١٤٥).

(٢) رواه البخاري (٤/١٣٨) ومسلم (٧/٢٠٧) وتدقيره الوقت بقراءة القرآن إشارة منه، رضي الله عنه إلى أن ذلك الوقت كان وقت العبادة بالتلاوة.

(٣) رواه البخاري (٤/١٣٧).

طعام السحور

س: على ماذا يتسحر الصائم؟

ج: كل ما حصل من أكل وشرب حصل به فضل السحور ولو كان شربة من ماء لقوله ﷺ: «**ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء**» إلا أن الأفضل والأكمل الاقتداء برسول الله ﷺ في ذلك، وذلك بتقليل الأكل والحرص على تناول التمر في السحور، لأنه بركة قال ﷺ: «**نعم سحور المؤمن التمر**»(١).

الإمساك قبل الفجر

س: في بعض التقاويم يكتبون وقت الإمساك قبل وقت الأذان بعشر دقائق، فهل يجب على المسلم أن يلتزم بذلك؟

ج: قد بين الله عز وجل وقت الإمساك بقوله ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾ [البقرة: ١٨٧] وبهذا نعلم أن الإمساك وقته طلوع الفجر الثاني كما بينا في أول الرسالة(٢) وإذا كان المؤذن يؤذن إلى طلع الفجر الثاني كما هو حاصل في الحرمين الشريفين فلا داعي للإمساك قبل الفجر بعشر دقائق أو خمس، بل يمسك مع سماع صوت المؤذن.

---

(١) رواه أبو داود (٤٧١/٦) وابن حبان (١٩٧/٥) والبيهقي (١٣٨/٤) وسكت عنه أبو داود والمنذري وصححه ابن حبان.

(٢) انظر ص ١٠.

والإمساك قبل الفجر احتياطًا.. من التنطع والتشدد المنهي عنه، وهو بدعة قديمة، تكلم عنها الحافظ ابن حجر في الفتح [(١)] فقال: من البدع المنكرة: ما أُحْدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان.. زعمًا ممن أحدثه أنه للاحتياط في العبادة.. وقد جرهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة، لتمكين الوقت زعموا فأخروا الفطر، وعجلوا السحور، وخالفوا السنة فلذلك قل عنهم الخير، وكثر فيهم الشر والله المستعان.

وقت الإمساك

س: بعض الناس يأكل ويشرب والمؤذن يؤذن، ويقول: آكل حتى يقول المؤذن: الصلاة خير من النوم. وبعضهم يقولك حتى يقول: لا إله إلا الله، وبعضهم يقول: إلى أن تقام الصلاة فهل فعلهم هذا صحيح؟

ج: قد بينا في السؤال السابق أن الإمساك يكون بطلوع الفجر الثاني، فمن أكل أو شرب بعد طلوع الفجر الثاني بطل صومه، والمؤذنون في بلادنا يؤذنون بعد طلوع الفجر مباشرة، لذلك فإن من سمع صوت المؤذن و لم يتوقف عن تناول المفطرات فقد بطل صومه، وعليه أن يقضي يومًا مكانه.

أما ما يقوله هؤلاء فكلام غير صحيح، بل الإمساك مرهون بطلوع الفجر الثاني كما أسلفنا.

(١) فتح الباري (١٩٩/٤).

متى يفطر الصائم

س: متى يفطر الصائم؟

ج: يفطر الصائم إذا غربت الشمس، بغياب جميع قرصها من جهة المغرب، لقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ [البقرة: ١٨٧] وقوله ﷺ: «**إذا أقبل الليل من ههنا**[١] **وأدبر النهار من ههنا** [٢] **وغربت الشمس فقد أفطر الصائم**»[٣].

تعجيل الفطر

س: ما حكم تعجيل الفطر؟

ج: تعجيل الفطر أمر مسنون لقوله ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**»[٤] وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على تطبيق هذه السنة، حتى ينالوا تلك الخيرية التي في الحديث فقد وصفهم التابعي الجليل عمرو بن ميمون الأودي رحمه الله بقوله: كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطارًا، وأبطأهم سحورًا[٥].

---

(١) أي جهة المشرق.

(٢) أي جهة المغرب.

(٣) رواه البخاري (٤/١٩٦) ومسلم (٧/٢٠٩).

(٤) رواه البخاري (٤/١٩٨) ومسلم (٧/٢٠٧) قال ابن عبد البر: أحاديث تعجيل الإفطار، وتأخير السحور صحاح متواترة.

(٥) رواه عبد الرزاق (٤/٢٢٦) وابن أبي شيبة (٣/١٠) والبيهقي (٤/٢٣٨) والطبراني قال الهيثمي (٣/١٥٤) رجاله رجال الصحيح وصححه النووي وابن حجر.

بل يستحب أن يعجل الإفطار دائمًا، فيجعله قبل الصلاة، قال أنس رضي الله عنه: ما رأيت رسول الله ﷺ قط على صلاة المغرب حتى يفطر، ولو على شربة ماء[1].

طعام الفطور

س: على ماذا يفطر الصائم؟

ج: كل ما حصل من أكل أو شرب حصل به الفطر، إلا أن الأفضل والأكمل الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في ذلك، قال ﷺ: «**إذا كان أحدكم صائمًا فليفطر على تمر فإنه بركة، فإن لم يجد التمر فليفطر على الماء فإنه طهور**»[2] وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم يكن رطبات فتمرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء[3].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣/١٠٧) وابن خزيمة (٣/٢٧٦) وابن حبان (٥/٢٠٧) والحاكم (١/٤٣٢) والبيهقي (٤/٢٣٩) وصححه ابن خزيمة وابن حبان.

(٢) رواه الإمام أحمد (٤/١٧) وأبو داود (٦/٤٨٠) والترمذي (٣/٣٨١) وابن ماجه (١/٥٤٢) والطيالسي (١/١٨٥) وعبد الرزاق (٤/٢٢٤) وابن أبي شيبة (٣/١٠٧) والحميدي (٢/٣٦٣) والدارمي (٢/٧) وابن خزيمة (٣/٢٧٨) وابن حبان (٥/٢١٠) والحاكم (١/٤٣٢) والبيهقي (٤/٢٣٩) والبغوي (٤/٢٦٧) والحديث سكت عنه أبو داود والمنذري، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي وصححه أبو حاتم الرازي والسيوطي.

(٣) رواه الإمام أحمد (٣/١٦٤) وأبو داود (٦/٤٨٠) والترمذي (٣/٣٧٩، ٣٨٢) والدارقطني (٢/١٨٥) والحاكم (١/٤٣٢) والبيهقي (٤/٢٣٩) والبغوي (٦/٢٦٦) والحديث سكت عنه أبو داود والمنذري، وقال الترمذي: حسن غريب، وقال الدارقطني: هذا إسناد صحيح، وحسنه السيوطي.

وبذلك نعلم أن الأفضل: الرطب، فإن لم يجد فالتمر، فإن لم يجد فالماء، فإن لم يجد شيئًا يفطر به قال العلماء نوى الفطر بقلبه حتى يجد الأكل.

الدعاء عند الإفطار

س: ماذا يقول الصائم عند الإفطار؟

ج: يستحب للصائم الإكثار من الدعاء، وسؤال الله قبول صومه، لأن الصائم ممن لا ترد دعوتهم إن شاء الله خاصة وقت إفطاره وفرحه بإكمال عبادته، قال ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب ا لسماء، ويقول الرب: وعزتي، لأنصرنك ولو بعد حين**»[1] .

ومن الدعوات المأثورة عن رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: «**ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله**»[2] .

---

(1) رواه الإمام أحمد (٢/٤٤٥) والترمذي (١٠/٥٦) وابن ماجه (١/٥٥٧) وابن المبارك في الزهد (٣٨٠) وابن حبان (٥/١٨١) والبيهقي (١٠/٨٨) وقال الترمذي: حسن، وصححه ابن حبان، وحسنه ابن حجر والسيوطي.

(2) رواه أبو داود (٦/٤٨٢) والدارقطني (٢/١٨٥) والحاكم (١/٤٢٢) والبيهقي (٤/٢٣٩) والبغوي (٦/٢٦٥) وقد سكت عن الحديث أبو داود والمنذري، وقال الدارقطني، إسناده حسن، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي.

تفطير الصائم

س: بعض الناس يحرص على تفطير صائم وقت الإفطار، فهل هذا أمر مرغب فيه؟

ج: نعم، تفطير الصائم من الأمور المرغب فيها، والتي ينبغي الحرص عليها، وقد أرشد رسول الله ﷺ أمته إلى فضل ذلك فقال: «**من فَطرَ صائمًا كُتب له مثل أجره، إلا أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا، ومن جهز غازيًا في سبيل الله، أو خلف في أهله كُتب له مثل أجره، إلا أنه لا ينقص من أجر الغازي شيئًا**»[(١)] .

الدعاء لمن فطره

س: ماذا يقول من فطره أخوه بعد الفراغ من الإفطار؟

ج: يستحب لمن فطره أخوه أن يدعو له بعد الفراغ من الإفطار، ويسأل الله أن يجزيه خيرا ومما كان يقوله رسول الله ﷺ لمن فَطَّرَه: «**أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامك الأبرارُ وتنزلت عليكم الملائكة**»[(٢)] .

---

(١) رواه الإمام أحمد (١١٤/٤) والترمذي (٥٣٣/٣) والنسائي (٤٦/٦) وابن ماجه (٥٥٥/١) وعبد بن حميد (١١٧) وابن خزيمة (٢٧٧/٣) وابن حبان (١٨١/٥) والبيهقي (٢٤٠/٤) والبغوي (٣٧٧/٦) وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والبغوي والسيوطي.

(٢) رواه الإمام أحمد (١١٨/٣) وابن أبي شيبة (١٠٠/٣) والبيهقي (٢٣٩/٤) وصححه العراقي والسيوطي.

فصل

صلاة التراويح

س: ما حكم صلاة التراويح، ومتى يبدأ وقتها؟

ج: صلاة التراويح سنة [١] وأداؤها في الجماعة أفضل [٢] ويبدأ وقتها من بعد صلاة العشاء، قال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٣] .

س: كم عدد ركعات صلاة التراويح؟

ج: الأمر فيها واسع، وليس فيها عدد معين لا أن يلتزمه المسلم ، إلا أنه إذا أطال القراءة جدًا كما كان يفعل رسول الله ﷺ فليصل بسبع أو تسع أو إحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة، وإن توسط في القراءة فليصل بإحدى وعشرين أو بثلاث وعشرين أو نحوهما، وإن قصر فليصل بتسع وثلاثين أو إحدى وأربعين، كل ذلك مروي عن السلف الصالح رحمهم الله، ولم يكونوا يلتزمون عددًا معينًا يلزمون به الناس، ولا يخرجون عنه[٤] .

---

(١) إجماعًا ذكره ابن رشد والنووي وابن تيمية.

(٢) أجمع الصحابة على ذلك، ذكره النووي عن ابن سريج وأبي إسحاق المروزي.

(٣) رواه البخاري (٤/٢٥٠) ومسلم (٦/٤٠).

(٤) هذا مع أن جماهير العلماء من الصحابة ومن دونهم يفضلون أن تكون ثلاثًا وعشرين ركعة، بل هو إجماع الصحابة رضي الله عنهم، ذكره ابن رشد وابن قدامة حيث جمعهم عمر رضي الله عنه على عشرين ركعة، ولم ينقل عن أحدهم =

قال الإمام مالك: الأمر عندنا أي بالمدينة بتسع وثلاثين، وبمكة بثلاث وعشرين، وليس في شيء من ذلك ضيق.

وقال الإمام الشافعي: ليس في شيء من هذا ضيق ولا حد ينتهي إليه لأنه نافلة، وسئل عنها الإمام أحمد: فلم يقض فيها بشيء: لأنه يرى أن الأمر فيها واسع، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد مؤقت عن النبي ﷺ لا يزاد فيه ولا ينقص فقد أخطأ.

وقال الشوكاني: قصر الصلاة المسماة بالتراويح على عدد معين، وتخصيصها بقراءة مخصوصة لم يرد به سنة.

ولم ينقل عن رسول الله ﷺ بسند صحيح ولا ضعيف أنه أمر المسلمين أن يلتزموا عددًا معينًا من الركعات في التراويح، أو قيام الليل مطلقًا، مع أنه ﷺ حثهم على قيام الليل، ورغبهم فيه، وبين لهم فضله، ولم يشر إشارة إلى عدد ركعات معين لا يزاد عنه ولا ينقص، فدل ذلك على أن الأمر فيها مطلق، غير مقيد بعدد معين، إذ المقصود منها إحياء جزء من الليل بصلاة ركعتين ركعتين، ثم الإيتار.

س: هل تخص العشر الأواخر بزيادة اجتهاد في العبادة؟

ج: نعم فإن ذلك سنة رسول الله ﷺ قالت أم المؤمنين عائشة

=

إنكار ذلك. ولولا خشية الإطالة لذكرت الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة على أن قيام الليل الأمر فيه مطلق لم يحده الشارع بعدد معين، ولعل الله عز وجل بيسير ذلك في موضع آخر والله المستعان.

رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد المئزر، وأحيا ليله وأيقظ أهله[١]، وقولها: شد المئزر: أي اعتزل النساء، وجد في العبادة، وأحيا ليله: سهره فأحيا ليله كله بالعبادة، وأيقظ أهله، فلم يترك أحدًا منهم يطيق القيام إلا أقامه.

وفي العشر الأواخر: تتحرى ليلة القدر، التي وعد رسول الله ﷺ من قامها بغفران الذنوب، فقال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[٢].

س: ماذا يستحب أن يقول من أحيا العشر الأواخر متحريًا ليلة القدر؟

ج: يستحب له الإكثار من الدعاء، وخاصة ما علمه رسول الله ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حين سألته: يا نبي الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر: ما أقول؟ قال: «**تقولين: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩/٤) ومسلم (٧٠/٨).

(٢) رواه البخاري (١١٥/٤) ومسلم (٤٠/٦).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٧١/٦) والترمذي (٤٩٥/٩) والنسائي في اليوم والليلة (٨٧٢) وابن ماجه (١٢٦٥/٢) وابن السني (٧٦٧) والحاكم (٥٣٠/١) والحديث قال عنه الترمذي: حسن صحيح وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه النووي.

فصل

الاعتكـــــاف

س: ما حكم الاعتكاف، وأين يكون؟

ج: الاعتكاف سنة [١] ويكون في أي مسجدًا [٢] تقام فيه الجماعة تقام فيه الجماعة لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**﴾ [البقرة: ١٨٧] ويتأكد استحبابه في العشر الأواخر من رمضان لفعله ﷺ.

س: كيف يستحب للمعتكف قضاء وقته؟

ج: يستحب له أن يقضيه في قراءة القرآن، والدعاء وذكر الله عز وجل، وفعل الطاعات المحضة وحضور حلقات العلم في المسجد الذي اعتكف فيه إن وجدت، والابتعاد عن كثرة الكلام في أمور الدنيا، وما لا فائدة فيه، واجتناب كل محرم من غيبة ونميمة وكذب وفحش، وجدال وجهل، وهذه الأمور وإن كانت قبيحة في كل زمان، ولكل مسلم إلا أنها أشد قبحًا في حق المعتكف.

س: هل يجوز للمعتكف التنقل من مكان إلى آخر داخل المسجد أم لا بد له من لزوم مكان واحد؟

ج: يجوز للمعتكف التنقل داخل المسجد، وعلى سطحه، ولا

---

(١) إجماعًا ذكره الإمام أحمد وابن المنذر وابن هبيرة وابن رشد وابن قدامة والنووي.

(٢) إجماعًا ذكره ابن قدامة .

يلزمه الجلوس في مكان واحد [١].

س: متى يدخل المعتكف معتكفه في العشر الأواخر من رمضان، ومتى يخرج؟

ج: يدخله بعد غروب شمس ليلة إحدى وعشرين، أو بعد صلاة الفجر من اليوم الحادي والعشرين، وينتهي اعتكافه ليلة العيد، سواء تم الشهر أو نقص، إلا أنه يستحب له أن يقضي ليلة العيد في معتكفه، حتى يصلي الفجر ثم يغدو إلى المصلي فيصلي العيد.

س: متى يجوز للمعتكف الخروج من المسجد؟

ج: يجوز له الخروج لحاجة الإنسان التي لا بد منها [٢] وحاجته التي لا يقضيها غيره، وإلى صلاة الجمعة إن كان المسجد الذي اعتكف فيه لا تقام فيه الجمعة [٣] ثم يعود إلى مسجده، وليس له الإقامة خارج معتكفه بعد قضاء حاجته لأكل أو لغيره، إلا إذا مُنع من ذلك فله الأكل خارج المسجد ثم يعود إلى معتكفه.

س: متى يبطل الاعتكاف؟

ج: يبطل الاعتكاف بأمور، منها: الجماع[٤] والخروج لغير حاجة كنزهة، أو تجارة أو صناعة، أو شهود جنازة، أو عيادة مريض خارج المسجد، وإذا ارتد عياذاً بالله[٥] أما المرأة إذا حاضت

---

(١) إجماعًا ذكره ابن قدامة.
(٢) أي البول والغائط، إجماعًا ذكره ابن المنذر وابن هبيرة وابن رشد والماوردي.
(٣) إجماعًا ذكره ابن هبيرة.
(٤) إجماعًا ذكره ابن المنذر وابن هبيرة وابن رشد وابن قدامة.
(٥) إجماعًا ذكره ابن المنذر والماوردي وابن تيمية.

فلا يبطل اعتكافها، إلا أنها تخرج من المسجد إلى رحبته[١] إن وجدت وتضرب لها خباء تجلس فيه.

فصل

زكاة الفطر

س: ما حكم زكاة الفطر، وعلى من تجب وما مقدارها؟

ج: زكاة الفطر واجبة؟[٢] على كل مسلم حر أو عبد ذكر أو أنثى، صغير أو كبير [٣] ومقدارها صاع [٤] من بر، أو من شعير، أو من تمر أو من زبيب، أو من أقط، قال ابن عمر رضي الله عنهما: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدي قبل خروج الناس إلى الصلاة [٥] وقال أبو سعيد رضي الله عنه: صاعًا من طعام أو صاعًا من شعير، أو صاعا من تمر، أو صاعًا من أقط، أو صاعًا من زبيب [٦].

(١) رحبة المسجد: ساحته.
(٢) إجماعًا: ذكره إسحاق وابن المنذر والبيهقي وابن رشد، وروي خلافه عن ابن علية والأصم.
(٣) ولا تجب على الحمل في بطن أمه إجماعًا، ذكره ابن المنذر إلا أنها مستحبة لفعل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ولا مخالف له من الصحابة لذلك استحبها الإمام أحمد.
(٤) الصاع: أربعة أمداد، والمد: مليء كفي رجل معتدل الكفين.
(٥) رواه البخاري (٣/٣٦٧) ومسلم (٧/٥٩).
(٦) رواه البخاري (٣/٣٧١) ومسلم (٧/٦١).

س: متى تخرج زكاة الفطر، ولمن تعطى؟

ج: وقت إخراجها من غروب شمس ليلة العيد، إلى انقضاء صلاة العيد، ويجوز تقديمها بيوم أو يومين [١] قال نافع عن وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين [٢].

وإن أخرها إلى بعد صلاة العيد أثم، ولزمه دفعها قضاء، قال ابن عمر رضي الله عنه: وأمر بها أي رسول الله ﷺ أن تؤدي قبل خروج الناس إلى الصلاة [٣] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات [٤].

وتعطى لمن يجوز دفع الزكاة إليهم، من فقراء ومساكين وغيرهم من أهل الزكاة.

س: هل يجوز إخراج زكاة الفطر نقدًا بدلا من الطعام؟

ج: لا يجوز ذلك، ولو أخرجها لم تجزئه وبقيت في ذمته، لأن رسول الله ﷺ أمر بإخراجها طعامًا ولو كانت النقود مجزئة لأمرنا

---

(١) إجماعًا ذكره ا بن هبيرة وابن رشد وابن قدامة، والنووي عن العبدري والشوكاني عن ابن رسلان.

(٢) رواه البخاري (٣/٣٧٥).

(٣) مضى تخريجه قريبًا.

(٤) رواه أبو داود (٥/٣) وابن ماجه (١/٥٨٥) والدارقطني (٢/١٣٨) والحاكم (١/٤٠٩) والبيهقي (٤/١٦٣) والحديث سكت عنه أبوه والمنذري، وقال الدارقطني: ليس فيهم مجروح وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وحسنه ابن قدامة والنووي، وسكت عنه الحافظ في الفتح.

بها رسول الله ﷺ دون الطعام، أو معه، فلما لم يذكرها دل ذلك على أن إخراج الطعام مقصود لذاته، وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم، لذلك كانوا يخرجونها طعامًا و لم ينقل عن أحدهم البتة أنه فعل ذلك أو أجازه بل كانوا رضي الله عنهم مجمعين على أنها تخرج طعامًا (١) .

وقد سئل الإمام مالك: عن الرجل يكون في موضع ليس فيه طعام، أيخرج زكاة الفطر دراهم؟ قال: لا والله، ثم قال: ويكون أحد بموضع ليس فيه طعام؟ فأي شيء يأكل؟ فقيل إنه يقيم في ذلك المكان الشهر والشهرين، قال: إذا رجع أخرج ذلك طعامًا ولا يعطي غير الطعام (٢) .

وقيل للإمام أحمد: قوم يقولون: فلان كان يأخذ بالقيمة؟ فقال: يدعون قول رسول الله ﷺ ويقولون: قال فلان !! قال ابن عمر رضي الله عنهما: فرض رسول الله ﷺ وقال تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾، وهؤلاء يردون السنن بقال فلان، قال فلان(٣) .

س: ما هي أنواع الطعام الواجب إخراجها؟

ج: الأنواع هي المنصوص عليها في الحديث: التمر، والزبيب والشعير، والأقط، والبر، وأنفسها وأجودها التمر، وهو ما كان

(١) وهو قول عامة أهل العلم سلفاً وخلفاً ومنهم: الأئمة مالك والشافعي وأحمد.
(٢) رواه ابن زنجويه في الأموال (١٢٦٩/٣) وانظر المدونة (٣٥٨/١) .
(٣) المغني مع الشرح (٦٦١/٢).

يحرص الصحابة رضي الله عنهم على إخراجه، لمن قدر عليه فهو قوت، ودواء، وحلواء لكل الناس، الفقير والغني، لذلك اختار الإمامان مالك وأحمد تفضيل التمر على غيره، فإن أخرج ا لمسلم ما يجب عليه من صنف من هذه الأصناف فقد أحسن وأبرأ ذمته بإجماع العلماء، وخرج من الخلاف، فإن لم يجد فليخرج صاعًا من غالب قوت أهل البلد، من كل حب وثمرة تقتات وتدخر مثل: الدخن، والأرز والذرة ونحوها.

س: هل يجوز تفريق الصاع بين أكثر من مسكين أو إعطاء الواحد أكثر من صاع؟

ج: نعم يجوز ذلك (١).

فصل

صلاة العيد

س: ما حكم صلاة العيد، ومتى يكون وقتها، وهل الأفضل أداؤها في مسجد أو صحراء؟

ج: صلاة العيد فرض كفاية، لقوله تعالى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [الكوثر: ٢] والأمر يقتضي الوجوب، ولمداومة رسول الله ﷺ على فعلها، ولكونها من أعلام الدين الظاهرة.

ووقتها من ارتفاع الشمس، بعد شروقها قدر رمح إلى قبيل

---

(١) إجماعًا ذكره ابن رشد وابن قدامة.

الزوال [١].

والأفضل أداؤها في صحراء قريبة، كما كان يفعل رسول الله ﷺ إلا المسجد الحرام فتؤدى فيه.

س: ما هي آداب الخروج لصلاة العيد؟

ج: يستحب الاغتسال لها قبل الخروج إلى الصلاة [٢] والخروج لها في أحسن هيئة ممكنة والأكل قبل صلاة عيد الفطر [٣]، والأفضل أن يكون تمرًا يأكله وترًا [٤] والتكبير من غروب شمس ليلة العيد إلى الانتهاء من صلاة العيد، وصفته الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، يجهر بها الرجال وتسر النساء ولا يكبرون بصوت جماعي، بل كل يكبر على حدة ويدنو من الإمام إذا وصل إلى المصلى، ولا يصلي قبل صلاة العيد ولا بعدها، إذ ليس للمصلي تحية كالمسجد، ولا ينصرف حتى ينتهي الخطيب من خطبته استحبابًا ويرجع إلى بيته من غير الطريق الذي جاء منه [٥] ويسن خروج النساء إلى الصلاة، غير متبرجات، ولا متزينات حتى الحيض منهن إلا أُنهن يعتزلن المصلي، ويشهدن دعوة المسلمين.

---

(١) إجماعًا ذكره ابن رشد وابن قدامة وابن تيمية وابن بطال.
(٢) إجماعًا ذكره ابن رشد والنووي والعيني.
(٣) إجماعًا ذكره ابن رشد وابن قدامة
(٤) ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا وهكذا.
(٥) إجماعًا ذكره ابن رشد.

س: كيف يفعل من فاتته صلاة العيد؟

ج: من فاتته صلاة العيد فلا يلزمه قضاؤها، فإن أحب ذلك فهو مخير: إن شاء صلاها أربعًا بسلام أو سلامين، وإن شاء صلاها ركعتين، وإن شاء صلاها على صفة صلاة العيد يكبر ستًا بعد تكبيرة الإحرام وخمسًا بعد تكبيرة القيام للركعة الثانية [١]، يرفع يديه مع كل تكبيرة [٢].

س: ماذا يقول المصلي بين التكبيرات؟

ج: ليس هناك ذكر يجب عليه قوله بين التكبيرات [٣]، إلا أنه يستحب بين كل تكبيرة وأخرى أن يحمد الله، ويصلي على النبي ﷺ [٤].

---

(١) عدد التكبيرات هذا هو مذهب الجمهور، وهو مروي عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وابن عمر، وهو مذهب الفقهاء السبعة ومذهب مالك وأحمد.

(٢) رفع اليدين مع كل تكبيرة هو مذهب الجمهور، منهم: الأحناف والشافعية والحنابلة.

(٣) إجماعًا ذكره ابن رشد وابن قدامة والنووي.

(٤) وهو مروي عن ابن مسعود وحذيفة وأبي موسى رضي الله عنهم، وبه قال الشافعي وأحمد.

فصل

صيام ست من شوال

س: ما حكم صوم ست من شوال، وهل تلزم متتابعة ومتى تكون؟

ج: صيام ست من شوال مستحب لقوله ﷺ: «**من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال فكأنما صام الدهر**»[1] ولا يلزم أن تكون متتابعة وإن كان التتابع أفضل.

ويجوز أن يصومها في أول الشهر، ووسطه، وآخره إلا يوم العيد فلا يجوز صومه.

سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) رواه مسلم (٨/٥٦).

الفهرس

هكذا صام النبي
صلى الله عليه وسلم رمضان
من زاد المعاد لابن القيم

اختصار

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

هكذا صام النبي ﷺ رمضان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

مقاصد الصوم

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (لما كان المقصود من الصيام:

١-حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات.

٢-وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية.

٣-ويكسر الجوع والظمأ حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين.

٤-وتضييق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب.

٥-وتُحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها.

٦-ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه، وتُلجم بلجامه، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين.

٧-وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا

يفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده .

٨-وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه. والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهذا أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم.

تأثير الصوم على القلب والجوارح

وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها.

فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة:١٨٣].

وقال النبي ﷺ: «**الصوم جُنة**» (متفق عليه).

وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح، ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء [١] هذه الشهوة.

والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة

(١) وجاء: دافع.

والفطر المستقيمة، شرعه الله لعباده ؛ رحمة بهم، وإحسانا إليهم، وحمية لهم وجنة [١].

وكان هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أكمل الهدي وأعظم تحصيل للمقصود وأسهله على النفوس.

سبب تأخير فرضه

ولما كان فطم الناس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها، تأخر فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة، لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة، وألفت أوامر القرآن، فنقلت إليه بالتدريج.

وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة، فتوفي رسول الله ﷺ وقد صام تسع رمضانات.

كيفية فرض الصيام

وفرض أولاً على وجه التخيير بينه وبين أن يطعم عن كل يوم مسكيناً. ثم نقل من ذلك التخيير إلى تحتم الصوم.

وجعل الإطعام للشيخ الكبير والمرأة إذا لم يطيقا الصيام، فإنهما يفطران، ويطعمان عن كل يوم مسكيناً، ورخص للمريض والمسافر أن يفطرا ويقضيا ؛ وللحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما

---

(١) جنة : سترة ووقاية.

كذلك، فإن خافتا على ولديهما، زادتا مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم، فإن فطرهما لم يكن لخوف مرض، وإنما كان مع الصحة، فجبر بإطعام المسكين، كفطر الصحيح في أول الإسلام.

وكان للصوم رتب ثلاث:

إحداها: إيجابه بوصف التخيير.

والثانية: تحتمه، لكن كان الصائم إذا نام قبل أن يطعم، حرم عليه الطعام والشراب إلى الليلة القابلة، فنسخ ذلك بالرتبة التالية

الثالثة: وهي التي استقر عليها الشرع إلى يوم القيامة.

الإكثار من أنواع العبادة

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان:

الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل – عليه السلام – يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان؛ يكثر فيه من الصدقة والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والاعتكاف.

وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره به من الشهور، حتى إنه كان ليواصل فيه أحياناً، ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة.

وكان ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون له: إنك تواصل،

فيقول: «**ليست كهيئتكم، إني أبيتُ**» – وفي رواية: «**إني أظل**» – **عند ربي يطعمني ويسقيني** » (متفق عليه).

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة للأمة وأذن فيه إلى السحر، وفي صحيح البخاري، عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا تواصلوا، فأيكم أراد أن يواصل، فليواصل إلى السحر**» فهذا أعدل الوصال، وأسهله على الصائم، وهو في الحقيقة بمنزلة عشائه إلا أنه تأخر، فالصائم له في اليوم والليلة أكلة، فإذا أكلها في السحر، كان قد نقلها من أول الليل إلى آخره.

هديه ﷺ في ثبوت الشهر

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل في صوم إلا برؤية محققة، أو بشهادة شاهد واحد، كما صام بشهادة ابن عمر، وصام مرة بشهادة أعرابي، واعتمد على خبرهما، ولم يكلفهما لفظ الشهادة، فإن كان ذلك إخبارا فقد اكتفى في رمضان بخبر الواحد، وإن كان شهادة فلم يكلف الشاهد لفظ الشهادة، فإن لم تكن رؤية ولا شهادة أكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً.

وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحاب، أكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً، ثم صامه.

ولم يكن يصوم يوم الإغمام، ولا أمر به، بل أمر بأن تكمل عدة شعبان ثلاثين إذا غم، وكان يفعل ذلك، فهذا فعله، وهذا أمره. ولا يناقض هذا قوله: «**فإن غم عليكم فاقدروا له**» (متفق

عليه).

فإن القدر: هو الحساب المقدر، والمراد به: إكمال عدة الشهر الذي غم، كما قال في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: «**فأكملوا عدة شعبان**».

هديه ﷺ في الخروج من الشهر

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم: أمر الناس بالصوم بشهادة الرجل الواحد المسلم، وخروجهم منه بشهادة اثنين.

وكان من هديه: إذا شهد الشاهدان برؤية الهلال بعد خروج وقت العيد أن يفطر، ويأمرهم بالفطر، ويصلي العيد من الغد في وقتها.

هديه ﷺ في الفطر والسحور

وكان يعجل الفطر ويحض عليه، ويتسحر، ويحث على السحور، ويؤخره، ويرغب في تأخيره.

وكان يحض على الفطر بالتمر، فإن لم يجد فعلى الماء، هذا من كمال شفقته على أمته، ونصحهم، فإن إعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خلو المعدة أدعى إلى قبوله، وانتفاع القوى به، ولا سيما القوة الباصرة، فإنها تقوى به.

وحلاوة المدينة التمر، ومرباهم عليه، وهو عندهم قوت وأدم، ورطبه فاكهة.

وأما الماء: فإن الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس، فإذا رطبت بالماء، كمل انتفاعها بالغداء بعده، ولهذا كان الأولى بالظمآن الجائع أن يبدأ قبل الأكل بشرب قليل من الماء، ثم يأكل بعده، هذا مع ما في التمر والماء من الخاصية التي لها تأثير في صلاح القلب لا يعلمها إلا أطباء القلوب.

مع النبي ﷺ في فطره

وكان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي.

وكان فطره على رطبات – إن وجدها- فإن لم يجدها، فعلى تمرات، فإن لم يجد فعلى حسوات من ماء.

وروي عنه أنه كان يقول إذا أفطر: «**ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى**» (رواه أبو داود).

ويذكر عنه ﷺ: «**إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد**» (رواه ابن ماجة).

وصح عنه أنه قال ﷺ: «**إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر من هاهنا، فقد أفطر الصائم**» (متفق عليه).

وفسر بأنه قد أفطر حكماً، وإن لم ينوه، وبأنه قد دخل وقت فطره، كأصبح وأمسى.

آداب الصائم

ونهى الصائم عن الرفث، والصخب، والسباب، وجواب السباب، فأمره أن يقول لمن سابه «**إني صائم**» (متفق عليه).

فقيل: يقول بلسانه، وهو أظهر.

وقيل: بقلبه ، تذكيراً لنفسه بالصوم.

وقيل: يقوله في الفرض بلسانه، وفي التطوع في نفسه؛ لأنه أبعد عن الرياء.

السفر في رمضان

وسافر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان، فصام وأفطر، وخيَّر الصحابة بين الأمرين.

وكان يأمرهم بالفطر إذا دنوا من عدوهم؛ ليتقووا على قتاله.

الفطر بسبب الجهاد

فلو اتفق مثل هذا في الحضر، وكان في الفطر قوة لهم على لقاء عدوهم فهل لهم الفطر؟

أصحهما دليلاً أن لهم ذلك، وهو اختيار ابن تيمية، وبه أفتى العساكر الإسلامية لما لقوا العدو بظاهر دمشق.

ولا ريب أن الفطر لذلك أولى من الفطر لمجرد السفر، بل إباحة

الفطر للمسافر تنبيه على إباحته في هذه الحالة، وأنها أحق بجوازه.

لأن القوة هناك تختص بالمسافر، والقوة هنا له وللمسلمين.

ولأن مشقة الجهاد أعظم من مشقة السفر.

ولأن المصلحة الحاصلة بالفطر للمجاهد أعظم من المصلحة بفطر المسافر.

ولأن الله تعالى قال: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال:٦٠]، والفطر عند اللقاء من أعظم أسباب القوة.

والنبي صلى الله عليه وسلم قد فسر القوة بالرمي، وهو لا يتم، ولا يحصل به مقصوده إلا بما يقوي ويعين عليه من الفطر والغذاء.

ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للصحابة لما دنوا من عدوهم: «**إنكم قد دنوتم من عدوكم، والفطر أقوى لكم**» وكانت رخصة، ثم نزلوا منزلا آخر فقال: «**إنكم مصبحو عدوكم، والفطر أقوى لكم فأفطروا**» (رواه مسلم).

فكانت عزمة فأفطروا.

فعلل بدنوهم من عدوهم واحتياجهم إلى القوة التي يلقون بها العدو، وهذا سبب آخر غير السفر ، السفر مستقل بنفسه، ولم يذكره في تعليله، ولا أشار إليه.

وأما إذا تجرد السفر عن الجهاد، فكان رسول الله ﷺ يقول في الفطر: «**هي رخصة من الله، فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه**».

وسافر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان في أعظم الغزوات وأجلها: في غزاة بدر، وفي غزاة الفتح.

هديه ﷺ في مسافة السفر

و لم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم تقدير المسافة التي يفطر فيها الصائم بحد، ولا صح عنه في ذلك شيء.

وقد أفطر دحية الكلبي في سفر ثلاثة أميال، وقال لمن صام: قد رغبوا عن هدي محمد ﷺ.

وكان الصحابة حين ينشؤون السفر يفطرون من غير اعتبار مجاوزة البيوت، ويخبرون أن ذلك سنته وهديه ﷺ كما قال عبيد بن جبر: «ركبت مع أبي بصرة الغفاري، صاحب رسول الله ﷺ في سفينة من الفسطاط في رمضان، فلم يجاوز البيوت حتى دعا بالسفرة. قال: اقترب. قلت: ألست ترى البيوت ؟ قال أبو بصرة: أترغب عن سنة رسول الله ﷺ؟ » (رواه أبو داود وأحمد).

وقال محمد بن كعب: «أتيت أنس بن مالك في رمضان وهو يريد سفراً، وقد رحلت له راحلته، وقد لبس ثياب السفر، فدعا بطعام فأكل، فقلت له: سنة؟ قال: سنة، ثم ركب».

قال الترمذي: حديث حسن، وقال الدار قطني فيه: فأكل وقد تقارب غروب الشمس.

وهذه الآثار صريحة في أن من أنشا السفر في أثناء يوم من رمضان، فله الفطر فيه.

هديه ﷺ في غسل الجنابة

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم: أن يدركه الفجر وهو جنب من أهله، فيغتسل بعد الفجر [١] ويصوم.

وكان يقبل بعض أزواجه وهو صائم في رمضان [٢]، وشبه قبلة الصائم بالمضمضة بالماء.

هديه ﷺ فيمن أكل أو شرب ناسياً

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم: إسقاط القضاء عمن أكل وشرب ناسياً، وأن الله سبحانه هو الذي أطعمه وسقاه، فليس هذا الأكل والشرب يضاف إليه، فيفطر به، فإنما يفطر بما فعله، وهذا بمنزلة أكله وشربه في نومه، إذ لا تكليف بفعل النائم، ولا بفعل الناسي.

مفطرات الصائم

والذي صح عنه صلى الله عليه وسلم: أن الذي يفطر به الصائم: الأكل، والشرب، والحجامة، والقيء.

والقرآن دال على أن الجماع مفطر، كالأكل والشرب، ولا يعرف فيه خلاف، ولا يصح عنه في الكحل شيء.

---

(١) أي بعد أذان الفجر.

(٢) ولكنه ﷺ كان يملك نفسه ، أما غيره فقد لا يملك نفسه ، ولذلك فقد كره أهل العلم القبلة للصائم إذا خشي ألا يملك نفسه.

وصح عنه أن كان يستاك وهو صائم.

وذكر الإمام أحمد عنه أنه كان يصب الماء على رأسه وهو صائم.

وكان يتمضمض ويستنشق وهو صائم، ومنع الصائم من المبالغة في الاستنشاق.

ولا يصح عنه أن احتجم وهو صائم، قاله الإمام أحمد.

ولا صح عنه أنه نهى الصائم عن السواك أول النهار ولا آخره.

هكذا نستقبل مواسم الخيرات

صبري بن سلامة شاهين

دار بلنسية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد العزيز: يا ياسر هات ثلاثين ريالاً.

ياسر: لماذا يا عبد العزيز؟

عبد العزيز: هل نسيت ما اتفقنا عليه أول أمس؟

ياسر: أوه؛ فعلاً نسيت؛ لقد أعطاني عادل ثلاثين؛ هاك ستين ريالاً.

عبد العزيز: بهذا يصير المبلغ مائة وخمسين ريالاً.

ياسر: من لم يدفع من الأصدقاء؟

عبد العزيز: ناصر وسعد وإبراهيم.

ياسر: فمتى تشتري الكرة والشباك والبخاخ؛ فلم يبق إلا يومان على رمضان.

عبد العزيز: إن شاء الله اليوم نشتري كل شيء.

ياسر: اليوم بعد العشاء نُركّبُ اللمبات الكهربائية وننظف الملعب من الحجارة والزجاج.

عبد العزيز: لا تقلق يا ياسر؛ كل شيء سيكون جاهزًا قبل رمضان.

ياسر: لا بد أن نغلب فريق عادل؛ فلقد غلبونا العام الماضي مرات عديدة.

عبد العزيز: على فكرة؛ هم ليسوا أقوى وأحرف منا؛ ولكن

اغتررنا بخالد واعتمدنا عليه، وهو مستواه عادي جدًا؛ بل أقل من العادي.

ياسر: لقد تدربت على تدريبات عجيبة سوف ينبهر كل اللاعبين بها، وساعتها سيكون ياسر هو البطل الحقيقي.

عبد العزيز: على رسلك يا ياسر فلا داعي للغرور ولكن سوف ترى يا عبد العزيز عندما تكون الكرة بين رجلي فلن أدعها حتى تكون في المرمى.

ياسر: يا عبد العزيز؛ هذا هو عماد آت من بعيد فحاول معه أن تقنعه ليشارك معنا.

عبد العزيز: عماد يبدو أنه عنده عقد نفسية، فلا يتجاوب معنا.

ياسر: العجيب أننا في سن المرح والنشاط، وهو لا أدري بأي شيء يفكر!

عماد: السلام عليكم ورحمة الله.

ياسر وعبد العزيز: وعليكم.

عماد: يا إخوان؛ ربنا – عز وجل – يقول: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾.

ياسر وعبد العزيز: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

عماد: أظن أنكما مجتمعان للاستعداد لاستقبال شهر رمضان كما هي عادتكما.

ياسر: ماذا تقصد يا عماد؟!

عبد العزيز: نعم؛ ماذا تقصد يا عماد؟!

عماد: لا أقصد شيئًا غير أني مشفق عليكما.

ياسر بسخرية: لا داعي لهذه الشفقة ... وفِّرْها لنفسك.

عبد العزيز: مشفق علينا؟ من أي شيء يا عماد؟

عماد: لقد ضيعتم رمضان العام الماضي في اللهو واللعب والسهر طول الليل والنوم طول النهار؛ فأي صيام هذا يا ياسر؟!

ياسر بسخرية: يمكنك يا عماد أن تعظ المصلين في المسجد؛ فلسنا في حاجة إلى وعظك.

عماد: أتريد أن تتشاجر يا ياسر؟ ألم تدرس قول الشاعر في المدرسة عن شهر رمضان؟

ما إن تمرد عن نظامك معشرٌ
إلا وحق عليهم الخسرانُ

عبد العزيز: دعك يا عماد من ياسر ... ولكن ما يمنعك أن تشاركنا في لعبنا ومرحنا؟

عماد: يا عبد العزيز كيف نضيع أثمن وأغلى أوقات حياتنا في اللعب واللهو. شهر رمضان يا عبد العزيز شهر واحد في السنة، والعصاة يرجعون فيه إلى الله.

عبد العزيز: ولكن يا عماد نحن في بداية حياتنا، ولا حرج علينا في اللهو المباح.

عماد: تسمي هذا لهوًا مباحًا وأنتم تضيعون صيامكم ... كم تحفظ من المصحف يا عبد العزيز؟

سكت عبد العزيز و لم يرد.

عماد: اصدقني كم تحفظ؟ فلو عكفت طوال الشهر على القرآن حفظًا وتلاوة لكان فيه الخير العميم.

ياسر من بعيد: هيا يا عبد العزيز لقد تأخرنا عن شراء الكرة والشباك وباقي الأغراض.

عبد العزيز: عفوًا يا عماد! لنا لقاء آخر.

عماد: إن شاء الله، إن شاء الله.

ذهب عماد إلى الجد زكريا.

عماد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أهلاً ومرحبًا.

عماد: كيف حال صحتك الآن؟ لعلك بخير.

الجد: نعم بخير والحمد لله، وأسأل الله سبحانه أن يبلغنا رمضان ويمن علينا بصيامه وقيامه، ويتقبله منا.

عماد: اللهم آمين.

الجد: اللهم آمين؛ ولكن أين ياسر وعبد العزيز؟

عماد: للأسف يا جدي لقد ذهبا. ثم سكت عماد قليلاً، فبادره الجد قائلاً: أين ذهبا يا بني؟ أين؟

عماد: ذهبا ليشتريا كرةً وشباكًا وبخاخًا ليجهــزوا الملعــب ويستعدوا للعب والسهر طوال شهر رمضان.

الجد: أعوذ بالله؛ الناس يستعدون لاستقبال شهر الخير والبركة بالطاعات، وهؤلاء الأولاد يستعدون للهو والباطل.

جاء عبد العزيز وياسر فقال ياسر لعبد العزيز:

– حذار أن يراك الجد زكريا؛ فلو رآك ورأى ما معك فــلا يتركنا حتى يخرب علينا خطتنا.

عبد العزيز: ولو لم يرنا فسوف يعلم بما سنفعل.

ياسر: طبعًا؛ عماد سوف يقوم بالواجب ويخبره.

عبد العزيز: دعه يخبره فسوف أقنع جدي.

دخل عبد العزيز على جده وقال له:

السلام عليكم أيها الجد العزيز.

الجد: وعليكم السلام ورحمة الله ... أين كنت يا عبد العزيز؟ وأين الولد ياسر؟

ياسر: ها أنذا يا جدي ... السلام عليكم.

الجد: وعليكم السلام، أين كنتما يا أولاد؟

عبد العزيز: كنا نتجول ونروّح عن أنفسنا من عناء المــذاكرة طوال اليوم.

الجد: حسنًا يا عبد العزيز إن كنت صادقًا.

عبد العزيز يتلعثم في الرد على جده وهو يقول:

- نعم نعم أنا صادق ... أنا صادق ... كنت أذاكر.

عماد: اصدق جدك يا عبد العزيز ... نعم كنت تـذاكر في الصباح ... ولكن أين كنت الآن؟

عبد العزيز: بعد أن ذاكرنا ذهبنا لنشتري كرة لنلعب بها.

الجد: إيه؟ تلعبون في ليالي رمضان المباركة ... الناس يصلون وأنتم تلهون وتحرمون أنفسكم من الخير والأجر والثواب الكبير.

ياسر: لا يا جدي نحن نصلي مع الناس في المسجد فإذا انتهت الصلاة خرجنا ولعبنا.

الجد: تلعبون إلى متى؟ طبعًا تلعبون إلى وقت السحور، ثم تتسحرون وتصلون الفجر ثم تنامون ولا تستيقظون إلا قبيل المغرب بدقائق.

عماد: نعم يا جدي ... هذا ما يحدث بالضبط وتضيع عليهم صلاة الظهر والعصر.

الجد: يا أولاد، لا يكون استقبال شهر رمضان شهر المغفرة والرحمة والعتق من النيران بهذه الطريقة؛ فهذه طريقة المحرومين الخاسرين والعياذ بالله.

عماد: فكيف يا جدي إذن نستقبل هذا الشهر الطيب المبارك؟

الجد: ينبغي يا أولاد أن يفرح المسلم بقدوم هذا الشهر ويدعو الله أن يبلغه رمضان ويعينه على صيامه وقيامه ويدعو الله أيضًا أن

يتقبله منه.

عماد: وكيف يفعل الواحد منا إذا كان على أمر فيه مخالفة لأمر الله؟

الجد: أولاً: يقلع عن هذه المخالفة، وثانيًا: يتوب إلى الله تعالى توبة صادقة، وثالثًا: العزيمة على ألا يعاود هذه المخالفة أو غيرها من المخالفات، ورابعًا: يسارع في عمل الخيرات، وخامسًا: يحاسب دائمًا نفسه ويلومها على التقصير.

عبد العزيز: يا جدي؛ نحن فتيان والإسلام لا يحرّم علينا اللهو المباح.

الجد: يا بني، رسول الله ﷺ يقول: «**كل شيء ليس من ذكر الله – عز وجل – فهو لغو ولهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلمُ السباحة**».

هذا هو اللهو المباح بشرط ألا يقع الإنسان في محرم أو يترك فريضة.

عماد: بعض الناس إذا جاء رمضان تابوا وصلوا وصاموا وإذا انتهى رمضان عادوا لما كانوا عليه.

الجد: هؤلاء يا بني بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان.

عماد: وبعض الناس أيضًا يجعلون رمضان شهر نوم وكسل وخمول وبطالة.

الجد: هؤلاء على خطر عظيم ... فقد انتصر المسلمون على الكافرين في غزوة بدر وكانوا في رمضان، وفتحوا مكة وجعلوها دار إسلام وكانوا أيضًا في رمضان؛ فرمضان شهر حافل بالمآثر والمفاخر؛ إنه شهر جهاد وعبادة ومجاهدة وليس شهر نوم وكسل وخمول وبطالة.

عماد: وماذا تقول يا جدي لهؤلاء الذين يضيعون أوقاهم ولا يحسنوا استغلال هذا الشهر المبارك؟

الجد: أقول لهم: لابد من معرفة فضائل هذا الشهر؛ فهو شهر اختصه الله لفريضة الصيام، وأنزل فيه القرآن، وتفتح فيه الجنان، وتغلق فيه النيران، ويضاعف فيه الحسنات، ويتجاوز عن السيئات، وتصفد فيه الشياطين، وتغل مردة الجن، وفيه ليلة القدر هي خير من ألف شهر، ومن صام هذا الشهر وقامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

عماد: حقًا يا جدي إها فضائل عظيمة ينبغي أن يفكر فيها المسلم جيدًا ويحرص على ألا تضيع منه ويستغلها استغلالاً حسنًا.

الجد: يا بني! فالموفق من وفّقه الله وأعانه، والمحروم هو الذي يعلم هذا الخير ويحال بينه وبين العمل به.

عماد: لقد أحسنت أيها الجد المبارك على هذه التوجيهات، ونعتذر لك إن كنا سببنا لك حرجًا أو مشقة، وجزاك الله خيرًا.

الجد: بالعكس يا أولاد فأنتم جزاكم الله خيرًا أن أتحتم لي الفرصة أن أُذكر نفسي وأُذكركم بهذا الخير؛ ولكن لا بد لياسر

وعبد العزيز أن يعداني على ترك اللهو والباطل والاستفادة من فضائل شهر رمضان.

ياسر وعبد العزيز: نعدك أيها الجد الطيب، وادع الله لنا أن يوفقنا ويلهمنا رشدنا؛ فالله الموفق.

واحات الإيمان

في ظلال شهر رمضان

سنن وآداب - أحكام وفضائل - قصص ومواعظ



تأليف

أبي عبد الرحمن

خالد بن حسين بن عبد الرحمن

تقرأ في هذا الكتاب

الجزء الأول [١]

★ الواحة الإيمانية الأولى : رمضان وقفة للمحاسبة .
★ الواحة الإيمانية الثانية : رسالة عاجلة لمن أدرك رمضان .
★ الواحة الإيمانية الثالثة : أبواب الخير في رمضان .
★ الواحة الإيمانية الرابعة : فضائل شهر رمضان (١) .
★ الواحة الإيمانية الخامسة : فضائل شهر رمضان (٢) .
★ الواحة الإيمانية السادسة : الصيام أركانه و مشروعيته و شروطه.
★ الواحة الإيمانية السابعة : فضائل الصوم .
★ الواحة الإيمانية الثامنة : أحكام الصوم (١) .
★ الواحة الإيمانية التاسعة : أحكام الصوم (٢) .
★ الواحة الإيمانية العاشرة : أحكام الصوم (٣) .
★ الواحة الإيمانية الحادية عشرة : آداب و سنن الصوم .

الجزء الثاني [٢]

★ الواحة الإيمانية الثانية عشرة : صفة صوم النبي ﷺ في رمضان .
★ الواحة الإيمانية الثالثة عشرة : صوم الصالحين من الصحابة و التابعين
★ الواحة الإيمانية الرابعة عشرة : أخطاء و مخالفات شائعة تتعلق بشهر رمضان (١
★ الواحة الإيمانية الخامسة عشرة : أخطاء و مخالفات شائعة تتعلق بشهر رمضان (٢
★ الواحة الإيمانية السادسة عشرة : البحر الزاخر في اغتنام العشر الأواخر في رمضان
★ الواحة الإيمانية السابعة عشرة : عظيم الأجر في فضل و اغتنام ليلة القدر
★ الواحة الإيمانية الثامنة عشرة : دمعة حارة على رحيل رمضان .
★ الواحة الإيمانية التاسعة عشرة : زكاة الفطر و العيد آداب و أحكام و سنن و مخالفات
★ الواحة الإيمانية العشرون : ماذا بعد رمضان ؟
★ خاتمة .

توزيع مكتبة الرشد ت : ٤٥٨٣٧١٢ و باقي الفروع .

واحات الإيمان
في ظلال شهر رمضان

أحكام . وآداب . وسنن . وفضائل وقصص
ودروس . ومواعظ . وعبر

الجزء الأول
(١ - ١١)

تأليف
أبي عبد الرحمن خالد بن حسين بن عبد الرحمن

مكتبة الرشد
الرياض

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

* المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ طريق الحجاز

ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١

E-MAIL: alrushd@suhuf.net.sa

www.alrushd.com

* فرع مكة المكرمة: ـ هاتف ٥٥٨٥٤٠١ ـ ٥٥٨٣٥٠٦

* فرع المدينة المنورة: ـ شارع أبي ذر الغفاري ـ هاتف ٨٣٤٠٦٠٠

* فرع القصيم بريدة طريق المدينة ـ هاتف ٣٢٤٢٢١٤

* فرع أبها: ـ شارع الملك فيصل هاتف ٢٣١٧٣٠٧

* فرع الدمام: ـ شارع ابن خلدون ـ هاتف ٨٢٨٢١٧٥

وكلاؤنا في الخارج

* الكويت: ـ مكتبة الرشد ـ حولي ـ هاتف: ٢٦١٢٣٤٧

* القاهرة: ـ مكتبة الرشد ـ مدينة نصر ـ هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥

* بيروت: ـ الدار اللبنانية ـ شارع الجاموس ـ هاتف: ٠٠٩٦١٣٨٤٣٤٥٧

* عمان: الاردن - دار النبلاء - هاتف: ٥٣٣٢٦٥٨

واحات الإيمان
في فضائل
شهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

ح خالد بن حسين عبدالرحمن

عبد الرحمن، خالد بن حسين.
واحات الإيمان في ظلال شهر رمضان، الرياض.
، ص ١٧ × ٢٤سم
ردمك: □ - - -
١- أ- العنوان.
ديوى /

رقم الإيداع: /
ردمك: □ - - -

إهـــداء

- **إلى** كل مسلم ومسلمة أرادوا وجه الله والدار الآخرة .
- **إلى** الصـائمين بالنـهار إيمانـاً والقـائمين بـالليل احتسـاباً في رمضان.
- **إلى** الصائمات القانتات القائمات في جنح الليل يبتـهلن إلى رب الأرض والسماوات في رمضان.
- **إلى** البطـون الجائعـة والشـفاه الذابلـة والقلـوب الذاكـرة في رمضان.
- **إلى** مـن سـكبوا العــبرات ، وتعــالت منــهم الصيحــات وارتفعت منهم الآهات في ليالي رمضان.
- **إلى** الذاكرين الله كثيراً والذاكرات في رمضان.
- **إلى** أهـل الإيمـان في رمضـان أهـدي إليـهم تلـك الواحــات الإيمانيـة الطيبـة والريـاض النضـرة ليتفيئـوا مـن ظلالهـا ويفطـروا علـى مائـها العـذب الـزلال ويتسـحروا مـن ثمارها اليانعة في رمضان

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

وبعد:

فهذا بحث في موضوع مهم جداً، ألا وهو شهر رمضان المبارك وما يتعلق به من أحكام وآداب وسنن ومخالفات ، وقد كتب فيه كثير من أهل العلم وحق لهم ذلك فهو شهر طيب مبارك تُقال فيه العثرات وترفع فيه الدرجات وتغفر فيه السيئات ، فحقيق على أهل العلم أن يولوه اهتماماً وقد كان ، ومساهمة في هذا الباب قمت بجمع مادة هذا البحث ، وسلكت فيه مسلك اليسر والسهولة في سرد الأحكام وما يتعلق بهذا الشهر من سنن وآداب وأخطاء ومخالفات يقع فيها بعض الصائمين .

مادة هذا الكتاب مستمدة من الوحيين، الكتاب الخالد الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت:٤٢]. والسُنة الصحيحة[1] الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي من صفاته ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٣-٤] .

ومستمدة أيضاً من أقوال أهل العلم قديماً وحديثاً، مبتدئاً بالصحابة الكرام، ومنتهياً بعلماء عصرنا أمثال الإمام ابن باز رحمه الله ومحدث العصر الألباني - رحمه الله - وعلامة القصيم ابن عثيمين - رحمه الله - ، وعلامة نجد ابن جبرين - حفظه الله - وغيرهم رحم الله من مات وحفظ الله من بقي.

---

(١) لقد اجتهدت قدر المستطاع أن لا أذكر في هذا البحث من الأحاديث إلا ما صح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وربما ذكرت بعض الأحاديث المنازع فيها بين الصحة والضعف، وهي قليلة، لكن أغلب الأحاديث فيه مما يحتج به إن شاء الله، والله أعلم.

وسميته (**واحات الإيمان في ظلال شهر رمضان**) وقد بذلت قصارى جهدي أن آتي فيه بأهم الأشياء التي يحتاجها الصائم في صيامه حتى يكون صيامه صحيحاً مقبولاً - إن شاء الله - ، وحتى يكون اسمه موافقاً لمسماه.

وقد جعلت هذا الكتاب في جزئين ، وكل جزء يحتوي على عدد من الواحات الإيمانية ، فالجزء الأول يحتوي على الواحات الإيمانية الآتية :

- الواحة الإيمانية الأولى : رمضان وقفة للمحاسبة.
- الواحة الإيمانية الثانية : رسالة عاجلة إلى من أدرك رمضان.
- الواحة الإيمانية الثالثة : أبواب الخير في رمضان.
- الواحة الإيمانية الرابعة : فضائل شهر رمضان (١) .
- الواحة الإيمانية الخامسة : فضائل شهر رمضان (٢) .
- الواحة الإيمانية السادسة : الصيام أركانه ومشروعيته وشروطه .
- الواحة الإيمانية السابعة : فضائل الصوم .
- الواحة الإيمانية الثامنة : أحكام الصوم (١) .
- الواحة الإيمانية التاسعة : أحكام الصوم (٢) .
- الواحة الإيمانية العاشرة : أحكام الصوم (٣) .
- الواحة الإيمانية الحادية عشرة : آداب وسنن الصوم .

والجزء الثاني يحتوي على الواحات الإيمانية الآتية :

● الفهرس .

وأخيراً لا يسعني إلا أن أشكر المولى سبحانه جل وعلا بأن مـنَّ علـيَّ ويسر لي الكتابة في هذا الموضوع الطيب المبارك. فأسأله سبحانه وتعالى كما يسر لي الكتابة فيه وجمع مادته على نحو ما تقـدم ، أن يتقبله مني خالصاً لوجهـه الكريـم، وأن يرفـع بـه الدرجـات ويثقـل بـه الموازيـن إنـه ولي ذلـك والقادر عليه ومولاه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه المنان

أبو عبد الرحمن خالد بن حسين بن عبد الرحمن

غفر الله له ولوالديه والمسلمين

آمين

الرياض عصر يوم الخميس ١٤٢٢/١/٢٥هـ الموافق ٢٠٠١/٤/١٩م

الرياض – حي السويدي – ش السويدي العام – ت : ٣٦٧٢٢١٨

الواحة الإيمانية الأولى
رمضان وقفة للمحاسبة

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، هو الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه المرجع والمآب.

وأشهد أن لا إله إلا الله، الواحد الأحد الفرد الصمد، لا رب غيره ولا معبود بحق سواه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام الهدى ومصباح الدجى صلى الله عليه ما فاحت الأزهار، وما أشرقت الأنوار، وما تعاقب الليل والنهار. وسلم تسليماً كثيراً.

وارض اللهم عن الصحابة الأخيار السادة الأبرار ومن سار على نهجهم وسلك طريقهم إلى يوم القرار.

أما بعد:

يقول الله جل ذكره: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَـٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَـٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١ ﴾[١].

(١) سورة المنافقون آية (٩ إلى ١١).

دار الغرور وموقف الناس منها

أخي في الله .. أختي المسلمة . إن من نظر إلى الدنيا بعين البصيرة لا بعين البصر المبهرج أيقن أن نعيمها ابتلاء، وحياتها عناء وعيشتها نكد وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، فالدنيا إما نعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية عاجلة أو آجلة.

وأقول: إن الدنيا إذا أقبلت يوماً أدبرت أياماً، وإذا أينعت يوماً نعت أياماً وإذا حلت يوماً أوحلت أياماً، وإذا ضحكت يوماً أضحكت وأبكت أياماً، وإذا فرَّحت يوماً أحزنت أياماً. وإذا أسعدت يوماً أشقت أياماً.

فكثيرها قليل، وعظيمها حقير، وعمرها قصير، وعزيزها ذليل، وطالبها تعيس وذميم.

من اطمئن إليها أقلقته، ومن ركن إليها ذلته، ومن وثق بها خانته ومن استعان بها تركته، ومن استنصر بها خذلته، ومن فرح بها أحزنته ومن أراد منها الوصال هجرته، أو أراد منها القرب أبعدته.

نعم: مسكين ابن آدم! رضي بدار حلالها حساب، وحرامها عقاب إن أخذه من حله حوسب عليه، وإن أخذه من حرام عذب به، ومن استغنى فيها فُتن، ومن افتقر فيها حزن، من أحبها أذلته، ومن نظر إليها أعمته، والناس فيها طائفتان:

طائفة فطناء علموا أنها ظل زائل، ونعيم حائل، وأضغاث أحلام، بل فهموا أنها نِعمٌ في طيها نِقمٌ، وعرفوا أن هذه الحياة الدنيا الفانية إنما هي طريق إلى الحياة الباقية، فرضوا منها باليسير، وقنعوا فيها بالقليل، فاستراحت قلوبهم وأبدانهم، وسلم لهم منها دينهم، وكانوا عند الله تعالى من المحمودين، لم تشغلهم دنياهم عن طاعة مولاهم، جعلوا النفس الأخير وما وراءه نصب أعينهم، فلا يصرفهم عن ذلك صارف ولا يشغلهم عنه شاغل، وتدبروا ماذا يكون مصيرهم وفكروا كيف يخرجون من الدنيا وإيمانهم سالم لهم، وما الذي يبقى معهم منها في قبورهم، وما الذي يتركوه لورثتهم. في الدنيا، ومن لا يغنيهم من الله شيئاً يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، ويبقى عليهم وباله ونكاله وتبعته، أدركوا كل هذا، فتأهبوا للسفر، وأعدوا الجواب للحساب، وقدموا الزاد ليوم المعاد (وخير الزاد التقوى) فطوبى[1] لهم خافوا فأمنوا، وأحسنوا ففازوا.

وطائفة أخرى جهلاء: عميُّ البصائر منتكسو الفطرة قليلو العقل سقيمو الفهم، محدودو الفكر والنظر، لم ينظروا في أمر الدنيا، ولم يتكشفوا سوء حالها ومآلها، برزت لهم بزينتها ففتنتهم، فإليها أخلدوا،

---

(١) قيل إن طوبى: شجرة في الجنة، وقيل هي منزلة في الجنة وقيل غير ذلك من الأقوال والله أعلم بالصواب.

وبها رضوا، ولها اطمأنوا، حتى ألهتهم عن الله تعالى وشغلتهم عن ذكره وطاعته، ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [(١)].

نعم: إنهم نسوا الله، أهملـوا حقوقه وفرطوا في أداء واجباته، وما قدروه حق قدره ولم يراعـوا حدوده ولم يأتمروا بأوامره ولم ينتهوا بنهيه وذلك لانهماكهم في الدنيا وانشغالهم بـها فكـانت النتيجـة ﴿ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ ﴾ والجزاء من جنس العمل، جعلـهم بسبب انشغالهم بالدنيا وحرصهم وعكوفهم عليها، ناسين لأنفسهم حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصـها وسيرون يـوم القيامـة مـن الأهـوال مـا ينسيهم أرواحـهم ويجعلـهم حيارى ذاهلـين ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [(٢)] وفي ذلـك يقـول بعض العارفين: (اجتهادك فيما ضمن لك مع تقصيرك فيما طلب منك، دليل على انطماس البصيرة منك).

نعم: أقاموها فهدمتهم، واعتزوا بـها من دون الله فأذلتهم، أكثروا فيها من الآمال، وأحبوا طويل الآجال، ونسوا الموت وما وراءه من أهوال

---

(١) سورة الحشر، آية (١٩).

(٢) سورة الحج، آية (٢).

ومخاوف، فخاب أملهم، وضل سعيهم وخسروا الدنيا ولم يدركوا الآخرة.

ركنوا إلى الدنيا الدنية ... وتبوؤا الرتب العلية
حتى إذا غروا بها ... صرعتهم أيد المنية

أخي في الله.. أختي المسلمة: إن مما يروى من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم وبليغ عظاته أنه قال: (أيها الناس! أيقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء، واعملوا لما بعد الموت، فكأنكم بالدنيا كأن لم تكن، وبالآخرة كأن لم تزل، إن من في الدنيا ضيف، وما في يده عارية، وإن الضيف مرتحل، والعارية مردودة، فرحم الله إمرءاً نظر لنفسه، ومهد لرمسه ما دام سنه مرخي، وحبله على غاربه، ملقى قبل أن ينفد أجله وينقطع عمله، ألا وإن دنياكم سريعة الذهاب وشيكة الانقلاب، فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها، واهجروا عزيز عاجلها لكريه آجلها، ولا تسعوا في عمران دار قد قضى الله خرابها، ولا تواصلوها، وقد أراد الله منكم اجتنابها، بل اسعوا في عمران آخرتكم، واجتهدوا في تكميلها وتحسينها قبل انتقالكم، فإن قصور الجنة وبساتينها تُعَد وتُهيأ بحسب ما تقدمون من صالح الأعمال والأقوال، ومن فاته منزله في الجنة فليس له إلا النار دار الإهانة والنكال، فإن الناس يوم القيامة يصيرون إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير)أ.هـ.

وروى عنه صلى الله عليه وسلم في موعظة أخرى قوله: (فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت، والذي نفس محمد بيده، ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار)(١).

أخي في الله .. أختي المسلمة: إن من غفل عن نفسه تصرمت أوقاته واشتدت عليه حسراته، وأي حسرة على العبد أعظم من أن يكون عمره عليه حجة، وتقوده أيامه إلى مزيد من الردى والشقوة، إن الزمان وتقلباته أنصح المؤدبين، وإن الدهر بقوارعه أفصح المتكلمين، فانتبهوا بإيقاظه، واعتبروا بألفاظه، ورد في الأثر: (أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا).

الزائر القريب (الموت)

أخي في الله: هل تذكرت الموت وسكراته؟! وشدة هوله وكرباته؟!، وشدة نزع الروح منك؟! فإن الموت كما قيل: أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض.

(١) قلت: معظم أسانيد المواعظ التي نُسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم تسلم من مقال وفيها نظر إلا النذر القليل منها فانتبه! والكلام في معناه صحيح وإن لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم. والله أعلم.

فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه ومن حاكم ما أعدله، فالموت حتم لا محيص عنه، ولا مفر منه، يصل إلينا في بطون الأودية، وعلى رؤوس الجبال، وفوق الهواء وتحت الماء وبين القلاع المنيعة، والحصون المتينة: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[(١)] ولو نجا أحد من الموت لبسطة في جسمه، وقوة في بدنه أو وفرة في ماله، أو سعة في سلطانه وملكه وجاهه، لنجا من الموت كثير من الناس، وإلا فأين عاد وثمود وفرعون ذو الأوتاد؟! أين الأكاسرة والقياصرة؟ أين الجبابرة والصناديد الأبطال؟! نقلوا بعظمة الموت من القصور إلى القبور ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان، ومن التنعم بطيب الطعام والشراب إلى التمرغ في الوحل والتراب، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل، فانظر: هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً؟! فسبحان الذي يحيي ويميت، وهو حي باق لا يموت.

فالموت لا يخشى أحد ولا يبقى على أحد، ولا تأخذه شفقة لأحد، ينتزع الطفل من حضن أمه، ويهجم على الشاب الفتي، والفارس القوي، ويداهم الذكي العبقري، ويسطو على صاحب الجاه والسلطان ويأخذ الشيخ الهرم والشيخة الفانية، وصدق الله حيث يقول: ﴿ كُلُّ

---

(١) سورة النساء، آية (٧٨).

نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[1]. نعم: (كل نفس ذائقة الموت) لا فرق بين نفس ونفس، لا فرق بين صغير وكبير، وعظيم وحقير وغني وفقير ورفيع ووضيع ولا رئيس ومرءوس، ولا آمر ومأمور، ولا مالك ومملوك.

يا نفس قد أزف الرحيل وأظلك الخطب الجليل
فتأهبي يا نفس لا يلعب بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزل ينسى الخليل فيه الخليل
وليركبن عليك فيه من الثرى ثقل ثقيل
كان الفناء لنا جميعا فلا يبقى العزيز ولا الذليل

نعم: لا يبقى العزيز ولا الذليل! أين الأكاسرة؟ أين الجبابرة؟ أين القياصرة، أين الفراعنة؟! أين من قال: أنا ربكم الأعلى؟ أين من قال: ما علمت لكم من إله غيري؟! أين الظالمون وأعوانهم؟

أين الذين دوخوا الدنيا بسطوتهم
وذكرهم في الورى ظلمٌ وطغيان
هل أبقى الموت ذي عز لعزته؟!
أم هل نجا منهم بالسلطان إنسانُ؟!
فلا والذي خلق الأكوان من عدم
الكل يفنى فلا إنس ولا جان

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٨٥).

فيا أخي الكريم: كفى بالموت مقرحاً للقلوب، ومبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات، وهادماً للذات، وقاطعاً للأمنيات، فهل تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك؟! وانتقالك من موضعك؟! وإذا نُقِلتَ من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأُخِذْت من فراشك وغطائك إلى الحفر! وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر، فيا جامع المال، والمجتهد في البنيان، ليس لك من مال إلا الأكفان، بل هي والله للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب فأين الذي جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟! كلا بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمْت بأوزارك إلا من لا يعذرك.

يا متعب الجسم كم تسعى لراحته ... أتعبت جسمك فيما فيه خسران
أقبل على الروح واستكمل فضائلها ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان
ويا حريصاً على الأموال يجمعها ... أقصر فإن سرور المال أحزان
والزم يديك بحبل الله معتصماً ... فإنه الركن إن خانتك أركان

فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده والجنة أو النار مورده أن لا يكون له فكر إلا في ذلك ولا استعداد إلا له، قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فرحاً، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت في عينه الدنيا، وهان عليه كل ما فيها».

ونظر ابن مطيع ـ رحمه الله ـ يوماً إلى داره فأعجبه حُسنها ثم بكى وقال: «والله لولا الموت لكنتُ بك مسروراً، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا».

وقال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: «ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل، تضعونه في صدع الأرض، قد توسد التراب، وخلف الأحباب وقطع الأسباب».

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى يبقى بشاشته ... يبقى الإله ويفنى المال والولد
لم تغني عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد؟!
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

أخي في الله: لو لم يكن بين العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن ينغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره، ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره، ويعظم له استعداده، ويقف مع نفسه وقفة للمحاسبة الجادة التي تهون عليه شيء من هذا، لا سيما وهو في كل نفس بصدده، فالموت كما قيل: (كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يده المباركة فيها ويمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات» ثم نصب صلى الله عليه وسلم يده وجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قُبض صلى الله عليه وسلم ومالت يده[١].

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علو مكانته وعظيم قدره وجليل شرفه وسمو منزلته عند الله سبحانه وتقدس، فهو أحب خلق الله إلى الله، وهو سيد ولد آدم ولا فخر! وهو إمام المتقين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، وأول شافع وأول مشفع يوم الدين، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، واللواء المعقود، وصاحب الشفاعة العظمى يوم العرض على أحكم الحاكمين، ومع ذلك فقد وقع به من شدة الموت وسكراته وكرباته ما الله به عليم! فكيف بي وبك أنت أيها المسكين؟! فحري بنا أن نبكي طيلة عمرنا على ما سينزل بنا عند الموت نسأل الله العافية.

أخي: إن الموت ليس له سن معلوم، ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم ولا علامة مميزة، وذلك ليكون المرء على أهبة لذلك ومستعداً لهذا اليوم العصيب. وكان بعض السلف من الصالحين ينادي بليل على سور المدينة: (الرحيل الرحيل) فلما مات فُقد صوته أمير المدينة، فسأل عنه فقيل: إنه قد مات. فقال منشداً:

---

(١) رواه البخاري وغيره.

مـا زال يلـهج بـالرحيل وذكـره حتـى أنـاخ برحلـه الجمـال
فأصـابه متيقظـاً متشـمراً ذا أهبـة لـم تلهـه الآمـال

وكان يزيد الرقاشي - رحمه الله - يقول لنفسه: (ويحك يا يزيد، من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ مَنْ الموت طالبه، والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر، كيف يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشياً عليه).

القبر أول منازل الآخرة

أخي المسلم المبارك .. أختي المسلمة : هل تذكرت القبر وظلمته، وضيقه ووحشته، هل تذكرت ذلك المكان الضيق، الذي يضم بين جوانبه جثث الموتى من عظيم وحقير، وحكيم وسفيه، وصالح وطالح ورئيس ومرؤوس و... والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وإما دار كرامة وسعادة أو دار إهانة وشقاوة، فوا عجباً لأهل المعاصي والذنوب كيف هم مصرون على المعاصي ولا يقلعون؟!، وهم يعلمون أنهم إلى القبور صائرون! ثم واعجباً لأهل الغفلة والإعراض كيف لا ينتبهون من غفلتهم ويستيقظون من سباتهم وهم يعلمون أنهم غداً في بطون اللحود مقيمون؟!.

أخي : هل تذكرت أول ليلة في القبر؟! حيث لا أنيس ولا جليس ولا صديق ، ولا رفيق ، ولا زوجة ، ولا أطفـال ، ولا أقارب ولا أعـوان ، ولا خـــلان ولا أحـــوال ، ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [1].

فـــارقت موضـــع مرقـــدي يومـــاً ففـــارقني الســـكون
القـــــبر أول ليلــــــة بـــالله قـــل لـــي مـــا يكـــون

لما رجع علي - رضي الله عنه - من صفين وأشرف على القبور قال : «يا أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، والقبور المظلمة ، يا أهل التربـة ، يـا أهـل الغربـة ، يـا أهـل الوحشـة ، أنتـم لنـا فـرط سابق ، ونحن لكـم تبـع لاحق ، أما الدور فقد سُكنت ، وأمـا الأزواج فقـد نُكِحـتْ ، وأمـا الأمـوال فقد قُسِّمتْ ، هذا خبر ما عندنا ، فمـا خبر مـا عندكـم؟! »ثـم التفـت إلى أصحابـه فقـال : « أمـا لـو أذن لهـم في الكـلام لأخـبروكم أن خـير الـزاد التقوى ».

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعـالى - لبعـض جلسـائه : (.. يا فلان! لقد أرقت الليلة أتفكر في القـبر وسـاكنه ، إنـك لـو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بـه ، ولرأيت بيتاً تجول فيـه الهـوام ويجري فيه الصديـد ، وتخترقه الديـدان مـع تغير الريـح ، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة ، وطيب الريح ونقاء الثوب).

---

(١) سورة الأنعام ، آية (٦٢).

فيا أخي الحبيب... تخيل نفسك بعد ثلاثة أيام وأنت في قبرك، وقد جُرِّدت من الثياب، وتوسدت التراب، وفارقت الأحباب، وتركت الأصحاب ولم يكن معك جليس ولا أنيس إلا عملك الذي قدمته في الدنيا، فماذا تحب أن تقدم لنفسك وأنت في زمن الإمهال حتى تجده في انتظارك يوم انتقالك إلى قبرك! ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

والله لو عاش الفتى في عمره ... ألفا من الأعوام مالك أمره
متنعما فيها بكل لذيذة ... متلذذاً فيها بسكنى قصره
لا يعتريه الهم طول حياته ... كلا ولا ترد الهموم بصدره
ما كان ذلك كله في أن يفي ... فيها بأول ليلة في قبره

وعن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ قال: رأيت رجلاً يبكي قلت: وما يبكيك؟ قال: أبكاني كلامه، فقلت: وما هو؟ قال: كنا وقوفاً في المقابر، فأنشد:

أتيت القبور فساءلتها ... أين المعظم والمحتقر؟!
وأين المذل بسلطانه ... وأين القوي على ما قدر؟!
تفانوا جميعاً فما مخبر ... وماتوا جميعاً ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا ... أما لك فيما مضى معتبر؟!
تروح وتغدو بذاك الثرى ... فتمحى محاسن تلك الصور

---

(١) سورة آل عمران، آية (٣٠).

البعث والنشور

أخـي فـي الله: هـل تذكـرت النفـخ في الصـور؟! والبعـث يـوم النشور؟! وتطاير الصحف! والعرض على الجبار - جل جلاله - والسؤال عن القليل والكثير والصغير والكبير، والفتيل والقطمير! ونصب الموازين لمعرفة المقادير! ثم جواز الصراط، ثم انتظار النداء عند فصل القضـاء! إما بالسعادة وإما بالشقاوة!.

أخـي: فمثل نفسك وقد بعثت من قبرك مبهوتاً مـن شـدة الصاعقة شاخص العين نحو النداء، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبـور مفزوعـين من شدة النفخ، ووقفوا في ذل وانكسار منتظرين بما يقضي عليهم، فكيف حالك وحال قلبك؟! فـالقلوب منفطـرة والأبصـار شـاخصة والأعنـاق منكسـرة، فتـأمل يـا مسـكين في طـول هـذا اليـوم، وشـدة الانتظـار فيـه، والخجل والحياء من الافتضاح عند العرض على الجبار جل جلاله ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر، أرض بيضاء قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُحشر الناس يوم القيامـة علـى أرض بيضـاء عفـراء كقـرص النقى ليس فيها معلم لأحد»[١] .

---

(١) متفق عليه.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾[1]. قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: (ما يحشرون والله على أرجلهم - أي المؤمنين - ولكن على نوق رحالها الذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت)أ. هـ.

أما المجرمين فإنهم يساقون عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش ولا يردون إلى ماء بل إلى جهنم وجحيمها وحميمها، قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾[2]، فشتان بين الفريقين، وفرقان ما بين الطريقين، أولئك يغدون ركبانا إلى جنات النعيم ورحمة الرحمن الرحيم، وهؤلاء يسحبون على وجوههم سحباً إلى نار الجحيم، ونكالها الأليم، وعذابها المقيم.

هؤلاء في النور ينظرون، وأولئك في ظلمات لا يبصرون! هؤلاء إلى الرحمن يفدون، وأولئك إلى النار يردون، هؤلاء حلوا أساور من فضة، وسقاهم ربهم شراباً طهوراً، وأولئك غلوا بالسلاسل وعلتهم الزبانية بالمقامع يضربون بطونا منهم وظهوراً، وهؤلاء عليهم حلل من

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٨٥، ٨٦.

(٢) سورة الإسراء، آية (٩٧).

سندس واستبرق وسائر الألوان، وأولئك مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار، هؤلاء يقول لهم ربهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وأولئك يقول لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون، وما هم بخارجين من النار.

فحينئذ ظهر الفرقان، وافترق الطريقان وامتاز الفريقان، وصار الغيب شهادة والسر علانية، والمستور مكشوفاً، والمخبأ ظاهراً، فريق في الجنة وفريق في السعير، يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت.

فيا أخي المسلم! يا عبد الله! ألم يأن لك أن تدرك حقيقة هذه الدار! أما علمت أن حياتها عناء، ونعيمها ابتلاء، جديدها يُبلى، وملكها يفنى ودها منقطع، وخيرها يُنتزع، المتعلقون بها على وجل، إما في نعم زائلة أو بلايا نازلة، أو منايا قاضية ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

أخي الحبيب:

إن العمر قصير، والسفر طويل، والزاد قليل والخطر محدق وكبير، والمرء بين حالين: حال قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وآجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه.

---

(١) سورة غافر، آية (٣٩).

وإذا كان الأمر كذلك أخي الحبيب، فعلى صاحب البصر النافذ أن يتزود من نفسه لنفسه، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، ومن صحته لمرضه ومن فراغه لشغله، ومن غناه لفقره، ومن قوته لضعفه، فما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا سوى الجنة أو النار، ومن أصلح ما بينه وبين ربه كفاه ما بينه وبين الناس، ومن صدق في سريرته حسنت علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، فلا بد من وقفة جادة للمحاسبة، والمحاسبة الصادقة هي ما أورثت عملاً صادقاً ينجيك من هول المطلع.

فعليك يا عبد الله أن تستدرك ما فات بما بقي، فتعيش ساعتك ويومك، ولا تشتغل بالندم والتحسر من غير عمل، واعلم أن من أصلح ما بقي غُفر له ما مضى ومن أساء فيما بقي أُخذ بما مضى وما بقي، والموت يأتيك بغتة، فأعط كل لحظة وكل نفس قيمته، فالأيام مطايا، والأنفاس خطوات والصالحات هي رؤوس الأموال، والربح جنات عدن أعدت للمتقين، والخسارة نار تلظى، لا يصلاها إلا الأشقى، وأنت حسيب نفسك.

فيا أخي الحبيب: هل خلوت بنفسك يوماً فحاسبتها عما بدر منها من الأقوال والأفعال؟! وهل حاولت يوماً أن تعد سيئاتك وزلاتك، ومعاصيك كما تعد حسناتك؟! بل هل تأملت يوماً طاعتك التي تفتخر بها وبذكرها، فوجدت أن كثيراً منها مشوباً بالرياء والسمعة وحظوظ

النفس؟ فكيف تصبر على هذه الحال، وطريقك محفوف بالمكاره والأخطار؟ وكيف القدوم على الله وأنت محمل بالأثقال والأوزار؟ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١). وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم» (٢).

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا» وفي رواية «وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر»، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الحاقة، آية: ١٨] (٣).

فحري بك ـ يا عبد الله ـ أن تقف مع نفسك هذه الوقفة وتحاسب نفسك هذه المحاسبة، فما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

---

(١) سورة الحشر، آية (١٨).

(٢) رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه الترمذي في صفة القيامة وقال: حديث حسن.

ومثل طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما زاد شرباً منه كلما زاد عطشاً حتى يقتله، ولو فكر الطامع في عاقبة الدنيا لقنع، ولو تذكر الجائع فضول مآلها لشبع، فأنت من الشباب إلى الهرم ومن الصحة إلى السقم، ومن الوجود إلى العدم، وكان ميمون بن مهران - رحمه الله يقول: يا معشر الشيوخ ما ينتظر من الزرع إذا ابيض؟! قالوا: الحصاد، فنظر إلى الشباب فقال: إن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يُستحصد، وقبيح بالشباب تأخير التوبة، وأقبح منه تأخير الشيوخ، فخذ من صحتك لمرضك، ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لموتك، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وقل لنفسك:

ألا يا نفس ويحك ساعديني ... بسعي منك في ظلم الليالي

لعلك في القيامة أن تفوزي ... بطيب العيش في تلك العلالي

فيا أخي الحبيب : هذا شهر رمضان قد أقبل عليك بعد طول غياب ، جاء إليك بالخير والبشر والبركات ، فهلا أخذت من رمضان وقفة للمحاسبة ، وفرصة للمصالحة مع الله ، وفتح صفحة جديدة من صفحات حياتك ، تكون بداية التوجه الصحيح إلى الله جل وعلا ، فرمضان وقفة للمحاسبة لمن أراد أن يحاسب نفسه ويسير بها على الجادة .

۞ ۞ ۞

أقوال في محاسبة النفس

● كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى بعض عماله يقول له: « حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والخسارة ».

● وقال الحسن البصري - رحمه الله - « لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه ماذا أردت أن تعملين؟ وماذا أردت أن تأكلين؟ وماذا أردت أن تشربين؟ والفاجر يمضي قدماً لا يحاسب نفسه ».

● وقال أيضاً: « المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة. إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي جوارحه، مأخوذ عليه في ذلك كله».

● وقال قتادة - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [1] أضاع نفسه وغبن، مع ذلك تراه حافظاً لماله مضيعاً لدينه.

---

(١) سورة الكهف، آية: (٢٨).

- وقال ميمون بن مهران ـ رحمه الله ـ « لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوان إن لم تحاسبه ذهب بمالك ».
- كان الأحنف بن قيس ـ رضي الله عنه ـ يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه ويقول: « حس يا حنيف، ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ».
- وقال ابن أبي مليكة ـ رحمه الله ـ « أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم من أحد يقول إنه على إيمان جبريل ومكائيل ».
- وقال مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ « رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبه كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله ـ عز وجل ـ فكان لها قائداً».
- وذكر الإمام أحمد عن وهب قال: مكتوب في حكمه آل داود: «حق على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات واجماماً للقلوب».

فانظر ـ يا رعاك الله ـ كيف حال القوم من العمل والاجتهاد وشدة المحاسبة لأنفسهم! وانظر إلى حالنا!!! ومعرفة الحال تغنيك عن الكلام! أفلا نرعوي ونقتدي بهم؟!!

أقسام محاسبة النفس

ومحاسبة النفس قسمان قسم قبل العمل وقسم بعده.

أما الأول: محاسبة النفس قبل العمل فهو أن يقف العبد عند أول همَّه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.

قال الحسن ـ رحمه الله ـ «رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله مضى وإن كان لغيره توقف».

القسم الثاني: محاسبة النفس بعد العمل.

وهو ثلاثة أنواع:

أحدهما: محاسبة النفس على طاعة قصَّرت فيها في حق الله تعالى، فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي.

وحق الله في الطاعة ستة أمور هي:

١- الإخلاص في العمل. ٢- النصيحة لله فيه.

٣- متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤- شهود مشهد الإحسان فيه.

٥- شهود مِنَّة الله عليه فيه. ٦- شهود تقصيره فيه.

فيحاسب العبد نفسه هل وفىّ هذه المقامات حقها؟

وهل أتى بها جميعاً في هذه الطاعة؟

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد لِمَ فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحاً، أو أراد به الدنيا وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به.

كيفية محاسبة النفس

أخي الحبيب.. فإذا علم ذلك فكيف تكون محاسبة النفس؟

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله إن محاسبة النفس تكون على النحو التالي:

أولاً: البدء بالفرائض، فإذا رأى فيها نقصاً تداركه.

ثانياً: ثم المناهي، فإذا عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

ثالثاً: محاسبة النفس على الغفلة ويتدارك ذلك بالذكر والإقبال على الله.

رابعاً: محاسبة النفس على حركات الجوارح، كلام اللسان، ومشي الرجلين وبطش اليدين، ونظر العينين، وسماع الأذنين، ماذا أردت بهذا؟ ولمن فعلت؟ وعلى أي وجه فعلته؟!.

الأسباب المعينة على محاسبة النفس

أخي الحبيب: اعلم رحمني الله وإياك أن محاسبة النفس أمر عسير عليها وتوجد معوقات كثيرة قد تحول أحياناً كثيرة عن محاسبة النفس، ولكن هناك أمور تعين العبد على هذه المحاسبة وتقوي بواعثها في النفس ومن أبرزها وأهمها:

١- استشعار رقابة الله على العبد واطلاعه على خطاياه، فإذا علم العبد ذلك استيقظ من غفلته وقام من رقاده، وقويت إرادته على محاسبة نفسه ومجاهدتها.

٢- معرفة العبد أنه كلما اجتهد في محاسبة نفسه اليوم استراح من ذلك غداً، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً.

٣- بذكر الحساب الأكبر والسؤال بين يدي الجبار جل جلاله يوم القيامة فإذا علم العبد أنه مسؤول بين يدي الله فيجب أن يعد لكل سؤال جواب ومن هنا. كان العبد أشد محاسبة لنفسه.

٤- معرفة العبد ربح محاسبة النفس، ومراقبتها وهي سكنى الفردوس الأعلى والنظر إلى وجه الرب سبحانه ومجاورة الأنبياء والصالحين وأهل الفضل وأن عدم المحاسبة تفقده هذا كله وتفوته عليه وليس بعد ذلك خسارة.

٥- النظر فيما يؤول إليه من ترك محاسبة النفس ومراقبتها من الهلاك والدمار، ودخول النار والحجاب عن رؤية الرب سبحانه ومجاورة أهل الكفر والضلال والخبث ـ عياذاً بالله.

٦- صحبة الأخيار الذين يحاسبون أنفسهم ويطلعونه على عيوب نفسه وترك صحبة من عداهم.

٧- النظر في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته ومعرفة أخبار وسير أهل المحاسبة والمراقبة من سلفنا الصالح.

٨- زيارة القبور والتأمل في أحوال الموتى الذين لا يستطيعون محاسبة أنفسهم أو تدارك ما فاتهم.

٩- حضور مجالس العلم والوعظ والتذكير، فإنها تدعو إلى محاسبة النفس.

١٠- قيام الليل، وقراءة القرآن بتدبر وخشوع وحضور قلب، والتقرب إلى الله تعالى بأنواع الطاعات.

١١- البعد عن أماكن اللهو والغفلة والمجون والعربدة فإنها تنسي الإنسان محاسبة نفسه.

١٢- ذكر الله تعالى ودعاؤه بأن يجعلك من أهل المحاسبة والمراقبة.

١٣- سوء الظن بالنفس، فإن من حسن ظنه بنفسه نسي عن محاسبتها أو غفل عن ذلك، وربما إذا رأى العبد بسبب حسن ظنه بنفسه أن عيوبه ومساوءه كمالاً وهذا أدعى لعدم المحاسبة(١).

---

(١) انظر كتابنا: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) ص: (١٥، ١٦).

ثمرات محاسبة النفس

أخي في الله: إن من التزم بما سبق فإنه وبفضل الله لا يعدم بأن يجني بعض ثمار تلك المحاسبة سواء في الدنيا أو في الآخرة، وفوائد محاسبة النفس كثيرة جداً ومنها على سبيل المثال لا الحصر.

١- الاطلاع على عيوب النفس وآفاتها، ومن لم يطلع على عيوب نفسه لم يمكن إزالتها.

٢- التوبة والندم وتدارك ما فات في زمن الإمكان.

٣- معرفة حق الله تعالى، فإن أصل محاسبة النفس هو محاسبتها على تفريطها في حق الله تعالى.

٤- انكسار العبد وزلته بين يدي ربه تبارك وتعالى.

٥- معرفة كرم الله تعالى وعفوه ورحمته بعباده في أنه لم يُعجل عقوبتهم مع ما هم عليه من المعاصي والمخالفات.

٦- مقت النفس والإزراء عليها، والتخلص من العجب والرياء والسمعة.

٧- الاجتهاد في الطاعة وترك العصيان لتسهل عليه المحاسبة فيما بعد.

٨- رد الحقوق إلى أهلها وسل السخائم، وحسن الخلق، وهذه من أعظم ثمرات محاسبة النفس[١].

---

(١) انظر المصدر السابق. والمغني عن مجالس السوء ج (٤٩/٣).

أخـي الكريم : فحق على الحازم العاقل المؤمن بالله واليـوم الآخـر أن لا يغفـل عـن محاسبة نفسه والتضييـق عليـها في حركاتـها ، وسـكناتها وخطراتها وخطواتها فكل نفس من أنفـاس العمر جوهـرة نفيسـة يمكـن أن يشتري بـها كنز مـن الكنـوز لا يتناهى نعيمـه أبـد الآبـاد ، وإضاعـة هـذه الأنفاس أو شراء صاحبها ما يجلب هلاكه خسران عظيـم ، لا يسـمح بمثله إلا جاهل بل هو من أجهل النـاس وأحمقـهم وأقلـهم عقـلاً وفـهماً ، وإنما يظـهر لـه حقيقـة هـذا الخسـران يـوم التغـابن ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِالعِبَاد ﴾ (١) .

هذا وصلى الله على محمد وعلى أله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

۞ ۞ ۞

(١) سورة آل عمران آية (٣٠).

الواحة الإيمانية الثانية

رســـالة عاجـلـة
إلـــى
من أدرك رمضان

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان سيد الشهور، وضاعف فيه الحسنات والأجور وأحمده وأشكره فهو الغفور الشكور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم النشور، أرجو برها وذخرها والفوز بها بدار القرار والسرور، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف آمر ومأمور، اللهم صلي عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم وحذى حذوهم وسار على دربهم ونسج على منوالهم إلى يوم البعث والنشور.

أخي المسلم يا من أدرك رمضان:

ما هي إلا أيام قلائل حتى تكتمل دورة الفلك، ويشرق على الدنيا كلها هلال شهر رمضان المبارك، الذي تهفو إليه قلوب المؤمنين وتتشوق إليه نفوسهم، وتتطلع شوقاً إلى بلوغه لتنتظم في جامعته الكبرى، التي تفتح أبوابها كل عام لتستقبل أفواج الصائمين من كل أنحاء المعمورة.

أخي : سنستقبل رمضان بعد أيام ليعيد للقلوب صفاءها، وللنفوس إشراقها، وللضمائر نقاءها، بعدما تكدرت بفتن الحياة، وزحام الدنيا، وتلوثت بالنزوات العابرة، والشهوات العارمة، فجاء رمضان ليبعثها من رقاد ويوقظها من سبات.

عجباً!!! كنا بالأمس القريب نودع شهر رمضان الماضي وكأن صفحاته قد طويت قبل قليل، واليوم نستقبله أنا وأنت والأمة الإسلامية كلها بعد مرور عام!.

عام مضى ذهبت لذته، وبقيت تبعته، نُسيت أفراحه وأتراحه وبقيت حسناته وسيئاته.

نعم أخي المسلم: إن الحياة ستنقضي بأفراحها وأحزانها، وتنتهي الأعمار على طولها وقصرها، فالدنيا مهما عظمت فهي حقيرة ومهما طالت فهي قصيرة والليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال لابد من دخول القبر!

وعندئذ يعود الناس ـ وأنت منهم ـ إلى ربهم بعدما أمضوا فترة الامتحان على ظهر هذه الأرض: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تعودون ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ (١).

ثم تصبح الدنيا ذكريات، وهنا من ينتظر رمضان على أمل، وهو لا يدري فقد يباغته الأجل قبل أن يدرك هذا الأمل! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٢).

فيا أخي الحبيب: اتقي الله جل وعلا في جميع الأوقات، واغتنم لحظات العمر ومواسم الخير في التوبة إلى الله تعالى من جميع الخطيئات، وسارع إلى جليل القربات، فإن مواسم الخير تمر مر السحاب، وإن العمر

---

(١) سورة الأعراف، آية: (٢٩ - ٣٠).

(٢) سورة لقمان، آية (٣٤).

إلى نفاد والعمل الصالح إلى انقطاع، والإنسان ظلوم تقوده الشهوة العارضة إلى الخطيئة، ويشغله المتاع ومحبة الأهل والأولاد عن الطاعة. ويلهيه الأمل المديد عن التوبة حتى يفجأه الموت، وهو على غير استعداد وينقله المنون إلى لحده دون كفاية من مهاد، فيكون عرضة للعذاب من خلل العمل، أو ينفذ إليه لهب النار لخرقه جُنَّة التقوى بالمعاصي.

فيا أخي: كن على حذر أن يأتيك الموت وأنت على غير استعداد فتزود بالطاعات واغتنم مواسم الخيرات وخذ من التقوى زاداً ليوم المعاد فإن خير الزاد التقوى.

أخي المسلم يا من أدرك رمضان: إن الله تعالى امتن علينا بشهر عظيم ووافد كريم. كله خير وأفضال، وفرصة للتنافس فيه بصالح الأعمال، قد أظلنا زمانه، وأدركنا أوانه، وإن بلوغ هذا الشهر أمنية عظيمة ونعمة جليلة ومِنَّة من الله جسيمة لمن قدر الله له ذلك.

إن بلوغ رمضان أمنية غالية كان يتمناها النبي صلى الله عليه وسلم ويسأل ربه أن يبلغه إياها، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان».

ذلك الشهر الذي هو من أفضل الشهور على الإطلاق، ذلك الشهر الذي خصه الله بفضائل كثيرة لا تعد ولا تحصى، أهمها أنه شهر تتنزل فيه الرحمات، وتغفر فيه الذنوب والسيئات، وتفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتصفد فيه مردة الشياطين، فيه ليلة هي خير من ألف

شهر، شهر تضاعف فيه الحسنات ويستجيب الله فيه الدعوات وتُقال فيه العثرات، فماذا أعددت لهذا الشهر الكريم؟! فاحمد الله حمداً يليق بمنه وفضله أن بلغك هذا الشهر الطيب المبارك.

فاللهم سلمنا إلى رمضان وسلم رمضان لنا، وتسلمه منا متقبلاً يا صاحب الفضل والإحسان.

أخي المسلم يا من أدرك رمضان: أُبشِّر نفسي وإياك وأُبشِّر كل مسلم على وجه هذه البسيطة بأشرف الشهور وأزكاها عند الله، والذي أتى بعد طول غياب، ووفد إلينا بعد فراق.

أُبشِّرك أخي كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بحلول شهر رمضان فيقول: «أتاكم رمضان، شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»(١).

نعم إنها بشرى عظيمة، كيف لا يبشر المؤمن بشهر يفتح الله فيه أبواب الجنة؟! كيف لا يبشر المذنب بشهر يغلق الله فيه أبواب النار؟ كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل الله فيه مردة الشياطين؟ كيف لا يبشر العابد بليلة هي خير من ألف شهر؟! شهر لا تحصى فضائله ولا تُعد فوائده، فكيف لا يبشر به؟!.

---

(١) صحيح رواه النسائي والبيهقي.

أخي يا من أدرك رمضان : ها هو الشهر الكريم سيحل عما قريب بساحتك ، ويملأ عليك الدنيا بهجة وسروراً وبركة وخيراً وضياءً ونوراً ، فهذا هو حاله معك وتلك هي بعض مراسيم استقباله لك فما هو حالك أنت أخي معه؟! وما هي استعداداتك ومراسيل استقبالك لهذا الشهر؟!.

أخي يا من أدركت رمضان: احمد الله تعالى بأن أفسح لك في أجلك ومد في عمرك حتى أدركت رمضان ، واحمده بأن أدام عليك نعمة الصحة والعافية في بدنك حتى أدركت هذا الشهر.

أخي: أين من كان معك في رمضان الماضي؟! أما أفنته المنون القواضي ، أين من كان يصلي التراويح معك في الظلم؟! سافر عن داره منذ زمان ولم يعد؟! أين من صبر على الجوع والظمأ معك؟ أين من كانت ترتفع أصواتهم بالدعاء في ليالي رمضان؟! أين.. أين.. أين... ؟!.

إذا فحق لك بأن يفرح قلبك وينشرح صدرك وتزكو نفسك بقدوم هذا الضيف الكريم.

أخي أدعوك بهذه المناسبة بأن تفتح صفحة جديدة بيضاء مع ربك وإلهك ، وأن تسدل الستار على ماضٍ نسيته أنت وأحصاه الله ، وبأن تتوب إلى التواب الرحيم من كل ذنب وتقصير وخطيئة ، وأن لا تدع هذه الفرصة تفوتك كما فاتتك في السنوات الماضية ، فهذا موسم خصب من مواسم العمل الصالح ، والتنافس في الخيرات والإكثار من النوافل وغيرها من القربات التي تقربك من المولى جل جلاله ، ثم إلى متى الغفلة والتسويف ، وطول الأمل واتباع النفس والهوى والشيطان؟!!

ما أجمل رمضان عندما يكون بداية للتوبة والانابة، وميداناً للتنافس في الطاعات، ذلك الشهر الذي تُحط فيه الخطايا وتُرفع فيه الدرجات وتُعتق فيه الرقاب من النيران، وتُضاعف فيه الحسنات.

فكم من التائبين المنيبين إلى الله في رمضان؟! وكم من المستغفرين من ذنوبهم في رمضان!! وكم من المشمرين للطاعة في رمضان!! وكم من المستيقظين من سبات نومهم لنور الهداية في رمضان!! وكم من المقلعين عن الذنوب في رمضان!! وكم من النادمين على فعل المعاصي والمودعين لها في رمضان!!

ولذا أدعوك أخي لتنضم إلى قوافل التائبين القاصدة باب من هو غني عن خلقه جميعاً، سبحانه، ومتوجهين إلى باب من لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة، وميممين وجوههم إلى باب غافر الذنب وقابل التوب، قبل أن يقفل هذا الباب بطلوع الشمس من مغربها، أو بلوغ الروح الحلقوم وعندئذ، لا ينفع الندم ولا يفيد التحسر، فطوبى لمن أجاب فاصاب، وويلٌ لمن طرد عن الباب فما أجاب.

أخي المسلم يا من أدركت رمضان: إن اغتنام مواسم الخير بالجد في العمل الصالح والتوبة إلى الله تعالى مما سلف من القبائح ما يعوض الله به العاملين عما مضى من نقص في العمل، ويصرف به عقوبة ما اقترف المرء من الذلل ويتجدد به النشاط في الخير، ويزيل به مظهر السآمة والملل، فيتبارى المتنافسون في مضمار السباق مقبلين على الله تعالى من

شتى الآفاق ينشدون مغفرة الخطايا والزلات، ويطمعون في جنة عرضها الأرض والسموات عسى أن يكونوا ممن ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[١].

إن من أعظم نعم الله عليك أنت أخي أن مد في عمرك، وجعلك تدرك هذا الشهر العظيم، فكم غيب الموت من صاحب، ووارى الثرى من حبيب فإن طول العمر والبقاء على قيد الحياة فرصة للتزود من الطاعات، والتقرب إلى الله عز وجل بالعمل الصالح، فرأس مال المسلم هو عمره لذا فأحرص على أوقاتك وساعاتك حتى لا تضيع سدى، وتذكر من صام معك العام الماضي، وصلى العيد!! ثم أين هو الآن بعد أن غيبه الموت؟! وتخيل أنه خرج إلى الدنيا اليوم فماذا يصنع؟! هل سيسارع إلى النزهة والرحلات؟! أم إلى الانغماس في الملذات والشهوات؟!! أم إلى فعل المحرمات وارتكاب المعاصي والمنهيات؟! كلا ـ والله ـ بل سيبحث عن حسنة واحدة، فإن دقيق الحساب شديد، والميزان دقيق ومحصى فيه مثقال الذر من الأعمال ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾[٢].

---

(١) سورة التوبة، آية (٢١، ٢٢).

(٢) سورة الزلزلة، آية (٧، ٨).

فاجعل لك أخي الكريم في رمضان نصيباً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغتنم شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل مرضك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» واحرص أن تكون من خيار الناس كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله! أي الناس خير؟ قال صلى الله عليه وسلم: «من طال عمره وحسن عمله» قال: فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله» (١).

فرحم الله عبداً سارع إلى طاعة مولاه، وأطرح شهوته وهواه فكان له من الأجر العظيم والنعيم المقيم ما تقر به عيناه ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِالعِبَاد﴾ (٢).

أخي المسلم يا من أدركت رمضان: هل من وقفة صادقة للمحاسبة؟! هل من وقفة جادة للتأمل؟! لعلك أخي تستبين منعطفا تستقيم به على طريق الجادة ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَان ﴾ (٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم.

(٢) سورة آل عمران آية (٣٠).

(٣) سورة البقرة آية (١٨٥).

إن شهر رمضان هو شهر مغفرة الذنوب، وستر العيوب، ومضاعفة الأجور، شهر تعتق فيه الرقاب من النيران، وتفتح فيه أبواب الجنان، شهر تتنزل فيه الرحمات، وتتضاعف فيه الحسنات، شهر كله خير وأفضال، وفرصة للتنافس فيه بصالح الأقوال والأفعال والأعمال، شهر قد أظلنا زمانه، وأدركنا أوانه، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ملفتا الأنظار إلى فضله، ويحث المخاطبين واللاحقين إلى اغتنام وقته فقال: «أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه برحمته ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل»[(١)].

فشهر هذا فضله، وشرفه، وقدره، وتلك منزلته وعلو مكانته عند الله فقل لي بالله عليك كيف يستقبل هذا الوافد الكريم، وهذا الشهر العظيم؟!.

أخي يا من أدركت رمضان: يستقبل شهر رمضان بتهيئة القلب وإصلاحه، فإن أعظم مطلب في هذا الشهر هو إصلاح القلوب، فالقلب الذي مازال مقيماً على المعصية يفوته خيرٌ عظيمٌ، فرمضان شهر القرآن، والقلوب هي أوعية القرآن، ومستقر الإيمان، فكيف بوعاء لُوِّث بالآثام كيف يتأثر بالقرآن؟!.

---

(١) قال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير.

وهذا هو التفسير - الحقيقي - لحالنا، وحال أناس ينتظمون في الصلاة وسرعان ما يتسرب إليهم الملل، وتتملكهم السآمة من آيات الله - التي لو أُنزلت على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله - حين تُطرق أسماعهم، وذلك لأن القلوب القاسية لم تتطهر لاستقبال كلام الرحمن. قال الحسن البصري - رحمه الله -: **«لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم»**.

فيا أخي المسلم يا من أدركت رمضان: قدِّمْ بين يدي رمضان توبة صادقة تصلح القلب وترضي الرب، وتجلب الرحمات وتزيد الخيرات، وتمحو بها الخطايا، وتستبدل بها السيئات بالحسنات.

يستقبل شهر رمضان بتهيئة وتزكية النفوس وتصفيتها وتنقيتها من الضغائن والأحقاد التي خلخلت العرى، وأنهكت القوى، ومزقت المسلمين شر ممزق، فالذي يطل عليه رمضان وينزل بساحته وهو عاق لوالديه قاطع لأرحامه، هاجر لإخوانه، أفعاله قطيعة، ودوره في المجتمع النميمة، أقواله سباب وفسق وزور وبهتان، فهيهات.. هيهات أن يستفيد من رمضان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه»(١). وقال بعض السلف: أهون الصيام ترك الطعام والشراب. قلت: ومراده - رحمه الله - أن الصيام ليس ترك الطعام والشراب فحسب فهذا يقدر عليه أي أحد

---

(١) رواه البخاري.

حتى الحيوان، ولكن الصيام الحقيقي أن تصوم الجوارح عن كل ما حرم الله، من غيبة ونميمة وسب وأذى، وسرقة وخيانة وغيرها.

وكان السلف ـ رحمهم الله ـ إذا صاموا جلسوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحداً.

يستقبل شهر رمضان بتطهير المال من الحرام، فالمال الحرام سبب كل بلاء في الدنيا ويوم الجزاء، فلا يستجاب معه دعاء، ولا تفتح له أبواب السماء، فما أفظعها من حسرة وندامة أن تلهج الألسن بالدعاء ولا استجابة، وربنا الرحمن يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1]. فبادر رعاك الله: وانظر في نفسك وابحث في بيتك، وأدخل يدك في جيبك، وتتطهر من كل مال حرام ليس من مالك، حتى تقف بين يدي الله بقلب خاشع، ومال طاهر، ودعاء صادق، يصعد في الفضاء وتفتح له أبواب السماء.

أخرج مسلم ـ رحمه الله ـ في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: (١٨٦).

(٢) رواه مسلم.

يستقبل شهر رمضان على أنه مدرسة لتقوية الإيمان وتهذيب الخُلق وتصفية القلب، وتزكية النفس وتقوية الإرادة.

ولكن يا أخي الحبيب - وللأسف - يأتي رمضان وفي الزمن تعساء يستقبلونه على أنه شهر جوع نهاري وشبع ليلي، نوم في الفرش في النهار إلى ما بعد العصر، وسمر في الليل ممتد إلى طلوع الفجر، ليس رمضان عندهم إلا موسم للموائد الزاخرة بألوان الطعام والشراب، ذو العمل منهم يتبرم من عمله، وصاحب التعامل يسئ في تعامله، وذو الوظيفة ثقلت عليه وظيفته.

وجوههم عابسة، وصدورهم ضيقة، وألسنتهم سليطة، وغيظهم حانق، لا يرون في رمضان إلا جوعاً لا تتحمله أمعاءهم وعطشاً لا تقوى عليه عروقهم، فيا خسارة من كان هذا دأبه، ويا حسرة من هذا شأنه، فو الله لقد حرم الخير الكثير، وفاته الفضل الكبير، حرم لذة الصبر في نهار رمضان، وفقد لذة المناجاة في ساعات الليل الغالية، فلم تفتح له أبواب الجنان، ولم تغلق عنه أبواب النيران، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!.

ويقابل هؤلاء التعساء قوم رضي الله عنهم ورضوا عنه يستقبلون شهرهم ليجددوا فيه صلتهم مع ربهم فيجدون في نهاره لذة الصابرين،

ويعيشون فيه عيش الأبطال المجاهدين، ويقطعون ليلهم بلذيذ المناجاة وصادق الابتهالات، إيثار جميل، وصبر كريم، وتهذيب في الخُلق نبيل، لا يقابلون الإساءة بالإساءة، ولا يردون البذاءة بالبذاءة، «وإن سابه أحد أو قاتله قال: إني صائم إني صائم»[١].

فهؤلاء أخي هم الذين تُفتح لهم أبواب الجنان في رمضان، وتغلق عنهم أبواب النيران، وتتلقاهم الملائكة ليلة القدر بالبشر والسلام، هؤلاء هم الذين ينسلخ عنهم رمضان مغفوراً لهم ذنوبهم، مُكفرة عنهم سيئاتهم، مجلوة قلوبهم طيبة نفوسهم، مجددة بقوة الإيمان عزائمهم، قد مسح الصيام عن جبينهم وعثاء الحياة، وأزال عن أجسامهم غبار المادة، وأبعد عن بطونهم ضرر التخمة، وغذي إيمانهم بالقوة والنور.

أخي المسلم المبارك يا من أدرك رمضان: ينقسم الناس في استقبال رمضان والاستعداد له إلى فريقين، فانظر إلى نفسك من أي الفريقين أنت!

هناك فريق اقتدى بأولئك السلف الصالح، فاتخذوا رمضان موسماً لطاعة الله، ومضاعفة الأجور، والازدياد من الخير، صاموا نهاره فأحسنوا الصيام، وقاموا ليله فأحسنوا القيام، وبين هذا وذاك تلاوة للقرآن، وذكر واستغفار، وندم وبكاء، خوف ورجاء، أولئك هم الذين انتفعوا برمضان حق الانتفاع.

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم.

وصنف آخر لم يكن لهم أسوة ولا قدوة إلا النفس والهوى، والرغبات التي لا تنتهي والنزوات التي لا تنقضي والشهوات التي لا تقف عند حد.

فهؤلاء لم ينتفعوا برمضان ولم يستفيدوا بما فيه من صيام وقيام! لماذا؟!! لأن الله جعل الصيام للقلب والروح فجعلوه للبطن والمعدة، جعله لله للحِلم والصبر، فجعلوه للغضب والبطش، جعله الله للسكينة والوقار، فجعلوه شهر السباب والشجار، جعله الله ليغيروا فيه من صفات أنفسهم، فما غيروا إلا مواعيد أكلهم وشربهم وشهواتهم.

جعله الله تهذيباً للغني الطاعم، ومواساة للبائس المحروم الجائع فجعلوه معرضا لفنون الأطعمة والأشربة، يزداد الغني فيه تخمة، والفقير فيه حسرة.

فقل لي يا أخي بالله عليك أي الفريقين أولى بالفوز والفلاح؟! وأحق بأن تفتح له أبواب الجنان وتسد عنه أبواب النيران؟! أي الفرقين قد صفدت شياطينه؟! ومن منهم أحق بنفحات الرحمن؟! ومن الأحرى بموافقة ليلة القدر؟! ومن منهم أولى بأن تُغفر ذنوبه وتُعتق رقبته من النار، ويدرك رحمته ربه العزيز الغفار؟!

جاء أبو أمامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مرني بأمر ينفعني الله به فقال: «عليك بالصيام فإنه لا مثل له»[(١)].

وثبت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[(٢)]. وعند البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: «من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً»[(٣)].

الله أكبر يا عبد الله! ما أوسع رحمتك يا رب، صيام يوم واحد يباعد وجه صاحبه عن النار سبعين خريفاً، فما بالك بصيام شهر كامل ألا وهو شهر رمضان!!.

أخي الحبيب: معذرة للإطالة فأنا أحب لك الخير كما أحبه لنفسي، وأذن لي أن في نهاية رسالتي إليك أن أهاتف سمعك بهذا السؤال فأقول: من أي الفريقين أنت؟! وما هي استعداداتك لهذا الشهر الكريم؟! وكيف تستقبل هذا الضيف العزيز؟!

نعم أخي: فإني أراك تجيب وتقول بلسان الحال والمقال أنا من الذين يستقبلون هذا الضيف العزيز والوافد الكريم بقلب صافي ونفس طيبة زكية، ويسوقني الشوق إلى لقاءه.

---

(١) رواه النسائي في فضل الصيام رقم (٢٢٢١).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري.

نعم أخي: إني لأظنك من هذا الصنف الذين يسارعون في الخيرات ويلهثون بالدعوات يرجون رحمة الله ويخافون عقابه، فهم للخير مقدمون وعن الشر محجمون، ومن عذاب ربهم مشفقون ولنعيم الله طامعون ومتطلعون، أحسبك كذلك ولا أزكي أحداً على الله، والله حسيبك.

اللهم بلغنا رمضان، ووفقنا لصيامه وقيامه، واقبلنا فيه وتقبله منا، اللهم زدنا ولا تنقصنا، واعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرضى عنا، وعافنا وأعفو عنا، ولغيرك لا تكلنا، واجعلنا مجتمعين غير متفرقين، مغفوراً لنا إن كنا مذنبين، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وكفر عنا سيئاتنا وأجزل حسناتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الواحة الإيمانية الثالثة

أبــواب الخـير في رمضـــان

الحمد لله رب البريات، عالم الخفيات المطلع على الضمائر والنيات، أحمده سبحانه على ما خصنا به من جلائل النعم، وأشكره على ما حبانا به من ألوان الجود والكرم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن شهر رمضان شهر خير وبر وإحسان، الأعمال فيه مضاعفة وسبل الخير فيه كثيرة، فالنفوس تنشط في هذا الشهر عن غيره من الشهور. لذلك رأيت أخي الحبيب أن أجمع لك باقة عطرة من الأحاديث والآثار الصحيحة في مختلف أبواب البر والخير مع التركيز على ما يتأكد منها في هذا الشهر الفضيل. بالإضافة إلى التنبيه على ضرورة المحافظة على فرائض العبادات ونوافلها، ولقد تحريت أن أذكر الأمر والدليل عليه إما من الكتاب أو السُنة الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم مع الاختصار الشديد حتى نستوعب أكبر عدد ممكن من الفوائد والله الهادي إلى سواء السبيل.

١- الإخلاص: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝ ﴾[(١)].

٢- تجديد التوبة لله تعالى: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[(٢)]. وقال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[(٣)].

٣- الدعاء عند رؤية الهلال: كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال يقول: «اللهم أهله علينا باليُمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله»[(٤)].

٤- صيام رمضان إيماناً واحتساباً: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[(٥)].

٥- صيام ست من شوال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان واتبعه ستاً من شوال كان كصوم الدهر»[(٦)].

٦- قيام رمضان إيماناً واحتساباً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »[(٧)].

---

(١) سورة البينة، آية (٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه أحمد والترمذي.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) رواه مسلم.

(٧) رواه البخاري ومسلم.

٧- قيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[(١)].

٨- الاجتهاد في العشر الأواخر: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر أحيا ليله وأيقظ أهله، وشد مئزره»[(٢)].

٩- العُمرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العمرة في رمضان تعدل حجة أو حجة معي»[(٣)].

١٠- الاعتكاف: «كان صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان»[(٤)].

١١- تفطير الصائم: قال صلى الله عليه وسلم: «من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً»[(٥)].

١٢- تعلم القرآن وتعليمه: قال صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[(٦)].

١٣- ذكر الله تعالى والإكثار منه: قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) رواه البخاري.

لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله تعالى»[١].

١٤- قراءة القرآن وتلاوته: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[٢].

١٥- الاستغفار: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[٣].

١٦- المحافظة على الصلوات الخمس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله»[٤].

١٧- المحافظة على الصلاة في وقتها: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟! قال: «الصلاة لوقتها»[٥].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود والنسائي.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

١٨- المحافظة على صلاة الفجر والعصر: قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى البردين دخل الجنة»[(١)].

١٩- المحافظة على صلاة الجمعة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهم إذا اجتنبت الكبائر»[(٢)].

٢٠- تحري ساعة الإجابة يوم الجمعة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه»[(٣)].

٢١- كثرة الذهاب إلى المساجد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من غدا إلى مسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح»[(٤)].

٢٢- اسباغ الوضوء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه ومسلم.

٢٣- الشهادة بعد الوضوء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من المتطهرين، فتحت له أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء»[١].

٢٤- المحافظة على الوضوء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[٢].

٢٥- استعمال السواك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[٣].

٢٦- الصلاة في المسجد الحرام: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في هذا»[٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجة.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه أحمد وابن خزيمة.

٢٧- الصلاة في المسجد النبوي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» (١).

٢٨- الصلاة في مسجد قباء: قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى فيه كان كعدل عمرة» (٢).

٢٩- المحافظة على صلاة الجماعة: قال صلى الله عليه وسلم: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفز بسبع وعشرين درجة» (٣).

٣٠- الحرص على صلاة الضحى: قال صلى الله عليه وسلم: «يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزىء من ذلك كله ركعتان يركعهما في الضحى» (٤).

٣١- المداومة على السنن الرواتب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يصلي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة، إلا بنى الله له بيتاً في الجنة» (٥).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) أخرجه أصحاب السنن.

(٥) رواه مسلم.

٣٢- صلاة التطوع في البيت: قال صلى الله عليه وسلم: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبوراً».

٣٣- كثرة السجود: قال صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»[(١)].

٣٤- الجلوس في المصلى بعد صلاة الصبح للذكر: قال صلى الله عليه وسلم: من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة قال صلى الله عليه وسلم «تامة تامة تامة»[(٢)].

٣٥- صلاة المرأة في بيتها: قال صلى الله عليه وسلم: «لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن»[(٣)].

٣٦- الحرص على صلاة العيدين في المصلى: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في يوم الفطر والأضحى إلى المصلى»[(٤)].

٣٧- تعويد الأولاد على الصلاة: قال صلى الله عليه وسلم: «مروا أبناءكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه مسلم

(٥) رواه أبو داود.

٣٨- تعويد الأولاد الصيام: عن الرُبيِّع بنت معوذ قالت: «فكنا نصومه بعد، ونصوِّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن»[١].

٣٩- ذكر الله عقب صلاة الفريضة: قال صلى الله عليه وسلم: «من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت له خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر»[٢].

٤٠- المحافظة على صلاة التراويح: قال صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[٣].

٤١- تعجيل الفطر: قال صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[٤].

٤٢- الإفطار قبل الصلاة: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي»[٥].

---

(١) رواه البخاري

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه أحمد.

٤٣- الإفطار على تمر إن وجد: قال صلى الله عليه وسلم: « من وجد التمر فليفطر عليه ومن لم يجد التمر فليفطر على الماء فإن الماء طهور »[١].

٤٤- المحافظة على دعاء الإفطار: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفطر يقول: « ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى »[٢].

٤٥- الدعاء عند الإفطار: قال صلى الله عليه وسلم: «إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد»[٣].

٤٦- الدعاء مطلقاً والإكثار منه: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»[٤].

٤٧- المواظبة على السحور: قال صلى الله عليه وسلم: «تسحروا فإن في السحور بركة»[٥].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(٢) رواه أبو داود والدارقطني والحاكم.

(٣) رواه ابن ماجة.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

٤٨- حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[١].

٤٩- تفطير الصائمين: قال صلى الله عليه وسلم: «من فطّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء»[٢].

٥٠- الاجتهاد في العشر الأواخر: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر مما لا يجتهد في غيره»[٣].

٥١- الاعتكاف: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر في رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده»[٤].

٥٢- الصدقة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصدقة صدقة في رمضان»[٥].

٥٣- فضل الصدقة عموماً: قال صلى الله عليه وسلم: «الصدقة تطفيء الخطيئة كما تطفيء الماء النار»[٦].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والنسائي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه الترمذي.

(٦) رواه الترمذي.

٥٤- صدقة المقل: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل وابدأ بمن تعول»[١].

٥٥- فضل صدقة السر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفيء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»[٢].

٥٦- إخراج زكاة الفطر: فرض صلى الله عليه وسلم: «زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أدها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»[٣].

٥٧- إفشاء السلام وإطعام الطعام: قال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[٤].

٥٨- إماطة الأذى عن الطريق: قال صلى الله عليه وسلم: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس»[٥].

---

(١) رواه أبو داود وابن خزيمة والحاكم.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) رواه مسلم.

٥٩- بر الوالدين وطاعتهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رغم أنفه ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه» قيل من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة».[١]

٦٠- طاعة المرأة لزوجها: قال صلى الله عليه وسلم: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها - أي زوجها - دخلت من أي أبواب الجنة شاءت».[٢]

٦١- النفقة على الزوجة والعيال والتوسعة عليهم في هذا الشهر: قال صلى الله عليه وسلم: « إذا انفق المسلم على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة».[٣]

٦٢- النفقة على الأرملة والمساكين: قال صلى الله عليه وسلم: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» وأحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر» .[٤]

٦٣- كفالة اليتيم والنفقة عليه: قال صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا.. وقال بأصبعه: السبابة والوسطى» .[٥]

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن حبان.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه البخاري.

٦٤- مسح رأس اليتيم والشفقة عليه: شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له صلى الله عليه وسلم: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين»[١].

٦٥- قضاء حوائج الأخوان: قال صلى الله عليه وسلم: «لأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته ـ وأشار بأصبعه ـ أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين»[٢].

٦٦- زيارة الأخوان في الله: قال صلى الله عليه وسلم: «النبي في الجنة والصديق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة»[٣].

٦٧- زيارة المرضى: قال صلى الله عليه وسلم: «من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة»، قيل: يا رسول الله ما خرفة الجنة؟ قال: «جناها»[٤].

٦٨- صلة الأرحام وإن قطعوا: قال صلى الله عليه وسلم: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»[٥].

٦٩- إدخال السرور على المسلم: قال صلى الله عليه وسلم: «من لقي أخاه المسلم بما يحب يسره بذلك، سره الله عز وجل يوم القيامة»[٦].

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الحاكم.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) رواه الطبراني.

٧٠- التخفيف على الخدم والعمال في رمضان: قال صلى الله عليه وسلم: «من خفف على مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار» .[(١)]

٧١- التيسير على المعسر: قال صلى الله عليه وسلم: «من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة» .[(٢)]

٧٢- الشفقة على الضعفاء ورحمتهم والرفق بهم: قال صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» .[(٣)]

٧٣- الإصلاح بين الناس: قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قال: «إصلاح ذات البين» .[(٤)]

٧٤- حسن الخُلق: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحسن الخُلق» .[(٥)]

٧٥- طيب الكلام: قال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة» .[(٦)]

---

(١) رواه ابن خزيمة مطولاً.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

(٤) رواه أبو داود والترمذي.

(٥) رواه الترمذي.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

٧٦- الصمت وحفظ اللسان إلا من خير: قال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» .[١]

٧٧- حفظ اللسان من اللغو والرفث والسب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم إني صائم» .[٢]

٧٨- حفظ اللسان عن قول الزور: قال صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» .[٣]

٧٩- حفظ اللسان من أذية المسلمين: قال صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» .[٤]

٨٠- حفظ اللسان من الغيبة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» .[٥]

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه ابن خزيمة وابن حبان.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) رواه مسلم.

٨١- حفظ اللسان من النميمة والوقيعة بين الناس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قتات» [١] أي نمّام.

٨٢- الحلم والصفح وكظم الغيظ: قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [٢] وقال ﷺ للأشج: «إن فيك خصلتان يحبهما الله تعالى: الحلم والأناة» [٣].

٨٣- غض البصر عن محارم الله: قال صلى الله عليه وسلم: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه» [٤].

٨٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» [٥].

٨٥- كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليها بها عشراً» [٦].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٣٤).

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الطبراني.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه مسلم.

٨٦- الجلوس مع الصالحين والأخيار: قال صلى الله عليه وسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[(١)].

٨٧- اصطناع المعروف والدلالة على الخير، قال صلى الله عليه وسلم: «كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله»[(٢)]. وقال: «ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله»[(٣)].

٨٨- الدعوة إلى الله: قال صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[(٤)].

٨٩- كفارة المجلس: قال صلى الله عليه وسلم: «من جلس جلسة فكثر لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك»[(٥)].

٩٠- الستر على المسلمين: قال صلى الله عليه وسلم: «لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[(٦)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الترمذي وأبو داود.

(٦) رواه مسلم.

٩١- إغاثة المسلمين: قال صلى الله عليه وسلم: «من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه من كرب يوم القيامة» .[١]

٩٢- المداومة على العمل الصالح وإن قل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» .[٢]

٩٣- الإحسان إلى الجار: قال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره».[٣]

٩٤- الدعاء للوالدين: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أين هذا لي؟ فيقول: باستغفار ولدك لك» .[٤]

٩٥- رد المظالم والتحلل من أصحاب الحقوق: قال صلى الله عليه وسلم: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه» .[٥]

٩٦- اتباع السيئة الحسنة: قال صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» .[٦]

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه أحمد والحاكم.

٩٧- أداء الأمانة والوفاء بالعهد: قال صلى الله عليه وسلم: «لا إيمان لمن لا أمان له، ولا دين لمن لا عهد له» .[(١)]

٩٨- التراحم والتعاطف مع المسلمين: قال صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» .[(٢)]

٩٩- الذب عن أعراض المسلمين: قال صلى الله عليه وسلم: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة» .[(٣)]

١٠٠- سلامة الصدر وترك الشحناء: قال صلى الله عليه وسلم: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا».[(٤)]

١٠١- التعاون مع المسلمين فيما فيه خير: قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ .[(٥)] وفي الحديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه» .[(٦)]

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه مسلم.

(٥) سورة المائدة آية (٢).

(٦) رواه البخاري.

١٠٢- توزيع الكتاب والشريط الإسلامي النافع على الأسرة أو الأصدقاء في العمل أو المدرسة أو النادي ونحوه من التجمعات.

١٠٣- التنسيق مع التجار وأصحاب المحلات لشراء ملابس وما يلزم من أمور العيد وتوزيعها في آخر رمضان على الفقراء والمحتاجين، لتعم الجميع فرحة العيد.

١٠٤- حث كل بيت على المساهمة في إفطار الصائم، كل بما يستطيع، وإرسال ما تيسر لهم من طعام إلى مسجد الحي أو التنسيق مع المطاعم من أجل ذلك.

١٠٥- الاستفادة من حملات العمرة التي تقام في شهر رمضان المبارك بتنظيم جملة من البرامج الدعوية والعلمية والثقافية للمشاركين، مع الحرص علي أن يكون مع كل رحلة شيخ يستفاد من علمه، أو طالب علم جيد إن تعذر الأول.

١٠٦- ترتيب كلمات تلقى خلال شهر رمضان أثناء صلاة التراويح وتعلن في لوحة المسجد على شكل جدول بيِّن وواضح.

١٠٧- القيام بزيارة المرضى في المستشفيات، وتشجيعهم وحثهم على الصبر والاحتساب مع إهدائهم مجموعة من الهدايا الدعوية الهادفة النافعة المفيدة.

أخي الكريم:

هذا بعض أبواب الخير والتي معظمها يتعلق بشهر رمضان المبارك وغيرها كثير لكن ما ذكر فيه الكفاية لمن أراد الهداية، فاحرص أخي الكريم على فرص الخير ولا تدعها تفوتك، فلربما يكون هذا آخر عهدك برمضان، فاغتنم الفرصة، وأعمل لما تحب أن تراه يوم العرض على ملك الملوك وجبار السموات والأرض ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

۞ ۞ ۞

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٣٠).

الواحة الإيمانية الرابعة

فضــــائل
شهر رمضان
(١)

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

أخي المسلم.. أختي المسلمة: لقد فضل الله تبارك وتعالى شهر رمضان بفضائل كثيرة، هي أجل من أن تحصى وأكثر من أن تُعد، فهو شهر بركة وخير، حباه الله بخير وافر، وبركة في كل شيء زائدة وأثرها واضح للعيان، فهو شهر القرآن، وشهر الإحسان وشهر البر والمواساة وشهر التقوى والمغفرة، وشهر التوبة وتكفير الذنوب، شهر قيام الليل والتهجد، شهر تصفيد الشياطين، شهر تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران، شهر العتق من النار، شهر يُستجاب فيه الدعاء، شهر ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر؟! إنها ليلة هي خير من ألف شهر، ولو استطردنا في سرد فضائله وإيضاح محاسنه لطال بنا المقام ونفد منا المداد، قبل أن نأتي على شيء يسير من فضائله الجمة.

لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه رضوان الله عليهم بقدوم شهر رمضان.

أخرج الإمام أحمد في المسند والنسائي عن أبي قلابة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه - أي بحلول رمضان - «قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، افترض الله

عليكم صيامه، يفتح فيه أبواب الجنة ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حُرم»[(١)].

قال ابن رجب - رحمه الله - في التعليق على هذا الحديث: «هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان، كيف لا يُبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان، كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران، كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل فيه الشيطان»أ. هـ.

أخي الحبيب: إن بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عليه.

قال معلى بن الفضل: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم.

قال يحيى بن أبي كثير: «كان من دعائهم اللهم سلمني إلى رمضان وسلم رمضان لي وتسلمه مني متقبلاً».

عن أبي سلمة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان رجلان من بني قضاعة، أسلما مع النبي صلى الله عليه وسلم، واستشهد أحدهما وأُخِرَ الآخر سنة، قال طلحة بن عبيد الله: فأريت الجنة، فرأيت فيها المؤخر منهما، أُدخل قبل الشهيد، فعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت

---

(١) إسناده صحيح: رواه النسائي والبيهقي، كلاهما عن أبي قلابة، وانظر مسند الإمام أحمد: (٧١٤٨، ٩٤٩٣، ٨٩٧٩) تحقيق شاكر، عن أبي هريرة، قال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - في التعليق على مسند أحمد (٧١٤٨) إسناده صحيح، وفي (التهذيب) يقال أن أبا قلابة لم يسمع من أبي هريرة ولم أجد ما يؤيد هذا، وأبو قلابة - عبد الله بن زيد - لم يعرف بتدليس، والمعاصرة كافية بالحكم بوصل الإسناد. أ. هـ.

ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، أو ذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أليس قد صام بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة أو كذا وكذا ركعة صلاة السنة»(١).

أخي الكريم:

من رحم في رمضان فهو المرحوم، ومن حُرم خيره وبركته فهو المحروم، ومن لم يتزود فيه لمعاده فهو الملوم.

كم ممن أمَّل أن يصوم هذا الشهر فخانه أمله. فصار قبله إلى ظلمة القبر، كم من مستقبل يوماً لا يستكمله، ومؤمل غداً لا يدركه، إنك لو أبصرت الأجل ومصيره، لأبغضت الأمل وغروره.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب ... حتى عصى ربه في شهر شعبان
فاحمل على جسد ترجوه النجاة له ... فسوف تضرم أجساد بنيران
كم كنت تعرف ممن صام في سلف ... من بين أهل وجيران إخوان
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم ... حيا فما أقرب القاصي من الداني
ومعجب بثياب العيد يقطعها ... فأصبحت في غد أثواب وأكفان
حتى متى يعمر الإنسان مسكنه ... يصير مسكنه قبر لإنسان (٢)

---

(١) إسناده صحيح: انظر مسند الإمام أحمد بتحقيق شاكر حديث رقم (٨٣٨٠، ٨٣٨١) (١٦/ ١٧٠-١٧١)، وعند ابن ماجة بسند صحيح انظر: (صحيح سنن ابن ماجة) للألباني (٢/ ٣٤٥-٣٤٦) رقم (٣١٧١).

(٢) لطائف المعارف ص (١٥٥ - ١٥٧).

فاعلم يا أخي الكريم أن الناصح لنفسه لا تخرج عنه مواسم الطاعات وأيام القربات عطلاً، لأن الأبرار ما نالوا البر إلا بالبر، والعاقل خصيم نفسه.

فيجب على العاقل أن يضع نصب عينيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده»[(١)].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً».

فيتعرض العبد لإحسان مولاه، سبحانه من كريم أضحت رحالنا بباب كرمه مطروحة، ورمضان سيد الشهور وتاج على مفرق الأيام والدهور.

رمضان ربيع التُقى وقد فاح فواحه.. رمضان يوسف الزمان في عين يعقوب الإيمان، فمرحباً بشهر طيب كريم مبارك.

هبت اليوم على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب في رمضان، وسعى سمسار الوعظ للمهجورين في الصلح، ووصلت البشارة للمنقطعين بالوصل، وللمذنبين بالعفو، والمستوجبين النار بالعتق، لما سلسل الشيطان في شهر رمضان، وخمدت نيران الشهوات بالصيام انعزل

---

(١) حسن: رواه الطبراني في (الكبير) عن أنس وقال الهيثمي إسناد رجاله رجال الصحيح، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٨٩٠).

سلطان الهوى، وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل، فلم يبقى للعاصي عذر.

فيا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي، يا شموس التقوى والإيمان اطلعي، يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعي، يا قلوب الصائمين اخشعي يا أقدام المتهجدين اسجدي لربك واركعي، يا عيون المجتهدين لا تهجعي، يا ذنوب التائبين لا ترجعي، يا أرض الهوى ابلعي ماءك، ويا سماء النفوس اقلعي، يا بروق العشاق للعشاق إلمعي، يا خواطر العارفين ارتعي. يا همم المحبين لغير الله لا تقنعي، ويا همم المؤمنين أسرعي[1].

فيا من طالت غيبته عن مولاه، قد قربت أيام المصالحة، يا من دامت خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، كم ينادي حي على الفلاح وأنت خاسر، وكم تُدعى إلى الصلاح وأنت على الفساد مثابر.

من لم يربح في رمضان ففي أي وقت يربح، ومن لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يبرح.

وإليك أخي الحبيب هذه الفضائل لشهر رمضان، لعل أن يكون لك واعظاً من نفسك، فتعلو الهمم، وتزكو النفس ويصفو القلب ويطهر من عوالق الحياة، ويكون لك النصيب الأوفر من بركة هذا الشهر وخيره.

(١) لطائف المعارف (١٤١ - ١٤٣).

١- شهر رمضان شهر نزول القرآن والكتب السماوية

عن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشر مضت من رمضان وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»(١).

قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ ﴾ [سورة القدر:الآية ١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [سورة الدخان:الآية ٣]. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل القرآن جملة من الذكر(٢). في ليلة أربع وعشرين من رمضان(٣). فجعل في بيت العزة».

---

(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير عن واثلة، وأحمد في مسنده وابن عساكر، وحسنه الألباني (صحيح الجامع رقم (١٥٠٩).

(٢) أي اللوح المحفوظ.

(٣) وهي عند ابن عباس ليلة القدر والوتر من العشر الأواخر كما يقول ابن تيمية: قد يكون باعتبار ما مضى من الشهر أو باعتبار ما بقي.

وعنه أيضاً قال: أُنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا، جملة واحدة، ثم فُرِّق في السنين بعد، قال: وتلا ابن عباس هذه الآية: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة الواقعة:الآية ٧٥]. قال: نزل مفرقاً.

وعن سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ: «نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في شهر رمضان، فجعل في سماء الدنيا».

قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ: «نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان ثم أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم على ما أراد الله إنزاله إليه»(١).

وقال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ أنزل في فضله ـ أي رمضان ـ القرآن(٢).

منزلة القرآن ومكانته

أخي الكريم:

القرآن: «كتاب هذه الأمة الخالد، الذي أخرجها من الظلمات إلى النور، فأنشأها النشأة، وبدلها من خوفها أمناً، ومكن لها في الأرض، ووهبها مقوماتها التي بها صارت أمة، ولم تكن من قبل شيئاً، وهي بدون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان في الأرض، ولا ذكر في السماء، فلا أقل من شكر الله على نعمة هذا القرآن بالاستجابة إلى صوم الشهر الذي نزل فيه القرآن»(٣).

---

(١) تفسير الطبري: (٢/١١٤ - ١١٥).

(٢) التبصرة لابن الجوزي (٢/٧٣).

(٣) الظلال: (١٧١ - ١٧٢).

نعم :

«ولكن ستظل هناك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن ما لم نتمثل فيه حسناً ، ونستحضر أن هذا القرآن خوطبت به أمة حية ذات وجود حقيقي ، ووجهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة وأديرت به معركة ضخمة في داخل النفس البشرية وفي رقعة من الأرض كذلك»(١) .

فالقرآن نعمة من الله عظيمة ومنة منه جسيمة تستلزم منا الشكر ليل نهار ونكون بذلك مقصرين غاية التقصير.

فالقرآن نور يضيء لنا الطريق في الدنيا والآخرة. والقرآن فيه الهدى والصلاح ، فبه تطمئن القلوب ، وتزكو النفوس ، وتعلو الهمم وترتقي ، وتُشفى الصدور من عللها ، وتسلم الأرواح والأبدان من أسقامها.

من قال به حكم ، ومن حكم به عدل ، ومن سار على نهجه هُدي إلى صراط مستقيم ، ومن أعرض عنه قُيِّض له شيطاناً فهو له قرين ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الزخرف:الآية ٣٦].

«وأسوأ ما يصنعه قرين بقرين أن يصده على السبيل الواحدة القاصرة ثم لا يدعه يفيق ، أو يتبين الضلال فيتوب ، إنما يوهمه أنه سائر في الطريق القاصد القويم ، حتى تفاجئهم النهاية وهم سادرون ، هنا يفيقون

---

(١) من وحي القلم.

كما يفيق المخمور، ويفتحون أعينهم بعد العشى والكلال والعذاب كامل لا تخففه الشركة، ولا يتقاسمه الشركان فيهون[١] ».

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [سورة طه:الآية ١٢٤].

«إن الحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع، إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه. ضنك الحيرة والقلق.. ضنك الحرص والحذر: الحرص على ما في اليد، والحذر من الفوت.. ضنك الجري وراء بارق المطالع والحسرة على كل ما يفوت.

لقد أسرف [وخسر كذا] من أعرض عن ذكر الله فألقى بالهدى من بين يديه وهو أنفس ثراء وذخر»[٢].

فيا أخي الحبيب ليكن لك نصيباً مع القرآن في هذا الشهر الذي أنزل فيه وليكن لك في رسولك صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، ففي الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة».

---

(١) الظلال. (٣١٨٩/٥ - ٣١٩٠).

(٢) الظلال. (٢٣٥٥/٤).

حال السلف مع القرآن في رمضان

قال ابن رجب: «دل الحديث على استجاب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان»[١].

قال ابن رجب: «كان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة في كل ست ليال»[٢].

«كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان يختم في غير رمضان في كل ست ليال»[٣].

«كان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة»[٤].

«وكان النخعي يفعل مثل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث»[٥].

قال ربيع بن سليمان: «كان محمد بن إدريس الشافعي يختم في شهر رمضان ستين ختمة، ما منها شيء إلا في صلاة»[٦].

---

(١) لطائف المعارف: (١٨٩) قلت: وفي الحديث دليل أيضاً على استحباب الصدقة في رمضان وزيادة البذل والعطاء والجود والكرم في ذلك الشهر الفضيل، وذلك لشرف الزمان، والله أعلم.

(٢) لطائف المعارف (١٩١).

(٣) حلية الأولياء (٢/١٦٣).

(٤) حلية الأولياء (٢/٣٣٨) و (لطائف المعارف) (١٩١).

(٥) لطائف المعارف (١٩١).

(٦) المصدر السابق.

وأخبار القوم كثيرة لكن فيما ذكر كفاية لمن أراد الهداية.

فيا أخي الكريم: لا تكن من الغافلين في هذا الشهر عن قراءة القرآن فكن من الذاكرين له آناء الليل وأطراف النهار.

واعلم أخي الكريم: أن الصيام والقرآن يشفعان لك يوم القيامة كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان)(١).

فيا من فرط في شهره وأضاعه، يا من بضاعته التسويف والتفريط بئست البضاعة، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة؟!(٢).

ويلٌ لمن شفعاؤه خصماؤه ... والصور في يوم القيامة ينفخ

۞ ۞ ۞

---

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني في (الكبير) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨٨٢).

(٢) لطائف المعارف (١٩٤).

٢- رمضان شهر التراويح والتهجد

شهر رمضان شهر المصابيح، شهر التهجد والتراويح، واهاً لأوقاته من زواهر ما أشرفها، ولساعاته التي كالجواهر ما أظرفها، أشرفت لياليها بصلاة التراويح، وأنارت أيامها بالصيام والتسبيح، حليتها الإخلاص والصدق، وثمرتها الخلاص والعتق.

فطوبى لعبد صام نهاره، وقام أسحاره.. يا حسنه ومصابيح النجوم تزهر، والناس قد ناموا وهو في الخير يسهر، غسل وجهه من ماء عينه وعينْ العين أطهر.

بشرى لمن قام رمضان إيماناً واحتساباً.

(أ) قيام رمضان من الإيمان، ومغفرة لسالف الذنوب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[١].

(ب) من قام رمضان فهو من الصديقين والشهداء.

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال يا رسول الله: أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات

---

(١) صحيح: أخرجه أصحاب الكتب الستة ومالك وأحمد والدارمي، والفريابي في (كتاب الصوم) وعبد الغني المقدسي في (فضائل رمضان).

الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته فممن أنا؟ قال: «من الصديقين والشهداء» [١].

(جـ) من قام مع إمامه حتى ينصرف كُتب له قنوت ليلة.

جاء في حديث أبي ذر قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام الليلة» [٢].

فيا أخي الحبيب: هل بعد هذا الفضل من فضل؟ وهذا الخير من خير؟ أما زلت مصراً على عصيانك، وتركك لصلاة التراويح والقيام بعدما سمعت وقرأت هذه الأحاديث؟! أما زلت تقضي الليل في السمر واللهو والعربدة ومشاهدة ما حرم الله وسماع الأغاني والطرب والمجون؟!.

ألا فاتق الله في عمرك، وأقبل على صلاة التراويح يقبل الله عليك، وانظر إلى سلفك من الصحابة رضوان الله عليهم.

عن السائب بن يزيد أنه قال: «أمر عمر بن الخطاب أُبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوما بالناس بإحدى عشرة ركعة، قال: وقد كان

---

(١) صحيح: رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما (واللفظ لابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٩٩٣) والتعليق على ابن خزيمة (٢٢١٢).

(٢) سنده صحيح: رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجة، وابن أبي شيبة، وقال الألباني: سنده صحيح: صلاة التراويح (ص١٥).

القاريء يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر خشية أن يفوتنا الفلاح»[١] أي السحور.

وإن تعجب فعجب من قوم يصلون بعض الركعات ثم يولون مدبرين تاركين الصلاة بحجة أن الإمام يطيل القراءة أو يطيل السجود والركوع أو غيرها من الحجج الواهية التي زينها لهم الشيطان فاستحسنوها فضلوا عن السبيل.

والله الذي لا إله غيره ما تصلح القلوب والأجساد والأبدان إلى بالقيام بين يدي علام الغيوب، فلا تفرط يا أخي الحبيب في صلاة التراويح وأعلم أن قيام الليل هو طريق الصالحين وقرة عيون الموحدين.

عن بلال ـ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»[٢].

قال بعض السلف: قيام الليل يُهوِّن طول القيام يوم القيامة.

---

(١) سنده صحيح: أخرجه مالك، وعنه البيهقي في (سننه الكبرى) وقال السيوطي في المصابيح سنده في غاية الصحة، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه الترمذي والبيهقي والحاكم عن بلال، وعن أبي أمامة، وابن عساكر في التاريخ عن أبي الدرداء، والطبراني في (الكبير) عن سلمان، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (٣/ ٥٠) رقم (٣٩٥٨).

أخي في الله: هذا شهر القيام، وهذه ليالي شهر رمضان، موسم التهجد وطول القيام، فلله در نفوس تركت نعم الدنيا الحاضرة واستعدت لأفزاع الآخرة.

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود أنين منه تنفرج الضلوع

فيا أخي الكريم: اغتنم زمن الأرباح، فأيام المواسم معدودة، وانتهز الفرصة فأوقات الفضائل مشهودة.

فلله در أقوام هجروا لذيذ المنام، وتنصلوا لما نصبوا له الأقدام وانتصبوا للتعب في الظلام وغيرهم نيام، يطلبون نصيباً من الإنعام، إذا جن الليل سهروا، وإذا طلع النهار اعتبروا، وإذا نظروا في عيوبهم استغفروا، وإذا تفكروا في ذنوبهم بكوا وانكسروا.

فيا أخي الحبيب: احذِ حذوهم وسر على دربهم واسلك طريقهم وانسج على منوالهم، وأحبهم، لعلك تحشر معهم (فالمرء مع من أحب)[١].

۞ ۞ ۞

(١) جزء من حديث صحيح وهو عن ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- شهر رمضان شهر تكفير الذنوب

● عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل فقال: يا محمد! من أدرك شهر رمضان فمات ولم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله. قل: آمين، فقلت: آمين. قال: ومن ذُكرت عنده فلم يُصلّ عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين»[١].

● عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

● وقال صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٣].

● قال الخطابي: «إيماناً واحتساباً» أي نية وعزيمة، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه، طيبة به نفسه غير كاره له، ولا مستثقل لأيامه لكن يغتنم أيامه لعظم الثواب»[٤].

وقال البغوي (احتساباً) أي طلباً لوجه الله وثوابه.

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وابن حبان في (صحيحه) وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٧٥).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة مختصراً.

(٣) صحيح: وقد تقدم تخريجه.

(٤) فتح الباري (١٣٨/٤ - ١٣٩).

وقال المناوي: أي صام أيامه كلها إيماناً بفرضيته، ومصدقاً طلباً للثواب.

أخي الحبيب: إن تكفير الذنوب والخطايا نعمة من الله عظيمة، ومنَّة من الله جسيمة، وذلك لمن سلك سبيل الهداية وترك سبيل الغواية، كان عبد الله بن مسعود يقول: وددت لو أن الله غفر لي ذنباً واحد، وأن لا يعرف لي نسب، وقال: وددت أني عبد الله بن روثة وأن الله غفر لي ذنباً واحداً.

فما ظنك أخي الكريم بغفران الذنوب في رمضان!.

أخي:

يا مضيعاً اليوم تضيعه أمس، تيقظ.. ويحك، فقد قتلت نفسك بإصرارك على المعاصي.

يا من يجول في المعاصي قلبه وهمه، يا مؤثراً الهوى على التقى لقد ضاع حزمه، يا معتقداً صحته فيما هو سقمه، يا من كلما زاد عمره زاد إثمه، يا طويل الأمل وقد رق عظمه.

يا قليل العبر، وقد رحل أبوه وأمه، يا من سيجمعه اللحد عن قليل ويضمه، كيف يوعظ ما لا يعظه عقله ولا فهمه، كيف يوقظ من نام قلبه لا عينه ولا جسمه؟![1].

أخي قد ضاعت في الذنوب الأعمار فأين يكون لهذا الغرس إثمار؟!

من فاته الزرع في وقت الحصاد فمنا ... تراه يحصد إلا الهم والندما

(١) التبصرة (٢/٩٨، ٩٩) بتصرف.

يا من تعصي الله:

اعرف قَدْر من قَدَر، وتذكر كيف عصيته وستر، وايم الله لو قمت على البصر، وسجدت شكراً على الإبر، ما وفيت بشكر نعيم محتقر، أما طوى القبيح وستر، وكل الجميل أظهر ونشر، أما بعض نعمه السمع والبصر يا كثير المعاصي ابك على الذنوب الماضية، يا مبارزاً بالقبائح أتصبر على جمر الهاوية، أسفاً لك، إذا جاءك رمضان وما أنبت، وا حسرة لك إذا دعيت إلى التوبة فما أجبت، كيف تصنع إذا نودي بالرحيل وما تأهبت، ألست أنت الذي بارزت بالكبائر وما راقبت!.

فيا أخي تب إلى الله وأنخ رحالك ببابه وقل بقلب خاشع وعين دامعة:

بك استجير ومن يجير سواكا ... فأجر ضعيفاً يحتمي بحماكا

يا غافر الذنب العظيم وقابلاً ... للتوب أقبل تائباً ناجاكا

أترده وترد صادق توبتي ... حاشاك ترد لا تذاً حاشاكا

أنا كنت يا ربي أسير غشاوة ... رانت على قلبي فضلَّ سناكا

واليوم يا رب محوت غشاوتي ... وبدأت بالقلب البصير أراكا

ذقت الهوى مراً ولم أذق الهوى ... يا رب حلواً قبل أن أهواكا

❁ ❁ ❁

٤- شهر رمضان شهر الجود والإحسان

أخي الكريم: إن شهر رمضان شهر الجود والكرم والإحسان، والجود من معالي الأخلاق.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب الجودة، يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها»[١].

فالله سبحانه أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، وجوده يتضاعف في أوقات خاصة: كشهر رمضان، وفيه أنزل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٦].

ومن سابغ جود الله سبحانه وتعالى وعظيم كرمه في هذا الشهر تفضله بعتق عباده من النار.

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: « ... وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»[٢].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٠٠).

(٢) سيأتي تخريجه قريباً إن شاء الله.

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لله عند كل فطر عتقاء»[1].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأكرم الناس وكان أجود ما يكون في رمضان.

في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة». وزاد أحمد في آخره: (لا يُسأل عن شيء إلا أعطاه).

تَعَوّدَ بسط الكف حتى لو أنه ... ثناها لقبض لم تجبه أنامله

تراه إذا ما جئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

نعم صدق من قال:

ما قال لا قطّ إلا في تشهده ... لولا التشهد لكانت لاؤه نعم

---

(١) صحيح: قال المنذري: رواه أحمد بإسناد لا بأس به، والطبراني والبيهقي، وقال هذا حديث غريب من رواية الأكابر عن الأصاغر، وهو من رواية الأعمش عن الحسين بن واقد، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) رقم (٩٩١).

فيا أخي الكريم:

أفهل تأسينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وننفق من أموالنا في هذا الشهر الكريم، في إفطار الصائمين، ومساعدة المحتاجين، ومواساة الأرامل والأيتام وغيرها من وجوه البر والإحسان عسى الله أن يتقبل منا أعمالنا.

عن زيد بن خالد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من فطّر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً**»[(١)].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل، الصائم النهار**»[(٢)].

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خير الناس أنفعهم للناس**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد: الترمذي وابن ماجة وابن حبان وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٦٤١٥).

(٢) متفق عليه.

(٣) حسن رواه الطبراني في (الكبير) والدارقطني، والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر، والقضاعي، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٢٨٩).

٥- شهر رمضان شهر تفتح فيه أبواب الجنان

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء رمضان، فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصُفدت الشياطين»[١]. وفي رواية عند مسلم: فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين).

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفّدت الشياطين، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، ويناد منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»[٢].

فيا أخي الحبيب: اعلم أن أبواب الجنة تفتح في رمضان على الحقيقة لا يحتاج ذلك إلى تأويل، وهي نعمة عظيمة ومنة كريمة من الله، يتفضل بها على عباده هذا الشهر، فأبواب الجنان مغلقة لا تفتح إلا في تمام النعمة وكمال المنة.

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة وابن خزيمة في (صحيحه) والبيهقي.

فوا عجبا لمن يعلم أن الجنة تفتح أبوابها وتتزين في رمضان ثم لا يشتاق إليها ويحث السير نحوها ويسعى لها على الأجفان!.

قال صلى الله عليه وسلم: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»[(١)].

أخي الكريم:

إنها الجنة التي لا يُسأل بوجه الله العظيم غيرها لكرامتها على الله[(٢)].

إنها الجنة التي اشتاق إليها الصالحون من هذه الأمة، فاسأل عنها جعفر الطيار، وعمير بن الحمام، وحرام بن ملحان، وأنس بن النضير، وعامر ابن فهيرة، وعمرو بن الجموح ومصعب بن عمير، وعبد الله بن رواحة رضي الله عن الجميع.

إنها الجنة دار كرامة الرحمن فهل من مشمر لها؟

إنها الجنة فاعمل لها بقدر مقامك فيها.. إنها الجنة فاعمل لها بقدر شوقك إليها.

إنها الجنة دار المتقين الموقنين بوعد الله المتهجدين في ليل رمضان، الصائمين نهاره.

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي النصر، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني من حديث أبي هريرة.

(٢) ورد النهي أن يُسأل بوجه الله إلا الجنة.

أنها الجنة.. وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقراً لأحبابه وملأها من رحمته، وكرامته، ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم. وملكها بالملك الكبير، وأودعها الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص.

فوا عجبا كيف نام طالبها! وكم لم يسمع بمهرها في رمضان خاطبها، كيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها، وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها.

فيا أخي الحبيب:

فاعمل لدار غداً رضوان خازنها ... الجار أحمد والرحمن بانيها

قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها

فالحذر الحذر أن تقدم على جنة عرضها السماوات والأرض وليس لك فيها موضع قدم.

۞۞۞

الواحة الإيمانية الخامسة

فضائل شهر رمضان (٢)

٦- شهر رمضان شهر تغلق فيه أبواب النيران

أخي الحبيب:

قد مر بك في الحديث أنه في شهر رمضان تغلق أبواب النيران، فما يفتح منها باب، فما أطيبها من نعمة يمن الله بها على العباد.

فوا عجباً لمن علم أن النار تسجر ويضحك بملء فيه أما سمع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مرصادا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة النبأ:الآيتان ٢١-٢٢].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وأيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً» قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟! قال: «رأيت الجنة والنار»[١].

النار التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحطم بعضها بعضاً، وقال عنها لما رآها: «لم أر منظراً كاليوم قط أفظع» فالنار مخلوقة ومعدة فإياك أن تكون من وقودها.

فيا أيها الغافل عن نفسه، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى ما أنت وارد عليه، فلقد أخبر الملك سبحانه وتعالى أن النار مورد

---

(١) صحيح: رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه.

الجميع قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة مريم:الآيتان ٧١-٧٢].

لما قرأ هذه الآية عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ بكى وقال: كيف لي بالصدور بعد الورود.

فأنت على الورود على يقين ومن النجاة في شك، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد، فعساك تستعد للنجاة منه، وتأمل في حال الخلائق، وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أبنائها وتشفيع شفعائها، إذا أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيراً، وجرجرة، تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق البراء من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية قائلاً: أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره في سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد والوعيد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولون له: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة الدخان:الآية ٤٩]. فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء

مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، طعام أهلها الزقوم، وشرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، ومالهم منها فكاك، قد شدت أقدامهم إلى النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها، ويصيحون في نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان).

يا هذا: أحدثك عن نار غم قرارها، بعيد قعرها، مظلمة أقطارها حامية قدورها، فظيعة أمورها، عقابها عميم، عذابها أليم ومهين، بلاؤها شديد، سلاسل وأغلال، ومقامع وأنكال، زمانها ليل حالك ضجيجهم ضجيج هالك، يصطرخون فيها فلا يجيبهم مالك).

يدعون بالويل والثبور، ومقامع الحديد تهشم بها جباهم، ويتفجر الصديد من أفواههم، تنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم، لهيب النار سار في بواطن أعضائهم، وحيات الهاوية وعقاربها تأخذ بأشفارهم.

يا هذا : جهنم سوداء، ماؤها أسود، شجرها أسود، أهلها سود مقبوحين، كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً.

أخـي:

عياذاً بالله: أن تكون من قوم لباسهم نـار، ومهادهم نـار، ولحافهم نار وسرابيلهم القطران، ومساكنهم من نـار في شر دار وأسوأ عذاب، قد أكلوا من النار، وشربوا من النار، ومشوا على النار، ثم عاشوا بعد ذلك لا يهدأون ولا ينامون ولا يموتون فيستريحون.

فيها غلاظ شداد من ملائكة ... قلوبهم شدة أقسى من الحجر
لهم مقاميع للتعذيب مرصدة ... وكل كسر لديهم غير منجبر
سوداء مظلمة شعثاء موحشة ... دهماء محرقة لواحة البشر
يا ويلهم تحرق النيران أعظمهم ... فالموت شهوتهم من شدة الضجر
ضجوا وصاحوا زماناً ليس ينفعهم ... دعاء داع ولا تسليم مصطبر
وكل يوم لهم في طول مدتهم ... نزع شديد من التعذيب والسعر

يا هذا يا صبيح الوجه: كم من وجه صبيح ولسان فصيح غداً في أطباق النار يصيح.

وسيق المجرمون وهم عراة ... إلى ذات السلاسل والنكال
فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً ... وعجوا في سلاسلها الطوال
فليسوا ميتين فيستريحوا ... وكلهم بحرِّ النار صال

أخي: إنك قد جربت جلدك في الشوكة تدميه، في العثرة تؤذيه، في ضربة الشمس تؤثر فيه.. أحدنا يؤثر الظل على الشمس فما بالنا لا نؤثر الجنة على النار.

فيا عجبا ندري بنار وجنة ... وليس لذي نشتاق أو تلك نحذر
إذا لم يكن خوف وشوق ولاحيا ... فماذا بقي فينا من الخير يذكر
وليس لحر صابرين ولا بلى ... فكيف على النيران يا قوم نصبر
وفوت جنان الخلد أعظم حسرة ... على تلك فليستحسر المتحسر

يا من يؤذيه حر الهجير ويأخذ بأنفاسه.. أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصاب نفسه لأحترق المسجد بمن فيه»[(١)].

فيا أخي الحبيب: إني لك ناصح وعليك مشفق، فاغتنم هذا الشهر في فعل الطاعات وعمل القربات عسى الله أن يرفع لك الدرجات وتكتب في المقبولين وتعتق من النار.

---

(١) انظر المطالب العالية حديث رقم (٤٦٦٧).

٧- شهر رمضان شهر إجابة الدعاء

أخي الكريم:

إن لم يكن رمضان وقت الدعاء المستجاب ففي أي شهر يكون الدعاء ورمضان هو وقت الشفاة الذابلة، والطاعة الكاملة، والبطون الضامرة، وقت نزول الملائكة، وقت فتح أبواب الرحمة وأبواب السماء قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٦].

ومن الجميل أن يذكر الدعاء أثناء الحديث عن الصيام وأحكامه قال الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ هذا التفات عن خطاب المؤمنين كافة بأحكام الصيام إلى خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يذكرهم ويعلمهم ما يراعونه في هذه العبادة وغيرها من الطاعة والإخلاص والتوجه إليه وحده بالدعاء الذي يعدهم للهدى والرشاد.

والدعاء أخي الكريم أمره عجيب وفضله عظيم ولقد جاءت الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم لتحث على الدعاء فهو سلاح المؤمن الذي يتسلح به ضد عدوه، وهو ملاذه عند خوفه ومؤواه عند فزعه.

وحتى يأتي الدعاء بثمراته المرجوة وفائدته المطلوبة لابد من مراعاة تلك الآداب وهي عشرة:

أولها: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل.

الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة.

وهذه الأوقات والأحوال التي يستجاب فيها الدعاء هي:

١ ـ وقت التنزل الإلهي:

قال صلى الله عليه وسلم: «إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة»(١).

وعن عمرو بن عبسة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإذا استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم وأحمد.

(٢) صحيح: رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (١١٧٣).

٢ـ في السجود:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «.. وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن[(١)] أن يستجاب لكم»[(٢)].

٣ـ أن يبيت على ذكر فيتعار من الليل فيدعو:

عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يبيت على ذكر طاهراً فيتعار من الليل، فيسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه»[(٣)].

٤ـ عند الأذان:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا نادى المنادي فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء»[(٤)].

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا نودي بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء»[(٥)].

---

(١) أي: جدير.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه.

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٧٥٤).

(٤) صحيح: رواه الطيالسي وأبو يعلى والضياء، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨١٨).

(٥) صحيح: رواه أبو يعلى والحاكم وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٨١٨).

٥- بين الأذان والإقامة:

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب فادعوا»(١).

٦, ٧, ٨ - عند نزول المطر، وعند إقامة الصلاة، وعند التقاء الجيوش:

عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء وتحت المطر»(٢).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة، ونزول الغيث(٣) ».

٩- آخر ساعة من نهار الجمعة:

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أتاه الله إياه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر»(٤).

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٤٠٥) وفي المشكاة رقم (٦٧١).

(٢) حسن: رواه الحاكم وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٠٧٨).

(٣) صحيح: رواه الشافعي والبيهقي (في المعرفة) وصححه الألباني في (صحيح الجامع رقم (١٠٢٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود والنسائي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨١٩٠).

١٠ـ الدعاء بظهر الغيب:

عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد»[(١)].

١١ـ دعوة المسافر، ١٢ـ دعوة المظلوم. ١٣ـ دعوة الوالد لولده.

١٤ـ دعوة الصائم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»[(٢)].

وقال صلى الله عليه وسلم: « ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر»[(٣)].

١٥ـ عدم العجلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت فلم يُستجيب لي»[(٤)].

١٦ـ دعاء رمضان: فهو وقت صيام، وزمان شريف.

---

(١) صحيح: رواه البزار، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٣٧٩).

(٢) حسن: رواه أبو الحسن بن مهرويه في (الثلاثيات، والضياء المقدسي في المختارة عن أنس، وانظر الصحيح (١٧٩٧)، صحيح الجامع (١/٥٨٢/٣٠٣٢).

(٣) صحيح: رواه ابن ماسي، وابن عساكر والبيهقي في شعب الإيمان. والعقيلي في الضعفاء عن أبي هريرة، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٧٩٧)، وانظر صحيح الجامع (١/٥٨٢/٣٠٣٠).

(٤) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجة.

وهناك علاقة وطيدة بين فتح أبواب السماء وأبواب الرحمة، وإجابة الدعاء كما يظهر من الأحاديث وهي حاصلة في رمضان.

● الثالث: أن يدعو مستقبلاً القبلة ورافعاً يديه.

● الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

قالت عائشة: أي بدعائك.

وقال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب»[(١)].

● الخامس: أن لا يتكلف السجع في الدعاء.

ادع بلسان الذل والخضوع والافتقار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق.

● السادس: التضرع والخشوع والرغبة والرهبة.

قال تعالى: ﴿ادعوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ **[سورة الأعراف:الآية ٥٥]**.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [سورة الأنبياء:الآية ٩٠].

● السابع: أن يجزم بالدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء قلب غافل لاه»**[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٢) حسن: رواه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٢٤٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، وليعزم المسألة وليعظم الرغبة، فإن الله لا يعظم عليه شيء أعطاه»(١).

عن سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الحجر:الآيتان ٣٦-٣٧].

● الثامن: أن يلح في الدعاء ويعظم المسألة ويكرر الدعاء ثلاثاً:

قال عبد الله بن مسعود: «كان عليه السلام إذا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه»(٣).

وعنها أيضاً قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سأل أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه»(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد، ورواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه مسلم، وأصله متفق عليه.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في (الأوسط) ورمز السيوطي لحسنه، قال المناوي (١/٣٢٠): (وهو تفصير أو قصور وحقه الرمز لصحته، فقد قال الهيثمي وغيره: رجاله رجال الصحيح) أ.هـ. وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٤٣٧).

(٤) صحيح: رواه ابن حبان في (صحيحه) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٩١).

● **التاسع** : أن يفتح الدعاء بذكر الله والثناء عليه وأن يختمه بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«كل دعاء محجوب حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم»**[2] .

قال أبو سليمان الدارني - رحمه الله - من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

● **العاشر**: وهو الأدب الباطن، وهو الأصل في الإجابة: (التوبة ورد المظالم، والإقبال على الله عز وجل، فذلك هو السبب القريب في الإجابة).

قال مالك بن دينار رحمه الله: (إنكم تستبطئون المطر وأنا استبطي الحجارة) أي نزول الحجارة.

---

(١) قلت: فإن الله يقبل الثناء عليه والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم، وما بينهما من الدعاء فإنه مقبول - إن شاء الله - لقبول ابتداء الدعاء وآخره. والله أعلم.

(٢) حسن: رواه الديلمي في (مسند الفردوس) والبيهقي في شعب الإيمان عن علي موقوفاً، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) (٤٥٢٣)، ورواه ابن حبان عن معاذ، وابن مخلد عن علي مرفوعاً.

قال عطاء السلمي ـ رحمه الله ـ منعنا الغيث فخرجنا نستسقي ، فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر ، فنظر إليّ وقال : يا عطاء ! أهذا يوم النشور أو بعثر ما في القبور؟ فقلت : لا ، ولكنا منعنا الغيث ، فخرجنا نستسقي فقال : يا عطاء ! بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية؟ فقلت : بل بقلوب سماوية ، فقال : هيهات يا عطاء ، قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير ، ثم رمق السماء بطرفه وقال : إلهي وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آرائك إلا ما سقيتنا ماءً غدقاً فراتاً تحيي به العباد ، وتروي به البلاد ، يا من هو على كل شيء قدير.

قال عطاء : فما أستتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجادت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والعابدونا إذا لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حباً فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا

قال ابن المبارك : «قدمت المدينة في عام شديد القحط ، فخرج الناس يستسقون ، فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد إإتزر بإحداهما ، وألقى الأخرى على عاتقه ، فجلس إلى جنبي فسمعته يقول : إلهي ! أخلقت الوجوه عندك ، كثرة الذنوب ومساويء الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء ، لتؤدب عبادك بذلك ، فأسألك يا حليماً ذا

أناة، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة. فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب، قال ابن المبارك: فجئت إلى الفضيل، فقال لي: مالي أراك كئيباً؟ فقلت: أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا، وقصصت عليه القصة فخر الفضيل مغشياً عليه»[١].

فيا أخي الكريم: هذا شهر رمضان شهر الذكر والدعاء، فرطب لسانك بالدعاء والذكر والثناء، وقل:

«اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل لي في نفسي نوراً، وأعظم لي نوراً»[٢].

«اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطيء وعمدي، وهزلي وجدي، وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»[٣].

---

(١) أنظر إحياء علوم الدين (١/٣٦١ - ٣٦٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

« اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما يهون علينا مصيبات الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا »(١) .

آمين... آمين.. آمين.. لا أكتفي بواحدة حتى أوصلها مليون آمين.

٨- شهر رمضان شهر مضاعفة الأجور

اعلم يا أخي الكريم ـ وفقني الله وإياك لطاعته ـ أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب :

● منها شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل ، كالحرم : ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة (الحرمين) كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح.

قال صلى الله عليه وسلم : «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»(٢) .

---

(١) حسن : رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (١٢٦٨).

(٢) صحيح : وقد تقدم.

● ومنها شرف العامل عند الله وقربه منه وكثرة تقواه: كما يضاعف أجر هذه الأمة على أجور من قبلهم من الأمم وأعطوا كلفين من الأجر.

● ومنها شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذي الحجة.

ففي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي**»(٢). وفي رواية: (عمرة في رمضان كحجة معي»(٣).

قال المناوي (٤/٣٦١) أي تقابلها وتماثلها في الثواب لأن الثواب يفضل بفضيلة الوقت، ولا تقوم مقامها في إسقاط الفرض بالإجماع(٤).

قال ابن العربي: هذا صحيح مليح وفضل من الله ونعمة، نزلت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها.

قالت الشافعية. ويسن في رمضان العمرة والإكثار منها.

قال ابن رجب: «ذكر أبو بكر بن أبي بكر عن أشياخه أنهم كانوا يقولون: إذا حضر شهر رمضان فانبسطوا فيه بالنفقة، فإن النفقة فيه مضاعفة كالنفقة في سبيل الله، وتسبيحه فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره».

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وابن ماجة عن جابر.

(٢) صحيح: رواه مسلم.

(٣) صحيح: صححه ابن العربي والسيوطي، والألباني في صحيح الجامع.

(٤) فيض القدير للمناوي.

قال إبراهيم النخعي: «صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة»[١]. فلما كان الصيام في نفسه مضاعفاً أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال، كان صيام شهر رمضان مضاعفاً على سائر الصيام لشرف زمانه، وكونه هو الصوم الذي فرضه الله على عباده، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها»[٢].

٩- شهر رمضان شهر تُصفد فيه الشياطين

يا فرحة العابدين، ويا سعادة المجتهدين، ونشوة الذاكرين بشهر صفدت فيه الشياطين، وفتحت فيه أبواب السماء وغُلقت فيه أبواب النيران.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل رمضان فُتحت أبواب السماء، وغُلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»[٣].

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»[٤].

(١) قلت: والتحديد بهذا العدد لم يأتي عليه دليل، والأولى الإطلاق دون التحديد والله أعلم.

(٢) لطائف المعارف ص (١٦٩).

(٣) صحيح رواه البخاري.

(٤) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

وعند مسلم: «فتحت أبواب الرحمة، وغُلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين».

وعنه أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغُلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب»(١).

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاكم شهر رمضان، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين»(٢).

قال ابن خزيمة في صحيحه: «لفظ عام، مراده خاص في تصفيد الشياطين إنما أراد بقوله: (صفدت الشياطين) مردة الجن منهم لا جميع الشياطين، إذ اسم الشيطان قد يقع على بعضهم»(٣).

وقال ابن حبان في (الإحسان) «إنما يصفد الشياطين في شهر رمضان مردتهم دون غيرهم»(٤).

قلت: والذي ندين لله به ونؤمن به أن تصفيد الشياطين على الحقيقة وعلى ظاهر اللفظ ولا حاجة للتأويل وصرف اللفظ عن ظاهره.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة وابن خزيمة والبيهقي. ولفظ ابن خزيمة (صفدت الشياطين مردة الجن) بغير واو.

(٢) صحيح: رواه النسائي والبيهقي في سننه وصححه الألباني.

(٣) صحيح ابن خزيمة (١٨٧/٣ - ١٨٨).

(٤) (بذل الإحسان) (٢٢١/٨).

بعض أقوال أهل العلم في تصفيد الشياطين في رمضان

قال الحافظ في الفتح : (قال الحليمي : يحتمل أن يكون المراد من الشياطين مسترقوا السمع ، فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ. ويحتمل أن يكون أن المراد لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه من غيره لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع للشهوات ، وبقراءة القرآن والذكر.

وقال غيره : المراد بالشياطين بعضهم وهم المردة منهم ، وترجم لذلك ابن خزيمة في صحيحه.

قال عياض : يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر العظيم ، وتعظيم حرمته ، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو ، وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين.

وقال الزين بن المنير: والأول أوجه ، ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره.

وقال الطيبي : فائدة فتح أبواب السماء توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين ، وأنه من الله بمنزلة عظيمة ، وفيه إذا علم المكلف ذلك بأخبار الصادق ما يزيد في نشاطه ويتلقاه بأريحية.

وقال القرطبي بعد أن رجح على ظاهره: فإن قيل كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيراً[١] . فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟ فالجواب أنها إنما تقل عن الصائمين بالصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه أو المصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم، كما تقدم في بعض الروايات.

أو المقصود: تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع فيه شر ولا معصية، لأن لذلك أسباباً غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية.

وقال غيره في تصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال له: قد كُفت الشياطين عنك، فلا تعقل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية)[٢].

---

(١) قلت: إن كانت المعاصي في زمن القرطبي ـ رحمه الله ـ كثيرة ففي زماننا لا حصرة لها، والله المستعان.

(٢) (فتح الباري) (٤/١٣٦ - ١٣٧).

أساليب الشيطان في تضليل الإنسان

واعلم يا أخي الحبيب - حفظني الله وإياك من شياطين الإنس والجن - أن للشيطان أساليب متنوعة في إضلال العباد، نذكرها بإيجاز حتى تكون على حذر منها أو الأسباب المفضية إليها:

١- تزيين الباطل: كما قال اللعين لرب العزة ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الحجر: الآيتان ٣٩-٤٠].

يقول ابن القيم: (ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، فلا إله إلا الله كم فتن بهذا السحر من إنسان، وكم حال بينه وبين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان، وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة على النقادين، وكم روّج من السر على العارفين).

ومن صور تزيين الباطل تسمية الأمور المحرمة بأسماء محببة إلى النفس كما سمى الشجرة المحرّمة بشجرة الخلد كي يزين لآدم الأكل منها، وكما يسمون الرقص والغناء والمجون، والتمثيل والتماثيل فناً، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٢- الإفراط والتفريط:

يقول ابن القيم: (وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو).

٣- تثبيطه للعباد عن العمل ورميهم بالتسويف والكسل:

سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل نام ليلة حتى أصبح فقال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه».

فمن قام بالليل وتوضأ وصلى انحلت عنه عقد الشيطان كلها عن قافية رأسه فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان، كان أحد الصالحين يقول: (أنذرتكم سوف فإنها أكبر جنود إبليس).

٤- الوعد والأمنية:

إن الشيطان يعد الناس بالمواعيد الكاذبة ويعللهم بالأماني المعسولة كي يوقعهم في وهدة الضلال: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [سورة النساء:الآية ١٢٠].

٥- إظهار النصح للإنسان:

ومن العجيب أن يظهر الشيطان في مظهر الناصح الأمين للإنسان وأعجب منه أن يصدقه المغفلين السذج فيطيعونه ويتبعوا أمره.

قال تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الأعراف:الآية ٢١].

٦- التدرج في الإضلال:

للشيطان طرق عديدة وحيل متنوعة وصبر عجيب وخداع ومكر حتى يوقع الإنسان في شباك الفساد والضلال، وإذا ما حدث ما يريد، سخر منه الشيطان وقال له بلسان الحال والمقال. ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الحشر:الآية ١٦]. وانظر في ذلك قصة عابد بني إسرائيل (برصيصا) مع الأخوة الثلاثة وأختهم وكيف استدرجه الشيطان حتى زنى بها وقتل ابنها من الزنا ثم قتلها ودفنها بجوار ابنها، وهذا كله بالتدرج والمكر والحيل والخداع(١).

٧- إنساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة يوسف:الآية ٤٢].

وإذا تمكن الشيطان من الإنسان تمكناً كلياً فإنه ينسيه الله بالكلية قال تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة المجادلة:الآية ١٩].

---

(١) ذكرت هذه القصة في كتب التفاسير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الحشر:الآية ١٦].

٨- تخويف المؤمنين من أوليائه:

أي يخوفهم بأوليائه ويعظهم في صدورهم بأنهم ينفعوا أو يضروا، ولقد حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين من ذلك فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ١٧٥].

٩- دخوله إلى النفس من الباب الذي تهواه:

ومن هنا دخل الشيطان على آدم وحواء عليهما السلام (فشام عدو الله الأبوين فأحس منهما إيناساً وركوناً إلى الخلد في تلك الدار، في النعيم المقيم فعلم أنه لا يدخل عليهما إلا من هذا الباب).

١٠- إلقاء الشبهات:

وهذا باب خطير فإذا استحكمت الشبهة من النفس ضل صاحبها ضلالاً بعيداً وزاغ قلبه زيغاً شديداً قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ٧].

(١١، ١٢، ١٣، ١٤) الخمر والميسر والأنصاب والازلام.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [سورة المائدة:الآيتان ٩٠-٩١].

١٥- السحر:

وهو من أكبر الكبائر وأشدها فتكاً بالإنسان في الدنيا والآخرة.

١٦- ضعف الإنسان ومرض قلبه:

وأمراض القلب كثيرة وأساسها اتباع الهوى والسير وراء نزوات النفس وتلبية رغباتها التي لا تنقضي.

١٧- النســاء:

وهذا أخطر سلاح يستخدمه الشيطان في إغواء البشر ولقد جاء التحذير الشديد من النبي صلى الله عليه وسلم لتجنب فتنة النساء، فكان أخوف ما خاف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته النساء لأن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء فقال: **« فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»**.

١٨- حب الدنيا، والاطمئنان إليها والرغبة فيها وعدم الزهد في نعيمها، والجد في تحصيل كل لذة من لذاتها محرمة كانت أو غير محرمة.

١٩- الغناء والموسيقى:

وهذا هو جاسوس القلوب الذي يأخذها في عالم الشهوات والمتع المحرمة، وكم وقع أناس كثير في براثن وشباك المعاصي، وسقطوا في مستنقعها الآسن بسبب الغناء والموسيقى! صوت الشيطان ومزماره!!

٢٠- تهاون المسلمين فيما أمروا به :

وهذا ناتج عن عدم توقير أوامر الرب في القلوب وبالتالي الاستهانة بالأوامر والنواهي ، ومن ثم الوقوع في المحرمات والمهلكات التي حذر الله من ارتكابها.

فيا أخي الكريم : كن على حذر من أن تقع في شيء مما ذُكِر وكن حذراً من عدوك متيقظاً له ولا تغفل عنه فإنه لا يغفل عنك أبداً ، ينتظر أي زلة لك أو هفوة يدخل لك من خلالها وينصب شباكه حولك حتى يوقعك فيما حذرك منه ربك ومولاك.

فاغتنم فرصة هذا الشهر في الذكر والعبادة والطاعة وصنوف الخير - وهي كثيرة ولله الحمد والمنة - وإليك أخي بعض الأشياء التي تحفظك من الشيطان وتجعلك في حرز منه في رمضان وغير رمضان.

حرز الإنسان من الشيطان في رمضان وغيره

ذكر ابن القيم - رحمه الله - في بدائع الفوائد قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع به شره ويحترز منه.

وذلك بأمور نذكرها على وجه الاختصار :

الحرز الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [سورة الأعراف:الآية ٢٠٠].

الحرز الثاني: قراءة المعوذتان: قال صلى الله عليه وسلم: «أفضل ما تعوذ به المتعوذون وكان يتعوذ بهما في كل ليلة عند نومه»(١).

وأمر عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ أن يقرأ بهما دبر كل صلاة.

الحرز الثالث: قراءة آية الكرسي عند النوم وعند الصباح والمساء.

قال ابن تيمية: أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسي. أي على الجن وأعوانهم.

الحرز الرابع: قراءة سورة البقرة. وقد جاء في الحديث أنها إذا قُرأت في بيت لم يدخله الشيطان ثلاث أيام.

قال صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»(٢).

الحرز الخامس: قراءة خاتمة سورة البقرة.

قال صلى الله عليه وسلم: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة من ليلة كفتاه».

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة.

الحرز السادس: «قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة»[١] .

الحرز السابع: الوضوء والصلاة.

الحرز الثامن: امساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة.

الحرز التاسع: الأذان، فالشيطان يهرب ويفر من الأذان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال[٢] ، له ضراط حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس، فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس»[٣] .

الحرز العاشر: أن يختم الإنسان بذكر حتى ينام، ويفتح بذكر إذا قام.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إذا أوى الإنسان إلى فراشه، ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك اختم بخير، ويقول الشيطان اختم بشر، فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه ـ يعني النوم ـ طرد الملك الشيطان وبات يكلأه[٤]** . «فإذا استيقظ

---

(١) قلت والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

(٢) أي تحول من موضعه.

(٣) صحيح رواه مسلم.

(٤) أي يحفظه.

ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك: افتح بخير، ويقول الشيطان افتح بشر، فإذا قال: الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد موتها، ولم يمتها في منامها، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت، أو يرسل الأخرى إلى أجل مسمى، الحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، طرد الملك الشيطان وظل يكلأه»(١).

وهناك أحراز أخرى ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن أراد الحفظ والوقاية.

واعلم أخي الكريم ـ وفقني الله وإياك لما يحب ويرضى ـ أن الشياطين لا تنحصر في الجن وحدهم بل هناك شياطين من بني جلدتنا يتسمون بأسمائنا ويتحدثون بألسنتنا هم دعاة إلى النار من أجابهم وقع فيها.

فكن على حذر منهم، فهم يعملون ليل نهار في تفريق الأمة وشتاتها، ويريدون أن تكون الأمة كقطيع من الغنم تساق بيد الكفر والإلحاد وذلك بوسائل عديدة ومتنوعة وأهمها، التفريق بين الأمة وبين كتابها الخالد وسُنة نبيها المختار، وذلك بإلقاء الشبهات المضللة للعطن في الوحيين عن طريق شياطين الكفر والإلحاد والزندقة وحرية الفكر والكفر والإباحية، فهم يمكرون بالأمة ليلاً ونهاراً بالدعوة إلى الإباحية وشهوات الجسد المسعورة التي تأتي على الأخضر واليابس فتهلكه، وذلك لفتنة

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه ابن السني في (عمل اليوم والليلة) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

رجال الأمة شباباً وكهولاً : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة مريم:الآية ٨٣].

فهم يبثون سمومهم عبر الإذاعات المرئية والمسموعة من أفلام داعرة ومسلسلات ماجنة وأغنيات فاضحة ، ويزداد الأمر ضراوة وتبلغ الحرب أشدها خصوصاً في شهر رمضان وفي تلك الأيام المباركة حتى يصرفوا الناس عن واجبهم الأساسي في هذا الشهر الكريم.

فهم يبثون الأفلام السافرة العاهرة حتى إفطار الناس خاصة وقبل تراويحهم ، ويذيعون مسلسلاتهم الكاذبة باسم الدين(١) . والتي تطعن في الثوابت من دين الأمة ، بكل خضراء الدمن ممثلة زنديقة سافرة فاجرة شوهاء :

حديثها كذب محض حقيقته ... مأخوذة من أباطيل الغرانيق
تباع في كل سوق للضلال فلا ... تسأل عن التاجر الكذاب والسوق
وعن سماسرة باعوا ضمائرهم ... وذوّبوا العقل في نار الأباريق
تبدي خصالاً من الإيمان كاذبة ... وفي مشاعرها احساس زنديق(٢)

وكل كذب إلى نهاية ، ولا يبقى إلا الحق يا شوهاء يا من تُسخَّر لإباحيتك وفجرك الطائرات... وتفتح لك الأبواب الموصدة، وتُفرش

---

(١) حتى يتم التلبيس على المغفلين من هذه الأمة ـ المنكوبة بهم ـ يسمون المسلسلات التي تعرض في رمضان بالمسلسلات الدينية (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) فالدين بريء منهم ومن مسلسلاتهم، وليس في الدين تمثيل لأن التمثيل ضرب من ضروب الكذب.

(٢) من قصيدة لعبد الرحمن العشماوي.

لك الأرض بالزهور والورود، وكل ماهو محظور وممنوع فهو لك مباح وميسور ويا من جسدت العهر والزندقة في تمثيلك في رمضان إعلمي:

لا الليلة الحمراء باقية ... لا الكأس لا العشاق لا الخمر
كم نجمة بالأمس قد سقطت ... واليوم لا حس لها ولا خبرُ
أنت الضحية أنت بينهم ... وعليك ثم عليهم الوزرُ
لا تسخري بالتائبات ففي ... هذا الإياب العز والفخر
مست شغاف قلوبهم سور ... فتفجر الإيمان والعطرُ
ويح الذين قست قلوبهم ... وأمامهم يتشقق الصخر
ويح الذين تصخُ سمعهم ... آيات ربي ثم لم يدروا
يا نجمة الأضواء إن غداً ... آت ويُسدل بعدها السرّ
والمعجبون سيرحلون غداً ... وسيرحل التطبيل والزمر
وستطفأ الأنوار في عجل ... فالزيت في قنديلكم نزر
وستزفين العمر من ندم ... لو كان ينفع عندنا الزفر
وستشربين الكأس مترعة ... مر شراب كئوسكم مر
وسيضرب النسيان بينكم ... سدا، فلا يبقى لكم ذكر
الآن مطوى كتابكم ... ولكل مطوى غداً نشرُ(١)

فيا أخي: كن على حذر ولا تغفل ولا تنخدع ببريق الأقوال التي تلقى على مسامعك من رؤساء الفتنة وتجارها ومروجوها، فاستعن بالله واقهر شيطانك، واجعل من هذا الشهر زاد لك إلى الله يوم الرحيل.

---

(١) إلى ممثلة: لمحمود مفلح.

قال صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن لينصى شيطانه كما ينصى أحدكم بعيره في السفر»(١).

فيا أخي الكريم:

شهر رمضان ليس شهر السهر أمام التلفاز والقنوات الفضائية الإباحية إلى قبيل الفجر، وليس شهراً للسمر المحرم من الغيبة والنميمة وشرب الدخان والمخدرات ولعب البالوت واستماع الأغاني والموسيقى، ولكنه شهر القرآن والذكر والقيام والتراويح والتسابيح، فكن من الذين يتجافى جنوبهم عن المضاجع، وقوفاً بين يدي الرب جل وعلا، ولا تكن من الذين يبارزون الله بالمعاصي في كل وقت وحين.

وفقنا الله وإياك لكل خير وطاعة وبر، وصرف عنا وإياك كل سوء وشر إنه ولي ذلك والقادر عليه ومولاه.

اللهم خذ بنواصينا إليك يا أرحم الراحمين.

❁ ❁ ❁

(١) رواه أحمد في المسند، ينصى شيطانه، أي يأخذ بناصيته فيغلبه ويقهره.

الواحة الإيمانية السادسة

الصيام ، أركانه ومشروعيته وشروطه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صلِ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الصوم من أفضل الطاعات وأجل القربات، كيف لا وهو الركن الرابع من أركان الإسلام التي بُني عليها وقامت دعائمه، وللصيام خصائص أختص بها دون غيره من الأعمال ومن أشرفها إضافته لله جل وعلا حيث يقول في الحديث القدسي: (الصوم لي وأنا أجزي به)[(١)]. وكفى بهذه الإضافة شرفاً وكرماً كما شرَّف وكرَّم البيت الحرام بإضافته إليه سبحانه في قوله: ﴿... وطهِّر بيتي﴾ (الحج: ٢٦).

ونحن في الصفحات التالية سنتحدث عن الصوم وما يتعلق به من أحكام وآداب وسنن وفضائل وغيرها من الأمور التي تعين المسلم على أن يعيش شهر الصيام بالوجه اللائق به.

---

(١) سيأتي تخريجه والحكم عليه.

● أولاً : تعريف الصوم لغة وشرعاً:

الصوم لغة: الإمساك عن الشي والترك له والكف عنه، وقيل للصائم صائم وذلك لإمساكه عن المطعم والمشرب والمنكح.

قال تعالى حكاية عن مريم عليها السلام: ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة مريم:الآية ٢٦]. أي إمساكاً عن الكلام.

ويقال للفرس صائم إذا أمسكت عن المشي أو العلف.

قال الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

أي خيل ثابتة ممسكة عن الجري أو ممسكة عن الطعام.

قال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام أو كلام أو مسير فهو صائم[(١)].

● **الصوم شرعا:** هو التعبد لله بالامتناع عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية.

وقيل: (هو الإمساك بنية عن أشياء مخصوصة في زمن معين من شخص مخصوص بشروط خاصة).

---

(١) لسان العرب (١٢/٣٥١) والمعجم الوسيط (ص ٥٢٩).

وقيل: هو إمساك المكلف بالنية عن تناول المطعم والمشرب والاستمناء والاستسقاء من الفجر إلى المغرب[(١)].

أركان الصوم

اعلم أخي الكريم: أن للصوم أربعة أركان[(٢)] وهي:

١- النيـة.

٢- الإمساك عن المفطرات.

٣- الزمان. أي (زمن الإمساك).

٤- الصائم.

وإليك بيان ذلك بإيجاز.

الركن الأول: النية:

النية مطلوبة في كل عبادة من العبادات وفي كل عمل من الأعمال لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [سورة البينة:الآية ٥].

ولقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى»[(٣)] الحديث. والنية محلها القلب فلا يسن التلفظ بها، وأن التلفظ بها بدعة محدثة، ولم يرد دليل صحيح - ولا ضعيف - عن النبي أنه

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته (١٦١٦/٣)، صحيح المسند من أحكام الصيام (١١-١٢)، الصيام أحكام وآداب وغيرها.

(٢) اختلف أهل العلم في تحديد أركان الصوم منهم من جعلهم أربعة، ومنهم من جعلهم ثلاثة بحذف أحد الأربعة، ومنهم من جعلهما اثنين، وكلاهما لا تخرج عن الأربعة المذكورة فسلكنا مسلك الجمع وأتينا بهم جميعاً، والله أعلم بالصواب.

(٣) صحيح: رواه البخاري في صحيحه (٩/١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

تلفظ بالنية ولا ثبت ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم. ومذهب كافة العلماء أنه لا يصح صوم إلا بنية، وحُجتهم أن الصوم عبادة محضة لا تتأدى إلا بنية، وهذه النية تكون ليلاً وقبل طلوع الفجر.

عن حفصة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: «من لم يبيت النية من الليل فلا صيام له[١]».

وقال صلى الله عليه وسلم: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له»[٢].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له»[٣].

الركن الثاني: الإمساك عن المفطرات:

وذلك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧]. والمراد بالخيط الأسود والخيط الأبيض، بياض النهار وسواد الليل.

وعند البخاري من حديث سهل بن سعد قال: أنزلت: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود» ولم ينزل:

(١) صحيح: رواه النسائي، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٦٥٣٥).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٦٥٣٨).

(٣) صحيح: رواه الدارقطني في (الأفراد) والبيهقي في سننه عن عائشة، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٦٥٣٤).

«من الفجر» فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: (من الفجر) «فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار»(١).

والمفطرات التي يجب على الصائم أن يمسك عنها هي:

١- الأكل والشرب. ٢- الجماع. ٣- إنزال المني بقصد.

٤- ما كان بمعنى الأكل والشرب. ٥- القيء عمداً.

٦- خروج دم الحيض والنفاس(٢).

الركن الثالث: الزمان: (زمن الإمساك).

يمسك الصائم عن جميع المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أقبل الليل من هنا، وأدبر من هنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»(٣).

وفي لفظ مسلم: «إذا غابت الشمس من هنا وجاء الليل من هنا فقد أفطر الصائم».

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٢/٤)، ومسلم (١٠٩١).

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في مفسدات الصوم، وهناك أشياء أخرى ولكن مختلف فيها سيأتي بيانها إن شاء الله.

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه.

الركن الرابع: الصائم:

وهو المسلم البالغ العاقل، القادر على الصوم الخالي من الموانع[(١)].

مشروعية الصيام

من المعلوم أن صيام رمضان أحد أركان الإسلام التي بُني عليها، وهو فرض من فروض الله، ومعلوم من الدين بالضرورة، ومجمع عليه من جميع المسلمين، توارثته الأمة خلفاً عن سلف، وقد دل على وجوبه الكتاب والسُنة والإجماع.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ...﴾ [سورة البقرة:الآيات ١٨٣-١٨٥].

ومن السُنة:

١ - عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن

(١) سيأتي التفصيل عن ذلك في الكلام على من يجب عليه الصوم.

محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً»[١].

٢- عن طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: أن إعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس فقال: يا رسول الله! أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة، فقال الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئاً. فقال: أخبرني بما فرض الله على من الصيام، قال: (شهر رمضان) قال هل عليَّ غيره؟ قال: (لا، إلا أن تطوع شيئاً).. الحديث[٢].

٣- وما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ من حديث جبريل الطويل عليه السلام، حين جاء يعلم الناس أمر دينهم.. قال يا رسول الله! ما الإسلام؟ قال: (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان..)[٣].

ومن الإجماع:

أجمعت الأمة على أن الصيام ركن من أركان الإسلام وأنه معلوم من الدين بالضرورة، بل وأجمعوا على أن من أنكر وجوبه كفر[٤].

---

(١) صحيح رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣/٣١) ومسلم (١/٣١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١/٢٠)، ومسلم (١/٣٠).

(٤) انظر بدائع الصناع (٢/٧٥)، المجموع (٦/٢٤٨)، ومغني المحتاج (١/٤٢٠)، المغني (٤/٣٢٤) وحاشية الروض المربع (٣/٣٤٤).

شروط الصوم

قال العلماء شروط الصوم تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شروط وجوب الصوم.

القسم الثاني: شروط صحة الأداء.

واختلفوا في تعيين الشروط في كل قسم من هذه الأقسام، وبعداً عن الخلاف ومنازعاته نجمل ذلك تحت عنوان آخر ونقول:

على من يجب الصوم

يجب الصوم على كل مسلم بالغ عاقل مقيم قادر خال من الموانع.

إذاً هناك ستة شروط يجب أن تتوافر فيمن يجب عليه الصوم وهي:

١ ـ الإسلام:

يخرج بقولنا الإسلام: الكافر: فلا يجب عليه الصوم ولا يصح منه، لأنه ليس أهلاً للعبادة، وليس مخاطباً بتكاليف الشرع ولا يمنع ذلك أنه سيحاسب على ذلك في الآخرة.

وإذا أسلم لزمه الصيام من حين إسلامه، ولا يقضي ما مضى، يدل على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [سورة الأنفال:الآية ٣٨].

٢ـ البلوغ:

يخرج بقولنا البالغ: الصغير الذي لم يبلغ، فلا يجب عليه الصوم لرفع القلم عنه حتى يَبْلُغ. ويحصل البلوغ بواحدة من ثلاث:

أ - إنزال المني باحتلام أو غيره.

ب - نبت شعر العانة.

جـ - بلوغ تمام خمس عشرة سنة.

وتزيد الأنثى على الذكر بالحيض إذ تبلغ به أو بأحد الأمور الثلاثة السابقة.

٣ـ العقل:

يخرج بقولنا العاقل: المجنون، فلا يجب عليه الصوم لرفع القلم عنه، وإذا كان الشخص يُجن أحياناً ويفيق أحياناً أخرى لزمه الصوم متى أفاق ولم يجب عليه قضاء ماجُن فيه.

٤ـ الإقامة:

يخرج بقولنا: مقيم: المسافر، فلا يجب عليه الصوم بل هو مخير بين الفطر والصيام، والأفضل له فعل الأيسر له على حسب الحال، قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥].

٥ ـ القــــدرة:

يخرج بقولنا القادر: العاجز غير القادر على الصيام لأي سبب من الأسباب كمرض أو كبر سن أو نحو ذلك، فلا يجب عليه الصوم بل يقضيه بعد رمضان والكبير يطعم عن كل يوم مسكيناً، وكذلك المريض الذي لا يرجى شفاؤه.

قــال تعــالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٤].

٦ ـ عدم الموانع:

يخرج بقولنا خال من الموانع: من قام فيه مانع من موانع الصوم، فلا يجب عليه الصوم حال المانع، بل يجب عليه الفطر وعليه القضاء بعد زوال المانع، والمانع كالحيض والنفاس.

قال ابن رشد ـ رحمه الله ـ: (... وأما على من يجب وجوباً غير مخير فهو البالغ العاقل الحاضر الصحيح إذا لم تكن فيه الصفة المانعة من الصوم وهي الحيض للنساء، هذا لا خلاف فيه لقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥] [(١)].

❁❁❁

---

(١) بداية المجتهد (١/ ٢٧٤)، بدائع الصنائع (٢/ ٧٧)، (٣/ ١٧٦)، كشاف القناع (٢/ ٣٠٨) والسيل الجرار للشوكاني (٢/ ١١١).

الواحة الإيمانية السابعة

فضـــائل الصـــوم

أخي الكريم:

أنعم بالصوم عبادة بها رفع الدرجات، وتكفير الخطيئات، وكسر الشهوات وتكثير الصدقات، وتوفير الطاعات، وشكر عالم الخفيات، والانزجار عن خواطر المعاصي والمخالفات، والبعد عن سموم النار واللفحات، وقرع أبواب الجنات، وكم للصوم من فضائل وفضائل.. وإليك طرفا منها:

الفضيلة الأولى: نداء الريان لمعاشر الصوام

عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه أحد»(١).

وفي رواية عند النسائي زاد في آخره: «من دخل فيه شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا». وعند الترمذي «ومن دخله لم يظمأ أبدا».

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١١١)، ومسلم (١١٥٢)، والنسائي (٤/١٦٨)، الترمذي (٣/٤٧) تحفة الأحوذي، وأحمد (٥/٢٦٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة» فقال أبو بكر - رضي الله عنه - بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»[1].

الفضيلة الثانية: الصيام جنة من الشهوات والنار

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[2]».

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/١١٩)، ومسلم (١٤٠٠). قال الحافظ رحمه الله في الفتح (٤/١١٩) قوله: (فعليه بالصوم فإنه له وجاء) بكسر الواو وبجيم ومد، وهو رض الخصيتين، وقيل رض عروقها، ومن يفعل به ذلك تنقمع شهوته، ومتقضاه أن الصوم قامع لشهوة النكاح) أ. هـ.

● عن عثمان بن أبي العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «الصوم جنة من عذاب الله»(١).

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «الصوم جنة يستجن بها العبد من النار»(٢).

● وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى الصيام جنة يستجن بها العبد من النار، وهو لي وأنا أجزي به»(٣).

قال المناوي: «وقاية في الدنيا من المعاصي بكسر الشهوة وحفظ الجوارح وفي الآخرة من النار».

وقال: «الصوم جنة من عذاب الله فليس للنار عليه سبيل كما لا سبيل لها على مواضع الوضوء، لأن الصوم يغمر البدن كله فهو جنة لجميعه برحمة الله من النار».

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في (شعب الإيمان) ورواه أحمد والنسائي وابن ماجة، وابن خزيمة وابن حبان، وصححه السيوطي والألباني في (صحيح الجامع) برقم (٣٨٦٧).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في (الكبير)، ورواه أحمد والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان، وقال الهيثمي سنده حسن، وصححه السيوطي والألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٨٦٨) والجنة: أي الوقاية والحفظ والستر.

(٣) حسن: رواه أحمد، والبيهقي في (شعب الإيمان)، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) برقم (٤٣٠٨).

وقال: «أجزى به صاحبه جزاء كثيرا، وأتولى الجزاء عليه بنفسي فلا أكله إلى ملك مقرب ولا غيره لأنه سر بيني وبين عبدي، لأنه لما كف نفسه عن شهواتها جوزى بتولي الله سبحانه إحسانه»[(١)].

قال: ابن عبد البر: «حسبك بهذا فضلا للصائم».

الصوم في سبيل الله يباعد عن النار:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا»[(٢)].

قال المناوي: «أي نجاه منها أو عجل إخراجه منها قبل أوان الاستحقاق، عبر عنه بطريق التمثيل ليكون أبلغ، لأن من كان مبعدا عن عدوه بهذا القدر لا يصل إليه ألبتة».

وقال: «سبعين خريفا» سنة أي نجاه وباعده منها مسافة تقطع في سبعين سنة إذ كل ما مر خريف انقضت سنة، فهو من إطلاق اسم البعض على الكل وذكر الخريف من ذكر الجزء وإرادة الكل، وخصه دون غيره من الفصول لأنه وقت بلوغ الثمار وحصول سعة العيش، وذلك لأنه تحمل مشقة الصوم ومشقة الغزو فاستحق هذا التشريف»[(٣)].

---

(١) فيض القدير (٤/٢٤٢ - ٢٥٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

(٣) فيض القدير (٦/١٦١).

أخي الكريم:

إذا كانت أعزّ أمنية لآخر أهل النار خروجاً منها ـ وهو يخرج منها حبواً ـ صرف وجهه عن النار قبل الجنة لا يسأل مولاه غير ذلك، فكيف إذا باعد الله وجهه عن النار وجعل بينه وبين النار مسيرة سبعين سنة هذا بصيام يوم واحد نفلاً، فما ظنك بصيام شهر كامل وهو شهر رمضان وهو الفريضة؟!.

الفضيلة الثالثة: الصيام لا مثل له وهو الطريق إلى الجنة

● عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله مرني بعمل قال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له». قلت: يا رسول الله مرني بعمل قال: «عليك بالصيام فإنه لا عدل له»[(١)].

وعند الحاكم وصححه النسائي قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به قال: **«عليك بالصوم فإنه لا مثل له»**.

● وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: اسندت النبي ﷺ إلى صدري فقال: **«من قال لا إله إلا الله خُتم له بها دخل الجنة، ومن صام**

(١) صحيح رواه النسائي، وابن خزيمة في (صحيحه) هكذا بالتكرار وبدونه، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) (١/ ٤١٣).

يوماً ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة»[١].

ورواه الأصبهاني ولفظه: «يا حذيفة من ختم له بصيام يوم يريد به وجه الله عز وجل أدخله الله الجنة».

● قال المناوي: «أي من ختم عمره بصيام يوم بأن مات وهو صائم أو بعد فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين أو من غير سبق عذاب[٢]».

● قال ابن خزيمة: «إيجاب الله عز وجل الجنة للصائم يوماً واحداً إذا جمع مع صومه صدقة، وشهود جنازة وعيادة مريض»[٣].

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ فقال: أبو بكر: أنا، فقال: من أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال: من تبع منكم اليوم جنازة؟ فقال أبو بكر: أنا. قال: من عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل إلا دخل الجنة»[٤]

---

(١) صحيح: قال المنذري: رواه أحمد بإسناد لا بأس به، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٤١٢).

(٢) فيض القدير (٦/١٢٣).

(٣) صحيح ابن خزيمة (٣/٣٠٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢/٧١٣) رقم (١٠٢٨)، ابن خزيمة في صحيحه (٣/٣٠٤).

قال ابن خزيمة «هذه فضائل لهذه الأعمال لا كما يدعى من لا يفهم العلم ولا يحسنه»[(١)] .

فيا أخي الحبيب:

هذا طريق الجنة واضح أمامك، فهل أنت من أصحاب الهمم العالية والأهداف السامية، والغايات الرفيعة؟!

فإن كنت كذلك - وأظنك كذلك ولا أزكي أحداً على الله والله حسيبك - فهذا هو الطريق إنه الصوم فإنه لا عدل له.

الفضيلة الرابعة: الصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، قال: فيشفعان»[(٢)] .

قال محدث العصر العلاّمة الألباني - رحمه الله - «أي يشفعهما الله فيه ويدخله الجنة».

---

(١) قاله ابن خزيمة في (صحيحه) (٣٠٤/٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد في (مسنده) والطبراني في الكبير، ورجاله محتج بهم في الصحيح، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب (الجوع) وغيره بإسناد حسن، ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب) (٤١١/١).

قال المناوي: «وهذا القول يحتمل أنه حقيقة بأن يجسد ثوابهما ويخلق الله فيه النطق ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ويحتمل أنه على ضرب من المجاز والتمثيل».

قلت: والأول هو الصواب الذي ينبغي الإيمان به والجزم به هنا وفي أمثاله من الأحاديث التي فيها تجسيد الأعمال ونحوها، كمثل تجسيد الكنز شجاعاً أقرع، ونحوه كثير.

وتأويل مثل هذه النصوص ليس من طريقة السلف رضي الله عنهم، بل هو طريقة المعتزلة، ومن سلك سبيلهم من الخلف، وذلك مما ينافي أول شروط الإيمان ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ فحذار أن تحذو حذوهم فتضل وتشقى، والعياذ بالله تعالى)[1].

حديث تضمن أكثر من فضيلة للصوم:

● عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، الصيام جُنّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده

---

(١) انظر تعليق الشيخ الألباني رحمه الله على (صحيح الترغيب والترهيب) (١/ ٤١١).

لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه»[١].

قلت: فهذا الحديث تضمن فوائد كثيرة نأخذ منها:

الفضيلة الخامسة: إضافة الله تعالى للصوم إضافة تشريف وتعريف بقدر الصوم

- قال ابن عبد البر: كفى بقوله: ﴿الصوم لي﴾ فضلاً للصيام على سائر العبادات.
- قال الحافظ في الفتح (٤/ ١٠٧): (وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: ﴿إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به﴾ مع أن الأعمال كلها له، وهو الذي يجزي بها على أقوال.

وسأنقل لك الأقوال باختصار ومن أراد التوسع فليرجع إلى الفتح.

١- أن الصوم لا يقع فيه رياء كما يقع في غيره.

٢- أن قوله: (وأنا أجزي به) أني انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس، وهذا

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي.

كقوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر على محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم، فإن فيه صبراً على طاعة الله، وصبراً عما حرَّم الله على الصائم من الشهوات، وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن)[1].

٣- أي أنه أحب العبادات إليّ، وهو المقدم عندي.

٤- الإضافة إلى الله إضافة تشريف كما يقال بيت الله، وإن كانت البيوت كلها لله.

٥- أن الاستغناء عن الطعام والشراب وغيره من الشهوات من صفات الرب جل جلاله، فلما تقرب إليه بما يوافق أضافه إليه. أ.هـ. من الفتح.

الصيام جُنَّة أي: وقاية، وقد سبق أن تكلمنا عن ذلك في الفضيلة الثانية فراجعه إن شئت غير مأمور.

الفضيلة السادسة: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك

● قال أبو حاتم: شعار المؤمنين في القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقاً بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في القيامة بصومهم طيب خلوفهم

(١) بغية الإنسان (ص ٤).

أطيب من ريح المسك ليعرفوا بين ذلك الجمع بذلك العمل، نسأل الله بركة هذا اليوم.

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ (ويؤخذ من قوله: (أطيب من ريح المسك) أن الخلوف أعظم من دم الشهيد، لأن دم الشهيد شبه ريحه بريح المسك والخلوف وصف بأنه أطيب، ولا يلزم من ذلك أن يكون الصوم أفضل من الشهادة لما لا يخفى، ولعل سبب ذلك النظر إلى أصل كل منهما، فإن أصل الخلوف طاهر، وأصل الدم بخلافه، فكان ما أصله طاهر أطيب ريحا) [(١)] أ. هـ.

● قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ : (خلوف الفم: رائحة ما يتصاعد من الأبخرة لخلو المعدة من الطعام بالصيام، وهي رائحة مستكرهة في مشام الناس في الدنيا، لكنها طيبة عند الله حيث كانت ناشئة عن طاعته، وابتغاء مرضاته.

ثم قال: وفي طيب ريح خلوف الصائم عند الله عز وجل معنيان:

أحدهما: أن الصيام لما كان سرا بين العبد وبين ربه في الدنيا أظهره الله في الآخرة علانية للخلق، ليشتهر بذلك أهل الصيام ويعرفون بصيامهم بين الناس جزاء لإخفائهم صيامهم في الدنيا [(٢)].

---

(١) فتح الباري: (١٢٨/٤).

(٢) قلت: وهذا المعنى يفسر أيضا تخصيص باب الريان للصائمين دون غيرهم من سائر الناس فإذا دخلوا منه أغلق ولا يدخل منه غيرهم. والله أعلم.

قال مكحول: يُروّح على أهل الجنة فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحاً منذ دخلنا الجنة أطيب من هذا الريح، فيقال: هذه رائحة أفواه الصوام.

والمعنى الثاني: أن مَنْ عَبَد الله وأطاعه وطلب رضاه في الدنيا بعمل فنشأ من عمله آثار مكروهة للنفوس في الدنيا، فإن تلك الآثار غير مكروهة عند الله بل هي محبوبة له وطيبة عنده لكونها نشأت عن طاعته واتباع مرضاته، فإخباره بذلك للعاملين في الدنيا فيه تطييب لقلوبهم لئلا يكره منهم ما وجد في الدنيا.

كل شيء ناقص في عرف الناس في الدنيا حتى إذا انتسب إلى طاعة الله ورضاه فهو الكامل في الحقيقة، خلوف أفواه الصائمين له أطيب من ريح المسك، عُرى المُحرمين لزيارة بيته أجمل من لباس الحلل.. نوح المذنبين على أنفسهم من خشيته أفضل من التسبيح.. إنكسار المخبتين لعظمته هو الجبر.. ذل الخائفين من سطوته هو العز.. تهتك المحبين في محبته أحسن من الستر.. بذل النفوس للقتل في سبيله هو الحياة.. جوع الصائمين لأجله هو الشبع.. عطشهم في طلب مرضاته هو الري.. نصب المجتهدين في خدمته هو الراحة.

ذل الفتى في الحب مكرمة وخضوعه لحبيبه شرف[1]

● قال المناوي: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» فإذا كان هذا بتغير ريح فمه، فما ظنك بصلاته وقراءته وسائر عباداته»[2].

---

(١) لطائف المعارف. (١٧٩ - ١٨٢) بتصرف.

(٢) فيض القدير (٤/ ٢٥٠).

قال ابن جماعة: «وفيه أن خلوف فم الصائم أفضل من دم الجريح في سبيل الله، لأن النبي ﷺ قال في الشهيد: إن ريحه ريح المسك، وقال في خلوف الصائم أنه أطيب منه، ووجهه أن الجريح يظهر أمره للناس، فربما دخله رياء، والصائم لا يعلم بصومه إلا الله، فلعدم دخول الرياء فيه صار أرفع».

الفضيلة السابعة: للصائم فرحتان

قال الحافظ في الفتح (٤/١١٨): قال القرطبي: معناه فرح بزوال جوعه وعطشه حيث أبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي وهو السابق للفهم، وقيل إن فرحه بفطره إنما هو من حيث أنه تمام صومه وخاتمة عبادته، وتخفيف من ربه ومعونه على مستقبل صومه، قلت: أي الحافظ: ولا مانع من الحمل على ما هو أعم مما ذكر، ففرح كل أحد بحسبه لاختلاف مقامات الناس في ذلك، فمنهم من يكون فرحه مباحاً وهو الطبيعي، ومنهم من يكون مستحباً وهو من يكون سببه شيء مما ذكره.

وقوله: «وإذا لقي ربه فرح بصومه» أي بجزائه وثوابه، وقيل الفرح الذي عند لقاء ربه إما لسروره بربه أو بثواب ربه، على الاحتمالين، قلت: أي الحافظ: والثاني أظهر، إذ لا ينحصر الأول في الصوم بل يفرح حينئذ بقبول صومه، وترتب الجزاء الوافر عليه»أ. هـ.

قال: الحافظ ابن رجب: ـ رحمه الله ـ: (أما فرحة الصائم عند فطره فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا مُنعت من ذلك في وقت من الأوقات ثم أبيح لها في وقت آخر فرحت بإباحة ما منعت منه خصوصاً عند اشتداد الحاجة إليه، فإن النفوس تفرح بذلك طبعاً، فإن كان ذلك محبوباً لله كان محبوباً شرعاً، والصائم عند فطره كذلك، فكما أن الله تعالى حرَّم على الصائم في نهار الصيام تناول هذه الشهوات، فقد أذن له فيها في ليل الصيام، بل أحب منه المبادرة إلى تناولها في أول الليل وآخره، فأحب عباده إليه أعجلهم فطراً، والله وملائكته يصلون على المتسحرين، فالصائم ترك شهواته لله بالنهار تقرباً إلى الله وطاعة له، ويبادر إليها في الليل تقرباً إلى مولاه، وأكل وشرب وحمد الله، فإنه يرجى له المغفرة أو بلوغ الرضوان بذلك، وفي الحديث: (إن الله ليرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها) وربما استجيب دعاؤه عند ذلك، وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثاباً على ذلك.

قال أبو العالية: الصائم في عبادة وإن كان نائماً على فراشه، فكانت حفصة تقول: يا حبذا عبادة وأنا نائمة على فراشي، فالصائم في ليله ونهاره في عبادة ويستجاب دعاؤه في صيامه وعند فطره، فهو في نهاره صائم صابر وفي ليله طاعم شاكر.

وفي الحديث الذي خرجه الترمذي وغيره: (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) ومن فهم هذا الذي أشرنا إليه لم يتوقف في معنى فرح الصائم عند فطره، فإن فطره على الوجه المشار إليه من فضله ورحمته فيدخل في قول الله تعالى: قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٨].

وأما فرحه عند لقاء ربه: فيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخراً فيجده أحوج ما كان إليه كما قال تعالى: قال تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [المزمل:٢٠].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ [آل عمران:٣٠].

وعن عيسى بن مريم عليه السلام قال: (إن هذا الليل والنهار خزائنان، فانظروا ما تصنعون فيهما، فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر، وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها، فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة)[1].

۞۞۞

(١) لطائف المعارف (١٧٦ - ١٧٨) بتصرف.

الفضيلة الثامنة: الصيام يرفع الدرجات

وهذا في قوله: ﴿وأنا أجزي به﴾.

● قال الحافظ في الفتح: (٤/١٣٠): المراد بقوله: ﴿وأنا أجزي به﴾ أني انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله، إلا الصيام، فإن الله يثيب عليه بغير تقدير.

ويشهد لهذا السياق رواية الموطأ، وكذا رواية الأعمش عن أبي صالح حيث قال: (كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله) قال الله: ﴿إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به﴾ أي أجازي عليه جزاءً كثيراً من غير تعيين لمقداره، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أ. هـ.

● قال المناوي في فيض القدير (٤/٢٥١): ﴿وأنا أجزي به﴾ إشارة إلى عظم الجزاء عليه وكثرة الثواب لأن الكريم إذا أخبر بأنه يعطي العطاء بلا واسطة اقتضى سرعة القضاء وشرفه) أ. هـ.

● وقال ابن رجب: (يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة فتكون الأعمال كلها تتضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام، فإنه

لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله عز وجل أضعافاً كثيرة بغير حصر عدد)[١] .

الفضيلة التاسعة: الصيام كفارة من الذنوب والمعاصي

● عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام، والصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢] .

قال المناوي: «فتنة الرجل: أي ضلاله ومعصيته، أو ما يعرض له من الشر ويدخل عليه من المكروه في أهله مما يعرض له معهم من نحو هم وحزن أو شغل بهم عن كثير من الخير وتفريطه فيما يلزمه من القيام بحقهم، و «ماله» بأن يأخذه من غير حله ويصرفه في غير حله ووجهه، أو بأن يشغله لفرط محبته له عن كثير من الخيرات.

وفتنة في (نفسه) بالركون إلى شهواتها ونحو ذلك، وفتنته في (ولده) بفرط محبته والشغل به عن المطلوبات الشرعية، وفي (جاره) بنحو حسد وفخر ومزاحمة في حق وإهمال وتعهد.

---

(١) لطائف المعارف (١٦٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة.

ونبه على الأربع على ما سواها، «يكفرها» أي الفتنة المتصلة بما ذكر (الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) لأن الحسنات يذهبن السيئات، ونبه به على ما عداها، فنبه بالصلاة والصوم على العبادة الفعلية، وبالصدقة على المالية، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على القولية فهي أصول المكفرات، والمراد الصغائر فقط.

ويحتمل أن يكون كل واحد من الصلاة وما بعدها يكفر المذكورات كلها لا كل واحد منها!.

وخص الرجل لأنه غالباً صاحب الحكم في داره وأهله وإلا فالنساء شقائق الرجال في الحكم)[1] أ. هـ.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه[2] ».

● عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»**[3] .

---

(١) فيض القدير (٤/ ١٣٤).

(٢) صحيح: متفق عليه وقد سبق الكلام عن ذلك في فضائل رمضان ولا داعي هنا للإعادة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١/ ٢٣٣).

الفضيلة العاشرة : دعوة الصائم لا تُرد

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاث دعوات مستجابات : دعوة الصائم ، ودعوة المظلوم ودعوة المسافر»[(١)] .
- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث دعوات لا تُرد : دعوة الوالد لولده ، ودعوة الصائم ، ودعوة المسافر»[(٢)] .
- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا تُرد دعوتهم ، الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم »[(٣)] .

فيا أخي الحبيب :

اغتنم الفرصة وارفع أكف الضراعة وأنت صائم وعند فطرك وتوجه بقلبك وقالبك إلى المولى جل في علاه وأدعوه وأنت موقن بالإجابة فإنها لا تُرد.

---

(١) صحيح : رواه البيهقي في (شعب الإيمان) والعقيلي في الضعفاء ، ورواه ابن ماسي وابن عساكر ، وصححه الألباني في •صحيح الجامع) رقم (٣٠٣٠).

(٢) حسن : رواه أبو الحسن بن مهروية في (الثلاثيات) والضياء والألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٠٣٢).

(٣) حسن : أخرجه ابن حبان في صحيحه ، وأحمد والطيالسي ، والبيهقي ، وابن أبي شيبة والترمذي وابن ماجة وقال الترمذي حديث حسن ، وقال ابن حجر في (آمالي الأذكار) هذا حديث حسن ، ورواه البزار.

فأعظم به من دعاء تنطق به شفاه ذابلة من الصيام يصعد السموات فما يرده - بكرمه - الرحمن ، إنها نعمة عظيمة لمن عرف قدرها وأحسن استخدامها ، اللهم وفقنا لاغتنام مواسم الخير يا أرحم الراحمين.

الفضيلة الحادية عشر: إن الله و ملائكته يصلون على المتسحرين

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»(١).

قلت: والسحور لا يكون إلا في الصيام، ولا يتسحر إلا من نوى الصيام ومن هنا يتبين فضل الصيام في ذلك لأنه كان سبباً في أن يصلي الله تبارك وتعالى.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - موقوفاً (الصائم إذا أكل عنده صلت عليه الملائكة)(٢).

فإن كان الله وملائكته يصلون على المتسحرين، والسحور عون على الصيام فما ظنك بالصيام؟.

فأكرم بها من عبادة يصلي الله عليك بها والملأ الأعلى.

---

(١) حسن: رواه ابن حبان والطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في الجامع رقم (١٨٤٤).

(٢) إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو موقوف له حكم الرفع قاله الألباني في الضعيفة (٥٠٢/٣ - ٥٠٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة، وعبد الرزاق وابن المبارك.

يا هذا: تبيع صلاة الله والملائكة بشبع وتخمة، ولا تصوم عن لقمة!!

(إنما يريد العاقل أن يأكل ليحيا لا أن يحيا ليأكل).

وإن خير المطاعم ما استخدمت، وإن شرها ما خُدمت، وهل عالج الحجامة وفصد الفصاد إلا خارج عن حد الاقتصاد[١].

الفضيلة الثانية عشر: الصوم في الصيف يورث السقيا يوم القيامة

● عن ابن عباس - رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية في البحر، فبينما هم كذلك، قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة إذ هاتف فوقهم يهتف: يا أهل السفينة! قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه، فقال أبو موسى: (أخبرنا إن كنت مخبراً، قال: إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف، سقاه الله يوم العطش)[٢].

قلت: أي يوم العطش الأكبر يوم القيامة يوم الحسرة والندامة نسأل الله العافية.

وعن أبي موسى بنحوه إلا أنه قال فيه: قال: (إن الله قضى على نفسه أن من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة).

---

(١) مقامات ابن الجوزي (ص ٩١) نقلاً من نداء الريان للعفاني (١/٣٦).

(٢) حسن: قال المنذري: رواه البزار بإسناد حسن إن شاء الله، وحسنه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) (١/٤١٢).

قال: «فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حراً فيصومه»[١].

صيام نهار الصيف من خصال الإيمان لطول نهار الصيف وشدة حره.

قال ابن رجب: (عن بعض السلف قال: بلغنا أنه يوضع للصّوام مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب فيقولون: يا رب نحن نحاسب وهم يأكلون فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتم، وقاموا ونمتم).

وما بكى العباد على شيء عند موتهم إلا على ما يفوتهم من ظمأ الهواجر.

قال معاذ بن جبل عند موته: «مرحباً بالموت، زائر مغب، حبيب جاء على فاقة، اللهم كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا لطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر»[٢].

---

(١) حسن: حسنه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) (١/ ٤١٢).

(٢) الثبات حتى الممات (لابن الجوزي) (ص ١١٩)، والزهد للإمام أحمد (ص ١٨٠)، وحلية الأولياء (١/ ٢٣٩).

الفضيلة الثالثة عشر: الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة

- قال رسول الله ﷺ: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة» [(١)].
- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ «الشتاء غنيمة العابدين» [(٢)].
- قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «نعم زمان المؤمن الشتاء، ليله طويل يقومه، ونهاره قصير يصومه».
- وقال قتادة ـ رحمه الله ـ إن الملائكة تفرح بالشتاء للمؤمن يقصر النهار فيصومه، ويطول الليل فيقومه.
- وكان عبيد بن عمير الليثي إذا جاء الشتاء يقول: «يا أهل القرآن، قد طال الليل لصلاتكم، وقصر النهار لصومكم».

فيا أخي الكريم: الشتاء ربيع المؤمن.

قال ابن رجب: «لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات، ويسرح في ميادين العبادات، وينزه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه، كما ترتع البهائم

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده، وأبو يعلى في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرى عن عامر بن مسعود ورواه الطبراني في (الأوسط) وابن عدي في (الكامل) والبيهقي في (شعب الإيمان) عن أنس، وابن عدي والبيهقي في (شعب الإيمان) عن جابر، ورواه ابن أبي شيبة، والضياء عن عامر، وأشار السيوطي إلى حسنه، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٨٩٨). وصح وقفه على أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ كما في (زوائد الزهد) لعبد الله بن أحمد وعنه أبو نعيم في الحلية وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال البيهقي: هذا موقوف وقال السخاوي: (هو اصح).

(٢) موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو صحيح، رواه أحمد في الزهد، وابن أبي شيبة، وأبو نعيم في الحلية عن أبي عثمان النهدي عن عمر، وإسناده صحيح على شرطهما.

في مرعى الربيع، فتسمن وتصلح أجسادها فكذلك يصلح دين المؤمن في الشتاء بما يسر الله فيه من الطاعات فإن المؤمن يقدر في الشتاء على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة، تحصل له من جوع ولا عطش فإن نهاره قصير بارد فلا يحس فيه بمشقة الصيام»[(١)].

الفضيلة الرابعة عشر: الصيام شعار الأبرار

● عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار يقومون الليل ويصومون النهار، ليسوا بأئمة ولا فجار[(٢)]».

قال المناوي (٣٤٨/٣): «والظاهر أن المراد بالصلاة هنا الدعاء من قبيل دعائه لقوم أفطر عندهم قوله: صلت عليكم الملائكة».

فانظر إلى شعار الأبرار كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: قيامهم بالليل وصيامهم بالنهار، والأبرار سادات المتقين.

❁ ❁ ❁

---

(١) لطائف المعارف (٣٤١).

(٢) صحيح: رواه عبد بن حميد، والضياء، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٠٩٧) و (الصحيحة) (١٨١٠).

الفضيلة الخامسة عشر: الصوم طريق لشكر المنعم على نعمه

- قال عز الدين بن عبد السلام: «وأما شكر عالم الخفيات: إذا صام عرف نعمة الله عليه في الشبع والري، فشكرها لذلك، فإن النعم لا تعرف مقدارها إلا بفقدها»[١].

- وقال العسقلاني وهو يتحدث عن مقاصد الصوم وفضائله: «تكثيره لشكر النعم واعترافه بما سبق له من نعمة الشبع عند جوعه، وعطشه، فيجتهد في الشكر، فإن الشيء إنما يعرف ما كان عليه بضده[٢]».

۞ ۞ ۞

(١) فوائد الصوم (ص ٢٥).

(٢) مدارك المرام في مسالك الصيام (ص ٧٦).

الفضيلة السادسة عشر
الصوم طريق لتكثير الصدقات والإحسان إلى ذوي الحاجات

● قال عز الدين بن عبد السلام: «وأما تكثير الصدقات، فلأن الصائم إذا جاع تذكر ما عنده من الجوع، فيحثه ذلك على إطعام الجائع (فإنما يرحم العشاق من عشقا) وقد بلغنا أن سليمان أو يوسف عليهما السلام لا يأكل حتى يأكل جميع المتعلقين به، فسُئل عن ذلك؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع»[1].

● قال القسطلاني: «إعانته على بذل الصدقات، فإن الصائم يجوع، فيعرف قدر ألم الجوع، فيحرضه ذلك حرصه في الإحسان إلى الجياع، ويحمله على تدبر ما هم فيه من ضرر العجز والانقطاع، وإنما يجد ذوق التعب من ناوله، ويعرف قدر الضرر من واصله، وفي مثل ذلك قيل:

لا يعرف الشوق إلا من يُكابده ولا الصبابة إلا من يُعانيها[2]

● قال القارى: في «مرقاة المفاتيح»:

«ومنها كونه ـ أي الصيام ـ موجباً للرحمة والعطف على المساكين فإنه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات ذكر من هذا حاله في عموم الساعات

(١) فوائد الصوم (ص ٢٥).

(٢) مدارك المرام في مسالك الصيام (ص: ٧٧ - ٧٨).

فتسارع إلى الرقة عليه، والرحمة حقيقتها في حق الإنسان نوع ألم باطن فيسارع لدفعه عنه بالإحسان إليه، فينال بذلك ما عند الله من حسن الجزاء ومنها موافقة الفقراء بتحمل ما يتحملون أحياناً وفي ذلك رفع حاله عند الله، كما حكى عن بشر الحافي أنه دخل عليه رجل في الشتاء فوجده جالساً يرعد وثوبه معلق على المشجب، فقال له: في مثل هذا الوقت تنزع الثوب أو معناه، فقال: يا أخي الفقراء كثير وليس لي طاقة مواساتهم بالثياب، فأواسيهم بتحمل البرد كما يتحملون»[(١)].

ولهذا كان يقول بعض الأولياء العارفين عند كل أكلة: «اللهم لا تؤاخذني بحق الجائعين»، وقد ورد عن سيدنا يوسف عليه السلام ما كان يشبع من الطعام في سنة القحط مع كثرة المأكول عنده في ذلك العام، لئلا ينسى أهل الجوع والفاقة وليتشبه بهم في الخاصة والحاجة»[(٢)].

قال أحمد شوقي أمير الشعراء وشاعر الأمراء: «الصوم حرمان مشروع وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب، وباطنه فيه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة

---

(١) قلت: ومثل هذه الأقوال والأفعال والأحوال مردودة غير مقبولة، لأن الشارع الحكيم لم يكلف العباد فوق طاقتهم، ولذا فإنه سبحانه لا يحاسبهم على ما لم يكلفهم به، وكذلك نهى الشارع أيضاً أن ينزل الإنسان بنفسه الضرر، فإن ما فعله بشر الحافي ـ رحمه الله ـ أضر بنفسه لتعرضه للبرد، وهل جلوسه بهذا الشكل صرف عن الفقراء حاجتهم! ومن قال أن هذه مواساة!.

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ٢٢٩).

ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، عرف المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، وألم الجوع إذا لذع»[1].

وهناك فضائل أخرى للصوم لكن نكتفي بما ذكرناه فما ذكرناه كفاية لمن أراد الهداية. وبالله التوفيق.

ثمرات الصيام

أما ثمرات الصيام فكثيرة ومتنوعة فمنها:

١- صحة الأبدان.

٢- سلامة الأذهان وتصحيح أفكارها، فإن الحرارة الغريزية يثيرها الجوع والعطش، فيقوى إدراكها لفهم المعاني ويكثر تدبرها لما من الأعمال الصالحة تعاني.

٣- نهضة القوة الحافظة وتقليل نسيانها، فإن كثرة الأكل تكثر الرطوبة في الجسد، وتوجب البلادة في الطبع.

٤- خفة حركة الأعضاء للطاعات، فإن الشبع يرخي الجسد، ويقتضي التثاقل عن العبادة والإبطاء عن الإجابة إليها.

٥- خذلان أعوان الشيطان ونصر أجناد الرحمن.

---

(١) نقلاً من «نداء الريان للعفاني» (١/ ٦٤).

٦- رقة القلب وغزارة الدمع.

٧- إجابة الدعاء، وذلك من علامة اللطف والاعتناء.

٨- صيانة جوارحه عن استرسالها في المخالفات.

٩- المباهاة به يوم القيامة.

١٠- اختصاصه بالدخول إلى الجنة من باب الريان[١].

۞۞۞

(١) مدارك المرام في مسالك الصيام (٧٨ - ٨١). بتصرف.

الواحة الإيمانية الثامنة
أحكام الصيام
(١)

رؤية الهلال

قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥].

والمعنى: من شهد استهلال الشهر أي كان مقيماً في البلد حين دخل الشهر وهو صحيح في بدنه أن يصوم، ويكون المراد بالشهر هنا الهلال، لأن الشهر نفسه لا يُرى وإنما يُرى هلاله.

وهذه الآية - كما هو ظاهر - توجب صيام رمضان من أوله إلى آخره، ومعرفة أوله إلى آخره تتم بأحد أمرين:

الأول:

رؤية هلال شهر رمضان أو شوال، فمتى ثبتت رؤية هلال شهر رمضان وجب الصيام ومتى ثبتت رؤية هلال شوال وجب الفطر، سواء رآه بنفسه أو رآه غيره وصدق خبره، ودليل ذلك:

بالإضافة إلى الآية المتقدمة بإيجاب الصوم لرؤية الهلال، ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غنم عليكم فاقدروا له..»**[(١)].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غمي عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين»**[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١١٩/٤)، ومسلم (١٠٨٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٩٩/٤)، ومسلم (١٠٨١).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين»(١).

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين يوما»(٢).

بهذه الأدلة وغيرها - كثير - يتضح أن الشارع علق حكم دخول شهر رمضان بأمر محسوس للناس يسير عليهم ليس فيه مشقة ولا كلفة بل يرون القمر بأعينهم، وهذا من تمام نعمة الله على عباده.

* كيفية رؤية الهلال:

اختلف أهل العلم في طريق إثبات هلال رمضان وشوال على أقوال ثلاثة:

- قيل لا بد من رؤية جمع عظيم.
- وقيل تكفي رؤية مسلمين عدلين.
- وقيل تكفي رؤية رجل عدل واحد(٣).

والذي تميل إليه النفس أنه يكفي لرؤية الهلال شاهد واحد عدل مسلم(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١١٩)، ومسلم (١٠٨٠).

(٢) حسن: رواه أحمد في المسند (٣/٣٢٩)، وأبو يعلى (٤/١٧١)، والبيهقي (٤/٢٠٦).

(٣) انظر تفصيل ذلك في كتب الفقه.

(٤) اتفق الشافعية والحنابلة على ذلك ولكن اختلفوا هل يكون ذكر أو أنثى، فالشافعية تقول بأن يكون ذكرا، والحنابلة لا تفرق بين الذكر والأنثى.

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته فصام وأمر الناس بصيامه»(١).

قلت: والشاهد في ذلك أن النبي ﷺ أقر شهادة ابن عمر رضي الله عنهما ولم يلزمه بأن يأتي بشاهد آخر أو أكثر.

وكذلك ما روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن أعرابياً رأى الهلال فأخبر النبي ﷺ بذلك، فصام وأمر الناس بالصيام أو جعل بلالاً يؤذن في الناس بالصيام(٢) ولم يطلب من الأعرابي أن يأتي بشاهد آخر معه.

الثاني:

يثبت دخول شهر رمضان إتمام شعبان ثلاثين يوماً، كما يثبت خروج رمضان بإكماله ثلاثين يوماً وهذا في حالة عدم رؤية الهلال في دخول رمضان وخروجه، يدل ذلك ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين(٣)».

---

(١) صحيح: رواه الدارمي (٢/٤) وابن حبان (٨٧١) والدارقطني (٢/١٥٦)، والبيهقي (٤/٢١٢) والحاكم (١/٤٢٣) وصححه ابن حزم (٦/٢٣٦) وأقره الحافظ في التلخيص (٢/١٨٧) وقال النووي في المجموع: صحيح (٦/٢٧٦).

(٢) رواه الحاكم وابن حبان وصححاه.

(٣) صحيح: متفق عليه وقد تقدم.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول: كان رسول الله ﷺ «يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان فإن غم عليه عد ثلاثين يوماً ثم صام»(١).

مفسدات الصوم (المفطرات)

قلنا بأن الصوم: هو التعبد لله بالامتناع ـ أي الإمساك ـ عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية.

وهذه المفطرات هي:

١- الأكل. ٢- الشرب.

٣- الجماع. ٤- إنزال المني.

٥- ما كان في معنى الأكل والشرب (كالحقن الغذائية).

٦- القيء عمداً. ٧- الحجامة.

٨- خروج دم الحيض والنفاس.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٦/١٤٩) وابن خزيمة (٣/٢٠٣) وابن حبان (٨٦٩) والحاكم (١/٤٢٣)، والبيهقي (٤/٢٠٦)، وابن الجارود رقم (٣٧٧) والدارقطني (٢/١٥٦ - ١٥٧) قال الدارقطني: هذا إسناد حسن صحيح، وقال الحافظ في التلخيص (٢/١٩٨): وإسناده صحيح، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

قلت: كلا بل هو على شرط مسلم وحده لأن في السند كل من: معاوية بن صالح، وعبد الله بن أبي قيس لم يخرج لهما البخاري. والله أعلم.

وإليك الإيضاح بشيء من التفصيل:

(١ , ٢) الأكل والشرب متعمداً.

وهو إيصال الطعام أو الشراب إلى الجوف من طريق الفم أو الأنف أياً كان نوع المأكول أو المشروب لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

فأباح الله جل وعلا الأكل والشرب إلى طلوع الفجر الصادق (الثاني) ثم أمر بإتمام الصيام إلى الليل، وهذا معناه ترك الأكل والشرب في هذه الفترة ما بين طلوع الفجر إلى الليل.

ويدخل في ذلك السعوط في الأنف وكذا إيصال كل شيء مائع أو جامد عن طريق الأنف والعين أو الأذن شريطة وصوله للجوف[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «... ومعلوم أن النص والإجماع أثبتا الفطر بالأكل والشرب والجماع والحيض..»[(٢)].

٣ـ ما كان بمعنى الأكل والشرب (كالحقن الغذائية).

كل ما كان بمعنى الأكل والشرب كحقن الدم التي يأخذها الصائم بحيث يستغنى به عن الأكل والشرب، وكالإبر المغذية التي تقوم مقام الأكل والشرب، فمتى حقن الصائم في دمه لحاجة ضرورية كحصول نزيف أو أعطى إبرا مغذية فإنه يفطر ويقضي ذلك اليوم، وقد أبيح له الفطر للضرورة وألزم القضاء لأن ما أفطر به يقوم مقام الأكل والشرب.

---

(١) المجموع (٣١٣/٦)، كشاف القناع (٣١٧/٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٤/٢٥).

أما الإبر الأخرى غير المغذية فإنها لا تفطر وإن أخذها في أي مكان في الجسم وعلى أي كيفية، ما لم تصل إلى جوفه كما سبق بيانه.

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ «.. والـذي يظهر لنا أن إبرة الوريد تفسد الصوم لتحقيق دخول مادتها إلى مستعملها، وقد صرح الفقهاء ـ رحمهم الله ـ بفساد صيام من أدخل إلى جوفه شيئاً من أي موضع كان...»(١).

٤ ـ الجماع:

قال تعالى: ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأذن في المباشرة فعقل من ذلك أن المراد الصيام عن المباشرة والأكل والشرب ولما قال أولاً: ﴿كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم﴾ كان معقولاً عندهم أن الصيام هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع»(٢).

فمتى جامع الصائم في نهار رمضان بطل صيامه وعليه التوبة والاستغفار وقضاء اليوم الذي جامع فيه، وعليه مع القضاء الكفارة وهي عتق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع صيام شهرين متتابعين

---

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ / محمد بن إبراهيم (١٨٩/٤).

(٢) حقيقة الصيام (ص ١١).

أطعم ستين مسكيناً لكل مسكين مُدّ بُرٍ من النوع الجيد وهو يزن (٥، ٥٦٢) جراماً[١]. أو من غير البر من غالب قوت البلد.

ولا يتحول من الصيام إلى الإطعام إلا إذا لم يقدر على الصيام لمانع صحيح، كأن يكون به مرض أو يخشى حدوث المرض بالصوم، أما ما تلحقه المشقة المحتملة بالصوم فليس ذلك مسوغاً له للانتقال إلى الإطعام.

ولا بد أن يكون الصيام متتابعاً لا يفطر فيه إلا لعذر شرعي كأيام العيدين، والتشريق وأيام الحيض والنفاس للمرأة، أو لعذر حسي كالمرض والسفر لغير قصد الفطر.

فإن أفطر لغير عذر ولو يوماً واحداً لزمه استئناف الصيام من جديد ليحصل التتابع.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله! هلكت، قال: «مالك؟» قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقه؟» قال: لا: قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا، قال: «فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟» قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أتى النبي بعرق فيها تمر، والعرق والمكتل، قال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: «خذ هذا فتصدق به» فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله؟ فو الله ما بين لابتيها ـ يريد الحرتين ـ أهل بيت

---

(١) المد يساوي $\frac{١}{٤}$ الصاع، والصاع: $\frac{١}{٤}$ ٢ كيلو جرام، إذاً يكون المد $\frac{٢٢٥٠}{٤}$ $\frac{١}{٢}$ ٥٦٢ جرام.

أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: «أطعمه أهلك»[١].

وفي رواية: «صم يوماً واستغفر الله»[٢].

قال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ: (مسألة) قال: (ومن جامع في الفرج فأنزل أو لم ينزل أو دون الفرج فأنزل عامداً أو ساهياً فعليه القضاء والكفارة إذا كان في شهر رمضان).

لا نعلم خلافاً بين أهل العلم في أن من جامع في الفرج فأنزل أو لم ينزل أو دون الفرج فأنزل أنه يفسد صومه، وقد دلت الأخبار الصحيحة على ذلك[٣].

قلت: وفي الحديث المتقدم مسائل:

الأولى: أن الجماع في نهار رمضان من الفواحش المهلكات لأن النبي ﷺ أقر الرجل على قوله: هلكت.

الثانية: من جامع زوجته في نهار رمضان وهو مقيم متعمداً لزمه أمور:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١٦٣)، ومسلم (١١١)، والترمذي (٧٢٤)، وأبو داود (٧/٢٠)، وابن ماجة (١٦٧١)، وأحمد (٢/٢٠٨)، والدارقطني (٢/١٩٠، ١٩١) والبيهقي (٤/٢٢١، ٢٢٢).

(٢) هذه الرواية رواها أبو داود من طريق هشام بن سعد وهو صدوق له أوهام غير أن له متابعات، وعلى العموم فهذه الرواية صحيحة بمجموع الطرق انظر كلام الحافظ في الفتح (٤/١٧٢)، وصححها الشيخ الألباني في تحقيقه على كتاب حقيقة الصيام لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) المغني (٤/٣٧٢)، والهداية للمرغيناني (١/١٢٢)، روضة الطالبين (٢/٣٥٦)، مواهب الجليل (٢/٤٣٣)، والفروق للقرافي (٢/٩٢).

١- الكفارة: وهي على الترتيب عتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين لا يفطر بينهما إلا لمرض أو سفر أو لأي عذر شرعي يقتضي الفطر أو إطعام ستين مسكيناً من غالب قوت البلد.

٢- يمسك بقية يومه لأنه أفطر بغير عذر شرعي فلم يكن لفطره معنى.

٣- يقضي يوماً مكان هذا اليوم لقوله ﷺ: «**واقض يوماً مكانه**[1]».

٤- يلزمه التوبة والاستغفار لقوله ﷺ: «**صم يوماً واستغفر الله**».

وبقولنا وهو مقيم: فخرج المسافر، فالمسافر يجوز له أن يجامع أهله ولو كان صائماً، لأن الصوم في حقه حينئذ لم يكن واجباً، وكذلك في حق أهله.

الثالثة: اختلف العلماء فيمن جامع أهله ناسياً في نهار رمضان على قولين:

أصحهما أنه لا يبطل صومه وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ودليل هذا القول:

١- ما رواه الحاكم (١/ ٤٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفطر في رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة».

قال الحافظ ابن حجر: وهو صحيح ولفظ الإفطار في هذا الحديث عام في الجماع وغيره.

---

(١) جزء من حديث صحيح.

٢- قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ وقولهﷺ «عفى عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(١).

٥- إنزال المني باختياره:

إذا أنزل الصائم المني باختياره بتقبيل أو ضم أو لمس أو استمناء - العادة السرية - أو غير ذلك، فسد صومه، لأن هذا من الشهوة التي تتنافى مع الصوم، وقد أمر الصائم باجتنابها كما جاء في الحديث القدسي «يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»(٢). ولكن عليه القضاء فقط دون الكفارة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما من استمنى فأنزل فإنه يفطر»(٣).

أما من قبَّل أو لمس دون إنزال لم يفطر، لكن إن كان الصائم يخشى على نفسه من الإنزال لو قبَّل أو يخشى أن يتدرج من القبلة إلى الجماع لعدم استطاعته كبح شهوته لم يجز له التقبيل سداً للذريعة، وصوناً لصيامه من الفساد.

أما الإنزال باحتلام أو بتفكير مجرد من العمل فلا يفطر، لأن الاحتلام بغير اختياره والتفكير معفو عنه إن شاء الله(٤).

---

(١) حسن: رواه ابن ماجة (٢٠٤٥)، وابن حبان (١٤٩٨) والحاكم (٢/٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وله طرق أخرى، راجع التلخيص الحبير (١/٢٨١ - ٢٨٣).

(٢) صحيح: متفق عليه.

(٣) حقيقة الصيام (٢٣).

(٤) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (٤/١٩٠ - ١٩١).

٦- القيء عمدا:

وهو استخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم عمدا.

ويفطر بالتقيؤ عمدا سواء كان بالفعل كعصر بطنه أو بالشم كأن يشم شيئا له رائحة كريهة نفاذة ليقيء بها، أو بالنظر، كأن يتعمد النظر إلى شيء قبيح ليقيء به، وعليه في كل ذلك القضاء، أما إذا غلبه القيء وخرج منه دون اختياره فإنه لا يؤثر على صيامه.

● عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، وإن استقاء فليقض»(١).

وقوله: «وإن استقاء فليقض» أي تقيء عمدا وبإرادته، فسد صومه وعليه قضاء يوم.

● عن معدان بن طلحة أن أبا الدرداء حدثه أن رسول الله ﷺ قاء فأفطر، فلقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ في مسجد دمشق فقلت له: إن أبا الدرداء حدثني أن رسول الله ﷺ قاء فأفطر، قال: صدق، وأنا صببت عليه وضوءه»(٢).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤٩٨/٢)، الترمذي رقم (٧٢٠)، أبو داود (٦/٧)، وابن ماجة (١٦٧٦) وابن حبان (٩٠٧) موارد، والدارقطني (٨٤/٢)، والحاكم (٤٢٧/١)، والبيهقي (٢١٩/٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذي رقم (٨٧)، وأبو داود (٨/٧)، والدارمي (٣٤٦/١)، وأحمد (١٩٥/٥)، والطيالسي رقم (٩٩٣)، والدارقطني (٥٨/١)، والحاكم (٤٢٦/١)، والبيهقي (١٤٤/١، ٢٢٠/٤)، وقال الترمذي: هو اصح حديث في هذا الباب، وقال ابن منده كما في تلخيص الحبير (١٩٠/٢): إسناده صحيح متصل، وتركه الشيخان لاختلاف في إسناده، وقال الشيخ المحدث مقبل بن هادي الوادعي ـ حفظه الله ـ: هذا حديث صحيح، وأما ما ورد في بعض ألفاظه: (قاء فأفطر فتوضأ) فلفظه (فتوضأ) غير محفوظة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «... كما أنه بأي وجه أخرج القيء أفطر سواء جذب القيء بإدخال يده أو بشم ما يقيئه ، أو وضع يده تحت بطنه واستخرج القيء فتلك طرق لإخراج القيء...»(١) .

وقال الحافظ في الفتح : «... أما القيء فذهب الجمهور إلى التفرقة بين من سبقه فلا يفطر وبين من تعمده فيفطر ، ونقل ابن المنذر الإجماع على بطلان الصوم بتعمد القيء...»(٢) .

٧- الحجامة:

الحجامة هي شرط ظاهر الجلد المتصل قصداً لإخراج الدم من الجسد دون العروق فمتى تم استخراج الدم من الصائم بحجامة أو فصد أو سحب للتبرع به لإنقاذ مريض محتاج للدم ، فإنه يفطر والأصل في ذلك ما رواه ثوبان مولى النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أفطر الحاجم والمحجوم»(٣) .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/٢٥٧).

(٢) فتح الباري (٤/١٧٤).

(٣) صحيح رواه أبو داود (٦/٤٩٣) وابن ماجة (١/٥١٥)، والدارمي (١/٣٤٧)، وابن الجارود رقم (٣٨٦) وأحمد (٥/٢٧٧)، وصححه ابن خزيمة (٣/٢٢٦)، وابن حبان (٨٩٩). قال ابن المديني : حديث ثوبان صحيح. وقال النووي في المجموع (٦/٣٥٠) (إسناد أبي داود صحيح على شرط مسلم) وقال علامة اليمن (الوادعي) هذا حديث حسن رواه أبو أسماء الرحبي اسمه عمرو بن مرثد روى عنه جماعة ولم يوثقه معتبر.

قلت : قد تابعه عبد الرحمن بن غنم كما عند الإمام أحمد (٥/٢٧٦)، وهذا الحديث قد ورد عن جمع من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ منهم شداد بن أوس ، ورافع بن خديج وأبو موسى الأشعري ، وقد ذكر طرق هذا الحديث الشيخ العلامة محدث العصر الألباني في الأرواء.

قلت : وانظر تفسير قوله : أفطر الحاجم والمحجوم في عون المعبود.

وقد وردت أحاديث كثيرة مؤداها التفطير بالحجامة[١] وعليه فلا يجوز للصائم صوماً واجباً أن يتبرع بإخراج دمه إلا في حالة الضرورة القصوى، بشرط ألا يتضرر المتبرع ويفطر بذلك اليوم ويقضي[٢].

وأما خروج الدم بغير قصد من الصائم كالرعاف، ودم الجراحة وخلع الضرس ونحوه مما يؤثر في الصائم فلا يفطر به، لأنه ليس بمعنى الحجامة، ثم إن الصائم معذور في هذه الحالات لأنه محتاج لذلك حاجة ملحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... وقد بينا أن الفطر بالحجامة على وفق الأصول والقياس، وأنه من جنس الفطر بدم الحيض والاستقاءة، وبالاستمناء، وإذا كان كذلك فبأي وجه أراد إخراج الدم أفطر...»[٣].

٨- خروج دم الحيض والنفاس:

إذا حاضت المرأة أو نفست فسد صومها، سواء كان ذلك في أول النهار من رمضان أو في آخره ولو قبل المغرب بقليل، فإنها تفطر وتقضي الأيام التي أفطرت.

(١) قلت: وقد اختلف العلماء في هذه المسألة اختلافاً كبيراً، ولا يتسع المقام لبسط هذا الخلاف وعرض قول كل فريق، لكن ما ذكرناه هو الراجح إن شاء الله.

(٢) قال ابن قاسم ـ رحمه الله ـ (... ولا يفطر إلا بشرط أن يكون عامداً ذاكراً لصومه قاصداً للفعل ويجب القضاء إن كان الصوم واجباً) حاشية الروض المربع (٣/٣٩٨).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/٢٥٧).

ويدل على ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ « .. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم، فذلك نقصان دينها...».(١)

وما روته عائشة رضي الله عنها وفيه: «... كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة...» .(٢)

الترهيب لمن أفطر في رمضان من غير عذر شرعي

أخي الكريم مر بك فضل شهر رمضان وكذلك فضائل الصيام وما في ذلك من الأجر العظيم والخير العميم، لذا كان الترهيب شديد والتحذير رهيب لمن أفطر في رمضان من غير عذر شرعي.

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي - أي عضدي - فأتيا بي جبلا وعرا فقالا: اصعد، فقلت: إني لا أطيق، فقال: سنسهله لك فصعدت حتى إذا كنت في سواد الجبل، إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلقا بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة**

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم.
(٢) صحيح: رواه البخاري (١/ ٤٢٠) فتح.

أشداقهم، تسيل أشداقهم دماً، قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم - أي قبل وقت الإفطار -... »(١).

فيا أخي الحبيب:

هذه صورة بشعة لعذاب أولئك الذين ينتهكون حرمة شهر رمضان ويستهزؤن بهذه الشعيرة الطاهرة فيفطرون جهاراً نهاراً، إنهم سيعلقون من مؤخرة أقدامهم كما تعلق الدابة الذبيحة، تكون الأرجل هي العلوية والرأس أسفل، وأضف إلى ذلك تشقيق أشداقهم، ويسيل منها الدم.(٢)

إنها حقاً صورة بشعة مروعة تزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فهل يعتبر الظالمون لأنفسهم المنتهكون حرمة الشهر المبارك، الذين لم يراعوا للزمن حرمة ولا لخالقهم حقاً وهدموا الركن الرابع من أركان الإسلام، غير مبالين بالغاية العظمى من خلقهم قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [سورة الذاريات:الآية ٥٦].

---

(١) صحيح: رواه النسائي كما في تحفة الأشراف (١٦٦/٤)، وابن خزيمة (١٩٨٦)، وابن حبان (٧٤٤٨) والحاكم (٤٣٠/١) وصححه ووافقه الذهبي. (أشداقهم) جمع شدق وهو ملتقى الشفتين، ولكل إنسان شدقان.

(٢) قلت: وهذا التعذيب بهذه الصورة البشعة مناسباً لمن أرتكب هذا الذنب العظيم، فالتعليق من العراقيب على شكل الذبيحة مدعاة لنزول الطعام وتقيؤه، وكذلك تشقيق الأشداق وإسالة الدم منها، فهذا الفم الذي عُصي به الله بأكل الطعام في نهار رمضان كان هو محل العذاب بهذه الصورة ونظير ذلك في الكتاب والسُنة كثير، انظر على سبيل المثال حديث الإسراء والمعراج الطويل. هذا والله أعلم.

فيا أخي الكريم حذار أن تكون من هؤلاء الصنف فيصيبك ما أصابهم ومن كان متلبس بهذه الكبيرة فليتب إلى الله جل وعلا قبل أن يفاجئه الأجل ويكون مصيره هذا المصير الأليم.

ذكر أهل العلم أن من أفطر في رمضان من غير عذر شرعي فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: «ومن الكبائر إفطار رمضان بلا عذر ولا رخصة وهي العاشرة ـ أي الكبيرة العاشرة» (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «.. وإذا كان المتقيىء معذوراً كان ما فعله جائزاً، وصار من جملة المرضى الذين يقضون ولم يكن من أهل الكبائر الذين أفطروا بغير عذر...» (٢).

وإذا ثبت فطر أحد في نهار رمضان من غير عذر وجب على ولي الأمر أو من ينوب عنه أن يعزره، حسب ما يؤديه إليه اجتهاده، والتعزير يكون بالسجن والجلد، أو غيرها من أساليب الردع والتأديب، لكن ينبغي أن تكون العقوبة رادعة له لئلا يتكرر ذلك منه مرة أخرى أو يقتدي به غيره.

قال: القفال: «... ومن أفطر في رمضان بغير جماع من غير عذر وجب عليه القضاء، وإمساك بقية نهاره ولا كفارة عليه، ويعزره السلطان، وبه قال أحمد وداود...» (٣).

---

(١) الكبائر (ص ٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/٢٢٥).

(٣) حلية العلماء (٣/١٩٨).

وقد نقل الجزائري عن الذهبي قوله: «... من المقرر عند المؤمنين أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عذر أنه أشر من الزاني، ومن مدمن الخمر، بل يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال...»[(١)].

إن الذين يجاهرون بإفطارهم وهم في أكمل صحة وأتم عافية، وليس لهم عذر يبيح لهم الفطر، أناس قد فقدوا الحياء من الله والخوف منه، وعدم المبالاة بمشاعر الآخرين، ملأ الجحود عليهم العقول والأفئدة، وران على قلوبهم مس من الشيطان والآثام، وما دروا أنهم بإفطارهم هدموا ركناً من أركان الدين عظيم، وكانوا فسقة ناقصي الإيمان ساقطي القدر ينظر إليهم المسلمون بعين الاحتقار، وأنهم من أصحاب المعاصي والكبائر، ويوم القيامة تنتظرهم عقوبة العزيز الجبار، نسأل الله العافية.

---

(١) رسالة الصيام (ص ٦٦).

الأشياء التي لا تفطر

هناك أشياء إذا حدثت من الصائم خارجة عن إرادته فإنه لا يفطر بها منها :

١ ـ من أكل أو شرب ناسياً.

إذا أكل المسلم الصائم أو شرب ناسياً فإن صومه صحيح ولا شيء عليه ولا يلزمه القضاء، بل عليه أن يمسك إذا تذكر سواء في أثناء الأكل والشرب أو بعد الانتهاء، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة:الآية ٢٨٦].

● وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه»[١].

فأمر النبي ﷺ بإتمام الصيام دليل على صحته، ونسبة إطعام الناس وسقيه إلى الله دليل على عدم المؤاخذة عليه، لكن متى ذكر أو ذُكِر أمسك، ولفظ ما في فمه إن كان فيه شيء لزوال عذره حينئذ، ومن الأفضل ـ إن لم يتعين ـ على من رأى صائماً يأكل أو يشرب في نهار رمضان أن يذكره وينبهه لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة المائدة:الآية ٢].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣/٤٠)، ومسلم (٣/١٦٠).

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ «وكان من هديه إسقاط القضاء عمن أكل أو شرب ناسياً، وأن الله سبحانه هو الذي أطعمه وسقاه، فليس هذا الأكل والشرب يضاف إليه فيفطر به، وإنما يفطر بما فعله وهذا بمنزلة أكله وشربه في نومه، إذ لا تكليف بفعل النائم ولا بفعل الناسي [(١)]».

٢ـ من غلبه القيء وخرج بدون اختياره:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، وإن استقاء فليقض» [(٢)].

فقوله: «من ذرعه القيء» أي من غلبه القيء ولم يقدر عليه وخرج دون اختياره «فليس عليه قضاء» دليل على صحة الصوم، فإذا انتهى من قيئه فليتم صومه، ولا شيء عليه ـ والله أعلم.

٣ـ الاحتلام:

الاحتلام ليس من إرادة الشخص ولا اختياره، حيث لا تدخل له في ذلك فمن رأى أنه قد احتلم ورأى أثر ذلك فلا شيء عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن احتلم بغير اختياره كالنائم لم يفطر باتفاق الناس» [(٣)].

---

(١) زاد المعاد (٣٣٨/١)، وانظر المبسوط (٦٥/٣)، والأم للإمام الشافعي (٩٧/٢).

(٢) صحيح: وقد تقدم قريباً.

(٣) حقيقة الصيام (ص ٢٣).

٤ ـ الغيبة والنميمة والكذب والنظر بشهوة واليمين الكاذبة:

وهذه كلها ذنوب لا يجوز للصائم ـ وغيره ـ ارتكابها، ولكنها لا تبطل الصوم، ولا يُفطّر فاعلها، وإنما تنقص في أجره [١].

وأما حديث: «خمس خصال يفطرن الصائم وينقضن الوضوء» «الكذب، والنميمة، والنظرة بشهوة، واليمين الكاذبة» فهذا حديث موضوع كما بين ذلك محدث العصر العلاّمة الألباني ـ رحمه الله ـ في السلسلة رقم (١٧٠٨).

(١) سيأتي في باب ما يجب على الصائم تركه مزيد إيضاح لهذه الأشياء.

الواحة الإيمانية التاسعة

أحكام الصيام

(٢)

ما يجب على الصائم تركه

يجب على الصائم أن يتجنب كل ما حرمه الله ورسوله ﷺ، ولا يتم التقرب إلى الله بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرَّم في كل حال من الكذب والظلم والعدوان وقول الزور والبهتان والغيبة والنميمة والغش في المعاملات، والنيل من الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم إلى غير ذلك من الأمور التي أمر الشارع باجتنابها.

قال بعض السلف: «أهون الصيام ترك الشراب والطعام».

وقال الشاعر:

إذا لم يكن في السمع مني تصاون وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي إذاً من صومي الجوع والظمأ فإن قلت إني صمت يومي فما صمت

فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل، ومن الأشياء التي يجب على الصائم أن يتجنبها:

١ـ قــول الـزور:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[(١)].

٢ـ اللغــو والرفــث:

واللغو: هو الكلام الباطل الذي لا خير فيه.

والرفث: هو الكلام القبيح المصرح به.

فقد نهى الشارع أن ينطلق الإنسان ويتكلم بالكلام الباطل الذي لا خير فيه ولا فائدة منه، وأن يكون مهذبا في ألفاظه، فلا يتكلم إلا بكل جميل ويتنزه عن كل قول قبيح، وهذا في حق الصائم أولى.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/ ١١٦). قال الحافظ في الفتح (٤/ ١١٧) قوله: (فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه): أما قوله: (فليس لله حاجة) فلا مفهوم له، فإن الله لا يحتاج إلى شيء، وإنما معناه فليس لله إرادة في صيامه، فوضع الحاجة موضع الإرادة.

وقوله: (في أن يدع طعامه وشرابه) قال ابن بطال: ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه. والمراد بقول الزور: الكذب الجهل، والسفه، والعمل به: أي بمقتضاه) أ. هـ.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب وإنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحداً أو جهل عليك فلتقل إني صائم إني صائم»[1].

ولله در القائل:

وترك مقال الزور في الناس واجب	**ولكنه من صائم ذو تأكد**
فإن شتموه فليقل: أنا صائم	**لتذكير نفس أو إلى دفع معتد**

٣ـ الكذب:

يجب على الصائم أن يتجنب الكذب، لأنه مُحرَّم في كل وقت وحين، وفي وقت الصيام أشد تحريماً لحرمة الزمان، والكذب كبيرة من الكبائر تؤدي إلى النار.

قال صلى الله عليه وسلم: «.. إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً»[2].

---

(١) حسن: رواه ابن خزيمة (١٩٩٦)، والحاكم (١/ ٤٣٠ - ٤٣١) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٨/ ٣٠)، ومسلم (٨/ ٢٩).

٤ - الغيبة:

يجب على الصائم أن يتجنب الغيبة ويحذر من الوقوع فيها، وهي ذكر المسلم أخاه بما يكره في غيبته، سواء ذكره بما يكره في خلقته أو خلقه، وسواء كان فيه أو لم يكن، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [الحجرات:١٢].

أرأيت أخي الكريم: صورة أبشع من هذه الصورة، شخص يأكل لحم شخص ميت، ولكنها لا تُعمى الأبصار ولكن تُعمى القلوب التي في الصدور، والغيبة محرَّمة في كل حين ولكنها على الصائم أشد تحريماً لحرمة الزمان.

٥- النميمة:

يجب على الصائم أن يتجنب النميمة، وهي نقل المسلم كلام شخص في شخص إليه ليفسد بينهما.

والنميمة من كبائر الذنوب والمعاصي لأنها إفساد للفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة القلم:الآيتان ١٠-١١].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»[(١)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٨/٢١)، ومسلم (١/٧١).

٦ـ الغش في المعاملات:

يجب على الصائم أن يكون صادقا في معاملاته واضحا فيها، فعليه أن يتجنب الغش في جميع المعاملات من بيع وإجارة وصناعة وغيرها، فإن الغش من الكبائر التي نهى عنها الشرع وحذر منها.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا»[١].

ما يباح للصائم فعله

من رحمة الله بعباده، ورفعا للحرج عن أمة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم أباح الشارع للصائم فعل عدة أشياء منها:

١ ـ الصائم يصبح جنبا:

من أدركه الفجر وهو جنب من أهله فيغتسل بعد الفجر ويصوم[٢]. وكذلك الحائض والنفساء إذا انقطع الدم من الليل جاز لهما تأخير الغسل إلى اصبح وأصبحتا صائمتين.

عن عائشة وأم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ: «أن النبي ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم»[٣].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١/ ٦٩).

(٢) قلت: والمحتلم له نفس الحكم ـ والله أعلم.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم ومالك.

٢ ـ السواك للصائم:

قال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[(١)]. وفي رواية «عند كل وضوء».

قال ابن حجر في الفتح: (١٨٨/٤): «يقتضي إباحته في كل وقت وعلى كل حال. وكان ابن عمر يستاك أول النهار وآخره».

وقال ابن سيرين: لا بأس بالسواك الرطب، قيل له طعم. قال: والماء له طعم وأنت تمضمض منه.

قلت والحديث لفظه عام في استعمال السواك ولم يفرق بين صائم ومفطر ولا قبل الزوال ولا بعد الزوال، وقد ذكر صاحب عارضة الأحوذي فوائد عشرة للسواك وقال: «... وقد قدمنا فوائده العشرة في الطهارة، والصوم أحق بها»[(٢)].

قال ابن حجر في تلخيص الحبير (٢٠٢/٢): (وروى الطبراني بإسناد جيد عن عبد الرحمن بن غنم قال: سألت معاذ بن جبل أأتسوك وأنا صائم قال: نعم: قلت: أي النهار؟ قال: غدوة أو عشية، قلت: إن الناس يكرهونه عشية، ويقولون إن رسول الله ﷺ قال: «**لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»[(٣)] قال: سبحان الله! لقد أمرهم بالسواك، وما كان بالذي يأمرهم أن ييبسوا بأفواههم عمداً، ما في ذلك من الخير شيء بل فيه شر) أ. هـ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم، ولفظ (مع كل وضوء) علقها البخاري، وذكر الحافظ أن النسائي وابن خزيمة. وصلاه عن مالك، انظر الإرواء (١٠٩/١).

(٢) انظر عارضة الأحوذي (٤٠/١)، (٢٥٦/٣).

(٣) جزء من حديث صحيح وقد تقدم.

إذاً فالقول الراجح في هذه المسألة: هو أن السواك عام يشمل الصائم والمفطر، قبل الزوال وبعده، وهذا رواية عن الإمام أحمد رحمه الله، وبه قال جمع من أهل العلم منهم ابن حزم والنووي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم رحمهم الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (لم يَقُم على كراهة السواك بعد الزوال دليل شرعي يُصْلح أن يخصص عمومات نصوص السواك)[1].

٣ـ المضمضة والاستنشاق بدون مبالغة:

يباح للصائم أن يتمضمض ويستنشق وهو صائم إلا أنه تكره المبالغة فيهما خشية الوقوع في المحذور.

عن لقيط بن صبرة قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال: «اسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً»[2].

قال عطاء: إن استنثر فدخل الماء في حلقه لا بأس إن لم يملك.

قال ابن قدامة: (وإن تمضمض أو استنشق في الطهارة فسبق الماء إلى حلقه من غير قصد ولا إسراف فلا شيء عليه).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/٢٦٦).

(٢) صحيح: أخرجه أصحاب السنن وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الإرواء رقم (٩٠، ٩٣٥) وفي حقيقة الصيام ص (٢٠)، وصححه كذلك الوادعي.

٤ـ المباشرة والقُبْلة للصائم:

وردت أحاديث كثيرة في الباب تدل على أن المباشرة والقُبْلة للصائم من الأشياء التي يباح له فعلها ولا حرج عليه في ذلك ولكن بشرط ! .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقبِّل وهو صائم ويباشر وهو صائم، ولكنه كان أملككم لإربه»(١).

وورد عند مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ «كان يُقبِّل وهو صائم»(٢) وكذلك ورد عن حفصة رضي الله عنها(٣).

قلت: ولكن هناك فائدة مأخوذة من قول عائشة رضي الله عنها في الحديث المتقدم: «ولكن كان أملككم لإربه» أي كان متحكماً في شهوته، فلا يقوده ذلك إلى الوقوع فيما نهى عنه.

فنقول: إذا كان الإنسان شاب أو لا يستطيع أن يملك نفسه إذا باشر أو قَبَّل فيكره له ذلك خشية الوقع في المحظور، ربما قاده ذلك إلى أن يجامع، فالأولى في حقه الترك.

أما إذا كان الإنسان شيخاً كبيراً أو يعرف من نفسه أن يتحكم في شهوته فلا بأس من أن يُقبِّل ويباشر.

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧/٢١٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢/٧٧٨) رقم (١١٠٧).

ودليل ذلك ما رواه أبو داود ـ رحمه الله ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن المباشرة للصائم فرخص له، وأتاه آخر فسأله فنهاه، فإذا الذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب»(١). وفي بعض الطرق «... أن الشيخ يملك نفسه»(٢).

وعند عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح عن أبي مجلز قال: جاء رجل إلى ابن عباس شيخ يسأله عن القُبلة وهو صائم فرخص له، فجاءه شاب فنهاه(٣).

وورد قريباً من ذلك عن ابن عمر بسند حسن عند البيهقي(٤).

فمما تقدم تكون القُبلة للصائم على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون ذا شهوة مفرطة يغلب على ظنه أنه إذا قَبَّل أنزل فهذا يحرم عليه لأنها مفسدة لصومه، ولربما غلبته الشهوة فجامع فوقع في المحظور المنهي عنه.

---

(١) حسن لغيره: رواه أبو داود (١٣/٧)، والبيهقي (٢٣٢/٤) من حديث عائشة وأحمد (١٨٥/٢) عن عبد الله بن عمرو، والطبراني في الكبير (٥٩/١١) عن ابن عباس وعند البيهقي كذلك عنه (٢٣٢/٤)، وقال الهيثمي (١٦٦/٣) رجاله رجال الصحيح.

قلت: وهذه الطرق لا تخلو من مقال، لكن بمجموعها يتقوى الحديث إلى الحسن لغيره والله أعلم.

(٢) عند أحمد (١٨٥/٢).

(٣) منصف عبد الرزاق (١٨٥/٤).

(٤) (٢٣٢/٤).

الثاني: أن يكون ذا شهوة لكن لا يغلب على ظنه أنه إذا قَبَّل أنـزل فـهذا لا يكره له لما تقدم من حديث عائشة في قوله: (أنه كان أملككم لأربه).

الثالث: أن يكون ممن لا تتحرك شهوته كالشيخ الكبير فهذا يباح له ذلك لما تقدم في حديث أبو هريرة وآثر ابـن عباس في الرخصة للشيخ الكبير. هـذا والله أعلم.

(**مسألة**): قال الحافظ في الفتح (١٥١/٤): (واختلف فيما إذا باشر أو قبّـل أو نظر فأنزل أو أمذى، فقال: الكوفيون والشافعي يقضي إذا أنزل في غـير النظر، ولا قضاء في الامذاء، وقال مـالك وإسحاق: يقضي في كـل ذلـك ويكفر إلا الإمذاء فيقضي فقط) مختصراً أ. هـ.

وقـال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاختيارات: (ولا يفطر بمـذي بسبب قُبْلة أو لمس أو تكرار نظر) أ. هـ[١].

وهذا الذي قاله شيخ الإسلام هو أصح الأقوال - والله أعلم.

وأما إذا قَبَّل أو باشـر فـأمنى فقـال ابـن قدامـة - رحمـه الله -: (يفطـر بغير خلاف نعلمه)[٢]. هذا والله أعلم.

---

(١) (ص ١٠٨).

(٢) المغني (٣٦١/٤).

٥- تحليل الدم وضرب الإبر والحقن التي في العضل والوريد:

إذا كانت هذه الإبر ليست للتغذية أو ما يستغني بها عن الطعام فإنها ليست من المفطرات (لأنها ليست منصوصاً عليها ولا بمعنى المنصوص ولكن الاحتياط أن الإنسان لا تستعمل مثل هذه الإبرة وهو صائم إلا في حالة مرض يبيح له الفطر، وحينئذ يفطر ويستعملها) .[(١)]

٦- الحجامة إذا لم تضعف:

وهو أخذ الدم من الرأس أو من عرق من العروق، وكذا الفصد، فقد كانت من جملة المفطرات ثم نسخت، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم) .[(٢)]

قلت: وقد مر بنا في باب المفطرات أن الحجامة تفطر وقد بينا ذلك، وهنا جاء ذكرها بأنها لا تفطر، فما حل هذا الإشكال؟

قلت: وحل هذا الإشكال الجمع بين الأحاديث وهذه طريقة أهل العلم فإذا كانت الحجامة تضر بالمحجوم وتلجئه للفطر فإنها تحرم عليه وتسير من المفطرات لأنها ألجئته إلى الفطر فسارت سبباً في ذلك فأخذت

(١) قال ذلك علامة القصيم فضيلة الشيخ ابن عثيمين - حفظه الله - فتاوى الصيام.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود.

حكم الأشياء التي تفطر، ويكون ذلك عملاً بالحديث السابق في باب المفطرات. أما إذا كانت لا تلحق الضرر بالمحجوم ولا تلجئه للفطر فهي في حقه مباحة عملاً بهذا الحديث.

ودليل ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن ثابت البناني قال: (سُئل أنس بن مالك رضي الله عنه: أكنتم تكرهون الحجامة للصائم؟ قال: لا، إلا من أجل الضعف)[1]. هذا والله أعلم.

٧- الكحل والقطرة ونحوهما مما يدخل العين:

هذه الأمور لا تفطر سواء وجد طعمه في حلقه أم لم يجده، لأن العين ليست بمنفذ للجوف، وهذا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ورسالته «حقيقة القيام»، وتلميذه ابن القيم في «زاد المعاد».

قال البخاري في صحيحه: «لم ير أنس والحسن وغيرهم بالكحل للصائم بأساً».

أما الحديث المروي في الكحل أن النبيﷺ أمر بالإثمد المروح عند النوم وقال: « وليتقه الصائم » رواه أبو داود فقط، وقال يحيى بن معين - رحمه الله - هذا حديث منكر.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤/ ١٧٤).

٨ـ تذوق الطعام للحاجة:

قلت: وهذا مقيد بعدم دخوله الحلق.

عن عطاء عن ابن عباس قال: «لا بأس أن يذوق الخل والشيء يريد شراءه، ما لم يدخل حلقه وهو صائم»(١).

وعن ابن عباس أيضاً قال: «لا بأس أن يتطاعم الصائم العسل والسمن ونحوه يمجه»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما إذا ذاق طعاماً ولفظه أو وضع في فيه عسلاً ومجه فلا بأس به للحاجة كالمضمضة والاستنشاق»(٣).

٩ـ صب الماء البارد على الرأس والاغتسال:

ليس هناك حرج على الصائم أن يضع الماء البارد على رأسه أو أن يغتسل حال الصيام، فلقد بوب الإمام البخاري في صحيحه: «باب اغتسال الصائم وبلّ ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ثوبا فألقاه عليه وهو صائم» ودخل الشعبي الحمام وهو صائم.

وقال الحسن: لا بأس بالمضمضة والتبرد للصائم(٤).

---

(١) حسن: رواه البخاري تعليقاً (١٥٤/٤) ووصله ابن أبي شيبة (٤٦٣/٢)، ورواه البيهقي (٢٦١/٤) وغيره وحسن إسناده الألباني في إرواء الغليل رقم (٩٣٧).

(٢) رواه البيهقي وسكت عنه الحافظ في الفتح، وحسن إسناده الألباني في (إرواء الغليل) (٨٦/٤).

(٣) الاختيارات الفقهية (١٠٨٥٥).

(٤) صححها الحافظ ابن حجر في الفتح (١٨٢/٤ - ١٨٣).

وأخرج أبو داود بسنده عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: رأيت النبي ﷺأمر الناس في سفره عام الفتح بالفطر، وقال تقووا لعدوكم وصام رسول الله ﷺ، قال أبو بكر قال الذي حدثني: لقد رأيت رسول الله ﷺ بالعرج يصب على رأسه الماء البارد وهو صائم من العطش أو الحر»[(١)].

١٠ـ شم الروائح الطيبة والتطييب بالطيب:

استحب السلف ـ رضوان الله عليهم ـ للصائم الترفه والتجمل والترجل والإدهان كما قال ابن حجر، وأيضا التطيب.

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «إذا كان صوم أحدكم فليصبح دهنيا مترجلا»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وشم الروائح الطيبة لا بأس به للصائم»[(٣)].

١١ـ ويباح للصائم أن يأكل ويشرب ويجامع حتى يطلع الفجر:

لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ الأسود مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

---

(١) صحيح: رواه مالك في الموطأ (١٦٧/٢) شرح الزرقاني، وأحمد (٣٧٦/٥) وأبو داود (٤٩٢/٦) وقال الحافظ في تغليق التعليق (١٥٣/٣) إسناده صحيح، وقال العلامة الوادعي: هذا حديث رجاله رجال الصحيح (١٤٧٣) وصححه محدث العصر الإمام الألباني في (صحيح الجامع) و (صحيح أبي داود).

(٢) رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم.

(٣) حقيقة الصيام (١٠٨).

١٢- يباح للصائم ما لا يمكن الاحتراز منه كبلع الريق، وغبار الطريق وغربلة الدقيق والنخامة ونحو ذلك.

قال ابن المنذر «اجمعوا على أنه لا شيء على الصائم فيما يبتلعه مما جرى مع الريق مما بين أسنانه مما لا يقدر على إخراجه»[١].

١٣- العلك: كل ما يمضغ ويبقى في الفم كالمصطكة قال ابن حجر في الفتح: (رخص في مضغ العلك أكثر العلماء إن كان لا يتحلب منه شيء، فإن تحلب منه شيء فزروه فالجمهور على أنه يفطر)[٢].

١٤- يجوز للمرأة الحائض والنفساء إذا انقطع الدم بالليل أن تؤخر الغسل إلى الصبح، وتكون قد أصبحت صائمة وعليها أن تتطهر كالصلاة.

١٥- يجوز للصائم قلع سنه ومداواة جرحه.

١٦- يجوز للصائم أن يستعمل البخاخ ليخفف عن نفسه ضيق التنفس الحاصل مع الضغط وغيره، إذا كان البخاخ عبارة عن هواء بارد، وإن كان هذا البخاخ معه سائل فلا يستعمله. هذا والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (٤/١٩٠).

(٢) المصدر السابق.

ما يستحب للصائم فعله

يستحب للصائم في رمضان أن يكثر من فعل الطاعات من قراءة القرآن والدعاء والذكر والصدقة والعُمرة وصلة الرحم وزيارة الأقارب وتفقد أحوالهم، والإحسان إلى الجيران ومواساة الفقراء والمحتاجين وتفطير الصائمين وغلى غير ذلك من أنواع العبادات والخير والبر.

١ـ قراءة القرآن في رمضان والذكر والدعاء والصدقة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة)(١).

وفي رواية (كان يدارسه القرآن... الحديث).

في هذا الحديث فوائد منها:

أ- الإكثار من قراءة القرآن الكريم في رمضان.

ب - الصدقة في رمضان والإكثار منها.

ولقد جاء في فضل الصدقة أحاديث كثيرة منها:

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

قال رسول الله ﷺ: «الصوم جُنة، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفي الماء النار» (١).

وقال النبي عن الصدقة في رمضان: «أفضل الصدقة الصدقة في رمضان» (٢).

قلت: وذلك لشرف الزمان.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يدارس القرآن في رمضان وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وكان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف» (٣).

٢- **يستحب للصائم أن يفطر صائماً أو أكثر** ولو على تمرة أو شربة ماء، فهذا من أفضل الصدقة في رمضان.

---

(١) رواه الترمذي بسند صحيح.

(٢) رواه الترمذي بسند صحيح.

قلت: وللمزيد في موضوع الصدقة انظر كتابنا: (الصدقة) فلقد جمعنا في هذا الكتاب أغلب ما يتعلق بأمر الصدقة.

(٣) زاد المعاد (٢/ ٣٢) وسوف نتكلم عن الاعتكاف ـ إن شاء الله ـ في الحديث عن فضل العشر الأواخر.

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من فطّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء» (١).

٣- يستحب للصائم كذلك أداء العمرة في رمضان.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يقال لها: أم سنان: «ما منعك أن تكوني حججت معنا؟» قالت: ناضحان كان لأبي فلان (زوجها) حجَّ هو وابنه على أحدهما، وكان الآخر نسقى عليه، قال ﷺ «فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي» وفي لفظ آخر: «فإذا جاء رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة» (٢).

٤- **يستحب للصائم أن يستعمل السواك**، ولا فرق بين أول النهار وآخره - على ما سبق لنا بيانه - لأن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب.

---

(١) حسن لغيره: رواه أحمد (١١٤/٤ - ١١٥) وابن خزيمة (٢٧٧/٣)، وابن حبان (١٨١/٥)، والطبراني في الكبير (٢٩٥/٥)، وابن أبي شيبة (٣٥١/٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١٣/٤)، والبيهقي في الشعب (٣٦٦٧) وفي السنن (٢٤٠/٤)، والترمذي (٥٣٣/٣) وقال: حديث حسن. صحيح، وابن ماجة (١٧٤٦).

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠٣/٣)، ومسلم (١٢٥٦)، والناضح: البعير يُسقى عليه الماء ومعنى: تقضى حجة أي: تعدلها في الثواب، كما في الرواية الأخرى، لا أنها تقوم مقامها في اسقاط الفرض. والله أعلم.

٥- على الصائم أن يحفظ لسانه عن فضول الكلام.

وذلك لأن اللسان على صغر حجمه فهو عظيم طاعته وجرمه، فهو مصدر كثير من الآثام، وعلى المسلم عموماً والصائم خصوصاً أن يعرض عن لغو الحديث ويتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون:٣].

وقال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨].

فينبغي للصائم أن تصوم جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش من القول، وقول الزور وفضول الكلام، وبطنه عن الشراب والطعام، وفرجه عن الرفث، فإن تكلم فلا يتكلم بما يجرح صومه ويخدشه ويعيبه وإن فعل لا يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه طيباً وعمله صالحاً وقد حث النبي ﷺ المسلم الصائم أن يتحلى بمكارم الأخلاق وصالحها، ويبعد عن الفحش والبذاءة والفظاظة، وهذه الأمور السيئة منهي عنها المسلم في كل وقت وحين، ولكن النهي أشد أثناء تأدية فريضة الصيام وغيرها من الفرائض.

يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «... والصيام جُنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤء صائم»(١).

(١) صحيح: وقد تقدم.

٦ ـ غض البصر وحفظ الفرج:

على الصائم أن يغض بصره عما حرَّم الله، لأن للعين صياماً كسائر الجوارح، وصيامها غضها عن الحرام، وكذلك يجب على الصائم أن يحفظ فرجه من الرفث ومن كل ما حرَّم الله عليه، لأن صيام الفرج حفظه عن الحرام، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠].

وبالجملة نقول: يستحب للصائم ـ إن لم يجب ويلزم ـ حفظ سائر الجوارح عن القبائح، فلا يفعل الصائم ما يخدش صيامه أو يشينه والجوارح المأمور بحفظها: اللسان والعين والأذن والبطن والفرج واليد والرجل، فإذا صان المسلم جوارحه عن الآثام كمل صومه، وضوعف أجره.

يقول ابن رجب ـ رحمه الله ـ : الصائمون على طبقتين:

أحدهما: من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى يرجو عنده عوض ذلك في الجنة، فهذا تاجر مع الله وعامله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ولا يخيب معه عامله، بل يربح أعظم الربح.

أما الطبقة الثانية من الصائمين: من يصوم في الدنيا عما سوى الله، فيحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى، ويريد الآخرة، فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته.

أهل الخصوص من الصوام صومهم صون اللسان عن البهتان والكذب
والعارفون وأهل الإنس صومهم صون القلوب عن الاغيار والحجب

العارفون لا يسليهم عن رؤية مولاهم قصر، ولا يرويهم دون مشاهدته نهر هممهم أجل من ذلك.

من صام عن شهواته في الدنيا أدركها غداً في الجنة، ومن صام عما سوى الله فعيده يوم لقائه ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ ﴾ [العنكبوت:٥].

وقد صمت عن لذات دهري كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي (١)

خلاصة القول:

على الصائم أن يعمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ويبتعد عن كل ما يبغضه الله ولا يرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة (٢).

❁ ❁ ❁

(١) لطائف المعارف (٢٢٢ - ٢٣٠) بتصرف.

(٢) قلت: قد سبق أن تكلمنا في أول الكتاب عن (أبواب الخير في رمضان) فعلى الصائم أن يتحرى هذه الأبواب ويضرب في كل باب بسهم.

ما يُكره للصائم فعْله

هناك أمور يكره للصائم أن يفعلها لأن التمـادي فيـها قد يـؤدي إلى فساد الصوم ، وهذه الأمور وإن كانت غير مفسدة للصـوم نفسـه لكنـها قـد تؤدي إلى ما يفسد الصوم ، فكرهت من أجل ذلك ، ومنها :

١ ـ المبالغة في المضمضة والاستنشاق:

وذلك لقوله ﷺ للقيط بن صبرة : «وبالغ في المضمضة والاستنشـاق إلا أن تكون صائماً»[1] .

واختلف أهل العلم إذا دخل ماء المضمضـة إلى جوفه خطأ فقـالت : الحنفية والمالكية والشافعي في أحد قوليه ، والمزني أنه يفسـد صومـه ، وقـال أحمد بـن حنبـل ، وإسحاق والأوزاعـي : أنـه لا يفسـد الصـوم كالناسـي ، وهو الراجح ـ إن شاء الله ـ وأما إذا تعمد ودخـل المـاء إلى جوفـه فإنـه يبطـل صومه وعليه القضاء ـ والله أعلم.

٢ ـ ذوق الطعام لغير حاجة:

يكره للصائم أن يذوق الطعام لغير حاجة ـ وقـد تقـدم بيـان ذلـك ـ ولكن إذا احتاج إليه لمصلحة ولد صغير أو مريض أو ما شابه ذلك فـهذا لا كراهة فيه لأنه موضع ضرورة.

---

(١) صحيح وقد تقدم.

٣ـ القُبْلة:

تُكره القُبْلة للصائم إذا كانت تعمل على إثارة شهوته مما تجره إلى إفساد صومه بالإمناء أو بالجماع، فالاعتبار أولاً وأخيراً بتحريك الشهوة وخوف الإنزال(١).

٤ـ عدم إدامة النظر إلى الزوجة أو الأمة إذا كان ذلك يثير شهوته لأنه قد يؤدي إلى فساد صومه.

٥ـ التفكير في الجماع:

يكره للصائم كثرة التفكير في شأن الجماع لأنه قد يؤدي به تفكيره إلى إنزال المني أو الإقدام على الجماع وهذا يفسد صومه ويوقعه في الإثم.

٦ـ جمع الريق وابتلاعه وكذا ابتلاع النخامة:

يكره للصائم أن يجمع ريقه ويبتلعه أو يبتلع النخامة، لأن ذلك يصل إلى جوفه ويتقوى به، وهو ينافي الحكم من الصيام(٢).

قلت: وبلع الريق والنخامة لا يفسد الصوم(٣).

٧ـ صوم الوصال:

يكره للصائم الوصال في صومه، وحقيقته المنهي عنها: أن يصوم المرء يومين فأكثر ولا يتناول في الليل شيئا من طعام أو شراب، فإن أكل أو شرب ولو يسيرا فليس ذلك بوصال.

---

(١) راجع باب: ما يباح للصائم فعله فقرة (٤).

(٢) انظر حاشية الروض المربع (٣/٤٠٤).

(٣) انظر: باب ما يباح للصائم فعله فقرة (١٢).

ولقد نهى النبي ﷺ عن الوصال في الصوم وذلك رحمة منه وشفقة على أمته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: «**وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقين**، فلما أبو أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال فقال: «**لو تأخر لزدتكم**» كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا)[1].

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والوصال مرتين قيل: إنك تواصل، قال: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فاكلفوا من العمل ما تطيقون**»[2]. والوصال مع كراهته لا يبطل الصوم.

والحكمة من النهي عنه لئلا يضعف الجسم عن أداء الواجبات، بل قد يلحق الجسم ضرر كبير يؤثر على الحواس والأعضاء.

٨- مضغ العلك واللبان:

إذا كان العلك يتحلل منه شيء يختلط مع الريق ويبتلعه الصائم كما هو معروف في العلك الحالي فهذا حرام، وهو مما يفطر به الصائم بلا خلاف، وأما إذا كان لا يتحلل منه شيء أبداً كقطعة المطاط الرخو مثلاً فإن هذا يكره ولا يحرم[3].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤/٢٠٥)، ومسلم (١١٠٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤/٢٠٦).

(٣) قلت: وهناك نوع من العلك يباح للصائم مضغه قد بينا ذلك في باب: ما يباح للصائم فعله، فأنظره هناك فقرة (١٣).

٩- قول الصائم: صمت رمضان كله أو قمته كله:

يكره للصائم أن يقول: صمت رمضان كله أو قمته كله، لأن ذلك فيه تزكية للنفس وهذا منهي عنه.

عن أبـي بكـرة رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله ﷺ **«لا يقولـن أحدكـم إنـي صمـت رمضـان كلـه وقمتـه كلـه»** فـلا أدري أكـره التزكيـة أو قال: لابد من نومة أو رقدة)[1] .

قلت: ولعل من الأسباب التي جاء من أجلها النـهي أن الإنسـان لا يدري أقبل صيامه أو قيامه أو لا! والله أعلم.

١٠- شم ما لا يؤمن من شمه أو تجذبه نفسه إلى حلقـه كمسـحوق المسك أو الكافور أو السعوط أو البخور ونحو ذلك.

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح: رواه أبو داود في سننه (٧٠/٧).

الواحة الإيمانية العاشرة

أحكام الصيام

(٣)

الأعذار المبيحة للفطر
(أهل الأعذار)

من المعلوم أن الصيام عبادة شاقة تحتاج إلى تحمل وصبر وقد لا يتحملها بعض فئات من المجتمع، وجرياً على سنة الإسلام القائمة على التيسير ورفع الحرج على الناس[١] فقد رخص الله عز وجل لبعض عباده في ترك الصوم وأباح لهم الفطر رحمة بهم وتخفيفاً عليهم، يقول تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

فقد رخص الله جلا وعلا للمريض والمسافر والشيخ والكبير والحائض والنفساء والحامل والمرضع وغيرهم من أصحاب الأعذار أن يفطروا في نهار رمضان، وهؤلاء يفطرون عمداً، بل منهم من يجب عليه الفطر ويحرم عليه الصيام كالحائض والنفساء، وإليك بيان ما تقدم بشيء من التفصيل:

وقبل الشروع في التفصيل يمكن لنا القول بأن أهل الأعذار ينقسمون إلى قسمين:

الأول: من يرخص لهم الفطر ويجب عليهم القضاء.
والثاني: من يرخص لهم الفطر وتجب عليهم الفدية.

---

(١) للمزيد في هذا الموضوع انظر: كتاب (الصوم والإفطار لأصحاب الأعذار) للدكتور فيحان المطيري (ص ٢١).

القسم الأول
من يرخص لهم الفطر ويجب عليهم القضاء

١ - المريض:

يرخص للمريض أن يفطر رمضان لقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

والمريض في رمضان له ثلاث حالات:

الأولى: أن لا يشق عليه الصوم ولا يضره فيجب عليه الصوم لأنه ليس له عذر يبيح الفطر مثل وجع الإصبع والضرس وغير ذلك.

والثانية: أن يشق عليه الصوم ولا يضره، فهذا يجوز له النظر للآية المتقدمة، ولا ينبغي له الصوم لأنه خروج عن رخصة الله تعالى له وتعذيب نفسه، وتكاليف الشريعة ولله الحمد قائمة على اليسر ورفع الحرج ودفع المشقة.

الثالثة: أن يضره الصوم فهذا يجب عليه الفطر ولا يجوز له الصوم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء:٢٩]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ ﴾ [البقرة:١٩٥].

وإذا حدث له المرض في أثناء رمضان وهو صائم وشق عليه إتمام اليوم جاز له الفطر لوجود العذر المبيح للفطر.

وإذا برىء في نهاية رمضان وقد أفطر أول النهار للعذر، لم يصح صومه ذلك اليوم لأنه كان مفطراً في أول النهار، والصوم كما مر معنا أنه امتناع عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية، لكن يجب عليه القضاء بعدد الأيام التي أفطرها.

وكذلك إذا ثبت عن طريق الطبيب الحاذق الموثوق بدينه أن الصوم يجلب له المرض أو يؤخر له الشفاء من مرضه فإنه يجوز له الفطر محافظة على صحته، واتقاء للمرض، ويقضي هذه الأيام بعد شفاءه(١).

٢- المسافر:

يباح الفطر للمسافر الذي هلّ عليه شهر رمضان وهو في سفر أو أنشأ سفراً في أثناء الشهر، واستدل لذلك من الكتاب والسُنة والإجماع والمعقول.

فمن الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٤].

٢- قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

---

(١) انظر: حاشية ابن عابدين (٢/٤٢٢)، وبداية المجتهد (١/٢٨٥) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٢٧٦) والأم (٢/١٠٤)، والمجموع (٦/٢٥٧)، والانصاف للمر (٣/٢٨٥)، ومجالس شهر رمضان (ص ٣٣).

ومن السُنة:

١- عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ (أأصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام فقال: إن شئت فصم وإن شئت فافطر)[١].

٢- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة[٢].

٣- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زحاماً ورجلاً ظُلِل عليه فقال: ما هذا؟ قالوا: صائم، فقال: «ليس من البر الصيام في السفر»[٣].

وفي رواية لمسلم زيادة «عليكم برخصة الله التي رخص لكم».

وهناك أحاديث أخرى في الباب سنتعرض لها فيما بعد.

ومن الإجماع:

أجمع المسلمون على إباحة الفطر للمسافر في الجملة.

قال النووي في المجموع: (... فإن كان سفره فوق مسافة قصر وليس معصية، فله الفطر في رمضان بالإجماع مع نص الكتاب والسُنة...)[٤].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١٧٩) ومسلم (١١٢١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/١٨٢) ومسلم (١١٢٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/١٨٣) ومسلم (١١١٥).

(٤) المجموع للنووي (٦/٢٦١) وانظر كذلك: بدائع الصنائع (١/٩٣)، وبداية المجتهد (١/٣٨٥)، والمغني (٤/٤٠٦).

ومن المعقول:

إن إباحة الفطر في السفر لكونه مظنة المشقة، فخفف عن المسلمين دفعاً للمشقة ورفع الحرج عنهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

مسألة: ما هو السفر المبيح للفطر؟

السفر المبيح للفطر:

أولاً: أن لا يكون سفر معصية، كمن يسافر إلى البلاد الأوروبية أو بلاد الكفر عموماً لممارسة الإباحية والانحلال هناك.

ثانياً: شرط السفر أن لا يقصد به المسافر التحيل على الفطر، فإن قصد ذلك فالفطر عليه حرام والصيام واجب عليه حينئذ.

وقد اتفق الفقهاء ـ رحمهم الله ـ على جواز الفطر في السفر الواجب كسفر الجهاد والحج والعُمرة، كما ذهب جماهير أهل العلم إلى جواز الفطر في السفر المندوب والمباح لأنهما ملحقان بالواجب لثبوت فطر الرسول صلى الله عليه وسلم في رجوعه من السفر الواجب، ورجوعه مباح، وأما المندوب فهو سفر طاعة.

وأما سفر المعصية فاختلفوا فيه على قولين: أصحهما حرمة الفطر فيه، ومثال ذلك السفر لبلاد الكفر بحثاً عن الدعارة والمخدرات والجريمة، وسفر قُطاع الطريق واللصوص ومن في حكمهم، ممن ينشرون الفساد في الأرض ويؤذون المؤمنين في أعراضهم وأموالهم[١].

---

(١) انظر: بدائع الصنائع (١/٩٣)، بداية المجتهد (١/٢٨٥)، المجموع (٦/٢٦١) المغني (٤/٤٠٦).

مسألة: المسافة التي يباح فيها للمسافر الفطر:

علق الشارع الحكيم قصر الصلاة وإباحة الفطر على مطلق السفر دون تحديد له، غير أنه لما كان السفر مظنة المشقة، والمشقة لا تحصل غالباً إلا مع السفر الطويل، اختلف الفقهاء ـ رحمهم الله ـ في تحديد مسافة الفطر المبيحة للفطر:

فمنهم: من ذهب إلى أن المسافة التي يجوز فيها الفطر هي مسيرة يومين كاملين فأكثر، وهي تعادل ثمانين كيلومتراً تقريباً.

ومنهم: من ذهب إلى المسافة المبيحة للفطر مسيرة ثلاثة أيام.

ومنهم: من ذهب إلى أن المسافة المبيحة للفطر مسيرة يوم واحد فقط.

ومنهم: من ذهب إلى أنه لا حد للسفر الذي يباح الفطر فيه، بل كل ما سمي سفراً عرفاً جاز الفطر فيه.

والقول الأول أخذ به جماعة من الصحابة والتابعين، وهو قول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد ـ رحمهم الله ـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... وأما مقدار السفر الذي يقصر فيه ويفطر فمذهب مالك والشافعي وأحمد أنه مسيرة يومين قاصدين بسير الإبل والأقدام هو ستة عشر فرسخاً[1]. كما بين مكة وعسفان، ومكة

---

(١) الفرسخ ثلاثة أميال، والميل (١٦٠٩م) تقريباً فتكون المسافة المقررة = ١٦ × ٣ × ١٦٠٩ = ٧٧٢٣٢متراً أي ما يزيد على سبعة وسبعين كيلومتراً فأوصلناها ثمانين كيلومتراً تقريباً.

وجدة وقال أبو حنيفة: مسيرة ثلاثة أيام، وقال طائفة من السلف والخلف بل يقصر ويفطر في أقل من يومين، وهذا قول قوي...»[(١)].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «... ولم يكن من هديه ﷺ تقدير المسافة التي يفطر فيها الصائم بحد ولا صح عنه في ذلك شيء».

مسألة: هل الأفضل الصيام أو الفطر في السفر:

المسافر حال السفر لا يخرج عن إحدى الحالات الآتية:

أولـهـا: أن يتساوى عنده الفطر والصيام أي لا مشقة عليه من السفر فالأفضل في حقه الصيام لعموم قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وكذلك الأمور الآتية:

أ- لأنه أسرع في إبراء ذمته.

ب - أنشط له إذا صام مع الناس.

جـ - إدراكه لفضيلة الزمن.

د - وهذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢١٢/٢٥)، ويلاحظ أن شيخ الإسلام يرجح القول الأخير، الذي لا يحد فيه المسافة بل يربطها بالعرف، وهذا الرأي قال به تلميذه الإمام ابن القيم في زاد المعاد (٥٥/٢) وسيأتي، وهذا القول تميل إليه النفس والله أعلم.

(٢) قلت: وسيأتي بيان هديه ﷺ في السفر عند الكلام عن صفة صوم النبي ﷺ في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

ويدل على ذلك ما رواه أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة[(١)].

ثانيها: إذا شق عليه الصيام في السفر فإن الفطر في حقه أفضل لعموم قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وأيضاً لحديث جابر رضي الله عنه الذي قال فيه النبي ﷺ: «ليس من البر الصيام في السفر»[(٢)].

وعنه أيضاً قال: أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب، فقيل له بعد ذلك:

إن البعض قد صام فقال: «أولئك العصاة أولئك العصاة»[(٣)].

وفي رواية أخرى: «فقيل له إن الناس قد شق عليهم الصيام وإنما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر.. الحديث»[(٤)].

ثالثها: أن يكون مخيراً بين الصوم والفطر، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ: «أأصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام. فقال: إن شئت فصم وإن شئت فأفطر[(٥)]».

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢/٧٨٥) رقم (١١١٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧/٢٣٢).

(٥) صحيح: وقد تقدم.

ولم يعب أصحاب النبي ﷺ بعضهم بعضاً في الصوم والإفطار - أي حال الصيام لما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم)[١].

(مسالة) إذا قدم المسافر إلى بلده في نهار رمضان:

إذا قدم المسافر إلى بلده في نهاية نهار رمضان وكان مفطراً لم يصح صومه ذلك اليوم لأنه كان مفطراً أول النهار، والصوم الواجب لا يصح إلا من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية كما مر بنا ذلك.

ولكن: هل يلزمه الإمساك بقية اليوم؟ اختلف العلماء في ذلك فقال بعضهم: يجب عليه أن يمسك بقية اليوم احتراماً للزمن ويجب عليه القضاء أيضاً لعدم صحة صيام هذا اليوم.

وقال بعضهم: لا يجب عليه أن يمسك بقية ذلك اليوم لأنه لا يستفيد من هذا الإمساك شيئاً لوجوب القضاء عليه. أما حرمة الزمن فقد زالت بفطره المباح له أول النهار ظاهراً وباطناً[٢].

قلت: والقول الثاني هو الراجح إن شاء الله ولكن ينبغي له أن لا يعلن أكله ولا شربه لخفاء سبب الفطر عن الناس فيساء به الظن أو يقتدي به غيره خصوصاً من الجهال وضعاف النفوس.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣/٣٩٥)، ومسلم (١١١٨).

(٢) المبسوط للسرخسي (٣/٥٨).

(مسألة) من سافر من بلده إلى بلد آخر ونوى الإقامة في البلد الآخر يصوم أم يفطر:

اختلف أهل العلم في هذه المسألة خلافاً واسعاً، وقد رجح بعضهم أنه إذا نوى إقامة تزيد على أربعة أيام لزمه الصوم، وإتمام الصلاة كغيره من المقيمين لانقطاع أحكام السفر في حقه سواء كانت إقامته لدراسة أو لتجارة أو غير ذلك من الأمور المباحة، وإذا نوى إقامة أربعة أيام فأقل أو أقام لقضاء حاجة لا يدري متى تنقضي[١] فله الإفطار لعدم انقطاع أحكام السفر في حقه[٢].

٣- الحائض والنفساء:

أجمع أهل العلم سلفاً وخلفاً أن الحائض والنفساء لا يحل لهما الصوم، وأنهما تفطران وتقضيان، وأنهما إذا صامتا لم يجزئهما الصوم ولم يصح، ودليل ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «...أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم، فذلك نقصان دينها»[٣].

---

(١) قلت: وقد تطول هذه المدة عن أربعة أيام بل قد تصل شهور فالراجح عندي أنه يفطر ويقصر لعدم وجود دليل على التحديد والله أعلم.

(٢) بدائع الصنائع (١/٩٧)، بداية المجتهد (١/٢٨٧)، المجموع (٦/٢٦٣) مغني المحتاج (١/٤٣٧)، الروض المربع (٣/٣٧٢) نيل الأوطار (١/٢٣٠).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/١٩١).

وعند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «... وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين»[(١)].

ولكن يجب عليهما القضاء بعدد الأيام التي أفطرتا فيها لقوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

ولحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ وفيه: «كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة».

والأمر للنبي ﷺ لأنه صاحب الأمر عند الإطلاق[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... وكذلك ثبت بالسُنة واتفاق المسلمين أن دم الحيض ينافي الصوم، فلا تصوم الحائض لكن تقضي الصيام...»[(٣)].

فصل

إذا حاضت المرأة أول النهار أو آخره ولو قبل الغروب بقليل فإنه يبطل صومها، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً فإذا ثبتت العلة ثبت الحكم وإذا انتفت العلة انتفى الحكم.

---

(١) صحيح رواه مسلم (٧٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري، انظر الفتح (١/ ٤٢٠).

(٣) مجموع الفتاوى: (٢٥/ ٢٢٠).

وإذا طهرت المرأة من الحيض أو النفاس في أثناء نهار رمضان لم يصح صيامها بقية هذا اليوم لوجود ما ينافي الصيام في أول النهار، وهل يجب عليها الإمساك بقية اليوم أم لا؟ فيه خلاف بين أهل العلم أصحها أنه لا يجب وإن أمسكت بقية اليوم لحرمة الزمن فهذا أفضل[(١)].

وإذا طهرت في الليل من رمضان، ولو قبل الفجر بلحظة وجب عليها الصيام لأنها أصبحت من أهله، ولا يوجد مانع منه، حتى ولو لم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر على الصحيح من كلام أهل العلم[(٢)].

كثيراً ما تسأل النساء في بداية رمضان عن تناول حبوب منع الحيض.

والجواب كما قال النبي ﷺ: «إن هذا أمر كتبه الله على بنات بني آدم»[(٣)] وإذا كان هذا الأمر مكتوباً على النساء جميعاً فلا ينبغي للمرأة أن تتدخل في أمر قد كتبه الله عليها».

ويجب أن تعلم المرأة المسلمة أن كل ما كتبه الله وقدَّره فيه الخير المحض فالأفضل عدم المعارضة والتدخل من قبلها.

ويجب أن تعلم أيضاً أن خروج دم الحيض وغيره من جسم المرأة له فوائد كثيرة وذلك لحكمة عظيمة، وأن انحباسه باستعمال الحبوب فيه

---

(١) قلت: وحرمة الزمن قد زالت في حقها بفطرها المباح في أول النهار.

(٢) انظر: المبسوط (٣/٨٠)، والشرح الصغير (٢/٢٤٢)، ونهاية المحتاج (٣/١٨٤) والانصاف (٣/٢٨٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري في صحيحه.

أضرار كثيرة، ومنها ما يحصل للمرأة من أمراض بعد نزول الدم، واضطراب في مواعيد العادة الشهرية، وقرحة تصيب رحم المرأة، وقد يؤدي ذلك إلى العقم وأشياء كثيرة ذكرها الأطباء.

وعليه فالأفضل للمرأة ألا تستعمل حبوب منع الحيض، ولكن إذا استعملت الحبوب جاز لها أن تصوم وتصلي لإنتفاء العلة وانعدام المانع وهو الدم. ولكن إن طلب المرأة استعمال مثل هذه الحبوب في هذا الشهر لا شك دليل على حب النساء للخير والعبادة من الصوم وحضور صلاة التراويح وقراءة القرآن، وغيرها من أفعال الخير الذي تلزم طهارة المرأة.

ومع ذلك فالأحوط ترك هذه الحبوب، والله سبحانه مطلع على السرائر ويعلم ما في الضمائر فإنه لا يضيع أجر من نوى فعل الخير، هذا والله أعلم.

٤ ـ الحامل والمرضع:

المرأة إذا كانت حاملاً أو مرضعاً وخافت على نفسها أو ولدها من الصوم فلها الفطر، ودليل ذلك ما رواه أنس بن مالك الكعبي القشيري[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة والصوم وعن المرضع والحامل الصوم[٢]» وفي لفظ «والحبلى».

---

(١) قلت: هو آخر غير أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم وليس له إلا هذا الحديث.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٧/٤٥)، والنسائي (٤/١٩٠) والترمذي (٣/٤٠١) وقال حديث حسن، وقال: (... ولا يعرف لابن مالك هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث الواحد)، وابن ماجة (١/٥٣٣)، وأحمد (٤/٣٤٧)، وابن خزيمة (٢٠٤٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/٢/٢٩)، المزي في تهذيب الكمال (٣/٣٨٠) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٧٤).

ويلزمها القضاء بعدد الأيام التي أفطرتا متى تيسر لهما ذلك، ويزول عنهما الخوف، لأن المرضع والحامل بمنزلة المريض، والمريض أوجب عليه القضاء إذا زال عنه المرض وبرىء.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المرأة الحامل أو المرضع إذا أفطرتا خوفاً على نفسيهما فيجب عليهما القضاء فقط، وإذا أفطرتا خوفاً على ولديهما أفطرتا وأطعمتا عن كل يوم مسكين، وحجة هؤلاء قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤].

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: «كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصيام أن يفطرا أو يطعما مكان كل يوم مسكيناً والحبلى والمرضع إذا خافتا» قال أبو داود: يعني على أولادهما «أفطرتا وأطعمتا»(١).

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن امرأته سألته وهي حبلى فقال: «أفطري وأطعمي عن كل يوم مسكيناً ولا تقضي».

والخلاصة: أن المرضع والحامل تفطران وتقضيان سواء خافتا على أنفسهما أو على ولديهما، هذا هو الراجح من قولي أهل العلم، وإن أطعمتا خروجاً من الخلاف كان أولى. والله أعلم.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٦/ ٣١)، وابن الجارود (٣٨١)، والبيهقي (٤/ ٢٣٠) وابن جرير الطبري في تفسيره والقرطبي (٢/ ٢٨٨).

٥ـ الفطر للضرورة:

قد ألحق الفقهاء ـ رحمهم الله ـ مجموعة من أصحاب الأعذار غير ما سبق، يباح لهم الفطر منهم:

أ - من احتاج للفطر لدفع ضرورة غيره، كإنقاذ معصوم من الغرق أو الحرق أو الهدم أو نحو ذلك، فإذا كان لا يمكنه إنقاذه إلا بالتقوى على ذلك بالفطر من أكل وشرب جاز له ذلك، بل يجب لأن إنقاذ المعصوم من الهلكة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ويلزمه قضاء ما أفطره.

ب - من غلبه الجوع والعطش أبيح له الفطر دفعاً للضرر الحاصل عليه، بل قد يكون واجباً إذا تيقن الهلاك، ويستدل لذلك بالأدلة العامة التي تنفي الحرج وتقتضي التيسير ودفع المشقة مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء: ٢٩][(١)].

جـ - من أكره على الفطر إكراهاً ملجئاً بحيث ألزمه غيره أن يأكل أو يشرب ففعل ذلك ولا حيلة له في الامتناع فأفطر دفعاً للضرر الواقع عليه فهذا عليه القضاء ولا إثم عليه ـ إن شاء الله ـ شريطة أن يكون من أكرهه قادراً على إنزال الضرر به لو لم يمتثل لأمره[(٢)].

---

(١) انظر في ذلك، الصوم والإفطار لأصحاب الأعذار (ص ٢١).

(٢) المغني (٤/٣٧٧). الإنصاف (٣/٣١٢)، الشرح الصغير (٢/٢٥٩) المجموع (٦/٣٢٩) مغني المحتاج (١/٤٣٠).

وقيل ليس عليه شيء كما لو كان نائماً أو مغمى عليه وصب أحد الماء في حلقه، فإنه لا يفطر بذلك بل يواصل الصوم ولا قضاء عليه، وذلك لأن السُنة دلت على عدم الفطر مع عدم القصد كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه».

قلت: والذي تميل إليه النفس القول الأول، وهو من باب الأولى والاحتياط.

د- من احتاج للفطر للتقوي به على الجهاد في سبيل الله.

فإنه يباح الفطر في هذه الحالة وعليه القضاء بعدد ما أفطر من الأيام.

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام»، قال: فنزلنا منزلاً فقال رسول الله ﷺ: **«إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم»** فكانت رخصة، فمنا من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر فقال: **«إنكم مصبحوا عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا وكانت عزمة»**[١].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «فلو اتفق مثل هذا في الحضر وكان في الفطر قوة لهم على لقاء عدوهم فهل لهم الفطر؟ فيه قولان: أصحهما دليلاً أن لهم ذلك وهو اختيار ابن تيمية وبه أفتى العساكر لما لقوا العدو بظاهر دمشق»[٢].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦/٧) وغيره.

(٢) زاد المعاد (٥٣/٢).

القسم الثاني
من يرخص لهم الفطر وتجب عليهم الفدية

١ ـ الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة.

يرخص للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة الإفطار في رمضان أن عجزا عن الصيام.

عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ قال ابن عباس: «ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعمان مكان كل يوم مسكيناً»[١].

قال البخاري ـ رحمه الله ـ «وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعدما كبر عاماً أو عامين في كل يوم مسكيناً خبزاً ولحماً وأفطر»[٢].

وبهذا يتبين أن الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة إذا ضعفا على الصوم لا يجب عليهما القضاء، وإنما يجب عليهما الإطعام، وقد قدره أهل العلم بمد من البر، ربع الصاع النبوي[٣] أو يصنع طعاماً ويوزعه على المساكين.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٩٧/٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٣٠) كتاب التفسير.

(٣) قد مر بنا مقدار المد والصاع.

قال أهل العلم:

«ومتى أفطر العاجز عن الصيام وجب عليه أن يطعم عن كل يوم مسكيناً لأن الله جل وعلا جعل الإطعام معادلاً للصيام حين كان التخيير بينهما أول ما فرض الصيام، فتعين أن يكون بدلاً عنه عند العجز لأنه معادل له»(١).

(مسألة) هل يلزم أن يطعم كل يوم مسكيناً أو يجوز إطعام ثلاثين مسكيناً دفعة واحدة؟!.

يجوز لمن عليه فدية الطعام في رمضان أن يجمع ثلاثين مسكيناً ويطعمهم دفعة واحدة وقد فعل ذلك أنس بن مالك رضي الله عنه.

أخرج الدارقطني بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أنه ضعف عن الصوم فصنع جفنة من ثريد ودعا ثلاثين مسكيناً فأشبعهم»(٢).

٢ ـ المريض مرضاً مزمناً لا يرجى برؤه:

يرخص كذلك للمريض مرضاً مزمناً لا يرجى برؤه وذلك إذا أخبر بهذا الطيب المسلم الحاذق المؤتمن الموثوق بدينه، فإنه يفطر ولا قضاء عليه، ولكن يجب عليه إطعام عن كل يوم مسكيناً بنحو ما تقدم بيانه.

وهناك ثم قسم ثالث ألحقه الفقهاء ـ رحمهم الله ـ بأصحاب الأعذار غير ما تقدم وهو:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/٢١٥)، وفتح القدير (١/١٨٠).

(٢) صحيح: أخرجه الدارقني (٢/٢٠٧).

الهرم الذي بلغ الهذيان وسقط تمييزه، فهذا لا يجب عليه الصيام ولا الإطعام عنه، وذلك لسقوط التكليف عنه بزوال تمييزه، فأشبه الصبي قبل التمييز فإن كان يميز أحياناً ويهذى أحياناً أخرى، وجب عليه الصوم في حال تمييزه دون حال هذيانه[١].

وبهذا نكون قد انتهينا من أصحاب الأعذار الذين يباح لهم الفطر في رمضان على اختلاف أحوالهم، هذا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: المغني (٣٧٧/٤)، الإنصاف (٣١٢/٣)، الشرح الصغير (٢٥٩/٢)، المجموع (٣٢٩/٦)، مغني المحتاج (٤٣٠/١).

الواحة الإيمانية
الحادية عشرة
آداب وسنن الصوم

الإفطار وآدابه

١ـ متى يفطر الصائم؟

● عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»(١).

● وعن عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وهو صائم فلما غابت الشمس قال لبعض القوم: يا فلان قم فاجدح لنا فقال: يا رسول الله! لو أمسيت، قال: أنزل فأجدح لنا، قال: يا رسول الله! فلو أمسيت، قال: انزل فاجدح لنا، قال: إن عليك نهاراً، قال: انزل فاجدح لنا، فنزل فجدح لهم فشرب النبي ﷺ ثم قال: «إذا رأيتم الليل اقبل من هاهنا فقد أفطر الصائم»(٢).

يتضح مما تقدم أن الوقت الذي يفطر فيه الصائم له ثلاث علامات متلازمات وهي إقبال الليل من المشرق، وإدبار النهار من المغرب وغروب الشمس وجمع بينهما، لأنه قد يكون في وادٍ ونحوه، بحيث لا يشاهد غروب الشمس، فيعتمد على إقبال الظلام، وأصل هذه العلامات غروب

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١٧١) ومسلم (١١٠٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/١٧٢) ومسلم (١١٠١).

الشمس لأن به دخول الليل الذي جعله الله تعالى غاية لتمام الصوم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ [البقرة:١٨٧].

وتبين الليل من المشرق وانصراف النهار من المغرب، دليل على غروب الشمس ولا عبرة بالحمرة الشديدة الباقية في الأفق، فمتى كان الصائم في مكان غربت فيه الشمس حل له الإفطار.

٢ـ تعجيل الفطر:

يستحب للصائم تعجيل الفطر إذا تحقق غروب الشمس بمشاهدتها أو غلب على ظنه بسماع الأذان لأنه خبر موثوق به.

● عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[١].

● وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال أمتي على سنتي ما لم تنتظر بفطرها النجوم»[٢].

مما تقدم يتبين أن تعجيل الفطر أفضل، وفي ذلك خير عظيم، فمن ذلك محبة الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: إن أحبّ عبادي إليّ أعجلهم إفطاراً»[٣].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٩٨/٤)، ومسلم (١٠٩٨).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في زوائده (٩٨١) وأصله في الصحيحين كما تقدم.

(٣) حسن: أخرجه أحمد رقم (٨٣٤٢)، وابن خزيمة (٢٨٦/٣)، والترمذي (٣٧٦/٣) وقال الترمذي حديث حسن.

وفي تعجيل الإفطار إتباع هدي النبي ﷺ والعمل بسنته فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يعجل الإفطار فقد مر بنا في حديث عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ أن النبي كان يعجل الإفطار، وعن أبي عطية قال: دخلت أنا ومسروق على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقلنا: يا أم المؤمنين! رجلان من أصحاب محمد ﷺ أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة، والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة، قالت: أيهما الذي يعجل الإفطار ويعجل الصلاة؟ قال: قلنا: عبد الله بن مسعود، قالت: كذلك كان رسول الله ﷺ، زاد أبو كُريب: والآخر أبو موسى)(١).

وقد ورد أن تعجيل الإفطار من أخلاق النبيين كما قال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: «ثلاث من أخلاق النبوة: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور ووضع اليمين على الشمال في الصلاة»(٢).

وفي تعجيل الإفطار مخالفة لليهود والنصارى الذين نهينا عن التشبه بهم في عبادتنا وعادتنا، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر، لأن اليهود والنصارى يؤخرون»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢/٧٧١) رقم (١٠٩٩).

(٢) موقوف صحيح: رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (٢/١٠٥) وقال: «... مرفوعاً وموقفاً على أبي الدرداء، والموقوف صحيح، والمرفوع في رجاله من لم أجد من ترجم له».

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢/٤٥٠)، وأبو داود (٦/٤٨٠) والنسائي في الكبرى (٢/٢٥٢) وابن ماجة (١٦٩٨)، والبيهقي (٤/٢٣٧) وابن خزيمة (٢٠٦٠) وقال الحاكم (١/٤٣١) صحيح على شرط مسلم وصححه ابن حبان (٣٥٠٣).

وفي تعجيل الإفطار تيسير على الناس، وبعد عن صفة التنطع والغلو في الدين، وقد امتثل هذا الأدب خير القرون من صحابة رسول الله ﷺ قال البخاري رحمه الله تعالى: «وأفطر أبو سعيد الخدري حين غاب قرص الشمس»(١). وقال عمرو بن ميمون الأودى ـ رحمه الله ـ: «كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً»(٢).

(مسألة) فيمن أفطر يظن الشمس قد غربت

ومن أفطر يظن أن الشمس قد غربت وهي لم تغرب فصومه صحيح، لأنه معذور، ويمسك عن الأكل والشرب حتى تغرب، لأنه كمن أكل ناسياً والناسي كالمخطيء حكمهما واحد، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وإذا كان الناسي لا قضاء عليه، فالمخطيء كذلك، وقد ورد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «أفطرنا على عهد رسول الله ﷺ يوم غيم ثم طلعت الشمس»(٣).

---

(١) فتح الباري (٤/١٩٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤/٢٢٦) وقال الحافظ في الفتح (٤/١٩٩) إسناد صحيح.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤/١٩٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وهذا يدل على شيئين: أنه لا يستحب مع الغيم التأخير إلى أن يتيقن الغروب، فإنهم لم يفعلوا ذلك ولم يأمرهم به النبي ﷺ، والصحابة مع نبيهم أعلم وأطوع لله ولرسوله ممن جاء بعدهم».

والثاني: لا يجب القضاء فإن النبي ﷺ، لو أمرهم بالقضاء لشاع ذلك ولنقل ذلك كما نقل فطرهم، فلما لم ينقل ذلك دل على أن أنه لم يأمر به، فإن قيل: فقد قيل لهشام بن عروة: أمروا بالقضاء؟ قال: أوَبُد من القضاء؟!.

قيل: هشام قال ذلك برأيه، لم يرد ذلك في الحديث، ويدل على أنه لم يكن عند بذلك عِلْمٌ، أن معمراً روى عنه قال: سمعت هشاماً قال: لا أدري أقضوا أم لا؟ ذكر هذا، وهذا عنه البخاري، والحديث رواه عن أمه فاطمة بنت المنذر عن أسماء، وقد نقل هشامٌ عن أبيه عروة أنهم لم يؤمروا بالقضاء وعروة أعلم من ابنه ...)[1] والله أعلم.

٣ـ ما يستحب الإفطار عليه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رُطبات قبل أن يصلي، فإن لم يكن رطبات فتمرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء»[2].

---

(١) حقيقة الصيام (ص ٣٣، ٣٤)، وانظر مجموع الفتاوى (٢٥/٢٣١) وفتح الباري (٤/١٩٩).

(٢) حسن: رواه أحمد (٣/١٦٣)، وأبو داود (٦/٤٨١)، والترمذي (٣/٣٨١) وقال: هذا حديث حسن، ورواه ابن خزيمة (٣/٢٢٧)، انظر: الزرواء (٤/٤٥).

دل الحديث على بعض آداب الإفطار التي ينبغي للصائم أن يتأس بنبيه ﷺ فيها، ومن ذلك الإفطار قبل صلاة المغرب، وهذا - والله أعلم - إشارة إلى كمال المبالغة في استحباب تعجيل الفطر والمبادرة به.

ومن هذه الآداب أيضاً: الإفطار على رطب فإن لم يتيسر أفطر على تمر (وهو يابس ثمر النخل) فإن لم يتيسر فعلى ماء، والبلاد التي لا يوجد فيها الرطب أو التمر يغني عنه بعض الفواكه الأخرى أو شيء من الحلوى، فإن لم يتيسر ذلك فعلى الماء.

عن سلمان بن عامر الضبي يبلغ به النبي ﷺ قال: **«إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، إنه بركة، فإن لم يجد فعلى الماء فإنه طهور»**(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ كان إذا أفطر بدأ بالتمر»(٢).

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: «ما رأيت النبي ﷺ قط يصلي حتى يفطر ولو على شربة ماء»(٣).

والاقتصار على الرطب والماء عند الإفطار له فائدة طبية، وهي ورود الغذاء على المعدة بالتدرج، حتى تتهيأ للطعام بعد ذلك، قال ابن

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣/٣٨١) وقال: حديث حسن صحيح، وانظر: كتاب الصيام، للفريابي (ص٦٤).

(٢) رواه الفريابي في كتاب (الصيام) (ص ٦٦) ورجاله ثقات.

(٣) رواه الفريابي في (الصيام) ص (٦٧) وإسناده صحيح.

القيم رحمه الله تعالى: «وفي فطر النبيﷺ من الصوم على الرطب أو التمر أو الماء تدبير لطيف جداً، فإن الصوم يُخلي المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى القوى والأعضاء.

والحلو أسرع شيء وصولاً إلى الكبد وأحبه إليها، ولا سيما إن كان رطباً، فيشتد قبولها فتنتفع به هي والقوى، فإن لم يكن فالتمر لحلاوته وتغذيته، فإن لم يكن فحسوات من الماء تطفيء لهيب المعدة وحرارة الصوم، فتنتبه بعده للطعام وتأخذه بشهوة»[1] أ. هـ.

٤ ـ الدعاء عند الإفطار:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ **«ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم»**[2].

ففي الحديث دليل على أنه ينبغي للصائم أن يغتنم لحظات الإفطار، وأوقات الإجابة فيدعو بما أحب من الخير، فإن له دعوة مستجابة فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد» قال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا أفطر: **«اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي»**[3].

---

(١) زاد المعاد (٢/٥٠)، (٤/٣١٣).

(٢) حسن لشواهده: أخرجه الترمذي (١٠/٥٦) وابن ماجة (١٧٥٢)، وقال الترمذي: حديث حسن، قلت: والحديث له شواهد يحسن بها والله أعلم.

(٣) رواه ابن ماجة (١٧٥٣) والحاكم (١/٤٢٢) وابن السني (٤٨١)، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح، انظر الزوائد (ص ٢٥٤)، وضعفه الألباني في الإرواء رقم (٩٢١)، والصواب أن الحديث له ما يؤيده ويشهد له، انظر تنبيه القاريء) للشيخ عبد الله الدويش رحمه الله (ص ٧٨، ٧٩). والله أعلم.

ومما يستحب أن يقول عند فطره، ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبيﷺ يقول إذا أفطر: ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»[١].

فعلى الصائم أن يغتنم هذا الوقت، ويدعو بحضور قلب موقن بالإجابة في وقت ترجى فيه الإجابة، فإنه وقت ذل وانكسار بين يدي الله تعالى مع كونه صائماً، ويكرر الدعاء ثلاثاً.

قال النبي ﷺ «إن لله عتقاء في كل يوم وليلة، لكل عبد منهم دعوة مستجابة»[٢] وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لله عند كل فطر عتقاء»[٣].

فمن دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع وهو صائم ولم يمنع من إجابة الدعاء مانع كأكل الحرام ونحوه، فهو حري بأن يجاب له الدعاء، لأن الله تعالى قد وعده بالإجابة، وخصوصاً إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره، واجتناب نواهيه القولية

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٢/٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٩٦)، والبيهقي (٢٣٩/٤)، والحاكم (٤٢٢/١) وابن السني (٤٧٨)، والدارقطني (١٨٥/٢) وقال: إسناده حسن.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد رقم (٧٤٤٣) وانظر كلام الشيخ أحمد شاكر عليه.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٩/١٠ الفتح الرباني) وقال المنذري: (رواه أحمد بإسناد لا بأس به والطبراني والبيهقي..) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٤٩١/١).

والفعلية، والإيمان به الموجب للاستجابة(١) قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦].

وعليه أن يلح في الدعاء وطلب الغفران فإنه شهر فاضل وموسم عظيم من مواسم الخير والعبادة.

٥ـ دعاء الصائم لمن أفطر عنده:

ينبغي للصائم إذا أفطر عند قوم أن يدعو لهم جزاءً لصنيعهم معه وشكراً لهم على ما قدموه له من معروف.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبي ﷺ **«أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة»**(٢).

ويجوز كذلك لمن أفطر عنده أحد الصائمين أن يطلب رب البيت ممن قام بإفطاره أن يدعو له.

فعن عبد الله بن بسر قال: نزل رسول الله ﷺ على أبي قال: فقربنا إليه طعاماً ورطبة فأكل منها ثم أتى بتمر فكان يأكل ويلقي النوى بين إصبعيه، ثم أتى بشراب فشربه، ثم ناوله الذي عن يمينه قال: فقال

---

(١) قلت: قد بسطنا القول في ذلك عند الحديث في فضائل رمضان وفضائل الصيام فراجعه إن شئت.

(٢) صحيح لغيره رواه أبو داود (٦/٤٨٣) والنسائي (٢٩٧) وابن ماجة (١٧٤٧) وأحمد (٣/١١٨) والبيهقي (٤/٢٣٩ - ٢٤٠) وابن حبان (٧/٣٥٠) وصححه النووي والعراقي في تخريج الأحياء (٢/١٣).

أبي وأخذ بلجام دابته : ادع الله لنا ، فقال : «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم» [(١)].

●كلمة لا بد منها

ومن آداب الإفطار التي ينبغي للصائم أن يراعيها عدم المبالغة في تقديم صنوف الأطعمة وأنواع الأشربة عند الإفطار، فإن هذا خلاف سُنة النبي ﷺ ، وهذا الأمر يُشغل عن المبادرة لحضور صلاة المغرب مع الجماعة، بل قد يُفوِّتها معهم بالكلية، وذلك لقلة وقت الانتظار فيها، قال ابن العربي ـ رحمه الله : (كان النبي ﷺ يفطر قبل أن يصلي على شيء يسير لا يشغله عن الصلاة، وفيه ثلاث فوائد: تعجيل الإفطار وتفريغ البال للصلاة، وفصل ما بين زمان العبادة والعبادة وبينهما في أنفسهما) [(٢)].

ولا ينبغي للصائم الإسراف في طعام العشاء في رمضان والإكثار من الأكل فإن رمضان موسم طاعة وعبادة وليس موسم للتسمين وتقديم الموائد وتنويع المأكولات، إن رمضان فرصة يتعلم فيها الصائم الاقتصاد وتدبير المعيشة.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٣/٢٢٥) والترمذي (١٠/٢٩) تحفة، وأبو داود (٣٧٢٩) والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٩١)، وأحمد (٤/١٨٨)، والبيهقي (٧/٢٧٤)، وقال الترمذي حسن صحيح، وحسنه ابن حبان في (بذل الإحسان) (٧/٣٥٠).

(٢) عارضة الأحوذي (٣/٢١٥، ٢١٦).

وفي تنويع الأطعمة والإكثار منها إشغال لربات البيوت عن تلاوة القرآن وذكر الله تعالى، حتى صار رمضان عند كثير من الأسر موسماً لتنويع المأكولات والمشروبات، وكأنهم يريدون أن يعوِّضوا ما فاتهم في نهار الصيام، ولا أدل على ذلك من استعداد الأسواق قُبيل رمضان بكل ما لذ وطاب مما يثير الرغبات والشهوات، حتى صار شهر رمضان شهر التخمة والبطنة والتنعم، بعد أن كان شهر الصبر والعبادة والجهاد، والله المستعان.

إن الاقتصاد في وجبة العشاء في رمضان، يجعل الصائم في حالة صحية يستطيع معها أن يقوم لصلاة التراويح، والتهجد في الليل بكل نشاط ورغبة وهذا أمر ملحوظ فإنه إذا ملأ بطنه بالطعام احتاج إلى الشرب فيرتخي جسده، وتتخدر أعضاؤه فيكسل عن العبادة ولا ينتفع بنفسه باقي ليلته.

فعلى الصائم أن يأخذ بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ما ملأ ابن آدم وعاءً شر من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)(١).

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٣٢/٤)، والترمذي (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة (٣٣٤٩) وابن حبان (٤٤٩/٢) والحاكم (١٢١/٤) وغيرهم، وله طرق أخرى، انظر: ارواء الغليل (٤١/٧).

وإذا كان الصائم قد ترك في نهار رمضان جميع مألوفاته التي إعتادها احتساباً لله تعالى ووفاء بأمانة الصوم الذي أضافه الله إليه، مما يدل على قوة إرادته وصدق عزيمته، فحري به أن لا يفعل عند الإفطار ما يخل بهذه القوة أو يوهنها، فيفطر على ما حرَّم الله، فيهدم في ليله ما بناه في نهاره فيضيع الحزم ويُبرهن على ضعف إرادته وقلة صبره.

ومن ابتلي بشرب الدخان أو غيره من العادات الضارة فعليه أن يستغل مدرسة شهر الصوم، فيصوم عنه في ليله كما صام عنه في نهاره ليهجره إلى غير رجعة، عليه أن يواصل عزيمته وقوة إرادته بالليل كما كانت بالنهار، ويهجر المجالس السيئة، ويعتاض عنها بمجالس أهل الخير والصلاة، فهي عون له على ذلك بعد إعانة الله وتوفيقه.

اللهم وفقنا لصالح الأعمال، وجنبنا سيئات الأقوال والأفعال واحفظ صيامنا، وألهمنا ذكرك وشكرك وارزقنا حب أوليائك وبغض أعدائك وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

***

السحور وآدابه

١ ـ الأمر بالسحور وما فيه من البركة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تسحروا فإن في السحور بركة»(١).

في هذا الحديث دليل على أن الصائم مأمور بالسحور، لأن فيه خيراً كثيراً وبركة عظيمة دينية ودنيوية، وذكر النبيﷺ البركة في السحور من باب الحض عليه والترغيب فيه.

والسحور بفتح السين ما يؤكل في وقت السحر، وهو آخر الليل، وبضم السين: الفعل وهو أكل السحور، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «من أراد أن يصوم فليتسحر بشيء»(٢).

وهذا الأمر في هذا الحديث أمر استحباب لا أمر إيجاب بالإجماع، بدليل أن النبي ﷺ واصل وواصل أصحابه معه(٣).

عن عبد الله بن الحارث يحدث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وهو يتسحر فقال: «إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوه»(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١٣٩)، ومسلم (١٠٩٥).

(٢) حسن لغيره: رواه أحمد (٣/٣٦٧) وابن أبي شيبة (٣/٨) وغيرهما وهو من رواية شريك بن عبد الله النخعي، وهو سيىء الحفظ، لكن له شاهداً مرسلاً عند سعيد بن منصور في سننه بلفظ (تسحروا ولو بلقمة) كما ذكر ذلك الحافظ في الفتح (٤/١٤٠). وانظر المسند: تحقيق الأرناؤوط (٢٣/٢٠٨).

(٣) قلت: قد سبق لنا أن تكلمنا عن الوصال وأنه منهي عنه وهو من خصائص النبي ﷺ.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٥/٢٧٠)، والنسائي (٤/١٤٥).

ففي السحور بركة عظيمة وفوائد جليلة وحكمة بالغة وأجر كبير فمن ذلك:

١ - أن من بركة السحور اتباع لهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم والسير على سنته وأن السحور خُلْق من أخلاق الأنبياء والمرسلين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نؤخر سحورنا ونعجل فطرنا وأن نمسك أيماننا على شمائلنا في صلاتنا»**(١).

٢- ومن بركة السحور التقوي على العبادة والاستعانة على طاعة الله في النهار من صلاة وصيام وذكر وقراءة للقرآن، فإن الجائع يكسل عن العبادة كما يكسل عن العمل وهذا أمر محسوس.

٣- ومن بركة السحور مدافعة سوء الخلق الناتج عن الجوع، فالمتسحر طيب النفس حسن المعاملة.

٤ - ومن بركة السحور تحصل بسببه الرغبة في الازدياد من الصيام وذلك لخفة المشقة فيه على المتسحر، فيرغب في الصيام، ولا يتضايق منه.

٥ - ومن بركة السحور أن الإنسان يقوم آخر الليل للذكر والدعاء والصلاة، وذلك مظنة الإجابة، ووقت صلاة الله والملائكة على

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في (الكبير) (١١/١٩٩) رقم (١١٤٨٥) والأوسط كما في مجمع البحرين (٣/١١٠) رقم (١١٥١١) وصححه الزرقاني في شرح الموطأ والألباني في صحيح الجامع.

المتسحرين لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ « السحور أكله بركة فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»[١].

٦- ومن بركة السحور وحكمته البالغة أن فيه مخالفة لأهل الكتاب الذي أمرنا الله ورسوله عن مخالفتهم في كل شيء وعدم التشبه بهم في أي شيء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر »[٢]. وفي رواية (السحور).

٧- ومن بركة السحور صلاة الفجر مع الجماعة في وقتها الفاضل.

ولذا تجد أن المصلين في صلاة الفجر في رمضان أكثر منهم بكثير في غيره من الشهور، وذلك لأنهم قاموا من أجل السحور.

فينبغي لصائم أن يحرص على السحور ولا يتركه لغلبة النوم أو غيره، وعليه أن يكون سهلاً ليناً عند إيقاظه من النوم، طيب النفس، مسروراً بامتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على الخير، لأن نبينا صلى الله عليه وسلم أكد على السحور ورغب فيه، وبين أنه شعار صيام المسلمين وأنه الفارق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب ونهى عن تركه.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٨/٣) وأحمد (١٠/١٥ - ١٦)، والحديث في سنده ضعف لكن له طرق يقوي بعضها بعضاً وله شواهد انظر المسند بتحقيق الأرناؤوط (١٧/١٥٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٧/٧) رقم (١٠٩٦).

٢ ـ ما يستحب عند السحور:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «نعم سحور المؤمن التمر» [١].

ففي الحديث دليل أنه يستحب عند السحور التمر لما فيه من الفوائد والتي سبق وتكلمنا عليها في آداب الإفطار.

ويدل الحديث كذلك على أن السحور يحدث بأقل ما يناوله الإنسان من أكل وشرب.

٣ ـ تأخير السحور:

عن أنس عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما أنه قال: تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام إلى الصلاة قلت: كم كان بين الأذان والسحور، قال: قدر خمسين آية) [٢].

ففي الحديث دليل على أنه يستحب تأخير السحور إلى قبيل الفجر، فقد كان بين فراغ النبي صلى الله عليه وسلم ومعه زيد رضي الله عنه من سحورهما ودخولهم في الصلاة قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية من القرآن، قراءة متوسطة لا سريعة ولا بطيئة، وهذا قريب على أن وقت الصلاة قريب من وقت الإمساك.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال: كنت أتسحر مع أهلي ثم تكون سرعة بي أن أدرك صلاة الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٦/٤٧٠)، وابن حبان (٢٢٣) زوائد، والبيهقي (٤/٢٣٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢/٥٤)، (٤/١٣٨) ومسلم (١٠٩٧).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢/٥٤)، (٤/١٣٧).

والمراد بالأذان في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: الإقامة، سميت أذاناً لأنها إعلام بالقيام من الصلاة.

وقد ورد في صحيح البخاري أنه قيل لأنس: كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة: قال: ما يقرأ الرجل خمسين آية)[١].

قال الحافظ في الفتح: (وهو قدر ثلث خمس ساعة)[٢] أ. هـ. أي: أربع دقائق[٣].

وتعجيل السحور من منتصف الليل جائز لكنه خلاف السُنة، فإن السحور سمي بذلك لأنه يقع في وقت السحر وهو آخر الليل كما تقدم.

والإنسان إذا تسحر نصف الليل قد تفوته صلاة الفجر لغلبة النوم، ثم إن تأخير السحور أرفق بالصائم وأدعى إلى النشاط، لأن من مقاصد السحور تقوية البدن على الصيام، وحفظ نشاطه فكان من الحكمة تأخيره.

فينبغي للصائم أن يتقيد بهذا الأدب النبوي، ولا يتعجل بالسحور.

ومما يؤسف له أن أناساً يتسحرون نصف الليل، لأنهم يسهرون أمام آلات اللهو والمجون، أو في مجالس اللغو والاجتماعات الآثمة، فهؤلاء مع سهرهم المحرَّم مخالفون للسُنة في الأكل في السحر آخر الليل، ومنهم من ينام بعد الأكل ولا يستيقظ لصلاة الصبح إلا بعد طلوع الشمس تعمداً.

---

(١) انظر: فتح الباري (٢/٥٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٤/١٣٨).

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين علامة القصيم ـ حفظه الله ـ: لكني قرأتها فبلغت نحو ست دقائق (تنبيه الأفهام) (٣/٣٨).

فهذا قد أضاع فريضة عظيمة من أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين أضاعها في أفضل الأوقات، وهو متوعد إذا لم يتب إلى ربه ويهتم بصلاته بقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾ [الماعون:٤-٥]. والويل أي: الهلاك لمن غفل عن الصلاة، وقال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝ ﴾ [مريم:٥٩]. أضاعوا الصلاة: لم يتركوها بالكلية ولكن أدوها في غير وقتها، والغي واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه) نسأل الله العافية.

٤ـ صفة الفجر الصادق والفجر الكاذب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الفجر فجران، فأما الأول بأنه لا يحرم الطعام ولا يحل الصلاة أما الثاني فإنه يحرم الطعام ويحل الصلاة**»[(١)] .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا**»[(٢)] وحكاه: حماد بيده قال يعني معترضاً.

ففي الحديث بيان من الرسول صلى الله عليه وسلم أن الفجر فجران:

---

(١) صحيح لغيره: رواه الحاكم ١٩١٩/١، والدارقطني (١٦٥/٢) والبيهقي (٢١٦/٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٥/٧) رقم (١٠٩٤).

أ - فجر كاذب: وهو لا يحل صلاة الصبح ولا يحرم الطعام على الصائم، وعلامته هو البياض المستطيل الساطع المصعد كذنب السرحان.

ب- فجر صادق: وهو الذي يحرم الطعام على الصائم ويحل صلاة الفجر، وعلامته هو الأحمر المستطير المعترض على رؤوس الشعاب والجبال المنتشر في الطرق والسكك والبيوت، وهذا هو الذي تتعلق به أحكام الصيام والصلاة.

هذا وقد دلت السُنة على العمل بآذان المؤذن إذا كان ثقة عارفاً الوقت وأذن بعد تبين الفجر، لكن يلاحظ اليوم على كثير من المؤذنين - هداهم الله - أنهم يؤذنون قبل الوقت، يزعمون أنهم يحتاطون لصيام الناس، وهذا الاحتياط غير صحيح ولا دليل عليه وليس له وجه مسوغ، وذلك لأن الاحتياط هو لزوم ما جاء به الشرع ما دامت النصوص واضحة جلية، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أن بلالاً كان يؤذن بليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر) قال القاسم ابن محمد: لم يكن بين أذانهما إلا أن يرقى ذا وينزل ذا)[1].

ومن المفاسد التي تترتب على الأذان قبل دخول الوقت، صلاة من لا جماعة عليه من نساء ومعذورين قبل دخول الوقت، وكذلك تحريم ما هو حلال من أكل وشرب وغيره مما يباح للصائم في ذلك الوقت.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٦/٤)، ومسلم (٢٠٢/٧، ٢٠٣).

فعلى المؤذنين أن يتحروا وقت دخول الفجر حتى لا يوقعوا الناس في الحرج والمؤذنون هم أمناء الناس على صلاتهم وسحورهم فعليهم أن لا يؤذنوا إلا إذا تبين لهم الصبح إما بمشاهدة أو علم عن حساب دقيق.

والإمساك قبل الفجر من قبيل الاحتياط مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على نحو ما تقدم. والله أعلم.

٥ـ مسائل تتعلق بالسحور:

(أ) من سمع الأذان والإناء بيده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه»**(١).

فالحديث دلالته واضحة فيمن سمع الأذان والإناء في يديه يريد أن يشرب أو يأكل فلا يتركه حتى ينتهي منه، والنداء هنا هو الأذان للفجر الثاني (الصادق) ودل على ذلك قوله: (فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه) ومن المعروف أن الصائم لا يمسك إلا عند طلوع الفجر الثاني، وكذلك قوله في رواية أخرى عند أحمد (٢/٥١٠) (وكان المؤذن يؤذن إذا بزغ الفجر).

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢/٥١٠)، والحاكم (١/٤٢٦)، ثم قال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه. قلت: كلا فإن محمد بن عمرو لم يخرج له مسلم إلا في المتابعات، والحديث حسنه علامة اليمين الشيخ مقبل بن هادي االوادعي في (الصحيح) مما ليس في الصحيحين رقم (١٢٦٤).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (وقد روى النسائي عن زر قال: قلنا لحذيفة: أي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: (هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع)[(١)].

ب- من أكل بعد طلوع الفجر يظن أن الفجر لم يطلع:

من أكل بعد طلوع الفجر يظن أن الفجر لم يطلع ثم تبين له بعد ذلك أنه قد طلع الفجر فصومه صحيح ولا قضاء عليه، لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة:١٨٧].

فأباح الله تعالى الأكل حتى يتبين الفجر، والمباح المأذون فيه لا يؤمر فاعله بالقضاء. والله أعلم.

جـ ـ من أكل أو شرب شاكاً في طلوع الفجر:

ذهب ابن عباس وعطاء وهو مروي عن أبي بكر وابن عمر والأوزاعي والشافعي وأحمد ،أبي حنيفة والمشهور عن مالك أنه لا قضاء عليه[(٢)].

قلت: أي صومه صحيح، وهذا هو الراجح إن شاء الله، والأظهر بدلالة ظاهر الآية المتقدمة ولحديث أذان ابن أم مكتوم المتقدم والله أعلم.

---

(١) تهذيب السنن (٦/ ٤٧٦).

(٢) وللمزيد انظر المجموع (٦/٣٣٥ - ٣٣٦).

د - فيمن تسحر ونوى الصيام ثم عرض له عارض من أكل أو شرب أو نحوه.

من تسحر ثم نوى الصيام ثم عرض له أن يأكل أو يشرب أو يتناول دواء أو أي شيء مما يباح له فله ذلك ما لم يطلع الفجر، لأن الصوم الشرعي لا يبدأ إلا من طلوع الفجر، وليست نية ترك الطعام قبل الفجر تحرم شيئاً من ذلك. والله أعلم.

كلمة لا بد منها:

أخي الصائم:

إن من جملة الآداب التي تختص بالسحور ونص عليها أهل العلم أن لا يسرف الصائم في وجبة السحور، فيملأ بطنه بالطعام، بل يأكل مقدار يعينه على تحمل الجوع ومشقة الصوم، فلا يملأ بطنه حتى لا يستطيع الحركة إلا بشق الأنفس، فإنه ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه[(١)].

ومتى شبع الصائم وقت السحر لم ينتفع من وقته إلى قريب الظهر، لأن كثرة الأكل تورث الكسل والفتور، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم (نعم سحور المؤمن التمر)[(٢)]. إشارة إلى هذا المعني، فإن التمر بالإضافة إلى قيمته الغذائية العالية فهو خفيف على المعدة سهل الهضم، والشبع إذا قارنه سهر بالليل ونوم بالنهار فقد فات به المقصود من الصيام والله المستعان.

(١) جزء من حديث تقدم وهو حديث حسن.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

اللهم إنا نسألك من الخير كله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله ما علمنا منه وما لم نعلم، وجنبنا منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

٦- لحظات السحر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له)[(١)].

فهذا الحديث دليل على فضل الدعاء والسؤال والاستغفار آخر الليل وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين الذين يدخلون الجنة خالدين فيها، فذكر من صفاتهم الاستغفار في وقت الأسحار، قال تعالى: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٧]. وقال تعالى: ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات:١٨].

فعلم من ذلك أن وقت السحر وقت شريف، ففي الحديث المتقدم دليل على أن الدعاء فيه مستجاب، وذلك إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع لأن الله تعالى وعد بالاستجابة لمن دعاه، وإعطاء من سأله، والمغفرة لمن طلب منه المغفرة.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣/٢٩) ومسلم (٧٥٨).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله! أي الدعاء أسمع قال: جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات)[١] .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (إن جوف الليل إذا اطلق فالمراد به وسطه، وإن قيل جوف الليل الآخر فالمراد به: وسط النصف الثاني، وهو السدس الخامس من أسداس الليل، وهو الوقت الذي فيه النزول الإلهي)[٢] .

وهذا الوقت من الأوقات التي ينبغي للعبد ـ ولا سيما في رمضان ـ أن يغتنمه، ولا يضيعه بالغفلة والنوم والكسل، فإنه وقت النزول الإلهي الذي يليق بجلال الله وعظمته من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه.

قال القحطاني ـ رحمه الله ـ في نونيته:

والله ينزل كل آخر ليلة ... لسمائه الدنيا بلا كتمان
فيقول هل من سائل فأجيبه ... فأنا القريب أجيب من ناداني
حاشا الإله بأن تكيف ذاته ... فالكيف والتمثيل منتفيان

قال ابن بطال: (هو وقت شريف خصه الله بالتنزيل فيه، فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم، وإعطاء سؤلهم، وغفران ذنوبهم وهو وقت غفلة وخلوة واستغراق في النوم واستلذاذ له، ومفارقة اللذة والدعة صعب لا سيما أهل الرفاهية، وفي زمن البرد، وكذا أهل التعب، ولا سيما في قصر الليل، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه مع ذلك، دل

---

(١) حسن بشواهده: أخرجه الترمذي (٩/ ٤٧١) والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٨٦).

(٢) جامع العلوم والحكم شرح الحديث التاسع والعشرين من الأربعين النووية.

على خلوص نيته وصحة رغبته في ربه، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي لا تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا وعلقها ليستشعر العبد الجد والإخلاص لربه)[١].

وفي هذه الليالي المباركة يجتمع للمؤمن في الليل ساعة الإجابة والنزول الإلهي، والسجود، وشرف الزمان وهو في رمضان، وقد كان السلف الصالح من هذه الأمة يواظبون على قيام الليل ولا سيما في شهر رمضان تأسياً بنبيهم صلى الله عليه وسلم.

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه وذلك كل ليلة»**[٢].

وإذا كان الإنسان يقوم آخر الليل لأكلة السحور، أليس حرياً به أن يقوم وفي نيته أن يناجي علام الغيوب! فليقم قبل ذلك بوقت كاف للذِّكر والدعاء وتلاوة القرآن والصلاة، وأن يكون حاضر القلب، محتسباً لله تعالى في قيامه، وأن يحرص على الإخلاص والخشوع في صلاته، فعسى أن يكون له نصيب من قول النبي صلى الله عليه وسلم **«أيها الناس أفشوا**

---

(١) فتح الباري (١١/١٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٥٧).

السلام، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[(١)].

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من شرك وعمل، ونسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، ومن العمل ما تحب وترضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله وتوفيقه الانتهاء من الجزء الأول من كتاب (**واحات الإيمان في ظلال شهر رمضان**) ويليه الجزء الثاني - إن شاء الله - ويبدأ بالواحة الإيمانية الثانية عشرة وهي (صفة صوم النبي ﷺ في رمضان) وكان الفراغ من ذلك مساء يوم الإثنين الموافق ١٤٢٢/٣/٥هـ - ٢٠٠١/٥/٢٨م.

وكتبه
الفقير إلى عفو ربه المنان
أبوعبدالرحمن خالد بن حسين بن عبدالرحمن
الرياض - حي السويدي - ش السويدي العام
ت: ٠١/٢٦٧٢٢١٨

---

(١) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٢٥٣٨٠، ٢٥٧٣١، ٣٥٨٣٦) وأحمد (٥/٤٥١)، وعبد بن حميد في المنتخب (٤٩٦) والدارمي (١/٣٤٠) والترمذي (٤/٦٥٢/٢٤٨٥) وابن ماجة (١/٤٢٣/١٣٣٤، ٣٢٥١) وابن السني (٢١٥) والحاكم (٣/١٣)، (٤/١٦٠) والقضاعي (١/٤١٨/٧١٩)، والبيهقي (٢/٥٠٢) والبغوي (٤/٤٠/٩٢٦) والاصبهاني في الترغيب (٤٠١، ٢٠٥٢) وقال الترمذي والبغوي: حسن صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما وأقره المنذري والنووي والذهبي والعسقلاني في الفتح والألباني في الصحيحة.

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله فهرس الجزء الأول من كتاب
(**واحات الإيمان في ظلال شهر رمضان**) .

وضعه
خالد بن حسين بن عبدالرحمن
غفر الله له ولوالديه والمسلمين
آمين

واحات الإيمان

في ظلال شهر رمضان

أحكام . وآداب . وسنن . وفضائل وقصص

ودروس . ومواعظ . وعبر

الجزء الثاني

(١٣ - ٢٠)

تأليف

أبي عبد الرحمن خالد بن حسين بن عبد الرحمن

مكتبة الرشد

الرياض

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

* المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ طريق الحجاز
ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١
E-MAIL: alrushd@suhuf.net.sa
www.alrushd.com

* فرع مكة المكرمة: ـ هاتف ٥٥٨٥٤٠١ ـ ٥٥٨٣٥٠٦
* فرع المدينة المنورة: ـ شارع أبي ذر الغفاري ـ هاتف ٨٣٤٠٦٠٠
* فرع القصيم بريدة طريق المدينة ـ هاتف ٣٢٤٢٢١٤
* فرع أبها: ـ شارع الملك فيصل هاتف ٢٣١٧٣٠٧
* فرع الدمام: ـ شارع ابن خلدون ـ هاتف ٨٢٨٢١٧٥

وكلاؤنا في الخارج

* الكويت: ـ مكتبة الرشد ـ حولي ـ هاتف: ٢٦١٢٢٤٧
* القاهرة: ـ مكتبة الرشد ـ مدينة نصر ـ هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥
* بيروت: ـ الدار اللبنانية ـ شارع الجاموس ـ هاتف: ٠٠٩٦١٣٨٤٣٤٥٧
* عمان: الاردن ـ دار النبلاء ـ هاتف: ٥٣٣٢٦٥٨

واحات الإيمان
في فضائل
شهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

ح خالد بن حسين عبدالرحمن

عبد الرحمن، خالد بن حسين
واحات الإيمان في ظلال شهر رمضان، الرياض.
، ص ١٧ × ٢٤سم
ردمك: □ - - -
١- أ- العنوان.
ديوى /

رقم الإيداع : /

ردمك: □ - - -

الواحة الإيمانية الثانية عشرة

صفة صوم النبي ﷺ في رمضان

صفة صوم النبي ﷺ في رمضان

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله، فرض الصيام على عباده مِنَّة منه وفضل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ورسوله خيرٌ من صام وقام، ونال عظيم الأجر والفضل، وارض اللهم عن آل بيته الطيبين وصحابته المخلصين، الذين كانوا بهديه مهتدين وبسنته متبعين ومن سار على دربهم وسلك طريقهم ونسج على منوالهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

أخي الكريم: فهذه جولة يسيرة في رياض السيرة النبوية العطرة نتعرف من خلالها على بعض الشيء من هدي النبي ﷺ في رمضان.

● رحلة إلى مدينة رسول الله ﷺ :

أخي المسلم:

تعالى بنا وانهض معي لنركب سوياً زورق الزمان لنخترق الزمان الغابر اختراقاً تاريخياً عبر الخلوات والفلوات والصحارى والقفار، فإذا بنا نصل إلى يثرب الأنصار حاضرة الإسلام الأولى وحاضنته، إلى طيبة الطيبة مدينة رسول الله ﷺ.

فإذا بنا نجد أن الصيام قد فرض في السنة الثانية للهجرة يوم الاثنين من شهر شعبان، وقد صام الرسول ﷺ والمسلمون شهر رمضان من نفس العام وكان بداية صيامهم يوم الأحد.

فتعالى بنا أخي الكريم لنسير مع رسول الله ﷺ في هذا الشهر لنستضيء بنور هديه صلى الله عليه وسلم.

أسأل الله أن يرزقنا حسن الاقتداء وجميل الاتباع برسول الله ﷺ:

١ - هدي النبي ﷺ بتحري دخول رمضان، وذلك برؤية الهلال أو إكمال عدة شعبان ثلاثون يوماً.

كان من هديه ﷺ عدم الصوم والشروع فيه إلا إذا ثبت دخول شهر رمضان ثبوتاً يقينياً، وذلك إما برؤية الهلال رؤية واضحة لا لبس فيها ولا غموض أو بإكمال عدة شهر شعبان ثلاثون يوماً.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صوموا لرؤيته وأفطر لرؤيته فإن غمى عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين»**(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه إن غم عليكم فاقدروا له»**(٢).

---

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) صحيح وقد تقدم.

٢ـ هدي النبي ﷺ فيمن يؤخذ بشهادته في رؤية الهلال:

كان من هديه ﷺ فيمن تؤخذ شهادته في رؤية هلال رمضان أن يكونا شاهدي عدل، كقوله ﷺ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، وانسكوا لها، فإن غم عليكم فأكملوا ثلاثين فإن شهد شاهدان فصوموا وأفطروا »[(١)].

وكذلك قبل النبي ﷺ شهادة الواحد، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته، فصام وأمر الناس بالصيام»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال إني رأيت الهلال ـ يعني هلال رمضان ـ فقال: **«أتشهد أن لا إله إلا الله»** قال: نعم قال: «أتشهد أن محمداً رسول الله» قال: نعم، قال: «يا بلال أذن في الناس أن يصوموا غداً»[(٣)].

قلت ولم يطلب النبي ﷺ من ابن عمر ولا الأعرابي أن يأتي كل منهما بشاهد آخر يعزز شهادتهما، بل قبلها، فدل ذلك على الأخذ بشهادة الواحد في إثبات رؤية الهلال والله أعلم.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد والدارقطني والنسائي والسياق له، وزاد أحمد (مسلمان) وقال الدارقطني: (ذوا عدل) وصححه الشيخ الألباني في (إرواء الغليل) رقم (٩٠٩).

(٢) صحيح وقد تقدم.

(٣) صحيح بشواهده: أخرجه الترمذي (٦٩١) وأبو داود (٢٣٤٠) والنسائي في الكبرى (٢١١/٤) وأيضاً في الصغرى (١٣٢/٤) رقم (٢١١٠) (٢١١١) وابن ماجة (١٦٥٢)، وابن حبان موارد (٨٧٠) وعبد الرزاق (٧٣٤٢) وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٤٠٧/٤) رقم (٢٥٢٩) والبغوي شرح السنة رقم (١٧٢٤) والحاكم (٤٢٤/١) وصححه، والدارمي (١٦٩).

٣- هدي النبي ﷺ عند رؤية الهلال:

كان من هديه ﷺ عند رؤية الهلال الدعاء، فعن طلحة بن عبد الله رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله»[(١)] .

٤- هدي النبي ﷺ عند قدوم رمضان:

كان من هديه ﷺ عند قدوم شهر رمضان أن يبشر أصحابه بذلك. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم شهر رمضان شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه تُفتح فيه أبواب السماء وتُغلق فيه أبواب الجحيم وتُغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حُرِم»[(٢)].

٥- هدي النبي ﷺ في النهي عن صيام يوماً أو يومين قبل رمضان:

كان من هديه ﷺ عدم تقديم صيام يوم أو يومين قبل رمضان احتياطاً وقد نهى عن ذلك.

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد (٩/٢٢٥، ٢٢٦)، والنسائي (٤/١٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/٤٩٠) وتمام المنة (ص ٣٩٥).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم»(١).

٦ـ هدي النبي ﷺ في صيام يوم الشك:

قد كان من هديه ﷺ أن ينهي عن صيام يوم الشك، وهو اليوم الذي يتحدث فيه الناس عن رؤية الهلال ولم يثبت الرؤية، فنهى عن صيام ذلك اليوم، والحديث المتقدم آنفاً دليل في ذلك، وعن صلة بن زُخر قال: كنا عند عمار في اليوم الذي يشك فيه، فأتى بشاة فتنحى بعض القوم فقال عمار: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم ﷺ»(٢).

قلت: عُلِم من قول عمار رضي الله عنه: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم ﷺ، أن النبي ﷺ نهى عن صيام هذا اليوم وأن من صامه فقد عصى النبي ﷺ» والله أعلم.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٢٧/٤)، ومسلم (١٠٨٢).

(٢) رواه البخاري تعليقاً (١٢٠/٤) ورواه موصولاً كل من: الترمذي (٣٦٥/٣)، وأبو داود (٤٥٧/٦)، والنسائي (١٥٣/٤) وابن ماجة (٣٠٢/١) رقم (١٦٤٦) والدارمي (٢/٢) وصححه ابن خزيمة (٢٠٤/٣) وابن حبان (بذل الاحسان) (٣٥٧٧) والدارقطني (١٥٧/٢) والحاكم (٤٢٤/١)، والبيهقي (٣٠٨/٤) والطحاوي في شرح الآثار (١١١/٢) وأبو يعلى (٢٠٨/٣) وقال الحاكم صحيح مع شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقال الحافظ: هذا حديث صحيح، وأورد له شواهد ومتابعات راجع التعليق (١٤٠/٣)، والحديث له طرق أخرى عند ابن أبي شيبة في المصنف (١٧٠/٢-١٧١) وحسنه الحافظ في الفتح.

٧- هدي النبي ﷺ في تبييت النية من الليل للصيام:

كان من هدي النبي ﷺ أن يُبيت النية لصـوم الفريضـة[(١)]. وحـذر من يترك هذا الأمر، فعن عائشة رضي اله عنها قالت: قـال رسـول الله ﷺ «من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له»[(٢)].

وعن حفصة رضـي الله عنـها أن النبي ﷺ قـال: «مـن لم يجمـع الصيام قبل الفجر فلا صيام لـه »[(٣)]. وقولـه ﷺ «مـن لم يبيـت الصيـام من الليل فلا صيام له»[(٤)].

٨- هدي النبي ﷺ في استعمال الماء في نـهار رمضان:

كان من هديه ﷺ استعمال الماء في نهار رمضان فقد ثبت عنه ﷺ استعمال الماء في نهار رمضان مـن اغتسـال ونحوه، قـال أبـو بكـر قـال: الذي حدثني: لقد رأيت رسول الله ﷺ بـالعرج يصـب علـى رأسـه الماء وهو صائم من العطش أو الحر»[(٥)].

---

(١) قلت: خرج بقولنا (صوم الفريضة) صوم التطوع، فالراجح في صوم التطوع لا يشترط فيـه تبييت النية وهذا هو قول الجمهور خلافاً لما قاله مالك والظاهرية. والله أعلم.

(٢) رواه البيهقي والدارقطني وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٦٤١٠).

(٣) صحيـح لغـيره: رواه أبـو داود (١٢٢/٧) وابـن خزيمـة (١٩٣٣) والبيـهقي (٢٠٢/٤) وأخرجه والنسائي (١٩٦/٤) والـترمذي (٤٢٦/٣) مـن طريـق آخـر وصححـه ابـن خزيمـة والحاكم والنووي في شرح المهذب (٤٨٩/٦).

(٤) رواه النسائي (١٩٦/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٦٤١١).

(٥) صحيح: وقد تقدم.

وثبت عنه أيضاً أنه كان يتمضمض ويستنشق في نهار رمضان فعن لقيط بن صبرة قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال: «أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً»(١).

وعن ابن عبسة رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ مضمض واستنشق في رمضان»(٢).

وكذلك ما جاء في قصة عمر رضي الله عنه لما جاء يعتذر إلى النبي ﷺ أنه قبَّل وهو صائم، فقال له ﷺ: «أرأيت لو تمضمضت بماء وأنتم صائم؟ قلت: أي عمر - لا بأس بذلك، فقال ﷺ: ففيم؟»(٣). أي: ففيم الخوف إذاً.

٩- هدي النبي ﷺ في استعمال السواك في رمضان:

كان من هديه ﷺ استعمال السواك في جميع الأحوال وذلك لعموم قوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة». وعند البخاري تعليقاً «عند كل وضوء».

بل ثبت عنه أنه كان يستعمله في رمضان، فعن ربيعة العدوى عن أبيه قال ما أحصى ولا أعد ما رأيت رسول الله ﷺ يتسوك وهو صائم»(٤).

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه أحمد في المسند) ولكن فيه انقطاع قلت: - القائل خالد - ولكن يشهد له حديث لقيط بن صبرة المتقدم، وكذلك حديث عمر الذي سوف يأتي. والله أعلم.

(٣) حسن: رواه أحمد وغيره وهو يشهد لما قبله.

(٤) صحيح: رواه البخاري وأبو داود.

قلت: ولا فرق في استعمال السواك في أول النهار وآخره لما تقدم فكان هذا هديه ﷺ في نهار رمضان حال الصيام يتمضمض ويستنشق ويغتسل ويستعمل السواك. والله أعلم.

١٠- هدي النبي ﷺ قبيل الإفطار وعند الإفطار وبعد الإفطار وإذا أفطر عند قوم.

يسن الدعاء في هذه الحالات الأربعة:

فالبنسبة للدعاء قُبيل الإفطار فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «إن لله عند كل فطر عتقاء وذلك كل ليلة»(١).

أما الدعاء عند الإفطار، فكان هديه ﷺ أن يقول عند الإفطار «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»(٢). وقوله: «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت».

وذلك لأن دعوة الصائم لا ترد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات لا ترد، دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»(٣).

أما الدعاء بعد الانتهاء من الإفطار، فقد ثبت عنه ﷺ الدعاء بعد الانتهاء من الأكل أو الشرب، ومن هذه الأوعية قوله: «اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه»(٤)، وقوله: «الحمد لله حمداً كثيراً

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

(٤) أحاديث صحيحة انظر صحيح سنن الترمذي أما الحديث الثالث فهو عند البخاري.

طيباً مباركاً فيه، غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا»[١]، وقوله: «الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة»[٢].

أما الدعاء إذا أفطر عند قوم، فكان من هديه ﷺ أن يقول: «اللهم أطعم من أطعمني وسقى من سقاني»[٣]، وقوله: «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم»[٤] وقوله: «افطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»[٥].

١١ـ هديه ﷺ في الإفطار والسحور والإمساك.

أولاً هديه ﷺ في الإفطار:

كان هديه ﷺ في الفطر أن يتحرى دخول الوقت، فإذا غربت الشمس وغاب قرصها بالعين المجردة أفطر، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا كان صائماً أمر رجلاً أن يقوم على نشز من الأرض، فإذا قال: قد وجبت الشمس أفطر».

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أحاديث صحيحة قد تقدمت وهي عند مسلم.

(٤) المصدر السابق.

(٥) حسن لغيره وقد تقدم.

وكان من هديه ﷺ أن يعجل بالفطر، وذلك لما ورد عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**»(١).

وكان من هديه ﷺ أن يفطر على رطب أو تمر أو حسوات من ماء أو على شيء لم تصبه النار، ورد ذلك عن أنس رضي الله عنه، وعنه أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان صائماً لم يصل حتى نأتيه برطب وماء، فيأكل ويشرب، إذا كان الرطب، وإذا كان الشتاء لم يصل حتى نأتيه بتمر د ماء، وعنه أيضاً: أنه ﷺ كان يفطر على لبن وتمر العجوة.

وكان من هديه ﷺ أن يفطر قبل أن يصلي المغرب، فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يصلي»(٢). وعنه أيضاً قال: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلى صلاة المغرب حتى يفطر ولو كان على شربة ماء»(٣) قلت: وهذا عمل الحرمين اليوم.

ثانياً هديه ﷺ في السحور:

كان هدي النبي ﷺ في السحور التأخير وكان يحب ذلك ويحث عليه ويرغب فيه لما في ذلك من الخير الكثير فقد ثبت عنه ﷺ: أنه قال:

---

(١)، (٢) كلها أحاديث صحيحة وقد تقدمت وأحاديث أنس كلها في إفطار النبي صلى الله عليه وسلم يحتج بها لأنها في درجات الصحة والقبول. والله أعلم.

(٣) المصدر السابق.

«لا تزال أمتي بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر»[(١)]. وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تسحروا آخر الليل» وكان ﷺ يحث على تناول السحور فعن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ «تسحروا فإن في السحور بركة»[(٢)] وكان يحب التمر في السحور كما كان يحبه في الفطر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «نعم سحور المؤمن التمر»[(٣)] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تسحروا ولو بجرعة ماء»[(٤)]. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن يصوم فليتسحر بشيء»[(٥)]. لذا كان أصحاب رسول الله ﷺ أسرع الناس إفطاراً وابطأهم سحوراً»[(٦)].

ثالثاً: هديه ﷺ في الإمساك:

فكما أسلفنا أنه ﷺ كان يتحرى عند فطره دخول الوقت فكان كذلك في الإمساك.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في سنده.

(٢) صحيح وقد تقدم.

(٣) صحيح وقد تقدم.

(٤) صحيح: رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، والضياء المقدسي في المختارة، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) رواه أحمد في المسند.

(٦) صحيح: وقد تقدم.

لقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز زمن الإمساك فقال عز من قائل سبحانه: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧].

وقد بين كذلك النبي ﷺ أن هناك فجران، أحدهما كاذب والآخر صادق، فالأول لا يحل صلاة ولا يحرم طعام، أما الثاني فإنه يحل الصلاة ويحرم الطعام والشراب على الصائم. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الفجر فجران، فالأول لا يحرم الطعام ولا يحل الصلاة، وأما الثاني فإنه يحرم الطعام ويحل الصلاة»(١).

فالوقت الذي يمسك فيه الصائم هو الفجر الصادق وهو الأحمر المستطير المعترض على رؤوس الجبال والشعاب، المنتشر في الطرق والسكك والبيوت وهذا هو الذي تتعلق به أحكام الصيام والصلاة. والله أعلم.

١٢- هديه ﷺ فيمن سمع النداء من الفجر الصادق وفي يده الإناء:

كان هديه ﷺ فيمن سمع النداء وفي يده الإناء أن لا يدعه حتى يقضي منه حاجته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمع أحدكم النداء والإناء في يده، فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه»(٢).

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) حسن: وقد تقدم.

قلت: والمقصود بالنداء هنا الفجر الصادق، ودليل ذلك الزيارة التي رواها أحمد والطبري وغيرهما عقب هذا الحديث، وهي: «وكان المؤذن يؤذن إذا بزغ الفجر»(١) ويشهد لهذا المعنى كذلك ما روى عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: «أقيمت الصلاة والإناء في يد عمر، قال: أشربها يا رسول الله؟ قال: «نعم» فشربها»(٢).

١٣ - هديه ﷺ فيما يجب على الصائم تركه:

كان من هديه ﷺ حث الصائمين بالتحلي والتزين بالأخلاق الحميدة الفاضلة، والبعد عن الأخلاق الرذيلة الفاجرة، فقد نهى ﷺ الصائم عن قول الزور وعن اللغو والرفث والسباب والشتم والصخب إلى غير ذلك من الأخلاق السيئة التي تأباها الفطرة السليمة وتمجها النفوس الزكية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(٣).

وعنه أيضاً قال: قال ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشراب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم إني صائم»(٤).

---

(١) زيادة صحيحة وقد تقدمت.

(٢) حسن: رواه ابن جرير الطبري بإسنادين.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

(٤) حديث صحيح وقد تقدم.

قلت: وفي الباب أحاديث كثيرة تبين هدي النبي ﷺ في تزكية النفوس في هذا الشهر المبارك قد مرت بنا في هذا الكتاب فراجعها في موضعها.

١٤ـ هدي النبي ﷺ في القُبلة والمباشرة وهو صائم:

كان النبي ﷺ يُقبل ويباشر وهو صائم فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم ولكنه كان أملككم لإربه»[(١)] وعنها أيضاً قالت: كان يُقبل في رمضان وهو صائم[(٢)] ، وعنها أيضاً قالت: أراد النبي ﷺ أن يُقبلني، فقلت إني صائمة! فقال: «وأنا صائم ثم قبلني»[(٣)].

وعنها أيضاً قالت: «فيُقبل أين شاء من وجهي»[(٤)].

فكان هذا هديه ﷺ من الملاطفة والمداعبة والمباشرة والتقبيل في نهار رمضان حال الصيام[(٥)].

١٥ـ هدي النبي ﷺ إذا أصبح جنباً في رمضان:

كان من أحواله ﷺ أن يدركه الفجر وهو جنب من أهله فيغتسل ويصوم.

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

(٣) صحيح: يشهد له ما قبله.

(٤) صحيح لما قبله.

(٥) وقد تكلمنا عن ذلك بالتفصيل في باب ما يباح للصائم فعله فراجعه.

عن أم سلمة وعائشة رضي الله عنها قالتا: «أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم»[١].

وعنهما أيضاً: «أنه ﷺ كان يصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يصوم في رمضان»[٢].

١٦-هدي النبي ﷺ في التداوي في نهار رمضان:

تقدم بيان هدي النبي ﷺ في استعمال الماء والسواك في نهار رمضان، وهنا نبين ما كان يفعله وهو صائم في استخدام الدواء، وذلك في ثلاثة أشياء وهي:

(أ) الاكتحال. (ب) الإدهان. (ج) الحجامة.

(أ) هدي النبي ﷺ في الاكتحال:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أنه ﷺ قد كان ربما يكتحل وهو صائم» وجاء مثله عن بريرة[٣] ولكنه حديث ضعيف، قال البخاري: لا يصح عنه ﷺ في ذلك شيء.

---

(١) صحيح. وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٣) قلت: وهي مولاة لعائشة وروت عن عائشة كثير، وهي زوجة مغيث الذي فارقته بعدما أُعتقت، وكان مغيث يحبها حباً جماً، وبكى لفراقها بكاء كاد أن يقضي عليه، وأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع له عندما لترجع إليه فأبت. انظر ترجمتها في كتب السير والتراجم.

ولذلك اختلف العلماء في جوازه وعدمه، ولذلك رأى فريق من أهل العلم أن الأحوط تركه.

قلت: ومما يؤيد الترك، ما رواه البخاري تعليقاً: (أنه ﷺ أمر بالإثمد المروح عند النوم، وقال: (وليتقه الصائم) قلت: أي حال صومه نهاراً. قلت: وقد ضعف هذا الحديث ابن القيم في زاد المعاد والترمذي ويحيى بن معين وغيره.

قلت: لكن شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته (حقيقة الصيام) وتلميذه ابن القيم في كتابه القيم (زاد المعاد) رجحا بأن الكحل والقطرة ونحوهما لا يفطر بها الصائم سواء وجد طعمه في حلقه أم لم يجده.

قلت: ولعل سبب هذا الترجيح أن هذه الأشياء وما في حكمها لا تقوم مقام الغذاء ولا تقوى الصائم ولا يستغنى بها عن الغذاء والله أعلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (وأما الكحل والحقنة وما يقطر في إحليله ومداواة المأمومة والجائعة فهذا مما تنازع فيه أهل العلم، فمنهم من لا يفطر بشيء من ذلك، ومنهم من فطر الجميع لا بالكحل، ومنهم من فطر بالجميع لا بالتقطير، ومنهم من لم يفطر بالكحل ولا بالتقطير ويفطر بما سوى ذلك.

والأظهر أنه لا يفطر بشيء من ذلك، فلو كانت هذه الأمور مما حرمها الله ورسوله في الصيام، ويفسد بها الصوم لكان هذا مما يجب على الرسول ﷺ بيانه، ولو ذكره لعلهم الصحابة وبلغوه الأمة)أ.هـ[١].

● مذاهب العلماء في الاكتحال:

● قال الإمام البخاري في صحيحه: (ولم ير أنس والحسن وإبراهيم بالكحل للصائم بأساً)[٢].

● قال النووي: (جائز عندنا ولا يكره ولا يفطر به، سواء وجد طعمه في حلقه أم لا.

● وحكاه ابن المنذر: عن عطاء والحسن البصري والنخعي والأوزاعي وأبي حنيفة وأبي ثور.

● وحكاه غيره عن ابن عمر وأنس وابن أبي أوفى، وبه قال داود.

● وقال سليمان التيمي ومنصور بن المعتمر وابن شبرمة وابن أبي ليلى يبطل صومه.

● وقال قتادة: يجوز بالاثمد ويكره بالصبر.

● وقال مالك وأحمد: يكره، وإن وصل إلى الحلق أفطر)[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/٢٣٣ - ٢٣٤).

(٢) انظر: مختصر صحيح البخاري ص (٤٥١).

(٣) المجموع: (٦/٣٨٧ - ٣٨٨).

قلت: والراجح - والله أعلم - ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وبه أقول.

(ب) هدي النبي ﷺ في الإدهان:

أما الإدهان: فالمقصود به إصلاح الشعر أو البدن بالكريم أو الزيت أو بغير ذلك من المركبات الحديثة ونحوها.

فقد جاء في مجمع الزوائد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ أن أصبح يوم صومي دهنياً مترجلاً ولا تصبح يوم صومك عبوساً) وعنه موقوفاً عليه «اصبحوا مدهنين صياماً»[(١)].

قلت: ويشهد لذلك ما روته عائشة رضي الله عنها أنها كانت ترجل رسول الله ﷺ وهو معتكف في المسجد، ويدخل لها رأسه فترجله وهي في بيتها[(٢)].

(جـ) هدي النبي ﷺ في الحجامة:

هناك خلاف شديد بين أهل العلم حول موضوع الحجامة ففريق من أهل العلم قال بأن الحجامة تفطر لما روى عن ثوبان مولى النبي ﷺ أنه قال: «أفطر الحاجم والمحجوم»[(٣)] وفريق آخر - وهو الجمهور - يرى أنها لا تفطر وأن هذا الحديث على كونه صحيح فإنه

---

(١) قال الهيثمي في مجموع الزائد: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) سيأتي عند الكلام عن الإعتكاف إن شاء الله.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

نُسخ بحديث ابن عباس رضي اله عنهما أنه قال: «أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم»(١).

قلت: وقد بسطنا القول في ذلك عن الحديث عن الحجامة مما لا فائدة من ذكره هنا فراجعه إن شئت(٢).

١٧- هدي النبي ﷺ فيمن أكل أو شرب ناسياً:

قاعدة مهمة جداً:

مما ينبغي أن يعلم ويوضع في الاعتبار أن النبي ﷺ لم ينسى، وذلك لأن النسيان من الشيطان، كما قال تعالى حكاية عن غلام موسى عليه السلام ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [سورة الكهف:الآية ٦٣]. وكذلك لما سَلَّم النبي ﷺ في صلاة الظهر من ركعتين، قال له ذو اليدين: أنسيت أم قصرت الصلاة يا رسول الله؟ قال له: (كل ذلك لم يكن) فقال: بل بعض ذلك قد كان، فأتم صلاته وسجدوا للسهو، ثم قال: (إني لا أنسى. ولكني أُنَسَّى لأسنَّ).

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) هناك كلام نفيس للعلامة الألباني حول هذه المسألة في كتابه القيم ارواء الغليل (٤/٦٥ - ٨٠)، وتخريج كتاب (حقيقة الصيام) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ص ٦٧-٨٦) فراجعه إن شئت غير مأمور.

قلت: ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٠٦]. فالله الذي ينسيه إياها ليأتي بخير منها أو مثلها، فلم يثبت عنه ﷺ أنه نسي في صومه أو غيره والله أعلم.

ولكن جاء عنه ﷺ بيان وحكم من أكل أو شرب ناسياً وهو صائم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه»(١) وفي رواية عنه أيضاً عند البخاري وغيره (من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه) وفي رواية الدارقطني (ولا قضاء عليه ولا كفارة).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (وكان من هديه ﷺ: اسقاط القضاء عمن أكل وشرب ناسياً، وأن الله ـ سبحانه ـ هو الذي أطعمه وسقاه، فليس هذا الأكل والشرب يضاف إليه فيُفطر به، فإنما يفطر بما فعله، وهذا بمنزلة أكله وشربه في نومه، إذ لا تكليف بفعل النائم، ولا بفعل الناسي)أ.هـ(٢)

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) زاد المعاد.

١٨- هدي النبي ﷺ في الجود والكرم في رمضان:

من المعلوم أن النبي ﷺ أتم الناس خُلقاً وأكملهم خَلْقاً فقد امتدحه الله بقوله في التنزيل العزيز: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [سورة القلم:الآية ٤]. وهو القائل: (إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً)(١).

فكان من تمام وكمال أخلاقه ﷺ أنه لا يرد سائلاً أبداً فقد ثبت عنه ﷺ أنه (كان لا يُسأل عن شيء إلا أعطاه)(٢).

وصدق من قال:

ما قال لا قطُّ إلا في تشهده ... لولا التشهد لكانت لاؤه نعم

نعم:

تراه إذا ما جئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجّته المعروف والجود ساحله

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة).

---

(١) صحيح: البخاري (٦/٥٥٦) رقم (٣٥٥٩)، ومسلم (٤/١٨١٠/٢٣٢١).

(٢) صحيح: من حديث ابن عباس في الصحيحين وهذه زيادة عند أحمد في المسند.

وزاد أحمد في آخره (لا يُسأل عن شيء إلا أعطاه)[١].

١٩ـ هدي النبي ﷺ مع القرآن في رمضان:

كان من هديه ﷺ في رمضان الإكثار من قراءة القرآن ومدارسته، وقد تقدم معنا حديث ابن عباس الذي في الصحيحين وغيرهما ليدل على ذلك[٢].

٢٠ـ هدي النبي ﷺ في السفر، وهل كان من هديه ﷺ تقدير المسافة التي يفطر عندها الصائم؟

من المعلوم أن النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم جميعاً ثبت عنه وعنهم السفر في رمضان حال الصيام وغير رمضان.

فمن السفرات التي ثبتت في رمضان سفر النبي ﷺ وأصحابه إلى بدر في السنة الثانية للهجرة، وكذلك سفره وأصحابه إلى مكة في السنة الثامنة للهجرة، وإلى تبوك في السنة التاسعة للهجرة وهناك سفرات أخرى، فماذا كان هديه ﷺ في تلك السفرات؟

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) قلت: لا يفهم من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن في رمضان فقط، بل كان بأبي هو وأمي يتلوه أناء الليل وأطراف النهار، وقد كان يقوم به في جوف الليل يناجي ربه حتى تورمت قدماه صلى الله عليه وسلم، ولكن كان يكثر من قراءته في رمضان وكان جبريل يدارسه القرآن في رمضان كل عام مرة وفي العام الذي مات فيه دارسه فيه مرتين صلى الله عليه وسلم فهذا دليل على أنه كان يكثر منه في رمضان والله أعلم.

١ـ صح عنه ﷺ أنه سافر في رمضان ولم يفطر.

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر[١]، وما فينا من صائم، إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة).

٢ـ وصح عنه أنه سافر في رمضان وأفطر:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب فقيل له بعد ذلك إن البعض قد صام، فقال: (أولئك العصاة أولئك العصاة)[٢].

قلت: ففي الحديث الأول الأخذ بالعزيمة، وفي الحديث الثاني الأخذ بالرخصة وكلاهما جائز بنص الكتاب والسُنة، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٤].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

٣- وهناك صورة ثالثة من هديه ﷺ في السفر في رمضان يوضحها الحديث التالي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام، قال: فنزلنا منزلاً فقال رسول الله ﷺ: (إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم) فكانت رخصة، فمنا من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر فقال: (إنكم مصبحوا عدوكم والفطر أقوى لكم فافطروا) فكانت عزمة فأفطرنا، ثم لقد رأيتنا نصوم بعد ذلك مع رسول الله ﷺ في السفر)[١].

قلت: فهذا الحديث يوضح صورة أخرى للنبي ﷺ وصحابته في السفر حال الصيام على ثلاث مراحل:

الأولى: الصيام أول السفر.

الثانية: الترخيص بالفطر عند الاقتراب من العدو.

الثالثة: الأمر بالفطر عند مواجهة العدو، وعلل ذلك بقوله: (والفطر أقوى لكم) ومن لم يأتمر فقد عصى، كما جاءت في بعض الروايات عن جابر (فقيل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام فقال: (أولئك العصاة، أولئك العصاة).

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

وكان من هديه ﷺ كراهية الصوم للمسافر إذا شق عليه الصوم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى زحاماً، ورجل قد ظلل عليه، فقال: (ما هذا؟) فقالوا: صائم، فقال: (ليس من البر الصيام في السفر)[١] وزاد مسلم: (عليكم برخصة الله التي رخص لكم).

قلت: وهذا مصداقاً لقوله ﷺ: (إن الله يحب أن تؤتى رخصة كما يكره أن تؤتى معصيته)[٢] وفي رواية أخرى (كما يحب أن تؤتى عزائمه)[٣].

فائدة:

قلت: وقد يكون الفطر في السفر حال الصيام فيه الأجر الكبير والثواب العظيم فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله ﷺ أكثرنا ظلاً الذي يستظل بكسائه، وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب، وامتهنوا وعالجوا، فقال النبي ﷺ: (ذهب المفطرون اليوم بالأجر)[٤].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد (١٠٨/٢) وابن حبان(٢٧٤٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: رواه ابن حبان (٣٥٤) والطبراني في الكبير (١١٨٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٨٤/٦) ومسلم (١١١٩).

وفي لفظ آخر عنـه (كنـا مـع رسـول الله ﷺ في سفر، أكثرنـا ظـلاً صاحب الكساء، فمنا من يتقى الشـمس بيده، فسقط الصـوام، وقـام المفطرون، فضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال رسول الله ﷺ: (ذهب المفطرون اليوم بالأجر).

قلت: ففـي حديـث جابر المتقـدم سمـى الذيـن صـاموا في السـفر ولم يمتثلـوا أمره بالعصـاة، وفي هـذا الحديـث أثنـى علـى المفطريـن، لقيامهم في مهنة إخوانهم الذين أسقطهم الصوم وشق عليهم، قلت: ولعل يتضح هنا قوله ﷺ : (والفطر أقوى لكم) هذا والله أعلم.

فكان هذا هديه ﷺ وحال أصحابه معه في السفر حال الصيام.

وبالجملـة أقـول: كـان النـبي ﷺ يقـدر لكـل حالـة قدرهـا فكـل ضرورة تقدر بقدرها. والله أعلم.

أما عن المسافة التي كان يفطر عندها الصائم:

قال ابن القيم رحمه الله: (ولم يكن من هديه ﷺ تقديـر المسـافة التي يفطر فيها الصائم بحد ولا صح عنه في لك شيء) وقد أفطر دحية ابن خليفة الكلبي في سفر ثلاثة أميال، وقال لمن صـام: قـد رغبـوا عـن هدي محمد ﷺ)[1] .

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٤١٣).

وكان أصحابه حين ينشئون السفر، يفطرون من غير اعتبار مجاوزة البيوت، ويخبرون أن ذلك سنته وهديه ﷺ كما قال عبيد بن جبر: ركبت مع أبي بَصْرَة الغفاري صاحب رسول الله ﷺ في سفينة من الفسطاط [إلى الإسكندرية][(١)] في رمضان، فلم يجاوز البيوت حتى دعا بالسفرة، قال: اقترب، قلت: ألست ترى البيوت؟ قال: أبو بصرة: أترغب عن سنة رسول الله ﷺ ؟.

وفي بعض الطرق: (... فقلت يا أبا بصرة! والله ما تغيبت عنا منازلنا بعد؟ قال: أترغب عن سنة رسول الله ﷺ ، فقلت: لا، قال: فكل. قال: فلم نزل مفطرين حتى بلغنا)[(٢)] .

وقال محمد بن كعب: (أتيت أنس بن مالك في رمضان وهو يريد سفراً وقد رُحِلت له راحلته، وقد لبس ثياب السفر، فدعا بطعام

---

(١) هذه زيادة في بعض طرق الأثر وهي عند أحمد في المسند (٦/٣٩٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٤١٢) والبيهقي (٤/٢٤٦) وأحمد (٦/٣٩٨) وصحح الحديث علامة الشام ومحدث العصر الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في (إرواء الغليل) (٤/٦٣، ٦٤) وقال: (هذا سند رجاله كلهم ثقات غير كليب بن ذهل، قال الحافظ (مقبول) لكن للحديث شاهد من حديث دحية بن خليفة فهو يتقوى به وآخر من حديث أنس بإسناد صحيح) أ. هـ.

فأكل، فقلت له: سُنة؟ قال: سُنَّة ثم ركب)[١] قال الترمذي: حديث حسن وقال الدارقطني فيه: «فأكل وقد تقارب غروب الشمس».

وهذه الآثار صريحة في أن من أنشأ السفر في أثناء يوم من رمضان فله الفطر فيه)أ. هـ[٢].

٢١ـ هدي النبي ﷺ في القضاء:

قد مر بنا هدي النبي ﷺ في السفر حال الصيام من صوم وفطر وعليه يكون قضاء الأيام التي أفطرها فكيف كان ذلك؟!

عن عمر رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا فاته شيء من رمضان قضاه في عشر ذي الحجة) وفي رواية: (كان رسول الله ﷺ لا يرى بأساً بقضاء رمضان في ذي الحجة)[٣].

قلت: وفي ذلك بيان جواز التأخير في القضاء.

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي رقم (٧٩٩، ٨٠٠) وقال: هذا حديث حسن.. وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا الحديث وقالوا للمسافر أن يفطر في بيته قبل أن يخرج وليس له أن يقصر الصلاة حتى يخرج من جدار المدينة أو القرية وهو قول إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أ. هـ. قلت وهو إسحاق بن راهوية.

وأخرجه الدارقطني (١/٢٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٢٤٦). وقال البغوي في شرح السنة (٦/٣١٣) (قال الحسن: إذا أصبح المقيم على نية سفر في يومه جاز له أن يفطر في بيته وبه قال اسحاق ويروي ذلك عن أنس بن مالك أنه كان يريد سفراً وقد رحلت له راحلته، ولبس ثياب السفر فدعا بطعام فأكل فقيل له سُنة؟ قال: سُنة ثم ركب)أ. هـ.

(٢) زاد المعاد (٢/٥٥) بتصرف يسير.

(٣) قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني.

وعن عائشة رضي الله عنها تقول: (كان يكون عليّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان)[1] لانشغالي). قال يحيى (أحد رجال السند): الشغل من النبي ﷺ أو بالنبي ﷺ.

قلت: ومن المعلوم أن عائشة لما كانت تؤخر قضاء ما كان عليها من رمضان إلى شعبان كان ذلك بحضرة النبي ﷺ وبعلمه، فدل ذلك على أمور منها:

١- قال الحافظ في الفتح: (١٩١/٤) (وفي الحديث دلالة على جواز تأخير قضاء رمضان مطلقاً سواء كان لعذر أو لغير عذر).

٢- أن الأفضل التعجيل والمبادرة والمسارعة إلى قضاء ما فات من صيام رمضان عند زوال العذر أو من غير وجود العذر وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ وقوله: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وكذلك لأن عائشة رضي الله عنها قد بينت عذرها في التأخير وهو انشغالها بالنبي ﷺ.

٣- يجوز تأخير القضاء إلى رمضان التالي:

مسألة: واعلم أن من أخر قضاء رمضان حتى أدركه رمضان الثاني لا يخلو من حالين:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٨٩/٤)، ومسلم (١١٤٦).

الأولى: من أخر قضاء رمضان إلى آخر لعذر، كما لو استمر به السفر أو المرض أو النفاس أو الحمل أو غير ذلك من الأعذار فهذا لا فدية عليه، وإنما عليه القضاء وهذا مذهب جمهور أهل العلم.

الثانية: من أخر القضاء لغير عذر حتى أدركه رمضان الثاني وجب عليه القضاء إجماعاً وأما الفدية فقد اختلف أهل العلم على قولين:

الأول: أنه يلزمه مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم.

وذلك لما رواه الدارقطني (٢/١٩٦) عن أبي هريرة: في رجل مرض في رمضان ثم صح ولم يصم حتى أدركه رمضان آخر، قال: يصوم الذي أدركه، ويطعم عن الأول لكل يوم مداً من حنطة لكل مسكين فإذا فرغ في هذا صام الذي فرط فيه، قال الدارقطني: إسناده صحيح موقوف.

وكذلك صح عن ابن عباس يقول به وابن عمر، وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير والثوري والإمام مالك وأحمد والشافعي.

الثاني: أنه يلزمه القضاء فقط ولا كفارة عليه (أي الفدية) وإنما يجب عليه التوبة لتفريطه، وبه قال الحسن البصري وإبراهيم النخعي، وأبو حنيفة وغيرهم.

وذلك لعموم قوله: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥].

قالوا: فأوجب الله القضاء ولم يوجب الكفارة، والأصل براءة الذمة.

قلت: وهذا أصح الأقوال وأرجها، ولكن يستحب الإطعام ولا يجب، وهذا من باب الاحتياط. والله أعلم.

وهناك صورة أخرى من هديه ﷺ في القضاء.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أن النبي ﷺ قال: (قضاء رمضان إن شاء فرَّق وإن شاء تابع).

قلت: وفي هذا جواز القضاء متتابعاً ومفرقاً، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥].

ذهب جمهور الفقهاء على عدم وجوب التتابع في قضاء رمضان إلا أنه مستحب عندهم ويجوز تفريقه.

قال النووي ـ رحمه الله ـ: (مذهبنا أنه يستحب تتابعه ويجوز تفريقه وبه قال علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وابن عباس وأنس وأبو هريرة والأوزاعي، والثوري وأبو حنيفة ومالك وأحمد وإسحاق وأبو ثور رضي الله عنهم)[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما (لا بأس به أن يفرق)[٢].

قال أبو هريرة رضي الله عنه (يواتراه إن شاء)[٣].

---

(١) المجموع (٦/٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً ووصله الدارقطني وعبد الرزاق وابن أبي شيبة بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة والدارقطني وإسناده صحيح، وانظر الارواء (٤/٩٥).

قلت: ونقل ابن المنذر وغيره عن علي وعائشة وجوب التتابع وهو قول بعض أهل الظاهر، وروى عبد الرزاق بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (يقضيه تباعاً).

قال النووي: (وعن ابن عمر وعائشة والحسن البصري وعروة بن الزبير والنخعي وداود الظاهري أنه يجب التتابع).

قلت: وخلاصة القول أنه لم يصح - فيما أعلم - في التفريق ولا المتابعة حديث مرفوع. والأقرب والأسهل والأيسر جواز الأمرين، وبه قال إمام أهل السُنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله.

قال أبو داود في مسائله: (سمعت أحمد سئل عن قضاء رمضان قال: (إن شاء فرق وإن شاء تابع)[١].

إذاً يمكنا أن نقول: كان من هديه ﷺ في قضاء رمضان التأخير والتتابع والتفريق، هذا والله أعلم.

٢٢- هدي النبي ﷺ في مواصلة الصوم (صوم الوصال):

كان من هديه ﷺ مواصلة الصوم، ولكن من رحمته بأمته ﷺ أنه نهاهم عن الصوم مواصلةً دون الفطر لما في ذلك من المشقةِ والتشديدِ عليهم.

قالت عائشة رضي الله عنها: (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم)[٢].

---

(١) مسائل أبو داود (ص ٩٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢/٢٤٢) ومسلم (١/٧٧٦) رقم (١١٠٥) وأحمد (٦/٨٩، ٩٣، ١٢٦، ٢٤٢، ٢٥٨) والبيهقي (٤/٢٨٢) وأبو يعلى الموصلي (٧/٣٤٢) رقم (٤٣٧٨).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: وأيكم مثلي؟ إن أبيت يطعمني ربي ويسقين، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال، فقال: (لو تأخر لذتكم، كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا)(١).

وفي لفظ آخر: (لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم إني لست مثلكم) أو قال: (إنكم لستم مثلي فإني أظل يطعمني ربي ويسقيني)(٢).

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: (إياكم والوصال مرتين، قيل: إنك تواصل، قال: إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فاكلفوا من العمل ما تطيقون)(٣).

ولكن من أراد الوصال وشعر من نفسه نشاطاً فليواصل ولكن إلى السحر فقط لأن النبي ﷺ رخص في ذلك.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٢/٢٤٣)، ومسلم (١/٧٧٤) رقم (١١٠٣)، والدارمي (١/٣٤١) رقم (١٧١٣).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أنه سمع النبي ﷺ يقول: (لا تواصلوا، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر)[(١)] .

قلت: يتضح مما تقدم أن الوصال في الصيام من هديه ﷺ الخاص به دون غيره، وليس من هديه المأمور باتباعه[(٢)] ، لأنه ليس من البر ولا المصلحة وصل الصوم دون إفطار ولو من السحر إلى السحر، بل إن الوصال في الصيام من انتهاك ما نهى عنه الرسول ﷺ . والله أعلم.

مسالة : هل الوصال جائز أو محرَّم أو مكروه.

قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (اختلف الناس في هذه المسالة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه جائز إن قدر عليه، وهو مروي عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف، وكان ابن الزبير يواصل الأيام[(٣)] .

وقالت طائفة أخرى: لا يجوز الوصال، منهم مالك، وأبو حنيفة، والشافعي والثوري وغيرهم.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢/٢٤٢، ٢٤٣)، أبو داود (٢/٧٦٧) رقم (٢٣٦١)، والدارمي (١/٣٤١) رقم (١٧١٢) وأحمد (٣/٨، ٨٧، ٩٦) والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٦١) عن علي بن أبي طالب، وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح، وعن جابر بن عبد الله وقال رواه الطبراني في الأوسط وهو حديث حسن.

(٢) قلت: من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم له خصائص ينفرد بها دون غيره.

(٣) رواه الترمذي (٣/١٤٨).

قال ابن عبد البر: وقد حكاه عنهم: أنهم لا يجيزون لأحد.. والقول الثالث: وهو أعدل الأقوال: إن الوصال يجوز من سحر إلى سحر وهذا هو المحفوظ عن أحمد وإسحاق، لحديث أبي سعيد الخدري المتقدم وهو أعدل الوصال وأسهله على الصائم، وهو في الحقيقة بمنزلة عشائه إلا أنه تأخر، فالصائم له في اليوم والليلة أكلة، فإذا أكلها في السحر كان قد نقلها من أول الليل إلى آخره، والله أعلم) أ.هـ[1] .

وهكذا أخي الكريم: قد تمت رحلتنا بسلام ويُسر، وكم كانت طيبة بطيب رسول الله ﷺ ، وكم كانت مباركة ببركته بأبي هو وأمي ﷺ، وكم كانت عطرة بذكره صلوات ربي وتسليماته عليه.

ونكون بهذا عرفنا شيئاً يسير من جوانب سيرته العطرة التي يفوح شذاها في كل وقت وحين.

فتعالى بنا أخي المبارك لنركب زورقنا مرة أخرى لنعود من حيث أتينا، إلى هنا، وما أدراك ما هنا....!!.

۞ ۞ ۞

---

(١) زاد المعاد.

الواحة الإيمانية الثالثة عشرة

صوم الصالحين من الصحابة

والتابعين وغيرهم

ممن جاءوا بعدهم رضي الله عنهم جميعاً

أخي الكريم: قد مر بنا في الصفحات الماضية صفة صوم النبي ﷺ وبعض أحواله في هذا الشهر الكريم من قراءة القرآن، والذكر والجود والكرم إلى غير ما تقدم، وكم سعدنا بهذه الرحلة المباركة التي سرنا فيها مع الإمام الأول والمعلم الأوحد وشيخ الإسلام وإمام التوحيد، وإمام الأنبياء والمرسلين، بل وإمام الدنيا كلها محمد ﷺ.

وإني أريد أن أعاود الكرة مرة أخرى لنسير مع الرعيل الأول أولئك النفر الذين تخرجوا في الجامعة الكبرى التي أسسها إمام الهدى محمد بن عبد الله ﷺ.

فأصبحوا أئمة هدى ومصابيح دُجى تنير الطريق للسالكين، وتوضح معالم الدرب للسائرين، فهم علماء الدنيا وساستها، ولم تعرف البشرية على مر العصور والأزمان جيل مثل هذا الجيل، جيل صحابة محمد ﷺ، بل وعقمت الدنيا أن تأتي بمثلهم.

من تلقى منهم تقل لاقيت سيدهم

مثل النجوم التي يسري بها الساري

وتخرج على يد هذا الجيل جيل آخر نقل لنا الصورة الحية لما كان عليه صحابة المصطفى ﷺ وهكذا تتابع جيل وراء جيل سلف يعقبه خلف ولا يزال الخير في أمة محمد ﷺ حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

● رحلة عبر التاريخ

أظنك أخي الحبيب قد اشتقت مثلي إلى تلك الكوكبة الفريدة فهيا بنا ـ أخي ـ على عادتنا لنركب زورق الزمان ونخترق الزمان اختراقاً تاريخياً لنسير مع بعض أولئك الذين أنعم الله عليهم من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين ومن سار على دربهم وسلك طريقهم ونسج على منوالهم، من الأئمة الأعلام والسادة الأجلاء، لنعرف شيئاً ـ ولو يسير ـ من سيرهم حال الصيام[1].

(١) صوم الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

المفارق للتنعم والترفيه، المعانق لما كُلِّف من التشمر والتوجيه.

قال عنه ﷺ: (لم أر عبقرياً يفرى فَرِيَّة)[2].

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: ما مات عمر حتى سرد الصوم[3].

---

(١) اعتمدنا في هذا الباب على بعض ما ذكره، الدكتور الشيخ سيد العفاني ـ حفظه الله ـ في كتاب القيم الجامع في بابه (نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان) (١/١١٣ - ١٥٨) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٣) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/١٢١) والبيهقي في سننه (١/٣٠١) وابن حزم في المحلى (٧/١٤) وابن الجوزي في صفة الصفوة (١/٢٨٦).

(٢) صوم ذو النورين عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

أمير البررة وقتيل الفجرة.

حبيب محمد ووزير صدق ورابع خير من وطىء الترابا

قال أبو نعيم عنه: (حظه من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام، مبشر بالبلوى، ومنعم بالنجوى[١]).

وعن الزبير بن عبد الله عن جدة له يقال لها هيمة قالت: (كان عثمان يصوم الدهر، ويقوم الليل إلا هجعة من أوله) (رضي الله عنه قتلوه وقد كان صائماً)[٢].

روى ابن كثير في البداية والنهاية (٢٠٧/٧): (صلى صلاة الصبح ذات يوم فلما فرغ أقبل على الناس فقال: إني رأيت أبا بكر وعمر أتياني الليلة فقالا لي: صم يا عثمان فإنك تفطر عندنا، وإني أشهدكم أني قد أصبحت صائماً، وإني أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالماً مسلوماً منه، ثم دعا بالمصحف فأكب عليه) رضي الله عنه (ما طوى المصحف.. وقتلوه وهو يقرؤه).

---

(١) حلية الأولياء (٥٥/٤).

(٢) حلية الأولياء (٥٦/١)، وصفة الصفوة (٣٠٢/١).

(٣) صوم أبي طلحة الأنصاري (رضي الله عنه).

زيد بن سهل أحد أعيان الصحابة البدرين، وأحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة، قال عنه ﷺ: (لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل) (١).

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة لا يصوم على عهد رسول الله ﷺ من أجل الغزو، فلما قبض النبي ﷺ لم أره يفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر) (٢).

وقال الذهبي: (كان قد سرد الصوم بعد النبي ﷺ) (٣).

قال أبو زرعة الدمشقي: إن أبا طلحة عاش بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة يسرد الصوم) (٤).

---

(١) صحيح: رواه الحاكم في المستدرك عن جابر ورواه ابن عساكر وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٥٠٨١).

(٢) أخرجه الطبراني في (الكبير) (٥/ ٩١) وأشار الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي إلى صحته قلت: ولا يفهم من ذلك أن أبا طلحة رضي الله عنه ترك الجهاد والغزو بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل ظل مجاهداً حتى مات غازياً رضي الله عنه. ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٥٥٠) عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني وعلي بن زيد عن أنس بن مالك قال: أن أبا طلحة رضي الله عنه قرأ سورة (براءة) فأتى على قوله تعالى: (انفروا خفافاً وثقالاً) فقال: لا أرى ربنا إلا يستنفرنا شباباً وشيوخاً، يا بنيَّ جهزوني جهزوني، فقالوا له: يرحمك الله! قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات، ومع أبي بكر رضي الله عنه حتى مات ومع عمر رضي الله عنه حتى مات؛ فدعنا نغزوا عنك، قال: لا، جهزوني، فغزا البحر فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فدفنوه بها ولم يتغير. أ. هـ. انظر كذلك: ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٠٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢١) والحاكم (٣/ ٣٥٣) وأبو يعلى (٣٤١٣) ومجمع الزوائد (٩/ ٣١٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧).

(٤) تاريخ دمشق لأبي زرعة (٥٦٢).

قال الذهبي: (قلت بل عاش بعده نيفاً وعشرين سنة) [١].

وعن أنس رضي الله عنه: (أن أبا طلحة صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة لا يفطر إلا يوم فطر أو أضحى) [٢].

(٤) صوم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

(الصديقة بنت الصديق، العتيقة بنت العتيق، حبيبة الحبيب، وأليفة القريب، سيد المرسلين محمد الخطيب، المبرأة من العيوب، المعراة من ارتياب القلوب لرؤيتها جبريل علام الغيوب) [٣].

عن عبد الرحمن بن القاسم: أن عائشة كانت تصوم الدهر [٤]، وأخرجه ابن سعد عن القاسم بلفظ: أن عائشة كانت تسرد الصوم [٥].

عن عروة: أن عائشة رضي الله عنها كانت تسرد الصوم، وعن القاسم أنها كانت تصوم الدهر، لا تفطر إلا يوم أضحى أو فطر) [٦].

قال عروة: بعث معاوية مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم، فقسمتها، لم تترك منها شيئاً، فقالت بريرة: أنت صائمة، فهلا ابتعت لنا منها بدرهم لحماً؟ قالت: (لو ذكرتني لفعلت) [٧].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٥٣) وقال على شرط مسلم.

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٤٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٧)، ورجاله ثقات أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٦٨).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٧٥).

(٦) السمط الثمين (ص ٩)، وصفة الصفوة (٢/ ٣١)، والمعنى: أنها كانت تصوم غير الأيام المنهي عنها شرعاً: كالعيدين وأيام التشريق والحيض وغيرها.

(٧) أبو نعيم في الحلية (٢/ ٤٧) والحاكم في المستدرك (٤/ ١٣).

وعن محمد بن المنكدر عن أم ذرة[1] وكانت تغشى عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: بعث إليها معاوية بمال في غرارتين، قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهي صائمة يومئذ، فجعلت تقسم بين الناس، فلما أمست قالت: (يا جارية هلمي فطوري) فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة: (أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه) فقالت: (لا تعنفيني، لو كنت ذكرتني لفعلت)[2].

(٥) صوم أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها:

(القوامة الصوامة، حفصة بنت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ وارثة الصحيفة الجامعة للكتاب)[3].

عن قيس بن زيد أن النبي ﷺ طلق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان أبنا مظعون، فبكت وقالت: والله ما طلقني عن شبع وجاء النبي ﷺ فتجلببت، قال: فقال لي جبريل عليه السلام: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة[4].

الله أكبر! وأي شهادة أعظم من شهادة الله وجبريل لحفصة رضي الله عنها، وأنعم بها من عبادة كانت سبباً لرجوع أم المؤمنين حفصة إلى رسولنا لتبقى في عصمته في الدنيا، وفي الآخرة زوجته في الجنة.

عن نافع قال: (ماتت حفصة حتى ما تفطر).

---

(١) وفي بعض النسخ أم درة بالدال المعجمة، ولعل ذلك تصحيف من بعض النساخ. والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٤٦) وأبو نعيم في الحلية (٢/٤٧) ورجاله ثقات.

(٣) الحلية (٢/٥٠).

(٤) حسن: أخرجه الحاكم في المستدرك عن أنس وقيس بن زيد.

(٦) صوم عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

صاحب الصيام والقيام، الإمام الحبر العادل له مناقب وفضائل ومقام، راسخ في العلم والعمل.

عن عبد الله بن عمرو قال: (أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كَنّته[١] فيساءلها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل، لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال «ألقني به» فلقيته بعد، فقال: «كيف تصوم؟» قلت أصوم كل يوم، قال: «وكيف تختم؟» قلت: كل ليلة. قال: «صم في كل شهر ثلاثة واقرأ القرآن في كل شهر» قال. قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صم ثلاثة أيام في الجمعة». قال: قلت أطيق أكثر من ذلك، قال: «أفطر يومين وصم يوماً». قال: قلت أطيق أكثر من ذلك، قال: صُم أفضل الصوم صيام داود، صيام يوم وإفطار يوم واقرأ في كل سبعة ليال مرة فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وذاك أني كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن في النهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى وصام مثلهن، كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي ﷺ [عليه][٢].

---

(١) كَنّته: بفتح الكاف وتشديد النون هي زوج الولد.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن (٧١٢/٨، ٧١٣).

(٧) صوم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

الإمام القدوة شيخ الإسلام[١] المتعبد المتهجد يكفيه قول رسول الله ﷺ «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»[٢] وقوله: «إن عبدالله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل»[٣].

قال عنه نافع مولاه: كان ابن عمر لا يصوم في السفر ولا يكاد يفطر في الحضر[٤].

عن سعيد بن جبير قال: (لما احتضر ابن عمر، قال: ما آسي على شيء من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وإني لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت بنا، يعني الحجاج)[٥].

(٨) صوم أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه:

صاحب رسول الله ﷺ صاحب الكرامة الباهرة[٦].

عن جابر بن حيوة عن أبي أمامة قال: أنشأ رسول الله ﷺ فأتيته فقلت: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة. قال: اللهم سلمهم وغنمهم

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٢٠٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم وابن ماجة.

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/٢١٥).

(٥) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد (٤/١٨٥)، والذهبي في السير (٣/٢٣٢).

(٦) أنظر سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (٣/٣١٥).

فغزونا فسلمنا وغنمنا، حتى ذكرت ذلك ثلاث مرات، قال: ثم أتيته، فقلت: يا رسول الله! إني أتيتك تترى ثلاث مرات، أسألك أن تدعو لي بالشهادة، فقلت: «اللهم سلمهم وغنمهم» فسلمنا وغنمنا يا رسول الله، فمرني بعمل أدخل به الجنة، فقال: «عليه بالصوم فإنه **لا** مثل له» قال: «فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهاراً إلا إذا نزل بهم ضيف، فإذا رأوا الدخان نهاراً عرفوا أنه قد اعتراهم ضيف»[1].

وعن أمامة: «فكان أبو أمامة وامرأته، وخادمه **لا** يُلْفون إلا صياماً»[2].

(٩) صوم عبد الله بن الزبير (رضي الله عنه):

أمير المؤمنين ابن الحواري العائد ببيت الله، المشاهد في القيام، المواصل للصيام قال الذهبي: عدوه في صغار الصحابة. وإن كان كبيراً في العلم والشرف والجهاد والعبادة[3].

قالت عنه أسماء بنت أبي بكر أنه: قوّام الليل، صوام النهار، وكان يسمى حمام المسجد[4].

---

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم وقد تقدم في باب فضائل الصوم في هذا الكتاب. قلت: ومعنى (أنشأ) أي أنشأ جيشاً للغزو وجهزه.

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٢).

(٤) حلية الأولياء (١/٣٣٥)، وسير أعلام النبلاء (٣/٣٦٧).

عن ابن أبي مليكة قال: (كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام ويصبح في اليوم السابع وهو أليثنا)[(١)].

وقال ابن عمر وقد رآه مصلوباً: (السلام عليك يا أبا حبيب - كررها ثلاثاً - أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم، أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير)[(٢)].

(١٠) صوم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

الأمير السعيد، الشهيد البدري النقيب، أبو عمرو الأنصاري الخزرجي شاعر رسول الله ﷺ.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة)[(٣)].

وعند الذهبي في السير: (إن كنا لنكون مع رسول الله ﷺ في السفر في اليوم الحار ما في القوم أحد صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة)[(٤)].

---

(١) رواه الحاكم (٥٤٩/٣)، أليثنا: أي كأنه ليث.

(٢) صحيح: رواه البخاري في صحيحه.

(٣) صحيح وقد تقدم.

(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٣٢ - ٢٣٣) واصله في الصحيحين كما تقدم.

(١١) صوم أبي مسلم الخولاني (رحمه الله):

(المتسلي بالأوراد والنوب، الخولاني عبد الله بن ثوب، حكيم الأمة وممثلها ومديم الخدمة ومحررها)[١].

عن عطية بن قيس، قال: (دخل ناس من أهل دمشق على أبي مسلم وهو غاز في أرض الروم، وقد احتقر جورة في فسطاطه[٢]. وجعل فيها نطعاً وأفرغ فيه الماء وهو يتصلق[٣] فيه، فقالوا: ما حملك على الصيام وأنت مسافر؟ قالوا: لو حضر قتال لأفطرت ولتهيأت له وتقويت، إن الخيل لا تجرى الغايات وهُن بُدَّن، إنما تجرى وهن ضُمّر، ألا وإن أيامنا باقية جائية)[٤] وفي الحلية (بين أيدنا أياماً لها نعمل)[٥].

(١٢) صوم عامر بن قيس (رحمه الله):

القدوة الولي الزاهد راهب هذه الأمة.

كان يقول: (لذات الدنيا أربعة: المال والنساء والنوم والطعام، فأما المال والنساء فلا حاجة لي فيهما، وأما النوم والطعام فلابد لي منهما، فو الله لأضرن بهما جهدي، ولقد كان يبيت قائماً ويظل صائماً)[٦].

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٢٢).

(٢) البيت من الشعر.

(٣) يتصلق، أي: يتقلب ويتلوى على جنبه.

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٠).

(٥) حلية الأولياء (٢/ ١٢٧).

(٦) حلية الأولياء (٢/ ٨٨).

كان يقول: (ما أبكي على دنياكم رغبة فيها، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء)[١].

عن قتادة: «لما احتضر عامر بكى، فقيل ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وقيام الليل»[٢].

(١٣) صوم الأسود بن يزيد النخعي (رحمه الله):

الإمام القدوة، القارئ القوام، الساري الصوّام، الفقيه الأثير، الفقير الأسير، «هو نظير مسروق في الجلالة والعلم والثقة والسن يضرب بعبادتهما المثل»[٣].

سُئل الشعبي عن الأسود فقال: «كان صواماً قوَّاماً حجاجاً»[٤].

عن علقمة بن مرثد قال: «انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الأسود ابن يزيد، كان مجتهداً في العبادة يصوم حتى يخضر جسده ويصفر، وكان علقمة بن قيس يقول له: ويحك لِم تعذب هذا الجسد؟ قال: راحة هذا الجسد أريد [إن الأمر جد إن الأمر جد][٥]، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: مالي لا أجزع ومن أحق بذلك مني؟! والله لو

---

(١) حلية الأولياء (٢/٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/١٩).

(٣) المصدر السابق (٤/٥٠).

(٤) حلية الأولياء (٢/١٠٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/٥١).

(٥) الاعتصام للشاطبي (١/٣٩٩).

أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لهمني الحياء منه مما قد صنعته، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مستحياً منه)[١].

وروى شعبة عن الحكم أن الأسود كان يصوم الدهر[٢].

وروى حماد عن إبراهيم، كان الأسود يصوم حتى يسود لسانه من الحر[٣].

وعن عبد الله بن بشر أن علقمة والأسود بن يزيد حجا، وكان الأسود صاحب عبادة، وصام يوماً وكان الناس بالهجير، وقد تربد وجهه، فأتاه علقمة فضرب على فخذه فقال: ألا تتق الله يا أبا عمرو في هذا الجسد؟ علام تعذب هذا الجسد؟ فقال الأسود: يا أبا شبل الجد الجد[٤].

قال: حنس بن حارث: رأيت الأسود وقد ذهبت إحدى عينيه من الصوم، فقيل له في ذلك فقال: لا ضير إن كانت الجنة فسيبدل الله بعين أصح منها[٥]. الله أكبر! ما ضرهم ما أصابهم جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة.

---

(١) حلية الأولياء (٢/١٠٣، ١٠٤)، وسير أعلام النبلاء (٤/٥٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٥٢).

(٣) المصدر السابق (٤/٥٣).

(٤) حلية الأولياء (٢/١٠٤).

(٥) المصدر السابق (٢/١٠٤).

(١٤) صوم ثابت البناني (رحمه الله):

المتعبد الفاضل، والمتهجد الذابل أبي محمد.

قال عنه أنس بن مالك: إن للخير مفاتيح، وإن ثابتا مفتاح من مفاتيح الخير[١] قال شعبة: كان ثابت يقرأ القرآن في كل يوم وليلة، ويصوم الدهر.

قال بكر بن عبد الله: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البناني، فما أدركت الذي هو أعبد منه، إنه ليظل في اليوم المعمعاني[٢]. الطويل ما بين طرفيه صائماً يروح ما بين جبهته وقدمه[٣].

وكان رحمه الله يقول: لا يسمي عابد أبداً عابداً، وإن كان فيه كل خصلة من خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان، الصوم والصلاة، لأنهما من لحمه ودمه[٤].

قال مبارك بن فضالة: دخلت على ثابت البناني في مرضه وهو في علوله، وكان لا يزال يذكر أصحابه فلما دخلنا عليه، قال: يا إخوتاه، لم أقدر أن أصلي البارحة كما كنت أصلي، ولم أقدر أن أصوم كما كنت

---

(١) قلت: وأنس بن مالك رضي الله عنه شيخ ثابت البناني وكان ثابت رحمه الله من أثبت الناس في أنس رضي الله عنه، وهذه الشهادة من الشيخ الجليل للتلميذ النبيل وسام فخر ودرة في جبين الدهر. رضي الله عن الجميع.

(٢) في (النهاية) كان ابن عمر يتتبع اليوم المعمعاني فيصومه أي: شديد الحر.

(٣) حلية الأولياء (٢/٣١٨).

(٤) حلية الأولياء (٢/٣١٨).

أصوم، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي فأذكر الله عز وجل كما كنت أذكره معهم، ثم قال: اللهم إذا حبستني عن ثلاث فلا تدعني في الدنيا ساعة [أو قال] إذا حبستني أن أصلي كما أريد وأصوم كما أريد وأذكرك كما أريد، فلا تدعني في الدنيا ساعة. فمات من وقته رحمه الله (١).

(١٥) صوم سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري (رحمه الله):

فقيه العصر، صائم الدهر، المتعبد القارئ، الكاسي العاري، سعد بن إبراهيم الزهري. قال شعبة: كان سعد بن إبراهيم يصوم الدهر (٢).

كان رحمه الله يحتبى فما يحل حبوته حتى يختم القرآن.

قال إبراهيم بن سعد: كان أبي سعد بن إبراهيم إذا كانت ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين لم يفطر فيما بين المغرب والعشاء والآخرة، وكان كثيراً إذا أفطر يرسلني إلى مساكين يأكلون معه (٣).

(١٦) صوم سعيد بن المسيب (رحمه الله):

سيد التابعين، عالم العلماء كما قال مكحول فقيه الفقهاء، حدث يزيد بن أبي حازم أن سعيد بن المسيب كان يسرد الصوم، وقال هو عن نفسه ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد (٤).

---

(١) حلية الأولياء (٣/٣٢٠).

(٢) حلية الأولياء (٣/١٦٩).

(٣) حلية الأولياء (٣/١٧٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/٢٢١) وقال الذهبي: إسناده ثابت.

(١٧) صوم أبي بكر بن عبد الرحمن راهب قريش (رحمه الله):

الإمام أحد الفقهاء السبعة، وكان من سادات قريش، قال ابن سعد كان يقال له راهب قريش لكثرة صلاته[١].

روى الشعبي عن عمر بن عبد الرحمن أن أخاه أبا بكر كان يصوم ولا يفطر. قال الذهبي (قلت: كان أبو بكر بن عبد الرحمن ممن جمع العلم والعمل والشرف وكان ممن خلف أباه في الجلالة)[٢].

(١٨) صوم عروة بن الزبير (رحمه الله):

عالم المدينة أحد الفقهاء السبعة وابن حواري رسول الله ﷺ مُكن من الطاعة فاكتسب وامتحن بالمحنة فاحتسب عروة بن الزبير بن العوام المتعبد الصوام[٣].

قال الزهري: جالست ابن المسيب سبع سنين لا أرى أن عالماً غيره، ثم تحولت إلى عروة ففجرت به ثبج بحر.

وقال أيضاً: رأيت عروة بحراً لا تكدره الدلاء[٤].

عن هشام بن عروة أن أباه كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر ومات وهو صائم، وكانوا يقولون له أفطر فلم يفطر[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/٢٠٧ - ٢٠٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٤١٧ - ٤١٨).

(٣) الحلية (٢/١٧٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/٤٢٥).

(٥) طبقات ابن سعد (٥/١٨٠)، والزهد لأحمد (٣٧١). صفة الصفوة (٢/٨٨).

وعن هشام بن عروة أن أباه كان يسرد الصوم(١) .

وعن هشـام أن أباه وقعت في رجله الآكلة ، فقال : ألا ندعو لك طبيباً ، قال إن شئتم ، فقالوا نسقيك شراباً يزول فيه عقلك؟ فقال : امض لشأنك إن الله ابتلاني ليرى صبري ما كنت أظن أن خلقاً يشرب ما يزل عقله حتى لا يعرف به ، فوضع المنشار على ركبته اليسرى ، فما سمعنا له حساً ، فلما قطعها جعل يقول : لئن أخذت ، لقد أبقيت ، ولئن ابتليت لقد عافيت ، وما ترك جزءه بالقرآن تلك الليلة(٢) .

وكان ورده ربع القرآن كل يوم في المصحف نظراً يقوم به الليل.

وعن عبد الواحد مولى عروة قال : شهدت عروة بن الزبير قطع رجله من المعضل وهو صائم(٣) .

الله أكبر! والله لكأنها الأعاجيب ، ولكن لا عجب من رجل أمه أسماء ذات النطاقين وأبوه الزبير حوارى رسول الله ﷺ ، وجده الصديق ، وجدته صفية وخالته عائشة وأخوه عبد الله رضي الله عن الجميع.

فما استخبأت في رجل خبيئاً كمثل الدين أو حسب عتيق
ذوو الأحساب أكرم من تراث وأصبر عند نائبة الحقوق

---

(١) صفة الصفوة (٨٨/٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٣٠/٤).

(٣) حلية الأذكياء (١٧٨/٢).

(١٩) صوم إبراهيم النخعي (رحمه الله):

التقى الخفي النقي الفقيه الرضي الإمام الحافظ فقيه العراق ومفتي الكوفة حدثت هُنيدة امرأة إبراهيم أن إبراهيم كان يصوم يوماً ويفطر يوماً[١].

قال سعيد بن جبير: تستفتوني وفيكم إبراهيم النخعي[٢].

وكان يقول رحمه الله: وددت أني ما تكلمت، ولو وجدت بداً من الكلام ما تكلمت وأن زماناً صرت فيه فقيها لزمان سوء[٣].

(٢٠) صوم الحسن البصري (رحمه الله):

إمام الدنيا كلها، سيد الزاهدين في زمانه وبعده إمام في العلم، إمام في الورع، لم يكن هناك باب من أبواب الخير وإلا وكان فيه إماماً.

قال عنه جعفر الباقر: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء[٤].

---

(١) قلت من الذين كانوا يصومون يوماً ويفطرون يوماً عطاء بن يسار وكان أخوه سليمان يصوم الدهر وابن سيرين وسليمان بن طرخان، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب وغيرهم كثير رحم الله الجميع.

(٢) حلية الأولياء (٤/٢٢١).

(٣) الحلية (٤/٢٢٣) قلت: وهذا من تواضعه رحمه الله، وإلا فإن زمانه كان زمان خير وبركة.

(٤) الحلية (٢/١٤٧)، والسير (٤/٥٨٥).

قال أيوب السختياني: لو رأيت الحسن لقلت أنك لم تجالس فقيهاً قط[١].

وقال عوف: ما رأيت رجلاً أعلم بطريق الجنة من الحسن[٢].

قال السرى بن يحيى (كان الحسن يصوم البيض وأشهر الحرم والإثنين والخميس)[٣].

وكان يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم قد كبلتك الخطايا والذنوب[٤].

(٢١) صوم عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي (رحمه الله):

الإمام بن الإمام، قال هلال بن خباب: كان عبد الرحمن بن الأسود، وعقبة مولى أديم وسعد أبو هشام يحرمون من الكوفة ويصومون يوماً ويفطرون يوماً حتى يرجعوا.

وعن الحكم، أن عبد الرحمن بن الأسود لما احتضر بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أسفاً على الصلاة والصوم ولم يزل يتلو حتى مات.

وروى أن عبد الرحمن صام حتى أحرق الصوم لسانه[٥].

---

(١) السير (٤/٥٨٥).

(٢) السير (٤/٥٧٥).

(٣) السير (٤/٥٧٨)، والزهد للإمام أحمد (ص ٢٦٩).

(٤) الحسن البصري لابن الجوزي (ص ١٦).

(٥) السير (٥/١٢). قلت: (ذرية بعضها من بعض)، ومن شابه أباه فما ظلم.

(٢٢) صوم منصور بن المعتمر (رحمه الله):

حليف الصيام والقيام، خفيف التطعم والمنام، الحافظ القدوة أبو عتاب السلمي.

قال أبو بكر بن عباس: رحم الله منصوراً كان صواماً قواماً.

قال الثوري: لو رأيت منصور بن المعتمر لقلت: يوم الساعة.

حدث زائدة أن منصوراً صام أربعين سنة، وقام ليلها وكان يبكي فتقول له أمه: يا بني قتلت قتيلاً، فيقول: أنا أعلم بما صنعت بنفسي فإذا كان الصبح أكحل عينيه، ودهن رأسه وبرق شفته وخرج إلى الناس.

وذكر سفيان بن عيينة منصوراً فقال: قد كان عمش من البكاء، وقال سفيان أن منصور بن المعتمر صام ستين سنة يقوم ليلها ويصوم نهارها[١].

(٢٣) صوم الزهري (رحمه الله):

الإمام العلم حافظ زمانه محمد بن شهاب الزهري.

عن معاذ بن صالح أنا أبا جيلة حدثه قال: كنت مع ابن شهاب في سفر وصام يوم عاشوراء، فقيل له لِمَ تصوم وأنت تفطر في رمضان في السفر؟ قال: إن رمضان له عدة من أيام أخر، وأن عاشوراء يفوت[٢].

---

(١) السير (٥/٤٠٤ - ٤٠٦)، الحلية (٥/١٢٤)، مختصر قيام الليل (٢٨).

(٢) السير (٥/٣٤٢).

(٢٤) صوم داود بن أبي هند (رحمه الله):

أبي بكر الإمام الحافظ الثقة مفتي أهل البصرة[١].

قال حماد بن زيد ما رأيت أحداً أفقه من داود.

قال الفلاسي: سمعت ابن أبي عوف يقول: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم أهله به، وكان خزازار يحمل معه غذاه فيتصدق به في الطريق[٢].

قال ابن الجوزي: يظن أهل السوق أنه أكل في البيت ويظن أهله أنه قد أكل في السوق[٣].

(٢٥) صوم ابن أبي ذئب (رحمه الله):

الإمام العلم شيخ الإسلام أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب القرشي.

قال أحمد: كان يشبه سعيد بن المسيب، فقيل لأحمد خلَّف مثله، قال: لا، ثم قال: كان أفضل من مالك إلا أن مالكاً رحمه الله أشد تنقية للرجال منه كان يصلي الليل أجمع ويجتهد في العبادة، ولو قيل له: إن القيامة تقوم غداً ما كان فيه مزيد من الاجتهاد.

---

(١) السير (٦/٣٧٦ - ٣٧٧) واسم أبي هند، دينار بن عُذافر.

(٢) السير (٦/٣٧٨).

(٣) المدهش (ص ٤٣٥).

قال أخوه: كان أخي يصوم يوماً ويفطر يوماً ثم سرد الصوم، وكان شديد الحال يتعشى الخبز والزيت[١].

(٣٦) صوم معروف الكرخي (رحمه الله):

الملهوف إلى المعروف، عن الفاني مصروف، وبالباقي مشغول، وبالتحف محفوف، وللطفل مألوف، الكرخي أبو محفوظ معروف[٢]، علم الزهاد، بركة العصر أبو محفوظ البغدادي[٣].

قال: أحمد بن حنبل: وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف.

قال ابن عبيد لإسماعيل بن شداد: ما فعل ذلك الحبر الذي منكم ببغداد؟ قلنا: من هو؟ قال: أبو محفوظ معروف، قلنا: بخير، قال: لا يزال أهل تلك المدينة بخير ما بقي فيهم[٤].

سُئِل: كيف تصوم؟ فغالط السائل وقال: صوم نبينا محمد ﷺ كان كذا وكذا، وصوم داود كان كذا وكذا، فألح عليه فقال: أصبح دهري صائماً فمن واعاني أكلت ولم أقل إني صائم[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/١٤١).

(٢) السير (٩/٣٩).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/٢٠٠)، وطبقات الحنابلة (١/٣٨٢).

(٤) الحلية (٨/٣٦٦)، وتاريخ بغداد (١٣/٢٠١)، والسير (٩/٣٤٠).

(٥) السير (٨/٣٦٥) والسير (٩/٣٤٢).

قال عبيد بن محمد الوراق: مر معروف وهو صائم بسقّاء يقول: رحمه الله من شرب فشرب رجاء الرحمة[١].

وكان يقول: إذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل[٢].

(٢٧) صوم أحمد بن حرب (رحمه الله):

الإمام القدوة شيخ نيسابور أبو عبد الله النيسابوري، كان من كبار الفقهاء والعباد[٣]. من صحت بدايته صحت نهايته، أجسام ذلت منذ الصغر لخدمة سيدها ومولاها، ومن لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة.

قال زكريا بن حرب: ابتدأ أخي بالصوم وهو في الكُتّاب، فلما راهق حج مع أخي الحسين بن حرب، ثم أقاما بالكوفة للطلب وبالبصرة وبغداد ثم أقبل على العبادة لا يفتر، وأخذ من المواعظ والتذكير وحث على العبادة وأقبلوا على مجلسه[٤].

قال محمد بن يحيى: مرَّ أحمد بن حرب بصبيان يلعبون فقال أحدهم: أفسحوا فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل، فقبض

---

(١) الحلية (٨/٣٦٥) والسير (٩/٣٤٢).

(٢) الحلية (٨/٣٦١)، والسير (٦/٣٤٠).

(٣) السير (١١/٣٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/٣٣).

على لحيته، وقال: الصبيان يهابونك وأنت تنام، فأحيا الليل بعد ذلك حتى مات(١).

(٢٨) صوم أحمد بن حنبل إمام أهل السُنة (رحمه الله):

معلم الخير، إمام أهل السُنة، الواقف يوم المحنة: الصابر في ذات الله، المقدم رضى مولاه على رضى من سواه. ناصر الدين، وقامع المبتدعين أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني.

قال يحيى معين: أحمد بن حنبل معلم الخير، وقال: والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد وعلى طريقة أحمد.

قال ابن المديني: أحمد بن حنبل سيدنا، وقال: اتخذت أحمد بن حنبل إماماً فيما بيني وبين الله، وقال: إن الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة.

وقال اسحاق بن راهويه: لولا أحمد بن حنبل وبذل نفسه لما بذلها له لذهب الإسلام.

وقال بشر بن الحارث: إن هذا الرجل قام اليوم بأمر عجز عنه الخلق. أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء؟ إن أحمد بن حنبل قام مقام الأنبياء، حفظ الله أحمد من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله، إن أحمد بن حنبل طار بحظها وغنائها في الإسلام.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٣٣).

قال إبراهيم بن هانيء ـ وكان أبو عبد الله حيث توارى من السلطان توارى عنده ـ فحكى أنه لم يرد أحد أقوى على الزهد والعبادة وجهد النفس من أبي عبد الله أحمد بن حنبل، قال: كان يصوم النهار ويعجل الإفطار، ثم يصلي بعد العشاء الآخرة ركعات، ثم ينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيتطهر ولا يزال يصلي حتى يطلع الفجر، ثم يوتر بركعة وكان هذا دأبه طوال إقامته عندي، ما رأيته فتر ليلة واحدة، وكنت لا أقوى معه على العبادة، وما رأيته مفطر إلا يوماً واحداً أفطر واحتجم(١).

وبعد خروج الإمام أحمد إلى العسكر بعد إنقضاء ما اتهم به، قال أبو بكر المروزي: قال لي أحمد بن حنبل ونحن بالعسكر إلى اليوم ثمان لم آكل شيئاً ولم أشرب إلا أقل من قدر نصف ربع سويق، فربما شربه وربما ترك بعضه، وكان إذا ورد عليه أمر يهمه لم يطعم ولم يفطر إلا على شربة ماء.

قال صالح بن أحمد: جعل أبي يواصل الصوم يفطر في كل ثلاث على تمر شهرين، فمكث بذلك خمسة عشرة يوماً، يفطر في كل ثلاث، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلة وليلة لا يفطر إلا على رغيف.

وكان إذا جيء بالمائدة توضع في الدهليز لكي لا يراها، فيأكل من حضر، وكان إذا أجهده الحر تُلقى له خرقة فيضعها على صدره(٢).

(١) مناقب الإمام أحمد (٣٥٩، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٦).

(٢) مناقب الإمام أحمد (٣٥٩، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٦).

وكُلم في أمره في الحمل على نفسه، فقيل له: لو أمرت بقدر تطبخ لك ليرجع إليك نفسك فقال: الطبيخ طعام المطمئنين، مكث أبو ذر ثلاثين يوماً ما له من طعام إلا ماء زمزم، وهذا إبراهيم التيمي كان يمكث في السجن كذا وكذا لا يأكل، وهذا ابن الزبير كان يمكث سبعاً(١).

نعم: إنها إرادة تكسر الحديد رحم الله أبو عبد الله رحمة واسعة وجمعنا اللهم به في مستقر رحمته في مقعد صدق عنده إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(٢٩) صوم إبراهيم بن هانيء النيسابوري (رحمه الله):

الإمام العلم أبو إسحاق النيسابوري.

قال الخطيب البغدادي (كان أحد الأبدال)(٢).

قال الإمام أحمد بن حنبل: (إن يكن أحد ممن يعرف من الأبدال فإبراهيم بن هانيء)(٣).

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء: كان أحمد بن حنبل مختفياً هاهنا عندنا في الدار فقال لي أحمد بن حنبل: لست أطيق ما يطيق أبوك ـ يعني من العبادة ـ لو لم يكن لهذا الإمام الجبل من الفضل إلا ما قاله إمام أهل السُنة والجماعة فيه لفكاه فخراً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ بغداد (٦/ ٢٠٤، ٢٠٥).

(٣) تاريخ بغداد (٦٧/ ٢٠٤، ٢٠٥).

هذا الإمام الصوام الذي مات وهو صائم.

قال أبو بكر النيسابوري: حضرتُ إبراهيم بن هانيء عند وفاته فجعل يقول لابنه إسحاق: يا إسحاق ارفع الستر، قال: يا أبت الستر مرفوع، قال: أنا عطشان، فجاء بماء، قال: غابت الشمس؟ قال: لا قال: فرده، ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون ثم خرجت روحه.

وفي (صفة الصفوة) فدعا ابنه إسحاق فقال: هل غربت الشمس؟ قال: لا، ثم قال: يا أبت رُخص لك الإفطار في الفرض وأنت متطوع، قال: أمهل: ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، ثم خرجت نفسه[(١)].

(٣٠) صوم بقي بن مخلد (رحمه الله):

الإمام القدوة، شيخ الإسلام الحافظ، صاحب التفسير و(المسند) الذين لا نظير لهما، تلميذ الإمام أحمد.

قال عنه الإمام الذهبي: كان إماماً مجتهداً صالحاً ربانياً صادقاً مخلصاً، رأساً في العلم والعمل، عديم المثل، منقطع القرين، يفتي بالأثر ولا يقلد أحداً.

قد ظهرت له إجابات الدعوة في غير ما شيء[(٢)].

قال عنه أبو عبد الملك أحمد بن محمد بن عبد البر: (وكان فاضلاً تقياً صواماً قواماً متبتلاً، منقطع القرين في عصره، منفرداً عن النظير في عصره)[(٣)].

---

(١) تاريخ بغداد (٦/٢٠٦) وصفة الصفوة (٢/٤٠١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/٢٨٦ - ٢٨٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/٢٨٩).

قال أبو عبيدة صاحب القبلة (كان بقى يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشر وكان يصلي بالنهار مئة ركعة، ويصوم الدهر[١] وكان كثير الجهاد، فاضلاً، يُذكر عنه أنه رابط اثنتين وسبعين غزوة[٢].

قال عنه حفيده عبد الرحمن: (كان جدي قد قسّم أيامه على أعمال البر، فكان إذ صلى الصبح قرأ حزبه من القرآن في المصحف، سدس القرآن، وكان أيضاً يختم القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة، ويخر في كل ليلة في الثلث الأخير إلى مسجده، فيختم قرب انصداع الفجر، وكان يصلي بعد حزبه من المصحف صلاة طويلة جداً، ثم ينقلب إلى داره وقد اجتمع في مسجده الطلبة فيجدد الوضوء ويخرج إليهم، فإذا انقضت الدروس، صار إلى صومعة المسجد، فيصلي إلى الظهر، ثم يكون هو المبتديء بالأذان، ثم يهبط، ثم يُسمع إلى العصر، ويصلي ويُسمع وربما خرج في بقية النهار، فيقعد بين القبور يبكي ويعتبر، فإذا غربت الشمس أتى مسجده ثم يصلي، ويرجع إلى بيته فيفطر، وكان يسرد الصوم إلا يوم الجمعة ويخرج إلى مسجده، فيخرج إليه جيرانه، فيتكلم معهم في دينهم ودنياهم ثم يصلي العشاء، ويدخل بيته فيحدث أهله، ثم ينام نومة قد أخذتها نفسه، ثم يقوم، هذا إلى أن توفى)[٣].

رحم الله الإمام العالم الرباني بقى بن مخلد ورفع درجته في العليين.

---

(١) ومن الذين كانوا يصومون الدهر كذلك، العالم الزاهد أحمد بن سليمان أبو بكر النجاد وكان يفطر على رغيف.

(٢) يسير (١٣/ ٢٩٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٥).

(٣١) صوم ابن جُميع (رحمه الله):

المسند الرّحال العالم الصالح محمد بن أحمد بن جُميع الغساني الصيداوي صاحب (المعجم).

قال ابنه: (صام أبي أبو الحسين وله ثمان عشرة سنة إلى أن توفي، وقد عاش ستاً وتسعين سنة)[١].

وكذا كان والده أبو بكر عابداً صواماً[٢].

(٣٢) صوم وكيع بن الجراح (رحمه الله):

النصّاح والمفهم المفصاح أبو سفيان وكيع بن الجراح الإمام الحافظ الرؤاسي محدث العراق، كان من بحور العلم وأئمة الحفظ.

قال يحيى بن معين: وكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه.

قال الإمام أحمد بن حنبل: ما رأيت قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب مع خشوع وورع[٣].

قال يحيى بن أكثم: صحبت وكيعاً في الحضر والسفر، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٥٥، ١٥٦).

(٢) قلت ومن الذين اشتهروا بالصوم كذلك ابن بطة العبكري الفقيه المحدث صاحب (الإبانة الكبرى) قال عنه الخطيب (... لم يُر في سوق ولا رؤى مفطر إلا في عيد...) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٢ - ١٥٧).

قال ابن عمار: كان وكيع يصوم الدهر، ويفطر يوم الشك والعيد[١].

كان وكيع لا ينام حتى يقرأ جزءه في كل ليلة ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل، فيقرأ المفصل، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر.

قلت: صدق الإمام الذهبي حيث قال: (رضي الله عن وكيع وأين مثل وكيع)[٢].

قال أبو جعفر الجمال: أتينا وكيعاً فخرج بعد ساعة، وعليه ثياب مغسولة فلما بصرنا به، فزعنا من النور الذي يتلألأ في وجهه، فقال رجل بجنبي أهذا ملك؟ فتعجبنا من ذلك النور[٣].

(٣٣) صوم العماد المقدسي (رحمه الله):

العالم الإمام الزاهد، القدوة، بركة الوقت، عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم المقدسي أخو الحافظ عبد الغني.

كان الشيخ الموفق يقول: ما نقدر نعمل مثل عمل العماد.

قال الضياء: لم أر أحداً أحسن صلاة منه ولا أتم خشوع وخضوع.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/١٤٢ - ١٥٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/١٤٢ - ١٥٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/١٤٢ - ١٥٧).

قيل: كان يسبح عشراً يتأنى فيهم، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان إذا دعا كان القلب يشهد بإصابة دعائه من كثرة ابتهاله وإخلاصه.

ومن دعائه المشهور: (اللهم اغفر لأقسانا قلباً وأكبرنا ذنباً، وأثقلنا ظهراً، وأعظمنا جرماً).

(يا دليل الحيارى دلنا على طريق الصادقين واجعلنا من عبادك الصالحين).

قال عنه الموفق: ما أعلم أنني رأيت أشد خوفاً منه[(١)].

(٣٤) صوم جعفر بن الحسن الدرزيجاني المقرىء (رحمه الله):

الزاهد الفقيه الحنبلي.

قال عنه الحافظ ابن رجب (كان من عباد الله الصالحين، أمّاراً بالمعروف ناهٍ عن المنكر، وله المقامات المشهورة في ذلك).

كان مداوماً على الصيام والتهجد والقيام، وله ختمات كثيرة جداً، كل ختمة منها في ركعة، توفي في الصلاة ساجداً سنة ٥٠٦هـ رحمه الله تعالى)[(٢)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/٤٨/٤٩).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/١١٠).

(٣٥) صوم رحلة العابدة مولاة معاوية (رحمها الله):

عن سعيد بن عبد العزيز قال: ما بالشام ولا بالعراق أفضل من رحلة، ودخل عليها نفر من القرّاء، فكلموها في الرفق بنفسها فقالت: (مالي وللرفق بها؟ فإنما هي أيام مبادرة فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً، والله يا إخوتاه لأصلين ما أقلتني جوارحي، ولأصومن له أيام حياتي، ولأبكين له ما حملت الماء عيناي.

ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه.

ولقد قامت رحمها الله حتى أقعدت، وصامت حتى اسودت، وبكت حتى عمشت وكانت تقول: (علمي بنفسي قرّح فؤادي، وكلم قلبي، والله لوددت أن الله لم يخلقني ولم أك شيئاً مذكوراً).

وكانت رحمها الله تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين في سبيل الله(١).

(٣٦) صوم ميمونة بنت الأقرع (رحمها الله):

العابدة الزاهدة التقية الورعة، كتبت عن الإمام أحمد بن حنبل أشياء.

وأخبر المروزي فقال: (ذكرت لأحمد بن حنبل ميمونة بنت الأقرع فقلت له: إنها أرادت أن تبيع غزلها فقالت للغزال: إذا بعت هذا الغزل،

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٠، ٤١).

فقل إني ربما كنت صائمة فأرخى يدى فيه، ثم ذهبت ورجعت فقالت: رد عليّ الغزل أخاف ألا تبين للغزّال هذا!)[١].

فانظر يا رعاك الله إلى هذا الورع الفريد، والخوف الشديد والحساب الدقيق وقد قيل: إنما خفَّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا.

(٣٧) صوم السيدة المكرمة الصالحة نفيسه ابنه الحسن بن زيد ابن السيد سبط النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي (رضي الله عنها):

كانت رحمها الله وأكرمها من الصالحات العوابد، زاهدة تقية، تقوم الليل، وتصوم النهار حتى قيل لها: (ترفقي بنفسك) لكثرة ما رأوا منها، فقالت: كيف أترفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون!.

حجت ثلاثين حجة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره[٢].

قال عنها ابن كثير (رحمه الله) كانت عابدة زاهدة كثيرة الخير.

توفيت رحمها الله تعالى وهي صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: (واعجباه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن هذا لا يكون وخرجت من الدنيا وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى:

---

(١) أعلام النساء (لعمر رضا كحالة (١٣٨/٥)، نقلاً عن طبقات الفقهاء الحنابلة للفراء (مخطوطة).

(٢) نقلاً من كتاب (عودة الحجاب) (٦٠٧/٢ - ٦٠٨).

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:١٢] (١) .

ورحم الله من قال:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم أو مجدهم تعدوا
قوم أبوهم [علي] حين تنسبهم ... طابوا أو طاب من الأولاد ما ولدوا
إنس إذا آمنوا جن إذا فزعوا ... مرزءون بها ليل إذا حشدوا
محسدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

قال عمر: (أحسن، وما أعلم أحدا أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتهم منه)(٢) .

ونختم رحلتنا المباركة هذه التي كانت مع الصالحين العابدين القائمين الصائمين بالعجب العجاب.

(٣٨) زيد بن بندار بن زيد أبو النخاني يصوم هو وابنه وامرأته نحو أربعين سنة.

نعم: إنها أعجوبة حقا.

رحم الله أبا جعفر زيد بن بندار بن زيد أبو النخاني.. (كان من العابدين)(٣) .

قال عنه أبو نعيم الأصبهاني: (من الفقهاء، صام نحو أربعين سنة هو وابنه وامرأته توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين)(٤) .

---

(١) مرآة الزمان (ص ٨٢).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٥٧٧ - ٥٧٨) والبيت الثاني في الأصل قوم أبوهم سنان بدلا من علي.

(٣) طبقات المحدثين بأصبهان، لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٢٢٩).

(٤) تاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٣٧٧).

أخي الكريم: وبهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية رحلتنا وكم كانت طيبة بطيب أولئك النفر الأجلاء الفضلاء، وكم كانت مباركة ببركة هذه الكوكبة الإيمانية، وكم كانت رحلة شيقة بحق ممتعة بصدق.

كم كنا نود أن تستمر الرحلة أكثر من ذلك، لكن ما زال البحث معنا مستمراً في رياض الصيام وبركة رمضان، وكذلك لكل ذهاب إياب، فهيا بنا أخي الكريم انهض معي لنركب زورقنا مرة أخرى لنعود من حيث كنا إلى هنا وما أدراك ما هنا...!!

الواحة الإيمانية الرابعة عشرة
أخطاء ومخالفات شائعة
تتعلق بشهر رمضان
(١)

الحمد لله معطي الجزيل لمن أطاعه ورجاه، وشدد العقاب لمن أعرض عن ذكره وعصاه، اجتبى من شاء بفضله وقربه وأدناه. وأبعد من شاء بعدله فولاّه وما تولاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله المعبود بكل صفات الجلال والكمال.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من صلى وصام وقام، وارضى اللهم عن صحابته الأطهار الأخيار الأبرار، الذين قاموا بتبليغ الدعوة ونشرها خير قيام.

أما بعد:

أخي الكريم قد مر بك فضل رمضان وعظمته وفضل الصيام وبركته، ومر بك أحكام الصيام وآدابه وسننه وأحكامه وما يتعلق به، وطوفت معنا في السيرة العطرة فعرفت هدي النبي ﷺ في الصيام وكذلك سير أصحابه ومن جاء بعدهم كيف كان حالهم من الصيام والقيام وتلاوة القرآن إلى آخر ما رأيت.

ولكن أخي الكريم حتى تكتمل لك درة هذا الشهر وتفوز فيه بعظيم الأجر هناك بعض الأخطاء تقع من بعض إخوانا الصائمين ــ هدانا الله وإياهم إلى سواء السبيل ــ أردت أن أنبه النظر إليها حتى نعمل على تجنبها ونحذر من الوقوع فيها.

والله أسأل أن تكون هذه الكلمات زخراً يوم القيامة لمن كتبها وجمعها ومن ساهم في نشرها، ولمن قرأها تكون له عونا على صحة صيامه. آمين.

أخطاء الصائمين في رمضان

١- **من الأخطاء :** يستقبل بعض المسلمين - وللأسف - شهر رمضان بالضجر والتبرم والاستياء وهمهم الوحيد متى ينتهي هذا الشهر الثقيل على أنفسهم الخبيثة لأنه يحول بينهم وبين ما يشتهون من الملذات والشهوات والمحرمات، وارتكاب الفواحش والموبقات. بل ربما يلجأ أحدهم إلى إنشاء سفر للخارج بلا حاجة ولا ضرورة وكل ذلك من أجل أن يتحايل ويفطر، وهذا خطأ عظيم، وهذا السفر لا يجوز ولا يحل الفطر فيه.

٢- **ومن الأخطاء :** العظيمة كذلك يستقبل بعض المسلمين - وللأسف الشديد - شهر رمضان باللهو والطرب والرقص والغناء وآلات الطرب والمجون بدلاً من ذكر الله وشكره أن بلغهم هذا الشهر المبارك، فقد كان رسول الله ﷺ يستقبل هلال شهر رمضان بقوله: (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله، هلال رشد وخير)[١].

---

(١) حسن. وقد تقدم.

فمن استقبل شهر رمضان باللهو والطرب والرقص والأغاني والمجون والخلاعة فإن هذا دليل على فساد القلب وقبح السريرة وسوء النية وخبث الطوية، وهو على شفا هلكة إن لم يتدارك نفسه ويتوب إلى الله ويقلع عن المعاص والذنوب قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [سورة طه، الآية:٨٢].

وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **(من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)**.

فأين هذا الرقص والغناء والطرب من صيام رمضان إيماناً واحتساباً؟!.

يا عباد الله: من لم تناله الرحمة في رمضان فمتى تناله؟! ومن لم يكن أهلاً للمغفرة في هذا الموسم ففي أي موسم يتأهل لها ويكون من أهلها؟!

إذا الروض أمسى مجدباً في ربيعه ... ففي أي حين يستنير ويخصب؟!

فيا عباد الله توبوا إلى الله واستغفروه، ولا يستخفنكم الشيطان، واعلموا أنه:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

٣- ومن الأخطاء: جهل بعض العامة - إلا من رحم الله تعالى - بفضل شهر رمضان فيستقبلونه كغيره من أشهر السنة، وهذا خطأ فقد صح عنه أنه قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» وفي رواية أخرى «وسلسلت الشياطين»(١). وقد مر بك أحاديث كثيرة من فضل رمضان فراجعها.

فيا عباد الله! شهر هذا فضله فاستقبلوه بما هو أهله، ويكون لسان حالنا ومقالنا:

مرحباً أهلاً وسهلاً بالصيام ... يا حبيبنا زارنا في كل عام
قد لقيناك بحب مفعم ... كل حب في سوى المولى حرام
فاغفر اللهم منا ذنبا ... ثم زدنا من عطاياك الجسام
لا تعاقبنا فقد عاقبنا ... قلق أسهرنا جنح الظلام

٤- ومن الأخطاء: عدم المبالاة - من البعض - في إحصاء عدة شعبان وإقامة بعضهم صلاة التراويح ليلة الثلاثين من شعبان، وذلك قبل ثبوت دخول رمضان وهذا خطأ فادح فعلى المسلم أن يحصى عدة شعبان ويتحرى دخول رمضان وذلك إما برؤية الهلال أو إحصاء عدة شعبان ثلاثين يوماً، وذلك لأن الشهر أما أن يكون تسعة وعشرين يوماً أو ثلاثين يوماً لما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

الله ﷺ : « الشهر تسع وعشرين ليلة ، فلا تصوموا حتى تروه ، فإن غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين[١] » .

٥- **ومن الأخطاء** : العجيبة والمخالفات الغريبة أن بعض الناس إذا بلغه أن هذه الليلة هي أول ليالي رمضان ، لا يصلي صلاة التراويح ! ما السبب ؟ ! الله أعلم. وكأن القوم قد جبلوا على المخالفة والعصيان ، والآيتان بالغرائب والمعضلات !

أخي:

ألم يأن أن نخشع وأين التهجد أفي سِنَة نحن أم القلب جلمد
تيقظ أخي واحذر وإياك ترقد أترقد يا مغرور والنار ترقد
فلا حرها يطفي ولا الجمر يخمد

٦- **ومن الأخطاء** : صيام بعضهم يوماً أو يومين قبل دخول شهر رمضان احتياطاً وهذا ما يسمى عند أهل العلم (بصيام يوم الشك) وهذا خطأ ومنهي عنه لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين إلا رجلاً كان يصوم صوماً فليصمه»[٢] وصح عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه قال : (من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم)[٣].

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

ولكن إذا كان عليه قضاء من رمضان الفائت فلا حرج عليه بل يجب عليه صيامه قبل أن يحل رمضان جديد. والله أعلم.

٧- **ومن الأخطاء** : التي يقع فيها بعض المسلمين الاعتماد في رؤية الهلال على ما يقوله الفلكيون، وهذا خطأ، فالواجب الاعتماد على الرؤية بالعين المجردة، وذلك بأن يشهد شاهدان مسلمان، ذوا عدل في ثبوت تلك الرؤية أو شاهد واحداً سلماً عدلاً لقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥]. والشهادة هنا معناها رؤية الهلال وقد تقدم بيان ذلك، ولما صح عن النبي ﷺ: « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، وأنسكو لها، فإن غم عليكم فاكملوا ثلاثين، فإن شهد شاهدان، فصوموا وأفطروا»(١) وغيرها من الأحاديث التي تفيد أن الاعتماد في الرؤية لابد وأن يكون على النظر بالعين المجردة والاعتماد على ما يقوله الفلكيون وحساباتهم في اثبات الهلال مخالفاً لقول النبيﷺ: « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين»(٢) .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام مفيد في ذلك جداً في مجموع الفتاوى (١٣١/٢٥ ، ١٣٢ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ٢٠٧). ومن بعض ما قاله في

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/ ١٥١) وانظر كلام الحافظ في الفتح فإنه مهم.

ذلك رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٥/٢٠٧): (والمعتمد على الحساب في الهلال، كما أنه ضال في الشريعة مبتدع في الدين، فهو مخطئ في العقل وعلم الحساب، فإن العلماء بالهيئة يعرفون أن الرؤية لا تنضبط بأمر حسابي، بل خطؤها كثير، وقد جرب وهم يختلفون كثيراً: هل يرى؟ أم لا يرى؟ وسبب ذلك أنهم ضبطوا بالحساب مالم يعلم بالحساب فأخطأوا طريق الصواب)أ.هـ.

وفي المجموع (٦/٢٨٩): قال الدارمي: لا تصوموا بقول منجم.

٨- **ومن الأخطاء:** كذلك اعتماد أهل بلد ما على رؤية البلاد الأخرى، وهذا خطأ، والصواب أن لكل بلد رؤيتهم، وذلك لاختلاف المطالع والمسافات التي بين البلاد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتمد على الرؤية وفي ذلك أحاديث كثيرة وقد مرت بنا كثير فلا داعي للتكرار.

وقد علم بهذا الصحابة رضوان الله عليهم وكان عملهم بمقتضى ما علموه، وخير شاهد لذلك قصة كريب مولى ابن عباس وهي:

عن كريب أن أم الفضل - رضي الله عنها - بعثته إلى معاوية بالشام قال: فقدمت الشام، فقضيت حاجتها، واستهل عليّ رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - ثم ذكر الهلال، فقال:

متى رأيتم الهلال؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أنت رأيته؟ فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية، فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه، فقلت: أو لا نكتفي برؤية معاوية وصيامه، فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

ولقد بوب النووي - رحمه الله - في شرح صحيح مسلم: (باب بيان أن لكل بلد رؤيتهم وأنهم إذا رأوا الهلال ببلد لا يثبت حكمه لما بَعُد عنهم) وقال: (١٤١/٣): فيه حديث كريب عن ابن عباس وهو ظاهر الدلالة للترجمة)أ. هـ. والله أعلم.

٩- **ومن الأخطاء**: غفلة بعض الناس - إلا من رحم الله تعالى - عن الدعاء عندما يعلن عن دخول شهر رمضان أو عند رؤية الهلال، وهذا خطأ فمن السُنة إذا أُعلن عن ثبوت دخول هذا الشهر أو عند رؤية الهلال أن يقول كما قال رسول الله ﷺ عند رؤية الهلال: اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله، هلال رشد وخير)[٢].

وليس كما يقول الجهلة من العامة عندما يرون الهلال يرفعون أيديهم ويقولن: (هَلَّ هلالك، جل جلالك شهر مبارك)[٣].

---

(١) صحيح: رواه مسلم والترمذي وابو داود.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) قلت: وهذا لا أصل له في دواوين السُنة.

١٠- ومن الأخطاء : كذلك أن هناك بعض الناس يستقبل شهر رمضان بفتور واضح ، وإذا علم به لا يبشر من يعرف بقدوم هذا الشهر المبارك ، وهذا خطأ فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يُبشر أصحابه رضي الله عنهم جميعاً بقدوم شهر رمضان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، فرض الله عز وجل عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم»(١) .

١١- ومن الأخطاء: أن بعض الناس لا يبيت النية مع علمه بدخول الشهر ، وهذا خطأ فإذا علم الصائم بدخول شهر رمضان وجب عليه تبييت النية بالصيام لما ورد عن النبي ﷺ في ذلك قوله : «من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له»(٢) .

وقوله : «من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له»(٣) ، وفي رواية : «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له»(٤) .

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

(٤) حديث صحيح وقد تقدم.

١٢ـ **ومن الأخطاء:** أن بعضهم يتلفظ بالنية كأن يقول مثلاً: نويت صيام غد من رمضان إيماناً واحتساباً لله تعالى «أو يقول» اللهم إني نويت أن أصوم الشهر كله أو غير ذلك من الأقوال التي لم يأتي بها دليلاً معتبراً من الشرع أو ضعيفاً أو موضوعاً! وهذا خطأ من وجهين:

أحدهما: (أنه لا يجوز التلفظ بالنية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والتكلم بالنية ليس واجباً بإجماع المسلمين، فعامة المسلمين إنما يصومون بالنية وصومهم صحيح)[١].

الثاني: إن الكلمات التي قالها وتلفظ بها لم يرد بها دليل من الشرع يستند إليه، فإن كان المتلفظ بها جاهلاً فهو مخطئ معذور، وإن كان عالماً حال تلفظه بها فهو مبتدع، وهذا أدهى وأمر. والله أعلم.

١٣ـ **ومن الأخطاء:** (أن من الناس من قطع صومه لحاجة داعية لذلك من سفر أو مرض أو غيرها، ثم استأنف صومه بعد ذلك في نفس الشهر فإنه يصوم بدون أن يبيت نية جديدة للأيام المقبلة من الشهر، وهذا خطأ، والصحيح ـ والله أعلم ـ أنه يحتاج إلى تجديد النية ليتميز يوم صومه من يوم فطره)[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢١٥/٢٥).

(٢) فتاوى الشيخ ابن عثيمين كتاب الدعوة (١٤٤/١ - ١٤٥).

١٤- ومن الأخطاء: (أن هناك من يوجب القضاء على من نسي أن يبيت النية في الليل، وهذا خطأ، فإذا نسي ذلك من الليل فلا إثم عليه لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ [سورة البقرة:الآية ٢٨٦]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ ﴾ [سورة الأحزاب:الآية ٥]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[(١)].

قلت: ولا تعارض بين هذه الأدلة وبين حديث: (من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له) المتقدم آنفاً وغيره، وذلك لأن هذا الحديث يقصد من تعمد عدم تبييت النية، قاصداً ذلك، أو من علم ولكن لم يبالي، فيخرج من حكم هذا الحديث الناسي ومن في حكمه وذلك لما تقدم من الأدلة والله أعلم[(٢)].

١٥- ومن الأخطاء: عدم إمساك بعض الناس من لم يعلم بدخول شهر رمضان كأن يكون مسافراً أو نائماً أو غير ذلك من الأسباب التي تحول بينه وبين معرفة دخول الشهر، وهذا خطأ منه، فينبغي على المسلم

---

(١) صحيح على شرط الشيخين رواه الحاكم والدارقطني والطحاوي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قلت: هذا الكلام من استنباطي والجمع بين الأدلة والتوفيق بينها إن أمكن، وهذا مذهب ومسلك أهل العلم في مثل هذه الأمور، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن كنت أخطأت ـ وهذا آكد ومتيقن ـ فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان، ثم أنا بريء منه قبل الممات وبعد الممات.

متى علم بدخول شهر رمضان أن يمسك بقية يومه وإن كان مفطراً، لما ورد عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً ينادي في الناس يوم عاشوراء؛ إن من أكل فليتم [أي فليتم صومه ذاك اليوم] أو فليصم ومن لم يأكل فلا يأكل(١).

قلت: فإن كان هذا الأمر في صيام يوم مندوب ففي رمضان أولى وأوجب والله أعلم.

١٦- ومن الأخطاء: اجتهاد بعض الصائمين - عفا الله عنهم - في الإكثار من أنواع العبادات مع بداية شهر رمضان، وهذا حسن ومحمود منهم، فقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره من الشهور(٢)، لكن الخطأ أن هؤلاء يصابوا بالفتور في آخر رمضان يوماً بعض يوم، وذلك راجع إلى ضعف الوازع الديني عند هؤلاء والله المستعان.

١٧- ومن الأخطاء: العظيمة أن بعض الناس - هدانا الله وإياهم - لا يصلون إلا في رمضان، أو ربما صلى في الجمع والمناسبات، وهذا خطأ فادح لأن من هذا شأنه على خطر عظيم ويخشى عليه سوء العاقبة،

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/١٤٠).

(٢) زاد المعاد (٢/٢٢).

فينبغي عليه أن لا يترك الصلاة في أي وقت من أوقات السنة لأن رب رمضان هو رب جميع الشهور.

وأقول لهذا : إن من ترك الصلاة جاحداً لها فهو محكوم بكفره وردته. بإجماع المسلمين ، ومن تركها تهاوناً وتكاسلاً عالماً بحكم تاركها متمادياً في غيه فهذا أيضاً كافر كفر رده في أظهر قولي العلماء.

والأحاديث الواردة في حكم تارك الصلاة معلومة وكثيرة فليرجع إليها من أراد الحق والنجاة غداً بين يدي الله سبحانه وتعالى.

١٨ـ **ومن الأخطاء :** كذلك جهل بعض الناس بمفطرات ومفسدات الصيام ، مما يقع فيه البعض خاصة مع بداية رمضان ، وهذا خطأ عظيم ، فمن اللائق بالصائم أن يعرف قبيل رمضان مبطلات الصيام ومفسداته ، حتى يتحرز من الوقوع فيها ، وقد مرت بنا في باب (المفطرات) فارجع إليها إن شئت ولا داعي هنا للتكرار.

١٩ـ **ومن الأخطاء :** العظيمة بل ومن الأخطاء الجسيمة ترك بعض الناس ـ هداهم الله ـ صيام رمضان أو يوماً من أيامه مع القدرة ، متعمداً ذلك وبدون عذر شرعي ، وهذا خطأ عظيم وخطر جسيم وفعل قبيح وعاقبة وخيمة ، فهو بذلك قد ترك ركنا من أركان الإسلام وارتكب كبيرة من الكبائر ، قال الإمام الذهبي (رحمه الله) وعند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا عذر أنه شر من الزاني ومدمن الخمر ، بل يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال[١] .

(١) انظر كتاب الكبائر للذهبي الكبيرة العاشرة.

فليحذر الذين يغلقون عليهم الأبواب ويستترون عن أعين الناس لفعل المعاصي والإفطار في رمضان فليعلموا أن الله يراهم ويعلم سرهم ونجواهم وهو سبحانه لا تخفى عليه خافية، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [سورة الزخرف:الآية ٨٠].

وقد مر بنا حديث أبو أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصور فيه عاقبة المفطرين في رمضان فراجعه في موضعه.

٢٠- **ومن الأخطاء :** غفلة البعض - إلا من رحم الله - عن حكم الصيام واسراره، وهذا خطأ، فللصوم معان متعددة كريمة، ومقاصد كثيرة وغايات نبيلة وأهداف سامية يأتي في مقدمتها إعداد النفس للتقوى والمجاهدة والصبر والعبودية لله تعالى والاستسلام والخشية له سبحانه، ومن أسرار الصوم غرس روح المراقبة لله في نفس الصائم في السر والعلن، وتقوية روح العاطفة والرحمة والبر والأخوة الإيمانية والمواساة والشعور بالآخرين والإحساس بهم ومد يد العون لهم، وبالجملة نقول: إن رمضان مدرسة للتربية الحقيقية للنفس البشرية فمن غفل عن ذلك فقد خسر وأخطأ.

٢١- **ومن الأخطاء :** تجد بعض الناس - عفا الله عنا وعنهم - لا يصون صومه فتجده مرتكب للمعاصي والسيئات واقع في المحرمات من بذاءة اللسان والظلم والعدوان والحقد والحسد والبغضاء، بل ربما خيَّل إليه

الشيطان أن صومه يدفع الإثم عنه، فتراه يصوم ولا يبالي ماذا أفطر، ولا يتحاشى في صومه غيبة أو نميمة ولا قذف ولا نظرة، ولا زور ولا بهتان ولا فضول كلمة ولا غير ذلك من المحرمات، وهذا كله من جهله وسفهه وتلبيس إبليس عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[١].

٢٢- **ومن الأخطاء**: تجد من يفتي الناس بغير علم ولا هدى ولا بصيرة، فهو لا يدري عن شيء من أحكام الصيام أو شروطه أو مفسداته أو غير ذلك مما يتعلق بالصيام، ومع ذلك تجده يخطيء هذا ويصوب ذاك ويستنكر على هذا وهو بذلك قد ضل وأضل وضر وأضر، وهذا خطأ عظيم.

فالواجب على المسلم أن يتقي الله ولا يفتي بغير علم لأنه بذلك يعرض نفسه بأن يتحمل أوزار من أفتاهم بجهله وبغير علم، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الفتيا فقال: (أسرعكم إلى النار أجرأكم على الفتيا).

ولله در من قال:

(١) صحيح: وقد تقدم.

ومن غدا بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تُقبلُ

٢٣- ومن الأخطاء أيضاً : اعتقاد بعض الناس بأن نهار رمضان فرصة للنوم والراحة والاسترخاء والدعة، وهذا خطأ فشهر رمضان دافع للنشاط والقوة فهو شهر الانتصارات والجهاد والفتوحات، فلقد انتصر المسلمون على مر العصور بفضل الله في نهار رمضان في مواقع كثيرة منها: غزوة بدر الكبرى، والخندق، وفتح مكة، واليرموك، والقادسية وفتح الأندلس، وفتح البوسنة والهرسك، وعين جالوت، والنصر على اليهود في العاشر من رمضان، إلى غير ذلك من المواطن والمواقع التي أعز الله فيها الحق وأهله، وأذل فيها الشكر والكفر والإلحاد وأهله.

٢٤- ومن الأخطاء : تأخير بعض الصائمين صلاتي الظهر والعصر عن وقتهما لغلبة النوم وهذا من أعظم الأخطاء قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾ [سورة الماعون:الآيتان ٤-٥]. قال بعض السلف: هم الذين يؤخرونها عن وقتها.

قلت: وتأخير وقت الصلاة علامة على عدم حسن إسلام المرء لما ورد عن ابن مسعود في الصحيحين أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أي الإسلام خير؟ فقال صلى الله عليه وسلم الصلاة على وقتها أو في وقتها - وفي رواية - على أول وقتها.

٢٥- ومن الأخطاء : أن بعض الصائمين - هدانا الله وإياهم - يرد بألفاظ نابية بذيئة غاية في الفحش وذلك إذا سبه أحد أو جهل عليه، وهذا خطأ. فالواجب على الصائم أن يحفظ لسانه أولاً فلا يسب أحد ويجهل عليه، وإن حدث وأن أحداً سابه أو شاتمه أو جهل عليه فعليه أن يحفظ لسانه ويملك نفسه ويتأدب بآداب الإسلام ولا يجهل على من جهل عليه بل يقول له إني صائم إني صائم لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **الصيام جنة فإن كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: «إني صائم إني صائم»**[1] وفي رواية عند الحاكم في المستدرك: (فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم إني صائم).

٢٦- ومن الأخطاء: قضاء بعض الصائمين جزء كبير من نهار رمضان في القيل والقال وإطلاق الألسنة بالغيبة والنميمة ولغو الحديث، وإذا تقدم إليهم أحد بالنصيحة، فأقل ما يقولون، وأهذب ما يتلفظون به لهذا الناصح: «نحن لا نفعل شيء نحن نسلي صيامنا»، وهذا خطأن فالواجب على الصائم أن يحفظ صومه وذلك بحفظ جوارحه ولا سيما

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

اللسان، فلا يتحدث إلا بخير وإلا فليصمت فقد ثبت عن المعصوم ﷺ قوله: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[١].

٢٧- ومن الأخطاء: تجد بعض الصائمين ضيق الصدر سيء الخلق كثير اللعن لأتهف الأسباب، وهذا خطأ، فعلى الصائم أن لا يكون لعاناً ولا فحاشاً لا في رمضان ولا في غيره، فلا يلعن أخاه المسلم ولا أولاده ولا أهله حتى وإن بدر منهم ما يثيره فعليه أن يضبط نفسه ولا يلعن بحال من الأحوال، لما ورد عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: (من لعن مؤمنا فهو كقتله)[٢].

٢٨- ومن الأخطاء كذلك: تجد بعض الصائمين عنده عصبية زائدة أثناء قيادته السيارة علاوة على السرعة الجنونية، وذلك قبيل موعد الإفطار وهذا خطأ، فلا ينبغي من صائم مثل هذه الأمور.

٢٩- ومن الأخطاء: غفلة بعض الصائمين عن الدعاء والذكر قبيل آذان المغرب وهذا خطأ، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: (إن لله عند كل فطر عتقاء وذلك كل ليلة)[٣].

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم من حديث أبي شريح العدوى وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٣) صحيح: وقد تقدم من حديث جابر رضي الله عنه.

٣٠- ومن الأخطاء: عدم مبالاة بعض الصائمين بدخول وقت الإفطار فما أن يسمع أي مؤذن ولو لم يدخل الوقت يبدأ في تناول الإفطار وهذا خطأ.

فعلى الصائم أن يتحرى وقت الإفطار وهو بعد غروب الشمس واختفاء قرحها، ولا عبرة بالحمرة الشديدة الباقية في الأفق، فمتى غابت الشمس أفطر الصائم لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧]. ولقول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: (إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس أفطر الصائم)(١).

٣١- ومن الأخطاء: أن بعض الصائمين لا يفطر إلا بعد انتهاء المؤذن من آذانه احتياطاً، وهذا خطأ، فمتى سمع المؤذن وهو ممن يعرف بأمانته وحرصه على الآذان في وقته، فعلى الصائم أن يفطر بمجرد ما يسمع الأذان، ومن تأخر حتى نهاية الأذان، فقد تنطع وتقعر وتعمق وتكلف بما ليس مطالب به، وقد نهى النبي ﷺ عن التنطع في الدين فقال: (هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون)(٢).

ومنهم من لا يفطر إلا بعد أن يصل المؤذن إلى الشهادتين وينتهي منهما، وهذا للجهل والتقليد الأعمى أو للابتداع الضال، حيث لم يرد شيئاً من السُنة في ذلك.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه مسلم.

٣٢- ومن الأخطاء كذلك : انشغال بعض الصائمين بالإفطار عن متابعة آذان المغرب، وهذا خطأ، فإنه يسن للصائم وغيره أن يتابع المؤذن ويقول مثل ما يقول، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن**)(١) .

قلت: ويكون متابعة المؤذن مع مواصلة الإفطار، وعدم الانقطاع، وذلك لعدم ورود النهي عن الأكل حال متابعة المؤذن في تردد الآذان والله أعلم.

٣٣- ومن الأخطاء : أن بعض الناس - هدانا الله وإياهم - لا يبالي أأفطر على حلال أم حرام، وهذا خطأ عظيم، فقد ورد الوعيد الشديد لمن أكل الحرام سواء في رمضان أو غيره، قال ﷺ: (**لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت**)(٢) . أي نبت من حرام، فعلى من أبتلي بالمال الحرام سواء من سرقة أو ربا أو أخذ مال وهو ظالم فيه أو غير ذلك من صور المال الحرام. أن يتقي الله ويتحلل من هذا المال، وليعلم بأنه لا يقوى على حر جهنم، فجهنم حرها شديد، وقعرها بعيد، ولها مقامع من حديد نسأل الله العافية.

٣٤- ومن الأخطاء : أن بعض المدخنين من الصائمين ما إن يسمع الآذان حتى يأكل شيئاً يسيراً ثم يسرع إلى سيجارته ويشعلها، بل هناك

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٢) حسن: رواه أحمد والحاكم وغيرهما.

من يفطر على هذه السيجارة الخبيثة قبل أي شيء، ولربما دخل المسجد وألقى السيجارة عند الباب وريحته الخبيثة تعصف وتفوح، وفي هذا العمل أربع أخطاء مجتمعة.

١ - أنه خالف سُنة أبا القاسم ﷺ بتركه الفطر على التمر أو ارطب أو الماء أو أي شيء لم تصبه النهار، قال ﷺ: (من وجد تمراً فليفطر عليه ومن لم يجد فليفطر على الماء فإنه طهور)[١].

٢ - أنه أفطر على شيء محرَّم وهو شرب الدخان، والتحريم قال به العلماء قديماً وحديثاً[٢].

٣ - أن شرب الدخان والمعدة خالية من الطعام والشراب يضر بالجسم ضرراً عظيماً.

٤ - أنه بشربه الدخان وذهابه للمسجد فقد آذى المسلمين، وقد ورد النهي عن ذلك، ويا ويل من يصلي بجانبه - أعانه الله على تحمل هذه الرائحة -.

ونصيحتي إلى كل مدخن: بأن يستغل شهر رمضان فهو فرصة عظيمة لترك التدخين حيث أنه معظم اليوم لا يدخن وذلك لأنه صائم.

---

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) انظر كتاب (من أخطاء المدخنين) لمحمد الغفيلي.

٣٥- ومن الأخطاء: تأخير الإفطار، وهذا إما أن يكون الصائم نائماً فيؤخر إفطاره وغالب هذا الأمر يكون عند الحاضرة، أو يؤخر إفطاره احتياطاً وغالباً هذا يكون عند البادية وهذا خطأ.

فمن السُنة أن يعجل الصائم إفطاره حين غروب قرص الشمس بالعين المجردة أو عند سماعه مؤذن الحي الموثوق فيه، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بكروا بالإفطار وأخروا السحور)[٢].

وتعجيل الفطر فيه أمور منها:

١ - أنه يدل على استقامة الصائم على أمر دينه ودخل بمخالفته اليهود والنصارى المأمور بمخالفتهم، وهذا من الفوارق التعبدية بيننا وبينهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون)[٣].

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

٢- أن من عجل الفطر فهو من أحب عباد الله إلى الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (يقول الله عز وجل: إن أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرا) [(١)].

٣- في تعجيل الفطر اقتداء برسول الله ﷺ وصحابته [(٢)].

٣٦- ومن الأخطاء: إسراف بعض الصائمين واهتمامهم الزائد في إعداد الفطور وتنوع أصنافه، مما يؤدي ذلك إلى رمي كميات كبيرة من الطعام فائضة عن حاجة الصائم، وذلك بوضعها في سلات النفايا في حين أن هناك من المسلمين لا يجد ما يسد رمقه، وربما كان هذا جار لك وقريب، وهذا خطأ لما فيه من الإسراف والتبذير المنهي عنه، وإضاعة المال في غير موضعه وسوف تُسأل عنه وكذلك عدم شكر النعمة كما ينبغي.

ناهيك عن الأضرار الصحية التي تصيب الصائم نفسه من جراء هذا الطعام، وصدق الله حيث يقول: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝ ﴾ [سورة الأعراف:الآية ٣١]. وصدق الرسول الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين حيث يقول: «ما ملأ آدمي

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) قد مر بنا بيان ذلك فراجعه في موضعه.

وعاء شراً من بطن حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه، فإذا غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس»[١].

٣٧- **ومن الأخطاء** : غفلة البعض عن الدعاء عند الإفطار وبعد الإفطار وإذا أفطر الصائم عند قوم، وهذا خطأ فإنه من السُنة الدعاء في هذه الحالات الثلاث وقد مر بنا في صفة النبي ﷺ بيان ذلك فراجعه إذا شئت غير مأمور، ولا داعي للتكرار، حيث لا فائدة من ذلك.

٣٨- **ومن الأخطاء:** أن هناك بعض الصائمين من لا يفطر إلا بعد صلاة المغرب، وهذا خطأ لمخالفة سُنة النبي ﷺ، فكان من هديه ﷺ أن يفطر قبل صلاة المغرب ولو على ماء فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ (يفطر قبل أن يصلي)[٢].

۞ ۞ ۞

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

الواحة الإيمانية الخامسة عشرة
أخطاء ومخالفات شائعة
تتعلق بشهر رمضان
(٢)

٣٩- **ومن الأخطاء:** تأخير صلاة المغرب من قبل البعض نتيجة للإسراف في تناول الإفطار من مأكولات ومشروبات مختلفة، وهذا الأمر فيه ثلاثة أخطاء:

أ - ترك صلاة المغرب مع الجماعة بدون عذر شرعي وهذا لا يجوز.

ب - خلو المعدة من الطعام طوال النهار ثم مفاجأتها بتلك الأصناف المتنوعة من الطعام مما يحدث أضراراً بالغة بالصحة وهذا منهي عنه.

جـ - ترك سُنة النبي ﷺ في الإفطار على التمر أو الرطب أو الماء، وهذا له من الفوائد الشرعية والصحية الكثير.

قال ابن العربي - رحمه الله تعالى - (كان النبي ﷺ يفطر قبل أن يصلي على شيء يسير لا يشغله عن الصلاة، وفيه ثلاث فوائد: تعجيل الإفطار، وتفريغ البال للصلاة، وفصل ما بين زمن العبادة والعبادة)(١).

٤٠- **ومن الأخطاء** : كذلك ترى من يضيع ليالي رمضان بالجلوس أمام التلفاز أو الدش - وما أدراك ما الدش؟! الساعات الطوال، أو يقضي الليل في اللهو والنوادر والألغاز ولعب الورق (البالوت) والسمر والزمر والطبل، والطرب والمجون، والدخان والشيشة والتسكع في الطرقات إلى غير ذلك من الموبقات التي تفوت عليه الخير الكثير،

---

(١) انظر تحفة الأحوذي (٣/٢١٥، ٢١٦).

وهذا كله خطأ عظيم وفعل قبيح فعلى المسلم أن يحافظ على أوقاته لأنه مسؤول عنها، ففي النهار ينبغي أن يكون له ورد من القرآن لأننا في شهر القرآن، وفي الليل ينبغي أن يكون له قسط من القيام لأننا في شهر القيام، ولله در من قال:

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة تلهيك فيه من القبيح فنونه
واعلم بأنك لا تنال قبوله حتى تصوم نهاره وليله تصونه(١)

٤١ـ ومن الأخطاء : أن بعض الصائمين يفوت صلاة العشاء نتيجة للتخمة التي قد أصيب بها من جراء إسرافه في الإفطار وهذا خطأ عظيم فعلى الصائم أن لا يترك لنفسه العنان حتى لا يفوته الخير الكثير في هذا الشهر الكريم، فإن شهر رمضان شهر عبادة وتبتل وخشوع، لا شهر تسمين وبلادة وفتور. قال بعض السلف (من أكل كثيراً نام كثيراً ومن نام كثيراً فاته خيراً كثيراً).

٤٢ـ ومن الأخطاء : كذلك تجد بعض الناس يفوت صلاة العشاء مع الجماعة الأولى من أجل إدراك إمام معين اعتاد أن يصلي معه التراويح كل ليلة من ليالي رمضان وذلك لحسن تلاوته وعزوبة صوته.

وهذا من تلبيس إبليس اللعين على المسلم، ومن مداخله عليه، حيث أن الشيطان صرفه عن المحافظة على أداء الواجب إلى المحافظة على أداء النفل.

(١) قلت: لفظة (وليله) زيادة من عندي ليست في أصل البيت.

أقول: ولا يُنكر على من ترك مسجداً قريباً وذهب إلى مسجد آخر بعيداً طلبا لحسن الصوت وحسن التلاوة والأداء من الإمام إذا كان ذلك يعينه على الخشوع في صلاته، ويطمئن قلبه ويجمع عليه عقله، فلا بأس في ذلك بل يشكر على هذا ولكن شريطة ألا يقع في الخطأ الذي أسلفنا ذكره.

٤٣ـ **ومن الأخطاء:** ظاهرة وجود جماعتين في مسجد واحد، الأولى تصلي التراويح والثانية تصلي الفريضة وهذا خطأ فلا يشرع وجود جماعتين في مسجد واحد، بل على الجماعة المتخلفة (التي تصلي الفريضة) تدخل مع الإمام الراتب (الذي يصلي التراويح) وبعد انتهاء الإمام تقوم وتنهض وتكمل صلاتها فهي لهم فريضة وللإمام تراويح، في أصح قولي العلماء[١]. والله أعلم.

٤٤ـ **ومن الأخطاء:** تجد بعض أئمة المساجد ـ هدانا الله وإياهم ـ يؤدون صلاة التراويح بعجلة وسرعة مفرطة، لا تمكن من الإتيان ببعض الواجبات والأركان، والصلاة على هذه الحالة باطلة وصاحبها آثم، وقد قال ﷺ في حديث المسيء صلاته المشهور، لما شاهد من سرعته

---

(١) انظر كتاب (الجواب الصحيح من أحكام صلاة التراويح) للإمام الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

وعدم اطمئنانه في الصلاة: (ارجع فصلّ فإنك لم تُصلّ)[١] أي أن صلاتك باطلة غير مجزئة لك وذلك لعدم الاطمئنان فيها والإتيان بأركانها.

والأدهى والأمر ما تجده من بعض المصلين من عدم الصبر مع الإمام الذي يخشع في صلاته، وصلاتهم خلف الأئمة المتعجلين في الصلاة المستخفين فيها والسكوت عنهم وعدم مناصحتهم والرفع عنهم إذا لم ينزجروا لأن الصلاة خلفهم إقرار لهم على منكرهم وباطلهم.

٤٥- **ومن الأخطاء:** تفريط البعض في صلاة التراويح جماعة وبعض الناس يكتفي ببعض الركعات ثم ينصرف من قبل أن ينتهي الإمام وهذا خطأ فهو بذلك قد فاته الخير الكثير، والفضل العظيم، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة)[٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه).[٣] وصلاة التراويح ليست سُنة فحسب بل

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٢) حديث صحيح قد تقدم.

(٣) حديث صحيح وقد تقدم.

هي سُنة مؤكدة لهذا الحديث وغيره من الأدلة التي تبين ذلك، وقد كان ﷺ صلاها بأصحابه عدة ليال ثم خاف أن تفرض عليهم فتركها ولكن رغبهم في صلاتها، فكان الرجل يصليها وحده ويصلي الاثنان جمعاً ويصلي الثلاثة جماعة(١).

٤٦- **ومن الأخطاء**: توهم بعض العامة أن القيام يقتضي إحياء كل الليل بالعبادة وهذا توهم خاطئ غير صحيح ولا سند له من كتاب ولا سُنة، وإنما يكون قيام الليل في رمضان بصلاة التراويح من أول الليل، ويكون بصلاة ركعات من جوف الليل تهجداً أو بصلاة ركعات من آخر الليل عند السحر تهجداً فمن فعل ذلك في كل ليلة من ليالي رمضان فقد قام رمضان واستحق أن يغفر له الله ما تقدم من ذنبه إذا كان ممن قام ذلك إيماناً واحتساباً، ووقت الصلاة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر. والله أعلم.

٤٧- **ومن الأخطاء**: توهم بعض الناس أن القيام لا يكون إلا في رمضان فقط، وهذا خطأ فقيام الليل بالصلاة والتهجد سُنة وفضيلة وليس خاصاً في رمضان بل في جميع أيام السنة، ولكن يزاد فضله في رمضان لشرف الزمان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ أوصاه بفعل ثلاثة أشياء لا يدعهم فذكر منهم (الوتر) أي قيام الليل، وهذا في رمضان وغيره والله أعلم.

---

(١) فتاوى الصيام للعلامة ابن جبرين (ص ١٣٥).

٤٨ـ **ومن الأخطاء** : اعتقاد بعض الناس أن صلاة التراويح عدداً معيناً وأن الزيادة عليه أو النقص منه لا يجوز بل بدعة وهذا خطأ، فالأمر واسع ولله الحمد فيجوز أي عدد (١١، ١٣، ٢٣، ٣١، ...) وهذا كله وارد عن السلف[١] . ولكن الأفضل والأكمل (١١)، (١٣) مع إطالة الركوع والسجود والقراءة بما لا يشق على من وراءه لكون ذلك هو الموافق لفعل النبي ﷺ في غالب أحواله[٢] .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة: يصلي أربعة فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً)[٣] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كانت صلاة النبي ﷺ ثلاثة عشرة ركعة، يعني بالليل..)[٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (.. فيكون تكثير الركعات أو تقليلها بحسب طول القيام أو قصره..) وقال: (الأفضل يختلف باختلاف

---

(١) انظر فتح الباري (٤/٢٥٣، ٢٥٤).

(٢) قلت: ولشيخنا مصطفى العدوي حفظه الله بحث غاية في الحسن في بيان عدد ركعات قيام الليل، وقد أحسن فيه شيخنا وأجاد وأفاد فجزاه الله خيراً فعليك به يا طالب الحق. فإن فيه بغيتك.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣/٣٣) ومسلم (٧٣٨).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢/٤٦)، ومسلم (٢/١٧٨).

المصلين، فإن كان فيهم احتمال لطول القيام بعشر ركعات وثلاث بعدها كما كان النبي ﷺ يصلي لنفسه في رمضان وغيره فهو الأفضل، وإن كانوا لا يتحملون فالقيام بعشرين هو الأفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين)[١] .أ. هـ.

٤٩- **ومن الأخطاء:** جهل بعض الناس بفضل صلاة التراويح فتجده غير منتظم في أدائها وهذا خطأ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عن رمضان (من قامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)[٢] .

٥٠- **ومن الأخطاء:** فهم بعض الناس أن صلاة التراويح لا تشرع للنساء، وهذا خطأ، بل يشرع للنساء حضورها في جماعة المسجد كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: (.. فلما كانت الليلة الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قال: قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور.)[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١١٣/٢٣).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٤٨/٤)، النسائي (٢٠٢/٣) والترمذي (١٦٩/٣) وابن ماجة (١٣٢١) والبغوي شرح السنة (١٢٤/٤)، وابن أبي شيبة (٣٩٤/٢) وابن خزيمة (٣٣٧/٣) وابن حبان (١٠٩/٤) والبيهقي (٤٤٨/٦) وصححه الشيخ الوادعي وقال على شرط مسلم، وصححه العلامة الألباني في صلاة التراويح (١٥).

ولكن لابد لنا هنا من كلمة للنساء:

لا بأس بحضور النساء صلاة التراويح في المسجد بشرط أمن الفتنة، وأن يخرجن لها متسترات متحجبات غير متبرجات متزينات ولا متطيبات، يؤدين الصلاة بخشوع وخضوع متعبدات عن فضول الكلام والغيبة والنميمة والحديث في أمور بيوتهن مما ينبغي أن تنزه عنه بيوت الله، والله يوفق الجميع.

٥١- ومن الأخطاء: متابعة بعض المصلين قراءة الإمام حال صلاته عن طريق حمل المصحف وهذا خطأ حيث لا يوجد دليل على ذلك، والأصل في المأموم أن يكون خاشعاً في صلاته لقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝ ﴾ [سورة المؤمنون:الآيتان ١-٢]. وكذلك فإن المأموم مأمور بالإنصات والتدبر عند سماع القرآن لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ ﴾ [سورة الأعراف:الآية ٢٠٤].

هذا فضلاً لما في هذا العمل من الأخطاء في الصلاة منها:

١- كثرة الحركة في الصلاة، وهذا ينافي الخشوع والطمأنينة في الصلاة.

٢- عدم رفع اليدين في التكبير وهذا مخالف للسُنة.

٣- انشغال اليدين بحمل المصحف، والسُنة وضع اليد اليمنى على اليسرى فوق الصدر.

٤- النظر في المصحف، ينافي ما كان يفعله ﷺ في الصلاة، كان ﷺ إذا صلى طأطأ رأسه ورمى بصره نحو الأرض ﷺ.

ولكن هناك حالة يمكن فيها للمأموم أن يحمل فيها المصحف وذلك إذا كلف الإمام أحد المؤمومين بأن يحمل معه المصحف ليتابعه إذا أخطأ إذا كان الإمام لا يضبط القراءة(١) .

٥٢- ومن الأخطاء: السهر بالليل طوال أيام شهر رمضان، وهذا خطأ لأنه مخالف لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ ﴾ [سورة النبأ:الآيتان ٩-١٠]. وهذا السهر قد يؤدي بالبعض إلى أن يفوت صلاة الفجر وهذا خطأ عظيم.

ويا ليت شعري بأن يكون هذا السهر في عبادة الله كأن يكون هناك قيام ليل أو تلاوة القرآن أو صلة الأرحام أو عيادة المريض أو أي أمر من أمور الخير، لكن الأمر على خلاف ذلك تماماً والله المستعان.

٥٣- ومن الأخطاء: تجد بعض الناس يتفنون في إضاعة وقت ليل رمضان بصور شتى منها:

١- اجتماع البعض على ما ينافي الشرع كلعب البلوت والمسير والقمار والنرد وشرب الدخان وغيره من المخدرات والمسكرات وهذا خطأ واضح وجرم فادح.

٢- التجمعات الشبابية على الأرصفة في الشوارع حتى قبيل السحور.

٣- الدوران في الشوارع بالسيارات.

---

(١) فقه العبادات للعلامة ابن عثيمين (٢٠٧).

٤- التجمعات حول التلفاز أو الفضائيات وما أدراك ما الفضائيات وإن شئت قل الإباحيات والفضاحيات إنه الشر المستطير والعدو اللئيم.

٥- كثرة الخروج إلى الأسواق لحاجة وبدون حاجة، وخصوصاً من النساء ـ هداهن الله ـ مما يحدث من جراء ذلك المفاسد العظيمة والأضرار الجسيمة، مما تغضب الرب جل وعلا، وتوجب نقمته وعذابه، قال ﷺ: (أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)[1].

٥٤ـ ومن الأخطاء العظيمة والأضرار القاتلة: جلوس كثير من الناس ـ إلا من رحم الله ـ في أغلب الليالي في رمضان ـ إن لم يكن كلها ـ عند ما يسمونه بـ (الفوازير) ذاك الشر المستطير، وهذه متنوعة، فهناك فوازير بالصحف والمجلات أو الإذاعة أو التلفاز أو الفضائيات (الفضاحيات) والأخيرة من أخطرها، وهذا خطأ عظيم لما تحمله في طياتها من المعاصي والذنوب منها:

١- الغناء والطرب والموسيقى والمجون، وهذا محرَّم.

٢- الاختلاط بين النساء والرجال اختلاط سافر يخدش الحياء ويجرح المشاعر، ويحث على الرذيلة ويبغض إلى النفس الفضيلة وهذا محرَّم.

٣- الاستهزاء بدين الله تعالى وجرح مشاعر المسلمين وهذا محرَّم.

٤- التبرج والسفور، وهذا محرَّم.

---

(١) صحيح: رواه مسلم.

٥- سماع الألفاظ القبيحة، ومشاهدة المناظر الخليعة التي تثير الشهوات الكامنة وتزيد من ثورتها، وفورانها وشدة تهيجها وهذا محرَّم.

٦- غرس عادات الكفار والمشركين بين أبناءنا ونساءنا وهذا محرَّم.

٧- اكتساب بعض العادات من الكفرة والمشركين مما يؤدي إلى التشبه بهم في اللباس والزينة وغير ذلك وهذا محرَّم.

وقل ذلك على الأفلام والمسلسلات والمسرحيات، وأعجب من هذا كله ما يسمونه بالمسلسلات الدينية، والدين من فعلهم وقولهم برئ والله المستعان.

٥٥- ومن الأخطاء : يمر على بعض الناس - وللأسف - شهر رمضان كله ولم يقرأ أية واحدة من كتاب الله! أو إذا قرأ قرآن قرأ جزء يسير جداً، وإذا قرأ قرأه على عجل من غير ترتيل ولا تدبر لآياته، وهذا كله خطأ فعلى الصائم أن يقرأ القرآن بترتيل وتدبر لآياته ويختمه في هذا الشهر مرة أو مرتين أو ثلاث على حسب حاله واجتهاده ونشاطه.

قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [سورة المزمل:الآية ٤].

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة ص:الآية ٢٩].

وقال ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[1] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري.

فالواجب على المسلم عدم هجر القرآن بالكلية، خصوصاً في هذا الشهر كيف لا، وهذا هو شهر القرآن قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥]. وقد جاءت أحاديث كثيرة صحيحة وثابتة عن النبي ﷺ توصي بكتاب الله عز وجل، ولقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم إذا دخل رمضان تركوا مجالس العلم وأقبلوا على تلاوة القرآن الكريم.

٥٦- **ومن الأخطاء**: ما يصيب البعض بالفتور في قراءة القرآن عند قرب انتهاء شهر رمضان فنجد بعض الصائمين يتلو الآيات في أول الشهر في كل وقت ثم يفتر في وسطه ثم يكاد يتركه في آخره، وهذا خطأ فعلى المسلم أن تكون همته في آخر الشهر كما كانت أول الشهر، لأن تعطير الأفواه بذكر الله وقراءة القرآن نعمة عظيمة ومنحة من الرحمن جليلة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا حسد إلا في اثنتين، رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه أناء الليل وأناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما عمل..)(١).

---

(١) صحيح: رواه البخاري.

٥٧- **ومن الأخطاء :** تعجيل السحور وتأخير الإفطار أو عدم السحور البتة أو الاكتفاء بأكلة في منتصف الليل، وهذا كله مخالف لهديه ﷺ، فمن المستحب أن يتسحر الصائم قبل طلوع الفجر لقول النبي ﷺ: (ثلاث من أخلاق النبوة، تعجيل الفطر، وتأخير السحور، ووضع اليمنى على الشمال في الصلاة)[(١)].

ولهذا كان أصحاب رسول الله ﷺ أعجل الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً[(٢)].

وكذلك السحور فيه مخالفة لأهل الكتاب الذين أمرنا بمخالفتهم في كل شيء، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكله السحور)[(٣)].

تنبيه: وليس معنى هذا أن الذي لا يتسحر صيامه غير صحيح، بل صيامه صحيح إن شاء الله لأن السحور ليس شرطاً في صحة الصوم، والله أعلم.

---

(١) حديث تقدم وتقدم الحكم عليه.

(٢) حديث تقدم وتقدم الحكم عليه.

(٣) حديث تقدم وتقدم الحكم عليه.

٥٨- **ومن الأخطاء:** اعتقاد بعض الصائمين أن من تسحر ونوى الصيام ثم عرض له أن يأكل أو يشرب أو يتناول دواء أو غير ذلك مما يحل له، فيظن أن ليس له فعل شيء من ذلك، وهذا خطأ، بل له ذلك ما لم يطلع الفجر، لأن الصوم الشرعي لا يحسب إلا من عند طلوع الفجر الصادق، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ **الأسود** مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧].

وليس نية ترك الطعام وغيره وعقد الصوم قبل الفجر يحرم الأكل والشرب لمن أراد ذلك ما لم يطلع الفجر، والله أعلم.

٥٩- **ومن الأخطاء** : التوسع في الأكل والشرب ولو بعد الأذان الثاني (الفجر الصادق) ولربما قالوا، كل واشرب ما لم يقل المؤذن (حي على الصلاة) بعضهم يتوسع فيقول: كل واشرب ما لم يخرجوا من المسجد، وبعضهم يتسحر ثم إذا سمع المؤذن لصلاة الفجر قام فشرب ماء، وهذا كله خطأ فادح، فلا يجوز الأكل والشرب بعد التأكد من دخول الوقت (أي وقت الفجر) بل يجب الإمساك على الفور، فكما أن الصائم يفطر بمجرد غروب الشمس فإنه يمسك بمجرد طلوع الفجر، ومن فعل ذلك فصومه باطل وعليه القضاء. والله أعلم.

٦٠ـ **ومن الأخطـاء:** إنكار بعض العوام على الصائم حين يسمع النداء والإناء في يده يأكل منه أو يشرب، وحجتهم أن المؤذن ينادي وهذا خطأ، وذلك لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمع أحدكم النداء والإناء في يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه»[١].

٦١ـ **ومن الأخطاء:** الإسراف في أكلة السحور فيملأ الصائم بطنه بالطعام وهذا خطأ بل يأكل بمقدار (فإن ما ملأ آدمي وعاء شر من بطنه..)[٢]. ومتى شبع الصائم وقت السحور اعتراه الكسل والفتور، وربما نام عن صلاة الفجر، وهنا تكون قاصمة الظهر، فعليه أن لا يكثر من السحور، وأفضل السحور التمر أو يجعل في سحوره تمراً، قال رسول الله ﷺ: «نعم سحور المؤمن التمر»[٣].

٦٢ـ **ومن الأخطـاء:** ما يفعله بعض المؤذنين في تقديم وقت آذان الفجر احتياطاً للعبادة بزعمهم، وهذا خطأ فادح، فلربما سمعت امرأة أو مريض الآذان فصلى الفجر قبل دخول الوقت ـ سبحان الله ـ يحتاطون للصيام بزعمهم الفاسد ورأيهم الكاسد، ولا يحتاطون للصلاة التي لو كبرَّ الإنسان تكبيرة الإحرام قبل دخول الوقت لبطلت.

---

(١) حديث تقدم وسبق الحكم عليه.

(٢) حديث تقدم وسبق الحكم عليه.

(٣) حديث تقدم وسبق الحكم عليه.

وهذا الحديث وغير يرد على أمثال هؤلاء: (.. وكان المؤذن يؤذن إذا بزغ الفجر...)[١] ، أي إذا دخل الفجر، وحديث: (.. وكان ابن أم مكتوم رجل أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت)[٢] . أي دخلت في وقت الصبح.

وكذلك التكبير في أذان الفجر قبل دخول وقته يوقع الصائمين في حرج فمجرد سماع الأذان يمسك الصائم، ولا يدري أنه مازال هناك وقت.

فعلى المؤذن أن يتقي الله تعالى حتى لا يعرض غيره للحرج ونفسه للإثم، قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [سورة النحل:الآية ٢٥].
وعلى المؤذن كذلك أن يجتهد في تحري دخول الوقت حتى لا يقع في الخطأ ويوقع غيره، قال صلى الله عليه وسلم: (الإمام ضامن المؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين)[٣] .

٦٣- ومن الأخطاء: أن بعض الناس يفطرون في رمضان لعذر شرعي، وهذا بداية ليس خطأ، لكن الخطأ أنهم لا يستترون عن أعين الناس عند تعاطيهم شيئاً من تلك المفطرات، والمطلوب إخفاء ذلك حتى لا يتهموا ويساء الظن بهم من قبل من يراهم ولا يعرف عذرهم.

---

(١) حديث تقدم وسبق الحكم عليه.

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٣) صحيح: انظر صحيح سنن الترمذي.

٦٤- ومن الأخطاء: عدم تعويد الصبيان والفتيان صغيري السن على الصيام والمستحب تعويدهم على الصيام قبل البلوغ فيؤمرون به للتمرين عليه خاصة إذا أطاقوه، لما ورد عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنهما، قالت: فكنا نصوم صبيانا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار(١).

٦٥- ومن الأخطاء : كذلك إصرار بعض المرضى على الصيام مع وجود المشقة، وهذا خطأ، فالحق سبحانه وتعالى قد رفع الحرج عن الناس ورُخص للمريض أن يفطر ويقضي بعد ذلك، قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥].

ولا شك أن هذا الذي يصر على الصيام مع المشقة للمرض الذي أصابه أنه يريد الخير ويحرص عليه، ولكن قد جعل الله له من أمره متسعاً ورخص له فليقبل رخصة الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب أن تؤتى رخصة كما يكره أن تؤتى معصيته) وفي رواية (كما يحب أن تؤتى عزائمه)(٢).

(١) صحيح رواه البخاري (٤/ ٢٠٠) ومسلم (١١٣٦). ومعنى العهن: أي الصوف ونحوه.

(٢) حديث قد تقدم وسبق الحكم عليه.

٦٦- **ومن الأخطاء** : تحرج من أكل أو شرب ناسياً ، وتجد هنا من يلزمه القضاء وهذا خطأ ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ [سورة البقرة:الآية ٢٨٦]. وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه)(١).

إذا فصومه صحيح لما تقدم وليس عليه قضاء والله أعلم.

٦٧- **ومن الأخطاء** : تحرج البعض من استعمال السواك في نهار رمضان ظناً منه أن ذلك يفطره ويبطل صومه ، وهذا خطأ ، قال ﷺ : «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»(٢) قال الإمام البخاري رحمه الله «ولم يخص النبي ﷺ الصائم من غيره» وقال العلاّمة ابن عثيمين ـ حفظه الله ـ «لا يفطر الصائم بالسواك بل هو سنة له ولغيره في كل وقت في أول النهار وآخره» أ. هـ. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه استعمل السواك في رمضان فعن عامر بن ربيعة قال : «رأيت رسول الله ﷺ ما لا أحصى يتسوك وهو صائم»(٣).

٦٨- **ومن الأخطاء** : تحرج بعض الناس عندما يصبح جنبا سواء من جماع أو احتلام فيظن أن صومه باطل وعليه القضاء ، وربما أفتاه أحد الجهلة بذلك ، وهذا خطأ والصحيح أن صومه صحيح ولا قضاء

---

(١) حديث قد تقدم وسبق الحكم عليه.

(٢) حديث قد تقدم وسبق الحكم عليه.

(٣) حسن : وقد تقدم.

عليه، فقد كان النبي ﷺ يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم[١].

ويقول سماحة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ الاحتلام لا يبطل الصوم لأنه ليس باختيار الصائم وعليه أن يغتسل غسل الجنابة إذا رأى الماء)أ. هـ[٢].

٦٩ـ ومن الأخطاء : اعتقاد البعض أن وضع الحناء أثناء الصوم يبطل الصوم ويفطر من فعل ذلك هذا خطأ قال الشيخ ابن عثيمين حفظه الله : (هذا أيضاً لا صحة له، فإن وضع الحناء أثناء الصيام لا يفطر ولا يؤثر على الصائم شيئاً كالكحل وكقطرة الأذن وكالقطرة في العين فإن ذلك كله لا يضير الصائم ولا يفطره)[٣].

٧٠ـ ومن الأخطاء : اعتقاد البعض وتحرجهم ـ وخصوصاً النساء ـ أن تذوق الطعام يفسد الصوم، وهذا خطأ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا بأس أن يذوق الخل والشيء ما لم يدخل حلقه وهو صائم[٤].

---

(١) تقدم ذلك من حديث عائشة وأم سلمة في أكثر من موضع.

(٢) فتاوى مهمة تتعلق بالصيام للعلامة ابن باز.

(٣) فتاوى ابن عثيمين (١/٥٠٣).

(٤) تقدم ذلك.

قال شيخ الإسلام ابـن تيمية ـ رحمـه الله تعـالى ـ في الاختيـارات الفقهيـة (ص ١٠٨) وأمـا إذا ذاق طعامـاً ولفظـه أو وضـع في فيـه عسلاً ومجه فلا بأس به للحاجة كالمضمضة والاستنشاق.

وقـال العلاّمـة ابـن جـبرين ـ حفظـه الله ـ لا بـأس بتـذوق الطعـام للحاجة بأن يجعله على طرف لسـانه ليعـرف حلاوتـه وملوحتـه، وضدها ولكن لا يبتلـع منـه شيئاً بـل يمجـه أو يخرجـه مـن فيـه ولا يفسد بذلك صومه إن شاء الله)أ. هـ[١].

٧١ـ **ومن الأخطاء** : اعتقاد بعض المرضى أن الحقنة الشرجية تفطر، وهـذا خطأ سئل سماحـة الإمـام ابـن بـاز ـ رحمـه الله ـ عـن تلـك الحقنة فقال: حكمها عدم الحرج من ذلك إذا احتاج إليها المريـض في أصـح قـول العلمـاء، وهـو اختيـار شيخ الإسـلام ابـن تيميـة ـ رحمـه الله ـ وجمـع كثير مـن أهـل العلـم لعـدم مشـابهتها للأكـل والشرب)أ. هـ[٢].

٧٢ـ **ومـن الأخطـاء** :أن هنـاك مـن يعيـب علـى المسـافر الفطـر في رمضـان، وهذا خطأ، فـإن للمسـافر في رمضـان الفطـر والصـوم وهـذا على حسب حالته. وقد بسطنا القول في هذه المسألة في أكثر من موضع

---

(١) فتاوى الصيام لابن جبرين.

(٢) فتاوى مهمة تتعلق بالصيام ص (٢٥).

ومن ثم فلا فائدة من الإعادة هنا والتكرار فارجع إليه إن شئت غير مأمور.

ولكن زيادة على ما تقدم نقول: إن أصحاب رسول الله ﷺ وهم أعلم الأمة بعد رسولها بمقصود الشرع وفهم معانيه ووعي نصوصه، وما المراد من تلك النصوص.

فإن تقرر ذلك فاعلم ـ وفقني الله وإياك إلى كل خير ـ أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يعيبوا بعضهم بعضاً الفطر في السفر حال الصيام وإليك بيان ذلك.

- عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: (كنا نسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم)(١).
- وعن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهم ـ قالا: (سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصوم الصائم ويفطر المفطر، ولا يعيب بعضهم على بعض)(٢).
- وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أيضاً قال: (كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر،

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣/٣٩٥) ومسلم (١١١٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم.

فلا يجد الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون أن وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن)[١].

هذا ما تيسر جمعه في هذا الباب بفضل الله وعونه ومدده ولطفه، فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجنبنا الخطأ والزلل، وأن يرزقنا الفقه في الدين، وأن يجعلنا من الذين صاموا رمضان إيماناً وقاموا احتساباً، وأن يتقبل ذلك منا، وأن يغفر لنا خطأنا وعمدنا، وجدنا وهزلنا وسرنا وجهرنا وكل ذلك عندنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه ومولاه وهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(١) صحيح: رواه مسلم.

الواحة الإيمانية السادسة عشرة

البحر الزاخر في فضل واغتنام العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله الذي لم يزل بصفات الكمال متصفاً، وبآثار ربوبيته وآلائه إلى عباده متعرفاً، وأحاط علماً بجميع الكائنات ما ظهر منها وما بطن.

فسبحانه من إله تفرد بالإيجاد والاختيار، وتنزه عن مشابهة الأغيار، وتوحّد بالبقاء على ممر الزمان وتوالي الأعصار، الملك القهار العظيم الجبار العزيز الغفار، الذي يرحم من قصد جنابه، ويقرب أولياءه وأحبابه ويفتح للتوابين أبوابه، ليجبر الكسر، ويغني الفقير، ويغفر الأوزار، أحمده على جزيل فضله وإحسانه، وأشكره على سوابغ كرمه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وسلطانه، شهادة أدخرها ليوم لا تنفع فيه الأعذار.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، نبي شرح الله له صدره ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذل والصغار على من خالف أمره، صلى الله عليه وعلى أصحابه البررة الأطهار المهاجرين والأنصار.

وبعد:

أخي الحبيب: هذه أيام شهر رمضان تتقلص ولياليه الشريفة تنقضي وتُتخلص وقد أوشك على الرحيل، وتأهب للتوديع، فيا شهرنا تمهل.

هذه الأيام التي مضت وتلك الليالي التي انقضت، فهي شاهدة عليك بما عملته، وحافظة لك لما فيها أودعته، هي لأعمالك خزائن محصنة، ومستودعات محفوظة، وستكون في انتظارك يوم القيامة فهي شاهدة لك أو عليك ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ٣٠].

فيا أخي الكريم: زَيِّنْ هذه الأيام بصالح الأعمال وجميل الأقوال والأفعال، ولا تشينها بطالح الأعمال وقبيح الأقوال والأفعال، ينادي عليك ربك الجليل فيقول: (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه)(١).

فيا عبد الله! هذا شهر رمضان قد زاد على النصف، فمن منا حاسب نفسه لله ونصف، من منا عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبني له فيها غرفاً من فوقها غرف، ألا وإن شهرك قد أخذ في النقصان فزد أنت في العمل فكأنك به وقد انصرف، فكل شهر فعسى أن يكون لك منه خلف، وأما شهر رمضان فمن أين لك به من خلف؟!.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/١٩٩٤/٢٢٥٧) في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه وهو حديث قدسي طويل.

تنقص الشهر وا لهفاه وانهداما	واختص بالفوز بالجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسرا	مثلي فيا ويحه يا عظم ما حرما
من فاته الزرع في وقت البذار فما	تراه يحصد إلا الهم والندما
طوبى لمن كانت التقوى بضاعته	في شهره وبحبل الله معتصما

هذا هو الشهر وهذه هي نهايته ، كم من مستقبل له لم يستكمله؟ وكم من مؤمل بالعود إليه لم يدركه؟ هلا تأملت الأجل ومسيره ، وهلا تبينت خداع الأمل وغروره!.

فيا أخي المسلم : كنا بالأمس القريب نستقبل شهر رمضان ، ونحن في غبطة وسرور ، وفي لحظة وغفلة من أمرنا أنسلخ الشهر وشرع في الرحيل ، وهكذا العمر سينقضي وينتهي الأجل ، فيا ليت شعري ماذا قدمنا لهذا اليوم؟!.

التقي الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ برجل ، فسأله الفضيل وقال له : يا رجل! كم عمرك؟ فقال الرجل : عمري ستون سنة ، فقال الفضيل : الله أكبر! منذ ستين سنة وأنت تسير إلى الله ، يوشك أن تقترب.

فقال الرجل : (إنا لله وإنا إليه راجعون) قال الفضيل : يا رجل : أعلمت معناها؟ قال الرجل : نعم. علمت بأني لله عبد ، وأني

إليه سائر وبين يديه واقف، فقال الفضيل: من علم بأنه لله عبد، وأنه إليه سائر وبين يديه واقف، علم بأنه مسؤول، فليعد لكل سؤال جواب!.

قال الرجل: وما الحيلة؟ قال الفضيل: يسيرة، قال الرجل: دلني عليها يرحمك الله. قال الفضيل: يا هذا اتق الله فيما بقى، يغفر الله ما قد مضى، وما قد بقي.

أخي: فكأني بك وقد قصم الموت عراكك التي بها تمكنت، فأخرجك من دارك التي أحسنت عمارتها وسكنت، فتفكر في قبر تخلو فيه بما أسأت وأحسنت فيما كنت أسلفت، إلى أن تقوم للحساب على ما أسررت وأعلنت، فتزين بالتقى فطوبى لك إن تزينت، فلا أم حنون لك تقيك مما يلاقيك ولا والد شفيق يقدر أن يفديك، ولا ولد بار يقدر أن ينجيك، وقد ودعك الأهل وداع من لا يلتقي، وتصعد الروح من أسفل الجسد وترتقي، فماذا يكون مقالك؟! وكيف ينفعك مالك؟! إذا أوبقتك أعمالك! وأوردتك المهالك أقوالك وأفعالك! فحاسب نفسك يا مسكين قد قرب سؤالك.

أيها الأخ الكريم: إن كان في النفس زاجر، وإن كان في القلب واعظ، فقد بقيت بقية من أيام هذا الشهر، بقية وأي بقية! إنها العشر

الأواخر من أيام هذا الشهر المبارك ، والتي أقسم بها رب العالمين في محكم التنزيل ، فقال جل من قائل سبحانه ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ ﴾ [سورة الفجر:الآيتان ١-٢]. وفي ذلك تنبيه على شرفها وعظيم بركتها ، وحث للمخاطبين على اغتنامها ، والتقرب إلى الله تعالى بما شرع فيها من أنواع العبادات والطاعات ، وجليل القربات ، فإن هذه الليالي العشر أفضل ليالي السنة على الإطلاق(١) .

تلك العشر الأخيرة ، التي فيها الخيرات والأجور الكثيرة ، تكمل فيها الفضائل ، وتتم فيها المفاخر ، ويطلع على عباده العظيم القادر ، وينيلهم الثواب الجزيل والحظ الوافر ، فيها تزكوا الأعمال وتنال الآمال.

تلك العشر الأخيرة التي كان يحتفي بها النبي صلى الله عليه وسلم أيما احتفاء.

---

(١) فائدة: قال ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد (١/٥٧) (فإن قلت أي العشرين أفضل؟ عشر ذي الحجة أو العشر الأخير من رمضان؟ قلت: - أي ابن القيم - فالصواب فيه أن يقال: ليالي العشر الأخير من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة ، وأيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام عشر رمضان وبهذا التفضيل يزول الاشتباه ويدل عليه أن ليالي العشر من رمضان إنما فضلت باعتبار ليلة القدر ، وهي من الليالي (العشر) وعشر ذي الحجة إنما فضل باعتبار أيامه ، إذ فيه يوم النحر ويوم عرفة ويوم التروية)أ. هـ.

كان النبي صلى الله عليه وسلم في العشرين الأول من رمضان يخلطها بصلاة ونوم فإذا دخلت العشر الأواخر شمر وجد وشد المئزر هجر فراشه وأيقظ أهله.

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم ، فإذا كان العشر - يعني الأخير - شمر وشد المئزر).

أخي الكريم: ربما يكون هذا الشهر آخر شهر يصومه بعضنا ، ولا يدري من السابق فينا من اللاحق ، فالله الله في مضاعفة المثابرة والاجتهاد في زمن مبارك أدركنا وأدركناه ، ونحن في وافر الصحة والعافية ، فالحذر الحذر من التفريط في مثل هذه التجارة الرابحة ، التي من حرمها فقد حُرم خيراً كثيراً ، ولن يضمن إدراك تلك الصفقة مرة أخرى.

فيا أخي الكـــريم: إن عشر رمضان قد نزلت ببركتها إليك ، وأشرقت بفضلها وشرفها عليك ، فتأهب لتلقيها بالعزم الصادق على الخير، واجعل همتك مصروفة إلى حراستها لا غير، فإنها عشر البركات الوافرة قد حفت ، وبالكرامة الظاهرة إليك قد زفت ، عشر تربح فيها بضائع العباد ، وتغنم فيها عبادة الزهاد ، وتستقيم فيها صفوف الجهاد ، ويحسن فيها الاجتهاد ، عشر فيها يعتق الأسير ويُجبر

بالفضل الكسير، وتكف بالتقى أكف التبذير وتحضر القلوب وينفع التحذير، ويستقيم فيها قدم العابد ويقل التعثير، ويقوى فيها الباعث إلى التوبة المثير.

عشر أقبلت على المقبولين بتكثير الأجور وعلى الصادقين بتوفير النور وعلى المتقين بالفرح والسرور، وعلى التائبين بتقويم الأمور، وعلى العامل بنصيبه موفور.

عشر يتم فيها الإسعاد والتكريم، ويتفضل بجزيل الإنعام الملك الكريم، ويصفد فيها كل شيطان رجيم، ويعافى فيها مريض الخطايا السقيم، إذا امتثل فيها بأمر طبيبه العليم.

عشر فيها تتوافر العطايا والمنح، ويتحصل فيها كل مأمول مقترح ويتم فيها للعابد الثواب والفرح، ويغفر للعاصي كل ما جنى واجترح، ويعاد فيها بالخير على كل من أصلح فيها وصلح.

عشر يعفو فيها عن عباده الرؤوف الرحيم، فاحفظه لعله يُحلك جنات النعيم، ويقيك في القيامة هول الجحيم، إذا انزعجت القلوب من لهب الحميم.

فيا أخي الكريم: صحح في هذه الأيام الفروض والنوافل، واحترس من الغفلات القواتل، وتيقظ فيها قبل لحاق الأواخر بالأوائل، واعتذر إلى مولاك في هذه الأيام والليالي القلائل.

واحذر غيبة الناس فإنها تحبط الأجر، وجانب أكل الحرام فإنه سبب الطرد والهجر، وعظمك عشرك فإنها من عظيم الأمر، وانتظر فيها بحسن اليقظة لليلة القدر، فإنها عظيمة القدر فيا فوز من خشي فيها الرب!.

وإياك فيها وفضول النظر والكلام، واجتهد في الصلاة والقيام، فإذا سلم لك رمضان سلم لك جميع العام، واعلم أن مهور الحور العين بطول التهجد والقيام وهو حاصل في هذه العشر الحسان.

فيا قوم ألا خاطب في هذه العشر إلى الرحمن؟ ألا راغب فيما أعده الله للطائعين في الجنان؟ ألا طالب لما أُخبر به من النعيم في الجنان؟ مع أنه قد قيل: ليس الخبر كالعيان.

مـــن يـــرد ملـــك الجنـــان فليـــدع عنـــه التـــوان
وليقـــم فـــي ظلمـــه الليـــل إلـــى نـــور القـــرآن
وليصـــل صومـــا بصـــوم إن هـــذا العيـــش فـــان
إنمـــا العيـــش جـــوار الله فـــي دار الأمـــان

فيا أخي الحبيب: أين اللائذ بالجناب؟ أين الواقف على الباب؟ أين الباكي على ما جنا؟ أين المستغفر لأمر قد دنا؟ ألا رب فرح بما يؤتي قد خرج اسمه في الموتى، ألا رُبَّ غافل عن تدبر أمره، قد انفصمت عرى عمره، ألا رُبَّ معرض عن سبيل رشده، قد آن أوان شق لحده، ألا رُبَّ رافل في ثوب شبابه قد أزف فراقه لأحبابه، أين من

كان في مثل هذا العشر في منازله أما ظهر له الخسران عند حساب معامله؟ أين المعتذر مما جناه؟ قد أطلع عليه مولاه؟ أين الباكي على تقصيره، قبل تحسره في مصيره؟.

تعالوا كل من حضرا لنطرق بابه سحراً
ونبكي كلنا أسفا على من بات قد هجرا

فيا عجباً من حال أقوام تمر عليهم تلك الليالي الفاضلة والأوقات المباركة وهم في غفلة عنها، لا يقيمون لها وزناً ولا يقدرون لها ثمناً، وهذا والله هو المغبون الذي فرط في خير كثير وكان بإمكانه أن ينال الكثير والكثير لو فطن لنفسه، فهذه العشر الفضائل فيها كثيرة، والمصالح فيها وافرة غزيرة فالسعيد من عمل وقبل، والشقي من طرد وخذل، والمحروم من حرم خير هذا الشهر.

أخي الطيب المبارك: أترضى يا مسكين أن تُكتب أسماء من حولك في صحف الملائكة أنهم من المقبولين وتبقى أنت وحيداً فريداً محروماً من تلك الغنيمة العظيمة التي فرطت في ثوابها وفضلها، وكانت منك قاب قوسين أو أدنى؟.

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر

فشمر يا عبد الله عن ساعد الجد، وجاهد نفسك على طاعة الله تعالى، وأطرها على فعل الخيرات، وترك المنكرات والملهيات، والبُعد عن الشهوات والملذات:

تفنى اللذاذة ممن ذاق صفوتها من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

فيا أخي: احذر المعاصي فبئس المطلوب، وما أقبح أثرها في الوجوه والقلوب، فالمعاصي سواد في الوجه، وضيق في الصدر وقلة في الرزق، ووحشة من الخلق، وبُعد عن الرب، وظلمة في القبر وحسرة وندامة يوم العرض.

فالله الله في نفسك فلا توردها الموارد ولا تعرضها للهلكة وأنت شاهد، وازجرها وقل لها:

يا نفس فاز الصالحون بالتقى وأبصروا الحق وقلبي قد عمى
يا حسنهم والليل قد أجنهم ونورهم يفوق نور الأنجم
ترنموا بالذكر في ليلهم فعيشهم قد طاب بالترنم
قلوبهم بالذكر قد تفرقت دموعهم كاللؤلؤ المنتظم
أسحارهم من نورهم قد أشرقت وخلع الغفران خير المقسم
ويحك يا نفس ألا تيقظ ينفع قبل أن تزل قدمي
مضى الزمان في توان وهوى فاستدركي ما قد بقى واغتنمي

أخي الكريم: ليكن لك في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في تلك الليالي العشر، ففي الصحيحين من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله)(١). هذا لفظ البخاري، وعند مسلم: (أحيا الّليل وأيقظ أهله وشد المئزر).

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

وعند مسلم عنها أيضاً قالت: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لم يجتهد في غيره).

أعمال العشر الأواخر

وكان النبي ﷺ يخص العشر الأواخر في رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر منها:

(١) **إحياء الليل:** المراد بذلك أن النبي ﷺ كان يحيي الليل كله بالعبادة أو إحياء غالبه.

(٢) **أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله للصلاة**؛ صح عن النبي ﷺ أنه كان يطرق الباب على فاطمة وعلي ليلاً فيقول لهما: ألا تقومان فتصليان؟![١].

وكان ﷺ يتجه إلى حُجر نسائه آمِراً فيقول: (أيقظوا صواحب الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة)[٢].

وكان ﷺ يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يوتر.

---

(١) صحيح: رواه البخاري وأحمد.

(٢) صحيح: رواه البخاري ومالك.

وكان ﷺ لم يترك أحداً من أهل بيته صغيراً أو كبيراً يطيق الصلاة إلا وأيقظه، فعند الطبراني من حديث علي رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان، وكل صغير وكبير يطيق الصلاة.

وعند الترمذي من حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (لم يكن النبي ﷺ إذا بقي من رمضان عشرة أيام يدع أحداً من أهله يطيق القيام إلا قامه).

قلت: وهو بذلك ﷺ متمثلاً قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة طه:الآية: ١٣٢].

فهذا بعض حال النبي ﷺ إذا أقبلت العشر الأواخرمن إحياء الليل بالقيام، وإيقاظ للأهل للصلاة وهو من هو؟! هو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بمن تلوث بالمعاصي والذنوب؟!.

أخي المسلم المبارك: هل أحييت ليلك بالقيام ونهارك بالصيام وتلاوة القرآن؟ هل أيقظت أهلك وأولادك في هذه الليالي المباركة ليالي العشر من رمضان؟!.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل، فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)(١) وفي رواية: (فإن قاما من ليلتهما هذه كُتِبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات).

أم إنك أخي تركتهم أمام التلفاز جالسون، وعلى الدش عاكفون، وللأغاني يرددون، وعلى أنغام الموسيقى يرقصون، وفي اللهو غارقون!.

فاعلم يا عبد الله أنك عنهم مسؤول أمام الله يوم تذل بك القدم وتعلوك الحسرة ويعتريك الندم، حيث لا ينفع الندم ولات حين مناص.

ولقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم من أسرع الناس امتثالاً واتباعاً لهدي المصطفى ﷺ ففي الموطأ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة وهو يقول لهم: (الصلاة الصلاة) ويقرأ قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [سورة طه:الآية ١٣٢].

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وابن خزيمة وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٤٩٤).

قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (أحب إليّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك).

كانت امرأة حبيب أبي محمد الفارسي وكان مجاب الدعوة رحمهما الله تعالى - تقول له بالليل: قم يا حبيب! قد ذهب الليل، وبين أيدينا طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا:

يا نائماً بالليل كم ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وأوقاته ... ورداً إذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقى ... قنطرة العرض لكم موعد

كان أبو ذر رضي الله عنه - يقول للناس: (أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً، أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلّغه؟ قالوا: بلى، قال: فسفر القيامة أبعد، فخذوا له ما يصلحكم: حجوا حجة لعظائم الأمور وصوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور، وتصدقوا بصدقة لشر يوم عسير).

فيا صاحب الذنب العظيم، والإثم الكبير، فالغنيمة الغنيمة في هذه الأيام الكريمة، فمن يعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة والمنحة الجسيمة.

يا من أعتقه مولاه من النار إياك أن تعود بعد أن صرت حراً إلى رق الأوزار، أيبعدك مولاك من النار وتقترب منها! وينقذك منها وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها!.

ماذا فات من فاته خير رمضان؟! وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان؟! كم بين من حظه فيه القبول والغفران، ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران؟!.

أخي الكريم: إحسان الظن ليس بالتمني، ولكن إحسان الظن بحسن العمل، إن هناك أناس قالوا: إننا نحسن الظن بالله، وقد كذبوا فلو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل، والرجاء في رحمة الله مع عصيانه ضرب من الحمق والخذلان، والخوف ليس بالبكاء ومسح الدموع، ولكن الخوف بترك ما يخاف منه العقوبة.

أخي المسلم: اعلم - رحمني الله وإياك - أن الأعمال بالخواتيم، فمن أصلح فيما بقي غُفِر له ما قد مضى، ومن أساء فيما بقى، أخذ بما قد بقى ومضى.

فها هي العشر الأواخر فرصة لتصلح ما قد أفسدته في العشرين الأول فيها ليلة هي خير من ألف شهر، وفيها يسن الاعتكاف والإكثار من الدعاء والذكر وطول القيام، والتهجد في جوف الليل وتلاوة القرآن والإنس بمناجاة الملك سبحانه وتقدس.

فقم يا أخي ودع عنك التواني والكسل   فاز والله من كان بالله متصل

قـم يـا أخـي إلى الله بقلـب خاشـع ، وانتظـم في سـلك الذيـن تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، فما تراهم إلا بين ساجد وراكع.

تيقظ بساعات من الليل يا فتى   لعلك تحظى بالجنان وحورها
فتنعم في دار يدوم نعيمها   محمد فيها والخليل بدورها

قــال تعــالى : ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الذاريات:الآيتان ١٧-١٨]. وقال تعــالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة السجدة:الآيتان ١٦-١٧]. وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة الفرقان:الآية ٦٤]. وقال ﷺ : (أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل)(١).

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال : (ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجب له من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له)(٢).

---

(١) حديث صحيح وقد تقدم.

(٢) حديث صحيح وقد تقدم.

وعند أحمد في المسند من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله إلى السماء الدنيا ثم تفتح أبواب السماء حتى يطلع الفجر) وقال ﷺ: (من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار).

قال أبو الدرداء رضي الله عنه (صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبور)[(١)] .

وقيل للحسن البصري رحمه الله: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره[(٢)] .

وقال كعب الأحبار: إن الملائكة ينظرون من السماء الدنيا إلى الذين يصلون بالليل في بيوتهم كما تنظرون إلى النجوم في السماء).

وجاء في الأثر أن الله سبحانه وتعالى قال لداود: (يا داود إن صلاة الليل نور على وجه صاحبها يوم القيامة).

سألت الربيع بن خثيم ـ رحمه الله ـ ابنة له قائلة: يا أبتاه الناس ينامون ولا أراك تنام؟ قال: يا بنية إن أباك يخاف السيئات[(٣)] .

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢٦٤).

(٢) طبقات الشافعية (٤/٢٢٥).

(٣) الزهد للإمام أحمد (٤٦٩).

قم الليل يـــا هـــذا لعلــك ترشـــد إلى كـــم تنام الليل والعمر ينفـــذ
أراك بطـول الليل ويحـك نائمـــاً وغيـــرك في محرابـــه يتهجـــد
أترقد يـــا مغـــرور والنـــار توقـــد فلا حرها يطفى ولا الجمر يخمـد
ألا إنهـــا نـــار يقـــال لهـــا لظـــى فتظلـــم أحيانـــاً وحينـــا توقـــد

قال أحمد بـن حرب: عجبت لمن يعلم أن الجنة تزين فوقه، والنار تضرم تحته كيف ينام[(١)].

يُروى أن طاوساً ـ رحمه الله ـ جاء في السحر يطلب رجلاً، فقالوا: هو نائم، قال: ما كنت أرى أحداً ينام في السحر[(٢)].

فيا أخي الكريم: إن جوف الليل ملاذ الخائفين، ولذة المتعبدين وأنس المستوحشين، ونعيم الطائعين، ومناجاة المحبين، وخلوة العارفين، ومطية السالكين، وقرة عين المحسنين فجنوبهم عن المضاجع واجفة، وقلوبهم من خشية الله خائفة، ونفوسهم لرحمة الله طامعة وألسنتهم بالاستغفار والدعاء لاهجة، سكبوا العبرات، وتعالت منهم الآهات والأنات، وكلما تذكروا الذنوب والزلات والسيئات ارتفعت منهم الصيحات، ورفعوا أيديهم إلى رب الأرض والسموات وقالوا: ﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ١٩٣]. فكان الجواب من رب

(١) إحياء علوم الدين (٤/٤٥٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٤٢)، صفة الصفوة (١/٥٠٥).

البريات: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ [سورة آل عمران:الآية ١٩٥].

كان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جنَّ الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول: (إنك لين، والله إن في الجنة لألين منك، فيترك الفراش ولا يزال يصلي الليل كله)(١).

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود ... أنين منه تتفرج الضلوع

فيا أيها المذنب ـ وكلنا كذلك ـ لو قمت في هذه الليالي من الأسحار ووقفت على قدم الانكسار، ورفعت رسائل الاعتذار لربك الغفار مضمونها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ﴾ [سورة يوسف:الآية ٨٨]. لبرز لك التوقيع عليها: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة يوسف:الآية ٩٢].

أشكو إلى الله كما قد شكى ... أولاد يعقوب إلى يوسف
يا رب قد مسني الضر وأنت الذي ... تعلم حالي وترى موقفي
بضاعتي المزجاة محتاجة ... إلى سماح من كريم وفي
فقد أتى المسكين مستمطر ... جودك فارحم ذلة واعطف
فأوفِ كيلي وتصدق علي ... هذا المقل البائس الأضعف

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٤٢٠).

قال الحسن البصري : إن الرجل ليحرم قيام الليل بالذنب يصيبه.

وقال الفضيل بن عياض : إذا لم تقدر على صيام النهار وقيام الليل فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك.

فيا أخي الكريم: ما أبهاك وأحلاك إذا وقفت بين يدي مولاك وقلت :

يا رب عبدك قد أتاك ... وقد أساء وقد هفا
يكفيك منه حياؤه ... من شر ما قد أسلفا
حمل الذنوب على الذنوب ... الموبقات وأسرفا
وقد استجار بذيل عفـ ... ـوك من عقابك مُلحفا
يا رب فاعف عنه وعافه ... فلأنت أولى من عفا

(٣) **أن النبي ﷺ كان يشد المئزر في تلك العشر الأواخر:**

وقد اختلفوا في معنى شد المئزر على قولين والراجح منهما ـ والله أعلم ـ أنه كناية على اعتزال النساء وذلك لتفرغه للعبادة والعكوف على طاعة الله وذكره ومناجاته سبحانه.

قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ (والصحيح أن المراد اعتزاله النساء ، وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون منهم سفيان الثوري وقد ورد ذلك صريحاً من حديث عائشة وأنس ، وقد كان النبي ﷺ

غالباً يعتكف العشر الأواخر، والمعتكف ممنوع من قربان النساء بـالنص والإجماع)أ. هـ[(١)] .

(٤) **تأخيره ﷺ للفطـور إلى السـحور**: ففـي الصحيحـين مـن حديـث أبـي هريرة قال: (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجـل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله؟ فقال: وأيكم مثلي إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)[(٢)] .

(٥) **اغتساله ﷺ بين العشاءين**:

ورد عن عائشة وعلي وحذيفة أنه ﷺ: (كان يغتسل بين العشـاء بين كل ليلة) يعني في العشر الأواخر وقد ورد ذلك عن بعض السلف.

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلـة من ليالي العشر الأواخر، وكان النخعي يغتسل في العشر الأواخر كل ليلة.

ومنـهم مـن كـان يغتسـل ويتطيـب في الليـالي الـتي تكـون أرجـى لليلـة القـدر، فـأمر ذر بـن حبيـش بالإغتسـال ليلـة سـبع وعشـرين مـن رمضان.

---

(١) بغية الإنسان (ص ٥٨).

(٢) لطائف المعارف (٢٧١)، ضياح لبن: أي اللبن الخاثر الممزوج بالماء.

وروى عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه إذا كانت ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب ولبس حلة إزار ورداء، فإذا أصبح طواها فلم يلبسهما إلى مثلها من قبل.

(٦) الاعتكاف:

تعريف الاعتكاف:

والاعتكاف هو: لزوم المسجد للتفرغ لطاعة الله عز وجل.

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: (فمعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والإنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية)[١].

حكمه:

الاعتكاف مستحب باتفاق أهل العلم وقد دل على ذلك الكتاب والسُنة والإجماع وليس بواجب إلا أن يوجبه الإنسان على نفسه فيجب عليه الوفاء به.

---

(١) لطائف المعارف (ص ٢٧٤).

وهو سنة مؤكدة في العشر الأواخر من رمضان.

أما الكتاب: فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧]. وأما السُنة فالأدلة منها كثيرة منها:

(٦/١) عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: (كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان)[١].

(٦/٢) عن عائشة زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ: (كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه من بعده)[٢].

(٦/٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف في كل عام عشراً فاعتكف عشرين في العام الذي قُبض فيه)[٣].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٧١) ومسلم (١١٧١) وزاد، قال نافع: وقد أراني عبد الله بن عمر المكان الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فيه في المسجد.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٧١) ومسلم (١١٧٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٧١) ومسلم (١١٧٢).

حكمته:

قال شيخ الإسلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفاً على جمعيته على الله ولمُّ شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القلب لا يلمّه إلا الإقبال على الله تعالى.

وكان فضول الطعام والشراب وفضول مخالطة الأنام وفضول الكلام وفضول المنام مما يزيده شعثاً ويشتته في كل واد ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه، اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته فيستولي عليها بدلها ويصير الهم كله به) أ. هـ[1].

والاعتكاف عبادة جليلة يترتب عليها صفاء الروح ونقاء القلب وتزكية النفس لما فيه من الانقطاع عن شواغل الدنيا والاشتغال بتحصيل ثواب الآخرة، لهذا كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان كل عام.

---

(١) زاد المعاد (٢/٨٦).

والاعتكاف من السنن المهجورة التي قلّ العمل بها وغفل عنها كثير من الناس، قال الإمام الزهري ـ رحمه الله ـ: (عجباً للمسلمين! تركوا الاعتكاف مع أن النبي ﷺ ما تركه منذ قدم المدنية حتى قبضه الله ـ عز وجل ـ).

فبادر أخي المسلم إلى إحياء هذه السُنة العظيمة وحث الناس عليها والترغيب فيها، وأبدأ بنفسك فإن الدنيا مراحل قليلة وأيام يسيرة، فتخلص من عوائق الدنيا وزخرفها وأنت في اعتكافك فلا تجعل هذا الخير العظيم يفوتك، واحرص عليه، واجعل لك أياما يسيره تتحرر فيها من المشاغل والأعمال وتتجه بقلبك وجوارحك إلى الله عز وجل في ذل وخضوع وانكسار ودموع لتلحق بركب المقبولين الفائزين.

شروطه:

أ - لا يشرع إلا في المساجد لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧]. أي لا تجامعوهن، وهو قول جمهور المفسرين[١].

قال الحافظ في الفتح: (ووجه الدلالة من الآية أنه لو صح في غير المسجد لم يختص تحريم المباشرة به، لأن الجماع مناف للاعتكاف بالإجماع، فعلم من ذكر المساجد أن المراد أن الاعتكاف لا يكون إلا فيها)[٢].

---

(١) انظر: زاد المسير (١/ ١٩٣).

(٢) فتح الباري (٤/ ٢٧٢).

ب - أن يكون في مسجد تقام فيه الجمعة (المسجد الجامع) لكي لا يضطر للخروج منه لصلاة الجمعة فإن الخروج لها واجب.

قالت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ : (والسُنة في المعتكف أن لا يخرج إلا لحاجته التي لابد منها، ولا يعود مريضاً، ولا يمس امرأته، ولا يجوز أن يباشرها، ولا اعتكاف إلا في مسجد جماعة والسُنة فيمن اعتكف أن يصوم)[(١)] .

ج ـ والسُنة فيمن اعتكف أن يصوم كما تقدم عن عائشة رضي الله عنها[(٢)] .

ما يباح للمعتكف فعله

يباح للمعتكف أمور منها:

أـ **الخروج من المسجد لحاجة**، كقضاء الحاجة وغسل الجنابة والوضوء والأكل والشرب إذا لم يكن له من يأتيه بالأكل والشرب ويباح له تغسيل شعره وترجيله وخروج بعض بدنه كرأسه وما شابه ذلك.

---

(١) أخرجه البيهقي بإسناد صحيح، وأبو داود بإسناد حسن.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٠٣٧) عن عائشة وروى معناه عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم (٨٠٣٣).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «وإن كان رسول الله ﷺ ليُدخل عليَّ رأسه وهو معتكف في المسجد وأنا في حجرتي فأرجله» وفي رواية «فأغسله» وإن بيني وبينه لعتبة الباب وأنا حائض وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان إذا كان معتكفاً»(١).

ب ـ الوضوء في المسجد:

ويجوز للمعتكف أن يتوضأ في المسجد لقول رجلٍ خدم النبي ﷺ «توضأ النبي ﷺ في المسجد وضوءاً خفيفاً»(٢).

وعند أحمد من طريق أبي العالية عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «حفظت لك أن رسول الله ﷺ توضأ في المسجد»(٣).

ج ـ يباح للمعتكف أن يتخذ له مكاناً في المسجد يضع فيه فراشه وسريره وخيمته.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان فكنت أضرب له خباء فيصلي الصبح يم يدخله(٤).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية»(٥).

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن أبي شيبة.

(٢) أخرجه البيهقي بسند جيد.

(٣) أخرجه أحمد (٥/٣٦٤) بسند صحيح.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٧٥)، ومسلم (١١٧٣).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢/٨٢٥) وابن ماجة (١٧٧٩).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ «أنه كان إذا اعتكف طُرح له فراش أو يوضع له سرير وراء اسطوانة التوبة»(١).

د ـ محادثة الرجل أهله في معتكفه.

يباح للمعتكف أن يحادث أهله حال اعتكافه فعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أن صفية زوج النبي ﷺ أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب، فقام رسول الله ﷺ معها يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبي ﷺ «على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي». فقالا: سبحان الله يا رسول الله! وَكَبُرَ عليهما(٢).

فقال النبي ﷺ «إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً»(٣).

قال الحافظ في الفتح (وفي الحديث من الفوائد جواز اشتغال المعتكف بالأمور المباحة من تشيع زائره والقيام معه والحديث مع غيره وإباحة خلوة المعتكف بالزوجة وزيارة المرأة للمعتكف)(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجة والبيهقي وإسناده قريب من الحسن.

(٢) قلت: ومعنى كَبُر عليهما أي أن يشكا في رسول الله ويظنا به ظن السوء كما جاء في بعض الطرق (أنشك فيك يا رسول الله!).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/ ٢٧٨) ومسلم (٢١٧٥).

(٤) فتح الباري (٤/ ٢٨٠).

و ـ الأكل والشرب في المسجد.

يباح للمعتكف أن يأكل ويشرب في المسجد.

عن سليمان بن زياد الحضري أنه سمع عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي يقول: (كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ في المسجد الخبز واللحم)(١).

مبطلات الاعتكاف:

أ - الجماع:

لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٧].

قال ابن المنذر ـ رحمه الله ـ في الإجماع: (وأجمعوا على أن من جامع امرأته وهو معتكف عامدا لذلك في فرجها أنه مفسد لاعتكافه)(٢).

ونقل الإجماع على ذلك ابن كثير والخطابي والنووي وابن قدامة وغيرهم، قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ (الأمر المتفق عليه عند العلماء أن المعتكف يحرم عليه النساء ما دام معتكفا في مسجده ولو ذهب إلى منزله لحاجة لابد منها فلا يحل له أن يثبت فيه إلا

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٩٠/٤) وابن ماجة (٢٤٠/٢) رقم (٣٣٤٣) وقال البوصيري في الزوائد (١٧٩/٢) هذا إسناد حسن، وصححه العلامة الألباني، والعلامة الوادعي في الصحيح المسند رقم (٥٥٧).

(٢) الإجماع (ص ٤٨).

بمقدار ما يفرغ من حاجته تلك من قضاء الغائط أو الأكل، وليس له أن يُقبِّل امرأته ولا أن يضمنها ولا يشتغل بشيء سوى اعتكافه ولا يعود مريضاً ولكن يسأل عنه وهو مار في طريقه)[١] .أ.هـ.

قال ابن المنذر في الإجماع: (وأجمعوا على أن المعتكف ممنوع من المباشرة)[٢] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: (ثم المراد بالمباشرة إنما هو الجماع ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحو ذلك، فأما معاطاة الشيء ونحوه فلا بأس به، فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يدني إليَّ رأسه فأرجله وأنا حائض وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان، قالت عائشة: ولقد كان المريض يكون في البيت فما أسأل عنه إلا وأنا مارة)[٣].

والصحيح والله أعلم: أن التقبيل والضم لا يبطل الاعتكاف ـ كما أنه لا يبطل الصيام ـ ولكن ينبغي على المعتكف أن يبتعد عن هذا كله، وأن ينشغل بطاعة الله وذكره والخلوة به وبما يقربه إلى الله وهذا هو مقصود الاعتكاف.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٤).

(٢) الإجماع (ص ٤٨).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٨).

ب ـ الخروج لغير حاجة:

فإذا خرج المعتكف من المسجد لغير حاجة تدعو إلى ذلك مثل أن يخرج للبيع أو الشراء أو لزيارة أهله أو ما شابه ذلك فإن اعتكافه يبطل لحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ المتقدم (وكان رسول الله ﷺ لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان إذا كان معتكفا) متفق عليه ولأن الخروج لغير حاجة يناقض الاعتكاف وينافي مقصوده.

قال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ (واتفقوا على أن من خرج من معتكفه في المسجد لغير حاجة ولا ضرورة ولا برأ مر به أو نُدب إليه فإن اعتكافه قد يبطل)[١] .

قضاء الاعتكاف.

قد مر بنا بأن الاعتكاف ليس بواجب ولكنه مستحب باتفاق أهل العلم وأجمعوا على ذلك، وعليه فإن قضاءه ليس بواجب ولكن مستحب أيضاً فإن تقرر ذلك فيستحب للمسلم إذا كان اعتاد الاعتكاف وحدث له ظرف أو مانع من الموانع حال بينه وبين أن يعتكف في سنة ما فعليه أن يقضي هذا الاعتكاف في العام المقبل.

---

(١) مراتب الإجماع (ص٤١).

فعن أبي بن كعب أن النبي ﷺ «كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان فلم يعتكف عاماً فلما كان من العام المقبل اعتكف عشرين ليلة»[(١)].

قال الخطابي: (وفيه من الفقه أن النوافل المعتادة تقضي إذا فاتت كما يقضي الفرائض، ومن هذا قضى رسول الله ﷺ بعد العصر الركعتين اللتين فاتتاه لقدوم الوفد واشتغاله بهم)[(٢)].

كلمة وتوجيه ..... نصح وإرشاد

أخي المعتكف احرص على أن يكون اعتكافك في مسجد بعيد عن كثرة الناس والإزعاج، واختر أحد المساجد التي لا تعرف فيها أحد ولا يعرفك فيها أحد، فإن هذا أحرى للإخلاص وأفرغ لقلبك وذهنك من محادثة الناس وكثرة مجالستهم ومخالطتهم، وإن

(١) صحيح: رواه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١/ ٣٩)، وابن ماجة (١/ ٥٦٢)، وابن خزيمة (٢٢٢٥)، وابن حبان (٥/ ٢١٨) وأحمد (٥/ ١٤١)، وأبو داود والطيالسي (٧٥، ٥٥٣) والضياء المقدسي (٤/ ٤٧/ ١٢٧٧) والحاكم (١/ ٤٣٩) والبيهقي (٤/ ٣١٤) وفي بعض الروايات (فسافر عاماً فلم يعتكف) وصححه الألباني والوادعي في الصحيح المسند رقم (٢) والحديث له شاهد من حديث أنس عند الترمذي وغيره مما سبق ذكرهم.

(٢) عون المعبود (٧/ ١٣٥)، معالم السنن (٢/ ١١٨).

كنت ممن يعتكف في الحرمين الشريفين فتجنب التضييق على إخوانك المصلين وأفسح لهم المجال لأداء الصلوات ولا تكن ممن يرغب في أن يُظهر للمصلين اعتكافه حتى يسلموا عليه أو يفسحوا له!

وبعض المعتكفين ـ هدانا الله وإياهم ـ لا يصلي أحياناً التراويح أو القيام مع المصلين ويشوش عليهم برفع الصوت في أحاديث لا طائل من ورائها.

واعلم أخي المعتكف أن من أهم أهداف الاعتكاف تحري ليلة القدر، قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ (وإنما يعتكف النبي ﷺ في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعاً لاشغاله وتغريغاً للياليه وتخلياً لمناجاة ربه، وذكره ودعائه وكان يحتجر حصيراً يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم، ولهذا ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفسه والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه، وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية.. فالخلوة الشرعية لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد وخصوصاً في شهر رمضان وخصوصاً في العشر الأواخر منه كما كان النبي ﷺ يفعله.

فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره وقطع على نفسه كل مشاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقي له همّ سوى الله، وما يرضيه عنه كما كان داود الطائي يقول في ليله: همك عطّل عليّ الهموم، وحالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني اللذات وحال بيني وبين الشهوات.

مالي شغل سواه مالي شغل ... يصرف عن قلبي هواه عذل
ما أصنع أجفان وخاب الأمل ... مني بدل ومنه مالي بدل[1]

والاعتكاف مسنون في أي وقت، فللمسلم أن يبتدئ الاعتكاف متى شاء وينهيه متى شاء إلا أن الأفضل أن يعتكف في رمضان خاصة العشر الأواخر منه، فإذا صلى فجر يوم الحادي والعشرين من رمضان دخل المعتكف ويمكث في المسجد حتى خروجه إلى صلاة العيد وهذا وقت انتهائه المستحب وهذا أكمل الهدى لأن ذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

أخي المعتكف: احرص على الذكر والقراءة والصلاة والعبادة، وتجنب ما لا يعنيك من حديث الدنيا ولا بأس أن تتحدث بحديث مباح مع أهلك أو غيرهم لمصلحة، لحديث صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ وقد تقدم.

---

(١) لطائف المعارف (٢٧٣ - ٢٧٤).

أخي المعتكف: إن كان معك رفقة، فاختر الرفقة التي تعينك على الطاعة وتشد أزرك وتحرص على الخير واستغلال الأوقات وعمارتها بالعبادة، وتجنب الذين تضيع أوقاتهم في حديث وكلام لا فائدة منه ولا طائل من وراءه.

وبعض المعتكفين إذا كانوا جماعة يظهر عليهم الجد في أول الأيام ثم يتراخون ويتكاسلون، وتراهم كثيرا ما تضيع أوقاتهم في أحاديث لا فائدة من ورائها ولا طائل منها، وقد ينجر الحديث إلى أمور محرمة من غيبة أو نميمة أو غير ذلك.

أخي المسلم: الاعتكاف سنة والمحافظة على بيتك وأبنائك ومن استرعاك الله عليهم من أهم الواجبات فإحذر أن تضيع الأهم وتفرط في أمر رعيتك، بل اجمع بين الأمرين إن أمكن، واحرص على ابتعادهم عن مواطن الفتن، ولا يكن اعتكافك فيه ضياع لحقوق واجبة عليك، وإن تيسر أن يصحبك أبناؤك في الاعتكاف فإن ذلك خير لما فيه من التربية لهم والراحة النفسية لك، والألفة بينكم، وتعويدهم على العبادة والطاعة وإن صعب الأمر عليهم فلا أقل من ليلة يعتكفون معك، ويفضل الليالي الوتر التي يرجى فيها ليلة القدر، وأجزل لهم العطية وشجعهم على ذلك.

أخي المسلم: مواسم الطاعة محطات إيمانية يتزود فيها المسافر إلى جنة عرضها السموات والأرض، فكن من العقلاء الفطناء الذين لا تفوتهم هذه الفرص وهذه المحطات إلا وقد نالوا من نفحات الرب وجزيل الأجر وعظيم المثوبة.

فاحرص على الاعتكاف بنية صادقة متبعا في ذلك هدي المصطفى ﷺ، وابتعد عن المباهاة والرياء، وحب المدح والثناء، وإياك ثم إياك والعجب بأعمالك فإنه مهلكة، واحرص على أن تكون أعمالك خالصة لله عز وجل قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [سورة البينة:الآية ٥]. وفي الحديث المشهور: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل إمريء ما نوى)[1] الحديث. ومما يعينك على ذلك اختيار المسجد الذي لا تعرف فيه أحد ولا يعرفك فيه أحد، ولا حاجة لك أن تعلن اعتكافك على الملأ في يوم العيد أو بعده.

أقر الله عينك بالعبادة وجعلك من الفائزين المقبولين. آمين.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

● مسألة. هل يجوز للمرأة الاعتكاف؟

هناك أدلة صحيحة ثابتة تفيد بأنه يجوز للمرأة أن تعتكف منها:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان فكنت أضرب له خباء فيصلي الصبح ثم يدخله فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء فأذنت لها، فضربت خباء فلما رأته زينب بنت جحش ضربت خباء آخر فلما أصبح النبي ﷺ رأى الأخبئة فقال ما هذا؟ فأخبر، فقال النبي ﷺ آلبر تردن بهن؟ فترك الاعتكاف ذلك الشهر ثم اعتكف عشرا من شوال)[1].

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/٣٧٥)، ومسلم (١١٧٣).
وقوله: (آلبر تردن) قال القاضي عياض: (قال صلى الله عليه وسلم: هذا الكلام إنكارا لفعلهن، وقد كان صلى الله عليه وسلم أذن لبعضهن في ذلك. قال: وسبب إنكاره أنه خاف أن يكن غير مخلصات في الاعتكاف، بل أردن القرب منه لغيرتهن عليه أو لغيرته عليهن، فكره ملازمتهن المسجد مع أنه يجمع الناس ويحضره الأعراب والمنافقون، وهن محتاجات إلى الخروج والدخول لما يعرض عليهن فيتبذلن بذلك، أو لأنه صلى الله عليه وسلم رآهن عنده في المسجد، وهو في المسجد فصار كأنه في منزله بحضوره مع أزواجه، وذهب المهم من مقصود الاعتكاف وهو التخلي عن الأزواج ومتعلقات الدنيا، وشبه ذلك، أو لأنهن ضيقن المسجد بأبنيتهن)أ. هـ.

٢- عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ (أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه من بعده)[١].

قال العلامة محدث العصر الألباني ـ قدس الله روحه ـ: (وفيه دليل على جواز اعتكاف النساء، ولا شك أن ذلك مقيد بإذن أوليائهن لذلك، وأمن الفتنة، والخلوة مع الرجال للأدلة الكثيرة في ذلك، والقاعدة الفقهية: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)[٢] أ.هـ.

٣- عن عائشة رضي الله عنها قالت: (اعتكف مع رسول الله ﷺ امرأة مستحاضة من أزواجه، فكانت ترى الحمرة والصفرة، فربما وضعنا الطست تحتها وهي تصلي)[٣].

(١) صحيح: وقد تقدم قريبا.

(٢) انظر رسالة (قيام رمضان) للألباني.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤/ ٢٨١).

الواحة الإيمانية السابعة عشرة

عظيم الأجر في فضل
واغتنام ليلة القدر

الحمد لله الذي ملأ قلوب أحبته من محبته سرورا ، وكسا وجوههم حين اشتغلوا بخدمته بهجة ونورا ، وتوجههم بتيجان البهاء ، وكتب لهم بالولاء منشورا ، وهداهم إلى طريق معرفته ، فداموا على خدمته وما غير تغييرا.

اطلع على سرائرهم ، وتجلى على ضمائرهم ، فصفى خلاصة جواهرهم وزادهم هدى وتبصيرا ، وروق لهم الشراب ، ورفع لهم الحجاب ، وقال : مرحبا بالأحباب ، لا تخشوا اليوم حزنا ولا تكديرا.

قد شربوا من شراب حبه كئوسا ، واستجلوا من أنوار مشاهدته شموسا ، وبرزت لهم الدنيا بزينتها عروسا فقالوا : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الإنسان:الآية ١٠].

ذلك يوم يا له من يوم ، يحير من هوله كل قوم ، ويطير من شدته من العيون النوم ﴿ فَوَقَاهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الإنسان:الآية ١١].

قد كابدوا قيام الليل وصيام النهار ، ففازوا بجوار العزيز الغفار وتغشاهم الملائكة بالأنوار ، في جنات تجري من تحتها الأنهار ، تخدمهم الملائكة فيها مساء وبكورا ﴿ ۞وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الإنسان:الآية ١٩].

فسبحان من وثقت بعفوه هفوات المذنبين فوسعها ، وعكف بكرمه آمال المحسنين فما قطع طمعها ، وخرقت السبع الطباق دعوات التائبين والسائلين فسمعها ، يجود على عبده بالنوال قبل السؤال ويعطي سائله ومؤمله فوق مع تعلقت به منهم الآمال ، ويغفر لمن تاب إليه ولو بلغت ذنوبه عدد الأمواج والحصى والتراب والرمال ، بابه الكريم مناخ الآمال ومحط الأوزار ، وسماء عطاياه لا تقلع عن الغيث بل هي مدار ، ويمينه ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار.

أحمده وأشكره على ما أولاه من الأنعام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام شهادة أرجو بها أن يجعل ذنبي مغفورا وعيبي مستورا.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للأنام ، وداعيا إلى دار السلام ، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر ، صاحب الحوض المورود واللواء المعقود والمقام المحمود ، وصاحب الشفاعة العظمى يوم العرض على أحكم الحاكمين ، وذلك يوم التناد .

نبي جعله الله عبدا شكورا ، وأعاد به ظلام الشرك مقهورا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد :

أخي الكريم : ما زلنا نسير بحول الله وقوته ومدده وطوله في بستان الرياض النضرة في ليالي الأيام العشرة.

فيا أخي: يا من سرت في قوافل التائبين، وتركت سبيل المذنبين يا من تلذذت بنعيم المناجاة، وأسكبت العبرات وتعالت منك الآهات والأنات اعلم ـ رحمني الله وإياك ـ أن في تلك الليالي الحسان ليلة أمرها عظيم، والخير فيها جزيل وعميم، وكفى وصفها في القرآن الكريم: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [سورة الدخان:الآية ٤].

فيها تقسم الآجال والأعمار، فيها يكتب الحجاج والعمار، كم جامع دينارا إلى دينار، وأكفافه عند القصار وهو يعمر الدنيا عمارة مقيم.

كم مؤمل أملا خاب، كم منقول على ذم وعاب، يا هذا! مضى زمان الشباب، يا من كبر سنه على الزلل وشاب، قد استشن الأديم.

يا سيء السر والعلن، يا جاريا على اقبح سنن، يا ناسيا لحاق من ظعن، يا سليما في الجسم والبدن لكنه سقيم.

أخي: إلى كم من البلايا، إلى متى تأمن الرزايا؟ أين الاستعداد للمنايا؟ اعتذر الليلة من الخطايا. فالمولى كريم.

أقبل بقلبك الليلة إليه، وقف بالخضوع والخشوع بين يديه، وتعلق بجوده وكرمه تعويلا عليه، وانكسر بالذل بين يديه، فإنه غفور رحيم.

مد أنامل الرجاء إلى بابه وأبكي بين يديه فهذا طريق أحبابه، وتعرض الليل لجزيل ثوابه، واحذر من سطوته وعقابه، فعقابه شديد أليم.

أخي: بين أيدينا يوم لا كالأيام، ينتبه فيه كل من غفل ونام، وتزفر جهنم على أهل الآثام، فيجثو الخليل والكليم.

فقم بنا إلى مطلوبنا، وقف بنا على باب محبوبنا، هلم نستغيث من ذنوبنا، لعله يهب على قلوبنا من العفو نسيم، ويكون لسان حالنا ومقالنا:

ببابك ربي قد أنخت ركائبي ... ومالي من أرجوه يا خير واهب؟
فإن جدت بالفضل الذي أنت أهله ... فيا نجح آمالي ونيل رغائبي
وإن أبعدتني عن حماك خطيئتي ... فيا خيبة المسعى وضيعة جانبي
حرام على قلبي وإن شفه الضنا ... يميل إلى مولى سواك وصاحب
فزعت إلى باب المهيمن ضارعا ... مدلا أنادي باسمه غير هائب
فلم أخش حجابا ولم أخش منعة ... ولو كان سؤلي فوق هام الكواكب
كريما يلبي عبده كلما دعا ... نهارا وليلا في الدجى والغياهب
يقول له لبيك عبدي داعيا ... وإن كنت خطاء كثير المعائب
فما ضاق عفوي عن جريمة خاطيء ... وما أحد يرجوا نوالي بخائب
إذا مت من شوق إليك وحسرة ... عليك فما بلغت فيك مآربي
فامنن علي بعفو منك يا أملي ... فإنني موثق بالذنب مرتهن

فيا أخي الكريم: لا تكن أشقى الخلق وأغبنهم بحرمانك قيام ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ولكن كن فيها من السعداء الفائزين، وذلك بإحيائها بالقيام والذكر والدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه[(١)]».

وكيف يكون إحياءها؟ قال ابن رجب.

(ونقل عن ابن عباس أن إحياءها يحصل بأن يصلي العشاء في جماعة، ويعزم أن يصلي الصبح في جماعة).

قال الشافعي: من شهد العشاء والصبح ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها، ومثله قال مالك رحمه الله.

قيل للضحاك: أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم ألهم في ليلة القدر نصيب؟

قال: نعم، كل من تقبل الله عمله، سيعطيه الله نصيبه من ليلة القدر والمعول عليه القبول لا الاجتهاد، والاعتبار بالقلوب لا بعمل الأبدان، ورب قائم ليس له من قيامه إلا النصب والتعب، وكل ميسر لما خلق له.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٥٥) ومسلم (٧٥٩٠).

قال علامة القصيم فضيلة الشيخ ابن عثيمين ـ حفظه الله تعالى ـ (فقوله إيمانا واحتسابا يعني إيمانا بالله وبما أعد الله من الثواب للقائمين فيها واحتسابا للأجر وطلب الثواب وهذا حاصل لمن علم بها ومن لم يعلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشترط العلم بها في حصول هذا الأجر)أ.هـ من مجالس شهر رمضان (ص ١٠٦).

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: يستحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلتها)[١] أ. هـ.

فضل ليلة القدر

لقد تواترت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على فضل ليلة القدر وأنها أعظم ليالي السنة على الإطلاق فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الدخان:الآيتان ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وما أدراك مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة القدر:الآيات ١-٥].

والقدر بمعنى الشرف والتعظيم، أو بمعنى التقدير والقضاء، لأن ليلة القدر شريفة عظيمة يقدر الله فيها ما يكون في السنة ويقضيه من أموره الحكيمة.

---

(١) بغية الإنسان في وظائف رمضان.

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ يعني في الفضل والشرف وكثرة الثواب والأجر، ولذلك كان من قامها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ يتنزل الملائكة في ليلة القدر إلى الأرض بالخير البركة والرحمة ﴿ وَٱلرُّوحُ ﴾ جبريل عليه السلام، خصه الله بالذكر لشرفه وفضله﴿ سَلَٰمٌ هِيَ ﴾ يعني ليلة القدر، ليلة سلام للمؤمنين من كل مخوف لكثرة من يعتق فيها من النار ويسلم من عذابها، ﴿ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ يعني ليلة القدر تنتهي بطلوع الفجر لانتهاء عمل الليل به.

وفي هذه السورة الكريمة عظيمة القدر فضائل متعددة لليلة القدر:

- **الفضيلة الأولى:** أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.
- **الفضيلة الثانية:** ما يدل عليه الاستفهام من التضخيم والتعظيم في قوله تعالى: ﴿ وما أدراك مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾.
- **الفضيلة الثالثة:** أنها خير من ألف شهر.
- **الفضيلة الرابعة:** أن الملائكة تتنزل فيها وهم لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة.

● **الفضيلة الخامسة:** أنها سلام لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله.

● **الفضيلة السادسة:** أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة ترتل إلى يوم القيامة.

● **الفضيلة السابعة :** فيها يفرق كل أمر حكيم: أي في ليلة القدر، يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق كما قال سبحانه: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ ﴾ [سورة الدخان:الآية: ٤].

ومن فضلها كذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه).

وقتها:

أخي الصائم الكريم: إذا فهمت ما تقدم وعلمت ما تقرر فاعلم: أن ليلة القدر ليلة عظيمة وأنها باقية لم ترفع على الصحيح وأنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر وهي آكدة في الليالي الوتر من ليالي العشر وقد اختلف في تعينها، فذهب بعضهم أنها ليلة إحدى وعشرين، وهو قول الشافعي ويدل عليه حديث ابن مسعود الذي رواه البخاري ومسلم قال: (أرى رسول الله ﷺ ليلة القدر ثم أنسيها، وقال: أراني أسجد في ماء وطين، فوالذي

أكرمه، لرأيته يصلي بنا صلاة المغرب ليلة إحدى وعشرين وإن جبهته وأرنبة أنفه لفي الماء والطين)[١].

● وذهب بعضهم إلى أنها ليلة ثلاث وعشرين، وهو قول أهل المدينة، وأحد قولي الشافعي.

ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال في ليلة القدر: «إني أسجد صبيحتها في ماء وطين، فانصرف النبي ﷺ من صلاة الصبح يوم ثلاث وعشرين وعلى جبهته أثر الماء والطين»[٢].

وذهب بعضهم إلى أنها ليلة أربع وعشرين.

كان حميد الطويل وأيوب السختياني وثابت يغتسلون في ليلة أربع وعشرين، ويقول أيوب: (ليلة أربع وعشرين ليلة أهل البصرة).

● وذهب بعضهم أنها ليلة خمس وعشرين، ويدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى»[٣].

وعند البخاري أيضا عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال:

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه مسلم.

(٣) صحيح: رواه البخاري.

(خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة)[١] .

وعند مسلم وأحمد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما وذكر الحديث المتقدم ثم قال : (قال : قلت يا أبا سعيد : إنكم أعلم بالعدد منا فقال : أجل ! نحن أحق بذلك منكم ، قال : قلت : ما التاسعة والسابعة والخامسة ؟ قال : إذا مضت واحدة وعشرون فالتي تليها اثنان وعشرين فهي التاسعة ، فإذا مضت ثلاث وعشرين فالتي تليها السابعة ، فإذا مضت خمس وعشرين فالتي تليها الخامسة)[٢] .

وعند أحمد في المسند عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «التمسوها في تسع بقين أو سبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث بقين أو آخر ليلة» قال : وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان صلاته سائر السنة ، فإذا دخل العشر اجتهد[٣] .

وذهب بعضهم إلى أنها ليلة سبع وعشرين ، وهذا مذهب وقول الإمام أحمد وإسحاق بن راهوية ومن وافقهما ، وهناك أدلة على ذلك كثيرة منها[٤] :

---

(١) صحيح : رواه البخاري وأحمد والبيهقي وابن خزيمة.

(٢) صحيح : رواه مسلم وأحمد.

(٣) رواه أحمد والترمذي وصححه.

(٤) نقل الحافظ في الفتح أقوالا كثيرة في تعيين ليلة القدر تزيد على الأربعين وهو خلاف لا طائل من ورائه ، ولذلك قال الحافظ : (أرجح الأقوال أنها في وتر من العشر الأخير وأنها تنتقل).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان متحريها فليتحر بها ليلة سبع وعشرين، وقال تحرروها ليلة سبع وعشرين»(١) يعني ليلة القدر.

وعند معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ في ليلة القدر قال: «ليلة القدر ليلة سبع وعشرين»(٢).

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (إني والله لأعلم أي ليلة هي ليلة القدر هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين)(٣).

وعند مسلم عنه أنه كان يحلف على ذلك ولا يستثني وكذا زر بن حبيش وعبدة بن أبي لبالة.

وعن قتادة بن عبد الله السهمي قال: سألت زرا عن ليلة القدر فقال: (كان عمر وحذيفة وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين).

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلا قال: يا رسول الله إني شيخ كبير عليل يشق علي القيام فمرني بليلة يوفقني الله فيها لليلة القدر، فقال: (عليك بالسابعة والعشرين)(٤).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/١٥٧)، والطيالسي (١٨٨٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤/٢٦٤)، وقال النووي في المجموع (٦/٤٦٨) إسناده صحيح، وقال علامة اليمن الشيخ الوادعي: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٣) صحيح: رواه مسلم.

(٤) صحيح: رواه أحمد وإسناده على شرط البخاري.

ومما يدل على ذلك أيضا: قيام النبي ﷺ في أصحابه في ليلة سبع وعشرين إلى آخر الليل حتى خشوا أن يفوتهم السحور.

وروى عبد الرزاق في المصنف من طريق محمد بن كعب رضي الله عنه قال: (بينما عمر بن الخطاب جالس في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين ذكروا ليلة القدر، ومعهم ابن عباس رضي الله عنهما فتكلم كل رجل منهم بما سمع عنها، وابن عباس ساكت، فقال له عمر: مالك يا ابن عباس ساكت لا تتكلم؟ تكلم ولا تمنعك الحداثة، فقال ابن عباس: إن الله تعالى وتر يحب الوتر، وإنه جعل أيام الدنيا تدور على سبع، وخلق أرزاقنا من سبع، وجعل فوقنا سبعا، وجعل تحتنا سبعا، وجعل البحار سبعا وجعل ما يقع في السجود من أعضاءنا سبعا، وحرم من نكاح الأقربين سبعا والطواف بالبيت سبعا، ورمي الجمار سبعا، فأظنها والله أعلم في ليلة سبع وعشرين من رمضان فتعجب عمر. قال: يا قوم! من كان يروي هذا كرواية ابن عباس؟.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى، ومما استدل به من رجح ليلة سبع وعشرين الآيات والعلامات التي رئيت فيها قديما وحديثا، وما وقع فيها من إجابة الدعوات.

وهناك من قال أنها في السبع الأواخر.

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ: «أرى

رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»[١] .

ومنهم من ذهب إلى أنها في العشر الأواخر من أوتارها.

ودليل ذلك ما رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر»[٢].

ومنهم من ذهب أنها في العشر الأواخر كلها اشفاعها وأوتارها:

ودليل ذلك قوله ﷺ: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الغوابر»[٤] .

وعن الحسن ومالك: أنها تطلب في جميع ليالي العشر الأواخر أشفاعه وأوتاره.

قال ابن رجب ورجح بعض أصحابنا أنها تطلب في جميع ليالي العشر الأواخر أشفاعها وأوتارها.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٥٦/٤) ومسلم (١١٦٥).

(٢) صحيح رواه البخاري (٢٥٩/٤) ومسلم (١١٦٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري والترمذي.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٨٢٤/٢) رقم (١١٦٦).

قلت : واختلاف الروايات في تعيين وتحديد ليلة القدر في أي ليلة تكون من ليالي العشر فهذه لحكمة من الله بالغة ، فإنه أخفى علمها على العباد ليجدوا في طلبها ويجتهدوا في العبادة والصلاة والدعاء والاستغفار والذكر وقراءة القرآن في هذه العشر الأواخر ، ليعرف المجد من الكسلان ولو كانت ليلة القدر معينة في ليلة بذاتها ، لتكاسل الناس وتركوا العبادة اتكالا على تلك الليلة. والله أعلم.

قال الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ: وفي الجملة أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا بالعبادة في ليالي رمضان طمعا في إدراكها ، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، واسمه الأعظم في الأسماء ، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها ، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها ، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها.

أخي الكريم

إذا تقرر هذا وعلمت ما ورد من الحث عليها ، فاعلم أنه ينبغي عليك وعلى كل موفق مريد للكمال ، والسعادة الأبدية أن يبذل وسعه ويستفرغ جهده في إحياء ليالي العشر الأخير ، وقيامها لعله أن يصادف تلك الليلة الجليلة العظيمة التي اختص الله تعالى بها هذه الأمة ، وأتاهم فيها من الفضل ما لا يحصره العدد.أ.هـ.

الدعاء فيها :

أخي الكريم : يتبين لك مما تقدم أن ليلة القدر ليلة شريفة فيها يتجلى الرب جل جلاله رب الأرباب، ويجزل للعالمين بطاعته الثواب، ويسمع فيها الدعاء ويستجاب، فيها تتنزل الملائكة بأمر رب العالمين، ويسلمون على المؤمنين، فيها تتلألأ الأنوار، ويكثر الملائكة للصائمين من الاستغفار فالله الله يا أخي في الاجتهاد في هذه الليلة المباركة بالصلاة والدعاء والاستغفار والأعمال الصالحة، فإنها فرصة العمر، والفرص لا تدوم فإن الله سبحانه وتعالى أخبر أنها خير من ألف شهر، يعني تزيد عن ثمانين عاما، وهي عمر طويل لو قضاه الإنسان كله في طاعة الله، فليلة واحدة خير منه وهي ليلة القدر، وهذا فضل من الله عظيم.

فأي فضل أعظم من هذا الفضل لمن وفقه الله، فاحرص يا أخي - رحمني الله وإياك - على طلب هذه الليلة واجتهد فيها بالأعمال الصالحة وأكثر من الدعاء والاستغفار، لتفوز بثوابها فإن المحروم من حرم الثواب هذه الليلة، وغيرها من مواسم الخير التي تمر عليه وهو محملا بالذنوب والمعاصي، وهذا لغفلته عن هذه المواسم المباركة وإعراضه عنها وعدم المبالاة بها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها، قال: (قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)(١).

قال سفيان الثوري: الدعاء في ليلة القدر أحب إلي من الصلاة.

قال: وإذا كان يقرأ ويدعو، ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق.

ومراده - رحمه الله - أن كثرة الدعاء في هذه الليلة أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء، وإن قرأ ودعا كان أولى وأحسن.

وليلة القدر التي شرفت على ... كل الشهور وسائر الأعوام
من قامها يمحو الإله بفضله ... عنه الذنوب وسائر الآثام
فيها تجلى الحق جل جلاله ... وقضى القضاء وسائر الأحكام
فادعوه واطلبه لكي تعطى المنى ... وتجاب بالإنعام والإكرام
فالله يرزقنا القبول بفضله ... ويجود بالغفران للصوام
ويذيقنا فيها حلاوة عفوه ... ويميتنا حقا على الإسلام

فيا أخي الكريم: إن ليلة القدر يفتح فيها الباب، وتقرب الأحباب، ويسمع الخطاب، ويرد الجواب، ويكتب للعاملين فيها

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٩/٤٩٥) وقال حديث حسن صحيح، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٨٧٢) وابن ماجة (٣٨٥٠)، وأحمد (١٧١/٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٧٦٧)، والحاكم (١/٥٣٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، واسحاق بن راهوية في مسند عائشة رقم (٨١٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٢٩٩)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/٣٦٦) وصححه النووي في الأذكار (ص ١٧٣).

جزيل الأجر والثواب، هي ليلة تتلقى فيها الوفود، ويحصل لهم المقصود، من القبول والفوز والسعود، أترى يؤلمك أيها المطرود؟ هذه أوقات يربح فيها من فهم ودرى ويصل إلى مراده من جد وسرى، ويفك فيها العاني وتطلق الأسرى، تقدم القوم وأنت راجع إلى ورا، أوليس كل هذا قد جرى وكأنه لم يجر؟

لليلة القدر عند الرب تفضيل ... وفي فضلها قد جاء تنزيل
فجد فيها على خير تنال به ... أجرا فللخير عند الرب تفضيل
واحرص على فعل أعمال تسر بها ... يوم المعاد ولا يغررك تأميل
فكم رأينا صحيح الجسم ذا أمل ... في ليلة القدر لم يبله تنويل
فتب إلى الله واحذر من عقوبته ... عن كل ما فيه توبيخ وتنكيل
ولا تغرنك الدنيا وزخرفها ... فكل شيء سوى التقوى أباطيل

فيا ليلة القدر للعابدين اشهدي يا أقدام القانتين اركعي لربك واسجدي، يا ألسنة السائلين جدي في المسألة واجتهدي.

يا رجال الليل جدوا ... رب داع لا يرد
ما يقوم الليل إلا ... من له عزم وجد

اللهم يا من عم العباد فضله ونعماؤه، ووسع البرية جوده وعطاؤه، نسألك أن تجعلنا في هذه الليلة من العتقاء من النيران، وتجود علينا بالعفو والغفران، وتتوب علينا توبة تجلو أنوارها ظلمة الإساءة والعصيان يا عظيم يا منان يا رحيم يا رحمن يا رب العالمين.

علاماتها:

أخي الكريم: هناك علامات يعرف بها ليلة القدر من غيرها وقد جاءت بها الأحاديث الصحيحة الثابتة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فمن هذه العلامات:

١ـ تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها:

عن رز بن حبيش يقول سمعت أبي بن كعب رضي الله عنه فقلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر، فقال: رحمه الله أراد أن لا يتكل الناس أما أنه قد علم أنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر، وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين فقلت: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر؟ قال بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها تطلع أي الشمس يومئذ لا شعاع لها)[(١)].

٢ـ يطلع القمر فيها مثل شق جفنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة)[(٢)].

عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نظرت إلى القمر صبيحة ليلة القدر فرأيته كأنه فلق جفنة)[(٣)] قال أبو إسحاق إنما يكون ذلك ليلة ثلاث وعشرين.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢/٨٢٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢/٨٢٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد في المسند (٥/٣٦٩).

قلت: وجهالة الصحابي لا تضر لأن الصحابة كلهم عدول كما هو مقرر في علم الحديث.

٣ـ ليلة معتدلة لا حارة ولا باردة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: في ليلة القدر قال: (ليلة طلقة لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة)[١].

٤ـ تكون ليلتها ليلة ممطرة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (.. وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها فابتغوها من العشر الأواخر، وابتغوها في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين، فاستهلت السماء تلك الليلة فأمطرت فوكف المسجد في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة إحدى وعشرين فبصرت عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونظرت إليه انصرف في الصبح ووجهه ممتلىء طيناً وماءً)[٢].

وعن عبد الله بن أنيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أريت ليلة القدر ثم أنسيتها، صبحها أسجد في ماء وطين). قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف وأنّ أثّر الماء والطين على جبهته وأنفه)[٣].

---

(١) حسن لغيره: رواه ابن خزيمة (٣/٣٣١) والطيالسي (٢٦٨٠) والبزار في كشف الأستار (١٠٣٤) والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٢٩٢) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٥٣٥١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٥٩) ومسلم (٢/٨٢٤) رقم (١١٦٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢/٨٢٧) رقم (١١٦٨).

وهناك علامات أخرى ذكرها بعض أهل العلم كالطبري والبيهقي ولا أصل لها، ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها شيء منها:

١- أن الأشجار تسقط حتى تصل الأرض ثم تعود إلى أوضاعها الأصلية.

٢- وأن ماء البحر ليلتها يصبح عذباً.

٣- وأن الكلاب لا تنبح فيها.

٤- وأن الملائكة تنزل وتسلم على المسلمين، وكل هذا وغيره مما لا أصل له، وإن ذكره بعض أهل العلم ـ والله أعلم.

ما يستحب فيها:

يستحب في هذه الليلة الاجتهاد في فعل الطاعات من صلاة وذكر وتلاوة ودعاء واستغفار وتوبة وغيرها من أنواع الطاعات.

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه يستحب كذلك الاغتسال والتطيب في هذه الليلة وقد تقدم معنا طرفاً من ذلك في الحديث عن الأعمال التي كان يخص بها الليالي العشر الأخيرة من رمضان، وجاء ذلك عن أنس رضي الله عنه، ورز بن حبيش والنخعي وغيرهم.

قال حماد بن سلمة: كان ثابت البناني وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان ويطيبون المسجد بالنصوح والدخنة في الليلة التي يرجى فيها ليلة القدر.

وقال ثابت: كان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم، وكان يلبسها في الليلة التي يرجى فيها ليلة القدر.

فتبين من ذلك أنه يستحب في الليالي التي يرجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين والتطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد وسائر الصلوات، والله أعلم.

ولكن لا يكمل تزين الظاهر إلا بتزين الباطن بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى وتطهيره من الذنوب وأوضارها، فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغنى شيئاً، قال تعالى: قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ [الأعراف:٢٦].

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عرياناً وإن كان كاسياً

وكان أيوب السختياني يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر، ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة(١). والتي تليها ليلتنا، يعني: البصرين.

أخي الكريم:

إن ليلة القدر يجود فيها الرب على العباد، ويقضي فيها القضاء بما شاء وأراد، تُكتب فيها الآجال والأرزاق، وهي أفضل الليالي في

---

(١) أي أن أرجى الليالي عند أهل المدينة هذه الليلة. أي ليلة القدر.

حقنا على الإطلاق فاغتنمها فإنها عظيمة القدر ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝ ﴾ [سورة القدر:الآية ٥].

يا أيها العبد قم لله مجتهداً — وانهض كما نهضت من قبلك السعدا
فذي ليالي الرضا جاءت وأنت على — فعل القبيح مُصِرٌّ ما جلوت صدى
قم فاغتنم ليلة تحيا النفوس بها — ومثلها لم يكن في فضلها أبداً
طوبى لمن مرة في العمر أدركها — ونال منها الذي يبغيه مجتهداً
فليلة القدر خير قال خالقنا — (من ألف شهر) هنيئاً من لها شهدا
فيها القرآن بأمر الله أنزله — بعلمه وبهذا النص قد وردا
فيها تفتح أبواب السماء لمن — يرى من الكشف من يعطي بها مددا
وينزل الروح فيها والملائك من — عند المهيمن لن تُحصى لهم عدداً
يا فوز عبد رآها إنه رجل — قد عاش في الدهر عيشاً دائماً رغداً
وفاز بالأمن والغفران مغتبطا — ونال ما يرتجي من ربه أبداً
فاطلب من الله إن وافيتها سحراً — جنات عدن تكن من جملة السُعدا
وابكِ ونح وتضرع في الدجى أسف — وقل إلهي تفضل بالجميل غدا

أخي المبارك:

متى يُغفر لمن لم يُغفر له في رمضان؟ متى يُقبل من رُدّ في ليلة القدر وما فيها من الغفران؟ متى يُزْلَفُ من رُمي فيه بالإبعاد والهجران؟ متى يُشفى قلب لم تَشْفِهِ آيات القرآن؟ يا لها من خسارة لا تشبه الخسران! أن ترى المحسنين قد حظوا بالقرب والزُلفى والرضوان، وأزْلِفَت لهم الجنات وألبسوا التيجان، وأعطوا المُلك والخُلد، وأُدخلوا على الرحمن، وقد رُميت بالطرد والإبعاد

والحرمان، تُغل وتُجرُّ إلى النيران، أترى قلبك هذا نائماً أم يقظان، قم على أقدام الذل وقت السحر، فللرحمة مع السحر شان، وناد في ناد الذل: يا صاحب الإحسان، فما حيلةُ من طُرد عن الباب، ما يصنع من قُطَع عن الأحباب؟ ما وسيلة من حق عليه حُكم الكتاب؟ فما يزعجه التعنيف والعتاب؟ يا خيبة من لم يكن مولاه ناصره، يا شقاوة من لم يكن مسعده وجابره.

اللهم وفقنا لسبيل الطاعة، وثبتنا على اتباع أهل السُنة والجماعة، ولا تجعلنا ممن عرف الحق وأضاعه.

اللهم اسلك بنا سبيل الصادقين الأبرار، وألحقنا بعبادك المصطفين الأخيار وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.

الواحة الإيمانية الثامنة عشرة

دمعة حارة على رحيل رمضان

الحمد لله الذي قضى بالزوال والفناء على أهل هذه الدار، وتوحد بالبقاء فلا يعتري ملكه زوال ولا إدبار، العزيز الذي عنت الوجوه لعزته، وخضعت الرقاب من سطوته، واندك الجبل لِعِظَم هيبته، وصُعقت الملائكة من خيفته، وانطفأت النار لطاعته، ورعدت السماء لكلمته.

أحمده على فضله الشامل، وأشكره على إحسانه الكامل، وأومن به إيمان مخلص مُعامل، وأعترف له بنعم لا يماثلها ماثل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة ظهر نورها ولاح، وغدا برهانها وراح، وأشرق هداها في المساء والصباح، واكتسب قائلها شرفاً لا يزاح.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله والحق دائر، وقدم الصواب عاثر، فقمع الباطل بالحق الظاهر، ونسخ ظلمات الجهالة بنور العلم الزاهر ﷺ وعلى آله وصحبه صلاة تمتد على ممر الأزمان وتواليها، وعلى أزواجه الطاهرات من العيوب، وعلى التابعين لهم في إخلاص الأعمال وصفاء القلوب، ما ترددت الشمس بين الشروق والغروب، واستترت النجوم وبدا باديها.

أخي الكريم: أعلم - رحمني الله وإياك - أن كل باك فسيُبكى، وكل ناعٍ فسيُنْعى، وكل مذخور سيفنى، وكل مذكور سينسى، ليس غير الله يبقى من علا فالله أعلى، من علا فالله أعلى...

نعم: تلك الشهور والأعوام والليالي والأيام، مواقيت الأعمال ومقادير الآجال، تمضي سريعاً، وتنقضي جميعاً، دورات الأفلاك تتصرم، وسنوات الأعمار تنقضى، أفلاك سابحة، وكواكب سيارة وثابتة، وكل يجرى لأجل مسمى، وهذه سنة الله في خلقه وكونه ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً، وأهل الدنيا في هذا كأنهم بين أحلام نائم وخيال زائل!.

فاعلم يا عبد الله! أن ما من يوم ينشق عليك فجره إلا وينادي عليك منادٍ بلسان ويقول لك: يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد، فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة!.

فكل يومٍ يمر عليك يا عبد الله فإنه يُطوى في سجل أعمالك ذاهباً بما استودعته من أقوالك وأفعالك فإن يكن خيراً فخير، وإن يكن شراً فشر. ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ٣٠].

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الزلزلة:الآيتان ٧-٨].

تمر بنا الأيام تترى وإنما | نساق إلى الآجال والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى | ولا زائل هذا المشيب المكدر

أخي الكريم: هذا شهر رمضان قد قُوضت خيامه، وتشتت نظامه وتصرمت لياليه وأيامه، فابكِ عليه بالأحزان وودعه، وأجرِ لأجل فراقه الدمع وشيعه، فكم من صائم لا يصوم غيره أبداً، وكم من قائم لا يقوم بعده أبداً.

دع البكاء على الأطلال والدار | واذكر لمن بان من خل ومن جار
واذر الدموع نحيباً وابك من أسف | على فراق ليال ذات أنوار
على ليال لشهر الصوم ما جُعلت | إلا لتمحيص آثام وأوزار
يا لائمي في البكا زدني به كلفاً | واسمع غريب أحاديث وأخبار
ما كان أحسننا والشمل مجتمع | منا المصلي ومنا القانت القاري
وفي التراويح للراحات جامعة | فيها المصابيح تزهو مثل أزهار
شهر به ليلة القدر التي شرفت | حقاً على كل شهر ذات أسرار
تنزل الروح والأملاك قاطبة | بإذن رب غفور خالق باري
شهر به يُعتق الله العصاة وقد | أشفوا على جرف من حصة النار
فابكوا على ما مضى في الشهر واغتنموا | ما قد بقى فهو حق عنكم جاري

فلله در أقوام بادروا الزمان، وتغانموا أوقات الفضائل والغفران وودعوا شهر رمضان بالأشجان، واستغرقوا أوقاته بالصيام والقيام والتهجد بالقرآن.

أخي في الله : إن شهر رمضان آذن بالرحيل ولم يبقى منه إلا القليل، فمن منا أحسن فعليه التمام، ومن فرط فليختمه بالحسنى والعمل بالختام، فاغتنم منه ما بقي من الليالي اليسيرة والأيام، واستودعه

عملاً صالحاً يشهد لك به عند الملك العلام ، وودعه عند فراقه بأزكى تحية وسلام.

فالسلام عليك يا شهر رمضان ، السلام عليك يا شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، السلام عليك يا شهر التجاوز والغفران ، السلام عليك يا عليك يا شهر الخير والرضوان ، السلام عليك يا شهر اليُمن والإيمان ، السلام عليك يا شهر النُسك والتعبد ، السلام عليك يا شهر الصيام والتهجد ، السلام عليك يا شهر الأنس للعارفين ، السلام عليك يا شهر العابدين المجتهدين ، السلام عليك يا شهر التائبين القانتين السلام عليك يا شهر من هم بالأسحار مستغفرين السلام عليك يا شهر العيون الساهرة ، والدموع الهاطلة ، والمحاريب المتعطرة ، والعبرات المنسكبة والقلوب المنفطرة ، والأنفاس الصاعدة من القلوب المحترقة.

السلام عليك يا شهر التراويح ، السلام عليك يا شهر الأنوار والمصابيح السلام عليك يا شهر المتجر الربيح ، السلام عليك يا شهر يُترك فيه القبيح ، السلام عليك يا أنس العارفين ، السلام عليك يا فخر الواصفين ، السلام عليك يا نور السائرين ، السلام عليك يا روضة العابدين ، السلام عليك يا شهر يتسابق فيه المتقون ، السلام عليك من فؤاد لفراقك محزون.

كنت للعاصين حبساً وللمتقين أنساً، كان نهارك صدقة وصياماً، وليلك قراءة وقياماً، فعليك منا تحية وسلاماً.

أتراك تعود بعد هذا العام علينا! أو يدركنا المنون فلا تؤول إلينا! مصابحنا فيك مشهورة، ومساجدنا فيك معمورة، فالآن تنطفيء المصابيح وتنقطع التراويح، ونرجع إلى العادة ونفارق شهر العبادة، فياليت شعري من المقبول منا فنهنيه بحسن عمله، أم ليت شعري من المطرود منا فنعزيه بسوء عمله، فيا أيها المقبول هنيئاً لك بثواب الله ورضوانه، ورحمته وغفرانه، وقبوله لك وإحسانه، وعفوه عنك وامتنانه، وخلودك في دار أمانه.

ويا أيها المطرود بإصراره وطغيانه، وظلمه وعدوانه، وغفلته وخسرانه وتماديه وعصيانه، لقد عظمت مصيبتك بغضب الله عليك وهوانه، فأين مقلتك الباكية؟! وأين دمعتك الجارية؟! وأين زفرتك الرائحة والغادية؟!.

لأي يوم أخرت توبتك؟! ولأي يوم ادخرت عدتك؟! إلى عام قابل! وحول حائل! كلا! فما إليك مدت الأعمار، ولا معرفة المقدار فكم من مؤمل أمل بلوغه ولم يبلغه، وكم من مدرك له ولم يختمه، وكم ممن أعد طيباً لعيده جعل في تلحيده، وثياباً لتزينه صارت لتكفينه، ومتأهباً لفطره صار مرتهناً في قبره، وكم ممن لا يصوم سواه، وهو يطمع في غيره أن يراه!.

فيا ليت شعري هل تعود أيامك أو لا تعود؟ وياليتنا تحققنا ما تشهد علينا يوم الورود، ويا ليتنا علمنا من المقبول منا ومن المطرود؟ وهل إذا عادت أيامك فنحن في الوجود، وننافس أهل الركوع والسجود؟ أم قد انطبقت علينا اللحود، ومزقنا البلى والدود، فيا اسفا لتصرمك يا شهر السعود.

فيا أخي استيقظ من غفلتك ورقدتك وخذ لك زادا لنقلتك، وشيع بقية شهرك بالتوبة والإنابة لعلك تحصل لك الإجابة وتنالك الرأفة والرحمة، وتلحق بأهل المغفرة.

فودع شهر رمضان بإرسال العبرات لعلك تقال العثرات، وتغفر لك الزلات وتحمي عنك السيئات ويزداد رصيد الحسنات.

سلام من الرحمن كل أوان ... على خير شهر قد مضى وزمان
سلام على شهر الصيام فإنه ... أمان من الرحمن كل أمان
لئن كنت يا شهر الصيام منورا ... لكل فؤاد مظلم وجنان
تعبد فيك المسلمون فأقبلوا ... على ذكر وتسبيح ودرس قرآن
فيا أسفا حزنا عليك وحرقة ... تزيد على الأعوام كل أوان
فيا أيها الشهر المبارك كن لنا ... شفيعا إلى ديان كل مدان
إذا نشر الأموات للحشر ربنا ... ونادى المنادي هاتفا بفلان
وقال لنا الجبار جل جلاله ... هلموا إلينا أيها الثقلان
هناك تعطى كل نفس كتابها ... فويل لمن زلت به القدمان
ترحلت يا شهر الصيام بصومنا ... وقد كنت أنورا بكل مكان
لئن فنيت أيامك الزهر بغتة ... فما الحزن من قلبي عليك بفان
عليك سلام الله كن شاهدا لنا ... بخير رعاك الله من رمضان

أخي في الله: إن في رحيل رمضان لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فتلك الأيام التي مضت وتلك الليالي التي انقضت تريد أن تقول لنا: يا إخوان الغفلة تيقظوا، يا مقيمين على الذنوب انتهوا واتعظوا.

فبالله عليك أخبرني: من اسوأ حالاً ممن استعبده هواه، أم من أخسر صفقة ممن باع آخرته بدنياه، فما للغفلة قد شملت قلوبنا؟! وما للجهالة قد سترت عنا عيوبنا؟! أما ترون أن الدنيا قد آذنت بالذهاب؟ ونحن نعلل بالأماني وبين أيدينا يوم الحساب! أما ترون صوارم الموت بيننا لامعة، وقوارعه بنا واقعة، وفجائعه لعذرنا قاطعة وسهامه فينا نافذة، وأحكامه بنواصينا آخذة، فإلى متى الغفلة والتسويف؟ أو علام التخلف والمقام السخيف؟ أنطمع في بقاء الأبد؟ كلا والواحد الأحد، إن الموت لبالمرصاد ولا يبقى على والد ولا ولد.

آه من ثقل الحمل وسوء الرفيق آه من قلة الزاد وبُعد الطريق

فيا تائِهاً في الضلال بلا دليل ولا زاد، متى يوقظك منادي الرحيل فترحل عن الأموال والأولاد؟! قل لي: متى تتيقظ وماضي الشباب لا يعاد ويحك! كيف تقدم على سفر الآخرة بلا راحلة ولا زاد، ستندم إذا حان الرحيل، وأمسيت مريضاً تُقاد، ومنعت التصرف فيما جمعت، وقطعت الحسرات منك الأكباد، فجاءتك السكرات

ومُنع عنك العواد، وكفنت في أبلى الثياب، وحملت على الأعواد، وأودعت في ضيق لحد وغربة مالها من نفاد، تغدو عليك الحسرات وتروح إلى يوم التناد.

فانظر يا أخي في حال الدنيا وكيف يحول، ونعيمها وكيف يذهب ويزول، فالمغرور من اغتر بها، والمسعود من رأى عيبها وفر منها.

أخي الكريم: اعلم ـ رحمني الله وإياك ـ أن هذه الليلة هي ليلة الوداع لشهرنا الذي شرفه الله وعظمه، ورفع قدره وكرمه بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، ونزول الرحمة علينا من الله والرضوان، جعله الله مصباح العام، وواسطة النظام، وشرف قواعد الإسلام المشرقة بأنوار الصيام والقيام، أنزل فيه كتابه، وفتح فيه للتائبين أبوابه، فلا دعاء فيه إلا وهو مسموع، ولا خير إلا وهو مجموع، ولا ضر إلا وهو مدفوع، ولا عمل إلا وهو مرفوع، الظافر الميمون من اغتنم أوقاته والخاسر المغبون من أهمله ففاته.

فاحمد الله يا أخي أن بلغك ختام الشهر بسلام، فسأله قبول قيامه وصيامه وراقب المولى جل وعلا في السر والعلن وذلك بأداء الحقوق، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والاعتصام بحبل الله المتين.

واعلم يا أخي الكريم: أنك فارقت شهر عظيماً مفضلاً كريماً، شهر جعله الله لذنوبنا تطهيراً، ولسيئاتنا تكفيراً، ولمن أحسن منا صحبته ذخيرة ونوراً، ولمن وفىّ بشرطه وقام بحقه فرحاً مسروراً.

شهر تورع فيه أهل الفسق والفساد، وازداد فيه من الرغبة إلى الله أهل الجد والاجتهاد.

شهر عمارات القلوب، وكفارات الذنوب، واختصاص المساجد بالازحام والتحاشد، وهبوط الأملاك بصكاك العتق والفكاك.

شهر فيه المساجد تُعمر، والمصابيح تُزهر، والآيات تُذكر، والقلوب تُجبر، والذنوب تُغفر.

رحل هذا الشهر كما رحل آخرون! أين الصوام القوام المرافقون لك في سالف الأعوام؟! وأين من كان معك في ليالي رمضان من الساجدين؟! وفي كل حق لله من العاملين، من الآباء والأمهات والأخوة والأخوات والجيران والقرابات أتاهم والله هادم اللذات وقاطع الشهوات ومفرق الجماعات، وميتم البنين والبنات، فأخلى منهم المشاهر، وعطل منهم المساجد، تراهم في بطون الإلحاد صرعى، لا يجدون لما هم فيه دفعاً، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ينظرون يوم الأمم إلى ربها تدعى والخلائق إلى الموقف تحشر وتسعى،

والفرائص ترعد من هول ذلك اليوم جمعاً والعيون تذرف دمعــاً، والقلوب تصدع من الحساب صدعاً ونفح في الصور فجمعناهم جمعاً.

أخـــي:

ترحــل الشـــهر والـــهفاه وانصرمـــا ... واختص بالفوز في الجنات مـن خدمـا
وأصبــح الغـــافل المســكين منكســـراً ... مثلـى فيــا ويحــه يــا عظـم ماحرمـا
من فاته الزرع في وقت الحصاد فما ... تـــراه يحصـــد إلا الـــهم والندمـــا
طوبـى لمن كـانت التقوى بضاعتـــه ... فـــي شـــهره وبحبـل الله معتصمـــا

شهر رمضان، وأين شهر رمضــان؟! ألم يكـن منـذ لحظات بـين أيدينا ألم يكن ملء أسماعنا وأبصارنـا؟ ألم يكـن هـو حديـث منابرنـا، وزينة منائرنا، وبضاعة أسواقنا، ومادة موائدنا، وسمر أنديتنــا، وحيـاة مساجدنا، فأين هو الآن؟!.

أي شــهر رمضـــان، أي ســلطان الشـــهور، وجـــامع البشـــر والســرور، أي شــهرنا الكريـم، وموســم خيرنــا الوسـيم، أي شـــهر المكرمـات والكرمـات، انجـابت فيـك الظلمـات، وتضــاعفت فيــك الحسنات، وفتحت أبـواب السماوات لـو لم يكـن لـك مـن الفضـل إلا ليلة القدر، وتردد الملائكة حتى مطلع الفجر، لكان كفايـة في تفضيلـك ونهاية في تبجيلك.

أخي: قلوب المتقين إلى هـذا الشـهر تحـن، ومـن ألـم فراقـه تئـن، أين حرق المجتـهدين في نـهاره، أيـن قلـق المتـهجدين في اسحاره؟ كيف

حال من خسر في أيامه ولياليه ! ماذا ينفع المفرط في بكاءه ، وقد عظمت فيه مصيبته وجل عزاؤه ، كم نُصح المسكين فما قبل النصح ؟ ! كم دعى إلى المصالحة وما أجاب إلى الصلح ، كم يشاهد الواصلين فيه وهو متباعد كم مرت به زُمر السائرين وهو قاعد ، حتى إذا ضاق به الوقت ، وخاف من الغوت والمقت ندم على التفريط حين لا ينفع الندم وطلب الاستدراك في وقت العدم.

أخي في الله :

كم أناس صلوا في هذا الشهر صلاة التراويح ، وأوقدوا في المساجد طلباً للأجر المصابيح ، وملأوا بالعبادة المكان الفسيح ، ونسخوا بإحسانهم كل فعل قبيح ، قنصتهم والله في آخره المصائد فقهروا ، وأسرتهم المصائد فأسروا ، فلم ينفعهم المال والآمال لما نقلوا ، رحلوا والله عنا قدماً قدماً ونقض ما بنوه من الدنيا هدماً هدماً ، أدارة عليهم المنون رحاها ، وجعلت قبورهم لمهب الرياح سطراً ، وزودتهم من الحنوط عطراً ، فهذا حالك عن قريب فتيقظّ ، وهذا مآلك عن قليل فاجتهد وتحفظ.

يا قليل الاعتبار ، وقد سمعت ورأيت ، يا طويل الأمل قد نأيت. يا مشغولاً باللهو مفتوناً بالمنى ، يا متعلقاً بما يوقن أن عقباه الفنا !.

يا من راح في المعاصي وغدا، ويقول: أتوب اليوم أو غدا.

يا قليل الزاد وحادى رحيله قد حدى، تأهب للتلف وتهيأ للردى، ذهب عنك شهر الصيام وودعك، وسارت فيه قوافل الصالحين وأنت جالس فما أجهلك، تؤمل منازل العابدين بأفعال الغافلين فما أحمقك.

يا من أصبح ساعياً إلى ما يضره متقدماً، وأضحى بنا أمله بكف أجله متهدماً، ستعلم يا مسكين من يأتي غداً حزيناً متقدماً، ويبكي بعد الدموع من الحسرات الدما.

هل أعددت عدة حازم لقبرك! أحصلت عملاً ينجيك في حشرك، أحفظت حدود صومك في شهرك؟ أم هتكت حرمة الحمى؟! متى حضر قلبك في صلاتك؟! متى خرجت عن العادة في عبادتك؟ لقد تسلط الشيطان عليك بغفلاتك.

كم من صائم يفضحه الحساب والعرض، وكم من عاصي في هذا الشهر تستغيث منه الأرض، وتشكو من أعماله السماء والأرض، لقد سعد في هذا الشهر من كف جوارحه عن كسب آثامه، ولقد خاب في هذا الشهر من كان حظه من صيامه الجوع والظمأ.

ولله در أقوام حرصوا بالتقى أيام شهرهم، وتدرعوا درع المراقبة في صبرهم، وجمعوا بين الصدق والإخلاص في ذكرهم،

فظهرت آثار الفوز منهم، صبروا باليقين على ظمأ الهواجر، وبسطوا أقدامهم على بساط الدياجر، وعملوا ليوم فيه القلوب لدى الحناجر، احتسبوا أوقات النصب مغنماً، قصدوا مولاهم، ووقفوا بين يديه ورفعوا حوائجهم في دياجي الليل إليه، وبسطوا ألسنة الرجاء فتمنوا عليه فأعطاهم مولاهم ما تمنوا عليه.

لقد أصابوا الطريق وما أصبت، ولقد أجابوا داعيهم وما أجبت، وا عجباً! أيخرج رمضان وما أنبت! هذا والله هو العمى، فاجتهد في لحاق القوم، فقد جدوا ولا ترضى لنفسك دون ما أعدوا، وأنصت لحادى الطريق فيما يحدوا فإن اجتهدت ادركتهم وإلا فلا!.

وتيقظ لملك الموت فكأنه قد هجم، وودع شهر رمضان بالدمع لقد ذهب وانصرم، وتحقق أن يشهد لك أو عليك يوم الحسرة والندم.

أخي: كيف لا تجري للمؤمن على فراق رمضان دموع! وهو لا يدري هل بقي له في عمره إليه رجوع.

يا شهر رمضان ترفق، دموع المحبين تدفق، قلوبهم من ألم الفراق تشقق، عسى وقفة للوداع تطفيء من نار الشوق ما أحرق، عسى ساعة توبة وإقلاع ترفو من الصيام كل ما تخرَّق، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق، عسى أسير الأوزار يُطلق، عسى من استوجب النار يُعتق.

عسى وعسى من قبل وقت التفرق إلى كل ما نرجو من الخير نلتقي
فيجبر مكسور ويقبل تائب ويعتق خطاء ويُسعد من شقي

أيها الأخ المسلم : عهدناك في شهر رمضان منيباً إلى ربك، تائباً من ذنبك، راغباً في رحمة الله وثوابه، خائفاً من نقمته وعذابه، عهدناك في رمضان محافظاً على أداء الصلوات في الأوقات، حريصاً على شهود الجماعة والجماعات، مقبلاً على مجالس العلم ومستعداً لقبول النصائح والعظات، عهدناك في رمضان مهذباً نقياً، متواضعاً تقياً، فعلى أي شيء عزمت بعد انقضاء شهر رمضان؟ شهر الصيام وتلاوة القرآن! أتراك بعدما ذقت حلاوة الطاعة تعود إلى مرارة العصيان؟ أتراك بعدما صرت من حزب الرحمن تنقلب على عقبيك فتنضم إلى حزب الشيطان؟ أتراك بعدما حُسبت في عداد المصلين تترك الصلاة وهي عماد الدين وشعار الإيمان؟ وهل يليق بك بعدما كُتبت في جملة الطائعين المرحومين، أن تصير في زُمرة العاصين المحرومين؟ أيليق بك بعدما كنت في رمضان براً تقياً. أن تصير في الإفطار جباراً شقيا؟ أيليق بك بعدما كنت في رمضان ملكاً كريماً، أن تصير بعده شيطاناً رجيماً؟ كلا! ما هكذا يكون المؤمنون، بل ما هكذا يكون العقلاء المتبصرون، ولا السعداء الموفقون.

فيا أخي في الله: إن كان رمضان قد مضى وانتهى كأنه طيف خيال، وعزمت على العود إلى التفريط والتقصير في شوال، فالله حي أبدى سمردي لا يدركه زوال، ولا يفنيه تداول الأوقات، وتعاقب الأهلة هلالاً بعد هلال فلا تقل: الآن ذهب رمضان، واستهل شوال بالفسوق والعصيان، فعلم أن الله تعالى يرضى عمن أطاعه في أي شهر كان ويغضب على من عصاه في كل وقت وآوان.

فحافظ أخي في الله على العبادات والطاعات التي كنت تقوم بها في رمضان وابتعد عن المعاصي التي هجرتها في رمضان، فلا تكن عبداً رمضانياً ولكن كن عبداً ربانياً، فإن رب رمضان هو رب شوال هو رب الشهور كلها وهو رب السنين والأعوام.

أخا الإسلام: إن الليل والنهار خزانتان، فانظر ما تضع فيهما، فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر، وفي يوم القيامة تُفتح هذه الخزائن لأهلها، فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة.

أخي المسلم: إذا تقرر ذلك فاعلم بأن الدنيا مزرعة للآخرة وأن الدنيا عمل بلا حساب وأن الآخرة حساب ولا عمل، فاتق الله يا عبد الله وخذ من دنياك لآخرتك، ومن حياتك لموتك، ومن صحتك لسقمك ومن غناك لفقرك، ومن فراغك لشغلك، ومن شبابك

لهرمك، وتزود لسفر طويل، واستعد لحساب يوم عسير وهول عظيم، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، ويوم يعض الظالم على يديه نادماً على ما جناه.

أخي المسلم المبارك: كان السلف الصالح رضوان الله عليهم جميعاً يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من رده، وهؤلاء الذين ﴿ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [سورة المؤمنون:الآية ٦٠].

روى عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: (كانوا لقبول العمل أشد إهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧ ﴾ [سورة المائدة:الآية ٢٧].

وقال مالك بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ: الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: أدركتهم ـ أي الصحابة ـ يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم، أيُقبل منهم أم لا.

قال بعض السلف: كانوا ـ أي الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان، ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم. قلت: فكانت حياتهم كلها رمضان.

أخي الكريم: كان هذا حال سلفنا الصالح رضوان الله عليهم جميعاً فاجتهد في الدعاء إلى الله بأن يتقبل منك صيامك وقيامك وكل أعمالك، تقبل الله منا ومنك صالح الأعمال.

اعلم أخي في الله أن الأعمال بالخواتيم، ومن أحسن وأصلح فيما بقي غُفر له ما قد مضى وما قد بقي، ومن استمر في تقصيره أُخذ بما مضى وبقى، وخير ما يختم به هذا الشهر الكريم الاستغفار، فالاستغفار من أعظم أسباب المغفرة، فإن الاستغفار دعاء بالمغفرة، ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه وعند فطره.

قال الحسن البصري: أكثروا من الاستغفار فإنكم لا تدرون متى تنزل الرحمة.

وقال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني عود لسانك الاستغفار فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلاً.

والاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها، فتختم بالاستغفار الصلاة والحج وقيام الليل، ويختم به المجالس، فإن كانت ذكراً كان كالطابع عليها، وإن كانت لغواً كان كفارة لها، فكذلك ينبغي أن يختم صيام رمضان بالاستغفار.

كتب عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ إلى الأمصار يأمرهم بختم شهر رمضان بالاستغفار والصدقة صدقة الفطر.

فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والاستغفار يرقع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (الغيبة تخرق الصيام والاستغفار يرقعه، فمن استطاع أن يجيء بصوم مرقع فليفعل).

أخي في الله: فصيامنا هذا يحتاج إلى استغفار نافع، وعمل صالح يكون له جابر وشافع، كم نخرق صيامنا بسهام الكلام! ثم نرقعه وقد اتسع الخرق على الراقع! كم نرفوا خروقه بمخيط الحسنات، ثم نقطعه بحسام السيئات القاطع!.

كان بعض السلف إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها، كما يستغفر المذنب من ذنبه.

فإذا كان هذا حال المحسنين في عبادتهم، فكيف حال المسيئين أمثالنا في عبادتهم! ارحموا من حسناته سيئات، وطاعته كلها غفلات.

وأنفع الاستغفار ما قارنته توبة نصوح صادقة من قلب خاشع منيب يفيض بالندم على ما فرط في زمن العصيان، وقد عزم على أن لا يعود إلى المعاصي مرة أخرى، وقد أخذ العهود والمواثيق على نفسه بذلك.

فمن استغفر بلسانه، وقلبه على المعصية معقود، وعزمه أن يرجع إلى المعاصي بعد شهر رمضان، ويعود، فصومه عليه مردود، وباب القبول عنه مسدود.

قال كعب الأحبار: (من صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر بعد رمضان أن لا يعصي الله، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر بعد رمضان عصى ربه فصيامه عليه مردود)(١).

فاحرص يا أخي ـ بارك الله فيك ـ على الاستغفار، فإنه دواء المعاصي، والزم عتبة التوبة، وقف على باب العبودية بأقدام الذل والانكسار عسى الله أن ينظر إليك بعين الرضى، فمن نظر إليه المولى بعين الرضى لا يسخط عليه أبدا.

أخي في الله: لئن انقضى شهر رمضان، شهر الصيام، والقيام، وتلاوة القرآن، والذكر والاستغفار، فإن زمن عمل المؤمن لا ينقضي إلا بالموت قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝ ﴾ [سورة الحجر:الآية ٩٩]. وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ١٠٢]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث.. الحديث»(٢).

---

(١) أخرجه سلمة بن شبيب في فضائل الصيام.

(٢) صحيح: رواه مسلم.

فلم يجعل الله لانقطاع عمل العبد غاية إلا الموت، فلئن انقضى صيام شهر رمضان، فإن المؤمن لن ينقطع من عبادة الصيام بذلك، فالصيام لا يزال مشروعاً ولله الحمد في كل العام، فقد سن رسول الله ﷺ ورغب في صيام أيام غير رمضان، ومن ذلك صيام ست من شوال، فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام شهر رمضان وقيامه، أن يصوم عقب ذلك ستة من شوال شكراً لله تعالى وتقرباً إليه وتأسياً برسول الله ﷺ وموافقة له فيما رغب فيه من الخير فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»[(١)].

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»[(٢)].

ولكن يتنبه هنا لأمر هام: من كان عليه قضاء من رمضان فليبادر إلى صيام تلك الأيام التي فاتته في رمضان، ثم يتبعه بست من شوال، ليتحقق له بذلك إكمال الصيام المفروض، ويتم له إدراك فضل صيام الست من شوال بعد ذلك.

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٢٢/٢)، الترمذي (٤٦٥/٣) وأبو داود (٨٦/٧)، وابن ماجة (١٧١٩).
(٢) صحيح: رواه ابن ماجة (١٧١٨) وابن حبان في صحيحه (٩٢٨) والدارمي (٢١/٢).

قال ابن رجب رحمه الله تعالى - بعد كلام له : «فلا يحصل مقصود صيام ستة من شوال إلا لمن أكمل صيام رمضان، ثم أتبعه بست من شوال فمن كان عليه قضاء من رمضان ثم بدأ بصيام ست من شوال تطوعاً لم يحصل له ثواب من صام رمضان ثم اتبعه بست من شوال حيث لم يكمل عدة رمضان»أ. هـ.

ومن ذلك أيضاً صيام يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تُعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»(١) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبيﷺ «يتحرى صيام الإثنين والخميس»(٢) .

وعن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الإثنين فقال: ﷺ « فيه ولدت وفيه أنزل عليّ»(٣) .

ومن ذلك أيضاً صيام يومي عرفة وعاشوراء.

---

(١) صحيح لغيره، رواه الترمذي (٣/٤٥١) وأحمد (٢/٣٢٩) بمعناه، والدارمي (٢/٢٠) وابن ماجة (١٧٤٤).

(٢) رواه الخمسة إلا أبا داود.

(٣) صحيح رواه مسلم (٢/٨٢٠).

وعن أبي قتادة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله».(١)

ولكن ينبغي هنا أن يعلم أن صيام يوم عرفة يكون لغير الحاج إما إذا كان حاجاً فلا يستحب له ذلك، فقد روى البخاري ومسلم عن أم الفضل: أن أناساً تماروا عندها عيشة عرفة في صوم النبي ﷺ فقال بعضهم هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فبعثتَ إلى النبي ﷺ بشراب أو قدح فيه لبن وهو واقف على بعيره فأخذه فشربه، فعلى هذا فإنه يكره صوم يوم عرفة للحجاج، وهذا أقوى لهم والله أعلم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما رأيت النبي ﷺ يتحرى يوماً فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء، وهذا الشهر يعني شهر رمضان»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢/٨١٨) رقم (١١٦٢) وأحمد (٥/٢٩٦) والترمذي (٣/٤٥٣) وابن ماجة (١٧٣٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤/٢٤٥) ومسلم (١١٣٢).

ومن ذلك أيضاً صيام الأيام البيض:

عن جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر، وأيام البيض صبيحة ثلاثة عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة»(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صمت شيئاً فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة»(٢).

ومن ذلك صيام شعبان:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرا أكثر من شعبان وكان يصوم شعبان كله»(٣).

وعن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله! لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»(٤).

---

(١) صحيح: رواه النسائي (٤/٢٢١)، البيهقي في الشعب (٣٨٥٣) وأبو يعلى (٧٥٠٤) والطبراني في الكبير (٢/٣٥٦).

(٢) صحيح بمجموع الطرق. رواه النسائي (٤/٢٢٣)، أحمد (٥/١٦٢)، والترمذي(٣/٤٦٩) وابن خزيمة (٢١٢٨) والبيهقي (٤/٢٩٤) والبغوي (٦/٣٥٥) وابن حبان (٩٤٣) والطيالسي (٤٧٥) والطبراني في الكبير (١٩/١٥ - ١٦)، وابن ماجة (١٧٠٧) والطحاوي (٢/٨١).

(٣) صحيح رواه البخاري (٤/٢١٣) ومسلم (٢/٨١١) رقم (١١٥٧).

(٤) حسن: رواه النسائي (٤/٢١٠) رقم (٢٣٥٧).

ومن ذلك أيضاً صيام شهر الله المحرم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**».(١)

من ذلك أيضاً صيام يوم وإفطار يوم لمن يطيق وقد مر بنا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وهو عند البخاري.

فيا أخي هذه أعمال البر موصولة برمضان فبادر إليها.

ولئن انتهى قيام رمضان فإن القيام لا يزال مشروعاً ولله الحمد في كل ليلة من ليالي السنة، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقوم ويصلي من الليل حتى ترم قدماه: فيقال له: فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً؟.

وقال ﷺ: (**أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**)(٢) وكذلك يا أخي لم ينتهي الذكر وتلاوة القرآن والاستغفار بانتهاء رمضان، بل كل هذه الأعمال وغيرها من أعمال البر والطاعات مشروعة في كل وقت من الأوقات.

أخي الكريم: اجتهد في فعل الطاعات واجتنب الخطايا والسيئات، لتفوز بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، والأجر العظيم بعد الممات، قال الله تعالى:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢/٨٢١) رقم (١١٦٣).

(٢) صحيح: وقد تقدم انظر الحديث السابق.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[سورة النحل:الآية ٩٧].

اللهم إن كان في سابق علمك أن تجمعنا في مثله فبارك لنا فيه، وإن قضيت بقطع آجالنا، وما يحول بيننا وبينه فأحسن الخلافة على باقينا، وأوسع الرحمة على ماضينا، وعمنا جميعاً برحمتك وغفرانك واجعل الموعد بحبوح جنتك ورضوانك. آمين... آمين... آمين.

الواحة الإيمانية التاسعة عشرة

زكاة الفطر والعيد

آداب وأحكام وسنن ومخالفات

الحمد لله موفر الثواب للأحباب، ومكمل الأجر، وجاعل ظلام الليل نسيخة للفجر، المحيط علمه بخائنة الأعين وخافية الصدر، ومعلم الإنسان ما لم يعلم به ولم يدر، والمتعالي إدراك خواطر النفس وهواجس الفكر، جل أن تناله أيدي الحوادث على مرور الدهر، وتقدس أن يخفى عليه باطن السر وظاهر الجهر، أحصى عدد الرمل في الفيافي والقفر، وأبصر فلم يخف عليه دبيب الذر في البر، وسمع فلم يعزب عن سمعه دعاء المضطر، إن أسر أو جهر، ويعطي عطاء لا يحيط به كثرة العد والحصر، وقدر المقادير فلم يحتج إلى معين بالإعانة والنصر، وأجرى الأقدار كما شاء في ساعات العصر.

فسبحان من قسم بين الخلائق ـ كما أراد ـ أسباب العسر واليسر، وخصنا من بين سائر الأمم بشهر الصيام والصبر، وغسل به ذنوب الصائمين كغسل الثوب بماء القطر، فلله الحمد إذا رزقنا إتمامه وأنالنا عيد الفطر.

أحمده حمد من قام بواجب الحمد وأشكره وقد تكفل بالمزيد لمن شكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أفوز بها يوم القيام من القبر، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد البشر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما دارت الأفلاك وتعاقب الدهر، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

أخي في الله : هذا شهر رمضان قد رحل عنا وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً رحل عنا وكأنه لحظات وسرعان ما انتهت، وهكذا العمر، فإن عمرك في حساب الزمن لحظات.

فيا شهر رمضان غير مودع ودعناك، وغير مقليٍّ فارقناك، كان نهارك صدقة وصياماً وليلك قراءة وقياماً، فعليك منا تحية وسلاماً.

أتراك تعود بعدها علينا أو تدركنا المنون فلا تؤول إلينا، مصابحنا فيك مشهورة، ومساجدنا فيك معمورة فالآن تنطفيء المصابيح وتنقطع التراويح.

تذكرت أياماً مضت ولياليـاً	**خلت، تجرى من ذكرهن دموع**
ألا هل لها يوماً من الدهر عودة	**وهل لي إلى يوم الوصال رجوع؟**
وهل بعد إعراض الحبيب تواصل	**وهل لبدور قد أفلن طلوع؟**

أخي الكريم: رحل رمضان وقد أودعته أعمالك. فهو شاهد لك أو عليك، فإن كنت أودعته أعمالاً صالحة فاحمد الله وأبشر بحسن الثواب، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وإن كنت أودعته أعمالاً سيئة فلا تقنط من رحمة الله وسارع بالتوبة النصوح والإنابة والرجوع قبل أن ينتهي الأجل كما انتهى رمضان! وكن على يقين بأن الله سيقبل توبتك إن كنت صادقاً فيها فإن الله يتوب على من تاب.

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو بابك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
ألست الذي غذيتني وكفلتني ... ومازلت مناناً عليّ ومنعماً
عسى من له الإحسان يغفر زلتي ... ويستر أوزاري وما قد تقدما

زكاة الفطر وما يتعلق بها:

أخي المبارك: اعلم ـ وفقني الله وإياك ـ أن من علامات قبول العمل والتوفيق اتباع الحسنة بحسنة مثلها، فيا أخي الكريم: أتبع صيامك وقيامك بحسنات تجبر الكسر وتزيد في الأجر.

وإن من مظاهر الإحسان في خواتيم هذا الشهر الكريم وتوديعه بحسن ختام إخراج زكاة الفطر.

*** حكمها:**

زكاة الفطر فريضة فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين، وما فرضه رسول الله ﷺ أو أمر به فله حكم الله تعالى أو أمر به قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ [سورة النساء:الآية ٨٠]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [سورة الحشر:الآية ٧].

فزكاة الفطر فريضة على الكبير والصغير الذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين)(١).

ولا تجب عن الذي في البطن إلا أن يتطوع فلا بأس، فقد كان أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه يخرجها عن الحمل.

فالمرء يجب عليه أن يخرجها عن نفسه، وكذلك عمن تلزمه نفقته ومؤونته من زوجة وأولاد أو قريب إذا لم يستطيعوا إخراجها عن أنفسهم، فإن استطاعوا فالأولى أن يخرجوها هم عن أنفسهم، لأنهم المخاطبون بها أصلاً.

❁ حكمتها:

أما حكمة إخراج زكاة الفطر فهي ظاهرة للعيان، ففيها إحسان إلى الفقراء وكف لهم عن السؤال في أيام العيد ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم ويكون عيداً للجميع.

وفيها الاتصاف بخلق الكرم وحب المواساة، وفيها تطهير الصائم مما يحصل له في صيامه من نقص ولغو دائم، وفيها إظهار نعمة الله بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣/٤٧٣)، ومسلم (٢/٦٧٧). رقم (٩٨٤).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أدها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»[1].

* جنسها:

والجنس الواجب في زكاة الفطر طعام الآمين من تمر أو بر أو أرز أو زبيب أو أقط أو غيرها من طعام بني آدم، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر في رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير...» الحديث.

وكان الشعير يومذاك من طعامهم كما قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كنا نخرج يوم الفطر في عهد النبي ﷺ صاعاً من طعام، وكان طعامنا الشعير والزبيب والإقط والتمر»[2].

فعلى هذا فلا يجزيء إخراج طعام البهائم لأن النبي ﷺ فرضها طعمة للمساكين لا للبهائم.

---

(١) حسن: رواه أبو داود (١١١/٢) رقم (١٦٠٩) وابن ماجة رقم (١٨٢٧) وحسنه الألباني في الارواء رقم (٨٤٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٧٢/٣) رقم (١٥١٠).

ولا يجزيء إخراجها من الثياب والفرش والأواني والأمتعة وغيرها مما سوى طعام الآدميين، لأن النبي ﷺ فرضها من الطعام فلا تتعدى ما عينه الرسول ﷺ.

ولا يجزيء إخراج قيمة الطعام لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١) . ومعنى رد أي مردود.

وكذلك إخراج زكاة الفطر قيمة مخالف لعمل الصحابة رضوان الله عليهم حيث كانوا يخرجونها صاعاً من طعام، وقد قال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»(٢) .

وأيضاً زكاة الفطر عبادة من جنس معين فلا يجزيء إخراجها من غير الجنس، كما لا يجزيء إخراجها في غير الوقت المعين.

✵ مقدارها:

ومقدار زكاة الفطر صاع بصاع النبي ﷺ الذي يبلغ وزنه بالمثاقيل أربعمائة وثمانين مثقالاً من البر الجيد، وبالجرامات كليوين اثنين وأربعين جراماً من البر الجيد، وذلك لأن زنة المثقال (أربعة جرامات وربع، فيكون مقداره أربعمائة وثمانين مثقالاً ألفي جرام وأربعين جراما.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥/ ٣٧٠) رقم (٢٦٩٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٣) رقم (١٧١٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وصححه الألباني (صحيح الترمذي) (٢١٥٧).

* وقتها:

أما وقت وجوب إخراج زكاة الفطر فهو غروب الشمس ليلة العيد، فمن كان من أهل الوجوب حينذاك وجبت عليه وإلا فلا، وعلى هذا فإذا مات قبل الغروب ولو بدقائق لم تجب عليه زكاة الفطر، وإن مات بعده بدقائق وجب إخراج زكاة فطره، وإذا ولد شخص بعد الغروب ولو بدقائق لم تجب عليه زكاة فطر، لكن لا بأس إخراجها عنه كما سبق.

وإن وُلد قبل الغروب ولو بدقائق وجب إخراج زكاة الفطر عنه.

وإنما كان وقت وجوبها غروب الشمس من ليلة العيد لأنه الوقت الذي يكون به الفطر من رمضان، وهي مضافة إلى ذلك، فإنه يقال: زكاة الفطر من رمضان فكان الحكم هذا الوقت.

وأما زمن دفعها فله وقتان: وقت فضيلة ووقت جواز.

١- **أما وقت الفضيلة:** فهو صباح العيد قبل الصلاة لما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نخرج في عهد النبي ﷺ يوم الفطر صاعاً من طعام»[(١)].

ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيه: أن النبي ﷺ (أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة)[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣/٤٧٢) رقم (١٥١٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣/٤٦٣) رقم (١٥٠٣).

٢- **وأما وقت الجواز:** فهو قبل العيد بيوم أو يومين، فعن نافع قال: (كان ابن عمر يعطي عن الصغير والكبير حتى إذا كان يعطى عن بنيَّ وكان يعطيها الذين يقبلونها، وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين)(١).

ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، فإن أخرها عن صلاة العيد بلا عذر لم تقبل منه لأنه خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ، وقد سبق من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (.. **من أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات**)(٢).

أما من أخرها لعذر شرعي فلا بأس، مثل أن يأتي خبر ثبوت العيد مفاجئاً بحيث لا يتمكن من إخراجها فينسى أن يخرجها فلا بأس أن يخرجها بعد العيد لأنه معذور في ذلك، ولذلك كان من الأفضل تأخير صلاة العيد يوم الفطر ليتسع الوقت لإخراج زكاة الفطر.

والواجب أن تصل إلى مستحقها أو وكيله في وقتها قبل الصلاة، فلو نواها لشخص ولم يصادفه ولا وكيله وقت الإخراج فإنه يدفعها إلى مستحق آخر ولا يؤخرها عن وقتها.

* مكان إخراجها:

وأما مكان إخراجها أو دفعها، فتدفع إلى فقراء المكان الذي هو فيه وقت الإخراج سواء كان محل إقامته أو غيره من بلاد المسلمين ولا

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١١/٧٢٨) رقم (٦٧١٣).

(٢) صحيح: سبق تخريجه.

سيما إن كان مكاناً فاضلاً كمكة. والمدينة، أو كان فقراءه أشد حاجة، فإن كان في بلد ليس فيه من يدفع إليه أو كان لا يعرف المستحقين فيه وكّل من يدفعها عنه في مكان فيه مستحقين.

والمستحقون لزكاة الفطر هم الفقراء، ومن عليهم ديون لا يستطيعون الوفاء بها، فيعطون منها بقدر حاجتهم، ويجوز توزيع زكاة الفطر على أكثر من فقير، ويجوز دفع عدد من زكاة الفطر إلى مسكين واحد.

فيا أخي المسلم: أسرع في إخراج زكاة فطرك في الوقت الذي علمت، فبذلك تأتلف القلوب، ويشعر الفقير بتعاطفك معه، فما اشتكى فقير إلا بقدر ما قصر غني، فأخرجها يا أخي طيبة بها نفسك، تكف بها يد المسكين عن الطلب، ويستغني بها من غير مسألة ويشارك إخوانه بهجة العيد، فالعيد موسم بهجة بعد أداء الفريضة، وقد قيل: من أراد معرفة أخلاق الأمة فليراقبها في أعيادها، إذ ينطلق فيه السجايا على فطرتها، وتبرز العواطف والميول والعادات على حقيقتها، والمجتمع السعيد الصالح هو الذي تسمو أخلاقه في العيد إلى أرفع ذروة، وتمتد فيه مشاعر الإخاء إلى أبعد مدى، حيث يبدو في العيد متماسكاً متعاوناً متراحماً تخفق فيه القلوب بالحب والود والبر والصفاء، وذلك مصداقاً لقول المصطفى ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم

وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١].

أخي المبارك: إن يوم العيد يوم سعيد، يسعد فيه أناس ويشقى فيه عبيد فطوبى لعبد قُبلت فيه أعماله، والويل ثم الويل لمن عمله عليه مردود، وباب التوبة عنه مسدود.

ويوم العيد يوم يهنأ فيه المقبول، ويعزى فيه المطرود، فيا ليت شعري من المقبول منا فنهنيه! ومن المحروم والمطرود فينا فنعزيه؟!

ليت شعري من هو المطرود والمحروم منا
ومن المقبول ممن صام منا فيُهنا
كان هذا الشهر نوراً بيننا يزهر حسنا
فاجعل اللهم عقباه لنا نور وحسنا

فيا أيها المقبول هنيئاً لك بثواب الله عز وجل وغفرانه، وتعساً لك أيها المطرود بإصرارك على عصيانه، لقد عظمت مصيبتك، فأين دمعتك وتوبتك؟! فلأي يوم أخرت توبتك؟! ولأي عام ادخرت عدتك؟ ألى عام قابل؟! وحول حائل؟! كلا: فما إليك مدة الأعمار ولا معرفة المقدار، فكم من أعد طيباً لعيده جُعل في تلحيده، وكم من جهز ثوباً لتزيينه صار لتكفينه، وكم متأهباً لفطره صار مرتهناً في لحده، فاحمد الله يا أخي على بلوغ ختام شهر رمضان وسأله قبول صيامه وقيامه.

---

(١) صحيح وقد تقدم.

أخي في الله : كم فرح بالعيد مسرور وهو مبعد مهجور ، فليس العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن طاعته تزيد ، ليس العيد لمن تجمل باللباس والركوب إنما العيد لمن غفرت له الذنوب.

في ليلة العيد تفرق خلع العتق والمغفرة على العبيد ، فمن ناله منها شيء فهو له عيد ، وإلا فهو مطرود بعيد.

أخي الكريم : إن العيد الحقيقي لمن قُبل صيامه وقيامه وتعرض لنفحات الرب جل في علاه ، إن عيد المؤمن يوم يعتق من النار ، وتفتح له أبواب الجنان ، وينظر الله إليه بعين الرضى والغفران ، فيكون من الذين وافاهم ربهم أجرهم بغير حساب ، فيكون ثوابه من صيامه وقيامه رضا الرب ومغفرته ، ويكون من الذين يقول لهم المولى يوم العيد : انصرفوا مغفوراً لكم قد أرضيتموني ورضيت عنكم ، والملائكة شهود على ذلك.

أما من انغمس في الشهوات وعصى رب البريات يوم عيده فهذا ليس له بيوم عيد ، ولكنه يوم شقاءه وبعده عن الله المبديء المعيد.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : (كل يوم يمر عليك لم تعصي الله فيه فهو عيد).

عيدي مقيم وعيد الناس منصرف ... والقلب مني عن اللذات منحرف
ولي قرينان مالي منهما خلف ... طول الحنين وعين دمعها يكفُ

إن عيد المسلم الحقيقي بانتظامه في سلك التائبين المنيبين الراغبين في رحمة الله وثوابه، الخائفين من بطشه وعقابه العيد لمن تذوق حلاوة الطاعة، ولذيذ المناجاة، بعد أن تجرع مرارة العصيان ولوعة البعد والهجر كؤوساً.

العيد لمن حسنت نيته وطهرت طويته وعلم أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأن الدنيا عمل ولا حساب والآخرة حساب ولا عمل، فأخذ من دنياه لآخرته، ومن حياته لموته، ومن صحته لسقمه ومن غناه لفقره، ومن شبابه لهرمه، وتزود لسفر طويل، واستعد لحساب يوم عسير وهول عظيم، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، ويوم يعض الظالم على يديه ندماً على ما جناه.

مر أحد الصالحين على شباب يلعبون يوم الفطر فقال لهم: يا هؤلاء إن كان صومكم قد قُبل فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان صومكم لم يُقبل فما هذا فعل المحزونين، فوقع كلامه في قلوبهم وتركوا لهوهم.

إن من الناس من تطغى عليه فرحة العيد فتستبد بمشاعره ووجدانه لدرجة تنسيه واجب الشكر والاعتراف بالنعم، وتدفعه إلى الزهو والإعجاب بالنفس حتى يبلغ حد المخيلة والتباهي والكبر والتعالي.

ألم يعلم هذا أن العيد قد يأتي على أناس قد ذلوا من بعـد عـز، فتهيج في نفوسهم الأشجان، وتتحرك في صدورهم كثير من الأحزان، ذاقوا من البؤس ألواناً بعد رغد العيش، وتجرعـوا مـن العلقـم كؤوساً بعد وفرة النعيم، فاعتاضوا عـن الفرحـة بالبكـاء، وحـل محل البهجـة الأنين والعناء.

أخـي المسـلم: إن العيـد في الإسـلام غبطـة في الديـن والطاعـة، وبهجـة في الدنيـا والحيـاة، ومظهـر القـوة والإخـاء، إنـه فرحـة بانتصـار الإرادة الخيِّرة علـى الأهـواء والشـهوات، وبـالخلاص مـن مؤامـرات شياطين الإنس والجن، والرضـا بطاعـة المولى والفـوز بمغفرتـه في الدنيـا والوعد الكريم الصادق بالفردوس الأعلى والنجاة من النار في الآخرة.

أخي: إن العيد عبـادة مـن العبـادات تعبدنـا الله بـها، وقربـة مـن القربات التي يتقرب بها إلى رب الأرض والسموات، والله لا يقبل مـن الأعمال إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه، وكان علـى وفـق مـا جـاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

لذا أرى أخي الكريم: أن نقوم برحلـة ثالثـة عـبر الزمـان الغـابر لنقف على شيء من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام

في العيد، فهيا بنا أخي لنركب زورقنا كما تعودنا لنخترق الزمان اختراقاً تاريخياً، فإذا بنا في مدينة رسول الله وقد طلع عليهم العيد بإشراقه، فانظر ماذا ترى!.

قال ابن عابدين في حاشيته (٢/١٦٥): (سمي العيد بهذا الاسم لأن لله تعالى فيه عوائد الإحسان، أي أنواع الإحسان العائد على عباده في كل يوم، منها: الفطر بعد المنع، وصدقة الفطر).أ. هـ.

قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا**[1]».

قال الصديق رضي الله عنه: «لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئاً أن أزيغ».

أخي: حتى لا نزيغ فنضل ونضيع عن الطريق فهذه جملة من هديه ﷺ وهدي أصحابه رضوان الله عليهم في العيد.

۞ ۞ ۞

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجة.

العيد سنن وآداب وأحكام

(١) التجمل في العيد :

● عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ عمر جبة من إستبرق تباع في السوق، فأخذها، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! اتبع هذه تجمل بها للعيد والوفود، فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذه لباس من لا خلاق له**» فلبث عمر ما شاء الله أن يلبث ثم أرسل إليه رسول الله ﷺ بجبة ديباج، فأقبل بها عمر، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إن قلت: «إنما هذه لباس من لا خلاق له» وأرسلت إليّ بهذه الجبة، فقال له: رسول الله ﷺ: «**تبيعها أو تصيب منها حاجتك**[١]».

قلت: إنكار النبي ﷺ على عمر كون الجبة من إستبرق ولم ينكر عليه التجمل للعيد فدل ذلك على الجواز، ولذلك قال الإمام السندي رحمه الله «منه عُلم أن التجمل يوم العيد كان عادة مستقرة بينهم ولم ينكرها النبي ﷺ فعُلم بقاءها[٢]».

● عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ـ قال: «كان للنبي ﷺ جبة يلبسها في العيدين[٣]».

● وكان ابن عمر يلبس أحسن ثيابه في العيدين[٤].

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد.

(٢) حاشية السندي على النسائي (٣/١٨١).

(٣) ورواه ابن خزيمة في صحيحه.

(٤) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا وصحح إسناده ابن حجر في الفتح (٢/٤٣٩).

(٢) الاغتسال يوم العيد قبل الخروج للصلاة:

● عن نافع: «أن عبد الله بن عمر كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدوا إلى المصلى»[(١)].

● قال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: «سُنة الفطر ثلاث: المشي إلى المصلى والأكل قبل الخروج والاغتسال»[(٢)].

● قال ابن قدامة في المغني (٢/٣٧٠) «يستحب أن يتطهر بالغسل للعيد وكان ابن عمر يغتسل يوم الفطر، وروى ذلك عن علي - رضي الله عنه - وبه قال علقمة وعروة، وعطاء والنخعي والشعبي وقتادة وأبو الزناد ومالك والشافعي وابن المنذر».

« وأما الذي روي عن رسول الله ﷺ في ذلك فهو ضعيف»[(٣)].

(٣) أكل تمرات قبل الخروج لصلاة عيد الفطر والأكل بعد صلاة الأضحى:

● عن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وتراً»[(٤)].

وعن بريدة - رضي الله عنه - قال: «كان النبي ﷺ لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم، ويوم النحر لا يأكل حتى يرجع فيأكل من نسيكته»[(٥)].

---

(١) أخرجه مالك ورواه أيضاً الشافعي وعبد الرزاق وسنده صحيح.

(٢) رواه الفريابي بإسناد صحيح، أنظر: إرواء الغليل (٢/١٠٤).

(٣) كما عند ابن ماجة، وفي إسناد جبارة بن المغلس وشيخه وهما ضعيفان، ورواه أيضاً وفيه: يوسف بن خالد السمتي كذبه غير واحد.

(٤) صحيح: رواه البخاري والترمذي وغيرهما.

(٥) رواه الترمذي (٥٤٢) وابن ماجة (١٧٥٦).

● وقال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (١/٤٤١): «وكان ﷺ يأكل قبل خروجه في عيد الفطر تمرات، ويأكلهن وتراً، وأما عيد الأضحى فكان لا يطعم حتى يرجع من المصلى فيأكل أضحيته»أ. هـ.

وقد ذكر أهل العلم الحكمة في تقديم الأكل يوم الفطر على الصلاة وتأخيره يوم الأضحى عنها، فقالوا: «إن يوم الفطر يوم حُرم فيه الصيام عقيب وجوبه، فاستحب تعجيل الفطر لإظهار المبادرة إلى طاعة الله تعالى - وامتثال أمره في الفطر على خلاف العادة، والأضحى بخلافه، ولأن في الأضحى شرع الأضحية والأكل منها فاستحب أن يكون فطره على شيء منها»[١] أ. هـ.

وقال المهلب: «الحكمة في الأكل قبل الصلاة - أي في الفطر -: أن لا يظن ظانٌ لزوم الصوم حتى يصلي العيد، فكأنه أراد سد هذه الزريعة»[٢].

(٤) الخروج إلى المصلى:

● عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة»[٣].

---

(١) المغني (٣/٢٥٩).

(٢) فتح الباري (٢/٤٤٧).

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم والنسائي.

● عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان رسول الله ﷺ يغدو إلى المصلى في يوم العيد، والعترة تحمل بين يديه، فإذا بلغ المصلى نصبت بين يديه، فيصلي إليها، وذلك أن المصلى كان فضاء ليس فيه شيء يستتر به»(١).

فالسُنة في صلاة العيدين أن تؤدى في المصلى وبذلك قال جمهور العلماء.

● قال النووي ـ رحمه الله ـ «هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلاة العيد إلى المصلى، وأنه أفضل من فعلها في المسجد، وعلى هذا عمل الناس في معظم الأمصار».

● وقال ابن حجر في الفتح (٢/٤٥٠) «استدل به على استحباب الخروج لصلاة العيد، وأن ذلك أفضل من صلاتها في المسجد لمواظبة النبي ﷺ على ذلك مع فضل مسجده»(٢).

ولكن إذا كان هناك عذر يمنع من الخروج كالمطر أو الريح الشديدة أو الأعاصير أو غير ذلك من الموانع فلا بأس من صلاة العيد في المسجد.

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة واللفظ له.

(٢) قلت: ومن أراد المزيد فليرجع إلى الرسالة القيمة لمحدث العصر الإمام الألباني رحمه الله (صلاة العيدين في المصلى هي السُنة) ففيها الغنية والكفاية ـ والله أعلم.

● قال البغوي في شرح السُنة: «السُنة أن يخرج الإمام لصلاة العيدين إلا من عذر، فيصلي في المسجد».

(٥) مشروعية خروج النساء إلى المصلى:

● عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى، العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة - وفي لفظ المصلى - ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله: إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: «لتلبسها أختها من جلبابها[١]» .

● قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: «حق على كل ذات نطاق الخروج إلى العيد[٢]».

فالسُنة خروج النساء إلى المصلى لصلاة العيدين وفي الباب أحاديث أخرى صحيحة.

(٦) غض البصر:

غض البصر مأمور به المسلم في كل وقت وحين، وذلك عما حرَّم الله لما ورد في الكتاب والسُنة، ولكن آكد في يوم العيد لأنه يوم

(١) صحيح: رواه البخاري (١/٦٠٥) (٣٥١) ومسلم (٢/٦٠٥) (٨٩٠). والعواتق: الأنثى أول ما تبلغ.

(٢) رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح.

طاعة وقربة لله ويزداد هذا الأمر تأكيداً في زماننا هذا، فالفتن تلاحق المسلم في كل مكان والله المستعان.

● روي عن حسان بن أبي سنان ـ رحمه الله ـ: أنه خرج في يوم عيد فلما عاد قالت له امرأته: كم من امرأة حسناء قد رأيت؟! فقال: «والله ما نظرت منذ خرجت من عندك إلا في إبهامي إلى أن رجعت إليك».

(٧) إتيان المصلى ماشياً والعودة منه ماشياً:

● عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان رسول الله ﷺ يخرج إلى العيد ماشياً ويرجع ماشياً[١]».

● قال علي رضي الله عنه ـ : «إن من السُنة أن تأتي العيد ماشياً[٢]».

قال الترمذي: والعمل على هذا الحديث عند أكثر أهل العلم، يستحبون أن يخرج الرجل إلى العيد ماشيا.

قال ابن المنذر: المشي إلى العيد أحسن وأقرب للتواضع ولا شيء على من ركب[٣]» .

---

(١) رواه ابن ماجة بسند صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجة، وصححه الألباني.

(٣) الأوسط (٤/ ٢٦٤).

(٨) التكبير في العيدين:

- قال تعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٨٥].
- قال البغوي: «ومن السُنة إظهار التكبير ليلتي العيدين مقيمين وسفراً في منازلهم ومساجدهم وأسواقهم وبعد الغدو في الطريق، وبالمصلى إلى أن يحضر الإمام، كان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يغدو إلى المصلى يوم الفطر إذا طلعت الشمس فيكبر حتى يأتي المصلى ثم يكبر بالمصلى حتى إذا جلس الإمام ترك التكبير»(١).
- عن ابن عمر رضي الله عنهما ـ قال: «كان ﷺ يخرج في العيدين رافعاً صوته بالتهليل والتكبير»(٢).
- وثبت عنه ﷺ: «أنه كان يخرج يوم الفطر فيكبِّر حتى يأتي المصلى، وحتى يقضي الصلاة، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير»(٣).

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي وصححه، ورواه الدارقطني وابن أبي شيبة بإسناد صحيح أنظر الإرواء (٦٥٠).

(٢) رواه البيهقي بسند حسن.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والمحاملي في (صلاة العيدين) وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٠).

- وكان أبو بكر وابن المسيب وعروة وأبو سلمة يكبرون ليلة الفطر في المسجد يجهرون بالتكبير.

- سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن وقت التكبير في العيدين فقال ـ رحمه الله ـ «الحمد لله: أصح الأقوال في التكبير الذي عليه جمهور السلف والفقهاء من الصحابة والأئمة: أن يكبر في فجر عرفة إلى آخر أيام التشريق عقب كل صلاة، ويُشرع لكل أحد أن يجهر بالتكبير عند الخروج إلى العيد، وهذا باتفاق الأئمة الأربعة»أ. هـ.

(٩) صيغ التكبير:

ومن صيغ التكبير الثابتة:

- «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد»(١).
- «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد»(٢).
- «الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً»(٣).
- «الله أكبر الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر وأجل، الله أكبر على ما هدانا»(٤).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة بإسناد صححه الألباني عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) سنده صحيح عن ابن مسعود، وابن عباس.

(٣) رواه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان.

(٤) رواه البيهقي وصحح إسناده الألباني عن ابن عباس.

● قال أبو عبد الرحمن السلمي: كانوا في الفطر أشد منهم في الأضحى، قال وكيع: يعني في التكبير.

(١٠) مخالفة الطريق في الذهاب والإياب إلى المصلى:

والسُنة مخالفة الطريق ذهاباً وإياباً إلى المصلى، وذلك اقتضاءً برسول الله ﷺ.

● فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: «وكان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق»[(١)].

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان ﷺ إذا خرج يوم العيد في طريق رجع من غيره»[(٢)].

● قال الإمام النووي: «وإذا لم يعلم السبب، استحب التأسي قطعاً والله أعلم»[(٣)].

● قال الإمام ابن القيم: «وكان ﷺ يخرج ماشياً، وكان ﷺ يخالف الطريق يوم العيد، فيذهب من طريق ويرجع من آخر، قيل ليسلم على أهل الطريقين، وقيل لينال بركته الفريقان، وقيل ليقضي حاجة من له حاجة منهما، وقيل ليظهر شعائر الإسلام في سائر الفجاج والطرق، وقيل ليغيظ المنافقين برؤيتهم عزة الإسلام وأهله،

---

(١) صحيح: رواه البخاري والترمذي وابن ماجة وأحمد.

(٢) رواه الترمذي بسند صحيح.

(٣) روضة الطالبين (٢/٧٧).

وقيام شعائره، لتكثر شهادة البقاع، فإن الذاهب إلى المسجد والمصلى إحدى خطواته ترفع درجة وتحط خطيئة، حتى يرجع إلى منزله، وقيل وهو الأصح إنه لذلك كله، ولغيره من الحكم التي لا يخلو فعلها منها»[(١)] أ. هـ.

(١١) لا يصلي قبل العيد شيئاً:

- عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: «أن النبي ﷺ صلى يوم الفطر ركعتين، لم يصل قبلها ولا بعدها»[(٢)].

قال ابن حجر في الفتح (٢/٤٧٦): «والحاصل أن صلاة العيد لم يثبت لها قبلها ولا بعدها، خلافاً لمن قاسها على الجمعة».

- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -: «كان رسول الله ﷺ لا يصلي قبل العيد شيئاً، فإذا رجع إلى منزله صلى ركعتين»[(٣)].

(١٢) حكم صلاة العيدين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «.. ولهذا رجحنا أن صلاة العيد واجبة على الأعيان كقول أبي حنيفة وغيره وهو أحد أقوال الشافعي، وأحد القولين في مذهب أحمد، وقول من قال: لا تجب في غاية البعد، فإنها من أعظم شعائر الإسلام والناس يجتمعون لها

---

(١) زاد المعاد (١/٤٤٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٣) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ والألباني.

أعظم من الجمعة، وقد شرع فيها التكبير، وقول من قال: هي فرض على الكفاية لا ينضبط»[١] أ. هـ.

● قال العلامة صديق حسن خان: «ومن الأدلة على وجوبها أنها مسقطة للجمعة إذا اتفقنا في يوم واحد»[٢]، «وما ليس بواجب لا يسقط ما كان واجباً، وقد ثبت أنه لازمها جماعة منذ شرعت إلى أن مات، وانضم إلى هذه الملازمة الدائمة أمره للناس بأن يخرجوا إلى الصلاة»[٣] أ. هـ.

(١٣) وقت صلاة العيد:

عن عبد الله بن بُسر صاحب النبي ﷺ أنه خرج مع الناس يوم فطر أو أضحى، فأنكر إبطاء الإمام، قال: «إن كنا قد فرغنا ساعتنا هذه، وذلك حين التسبيح»[٤] أي وقت صلاة النافلة إذا مضى وقت الكراهة.

● قال ابن القيم «يؤخر صلاة عيد الفطر، ويجعل الأضحى».

● قال صديق حسن خان: وقتهما بعد ارتفاع الشمس قيد رمح إلى الزوال.

---

(١) مجموع الفتاوى. (٢١٠/٢٤).

(٢) كما في حديث أبي هريرة ـ عندما اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اجتمع في يومكم هذا عيدان، فمن شاء أجزأه من الجمعة وإنا مجمعون) رواه أبو داود وابن ماجة وسنده حسن. وانظر المغني (٣٥٨/٢)، ومجموع الفتاوى (٢١٢/٢٤).

(٣) انظر الروضة الندية (١٤٢/١)، الموعظة الحسنة (٤٢ - ٤٣)، نيل الأوطار (٣٨٢/٣ - ٣٨٣)، وتمام المنة (٣٧).

(٤) علقه البخاري في صحيحه ووصله أبو داود وابن ماجة والحاكم والبيهقي وسنده صحيح.

(١٤) لا أذان ولا إقامة للعيدين:

● عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «صليت مع رسول الله العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة»[١].

● عن ابن عباس وجابر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «لم يكن يؤذن يوم الفطر ولا يوم الأضحى»[٢].

● قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وكان إذا انتهى إلى المصلى أخذ في الصلاة من غير أذان ولا إقامة، ولا قول: الصلاة جامعة والسُنة أن لا يفعل شيء من ذلك»[٣].

● قال الصنعاني: «عدم شرعيتها في صلاة العيد فإنها بدعة»[٤].

(١٥) صلاة العيد ركعتان:

● عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «صلاة المسافر ركعتان، وصلاة الأضحى ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، تمام غير قصر، على لسان محمد ﷺ»[٥].

---

(١) صحيح: رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

(٢) صحيح: رواه البخاري.

(٣) زاد المعاد (١/ ٤٤٢).

(٤) سبل السلام (٢/ ٦٧).

(٥) سنده صحيح: رواه أحمد والنسائي والطحاوي في شرح معاني الآثار والبيهقي.

(١٦) كيفية صلاة العيد:

- الركعة الأولى تبدأ بتكبيرة الإحرام ثم يكبر فيها سبع تكبيرات، وفي الركعة الثانية خمس تكبيرات، سوى تكبيرة الانتقال.
- عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان يكبر في الفطر والأضحى: في الأولى سبع تكبيرات، وفي الثانية خمساً سوى تكبيرتي الركوع»[١].
- والسُنة في التكبير أن يكون قبل القراءة لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «كبر رسول الله ﷺ في صلاة العيد سبعاً الأولى ثم قرأ ثم كبر فركع، ثم سجد، ثم قام فكبر خمساً، ثم قرأ، ثم كبر فركع ثم سجد»[٢].
- لم يصح عن النبي ﷺ أنه كان يرفع يديه مع تكبيرات العيد[٣].

ولكن قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٤٤١): «وكان ابن عمر - مع تحريه للإتباع يرفع يديه مع كل تكبيرة».

قال الإمام مالك: «ارفع يديك مع كل تكبيرة» وهذا قول عطاء.

---

(١) إسناده صحيح: رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد والبيهقي.

(٢) حسن بشواهد: رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد، انظر إرواء الغليل (٣/ ١٠٨ - ١١٢) وزاد المعاد (١/ ٤٤٣ - ٤٤٤).

(٣) إرواء الغليل (٣/١١٢ - ١١٤).

- لم يصح عن النبي ﷺ ذكر معين بين تكبيرات العيد، ولكن ثبت عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال عن صلاة العيد «بين كل تكبيرتين حمد لله عز وجل، وثناء على الله»(١).

وفيه أيضاً عن ابن مسعود أنه قال: «يحمد الله ويثني عليه ويصلي على النبي ﷺ»(٢).

- عن أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ «سألني عمر بن الخطاب عما قرأ به رسول الله ﷺ في العيد؟ فقلت: بـ ﴿اقتربت الساعة﴾ و ﴿ق﴾»(٣).
- قال ابن القيم (ربما قرأ فيهما ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾، ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ أخرجه مسلم من حديث النعمان بن بشير. صح عنه هذا وهذا ولم يصح عنه غير ذلك.
- وباقي هيئاتها، كغيرها من الصلوات المعتادة.

(١٧) من فاتته صلاة العيد جماعة يصلي ركعتين:

- قال البخاري ـ رحمه الله ـ (باب إذا فاته العيد صلى ركعتين) وهو قول عطاء ومذهب الشافعي.

---

(١) رواه البيهقي والمحاملي وجوده الألباني.

(٢) صححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(١٨) الخطبة بعد الصلاة :

السُنة في خطبة العيد أن تكون بعد الصلاة خلافاً لما فعله مروان بن الحكم.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة).

(١٩) التخيير بحضور الخطبة :

حضور الخطبة ليس واجباً كالصلاة. قال عبد الله بن السائب : شهدت العيد مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قضى الصلاة قال صلى الله عليه وسلم : (إنا نخطب ، فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس ، ومن أحب أن يذهب فليذهب)[١].

- قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٤٤٨) : ورخص النبي صلى الله عليه وسلم لمن شهد العيد أن يجلس للخطبة أو أن يذهب.

(٢٠) التهنئة بالعيد :

- قال جبير بن نفير : (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد ، يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك)[٢].
- سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن التهنئة يوم العيد فأجاب : (أما التهنئة يوم العيد ، يقول بعضهم لبعض إذا لقيه بعد صلاة العيد :

((١) إسناده صحيح : رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، وابن خزيمة والألباني في إرواء الغليل (٣/ ٩٦ - ٩٨).

(٢) قال ابن حجر في الفتح (٢/ ٤٤٦) : أدينا في المحامليات بإسناد حسن عن جبر بن عبد نفير وحسنه أيضاً السيوطي في (وصل الأماني بأصول التهاني).

تقبل الله منا ومنكم، وأحال الله عليك ونحو ذلك، فهذا قد روي عن طائفة من الصحابة أنهم كانوا يفعلونه ورخص فيه الأئمة كأحمد وغيره، لكن قال أحمد: أنا لا أبتدئ أحداً، فإن ابتدأني أحد أجبته، وذلك لأن جواب التحية واجب، وأما الابتداء بالتهنئة فليس سُنة مأموراً بها، ولا هو أيضاً مما نهى عنه، فمن فعله فله قدوة، ومن تركه فله قدوة، والله أعلم)[١].

(٢١) الأذن بسماع الدف من الجويريات وتركه أولى:

● عن عائشة رضي الله عنها ـ قالت: دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان يغنيان بغناء بعاث[٢] فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (دعهما) فلما غفل غمزتها فخرجتا.

وفي رواية أخرى: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا)[٣].

قال الحافظ في الفتح (٤٤٣/٢) (وفي هذا الحديث من الفوائد، مشروعية التوسعة على العيال في أيام الأعياد بأنواع ما يحصل لهم

(١) مجموع الفتاوى (٢٥٣/٢٤).

(٢) كان فيه حرب بين الأوس والخزرج وبعاث: اسم لحصن الأوس.

(٣) صحيح: والروايتان للبخاري ومسلم وأحمد وابن ماجة، والرواية الثانية تقدمت قريباً.

بسط النفس وترويح البدن من كلف العبادة، وأن الإعراض عن ذلك أولى، وفيه أن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين)أ.هـ.

وهكذا أخي الكريم انتهت هذه الرحلة أيضاً بسلام، وكم سعدنا فيها بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، نسأل الله أن يرزقنا حسن الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم والسير على نهج صحابته الأبرار، وأن يتقبل منا ومنك ومن جميع المسلمين صالح الأعمال والأقوال، إنه جواد كريم وبالإجابة قدير، وهيا بنا مرة أخرى لنركب زورقنا لنرجع من حيث كنا إلى هنا وما أدراك ما هنا!.

مخالفات العيد

أخي الكريم: هناك بعض المخالفات يقع فيها بعض المسلمين في ليالي العيد وأيامه فأردت أن ألفت النظر إليها حتى يُحذر من الوقوع فيها فمنها:

(١) التكبير الجماعي بصوت واحد، أو الترديد خلف شخص يقول: (الله أكبر) أو إحداث صيغ للتكبير غير مشروعة.

(٢) اعتقاد مشروعية إحياء ليلة العيد، ويتناقلون أحاديث لا تصح.

(٣) تخصيص يوم العيد لزيارة القبور والسلام على الأموات.

(٤) اختلاط النساء بالرجال في بعض المصليات والشوارع والمتنزهات.

(٥) بعض الناس يجتمعون في العيد على الغناء واللهو والطرب والعبث والمجون وهذا لا يجوز بحال من الأحوال.

(٦) كثرة تبرج النساء وعدم تحجبهن، وحري بالمسلمة المحافظة على شرفها وعفتها بأن تحتشم وتستتر، لأن عزها وشرفها في دينها وعفتها.

(٧) خروج النساء لصلاة العيد متزينات متعطرات وهذا لا يجوز.

(٨) الإغراق في المباحات من لبس وأكل وشرب حتى تجاوز الأمر إلى الإسراف. قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الأعراف:الآية ٣١].

(٩) البعض يظهر عليه الفرح بالعيد لأن شهر رمضان انتهى وتخلص من العبادة فيه، وكأنها حمل ثقيل على نفسه. وهذا على خطر عظيم.

(١٠) بعض الناس يتهاون في أداء صلاة العيد، ويحرم نفسه الأجر والخير الكثير، فلا يشهد الصلاة، ودعاء المسلمين، وقد يكون المانع من الحضور سهره الطويل بالليل.

(١١) بعض الناس أصبح يُحيي ليالي العيد وأيامه بأذية المسلمين في أعراضهم فتجده يتابع عورات المسلمين ويصطاد في الماء العكر،

وسيلته في ذلك سماعة الهاتف، أو الأسواق التي أصبحت تعج بالنساء، وهن في كامل زينتهن، فتنهدم بيوت عامرة، وتتشتت أسر مجتمعة، وتنقلب الحياة جحيماً لا يطاق، بعد أن كانت آمنة مستقرة!!

(١٢) هناك من يجعل العيد فرصة له لمضاعفة كسبه الخبيث، وذلك بالغش والخديعة، والكذب والاحتيال، وأكل أموال الناس بالباطل وكأنه لا رقيب عليه ولا حسيب، فتجده لا يتورع عن بيع ما حرم الله من المأكل والمشروبات، والملهيات، ووسائل هدم البيوت والمجتمعات.

(١٣) ومن الأخطاء والمخالفات التي تتكرر في مناسبات الأعياد وليالي رمضان، عبث الأطفال والمراهقين بالألعاب النارية، التي تؤذي المصلين والمسلمين عموماً، وتروع الآمنين، وكم جرت من مصائب وحوادث!! فهذا أصيب في عينه، وذاك في رأسه، وآخر في يده إلى غير ذلك والناس في غفلة عن هذا الأمر.

أخي: وقبل أن أطوي هذه الصفحات أود أن أقول لك:

كم من يتيم يأتي عليه العيد وهو ينشد عطف الأبوة الحانية ويلتمس حنان الأم الرؤوم فلا يجد، ينظر إلى من يمسح رأسه ويخفف بؤسه ويجفف دمعه فلا يجد؟!.

كم من فقير يأتي عليه العيد يتلمس ثوباً جديداً يشارك الناس فيه بهجة العيد فلا يجد؟!

كم من مسكين يأتي عليه العيد يتلمس شيئاً يسد به رمقه فلا يجد؟!.

كم من أناس يأتي عليهم العيد وهم في الشعاب مطردون! وعن أهليهم وزويهم مبعدون، وعن أوطانهم مشردون! فلا مأوى يأويهم، ولا شراب يسقيهم ولا لباس يسترهم؟!

كم من أناس يأتي عليهم العيد وهم تحت وطأة الظلم والقذف والقتل والتعذيب والتشريد والسلب والنهب وهتك الأعراض، أشلاء متفرقة، جماجم متناثرة، عظام مكسرة، جثث مبعثرة، بحار من الدم تسبح فيها الجثث، صياح وعويل، صراخ وأنين، خوف واستغاثة، أطفال تبكي، فتيات تصرخ، نساء تنوح وتستغيث، فلا مجيب، أصوات ترتفع وتقول: وا إسلاماه وا معتصماه لكن! لا أحد يسمع، ولا معتصم يجيب!

رب وامعتصماه أنطلقت ... ملء فم الصبيا اليُتم
ربما صادفت أسماعنا ... لكنها لم تصادف نخوة المعتصم
ذبحوا الصبي وأمه ... وفتاتها ذات الوشاح
يا ألف مليون مسلم ... وأين أنتمو؟! كثر الجراح

أخي :

لا أريد أن أنغض علي فرحة العيد، ولكن أريد منك أن تتذكر وأنت تحنو على أطفالك يوم العيد أن هناك ألوف من أطفال المسلمين قد شُرِّدوا وقتل آباؤهم فلم يجدوا في هذا اليوم من يحنوا عليهم وتذكر وأنت تمازح أهلك وتنبسط معهم أن هناك أخوات لك ثكلى فقدن عائلهن تحت وطأت القهر والظلم، فليس معهن من يقوم على شؤونهن.

وتذكر وأنت تزور إخوانك وأرحامك وأقاربك أن لك إخواناً في شتى بقاع الأرض قد شردوا، وقتلوا، وأبعدوا عن أوطانهم وذويهم.

وبالجملة تذكر حال الأمة المنكوبة وقد أتى عليها العيد وهي مسلوبة لإرادة مهضومة الحقوق كسيرة الجناح.

عيد بأي حال جئت يا عيد

أقبلت يا عيد والأحزان أحزان — وفي ضمير القوافي ثار وبركان
أقبلت يا عيد والرمضاء تلفحني — وقد شكت من غبار الدرب أجفان
أقبلت يا عيد، هذي أرض حسرتنا — تموج موجاً وأرض الأنس قيعان
أقبلت يا عيد، والظلماء كاشفة — عن رأسها، وفؤاد البدر حيران
أقبلت يا عيد، أجرى اللحن في شفتي — رطباً فيغبطني أهل وإخوان
أزف تهنئتي للناس أشعرهم — أني سعيد وأن القلب جذلان
وأرسل البسمة الخضراء تذكرة — إلى نفوسهمو تزهو وتزدان

قالوا وقد وجهوا نحوي حديثهمو ... هذا الذي وجهه للبشر عنوان
هذا الذي تصدر الآهات من دمه ... شعراً رصيناً له وزن وألحان
لا لن أعاتبهم هم ينظرون إلى ... وجهي وفي خاطري للحزن كتمان
والله لو قرأوا في النفس ما كتبت ... يد الجراح وما صاغته أشجان
ولو رأوا كيف بات الحزن متكئاً ... على ذراعي وفي عينيه نكران
لأغمضوا أعيناً مبهورة وبكوا ... حالي وقد نالوا بؤس وحرمان
أقبلت يا عيد، والأحزان نائمة ... على فراشي وطرف الشوق سهران
من أين نفرح يا عيد الجراح وفي ... قلوبنا من صنوف الهم ألوان
ومن أين نفرح والأحداث عاصفة ... وللدمى مقل ترنو وآذان؟!
من أين.. والمسجد الأقصى محطمة ... آماله، وفؤاد القدس ولهان؟!
من أين.. نفرح يا عيد الجراح وفي ... دروبنا جُدر قامت وكثبانُ؟
من أين.. والأمة الغراء نائمة ... على سرير الهوى والليل نشوان؟
من أين.. والذل يبني ألف منتجع ... في أرض عزتنا والربح خسران؟
من أين.. نفرح والأحباب ما اقتربوا ... منا ولا أصبحوا فينا كما كانوا؟
يا من تسرب منهم في الفؤاد هوى ... قامت له في زوايا النفس أركان
أصبحت في يوم عيدي والسؤال على ... ثغري يئن وفي الأحشاء نيران
أين الأحبة.. لا غيم ولا مطر ... ولا رياض ولا ظل وأغصان
أين الأحبة.. لا بدر يلوم لنا ... ولا نجوم بها الظلماء تزدان؟
أين الأحبة.. لا بحر ولا جزر ... تبدو، ولا سفن تجرري وشطآن؟
أين الأحبة.. وارتد السؤال إلى ... صدري سهاماً لها في الطعن إمعان(1)

---

(١) قصيدة (عندما يحزن العيد) من ديوان (شموخ في زمن الإنكسار) للدكتور الشاعر عبدالرحمن حفظه الله ورعاه.

بشراك بالعيد الجديد[١]

بشـــراك بـــالعيد الجديـــد قـــم حـــي مطلعـــه الســـعيد
عـــد بالـــهناءة والمســـرة والســـلام علـــى الوجـــود
وانشـــر ســـناك علـــى الفقـــير وظلـــك الحـــاني الـــودود
وهـــب البخيـــل مـــن القناعـــة مـــا يصـــيره يجـــود
وأعـــد لمـــن ينـــس الحيـــاة وعيشـــها الأمـــل الرغيـــد
تلـــك الشيشـــان[٢] لـــم تـــزل فـــي الحـــرب أصلـــب من حديـــد
لـــم يثـــن عـــزم كفاحـــها وعـــد العـــدو ولا الوعيـــد
تفـــري العـــدو ببأســـها وتريـــه أهـــوال الصمـــود
تيهي يـــا روسيا[٣] كيف شئت فليـــس يومـــك بـــالبعيد
قـــد أشـــعل الإســـلام[٤] الكفـــاح وأنـــت للنـــار الوقـــود
أمـــا فلســـطين الجريحـــة فـــي يـــد الخصـــم العنيـــد

---

(١) هذه القصيدة أخذها المؤلف من الشاعر إبراهيم بن عبد الرحمن بن حمد المفدّى في إحدى الجلسات الأحدية لفضيلة الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري حفظه الله ورعاه. وقد نُشرت هذه القصيدة عام ١٣٨٠هـ في جريدة القصيم الغراء.

(٢) كانت في الأصل (الجزائر) بدل (الشيشان) لكنني قمت بتغييرها حتى تناسب هذا الوقت وقد استئذنت الشاعر في ذلك فأذن لي.

(٣) كانت في الأصل (فرنسا) بدل (روسيا) لكنني قمت بتغييرها حتى تناسب هذا الوقت بعد موافقة الشاعر.

(٤) كانت في الأصل (العرب) بدل (الإسلام) لكنني قمت بتغييرها بعد موافقة الشاعر.

لا لــن تضيــع ولــن يضيـــع ... بــــها جريــــح أو شــــهيد
ســـــــنعيدها للاجئيــــــــن ... وكـــل مســــلوب شــــريد
اســـتيقظ الإســــلام الغـــداة ... ولـــم يعـــد فيـــهم رقـــود
ولســـوف نســحق غاصبـــا ... قـد عـاث فـي أرض الجـدود
يـــا عيـــد عـــد بـــاليمن ... والإقبـال والنصـــر المزيـــد
وانشــر علــى الدنيــا الســلام ... وحقـــق الأمـــل الوطيـــد
حتــى نــرى العـرب اســتردوا ... عـــز ماضينــــا المجيـــد
حلــم إذا مـــا صــح كـــان ... علـى العـــروبة خيـــر عيــد

أخي الحبيب: تقبل الله منا ومنك صالح الأعمال وأسأل الله أن يكون هذا العيد علينا وعليك وعلى سائر المسلمين في كل مكان عيد بركة وخير، وأسأله سبحانه بأسماءه الحسنى وصفاته العليا أن يعيديه علينا أعواماً عديدة وأزمنة مديدة، وأن يعيد إلينا مقدساتنا ويرجع إلينا عزتنا وينصر الإسلام والمسلمين ويذل الشرك والمشركين ويرفع راية الحق خفاقة إلى يوم الدين إنه ولي ذلك والقادر عليه ومولاه.

الواحة الإيمانية العشرون

ماذا بعد رمضان؟

الحمد لله الدائم فلا يزول ولا يتغير، الحكيم الذي جعل في انقضاء الشهور وتقلب الليل والنهار عبرة لمن تفكر، لا إله إلا هو جعل الفلاح لمن عمل بأحكام الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله فتح أبواب رحمته لمن داوم على طاعته، وحجب أنوار هدايته عمن انقاد لشهوته، وانغمس في حمأة رذيلته، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله إمام المتقين وسيد الأنبياء والمرسلين، اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تمسك بالدين واهتدى بهديه.

أما بعد:

أخي الكريم: ها نحن قد ودعنا شهر رمضان المبارك بنهاره الجميل ولياليه العطرة، ها نحن قد ودعنا شهر رمضان شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، شهر مغفرة الذنوب، وستر العيوب وعمارة القلوب، شهر فُتحت فيه أبواب الجنان، وأغلقت فيه أبواب النيران، شهر كانت فيه مردة الجن والشياطين مصفدة، والخيرات والرحمات فيه مُنزلة، شهر تشرق فيه المساجد بالأنوار، وتكثر الملائكة لصوامه من الاستغفار، شهر تعظم فيه الصدقات، وتضاعف فيه أعمال البر والخيرات، وتكفر فيه السيئات، وتُقال فيه العثرات، وتدفع فيه النكبات، وترفع فيه

الدرجات، شهر قد فاز فيه من صامه وقامه إيماناً واحتساباً، وخسر فيه من قال زوراً وبهتاناً.

فيا ليت شعري من المقبول منا فنهنيه بحسن عمله، أم ليت شعري من المطرود والخسران منا فنعزيه بسوء عمله.

فيا أيها المقبول هنيئاً لك بثواب الله عز وجل عليك ورضوانه، ورحمته وغفرانه، وقبوله وإحسانه، وعفوه وامتنانه، وخلوده في دار أمانة.

ويا أيها المطرود بإصراره وطغيانه وظلمه وعدوانه، وغفلته وخسرانه، وجهله وتماديه وعصيانه، لقد عظمت مصيبتك بغضب الله وهوانه، فأين مقلتك الباكية؟ وأين دمعتك الجارية؟

أخي: ذهب شهر رمضان وولى ومضى كأنه طيف خيال أو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، ذهب شهر رمضان بأيامه الجميلة ولياليه العطرة، وثماره اليانعة وظلاله الوارفة، ورياضه النضرة.

ذهب وقد استودعناه أعمالنا، خيرها وشرها، حلوها ومرها، صفوها وكدرها، إحسانها وإساءتها!

فيا ليت شعري! أيشهد لنا رمضان أم يشهد علينا؟

ذهب رمضان ولم يبقى منه إلا الذكريات الجميلة التي تثير في النفس شجوناً وتلهب فيها لوعة الشوق للقاء فيواسيها الأمل ويمنيها إلى معاد.

تذكرت أياماً مضت ولياليا خلت فجرت من ذكرهن دموع
ألا هل لها يوماً من الدهر عودة وهل لي إلى يوم الوصال رجوع؟
وهل بعد إعراض الحبيب تواصل وهل لبدور قد أقلف طلوع؟!

ذهب شهر رمضان وربما يكون آخر رمضان في سجل حياتنا! أتراه يعود علينا؟ أم يُدركنا المنون فلا يؤول غلينا؟!

هل استفدنا من رمضان؟! هل جنينا من ثماره اليانعة؟ هل تحققنا بالتقوى! وتخرجنا من مدرسة رمضان بشهادة المتقين؟!

هل تعلمنا فيه الصبر والمصابرة على الطاعة وعن المعصية؟!

هل ربينا فيه أنفسنا على الجهاد بأنواعه؟ هل جاهدنا أنفسنا وشهواتنا وانتصرنا عليها؟ أم غلبتنا التقاليد والعادات السيئة؟!

هل سعينا إلى العمل بأسباب الرحمة والمغفرة والعتق من النار؟

هل... هل... هل..؟! أسئلة كثيرة وخواطر عديدة، تتداعى على قلب كل مسلم صادق.. يسأل نفسه ويجيبها بصدق وصراحة ماذا استفدت من رمضان؟!

إن رمضان مدرسة إيمانية ومحطة روحية يتزود فيها العبد لبقية العام، ويشحذ فيها همته بقية العمر.

فمتى يتعظ ويعتبر ويستفيد ويتغير ويُغير من حياته وسلوكه وأخلاقياته وعاداته من لم يفعل ذلك في رمضان؟!

شهر رمضان، شهر خير وبركة، فيه تتضاعف الأعمال وتنزل الرحمات فمن حُرم خير هذا الشهر فقد حُرم، فماذا فات من فاته خير رمضان، وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان؟ كم بين من حظه فيه القبول والغفران ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران؟ فمن لم يُغفر له في رمضان فمتى يُغفر له؟! شهر رمضان شهر العتق من النار، فمن لم يُعتق في هذا الشهر فمتى يُعتق؟!

إذا الروض أمسى مجدباً في ربيعه ففي أي حين يستنير ويخصب

كل ما لا يثمر من الأشجار في أوان الثمار فإنه يقطع ويُجتز من جذوره ثم يُلقى في النار.

كل من فرط في الزرع في وقت البدار لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسران.

ذهب شهر الخير والإحسان وانصرما واختص بالفوز بالجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسراً مثلي فيا ويله يا عظيم ما حُرما
من فاته الزرع في وقت البدار فما تراه يحصد إلا الهم والندما

أخي الحبيب:

عهدناك في رمضان منيباً إلى ربك تائباً من ذنبك، راغباً في رحمة الله وثوابه خائفاً من نقمته وعذابه، عهدناك في رمضان محافظاً

على الصلوات في الأوقات حريصاً على شهود الجمعة والجماعات، مقبلاً على مجالس العلم والذكر، مستعداً لقبول النصائح والتوجيهات والعظات، عهدناك في رمضان قواماً تالياً للقرآن، مرتلاً له آناء الليل وأطراف النهار، واقفاً عند حدوده مأتمراً بأوامره، منتهياً بنواهيه متدبراً لآياته، عهدناك في رمضان مهذباً نقياً، متواضعاً تقياً، فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن، فعلى أي شيء عزمت بعد انقضاء شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن؟ أو ما حالنا بعد رمضان؟ أو ماذا بعد رمضان؟ وهل هناك وجه مقارنة بين حالنا في رمضان، وحالنا بعد رمضان؟

ولزاماً على كل واحد منا، أن يصدق في جوابه مع نفسه، وأن يتجرد من أحابيل الشيطان وتلبيسه، وأن يترك التماس الأعذار الواهية التي يسلي بها نفسه ويمنيها.

والجواب عن هذا السؤال: ما نراه ونلمسه من حال بعضنا، فبعض الناس قد زادهم رمضان إيماناً فاض عليهم من فضله وألبسهم من حُلله، فزادهم بهجة وضياء، فزاد حبهم للخير، وقويت رغبتهم فيه بجميع أنواعه، من صيام وقيام وتلاوة للقرآن، وصدقة وصلاة وبر وصلة رحم، ورأفة على الأيتام، وشفقة على الأرامل وذوي الحاجات وعطف على الفقراء والمساكين، فتجدهم في أبواب الخير متسارعون وفي وجوه البر متنافسون، وفي الطاعات متسابقون،

وللمعاصي تاركون وللشهوات منتهون، وعن الشر بكل صوره مبتعدون، ولسان حال الواحد منهم يقول: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الزمر:الآية ١٣]. هذا في الدنيا أما في الآخرة فيكون لسان حالهم ومقالهم ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الطور:الآيات ٢٥-٢٨]. فهؤلاء هم الذين استفادوا من رمضان، وتحققت فيهم صفات المتقين، وظهرت فيهم علامات المحسنين، فكان صيامهم إيماناً حقاً، وقيامهم إحتساباً صدقاً جاهدوا أنفسهم في رمضان مجاهدة حقة فألزموها الطاعة ومنعوها من ارتكاب المعاصي وفعل القبائح والانغماس في الشهوات والملزات، ففازوا برضا الرب، وطمأنينة القلب، ومغفرة الذنب، وتزكية النفس، وعتقها من ذل العبودية لغير الله.

نسأل الله أن نكون من أولئك الذين نفعهم الله بصيامهم وقيامهم. الله آمين.

وقسم آخر من الناس كان متلبساً ببعض الذنوب والمعاصي والآثام، فاعلاً بعض الكبائر العظام الجسام من ترك الصلاة وشرب للخمر، وقطع للأرحام وسماع الغناء الماجن ومشاهدة الفيلم الفاضح الداعر إلى غير ذلك من الكبائر التي تغضب الرب جل وعلا، وهذا

كله كان قبل رمضان، فلما أتى رمضان وأقبل بنوره وخيره وبركته، تأثر بروحانية شهر رمضان، وسكينة الصيام، وطول القيام، وتلاوة القرآن، وذاق حلاوة المناجاة وشعر بلذة القرب والإنس بالحي القيوم، بعدما جرب مرارة البعد والهجر، فعزم عزماً أكيداً على ترك ما سلف من ماضيه، فطلقه طلاقاً بائناً لا رجعة فيه، وعرف أنه كم كان مقصراً في حق نفسه وفي حق خالقه ومولاه ابتداءً.

وهذا الصنف إن صدق مع الله في عزمه فسيرى من الله ما يسره قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [سورة محمد:الآية ٢١].

فالخير كل الخير في الصدق مع الله تبارك وتعالى، والشر كل الشر في المكر والخداع والكذب مع الله، فإن عاقبة ذلك وخيمة ومرددة على صاحبها ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [سورة فاطر:الآية ٤٣].

يا غافلاً عن مصيره، يا واقفاً مع تقصيره، سبقك أهل العزائم وأنت في بحر الغفلة عائم، قف على الباب وقوف نادم، ، ونكس الرأس بذل وقل: أنا ظالم، وناد في الأسحار: مذنب وراحم، وتشبه بالقوم وإن لم تكن منهم وزاحم، وابعث بريح الزفرات سحاب ودمع ساجم، وقم في الدجى نادياً وقف على الباب تائباً، واستدرك من العمر ذاهبه ودع اللهو جانباً، وطلق الدنيا إن كنت للآخرة طالباً، وأحمد الله الذي بلغك ختام رمضان، واجعل من هذا الشهر المبارك

مرحلة تنقيه وتهذيب لسلوكك وأخلاقك، واعلم أن الله يتوب على من تاب ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ ﴾ [سورة المائدة:الآية ٣٩]. وتذكر قول نبيك صلى الله عليه وسلم حيث قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)(١).

وتذكر قصة ذاك الرجل الذي قتل مائة نفس وأراد أن يتوب فلما صدق مع الله في التوبة، تاب الله عليه وغفر له واعلم بأنك إذا تُبت إلى الله ورجعت إليه فرح الله بك فرحاً شديداً كما ثبت بذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم(٢) وأحاديث التوبة كثيرة فارجع إليها وجدد التوبة والأدبة مع الله ولنعزم أخي في الله من الآن على التوبة النصوح، ولنغتنم ذلك قبل فوات الأوان فما زال في العمر بقية ومازالت بسكينة الصيام قريبة العهد بنا.

أخي في الله:

تجد بعض الناس من الذين تاب الله عليهم في هذا الشهر وأقلعوا عما كانوا فيه من المعاصي والذنوب واقعين، وعزموا على التوبة الصادقة، تراودهم أنفسهم أحياناً إلى الرجوع إلى ما كانوا عليه

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤/٢١١٣/٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) حديث: قاتل مئة نفس متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، وحديث فرح الرب بتوبة العبد متفق عليه من حديث أنس.

قبل التوبة من المعاصي والآثام والملهيات المحرمة من سماع ونظر إلى ما حرَّم الله إلى غير ذلك من الذنوب ، فيجد الواحد منهم نفسه في مفترق طريقين ، ويختلج في صدره نداءين وداعيين.

الداعي الأول: هو نداء الفطرة السليمة ، وهو داعي الخير والإيمان يناديه ويقول له : امض في طريقك واسلك السبيل فأنت على الهدى والحق ولا تلتف لأي نداء آخر.

والداعي الثاني: هو نداء الهوى والنفس والشيطان ، وهو داعي الشر يناديه ويقول له : ائتنا هلم إلينا ، فلطالما اجهدت نفسك وحرمتها مما تشتهي ! فنقول لمن هذا حاله : يا أخي : تمهل واستمع فإني لك ناصح أمين ، وعليك مشفق.

أتراك بعدما ذقت حلاوة الطاعة ، تعود إلى مرارة العصيان؟ ! أتراك بعدما ذقت لذة الإنس والقرب والمناجاة تعود إلى لوعة البُعد والهجر والحرمان؟ ! أتراك بعدما صرت من خزب الرحمن تنقلب على عقبيك فتنضم إلى حزب الشيطان؟ ! أتراك بعدما حُسبت في عداد المصلين تترك الصلاة وهي عماد الدين وتُكتب من الغافلين؟ وهل يليق بك بعدما كنت في رمضان براً تقياً أن تصير في الإفطار جباراً شقياً؟ ! ما هكذا يكون المؤمن ، بل ما هكذا يكون العاقل المتبصر !.

أخي المسلم: يقول الرب جلا وعلا : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا ﴾ [سورة النحل:الآية ٩٢]. فإياك ثم إياك من نقض الغزل بعد غزله.. أرأيت لو أن إنساناً غزل غزلاً ، ثم صنع منه قميصاً أو ثوباً جميلاً.. فلما نظر إليه واعجبه.. جعل يقطع خيوط هذا الثوب وينقضها خيطاً خيطاً ، وبدون سبب.. فماذا يقول الناس عنه؟!

فهذا هو حال من يرجع إلى المعاصي والفسق والمجون ويترك الطاعات والأعمال الصالحة بعد رمضان ، فبعد أن تنعم بنعيم الطاعة ولذة المناجاة ، وحلاوة القرب ، تجده يرجع القهقري إلى جحيم المعاصي والفجور ، بعد أن أنقذه الله من هذا كله.

فبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان ، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ومن الخذلان بعد التوفيق ، ومن العمى بعد البصيرة ، ومن الشك بعد اليقين.

أخي المبارك: ولنقض العهد بعد توكيده أمور ومظاهر عديدة ومتنوعة عند الناس ، فمنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - ما نراه من بعض الناس إضاعتهم للصلاة مع الجماعة أو فرادى في أول يوم العيد ، فبعد أن كانت المساجد ممتلئة بالمصلين في صلاة التراويح ـ التي هي سُنة ـ نراها قد قلّ روادها في الصلوات الخمس

التي هي فرض، ويكفر تاركها!! فما إن انسلخ رمضان حتى اختفوا وانمحت آثارهم من المساجد، وقبعوا في بيوتهم، كأنهم استغنوا عن الله والعياذ بالله، أو كأن الواجبات سقطت عنهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢- التبرج والسفور والاختلاط في الحدائق والذهاب إلى الملاهي رجالاً ونساءً والاستماع إلى الأغاني الماجنة ومشاهدة الأفلام الداعرة العفنة التي تهجم هجوماً شرساً على العفة والحياء، والمعاكسات القبيحة الوقحة بأنواعها، والنظر إلى ما حرَّم الله، وكأن القوم فُك أسرهم وأطلق سراحهم بعد سجن طال أمده، وكأنهم نشطوا من عقال! وكأن المحرمات قد كان عليها حظر في رمضان ثم رُفع وأبيحت لهم بعد رمضان، فانطلقوا نحوها كالكلاب المسعورة التي ألهبها سياط الجوع وأضناها سوط الظمأ، وفجأة وجدت ما فقدت من الطعام والشراب والملذات، فاندفعت إليها بقوة، وانغمست فيها بشراهة، فأكلت حتى تخمت وشربت حتى ثملت، فهكذا القوم فهم ثمالى سكارى تتلاعب بهم الأهواء وتحركهم الشهوات غابت عقولهم، وحجبت عنهم الحقيقة فهم غرقى في بحر الشهوات والملذات المحرَّمة، ظلمات بعضها فوق بعض كلما أراد أن يخرج منها لا يستطيع، فإذا ما انتهى من شهوة بحث عن أخرى، فهو لا

يتروى ظمأه ولا تهدأ نفسه ، فهو دائم الطلب عن الحرام حثيث السير نحوه.

٣- ومن ذلك أيضاً السفر خارج البلاد للمعصية فترى الناس على أبواب وكالات السفر زرافات ووحدانا يتسابقون لشراء تذاكر السفر إلى بلاد الكفر والانحلال والفساد وإلى غير ذلك من المحرمات التي تغضب الرب سبحانه ، وكأن لسان حال القوم يقول : بأن الله يراهم وهم في داخل بلادهم أما خارجها فلا ! تعالى الله عما يظنون علواً كبيراً ، فالله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا يغيب عن ملكه وسمعه وبصره وعلمه شاردة ولا واردة إلا وعلم مستقرها ومستودعها فسبحان من أحاط بكل شيء علماً قال تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩ ﴾ [سورة الأنعام:الآية ٥٩].

وقال سبحانه : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سادسهم وَلَآ أدنى مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧ ﴾ [سورة المجادلة:الآية ٧].

يحكى أن رجلاً راود امرأة عن نفسها، فقالت له إن أردت فاذهب بنا في مكان لا يرانا فيه أحد، فذهب بها في الليل الدامس والظلام الحالك إلى صحراء بيداء، يبيدُ فيها البيد ويضيع فيها الذكي والبليد، وقال لها: أظن أن هذا المكان لا يرانا فيه أحد، ورفع بصره إلى السماء وقال: إلا هذه الكواكب، فقالت المرأة وأين مكوكبها؟ أين الله؟!

وهذا آخر يسير مع امرأة في الخلاء في إحدى الغابات ويقول لها بزهوه وغطرسطه: لو أردت أن أفعل بك ما أريد فلا يمنعني شيء، ولا يراني أحد! فسمع صوتاً من أعلى يقول: قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الملك:الآية ١٤].

نعم:

إذا ما خلوت بريبة في ظلمة — والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحى من نظر الإله وقل لها — يا نفس إن الذي خلق الظلام يران

دخل الأديب الكبير ثعلب على الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ فقال له الإمام: يا ثعلب! ماذا تحفظ من الشعر؟ قال: أحفظ قول القائل:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل — خلوت ولكن قل عليَّ رقيبُ
ولا تحسبن الله يغفل طرفة — وأن ما تخفيه عنه يغيبُ

فقام الإمام أحمد من مجلسه، ورمى ما في يده من الكتب، ودخل غرفة، وأغلق من دونه الباب، فسمع تلامذته بكائه من خلف الباب وهو يردد الأبيات:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل طرفه وأن ما تخفيه عنه يغيب

فسبحان من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء!

أخي في الله: أعلم - وفقني الله وإياك - أن من علامات قبول العمل والتوفيق اتباع الحسنة بحسنة مثلها، ومن علامات رد العمل والخذلان اتباع الحسنة سيئة قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٣ ﴾ [سورة محمد:الآية ٣٣].

فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فإن السيئات تؤثر على الحسنات، وقد قيل: ذنب بعد توبة أقبح من سبعين قبلها.

بكى بعض السلف عند الموت، فسُئل عن ذلك، فقال: أبكي على ليلة ما قمتها، وعلى يوم ما صمته، الله أكبر! فإذا كان هؤلاء الأبرار يبكون ويندمون عند الموت على ترك النوافل، فما بالك بندامة من ضيع الفرائض؟

أخي الكريم: إن للقبول والربح في رمضان علامات واضحة، وللخسران والرد علامات أيضاً واضحة وضوح شمس في رابعة النهار، يعرفها كل إنسان في نفسه، ففكر في نفسك!.

فمن كان حاله في الخير والاستقامة بعد رمضان أحسن من حاله قبله من حسن سلوك وابتعاد عن المعاصي وحرص على الطاعة وحب الخير فهذا دليل على قبول أعماله الصالحة في رمضان، ودليل على ربح تجارته في رمضان.

ومن كان حاله بعد رمضان كحاله قبله أو أسوأ منه مقيم على المعاصي، غارق في الملذات منغمس في الشهوات المحرمة من سماع وطرب ومجون ومشاهدة إلى ما يغضب الرب جل جلاله، بعيد عن الطاعة متخاذل، نشيط في ارتكاب المعاصي ومسارع، تارك ما أوجبه الله عليه، يسمع النداء للصلاة فلا يجب، ويعصي الله ولا يخاف ويتوب، لا يدخل مع المسلمين في بيوت الله، لا يشهد الجمعة ولا الجماعات لا يتلو كتاب الله ولا يتأثر بالوعد والوعيد، ولا يردعه التهديد، سماعه للأغاني والمزامير، ونطقه قول البهتان والزور، وشرابه الدخان والمخدرات والخمور، وماله من الرشوة والربا، وبيع السلع المحرَّمة، وسلوكه الكذب والخداع في المعاملة والغش والفجور، فمن كان هذا حاله، فماذا استفاد من رمضان؟ ومن مواسم المغفرة

والرضوان؟ إنه لم يستفد سوى الآثام والخذلان والخسران والعقاب والنيران، والخيبة والحرمان فيا عظم الخسارة ويا فداحة المصيبة، ويا هول العقوبة، ويا شدة الفاجعة، نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الكسل بعد المنشط، ومن الفتور بعد الهمة، ومن البعد بعد القرب، ومن الهجر بعد الوصل.

فاتق الله يا أخي وواصل السير إلى الله، فمن زرع وتعاهد زرعه بالسقيا حصد، ومن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادماً يوم الحصاد.

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر

أخي الكريم:

تذكر بمضي الليالي والأيام والليل والنهار، سرعة انقضاء الأعمار وقرب الرحيل من الديار، فكم لك في المواعظ فيمن تعرف ممن فارقوا المنازل والقصور، وما كانوا فيه من النعيم والحبور، فسكنوا الأجداث والقبور، وانتقلوا من ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ومن التنعم بالأكل والشراب إلى التمرغ في الوحل والتراب، ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل.

فالسعيد من وُعظ بغيره، واتعظ وعقل عن الله أمره فخافه، وأدى ما عليه فرض وإن الشقي من فرط في ماضيه، ولم ينتفع من

أيامه ولياليه، ولم يتدارك بقية عمره في الإنابة إلى خالقه وباريه، والمسارعة في التقرب إلى المنعم عليه بما يرضيه، قبل أن يوقف رغم أنفه بين يدي ربه، وإذا بالمولى سائله فماذا يكون جوابه؟ وإذا قرره بما جنته يداه في دنياه، فبما يكون اعتذاره وشهوده من نفسه ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة يس:الآية ٦٥]. وقد ثبت: أن من نوقش العذاب فقد عذب.

وهناك قسم آخر من الناس فرط في تلك الثروة العظيمة والتجارة الرابحة، فلم يرعها حق رعايتها، فحرم نفسه خيراً كثيراً واكتسب وزراً كبيراً، وخسر خسراناً مبيناً، فهذا الشقي هو الذي لم يردعه الصيام عن فعل المعاصي والآثام، ولم يتغير عن ماضيه قبل رمضان فكان صيامه عن الطعام والشراب فقط، هذا إن صام! وهذا أهون الصيام كما قال بعض السلف: أهون الصيام أن تصوم عن الطعام والشراب، فهو في نهار رمضان قوله زوراً وبهتاناً، صام عن الطعام والشراب، وأفطر على لحوم المسلمين وأعراضهم من السب والشتم والهتك، وسمعه على ما حرم الله من اللهو واللغو والطرب والموسيقى، وبصره على ما حرم الله من مشاهد العري والفساد

والخلاعة، وإذا جن عليه الليل فهو مرتكب لكبائر شارب للخمر مدمن للمخدرات عابس بأعراض الناس فهو في كل أحواله مضيع لحدود الله، فلا يأتمر بأمر ولا ينتهي بنهي، فهو في كل وادي من أودية المعاصي هائم، ولكل باب من أبواب الشر طارق ومقبل، ولأبواب الخير والبر صاد ومدبر.

فقل لي بالله عليك: أي رمضان كان عند من هذا حاله؟ هل يتوقع أن يتغير حاله بعد رمضان؟ فهو بعض رمضان أشد ضراوة من رمضان، فهو متخبط في مستنقع المعاصي الآسن مرتكب لكل صغيرة وكبيرة ولم يترك شاذة ولا فاذة ولا شاردة ولا واردة إلا اقترفها بكلتا يديه وما يملك من سبيل، وكأنه في سباق يريد أن يفوز بجدارة.

نعم: هو في سباق لكن مع الهوى والنفس والشيطان.

فهو ملازم للمعصية مصراً عليها لا يهدأ له بال، ولا يسكن له خاطر ولا يستقر له قرار، مضطرب دائماً غير هادىء، قلق غير مطمئن، ينتقل من معصية إلى أخرى باحثاً عن الراحة والمتعة فلا يجد إلا التعب والشقاء، وصدق الله حيث يقول: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) في الدنيا (ونحشره يوم القيامة أعمى..) إن لم يتب إلى الله.

ومع ذلك فهو غير مكترث بما يفعل ، بل أصبحت هذه المعاصي ملازمة له ليل نهار ، فهو ينام على معصية الله ويقوم على معصية الله ، وهذا من خلو القلب من محبة الله وعدم خشيته مما يؤدي إلى عدم الخوف من الله.

فإن القلب إذا خلا من محبة الله وانشغل بمحبة من سواه أورث ذلك عدم خشية لله ، فإذا كان الحال كذلك ، فإنّه لا يعرف لله قدره ، ولا يدرك له فضله ونعمه ، ولا يشعر بإحسان الله إليه ، وامتنانه عليه ، فتهين عنده أوامر الله ونواهيه ، فلا يخضع لربه ومولاه ، فترتفع في ساحته ألوية الحرب والتعدي ، والتمرد على حدود الله ، فهو منتهك لحرمات الله سراً وعلانية ، بالليل والنهار بالقول والفعل ، وهو بذلك قد آثر الهجر على الوصال ، والبعد عن القرب ، فلا تراه إلا قد حيث نهاه الله ، وتفتقده فيما كان يحب أن يراه الله ، فهو للشيطان خليل ، وللنفس سامع مطيع وللهوى صديق حميم ، ولربه ومولاه وخالقه عدو لئيم ، ومعاند ذميم فهو للشر مسارع ومناضل ، وقلبه حاضر ، وللخير متوان ومتخاذل وقلبه غافل ، فيا حسرة قلبه وشدة أسفه عندما يجني ما زرعت يداه في وقت الحصاد ، وذلك عندما تنفطر السماء ، وتنثر الكواكب وتفجر البحار ويبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ، عندما ينتقل هذا المسكين من عالم الغيب إلى عالم الشهادة

والمعاتبة ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران:الآية ٣٠](١).

فيا من هذا حاله أفنيت عمرك في اللعب وأنت عنيد، وغيرك فاز بالمقصود وأنت منه بعيد، غيرك على الجادة وأنت في شهوات وتنكيد، تُرى متى يقال: فلان عن المعاصي رجع واستقال! ياله من يوم سعيد متى تخرج من الهوى وترجع إلى مولاك العزيز الحميد!

يا مسكين، لو عاينت قلق التائبين، وتململ الخائفين من هول الوعيد، جعلوا قرة أعينهم في الصلاة والزكاة والتزهيد، وأهل الحرمان ضيعوا الشباب في الغفلة، والشيب في الحرص والأمل المديد، لا بالشباب انتفعت ولا عند المشيب ارتجعت، يا ضيعة الشباب والمشيب ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة سبأ:الآية ٥١].

أخي في الله:

إن مواسم الخير بين أيدينا موصولة ومتكررة فبين أيدينا موسم يتكرر في اليوم والليلة خمس مرات وهي الصلوات الخمس التي فرضها الله علينا، فهي تدعونا لحضورها في المساجد لنقف بين يدي الله

---

(١) وللمزيد انظر: كتابنا الخوف من الله.

نستغفره ونسأله التوبة والفضل من عنده، وهناك أيضاً موسم وعيد، يتكرر كل أسبوع وهو يوم الجمعة الذي اختص الله به هذه الأمة، وفيه ساعة إجابة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه.

وبين أيدينا مواسم في جوف الليل، وفي وقت الأسحار، وفي دبر كل صلاة من ذكر واستغفار وتوبة وتلاوة للقرآن.

أخي:

إن فضل الله علينا متواصل، ومواسم المغفرة لا تزال متتالية لمن وفقه الله لاغتنامها، فإنه لما انقضى شهر رمضان دخلت أشهر الحج إلى بيت الله الحرام، فكما أن من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، فكذلك من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه. فما يمضي من عُمر المؤمن ساعة من الساعات إلا ولله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات.

فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف ويتقرب بها إلى مولاه، فأشكر الله على هذه النعم واغتنمها بطاعته ولا تضيعها بالغفلة والإعراض عنه.

اللهم كما بلغتنا شهر رمضان فاجعل عامه علينا من أبرك الأعوام وأيامه من أسعد الأيام، وتقبل منا ما قدمناه فيه من الصيام

والقيام واغفر لنا ما اقترفنا فيه من الآثام ، وخلصنا مـن مظالم الأنـام ، يوم لا يرجى فيه سواك يا علام.

اللهم عالم الخفيات ويا دافع البليات ، ويا كاشف الكربات ، ويا مجيب الدعوات ، أعتق رقابنا ووالدينا وأقرباءنا وأزواجنا من النار ، وما فيها من اللفحات ، وارفع لنا بصيام شهر رمضان عنـدك الدرجات وانفعنا بما صرّفت في كتابك مـن الآيات ، وكفر بتلاوته عنـا السيئات وضاعف لنا الحسنات ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

۞۞۞

خاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى، ولك الحمد على حمدنا إياك.

بهذا نكون قد انتهينا مما يسر الله لنا جمعه في هذا الكتاب الطيب المبارك (**واحات الإيمان في ظلال شهر رمضان**) أسأل الله أن يكون جاء موافقاً لعنوانه، كما أسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يتقبله منا خالصاً لوجهه الكريم ليس لأحد من خلقه فيه نصيب وأن يجعله في ميزان الحسنات يوم نلقاه، وأن ينفعنا بما جاء فيه وينفع به الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه ومولاه.

ونسأل الله أن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، والله يعلم أنا ما تعمدنا الخطأ، بل تحرينا الصواب ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، ولكن الخطأ شيء وارد والنسيان من خصائص الإنسان، وكم ترك السابق

للاحق، فإن وفقت فهذا فضـل الله ومنّه وكرمه، وإن كـانت الأخـرى فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء ولا حول ولا قوة إلا بـالله، وهذا جهد مقل، ولا يلام المرء بعد استفراغ جهده.

ثـم إننـا نـهيب بإخواننـا أن يوافونـا بمـا مـنَّ الله عليـهم بـه مـن ملاحظات ولهم عند الله في ذلك الأجر.

وصلِ اللهم وسلم وبـارك علـى سيدنا محمـد وعلـى آلـه وصحبه وسلم تسليماً كثيراً سبحانك اللـهم وبحمـدك نشـهد أن لا إلـه إلا أنـت نستغفرك ونتوب إليك، انتهى الجزء الثاني من كتاب (**واحـات الإيمـان في ظلال شهر رمضان**) والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

تم الفراغ منه ١٤٢٢/١/٢٥هـ
أبوعبدالرحمن خالد بن حسين بن عبدالرحمن
غفر الله له ولوالديه والمسلمين
آمـيـن
الرياض — حي السويدي — ش السويدي العام
ت : ٠١/٢٦٧٢٢١٨

فهرس الموضوعات

٦- الاعتكاف

● **الواحة الإيمانية السابعة عشرة**

تم بحمد الله فهرس الجزء الثاني من كتاب
(**واحات الإيمان في ظلال شهر رمضان**) .

وضعه
خالد بن حسين بن عبدالرحمن
غفر الله له ولوالديه والمسلمين
آمين

واحات رمضانية للمرأة فقط

إعداد

القسم العلمي بدار طويق

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار طويق للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله وصحبه أجمعين..

وبعد:

فعلى المرأة المسلمة تقع المسؤولية العظمى، فهي تربي الأبناء وتعين الزوج، وترعى شؤون بيتها، وفي الحديث: «**والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**».

ولإيماننا بخطورة هذه المسؤولية جمعنا للمرأة المسلمة هذه المادة التي تضمنت كثيرا من الواحات الرمضانية التي تهم المرأة في شؤون الصيام ورعاية الزوج، والأبناء، والقيام بالرضاعة، وإعداد الطعام، وترتيب المنزل، وصلة الرحم إضافة إلى الصيام والقيام والذكر.

سائلين الله تعالى أن يصلح شأن الأسرة المسلمة حتى تكون لبنة قوية في بناء الأمة، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الناشر

أفكار رمضانية للنساء

في المؤسسات الدعوية ودور التحفيظ

شعار الابتداء.. زمان عبادة

هذا الشعار يجب أن يكون في ذهن كل من تتولى أمر نشاط النساء، فيجب قبل إعداد أي برنامج، التأكد من أن الفكرة لا تحمل إخلالاً بروحانية الشهر.. مع استشعار عظم المسؤولية، وذلك لا يكون إلا بتحويل هم الدعوة إلى همة وعطاء.

قبل رمضان

*الإكثار من الدعاء بصلاح النية والعمل، واستشعار العبء والمسؤولية، والقراءة في كتب الهمة، والآداب.

*القراءة في كتيبات الأفكار الدعوية والمواقع المختصة بذلك على الشبكة وسماع الأشرطة في ذات التخصص، ومن ذلك موقع صيد الفوائد، والمنتديات الإسلامية في قسم الأنشطة، ومن الأشرطة شريط أربعين وسيلة لاستغلال شهر رمضان للدكتور إبراهيم الدويش.

*التخطيط الشامل للبرامج وكتابتها بشكل منظم، ويفضل جدولتها.

*إطلاع مشرف الدار على البرامج لأخذ موافقته عليها، مع الاتفاق على الميزانية المقترحة.

*يفضل شراء العدد المتوقع من هدايا الحفل الختامي، وجوائز المسابقات اليومية، حتى لا تضطرين للذهاب إلى السوق في رمضان.

*تسمية اللجنة واختيار العضوات وإعلامهن بالمهمات قبل وقت كاف لا يقل عن أسبوعين.

*تحديد المواعيد مع الداعيات مبكرا حتى لا تربك جداولهن، واختيار المواضيع سلفاً.

*الإعلان عن الأنشطة بعدة طرق وبوسائل جذابة، كاللوحات الحائطية، وتوزيع منشورات على البيوت القريبة من الدار أو المؤسسة، ويمكن استخدام رسائل الجوال، ومنتديات الإنترنت، وهكذا.

مدة البرنامج

البرامج تستمر مدة ١٩ يوماً، ويكون الختام في اليوم التاسع عشر بحفل ختامي مصغر، ويفضل استضافة إحدى الدعايات فيه.. حتى نترك العشر الأواخر للتلاوة والقيام.

اليوم الأول..

يبدأ بحفل تعارف بسيط تشرح فيه البرامج، ويفضل استضافة داعية لشحذ الهمم، مع توزيع الهدية الرمضانية، وهي عبارة عن مجموعة نافعة من كتب وأشرطة ومنشورات تختص بالأحكام الرمضانية.

أفكار يومية

*توزيع مطويات متنوعة الأفكار.. كفضل التلاوة، وفضل الصدقة، وأخطاء رمضانية شائعة، وفضل العمرة.. ونحوها.

*توزيع شريط كل أسبوع، مع وضع مسابقة سريعة عليه كسؤال واحد فقط لكل شريط تختار فيه فائزة واحدة بعملية السحب.

*توزيع حقيبة دعوية، تحوي عدة كتيبات صغيرة شاملة، ويمكن وضع مسابقة بسؤالين على كل كتيب، والاختيار بعملية السحب.

*تقسيم حلقات الحفظ، بحلقة للبراعم، وحلقة للأمهات، وحلقة المستويات المختلفة، يتم فيها تحديد السور أو الأجزاء منذ البداية، ويشارك الجميع في حفظها يمكن توزيع شريط المصحف المعلم الخاص بالجزء المقرر حفظه لكل حلقة، وهذا خاص بطالبات الحلقات.

*حلقات المراجعة، وهي للخاتمة التي تريد المراجعة، أو لمن لا ترغب في الحفظ وتريد مراجعة ما سبق لها حفظه.

*سلم المتفوقات، وهذه تجربة أثبتت نجاحها الساحق، وأدت إلى تنافس جميل بين النساء بمختلف فئاتهن، وفكرتها تقوم على لوحة حائطية لكل حلقة، تكتب الأسماء في أسفلها، ويرتفع فوق كل اسم عدد من المربعات، كل مربع يمثل حفظ صفحة من المصحف، ويتم التلوين فيها من قبل المعلمة – أمام الطالبات–بحسب حفظ الطالبة،

حتى تتم المربعات وصولاً إلى أعلاها، والأولى وصولاً تكون لها جائزة كبيرة، وستكون اللوحة رائعة إذا كان لكل طالبة لونها الخاص.

خلال ثلاثة أسابيع

*إقامة درس أسبوعي بطالبات منتظمات يسبق تسجيلهن، في العقيدة، أو الفقه، أو التفسير، أو الحديث، ويكون بالقراءة من كتاب محدد، وذلك بالاتفاق مع إحدى المتخصصات في العلوم الشرعية، التي تدرس مثل هذه الدروس.

*إقامة محاضرة أسبوعية، ويفضل أن تكون وعظية، أو تتعلق بأحكام رمضانية.

*مسابقة الشهر العائلية، كأن تكون متنوعة، أو على كتاب: (كالملخص الفقهي لابن فوزان أو مختصر السيرة النبوية لابن عبد الوهاب) وغيرهما.

*إخراج نشرة إخبارية راصدة لكل ما تم إنجازه وفعله، تكون عامرة بالفوائد، والتذكير، والشكر، ويمكن إضافة آراء المشاركات، وكتاباتهن.

أفكار إضافية

*مثاليتنا، يتم فيه اختيار المحافظة على الحجاب الشرعي، والسمت الحسن، والجدية في الحفظ، والمواظبة في الحضور، وتكافأ في الحفل الختامي.

*حلقة الخادمات، هناك كثير من الخادمات في بيوتنا، مسلمات يصلين ويصمن الشهر، ويذهب نهارهن وليلهن في العمل دون أي تغذية روحية، فلم لا تكون لهن حلقة خاصة، تعلمهن مبادئ العقيدة الصحيحة، وأركان الإسلام، وطريقة الصلاة الصحيحة، وإعطاؤهن كتبا بلغاتهن المختلفة، فهن أخواتنا المسلمات، ولهن علينا حق الدعوة والتعليم.

*استضافة مؤسسات، يفضل التنسيق مع إحدى المؤسسات الخيرية أو الدعوية، كالجاليات أو جمعيات الصدقات، لاستضافة إحدى الأخوات منهن، تعرف بنشاط الجمعية وتوجهاتها، وأعمالها، واحتياجاتها، سيفتح ذلك باب عظيما للصدقات في هذا الشهر المبارك.

*لقاء مع طبيبة، يمكن استضافة طبيبة نسائية، تجيب النساء عن أسئلتهن الصحية عن الصيام ونحوه، وستكون لفتة رائعة للنساء.

*صندوق للفتاوى: وضع صندوق للفتاوى عند النساء ثم جمعها وإعداد الإجابات عنها بالاتفاق مع أحد المشايخ الكرام، ثم عرضها كل فترة (ثلاثة أيام مثلاً) فإن لدى الناس كثيرا من الأسئلة، خاصة في رمضان – يحتاجونها في أمور دينهم لكنهم لا يجدون من يسألونه، فيتهاونون في ذلك، ومثل هذه الصناديق ستكون ميسراً لهم لمعرفة كثير من المسائل.

أخيراً

قال السلف: إن أمرا مبتدأ بالإخلاص، فمنتهاه القبول.. وقال

الإمام مالك رحمه الله: ما كان لله بقي، لذلك يتأكد في هذه المحافل الاستشعار الكبير للمسؤولية والقدوة الحسنة، خاصة مع المقام الجماهيري الذي ستقفينه، فأنت ببرامجك ستعرفين عند فئة غير قليلة من مرتادات الدار أو المؤسسة، وسيكون في ذلك امتحان عسير لمنابذة الرياء، وكسر العجب، وإخلاص النية، وحسن السمت، وتواضع الجانب، وكريم الأخلاق.. فكوني بقدر ذلك كله!

أيضا تنبهي ألا يكون في أنشطتك إخلال بأي من:

*حق الله تعالى، فلا تجعليها تأخذ الوقت كله وتصدك عن الصلاة وذكر الله وتلاوة القرآن، والتعبد الخاص بك.

*حقوق الأسرة والبيت وخصوصاً الزوج والأولاد، أو الوالدين، وصلة الرحم.

*الأمور الواجبة كوظيفتك أو دراستك فتلك أمور تحاسبين عليها، أما هذا النشاط فهو تطوعي تشرفين عليه.

ثم تأكدي – أختي العزيزة – أن الأمر مسؤولية على كل من وجدت في نفسها قدرة على القيام به، وثقي أن الله سيسهل أمرك، ويعينك وستجدين الثمرة عاجلاً بإذن الله.

رمضان وتربية الأولاد

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن رمضان شهر التربية، وشهر المحاسبة، وشهر المراجعة.

فالمؤمن يربي نفسه في رمضان، ويربي من تحته على الفضائل، ويحاسب نفسه، ويراجع حاله مع ربه، ومع الأمانات التي ائتمنه الله عليها.

وإن من أهم المهمات، وأوجب الواجبات على المؤمن؛ رعايته لأولاده، وتربيته لهم.

وهذا الشهر الكريم فرصة مباركة، لكي يقف الإنسان مع نفسه، وينظر في حاله مع أولاده، فإن كان محسنا حمد الله، وزاد إحساناً، وإن كان مقصرا نزع عن تقصيره وتدارك ما فات.

والأولاد أمانة في أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمان.

قال الله – سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ [النساء: من الآية ٥٨].

وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم:٦].

وقال النبي ﷺ: «**كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته**» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**» [متفق عليه].

فالبيت هو المدرس الأولى للأولاد، فالولد قبل أن تربيه المدرسة أو المجتمع؛ يربيه البيت والأسرة.

وهو مدين لأبويه في سلوكه الاجتماعي المستقيم، كما أن أبويه مسؤولان إلى حد كبير عن انحرافه الخلقي.

قال ابن القيم رحمه الله: (وكم ممن شقي ولده، وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهمال، وترك تأديبه، وإعانته على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء).اهـــ.

والتقصير في تربية الأولاد يأخذ صوراً شتى، ومظاهر عديدة؛ تسبب في انحراف الأولاد وغيرهم. وإذا تأملت تلك الأنماط الخاطئة في التربية، رأيتها تدور ما بين إفراط وتفريط.

فمن الأخطاء في تربية الأولاد:

*تنشئتهم على الجبن والهلع والخوف والفزع، فذلك يلاحظ على كثير من الناس، فتجدهم يخوفون أولادهم إذا بكوا أو أزعجوا؛ ليسكتوا ويهدؤوا. فتجد بعض الناس يخوفهم بالغول، أو

الحرامي، أو العفريت، أو صوت الريح أو نحو ذلك. وبعض الناس يخوفهم بالأستاذ، أو الطبيب أو المدرسة، وإذا جرح الولد أو أصيب بأي مصيبة أخذت الأم تولول، وتلطم وجهها، وتضرب صدرها وهكذا ينشأ الولد جبانا رعديداً يخاف من ظله، ومما لا يخاف منه.

*تربية الأولاد على التهور، وسلاطة اللسان، والتطاول على الآخرين، وتسمية ذلك شجاعة، وهذا نقيض الأول، والحق إنما هو في التوسط.

*تربية الأولاد على الميوعة، والفوضى، وتعويدهم على البذخ، والترف، والإغراق في النعيم، وبسط اليد لهم، وإعطاؤهم كل ما يريدون. فمثل هذه التربية تفسد فطرهم، وتقضي على استقامتهم، ومروءتهم، وشجاعتهم، وفي مقابل ذلك نجد من الوالدين من يأخذ أولاده بالشدة المتناهية، فتارة يقسو عليهم أكثر من اللازم، فيضربهم ضربا مبرحاً إذا أخطؤوا ولو للمرة الأولى، ويبالغ في توبيخهم عند كل صغيرة وكبيرة، ويحرمهم من العطف والشفقة والحنان، ويقتر عليهم في النفقة؛ فلا ينفق عليهم إلا الأنفس، وهذا النمط من التربية يفسد الأولاد، ويقضي على إنسانيتهم، ويقودهم إلى البحث عن المال أو العطف خارج المنزل إما: بالسرقة، أو بسؤال الناس، أو الارتماء في أحضان رفقة السوء.

*أن يقتصر اهتمام بعض الوالدين على المظاهر فحسب، فيرى أن التربية مقتصرة على توفير الطعام الطيب، والشراب الهنيء، والكسوة الفخمة، والدراسة المتفوقة، ولا يدخل عندهم تنشئة الأولاد؛ على التدين الصادق، والخلق الكريم.

*المبالغة في إحسان الظن بالأولاد، فتجد من الوالدين من لا يتفقد أولاده، ولا يعرف عن أحوالهم، ولا أصحابهم شيئاً، وتراه لا يقبل فيهم عذلاً، ولا عدلاً، ولا صرفا وذلك لفرط ثقته بأولاده. بل ربما دافع عنهم إذا شكاهم أحد إليه. وفي مقابل ذلك، تجد من يبالغ في إساءة الظن بأولاده فتراه، يتهم نياقمم، ولا يثق بهم البتة، ويشعرهم بأنه وراءهم في كل صغيرة وكبيرة، دون أن يتغاضى عن شيء من هفواقمم أو زلاقمم.

*التفريق بينهم، سواء كان ذلك مادياً، أو معنوياً؛ فهناك من يفرق بن أولاده في العطايا، والهدايا، والهبات، وهناك من يفرق بينهم بالملاطفة والمزاح والمحبة، إلى غير ذلك من صور التفريق، التي تسبب شيوع البغضاء، وتبعث على النفور والتنافر، وفي الحديث «**اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم**».

*ترك المبادرة في تزويج الأبناء، مع الحاجة والقدرة، وتأخير تزويج البنات، والمتاجرة بهن، وتزويجهن بغير الأكفاء. وهذا من إضاعة الأمانة، والتسبب في شقاء الأولاد.

*تسميتهم بأسماء سيئة أو مخالفة، فمن الناس من لا يأبه بذلك، ومنهم من يسمي ولده بالاسم القبيح، بحجة أن جده فلانا، أو جدته فلانة تسموا بهذا الاسم، فهو يرى أن من البر، أن يسمى بأسمائهم، ولو كانت غير مناسبة. ومن الأخطاء التي تقع في تسمية المواليد تسميتهم بالأسماء الممنوعة شرعاً؛ كتسميتهم بأسماء الله المختصة به مثل: أن يسمى الولد بالأحد، أو الرحمن، أو الخالق.

ومن ذلك تسميتهم بالأسماء المعبدة لغير الله مثل: عبد النبي، أو

عبد علي، أو عبد الحسين، وكذلك تسميتهم بالأسماء الأجنبية، الخاصة باليهود والنصارى؛ لأن هذا يجر ولو على المدى البعيد إلى موالاتهم. ومن الخطأ في التسمية، تسميتهم بأسماء الجبابرة، والطواغيت. وتسميتهم بالأسماء التي يظن أنها من أسماء الله كالتسمية بـــ(عبد المقصود، وعبد الموجود، وعبد الستار). ومن ذلك تسميتهم بالأسماء المكروهة أدبا وذوقا، كالأسماء التي تحمل في ألفاظها تشاؤماً أو معاني تكرهها النفوس. ومن ذلك تسميتهم بالأسماء التي تسبب الضحك والسخرية، أو التي توحي بالتمتع، والغرام، وخدش الحياء.

*مكث الوالد طويلا خارج المنزل؛ خصوصا إذا كان ذلك لغير حاجة؛ فهذا يعرض الأولاد للفتن، والمصائب، والانحراف، ويحرم الأولاد من النفقة والرعاية.

*الدعاء عليهم قال النبي ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء؛ فيستجيب لكم**» [رواه مسلم].

*تربيتهم على سفاسف الأمور، وسيء العبارات، ومرذول الأخلاق، ومن ذلك: فعل المنكرات أمام الأولاد، والعهد للخادمات والمربيات بتربية الأولاد؛ خصوصا إذا كن غير مسلمات.

احتقارهم، وترك تشجيعهم، فبعض الناس يسخر كثيرا بأولاده، ويشنع عليهم إذا أخطؤوا، ويسكتهم إذا تكلموا؛ مما يجعل الولد عديم الثقة بنفسه، وأشد صور السخرية، أن يسخر بالولد إذا

استقام على طاعة، فتجد من الآباء من يسخر بابنه إذا رآه مستقيما مطبقا للسنة مقبلا على العلم، فهذه السخرية قد تسبب انحراف الولد، فيكون عالة على والده، وسببا لجر البلايا إليه، وما علم ذلك الوالد أنه هو الرابح الأول من صلاح ابنه في الدنيا والآخرة.

*ومن الخطأ في التربية قلة العناية بتربية الأولاد على تحمل المسؤولية، وعدم إعطائهم فرصة للتصحيح والتغيير للأفضل.

وهكذا ينشأ الولد وهو يشعر بالنقص، وقلة الثقة بالنفس.

ومما يتسبب في ضياع الأولاد وانحرافهم:

*كثرة المشكلات بين الوالدين.

*ترك البنات يذهبن للسوق بلا محرم.

*إهمال الهاتف وترك مراقبته.

*الغفلة عما يقرأه الأولاد.

*قلة الاهتمام باختيار مدارس الأولاد.

*قلة التعاون مع مدارسهم أو انعدامه بالكلية.

هذه بعض مظاهر التقصير في تربية الأولاد.

فماذا نأمل بعد هذا الإهمال؟!! وماذا سنحصد من جراء هذا التقصير؟!!

ومن هنا نعلم أي جناية نجنيها على الأولاد حين نقذف بهم إلى معترك الحياة في جو هذه التربية الخاطئة!

ثم ما أسرعنا إلى الشكوى إذا رأيناهم عاقين متمردين، ونحن قد غرسنا بأيدينا بذور الانحراف!

محمد الحمد

موقع: يا له من دين

صيام الأم المرضعة في رمضان

الدوخة والزغللة ونقص إدرار اللبن..

أعراض ترخص الإفطار

تحتاج الأم المرضعة إلى غذاء متوازن ودعم بالفيتامينات خلال فترة الإرضاع حتى تتمكن من الالتزام بالرضاعة إلى حوالي ٨ رضعات يوميا في المتوسط، وعليه فقد رخص الإسلام للمرضعة الإفطار في رمضان، نظراً لحاجتها المتزايدة لتعاطي السوائل، خاصة إذا كانت تشكو من قلة إدرار اللبن. ويمكن للمرضعة الاستمرار في الرضاعة أثناء الصيام لأن تكون الحليب الطبيعي لا يأتي مباشرة من الأكل الذي تتناوله الأم ولكن يأتي من مخازن المواد الغذائية في جسمها والتي تعطي جسمها القدرة على تحمل ساعات الصيام أثناء النهار دون طعام أو شراب.

لبن الأم أساساً مكون من ماء وكالسيوم وبروتينات ودهون، أي يجب أن تكون كل هذه المواد متوفرة في جسمها وهي ترضع طفلها عن طريق الغذاء الصحي المتكامل مع بعض الأملاح والفيتامينات والسعرات الحرارية اللازمة.

الدكتورة منال خورشيد: استشارية طب الأسرة ومنسق برنامج الرضاعة الطبيعية بمراكز الرعاية الصحية الأولية بصحة جدة، تقدم نبذة عن الأغذية المطلوبة وكمياتها خلال فترة الرضاعة لتغطية

احتياجات الأم حسب عمر الطفل الرضيع. كما يأتي:

أولا: خلال فترة الرضاعة منذ الولادة حتى ٦أشهر للرضيع، والتي يفضل أن تكون الرضاعة الطبيعية فيها مطلقة بدون أي إضافات حتى الماء:

*الطاقة بزيادة ٥٥٠كيلو كالوري عن احتياج الأم اليوم العادي.

*البروتين بزيادة ٢٥غم/ يوم.

*الدهون بزيادة ٤٥غم/يوم.

*الكالسيوم ١٠٠٠ملغم/يوم.

*الحديد٣٠ملغم/يوم.

ثانيا: خلال فترة الرضاعة من عمر ٦-١٢ شهرا من عمر الرضيع، وهي فترة الفطام التي يبدأ فيها الرضيع تناول الأغذية التكميلية إلى جانب لبن الأم، فتكون احتياجات الأم الغذائية أقل من الفترة السابقة: الطاقة بزيادة ٤٠٠ كيلو كالوري/يوم.

*البروتين بزيادة ١٨غم/يوم.

الدهون بزيادة ٤٥غم/يوم.

*الكالسيوم بزيادة ٥٠٠ ملغم/يوم.

*الحديد ٣٠ملغم/يوم.

*بالنسبة للفيتامينات يفضل زيادة تناول الأغذية التي تحتوي

على كميات وفيرة من فيتامين إيه، سي، بي١، بي١٢، بي١، وحمض الفوليك.

*زيادة تناول الماء والسوائل بكمية تعادل ١٠-١٢ كوب ماء يومياً

يتضح مما سبق ذكره أن الزيادات في احتياجات الأم المرضعة يمكن تداركها أثناء الفترة بين الفطور والسحور بتوزيع الغذاء بشكل منظم كما يلي:

تناول وجبة متكاملة عند الإفطار وتحتوي على كميات ملائمة مما سبق ذكره من أغذية وسعرات حرارية.

*تناول وجبة ثالثة بين الفطور والسحور في الفترة بين الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة ليلا تضمن توفر الكمية اللازمة من السعرات الحرارية.

*تأخير السحور إلى آخر وقت قبل الإمساك.

*تناول الكثير من الفواكه والخضروات واللبن.

*تناول الفيتامينات اللازمة بعد مشورة الطبيب.

*الإكثار من شرب السوائل خاصة في الجو الحار بحوالي ٣-٣.٥ لتر يوميا بعد الإفطار، وليس شرطا أن تكون على شكل ماء صاف، وإنما يدخل تحتها كل السوائل مثل الشوربة والعصائر.

*تناول الأغذية التي تزيد من إدارة اللبن مثل الحلبة حسب ما ثبتت صحته بالدراسات العلمية.

*أن تقلل من المجهود العضلي خلال النهار حتى تستهلك سعرات حرارية أكثر، خاصة في الفترة بين العصر والمغرب وهنا لا يخفي علينا دور الزوج في ذلك في مساعدة الأم المرضعة على مسؤولياتها خلال نهار رمضان ما أمكن ذلك.

*يمكن للمرضعة تناول شيء من التمر أو العسل قبل الإمساك مباشرة لتحصل على قدر كاف من السعرات الحرارية التي تساعدها خلال الصيام في النهار.

يفضل التقليل من الأغذية التي تحتوي على البهارات والملح الكثير حتى لا يزيد إحساسها بالعطش خلال النهار وهي صائمة.

*ويمكن للمرضعة أن تبدأ بتعويد نفسها على الصيام خلال شهر شعبان وبذلك تحقق فائدتين: وهما ثواب الصيام والتدريب على الصيام والرضاعة معا قبل الشهر الفضيل.

ولا بد من معرفة علامات كفاية الرضيع من حليب الأم أثناء النهار وهي:

*منظر الرضيع يدل على الحيوية والنشاط.

*ينام بعمق وراحة تامة لفترات في مجملها ١٥-٢٠ ساعة تقريبا خلال الأشهر الثلاثة الأولى ثم ١٤-١٥ ساعة يوميا فيما بعد.

*التبرز من مرتين إلى ٤ مرات يوميا برازا أصفر ذهبي اللون، رائحته حمضية لبنية ويحتوي على حبيبات صغيرة.

*زيادة وزنه بمعدل ٣٠جم يوميا أو ١٨٠-٢٤٠غراما أسبوعياً.

*البكاء فقط عند الجوع.

وبما أن الطفل الرضيع بعد سن الستة أشهر يبدأ تناول الأغذية التكميلية فيمكن، خلال فترة النهار، إعطاؤه وجبة أو اثنتين منها مع تكملتها برضعة بسيطة من الثدي تكفيه حتى وقت الإفطار بالمغرب، ومن ثم تزيدي من معدل الرضاعة خلال الليل إلى الفجر.

وللرضاعة المطلقة الخالصة فائدة أخرى إلى جانب إنقاص الوزن لما تستنفده المرضعة من مخزون الدهون في جسمها، فهذه الفائدة هي منع نزول الحيض نظرا لارتفاع هرمون الرضاعة خاصة خلال الأشهر الستة الأولى من عمر الرضيع مما يسهل عليها عدم الإفطار في رمضان ومن ثم القضاء بعد رمضان.

بالنسبة للمرأة العاملة والمرضعة خلال رمضان نقترح عليها بعض الحلول العملية للتوفيق بين الرضاعة والصوم:

*إما أن تحصل على إجازة خلال شهر الصوم.

*أو تخفيف ساعات العمل.

*أو تجميع اللبن من الثدي بعد الفطور وتناول كميات كافية من السوائل ووضعها في البراد، ومن ثم يقوم الشخص الذي يعتني بالرضيع بإعطائه إياها خلال فترة غياب الأم بعد تدفئتها.

أما إذا أحست الأم بأي أعراض مثل الدوخة أو زغللة العين

ونقص كمية اللبن أو تأثر وزن الطفل وعدم نموه بشكل طبيعي فيمكنك التوقف عن الصيام، والتمتع بالرخصة الدينية في ذلك.

د/عبد الحفيظ خوجة

جريدة الشرق الأوسط

العدد ٩٨٣٠-٢٤ رمضان ١٤٢٦هـ

توجيهات

رمضانية للمرأة

أختي المسلمة .. لاشك أنك مسؤولة عن عمرك الذي تعيشين، هل قضيتيه في الخير وطاعة الله، أم في الشر وطاعة الشيطان والعياذ بالله؟! يقول الرسول ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه**» صحيح الجامع وحسنه الألباني. فمن هذا كان لزاما على الجميع الحفاظ على الوقت. وكذلك المرأة، فإن هناك عدة أمور يمكن أن تستغل بها وقتها منها:

أولا: تلاوة كتاب الله تعالى.

ثانيا: قراءة كتب أهل العلم النافعة.

ثالثا: ذكر الله.

رابعا: تربية الأولاد.

خامساً: صلة الرحم.

سادساً: بر الوالدين ومساعدة الوالدين على عمل المنزل.

سابعاً: سماع الأشرطة الإسلامية النافعة.

ثامناً: الدعوة إلى الله.

أولا: تلاوة كتاب الله تعالى

ينبغي أن يكون لك – أختي المسلمة – ورد يومي لقراءة القرآن الكريم، فهو خير معين على استثمار وقتك، وفي تلاوته الأجر العظيم، ففي كل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها كما بين ذلك الرسول ﷺ في الحديث الصحيح «**من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**». وكان السلف الصالح يداومون على تلاوة القرآن ويختمونه في الشهر عدة مرات، فنحن إذا كثرت مشاغلنا أختي المسلمة فلا نجعلها تحول دون ختمه في الشهر ولو مرة واحدة، ولضمان المداومة على ذلك ابدئي من أول الشهر بحيث يكون رقم الجزء موافقا لتاريخ اليوم، فأول يوم من الشهر تقرئين فيه الجزء الأول والثاني الجزء الثاني واليوم العاشر الجزء العاشر.. وهكذا.

ثانيا: قراءة كتب أهل العلم النافعة

إن قراءتك لها تزيد حصيلتك العلمية والثقافية، فابدئي بقراءة الكتب الإسلامية التي بها تتفقهين في دين الله وتعبدين الله على بصيرة وعلم، وبقراءتك هذه تطلعين على وضع المرأة في الجاهلية وهي ما قبل الإسلام، وجاهلية القرن العشرين ومكانها في الدين الإسلامي، وكذلك لتتعرفي على الشبهات التي تثار ضدك من قبل أعداء الإسلام، ولا تنسي – أختي المسلمة – أن تقرئي ما يهمك من أحكام شهر رمضان المبارك لكي تعبدي الله على علم، واسألي

عما أشكل عليك من أحكامه.

ثالثا: ذكر الله

اجعلي من الأمور التي تقضين بها وقتك ذكر الله، فهو أمر يسير على النفس، تستطيعين أداءه وأنت تقومين بأعمال البيت، وتعلمين فضل ذكر الله ومدح الله للذاكرين كما قال تعالى ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**﴾، وعندما قال أحد الأعراب للرسول ﷺ إن شرائع الإسلام كثرت على فأوصني قال الرسول ﷺ «**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**» فقراءة القرآن ذكر الله والتسبيح والتهليل والتكبير ذكر، والدعاء ذكر، وفي أداء الذكر شكر لله تعالى، والله مدح الشاكرين.

رابعا: تربية الأولاد

إن على الأم مسؤولية عظيمة ومهمة جسيمة في تربية أبنائها التربية الإسلامية الصحيحة وتنشئتهم النشأة القومية على المنهج الرباني الرشيد، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**كلكم راع وكلمكم مسؤول عن رعيته. والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها**» فالأبناء يتربون ويترعرعون في أحضان الأم وهي ألصق بهم من الأب الذي تقع عليه مسؤوليات تجعل كل وقته خارج البيت فأرضعيهم مع اللبن الخلق الفاضل والمعاملة الحسنة والكلمات الطيبة، وكوني لأولادك قدوة صالحة كنساء السلف رحمهن الله جميعا.

خامساً: صلة الرحم

صلتهم واجبة عليك – أختي المسلمة – لقول الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ ولحديث الرسول ﷺ أنه قال: «**خلق الله عز وجل الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك، قالت:بلى يا رب، قال: فذلك لك**».

ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾.

واستغلي هذه الزيارة بإسداء الهدية المفيدة كشريط مفيد أو كتاب توقظين به الغافلات من أقاربك وتعاملينهم بالكلمة الطيبة، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**الدال على الخير كفاعله**». ولا تنسي زيارة أخواتك في الله وجيرانك الطيبين.

سادساً: بر الوالدين ومساعدة الوالدة على عمل المنزل

أنت تعلمين أن الله قرن طاعته بطاعة الوالدين فقال سبحانه: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ فيدل هذا على عظم شأن الوالدين، فتجب طاعتهما في كل شيء إلا في المعصية، والأحاديث التي وردت في الترغيب بطاعة الأبوين كثيرة أذكر منها قول المصطفى ﷺ: «**رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة**».

فلابد من التفرغ لطاعة الوالدين وأنبه البنات وخاصة الطالبات أهن في أيام الدراسة تصرف كل وقتها للمذاكرة ويكون ذلك على حساب عمل البيت؛ فتلقي أعباء المنزل على أمها المسكينة التي أفنت شبابها في خدمتها وخدمة إخوانها وأخواتها، أهذا هو البر؟! كلا والله فأتقي الله يا أمة الله وخصصي وقتا للدراسة ووقتا لعمل المنزل لكي تفوزي برضا الله ورضا الوالدين.

سابعاً: سماع الأشرطة الإسلامية النافعة

إن الشريط الإسلامي – ولله الحمد- عم بنفعه الجميع وأصبح متداولاً على جميع طبقات المجتمع، والشريط سهل نشر العلم ويسره، فالمرأة الفطنة العارفة المستغلة لوقتها بما يعود عليها بالنفع تستمع للشريط الإسلامي وهي في المطبخ تعد الطعام ولا يمنع ذلك فلتحرصي أختي المسلمة على سماعة وأنت تقومين بأي عمل من أعمال المنزل فقيماك بهذا العمل سوف تجنين ثماره وتستفيدين منه دنيا وآخرة، وأرشدي غيرك للاستماع لبعض الأشرطة المفيدة.

ثامنا: الدعوة إلى الله

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾، ويقول تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾، فالدعوة إلى الله منهج الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، فلا تبخلي على نفسك بالأجر العظيم من الله. يقول الرسول ﷺ: «**من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة**

كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا».

فخصصي أختي المسلمة جزءاً ولو بسيطاً من وقتك لنشر الخير والدعوة إلى الله، فالكلمة الطيبة دعوة، وحسن الأخلاق دعوة، والأمر بالمعروف دعوة، والنهي عن المنكر دعوة، إلى غير ذلك.

منتديات الدانة للحوار

بعض الأخطاء

الأسرية في رمضان

تتضاعف مسؤولياتك تجاه هذه الأسرة في شهر لا نشهده إلا مرة في السنة ولا نضمن أن نبلغه في السنة المقبلة (شهر رمضان) فتحتاج الأسرة منك إلى توجيهها نحو الأفضل، ودعمها في تأدية العباد الصحيحة، وأن تقدمي لها المساعدة دون يأس أو قنوت لإبعادها عن سلوكيات كثيرة تدخل الأسرة في رمضان، وللأسف أصبحت مقترنة بهذا الشهر تحديداً.

لك دور لا يستهان به، وقد تكونين أنت القدوة التي تأخذهم نحو تلك الأخطاء دون أن تشعري، فاحرصي أن تجنبي نفسك وأسرتك الوقوع في هذه الأخطاء، وتذكري أنك تصنعين جيل المستقبل والذين بدورهم سيكونون مسؤولين عن أجيال أخرى فيما بعد، فإن زرعت فيهم السلوكيات الصحيحة أنبتت كذلك فأورثوها أولادهم والعكس صحيح، وفيما يلي نعرض لبعض السلوكيات السيئة والأخطاء التي تقع بها بعض الأسر المسلمة في رمضان.

عدم تبييت النية

البعض ينسى تثبيت النية للصوم، لذلك عليك أن تذكري أفراد أسرتك بأن يبيتوا النية من الليل قبل طلوع الفجر، حيث ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له**».

النوم نهاراً والسهر ليلاً

يقترن هذا السلوك عند كثير من الناس بشهر رمضان الكريم، إذ ينامون النهار ويستيقظون الليل، يقول الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**﴾ فهم بذلك لا يشعرون بحلاوة الصيام، فضلا على أن بعضا من الفروض قد تفوتهم كصلاة الظهر وربما العصر أيضا، لذلك من واجبك كأم أن تنظمي أوقات أسرتك وأن تحضي الجميع على عدم السهر والخلود إلى النوم في الليل والاستيقاظ في النهار، وأن يتوجه كل منهم إلى عمله، الزوج إلى العمل، والأولاد إلى المدرسة.

مشاهدة المسلسلات والفوازير

وغيرها من البرامج التي تتنافس الفضائيات في بثها، إذ للأسف فإن هذه الفضائيات تستقبل رمضان وتتهيأ له أكثر منا نتهيأ له نحن، إذ تعد برامجها بعناية لجذب المشاهد إليها أكثر مما نعد أبناءنا ونجذبهم إلى العبادة في رمضان.

الانشغال في المطبخ

تقضي كثير من النساء معظم نهارها في المطبخ لإعداد الطعام، وقد لا تنتهي من ذلك إلا مع أذان المغرب وأحيانا بعده؛ فيضيع يومها ومن ثم شهرها بين الأواني والبهارات بعيدا عن الذكر والعبادة وقراءة القرآن، وربما طلبت من ابنتها أن تعد هي الأخرى أصنافا من الطعام بدلا من أن تحثها على العبادة، لذلك عليك أن تعودي أسرتك على الاكتفاء بنوع أو نوعين من الطعام. وأن

الوقت الذي تمضينه في المطبخ أنت أحق به لتتعبدي الله.

الإسراف في المأكولات والمشروبات

وما ينتج عن ذلك من كسل وخمول يصيب الأسرة كلها ويؤخرهم عن تأدية واجباقم الحياتية ويجعلهم يتقاعسون عن صلاة التراويح وغيرها من العبادات التي عليهم أن يؤدوها في رمضان.

ترك الدعاء عند الفطور

تشوب كثير من الأسر حالة من الضوضاء عند الإفطار فتلك تأتي بطبق الشوربة والأخرى تقلي (السمبوسك) على النار وهذا يسال عن الماء، وينسون وهم في ذلك الدعاء الذي لا يرد عند الإفطار.

ترك صلاة المغرب في جماعة

كثيرا من الرجال لا يصلون المغرب في جماعة حيث تجذهم مائدة الإفطار بتنوعها مع البرامج الجذابة المقدمة أثناء الإفطار عن الذهاب إلى المسجد، وهنا عليك أولا أن تقصري المائدة على بضع تمرات وكأس من الماء، ومن ثم إعداد المائدة المناسبة عند عودة زوجك وأبنائك من الصلاة، وستكتشفين أن ذلك أفضل أيضا من الناحية الصحية.

كثرة الزيارات

تفضل بعض النساء قضاء ليل رمضان في زيارة الأقارب، فإذا كان هذا من باب صلة الرحم فلا بأس من ذلك على ألا تطيل الزيارة، وأن تتجنب الغيبة والنميمة في مجلسها.

ترك السحور

تترك بعض الأسر السحور رغم الفوائد التي ذكرها رسول الله ﷺ عنه «**تسحروا فإن في السحور بركة**»، لذلك عليك الاهتمام بهذه الوجبة، وأن تسعي إلى إيقاظ أسرتك وجمعهم على مائدة السحور.

الفتور في الحيض والنفاس

بعض النساء والفتيات يفترن عن العبادة في الحيض أو النفاس، وهذا خطأ، إذ لابد للأم أن تفهم ابنتها أن الحيض يمنعها من الصيام والصلاة ولكن لا يمنعها من الذكر والدعاء والصدقة وقراءة القرآن ولكن دون مسه.

مازلن صغاراً

بعض الأمهات تمنع بناها من الصيام بحجة أهن صغيرات أو لا يقوين عليه، وهنا على الأم ألا تتهاون في حض الفتاة ومتابعتها على أداء الصوم إذا بلغت سن التكليف، ومن ثم تذكيرها بقضاء ما يفوها من أيام الصيام بعد انتهاء رمضان.

قضاء العشر الأواخر في السوق

تضيع الكثير من الأسر المسلمة العشر الأواخر في التسوق، حيث تزدحم الأسواق في الأيام التي تسبق العيد لشراء مستلزمات العيد من ثياب وحلوى وأدوات الضيافة وغيرها، فتصطحب الأم أولادها إلى السوق ليختاروا ويقيسوا الثياب، كما تطلب من زوجها مرافقتها في ذلك، وبهذا تكون الأسرة كاملة أضاعت فرصة

العبادة التي لا تتكرر إلا مرة في السنة، إذ كان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله طلبا لليلة القدر، ولذا كان يعتكف في الليالي العشر الأواخر.

تأخير صدقة الفطر

من الأخطاء التي تقع فيها بعض الأسر تأخير صدقة الفطر إلى أن يخرج وقتها، فاحرصي على أن تذكري زوجك بإخراجها قبل صلاة العيد.

إهمال صلاة العيد

تتهاون بعض النساء في الخروج وأولادها إلى صلاة العيد رغم أن النبي ﷺ رغب النساء والرجال بحضور هذه الصلاة حتى الحيض وذوات الخدور.

منتديات شبكة محاربة السحرة

١٥ فكرة لتنمية الروابط الأسرية في رمضان

هل مررت – عزيزي المربي – بلحظات شعرت خلالها أن التقارب بين أفراد أسرتك ليس كما تتمنى، إن كان الأمر كذلك فإن الفرصة ما زالت أمامك، ومع قدوم شهر الصيام تكون فرصتك أسهل، وفيما يلي نعرض خمس عشرة فكرة تساعدك لتنمية الألفة والتقارب بين أفراد أسرتك.

مائدة القرآن:

اتفق مع أبنائك على جلسة يومية طوال الشهر الكريم، على أن تكون مخصصة لقراءة جزء من أجزاء القرآن الثلاثين، فما اجتمع المسلمين على فائدة أكثر بركة ونفعا من مائدة القرآن.

رحلة عائلية:

اذهب مع أبنائك في رحلة يومية بعد الإفطار إلى مسجد تتفقون على أداء صلاة التراويح وقيام الليل فيه، ففي ذلك تعويد لهم على أداء تلك العبادة المحببة في جماعة؛ لأنه ثبت علمياً أن لها فائدة صحية عظيمة فضلا عن تأثيرها النفسي العظيم.

ساعة تفسير:

ومن أهم الأشياء التي تبني أخلاق أبنائنا أن يتعرفوا على معاني القرآن الكريم وأسباب نزول الآيات وغير ذلك من أمور تتحقق

بالقراءة الجماعية لأحد كتب التفسير البسيطة.

أطباق جديدة وتعاون:

اتفق مع زوجتك على توزيع الأدوار بحيث يقوم كل فرد من أفراد الأسرة بدور على قدر طاقته في إعداد الطعام لوجبتي الإفطار والسحور، ولا تنسى إعداد قائمة بأطباق جديدة تضفي شيئا من التغيير.

دروس:

أحرص – عزيزي المربي – على تخصيص وقت قصير توضح خلاله أحد أحكام الصيام، ومن الأفضل أن يكون ذلك في إطار معالجة موقف خاطئ من شخص ما، أو الاستعانة بكتاب.

أسري جداً:

أعط الأولوية في الشهر للتواجد مع عائلتك على مائدة الإفطار، واجعله شهراً للأسرة لا شهر الأصدقاء، ولا يعني هذا الحرمان من ثواب إفطار صائم، فلذلك طرق كثيرة.

حق الجار:

رمضان شهر الخير والرحمة، ومما يترك أثر طيبا يدوم أن تتذكر جارك قبل الإفطار بإهدائه طبقا مميزاً، خاصة إن كنت تعلم أنه يحبه (تهادوا تحابوا).

أفكار مرحة:

شجع أبناءك على ابتكار أفكار جديدة لعمل أكياس القرقيعان،

وذلك في اجتماع أسري تلفه البهجة والمحبة.

صدقة:

عود أبناءك الخير في رمضان (موسم الخير) وأرشدهم لبذل صدقة يومية لأحد الفقراء، أو التبرع للمستحقين في كافة بلاد المسلمين.

حفظ:

اقتنص الفرصة، واعمل على استثمار صفاء ذهن الأبناء مع الصيام وحفظهم بضع آيات من القرآن الكريم كل يوم قبل صلاة الفجر أو قبل صلاة المغرب وعرفهم أن مكانهم في الجنة مرتبط بقدر ما حفظوا من القرآن.

صلة الرحم:

اصحب أبناءك في كل يوم بعد صلاة التراويح في زيارة قصيرة إلى أحد الأقارب ولا باس أن تعلمهم بإيجاز قيمة صلة الرحم في البركة في الأرزاق والأعمار.

ساعة إجابة:

يحب الله أن يسمع دعاء عبده، ومن الأوقات التي يستجيب الله فيها دعاء عبده عند الإفطار، فهذا الدعاء لا يرد وكل يدعو لأخيه.

أخوة:

ذكر أبناءك – خاصة إذا اشتكى أحدهم الجوع والعطش – أن من المسلمين إخوة لهم في بلاد عديدة لا ينعمون بما ينعم به من

دفء الأسرة ورعاية الوالدين، ليتذكرهم بالدعاء عند الإفطار.

استعدادات:

ادع أبناءك للتعاون في الأيام الأخيرة من شهر رمضان المبارك للقيام بحملة تنظيف وتزيين للمنزل استعداداً لاستقبال عيد الفطر.

ملابس العيد:

احرص على اصطحاب أبنائك في بعض الجولات إلى السوق لشراء ملابس العيد وبعض الهدايا فهذه فرحة الصيام ومكافأة الله لعباده بعد الصيام والقيام.

حبوب منع الحيض

في رمضان

منذ القدم والإنسان يحاول تنظيم نسله، فاستعمل وسائل عديدة لمنع الحمل في الأوقات التي لا يرغب فيها بالحمل، فكان العزل، وقد ورد في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه «**كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل**» وكانت هناك وسائل أخرى كثيرة لمنع الحمل، ومع تقدم العلم وتطور الطب، ظهرت أنواع كثيرة كالأقراص أو ما تعرف بحبوب منع الحمل، والعزل، والواقي الذكرى، والواقي الأنثوي، وفترة الأمان، واللولب.

سوف نتناول – بمناسبة شهر رمضان – أحد الاستخدامات لحبوب منع الحمل (ليس لمنع الحمل أو تنظيمه)، بل لمنع الدورة الشهرية لدى النساء في شهر رمضان المبارك.

وسنقدم فكرة موجزة عن أنواع حبوب منع الحمل، فهي تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: عبارة عن حبوب تحوي مركباً من نوعين من الهرمونات الأنثوية، هما (الإستروجين) و (البروجسترون)، وتسمى حبوب منع الحمل المركبة، أما النوع الثاني فهو الحبوب التي تحتوي على هرمون واحد وهو (البروجسترون) فقط، وهذه الحبوب تمنع الحمل عن طريق تغيير الهرمونات الأنثوية الموجودة في الجسم، فتمنع

الإباضة، ومن ثم تمنع الحمل، ويعتبر هذا النوع من الحبوب من أسهل وآمن طرق منع الحمل، لأنها إذا استعملت بالطريقة الصحيحة فإن نسبة نجاحها في منع الحمل تبلغ ٩٩.٥% تقريباً، وفي حال التوقف عن استعمالها يمكن للمرأة أن تستعيد قدرتها على الحمل مباشرة، وطريقة استخدام هذه الحبوب هي أن تنتظر المرأة بدء الدورة الشهرية القادمة، وعند أول يوم من نزول الدم، تأخذ أو حبة من العلبة لمدة ٢١ يوما حتى تنتهي العلبة، ثم تنتظر سبعة أيام دون أخذ الحبوب، وخلال هذه الأيام السبعة، يتوقع نزول الدورة الشهرية، وبعد انقضاء هذه الأيام تبدأ باستخدام العلبة الثانية، وهكذا، أما إذا بدأت المرأة استخدام الحبوب في اليوم الخامس من نزول الدم، فيجب استخدام مانع آخر للحمل لمدة ١٤ يوما الأولى من الدورة، ويفضل أن تؤخذ الحبوب في وقت معين كل يوم، كأن تؤخذ مثلاً، بعد الإفطار، أو قبل النوم، لا يهم في أي وقت، ولكن الأهم هو أن تؤخذ في الموعد نفسه.

كيف تتناول المرأة الحبوب لمنع الدورة الشهرية؟

قد تحتاج المرأة لتأخير موعد نزول دورتها التالية كما هو الحال في شهر رمضان أو في الحج، وهنا إذا أرادت المرأة تأخير نزول الدورة الشهرية في ذلك الشهر أو الفترة عليها أن تبدأ بعلبة جديدة من الحبوب مباشرة بعد انتهاء العلبة الأولى، مثلا إذا أخذت الحبة الأولى من حبوب منع الحمل في أول يوم من نزول الدورة وعند اليوم الحادي والعشرين عليها أن تبدأ بعلبة جديدة وتتناول الحبوب حتى تنتهي العلبة الثانية، وعندما ترغب في نزول الدورة، تتوقف

عن تناول الحبوب، وعندها تنزل الدورة بعد بضعة أيام، أي لمنع نزول الدورة لمدة شهر، على المرأة استعمال علبتين متتابعتين من حبوب منع الحمل دون توقف.

لكن لا ينصح بأن توقف المرأة دورتها الشهرية نظراً لأن هذه العملية تعتبر من الوظائف الطبيعية للمرأة، أو ما يعرف بالخصائص الفسيولوجية، لذا لا ينصح بأن تستمر المرأة في منع نزول دورتها الشهرية لمدة عدة أشهر لما لها من الآثار الجانبية على المرأة.

نصائح عامة لتناول حبوب منع الحمل:

*في حال نسيان أخذ الحبة في موعدها، عليك أخذ الحبة المنسية عند تذكر ذلك مباشرة، حتى ولو كان في اليوم التالي، ثم خذي الحبة التالية في نفس موعدها.

*إذا كان تأخر الحبة المنسية أكثر من ١٢ ساعة، فيجب حينئذ استخدام طرق أخرى لمنع الحمل لمدة ١٤ يوما، أو حتى بداية الدورة القادمة، أيهما أطول.

*الإسهال الشديد والقيء يقللان أو يمنعان امتصاص الحبة، وبالتالي يقللان مفعولها، لذا ينصح في حال القيء أو الإسهال خلال أربع ساعات من أخذ الحبة لابد من أخذ الحبة لابد من أخذ احتياط آخر لمدة ١٤ يوما من توقف الإسهال أو القيء، وعلى المرأة الاستمرار في أخذ حبوب منع الحمل في موعدها الطبيعي.

*هناك بعض الأدوية التي تقلل من الامتصاص، وبالتالي من فعالية حبوب منع الحمل كالمضادات الحيوية، أو أدوية الصرع،

وفيتامين (ج) وعلاج الدرن، والحبوب نفسها قد تؤثر على أدوية تمييع الدم، وعلى أدوية السكر، ولذا يجب الحرص عند استعمال حبوب منع الحمل، وإخبار الصيدلي أو الطبيبة المعالجة لأخذ النصيحة عند أخذ أي دواء آخر مع حبوب منع الحمل، أما عند استعمال المضادات الحيوية فعلى المرأة استخدام وسيلة إضافية لمنع الحمل حتى نهاية الدورة.

الآثار الجانبية لحبوب منع الحمل:

*غثيان.

*آلام في الثدي.

*نزول قطرات دم مهبلية لمدة شهرين أو ثلاثة، ثم تختفي تدريجيا مع الاستمرار في أخذ الحبوب.

*الصداع النصفي أو الشقيقة، وذلك في بعض النساء اللاتي لديهن حساسية من حبوب منع الحمل؛ لذا ينصح بأنه إذا كان الصداع شديدا ولا يحتمل، فإنه يتوجب على المرأة أن تتوقف عن استخدام الحبوب واللجوء إلى وسيلة أخرى لمنع الحمل.

*الاكتئاب أو الحزن.

*ارتفاع في الضغط.

متى يجب التوقف عن استخدام الحبوب؟

يجب التوقف عن استعمال الحبوب في الحال:

*حدوث ألم شديد ومفاجئ في الصدر.

*ألم شديد في إحدى الساقين أو كلتيهما.

*حدوث ضيق في التنفس مفاجئ ومستمر.

*صداع شديد مستمر وغير معتاد، خصوصاً إذا كان للمرة الأولى، أو صاحبه عدم وضوح في الرؤية أو قلة في حدة الإبصار.

الرأي الشرعي لاستخدام حبوب منع الحمل لمنع نزول الدورة الشهرية في رمضان:

هناك اختلاف بين الفقهاء في استخدام حبوب منع الحمل لمنع الدورة الشهرية في شهر رمضان المبارك، وذلك لمنع نزول الدورة الشهرية لتتمكن المرأة من إتمام صيام الشهر، فمنهم من أجاز استخدام هذه الحبوب في شهر رمضان لإكمال الصيام، ومنهم من أفتى بعدم الجواز، فقد سئل فضيلة الشيخ محمد العثيمين السؤال التالي:

تعمد بعض النساء إلى أخذ حبوب في رمضان لمنع الدورة الشهرية –الحيض– والرغبة في ذلك حتى لا تقضي فيما بعد، فهل هذا جائز، وهل في ذلك قيود حتى لا تعمل بها هؤلاء النساء؟

ج: الذي أراه في هذه المسألة ألا تفعله المرأة وتبقى على ما قدره الله عز وجل وكتبه على بنات آدم، فإن هذه الدورة الشهرية لله تعالى حكمة في إيجادها، هذه الحكمة تناسب طبيعة المرأة، فإذا منعت هذه العادة فإنه لا شك يحدث منها رد فعل ضار على جسم المرأة، وقد قال النبي ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»، هذا بغض النظر عما تسببه هذه الحبوب من أضرار على الرحم كما ذكر ذلك

الأطباء، فالذي أرى في هذه المسألة أن النساء لا يستعملن هذه الحبوب، والحمد لله على قدره وحكمته، إذا أتاها الحيض تمسك عن الصوم والصلاة وإذا طهرت تستأنف الصيام والصلاة، وإذا انتهى رمضان تقضي ما فاتها من الصوم.

لها أون لاين

لك ولزوجك

هل استعددتي للضيف الكريم؟

الضيف الكريم هو شهر رمضان المعظم

فيه تنشرح الصدور وتسمو فيه النفوس وتسود الرحمة والعطف على الفقراء والبائسين، وفيه تتأدب النفوس وتتعود على الصبر والحلم.

وهو شهر التقوى والإخلاص، حيث يقصد المسلم بطاعته رضي الله سبحانه وتعالى.

وهو شهر المراقبة، حيث يراقب الإنسان المسلم ربه فلا يأكل ولا يشرب حيث يعلم أن الله يراه فهو يراقب ربه في السر والعلن.

وهو شهر اليقين والتوكل، وهذا يزيد المسلم راحة نفسية وطمأنينة وهدوءا وسكينة، وهو شهر الاستقامة حيث يعلمك هذا الشهر الاستقامة حتى ولو سبك أحد أو شتمك فقل له إني صائم.

وهو شهر المبادرة إلى الخيرات، فتجد المسلم في رمضان يقطف من بساتين الخير من كل بستان زهرة فيكسب الكثير من الحسنات ويرتفع في الدرجات.

وهو شهر الصوم، فيه تصفد مردة الشياطين، وتفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبوا النيران .. شهر أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.

فيه ليلة خير من ألف شهر، هي ليلة القدر.. «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**».. «**ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**»

وهو شهر القرآن، فأكثروا من قراءته في رمضان، فكل حرف بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء.

ورمضان إلى رمضان من مكفرات الذنوب، كما جاء في الحديث الشريف والنبي ﷺ صاعد على المنبر فجاءه جبريل عليه السلام وقال له: «**خاب وخسر من أدرك أبويه أو أحدهما في الكبر ولم يدخلاه الجنة قل آمين، قلت آمين، خاب وخسر من أدرك رمضان ولم يغفر له قل آمين، قلت آمين**».

وهو شهر تضاعف فيه الحسنات كماء جاء في الحديث القدسي عن رب العزة عز وجل حيث يقول «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**».

شهر فيه كل هذا الأجر وأكثر من ذلك فبماذا نستعد له؟؟

أنستعد له بأشهى المأكولات والمشروبات؟ هذا والله حال الكثير أم بماذا نستعد له؟

كل منا يسأل نفسه ولعله يجد الإجابة الشافية...

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى ورزقنا وإياكم البر والتقوى..

اللهم بلغنا رمضان وارزقنا حسن صيامه وقيامه..

موقع شفا أون لاين

احذري سيدتي ..

نفسية زوجك في رمضان

هذا الموضوع موجه للزوجة في رمضان

*كل عام يطل علينا رمضان بيمنه وبركاته وليالي عبادته المباركة وإليك سيدتي الجدول العام لما سيكون عليه زوجك في رمضان والاختلافات التي سوف تصيبه في هذا الشهر الفضيل.

*ستزداد عصبيته في رمضان بسبب الصيام.. أو بسبب التوقف عن التدخين. فاسعدي لأنك ستكونين الوسيلة التي يفرغ فيها شحنات عصبيته وجوعه.. هنيئاً لك.

*عندما يقترب موعد الإفطار ستجدينه – لا إرادياً – قد حشر نفسه بالمطبخ ليشرف على الطعام.. وليعطيك النصائح التي لابد منها لماذا طبخت هذا؟ ولماذا لم تطبخي هذا؟ وكأنه هو الذي وقف بالمطبخ أربع ساعات ليطبخ وهو صائم!!!

*عند الولائم – التي من المؤكد أنها ستكثر ليظهر كرمه في هذا الشهر ويدعو كل من يعرفه ومن لا يعرفه – تأكدي أنه سيرافقك في المطبخ قبل الأذان بساعات – ليس ليساعدك – بل ليقوم بدور رئيس الطباخين الذي يغدق بخبرته على المبتدئين أمثالك!!!

*بشرى سارة!! سيخف انتقاده لتسريحة شعرك التي تذكره بالفرو الروسي وبملابسك التي لا يسر مظهرها! ورائحتك التي

تفوح بصلا وثوماً .. على العكس كلما كانت رائحتك طبيخية كلما كنت أقرب إليه من كل شيء.. لذلك خبئي عطورك الفاخرة.. فلا فائدة منها الآن.

*في هذا الشهر ستكثر المناقشات والأحاديث بينكما.. ولن تشتكي من صمته وتجاهله.. وعما يحبه من الطبخ والحلويات، أما إذا كان الطعام لا يستهويه فسيبقى الحال كما كان عليه!

*وهكذا- سيدتي – ستجدين أنه سيحصل تغيير ولو بسيط في روتين الحياة الزوجية، والتغيير مهما كان كل شيء جديداً فاستمتعي بقدر ما تستطيعين..

وكل عام وأنت بخير.

إلى صاحبة المطبخ في رمضان

أعرف أنك ستبذلين جهدك في المطبخ لتري مهارتك في تنويع المأكولات، ولا تلامي في هذا، فهذا من الفطرة السليمة، وهي عنوان أنوثتك، لكن إياك أن تجعلي هذا هو همك الأول، بل ارفعي من همتك، واجعلي نيتك نية أرفع وأسمى، تعرفين أنه من فطر صائماً فله أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء، فاجعليها نيتك، واحتسبي وقتك الذي تقضينه في المطبخ لله فتؤجري.

ولك – في رمضان – برنامج رائع:

*يبدأ عند النوم: بقراءة سبحان الله ٣٣ مرة، والحمد لله ٣٣ مرة، والله أكبر ٣٤ مرة كما في سنن أبي داود: «**شكت فاطمة إلى النبي ﷺ ما تلقى في يدها من الرحى فأتى بسبي فأتته تسأله فلم تره، فأخبرت بذلك عائشة فلما جاء النبي ﷺ أخبرته فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا لنقوم فقال على مكانكما فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال ألا أدلكما على خير مما سألتما؟! إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**» يستفاد من الحديث الشريف أن من يقول هذا الذكر عند النوم يقوى على عمل النهار.

*السحور: وهو بركة: إياك أن تغفلي عنه، قال النبي ﷺ «**تسحروا فإن في السحور بركة**، وقال عليه الصلاة والسلام **إن**

الله تعالى وملائكته يصلون على المتسحرين».

*الصلاة في وقتها.

*الجلوس في مصلاك حتى الشروق تقرئين القرآن، وتسبحين الله وتذكرينه.. ثم صلاة ركعتين.. قال عليه الصلاة والسلام: « **من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة»**.

*الطبخ في الصباح الباكر أحسن من الطبخ في وقت الظهيرة فما فوق، فهناك العديد من النساء تبدأن من وقت الظهيرة، وعند صلاة الظهر. والعصر إما لا تصلي في الوقت، وإما تجمعهما وإن تصليهما وبالها مشغول في طبخها، فتصلي صلاة بلا خشوع، والرواتب تتركها لضيق الوقت، وبالعكس لو بدأت في الصباح الباكر يكون عندك متسع من الوقت، وصلاتك بإذن الله لن يكون فيها تشويش الطبخ.

*أوصيك بالقيلولة: وعلى الأرجح هي قبل الظهر بقليل، ترتاحي فيها قليلا لتجمعي قوتك.

*الصلاة في وقتها، ولا تنسي صلاة الرواتب.

*الحمد لله أكملت طبيخك باكراً، وتركت اللمسات الأخيرة من تزيين للمائدة والصحون قبل الأكل، لا تنسي أن تغيري ملابسك قبل تزيين المائدة، فأنت أحق بالتزيين، خاصة إذا كنت ذات زوج، وإياك أن تقابليه برائحة البصل والثوم والدهون فكما قلت لك باعتمادك على الطبخ في أول النهار يساعدك على

اكتساب وقت إضافي فلا تهملي نفسك.

*عند الأذان لا تنسي الدعاء المأثور «**ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله**» ولا تنسي ابدئي بما بدا به نبينا ﷺ فهو قدوتنا كان ﷺ «يفطر على رطبات، فإن لم يجد فعلى تمرات، فإن لم يجد فعلى حسوات من ماء وصلى المغرب في وقته ولا تنسي راتبة المغرب»

*ثم صلاة العشاء والتراويح.

*إن كان لك جهد في الليل لقراءة القرآن فما شاء الله، وإن كانت قوتك ضعيفة، ولا تستطيعي ذلك فنامي أحسن؛ لأن لنفسك عليك حقًّــا، تقبل الله منا ومنكن صالح الأعمال.

وهذه بعض الوصايا لك أخيتي:

*أقللي من المكوث في المطبخ، وكوني رياضية خفيفة في الطبخ، فرمضان شهر الصيام لا شهر الطعام.

*إياك والإسراف في الطعام والشراب وقد نهينا عن ذلك، قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**﴾.

*أجعلي طبخك فيه غذاء صحي متكامل، فهذا يساعدك على الطاعات.

*تفقدي الجيران في الأكل، قال ﷺ: «**ليس المؤمن الذي يبع وجاره جائع لجنبه**» [رواه البخاري في الأدب].

*أطعمي المساكين.

*استحضري النية وأكثري الذكر والتسبيح والاستغفار أثناء طبخك، وليكن لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل.

*استمعي للقرآن والمحاضرات عبر جهاز التسجيل.

*أقللي من المصاريف المالية وكوني معتدلة في التصرف بالأموال.

*التزمي التجديد في أصناف المأكولات والمشروبات وابتعدي عن الروتين.

*احرصي على قراءة القرآن الكريم كل يوم خاصة في الليل، فرمضان شهر الخيرات.

*ادعي الله، تقربي إلى الله عز وجل في هذا الشهر العظيم بدعوة أقاربك وجيرانك وأحبابك عبر الكتاب والشريط والنصيحة والتوجيه.. قال ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» [رواه مسلم].

*احذري مجالس اللغو، واحفظي لسانك من الغيبة والنميمة وفاحش القول، وألزمي نفسك الكلام الطيب الجميل، وليكن لسانك رطبا بذكر الله.

*أكثري من الصدقة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» وذكر منهم رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. [متفق عليه]. وقال رسول الله ﷺ: «**يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار**»[رواه مسلم].

*لا بأس بأن تذوقي الطعام للحاجة، ولكن لا تبتلعي شيئا منه، حتى لا يفسد بذلك صومك.

*كوني جوادة بالخير: في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حيث يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة**».

*عجلي بالإفطار بعد غروب الشمس مباشرة لحديث سهل بن سعد – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور**» [رواه الشيخان].

*وعند الإفطار لا تنسى الدعاء، قال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاث دعوات مستجابات، دعوة الصائم ودعوة المظلوم ودعوة المسافر**».

*لا تكثري من الأكل، لأنه يثقل البدن ويدعو إلى التكاسل عن العبادة وصلاة التراويح وقيام الليل.

*قومي الليل، فرمضان شهر القيام، قال النبي ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[متفق عليه].

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل منا الصيام والقيام، وأن يجعلنا من عتقائه من النار، وأن لا يجعل هذا العام آخر عهدنا برمضان. اللهم آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

واحات الشموخ

المراجع

*مفكرة الإسلام.

*جريدة الشرق الأوسط.

*منتديات الدانة.

*واحات الشموخ.

*موقع يا له من دين.

*موقع شفا أون لاين.

*شبكة محاربة السحرة.

*موقع لها أون لاين.

الفهرس

وعاد رمضان

تأليف

ميادة بنت كامل آل ماضي

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

عاد رمضان

اللهم سلّمنا إلى رمضان..

وسلّم رمضان لنا..

وتسلّمه منا متقبلا..

الحمد لله الذي جعل **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾**.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق والساعة حق ومحمد ﷺ حق.

اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وبك خاصمنا، وإليك حاكمنا، فاغفر لنا يا ربنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا.

اللهم لك الحمد لما خلقتنا، ولك الحمد بما رزقتنا، ولك الحمد بما هديتنا، ولك الحمد بما علمتنا، لك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، لك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، فلك الحمد على ذلك كله حمداً كثيراً طيبا مباركاً فيه كما تحب يا ربنا وترضى، لك الحمد كله، وبيدك الملك كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، سبحانه ذي الملكوت، سبحان ذي الجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي القدرة والكرم، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله رضي نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان من قدر الأمور، سبحان من علم هاجس الصدور، سبحان من عز فارتفع، وذل كل شيء لعظمته وخضع، سبحان من سن الدين وشرعه، سبحان من نور النور فشعشعه، سبحان من أجرى الماء فأنبعه، سبحان من قدر الرزق ووسعه.

سبحان من أنزل القرآن هدى للمتقين وجعله شفاء للمؤمنين، وهاديا للضالين، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان الله العليم، سبحان الله البصير، سبحان الله الخبير، هو القائل: ﴿**وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾.

سبحان من علم ضعفهم وكثرة ذنوبهم، فوقّت لهم مواقيت مباركة كلما انتهى موسم أقبل آخر، كرامات تترى، رحمة منه وفضلا، فسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، منّ علينا بفضله وإحسانه بشهر كريم، وهو أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، فسبحانه وبحمده، وعد فيه التائبين، المستغفرين، الجادين، المشمرين المخلصين، الموحدين المنيبين، الآيبين، ليغفرن لهم وليرحمنهم، ثم

ليعتقنهم من النار تكرما وفضلا وجوداً وإحسانا، فسبحان ذي الجود والإحسان، سبحان من لا شريك له ولا إله معه. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأفضلهم وأعبدهم وأبرهم فصلى الله عليه وعلى آله الكرام وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد: أخواتي..

ماذا أقول لكنّ، وكل منا يعلم أن البشرى بانبثاق فجر رمضان قد اقترب، وأن الوليد قد أوشك على رؤية النور، ووالله لست بأفضلكن ولا أعلمكن، وما كتبت إليكن إلا عملا بقوله تعالى: **﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** وكما قال بعض أهل الصلاح. لو علوت هذا المنبر بجهلي لبلغت عنان السماء.

أخية ..عاد رمضان

عاد رمضان، في ظل الكثير من الغفلة — إلا من رحم ربي — وكثرة الانشغال بالمال والأهل والولد.

عاد رمضان، وكثير من النفوس التقية المؤمنة الطاهرة النقية، نفوس الأتقياء الأخفياء تشرئب وتحن وتشتاق إلى هذا الموسم العظيم، موسم الرحمة من رب البريات، فحيا الله هذا القادم، الزائر المحبوب، فبالأمس القريب ودعناه بالدموع، وها نحن الآن نستقبله بالفرح والبسمات، ونسأل الله العلي الكريم ألا يحرمنا صيامه وقيامه إيماناً واحتسابا وأن يتسلمه لنا متقبلا.

عاد رمضان، وبأي وجه عاد، وماذا عساه أن يقول؟

عاد رمضان، على أبناء الأمة التي مزقتها وسائل الإعلام المدمرة وشتتها المحن والخطوب، وتخاطفتها أعداء الدين، عاد رمضان لهذه الأمة علها تستجيب لنداء ربها العظيم، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

عاد رمضان..

*عاد رمضان في زمن قلّ فيه الصابرون، وانعدمت فيه المصابرة.

*عاد حاملاً ذكرى أولي العزم، معلما لهم ومربيا على الصبر: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران: ٢٠٠].

*عاد رمضان، في زمن فرط أهله في خصال الخير — إلا من رحم ربي — وابتعدوا عن أحسن الأخلاق وأقومها؛ فعاد رمضان ليذكرهم بأهمية الخلق الحسن وليتأدبوا بأدب أحسن الناس خلقاً، وأكملهم وقدوتهم محمد ﷺ، الذي امتدحه ربه بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾.

*عاد رمضان على شباب وشابات ورجال ونساء قد رضوا بسفاسف الأمور واشتغلوا بها عن عليائها، فعاد ليذكرهم بأنهم أحفاد الصحابة والسلف الصالح والتابعين والفاتحين والعلماء

الربانيين، الذين كانت أعلى وأغلى أمانيهم الفوز بالجنة والنجاة من النار ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾.

*عاد رمضان على عالم قد أسرف أبناؤه على أنفسهم بالمعاصي، فعاد إليهم رمضان عساه يحول بينهم وبين ذلك العصيان، يقومون عن بوق التنصير الذي يسمى (الدش)، ويترفعون عن هذه الشهوات الدنيئة ولتكون الغيرة على الشباب والشابات العفيفات المحصنات، فيعوضهم الله خيرا منه في الدنيا والآخرة.

*عاد لهم رمضان حاملا البشرى ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾.

* عاد رمضان على قلوب قد اشتدت وقست، وأعين قد تحجرت، عاد ليلين بروحانيته تلك القلوب، عاد عسى أن يكون عليه سحائب تجد من تلك الأجفان مخرجاً.

* عاد ليدّبروا قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾.

* عاد رمضان، على أفئدة جريحة لعله يسهم في تضميد جراحاتها بنفحاته الربانية ممن تجود أنفسهم بالبر والإحسان ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾.

﴿**وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ**

إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

*عاد رمضان، فماذا عساي أن أقول في هذا الشهر الكريم.

شهر الصدقة.

شهر الدعاء.

شهر الرحمة.

شهر المغفرة.

شهر العتق.

شهر الإيمان.

شهر القرآن.

فالله الله في هذا القرآن.

أخيــــــة:

*عاد رمضان فمن عسانا نكون في هذا الشهر الكريم.

أمن أهل التقوى والتشمير عن الطاعات، الصائمات عن اللغو والثرثرات، الخاشعات القانتات، الذاكرات، الحافظات، العالمات، الداعيات، التائبات، وللقرى تاليات؟

أم من الغافلات المائعات، الفاتنات، المتمشيات بالأسواق، الخاسرات هذا الشهر الكريم؟

إلى أي فئة من هؤلاء أخية تنتمين، وبأي صفة من تلك الصفات ستتحلين **﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ**

يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أخيـــــة..

إن أجابتك نفسك بقبول الهدى والرشاد، ووجدت فيها بعض تلك الصفات للمؤمنات فاسعي لكي تكتمل هذه الصفات جميعها في شخصك، واحمدي الله على توفيقه.

أما إن أجابتك هذه النفس الأمارة بالسوء: أن لا حظ لك في إحدى تلك الصفات فشمري عن ساعديك وجددي من همتك، واسعي أن تتصفي بها علّ الله يصلح حالك، وبالتالي مآبك ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**﴾.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجـــب
حتى عصى ربـــه في شـــهر شـــعبان
لقد أظلك شـــهر الصـــوم بعـــدهما
فلا تصـــيره أيضـــا شـــهر عصـــيان

لكن أذكري أخية قول القائل:

يـــا رب إن عظمـــت ذنـــوبي كثـــرة
فلقد علمـــت بـــأن عفـــوك أعظـــم
إن كـــان لا يرجـــوك إلا محســـــن
فـــبمن يلـــوذ ويســـتجير المجـــرم
مـــالي إليـــك وســـيلة إلا الرجـــا
وجميـــــل عفـــــوك ثم إني مســـــلم

أخيـــــة..

ليكن العزم الصادق والنية النصوح أن نستهل رمضان بقلوب خاشعة، ذليلة، منكسرة بين يدي الله، بعيون باكية من خشية الله، وبلسان رطب من ذكر الله، وآذان صاغية لكلام الله، وأيد سخية جوادة بالبذل والعطاء في سبيل الله، وبأقدام حثيثة إلى بيوت الله، نتلو آيات الله ونرتل وتتغني بكتاب الله، نتوقف عند آيات الوعد والوعيد، والجزاء والثواب، ونذكر أن رمضان شهر القرآن **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾**، نسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يحرم جسدنا بفضله على النار.

يـــا منـــزل الآيـــات والفرقـــان
بـــيني وبينـــك حرمـــة القـــرآن
اشرح بـــه صـــدري لمعرفـــة الهـــدى
واعصم بـــه قلـــبي عـــن الشـــيطان
يســـر بـــه أمـــري واقـــض مـــآربي
وأجر بـــه جســـدي مـــن الـــنيران
واحطط بـــه وزري واخلـــص نـــيتي
واشـــدد بـــه أزري وأصـــلح شـــاني
واكشف به ضـــري وحقـــق تـــوبتي
وأربـــح بـــه بيعـــي بـــلا خســـران
طهـــر بـــه قلـــبي وصـــفّ ســـريرتي
أجمـــل بـــه ذكـــري وأعـــل مكـــاني

أسهر بـــه ليلـــي وأظلـــم جـــوارحي
أســـبل بفـــيض دموعهـــا أجفـــاني
امزجه يا رب بلحمـــي مـــع دمـــي
واغسل بـــه قلـــبي مـــن الأضـــغان

أخيـــــة..

ليكن العزم في رمضان على الصفح والتسامح والمصالحة والعفو عن المسيء، والإحسان وتصفية النفوس من الضغائن والأحقاد، وليكن شأننا التحاب والتواد في الله، فلن ينظر لمتشاحن ولو قام الليل وصام النهار.

ولا ننسى بر الوالدين، فلن ينظر لعاق ولو قام الليل وصام النهار، وكذلك (صلة الأرحام) والله الله في (صلة الأرحام) فقد اشتق اسمها من اسم الرحمن، ولن ينظر لقاطع رحم ولو قام الليل وصام النهار. وبهذه الأمور نحقق الحكمة من الصيام عملا بقوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾، فهذه والله هي الحكمة العظيمة المطلوب تحقيقها، ألا وهي التقوى فلرب صائم قائم لا يناله إلا الجوع والعطش والتعب والنصب؛ لأنه لم يحقق معنى التقوى.

وقفات حكيمة مع شهر الصوم

الوقفة الأولى: تحقيق التقوى:

إن الحكمة من العلي القدير لهذا الصوم هي كف الجوارح الظاهرة والباطنة عن المنهيات الموجبة لعذاب الله سبحانه وتعالى، فلا يجزي الصوم الظاهر عن الباطن، ولا الباطن، عن الظاهر، فلا بد من الامتناع عن كل ما حرم الله، وعن كل ما يوجب سخط الرحمن وعذابه، فيتذكر الصائم الدار الآخرة ويصوم عما يوجب العذاب فيها، فإن كل ذنب يقع فيه العبد؛ يفتح على نفسه منه بابا إلى النار.

الوقفة الثانية: شهر الدعاء:

والدعاء استعانة من عاجز ضعيف بقوي قادر، واستغاثة من ملهوف برب رؤوف، وتوجه ورجاء إلى مصرف الكون ومدر الأمور ليرفع غمه، أو يكشف كربة أو يحقق رجاء، فهو دواء يشفي القلوب ويريح النفوس، وقد دعانا سبحانه وتعالى إلى دعائه وسؤاله والتضرع له فقال جل شأنه: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾.

ليكن دأبنا كما كان دأب السلف الصالح باستهلال الدعاء ابتداء من رجب أن يبلغوا رمضان، ونحن كذلك من الآن، نبتهل بالدعاء والتبتل إلى رب البريات أن يبلغنا رمضان، وأن يسهل علينا صيامه وقيامه إيمانا واحتساباً؛ لأن النبي ﷺ قد اشترط في صيامه

وقيامه الإيمان والاحتساب.

*أما الإيمان فهو التصديق بأنه أحد أركان الإسلام الذي لا يقوم إلا به.

*وأما الاحتساب فلأن يقبل العبد على العبادة خاشعاً لله، ناويا الثواب من الله، عالما أنه إنما يفعل هذا طاعة وامتثالا لأوامر الله، عارفا لهذا الشهر حرمته، فيحفظ اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة، وعن الخوض فيما لا داعي له، وعن الإسراف في المباحات والفضولات، ثم يحفظ الجوارح عن الخطايا والزلل، ويحفظ القلب عن الحسد وعورات المسلمين.

*ثم تذكري أن هذا الصوم إنما هو بمثابة الهدية التي ترفع لأجل وأعظم حبيب سبحانه وتعالى، فلا ينبغي أن ترفع الهدية مرقعة بما لا يرضى الله، فالله سبحانه وتعالى يقول: «**الصوم لي وأنا أجزي به**» فهل تقبلين أن ترفعي صياماً مرقعاً هدية لمولاك، وأنت والله تأبين أن ترفعي مثلها لقريبة أو صديقة حبيبة؟ فكيف بالله سبحانه وتعالى ولله المثل الأعلى؟!

*إذًا: ألحي بالدعاء من الآن، تدرين كم تتيسر لك الأمور بعد ذلك بإذن الله فرب شعبان هو رب رمضان، ورب كل الشهور، فاسأليه سبحانه وألحي عليه السؤال ليمر عليك رمضان بخير ويسر وعطاء عظيم بإذن المولي الكريم. ولا يستوي من يدعو ربه ويبتهل إليه مع الذي لا يدعو، فالدعاء هو العبادة، ولتكن هذه وصية لكل عبادة نريد فعلها أن نقدم الدعاء قبلها والله الموفق.

*لمن أرادت العمرة أقول لها، أدعي من الآن دعاء خضوع واستنزلي رحمة الله، فإن تيسرت لك فسترين اليسر إن شاء الله.

*ولمن أرادت القيام والتهجد والاستغفار الذي هو من صفات أهل الجنة، وتذكرت ما للقائمين المتهجدين عند ربهم من جزيل الثواب، فلتدع الله من الآن ليسهل عليها التهجد والقيام، ولا تنسي أن الدعاء من أقوى الأسباب لجلب منفعة أو دفع مضرة؛ ولكن قد لا يحصل تأثيره غما بسببنا وضعفنا في الدعاء، أو أن يكون الدعاء فيما لا يحبه الله، أو لضعف في قلوبنا وعدم إقبالنا على الله وقت الدعاء فيكون كالقوس الذي وتره فإن سهمه يخرج ضعيفاً.

*ولا بد لك من العودة إلى أسباب إجابة الدعاء وآدابه من الكتيبات التي تكلمت في هذا لتكوني على علم وبينة وفقني الله وإياك.

الوقفة الثالثة: العلم.

كما أنك إذا أردت عمل عملٍ دنيوي كطهي أكله جديدة لابد لك من السؤال عن كيفية طهيها كذلك، وهذا أمر أهم لأنه شرعك وعبادتك التي يتوقف عليها قبول عملك لابد إذاً من أن تعلمي أحكام صيام هذا الشهر، وأحكام حيضك وطهرك، وهل أنت ممن يتناولن أدوية خاصة بالصدر وغير ذلك؟ فلا بد لك من معرفة أحكام كل منها.

الوقفة الرابعة: من سنن الرسول ﷺ:

السحر من أجمل الأوقات وفي رمضان لا شك نستيقظ

للسحور فأين نحن:

أ-من ركعتين نركعهما في ظلمة الليل، فكثير من الناس يتصور أنه إذا صلى التراويح مع الناس وأوتر في أول الليل، انتهت صلاة الليل واكتفي بذلك وحرم نفسه من هذه الأوقات الثمينة والدقائق الغالية، فالله الله في استغلال السحر فإن من صفات المتقين أصحاب الجنات والعيون قوله تعالى: ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**﴾ ﴿**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾، ولا تنسي سيد الاستغفار.

ب-سنة مهجورة ألا وهي أكلة السحر ورسولك يقول: «**تسحروا فإن في السحور بركة**»، فلا يكون آخر عهدك طعام العشاء، ثم النوم إلى الفجر. حتى ولو بشربة ماء بنية السحور. وتذكري قوله عليه الصلاة والسلام: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر**» [رواه مسلم].

ج-يستحب تأخير السحور وتعجيل الفطور، قال تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «**أحب عبادي إلى أعجلهم فطراً**»، ولا تنسي الدعاء أثناء إفطارك؛ لأن للصائم دعوة لا ترد، ويستحب القول: «**ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله**».

د-لتعزمي أمرك على الاجتماع بأبنائك وبناتك والتحدث إليهم عن فضل هذا الشهر العظيم، ومتى فرض؟ وعن بركته والأحداث المهمة التي حدثت به (كغزوة بدر) (وفتح مكة)، لتكون تربيتهم تربية إيمانية وعقيدة صحيحة منذ نعومة أظفارهم، ازرعي فيهم محبة الله ومحبة محابّه، وكره سخطه وعصيانه، ثم بعد ذلك

توكلي على الله ولا تخافي عليهم، فإن كان الله قد كتب لهم الهداية فلن يشقيهم أبدا، وهو الرحيم الغفور، وهنا أيضا لا تنسي أن تعودي أولادك الصغار على الصيام عملا بفعل (الربيع بنت معوذ الصحابية الجليلة رضي الله عنها) كنا نعود أولادنا الصيام فإذا جاعوا ألهيناهم بالألعاب حتى يأتي وقت الفطور.

هـــ-تعاهد القرآن ومدارسته وتدبره، فلا يهد هد الشعر، بل يرتل ترتيلا اقتداء بالرسول ﷺ فقد كان جبريل عليه السلام يدارس الرسول ﷺ في شهر رمضان.

و-كان رسول الله ﷺ جواداً، وكان أجود ما يكون في رمضان فكان عليه الصلاة والسلام كالريح المرسلة؛ لأن شهر رمضان شهر الإنفاق، فكان عليه الصلاة والسلام يقول: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم (يعني ينظر عن شماله) فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يري إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة**».

فائدة عظيمة:

من أرادت التصدق والإنفاق ثم راودها نفسها بالشح والبخل فلتذكر أن الله سبحانه وتعالى هو الذي (يطعم ولا يطعم)، فإذا ذكرت أن هذه هي صفة الحق تبارك وتعالى وأنه سبحانه يطعم ولا يطعم هان عليك الاتصاف بشيء من تلك الصفة، على قدر طاقتك فتطعمي الجياع والمساكين والأرامل والفقراء، بكرم وجود دون

تردد أو خوف من قصر ذات اليد (ولو بشق تمرة).

تنبيه:

أ-إن بعض الناس تحصل لديهم وسوسة في النية، والوسوسة في النية من أخطر أنواع الوساوس فنرى البعض يتكلفون ويشككون في تبييتهم لنية الصيام، وهذا من تلبيس إبليس الذي يجب ألا يلتفت إليه الصائمون، فبمجرد دخول رمضان تستقر نفوسنا أننا سنصومه كله وهذا يكفي.

ب-ليعلم أن الليل يشمل جميع المدة التي بعد العشاء وقبل طلوع الفجر، فلو نام أحد من الليل دون أن يعلم أن تلك الليلة من رمضان واستيقظ قبل طلوع الفجر بدقائق، وعلم فتناول ما تيسر ثم أمسك لكان ذلك كافيا.

وفي الختام:

فإن الصيام جُنة من النار، وإنه جُنة من الشهوات، وإن في الجنة بابا يقال له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون، وإن الصيام شفيع لصاحبه. وهو كفارة ومغفرة من الذنوب، وأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، الصيام سبب للسعادة في الدارين رزقنا الله السعادة في الدنيا والآخرة.

اللهم..

اللهم بلغنا رمضان. اللهم بلغنا رمضان. اللهم بلغنا رمضان.

واجعلنا من الصائمين القائمين فيه يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعلنا من الصالحين المصلحين.

اللهم انفعنا وانفع بنا، أنت ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وقفات مع صلاة الوتر
وأسرار ومعاني دعاء القنوت

تأليف
ميادة بنت كامل آل ماضي

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي عم برحمته العباد، وخص أهل طاعته بالهداية والإرشاد إلى سبيل ووفقهم بلطفه لصالح الأعمال ففازوا ببلوغ المراد.

الحمد لله الذي ميز طريق الهداية عن متاهات الغواية، وبيَّن محاسن الأخلاق الإيمانية، وجعلها مدارج صاعدة إلى جنانه مفتوحة أمام أولي الهمة من العابدين.

الحمد لله أحمده حمد معزة بجزيل الأرفاد، وأعوذ به من وبيل الطرد والإبعاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها ليوم المعاد.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، مُوَضِّح طريق الهدى والسداد، والمبعوث رحمة للعالمين بالكتاب المبين الفاروق بين الهدى والضلال والغي والرشاد.

صلى الله عليه وعلى آله والأمجاد، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

يقول ابن القيم: اقشعرت الأرض، وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، وذهبت البركات، وقلَّت الخيرات، وهزلت الوحوش، وتكدرت الحياة من فسق الظلمة، بكى ضوء النهار، وظلمة الليل؛ من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة، وشكى الكرام الكاتبون، والمعقبات إلى ربهم من كثر الفواحش

وغلبة المنكرات والقبائح.

وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه، مؤذن بليل بلاءٍ قد ادلهم ظلامه.

ولكنه الرحمن الرحيم، الهادي إلى طريق مستقيم لا يزال يكنف عباده بحلمه ورأفته وجوده وكرمه، وكيف لا!، وهو أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، سبقت رحمته كل شيء، ووسعت كل شيء، فسمى نفسه الرحمن الرحيم، الرؤوف الكريم، يعلم بعلمه الأزلي ضعف وخذلان بني آدم أمام المغريات والشهوات وزينة الدنيا، ويشفق عليهم من عدوهم الأبدي شيطان الغواية، فهيأ لهم مواسم الخير تترى كلما انتهى موسم أقبل آخر، كيف لا ! وهو القائل:

﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

وهذا موسم عظيم هلت أنواره، واقترب انبثاق هلاله، فتحت أبواب التوبة تهيؤًا له وغلقت أبواب جهنم كرامة له، وصفدت مردة الجان، وتنزلت الرحمات من رب البريات تزينت الجنة لخطابها، وداعي الرضوان يدعوكم إلى رضوانه فهلا عزلتم عن سبيل الغي بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنة والباب مفتوح.

كيف يكن أخياتي والباب قد أغلق، وبالرهن قد غُلِّق [أي استحقه المرتهن] وبالجناح قد عُلق ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

ها هو رمضان بين أيدينا فهل نعلم أندركه أم لا؟ فأما من مَنَّ الله عليها بإدراكه فلتخر ساجدة لله أن أمهلها لتلحق بركب التائبين

والآيبين، وليكن قولها كما قال العابدون الأول: «اللهم قد أظلنا شهر رمضان، وحضر، فسلمه لنا وسلمنا له، وارزقنا صيامه وارزقنا فيه الجد والاجتهاد والنشاط، وأعذنا فيه من الفتن، وتسلمه منا متقبلاً».

اللهم نعماؤك لا تحصى، وفضائلك لا تدرك، وجودك لا ينتهي، وكرمك لا ينقطع، وأنت سبحانك القائل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

نسألك كما سألك نبيك وقرة عيوننا محمد الأمين ﷺ، نسألك أجل نعمة وأعظمها بعد نعمة الإسلام نسألك الهداية فيمن هديت، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، نسألك بأنا نشهد أنك الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، أن تهدينا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تبارك ربنا وتعاليت، اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك، وبك منك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبدًا ما أبقيتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

مع هذا الدعاء وقفتنا هذا اليوم:

الوقفة الأولى: أحكام ومسائل سريعة مختصرة وهامة:

ما حكم صلاة الوتر؟ وما أقل الوتر وأكثره؟ وما وقت الوتر؟ وهل إذا طلع الفجر والإنسان لم يوتر فهل يوتر أم لا؟ ما هي مواطن دعاء القنوت؟ هل القنوت في الوتر فقط؟

أولاً: حكم صلاة الوتر على أرجح الأقوال سنة مؤكدة.

ثانيًا: وقت الوتر بين صلاة العشاء والفجر، مع التنبه إلى أن وقت الوتر يدخل من حين أن تصلى العشاء، سواء صليت في وقتها أو صليت مجموعة إلي المغرب تقديمًا.

ثالثًا: إذا طلع الفجر و لم يوتر الإنسان فهل يوتر بين الأذان والإقامة أم لا؟

الجواب: لا يوتر، فالوتر ينتهي بطلوع الفجر.

دليل سنة الوتر قوله ﷺ: «**إن الله أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم، صلاة الوتر بين العشاء إلى طلوع الفجر**».

ودليل أن الإنسان لا يوتر بطلوع الفجر قوله ﷺ: «**فإذا خشي أحدكم الصبح صلى واحدة فأوترت له ما قد صلى**» [رواه البخاري ومسلم]. ولكن يقول أهل العلم يقضي الوتر وقت الضحى مشفوعًا بركعة، أي إذا كان من عادة الإنسان أن يوتر بثلاث يقضي وتره في الضحى أربع، وإذا كان وتره خمسًا قضاه ستًا وهكذا.

رابعًا: هل الأولى تقديم الوتر أم تأخيره؟

الجواب: دلت السنة أن من طمع أن يقوم آخر الليل فالأفضل تأخيره لأن صلاة الليل أفضل وهي مشهودة، ومن خاف أن لا

يقوم أوتر قبل أن ينام.

خامسًا: ما أقل الوتر؟ وما أكثره؟

الجواب: أقله ركعة لقول النبي ﷺ: «**الوتر ركعة من آخر الليل**» [صحيح مسلم].

وقوله ﷺ: «**صلاة الليل مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى واحدة فأوترت له ما قد صلى**» [متفق عليه]، وأدنى الكمال: ثلاث ركعات بسلامين، ويجوز صلاتها بسلام واحد على أن لا يتشهد بينهما بل يسردها سردًا ثم يتشهد تشهدًا واحدًا ويسلم سلامًا واحدًا، والحكمة من ذلك حتى لا تشبه صلاة المغرب.

ويمكن أن يوتر بخمس وسبع لا يجلس إلا في آخرها.

ويوتر بتسع يجلس في الثامنة ويتشهد ولا يسلم بل يقوم للتاسعة ثم يتشهد ويسلم.

سادسًا: ما موطن دعاء القنوت في صلاة الوتر؟

الجواب: هو من السنن المتنوعة فقد يفعل قبل الركوع، ويفعل بعده، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ الألباني رحمهما الله: لا بأس من جعل القنوت بعد الركوع لأنه أكثر وأقيس فإنه سماع الدعاء، مناسب لقول العبد: سمع الله لمن حمده... إلخ.

سابعًا: هل يداوم على دعاء القنوت؟

الجواب: يفعل أحيانًا ويترك أحيانًا، فهو سنة من شاء فعله ومن شاء تركه.

ثامنًا: هل يقنت في غير الوتر؟

الجواب: القنوت يجوز في الوتر وفي الفرائض عند حدوث النوازل، وعلى هذا فلا قنوت في الفرائض إلا إذا نزلت بالمسلمين نازلة تحتاج إلى ذلك.

وأما القنوت في الفجر دائمًا فقد صرح غير واحد من العلماء أنه بدعة محدثة.

تاسعًا: ما أفضل ما يتبع في دعاء القنوت؟

أ- أن يقتصر تارة على ما ورد من صيغة القنوت التي علمها النبي ﷺ للحسن رضي الله عنه.

ب- تارة أن يزيد ما شاء ليعلم الناس أنه لا بأس بذلك.

ج- وتارة أخرى يترك الدعاء بالكلية ليعلم الناس أن دعاء القنوت ليس بواجب.

ويقول الناظم شعرًا في هذا:

ولا تقنتن في كل وترك يـا فـتى ... فتجعلـه كالواجـب المتأكـد

ولكن قانتًا حينا وحينـا فتاركـا ... لذلك تـسعد بالـديل وتهتـدي

ففعـل وتـرك سـنة وكلاهمـا ... أتت عن رسول الله إن كنت مقتد

عاشرًا: أخيرًا، ما يستحب قراءته في صلاة الوتر؟

هذا سر من أسرار النبوة الكريمة، واختبار له دلالات رائعة جمعت من مشكاة من أوتي جوامع الكلم.

فتدبري وتأملي من خلال هذه الوقفة مع السور التي كان يقرأها ﷺ في صلاة الوتر.

«**تنبيه**» هذه السور قراءتها سنة ويستحب الإتيان بغيرها أحيانًا

لتمييزها عن الواجب، عن أبي بن كعب ﷺ: أن النبي ﷺ كان يوتر بـــ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾. سبحان الله تتريه وبراءة وتوحيد!

وزادت عائشة: «**والمعوذتين**» رواه النسائي وابن ماجه وأبو داود والبغوي والبيهقي.

فما الحكمة والسر وراء اختيار هذا السور الكريمة من رسول الرحمة ﷺ؟

(سورة الأعلى):

عن عقبة بن عامر قال: لما نزلت ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾ قال لنا رسول الله ﷺ: «**اجعلوها في ركوعكم**»، فلما نزلت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ قال: «**اجعلوها في سجودكم**». رواه أبو داود وابن ماجه.

وعن علي ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة» رواه أحمد.

وحق لرسول الله ﷺ أن يحب هذه السورة وهي تحيل الكون كله معبدًا تتجاوب أرجاؤه بتسبيح ربه الأعلى وتمجيده، تسبيح من العابد للخالق وتتريه ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾.

وحق لرسول الله ﷺ أن يحبها وهي تتضمن قواعد الإيمان الثابت من توحيد الرب الخالق المقدر الهادي المتره سبحانه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه، فهو سبحانه الذي خلق كل شيء فسواه ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾.

فأكمل صنعته وبلغ به غاية الكمال الذي يناسبه.

ثم هو سبحانه قدر لكل مخلوق وظيفته وغايته فهداه إلى ما خلقه: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٤٩-٥٠].

«**اللهم اهدنا فيمن هديت**» هداه إلى ما خلقه لأجله، وقدر له ما يصلحه مدة بقائه، وهداه أيضًا إليه بآياته الكونية والشرعية، وبيَّن له سبيل النجاة أو الشقاء، وهدى الأنعام لمرتعها، وهدى الطيور للعودة من مهاجرها، فالعصفور الهزاز يهاجر جنوبًا في الخريف ليعود إلى عشه في الربيع التالي، والحمام الزاجل إذا تحير من جراء أصوات جديدة عليه في رحلته الطويلة يحوم برهة ثم يقصد قدمًا إلى موطنه دون أن يضل فسبحان ربي الأعلى ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾، والنحلة تجد خليتها مهما طمست الريح في هبوبها على الأعشاب والأشجار ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾.

والحصان العجوز لو ترك وحده فإنه يلزم الطريق مهما اشتدت ظلمة الليل، ويقدر أن يرى ولو في غير وضوح لأنه يلحظ اختلاف درجة الحرارة في الطريق وجانبيه، ويرى بعينين باثرتا قليلاً بالأشعة تحت الحمراء التي للطريق فسبحان ربي الأعلى ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾.

والبومة تبصر الفأر اللطيف وهو يجري على العشب البارد مهما تكن ظلمة الليل، ونحن نقلب الليل نهارًا بما نسميه الضوء، فسبحان ربي الأعلى ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ وكل الحيوانات تسمع الأصوات التي يكون كثير منها خارج دائرة الاهتزازات الخاصة بنا، وذلك دقة تفوق كثيرًا حاسة السمع

المحدودة عندنا.

وإحدى العناكب الماشية أوتيت من علم الهندسة والتركيب والملاحة الجوية ما يجعلها قادرة على أن تنسج عشًّا على شكل بالون من خيوط العنكبوت، وتعلقه بشيء من تحت الماء تمسك ببراعة فقاعة هواء بشعر جسمها وتحملها إلى الماء ثم تطلقها تحت العش، وتكرر هذا العملية حتى ينتفخ العش وتلد صغارها وتربيها آمنة عليها من هبوب الهواء فسبحان ربي الأعلى.

وإذا حمل الريح فراشة أنثى من خلال نافذة بيتك فإنها لا تلبث حتى ترسل إشارة خفية وقد يكون الذكر على مسافة بعيدة ولكنه يتلقى الإشارة ويجاوبها مهما أحدثنا من روائع لتضليلها، ترى هل لتلك المخلوقة الضئيلة محطة إذاعة وهل لذكر الفراشة سلك لاقط للصوت إن التلفون والراديو هما من العجائب الآلية وهما يتيحان لنا الاتصال السريع، ولكنا مربوطون في شأنهما بسلك وعلى ذلك لا تزال الفراشة متفوقة علينا. فسبحان ربي الأعلى.

وفي أنواع المخلوقات التي خلقها فسواها الخالق القدير بعضها من يبدي ذكاءً عاليًا أو يبدي درجة عالية من أشغال معينة من الغريزة التي بها هداها الله لما يصلح شأنها، فالدبور يحفر حفرة في الأرض ثم يصيد جندبًا نطاطًا فيحزُّ الجندب في المكان المناسب تمامًا حتى يفقد وعيه، ويعيش كنوع من اللحم المحفوظ، وتأتي أنثى الدبور فتضع بيضها في الحفرة دون أن تقتل الحشرة (الجندب الفاقد الوعي) مع أنه من غذائها ثم تغطي الحفرة وترحل فرحة وتموت ولا تعلم ماذا يحدث لصغارها الذي كبروا وتغذوا على هذا الجندب فسبحان ربي الأعلى.

فتأملي سر الدعاء «اهدني فيمن هديت»

إذا حق له أن يحبها ﷺ وهي تضرب مثلاً لهذه الدنيا الفانية بمرعى أخرجه ربه فاستوى فاستغلظ على سوقه يعجب الزراع نباته، ثم أصبح هشيمًا تذروه الرياح فكان هذا المرعى غثاءً أحوي.

فالمرعى كل نبات، وما من نبات إلا وهو صالح لخلق من خلق الله، الذي خلق على هذه الأرض وقدر فيها أقواتها لكل حي يدب فوق ظهرها أو يختبئ في جوفها أو يطير في جوها، وهذا المرعى يصلح أن يكون طعامًا وهو أخضر، ويصلح أن يكون طعامًا وهو غثاء أحوى بتقدير الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى.

والحياة الدنيا كهذا المرعى الذي ينتهي فيكون غثاءً أحوى والآخرة خير وأبقى. فسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، سبحان الله العليم العالم بالسر والعلانية، يعلم الجهر وما يخفى، فالسر عنده علانية فهو العليم أحاط علمًا بالذي في الكون من سر ومن إعلان.

وهو العليم بما يوسوس عبده ... في نفسه من غير نطق لسان
بل يستوي في علمه الداني مع ... قاصي وذو الإسرار والإعلان
فهو العليم بما يكون غدًا وما ... قد كان والمعلوم في ذا الآن
وبكل شيء لم يكن لو كان كيـ ... ـف يكون موجودًا لذي الأعيان
فهو السميع يرى ويسمع كل ما ... في الكون من سر ومن إعلان
فهو البصير يرى دبيب النملة ... وداء تحت الصخرة الصوان
ويرى خيانات العيون بلحظها ... إي والذي برأ الورى ويراني
فهو الحميد لكل حمد واقع ... أو كان مفروضًا على الأزمان

فهو أهلــه ســبحانه وبحمــده كل المحامد وصف ذي الإحسان
ولك المحامد ربنا حمــدًا كمــا يرضيك لا يغني علــى الأزمــان
ملأ السموات العلــى والأرض والموجود بعد ومنتهى الإمكــان
وكما تشاء وراء ذلــك كلــه حمــدًا بغــير نهايــة بزمــان

فسبح باسم ربك الأعلى حق له – فداه أبي وأمي وصلوات ربي عليه – أن يحبها وقد بشره ربه فيها بشارات عظيمة ولأُمَّته من بعده.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى * إِلا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى * وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى * فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾.

أ- أما البشارة الأولى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى﴾:

رفع عناء حفظ القرآن والكد في إمساكه عن عاتقه عليه الصلاة والسلام، وهو النبي الأمي الذي لا يحسن القراءة ولا الكتابة، فهذه البشرى تريحه وتطمئنه أن عليه القراءة عن ربه، وربُّه هو المتكفل بعد ذلك بقلبه فلا ينسى ما قرأ.

وفي هذه البشرى ما يهدئ روع النبي ﷺ على هذا القرآن الحبيب إلى قلبه، فيندفع بعاطفة الحب له والشعور بالحرص عليه إلى ترديده آية آية وجبريل يحمله إليه، خيفة أن ينسى حرفًا منه.

ب- البشارة الثانية: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾:

سنقرئك فلا تنسى فلا تجعل عليك في الدين من حرج ولا مشقة، فهي الحنيفية السمحة ملة أبينا إبراهيم، وشرعًا مستقيمًا لا حرج فيه ولا عسر.

وأخيرًا حق له أن يحبها ﷺ وهي تبين عدل الله وحكمته

وترسي القاعدة الأخيرة في قواعد الإيمان، قاعدة الجزاء في الآخرة.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

فطوبى لمن خاف مقام ربه وهى النفس عن الهوى وطوبى لمن آثر ما يبقى على ما يفنى، ولكن الإنسان الظلوم الجهول قل ما يتذكر هذا وينسى أن إيثار الحياة الدنيا هو أساس كل بلوى.

وتأملي وتدبري معي تسميتها الدنيا، فلا تجيء مصادفة فهي الهابطة والدانية أي العاجلة، وأما الآخرة فهي خير في نوعها وأبقى في أمدها، وبعد هذا طريق هداية الله للعالمين... من لدن نوح إلى صحف إبراهيم وموسى إلى لدن محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ثانيًا: سورة الكافرون:

كان عليه الصلاة والسلام يقرأ في الركعة الثانية بسورة البراءة من الشرك والكفر وأعمال المشركين.

سورة التوحيد العملي (توحيد الطلب والقصد) سورة الكافرون، وفي هذه السورة نتبرأ إلى الله البراءة الكاملة من الكافرين بلا ترقيع ولا مداهنة ولا أنصاف حلول ولا التقاء في منتصف الطريق فلهم دينهم ولنا دين.

وتدبري معي هذه السورة وسنربطها إن شاء الله بدعائنا في القنوت بقوله ﷺ «**تولنا فيمن توليت**».

ما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه البراءة من الكفار وما أحوج فتيان وفتيات الإسلام الذين بهم يقوم المجتمع الإسلامي المتميز

بعقيدته، والمتميز بسلوكياته إلى الشعور بعزة الإسلام، وبعزة دينهم والتخلص من شوائب وكدر الكفار، ما أحوج الأمهات المسلمات إلى العودة إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها، وتنشئة جيل معتز بدينه وليس بجيل إمعة، إن أحسن الناس أحسنوا وإن أساؤوا أساؤوا.

ليس جيلا كغثاء السيل زبدًا رابيًا، لأن الزبد يذهب وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض هذا هو ديننا، التوحيد الخالص الذي يتلقى قيمه وسلوكياته وشريعته من الله الواحد القهار دون شريك. وبغير هذا سيبقى الغش وتبقى المداهنة، ويبقى الترقيع ويبقى الذل.

ثالثًا: سورة الإخلاص:

ويختم ﷺ شفعه بركعة توتر له ما قد صلى.

يوتر بسورة أخلصها الله لنفسه، ليس فيها شيء إلا التحدث عن صفاته العلى.

سورة تخلص قارئها من الشرك والتعطيل لأن الإقرار بها ينافي الشرك والتعطيل.

سورة أدخلت صاحبها الجنة لمحبته إياها.: كما ورد في صحيح البخاري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل تقالها فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**».

وفي البخاري أيضًا عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**سلوه لأي**

شيء يصنع ذلك؟» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله تعالى يحبه**» وفي رواية أخري قال له النبي ﷺ: «**إن حبك إياها أدخلك الجنة**».

وسميت هذه السورة بأسماء عديدة منها التفريد، أو التجريد، أو التوحيد، أو النجاة، أو الولاية لأن من قرأها صار من أولياء الله، أو المعرفة، وتسمى كذلك سورة الأساس لاشتمالها على أصول الدين.

تأملي وتدبري معي كيف أن الرسول ﷺ يقرن بها وبين سورة الكافرين للتبرؤ من جميع أنواع الشرك والكفر، وهذه كما قلت سورة التوحيد العملي (توحيد الطلب والقصد) وهذه السورة إثبات التوحيد لله سبحانه المتميز بصفات الكمال، والمقصود على الدوام المنزه عن الشرك والشبه، فهي سورة التوحيد العملي.

لذا قرن بينهما في ركعتي الفجر، والطواف، وسنة المغرب، وصلاة المسافر، وركعتي الشفع والوتر، ولهذا الاقتران مغزاه ومعناه.

جاء في صحيح البخاري: «**لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم**».

وروى البخاري أيضًا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد**».

ويكفي هذه السورة بعد أن أثبتت صفات الله العلي فهو

الواحد الأحد الفرد الصمد الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، وهو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الله سبحانه هذه صفته ﴿الصَّمَدُ﴾ لا تنبغي إلا له، ليس له كفء وليس كمثله شيء، سبحانه الواحد القهار.

فهي كذلك ردت على كل عقيدة باطلة، كالثنوية القائلين بوجود إلهين اثنين للعالم، وهما النور، والظلمة، والنصارى القائلين بالتثليث، والصابئة القائلين بعبادة الأفلاك والنجوم، واليهود القائلين عزير ابن الله، والمشركين القائلين الملائكة بنات الله.

ثم يقنت عليه الصلاة والسلام، والقنوت لله له معان:

١- **الخشوع**: الإمساك عن الكلام في الصلاة، والإقرار بالعبودية والقيام بالطاعة التي ليس معها معصية كما قال تعالى: ﴿وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾ وكما في قوله: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ أي مطيعون، فالقانت المطيع والقانت الذاكر لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ وقيل: العابد، وقيل: قنت له أي ذل.

٢- **وقيل القنوت طول القيام**: روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ سئل: أي الصلاة أفضل؟ فقال: «**طول القنوت**» يريد طول القيام.

وقال عليه السلام والسلام: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم**» أي المصلي [رواه مسلم].

٣- وقيل الدعاء: والمشهور في اللغة أن القنوت هو الدعاء، كما هو هنا وعلى هذا فحقيقة القنوت العبادة، والدعاء لله عز وجل في حال القيام.

والقنوت شرعًا:

هو ذكر مخصوص مشتمل على دعاء وثناء ويشمل قنوت الوتر وقنوت الفجر، وقنوت النوازل.

ودعاء القنوت هو الدعاء الذي ذكرناه آنفًا.

وبعد:

فهذا ما تيسر من بعض معاني وأحكام صلاة الوتر، وصلاة الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

يا باغي الخير أقبل

إعداد

محمود أحمد راشد

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب علينا صوم رمضان وضاعف فيه الأجر والثواب وأنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الإنس والجان، أفضل من صلى وصام ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان؛ أما بعد:

فعما قريب نستقبل ضيفًا عزيزًا علينا طالما ترقبته القلوب واشتاقت إليه النفوس يأتي بعد طول غياب ويهل بعد فراق يُطل على الأمة إطلالة تشرح صدورها؛ كيف لا وهو شهر التقوى والصلاح يعيد للقلوب صفاءها وللنفوس إشراقها وللضمائر نقاءها.

مرحبًا أهلاً وسهلاً بالصيام   يا حبيبا زارنا في كل عـــام
قد لقينـــاك بحـــب مفعـــم   كل حب سوى المولى حرام
فاقبل اللـــهم ربي صـــومنا   ثم زدنا من عطاياك الجســـام

أيها الصائم: هذا شهر يصلح الله بمقدمه القلوب ويغفر فيه الذنوب ويستر به العيوب، ما أحلى أيامه وما أجمل لياليه فيه تفتح أبواب الجنان وتغلق أبواب النيران وتصفد الشياطين.

ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**».

أخي باغي الخير

إن بلوغ رمضان نعمة كبرى ومنَّة من الله عظمى يعقلها الصالحون فيشمرون ويجتهدون؛ فإن الواجب عليك أن تستشعر هذه النعمة، وتغتنم هذه الفرصة، فإن فاتتك كانت حسرة عليك وندامة.

أخي الكريم: هل وقفت مع نفسك لتقول لها أقبل هذا الشهر فماذا تعدين؟ فقد مضى عام ذهب لذته وبقيت تبعاته، هل تنتظرينه في اشتياق ولهفة وحنين رجاء ورغبة عسى الله أن يغفر منك ما سلف من الذنوب وعسى أن تكوني في عداد العتقاء من رمضان.

أو أن تكوني من النفوس التي لا تسعد بقدومه ولا تفرح بمجيئه يؤلمها أنها سوف تترك كثيرًا مما تعودت عليه لأجل ذلك كان واجبك أن تتميزي عن غيرك من اللاهين الغافلين، فتستقبليه بكل خضوع وانكسار، بكل حب وسعادة.

أيها الصائم: احمد ربك أن الله بلغك هذا الشهر الكريم.. كان النبي ﷺ يسأل ربه أن يبلغه الشهر الكريم، فقد ورد عنه ﷺ: «**اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان**» رواه أحمد والبزار والبيهقي في شعب الإيمان.

وكان السلف رحمهم الله يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم، وكان من دعائهم: «اللهم سلمني إلى رمضان وسلم رمضان وتسلمه مني متقبلاً».

يا باغي الخير

أتى هذا الشهر ليبشر العاصي، وكيف لا يبشر بشهر تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النيران.

أتى هذا الشهر ليبشر الغافل وليربي نفسه ويزكي قلبه، ويذهب شهوته وينتصر على نفسه امتثالاً لعبودية ربه وإذعانًا لأمره وتسليمًا لشرعه وترك شهوة الطعام والشراب والجماع لمرضاته.

أتى هذا الشهر ليبشر العابد، وكيف لا يبشر بليلة.. هي خير من ألف شهر، وهي التي خص الله تعالى بها هذه الأمة وآتاهم فيها

من الفضل ما لا يحصى ولا يعد.

أيها الصائم: إن التجار ينتظرون المواسم لعظيم الكسب فيها فإذا جاءت شمروا عن ساعد الجد والاجتهاد، فماذا أنت عامل في هذا الشهر الكريم، فمن اتجر مع مولاه كان ربحه أن يعتقه من النار، وأن يشمله بعفو وغفران؛ فهل تكون ممن يتقرب بالبر والطاعات وتحافظ على الجمع والجماعات، وتطيل الركوع والقيام وتتصدق بأفضل الصدقات وتصون لسانك عن الفحش والسباب؛ ثبت في الترمذي عنه ﷺ: «**ينادى مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار في كل ليلة**».

أتى رمضان مزرعة للعباد لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولاً وفعلاً وزادك فاتخذه للمعاد
فمن زرع الحبوب وما تأوه نادمًا يوم الحصاد

فمن زكى نفسه وجاهدها فقد ربح من شهره ومن دسها وأتبعها هواها فقد خسر شهره؛ فالأمر فينا وليس في الشهر.

اعلم أخي الصائم أن الناس في استقبال شهر رمضان تتباين أحوالهم بين مقبل ومعرض ومحاسب ومفرط، فانظر إلى نفسك من أي الفريقين أنت.

فمن الناس من يحرص على الخير، لذا تراه قبل دخول الشهر يحاسب نفسه قبل أن يحسب خزائنه، ويستعد لتغذية روحه قبل أن يستعد لتغذية بطنه، فيجعل رمضان مدرسة لتقوية إيمانه وتهذيب خلقه، وتقوية إرادته، فهذا صنف يستفيد من شهره فيجد من نهاره لذة الصابرين، ويجد في ليله لذة المناجاة، فهنيئًا بهذا الصنف؛ فهؤلاء هم الذين تفتح لهم أبواب الجنة وتغلق عنهم أبواب النار، إنه لفرحة

عظيمة لهم؛ إذ ينسلخ عنهم رمضان وقد غفرت ذنوبهم وجددوا إيمانهم وقويت إرادتهم.

ومن الناس من دس نفسه وأتبعها هواها؛ يستقبل رمضان على أنه شهر جوع وتعب وإرهاق؛ فينام نهاره ويسهر في ليله فلا هو استغل نهاره بالذكر والتسبيح ولا هو نزه ليله عن المحرمات؛ يجعل بطنه همه الأكبر وشهوته هي الغالبة، ليس رمضان عنده إلا تفنن في الأكل والشراب؛ تراه يذهب إلي العمل وهو عليه شاق، إذا كان لك معاملة عنده أخرها، ووجهه مغضب وصدره ضيق ولسانه حاد لا يرى رمضان إلا جوعًا أفزعه وعطشًا أقلقه، فيا خسارة من كان هذا حاله، فوالله لقد فاته خير كثير وفضل كبير.

فهذا صنف ليس له في شهره حظ من الذكرى حرم لذة الصبر، وفقد لذة المناجاة في الليل فكيف تفتح له أبواب الجنة ويتعرض لنفحات ربه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أخي الكريم: تفكر في هذين الصنفين، وقف مع نفسك فإني أراك تجيب وتقول بلسان الحال: أنا من الذين يحرصون على الخير، واستقبل هذا الشهر الكريم بتوبة صادقة وإنابة خالصة، فإن كنت من هذا الصنف فاستبشر بقدوم هذا الشهر الكريم، ويحق لك أن تفرح وأن تفتح صفحة بيضاء تعاهد فيها ربك وتستغفر ذنبك؛ فباب القبول مفتوح لكل توبة نصوح، سارع وعجل ولا تتأخر ولب منادي الخير، يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، وحافظ على وقتك واغتنم ساعات عمرك في عمل يرضاه لك ربك.

اعلم أخي الصائم أنه قادم عليك موسم عظيم وشهر كريم خصه الله من بين سائر الشهور بفضائل وخصائص لا تحصى ولا

تعد، لتشمر عن ساعد الجد وتبذل ما في الوسع، لتدرك رحمة من ربك لعلك أن تكون من عتقاء رمضان، فمن خصائص هذا الشهر ما يلي:

أولاً: رمضان شهر الصيام

اعلم أخي الصائم أن الله ما كتب علينا الصيام ليعذبنا بالجوع والعطش أو ليستغني بنا من فقر، ولكنه كتبه علينا لأنه طريق للتقوى وامتثال لأمره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

* واعلم أن من فضائل الصيام أنه سر بين العبد وربه؛ ففي الصحيح أن الله عز وجل يقول: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»؛ لأن الصوم لا يطلع عليه إلا الله تعالى فاختصه الله لنفسه من بين سائر الأعمال لعظمه وشرفه عنده.

* ومن فضائل الصيام أنه سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

* ومن فضائله أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة؛ فعن أبي عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه**. قال: **فيشفعان**». رواه أحمد.

* ومن فضائله أن الصوم فيه وقاية من عذاب النار، عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ، قال: «**الصيام جنة يستجن بها العبد من النار**». رواه أحمد بإسناد حسن.

* ومن فضائله أن خلوف فم الصائم أحب عند الله من ريح المسك.

* ومن فضائله أن للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه.

* ومن فضائله أن الصائمين يدخلون من باب الريان؛ كما في الصحيحين عن سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم؛ يقال: أين الصائمون؟ فيقومون فيدخلون، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**».

* ومن فضائله أن الصائم له دعوة عند فطره لا ترد؛ عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد**». رواه ابن ماجه.

أخي الصائم: إذا عرفت أن للصيام فضائل لا تدرك حتى يقوم الصائم بآدابه، فكيف تحافظ على صيامك ولا تكون ممن صام عن الطعام والشراب.

اعلم أن الصائم الحقيقي هو الذي تصوم جوارحه عن الآثام ولسانه عن الفحش والسباب وقول الزور وبطنه عن الطعام والشراب، قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**». رواه البخاري.

اعلم أن الصائم الحقيقي لا يقابل الإساءة بالإساءة والبذاءة بالبذاءة، وإن سابه أحد أو قاتله قال: إني صائم.

اعلم أن الصائم الحقيقي أن يكون صيامه سببًا في سكينته ووقاره لا في ثورته وغضبه.

اعلم أن الصائم الحقيقي هو الذي يصون نفسه عن الشهوات والمحرمات حتى تنكسر نفسه وينتصر على هواه؛ قال جابر بن عبد الله: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء».

أخي الصائم: حافظ على صيامك وتحلى بآدابه واحفظ حدوده وسارع في طاعة الله تنل بذلك أعلى الدرجات ولا تعرضه لما يفسده أو يخل به أو يذهب أجره من المعاصي والآثام، ولا تكن ممن يضيع وقته ويكون أسيرا لشهواته، فعمِّر أوقاتك بالأعمال الصالحة؛ فإنها هي التجارة الرابحة وفرصتها لك في رمضان سانحة؛ فقد أعطاك الله المهلة، وبلغك رمضان، فما تدري أتبلغ رمضان مرة ثانية أم لا؛ فما أسرع أيامه ولياليه، تذكر من كان معنا يصلي، وينتظر بلوغ الشهر، فوافاه الأجل فقطع عليه الأمل.

ثانيًا: رمضان شهر القرآن

أخي الصائم: اعلم أنَّ أعظم مطلب في هذا الشهر هو إصلاح القلب وأعظم ما يصلح القلب هو القرآن فانتهز وجود رمضان فتشغله بخير ما أنزل فيه وهو قراءة القرآن الكريم، «فإن جبريل كان يلقي النبي في كل ليلة يدارسه القرآن». رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس، وكان السلف ﷺ يكثرون من تلاوة القرآن في رمضان، كان الزهري رحمه الله يقول إذا دخل رمضان إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام، وكان مالك رحمه الله إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالس العلم وأقبل على قراءة القرآن،

وكان عثمان بن عفان يختم القرآن كل ليلة، وبعض السلف يختم القرآن في قيام رمضان كل ثلاث ليال، فاقتدِ يرحمك الله بهؤلاء الأخيار وسر على سيرهم تلحق بالبررة الأطهار.

أخي الصائم: اتل القرآن وتدبر معناه؛ فإن الله تعالى يأجرك على تلاوته؛ ففي كل حرف عشر حسنات؛ فقد روى الترمذي عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها؛ لا أقول آلم حرف؛ ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**».

أخي الصائم: أقبل على هذا القرآن فإن فيه الهدى والشفاء والموعظة، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ٥٧].

أخي الصائم: اقرأ هذه القرآن وتدبره واعمل بما فيه فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لك؛ ففي صحيح مسلم عن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**».

أخي الصائم: هذه بعض فضائل القرآن فأقبل على هذا القرآن في هذا الشهر الكريم قراءة وتلاوة وتدبرًا؛ فإنك إن عملت بما فيه سعدت في الدنيا وفزت في الآخرة، ولا تكن ممن انشغل بجميع الحطام واستبدله بالقيل والقال فيمر عليك العام وما قرأت شيئًا من القرآن.

فهل لك أن تعيش مع القرآن في رمضان وغير رمضان تحيي قلبك بمواعظه وتطمئن نفسك بترتيله وتقوم حياتك بأحكامه.

سمعتـــك يـــا قـــرآن والليـــل غافـــل
سريت تَهُزُّ القلـــب ســـبحان مـــن أســـرى
فتحنـــا بـــك الـــدنيا فأشـــرق صـــبحها
وطفنـــا ربـــوع الكـــون نملؤهـــا أجـــرًا

ثالثًا: رمضان شهر القيام

أخي الصائم: ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حين أطال القيام لربه، وقد مدح الله في كتابه القائمين: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤] وقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

أخي الصائم: قم وناج ربك وتضرع إليه وأطل الركوع والسجود واسأل ربك العون والسداد والفتح والرشاد على أن يعينك على القيام في رمضان وغير رمضان، صح عنه ﷺ أنه قال لابن عمه: «**يا عبد الله لا تكن كفلان كان يقوم الليل ثم ترك قيام الليل**».

رابعًا: رمضان شهر الجود والعطاء

أخي الصائم: شهر رمضان فرصة عظيمة للمنفقين؛ فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**إن لله ملكين يناديان في كل صباح، يقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**». متفق عليه.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل.

أخي الصائم: أكثر من الصدقة في رمضان؛ فإن أفضل الصدقة صدقة رمضان؛ فلعلك تطعم جائعًا أو تسد فاقة محتاج أو تفطر صائمًا؛ صح عنه ﷺ: «**من فطر صائمًا كان له مثل أجره دون أن ينقص من أجر الصائم شيئًا**». ألا تريد أن يحفظ الله عليك النعمة وأن يخلف الله لك خيرها؛ أنفق ينفق عليك، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

أيرضيك أن تكون في رغد العيش وسعة الرزق ولك إخوان أصابتهم شدة الفقر يحسون بألم الجوع وأنت تتمتع بأصناف الغذاء، أمن المروءة أن تتمتع بملابس الزينة وإخوانك يحرقهم حر الصيف ويقرصهم برد الشتاء!

ألا تريد الجنة، أدخل السرور على إخوانك: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**». فاصنع المعروف في أهله إن استطعت يعطيك الله الأجر والثواب العظيم.

العشر الأواخر

انظر رحمك الله إلى شهرك واعرف فضله، كنا بالأمس نستقبله واليوم نودعه فها أنت مقبل على العشر الأخيرة، أعظم أيامه فضلاً وأجلها قدرًا وأكثرها أجرًا، فكم من مذنب يعتق من النار فيها ويغفر له فيها من الذنوب، قدم لنفسك فيها توبة صادقة؛ إنها فرصة تسنح في العام مرة واحدة، فيها ليلة القدر هي خير من ألف شهر،

اغتنم هذه الليلة، قال رسول الله ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

وكان من هدي النبي ﷺ في هذه العشر أن يجتهد بالعمل فيها أكثر من غيرها؛ ففي صحيح مسلم عن عائشة: «أن النبي ﷺ كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره».

وفي الصحيحين عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيى ليله وأيقظ أهله».

أخي الصائم احرص على اغتنام هذه الليالي؛ فقد تدرك نفحة من نفحات الله فتكون سعادتك في الدنيا والآخرة.

واعلم أن ليلة القدر يفتح الله فيها باب القبول ويقرب فيها المحبين وباب التوبة فيها مفتوح وعطاء ربك ممنوح؛ فمتى تجد وتعمل إذا لم تعمل في هذه الأيام؟! إنها فرصة قد لا تتكرر ولا تعود؛ فإنك لا تعلم هل ستعيش إلى عام قادم أم لا؛ فهل من مجتهد حريص.

وهل يشبهُهُ شهرٌ ... وفيه ليلة القدر
فكم من خير صح ... بما فيها من الخير
روينا عن ثقات أنها ... تطلب في الوتر
فطوبى لامرئ ... يطلبها في هذه العشر
ففيها تنزل الأملاك ... بالأنوار والبر
وقد قال سلام هي ... حتى مطلع الفجر
ألا فادخروها إنها ... من أنفس الذخر
فكم من معتق فيها ... من النار ولا يدري

في ختام الشهر

أيها الصائم: ها هو رمضان تنتهي لحظاته وأيامه، جاء وقت الوداع فبأي شيء تودعه؟! هل تبكي على فراقه وتتأسف على رحيله وتندم على انتهائه؟!

انتهى شهر العبادة فهل أحييته بالعبادة، انتهى شهر البر والإحسان هل أفطرت فيه صائمًا أو أعطيت سائلاً محرومًا، انتهى شهر صلة الأرحام هل وصلت فيه قريبًا أو زرت جارًا، انتهى شهر التوبة هل صرت من التائبين النادمين، انتهى شهر القرآن هل انشغلت فيه بتلاوته.

وإن كان رمضان قد مضى فإن عمل المسلم لا ينقضي حتى الموت، فلا تقل ذهب رمضان وتستهل شوال بالفسوق والعصيان، فقد عهدناك في شهر رمضان مطيعًا منيبًا إلى ربك، فعلى أي شيء عزمت بعد رمضان، أبعدما ذقت لذة الطاعة والمناجاة تعود إلى مداراة العصيان، فلا تكون ممن بنى وهدم، وأبرم ونقض ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢].

ودع شهرك بتوبة صادقة وبقاء على العهد وأتبع الحسنة بالحسنة فذلك من علامات قبول التوبة.

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام وسائر الطاعات وأعاده علينا وعلى أمة الإسلام بالقبول والمغفرة والصحة والسلام وعز الإسلام إنه سميع قريب.

أخوكم محمود أحمد راشد

* * * *